٤/٣٧
صفحات من تاريخ مصر

عبد الرحمن الجبرتي

# عجايب الآثار في التراجم والاخبار



الجزء الرابع: الغزوة الفرنسية

[صدمة الغرب]

إعداد وتحقيق :

عبد العزيز جمال الدين

الناشر : مكتبة مدبولي

عبد الرحمان الجبرتي

# عجايب الآثار
# في
# التراجم والأخبار

إعداد وتحقيق:
عبد العزيز جمال الدين



الجزء الرابع: الغزوة الفرنسية
[صدمة الغرب]



بونابرت يعفو عن أهالي القاهرة بعد ثورة القاهرة الأولى..
بريشة جروس

# عجايب الآثار في التراجم والأخبار

تأليف:
عبد الرحمن الجبرتي

إعداد وتحقيق:
عبد العزيز جمال الدين

الجزء الرابع

الغزوة الفرنسية [ صدمة الغرب]


الإخراج الفني: مصرية وتامر عبد العزيز

الناشر: مكتبة مدبولي
٦ ميدان طلعت حرب
تليفاكس ٥٧٥٦٤٢١ ت ٥٧٥٢٨٥٤

الصف والتنفيذ الفني:
دار جهاد ت: ٣٥٦٤٧٨٣
٢٦ ش اسماعيل اباظة بجوار محطة مترو
انفاق سعد زغلول - الدور الخامس

رقم الإيداع ٩٣٨٤/ ١٩٩٧
الترقيم الدولى 977-208-219-5

عبد الرحمن الجبرتي

# عجايب الآثار في التراجم والأخبار



الجزء الرابع: الغزوة الفرنسية

[صدمة الغرب]

إعداد وتحقيق:

عبد العزيز جمال الدين

الناشر: مكتبة مدبولي

# تقديم

من متابعة الاجزاء الثلاثة السابقة من تاريخ الجبرتى يتضح لنا أن هناك ثلاثة عوامل ميزت النظام الاجتماعى السائد فى عصره وانعكست فى نظم وعلاقات توزيع الثروة فى مصر فى ذلك الوقت.

العامل الأول: اعتبار السلطان محتكراً لملكية كل مصادر الثروة بالبلاد، وهو المبدأ الذى سيطر بموجبه على تحصيل ثمار تلك الثروات وعلى التصرف فيها كيفما شاء، إذ كانت كيفية توزيع تلك الثمار فى حد ذاتها، (وارتكانًا إلى ذلك المبدأ) حقًا من حقوق السلطان وامتيازًا خاصًا له اداره من خلال وكلائه فى الجهاز الإدارى فى مصر.

أما العامل الثانى: فكان أنه ترتيبًا على ملكية السلطان لمصادر الثروة وإدارته لها من خلال جهازه الحاكم فى مصر، فقد استقرت السيطرة الفعلية على تحصيل ثمار تلك الثروات وتوزيعها فى يد ذلك الجهاز الحاكم فى الولاية، وذلك ما حدث حين انفرد أمراء المماليك بالسيطرة الفعلية فى أوقات متباعدة من القرن الثامن عشر ثم صارت لهم الهيمنة الكاملة فى اخره.

وقد كفل تركيب الجهاز الحاكم استتباب السيطرة العثمانية على مصر طالما بقى التوازن قائما بين القوى الثلاث المكونة له (الباشا، أمراء المماليك، الأغوات). ونلاحظ أن ذلك التكتيك القائم على التركيز الشديد للسلطة فى يد أداة حاكمة، هى نفسها مكونة من أقطاب متوازنة القوة، والذى اتبعه العثمانيون بغرض إحكام السيطرة على مصادر الثروة مع استتباب السلطة لهم، قد أفرز أحيانا أوضاعًا تناقض ذلك الهدف الاستراتيجى المرام، فكان مصدر تهديد أساسى للسيطرة العثمانية على مصر حين يختل التوازن القائم بين أقطاب السلطة، ويميل ميزان القوة لصالح إحداها فى أى وقت من الأوقات، فتنفرد بالسلطة المطلقة على ثروات البلاد بمنأى عن التعرض للبطش العثمانى العاجل والمباشر.

كذلك كان العامل الثالث: استطرادا منطقياً لمبدأ ملكية السلطان لمصادر الثروة فى الولاية وتتلخص فى أن القائمين بحرث تلك المصادر اعتبروا بمثابة قائمين على أملاك السلطان الخاصة، منحوا حق استغلال

تلك الأملاك والاحتفاظ بجزء مما ينتجون نظير تسديدهم لضرائب قرر الجهاز الحاكم مقدارها وكيفية تحصيلها.

كما يجب أن نلاحظ اشتداد حدة التناقض بين السلوك النمطي للقوى الحاكمة وبين المصالح بعيدة المدى للبلاد فى أواخر القرن الثامن عشر. إذ خضعت المصادر الأصلية للثروة فى مصر لسيطرة الأكثر قوة من البيوت المملوكية فى أواخر القرن الثامن عشر، وذلك بعد أن اختل ميزان شرائح الطبقة الحاكمة لصالح أمراء المماليك وتمكنوا من فرض السيطرة على أغلب القوات العسكرية العثمانية الأصل، ومن ثم احتكار الأداة الإدارية وأداة القهر فى ظل نظام يكرس السيطرة على مصادر الثروة للمسيطر على هاتين الأداتين. وقد ترتب على تلك السيطرة أن استقطب أمراء المماليك إيرادات ضخمة تجلت فى تركيز هائل للثروات فى أيديهم، وترتب عليها كذلك أن تمكنوا من توجيه انفاق الخزانة العامة بما يتفق ومصالحهم الطبقية. وقد ترتب على اختلال ميزان القوى لصالح المماليك بوجه عام أن تأثر نمط انفاق أمرائهم باحتدام المنافسة بين البيوت المتصارعة من أجل الانفراد بالسيطرة على مصادر الثروة وتكريس التميز الطبقى، مما جعلهم يعطون الأولوية للانفاق الحربى الذى استنزف مواردهم المالية الخاصة فلجأوا إلى استخلاص موارد مالية إضافية عن طريق غير نظامى، فكثرت حوادث الضرائب الجزافية والمصادرات. أما إنفاقهم المدنى، فقد سيطر عليه الانفاق الترفى من ناحية والمظهرى بغرض المحافظة على شرعية مزعومة من ناحية أخرى واختفى الانفاق الاستثمارى أو كاد.

وقد تمخضت تلك السيطرة القائمة على مصادر الثروة من جهة واستنزافها من جهة أخرى، أن ضربت إمكانية تبلور طبقة متوسطة مستقلة تدافع عن مصالحها ومصالح الوطن وتواجه الاستبداد والغزو الأجنبى.

## الإخفاق التاريخى
## و ضرب إمكانيات النهوض

وفيما يلى سنحاول أن نتلمس كيف تفاعلت العوامل الممثلة فى السيطرة المركزية على مصادر الثروة والممارسات التى طبعت جبى الضرائب وحرث الأموال والسلوك الاقتصادى للطبقة الحاكمة، لتؤثر مجتمعة على الموارد الإنتاجية للبلاد من ناحية والتركيب الطبقى من ناحية أخرى.

## أولا: تدهور أحوال القاعدة المادية للإنتاج

**١. ضعف الانفاق الحكومى على الموارد الإنتاجية:**

يبدو أن الأموال التى أنفقتها الأداة الحاكمة على صيانة وتنمية الموارد الإنتاجية للبلاد اقتربت بالكاد من نسبة الواحد فى المائة فقط من إجمالى إيرادات الخزانة، وينبنى ذلك التقدير على البيانات المحدودة المتاحة من الميزانيات القليلة المتوفرة الخاصة بالنصف الأخير من القرن الثامن عشر.

إذ نستنتج من تحليل تلك البيانات أن الطبقة الحاكمة استولت على النصيب الأعظم من تلك الإيرادات والذى بلغ حوالى ٨٤٪ منها، أدرج أغلبه فى بنود حملت مسميات تفيد بذلك المعنى بصورة واضحة وأدمج بعضه فى بنود أخرى تحت مسميات مختلفة.

كذلك يتضح لنا أن الانفاق على أغراض تتعلق بالحفاظ على بعض المظاهر الدينية التى حاول النظام الحاكم أن يستمد شرعيته منها بلغ فى المتوسط نسبة أكبر قليلا من ١٥٪ من إجمالى الإيرادات، فبقى مبلغ نسبته أقل من ١٪ للانفاق على الموارد الإنتاجية للبلاد كما ذكرنا من قبل. والجدير بالملاحظة هنا أن الميزانيات المتاحة شملت بندا اطلق عليه «نفقات على أغراض فى مصر» وبالرغم من أن هذا البند كان يمثل نسبة محدودة من إيرادات الخزانة العامة (حوالى ٤,٥٪ فى المتوسط) إلا أنه احتوى أجزاء من النفقات الموجهة للاستخدامين الرئيسيين للإيرادات (أى للطبقة الحاكمة والمظاهر الدينية) استوعبت أكثر من ثلاثة أرباعه.

**٢. تناقض الانفاق الحكومى مع الاحتياجات الحقيقية للبلاد:**

فإذا أردنا تقييم أثر ضآلة الانفاق الحكومى على الموارد الإنتاجة للبلاد، وجب علينا أن ننظر إلى تلك الموارد وطبيعتها، ومدى اعتماد أحوالها على توفر رعاية مركزية منتظمة.

ويبدو أن عناصر أو مكونات القاعدة الإنتاجية للبلاد وقتها يمكن أن نلخصها دون إخلال جسيم بالواقع فى موردين اثنين: هما الأرض الزراعية والطرق التجارية، فما عدا ذلك من أنشطة قام بصفة أساسية إما على المجهود البشرى أو على أصول مستمدة من الزراعة والنقل التجارى.

فإذا نظرنا إلى أحوال الأرض الزراعية فى مصر وجدناها تعتمد بصورة مطلقة على الرى النيلى، ووجدنا أن الظروف الطبيعية تفرض ضرورة تنظيم الرى بصورة تأخذ فى

الاعتبار التقلبات الموسمية لذلك المصدر الرئيسي ـ أو قل الوحيد ـ للمياه (أى الفيضان)، والتى تجعل كميات المياه المتاحة غير معلومة أو مؤكدة. هذه واحدة. كذلك يبدو أن طبيعة ذلك المورد المالى وكونه شريطًا محدوداً فى استطالة تفرض القيام باستثمارات فى حفر وصيانة المجارى المائية (القنوات والترع والمصارف وغيرها) لمد شبكة الرى إلى أنحاء الأراضى الزراعية الصالحة، ناهيك عن التوسع فى تلك الأراضى أو الإضافة لها.

وقد أوضح أحد الاقتصاديين الأجانب (كروتشلى) الذين كانت لهم مؤلفات عن الاقتصاد المصرى فى أوائل القرن الحالى تلك الاعتبارات فى فقرتين يمكن ترجمتهما كما يلى:

«أدت [حتمية] إقامة نظام الرى فى مصر على قاعدة مصنوعة غير طبيعية، والاعتماد المطلق للزراعة على [تنظيم] الرى إلى بديهية مقررة، كثيراً ما يتكرر ذكرها بصورة أو بأخرى، ومؤداها أنه ليس فى بلاد العالم بلد آخر مثل مصر يتوقف رخاؤه على حكومته بتلك الصورة المباشرة السريعة.

«وإذا ما أردنا النجاح للرى [فى مصر]، فلابد من تنظيمه وإدارته بواسطة إدارة مركزية قوية تضع نصب عينيها المصلحة العليا للبلد بأكمله. إذ أن الضرورة لا تتوقف عند إنشاء الجسور والقنوات والمصارف والسدود، والتى بطبيعتها تصبح فى حاجة إلى الإصلاح إذا أهملت ولو لفترة قصيرة، ولكن لابد أيضًا سنة بسنة وتبعاً لحال الفيضان من التحكم فى توزيع المياه بما يحقق أقصى فائدة ممكنة للبلد ككل».

أما التجارة المصرية، فقد اعتمدت على عدة طرق نيلية وبرية انتقلت السلع عبرها من الموانىء والمدن الرئيسية وأرجاء البلاد المختلفة إلى القاهرة، فكان يتم نقل البضائع التى تصل إلى موانىء الاسكندرية ورشيد والبرلس ودمياط إلى القاهرة بواسطة الملاحة النيلية، والبضائع التى تصل إلى ميناءى السويس والقصير بواسطة القوافل عبر الطرق الصحراوية، أما القوافل القادمة من مناطق فى وسط افريقيا والسودان فقد حملت بضائعها إلى القاهرة براً عبر مصر العليا (الصعيد). كانت تلك الطرق بمثابة الشرايين التى تتدفق عبرها حركة التجارة، فكان حفظ النظام وتحسين نظم النقل فيها كلها ضرورياً لصيانة التدفق التجارى.

ويسوقنا ذلك العرض لطبيعة القاعدة الإنتاجية للبلاد وما تمليه تلك الطبيعة من أهمية القيام بإنفاق حكومى ضخم لصيانة وتنمية القدرة الإنتاجية ـ بل لمجرد الحفاظ عليها من التدهور ـ إلى أن نلاحظ أن نمط

تـصرفـات الخزانة فـى الإيـرادات كـان يبـدو وكـأنـه يشوبـه إهمـال جـسيـم لـوظـائفـهـا الأساسية إزاء الموارد الإنتاجية، إذ أن تحليل مـفـردات الانـفـاق الحكـومـى علـى الموارد الإنتاجية يظهر لنا اقتصاره على توجيه نسبة من الإيرادات تذبذبت حـول ٧ ,٪ لـصيـانـة شبكة الرى القائمة، بينما خلا ذلك الانفاق تماماً من ذكر أى أعمال رى جديدة، كذلك لـم يتـضـمـن أى اعتـمـاد مستقـل لتـحسين الطرق التجارية وصيانتها ومن أمثلة تلك المفردات، فى أواخر القرن الثامن عـشر ما يلى، ونلاحظ ثبات قيمة نسبة الاعتماد المخصص لها من إجمالى الإيرادات (نظر الجدول المجاور)

| | ميزانية ١١٨ هـ/١٧٦٦م | | ميزانية ١٣٠ هـ/١٧٨٥م | |
|---|---|---|---|---|
| | القيمة بآلاف البارات | النسبة إلى إجمالى الإيرادات | القيمة بآلاف البارات | النسبة إلى إجمالى الإيرادات |
| صيانة الخلجان (القنوات) والسدود فى الأقاليم | ٨٦١ | ٠,٧ | ٨٦١ | ٠,٧ |
| صيانة السواقى الرئيسية فى مصر القديمة ومد السقاه بالمياه العذبة للسويس. | ١٣٨ | ٠,١ | ١٣٨ | ٠,١ |
| صيانة بيوت الجمارك فى دمياط والاسكندرية وتوفير مياه عذبة لملء صهاريج «القرافة الكبرى» (الجبانة) فى القاهرة | ٤٦ | ,٠٤ | ٤٦ | ,٠٤ |
| صيانة الخلجان (القنوات) المختلفة فى القاهرة ودمياط | ٢٥ | ,٠٢ | ٢٣ | ,٠٢ |

وبالرغم من عدم توفر مؤشرات عن الحد الأدنى الضرورى من الانفاق لتنظيم وصيانة وتنمية كل من الأراضى الزراعية وشبكة الرى القائمة من ناحية والطرق التجارية من ناحية أخرى بحيث نقارن ذلك الحد الأدنى بالانفاق الحكومى الفعلى أو التقديرى المبين فى الجدول، إلا أننا نرى أن التواضع البالغ الذى بيناه فى نسبة ما ينفقه الجهاز الحاكم على الموارد الإنتاجية مما يتجمع لديه من أموال جاء أغلبها من ضرائب واستقطاعات باهظة مأخوذة من حصيلة استخدام تلك الموارد، ليس إلا انعكاساً كمياً للعلاقات الطبقية السائدة والتى ستتكرر الإشارة لها فيما بعد، وهو مؤشر يعكس فى مجمله كيف تناقضت أولويات الحكم ورؤية الطبقة الحاكمة لمصالحها مع المصالح الإنتاجية

للبلاد فى المدى الأبعد، فوظفت الطبقة الحاكمة أداة الانفاق العام لتخدم على مصالحها العاجلة قصيرة المدى.

ويبدو أن نظام الالتزام فى المقاطعات الريفية ربما ساعد أحياناً وفى بعض نواحيه على التعويض الجزئى من ضآلة الانفاق الحكومى على الأعمال الزراعية، إذ قام ذلك النظام نظرياً على تفاهم مشترك بأن الملتزمين ـ كل فى مقاطعته ـ ينهضون بمسئولية الحكومة. ومع عدم خوضنا فى الدلالات العملية لذلك التفاهم النظرى أو لحدوده وصرامته والتطبيق الفعلى له، إلا أننا نتصور أن الحد الأدنى الذى كان لابد أن يعنيه ذلك ضمناً ـ (إذ صح تطبيقه) ـ يشمل الصيانة الاعتيادية للأرض ولشبكة الرى، وربما يضمن أيضًا دوراً فى حفظ الأمن بداخل نطاق ما يلتزم عنه من أراض فى حدود المقاطعة. فإذا صح ذلك التصور، فقد يكون قد ساعد فى توفير بعض الاستقرار فى بعض النواحى وفى بعض الأحيان. ومع ذلك، فمن الصعب تصور أن المجهودات الفردية المنعزلة بداخل كل مقاطعة منفردة قد نهضت كبديل كامل عن المجهود المركزى المنظم وبصورة كافية أو مقبولة، حتى فى تلك الأوقات التى اتسمت باستقرار سياسى نسبى ترتب عليه احتفاظ الملتزمين بمقاطعاتهم لفترات طويلة وبكيفية ربما اقتربت بهم من شكل الملكية الخاصة المستقرة، ووفرت ما يرتبط بتلك الملكية من حوافز. فالتأمل فى القول المقتطف من كروتشلى فى صدر هذا الكلام يفضى بنا إلى اقتناع بأن الجهود الفردية، سواء بذلها ملتزمون أو ملاك مكتملو الملكية الخاصة، يصعب أن تسفر عن تنظيم أعمال الرى (ومن ثم الزراعة) على نطاق البلاد بأكملها، بما يدرأ أخطار شح الفيضان أو غزارته، وبما يجنب البلاد التعرض إلى تذبذب حاد فى أحواله مع تذبذب مستواه. بل هناك من الحوادث ما يؤكد اخفاق بعض مشروعات الرى الأساسية بسبب عدم انتظام الحكام فى الاشراف على تطور العمل بها، مما أجهض الموارد الطائلة والجهد البشرى المبذول فى أعمال ظلت غير مستكملة.

«(وفى شهر شعبان) [١٢٠٧هـ] وقع الاهتمام بسد خليج الفرعونية بسبب احتراق البحر الشرقى ونضوب مائه، وظهرت بالنيل كثبان رمل هايلة من حد المقياس إلى البحر المالح، وصار البحر الغربى سلسول جدول تخوضه الأولاد الصغار ولا يمر به إلا صغار القوارب، وانقطع الجالب من جميع النواحى إلا ما تحمله المراكب الصغار بأضعاف الأجرة، وتعطلت دواوين المكوس فأرسلوا إلى سد

الترعة رجلا مسلماني، وصحبته جماعة من الافرنج، وأحضروا الأخشاب العظيمة ورتبوا عمل السد قريباً من كفر الحضرة، وركبوا آلات في المراكب ودقوا ثلاثة صفوف خوابير من أخشاب طوال، فلما أتموا ذلك كانت الصناع فرغت من تطبيق ألواح في غاية الثخن شبه البوابات العظام، وهي مسمرة بمسامير عظيمة ملحومة بالرصاص وصفائح الحديد مثقوبة بثقوب مقاسة على ما يوازيها من نجوش منجوشة بالخوابير المركوزة في الماء فإذا نزلوا ببوابة الحموها بتلك الخوابير وتبعتهم الرجال بالجوابي المملوة بالحصا والرمل من أمام ومن خلف، وتبع ذلك الرجال الكثيرة بغلقان الأتربة والطين ففعلوا ذلك حتى قارب التمام، ولم يبق إلا اليسير، ثم حصل الفتور في العمل بسبب أن المباشر على ذلك أرسل لمراد بك بالحضور ليكون إتمامها بحضرته ويخلع عليه ويعطيه ما وعده به من الإنعام، فلم يحضر مراد بك وغلبهم الماء وتلف جانب من العمل، وكان أيوب بك الصغير حاضراً وفي نفسه أن لا يتم ذلك لأجل بلاده فأصبح مرتحلا، وتركوا العمل وانفض الجمع، وقد أقام العمل في ذلك من أوايل شعبان إلى أواسط شوال، ثم نزل إليها جماعة آخرون وطلبوا جملة مراكب موسوقة بالأحجار وشرعوا في عمل سد المكان القديم عند فم الترعة، ودقوا أيضاً خوابير كثيرة وألقوا أحجاراً عظيمة وفرغت الأحجار فأرسلوا بطلب غيرها فلم تسعفهم القطاعون فشرعوا إلى هدم الأبنية القديمة والجوامع التي بساحل النيل، وقلعوا أحجار الطواحين التي بالبلاد القريبة من العمل، واستمروا على ذلك حتى قويت الزيادة ولم يتم العمل ورجعوا كالأول، وذهب في ذلك من الأموال والغرامات والسخرات وتلف من المراكب والأخشاب والحديد ما لا يحد ولا يعد».

لقد كان لابد أن يؤدي إهمال أعمال الري من قبل الحكومة إلى الاعتماد على ما تجود به قوى الطبيعة بصورة كادت أن تكون مطلقة، وإلى وقوع الزراعة المصرية تحت رحمة التغير في احجام الفيضانات من عام إلى آخر، مما جعل البلاد تشهد أعواماً عانت فيها بشدة من ندرة الغذاء وارتفاع الأسعار وعدم توفر الخامات للصناعة المحدودة القائمة. ويتعدد في الجبرتي ذكر حوادث من هذا القبيل، نورد منها على سبيل المثال ذكر ما حدث في عامين من هذه الأعوام:

«وفي هذه السنة [١١٩٥هـ/١٧٨٠م] قصر مد النيل وانهبط قبل عيد الصليب بسرعة فشرقت الأراضي القبلية والبحرية وعزت الغلال بسبب ذلك وبسبب نهب

الأمرا وانقطاع الوارد من الجهة القبلية، وشطح سعر القمح إلى عشرة ريالات للأردب واشتد جوع الفقرا. ووصل مراد بك إلى بنى سويف وأقام هناك وقطع الطريق على المسافرين، ونهبوا كل ما مر بهم فى المراكب الصاعدة والهابطة».

ثم وصف الجبرتى الأحوال فى عام ١٢٠٦ كما يلى:

«... وانقضى شهر كيهك القبطى، ولم ينزل من السما قطرة ما فحرثوا المزروع ببعض الأراضى التى عطشها الما وتولدت فيها الدودة وكثرت الفيران جداً حتى أكلت الثمار من أعلى الأشجار، والذى سلم من الدودة من الزرع أكله الفار، ولم يحصل فى هذه السنة ربيع للبهايم إلا فى النادر جداً، ورضى الناس بالعليق فلم يجدوا التبن وبلغ حمل الحمار من قصل التبن الأصفر الشبيه بالكناسة الذى يساوى خمسة أنصاف قبل ذلكماية نصف، ثم انقطع مرور الفلاحين بالكلية بسبب خطف السواس وأتباع الأجناد، فصار يباع عند العلافين من خلف الضبة كل حفان بنصفين إلى غير ذلك».

ومن ناحية أخرى، فقد ترتب على إهمال صيانة الطرق التجارية أن تقلصت أداة أخرى من أدوات الإنتاج، فانكمشت الطرق وانكمشت معها الحركة التجارية، وضاق مورد رئيسى آخر من موارد الثروة. ونجد فى مذكرات سونينى عن أسفاره إشارة إلى كثير من تلك الحالات، ونقتطف منها فقرة ترجمناها كما يلى:

«ولكن الإهمال البربرى من جانب طغاة مصر قد أذبل مورداً غنياً للرخاء، إذ تركوا الطمى يتراكم فى قيعان القنوات معوقاً حركة الملاحة، فأرغمت التجارة على هجر سواحل مدينة فوة....»

وقد زاد من ذلك التدهور انتشار القرصنة، التى نشطت بسبب ضعف قبضة الحكومة المركزية نتيجة الانشغال بالصراعات بين البيوت المملوكية وما ارتبط بذلك من اضطراب سياسى.

ويخبرنا الجبرتى أن القراصنة تمكنوا من السيطرة فى بعض الأحيان على تلك الأجزاء من أمانة البحرين التى وقعت خارج القاهرة، وهى مناطق اضطر الجهاز الحاكم إلى القبول رسمياً بأنشطة القرصنة الموجودة بها فى الأوقات التى ضعفت فيها السلطة المركزية واهتزت هيبتها، فتهادنت تلك السلطة مع القراصنة سعيًا إلى حل وسط يحقق المنفعة لطرفيه ويلقى بالعبء على أهل البلاد.

«وفى سنة ١١٣٤ أخذ سالم من محمد بك ابن إسماعيل أمير الحج [المنصب الذى تبوأه أقوى أمراء المماليك] إجازة بعمار البلاد الذى على البحر وأخذ فى تعمير دور وسايته.. فاشتهر ذكر سالم وعظم، واستولى على خفارة البحرين ونفذت كلمته بالبلاد البحرية من بولاق إلى البغازين وصارت المراكب والرويسا تحت حكمه، وفرض عليها الضرايب الشهرية والسنوية، وأنشا دوراً واسعة وبستاناً به كل أنواع الفاكهة».

وقد سيطرت ظروف مماثلة على الطرق الصحراوية، حيث هددت الغزوات المتكررة للبدو مرور القوافل التجارية، وقد ذكر الجبرتى العديد من غاراتهم التى نرجح أنها وجهت ضربات شديدة للتجارة عبر القوافل. ومن ضمن ما ورد بالجبرتى إشارة إلى غارة رئيسية وقعت فى ١١٩٣هـ/١٧٧٩م على قافلة من التجار الأوربيين ويبدو أنها أثرت بشدة على الحركة التجارية بين أوربا ومصر.

وليس من المستغرب وقد أهمل رجال الحكم أمور البلاد وسطوا على أرزاق أهاليها أن حذت حذوهم أدواتهم من الجند ورجال الأمن، فتعددت حوادث سطو هؤلاء على السلع عند ندرتها أو عند توفرها بعد ندرة، ليضيق الطوق مجدداً على الحركة التجارية:

«(وفيه) [المحرم ١٢٠٧هـ] وصلت غلال رومية وكثرت بالساحل فحصل للناس اطمئنان وسكون ووافق ذلك حصاد الذرة، فنزل السعر إلى أربعة عشر ريالا للأردب، وأما التبن فلا يكاد يوجدُ، وإذا وجد منه شى فلا يقدر من يشتريه على إيصاله لداره أو دابته بل يبادر خطفه السواس واتباع الأجناد فى الطريق، وإذا سمعوا واستشعروا بشى منه فى مكان كبسوا عليه وأخذوه قهراً، فكان غالب مونة الدواب قصب الذرة الناشف، ويسرح الكثير من الفقرا والشحاذين فى نواحى الجسور فيجمعون ما يمكنهم جمعه من الحشيش اليابس والنجيل الناشف، ويأتون به ويطوفون به فى الأسواق ويبيعونه بأغلى الأثمان، ويتضارب على شراه الناس وإن صادفهم السواس والقواسة خطفوه من على روسهم وأخذوه قهراً».

٣. تدهور أحوال القوى العاملة المصرية:

أدت المناحرات السياسية التى طبعت القرن الثامن عشر فى مصر بطابعها إلى وقوع أفراد الطبقة الحاكمة من أمراء المماليك تحت ضغط احساس بالاحتياج المستمر لموارد مالية لتمويل تدافعهم على استجلاب المماليك الجدد من الخارج. وكان تدبير الموارد المالية المطلوبة يصادف صعوبة متزايدة بسبب التناقص المضطرد فى فائض الإنتاج نتيجة إهمال الموارد الإنتاجية، مما كان يعنى تعرض الموارد المتوفرة للطبقة الحاكمة إلى النقصان

ما لم تستقطع من نصيب القوى العاملة من حصيلة الإنتاج - أى ما لم تأت خصماً من العائد المستحق لرأس المال البشرى وضريبة ضمنية عليه، وقد قامت أدوات البيروقراطية (الجهاز الإدارى) والقوة القهرية (الجهاز العسكرى) بالتخديم على مصالح الطبقة الحاكمة فى هذا الصدد، فى الوقت الذى افتقر فيه أهل البلاد فى أغلب الحالات إلى تنظيم جماعى دفاعى. وكان مؤدى ذلك السلوك إلحاق الضرر بمورد إنتاجى رئيسى آخر (القوى البشرية) واستنزافه، هذا إذا ما نحينا اعتبارات العدالة الاجتماعية جانبًا ونظرنا إلى تأثير أنماط سلوك الطبقة الحاكمة على القاعدة الإنتاجية فحسب. ولنستطرد للحظة هنا لنلاحظ الضرورة المادية لما يطلق عليه أحيانًا «عدالة التوزيع» وهى من الاعتبارات التى تدرج عادة ضمن مفهوم العدالة الاجتماعية، والذى كثيراً ما يطرح بدوره وكأنه يقوم على أساس من التعاطف الإنسانى فحسب فيضعف ذلك الطرح المضلل (بكسر اللام) أو المضلل (بفتحها) من الاحساس بضرورته المادية وبالأهمية والأولوية الملحتين له.

وقد تحمل الفلاحون وهم الشريحة الأكبر عدداً والأضعف تنظيما فى الطبقة العاملة المصرية العبء الأعظم منذ البداية، وتشير الدلائل المتاحة أن ذلك دفع بالزراعة إلى حلقة مفرغة. فالاهمال الحكومى للانفاق الضرورى للأعمال الزراعية العامة أدى إلى تقلص متوسط إنتاجية الأرض الزراعية فتدهورت كمية المحاصيل والإيرادات المستولدة من أى رقعة زراعية محددة، فسعى الجهاز الحاكم إلى تعويض نقصان الموارد المالية المتجمعة له بالاستقطاع من حقوق أو عوايد الفلاحين العاملين على الرقعة المعنية بالرغم من فقرهم الشديد، فثقل العبء الواقع عليهم وتدهورت أحوالهم إلى مزيد من الفقر وسوء الأحوال الصحية وسلب ذلك من طاقاتهم الإنتاجية (متوسط الإنتاجية الفردية) وقدرتهم على استيلاد المحاصيل من الرقعة المحددة التى يعملون عليها، فنقص الإنتاج الزراعى مجدداً، ليشتد بطش الطبقة الحاكمة وتلجأ إلى توظيف أشرس لأداتها الضاربة حتى تستخلص ما إعادته من أموال (أو أكثر إذا دعت الحاجة) من تلك الرقعة الزراعية المتدهورة إنتاجيتها وإنتاجية العاملين عليها فيزداد ثقل العبء الواقع على العاملين، وتتدهور الإنتاجية الفردية من جديد ويزداد انكماش الإيراد الزراعى المتولد من تلك الرقعة فيزداد توظيف الأداة الضاربة، وهكذا دواليك. ويرجعنا ذلك العرض إلى ملاحظة الأستاذ

لهيطة، والتى نبه فيها إلى دخول البلاد حلقة مفرغة من الانحدار المالى بسبب إتيان مستغليها على منابع الدخل شيئا فشيئا.

وكان يمكن ألا يؤدى التراجع فى إنتاجية الأرض من جهة وفى إنتاجية الفلاح من جهة أخرى إلى تراجع إجمالى الإنتاج الزراعى على نطاق البلاد بأكملها وذلك إذا ازدادت كمية أحد العنصرين أو كليهما: (مساحة الأرض الزراعية أو عدد العاملين عليها). لكن حجم المساحة الصالحة للزراعة كان ينكمش بسبب إهمال الاستثمارات الضرورية لصيانتها، وكذلك كان عدد الفلاحين العاملين على الأرض الزراعية يتناقص بتأثير الإجهاد البالغ الذى دفع بهم إلى الهجرة فلولا واشتاتا.

وبإمكاننا أن نجد فى تسجيل المعاصرين لتلك الفترة كثيراً من الإشارة إلى هذين الأمرين (انكماش المساحة وتناقص البشر العاملين عليها)، إذ يقدر سونينى على سبيل المثال مساحة الأراضى الزراعية التى تعرضت للبوار بأنها تساوى حوالى ربع المساحة التى كانت تزرع وقت زيارته لمصر، وذلك فى فقرة ترجمناها كما يلى:

«ولقد أثمر الإهمال والطغيان ـ المتعادلين فى البربرية ـ زحف الرمال على أجزاء كانت تغطيها الخضرة من قبل... تلك الأماكن.. كثيرة إلى درجة أنه يمكننا أن نقدر مساحتها دون أن نخشى الخطأ بحوالى ربع المساحة التى تتم زراعتها فى مصر حالياً».

كذلك يشير الجبرتى إلى موجات حاشدة من الهجرة من القرى إلى المدن والتى وقعت فيما يشبه حالات الفرار الجماعى نتيجة الفقر الحاد فى القرى وليس بسبب اغراءات المدن، أى أن القوى المسببة لها كانت قوى طرد تدفع للبحث عن مأوى بديل لا قوى جذب تعد المقبلين وتغريهم بمستقبل أفضل. وتتضح لنا ظروف تلك الموجات البشرية المتحركة فى الفقرتين التاليتين:

« وانقضت هذه السنة [١١٩٨هـ/١٧٨٣م] كالتى قبلها، فى الشدة والغلاء، وقصور النيل، والفتن المستمرة وتواتر المصادرات والمظالم من الأمرا وانتشار أتباعهم فى النواحى لجبى الأموال من القرى والبلدان وإحداث أنواع المظالم، (ويسمونها مال الجهات ورفع المظالم والفردة) حتى أهلكوا الفلاحين وضاق ذرعهم واشتد كربهم وطفشوا من بلادهم، فحولوا الطلب على الملتزمين وبعثوا لهم المعينين فى بيوتهم، فاحتاج مساتير الناس لبيع أمتعتهم ودورهم ومواشيهم بسبب ذلك مع ما هم فيه من المصادرات الخارجة عن

ذلك وتتبع من يشم فيه رائحة الغنى فيؤخذ ويحبس ويكلف بطلب أضعاف ما يقدر عليه، وتوالى طلب السلف من تجار البن والبهار عن المكوسات المستقبلة، ولما تحقق التجار عدم الرد استعوضوا خساراتهم من زيادة الأسعار. ثم مدوا أيديهم إلى المواريث فإذا مات الميت أحاطوا بموجوده سواء كان له وارث أو لا، وصار بيت المال من جملة المناصب التي يتولاها شرار الناس بجملة من المال يقوم بدفعه في كل شهر، ولا يعارض فيما يفعل من الجزيئات، وأما الكليات فيختص بها الأمير، فحل بالناس ما لا يوصف من أنواع البلا إلا من تداركه الله برحمته أو اختلس شيّا من حقه فإن اشتهروا عليه عوقب على استخراجه، وفسدت النيات وتغيرت القلوب ونفرت الطباع، وكثر الحسد والحقد في الناس لبعضهم البعض، فيتتبع الشخص عورات أخيه ويدلى به إلى الظالم حتى خرب الإقليم وانقطعت الطرق وعربدت أولاد الحرام، وفقد الأمن ومنعت السبل إلا بالخفارة وركوب الغرر، وجلت الفلاحون من بلادهم إلى الشراقي والظلم وانتشروا في المدينة بنساهم وأولادهم يصيحون من الجوع ويأكلون ما يتساقط في الطرقات من قشور البطيخ وغيره، فلا يجد الزبال شيأ يكنسه من ذلك، واشتد بهم الحال حتى أكلوا الميتات من الخيل والحمير والجمال، فإذا خرج حمار ميت تزاحموا عليه وقطعوه وأخذوه ومنهم من يأكله نيا من شدة الجوع، ومات الكثير من الفقرا بالجوع، هذا والغلا مستمر والأسعار في الشدة وعز الدرهم والدينار من أيدى الناس وقل التعامل إلا فيما يوكل، وصار سمر الناس وحديثهم في المجالس ذكر المآكل والقمح والسمن ونحو ذلك لا غير، ولولا لطف الله تعالى ومجى الغلال من نواحي الشام والروم لهلكت أهل مصر من الجوع، وبلغ الأردب من القمح ألف وثلاثماية نصف فضة والفول والشعير قريباً من ذلك، وأما بقية الحبوب والأبزار فقل أن توجد واستمر ساحل الغلة خالياً من الغلال بطول السنة والشون كذلك مقفولة، وأرزاق الناس وعلايقهم مقطوعة، وضاع الناس بين صلحهم وعتبهم وخروج طايفة ورجوع الأخرى، ومن خرج إلى جهة قبض أموالها وغلالها، وإذا سئل المستقر في شي تعلل بما ذكر. ومحصل هذه الأفاعيل بحسب الظن الغالب أنها حيل على سلب الأموال والبلاد وفخاخ ينصبونها ليتصيدوا بها إسماعيل بك».

وبعد حوالى عشر سنوات من تلك المجاعة، تحدث مجاعة أخرى سرعان ما يهجر الفلاحون بسببها قراهم:

«(وفيه) [المحرم ١٢٠٧] أيضاً هبط النيل قبل [عيد] الصليب بعشرة أيام، وكان

ناقصًا عن ميعاد الرى نحو ذراعين فارتجت الأحوال، وانقطعت الآمال وكان الناس ينتظرون الفرح بزيادة النيل، فلما نقص انقطع أملهم واشتد كربهم وارتفعت الغلال فى السواحل والعرصات، وغلت أسعارها عما كانت وبلغ الأردب ثمانية عشر ريالا، وآل الأمر إلى أن صار الناس يفتشون على الغلة فلا يجدونها، ولم يبق للناس شغل ولا حكاية ولا سمر بالليل والنهار فى مجالس الأعيان وغيرهم إلا مذاكرة القمح والفول والأكل ونحو ذلك، وشحت النفوس واحتجب المساتير، وكثر الصياح والعويل ليلا ونهارًا، فلا تكاد تقع الأرجل إلا على خلايق مطروحين بالأزقة، وإذا وقع حمار أو فرس تزاحموا عليه وأكلوه نيًا ولو منتنًا، حتى صاروا يأكلون الأطفال، ولما انكشف الما وزرع الناس البرسيم ونبت أكلته الدودة، وكذلك الغلة فقلب أصحاب المقدرة الأرض وحرثوها وساقوها بالما من السواقى والنطالات والشواديف، واشتروا لها التقاوى بأقصى القيم وزرعوها فأكله الدود أيضًا، ولم ينزل من السما قطرة ولا أندية ولا صقيع، بل كان فى أوايل كيهك شرودات وأهوية حارة ثقيلة، ولم يبق بالأرياف إلا القليل من الفلاحين وعمهم الموت والجلدة.

وقد كثرت فى الجبرتى الإشارات المماثلة إلى تعرض البلاد فى العقد الأخير من القرن الثامن عشر لهجرات جماعية ولمجاعات تتلوها انتشار الأوبئة أو الطواعين.

وبذلك، دخلت الزراعة المصرية فى حلقة مفرغة متجددة الدوران، أقطابها المحركة الإهمال الجسيم لعناصر الإنتاج والاستنزاف البالغ لها وكلاهما متأصل فى علاقات الإنتاج وممارسات البيروقراطية العسكرية الحاكمة، ومحصلتها الكمية انكماش المحصول الزراعى بنسبة تساوى حاصل ضرب تدهور إنتاجية عنصرى الإنتاج الرئيسيين (الأرض والفلاح) من ناحية وتناقص كمياتهما من ناحية أخرى. نذكر هنا مما سبق وذكرناه من استخدام الجهاز الحاكم للتمايز فى التسعير كأداة لإعادة توزيع الدخل، إذ يصبح فى مقدور الطبقة الحاكمة الاستفادة من انكماش المحصول الزراعى برفع أسعار البيع لتعيد توزيع الدخل لصالحها بفاعلية أكبر، مستخدمة هذه الأداة التى تزيد فى نفس الوقت من معاناة الفلاحين مع أنهم الأكثر حاجة إلى رفع الأسعار عندما تتدهور كميات المحصول.

ويبدو أن تدهور الفايض والثروة الزراعية فى أواخر القرن الثامن عشر وانحدار الأحوال المعيشية للفلاحين وقتها إلى درجة تقترب من الاستنزاف الكامل كانت بعض أسباب ما نلحظه من ازدياد ذكر تعرض أهل

المدن من التجار وغيرهم لحوادث الضرايب الجزافية والمصادرات فى تلك الفترة.. وقد أدت تلك الممارسات إلى انخفاض أكثر حدة فى الأحوال المعيشية للشعب المصرى فى مجموعه، انعكست سياسيًا فى ردود فعل أشد فى المراكز (وعلى الأخص فى القاهرة) حيث كان السكان أفضل تنظيما وحيث وجدت مراكز ثقل سياسى أقوى نفوذًا عما كان الوضع عليه فى الريف.

أثرت سياسات الجهاز الحاكم على كفاءة القاعدة الإنتاجية للبلاد، إذن، فى أكثر من اتجاه واحد. فقد أسفر استمرار الحكومة فى حرث الأموال من المصادر المختلفة للثروة مع عدم القيام بإنفاق استثمارى يعتد به عن تقلص مضطرد فى القاعدة المادية لموارد إنتاج البلاد، وضاعف من سوء الآفاق الاقتصادية تعرض القوى العاملة للضرايب الضمنية على رأس المال البشرى والممثلة فى سلب المزيد من العوايد المستحقة لها مما ترتب عليه مزيد من التدهور فى مستويات المعيشة وبالتالى فى كفاءة القوى البشرية وتدريبها. وكانت نتيجة تقلص القاعدة الإنتاجية للبلاد من جراء تلك السياسات أن فرص العمل والكسب المشروع من خلال الزراعة والتجارة والملاحة كلها تقلصت وضاقت سبل الرزق فضلاً عما لحق بثروة البلاد من اضرار ذات تأثير حاد ممتد وتأثير زمنى مضطرد.

**ثانيا: الانعكاسات الطبقية**

**١. تبعية الطبقة المتوسطة للطبقة الحاكمة:**

رأينا من قبل كيف تركزت السيطرة الفعلية على أدوات الإنتاج فى يد الطبقة الحاكمة من خلال الأداة الإدارية المركزية (البيروقراطية) ووسائل القهر والقمع (القوات العسكرية)، وكيف تم توظيف هاتين الأداتين للسيطرة على الأرض وعلى الهياكل التقليدية للطوائف والأنشطة الحضرية.

وبينما لم يخل المجتمع من مجموعات من الأثرياء الذين كونوا فى مجموعهم طبقة وسطى مميزة عن الطبقة الحاكمة من ناحية والفقراء من الأهالى وعموم الشعب من ناحية أخرى، فإن تركيب تلك الطبقة افتقر إلى وجود أساس مادى مستقل لها يستنهض فيها إقدام البورجوازية الفتية وأخذها بأسباب المبادرة، إذ افتقدت أى سيطرة على ملكية وسايل الإنتاج فأصبح السبيل الوحيد لها للاحتفاظ بتميزها النسبى هو ربط نفسها بعجلة الطبقة الحاكمة المسيطرة وتحقيق مصالحها من خلالها، وصار عليها بدلا من تكوين وترسيخ دورها الطبقى من خلال

أداء دور إنتاجي متميز أن تكرس نفسها من خلال أداء أدوار مختلفة مرتبطة بالنظام القايم وملبية له. لقد قام هيكل الطبقة المتوسطة المصرية وقتها دون أن يحمل في طياته إمكانية إفراز طبقة من الخلاقين من أصحاب المبادرة (Entrepreneurs) الذين تتوفر لديهم الأسس المادية والاستعداد الشخصي لإقامة كيانات تتطور إلى مؤسسات ذات استقلالية وتحرك جدلية التطور نحو إفراز نظام اجتماعي بديل أكثر تقدمًا، فنشأت تلك الطبقة في أحضان وجيب الطبقة الحاكمة، واصطبغت بالعقم والتبعية والمحافظة، وتمخضت فيما بعد عن إخفاق وطني عظيم.

فكبار التجار ذوو النفوذ الواسع كونوا ثرواتهم من قيامهم بتوريد السلع للأمراء والحكام وبأعمال الشحن من القاهرة وإليها. وكان لابد من الاحتفاظ بعلاقات طيبة بالطبقة الحاكمة تعظيمًا لحجم أعمالهم، حفاظًا على مصالحهم. وبالإضافة إلى المصالح المرتبطة مباشرة بفرص التجارة والكسب، فقد تدعمت مصالح كبار التجار مع الطبقة الحاكمة من ناحيتين أخريين، الأولى منهما نيلهم التزامات مقاطعات عديدة وما جره عليهم ذلك من منافع تتعدى نطاق تجارتهم، وثانيهما (وربما الأهم) تدعيمهم لموقفهم التنافسي ـ أو بالأحرى الاحتكاري ـ من خلال قيامهم بدور جامعي الضرائب من طوايفهم المختلفة. وقد أشرنا من قبل إلى استغلال كبار التجار لهذا الدور في زحزحة العبء الضريبي من على كاهلهم والقائه على الشرايح الأصغر فيهم مما أتاح لهم ظروفًا مواتية لتصفية المشروعات الناشئة ذات فرص التوسع والانفراد وحدهم باحتكارات كبيرة.

وهكذا، لم تتوفر في ظل المناخ السياسي القايم الإمكانية الكافية للمشروعات صغيرة الحجم بعيدة الصلة عن الطبقة الحاكمة للبحث عن سبل مغرية أو مواتية للربح، إذ تضافرت العوامل المتأصلة في النظام القايم فصفت فرص وحوافز التراكم لدى تلك الشرايح أولاً بأول، وذلك من خلال المصادرات المستمرة التي نشأت من الاضطراب والصراع السياسي وكذلك بسبب ثقل الضريبة الواقعة على تلك الشريحة بالتحديد وما ترتب على ذلك من تكريس احتكارات تابعة محدودة في ظل اختفاء المنافسة الحرة المتجددة.

ولقد زاد من صعوبة بروز برجوازية فتية جديدة انعزال مصر عن العالم الخارجي وبالتالي انقطاع المدد الخارجي من التجديد في النوعيات والوسايل الإنتاجية (السلع

والتكنيك)، مما سد السبيل أمام المخاطرة التى تستثمر ما فتحته منجزات الإبداع الفنى والنظرى من آفاق إنتاجية رحبة جديدة. غير أن ذلك كان ـ فيما يبدو ـ عاملاً مساعداً فحسب، فقد ظل القيد الأساسى على الاستثمار بهدف التراكم نابعاً من كون الثروة المتراكمة تتعرض دايماً للاغتصاب من قبل الحكومة إذا ما أفصح عنها:

«لم يجرؤ الأفراد ممن كونوا الثروات على استخدام ثرواتهم إلا بصورة سرية، حتى لا يثيروا الشهوة الجامحة [للمسيطرين على] القوة، ويعرضوا أنفسهم للاغتصابات التى تقرها الحكومة البربرية تحت اسم «مقدمات» (Avanias)، والتى لا يملك [هؤلاء] حيلة للفكاك منها برغم كل حذرهم وحرصهم على السرية».

كذلك عجز علماء الدين الذين شكلوا واحدة من الشرايح العريضة فى الطبقة المتوسطة عن البروز كقيادة فكرية مستقلة ـ بل، كانوا ركناً من أركان النظام القايم وأدوا دوراً هاماً فى استمراريته، وذلك بسبب الأساس الدينى الذى استمدت منه الدولة العثمانية (ومن ثم أداة الحكم الفعلية فى مصر) شرعيتها. ويبدو أن أمرا المماليك تنافسوا على كسب القبول لدى رجال الدين فأتاحوا لهم أموالا طيبة من الهبات النقدية والمؤن العينية وأوقفوا عليهم بعض إيرادات الخزانة العامة ومنحوهم نظارات الأوقاف وإدارتها وتحالف بعضهم مع بعض العلماء وصرف لهم رواتب ثابتة. وتحققت بذلك المصلحة لرجال الدين فى النظام القايم، فقاموا بالوساطة بين الحكام والأهالى مستفيدين من مكانتهم لدى الطرفين، موفرين للنظام القايم شرعية الاستمرار، ومقدمين للأهالى مبررات لقبوله. وبالرغم من نجاح العلماء أحياناً فى توظيف ذلك الدور لصالح الأهالى بالتخفيف عن غلواء الحكام وتطرفهم، وبرغم من أن بعض الحكام تعرض بالإيذاء لبعض رجال الدين حين بلغ هؤلاء حد المحاسبة والمساءلة، فقد ظل العلماء فى مجموعهم وبصورة عامة يؤدون دوراً توفيقياً محدداً. ويعلق ستانفورد شو على ذلك فى فقرة ترجمناها كما يلى:

«هكذا كان هناك مزيج من استخدام أمراء المماليك لقوة البطش ومن اعتماد العلماء على المماليك، حال بين المشايخ، بصفة عامة، وبين قبولهم واغتنامهم فرصة تمثيل ومساعدة الأهالى قبل الحكام قبولاً واغتناماً تامين».

كانت الطبقة المتوسطة المصرية، إذن، امتداداً للنظام القايم أو ملحقاً له، لا تتميز

بامتلاك أداة إنتاج مستقلة، وتستنبط منه دورها وثرواتها وتحافظ من خلاله عليها. ويرى بعض الكتاب ـ عن حق ـ أن العوامل الرئيسية لركود المجتمع المصرى وقتها نجدها متأصلة فى تلك التركيبة الخاصة للطبقة المتوسطة المصرية فى غياب أى تنظيمات للتجار والحرفيين توفر لها الاستقلالية الاقتصادية والفاعلية.

**٢ـ ميوع حركة التنظيمات الأهلية وردود فعلها بسبب قيامها على الاخاء الدينى دون تجانس طبقى:**

تدل الشهادات المتوفرة على أن قيادة الحركات الجماهيرية جاءت غالباً من مشايخ الطرق الصوفية. إذ نجد فى عجايب الآثار ذكراً لحوادث متفرقة تؤكد إمكانية تحريك قطاعات كبيرة من أهالى البلاد، وتركز خيوط تلك الإمكانية فى يد عدد محدود ومعروف من المشايخ عبأوا الجماهير بفضل مكانتهم كزعماء للتجمعات الصوفية التى ارتبطت برباط الأخوة الدينية فسيطرت على تجمعات حضرية كبيرة متنوعة الأصول والمصالح وضمت كذلك بعض الفلاحين. وقد تضمن تقرير أحمد باشا الجزار إلى الباب العالى (انظر ملاحق الجزء الثالث) تحليلاً لنفوذ من وصفهما بأبرز اثنين من مشايخ الطوايف الدينية (الطرق الصوفية)، وهما الشيخان البكرى والسادات، وأهمية استمالتهما لقدرتهما على تحريك الجماهير والتحكم فيها، وقد قدر الجزار باشا قواهما فى فقرة اقتطفنا وترجمنا منها ما يلى:

«سوف تكون جهودهما مفيدة، لأن كل علماء الأزهر، والأيمة، والخطباء، والحفاظ، وفقراء المدينة والروم أوشاغى، [وحراس الحج] من أبناء أوروبا [من البلقان والأناضول]، والتجار المغاربة، كلهم يتبعونهما ولا يناقضون أوامرهما أبداً: إن لديهما المقدرة، سويًا، على تكوين قوة مسلحة قوية فى يوم واحد مؤلف قوامها من سبعين إلى ثمانين ألف رجل على الأقل، يدينون بالولاء والطاعة لهما. ويمكنهما بهذه الوسيلة أن يساعدا الباشا».

ويقارن ستانفورد شو تأثير مشايخ الصوفية بتأثير غيرهم من رجال الدين فيقرر أن تحرر مشايخ الصوفية من الاعتماد على الأمراء فى المأكل والدخل أو استعدادهم لتجاهل تلك التبعية إن وجدت، إنما يرجع إلى قوة أواصر الأخوة الدينية التى تربط أبناء الطرق الصوفية، وإلى السلطة الروحية المطلقة لزعماء الصوفية، وإلى قوة ارتباط الطرق الصوفية بالطوايف الاقتصادية والاجتماعية فى المدينة فيما يكشف لنا بتداخل التنظيمات الصوفية والطوايف

الحرفية. ونلاحظ أن تلك العوامل صهرت جسماً حضرياً طيعاً متآخياً ضخماً، جمع شرائح عديدة من أهل المدن والريف وتوفرت لديه إمكانية الحركة الجماعية المنتظمة من أجل هدف محدد.

وبالرغم من أن تلك التنظيمات قد وفرت أساساً عريضاً للتعبئة الجماهيرية، فإن آليات الحركة وردود الفعل فيها لم تتأثر باعتبارات المصلحة الاقتصادية ولكن بالمؤثرات المتعلقة بالاعتبارات الدينية وبالتقاليد المرعية. وليس بالمستبعد أن تتصف «التقاليد» أحياناً بمرونة تكاد تسمح باستيعاب أى سياسة قائمة وبالتعايش معها بالتدريج بغض النظر عن مضمونها الاقتصادى أو الاجتماعى.

هكذا، كانت التنظيمات الأهلية المؤثرة القائمة لا تمثل طبقة ذات مصالح مادية متبلورة محددة، فلم تخضع تحركاتها لأسباب أو قواعد ثابتة وماعت آليات الحركة لديها اشتعالا وخموداً.

وهكذا، كانت ردود فعل الأهالى ضد السياسات المختلفة تستوعب وتؤجل ما دام العلماء قادرين على القيام بالوساطة، وحتى لا تصل الأمور إلى درجة تهدد حتى حد الكفاف أو إلى صورة تتناقض تناقضاً صارخاً مع العرف والتقاليد المرعية. ولعل فى رواية الجبرتى لحركة عام ١٧٩٥/١٢٠٩ [انظر الجزء الثانى] ما يؤكد حقايق ثلاثاً: اشتعال الحركة عندما صدم الناس بما اعتبروه أول الأمر لا قدرة لهم به، ثم تطلعهم إلى قيادة مستمدة من أحد زعماء الطرق الصوفية (الشيخ السادات)، ثم استيعابهم آخر الأمر ما رفضوا فى أوله:

«(وفى شهر الحجة) وقع به من الحوادث أن الشيخ الشرقاوى له حصة فى قرية بشرقية بلبيس حضر إليه أهلها وشكوا من محمد بك الألفى، وذكروا أن اتباعه حضروا إليهم وظلموهم وطلبوا منهم ما لا قدرة لهم عليه واستغاثوا بالشيخ فاغتاظ وحضر إلى الأزهر وجمع المشايخ وقفلوا أبواب الجامع وذلك بعدما خاطب مراد بك وإبراهيم بك فلم يبديا شيّا، ففعل ذلك فى ثانى يوم وقفلوا الجامع وأمروا الناس بغلق الأسواق والحوانيت، ثم ركبوا فى ثانى يوم واجتمع عليهم خلق كثير من العامة وتبعوهم وذهبوا إلى بيت الشيخ السادات، وازدحم الناس على بيت الشيخ من جهة الباب والبركة بحيث يراهم إبراهيم بك وقد بلغه اجتماعهم، فبعث من قبله أيوب بك الدفتردار فحضر إليهم وسلم عليهم ووقف بين يديهم وسألهم عن مرادهم فقالوا له نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع وإبطال الحوادث والمكوسات التى ابتدعتموها

وأحدثتموها، فقال لا يمكن الإجابة إلى هذا كله فإننا إن فعلنا ذلك ضاقت علينا المعايش والنفقات، فقيل له هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس، وما الباعث على الاكثار من النفقات وشراء المماليك، والأمير يكون أميرا بالإعطاء لا بالأخذ، فقال حتى أبلغ وانصرف، ولم يعد لهم بجواب، وانفض المجلس وركب المشايخ إلى الجامع الأزهر واجتمع أهل الأطراف من العامة والرعية وباتوا بالمسجد، وأرسل إبراهيم بك إلى المشايخ يعضدهم ويقول لهم أنا معكم وهذه الأمور على غير خاطرى ومرادى، وأرسل إلى مراد بك يخيفه عاقبة ذلك. فبعث مراد بك يقول أجيبكم إلى جميع ما ذكرتموه إلا شيئين: ديوان بولاق وطلبكم المنكسر من الجامكية، ونبطل ما عدا ذلك من الحوادث والظلم، وندفع لكم جامكية سنة تاريخه اثلاثا، ثم طلب أربعة من المشايخ عينهم بأسمايهم فذهبوا إليه بالجيزة فلاطفهم والتمس منهم السعي فى الصلح على ما ذكر، ورجعوا من عنده وباتوا على ذلك تلك الليلة، وفى اليوم الثالث حضر الباشا إلى منزل إبراهيم بك واجتمع الأمرا هناك وأرسلوا إلى المشايخ فحضر الشيخ السادات والسيد [عمر مكرم] النقيب والشيخ الشرقاوى والشيخ البكرى والشيخ الأمير، وكان المرسل إليهم رضوان كتخدا إبراهيم بك فذهبوا معه ومنعوا العامة من السعى خلفهم، ودار الكلام بينهم وطال الحديث وانحط الأمر على أنهم تابوا ورجعوا والتزموا بما شرطه العلما عليهم، وانعقد الصلح على أن يدفعوا سبعماية وخمسين كيسًا موزعة، وعلى أن يرسلوا غلال الحرمين ويصرفوا غلال الشون وأموال الرزق، ويبطلوا رفع المظالم المحدثة والكشوفيات والتفاريد والمكوس ما عدا ديوان بولاق وأن يكفوا أتباعهم عن امتداد أيديهم إلى أموال الناس، ويرسلوا صرة الحرمين والعوايد/ المقررة من قديم الزمان، ويسيروا فى الناس سيرة حسنة، وكان القاضى حاضرًا بالمجلس فكتب حجة عليهم بذلك وفرمن [اصدر فرمان] عليها الباشا وختم عليها إبراهيم بك وأرسلها إلى مراد بك فختم عليها أيضًا، وانجلت الفتنة، ورجع المشايخ وحول كل واحد منهم وأمامه وخلفه جملة عظيمة من العامة، وهم ينادون حسب ما رسم ساداتنا العلماء بأن جميع المظالم والحوادث والمكوس بطالة من مملكة الديار المصرية، وفرح الناس وظنوا صحته وفتحت الأسواق وسكن الحال على ذلك نحو شهر، ثم عاد

كل ما كان مما ذكر وزيادة، ونزل عقيب ذلك مراد بك إلى دمياط وضرب عليها الضرايب العظيمة وغير ذلك».

## ثالثا: الخلا صة

كان للعلاقات الطبقية ولممارسات الحكم التى سادت المجتمع المصرى فى أواخر القرن الثامن عشر آثار بعيدة المدى، امتدت إلى أبعد من الواقع القايم وقتها لتنال من آفاق التطور المستقبلية.

فلقد ولدت تلك العلاقات والممارسات حلقة مفرغة أدت آلياتها المتواصلة إلى استنزاف مصادر الثروة بالبلاد من عوامل مادية وقوى بشرية، فتقلص الفايض المصرى وانعدم التراكم أو كاد وانكمشت القاعدة الإنتاجية للبلاد واجهدت قواها العاملة.

كما أدت أنماط السيطرة على أدوات الإنتاج والسلوك الاقتصادى والإدارى للطبقة الحاكمة إلى تجريد المجتمع المصرى من القدرة على إفراز قوى إنتاجية تناضل ضد النظام القايم لتغيير العلاقات الطبقية القايمة، فلقد أدى وقوع الشرايح الرئيسية فى الطبقة المتوسطة المصرية فى علاقة تبعية للطبقة الحاكمة أن أصبحت تلك الشرايح تتصف بالعجز والعقم والمحافظة، كما أجهض قوى التقدم فى مصر قيام التنظيمات الأهلية بها على أسس غير طبقية وبلوغ طبقاتها العامة حالة من الفقر والاستنزاف فى غياب قيادة منظمة ومحركة من الطبقة المتوسطة.

تلكم كانت ـ فى رأينا ـ أخطر نتايج نظم الحكم والسيطرة على مصادر الثروة وعلى توزيعها، وأبعد التداعيات أثرًا على النظام الطبقى المتأصل فى مصر وقتها. ولعل فى الأسطر التالية المقتطفة من مؤلف الأستاذ فوزى جرجس عن تاريخ مصر السياسى منذ العصر المملوكى تلخيصا بليغا لانعكاس تلك التداعيات على التقدم التقنى والنضج الاجتماعى للمجتمع المصرى وقتها، إذ أن فى أحداث التاريخ أبلغ تلخيص لكل ما يعتمل بالمجتمعات البشرية المعاصرة لبعضها البعض من أمور تحدد الوضع النسبى لكل منها ومحصلة مراعاتها ومصائر كل منها عند المواجهة والاصطدام. تأمل فى الأسطر التالية التى يرسم فيها فوزى جرجس مشهد المواجهة بين المماليك والفرنسيس:

«لم يكن هؤلاء المماليك، بل ورؤساؤهم الكبار بأقل عزلة عن الشعب نفسه، وليس أدل على هذا من أنه عندما حضر الأسطول البريطانى إلى ميناء الاسكندرية بحثًا عن الأسطول الفرنسى، سافر حاكم المدينة على

عجل إلى القاهرة، وأخبر مراد بك بما دار بينه وبين الرسول البريطانى، فنهره مراد بك وقال له دعهم ينزلون إلى البر، فسوف نفنيهم تحت سنابك خيولنا. ثم أمره بالعودة فوراً. وسد بوغاز رشيد بسلسلة غليظة، حتى لا تستطيع المراكب النصرانية اجتياز باب البوغاز. إن مراد بك لم يكن يدرى أن هناك ثورة حدثت فى فرنسا، وأن هناك صناعة حديثة متطورة أنتجت آلات حرب حديثة ومتطورة، وأن الجيش الفرنسى مشكل على أحدث الطرق العسكرية ويقوده قائد فذ له انتصارات عسكرية مذهلة.. لم يكن مراد بك يدرى شيئاً عن هذا، فقد كان يظن أن المسألة لا تتعدى فرسانًا يقاتلون فرسانًا. ولما كان المماليك خير من ركب جواداً ولعب بسيف، وتاريخهم عريق فى مثل هذه الحروب.. أليسوا هم الذين أوقفوا الزحف التترى تحت قيادة الظاهر بيبرس البندقدارى.. لذلك فليس هنا شك أن هزيمة الفرنسيين لن تستغرق منهم وقتاً طويلا أو مجهوداً عظيمًا.. إن مراد بك لم يكن يدرك أن الاقطاع المتجمد يواجه الرأسماليةالصاعدة...*»

* انظر: الاقتصاد السياسى للقهر. عبد العزيز عز العرب دار المستقبل العربى. القاهرة ١٩٩٠ من ص٤٠ إلى ص ١٤١.

## موقف فرنسا من الصراع العثمانى الأوربى

قويت الاتصالات الفرنسية العثمانية منذ القرن السادس عشر واتسمت العلاقة بين الدولتين بالود والصداقة، ويرجع السبب فى ذلك أن أسرة الفالوا Valois (١) أرادات الاستعانة بالسلطنة العثمانية فى صراعها ضد دول أوروبا للسيطرة على إيطاليا(٢). وقد تزايدت هذه الاتصالات فى عهد فرانسوا الأول ثم ابنه هنرى الثانى وقدم السلطان سليمان القانونى بالفعل المساعدات القيمة للفرنسيين. وكان رد الفعل الأوروبى ازاء هذه الاتصالات عنيفا فاعتبرها البابا «وصمة عار فى جبين فرنسا» وندد «بموقفها المزرى» على حد قوله لاتصالها بالمسلمين ويمكن تفسير ذلك بأن الدولة العثمانية نجحت فى ذلك الوقت فى تدعيم سيطرتها على البلقان بينما ما زالت أوروبا المسيحية متوثبة ومتحفزة ضد هذا المد الإسلامى الجارف الذى وصل إلى عقر دارها وكان البابا فى روما ما زال يسعى لتكوين الأحلاف الصليبية للتصدى لقوة الأتراك المسلمين، ولذلك كان اتصال أسرة فالوا بالسلطنة العثمانية أمرا غريبا على المجتمع الأوروبى فى ذلك الوقت ومن الصعب قبوله. ويمكننا القول بأن فرنسا أفادت بالفعل من هذه الاتصالات فقد قدمت لها السلطنة العثمانية

المساعدات القيمة أبان فترة الحروب الإيطالية، كذلك أثمرت هذه الاتصالات باستئثار الفرنسيين بالامتيازات التى منحت لهم عام ١٥٣٦م[٣].

شهدت السنوات الأولى من القرن السابع عشر بداية طيبة للعلاقات الفرنسية العثمانية خاصة فى عهد السلطان أحمد خان الذى قبل فى عام ١٦٠٤م تجديد الامتيازات الفرنسية، بينما نشط سفراء فرنسا فى الآستانة طوال القرن السابع عشر للعمل على تقوية النفوذ الفرنسى فيها. وإذا كانت فرنسا قد انشغلت فيما بعد بحرب الثلاثين عاما[٤] فى أوروبا، فقد انشغلت الدولة العثمانية بدورها باضطراب أوضاعها الداخلية ولكن بتولى الوزير كولبير Colbert مهام منصبه عمل على تقوية وتجديد الصلاة الفرنسية العثمانية والقضاء على كل ما يعكر صفو العلاقات بين البلدين. ونجح السفير الفرنسى جراردين Girardin عام ١٦٧٣م فى تجديد الامتيازات التى منحت للفرنسيين من قبل[٥].

وجدير بالذكر أن تجديد الامتيازات الفرنسية فى عام ١٦٧٣م لم يكن معناه استمرار العلاقات الودية بين الطرفين فقد تخللتها فترات من التوتر خاصة فى عهد الصدر الأعظم قره مصطفى الذى كان يتبع أسلوبا معاديا للأجانب وجاء ضرب الأسطول الفرنسى لجزيرة خيوة ١٦٨١[٦] ليزيد من استياء الباب العالى ضد الفرنسيين، ولذلك حرص السفير الفرنسى فى الآستانة على ارضاء الصدر الأعظم بالهدايا ليخفف من حدة غضب السلطان عليهم ولكن سرعان ما تحسنت العلاقة بين الدولتين فى عام ١٦٨٣م بفضل جهود الدبلوماسيين الفرنسيين فقوى النفوذ الفرنسى فى الآستانة حتى نهاية حكم لويس الرابع عشر وتوج الفرنسيون ثمرة جهدهم ونجحوا فى الحصول على عدة فرمانات عثمانية تخدم مصالحهم التجارية[٧] فنمت تجارتهم نموا ملحوظا منذ عام ١٦٨٥م[٨].

وقد ناقشت الدكتورة ليلى الصباغ الامتيازات التى منحتها الدولة العثمانية للفرنسيين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر فذكرت أن مانتران Mentran رأى بأنها كانت منحة وكرما من الدولة القوية إلى فرنسا وقد أكد هذه الحقيقة المسئولون الأتراك[٩] بينما فسر البعض هذه الامتيازات بانها كانت بسبب تحول طريق التجارة نحو رأس الرجاء الصالح، واهتمام أوروبا بأمريكا القارة المكتشفة بدلا من الشرق مما دفع الدولة العثمانية لأن تكون أكثر مرونة فى علاقاتها التجارية، وأضاف فريق ثالث أن ضعف سلاطين الدولة بعد سليمان القانونى

كان من أهم الأسباب التى أدت إلى منح الأجانب الامتيازات ويمكن القول أن الأسباب السابقة دفعت السلطنة العثمانية لمنح الدولة الأوروبية الامتيازات خاصة فرنسا(١٠).

ويمكن القول انه حتى القرن السابع عشر حرص الطرفان على تحسين علاقاتهما. فالسلطنة العثمانية خشيت من انضمام فرنسا إلى الأحلاف المسيحية المعادية لها، كذلك أدرك ملوك أسرة البوربون Bourbon خاصة لويس الرابع عشر أهمية التحالف العثمانى ضد القوى السياسية فى أوروبا(١١).

وإذا كان القرن السابع عشر قد شهد تقاربا فرنسيا عثمانيا إلا انه شهد أيضا تعاظم خطرين على السلطنة العثمانية إلا وهما الخطر الروسى والنمساوى، فقد برزت قوة روسيا الجديدة بعد تولى بطرس الأكبر (١٦٨٢ ـ ١٧٢٥) الذى قام بالعديد من الإصلاحات ونجح فى أن يجعل روسيا تحتل مركزا سياسيا بين الدول الأوروبية، كما عمل على اتباع سياسة توسعية خارج بلاده فركز عملياته الحربية ضد كل من السويد، بولندا والسلطنة العثمانية وفى صراعه مع الأخيرة نجح فى الاستيلاء على حصن آزوف(١٢) عام ١٦٩٦ وانتزعه من أيدى القوات العثمانية(١٣).

ولم يقتصر الخطر المحدق بالسلطنة على العداء الروسى فحسب وإنما كان على الدولة مواجهة عدو آخر هى النمسا فكان على السلطان مصطفى خان الثانى أن يحارب فى جبهتين الأولى ضد روسيا والثانية ضد النمسا التى حشدت قواتها بقيادة القائد النمساوى أوجين دى سافوا ولكن الصدر الأعظم كوبريللى حسين أوقف القوات المتقدمة وأجبرها على التقهقر(١٥).

وبعد محادثات طويلة وقعت الدولة العثمانية معاهدة كارلوفيتز Carlowitz(١٦) عام ١٦٩٩م مع كل من روسيا ـ بولونيا ـ النمسا ـ البندقية. وتسجل هذه المعاهدة بداية انسحاب السلطنة العثمانية من الممتلكات التابعة لها واعترافها بذلك الانسحاب فى وثيقة رسمية(١٧) وهكذا بانتهاء القرن السابع عشر كانت السلطنة العثمانية قد بدأت تدخل مرحلة الضعف بصورة واضحة(١٨).

ومع مطلع القرن الثامن عشر كان على السلطنة العثمانية مراقبة نشاط روسيا والنمسا الطامعين فى أملاكها، فأولى السلطان أحمد خان الثالث(١٩) البحرية والأسطول اهتماما كبيرا فأكثر من المدارس البحرية وأصلح دار الصناعة فى استانبول خاصة وأن نشوب الحرب بين السويد وروسيا تم فى عهده ونجح ملك السويد شارل الثانى

عشر فى دخول الأراضى الروسية. فوجدت السلطنة العثمانية أن الفرصة سانحة لها لتوجيه ضربة إلى قوة روسيا العسكرية فعملت على تشجيع ملك السويد، ولكن بطرس الأكبر نجح فى إلحاق الهزيمة به فى بلطاوة واضطر شارل الثانى عشر إلى اللجوء إلى السلطنة العثمانية عام ١٧٠٩م فتعقبته القوات الروسية ودخلت أراضى السلطنة العثمانية التى أعلنت بدورها الحرب على روسيا وتزعم بلطه جى محمد باشا حصار القوات الروسية بجانب نهر بروت حتى كاد بطرس الأكبر أن يقع فى الأسر(٢٠). ولكن سرعان ما وقعت معاهدة بين الطرفين هى معاهدة فلكزن عام ١٧١١م وبمقتضاها أخلى بطرس الأكبر آزوف Azov وتعهد بعدم التدخل فى شئون المنطقة(٢١). ثم جدد يوسف باشا الصدر الأعظم المعاهدة بين البلدين وعقد معاهدة جديدة تضمنت وقف الحرب بين البلدين لمدة ٢٥ عاما.

ولكن كان من الصعب على بطرس الأكبر أن يتخلى عن طموحه وسياسته التوسعية فنشبت الحرب من جديد بين الطرفين وانتهت بتوقيع معاهدة ادرنة عام ١٧١٣م وفيها تنازلت روسيا عن كافة أراضيها حول البحر الأسود(٢٢).

وكما تجددت الحرب بين السلطنة العثمانية وروسيا فقد تجددت مع النمسا أيضا بسبب رغبة السلطان فى الاستيلاء على كورفو فتقدمت القوات العثمانية إلى كارلوفيتز ولكن القوات النمساوية ألحقت بها الهزيمة واستولت على بلجراد عام ١٧١٧م واضطرت السلطنة لعقد معاهدة بساروفيتز Passarowitz عام ١٧١٨م (٢٣) حيث تنازلت فيها للنمسا عن أجزاء كبيرة من أراضيها(٢٤).

وقد سادت فترة من الهدوء بين السلطنة العثمانية والدول الأوروبية بعد توقيع معاهدة بساروفيتز، ولكن سرعان ما واجهت السلطنة العثمانية خطرا جديدا تمثل فى الحرب التى دارت بينها وبين فارس فى عهد السلطان محمود خان الأول(٢٥)، وطلب الشاه طهماسب توقيع معاهدة الصلح عام ١٧٣٢م ولكن القائد نادر شاه عارض المعاهدة وعزل الشاه وولى ابنه عباس الثالث بدلا منه وأقام نفسه وصيا عليه ثم قام بعدها بمحاصرة بغداد والموصل وحاول الوزير طوبال التصدى له ولكنه قتل، وبعدها دارت محادثات بين الطرفين وتم الاتفاق فى عام ١٧٣٦م فى مدينة تفليس على أن ترد السلطنة العثمانية كل ما أخذته من فارس وأن تكون حدود البلدين وفقا لمعاهدة ١٦٣٩م المبرمة مع مراد الرابع(٢٦).

ونلاحظ من خلال ذلك أن السلطنة العثمانية قد وزعت جهودها العسكرية ضد

القوات الأوروبية المتحالفة ضدها متمثلة فى روسيا والنمسا وكذلك اضطرت إلى مواجهة الفرس الذين كانوا يتحينون الفرصة لتوجيه الضربات إليها باعتبارها أكبر قوة إسلامية سنية موجودة فى ذلك الوقت.

هذا ولم يستمر الهدوء الذى ساد بين السلطنة العثمانية وروسيا طويلا فسرعان ما نشبت الحرب بينهما من جديد بسبب مملكة بولونيا فقد تم الاتفاق سرا بين روسيا والنمسا وبروسيا عام ١٧٢٢م على عدم تعيين ملك وطنى فى بولونيا خوفا من اتحاد الأهالى ولكى يستمر اضعافها فيتم اقتسامها بعد ذلك، فلما توفى أوجست الثانى ملك بولندا انتخب الأهالى فى عام ١٧٣٣م ستانسلاس لكزينسكى ملكا عليهم بمساعدة فرنسا التى أرادت الابقاء على بولندا وعدم تقسيمها فأعلنت روسيا والنمسا الحرب على بولندا ونادت بأوجست الثانى ملكا على البلاد فسارعت فرنسا بإعلان الحرب على النمسا دفاعا عن بولندا وسعت فرنسا لدى الباب العالى بواسطة المسيو دى بونفال Bonneval قائد الطوبجية لاستمالته للدفاع عن بولندا والانضمام إلى فرنسا لأن بولندا مثلت حاجزا بين روسيا وأوروبا، فوضحت له نوايا روسيا تجاه السلطنة العثمانية ورغبتها فى احتلال الآستانة، ولما شعرت النمسا بمساعى فرنسا أسرعت بدورها فى أرضائها فوقعت معها معاهدة «ويانة» فى عام ١٧٣٥م وأخذت النمسا تستعد مع روسيا لمواجهة السلطنة العثمانية فأغارت روسيا على القرم عام ١٧٣٦م كما احتلت كذلك ميناء آزوف وغيره من الثغور البحرية وحاول الصدر الأعظم مهاجمة القوات الروسية ولكنه اضطر لتوجيه جهوده صوب النمسا التى أغارت بدورها على البوسنة والصرب ونجحت القوات العثمانية فى النهاية فى إجبار النمسا على التراجع وطلب الصلح عام ١٧٣٧م فقد سارعت النمسا بطلب وساطة المسيو فيلينوف Villeneuve السفير الفرنسى فى الآستانة لكى يقنع السلطنة العثمانية بقبول عقد الصلح الذى تم فى عام ١٧٣٩م ووقعت كذلك معاهدة بلجراد التى تنازلت فيها النمسا عما استولت عليه من الصرب بمقتضى معاهدة بساروفيتس(٢٧)، بينما تعهدت روسيا بهدم قلاع آزوف وعدم تجديدها فى المستقبل وعدم إنشاء سفن سواء كانت حربية أم تجارية بالبحر الأسود أو بحر آزوف وكذلك أن تكون تجارتها على سفن أجنبية وأن ترد للسلطنة العثمانية كل ما ضمته من الأقاليم والبلدان السابق استيلاؤها عليها، وبذلك نلاحظ أن السلطنة العثمانية نجحت فى معاهدة بلجراد فى استرداد جزء كبير مما فقدته من قبل فى معاهدة كارلوفيتز(٢٨).

يتضح لنا مما سبق الدور الهام الذى لعبه السفراء الفرنسيون فى توجيه سياسة السلطنة العثمانية وفق مصالح بلادهم السياسية فقد طالبوها بمساندة بولندا ثم عقدوا صلحا منفردا مع النمسا، كذلك لعبوا دورا فى الوساطة بين السلطنة العثمانية وأعدائها وذلك وفق ما تقتضيه مصالحهم لا مصالح السلطنة العثمانية.

ولما كانت فرنسا نفسها تخشى من نمو وتصاعد الخطر الروسى فقد نشط سفيرها فى الآستانة المسيو فيلينوف لاقناع السلطنة العثمانية بمدى خطورة روسيا وتعاظم قوتها ونجح فى اقناع السلطنة العثمانية بالتحالف مع السويد ضد روسيا وعقد الباب العالى بالفعل محالفة مع السويد فى عام ١٧٤٠م، وفى العام نفسه نجح السفير الفرنسى فى الحصول على حق تجديد الامتيازات الممنوحة للتجار الفرنسيين وأرسل السلطان العثمانى محمد سعيد مبعوثا إلى الملك لويس الخامس عشر ليقدم له صورة المعاهدة بين الدولتين وهى مطابقة لمعاهدة عام ١٦٧٣م ولكن مع بعض التسهيلات الجديدة وحرص السلطان على ارسال الهدايا الثمينة مع البعثة العثمانية فأحسن الملك مقابلة البعثة وأرسل معها عند عودتها مركبتين حربيتين ومدفعية فرنسية ومعلمين فرنسيين لتدريب الجيش العثمانى على النظام العسكرى الجديد الذى أدخله لوفوا Louvois الفرنسى الشهير فى القوات الفرنسية آنذاك(٢٩).

لقد ازداد هذا التقارب الفرنسى من الباب العالى عندما نشبت حرب الوراثة النمساوية(٣٠) فى أوروبا، وحاولت فرنسا تحريض الباب العالى على محاربة النمسا فعرضت عليه احتلال المجر واسترجاع الأملاك العثمانية لكى تعود السلطنة العثمانية إلى ما كانت عليه من اتساع فى عهد سليمان القانونى، ولكن السلطان محمود لم يقبل تغيير مسلكه السلمى بل انه استمر متمسكا بمعاهدة الصلح مع النمسا مظهر حرصه على السلام.

حرصت فرنسا حتى منتصف القرن الثامن عشر على التقرب من السلطنة العثمانية لعدة أسباب منها رغبتها فى تجديد امتيازاتها التجارية والحصول على المزيد منها، وكذلك للإفادة من السلطنة ودفعها لمحاربة منافسيها خاصة روسيا والنمسا للحيلولة دون توسعهما، كذلك نلاحظ أن السلطنة العثمانية حتى منتصف القرن الثامن عشر ورغم ما منيت به من هزايم إلا أنها واصلت رد ودفع الخطر الأوروبى وعملت على التصدى له. ولكن اختلف الأمر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر فقد تزايد العداء

بين السلطنة العثمانية وروسيا بصورة خطيرة خاصة بعد تولى كاترين الثانية الحكم والتى عملت على اتباع سياسة بطرس الأكبر التوسعية وسارت على نهجه فى محاربة السلطنة العثمانية فأعلنت الحرب عليها فى عام ١٧٦٨م، كما عملت على تحريض الرعايا المسيحيين التابعين للسلطنة العثمانية على الانفصال عنها.

استمرت الحرب بين الطرفين ست سنوات منيت خلالها السلطنة العثمانية بالعديد من الهزائم الفادحة واضطرت فى النهاية إلى القبول بتوقيع معاهدة كتشك كينارجى Kutchek Kainardji عام ١٧٧٤م وبمقتضى هذه المعاهدة تحول البحر الأسود من بحيرة عثمانية إلى بحيرة روسية وتقرر لروسيا الحق فى إنشاء قواعد عسكرية بحرية وبرية على سواحل البحر الأسود وبذلك أصبحت روسيا إحدى دول البحر الأسود المعترف بها كما تقرر لها الحق فى إنشاء قواعد عسكرية بحرية وبرية على سواحل البحر الأسود كما تقرر لها الحق فى أن تستخدم سفنها التجارية المضايق للخروج من هذا البحر إلى البحار العامة (البحر المتوسط) والدخول منها إليه. وقد ورد فى المعاهدة مسألتان الأولى هى الحقوق الملاحية لروسيا فى البحر الأسود والمضايق والثانية هى الوجود العسكرى البحرى والبرى فى البحر الأسود. وقررت المعاهدة السماح للرعايا الروس بممارسة التجارة فى جميع ولايات السلطنة العثمانية وأن يطبق عليهم نظام الامتيازات مثل رعايا بريطانيا وفرنسا، وقد فاقت معاهدة كينارجى المعاهدات السابقة وشكلت نموذجا للعلاقة بين السلطنة العثمانية وروسيا.

ثم دخلت السلطنة العثمانية فى حرب جديدة ضد روسيا عام ١٧٨٨م شاركت فيها النمسا وانتهت بتوقيع معاهدة ياسى Jassy عام ١٧٨٢م التى حصلت روسيا بمقتضاها على عدد من الموانى عند مصب نهر الدانوب وكان السبب المباشر لهذه الحرب الأخيرة أن كاترين الثانية دأبت بعد معاهدة كينارجى على اشعال الفتنة بين رعايا السلطنة العثمانية الأرثوذكس فى البلقان وبحر إيجة وأمدتهم بالأسلحة والمال فاضطرت السلطنة العثمانية لاعلان الحرب عليها.

وجدير بالذكر أن فرنسا خلال الحرب التركية (١٧٦٨ ـ ١٧٤٤م) خشيت سقوط السلطنة العثمانية فعمل البارون دى توت على تحصين الدردنيل وإصلاح القلاع وامدادها بالمدافع الضخمة بحيث جعل المرور من المضايق أمرا مستحيلا ثم حول

عدة مراكب تجارية إلى سفن حربية وأسس مدرسة لتخريج ضباط البحرية واهتم بتدريبهم على أحدث الأسلحة. فقد خشيت فرنسا انهيار السلطنة وما يترتب على ذلك من تصاعد النفوذ الروسى، كذلك أرادت الحفاظ على تجارة أسكلات (موانى) الشرق ومصالحها التجارية فيها ودأب السفير الفرنسى فرجين على تحريض السلطان العثمانى ضد روسيا.

لقد تعرضت السلطنة العثمانية فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر لتآمر دولتين كبيرتين: روسيا من الشمال والنمسا من الغرب ودخلت السلطنة العثمانية فى عدة حروب أخرى طاحنة مع روسيا التى اتخذت من حماية المسيحيين الأرثوذكس ذريعة لمحاربة السلطنة العثمانية ولم يوقف من عمليات سحق السلطنة العثمانية والقضاء عليها فى نهاية القرن الثامن عشر سوى قيام الثورة الفرنسية وانصراف روسيا والنمسا إلى مشاكل أوروبا.

وبذلك يمكننا القول أن الفترة التى أعقبت معاهدة كتشك كينارجى وحتى نهاية القرن الثامن عشر من أحلك الفترات التى عانت منها السلطنة العثمانية ولا ننسى تشجيع الروس للحركات الانفصالية عن السلطنة فى الولايات العربية خاصة فى الشام ومصر، أى أن دورهم فى تشجيع الولايات على الانفصال عن السلطنة العثمانية لم يقتصر على الولايات والمناطق التى يقطنها أغلبية مسيحية فقط.

## فرنسا وفكرة تقسيم السلطنة العثمانية

دافع الساسة الفرنسيون عن فكرة الإبقاء على السلطنة العثمانية وعارضوا فكرة تقسيمها ومن أبرز أنصار هذه الفكرة السفير الفرنسى فى الآستانة سان بريبه Saint Priest الذى مكث فترة طويلة فى منصبه مما أتاح له فرصة مراقبة الطامعين فى السلطنة من جيرانها خاصة النمسا وروسيا. وقد تمتع سان بريبه بثقة سلاطين السلطنة العثمانية فكلفوه بالوساطة بينهم وبين كاترين الثانية وجوزيف الثانى وقد أرسل دى بريبه العديد من التقارير إلى الحكومة الفرنسية منبها ومحذرا من تزايد الخطر النمساوى وموضحا أطماعها فى الدانوب كذلك نبه لحالة الضعف الشديدة التى وصلت إليها السلطنة العثمانية وأظهر تخوفا كبيرا من أطماع روسيا فى ممتلكاتها.

كذلك ناقش الساسة الفرنسيون والقناصل مسألة سقوط السلطنة العثمانية فقدم مور القنصل الفرنسى فى الاسكندرية تقريرا فى عام ١٧٨٣ ١٧٨٣م تنبأ فيه بسقوط السلطنة العثمانية، ولكن الكونت

فرجين Vergenne وزير الخارجية الفرنسية لم يتفق معه فى الرأى وأكد أن الامبراطورية العثمانية ليست وشيكة الانحلال بالصورة التى تنبأ بها كل من مور أو سان بريبه فى الآستانة ولكنه فى الوقت نفسه نبه على ضرورة المحافظة على علاقات الود والصداقة مع السلطنة العثمانية.

وجدير بالذكر أنه على الرغم من مساندة فرنسا للسلطنة العثمانية ودعوتها للإبقاء على السلطنة العثمانية ومنع انهيارها، إلا أن الشعوب المسيحية الخاضعة للسلطنة العثمانية قد نظرت إلى فرنسا باعتبارها المنقذ لها من سيطرة السلطنة العثمانية وهيمنتها عليهم وخاصة بعد المساعدات القيمة التى قدمتها الحكومة الفرنسية للثوار الأمريكيين من أجل الحصول على استقلالهم عن بريطانيا، وندلل على ذلك بالرسالة التى أرسلها مواطنو كاندى [كريت] فى ١٢ يونيو عام ١٧٨٥م إلى الملك لويس السادس عشر يطلبون منه فيها المساعدة والتدخل ومساندتهم ضد السلطنة العثمانية كما فعل من قبل مع ثوار أمريكا وقد وجد هذا الاتجاه تشجيعا من بعض الساسة الفرنسيين فكتب البارون دى برتيه Bertier رسالة يوضح فيها للحكومة الفرنسية أهمية كاندى ومطالبا بتقديم يد المساعدة إلى أهالى الجزيرة للتخلص من السيطرة العثمانية.

ولكن فرنسا ظلت على سياستها التى انتهجتها إلا وهى المحافظة والإبقاء على السلطنة العثمانية وحذر الدوق لوزرن Lauzern الذى أرسل مبعوثا إلى كاترين الثانية فى روسيا من أطماع الأخيرة فى ممتلكات السلطنة العثمانية فكتب فى تقريره الذى رفعه إلى حكومته «أن الأمبراطورة تريد طرد الأتراك من أوروبا، وتريد أن يكون مقر عرشها فى القسطنطينية».

وإذا كان السفير الفرنسى سان بريبه قد تبنى لمدة ستة عشر عاما فكرة المحافظة والإبقاء على السلطنة العثمانية إلا أن خلفه شوازيل جوفييه Choisoul-Gouffier كان له رأى آخر فقد رأى ضرورة تقسيم الامبراطورية العثمانية وأن تكون مصر من نصيب فرنسا.

ويمكننا القول انه فى القرن الثامن عشر قد ظهرت عدة مشاريع لتقسيم السلطنة العثمانية، فمنها المشروع الروسى الذى يتلخص فى أن يكون لروسيا حق الزعامة على المسيحيين التابعين للسلطنة العثمانية وهذا بالطبع يعنى إحياء الامبراطورية البيزنطية القديمة بزعامة روسيا والعمل على إعادة مجدها القديم(٤٤). أما المشروع الثانى وهو المشروع اليونانى الذى تضمن استبعاد السلطنة العثمانية من أوروبا وتقسيم

ممتلكاتها بين روسيا والنمسا على أن يكون البلقان من نصيب النمسا أما استانبول وتراقيا ومقدونيا وبلغاريا واليونان فتكون من نصيب روسيا. ويبدو أن الساسة الفرنسيين أعجبوا بالمشروع الأخير لأنه بمقتضاه تحصل فرنسا على مصر وسوريا وتشارك بريطانيا فى تجارة حوض البحر المتوسط الشرقى، وتأكيدا لهذا المشروع سحبت فرنسا مستشاريها العسكريين من الجيش العثمانى عام ١٧٨٦ م ثم ما لبثت أن وقعت معاهدة صداقة وتجارة فى عام ١٧٨٧ م مع روسيا.

ولكن رغم هذا التغير فى السياسة الفرنسية وبعد قبول فرنسا توقيع معاهدة الصداقة مع روسيا إلا أن الخط العام للدولة ظل قائما على سياسة المحافظة على ممتلكات السلطنة العثمانية وكذلك المحافظة على الوضع القائم فيها وعدم فتح باب مناقشة تقسيم السلطنة لما سيؤدى إليه من قلاقل. ونستدل على ذلك أن فرنسا أعادت خبراءها العسكريين إلى السلطنة العثمانية فعندما أظهر السلطان العثمانى سليم الثالث. ميلا نحو الإصلاح وإخراج البلاد من عزلتها والأخذ بأسباب المدينة الأوروبية خاصة من فرنسا استدعى السفير الفرنسى فى الآستانة عام ١٧٩٦ م، عددا من المهندسين والضباط الفرنسيين لتدريب فرق الفرسان العثمانية على الطراز الأوروبى فكان من الطبيعى أن ينظر الروس لهذه التجديدات بعين الحسد والحقد.

وسرعان ما تغيرت العلاقة بين السلطنة العثمانية وفرنسا وذلك بمجىء الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ م، فأسرعت السلطنة العثمانية بإبرام تحالف دفاعى مع روسيا عام ١٧٩٨م للدفاع عن استانبول وكانت مدة التحالف هذا ثمانى سنوات، عقد بين السلطان سليم الثالث والقيصر بول الأول وخرج بذلك السلطان سليم الثالث عن السياسة العليا التى رسمها حكام السلطنة العثمانية.

وهكذا شهدت السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر تحولا كبيرا فى العلاقات الفرنسية العثمانية.

## مصر فى مخططات الساسة الفرنسيين

يرجع اهتمام فرنسا بمصر فى القرنين السادس عشر والسابع عشر إلى حرصها على التعرف على إمبراطوريات الشرق العظيمة خاصة الامبراطورية العثمانية والفارسية والصينية والهندية فقد كان الاهتمام بمصر فى ذلك الوقت جزءا من الاهتمام الأكبر والأهم بالامبراطورية المهيمنة على مصر ألا وهى السلطنة العثمانية. أما فى

القرن الثامن عشر فقد اختلف الوضع فقد اهتمت فرنسا بمصر لذاتها فقد لفتت ثروات مصر الزراعية، وموقعها الجغرافي الهام اهتمام الساسة الفرنسيين، ويرجع الفضل فى ذلك إلى كتابات الرحالة الفرنسيين والقناصل الذين كتبوا بإفاضة عنها فلم تعد معرفة الفرنسيين بها قاصرة على مدن مصر السفلى وأهم المزارات المسيحية فيها كما كان الحال عليه فى القرنين السابقين وإنما اكتملت صورة مدن مصر بعد أن جاب هؤلاء الرحالة مدن مصر العليا وتعمقوا فيها مسجلين مشاهداتهم وملاحظاتهم مؤكدين على ضرورة الاستيلاء على هذا البلد الغنى بموارده ومن هنا ظهرت فكرة غزو مصر لدى الساسة فى فرنسا فى القرن الثامن عشر.

وجدير بالذكر أن فكرة غزو مصر لا يمكن أن تنسب إلى القرن الثامن عشر فحسب وإنما روج لها بعض الرحالة والساسة منذ القرن السابع عشر فدعا الرحالة الفرنسى الأب كوبان فى النصف الأول من القرن السابع عشر إلى غزو مصر ونشر رحلته عن مصر فى كتاب عن الحروب الصليبية حرض فيه وعمل على إثارة حماس العالم المسيحى لغزو مصر مذكرا الأوروبيين بأمجاد جودفرى بويون وغيره. كذلك دعا إلى اتحاد أوروبا ضد السلطنة العثمانية وتحرير الشرقى المسيحى منها.

ثم تجددت هذه الفكرة فى عهد لويس الرابع عشر إذا عرض عليه الفيلسوف الألمانى ليبنتز Leibnitz مشروعا لغزو مصر عام ١٦٧٥م موضحا فوايده خاصة وأنه سيمكن فرنسا من احتكار تجارة الهند وجاء رد السفير الفرنسى أرنولد دى بونبون Arnauld De Pomponne بأن الملك اتطلع على المشروع ولكن «مشروعات الحروب المقدسة لم تعد مناسبة منذ عهد لويس التاسع».

والواقع أن ليبنتز نادى بغزو مصر وعكف على وضع مشروعه بعد نجاح موقعة سان جوتار عام ١٦٦٤م فقدمه إلى الوزير الفرنسى ورغم أن الأخير أجابه برفض المشروع إلا أن ليبنتز ظل يراسل لويس الرابع عشر موضحا أهمية غزو مصر حتى عام ١٦٧٦م وما زالت تقاريره ومذكراته محفوظة فى مكتبة هانوفر. وقد حاول ليبنتز إثارة حماس لويس الرابع عشر فأكد له «أن الغزو سيؤدى إلى القضاء على منافسة هولندا له لأن مصر هى الميدان الذى من الممكن توجيه ضربة منه إلى هولندا، وانها هى الطريق الحقيقى إلى الهند وباحتلالها سوف يمتلك زمام التجارة وينتزعها من يد الهولنديين» كذلك أكد له «انه سيتمكن من

بسط سلطان فرنسا وسيادتها في بلاد الشرق وتكسبون عطف المسيحية وتستحقون ثناءها.

ويمكننا القول أن فكرة غزو مصر فى القرن السابع عشر لم تقتصر على ليبنتز وحده وإنما نادى بها سفراء فرنسا فى الآستانة نخص منهم دنيس دى هاى Denis De Haye والماركيز دى نوانتيل De Nointel وجيردان Girardin ، وقد أثيرت هذه الفكرة فى عهد لويس السادس عشر حيث عكفت الحكومة الفرنسية على دراسة هذا المشروع دراسة جدية. وقد وجدت التقارير الخاصة بغزو مصر فى المكتبة الوطنية فى باريس، كذلك وجد مخطوط يناقش هذه الفكرة.

وجدير بالذكر أن السفير الفرنسى فى الآستانة سان بريبيه الذى دافع عن فكرة الإبقاء على الامبراطورية العثمانية وعدم تقسيمها بين الدول الأوروبية دعا لغزو مصر فكتب فى ١٧ يوليو عام ١٧٦٨ م معللا فكرة الغزو «لأن مصر تعتبر دولة ذات طابع مستقل».

ولا شك أن فكرة الغزو نمت حسب أحوال فرنسا الداخلية فعندما هزمت فرنسا فى حرب السنوات السبع وفقدت ممتلكاتها فى العالم الجديد والهند ظهرت هذه الفكرة بصورة قوية ونستدل على ذلك مما كتبه الدوق شوازيل إلى الكونت فرجين عام ١٧٦٦ م يطالب «بغزو مصر لكى تكون بديلا عن أمريكا الضائعة والهند» . وعندما ظهرت مشروعات تقسيم السلطنة العثمانية بين روسيا والنمسا رحب دى شوازيل بالفكرة عام ١٧٦٩ م على أن تكون مصر من نصيب فرنسا وبعد مضى أكثر من عشرين عاما على كتابات دى شوازيل ومقترحاته عن غزو مصر نجد أن السياسى الفرنسى الشهير تاليران Talleyrand يثنى عليه فيكتب فى عام ١٧٩٧ م أى قبيل الحملة الفرنسية «أن الدوق دى شوازيل كان من القلايل الذين امتازوا بأن لديهم حاسة نحو المستقبل فاقتراحه بغزو مصر كان اقتراحا صائبا من أجل تنمية التجارة ولتعويض فرنسا عما فقدته من مستعمرات فى أمريكا والهند» .

وكما ذكرنا من قبل أن فكرة الغزو أصبح لها صفة رسمية منذ عهد لويس السادس عشر ففى عام ١٧٧٧م أرسل البارون دى توت للعمل مفتشا لأسكلات الشرق ولكن كانت له مهمة أخرى سرية إلا وهى بحث إمكانية غزو مصر فزار المدن الساحلية الهامة فى مصر كأبى قير والاسكندرية ودمياط ورشيد فدون ملاحظاته حول تحصينات هذه المدن وأكد

أهمية غزو مصر «لأنه مشروع هين» على حد قوله ولكن بعثة دى توت لم تكن لها أية نتايج مباشرة لانشغال فرنسا بتدعيم ثوار أمريكا للاستقلال عن بريطانيا.

وخلال عام ۱۷۷۷ - ۱۷۷۸م قدم سان بريبيه عدة تقارير إلى الوزير فرجين تضمنت جميعها غزو مصر موضحا «خصوبة أراضيها حيث ينمو فيها النبات دون زراعة وبذلك نتمكن من تعويض جميع محاصيل مستعمراتنا التى فقدناها فى كندا كما أن القوة الحاكمة من السهل القضاء عليها». وفى عام ۱۷۸۰م وضع القس رينل Raynal كتابا أوضح فيه أهمية الاستيلاء على مصر لتعويض فرنسا عما فقدته بعد هزيمتها فى حرب السنوات السبع.

وأثناء حرب الاستقلال الأمريكية وضع البارون ولدنيه Waldner عام ۱۷۸۲م مشروعا بالاستيلاء على مصر واستبعاد تجارة بريطانيا من البحر الأحمر والهند. وفى عام ۱۷۸۳م تخوف مور القنصل الفرنسى فى الاسكندرية من غزو النمسا لمصر وإمكانية تعاونها مع الامبراطورة كاترين الثانية فى روسيا فكتب «أن تجارة الشرق خاصة مصر تعطى نشاطا وحيوية كبيرة للبحرية، وأن احتلال مصر يعوضنا عن منتجات أمريكا» «أن أسطولا فرنسيا مكونا من ۱۲ إلى ١٥ سفينة فى السويس قادر على أن يحول فرنسا إلى سيدة الموقف فى البحر الأحمر»، وطالب مور بتدعيم السيطرة الفرنسية على مصر العليا ووضع قوة عسكرية فرنسية عند الشلال الأول لمد النفوذ على بلاد النوبة ووضع فصايل من الجنود من القاهرة حتى أسوان، كذلك توزيع قوات عسكرية فى الفيوم ودمنهور لمراقبة عرب البحيرة وتركيز قوات بين الاسكندرية وطرابلس.

وفى عام ۱۷۸۳م أرسلت فرنسا بعض ضباط البحرية ليتعرفوا على النقاط الحربية الهامة فى مصر فقدمت البعثة برياسة الكونت بونفال Bonneval ثم تبعه برفاليه La Prevalay الذى حاول عقد اتفاق مع المماليك ولكنه فشل فأرسلت الحكومة الفرنسية تروجيه عام ١٧٨٥م للتفاوض مع المماليك.

وفى عام ١٧٨٤م أوضح السفير الفرنسى فى الآستانة شوازل جوفييه فى مذكرة إلى فرجين وزير الخارجية. مدى الضعف الذى أصاب السلطنة العثمانية وأعرب عن تخوفه من تزايد النفوذ الروسى والبريطانى وأعرب عن أسفه من أن الملك لويس السادس عشر لم يكن لديه طموح الامبراطورة كاترين امبراطورة روسيا ولا جوزيف الثانى امبراطور النمسا.

ومن الطريف انه في سنة ١٧٨٦م استقدم إبراهيم بك أعدادا كبيرة من المماليك من جورجيا والقوقاز فتخوف شوازل من ذلك وكتب إلى حكومته «لقد أرسلت روسيا إلى إبراهيم بك ٥٠٠ جندى وأننى أخشى من المد الروسى».

وقبيل نشوب الثورة الفرنسية خرج مشروع غزو مصر من نطاق السرية وأصبح يناقش علنيا في باريس ففي عام ١٧٨٧م قدمت مذكرتان إلى الحكومة الفرنسية الأولى مجهولة الكاتب والثانية كانت بتوقيع ريمون ليبون Raymond Lebon أوضحت المذكرات أهمية الاستيلاء على رودس «لأنها مدخل أوروبا وآسيا كما أنها في مواجهة الميناء القديم الشهير الاسكندرية». وأكد ريمون ليبون في مذكرته أهمية رودس كطريق تجارى إلى السويس «أن مركز جزيرة رودس كطريق تجارى تسمح بقيام نشاط تجارى وصناعى سواء مع فارس عن طريق البحر الأسود أو مع مصر عن طريق ميناء رشيد» كما أن رودس سوف تتيح لنا الحصول على منتجات الهند عن طريق البحر الأحمر وتصل هذه المنتجات إلى القاهرة بواسطة القوافل.

أما المذكرة الثانية وكانت عن احتلال رودس أيضًا «من أجل مركزها بين مصر والبحر الأسود»، «ولو أحكمت فرنسا السيطرة على رودس فانها تستطيع أن تكون عن طريق البحر االأحمر تجارة تدر عليهم الأرباح».

وعندما قامت الثورة الفرنسية عين ماجالون Magallon قنصلا في مصر عام ١٧٩٣م ولعب دورا هاما في تنبيه حكومة بلاده إلى أهمية الاستيلاء على مصر فكتب يقول «ولابد من انهاء عبث الحكام المماليك بمصالح فرنسا التجارية، ولابد للجمهورية أن تستخدم القوة لغزو مصر للمزايا والفوايد السياسية والاقتصادية التى سوف تجنيها فرنسا من سيطرتها على مصر وعلى البحر الأحمر». وأوضحت تقارير ماجالون مزايا الاستيلاء على مصر لخصوبة أراضيها وتحويلها إلى مستعمرة زراعية وسوق لتوزيع السلع. وذكر في أحد تقاريره «أن اجمل هدية تقدم إلى الشعب الفرنسى هى غزو مصر». وأوضح ماجالون في تقرير كتبه في ١٠ أكتوبر عام ١٧٩٥م «أن الفترة الزمنية التى يمكن للقوات الفرنسية أن تتحرك فيها من فرنسا إلى الهند عبر مصر والبحر الأحمر قبل أن تتمكن القوات البريطانية من مطاردتها تستغرق نحو ٤٥ يوما قبل أن يكون لدى بريطانيا فسحة من الوقت لتتخذ أى إجراء مضاد».

إذا كنا قد استعرضنا موقف فرنسا الرسمى من فكرة غزو مصر فينبغى لنا أن

نذكر ما كتبه الرحالة الفرنسيون عن هذه الفكرة نخص بالذكر منهم كلا من سونيني دى مانكور وأوليفيه، الأول زار مصر بعد نشوب الثورة الفرنسية والثانى زارها فى عهد حكومة الإدارة ولنقرأ ما سجله سونيني «لابد من غزو مصر للإفادة من ثرواتها، فضلا عن أن بريطانيا استأثرت بالهند وأصبحت ممتلكاتها فريسة في يدها، فمن الأفضل لفرنسا أن تستولي على مصر، فهى تقع على ساحل افريقيا، وتعتبر همزة الوصل بين آسيا وأوروبا، ومن الممكن أن تكون مركزا لتجارة العالم لو استولت عليها فرنسا، فمصر هى مهد العلوم والفنون وسوف تنتعش تجارتها مما يتيح لفرنسا أن تكون أكثر دول العالم ثراء بسبب التجارة».

أما أوليفيه فقد كتب «مصر هى الانحطاط والجهل والبؤس والطغيان، انها تنحنى دايما أمام اقدام الأجانب، طوال تاريخها، وذلك بسبب موقعها الجغرافى وأراضيها الخصيبة ولا نستطيع أن نعدد الغزوات التى تعرضت لها مصر، وهى من السهل غزوها»، كذلك دعا أوليفيه لانفصال مصر عن الباب العالى لأن ذلك «سيؤدى إلى استقرار الفرنسيين وتجارتهم ولا سيما أن المماليك لا يكفون عن التطاحن، والسلطنة العثمانية عاجزة عن القضاء على سلالة العبيد الآسيوية بسبب انتشار الفوضى ولابد من غزو مصر لإعادتها إلى عظمتها والإفادة من طريق البحر الأحمر، وفتح الموانى للملاحة مع الهند ولابد وأن تعود للإسكندرية مكانتها السابقة» وعدد أوليفيه الفوايد التى سوف تعود على فرنسا من الغزو «ستصبح مصر أغنى دولة فى العالم وفى نفس الوقت سيضيف الغزو مجدا عسكريا لفرنسا». «وينبغي علينا ألا ننتظر سقوط السلطنة العثمانية لتكون مصر من نصيبنا أن الغزو سيتيح لنا الحصول على المنتجات الفارسية والصينية والحبشية» «لابد من جيش من العلماء والعسكريين ليصاحبوا الحملة المعدة لاحتلال مصر» «وسوف ينظر إلينا الشعب المصرى على اننا محرروه» «أن سكان مصر أصيبوا بالعمى ولا يعرفون مصالحهم الحقيقية وانه من مصلحتهم إبعاد سلالة المماليك الذين جلبوا عليهم العار، لابد من إحلال أمة جديدة حرة تفتح أبوابها أمام التجارة وتعمل على تطوير الصناعة، يجب ألا نترك مصر غارقة في يد البرابرة».

نلاحظ مما كتبه الرحالة الفرنسيون تركيزهم على مصالح فرنسا التجارية والفوايد التى ستعود عليها من جراء غزو مصر، ولكنهم حرصوا على أن يحيطوا أطماعهم بهالة من المبادىء الإنسانية مثل انقاذ شعب مصر من «الطغاة المماليك» وادخال المدنية الحديثة فى البلاد. ولا شك

أن هذه المبادىء ما كانت تذكر إلا لخدمة أهدافهم السياسية ولا ننسى أن القرن الثامن عشر هو عصر ظهور الحركة الفكرية فى فرنسا وما استتبع ذلك من نشر الأفكار الحرة فنادى المفكرون بأن فرنسا عليها التزام حضارى ازاء الشعوب المتخلفة، ولكن فى حقيقة الأمر أن فرنسا أرادات بعد هزيمتها المريرة فى حرب السنوات السبع وانتزاع ممتلكاتها فى الهند واستبعاد نفوذها من أمريكا الشمالية أن تعوض ما فقدته وقد وجدت فرنسا بالفعل البديل فى الهند فسعت فى أعقاب حرب السنوات السبع فى تكوين امبراطورية استعمارية كبيرة فى الهند الصينية، كذلك سعت للبحث عن أماكن جديدة تعوضها عما فقدته فى أمريكا ولا شك أن مصر بحكم موقعها الجغرافى كانت تصلح خير قاعدة لانطلاق النفوذ الفرنسى فى آسيا وافريقيا وتذكرنا هزيمة فرنسا فى حرب السنوات السبع وما أعقب ذلك من رغبة ملحة لدى الساسة والمفكرين لبناء امبراطوريات استعمارية جديدة بما حدث لفرنسا بعد ذلك فى فترة متأخرة فى القرن التاسع عشر عندما منيت بهزيمة فادحة من قبل ألمانيا وفقدت الالزاس واللورين فجند الساسة الفرنسيون طاقتهم لصرف انظار الشعب الفرنسى عن هذه الهزيمة بالتوسع فيما وراء البحار وتكوين امبراطوريات استعمارية فرنسية وإن كانت النزعة الاستعمارية قد ظهرت بصورة أوضح فى القرن التاسع عشر.

ولا شك أن تقارير القناصل الفرنسيين وكتابات الرحالة قد أسهمت بدور كبير فى تأكيد فكرة غزو مصر ولكن ينبغى ألا ننكر أن ضعف أحوال مصر الداخلية كان من أهم العوامل التى ساعدت على اتمام هذه الفكرة فقد شهد القرن الثامن عشر ضعف السلطة المركزية، وانتشار المنازعات بين المماليك بعضهم وبعض وبين الأوجاقات مما أدى إلى انتشار المذابح فى الشوارع، وشجع البدو على الاغارة على القوافل التجارية، كذلك ساعدت الأحوال الاقتصادية السيئة على تأكيد فكرة الاستيلاء على مصر خاصة بعد تدهور الصناعة والزراعة والتجارة وإهمال الجسور والترع وتقلص مساحة الأراضى الزراعية والقحط بسبب انخفاض مياه الفيضان. وعبر المؤرخ المصرى الجبرتى عن تدهور الأحوال الاقتصادية اصدق تعبير «لا يجد الزبال شيأ يكنسه فى مصر».

وأخيرا فى عهد حكومة الإدارة تقرر غزو مصر ولا شك أن كتابات تاليران أكدت كلها أهمية مصر لأنها «سوف تحل محل جزر الانتيل ونحولها إلى مستعمرة فرنسية» كما أن الأدميرال روزيلى قدم عدة خرايط بحرية إلى مونج مفتش العلوم والفنون فى

إيطاليا عن مصر، كذلك قدم عدة تقارير عن أوضاع البلاد الاقتصادية، أضف إلى ذلك مذكرات تروجه عن مصر ورسايل ماجالون وكتابات غيرهم من القناصل والرحالة الفرنسيين تم تجميع كل هذه التقارير في دوسيه كامل عن مصر وعرض على نابليون بصفته القائد الموكل إليه مهمة الغزو*.

والآن نأتي إلى مجمل سير الحملة من فرنسا إلى الإسكندرية.

كانت الحملة مؤلفة من اثنين وثلاثين ألف جندى من البرية والبحرية، تحملها ١٣ قايقاً و ١٤ بارجة و ٤٠٠ سفينة لنقل العساكر والمهمات، وتقرر أن تسير السفن من ثغور طولون ومارسيليا وجنوا وكورسيكا،، وسيفاتافتشيا، في إيطاليا.

ولقد أظهر نابليون، بإجماع الباحثين والمدققين، مهارة عظيمة، ونظراً ثاقباً، وقريحة وقادة. في تجهيز هذه الحملة، إذ رووا أنه فكر في كل شيء من دقايق الأمور، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة الا رتبها. وبوّبها وأحصاها. فبدأ باختيار زهرة القواد والصناع، وأرباب الحرف اللازمة للجيش، وجلب من روما المطبعة العربية واليونانية، وأحضر معها فئة من العارفين بصف الحروف وطبعها، وجمع عدة آلات وأدوات علمية. ولم ينس انتقاء مكتبة جامعة للكتب عن مصر والشرق، ليقرأها مع ضباط جيشه أثناء سفرهم.

وانتهت كافة التجهيزات في ١٣ أبريل سنة ١٧٩٨ وأمضى الأمر بتكوين «جيش الشرق» وتعيين نابليون بونابرت قائداً عاماً، وفوض له الاستيلاء على الديار المصرية، وطرد الانكليز من جميع البلاد التى يمتلكونها في الشرق ما استطاع لذلك سبيلا وعلى الأخص القضاء على تجارة الإنجليز في البحر الأحمر. وفوّض له أيضاً حفر برزخ السويس، واتخاذ الوسايل اللازمة لضمان امتلاك البحر الأحمر واختصاص جمهورية فرنسا به.

وكادت حادثة الاعتداء على سفير فرنسا في فينا توقف سير هذه الحملة، لأن حكومة الجمهورية خافت من تحرك النمسا فأصدرت الأوامر لنابوليون ولكنه اكتفى بكتابة خطاب شديد إلى الكونت «كوبنزل»، فهدأت الأحوال وبرح باريس في ٣ مايو ووصل طولون في ٩ منه والجدول الآتي في الصفحة التالية، يبين مجموع القوة الفرنسية وطريقة نقلها على السفن من الموانىء المختلفة وكان تكوين القوة (من الأسلحة) من ٢٤,٣٠٠ من المشاة (البيادة) و ٤,٠٠٠ خيالة (سوارى) وطوبجية ٣,٠٠٠ ونحو ألف من

* انظر: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن ١٨ د. إلهام محمد على ذهنى. الهيئة العامة للكتاب. القاهرة ١٩٩٢.

| موانى السفر | بوارج | فرقاطات | سفن وطرادت | نقالات | جنود | خيول |
|---|---|---|---|---|---|---|
| طولون | ١٣ | ٧ | ٦ | ١٠٦ | ٢٠,٠٠٠ | ٤٧٠ |
| مرسيليا | | | ٢ | ٣٠ | ٣,٢٠٠ | ٦٠ |
| كورسيكا | | | ١ | ٢٠ | ١,٢٠٠ | |
| جنوا | | ١ | ١ | ٣٥ | ٣,١٠٠ | ٧٠ |
| سفاتافيشيا | | ١ | ١ | ٤١ | ٤,٣٠٠ | ٨٠ |
| المجموع | ١٣ | ٩ | ١١ | ٢٣٢ | ٣١,٨٠٠ | ٦٨٠ |

الاتباع، والمجموع بالضبط ٣٢,٣٠٠٠ (لا أربعين ألفًا كما يتساهل المؤرخون) وكانت قيادة الاسطول تحت رياسة الفيس أميرال برويز Brueys وتحت قيادة الكونت أميرالات Decrés, Blanquet-Duchyl, Ville-neuve ورياسة أركان حرب الاسطول لغانتوم Ganteaume وأما الجيش البرى فكان برتيه Berthier رئيس أركان الحرب وكافاريللى على المهندسين، ودومرتين Doumartin على الطوبجية وتحت رياسته على الفرق القواد Songis و Faltrier و Desaix و Kleber و Dugua وعلى الأورط Lannes و Murat و Lounusse و Vial و Veaux و Rampon و Davout و Friant و Belliard و Dumas و Leclerc و Verdier و Andreossy ومن ياوران نابوليون الضباط Junot و Beauharnais (ابن زوجته) و Louis Bonaporte (أخوه) و Sulkowski و Jullien و Duroc و Croizier.

وأهم ما فكر فيه نابوليون أنه ارتأى أن تكون معه بعثة علمية محضة لدراسة طبيعة البلاد المصرية، وبحث آثارها ونباتها وحيوانها، ونيلها وأرضها، وسمائها وسكانها، وكانت هذه البعثة تتألف من نحو مائة عالم من مشهورى علماء فرنسا الذين امتازوا بدراسة خاصة فى كل فرع من فروع العلوم، وكانت هذه البعثة تحت رياسة الرياضى الشهير صديق نابوليون مونج Monge أحد أعضاء الأكاديمية وكان معه من رجال الاكاديمية Berthollet و Dolo-mieu و Denon ومن مهندسى الكبارى والقناطر Le Pére وجيرار ومن الرياضيين Corancez، Costaz، Fourier ومن علماء الفلك Nouet و Beauchamp و Méchin ومن علماء الطبيعة والنباتات Geoffroy Saint-Hilaire و Savigny ومن الكيماويين Descotils و Champy ومن الرسامين والموسيقيين والشعراء وعلماء فن المعمار عدد كثير.

وفى اليوم التاسع عشر من شهر مايو نشرت سفن أسطول هذه الحملة أعلامها وسارت تمخر عباب البحر المتوسط، قاصدة

جزيرة مالطة وكان نابوليون وياورانه فى السفينة أوريان ـ Orient ـ «المشرق» التى يسميها الجبرتى «نصف الدنيا» ومعه قائد الاسطول برويس، ومعه أيضًا بها من رجال البعثة العلمية مونج وبرتللو، ومن القواد كفاريللى المهندس وغيرهم. وهنا نذكر أن الحكومة الانكليزية علمت بأمر هذه الحملة ولكنها لم تكن على بينة من معرفة الجهة التى تقصدها لما اتخذته الحكومة الفرنسية من وسائل التكتم الزائد. وكان الفكر الراجح لدى حكومة انكلترا، أن هذه العمارة الفرنسية تنوى السفر من مياه البحر المتوسط إلى جبل طارق قاصدة احتلال ايرلنده. ومع ذلك فقد أصدرت الحكومة الانكليزية للأميرال نلسون أمرًا بمراقبة هذه الحملة، وأصدرت إليه الأوامر الصريحة بأن يفعل كل ما فى امكانه لأسر، أو اغراق، أو حرق، هذه العمارة الفرنسية مهما كلفه ذلك، ما دام قادرًا على تسيير سفنه ولديه من الزاد والمؤونة والذخيرة ما يكفيه، وكان نلسون يخالف حكومته فى ظنها من حيث وجهة العمارة الفرنسية، وبعد أن أجبرته زوبعة كبيرة على الالتجاء بسفنه إلى جزيرة سردينيا، حيث رم بعضها، التى أضرت بها هذه الزوبعة، ـ تمكنت العمارة الفرنسية من السفر دون أن يقف لها الاسطول الانجليزى على أثر. ثم قصد نلسون شواطىء إيطاليا وكتب فى ١٥ يونيو على مقربة من نابولى قائلا: «إذا كانت السفن قد مرت من سيسيليا (جزيرة صقلية) فانها لابد وأن تقصد تنفيذ مشروع الاستيلاء على الاسكندرية، لكى ترسل من مصر حملة إلى الهند بناء على اتفاق مع «تيبو صاحب» وليس تنفيذ هذه الخطة بالأمر العسير.

أما العمارة الفرنسية فوصلت مالطة فى ٩ يونيو (١٧٩٨) وأنزلت قوة فى اليوم الثانى لاحتلال الجزيرة لحفظ مواصلاتها مع فرنسا وكانت هذه الجزيرة مستقلة تحت إدارة حكومة تدعى «فرسان مالطة» وهم جماعة من المسيحيين من جميع ممالك أوروبا، أشبه بفرسان الحروب الصليبية، وقفوا أنفسهم للدفاع عن صوالح النصرانية، لما شبت الحروب بين الدول الإسلامية وممالك أوروبا المسيحية. وكان لقبهم فى الأول فرسان «رودس»، فلما فتح السلطان سليمان جزيرة رودس، منحهم الامبراطور شارلكان جزيرة مالطة ـ وكانوا يتقربون إلى ممالك أوروبا، ويستدرون خيرات أبنائها، بدعوى انهم يحاربون قرصان أفريقيا، ويقفون السفن المسيحية والمسافرين فيها، من المسلمين، ودام هذا حالهم حتى فاجأهم نابليون بخيله ورجله، وبعد مقاومة ضعيفة استولى على

الجزيرة وترك فيها أحد قواده الجنرال فوبوا Vaubois ومعه ثلاثة آلاف جندى كحامية فى الجزيرة، وقبل أن يبرح الجزيرة، فكر فى أن يوطد العلاقات الودية فى المياه اليونانية فى ألبانيا وأبيروس. وكان فى حروبه مع البندقية قد استولى على جميع الجزر والسواحل والثغور التى كانت ملكا لتلك الجمهورية فى بحر الادريتيك سنة ١٧٩٧، وحينذاك راسله على باشا والى «ينينا» المشهور، ولم يكن إذ ذاك قد خرج عن طاعة الدولة، مؤكداً له حسن ولائه. فكان أول خاطر لنابوليون قبل مبارحته مالطة، لتوطيد علاقاته الحسنة فى ألبانيا وأبيروس، هو أن بعث بخطاب إلى على باشا والى ينينا وأوفد به أحد ضباطه.

واستعاض نابليون، عن القوة الفرنسية التى تركها فى الجزيرة (٣٠٠٠ جندى) بقوة تعادلها من المالطيين والفرنسيين، الذين كانوا مع فرسان الجزيرة، وغنم من الجزيرة نحو ١٢٠٠ مدفع وكميات كبيرة من الذخائر، أخذت منها الطوبجية الفرنسية ما رأته لازمًا فى حملتها على مصر. وكان فى الجزيرة نحو ثمانمائة من الاتراك الأسرى فأطلق نابليون سراحهم، وأحضرهم لمصر فى السفن لارسالهم إلى بلادهم. وقد عمل هذا، كما يظهر من منشوراته فى مصر، بقصد التودد للمسلمين والحكومة الباب العالى. ثم ضم إلى الحملة عدداً وافراً من المالطيين والأسرى المغاربة الذين يعرفون اللغة العربية والفرنسية بصفة تراجمة، وكان لهم شأن فى حوادث مصر كما سيأتى ذكره فى مكانه، وأرسل من مالطة فى سفينة عدة آثار غالية وغنائم بقصد إيصالها إلى فرنسا، فغنمها الانجليز قبل أن تصل إلى فرنسا.

وفى ١٩ يونيو أقلعت العمارة الفرنسية من مالطة قاصدة جزيرة كريد. أما نلسون فانه تتبع العمارة الفرنسية باسطوله، وقد روى كتاب الانجليز أن نلسون كان فى ٢٠ يونيه ماخراً باسطوله جنوب جزيرة صقلية، وكانت العمارة الفرنسية قد خرجت فى اليوم السابق من مالطة، بحيث كان الاسطولان على مقربة من بعضهما، ولكن لم ير أحدهما الآخر. وكانت وجهة الاسطول الانجليزى ثغر الاسكندرية ليدرك العمارة الفرنسية، كما قرر نلسون ذلك فى ذهنه. وقال كتاب الانجليز إن نلسون كان فى صباح يوم ٢٤ يونيو على مسافة بضع فراسخ من العمارة الفرنسية، جنوبى جزيرة كريد، ولكن لم يرها أيضًا واستمر قصداً الاسكندرية.

فى يوم ٢٦ يونيو وصلت العمارة الفرنسية إلى جزيرة كريد، وهناك فى صبيحة اليوم التالى اجتمعت بها الفرقاطة التى كان قد بعث بها للاستعلام فى جهات نابولى وأخبر نابوليون بان نلسون على رأس أسطول

ضخم. كان قريباً من مياه نابولى فى ٢٠ يونيو، وأنه سار قاصداً مالطة. فلما وصل هذا النبأ إلى مسامع نابوليون أصدر أوامره فى الحال بالسفر إلى جهة أفريقية وعند ذلك كشف الغطاء للجنود والضباط عن الجهة التى تقصدها الحملة، بعد أن بقى سرها مكتوماً عن الجميع، إذ أصدر الجنرال بونابرت أمراً وزعه على جميع السفن لتتلوه الجنود. نأتى على تعريبه ـ

## منشور إلى الجيش البرى

هذا المنشور كتب وطبع فى الباخرة أوريان فى ٢٢ يونيه ولكنه لم يوزع على الجيش إلا فى يوم ٢٨ قبل مساء اليوم الذى أنزلت فيه الجنود.

من المعسكر العام على ظهر الباخرة أوريان ٤ مسيدور سنة ٦ للثورة (٢٢ يونيه سنة ١٧٩٨).

من بونابرت عضو الانستيتوناسيونال، وقائد عام جيش مصر.

أيها الجنود:

انكم ستخوضون غمار حرب سيكون لها تأثير عظيم على المدنية وتجارة العالم أجمع. وستضربون انكلترا ضربة حساسة فى صميم فؤادها، على أمل أن تتمكنوا بعد من إيصال هذه الضربة للقضاء على حياتها.

سنضطر إلى قطع مسافات متعبة على الاقدام، وسنقاتل فى عدة مواقع، وسنفوز فى جميع المعارك، لأن العناية معنا.

وبعد وضع أقدامنا فى أرض مصر ببضعة أيام سنمحى من صحيفة الوجود أولئك البكوات المماليك الذين يعضدون التجارة الانجليزية دون سواها، والذين أهانوا تجارنا، وعاملوا سكان وادى النيل بالظلم والاستبداد.

واعلموا أن الشعب الذى سنعيش معه يدين بدين الإسلام، وأول قواعدهم (أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله) فلا تعارضوهم فى معتقدهم، وعاملوهم كما عاملنا اليهود والإيطاليين، واحترموا مشايخهم وعلماءهم، كما احترمنا الرهبان والقساوسة.

وليكن فى نفوسكم من التسامح للتقاليد التى يقضى بها الشرع، وللمساجد، مثلما كان لكم من التسامح مع الكنائس والصوامع والبيع، ومع المتدينين بدين عيسى وموسى. ولقد كانت الجيوش الرومانية قبلكم تحمى الأديان وترعاها. وستجدون فى هذه الديار عادات تخالف العادات فى أوربا، فلابد من أن تألفوها وتعتادوها. واعلموا أن الناس الذين ستكونون بينهم، يعاملون النساء على غير مألوفنا، وقد أجمعت الأمم على أن من يتعدى على حرمة المرأة، إنما هو حيوان وبهيم.

وأما النهب والسلب، فلا يغني الا فئة قليلة من الأفراد، ولكنه يحط من قدرنا، وينقص من شرفنا، ويبغض فينا قلوب الناس الذين من مصلحتنا أن نكون معهم على صفاء ووداد».

«بونابرت»

## الحملة الفرنسية في الاسكندرية

كان ظهور السفن الفرنسية، بمن تقل من جنود وضباط وقواد وعلماء، وذخائر وبنادق ومدافع، فاتحة عصر جديد لمصر، بدأ بالاحتلال الفرنسي، تحت قيادة أعظم القواد الحربيين الذين أظهرهم هذا الوجود.

كان الثغر الاسكندري في ذلك الوقت بلدة صغيرة لا يزيد عدد سكانه على عشرة آلاف نسمة تقريبا، وكانت تجارته قد اضمحلت، وثروته قد نزفت وقلت، وكان الرئيس إذ ذاك فيها «والمشار إليه بالإبرام والنقض»، هو السيد محمد كريم السكندري، وهو رجل كان كما رواه الجبرتي في ترجمة حياته، في أول أمره قبانيا يزن البضايع في حانوت بالثغر، وعنده خفة في الحركة وتودد في المعاشرة، فلم يزل يتقرب إلى الناس، بحسن التودد، ويستجلب خواطر حواشي الدولة، وغيرهم من تجار المسلمين والنصارى، ومن له وجاهة وشهرة، في أبناء جنسه، حتى أحبه الناس، واشتهر ذكره في الاسكندرية ورشيد ومصر، واتصل بصالح بك حين كان وكيلا لدار السعادة، وله الكلمة النافذة في ثغر رشيد ثم اتصل بواسطته إلى مراد بك فتقرب إليه، ووافق الغرض منه، وقلده أمر الديوان والجمارك بالثغر فعلت كلمته، ونفذت أحكامه.

وقد سبق أن قلنا إن الأميرال نلسون الانكليزي جاوز باسطوله العمارة الفرنسية جنوبي كريد ولم يرها، فقصد الاسكندرية لكي يدركها على ظنه، فوصلها قبل العمارة الفرنسية بثلاثة أيام فقط. لا بعشرة كما رواه الجبرتي، وتابعه المؤرخون الحديثون، بغير تمحيص ولا تحقيق. وللجبرتي العذر في أغلاطه التاريخية، فانه انما كان يكتب في القاهرة ويقول «وردت مكاتبات على يد السعاة من الاسكندرية». ومع ذلك فلو أنهم قرأوا الجبرتي حق قراءته، أي أنهم درسوا كل كتابه، ولم يكتفوا بالنقل، لوجدوا إن الجبرتي في وفيات سنة ١٢١٥ عند ترجمة حياة مراد بك، يقول بعد ذكره وصول العمارة الانكليزية ومغادرتها المياه المصرية ما نصه «فما هو إلا أن غابوا في البحر نحو الأربعة أيام الا والفرنسيس قد حضروا وكان ما كان» وهو قريب من الصواب أو هو الصواب بعينه. ومن أغلاطهم التي لا تغتفر تقريرهم

إن القوة التى قدم بها نابليون كانت تبلغ أربعين ألفًا. وأن عدد البوارج كان أربعمائة سفينة، مع أن البيان الرسمي موجود فى كتب القوم، ومنها يظهر فى الحال أن القوة التى برح بها أوروبا كانت ٣٢ ألفًا فقط، وأنه ترك منها فى مالطة ثلاثة آلاف اعتاض عنها بألفين من المالطيين، وأن عدد السفن لم يزد على ٣٢٠ سفينة.

فلما ألقى الاميرال نلسون مراسيه فى الاسكندرية ولم يجد العمارة الفرنسية بعث بقارب وفيه (على رواية الجبرتى) عشرة أنفار، فوصلوا إلى البر، واجتمعوا بالسيد محمد كريم، ومن معه من أعيان البلدة، فكلموهم، واستخبروهم عن غرضهم فأخبروا أنهم انكليز حضروا للتفتيش على الفرنسيس لانهم خرجوا بعمارة عظيمة يريدون جهة من الجهات، ولا ندرى أين قصدهم، فربما دهموكم فلا تقدرون على دفعهم، ولا تتمكنون من منعهم، فلم يقبل السيد محمد كريم منهم هذا القول وظن أنها مكيدة منهم، وجاوبهم بكلام خشن، فقالت رسل الانكليز «نحن نقف بمراكبنا فى البحر محافظين على الثغر، لا نحتاج منكم الا الامداد بالماء والزاد بثمنه»، فلم يجيبوهم لذلك، وقالوا هذه بلاد السلطان، وليس للفرنسيس، ولا لغيرهم، عليها سبيل، فعادت رسل الانكليز وأقلعوا فى البحر ليمتاروا من غير الاسكندرية، وليقضى الله أمرًا كان مفعولا.

ولو كان السيد محمد كريم أو غيره فى الاسكندرية واقفًا على شيء من حوادث أوروبا، ومنازعات الانكليز مع الفرنسيس، لامدّ أسطول نلسون بما أراد من ماء ومؤونة، لا سيما وقد طلبوا شراء ذلك بالمال، ولترك لهم حريتهم حتى يتخابر مع حكام البلدة البكوات، ونائب السلطان، ولو تم ذلك، وبقيت العمارة الانكليزية ثلاثة أيام أخرى، لكان لها، مع نابوليون وحملته، حال الله بها أعلم.

ويظهر أن رواية الجبرتى هى أصح الروايات، لأن الذى حمل نلسون على الاقلاع من مياه الاسكندرية، هو حاجته الشديدة للزاد والماء، بدليل أنه أقلع فى الحال إلى شواطىء آسيا الصغرى فجزيرة سراقوزه، حيث امتار وعاد إلى الاسكندرية ثانية، فوصلها فى أول أغسطس، أى بعد نزول الفرنسيس أرض مصر بشهر كامل.

وفي اليوم الأول من شهر يوليو سنة ١٧٩٨ وصلت العمارة الفرنسية إلى مياه الاسكندرية عند مطلع الفجر، فبرزت أمام الجنود والقواد مآذن الثغر ومبانيه مجلببة بإزار الفجر، وراء قاعدة من زرقة البحر، وأدرك الجيش أنه وصل إلى محط رحاله، ونهاية أسفاره، ولما راتفع ذيل النهار، وعلت الشمس في الافق. أبصر أهل الثغر سفن العمارة الفرنسية، فأدركوا حين ذلك أن الانكليز صدقوهم ولم يخدعوهم، وكان أول ما عمله نابوليون أن بعث بالفرقاطة La Junon إلى البر للوقوف على حال البلدة، ولطلب قنصل فرنسا، وكان في ذلك الوقت هو ابن أخ «ماجللون» الذى سبقت الاشارة إليه، فعارض السيد محمد كريم في ذهاب القنصل، ولكنه عاد فسمح به، ويقول الجبرتي، وتابعه المؤرخون الحديثون، إنه ذهب مع القنصل بعض أهل البلد، ولم يرد ذكر ذلك في الكتب الفرنسية التي وقفنا عليها وهي أحق بالمعرفة، فلما وصل القنصل إلى بارجة الأميرال أخبر نابوليون أن العمارة الانكليزية، تحت قيادة نلسون، كانت هنا منذ ثلاثة أيام ( أى ٢٨ يونيه سنة ١٧٩٨ ) وروى له ما قاله الانكليز من تفتيشهم على العمارة الفرنسية، وأن الترك قد داخلهم الفزع، فأخذوا في تحصين المدينة، وإقامة المتاريس، وأن المسيحيين في الثغر في أشد درجات الخطر، بحيث صار من اللازم الإسراع في احتلال المدينة. ولم يكن نابوليون في حاجة للتحريض على الإسراع، فانه ما كاد يسمع بنلسون قريبًا من الاسكندرية، حتى داخله الفزع، وأصدر أمره في الحال بالتحول إلى جهة العجمي. وبرج مرابوت (قلعة قايتباى) لانزال الجنود ليلا إلى البر فعارضه الاميرال في ذلك لأن الجو قد تغير في آخر النهار قائلا، إن نلسون لا يمكن أن يعود قبل بضعة أيام.

قال بوريين في مذكراته عن ذلك اليوم (وكان بوريين مرافقًا لنابوليون في باخرته) «فلما قال الاميرال إن نلسون لا يعود قبل بضعة أيام، عارض نابوليون واحتد قائلا «يلزمنا أن لا نضيع دقيقة واحدة، فقد أعطاني الحظ ثلاثة أيام فإذا لم أنتهزها خسرنا كل شيء».

فاضطر الاميرال إلى أن يصدر أمره بانزال الجنود في الحال فبدأ في ذلك العمل على الرغم من هياج البحر وغرق بعض العساكر. قال بوريين في مذكراته:

«كانت الساعة الثانية من صبيحة يوم ٢ يوليو حين وضعنا أقدامنا في أرض مصر عند نقطة تبعد نحو ثلاثة فراسخ من الاسكندرية (جهة المكس) وفي الساعة الثالثة بدأ

بالزحف على الاسكندرية ثلاثة آلايات تحت قيادة كليبر وبون ومورات تحت رياسة القائد العام».

وغريب مع هذا التدقيق فى التاريخ، وكون بوريين كان كاتب يد نابوليون فهو شاهد عيان، أن يوجد بين المؤرخين من يقرر أن موعد نزول الجيوش الفرنسية كان فى يوم ٣ يوليو لا فى ٢ منه، كما يقول به «بريبه» فى كتابه (تاريخ مصر من سنة ١٧٩٨ إلى ١٩٠٠) وكذلك محمد مختار باشا وهو من خيرة الكتاب المحققين. وصاحب التوفيقات الإلهامية، وهو ممن يعتمد على تدقيقهم فى التاريخ، يقول أيضًا إن نزول الجنود الفرنسية فى أرض مصر كان فى يوم الثلاثاء ١٩ محرم، الموافق ٣ يوليو، مع أنه قرر وصول العمارة إلى الاسكندرية يوم الاحد ١٧ محرم فكأنه يرى أن الجنود لم تنزل فى مساء ذلك اليوم، ولا يتفق هذا مع إسراع نابوليون، وخوفه من نلسون. والجبرتى يقول «وردت الأخبار بأنه فى يوم الاثنين ١٨ محرم وردت مراكب وعمارات للفرنسيس، فأرسو فى البحر». وهو فى هذا الخطأ التاريخى مخطىء ومعذور معاً.

ونقطة الخلاف هى هل كان دخول نابوليون مدينة الاسكندرية يوم الاثنين (٢ يوليو ١٨ محرم على رواية بوريين وهو شاهد عيان، وعليه أكثر اعتماد كتاب الافرنج)، أو فى يوم الثلاثاء (٣ يوليو و ١٩ محرم).

ومما جاء فى مذكرات «بوريين» عند نزوله من السفينة أنه لما مد الأميرال يده لمساعدة نابوليون على النزول إلى القارب، رأى القارب قد ابتعد عن مكانه فصرخ قائلا «إن حظى بدأ يخوننى» ! ولكنه بعد صعوبة ومخاطرة وضع قدمه فى أرض مصر الساعة الأولى بعد منتصف الليل!.

وتكوّن الجيش الزاحف على الاسكندرية فى الساعة الثالثة من صباح يوم الاحد ٢ يوليو (١٨ محرم سنة ١٢٢٣) من ثلاث فرق فقط (منو) على الجناح الأيسر (وكليبر) فى القلب، (وبون) فى الجناح الأيمن، وكان نابوليون بونابرت القائد العام، يسير على قدميه لانه لم يكن قد أنزل من الخيول القادمة مع الحملة جواداً واحداً.

أما أهل الاسكندرية فقد أزعجهم ظهور الاسطول فى النهار، ولكنهم لم يكونوا ينتظرون أن يداهمهم العدوّ ليلاً، إذ المألوف عندهم أن الجيوش التى تنزل أرض مصر تأتى من جهة أبى قير، وأنه يلزمها عدة أيام لافراغ شحن هذه السفن، وتنظيم قوة لمهاجمة المدينة.

إلا أنه لما انزلت الجنود الفرنسية فى البر ليلا فى تلك الليلة المقمرة أسرع بدوىّ على فرسه بالسير إلى الاسكندرية، وأبلغ الخبر للسيد محمد كريم...

فأخذ معه نحو عشرين من المماليك الانكشارية (على رواية الفرنسيين إذ ليست لدينا رواية من مصادر أخرى) فالتقت هذه القوة الصغيرة عند مطلع الفجر بطليعة من الجيش الفرنسي فظنوها كل القوة القادمة، فهاجمها الانكشارية وقتلوا ضابطها وقطعوا رأسه وعادوا بها ظافرين إلى شوارع الاسكندرية.

وأخذ بعض عربان قبيلة الهنادى وهم على خيولهم يناوشون تلك المقدمة، ويقطعون حبل مواصلاتها مع القوى التى بقيت لانزال بقية الجيش.

وما زال بونابرت سائراً برجاله حتى أشرفوا على مدينة الاسكندرية، فكان أول ما لاح لهم فى نور الفجر عمود السوارى ثم المنائر والمبانى، وصعد نابوليون فى الساعة الثامنة صباحاً، على قاعدة عمود السوارى لاستطلاع المدينة، واعداد الحملة عليها.

ويمكن القول إن الاسكندرية لم تكن محصنة، ولم يكن لها جيش كاف للدفاع، لا من جانب العثمانلية، ولا من المماليك. فلم يأت ظهر ذلك اليوم، حتى كان نابوليون قد دخل المدينة ونزل فى دار القنصل الفرنسى. والتجأ السيد محمد كريم، ومن بقى حوله من الملتفين به إلى حصن فرعون ـ وأما الأهالى فسلموا. ودارت المخابرات مع السيد محمد كريم طول ليلة الاثنين. وانتهى الأمر بان جاء هو، ومن معه مستسلمين. وهكذا سقطت الاسكندرية فى يد نابوليون بونابرت.

قال كتاب الفرنسيس: أما السيد محمد كريم فانه قبل أعتاب نابوليون وقال له إنه أصبح عبده ومولاه، وخطب بين يديه، فرضى عنه نابوليون وطلب منه أن يكون خادماً للجمهورية الفرنساوية، مساعداً لها على إبادة المماليك، وتأييد سلطة خليفة المسلمين، سلطان آل عثمان !!! فأجابه السيد كريم إلى ما طلب، فعينه قومنداناً للبوليس فى الثغر فقام بواجبه خير قيام إذ أعاد النظام فى المدينة وجمع السلاح وقدم للجيش الفاتح كل ما يحتاجه.

ويؤيد الاعتقاد بأن نابوليون وضع لنفسه أساس هذه السياسة، الخطاب الذى بعث به إلى إدريس بك قبودان السفن العثمانية فى الميناء، وكانت ثلاث سفن فقط، وكبراهن السفينة المسماة «عقاب بحرى» وهى سفينة القبودان، إذ كتب له فى اليوم الاول من وصول العمارة الفرنسية لمياه اسكندرية يقول مانصه:.

«ان البكوات أكثروا من سوء معاملتهم لتجارنا، وقد جئت للمطالبة بحقوقنا وسأكون غدًا فى الاسكندرية، فلا يكون ذلك داعيًا لقلقك لأنك تابع صديقنا العظيم، ومولانا سلطان تركيا، ولتكن خطتك تبعاً لمقتضيات هذه السياسة. أما إذا بدر منك أقل معاملة عدائية للجيش الفرنسي، فاننى سأعاملك معاملة الأعداء وتكون أنت السبب فى ذلك، الامر الذى هو أبعد الاشياء عن مرادى وفؤادى».

وقد روى سرهنك باشا فى كتابه «حقائق الأخبار عن دول البحار» رواية أخرى، لم يذكر فيها بالطبع هذا الخطاب، ولكن قال فى باب البحرية بمصر فى عهد ولاة الدولة العثمانية ما يأتى «وفى عهد السلطان سليم خان الثالث ازدادت أهمية البحرية العثمانية بما أدخل فيها من الإصلاحات وكانت عنايته السلطانية موجهة لزياد قوة «الدوننمة» ، فعززها بالسفن الجسيمة التى أمر بتشييدها، كالغلايين والفراقيط والشهدية، وغير ذلك وخصص بعضها لحماية الثغور وأرسل بعضها للديار المصرية فكان فى ثغر الاسكندرية منها ثلاث سفن حربية تحت قيادة إدريس بك قبودان السفينة المسماة «عقاب بحرى» عندما فاجأ بونابرت الديار المصرية بجيوشه وأساطيله، ولما طلب بونابرت من إدريس بك أن يرفع العلم الفرنساوى بدلا من العثمانى، توقف عن إجابة هذا الطلب وطلب الاقلاع عن الميناء فصرح له نابليون بذلك، فاقلع إلى الآستانة وأخبر بما حصل وكان أبو بكر باشا والى مصر وقتئذ قد هرب إلى غزة» قبل أن يصله خطاب من بونابرت نصه:

«إن الإدارة التنفيذية للجمهور الفرنساوى طالما طلبت من الباب العالى معاقبة البكوات المماليك لسوء معاملتهم للتجار الفرنسيين، فكان جواب الباب العالى دائما أن أولئك المماليك أشخاص أدنياء طماعين، ولا يحترمون مبادىء العدل وأن الباب العالى لا يكتفى فقط لعدم السماح لأولئك المماليك باساءة أصدقائه الصادقين من الفرنسيس، بل يشمهلم برعايته وعنايته كلما تيسر له ذلك.

فلذلك قررت الجمهورية الفرنسية إرسال جيش عظيم للقضاء على مظالم المماليك فى مصر، كما اضطرت إلى عمل مثل ذلك مرارًا فى خلال القرن الحالى مع باى تونس ومع الجزائر، فأنت الذى كان من الواجب أن تكون السيد المطاع على البكوات، وقد أصبحت بغير جاه ولا نفوذ، جدير بأن تتلقى نبأ قدومى بالسرور والانشراح.

وأنت بالطبع تعلم أننى لم آت للتعرض للدين والشرع، ولا للقيام بأمر ضد السلطان، وكذلك لابد أنك تعرف أن الأمة الفرنسية هى الحليفة الوحيدة للسلطان فى أوربا. فهلم إذاً إلى مقابلتنا والعن معنا المماليك وعنصرهم الخبيث»

«بونابرت»

لما استقر قدم نابوليون بالاسكندرية شرع أولا فى وضع نظام لحكومتها فكان أول ما عمله أن أصدر أمراً إلى القواد يقضى باحترام الدين، وحقوق الأهالى وممتلكاتهم، وقد جاء فى هذا الأمر.

«يريد القائد العام أن يترك للأتراك (يريد الأهالى) الحرية التامة فى تأدية واجباتهم الدينية فى المساجد كما كانوا يفعلون من قبل، ويشدد كذلك فى أن لا يدخل أى فرنسى، جندى كان أو غير جندى، فى المساجد ولا أن يحتشدوا على ابوابها، وعليكم أيها القواد أن تصدروا الأوامر لكل ضابط فرقة بتلاوة هذه الاوامر على الجنود وأن يقرأ عليهم أيضاً الامر الخاص بتجنب النهب والتعدى ولكم أن تعاقبوا كل مخالف لهذه الاوامر بالقتل رمياً بالرصاص، ومن المهم جداً أن يدفع الجنود ثمناً لكل ما يبتاعونه فى المدينة، وأن لا يسب الترك ولا يتعرض لهم إذ يجب علينا أن نكون معهم على صفاء وأن لا نحارب إلا المماليك».

وترك أمر الأحكام والفصل فى القضايا للقضاة المسلمين ثم شكل ديواناً أو مجلساً بلدياً، مؤلفاً من المشايخ وأعيان البلدة. قال أحد المؤرخين: إن نابوليون اختار سبعة من كبار الاسكندرية ولم يذكر منهم إلا اثنين هما السيد محمد كرّيم السابق ذكره والشيخ محمد المسيرى كبير علماء الاسكندرية وفوض إليهم النظر فيما تحتاجه المدينة وأمرهم أن يجتمعوا كل يوم مرة لتقدم لهم الشكاوى ويتقاضى الناس أمامهم.

وفيما يلى حكم نابوليون على هذين الرجلين الذين كانا لهما شىء من النفوذ فى الاسكندرية عند قدوم نابوليون توطئة لما سيظهر من امرهما فيما بعد قال:

«كان الشيخ محمد المسيرى عالماً وشريفاً ومن كبار رجال الدين فى المدينة وكان رجلا حكيما واسع المعرفة متعمقاً فى اصول الدين معروفاً بالطهارة والذمة.

ولما كان أوسع معرفة وأكثر خبرة من مواطنيه فقد كانت آراؤه صائبة عادلة. وإدارته حسنة بخلاف الذين كانوا يحيطون به. وهكذا كان لكريم نفوذه بفضل جرأته

وشجاعته وقوة أعوانه وعبيده وسعة ثروته أما الشيخ المسيرى فكان نفوذه مستمداً من علو نفسه وشفقته ورقة قلبه وفضائله وعدله الذى كان ظاهرا فى كل أعماله.».

وتوالى صدور أوامر نابوليون بتلك السرعة المدهشة والذكاء الباهر فكان من أوامره:

أمر بتشكيل قومسيون لتحديد قيمة النقود المختلفة

أمر بابدال سبائك الذهب والفضة التى مع الحملة وصكها نقوداً من نقود البلاد

أمر بجمع الضرائب التى كانت مفروضة من قبل وجباية مبلغ قدرهماية وخمسون ألف فرنك (ستة آلاف جنيه) كغرامة حربية.

أمر بإنشاء كورنتينة.

أمر بإنشاء مطابع مختلفة للغات الفرنسية والعربية والتركية واليونانية.

لا شك أن نابوليون قد أثبت بهذه النظامات والأوامر، شديد رغبته فى إرضاء المصريين والتقرب إليهم بكل الوسائل، ولكن ضريبة مبلغ ماية وخمسين ألف فرنك على مدينة الاسكندرية، فى حالها التى كانت عليها، تعد من باهظ المغارم التى تنوء تحت حملها البلاد وقت فتحها.

ولم يخسر الفرنسيون فى فتح الاسكندرية أكثر من نحو أربعين قتيلا مع ثمانين إلى ماية من الجرحى. ولكى يبعث نابوليون الحماسة فى قلب الجيش أمر أن يدفن جميع الذين قتلوا فى الاستيلاء على الاسكندرية بجانب عمود السوارى، وأن تحفر أسماؤهم عليه! وذكر المؤرخون أنه قتل من عساكر الانكشارية والأهالى نحو ماية نسمة.

وكان أول ما فكر فيه نابوليون هو تحصين ثغر الاسكندرية لإتقاء البوارج الانكليزية، فأصدر أمره للضابط كريتين Cretin أحد رؤساء الفرق الهندسية، فقام بذلك الأمر خير قيام، وأظهر من المهارة والعلم، ما جعل نابوليون يطريه اطراء عالياً فى مذكراته، التى كتبها بعد ذلك بسنين طوال.

(١) حكمت أسرة الفالوا فرنسا فى الفترة من عام ١٢٢٨ وحتى عام ١٥٨٩م.

(٢) امتدت الحروب الإيطالية من عام ١٤٩٤م إلى عام ١٥٥٩م.

(٣) الهام ذهنى: مصر فى كتابات الرحالة الفرنسيين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩١م ص ٢٨، ص ٣٦.

(٤) نشبت هذه الحرب فى ١٦١٨م وانتهت بتوقيع صلح وستفاليا ١٦٤٨م وخلال هذه الفترة ضعف النفوذ الفرنسى فى الآستانة حتى أن البندقية تقاسمت حق حماية الكنائس مع فرنسا فى عهد مراد الرابع.

(٥) إلهام ذهنى: المرجع السابق ص ٣٦.

(٦) دأب المغاربة على مهاجمة السفن الفرنسية والتجأ بعضهم إلى خيوه فطاردتهم السفن الفرنسية وضربت الجزيرة بالمدافع.

(٧) شملت هذه الفرمانات منع سفن شمال افريقيا من مهاجمة السفن الفرنسية ـ اعفاء السفير الفرنسى من رسوم الجمرك ـ منح ملك فرنسا حق حماية الأماكن المقدسة.

(٨) ليل الصباغ: الجاليات الأوروبية فى بلاد الشام فى العهد العثمانى فى القرنين السادس عشر والسابع عشر. بيروت ١٩٨٩م جـ١ ص ١٦٦، ص ١٦٧.

(٩) فى عام ١٦٧٠م أرسل لويس الرابع عشر السفير الفرنسى دى نواتيل إلى الآستانة لتجديد الامتيازات فأكد له الصدر الأعظم أن هذه الامتيازات «منحة سلطانية» «وليست معاهدات اضطرارية» واجبة التنفيذ: إلهام ذهنى ص ٣٩.

(١٠) المرجع السابق: جـ ١ ص ١٩٨، ص ٢٣٢.

(١١) المرجع السابق: ص ١٦٧.

(١٢) يقع الحصن عند مصب نهر الدون.

(١٣) زينب راشد: تاريخ أوروبا الحديث، القاهرة ١٩٨٦، جـ١ ص ٢٩٥.

(١٤) ١٦٩٥م ـ ١٧٠٣م (١١٠٦ هـ ـ ١١١٥هـ).

(١٥) محمد فريد: تاريخ الدولة العثمانية، القاهرة ١٩١٢م ص ١٤١.

(١٦) تنازلت الدولة فى المعاهدة عن آزوف لروسيا فصار لها يد فى البحر الأسود وتركت الدولة بلاد المجر وإقليم ترانسلفانيا للنمسا ـ وتركت بادوليا لبولندا ـ وتركت دلماسيا وقسما من المورة للبندقية.

(١٧) عبد الوهاب بكر: الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، القاهرة ١٩٨٢م ص ٣٢.

(١٨) عبد العزيز نوار: الشعوب الإسلامية ص١٦١.

(١٩) ١٧٠٣ ـ ١٧٣٠م (١١١٥ ـ ١١٤٣هـ).

(٢٠) الميرالاى إسماعيل سرهنك: تاريخ الدولة العثمانية تقديم ومراجعة حسن الزين، القاهرة ١٩٨٨م ص ١٩٦، ص ١٩٩.

(٢١) قدمت كاترين زوجة بطرس الأكبر إلى بلطة چى باشا مجوهراتها لكى يفك الحصار عن زوجها فقبلها وقبل توقيع الصلح.

(٢٢) محمد فريد: المرجع السابق ص ١٤٣.

(٢٣) تنازلت الدولة العثمانية عن بلجراد للنمسا وجزء من الصرب وآخر من الافلاق وأعيدت بلاد المورة إلى الدولة العثمانية.

(٢٤) إسماعيل سرهنك: المرجع السابق ص ٢٠٣.

(٢٥) ١٧٣٠ ـ ١٧٥٤م (١١٤٣ ـ ١١٦٨)هـ.

(٢٦) محمد فريد: المرجع السابق ص ١٤٧، ص ١٤٨.

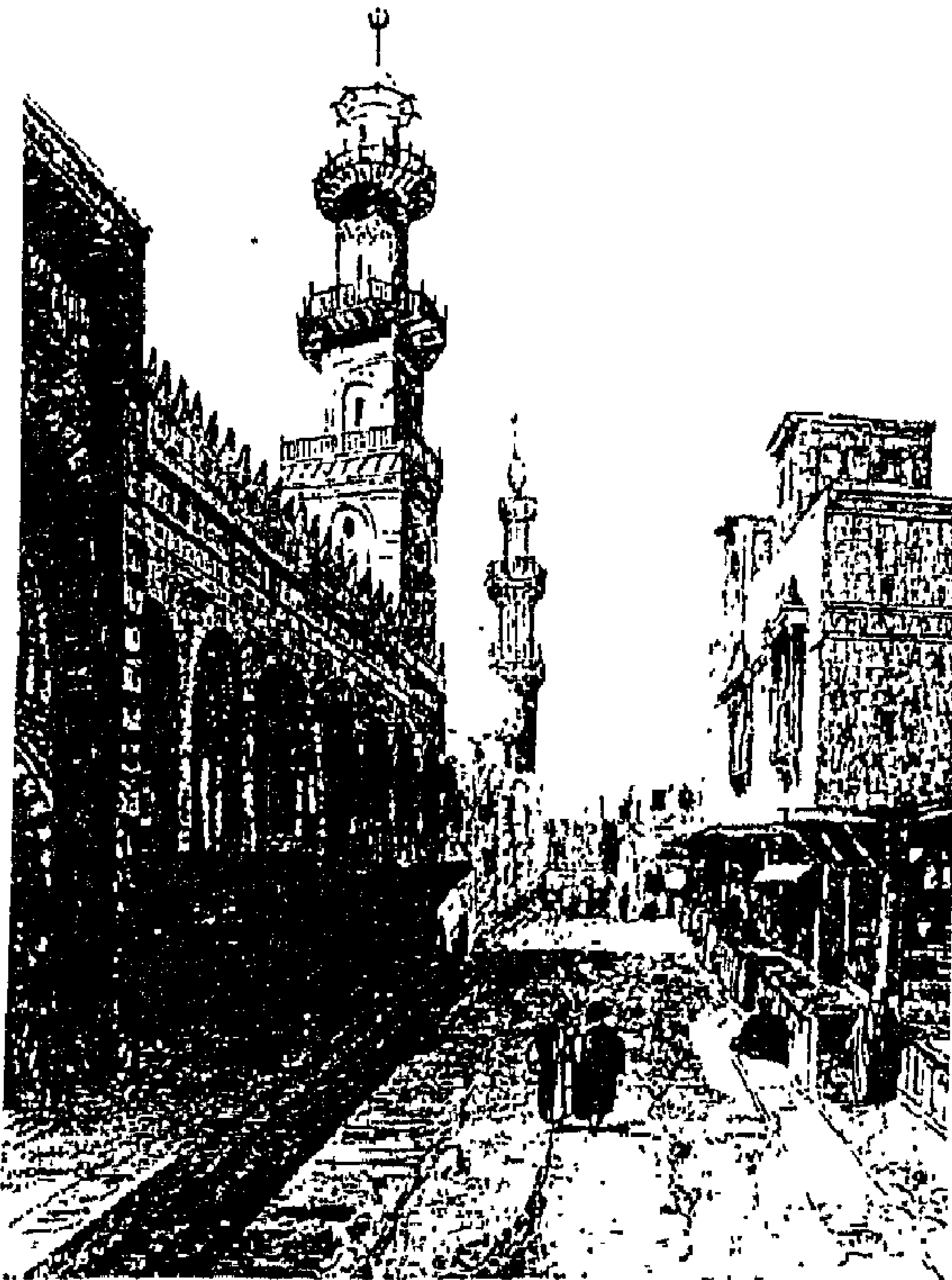
(٢٧) محمد فريد: المرجع السابق ص ١٤٨، ص ١٤٩.

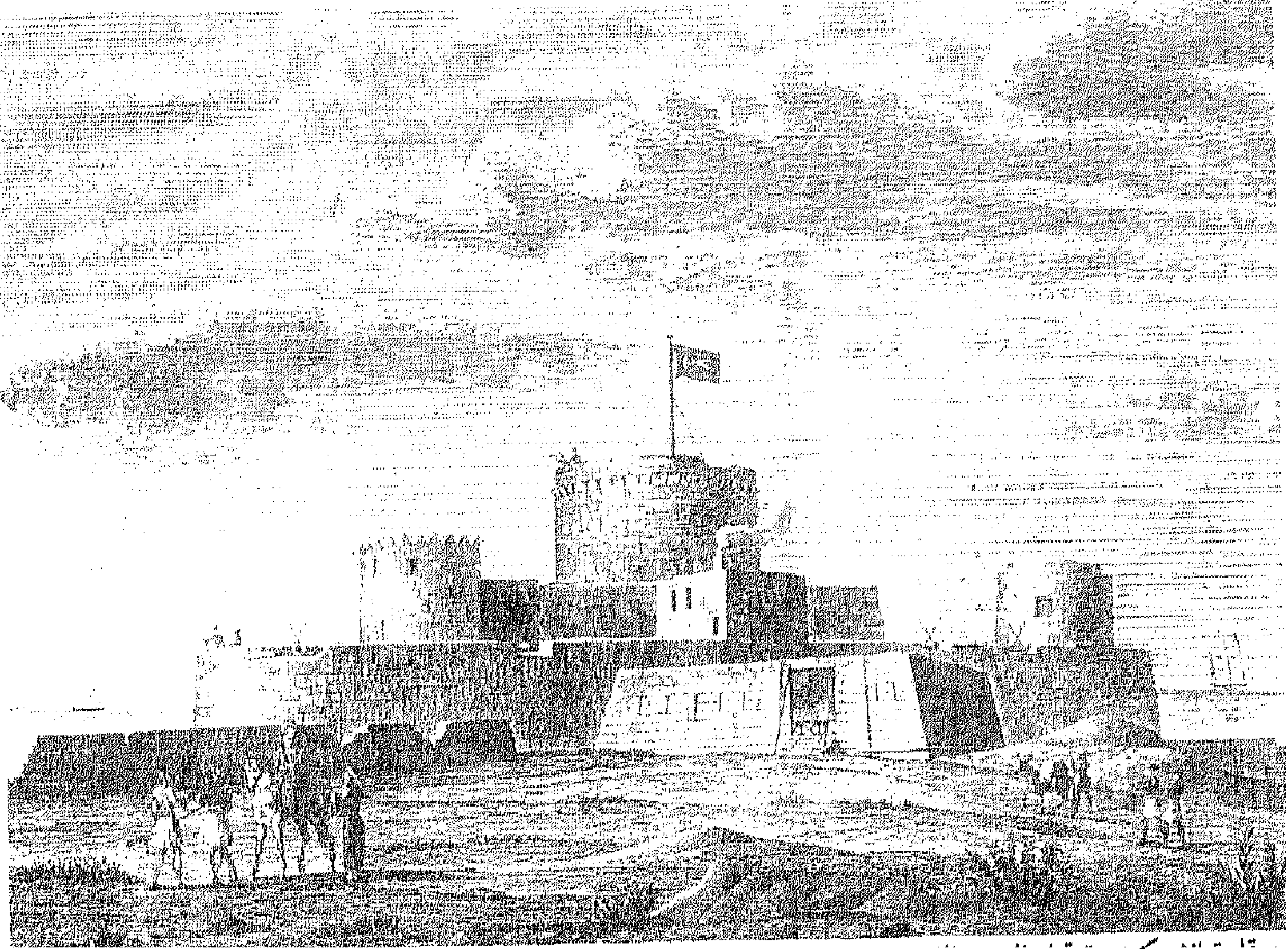
(٢٨) عبد العزيزى الشناوى: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة فى ١٩٨٠م جـ١ ص ١٩٥.

(٢٩) محمد فريد ـ المرجع السابق ص ١٤٩.

(٣٠) استمرت هذه الحرب فى أوروبا من عام ١٧٤٠ ـ ١٧٤٨م.

(*) مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن ١٨ . د. إلهام محمد على ذهنى الهيئة العامة للكتاب . القاهرة ١٩٩٢ .





* قلعة الاسكندرية قبل الغزوة الفرنسية

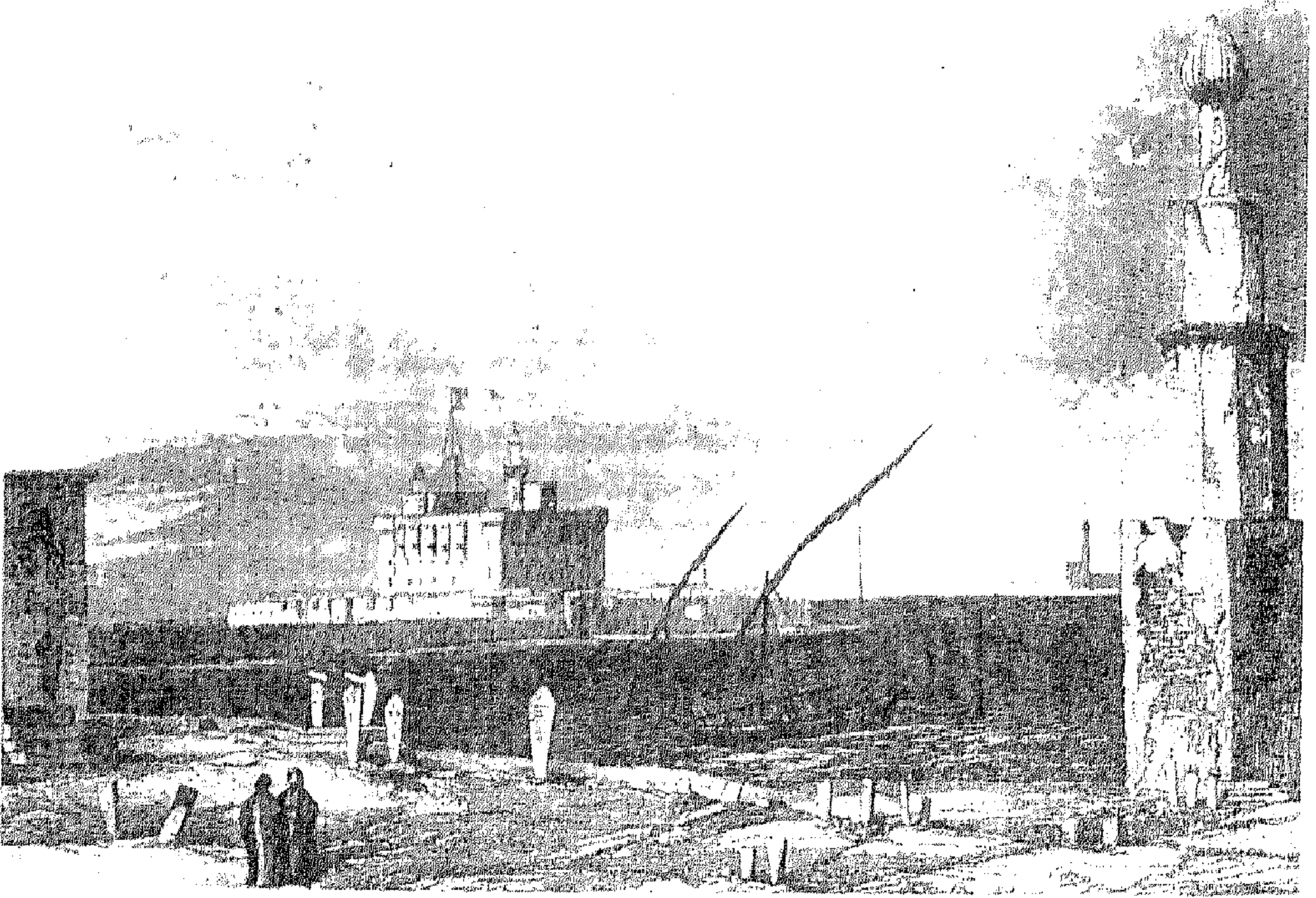
١٢١٣هـ.

١٥١٤ق.

١٧٩٨م.

غاية الفيضان قيراط٢٣/ذراع ٢٢.

□ فى ١٧ محرم/ يونيو وصل الجيش الفرنساوى إلى اسكندرية، وفى ١٩ منه استولى عليها، وفى ٢٣ قام يقصد القاهرة، وفى ٢٦ وصل الرحمانية، وفى ٢٩ كانت واقعة شبرخيت، وهى أول واقعة بين بونابرطة والمماليك، وفى ٧ صفر كانت واقعة الأهرام بينهم، وفى ١١ منه دخلت الفرنساوية المحروسة وهرب أبو بكر باشا، الوالى، إلى غزة. وفى ١٢ ربيع الأول ابتداء محاربة الفرنساوية للمماليك بالوجه القبلى. وفى ١٧ ربيع أول اعدم الأميرال نيلسون الانكليزى، الدونما الفرنساوية فى أبى قير. وفى ربيع الثانى أعلنت الدولة العلية الحرب على فرانسا □ فى ١٠ [جماد أول] ثورة أهالى المحروسة على الفرنساوية وإطلاق قنابلهم على الثائرين بالجامع الأزهر وبجامع السلطان حسن □ من ١٦ إلى ١٩ [من رجب] امر بونابرطة باستكشاف برزخ السويس بقصد إعمال قنال يجمع البحر الأحمر بالمتوسط على نية معاكسة الانكليز فى الهند □ وفى ٤ رمضان استيلاء الفرنساوية على العريش، وفى ٢٥ منه استيلاؤهم لغاية جزيرة أنس الوجود، وفى ٣٠ منه استولوا على يافا ثم قتلت المساجين بامر بونابرطة. وفى ١٣ شوال ابتداء حصار عكا □ وفى ١١ [ذى القعدة] حاصرت العساكر العثمانية بدمشق الجنرال كليبر فخلصه بونابرطة □ وفى٢ [من ذى الحجة] وصلت الدونما الانكليزية والعثمانية أمام عكا، وفى ١٤ منه كان خروج أحمد باشا الجزار على الفرنساوية، وفى ٢٤ منه استولوا على القصير.



* قلعة الاسكندرية بعد الغزوة الفرنسية

## ذكر دخول الفرنساوية الاسكندرية سنة ثلاث عشرة ومايتين وألف [١٧٩٨م]

وهى أولى سنى الملاحم العظيمة والحوادث الجسيمة والوقايع النازلة والنوازل الهايلة، وتضاعف الشرور، وترادف الأمور. وتوالى المحن، واختلاف الزمن وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع. وتتابع الأهوال، واختلاف الأحوال وفساد التدبير، وحصول التدمير، وعموم الخراب، وتواتر الأسباب، «وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون»(*).

(*) هذه الآية الكريمة وردت فى أواخر سورة هود برقم ١١٦، وفيها تحريف فى كلمة مهلك، وصوابها ليهلك، وعلى ذلك فنص الآية ما يأتى: «وما كان ربك ليهلك القرى بظلم، وأهلها مصلحون».

وفي يوم الأحد العاشر من شهر محرم الحرام من هذه السنة: وردت مكاتبات على يد السعاة من ثغر الإسكندرية، ومضمونها: أن في يوم الخميس ثامنه* حضر إلى الثغر عشرة مراكب من مراكب الإنكليز، ووقفت على البعد بحيث يراها أهل الثغر، وبعد قليل حضر خمسة عشر مركبًا أيضًا، فانتظر أهل الثغر ما يريدون؛ وإذا بقايق* صغير واصل من عندهم، وفيه عشرة أنفار، فوصلوا البر، واجتمعوا بكبار البلد، والريس إذ ذاك فيها والمشار إليه بالإبرام والنقض السيد محمد كريم الآتي ذكره، فكلموهم واستخبروهم عن غرضهم، فأخبروا أنهم إنكليز حضروا للتفتيش على الفرنسيس، لأنهم خرجوا بعمارة عظيمة يريدون جهة من الجهات، ولا ندرى أين قصدهم! فربما دهموكم فلا تقدرون على دفعهم، ولا تتمكنون من منعهم! فلم يقبل السيد محمد كريم منهم هذا القول، وظن أنها مكيدة، وجاوبوهم بكلام خشن، فقالت رسل الإنكليز نحن نقف بمراكبنا في البحر محافظين على الثغر لا نحتاج منكم إلا الإمداد بالماء والزاد بثمنه؛ فلم يجيبوهم لذلك، وقالوا هذه بلاد السلطان، وليس للفرنسيس ولا لغيرهم عليها سبيل؛ فاذهبوا عنا، فعندها عادت رسل الإنكليز، وأقلعوا في البحر ليمتاروا(*) من غير الإسكندرية، وليقضى الله أمرًا كان مفعولا.

* وصول الأسطول الإنجليزى للأسكندرية بحثا عن الأسطول الفرنسى.

(*) قايق: من المصدر التركى (قايمق) بمعنى الانزلاق، والقايق هو القارب الصغير يجرى فى الماء بالمجاديف أو بالشراع.



* محمد كريم

(*) ليمتاروا: الامتيار: جلب الطعام وهى مشتقة من ميره بمعنى التموين بالطعام والماء.

ثم إن أهل الثغر أرسلوا إلى كاشف(*) البحيرة ليجمع العربان، ويأتي معهم للمحافظة بالثغر. فلما قريت هذه المكاتبات بمصر حصل بها اللغط الكثير من الناس، وتحدثوا بذلك فيما بينهم، وكثرت المقالات والأراجيف.

(*) كاشف. كان الكشاف يحكمون الولايات الصغيرة التى لم تبلغ مرتبة السنجقية والتى كانت تسمى كاشفيات، فكانوا فى الغالب من اتباع السناجق ولذا فإنهم فى بعض

ثم ورد فى ثالث يوم بعد ورود المكاتيب الأول مكاتبات مضمونها أن المراكب التى وردت الثغر عادت راجعة. فاطمأن الناس، وسكن القيل والقال. وأما الأمرا فلم يهتموا بشى من ذلك، ولم يكترثوا به اعتماداً على قوتهم وزعمهم أنه إذا جاءت جميع الإفرنج لا يقفون فى مقابلتهم، وأنهم يدوسونهم بخيولهم.

فلما كان يوم الأربعا العشرون* من الشهر المذكور وردت مكاتبات من الثغر، ومن رشيد ودمنهور بأن فى يوم الاثنين ثامن عشره وردت مراكب وعمارات للفرنسيس كثيرة ـ فأرسوا فى البحر، وأرسلوا جماعة يطلبون القنصل، وبعض أهل البلد ـ فلما نزلوا إليهم عوقوهم عندهم، فلما دخل الليل تحولت منهم مراكب إلى جهة العجمى، وطلعوا إلى البر، ومعهم آلات الحرب والعساكر، فلم يشعر أهل الثغر وقت الصباح إلا وهم كالجراد المنتشر حول البلد، فعندها خرج أهل الثغر، وما انضم إليهم من العربان المجتمعة، وكاشف البحيرة. فلم يستطيعوا مدافعتهم، ولا أمكنهم ممانعتهم ولم يثبتوا لحربهم. وانهزم الكاشف ومن معه من العربان.

ورجع أهل الثغر [الاسكندرية] إلى التترس فى البيوت والحيطان، ودخلت الأفرنج البلد، وانبث فيها الكثير من ذلك العدد، كل ذلك وأهل البلد لهم بالرمى يدافعون، وعن أنفسهم وأهليهم يقاتلون ويمانعون. فلما أعياهم الحال، وعلموا أنهم مأخوذون بكل حال، وليس ثم عندهم للقتال استعداد لخلو الأبراج من آلات الحرب والبارود،

الأحيان، كانوا يشرفون على بعض مناطق من الولايات الكبيرة، أو ينوبون عن السناجق فى حكم هذه الولايات، وقد وصل عدد هؤلاء الكشاف فى مصر فى القرن الثامن عشر إلى أربعة وعشرين كاشفا، ومن أهم مهمات الكاشف، الإشراف على الرى، وجرف الجسور، وشق الترع والمصارف، وجمع الأموال الاميرية وغير ذلك.

* من الثابت أن الاسطول الانجليزى وصل قبل الاسطول الفرنسى بثلاثة أيام فقط وليس عشرة أيام كما يذكر الجبرتى هنا [انظر التقديم].

وقد وصلت الحملة الفرنسية إلى سواحل مصر الشمالية قرب الأسكندرية فى يوم الأحد ١٧ محرم سنة ١٢١٣هـ = الاول من يوليو سنة ١٧٩٨م. وفى ١٩ محرم استولت الحملة على الاسكندرية. وفى مخطوطة لمجهول بمكتبة جامعة القاهرة تحت اسم «قصة حياة أحمد باشا الجزار» وهى قيد النشر بتحقيق / عبد العزيز جمال الدين، تذكر وقائع نزول الحملة الفرنسية على مصر وردّ فعل ذلك على الشام كما يلى ـ

وفى سنة ألف ومايتين وثلاث عشر [١٧٩٨م] وردت الأخبار إلى الديار الشامية أن مراكب الفرنساوية تملكوا بلدة الاسكندرية، فتحسب الجزار جدا لذلك، وشرع يهتم فى تحصين عكا ويستحضر للحصار، ولما تأكدت الأخبار أن الفرنساوية ضبطوا مصر [القاهرة] ايضا وأن مراد بيك وبقية الغز هربوا حينئذ فأمر الجزار بتحصين

**وكثرة العدو وغلبته ـ طلب أهل الثغر الأمان فأمنوهم، ورفعوا عنهم القتال، ومن حصونهم أنزلوهم، ونادى الفرنسيس بالأمان في البلد، ورفع بنديراته [أعلامه]، وطلب أعيان الثغر فحضروا بين يديه، فألزمهم بجمع السلاح، وإحضاره إليه، وأن يضعوا الجوكار في صدورهم فوق ملبوسهم: (الجوكار ثلاث قطع من جوخ أو حرير أو غير ذلك مستديرة في قدر الريال سودا [زرقا] وحمرا وبيضا توضع بعضها فوق بعض بحيث تكون كل دايرة أقل من التي تحتها حتى تظهر الألوان الثلاثة كالدواير المحيط بعضها ببعض).**

---

المدن التي تحت حكمه وأمر بخروج النصارى من جميع بلاده، ثم منع ورود المراكب إلى اسكلاته، وانقطع بسبب ذلك ورود البضايع المصرية إلى الشام وفي أثناء ذلك وردت مراكب الانكليز إلى عكا وطرابلس وصحبتهم فرمان من الدولة العلية وهذه صورته.

(صورة فرمان من الدولة العلية ممنوح لسر عسكر العمارة الانكليزية حتى يتعاون معه حكام ساحل الشام ضد الفرنساوية ويزودوه باحتياجاته من المؤن).

إلى جميع المدن من السلطان سليم خان يخبر بالاتحاد الذي بين الانكليز والإسلام على الفرنساوية اللیام.

اقضى قضاة المسلمين نائب أفندى بطرابلس وأعيانهم عموما زيد قدرهم المنهي إليكم أنه لا يخفاكم أن بهذه السنة قد هجم الكفرة والطغاة البغاة الفرنساوية على أخذ الاسكندرية ومصر القاهرة وما يليها، والآن وقد اختلسوا يافا وغزة والرملة وتوابعهم وعلى عزمهم الغائب الفاسد الخايب الغير صايب، تدمير أمة المسلمين المؤمنين، وبواحدانية رب العالمين مقرين، وبرسالة رسوله معترفين. ولذلك اقتضى من وجود الصداقة الصادقة والمحبة الوائقة، وحسن معروف سيادة المحب الصادق الصدوق والخل الموافق الموثوق أجل الأحباب وسمهرى الانساب سعادة أخينا المحترم سلطان الانكليز المفخم المتحد معنا بالارتباط سوية، على تدمير الأمة الفرنساوية، لغزير مراحمه ووفور مكارمه فسمح وجاد بجوده في الوداد، وسير من فيض كرمه سر عسكرا، ثم ومن لدنا سر عسكر العمارة العثمانية والمراكب البحرية، صحبة افتخار الأمراء الكرام في الطائفة المسيحية، وعظيم الكبراء الفخام في الملة العيسوية، مصلح مصالح جماهير الأمة النصرانية، جناب محبنا المحترم سينور سميث الاكرم. وهو بالتفويض الخاقاني مشير مطلق، مشيد موفق، ناظم ومنظم قطب تلك الديار بوجه المناظرة والاعتبار.

فليعلم كل منكم تفويض محبته بالالتفات من لدنا من سائر الجهات، فمهما مرّ عليكم من مراكبه واتباعه فسيروا له الإكرام الزايد والإنعام الوافر. وليعلم الخاص والعام زود صداقته مع الإسلام، والإعانة لنا منه على الدوام، على تدمير الفرنساوية اللئام، تعلموا ذلك وتعتمدوه غاية الاعتماد والسلام.

حرر في جماد الثاني سنة ١٢١٣ [١٧٩٨م].

ثم حضر ايضا فرمان إلى سائر البلدان من السلطان سليم خان وهذه صورته.

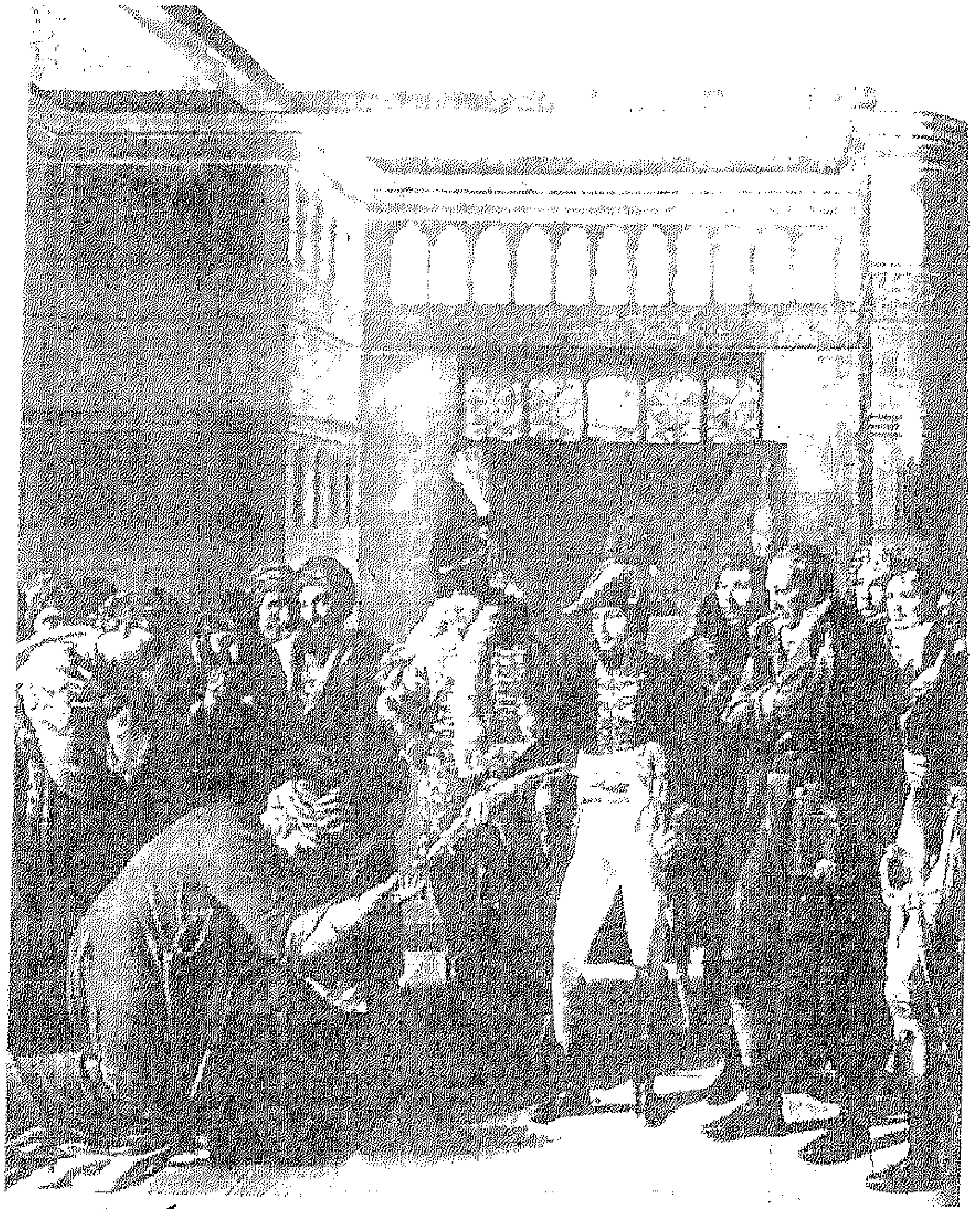
(صورة فرمان من السلطان سليم خان إلى سائر البلدان)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

يا جماعة الموحدين وملة المسلمين..

أعلموا أن الطائفة الفرنساوية جعل الله تعالى ديارهم دارسة وأعلامهم ناكسة «منكسة» لأنهم الكفرة الطغام، والفجرة البغاة لا يؤمنون بوحدانية رب السماء والأرض، ولا برسالة الشفيع يوم العرض بل تركوا



* بونابرت والي جواره كفاريللي (الثاني من اليمين) بعد احتلال الاسكندرية.

واتخذوا تحت راية الشيطان، فلا دين يجمعهم ولا حاكم يرعاهم، وقد قهروا من لم يعهم ويتبعهم، فبقيت سائر طوائف الافرنجة من جورهم في هرج ومرج، وهوج وموج، وهؤاء يهرون كهرير الكلاب وينهشون نهش الدياب، وقد جمعوا على تلك الطوايف الجماهير، قاصدين تخريب قواعد ديانتهم ونهب نسائهم وأموالهم، فجرى الدما بينهم كالماء وقد نالت منهم الفرنساوية المراد وحكموا بهم بالجور والفساد، ثم اتصل فسادهم وشرورهم قصدهم إلى الأمة المحمدية والملة الأحمدية. وقد وقع بيدنا بواسطة بعض جواسيسنا الكتب التي كتبها لهم مدير جمهورهم ورئيس عساكرهم بونابارته، فاسمعوا خرافاته وما يقوله من الفساد المبين:

نتهي إليكم أن ركن العالم قوى متين ذو الصلابة في الدين فإذا وصلتم إلى اقطارهم وملكتم ديارهم ينبغي لكم بأن تعاملوهم بمقتضى حالهم فالضعيف منهم بادروه بالحرب والقتل والنهب. والقوى انصبوا له شرك الحيل والمكر [وأوعدوا] كبارهم بعدم التعرض لدينهم وعرضهم وأموالهم، وألقوا الفتن بينهم، وسلطوا الأدنى على الاشراف والقوا الفساد والانفاق بالحيل والاتفاق بينهم، وعلى الخصوص خاقانات العجم وبني عثمان بأي وجه كان ليقع النزاع والجدال والشرور والقتال وتخرج

الأديان كلها ونكروا الآخرة وشدتها، ولا يعتقدون يوم الحشر والنشر، ويزعمون أن لا يهلكنا إلا الدهر، وما هي إلا أرحام تدفع وأراضي تبلع، وليس وراء ذلك مكث ولا حساب، ولا بعث ولا عقاب، ولا سؤال ولا جواب، حتى أنهم نهبوا أموال كنايسهم وتجملات صلبانهم وغاروا على قسوسهم ورهبانهم وزعموا أن الكتب التي جاءت بها الأنبياء هي كفر صريح، وليس القرآن والتورية [التوارة] والإنجيل إلا زور واقاويل، والمعتبر من الأنبياء كموسى وعيسى ومحمد وغيرهم ليس هو صحيح، وما جاء إلى الدنيا نبي ولا رسول، بل هم مفترين على الحق جهول، والناس كلهم متساويين في الإنسانية متشاركين في البشرية، ليس لأحد

على أحد فضل ولا مزية، وكل منهم في ذاته يدبر نفسه وأمر معاشه في حياته، وعلى هذا الاعتقاد الباطل والرأي الهازل بنوا قواعد جديدة وقوانين أكيدة، وثبتوا على ما وسوس لهم الشيطان وهدموا قواعد الأديان وحللوا لأنفسهم سائر المحرمات واباحوا لأنفسهم ما تميل إليه الشهوات، وضلوا في شقاقهم العوام الذين هم كالهوام، وقد افتتنوا بين الملل والقوا الفساد بين الملوك والدول وبالكتب المزورة والاباطيل المزخرفة يخاطبون كل طائفة إننا منكم وعلى دينكم وملتكم، ويوعدونهم بالمواعيد الباطلة، ويحذرونهم بالتحذيرات الهائلة، وقد انهمكوا في الفسق والفجور وركبوا مطية الغدر والغرور، وخاضوا في بحر الضلال والطغيان،

الناس عن طاعة السلطان والرعايا من أوامر الحكام، فيخرب بذلك نظامهم وينقطع عقد انتظامهم فيتشتت بذلك شملهم وتنفذ خزائنهم وأموالهم وحينئذ تملكون قيادهم. ولأجل اضلالهم ينبغي أن تعينوا الضعفا منهم على الأقويا لأنه إذا اضمحل حال الاقويا بإعانة الضعفا هانت عليكم إبادتهم، لكون بين الفرنساوية والإسلام اختلاف تام. وبمقتضى صلابة دينهم لا يمكنهم موافقتنا قطعا وبغير دفع الاديان جميعا لا يجوز لنا الركون إليهم والاعتماد عليهم، وبعد أن نظفر بهم بسبب الحيل التي تقدمت، فنهدم كعبتهم وبيت مقدسهم وجميع جوامعهم ومساجدهم، ونقتلهم بالتمام سوى الصبيان والفتيان من النسوان. ثم نقسمهم بيننا ونقسم ديارهم وأملاكهم. ونحول بقية أحوال الناس إلى أحوالنا. وهكذا تمحى قواعد الإسلام وتندرس رسوم آثارهم من وجه الأرض قاطبة عربا وعجما غربا وشرقا.

انتهت عباراتهم الخبيثة سطر بسطر فعليهم من الله دائرة السوء، فلا يستطيعون مضيا ولا نصيرا. فهذا قصد الفرنساوية من الحادهم ومكرهم وشرهم وكفرهم فكيف لا يكون فرضا على كل واحد من المسلمين ابدا المروة، فيا غزاة الموحدين ويا ابطال الحرب والضرب ورجال الغزو والنهب ويا أركان الشريعة المحمدية وقواعد الملة الحنفية، بل يا كل المسلمين المؤمنين بالله تعالى وبرسوله، أقرنوا القوة والهمة المحمدية لحرب هذه الفرنساوية، لأن في زعمهم أن زمرة الموحدين كالكفرة الذين حاربوا وحوربوا ولم يعلم الملاعين أن الإسلام مغروس في قلوبنا ممزوج بدمنا.

أكفر بعد الإيمان، وضلال بعد هديان.

وقد قال الله تعالى في كتابه المبين: ﴿لا يتخذ المؤمنون [الذين يتخذون] الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ فكونوا على حذر من كيدهم وتزويراتهم ولا تخافوا تهديدهم وتخويفاتهم، لأن الاسد لا يبالي بجمع الثعالب ولا الباز بسائر الاغارب، وكونوا على قلب واحد بعضكم مع بعض، كما قال الصادق: «المؤمن إلى المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وتغيروا في الحرب والاشفاق، وارفعوا من بينكم الاشرار وأهل النميمة والنفاق أينما كنتم. ونحوما وجدتم قريبا أو بعيدا قفوا كلكم سوية بالإسلام، وتحققوا أن الطايفة الفرنساوية بقوة المال يفسدون من دينه ضعيف وعقله خفيف والمجبول على النفاق، ويعملون أمثال هذه الحيل والفسادات ليلقونها بين العباد، فعليكم أن تباشروا دفعهم وطردهم. وكونوا متفقين على تقوية الدين المبين وعلى حذر من الكافرين والضالين، لأن كل مفسد بين الأنام هو من الكفرة اللئام. وهذه الفرقة الملعونة قد فارقت جميع الأديان والملل وخالفت كل الكتب والنحل، وقالوا بالطبيعة وأنكروا الصانع ذو الصنايع البديعة والخلايق المتنوعة التي ظهرت فيهم قدرته الباهرة واختراعاته القاهرة الظاهرة، وانكروا نبوة عيسى وموسى وسائر الأنبياء والرسل والكتب المنزلة، ورفعوا عن انفسهم التكاليف والعبادات، وأرادوا رفع جميع الأديان من غير ملتهم ومذهبهم الفاسد، وهم قوم لا خلاق لهم ولا عقل ولا دين، فكيف يعتمد على قولهم أو يركن إلى عهدهم وأمانهم وإيمانهم، واحذروا الالتفاف إلى عهودهم ومواعيدهم، واعلموا بأنهم دهريون يقولون أن الارحام تدفع والأرض تبلع ولا حشر ولا نشر ولا حساب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار ولا إله ولا نبي. وعزموا على ظلم العباد وخراب البلاد بالحيلة والمكر والاستيلاء [على] ملوك الأرض ليغيروا الأديان ويحيلوا الناس إلى اعتقادهم ودينهم المخترع الفاسد

الضال. ولتكن سيوفكم بارقة وسهامكم راشقة واسنتكم فى الطعن متلاحقة ونبالكم فى ابدانهم متسابقة، والفرسان تجول فى حومة الميدان وتلقى الكفرة فى النار والنيران، لأن عون الله معكم وعينه ناظرة إليكم، وأنتم بنظر العلى محفوظين وبروحه تهزمونهم جميعا مجندلين. ونحن فى طرق السلطنة السنية اشهرنا الأوامر العلية في جميع العساكر والاجناد، على سائر البلاد بحول الله وقوته وعظم قدرته. فعن قريب تجتمع عساكر وافرة وجنود متكاثرة وسفن كالجبال تمشي بقدرة الملك المتعال ذو الجلال ومدافع كالرعد القاصف والبرق الخاطف وشجعان لا يبالون بالموت حبا فى الدين ونصرة لدين الله. فلعل الله يأمر بالهلاك فى ديارهم وتجعلها كالهباء، كأنها لم تكن بقدرة الحي القيوم وقد خاب من حما ظلماء. وقطع دابر القوم الذين ظلموا والسلام.

فلما وصلت هذه الفرامين لم ينتبه أحد من المسلمين لضعف العثمانلى وخوفه من الافرنجة.

ثم فى هذه السنة بنفسها [١٢١٣هـ = ١٧٩٨م] حضر فرمان ايضا من الدولة العلية إلى أحمد باشا الجزار وهذه صورته.

## فرمان الدولة العلية إلى الحاج الجزار أدام الله اجلاله

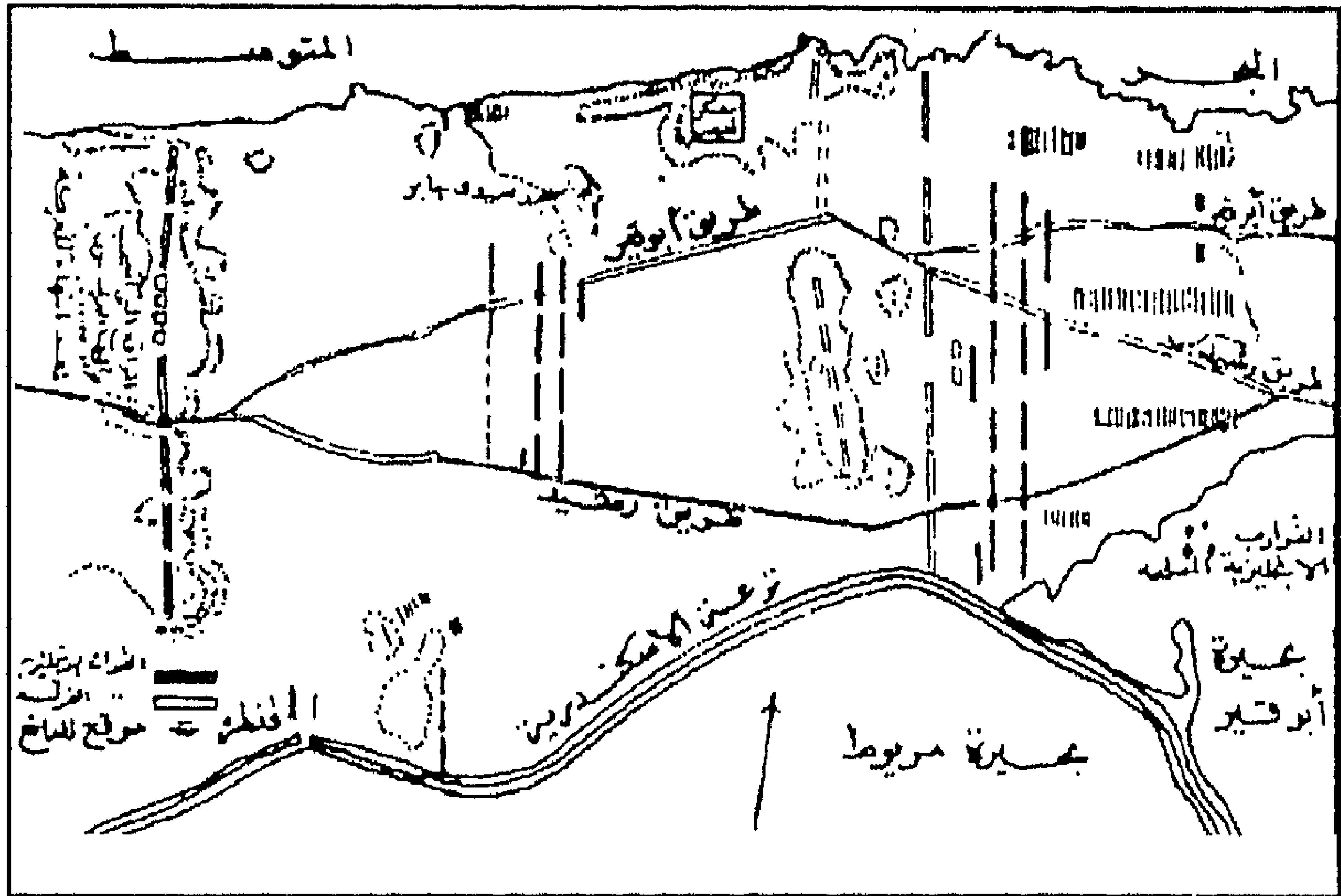
دستور مكرم مشير مفخم نظام عالم مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب، متمم مهام الأمور بالرأى الصايب ممهد بنيان الدولة والاقبال، مشيد اركان السعادة والإجلال، المتخوف بصنوف عواطف الملك المتعال. والى صيدا الحاج أحمد الجزار أدام الله اجلاله..

نعرفك بخصوص الكفرة ملة الفرنساوية الليام [اللئام] جعل الله دائرة الأسواء عليهم فإنهم في العام الأول هجموا على أخذ مصر القاهرة، والآن وقد استولوا على يافا وغزة والرملة، فلزم أننا بمشيئة الله تعالى بارى البرية أن نصمم النية لمقابلتهم. وأمرنا بالتوفيقات الربانية بقيام سعادة الدستور الوقور، والعزم صاحب الأمر الاعظم وزير مطلق مشيد موفق مظهر الحق الاشرف الفاخر وتاج الوزراء العظام مالك زمام العالم صاحب التدبير الحسن المفوض له كافة تدابير المملكة العثمانية الخاقانية الحاج يوسف ضيا باشا المكرم أدام الله اجلاله، وخلد فى السعادة اقباله وبلغه من الدنيا آماله. ولأجل ذلك واصل إليكم دفتر ممهور بطلب ذخيرة تحضر سريعا من غير تقيد، فيلزم ارسالها على أوفق حال وأسرع مجال من دون إهمال ولا نكال. ثم عند وصول سعادته إليك يجب أن تباشر فى القيام إلى مدافعة الفرنساوية اللئام والى غزوهم وتدميرهم بالمجازاة والتذخير بوجه السرعة مصحوبا بالعسكر الغزير والجمع الوفير من دون تأخير.. عرفناك ذلك فاعتمده غاية الاعتماد والسلام.

وبصحبة هذا الفرمان حضر للجزار أمر من يوسف باشا الوزير الأعظم وهذه صورته.

صاحب التدبير الحسن المهتم بأمور خالصه حسنه أخينا الأكرم دام مكرما وفى طاعة الدولة مقيم.

من بعد ما وجب ولائق من واجبات الاتحاف بكل شوق واشفاق وتحنن وانعطاف، نعرفك أنه سابقا تقدم منك لدى سدة السعادة الدولة العلية والعواطف الملوكية بخصوص المواشكات مع اخواننا أمير الحاج عبد الله باشا عظم زاده زيد قدره، والحاج إبراهيم باشا ودفع تصرفهم بأماكنهم واهمالهم لأماكن كثيرة، مع تفويضكم لواحق ايالاتكم وكفالتكم برفع يد الكفرة الفرنساوية عن مصر القاهرة، وممالك الدولة العلية دامت محروسة من كل بلية، وقد أنعمت الدولة عليكم بالتفويض التام ملخصة ذلك للخاص والعام وسائر الأنام. والآن قد صار الأمر بخلاف ذلك، ورجع الزعم الصايب اسراف، فلذلك حصلتم لدى الحضرة الهمايونية ممنوعين الاطراف. وعن ذلك؛ اقتضى صفر الاختيار ومعارضة الاقتدار، إننا قد صممنا النية أننا بنصف نيسان المبارك يتحرك ركابنا السعيد لمقابلة الفجرة البغاة والكفرة الطغاة وإن شاء الله الملك الجبار نشكلهم، وندمرهم أعظم دمار بحول الواحد القهار المعين للإسلام، وواصل إليكم دفتر ممهور بطلب ذخيرة حسب الأمر السلطانى للعسكر المنصور العثمانى، تباشروه بسرعة ولا تحجبوا أخباركم عنا والسلام.

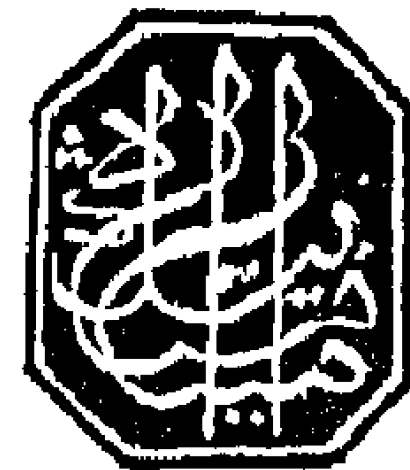


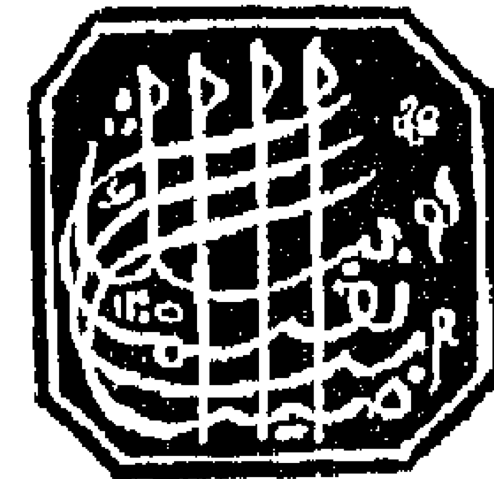

* معركة سيدى جابر ١٣ مارس سنة ١٨٠١

ولما وردت هذه الأخبار مصر ـ حصل للناس انزعاج ، وعول أكثرهم على الفرار والهجاج.



* مراد بك





* ختم مراد بك وختم ابراهيم بك

وأما ما كان من حال الأمرا بمصر فإن إبراهيم بك ركب إلى قصر العينى وحضر عنده مراد بك من الجيزة لأنه كان مقيما بها، واجتمع باقى الأمرا والعلما والقاضى، وتكلموا فى شأن هذا الأمر الحادث ـ فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مكاتبة بخبر هذا الحادث إلى إسلامبول، وأن مراد بك يجهز العساكر، ويخرج لملاقاتهم وحربهم، وانفض المجلس على ذلك، وكتبوا المكاتبة وأرسلها بكر باشا مع رسوله على طريق البر ليأتيه بالترياق من العراق، وأخذوا فى الاستعداد للثغر وقضا اللوازم والمهمات فى مدة خمسة أيام، فصاروا يصادرون الناس، ويأخذون أغلب ما يحتاجون إليه بدون ثمن، ثم ارتحل مراد بك بعد صلاة الجمعة، وبرز خيامه ووطاقة إلى الجسر الأسود [بالجيزة] فمكث به يومين حتى تكامل العسكر وصناجقه وعلى باشا الطرابلسى وناصف

باشا؛ فإنهم كانوا من أخصايه ومقيمين معه بالجيزة، وأخذ معه عدة كثيرة من المدافع والبارود، وسار من البر مع العساكر الخيالة، وأما الرجالة وهم الألداشات(*) القلينجية والأروام والمغاربة، فإنهم ساروا فى البحر مع الغلايين الصغار التى أنشاها الأمير المذكور.

ولما ارتحل من الجسر الأسود [عند الجيزة] أرسل إلى مصر يأمر بعمل سلسلة من الحديد فى غاية الثخن والمتانة طولها مائة ذراع وثلاثون ذراعا لتنصب على البغاز عند برج مغيزل [عند رشيد] من البر إلى البر لتمنع مراكب الفرنسيس من العبور لبحر النيل، وذلك بإشارة على باشا، وأن يعمل عندها جسر من المراكب، وينصب عليها متاريس ومدافع ظنا منهم أن الإفرنج لا يقدرون على محاربتهم فى البر، وأنهم يعبرون فى المراكب ويقاتلونهم وهم فى المراكب، وأنهم يصابرونهم ويطاولونهم فى القتال حتى تأتيهم النجدة.

وكان الأمر بخلاف ذلك ـ فإن الفرنسيس عندما ملكوا الإسكندرية ساروا على طريق البر الغربى من غير ممانع، وفى أثنا خروج مراد بك والحركة ـ بدت الوحشة فى الأسواق وكثر الهرج بين الناس والإرجاف، وانقطعت الطرق، وأخذت الحرامية فى كل ليلة تطرق أطراف البلد، وانقطع مشى الناس من المرور فى الطرق والأسواق من المغرب. فنادى الأغا والوالى بفتح الأسواق والقهاوى ليلا، وتعليق القناديل على البيوت والدكاكين. وذلك لأمرين: الأول ذهاب الوحشة من القلوب وحصول الاستيناس، والثانى الخوف من الدخيل فى البلد.

(*) الالداشات: من التركية يولداش (يول) أى الطريق و(دانش) أداة المشاركة، واليولداش هو الرفيق فى الطريق. وتطلق على الزملاء وأعضاء الحزب الواحد وجمعها فى العامية المصرية (ألاديش) ولهم فرقة من المشاة سلاحهم السيوف.
أما القلينجية فهم العسكر البحرية من الالداشات.

*الفرنساوية تحتل الاسكندرية



الجبرتى/ سنة ١٢١٣م

وفى يوم الاثنين: وردت الأخبار بأن الفرنسيس وصلوا إلى دمنهور ورشيد* وخرج معظم أهل تلك البلاد على وجوههم ـ فذهبوا إلى فوة ونواحيها، والبعض طلب الأمان، وأقام ببلده وهم العقلا. وقد كانت الفرنسيس حين حلولهم بالإسكندرية كتبوا مرسوما وطبعوه، وأرسلوا منه نسخًا إلى البلاد التى يقدمون عليها تطمينا لهم، ووصل هذا المكتوب مع جملة من الأسارى* [المغاربة] الذين وجدوهم [الفرنسيس] بمالطة، وحضروا صحبتهم، وحضر منهم جملة إلى بولاق، وذلك قبل وصول الفرنسيس بيوم أو بيومين ومعهم منه عدة نسخ، ومنهم مغاربة، وفيهم جواسيس، وهم على شكلهم من كفار مالطة ، ويعرفون باللغات.

* وصول الفرنسيس إلى دمنهور ورشيد.

وصورة ذلك المكتوب: *

بسم الله الرحمن الرحيم: لا إله إلا الله، لا ولد له ولا شريك له فى ملكه ـ من طرف الفرنساوية المبنى على أساس الحرية والتسوية السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية بونابارته.

يعرف أهالى مصر جميعهم أن من زمان مديد ـ الصناجق الذين يتسلطون فى البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنساوية، ويظلمون تجارها بأنواع الإيذا والتعدى، فحضر الآن ساعة عقوبتهم، وأخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الأبازة والجراكسة يفسدون فى الإقليم الحسن الأحسن الذى لا يوجد فى كرة الأرض كلها ـ فأمّا ربُّ العالمين القادر على

(*) اسرى مالطة: كانت مالطة حتى استيلاء نابليون عليها تحت حكم فرسان القديس يوحنا الذين عملوا على القرصنة البحرية ضد السفن الإسلامية، وأدى ذلك بالتالى إلى وقوع العديد من الاسرى المسلمين فى ايديهم، وكان بعض الحكام المسلمين يتدخلون لفداء هؤلاء الاسرى. مثلما حدث من مولاى محمد حاكم مراكش فى عام ١٧٦٧م الذى ارسل نائبه بأموال إلى مالطة حيث حرر ٣٦ من اسرى المسلمين. وقد استولى عليها بونابرت وهو فى طريقه إلى مصر حيث اطلق سراح اسرى المسلمين فيها وجاءوا معه إلى القاهرة.

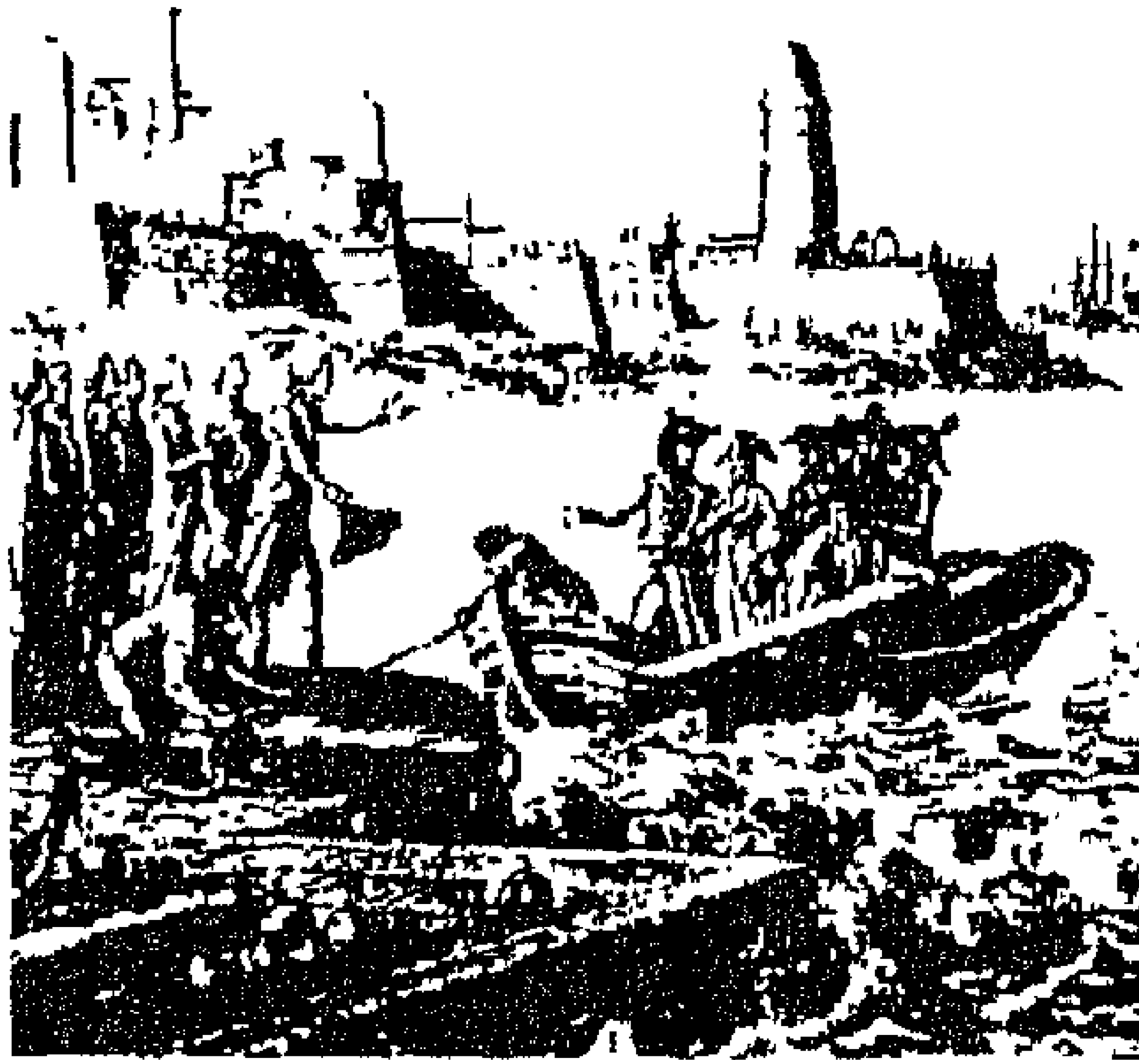
* كتب هذا المنشور وبونابرت فى سفينة القيادة لوريان وترجمه المستشرق ڤينتور دو پارادى وهو على علم جيد بشؤن مصر التى عاش فيها سنوات عديدة فى عهد على بك كما انه احد واضعى خطط فتح مصر. وبمقارنة المنشور مع ما نشره هنرى لورنس يلاحظ اختلاف فى كلمتين فقط وهما. كلمة يتسلطون كما نشرها الجبرتى ولكن فى النص الذى أورده لورنس يتسلطنون وكلمة الإيذاء التى اوردها الجبرتى هى البلص فى نص لورنس.

كل شيء فإنه قد حكم على انقضاء دولتهم. يا أيها المصريون قد قيل لكم إننى ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح فلا تصدقوه، وقولوا للمفترين إننى ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين، وإننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى، وأحترم نبيه، والقرآن العظيم.

٦٧ لمزيد من المعلومات راجع هنرى لورنس. الحملة الفرنسية فى مصر. ترجمة بشير السباعى - دار سينا للنشر - القاهرة ١٩٩٥ ص ١٣١ ومابعدها.

وقولوا أيضا لهم إن جميع الناس متساوون عند الله، وإن الشى الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضايل والعلوم فقط، وبين المماليك والعقل والفضايل تضارب، فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يتملكوا مصر وحدهم، ويختصوا بكل شى أحسن فيها من الجوارى الحسان والخيل العتاق والمساكن المفرحة! فإن كانت الأرض المصرية التزاما للمماليك فليرونا الحجة التى كتبها الله لهم! ولكن رب العالمين رءوف وعادل وحليم. ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعدا لا ييأس أحد من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية، وعن اكتساب المراتب العالية. فالعلما والفضلا والعقلا بينهم سيدبرون الأمور، وبذلك يصلح حال الأمة كلها. وسابقًا كان فى الأراضى المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر، وما أزال ذلك كله إلا الظلم والطمع من المماليك.

* احتلال مالطة.



أيها المشايخ والقضاة والأيمة والجربجية وأعيان البلد - قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون، وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا فى رومية الكبرى وخربوا فيها كرسى البابا الذى كان دايما يحث النصارى على محاربة الإسلام، ثم قصدوا جزيرة مالطة، وطردوا منها الكوالليرية [فرسان

القديس يوحنا] الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين، ومع ذلك الفرنساوية فى كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثمانى، وأعدا أعدايه ـ أدام الله ملكه ـ ومع ذلك إن المماليك امتنعوا من إطاعة السلطان غير ممتثلين لأمره. فما أطاعوا أصلا إلا لطمع أنفسهم. طوبى ثم طوبى لأهالى مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير، فيصلح حالهم وتعلى مراتبهم، طوبى أيضا للذين يقعدون فى مساكنهم غير مايلين لأحد من الفريقين المتحاربين. فإذا عرفونا بالأكثر تسارعوا إلينا بكل قلب. لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك فى محاربتنا، فلا يجدون بعد ذلك طريقًا إلى الخلاص، ولا يبقى منهم أثر.

المادة الأولى: جميع القرى الواقعة فى دايره قريبه بثلاث ساعات عن المواضع التى يمر بها عسكر الفرنساوية فواجب عليها أن ترسل للسر عسكر من عندها وكلا كيما يعرف المشار إليه أنهم أطاعوا، وأنهم نصبوا علم الفرنساوية الذى هو أبيض وكحلى وأحمر.

المادة الثانية: كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوى تحرق بالنار.

المادة الثالثة: كل قرية تطيع العسكر الفرنساوى أيضا تنصب صنجاق [علم] السلطان العثمانى محبنا دام بقاه.

المادة الرابعة: المشايخ فى كل بلد يختمون حالا جميع الأرزاق والبيوت والأملاك التى تتبع المماليك، وعليهم الاجتهاد التام لئلا يضيع أدنى شى منها.

* قلعة مالطة.

* خط سير الحملة الفرنسية حتى الرحمانيه ودمنهور وشبراخيت

الجبرتى/ سنة ١٢١٣م

المادة الخامسة: الواجب على المشايخ والعلما والقضاة والأيمة أنهم يلازمون وظايفهم، وعلى كل أحد من أهالى البلدان أن يبقى فى مسكنه مطمينا، وكذلك تكون الصلاة قايمة فى الجوامع على العادة. والمصريون بأجمعهم ينبغى أن يشكروا الله سبحانه وتعالى لإنقضا دولة المماليك قايلين بصوت عال. أدام الله إجلال السلطان العثمانى، أدام الله إجلال السلطان العثمانى، أدام الله إجلال العسكر الفرنساوى. لعن الله المماليك، وأصلح حال الأمة المصرية*.

* لاحظ هنا مصطلح (الأمة المصرية).

تحريرا بمعسكر إسكندرية فى ١٣ شهر مسيدور سنة ٦ من إقامة الجمهور الفرنساوى يعنى: فى آخر شهر محرم سنة ١٢١٣ هجرية اهـ بحروفه.



* الشيخ بونابرته.

وفى يوم الخميس الثانى والعشرين من الشهر وردت الأخبار بأن الفرنسيس وصلوا إلى نواحى فوة، ثم إلى الرحمانية.

---

## واستهل شهر صفر سنة ١٢١٣هـ
## (١٥ يوليو ١٧٩٨م)

وفى يوم الأحد: غرة شهر صفر وردت الأخبار بأن فى يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر محرم التقى العسكر المصرى مع الفرنسيس، فلم تكن إلا ساعة وانهزم مراد* بك ومن معه، ولم يقع قتال صحيح، وإنما هى مناوشة من طلايع العسكرين بحيث لم يقتل إلا القليل من الفريقين، واحترقت مراكب مراد بك بما فيها من الجبخانة والآلات الحربية، واحترق بها ريس الطبجية خليل الكردلى، وكان قد قاتل فى البحر قتالا عجيبا، فقدر الله أن علقت نار بالقلع وسقط منها نار إلى البارود، فاشتعلت جميعها بالنار،

* هزيمة مراد بك فى أول لقاء له مع الفرنسيس واحتراق سفن البارود التابعة له وحدوث ذعر شديد بين صفوف مماليكه.

واحترقت المركب بما فيه من المحاربين وكبيرهم، وتطايروا في الهواء.

فلما عاين ذلك مراد بك داخله الرعب، وولىّ منهزما، وترك الأثقال والمدافع وتبعته عساكره، ونزلت المشاه في المراكب، ورجعوا طالبين مصر، ووصلت الأخبار بذلك إلى مصر. فاشتد انزعاج الناس، وركب إبراهيم بك إلى ساحل بولاق، وحضر الباشا والعلما وروس الناس، واعملوا رأيهم في هذا الحادث العظيم، فاتفق رأيهم على عمل متاريس من بولاق إلى شبرا، ويتولى الإقامة ببولاق إبراهيم بك وكشافه ومماليكه ـ وقد كانت العلما عند توجه مراد بك تجتمع بالأزهر كل يوم، ويقرون* البخارى وغيره من الدعوات، وكذلك مشايخ فقرا الأحمدية والرفاعية والبراهمة والقادرية والسعدية وغيرهم من الطوايف وأرباب الأشاير، ويعملون لهم مجالس بالأزهر، وكذلك أطفال المكاتب، ويذكرون الاسم اللطيف وغيره من الاسما.

* المشايخ والعلما يقرون البخارى لنصرة الأمرا المماليك على الفرنسيس..

وفي يوم الاثنين: حضر مراد بك إلى بر إنبابة، وشرع في عمل متاريس هناك ممتدة إلى بشتيل [بانبابه]، وتولى ذلك هو وصناجقه وأمراه وجماعة من خشداشينه، واحتفل في ترتيب ذلك وتنظيمه بنفسه هو وعلى باشا الطرابلسى ونصوح باشا، وأحضروا المراكب الكبار والغلايين التى أنشاها بالجيزة، وأوقفها على ساحل إنبابة، وشحنها بالعساكر والمدافع فصار البر الغربى والشرقى مملوين بالمدافع والعساكر والمتاريس* والخيالة والمشاة، ومع ذلك فقلوب الأمرا لم تطمين بذلك، فإنهم من حين وصول الخبر لهم من

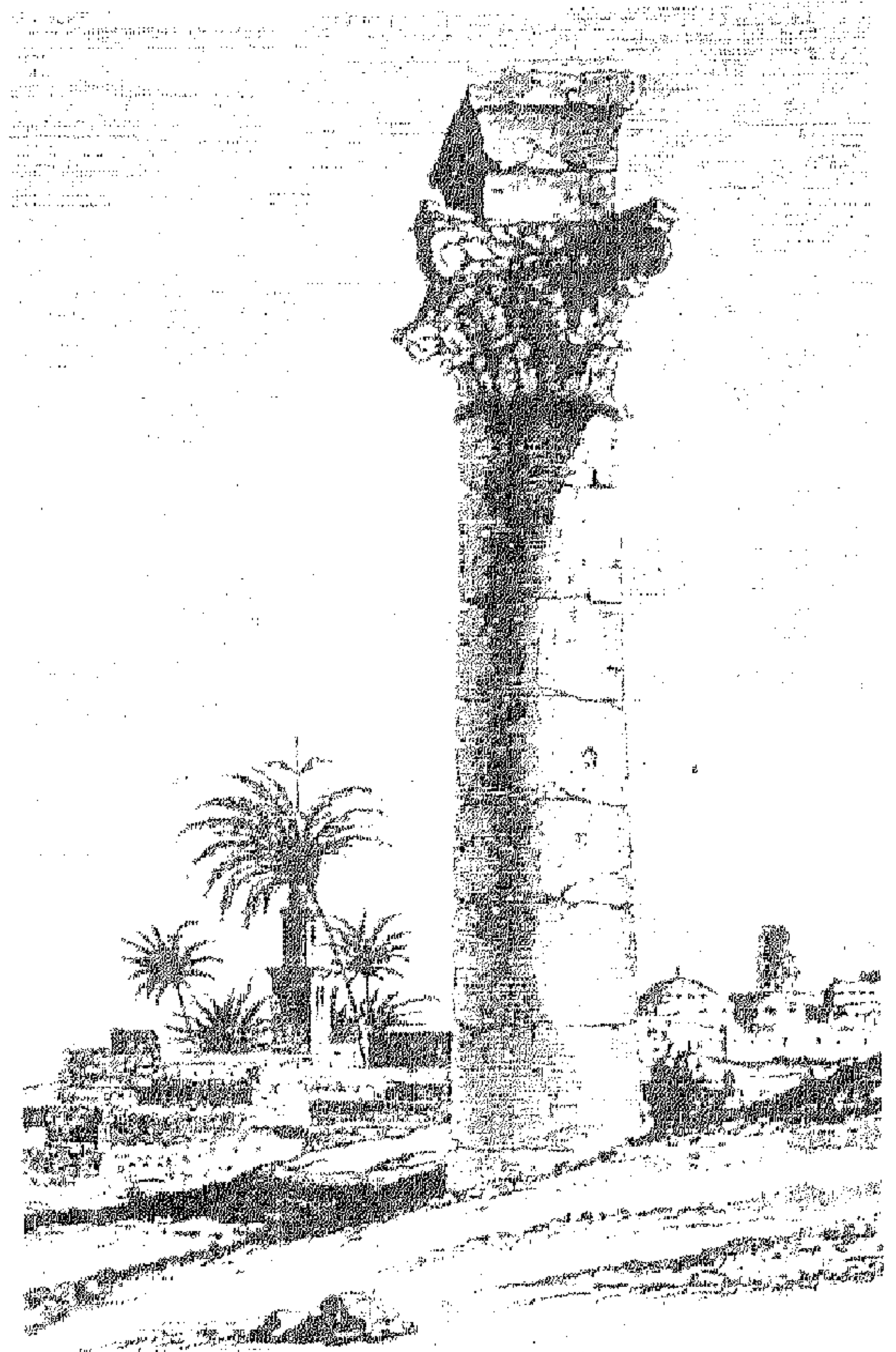
* استعدادات عسكرية ضخمة لملاقاة الفرنسيس فى نفس الوقت الذى أعد الأمرا المماليك أمورهم للهرب.

الإسكندرية شرعوا فى نقل أمتعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة إلى البيوت الصغار التى لا يعرفها أحد، واستمروا طول الليالى ينقلون الأمتعة ويوزعونها عند معارفهم وثقاتهم، وأرسلوا البعض منها لبلاد الأرياف، وأخذوا أيضا فى تشهيل الأحمال، واستحضار دواب للشيل، وأدوات الارتحال.

فلما رأى أهل البلدة منهم ذلك داخلهم الخوف الكثير والفزع، واستعد الأغنيا وأولو المقدرة للهروب، ولولا أن الأمرا منعوهم من ذلك وزجروهم وهددوا من أراد النقلة لما بقى بمصر منهم أحد.

وفى يوم الثلاثا: نادوا بالنفير العام وخروج الناس للمتاريس وكرروا المناداة بذلك كل يوم، فأغلق الناس الدكاكين والأسواق، وخرج الجميع لبرّ بولاق، فكانت كل طايفة من طوايف أهل الصناعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خيامًا، أو يجلسون فى مكان خرب أو مسجد ويرتبون لهم فيما يصرف عليهم ما يحتاجون له من الدراهم التى جمعوها من بعضهم، وبعض الناس يتطوع بالإنفاق على البعض الآخر، ومنهم من يجهز جماعة من المغاربة أو الشوام بالسلاح والأكل وغير ذلك، بحيث إن جميع الناس بذلوا وسعهم وفعلوا ما فى قوتهم وطاقتهم وسمحت نفوسهم بإنفاق أموالهم، فلم يشح فى ذلك الوقت أحد بشى يملكه، ولكن لم يسعفهم الدهر، وخرجت الفقرا وأرباب الأشاير بالطبول والزمور والأعلام والكاسات، وهم يضجون ويصيحون ويذكرون بأذكار مختلفة.

* جنود الحملة الفرنسية فى مراكب نيلية متوجهة من الاسكندرية إلى امبابه



* عمود السوارى بالاسكندرية سمى بهذا الاسم غالباً لان الفرنساوية دفنت تحته قتلاها من سوارى العسكر.

* اضطراب الأحوال فى القاهرة والأقاليم.

وصعد السيد عمر أفندى [مكرم] نقيب الأشراف إلى القلعة، فأنزل منها بيرقًا كبيراً سمته العامة البيرق النبوى، فنشره بين يديه من القلعة إلى بولاق وأمامه وحوله ألوف من العامة بالنبابيت والعصى، يهللون ويكبرون، ويكثرون من الصياح ومعهم الطبول والزمور وغير ذلك.

وأما مصر فإنها باقية خالية الطرق لا تجد بها أحداً سوى النسا فى البيوت والصغار وضعفا الرجال الذين لا يقدرون على الحركة فإنهم مستترون مع النسا فى بيوتهم، والأسواق مصفرة والطرق مجفرة من عدم الكنس والرش، وغلا سعر البارود والرصاص بحيث بيع الرطل البارود بستين نصفا والرصاص بتسعين، وغلا جنس أنواع السلاح، وقل وجوده، وخرج معظم الرعايا بالنبابيت والعصى والمساوق، وجلس مشايخ العلما بزاوية على بك ببولاق يدعون ويبتهلون إلى الله بالنصر، وأقام غيرهم من الرعايا: البعض بالبيوت والبعض بالزوايا، والبعض فى الخيام.

ومحصل الأمر أن جميع* من بمصر من الرجال تحول إلى بولاق، وأقام بها من حين نصب إبراهيم بك العرضى هناك إلى وقت الهزيمة سوى القليل من الناس الذين لا يجدون لهم مكانًا ولا مأوى، فيرجعون إلى بيوتهم يبيتون بها ثم يصبحون إلى بولاق.

وأرسل إبراهيم بك إلى العربان المجاورة لمصر، ورسم لهم أن يكونوا فى المقدمة بنواحى شبرا وما والاها. وكذلك اجتمع عند مراد بك الكثير من عرب البحيرة والجيزة والصعيد والخبيرية والقيعان وأولاد على والهنادى وغيرهم، وفى كل

يوم يتزايد الجمع ويعظم الهول ويضيق الحال بالفقرا الذين يحصلون أقواتهم يوما فيوما لتعطل الأسباب واجتما ع الناس كلهم فى صعيد واحد.

وانقطعت الطرق وتعدى الناس بعضهم على بعض لعدم التفات الحكام واشتغالهم بما دهمهم.

وأما بلاد الأرياف فإنها قامت على ساق يقتل بعضهم بعضا، وينهب بعضهم بعضا، وكذلك العرب* غارت على الأطراف والنواحى، وصار قطر مصر من أوله إلى آخره فى قتل ونهب وإخافة طريق وقيام شر وإغارة على الأموال وإفساد المزارع وغير ذلك من أنوا ع الفساد الذى لا يحصى، وطلب أمرا مصر التجار من الافرنج بمصر فحبسوا بعضهم بالقلعة، وبعضهم بأماكن الأمرا، وصاروا يفتشون فى محلات الافرنج على الاسلحة وغيرها، وكذلك يفتشون بيوت النصارى الشوام والأقباط والأروام والكنايس والأديرة على الأسلحة، والعامة لا ترضى إلا أن يقتلوا النصارى واليهود فيمنعهم الحكام عنهم، ولولا ذلك المنع لقتلتهم العامة وقت الفتنة.

* البدو العرب ينتهزون اضطراب الأحوال وانصراف الناس للحرب ويقومون بأعمال السلب والنهب.



ثم فى كل يوم تكثر الاشاعة بقرب الفرنسيس إلى مصر، وتختلف الناس فى الجهة التى يقصدون المجى منها: فمنهم من يقول إنهم واصلون من البر الغربى، ومنهم من يقول بل يأتون من الشرقى، ومنهم من يقول بل يأتون من الجهتين. هذا وليس لأحد من أمرا العساكر همة أن يبعث جاسوسا أو طليعة تناوشهم* القتال قبل دخولهم وقربهم ووصولهم إلى فناء المصر، بل كل من إبراهيم بك ومراد بك جمع

* إهمال الامراء المماليك لأمور الحرب.

عسكره ومكث مكانه لا ينتقل عنه ينتظر ما يفعل بهم، وليس ثَمّ قلعة ولا حصن ولا معقل، وهذا من سوء التدبير وإهمال أمر العدو.

ولما كان يوم الجمعة سادس الشهر وصل الفرنسيس إلى الجسر الأسود، وأصبح يوم السبت فوصلوا إلى أم (*) دينار فعندها اجتمع العالم العظيم من الجند والرعايا والفلاحين المجاورة بلادهم لمصر، ولكن الأجناد متنافرة قلوبهم، منحلة عزايمهم، مختلفة آراهم، حريصون على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم، مختالون في ريشهم مغترون بجمعهم، محتقرون شأن عدوهم، مرتبكون في رويتهم، مغمورون في غفلتهم*. وهذا كله من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم، وقد كان الظن بالفرنسيس أن يأتوا من البرين؛ بل أشيع في عرضى إبراهيم بك أنهم قادمون من الجهتين، فلم يأتوا إلا من البر الغربي.

* أم دينار. قرية من قرى مركز إمبابه. محافظة الجيزة.

* اسباب خذلان جند المماليك من وجهة نظر الجبرتي.

ولما كان وقت القايلة: ركب جماعة من العساكر التي بالبر الغربي، وتقدموا إلى ناحيه بشتيل* بلدة مجاورة لإنبابة فتلاقوا مع مقدمة الفرنسيس، فكروا عليهم بالخيول فضربهم الفرنسيس ببنادقهم المتتابعة الرمي، وأبلى الفريقان، وقتل أيوب بك الدفتردار وعبد الله كاشف الجرف، وعدة كثيرة من كشاف محمد بك الألفي ومماليكهم وتبعهم طابور من الإفرنج في نحو الستة آلاف وكبيره (ويزه)* الذى ولى على الصعيد بعد تملكهم.

* التصادم امام بشتيل (معركة الأهرام).

* ويزه. صواب الاسم. ديزيه ويظهر أن ويزه هو الاسم الذى كانت العامة تطلقه عليه

وأما بونابارته الكبير فإنه لم يشاهد الواقعة، بل حضر بعد الهزيمة، وكان بعيداً عن هولا بكثير. ولما قرب طابور



الفرنسيس من متاريس مراد بك ترامى الفريقان بالمدافع، وكذلك العساكر المحاربون البحرية، وحضر عدة وافرة من عساكر الأرنؤد من دمياط وطلعوا إلى إنبابة، وانضموا إلى المشاة، وقاتلوا معهم فى المتاريس، فلما عاين وسمع عسكر البر الشرقى القتال ـ ضج العامة والغوغا من الرعية وأخلاط الناس بالصياح ورفع الأصوات بقولهم: يارب يالطيف، ويارجال الله، ونحو ذلك وكأنهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم وجلبتهم. فكان العقلا من الناس يصرخون عليهم، ويأمرونهم بترك ذلك. ويقولون لهم إن الرسول والصحابة والمجاهدين إنما كانوا يقاتلون بالسيف والحراب وضرب الرقاب، لا برفع الأصوات والصراخ والنباح، فلا يستمعون، ولا يرجعون عما هم فيه، ومن يقرا ومن يسمع!



وركب طايفة كبيرة من الأمرا والأجناد من العرض الشرقى، ومنهم إبراهيم بك الوالى، وشرعوا فى التعدية إلى البر الغربى فى المراكب، فتزاحموا على المعادى لكون التعدية من محل واحد، والمراكب قليلة جدا، فلم يصلوا إلى البر الآخر حتى وقعت الهزيمة على المحاربين.



هذا والريح النكباء اشتد هبوبها، وأمواج البحر فى قوة اضطرابها، والرمال يعلو غبارها، وتنسفها الريح فى وجوه المصريين فلا يقدر أحد أن يفتح عينيه من شدة الغبار، وكون الريح من ناحية العدو، وذلك من أعظم أسباب الهزيمة كما هو منصوص عليه.

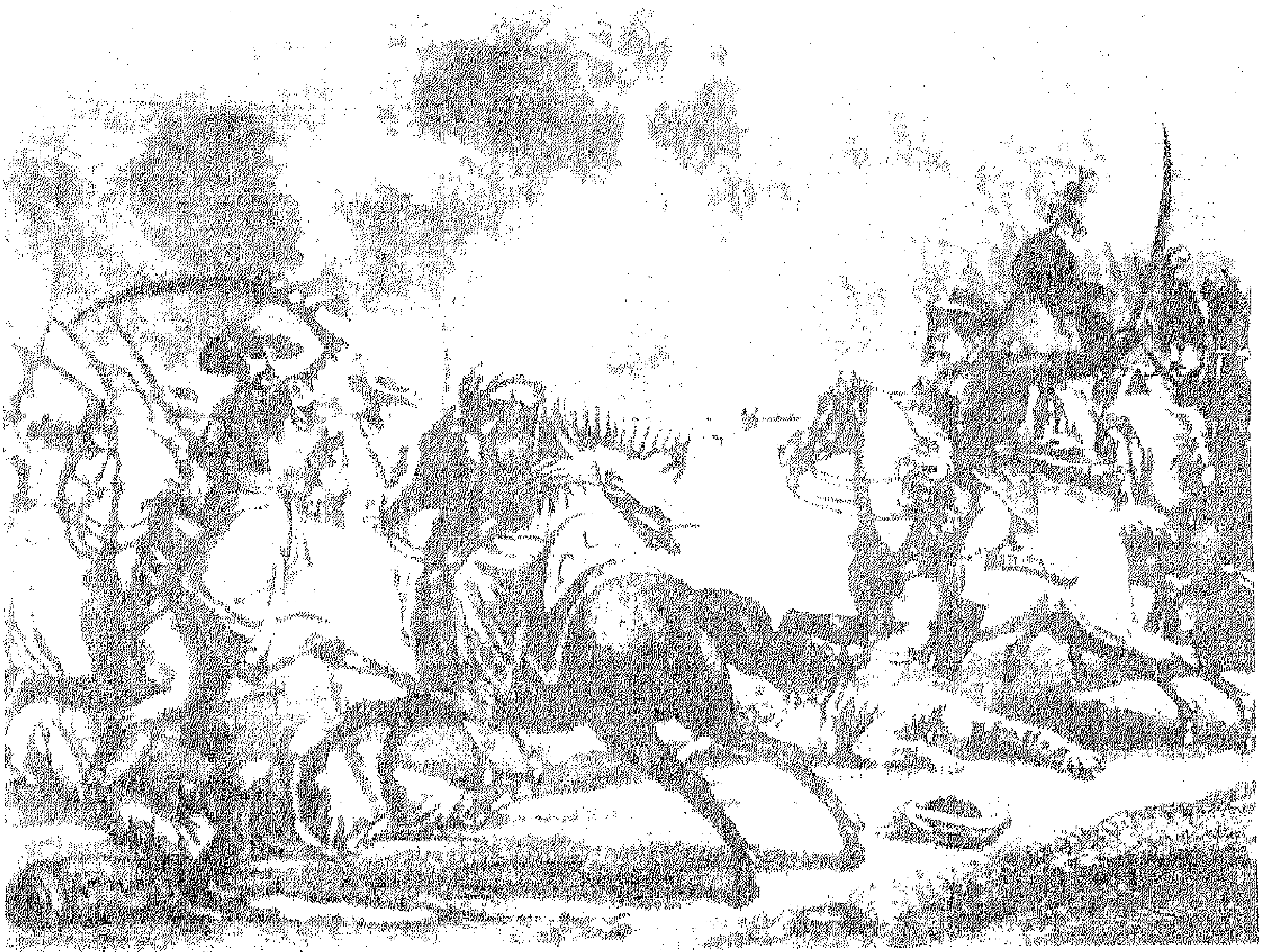


* من جنود الحملة الفرنسية. من أعلى لأسفل (سارى عسكر، طبجية، فرسان قواد كتائب.

ثم إن الطابور الذى تقدم لقتال مراد بك انقسم على كيفية معلومة* عندهم فى الحرب، وتقارب من المتاريس بحيث صار محيطا بالعسكر من خلفه وأمامه ودق طبوله، وأرسل

* تكتيكات الحرب الفرنسية واستخدام الطابور فى الالتفاف والحصار.





الجبرتي/ سنة ١٢١٣م



* معركة امبابة (الأهرام) ديرى بونابرت فى اقصى يمين اللوحة على جواده. (لوحة حديثة)
* لوحة من وصف مصر عن معركة امبابة ديرى بونابرت فى يمين اللوحة.
* لوحة أخرى لمعركة أمبابة معاصر لعهدها



بنادقه المتتالية والمدافع واشتد هبوب الريح، وانعقد الغبار، وأظلمت الدنيا من دخان البارود وغبار الرياح، وصمت الأسماع من توالي الضرب، بحيث خُيِّل للناس أن الأرض تزلزلت والسما عليها سقطت. واستمر الحرب والقتال نحو ثلاثة أرباع ساعة، ثم كانت هذه الهزيمة على العسكر الغربي، فغرق الكثير من الخيالة في البحر لإحاطة العدو بهم وظلام الدنيا، والبعض وقع أسيراً في أيدي الفرنسيس وملكوا المتاريس وفر مراد بك ومن معه إلى* الى الجيزة، فصعد إلى قصره وقضى بعض أشغاله، في نحو ربع ساعة ثم ركب وذهب إلى الجهة القبلية، وبقيت القتلى والثياب والأمتعة والأسلحة والفرش ملقاة على الأرض ببر إنبابة تحت الأرجل(*).



* فرار مراد بك.

* وهذه المعركة هي التي يطلق عليها الفرنسيون اسم «معركة الأهرام»

وكان من جملة من ألقى نفسه في البحر سليمان بك المعروف بالأغا، وأخوه إبراهيم بك الوالي. فأما سليمان بك فنجا، وغرق إبراهيم بك الصغير، وهو صهر إبراهيم بك الكبير، ولما انهزم العسكر الغربي حول الفرنسيس المدافع والبنادق على البر الشرقي، وضربوها ، وتحقق أهل البر الآخر الهزيمة، فقامت فيهم ضجة عظيمة، وركب في الحال إبراهيم بك والباشا والأمرا والعسكر والرعايا، وتركوا جميع الأثقال والخيام كما هي لم يأخذوا منها شيئاً*.



* هروب الباشا والأمراء إلى العادلية.

فأما إبراهيم بك والباشا والأمرا فساروا إلى جهة العادلية ، وأما الرعايا فهاجوا وماجوا ذاهبين إلى جهة المدينة، ودخلوها أفواجا أفواجا، وهم جميعا في غاية الخوف والفزع وترقب الهلاك، وهم يضجون بالعويل والنحيب، ويبتهلون إلى الله من شر هذا اليوم العصيب، والنسا يصرخن بأعلى أصواتهن



من البيوت، وقد كان ذلك قبل الغروب.

فلما استقر إبراهيم بك بالعادلية أرسل يأخذ حريمه وكذلك من كان معه من الأمرا؛ فأركبوا النسا: بعضهن على الخيول، وبعضهن على البغال! والبعض على الحمير والجمال، والبعض ماش كالجوارى والخدم.

واستمر معظم الناس طول الليل خارجين من مصر: البعض بحريمه، والبعض ينجو بنفسه، ولا يسأل أحد عن أحد، بل كل واحد مشغول بنفسه عن أبيه وابنه فخرج تلك الليلة معظم أهل مصر: البعض لبلاد الصعيد، والبعض لجهة الشرق، وهم الأكثر. وأقام بمصر كل مخاطر بنفسه لا يقدر على الحركة ممتثلا للقضا متوقعا للمكروه، وذلك لعدم قدرته وقلة ذات يده وما ينفقه على حمل عياله وأطفاله ويصرفه عليهم فى الغربة، فاستسلم للمقدور، ولله عاقبة الأمور.



والذى أزعج قلوب الناس بالأكثر أن فى عشا تلك الليلة شاع فى الناس أن الافرنج عدوا إلى بولاق وأحرقوها وكذلك الجيزة، وأن أولهم وصل إلى باب الحديد يحرقون ويقتلون ويفجرون بالنسا.

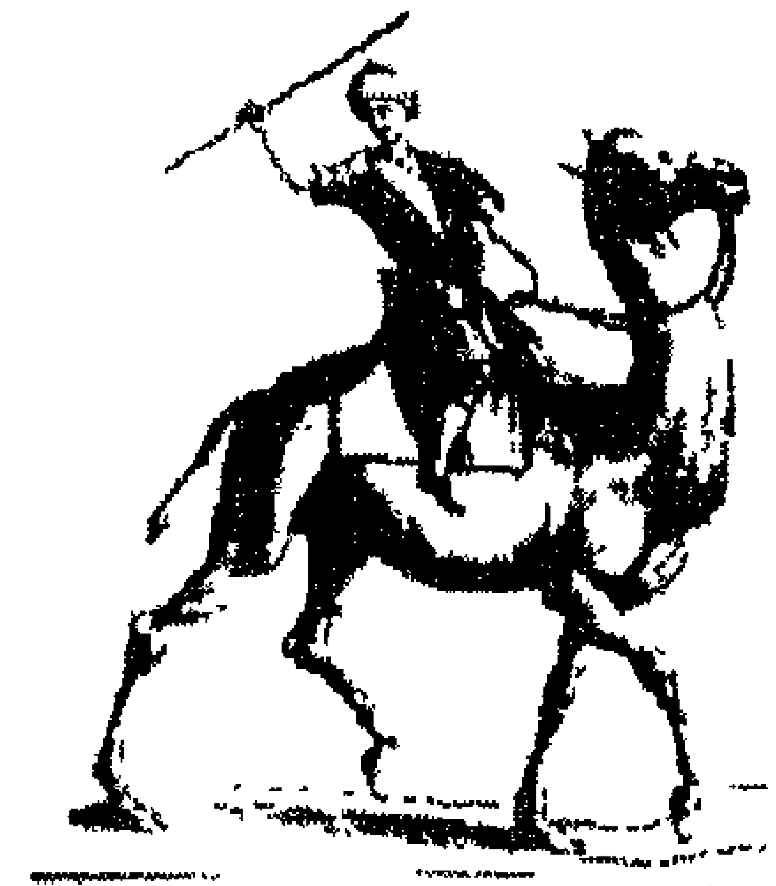
* مراد بك وعسكره يحرقون مراكبهم وبارودهم.

وكان السبب فى هذه الإشاعة أن بعض القلينجية من عسكر مراد بك الذى كان فى الغليون بمرسى إنبابة لما تحقق الكسرة أضرم النار فى الغليون الذى هو فيه، وكذلك مراد بك لما رحل من الجيزة أمر بانجرار الغليون الكبير من قبالة قصره ليصحبه معه إلى جهة قبلى، فمشوا به قليلا ووقف لقلة الماء فى الطين، وكان به عدة وافرة من آلات

الحرب والجبخانة فأمر بحرقه أيضاً، فصعد لهيب النار من جهة الجيزة وبولاق فظنوا بل أيقنوا أنهم أحرقوا البلدين فماجوا واضطربوا زيادة عما هم فيه من الفزع والروع والجزع، وخرج أعيان الناس وأفندية الوجاقات وأكابرهم ونقيب الأشراف، وبعض المشايخ القادرين، فلما عاين العامة والرعية ذلك اشتد ضجرهم وخوفهم، وتحركت عزايمهم للهروب واللحاق بهم*.

* وصف مأساوى لأحوال المصريين بسبب الحرب التى فر منها الباشا والمماليك وتركوهم نهبًا للفزع والرعب ونهب البدو العرب.

والحال أن الجميع لا يدرون أى طريق يسلكون، وأى جهة يذهبون، وأى محل يستقرون، فتلاحقوا وتسابقوا وخرجوا من كل حدب ينسلون، وبيع الحمار الأعرج أو البغل الضعيف بأضعاف ثمنه، وخرج أكثرهم ماشيا أو حاملا متاعه على راسه وزوجته حاملة طفلها، ومن قدر على مركوب أركب زوجته أو ابنته ومشى هو على أقدامه، وخرج غالب النسا ماشيات حاسرات وأطفالهن على أكتافهن يبكين فى ظلمة الليل، واستمروا على ذلك بطول ليلة الاحد وصبحها وأخذ كل إنسان ما قدر على حمله من مال ومتاع، فلما خرجوا من أبواب البلد، وتوسطوا الفلاة تلقتهم العربان والفلاحون، فأخذوا متاعهم ولباسهم وأحمالهم بحيث لم يتركوا لمن صادفوه ما يستر به عورته، أو يسد جوعته.



فكان ما أخذته العرب شيّاً كثيراً يفوق الحصر بحيث إن الأموال والذخاير التى جاءت من مصر فى تلك الليلة أضعاف ما بقى فيها بلا شك، لأن معظم الأموال عند الأمرا والأعيان وحريمهم وقد أخذوه صحبتهم، وغالب مساتير الناس وأصحاب المقدرة أخرجوا أيضا ما عندهم، والذى

أقعده العجز، وكان عنده ما يعز عليه من مال أو مصاغ أعطاه لجاره أو صديقه الراحل، ومثل ذلك أمانات وودايع الحجاج من المغاربة والمسافرين، فذهب ذلك جميعه، وربما قتلوا من قدروا عليه، أو دافع عن نفسه ومتاعه، وسلبوا ثياب النسا وفضحوهن وهتكوهن، وفيهم الخوندات* والأعيان، فمنهم من رجع من قريب، وهم الذين تأخروا فى الخروج، وبلغهم ما حصل للسابقين، ومنهم من جازف متكلا على كثرته وعزوته وخفارته ـ فسلم أو عطب، وكانت ليلة وصباحها فى غاية الشناعة جرى فيها ما لم يتفق مثله فى مصر، ولا سمعنا بما شابه بعضه فى تواريخ المتقدمين ـ فما راء كمن سمعا.

* الخوندات مفردها خونده وهى بفتح الخاء والواو وسكون النون. وهى فى الفارسية السيد العظيم والأمير واستعملت فى العربية لقبا بمعنى السيد وايضا السيدة. وهى هنا كذلك.

ولما أصبح يوم الأحد المذكور والمقيمون لا يدرون ما يفعل بهم ومتوقعون حلول الفرنسيس ووقوع المكروه ورجع الكثير من الفارين وهم فى أسوأ حال من الهرج والفزع، فتبين أن الإفرنج لم يعدوا إلى البر الشرقى، وأن الحريق كان فى المراكب المتقدم ذكرها، فاجتمع* فى الأزهر بعض العلما والمشايخ وتشاوروا، فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مراسلة إلى الإفرنج، وينتظروا ما يكون من جوابهم، ففعلوا ذلك، وأرسلوها صحبه شخص مغربى(*) يعرف لغتهم، وآخر صحبته، فغابا وعادا، فأخبر أنهما قابلا كبير القوم وأعطياه الرسالة، فقراها عليه ترجمانه، ومضمونها الاستفهام عن قصدهم. فقال على لسان الترجمان، وأين عظماكم ومشايخكم؟ لم تأخروا عن الحضور إلينا لنرتب لهم ما يكون فيه الراحة؟. وطمنهم وبشّ فى وجوههم فقالوا: نريد أمانا منكم! فقال: ارسلنا لكم سابقا، يعنون الكتاب المذكور، فقالوا وأيضاً لأجل اطمينان الناس*، فكتبوا لهم ورقة أخرى مضمونها:

* اجتماع بعض العلماء والمشايخ بالأزهر وارسالهم رسولاً إلى بونابرت لأخذ الأمان.

* يذكر نقولا الترك أن الرسل كانوا تجاراً فرنسيين وليس شخصا مغربيا كما ذكر الجبرتى هنا ـ راجع ـ نقولا الترك ملحق فى آخر هذا الجزء.

* بونابرت يعطى الأمان ويطلب حضور المشايخ ليرتب لهم ديواناً.



* مجازة الجيزة عند الفيضان.

من معسكر الجيزة خطابا لأهل مصر- إننا أرسلنا لكم فى السابق كتابا فيه الكفاية، وذكرنا لكم أننا ما حضرنا إلا بقصد إزالة المماليك الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والاحتقار، وأخذ مال التجار ومال السلطان، ولما حضرنا إلى البر الغربى خرجوا إلينا فقابلناهم بما يستحقون، وقتلنا بعضهم، وأسرنا بعضهم عندنا وهرب بعضهم، ونحن فى طلبهم حتى لم يبق أحد منهم بالقطر المصرى، وأما المشايخ والعلما وأصحاب المرتبات والرعية فيكونون مطمينين، وفى مساكنهم ومتاجرهم مرتاحين، إلى آخر ما ذكرناه. ثم قال لهم لازم أن المشايخ والشربجية يأتون إلينا لنرتب لهم ديوانا ننتخبه من سبعة أشخاص عقلاء يدبرون الأمور.

ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس وركب الشيخ مصطفى الصاوى* والشيخ سليمان الفيومى وآخرون إلى الجيزة فتلقاهم وضحك لهم، وقال: أنتم المشايخ الكبار؟

* وجه بونابرت إلى هذا الوفد خطاباً جاء فيه:
«يا أهل القاهرة، إننى راض عن مسلككم. فقد أحسنتم عملا بالامتناع عن الوقوف ضدى. لقد جيت للقضا على جنس المماليك ولحماية التجارة وأهل البلد».
فليطمين كل من انتابه الفزع، وليرجع كل من رحلوا إلى بيوتهم، وليجر أدا الصلاة اليوم كالمعتاد، فأنا أود أن تستمر على الدوام. لا تخافوا من شى

فأعلموه أن المشايخ الكبار خافوا وهربوا، فقال لأى شى يهربون؟ اكتبوا لهم بالحضور، ونعمل لكم ديوانا لأجل راحتكم وراحة الرعية وإجراء الشريعة.

فكتبوا منه عدة مكاتبات بالحضور والأمان، ثم انفصلوا من معسكرهم بعد العشا، وحضروا إلى مصر، واطمأن برجوعهم الناس، وكانوا فى وجل وخوف على غيابهم، وأصبحوا فأرسلوا الأمان إلى المشايخ، فحضر الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى، والمشايخ، ومن انضم إليهم من الناس الفارين من ناحية المطرية.

وأما عمر أفندى نقيب الأشراف فإنه لم يطمين، ولم يحضر، كذلك الروزنامجى. والأفندية(*)، وفى ذلك اليوم اجتمعت الجعيديه [اللصوص] وأوباش الناس، ونهبوا بيت إبراهيم بك ومراد بك اللذين بخطة قوصون وأحرقوهما، ونهبوا أيضًا عدة بيوت من بيوت الأمرا، وأخذوا ما فيها من فرش ونحاس وأمتعة وغير ذلك، وباعوه بأبخس الأثمان.

وفى يوم الثلاثا* [١٠ صفر ١٢١٣] : عدت الفرنساوية إلى بر مصر، وسكن بونابارته ببيت محمد بك الألفى بالأزبكية بخط الساكت الذى أنشاه الأمير المذكور فى السنة الماضية وزخرفه وصرف عليه أموالا عظيمة، وفرشه بالفرش الفاخرة. وعند تمامه وسكناه فيه حصلت هذه الحادثة، فأخلوه وتركوه بما فيه. فكأنه إنما كان يبنيه لأمير الفرنسيس.

وكذلك حصل فى بيت حسن كاشف جركس بالناصرية، ولما عدى كبيرهم وسكن بالأزبكية كما ذكر، استمر

على عايلاتكم وبيوتكم وممتلكاتكم، وخاصة على دين النبى الذى أحبه.
وبها
أن من الملحّ الا يعكر الطمأنينة شى فسوف يكون هناك ديوان من سبعة أشخاص سوف يجتمعون فى الجامع الأزهر. وسوف يوجد منهم هناك بشكل دايم اثنان إلى جانب قايد الموقع، وسوف يهتم أربعة بحفظ السكينة العامة والسهر على الأمن.
هنرى لورنس ـ مرجع سابق ص ١٥١.

* الافندية : مفردها افندى وهى كلمة تسربت من البيزانطيين إلى الأتراك السلاجقة، فاندمجت فى التركية، وفى النصف الثانى من القرن الخامس عشر، أطلقت عند الأتراك العثمانيين على المتعلم، وحلت محل كلمة جلبى على مر الأيام، وفى القرن التاسع عشر أطلقت رسميا على الأمرا العثمانيين، كما اطلقت على من علت رتبتهم من رجال الدين المسيحيين، وخوطب بهذا اللقب ضباط الجيش إلى رتبة البيك باشى.

* يذكر احمد حافظ عوض فى كتابه فتح مصر الحديث ص ١٥١ أن دخول بونابرت للقاهرة كان يوم الأربعاء ٢٥ يوليو ١١ صفر ١٢١٣هـ.

غالبهم بالبر الآخر، ولم يدخل المدينة إلا القليل منهم، ومشوا فى الأسواق من غير سلاح ولا تعدٍّ بل صاروا يضاحكون الناس، ويشترون ما يحتاجون إليه بأغلى ثمن، فيأخذ أحدهم الدجاجة، ويعطى صاحبها فى ثمنها ريال فرانسه*، ويأخذ البيضة بنصف فضة قياسًا على أسعار بلادهم،وأثمان بضايعهم. فلما رأى منهم العامة ذلك أنسوا بهم، واطمأنوا لهم، وخرجوا إليهم بالكعك وأنواع الفطير والخبز والبيض والدجاج، وأنواع المأكولات، وغير ذلك: مثل السكر الصابون والدخان والبن، وصاروا يبيعون عليهم بما أحبوا من الأسعار وفتح غالب السوقة الحوانيت والقهاوى.

* الريال الفرنسه: كان ثمنه يتراوح ما بين ٢٢٠، و ٢٤٠ نصف فضة.

وفي يوم الخميس* ثالث عشر صفر: أرسلوا بطلب المشايخ والوجاقلية عند قايمقام صارى عسكر.

* يوم الخميس يوافق ١٢ صفر ١٢١٣ هـ. وهذا خطأ عند الجبرتى وكذلك عند نقولا الترك.

فلما استقر بهم الجلوس خاطبوهم وتشاوروا معهم فى تعيين* عشرة أنفار من المشايخ للديوان وفصل الحكومات. فوقع الاتفاق على الشيخ عبد الله الشرقاوى، والشيخ خليل البكرى، والشيخ مصطفى الصاوى، والشيخ سليمان الفيومى، والشيخ محمد المهدى، والشيخ موسى السرسى، والشيخ مصطفى الدمنهورى، والشيخ أحمد العريشى، والشيخ يوسف الشبرخيتى والشيخ محمد الدواخلى. وحضر ذلك المجلس أيضًا مصطفى كتخدا بكر باشا، والقاضى، وقلدوا محمد أغا المسلمانى أغات مستحفظان، وعلى أغا الشعراوى والى الشرطة، وحسن أغا محرم أمين احتساب. وذلك بإشارة أرباب الديوان، فإنهم [أى

* نابليون يشكل ديوان حكومة مصر تحت رياسته من المشايخ:
* عبد الله الشرقاوى.
* خليل البكرى.
* مصطفى الصاوى.
* سليمان الفيومى.
* محمد المهدى.
* موسى السرسى.
* مصطفى الدمنهورى.
* أحمد العريشى.
* يوسف الشبرخيتى.
* محمد الدواخلى.
* مصطفى كتخدا.

الفرنسيس] كانوا ممتنعين من تقليد المناصب لجنس المماليك، فعرفوهم [أى المشايخ] أن سوقة مصر لا يخافون إلا من الأتراك، ولا يحكمهم سواهم، وهؤلاء المذكورون من بقايا البيوت القديمة الذين لا يتجاسرون على الظلم كغيرهم، وقلدوا ذا الفقار كتخدا محمد بك كتخدا بونابارتة، ومن أرباب المشورة الخواجا موسى [كافو] وكلا الفرنساوى، ووكيل الديوان حنا بينو [جان بنوا].

وفيه: اجتمع أرباب الديوان* عند ريسه، فذكر لهم ما وقع من نهب البيوت، فقالوا له هذا فعل الجعيدية وأوباش الناس، فقال: لأى شي يفعلون ذلك، وقد أوصيناكم بحفظ البيوت والختم على متاع المماليك! فقالوا: هذا أمر لا قدرة لنا على منعه، وإنما ذلك من وظيفة الحكام، فأمروا الأغا والوالى أن ينادوا بالأمان، وفتح الدكاكين والأسواق والمنع من النهب، فلم يستمعوا، ولم ينتهوا، واستمر غالب الدكاكين مغلقة والأسواق على حالها مقفره معطله، والناس غير مطمينين وقلوبهم مرجوفة مرجفه وصدورهم ضيقة، والتفت جماعة الفرنسيس إلى فتح البيوت التى للأمرا فصاروا يفتحون البيوت المغلوقة التى للأمرا، ودخولها، وأخذوا منها أشيا، وخرجوا وتركوها مفتوحة، فعندما يخرجون منها يدخلها طايفة الجعيدية، ويستأصلون ما فيها، واستمروا على ذلك عدة أيام، ثم إنهم تتبعوا بيوت الأمرا وأتباعهم وختموا على بعضها، وسكنوا بعضها، فكان الذى يخاف على داره من جماعة الوجاقلية، أو من أهل البلد يعلق له بنديرة على باب داره، أو يأخذ له ورقة من الفرنسيس بخطهم لا يعرف ما فيها ويلصقها على داره.

وفيه: قلدوا برطلمين* النصرانى الرومى، وهو الذى تسميه العامة فرط الرمان كتخدا مستحفظان، وركب بموكب من

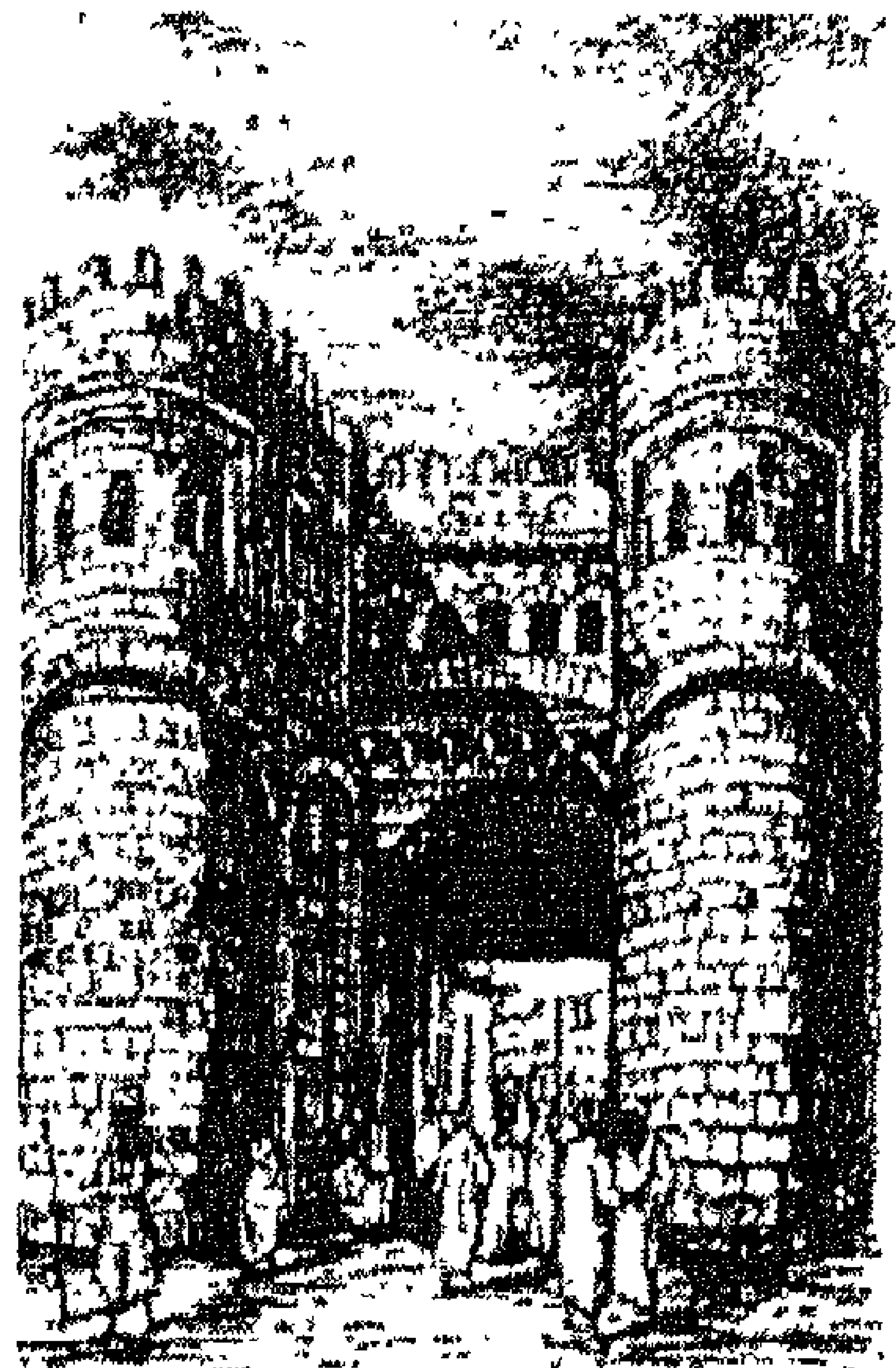
* اجتماع الديوان لبحث احوال الأمن
وقد وضع بونابرت النظام الآتى فى أمر له بتاريخ ٢٧ يوليو، ومحفوظ أصله فى مخابرات نابوليون بنمرة ٢٨٥٨ وهذا تعريبه:
«المادة الأولى ـ يشكل فى كل مديرية من مديريات القطر المصرى ديوان مؤلف من سبعة أعضاء للنظر فى شؤون الأهالى، وليعرضوا علىّ كل شكوى تقدم لهم، وليمنعوا التعديات التى تقع من الأهالى على بعضهم، وليراقبوا المشبوهين وليعاقبوهم إذا اقتضى الحال بطلب قوة من قومندان الجهة الفرنساوى وعلى هذا الديوان ارشاد الاهالى إلى ما يراه موافقا لمصلحتهم.
المادة الثانية ـ يقيم فى كل مديرية أغا من الانكشارية تكون علاقاته متواصلة مع القومندان الفرنساوى، وتكون تحت أمرته قوة مؤلفة من سبعين رجلا من أهالى البلاد مسلحين لكى يسيروا فى البلاد لتوطيد دعائم الامن وإدخال الناس فى دائرة الطاعة والطمأنينة.
المادة الثالثة ـ يقيم فى كل مديرية مدير لجباية أموال الميرى وتحصيل جميع ضرائب الاطيان وجمع ايرادات أملاك المماليك التى أصبحت الان ملكا للجمهورية الفرنسية، ويكون تحت إدارته العدد الكافى من العمال اللازمين لذلك.
المادة الرابعة ـ يعين مع المدير المشار إليه آنفا وكيل فرنساوى للمخابرة مع إدارة ديوان المالية ولتنفيذ الأوامر التى تصدر له من هذه الجهة ويكون تابعا لها» أ.هـ
ووضع نابوليون عدا ذلك مذكرة تقضى بتثبيت جميع الملاك فى أملاكهم
* تقليد برطملين (فرط الرمان). كتخدا مستحفظان.

بيت صارى عسكر، وأمامه عدة من طوايف الأجناد والبطالين مشاة بين يديه، وعلى رأسه حشيشة من الحرير الملون وهو لابس فروة بزّ عادة، وبين يديه الخدم بالحراب المفضضة، ورتب له بيوك باشى، وقلقات* عينوا لهم مراكز بأخطاط البلد يجلسون بها، وسكن المذكور ببيت يحيى كاشف الكبير بحارة عابدين، أخذه بما فيه من فرش ومتاع وجوارى، وغير ذلك.

* القلقات: مفردها قُلق. وهم الحراس على أبواب أصحاب المناصب، أو العسكر التابعين لهم [ويعرفون فى مصر باسم مشايخ الحارات].

والمذكور من أسافل نصارى الأروام العسكرية القاطنين بمصر، وكان من الطبجية عند محمد بك الألفى، وله حانوت بخط الموسكى يبيع فيه القوارير الزجاج أيام البطالة.

* باب الفتوح.



وقلدوا أيضًا شخصًا إفرنجيا وجعلوه أمين البحرين، وآخر جعلوه أغات الرسالة، وجعلوا الديوان ببيت قايد أغا بالأزبكية قرب الرويعى، وسكن به رئيس الديوان. وسكن «روتوى» قايمقام مصر ببيت إبراهيم بك الوالى المطل على بركة الفيل، وسكن شيخ البلد ببيت إبراهيم بك الكبير، وسكن «مجلون» ببيت مراد بك على رصيف الخشاب، وسكن بوسليك» مدبر الحدود ببيت الشيخ البكرى القديم، ويجتمع عنده النصارى القبط كل يوم، وطلبوا الدفاتر من الكتبة. ثم إن عساكرهم صارت تدخل المدينة شيأ فشيًا، حتى امتلأت منها الطرقات، وسكنوا فى البيوت*، ولكن لم يشوشوا على أحد، ويأخذون المشتروات بزيادة عن ثمنها، ففجر السوقة وصغروا أقراص الخبز وطحنوه بترابه، وفتح الناس عدة دكاكين بجوار مساكنهم يبيعون فيها أصناف المأكولات: مثل الطير والكعك والسمك المقلى واللحوم والفراخ المحمرة، وغير ذلك.

* العسكر الفرنسيس يتعامل مع الأهالى فى الأسواق.

وفتح نصارى الأروام* عدة دكاكين لبيع أنواع الأشربة وخمامير وقهاوى، وفتح بعض الإفرنج البلديين [المستوطنين] بيوتا يصنع فيها أنواع الأطعمة والأشربة على طرايقهم فى بلادهم، فيشترى الأغنام والدجاج والخضارات والأسماك والعسل والسكر وجميع اللوازم، ويطبخه الطباخون، ويصنعون أنواع الأطعمة والحلاوات، ويعمل على بابه علامة لذلك يعرفونها بينهم، فإذا مرت طايفة بذلك المكان تريد الأكل دخلوا إلى ذلك المكان. وهو يشتمل على عدة مجالس دون، وأعلى. وعلى كل مجلس علامته، ومقدار الدراهم التى يدفعها الداخل فيه، فيدخلون إلى ما يريدون من المجالس وفى وسطه دكة من الخشب، وهو الخوان التى يوضع عليها الطعام، وحولها كراسى، فيجلسون عليها، ويأتيهم الفراشون بالطعام على قوانينهم، فيأكلون ويشربون على نسق لا يتعدونه، وبعد فراغ حاجتهم يدفعون ما وجب عليهم من غير نقص ولا زيادة ويذهبون لحالهم.

* نصارى الأروام يفتحون مطاعم لبنى جنسهم من الفرنسيس.

وفيه: تشفع أرباب الديوان فى أسرى* المماليك فقبلوا شفاعتهم وأطلقوهم، فدخل الكثير منهم إلى الجامع الأزهر وهم فى أسوأ حال، وعليهم الثياب الزرق المقطعة، فمكثوا به يأكلون من صدقات الفقرا المجاورين به، ويتكففون المارين، وفى ذلك عبرة للمعتبرين.

* أرباب الديوان يتشفعون فى أسرى المماليك.

وفى يوم السبت، اجتمعوا بالديوان وطلبوا دراهم سلفة، وهى مقدار خمسماية ألف ريال من التجار المسلمين والنصارى القبط والشوام وتجار الإفرنج أيضا، فسألوا التخفيف فلم يجابوا، فأخذوا فى تحصيلها.

وفيه: نادوا: من أخذ شيًا من نهب البيوت يحضر به إلى بيت قايمقام، وإن لم يفعل وظهر بعد ذلك حصل له مزيد الضرر، ونادوا أيضاَ على نسا الأمرا بالأمان، وأنهن يسكن بيوتهن، وإن كان عندهن شى من متاع أزواجهن يظهرنه، فإن لم يكن عندهن شى من متاع أزواجهن يصالحن على أنفسهن ويأمنّ فى دورهن. فظهرت الست نفيسة* زوجة مراد بك، وصالحت عن نفسها وأتباعها من نسا الأمرا والكشاف بمبلغ قدرهماية وعشرون ألف ريال فرانسا. وأخذت فى تحصيل ذلك من نفسها وغيرها، ووجهوا عليها الطلب، وكذلك بقية النسا بالوسايط المتداخلين فى ذلك، كنصارى الشوام والإفرنج البلديين وغيرهم، فصاروا يعملون عليهن إرهاصات وتخويفات، وكذلك مصالحات على الغز والأجناد المختفين والغايبين والفارين، فجمعوا بذلك أموالا كثيرة، وكتبوا للغايبين أوراقاً بالأمان بعد المصالحة، ويختم على تلك الأوراق المتقيدون بالديوان.

وفى يوم الأحد: طلبوا الخيول والجمال والسلاح فكان شيا كثيرا، وكذلك الأبقار والأثوار، فحصل فيها أيضا مصالحات ، وأشاعوا التفتيش على ذلك، وكسروا عدة دكاكين بسوق السلاح وغيره، وأخذوا ما وجدوه فيها من الأسلحة. هذا وفى كل يوم ينقلون على الجمال والحمير من الأمتعة والفرش والصناديق والسروج وغير ذلك مما لا يحصى، ويستخرجون الخبايا والودايع، ويطلبون البنايين والمهندسين والخدام الذين يعرفون بيوت أسيادهم، بل يذهبون بأنفسهم ويدلونهم على أماكن الخبايا ومواضع الدفاين ليصير لهم بذلك قربة ووجاهة ووسيلة ينالون بها أغراضهم.

* ظهور الست نفيسة زوجة مراد بك ومصالحتها عن نفسها. وهى جركسية الاصل من بلاد الكرج. تسرى بها علي بك الكبير وبنى لها داراً مطلة علي بركة الأزبكية. ولما مات على بك تزوجت مراد بك، وبالرغم من هروبه إلى الصعيد عند دخول الحملة الفرنسية إلى مصر إلا أنها ظلت باقية بالقاهرة ومحترمة من رجال الحملة بسبب العلاقة الطيبة لزوجها (مراد بك) بالحملة الفرنسية بل وقبل الحملة، ذلك أن ماجلون قنصل فرنسا فى مصر قبل الحملة كان يهديها باسم الحكومة الفرنسية الهدايا الثمينة ومنها ساعة ذهبية مرصعة بالماس، وهى ذاتها التى قدمتها لرجال الحملة فيما بعد كفدية لها.

ولما مات مراد بك بالطاعون قبل خروج الفرنسيين تدهور بها الحال حتى إذا ما دخل العثمانيون القاهرة أهانوها على يد خورشيد باشا. ولعل أسوأ معاملة تلقتها قبل وفاتها فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٨١٦ = ٢٥ جماد أول ١٢٣١ هـ كانت على يد محمد على الذى صادر املاكها والتزاماتها.

وفيه : قبضوا على شيخ الجعيدية ومعه آخر، وبندقوا عليهما بالرصاص ببركة الأزبكية، ثم على آخرين أيضا بالرميلة، وأحضر النهابون أشيا كثيرة من الأمتعة التى نهبوها عندما داخلهم الخوف، ودل على بعضهم البعض.

وفى يوم الثلاثا: طلبوا أهل الحرف من التجار بالأسواق وقرروا عليهم دراهم على سبيل القرض والسلفة مبلغًا يعجزون عنه، وأجلوا لها أجلا مقداره ستون يوما، فضجوا واستغاثوا، وذهبوا إلى الجامع الأزهر والمشهد الحسينى وتشفعوا بالمشايخ، فتكلموا لهم ولطفوها إلى نصف المطلوب، ووسّعوا لهم فى أيام المهلة.

وفيه: شرعوا فى تكسير أبواب الدروب والبوابات* النافذة، وخرج عدة من عساكرهم يخلعون ويقلعون أبواب الدروب والعطف والحارات، فاستمروا على ذلك عدة أيام، وداخل الناس من ذلك وَهْم وخوف شديد، وظنوا ظنونًا، وحصل عندهم فساد مخيلة ووسوسة تجسمت فى نفوسهم بألفاظ نطقوا بها، وتصوروا حقيقتها وتناقلوها فيما بينهم، كقولهم: إن عساكر الفرنسيس عازمون على قتل المسلمين وهم فى صلاة الجمعة، ومنهم من يقول غير ذلك، وذلك بعد أن كان حصل عندهم بعض اطمينان، وفتحوا بعض الدكاكين. فلما حصلت هاتان النكتتان انكمش الناس ثانيًا وارتجفت قلوبهم.

* بونابرت يأمر بهدم أبواب الدروب والعطف والحارات.



وفى عشرينه: حضرت مكاتيب الحجاج من العقبة، فذهب أرباب الديوان إلى باش العسكر وأعلموه بذلك، وطلبوا منه أمانا لأمير الحاج فامتنع، وقال لا أعطيه ذلك إلا بشرط أن

يأتي فى قلة، ولا يدخل معه مماليك كثيرة ولا عسكر، فقالوا له: ومن يوصل الحجاج؟ فقال لهم: أنا أرسل لهم أربعة آلاف من العسكر يوصلونهم إلى مصر، فكتبوا لأمير الحاج مكاتبة بالملاطفة، وأنه يحضر بالحجاج إلى الدار الحمرا، وبعد ذلك يحصل الخير، فلم تصل إليهم الجوابات حتى كاتبهم إبراهيم بك يطلبهم [أى الحجاج] للحضور إلى جهة بلبيس فتوجهوا على بلبيس وأقاموا هناك أياما وكان إبراهيم بك ومن معه ارتحل من بلبيس إلى المنصورة*، وأرسلوا الحريم إلى القرين.

* لا نظن أبدًا أن رواية الجبرتى عن انتقال المماليك إلى المنصورة صحيحة لأن الطريق الطبيعى لهم هو من بلبيس إلى القرين إلى الصالحية، التى هى طريق القوافل إلى قطية فالشام.

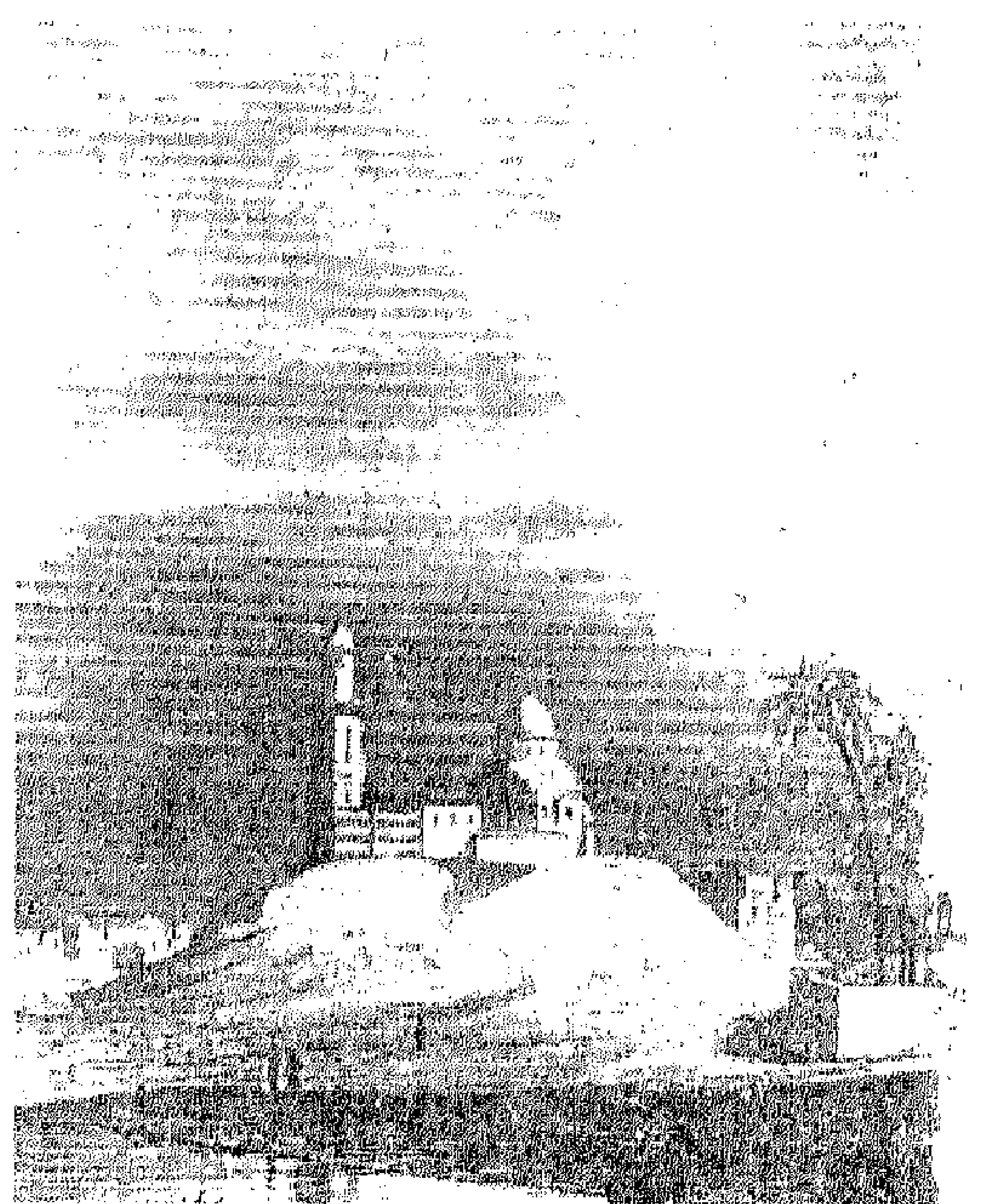
وفى ثالث عشرينه: خرجت طايفة من العسكر الفرنساوى إلى جهة العادلية، وصار فى كل يوم تذهب طايفة بعد أخرى، ويذهبون إلى جهة الشرق.

فلما كان ليلة الأربعا خرج كبيرهم بونابرته، وكانت أوايلهم وصلت إلى الخانكة وأبى زعبل، وطلبوا كلفة من أبى زعبل، فامتنعوا، فقاتلوهم وضربوهم وكسروهم، ونهبوا البلدة وأحرقوها وارتحلوا إلى بلبيس.

وأما الحجاج فإنهم نزلوا ببلبيس، واكترت [أتفق] حجاج الفلاحين مع العرب فأوصلوهم إلى بلادهم بالغربية والمنوفية والقليوبية وغيرها، وكذلك فعل الكثير من الحجاج، فتفرقوا فى البلاد بحريمهم، ومنهم من أقام ببلبيس، وأما أمير الحاج صالح بك فإنه لحق بإبراهيم بك وصحبته جماعة من التجار وغيرهم.

وفى ثامن عشرينه: ملك الفرنساوية مدينة بلبيس من غير قتال وبها من بقى من الحجاج، فلم يشوشوا عليهم،

* بلبيس على عهد الجبرتى.



وأرسلوهم إلى مصر وصحبتهم طايفة من عساكرهم ومعهم طبل. فلما كان ليلة الأحد غايته جا الرد إلى الأمرا بالمنصورة وأخبرهم بوصول الإفرنج وقربهم منهم. فركبوا نصف الليل، وترفعوا إلى جهة القرين، وتركوا التجار، وأصحاب الأثقال.

فلما طلع النهار حضر إليهم جماعة من العربان*،واتفقوا معهم على أنهم يحملونهم إلى القرين، وحلفوا لهم وعاهدوهم على أنهم لا يخونونهم، فلما توسطوا بهم الطريق نقضوا عهدهم وخانوهم ونهبوا حمولهم، وتقاسموا متاعهم وعرُّوهم من ثيابهم، وفيهم كبير التجار السيد أحمد المحروقى، وكان ما يخصه نحو ثلثماية ألف ريال فرانسه نقوداً ومتجراً من جميع الأصناف الحجازية، وصنعت العرب معهم مالا خير فيه.

* البدو العرب يغدرون بالحجاج ويسرقونهم بعد أن يعطوهم الأمان.

ولحقهم عسكر الفرنساوية، فذهب السيد أحمد المحروقى إلى صارى عسكر وواجهه وصحبته جماعة من العرب المنافقين، فشكا له ما حل به وبإخوانه، فلامهم على تنقلهم وركونهم إلى المماليك والعرب.

ثم قبض على أبى خشبة شيخ بلد القرين، وقال له : عرفنى عن مكان المنهوبات، فقال: أرسل معى جماعة إلى القرين، فأرسل معه جماعة دلهم على بعض الأحمال، فأخذها الإفرنج ورفعوها، ثم تبعوه إلى محل آخر فأوهمهم أنه يدخل ويخرج إليهم أحمالا كذلك، فدخل وخرج من مكان آخر، وذهب هاربًا، فرجع أوليك العسكر بجمل ونصف جمل لا غير، وقالوا هذا الذى وجدناه، والرجل فر

من أيدينا، فقال صارى عسكر لابد من تحصيل ذلك، فطلبوا منه الإذن فى التوجه إلى مصر، فأصحب معهم عدة من عسكره أوصلوهم إلى مصر، وأمامهم طبل، وهم فى أسوأ حال، وصحبتهم أيضا جماعة من النسا اللاتى كن خرجن ليلة الحادثة، وهن أيضا فى أسوأ حالة، تسكب عند مشاهدتهن العبرات.

---

## واستهل شهر ربيع الأول بيوم الاثنين سنة ١٢١٣هـ ١٣ أغسطس ١٧٩٨م

فى ثانيه*: وصل الفرنساوى إلى نواحى القرين، وكان إبراهيم بك ومن معه وصلوا إلى الصالحية، وأودعوا ما لهم وحريمهم هناك، وضمّنوا عليها العربان وبعض الجند، فأخبر بعض العرب الفرنساوية بمكان الحملة، فركب صارى عسكر وأخذ معه الخيّالة، وقصد الإغارة على الحملة، وعلم إبراهيم بك بذلك أيضا، فركب هو وصالح بك وعدة من الأمرا والمماليك وتحاربوا معهم ساعة، أشرف فيها الفرنسيس على الهزيمة لكونهم على الخيول، وإذ بالخبر وصل إلى إبراهيم بك بأن العرب مالوا على الحملة يقصدون نهبها، فعند ذلك فرّ بمن معه على إثره، وتركوا قتال الفرنسيس، ولحقوا بالعرب وجلوهم عن متاعهم، وقتلوا منهم عدة وارتحلوا إلى قطيا*، ورجع صارى عسكر إلى مصر، وترك عدة من عساكره متفرقين فى البلاد، فدخل مصر ليلا، وذلك ليلة الخميس رابعه.

وفى يوم الجمعة خامسه: الموافق لثالث عشر مسرى القبطى كان وفا النيل المبارك، فأمر صارى عسكر بالاستعداد وتزيين

* يذكر أحمد حافظ رجب أن ذلك كان فى يوم السبت ٢٨ صفر/ ١١ أغسطس وفى يوم الثلاثا كان بونابرت فى القاهرة وقد وصلت إليه أخبار موقعة أبو قير البحرية. وانه بعد استيلاء الفرنساوية على الصالحية، وفرار إبراهيم بك وأبى بكر باشا، كتب نابوليون خطابا أعطاه لأعرابى على هجين سريع ليلحق إبراهيم بك فى طريقه إلى غزة، على أمل أن يتفق معه ومع والى الدولة، وهذا هو تعريب ذلك الخطاب.

المعسكر العام بالصالحية ١٢ أغسطس ١٧٩٨

إلى إبراهيم بك

لم يعد عندك شك فى تفوق الجيوش التى أقودها وها أنت خارج أرض مصر وامامك صحراء واسعة. وانك لتجد فى واسع حلمى كل ما تريده من نعمة وسعادة واطمئنان. فهل لك أن تبلغنى فى الحال رغباتك؟ وانى أعلم أن باشا (نايب) جلالة السلطان موجود معك، فليكن هو واسطة ورسولا للمخابرة بينى وبينك.

«بونابارت»

* قَطْيَا، أو قطية: بلدة قرب الفرما من قرى قسم القنطرة شرق ـ محافظة سيناء.

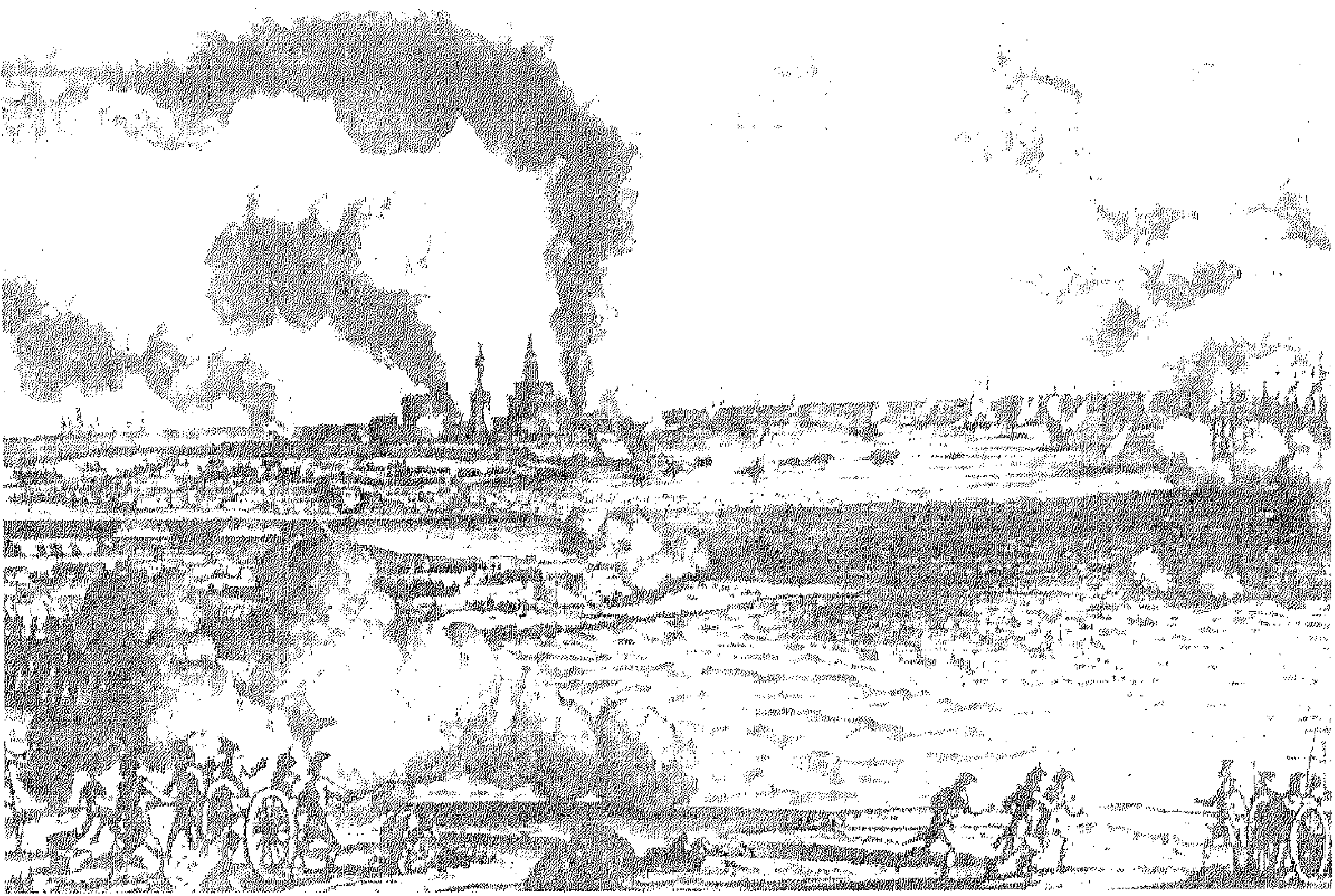
العقبة كالعادة، وكذلك زينوا عدة مراكب وغلايين، ونادوا على الناس بالخروج إلى النزهة فى النيل والمقياس* والروضة على عادتهم، وأرسل صارى عسكر أوراقا لكتخدا الباشا والقاضى وأرباب الديوان وأصحاب المشورة والمتولين للمناصب وغيرهم بالحضور فى صبحها، وركب صحبتهم بموكبه وزينته وعساكره وطبوله وزموره إلى قصر قنطرة السد، وكسروا الجسر بحضرتهم، وعملوا شنك مدافع ونقوطًا حتى جرى الماء فى الخليج وركب وهم صحبته حتى رجع إلى داره، وأما أهل البلد فلم يخرج منهم أحد تلك الليلة للتنزه في المراكب على العادة سوى النصارى الشوام والقبط والأروام والإفرنج البلديين ونسايهم وقليل من الناس البطالين حضروا فى صبحها.

وفيه: تواترت الأخبار بحضور عدة مراكب من الإنكليز إلى ثغر اسكندرية، وأنهم حاربوا مراكب الفرنساوية الراسية بالمينا، وكانت أشيعت هذه الأخبار قبل، وتحدث الناس بها، فصعب ذلك على الفرنساوية.

واتفق أن بعض النصارى الشوام نقل عن رجل شريف يسمى السيد أحمد الزرو من أعيان التجار بوكالة الصابون أنه تحدث بذلك فأمروا بإحضاره، وذكروا له ذلك، فقال: أنا حكيت ما سمعته من فلان النصرانى، فأحضروه أيضا، وأمروا بقطع لسانيهما، أو يدفع كل واحد منهماماية ريال فرانسه نكالا لهما وزجراً عن الفضول فيما لا يعنيهما، فتشفع المشايخ، فلم يقبلوا، فقال بعضهم أطلقوهما ونحن نأتيكم بالدراهم، فلم يرضوا، فأرسل الشيخ مصطفى

* المقياس: اهتم المصريون بضبط مياه النيل منذ أكثر من أربعين قرنا قبل الميلاد. كما أهتموا بتسجيل منسوب الفيضان بانشاء المقياس النقالى يقيسون به عمق الماء فى النهر. كذلك كانت لهم مقاييس ثابتة فى كل المعابد ومنها جزيرة الروضة. وبعد الغزو العربى اقام عمرو بن العاص مقياسين أحدهما بأسوان والآخر بأرمنت. وفى سنة ٨٠هـ. أقام عبد العزيز بن مروان مقياساً صغيراً في حلوان. وفي ٩٧هـ. بنى مقياس جزيرة الروضة الذى جدده الفرنسيون. وبأنشاء السد العالى انتهت أهمية مقياس النيل بسبب الثبات النسبى فى مياه النيل.

الاسطول الانجليزى يدمر الاسطول الفرنسى فى أبو قير.
هذه المعركة هى التى عرفت فى التاريخ بمعركة أبى قير البحرية، وكانت الخسائر الفرنسية عبارة عن اغراق سفينتين عظيمتين وفرقاطتين، وسقطت تسع سفن فى أيدى الانجليز، وقتل الف وسبعمائة من البحارة الفرنسيين، وجرح ألف وخمسماية، وكان الإنجليز قد أسروا ثلاثة آلاف، لكنهم أفرجوا عنهم بسبب نقص مؤنهم، وذلك بشرط عدم المشاركة فى بقية قوات الحملة راجع ـ هنرى لورنس ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٩.



* موقعه ابو قير البحرية

الصاوى، وأحضر مايتى ريال ودفعها فى الحضرة. فلما قبضها الوكيل ردها ثانيًا إليه، وقال: فرقها على الفقرا، فأظهر أنه فرقها كما أشار وردها إلى صاحبها، فانكفَّ الناس عن التكلم فى شأن ذلك.

والواقع أن الإنكليز حضروا فى إثرهم إلى الثغر وحاربوا مراكبهم، فنالوا منهم، وأحرقوا القايق الكبير المسمي بنصف الدنيا، وكان به أموالهم وذخايرهم، وكان مصفحا بالنحاس الأصفر، واستمر الإنكليز بمراكبهم بمينا الإسكندرية يغدون ويروحون يرصدون الفرنسيس، وفى ذلك اليوم سافر عدة من عساكرهم إلى بحرى وإلى الشرقية.

ولما جرى الماء فى الخليج منعوا دخول الماء إلى بركة الأزبكية، وسدوا قنطرة الدكة بسبب وطاقهم ومدافعهم وآلتهم التى فيها.

* وفى مخطوطة «ليدن» يحلل الجبرتى سبب مطاردة الإنجليز للفرنساوية فيذكر فى حوادث ٦ ربيع أول ١٢١٣ ما يلى :
وخبر هولا الانجليز أنهم معادين لطايفة الفرنسيس وأن الفرنسيسى [بونابرت] لما أغار على البنادقة والونديك والسجورنه [جزر البلقان القريبة من البحرالادرياتى] وغيرهم قصد الاغارة علي الإنجليز أيضا فلم يتمكن للعبور إليهم من طريق البر فحاربهم فى البحر فلم يطيقوهم لأن الانجليز موصوفون فى الشدة وقوة البأس فى محاربة المراكب فى البحر والفرنسيسى بالعكس، فعلم الفرنسيسى أنه لا يتمكن من غرضه معهم إلا من جهة البر ولا طريق له إلا من الهند، ولا طريق للهند إلا من بحر

وفيه: سأل صارى عسكر عن المولد النبوى*، ولماذا لم يعملوه كعادتهم؟ فاعتذر الشيخ البكرى بتعطيل الأمور وتوقف الأحوال، فلم يقبل، وقال: لابد من ذلك، وأعطى له ثلثماية ريال فرانسا معاونة، وأمر بتعليق تعاليق وأحبال وقناديل، واجتمع الفرنساوية يوم المولد، ولعبوا ميادينهم، وضربوا طبولهم ودبادبهم، وأرسل الطبلخانة الكبيرة إلى بيت الشيخ البكرى، واستمروا يضربونها بطول النهار والليل بالبركة تحت داره، وهى عبارة عن طبلات كبار مثل طبلات النوبة التركية وعدة آلات ومزامير مختلفة الأصوات مطربة. وعملوا فى الليل حراقة نفوط مختلفة وسواريخ تصعد فى الهواء.

وفى ذلك اليوم: ألبس الشيخ خليل البكرى فروة وتقلد نقابة الأشراف، ونودى فى المدينة بأن كل من كان له دعوى على شريف فليرفعها إلى النقيب.

وفيه: ورد الخبر بأن إبراهيم بك والأمرا المصرية استقروا بغزة.

وفى خامس عشره: سافر عدة كبيرة من عسكر الفرنساوية جهة الصعيد، وكبيرهم ديزه وصحبتهم يعقوب القبطى ليعرفهم الأمور، ويطلعهم على المخبآت.

وفيه: حضر القاصد الذى كان أرسله كبير الفرنساوية بمكاتبات وهدية إلى أحمد* باشا الجزار بعكا، وذلك عند استقرارهم بمصر، وصحبته أنفار من النصارى الشوام فى صفة تجار، ومعهم جانب أرز، ونزلوا من ثغر دمياط فى سفينة من سفاين أحمد باشا، فلما وصلوا إلى عكا وعلم بهم أحمد باشا أمر بذلك الفرنساوى، فنقلوه إلى بعض

القلزم، والإنجليز يعلم، فلما وجده ملك الاسكندرية وعبر الممالك المصرية علم أنه يصل إليهم بعد ذلك من هذه الجهة ولابد من تتابع الأمداد والعسكر فحضر على أثرهم بعدة مراكب مشحونة بالمقاتلين إلى الاسكندرية وحاربوا المراكب التى وجودها خارج المينه وبوقير فنالوا منهم....

* وصفت صحيفة كوربيه دى ليجيبت فى عددها الاول هذا الاحتفال «واحتفلت البلاد هذه الأيام احتفالا رائعا بمولد النبى، فأضيئت منازل القايد العام، والجنرال ديبوى، والشيخ البكرى بالأنوار الساطعة طوال خمسة أيام. وفى الساعة العاشرة من كل ليلة من ليالى العيد سارت مواكب المسلمين فى المدينة وهى تنشد أناشيد المديح فى النبى، كما أقامت حلقات الذكر على اضواء المشاعل. وقام جنود الحامية باستعراض عسكرى رائع. ثم توجه لفيف من الضباط الفرنسيين بهيئة أركان الحرب يتقدمهم حملة المشاعل ورجال الموسيقى إلى منزل الشيخ البكرى نقيب الاشراف وقد اطلقت عدة طلقات ايذانا ببدء مسيرتهم.

* عندما جاء بونابرت إلى مصر بحملته عمل على التقرب من أحمد باشا الجزار فى عكا وأرسل له رسالة وذلك لاتقاء شره ولتأمين بوابة مصر الشرقية، ولعمل وقيعة بينه وبين السلطان العثمانى ـ وكان نص الرسالة كالآتى:

معسكر القاهرة ٢٢ اغسطس ١٧٩٨ . رسالة بونابرت إلى أحمد باشا الجزار حاكم صيدا وعكا.

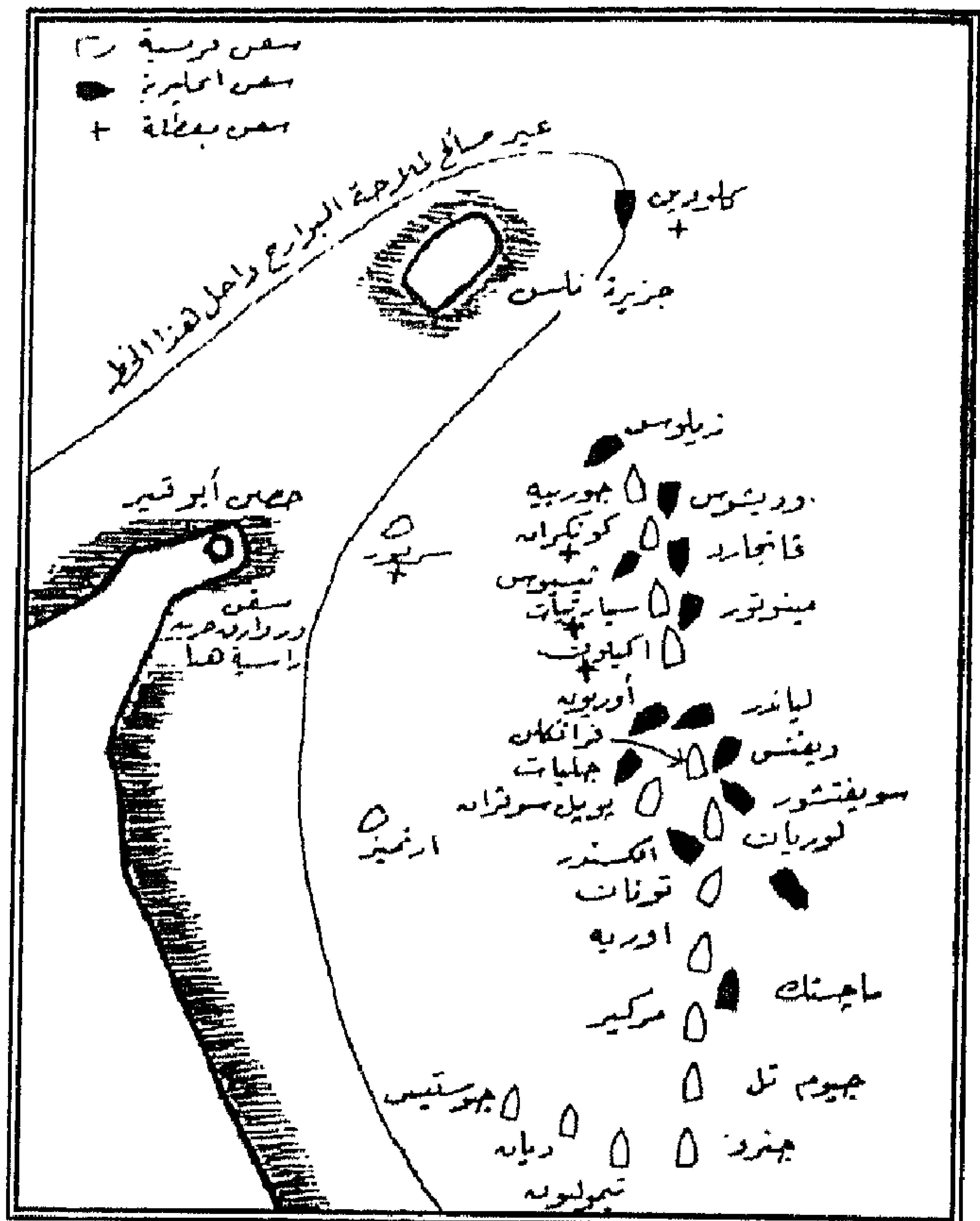
النقاير، ولم يواجهه ولم يأخذ منه شيأ، وأمره بالرجوع من حيث أتى، وعوق عنده نصارى الشوام الذين كانوا بصحبته.

وفيه: حضر جماعة من عسكر الفرنساوية إلى بيت رضوان كاشف بباب الشعرية وصحبتهم ترجمان ومهندس، فانزعجت زوجته، وكانت قبل ذلك بأيام صالحت على نفسها وبيتها بألف ريال وثلثماية ريال، وأخذت منهم ورقة ألصقتها على باب دارها، وردت ما كانت وزعته من المال والمتاع عند معارفها، واطمأنت، فلما حضر إليها الجماعة المذكورون قالوا لها: بلغ صارى عسكر أن عندك أسلحة وملابس للمماليك؛ فأنكرت ذلك، فقالوا لازم من التفتيش، فقالت دونكم، فطلعوا إلى مكان وفتحوا مخبأة، فوجدوا بها أربعة وعشرين شروالا وبلكات وأمتعة وغير ذلك، ووجدوا فى أسفلها مخبأة أخرى بها عدة كثيرة من الأسلحة والبنادق والطبنجات وصناديق بارود وغير ذلك، فاستخرجوا جميع ذلك، ثم نزلوا إلى تحت السلالم وفجروا الأرض، وأخرجوا منها دراهم كثيرة وحجاب ذهب فى داخله دنانير، ثم أنزلوا صاحبة الدار ومعها جارية بيضاء، وأخذوهما مع الجوارى السود، وذهبوا بهن، فأقمن عندهم ثلاثة أيام، ونهبوا ما وجدوه بالدار من فرش وأمتعة، ثم قرروا عليها أربعة آلاف ريال أخرى قامت بدفعها، وأطلقوها، ورجعت إلى دارها.

وبسبب هذه الحادثة شددوا فى طلب الأسلحة ونادوا بذلك، وأنهم بعد ثلاثة أيام يفتشون البيوت، وقال الناس: إن

لم آت مصر محاربا المسلمين بل جئتها لمحاربة البكوات. واعتقد أنى بالقضاء عليهم قد قمت بعمل عادل يوافق مصالحك. لأنهم كانوا اعداءك وأنت تعلم حتما أنى لما وضعت قدمى فى مالطة كان أول عملته أن اطلقت سراح الفين من أسرى الأتراك الذين قبضوا عدةسنين فى ذل الأسر والعبودية ـ وما وصلت إلى مصر حتى طمأنت خواطر الأهالى. وبالغت فى احترام العلماء ورجال الدين ومساجد المسلمين. ولم يلق حجاج بيت الله مثل ما لاقوا من العناية والرعاية منى ولم يحتفل بمولد النبى بمثل ما احتفلت به من الابهة الكاملة والاحترام العظيم.
وقد بعثت بهذا الكتاب مع ضابط يستطيع أن يوقفك على ميولى ورغبتى فى أن اكون معك على صفا وسلام لنتعاون معا على بحث المسايل التى تؤدى لنمو التجارة وخير البلدين وأوكد انه لا يوجد للمسلمين أصدقاء أخلص من الفرنسين.
بونابرت
وذكر (لاكروا) ان نابوليون بعث برسول ثان إلى عكا فكان حظه أشأم من الاول إذ أمر الجزار بقتله والتمثيل به، ولكن (لاكروا) على سعة اطلاعه، ووجود المحفوظات الرسمية تحت أمره لتأليف كتابه، لم يذكر نص الخطاب الثانى الذى بعث به نابوليون إلى أحمد باشا الجزار، فقد كان بونابارت فى خطابه الثانى أقل صلفًا وأخف دعوى. وقد عثرت على نص هذا الخطاب الثانى فى مذكرات «ميو» وهذا تعريبه.

«لا أريد أن أدخل معك في حرب. نعم انك لست عدواً لي ولكن حان الوقت لتعلم انك إذا بقيت جاعلا حدود مصر ملجأ لإبراهيم بك، فانني أعد ذلك علامة للعداء وأذهب إلى عكا. 97
وإذا كنت تريد أن تبقى في سلام معي فابعد إبراهيم بك على مسافة أربعين فرسخًا من حدود مصر، ودع التجارة حرة بين دمياط وسوريا.
وحينئذ أعدك باحترام البلاد التي تحت امارتك وأترك للتجارة الحرية التامة بين مصر وسوريا في البر وفي البحر»
«بونابارت»



* خريطة معركة أبو قير

هذه حيلة على نهب البيوت، ثم بطل ذلك، والسبب في ذلك انه حصل بينها وبين مباشرها القبطي منافسة، فذهب وأغرى بها ودل على ذلك.

وفي عشرينه: قلدوا مصطفى بك كتخدا الباشا على إمارة الحاج، فحضروا إلى المحكمة عند القاضي، ولبس هناك الخلعة بحضرة مشايخ الديوان، والتزم بونابارته بتشهيل مهمات الحج، وعمل محملا(*) جديداً.

وفيه: سأل أصحاب الحصص الالتزام في التصرف في حصصهم، فطلبوا منهم حلوانا، فلم يرتضوا بذلك، فواعدهم لتمام التحرير والإملا، وقالوا كل من كان له التزام وتقسيط ناطق باسمه يحضره ويمليه، ففعلوا ذلك في عدة أيام.

* تعيين امير الحج: نشر الخبر في جريدة كوريه دى ليجيبت كالآتي عين القايد العام السيد/ مصطفى اميرا للحج إلى مكة، وقد البس اليوم امام جميع موظفي الدولة واشراف البلد معطفا جميلا لونه أخضر لهذه المناسبة، وقد اهداه الجنرال بضع جواهر وحصانا عليه سرج جميل محلى بأحسن كسوة. وعند مغادرته

الحفل ودعته ست طلقات اطلقتها مدافع بطارية القلعة.

وفيه: قدروا فرضة من المال على القرى والبلاد، ونشروا بذلك أوراقًا وذكروا فيها أنها تحسب من المال وقيدوا بذلك الصيارف من القبط، ونزلوا فى البلاد مثل الحكام يحبسون ويضربون ويشددون فى الطلب*.

وفيه: طلب صارى عسكر بونابارته ـ المشايخ، فلما استقروا عنده ـ نهض بونابارته من المجلس ورجع وبيده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان، كل طيلسان ثلاثة عروض أبيض وأحمر وكحلى، فوضع منها واحدًا على كتف الشيخ الشرقاوى، فرمى به إلى الأرض، واستعفى وتغير مزاجه، وانتقع لونه، واحتد طبعه. فقال الترجمان: يامشايخ أنتم صرتم أحبابًا لصارى عسكر، وهو يقصد تعظيمكم وتشريفكم بزيه وعلامته، فإن تميزتم بذلك عظمتكم العساكر والناس، وصار لكم منزلة فى قلوبهم، فقالوا له: لكن قدرنا يضيع عند الله وعند إخواننا من المسلمين، فاغتاظ لذلك، وتكلم بلسانه، وبلغ عنه بعض المترجمين أنه قال عن الشيخ الشرقاوى: إنه لا يصلح للرياسة ونحو ذلك، فلاطفه بقية الجماعة، واستعفوه من ذلك، فقال إن لم يكن ذلك فلازم من وضعكم الجوكار فى صدوركم، وهى العلامة التى يقال لها الوردة، فقالوا أمهلونا حتى نتروّى فى ذلك، واتفقوا على اثنى عشر يوما.

وفى ذلك الوقت حضر الشيخ السادات باستدعا فصادفهم منصرفين، فلما استقر به الجلوس بَشّ له وضاحكه صارى عسكر، ولاطفه فى القول الذى يعربه الترجمان، وأهدى له خاتم ألماس، وكلفه الحضور فى الغد عنده، وأحضر له

* ننشر هنا نص الأمر الذى أصدره نابليون بتاريخ ٣١ أغسطس سنة ١٧٩٨ بفرض الغرامات على بعض البلاد وبخاصة المنصورة وأهلها.
المعسكر العام بالقاهرة فى ١٤ فركتيدور من السنة السادسة (٣١ أغسطس سنة ١٧٩٨). بونابارت القايد العام يأمر بما هو آت:
المادة الأولى: توقف الغرامات التى ضربت على بلاد مديرية المنصورة.
المادة الثانية: تدفع مدينة المنصورة غرامة قدرها ثلاثة آلاف ريال تفرض على الأغنياء من أهلها عقابًا لهم على سوء صنيعهم نحو جنودنا.
المادة الثالثة: يدفع السيد على الشناوى أحد أهال المنصورة غرامة قدرها ٢٠٠٠ ريال، وفى مقابل ذلك يُعطَى أمانًا على نفسه وعلى أملاكه وأمواله.
المادة الرابعة: تفرض غرامة قدرها ٢٠٠٠ ريال على أسوأ البلاد سلوكًا فى مديرية المنصورة.
المادة الخامسة: تفرض غرامة ٤٠٠٠ ريال بشكل سلفة على أغنياء التجار والأعيان فى المحلة الكبرى.
المادة السادسة: تدفع هذا المبالغ إلى أمين الخزانة فرقة الجنرال دوجا وتكون تحت تصرف مدير مهمات الجيش وعليه أن يخصصها لبناء أفران الجيش وإدارتها واستئجار المراكب والنفقات المطلوبة للفرقة.
المادة السابعة: على كبير المباشرين تنفيذ هذا الأمر.

بونابارت

جوكار أوثقه بفراجته، فسكت وسايره، وقام وانصر. فلما خرج من عنده رفعه.

وفى ذلك اليوم: نادى جماعة القلقات [مشايخ الحارات] على الناس بوضع العلامات المذكورة المعروفة بالوردة*، وهى إشارة الطاعة والمحبة، فأنف غالب الناس من وضعها، وبعضهم رأى أن ذلك لا يخل بالدين، إذ هو مكروه، وربما ترتب على عدم الامتثال الضرر فوضعها، ثم فى عصر ذلك اليوم نادوا بإبطالها من العامة، وألزموا بعض الأعيان، ومن يريد الدخول عندهم لحاجة من الحاجات بوضعها، فكانوا يضعونها إذا حضروا عندهم، ويرفعونها إذا انفصلوا عنهم، وذلك أيام قليلة ، وحصل ما يأتى ذكره فتركت.

وفى أواخره: كان انتقال الشمس لبرج الميزان، وهو الاعتدال الخريفى، فشرع الفرنساوية فى عمل عيدهم ببركة الأزبكية، وذلك اليوم كان ابتدا قيام الجمهور [الثورة الفرنسية ٢٢ سبتمبر ١٧٩٢] ببلادهم ، فجعلوا ذلك اليوم عيداً وتاريخًا، فنقلوا أخشابًا وحفروا حفراً، وأقاموا بوسط بركة الأزبكية صاريًا عظيما بآلة وبنا، وردموا حولة ترابًا كثيراً عاليًا بمقدار قامة، وعملوا فى أعلاه قالبًا من الخشب محدد الأعلى مربع الأركان مسلة، ولبسوا باقيه على سمت القالب قماشًا ثخينًا طلوه بالحمرة الجزعة، وعملوا أسفله قاعدة نقشوا عليها تصاوير سودا فى بياض، ووضعوا قبالة باب الهوا بالبركة شبه بوابة كبيرة عالية من خشب مقفص، وكسوها بالقماش المدهون مثل لون الصارى، وفى أعلى القوصرة طلا أبيض، وبه تصاوير بالأسود مصور فيه مثل

* صدر قرار من نابليون جاء فيه. يأمر القايد العام بما يلى
مادة أولى: يلتزم جميع سكان القطر المصرى بوضع الشارة ذات الثلاثة الوان على صدورهم.
مادة ثانية: على جميع المراكب النيلية رفع العلم المثلث الألوان على سارياتها.
مادة ثالثة: لن يتحدث القادة وحكام المقاطعات والضباط الفرنسيون إلى أى شخص من البلاد إلا إذا كان يحمل الشارة، وكذلك فى جميع الأقسام المقامة على النيل سيلفت قوادها الفرنسيون وقواد المراكب النيلية الملحة وقواد الحاميات فى رشيد ودمياط وبولاق سيلفتون أنظار أصحاب المراكب النيلية انه لن تترك لهم حرية الملاحة النهرية دون رفع العلم المثلث الألوان.
مادة رابعة: أعضاء الديوان فقط هم الذين لهم الحق فى ارتداء الشال المثلث الألوان على اكتافهم.

* خطبة نابليون بالأزبكية فى الاحتفال بعيد الجمهورية الفرنسية يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٧٩٨



* بونابرته يخطب فى جنود الحملة بمناسبة رأس السنة الجمهورية السابعة.

«أيها الجنود:

«نحتفل اليوم بمستهل السنة السابعة للجمهورية.

«منذ خمس سنوات خَلَت كان استقلال الشعب الفرنسى مهدداً، ولكنكم جاهدتم فاحتللتم (طولون) فكان هذا الاحتلال فاتحة انهيار صرح الأعداء.

«ولم ينقض عام حتى هزمتم النمسويين فى (ديجو)..

«وفى السنة الثالثة رفعتم علم النصر فوق قمم جبال الألب.

«ومنذ عامين كنتم تهاجمون (مانتو) وحزتم ذلك النصر الباهر فى (سان جورج).

(وفى العام الماضى بلغتم منابع نهرى (الدراف)، (الأيسونزو) بعد أن انتصرتم فى ألمانيا، فمن كان يظن يومئذ أنكم ستكونون اليوم على ضفاف النيل فى بطن القارة القديمة؟

«إن الشعوب شاخصة إليكم ترمقكم بأبصارها على اختلاف أجناسها، يستوى فى ذلك الإنجليزى الذى ثقفته التجارة والفنون، والبدوى الذى يعيش عيشة الغلظة والوحشة.

«أيها الجنود:

«إن مستقبلكم مجيد لأنكم جديرون بما قمتم به من جلايل الأعمال وبما حزتم من الثنا، ولئن كتب عليكم الموت فستنالون موتًا شريفًا كدأب أولئك الأبطال الذين نقشت أسماؤهم على هذا الهرم. وإذا عدتم إلى الوطن فإنكم ستعودون مكللين بتاج الفخار حائزين إعجاب الشعوب جميعاً.

«مضى علينا ستة أشهر منذ برحنا القارة الأوروبية ومن يومئذ ونحن مغمورون على الدوام بسيل لا ينقطع من عواطف مواطنينا الذين ترمقنا أبصارهم فى كل آن، فاليوم يشاركم فى هذا الاحتفال أربعون مليونًا من المواطنين يحتفلون بإقامة الحكم الدستورى ويتجهون إليكم بأفكارهم وعواطفهم، ويذكرون فى احتفالهم أنهم مدينون لجهادكم ودمائكم بما يتمتعون به من السلام والطمأنينة، والرخاء والحرية الوطنية».

حرب المماليك المصرية معهم، وهم فى شبه المنهزمين، بعضهم واقع على بعض، وبعضهم ملتفت إلى خلف، وعلى موازاة ذلك من الجهة الأخرى بناحية قنطرة الدكة التى يدخل منها الماء إلى البركة مثال بوابة أخرى على غير شكلها لأجل حراقة البارود، وأقاموا أخشابًا كثيرة منتصبة مصطفة منها إلى البوابة الأخرى شبه الدايرة متسعة محيطة بمعظم فضا البركة بحيث صار عامود الصارى الكبير المنتصف المذكور فى المركز، وربطوا بين تلك الأخشاب حبالا ممتدة، وعلقوا بها صفين من القناديل، وبين ذلك تماثيل لحراقة البارود أيضًا، وأقاموا فى عمل ذلك عدة أيام*.

---

## واستهل شهر ربيع الثانى بيوم الأربعا سنة ١٢١٣هـ

فيه: وردت الأخبار بأن مراد بك ومن معه لما بلغهم ورود الفرنسيس عليهم رجعوا إلى جهة الفيوم، وأن عثمان بك الأشقر عدّى إلى البر الشرقى، وذهب من خلف الجبل إلى أستاذه إبراهيم بك بغزة، وخرج جماعة من الفرنساوية إلى جهة الشرق، ومعهم عدة جمال وأحمال، فخرج عليهم الغُزّ والعرب الذين يصحبونهم. فأخذوا منهم عدة جمال بأحمالها ولم يلحقوهم.

وفى ثالثه: حضرت مكاتبة من إبراهيم بك خطابًا للمشايخ وغيرهم: مضمونها: أنكم تكونون مطمينين ومحافظين على أنفسكم والرعية، وأن حضرة مولانا السلطان وجه لنا عساكر. وإن شا الله تعالى عن قريب نحضر عندكم، فلما

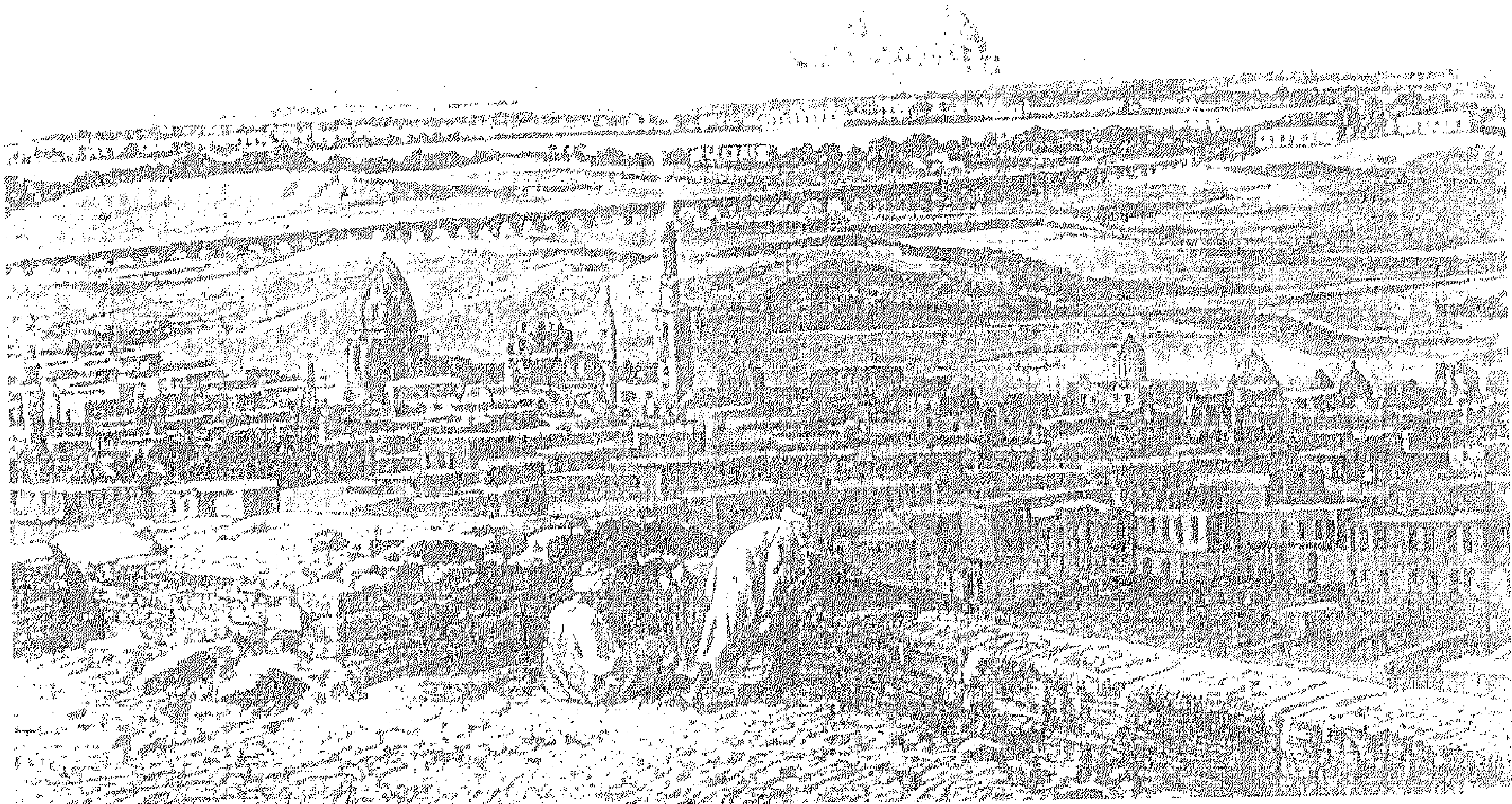


* الهجوم على الباستيل فى ١٤ يوليو ١٧٨٩.

(*) يوجد وصف تفصيلى لهذا الاحتفال فى جريدة كوريبه دى ليجيبت العدد (٨٠) - ومما يلفت النظر فى هذا الوصف انه على أحد مداخل ميدان الاحتفال اقيمت بوابة كتب عليها: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وهذا من باب السياسة الإسلامية لبونابرت.

* مستخرج من الأمر اليومى - ١٤ بروميير سنة ٧ للجمهورية.

سلم عدد كبير من مشايخ البلد ومشايخ العرب للقائد العام فرمانات مختلفة من الجزار، باشا سوريا، وإبراهيم بك وحتى من الباب العالى. كل هذه الفرمانات مزورة من أتباع إبراهيم بك بقصد حض الشعب على الثورة. جاء فى بعضها، وقد مضى على تاريخها حوالى شهرين، أن الجيش العثمانى تحرك صدفنا، وتؤكد غيرها أن الأسطول البريطانى يسيطر على الاسكندرية. وبفضل هذه المزاعم أمكن التخلص من حسن طوبار واندلاع الثورة فى قرى مختلفة، لقيت العقاب. أن الرجال مهما



*القاهرة من جبل المقطم وقد ظهر عن بعد مجرى العيون يليه النيل ثم الاهرامات.

قلت خبرتهم يمكنهم بسهولة التحقق من كذب هذه الفرمانات.
وأن الباب العالي يكتب دائما باللغة التركية ويوقع علي الفرمانات دائما من أربعة أشخاص. أما هذه الفرمانات فهي باللغة العربية وموقع عليها من شخصين فقط فضلا عن أنه ينقصها عدة إجراءات أساسية لابد منها وذلك يرجع لجهل محرريها.
أن الباب العالي أبعد ما يكون عن نشر فرامانات ضدنا. بل انه أدان باشا القاهرة في تصرفه حينما ترك المدينة عند وصولنا إليها ورحل إلى غزة. لقد عزل من منصبه وعين عبد الله، باشا دمشق، بدلا منه لمنصب الباشوية في القطر المصرى. ويود القائد العام أن يعمل قواد الأقاليم باصدار منشورات لتنوير الشعب في مختلف طوائفه ويطالبوا مشايخ البلد بالقبض علي حاملى هذه الفرامانات المزورة وأرسالهم إلي عاصم الإقليم.
امضاء: بونابرت

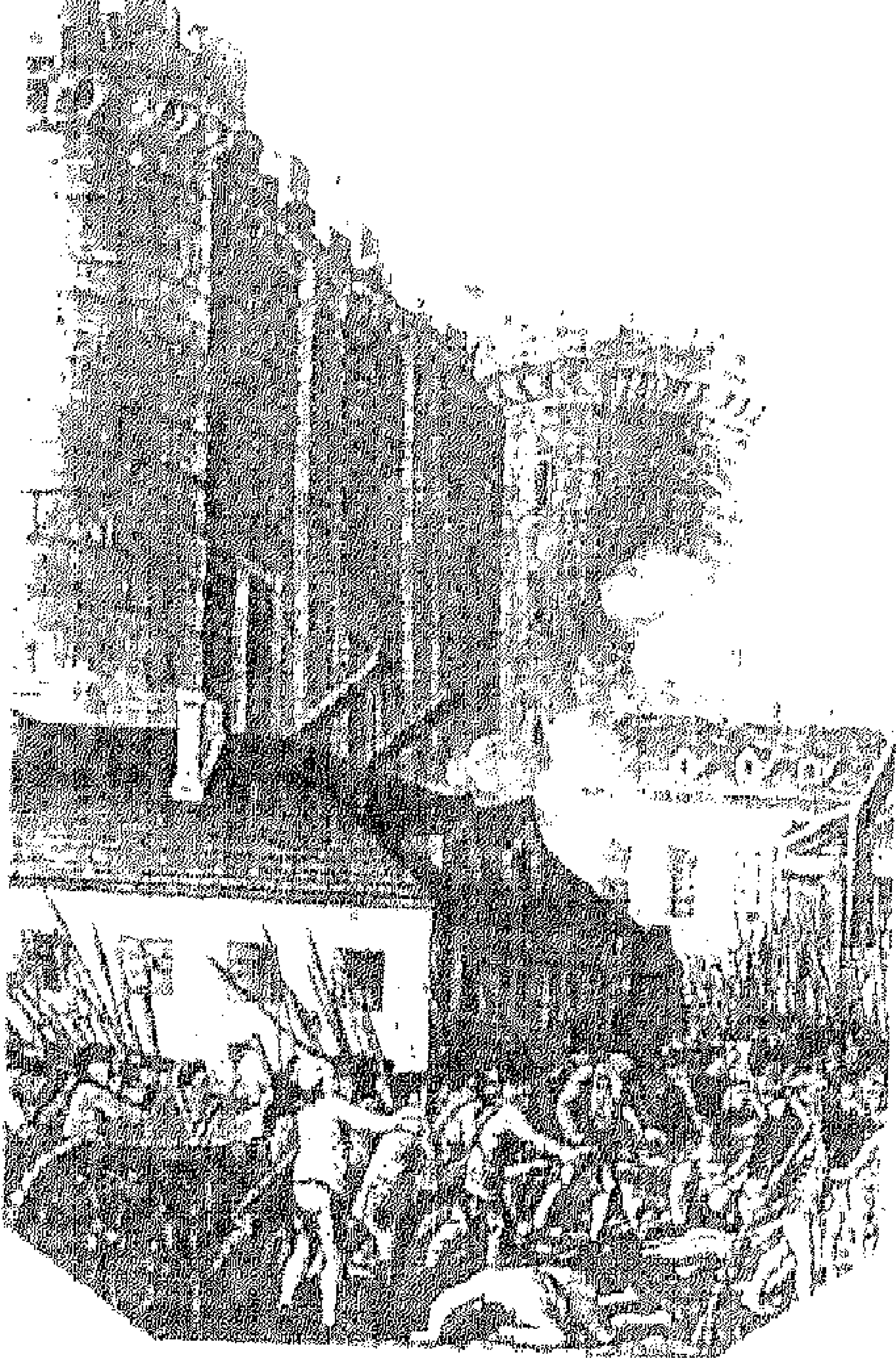
انظر: كوريه دى ليجيبت العدد ١٥.

وردت تلك المكاتبة، وقد كان سأل عنها بونابارته، فأرسلوها له، وقريت عليه. فقال المماليك: كذابون.

ووافق أيضًا أنه حضر أغا رومى، وكان معوّقًا بالإسكندرية. فمر بالشارع وذهب لزيارة المشهد الحسينى. فشاهده الناس، فاستغربوا هيئته، وفرحوا برؤيته، وقالوا هذا رسول الجى، حضر من عند السلطان بجواب للفرنسيس، يأمرهم بالخروج من مصر، واختلفت رواياتهم وآراهم وأخبارهم، وتجمعوا بالمشهد الحسينى، وتبع بعضهم بعضاً.

وصادف ذلك أن بونابارته فى ذلك الوقت بلغه مما نقل وتناقل بين الناس أنه ورد مكتوب إلى المشايخ أيضًا وأخفوه، فركب من فوره وحضر إلى بيت الشيخ السادات بالمشهد الحسينى، وكان الوقت بعد الظهر، فدخل على حين غفلة،

الجبرتى/ سنة ١٢١٣م



* هجوم الثوار الفرنساوية على سجن الباستيل فى ١٤ يوليو ١٧٨٩م.

ولم يكن تقدم له مجى، وهو فى كبكبة وخيول كثيرة وعساكر، فانزعج الشيخ، وكان منحرف المزاج، ونزل إليه وهو لا يعرف السبب فى مجيه فى مثل هذا الوقت على هذه الصورة. فعندما شاهده سأله عن ذلك المكتوب؛ فقال: لا علم لى بذلك، ولم يكن بلغه الخبر.

ثم جلس مقدار ساعة وركب ومر بعسكره وطوافيه من باب المشهد، والناس قد كثر ازدحامهم بالجامع والخطة وهم يلغطون ويخلطون.

فلما نظروه وشاهد هو جمعيتهم داخله أمر من ذلك، فصاحوا بأجمعهم، وقالوا بصوت عال (الفاتحة)، فشخص إليهم، وصار يسأل من معه عن ازدحامهم، فلطفوا له القول، وقالوا له: إنهم يدعون لك، وذهب إلى داره، وكانت نكتة غريبة، وساعة اتفاقية عجيبة كاد ينشا منها فتنة.

وفيه: شرعوا فى خلع* البوابات والدروب الغير النافذة أيضاً، ونقلوا الجميع إلى بركة الأزبكية عند رصيف الخشاب والبوابة الكبيرة يقطعونها نصفين، ويرفعونها بالعتالين إلى هناك، فاجتمع من ذلك شى كثيرجداً، وامتلا من رصيف الخشاب إلى قريب وسط البركة.

* خلع بوابات الدروب.

وفى يوم السبت حادى عشره [ربيع ثان] : كان يوم عيدهم* الموعود به، فضربوا فى صبيحته مدافع كثيرة، ووضعوا على كل قايم من الخشب بنديره من بنديراتهم الملونة، وضربوا طبولهم، واجتمعت عساكرهم بالبركة الخيالة والرجالة، واصطفوا صفوفا على طرايقهم المعروفة

* احتفال الفرنساوية بعيد الجمهورية [الموافق ٢٢ سبتمبر ١٧٩٨م]
انظر خطبة بونابرت فى هذه المناسبة ص ١٠٠.

بينهم، ودعوا المشايخ وأعيان المسلمين والقبطة والشوام، فاجتمعوا ببيت صارى عسكر بونابارته،وجلسوا حصة من النهار.

ولبسوا فى ذلك اليوم ملابس الافتخار، ولبس المعلم جرجس الجوهرى كركه بطرز قصب على أكتافها إلى أكمامها وعلى صدرها شمسات قصب بأزرار، وكذلك فلتيوس، وتعمموا بالعمايم الكشميرى، وركبوا البغال الفارهة، وأظهروا البشر والسرور فى ذلك اليوم إلى الغاية، ثم نزل عظماهم وصحبتهم المشايخ والقاضى وكتخدا الباشا، فركبوا وذهبوا عند الصارى الكبير [المسلة] الموضوع بوسط البركة، وقد كانوا فرشوا فى أسفله بسطاً كثيرة.

ثم إن العساكر لعبوا ميدانهم، وعملوا هيئة حربهم، وضربوا البنادق والمدافع، فلما انقضى ذلك اصطفت العساكر صفوفاً حول ذلك الصارى، وقرأ عليهم كبير قسوسهم* ورقة بلغتهم [انظر / ص١٠٠] لا يدرى معناها إلا هم، وكأنها كالوصية أو النصيحة أو الوعظ، ثم قاموا وانفض الجمع، ورجع صارى عسكر إلى داره، فمد سماطاً عظيما للحاضرين. فلما كان عند الغروب أوقدوا جميع القناديل التى على الحبال والتماثيل والأحمال التى على البيوت، وعند العشا عملوا حراقة بارود وسواريخ ونفوط وشبه سواقى ودواليب من قار ومدافع كثيرة نحو ساعتين من الليل، واستمرت القناديل موقودة حتى طلع النهار.

ثم فكوا الحبال والتعاليق والتماثيل المصنوعة، وبقيت البوابة المقابلة لباب الهوا والصارى الكبير وتحته جماعة ملازمون



* ثوار باريس فى ١٤ يوليو ١٧٨٩.

* يقصد الجبرتى هنا بونابرت.

وفى مثل هذه المناسبات كانت تظهر بعض الأغانى المحلية التى ينشدها الغوازى ويؤلفها لهم بعض المشايخ ومنها:

يا جمهور عسكرك داير فرحان
فى قطع دابر الغز والعربان
يا سلام بونابرته
يا سلام ملك السلام
يا سلام.

ومنها:

أوحشتنا ياجننار
ياجميل ياراخى العذار
وسيفك ف مصر داير
ع الغز والعربان
يا سلام..

ومنها:

أوحشتنا ياجمهور
ياجميل ياراخى الشعور
من يوم جيت مصر فيها نور
زى قنديل بللور
يا سلام.

الإقامة عنده ليلا ونهارًا من عساكرهم، لأنه شعارهم وإشارة إلى قيام دولتهم فى زعمهم.

وفى ثانى ليلة: منه ركب كبيرهم إلى بر الجيزة وسفّر عساكر إلى الجهة التى بها مراد بك، وكذلك إلى جهة الشرقية، ومعهم مدافع على عجل، وفيه أرسل دبوى قايمقام إلى الست نفيسة، وطلب منها إحضار زوجة عثمان بك الطنبرجى، فأرسلت إلى المشايخ تستغيث بهم، فحضر إليها الشيخ محمد المهدى والشيخ موسى السرسى، وقصدوا منعها، فلم يمكنهم، فذهبوا صحبتها، ونظروا فى قصتها.

والسبب فى طلبها أنهم وجدوا رجلا فراشًا معه جانب دُخَان، وبعض ثياب، فقبضوا عليه وقرروه فأخبر أنه تابعها، وأنها أعطته ذلك، ووعدته بالرجوع إليها لتسلمه شبكى دخان وفروة وخمسماية محبوب ليوصل ذلك إلى سيده، فهذا هو السبب فى طلبها؛ فقالوا: وأين الفراش؟ فبعثوا لإحضاره، وسألوها فأنكرت ذلك بالمرة، فانتظروا حضور الفراش إلى بعد الغروب فلم يحضر، فقال لهم المشايخ دعوها تذهب إلى بيتها، وفى غد تأتى ونحقق هذه القضية. فقال دبوى: «نونو»، ومعناه بلغتهم النفى، أى لا تذهب، فقالوا له دعها تذهب هى ونحن نبيت عوضًا عنها، فلم يرض أيضًا، وعالجوا فى ذلك بقدر طاقتهم، فلما أيسوا تركوها ومضوا، فباتت عندهم فى ناحية من البيت وصحبتها جماعة من النسا المسلمات والنسا الإفرنجيات.

ومنها:

ما أحسنك يافرط الرمان
لما تنادى بالامان
وف يدك ماسك الفرمان
تبقى الرعية قلبها فرحان ياسلام.

ومنها:

اوحشتنا ياسارى عسكر
تشرب القهوة بالسكر
وعسكرك داير يسكر
وف البلد حبوا النسوان
ياسلام

ومنها:

محبوبى لابس برنيطه
ودكته عقد وشنيطه
طلبت وصاله قاللى سبيطه*
ما أحلى كلامه بالطليانى
ياسلام من عيونه
عيون الغزلان
واصلنى يا حلو الكلام
ياسلام

ومنها:

ياعاذلى خلينى
حب الجمال كاوينى
ع الجمر لو يسلينى
بالروح أنا ما أسلاه
يا تمر تمرتين
ياكويستو يابونو

وقد علق سلفسترى ساسى على السطر الأخير بان ذكره هكذا:
Ya Koueys Sitoya Bono
حيث Sitaya تحريف لكلمة Citoyen بمعنى (مواطن) وأن Bono تحريف لأسم بونابرت.
انظر: وصف مصر جـ ٨ ترجمة: زهير الشايب من ص ١٣٣ إلى ص١٤٧.

* سبيطه: محرفة عن الإيطالية Aspetta بمعنى انتظر.

فلما أصبح النهار ركب المشايخ إلى كتخدا الباشا والقاضى، فركبا معا وذهبا إلى بيت صارى عسكر الكبير، فأحضرها وسلمها إلى القاضى، ولم يثبت عليها شى من هذه الدعوة، وقرروا عليها ثلاثة آلاف ريال فرنسه، وذهبت إلى بيت لها مجاور لبيت القاضى، وأقامت فيه لتكون فى حمايته.

وفى يوم الخميس: نادوا فى الأسواق بأن كل مَن كان عنده بغلة يذهب بها إلى بيت قايمقام ببركة* الفيل ويأخذ ثمنها، وإذا لم يحضرها بنفسه تؤخذ منه قهراً، ويدفع ثلثماية ريال فرانسه، وإن أحضرها باختياره يأخذ فى ثمنها خمسين ريالا، قلت قيمتها أو كثرت، فغنم صاحب الخسيس، وخسر صاحب النفيس. ثم ترك ذلك.

* بركة الفيل. يذكرها المقريزى بقوله هذه البركة فيها بين مصر عتيقه والقاهرة وهى كبيرة جداً، ولم يكن فى القديم عليها بنيان، ولما وضع جوهر مدينة القاهرة كانت تجاهها. وعمرت حتى صارت مساكنها أصل مساكن مصر كلها ـ وماء النيل يدخل إليها من الموضع الذى يعرف بالجسر الأعظم تجاه الكبش.

وفيه نادوا بوقود قناديل سهارى بالطرق والأسواق، وأن يكون على كل دار قنديل، وعلى كل ثلاثة دكاكين قنديل، وأن يلازموا الكنس والرش، وتنظيف الطرق من العفوشات والقاذورات.

وفيه: نادوا على الأغراب من المغاربة وغيرهم والخدامين البطالين ليسافروا إلى بلادهم، وكل من وجد بعد ثلاثة أيام يستاهل الذى يجرى عليه، وكرروا المناداة بذلك، وأجلوها بعدها أربعة وعشرين ساعة. فذهبت جماعة من المغاربة إلى صارى عسكر، وقالوا له: أرنا طريقاً للذهاب، فإن طريق البر غير مسلوكة، والإنكليز واقفون بطريق البحر، يمنعون المسافرين، ولا نقدر على المقام فى الإسكندرية من الغلا وعدم الماء بها فتركهم.





وفيه: جعلوا إبراهيم أغات المتفرقة المعمار قبطان السويس، وسافر معه أنفار ببيرق فرنساوى، فخرج عليهم العربان فى الطريق فنهبوهم وقتلوا إبراهيم أغا المذكور، ومن بصحبته، ولم يسلم منهم إلا القليل، وفيه أهمل أمر الديوان الذى يحضره المشايخ ببيت قايد أغا، فاستمروا أياماً يذهبون، فلم يأتهم أحد، فتركوا الذهاب فلم يطلبوا.

وفيه: شرعوا فى ترتيب ديوان آخر وسموه محكمة القضايا*، وكتبوا فى شأن ذلك طومار [مرسوم]، وشرطوا فيه شروطا، ورتبوا فيه ستة أنفار من النصارى القبط، وستة أنفار من تجار المسلمين، وجعلوا قاضيه الكبير ملطى القبطى الذى كان كاتباً عند أيوب بك الدفتردار(*)، وفوضوا إليهم القضايا فى أمور التجار والعامة والمواريث والدعاوى، وجعلوا لذلك الديوان قواعد وأركانا من البدع السيئة، وكتبوا نسخاً من ذلك كثيرة، أرسلوا منها إلى الأعيان، ولصقوا منها نسخًا فى مفارق الطرق وروس العطف وأبواب المساجد، وشرطوا فى ضمنه شروطاً.

* انشاء محكمة القضايا.

وفى ضمن تلك الشروط شروطاً أخرى بتعبيرات سخيفة يفهم منها المراد بعد التأمل الكثير لعدم معرفتهم بقوانين التراكيب العربية، ومحصلة التحيل على أخذ الأموال، كقولهم بأن أصحاب الأملاك يأتون بحججهم وتمسكاتهم الشاهدة لهم بالتمليك، فإذا أحضروها وبينوا وجه تملكهم لها إما بالبيع أو الانتقال لهم بالإرث لا يكتفى بذلك، بل يومر بالكشف عليها فى السجلات، ويدفع على ذلك الكشف دراهم بقدر عينوه فى ذلك الطومار، فإن وجد

* الدفتردار: كان فى بداية العصر العثمانى شخصية عثمانية يعين لرياسة الإدارة المالية فى مصر من بين رجال الخزينة القضائية المركزية، ولقب الدفتردار فى الوثايق دفتردار أفندى، أو دفتردار خزينة عامرة، وكان يتولى مناصب إدارية هامة إضافة لمنصبه فى رياسة الإدارة المالية فى مصر مثل قايمقام الباشا فى بعض الأحيان وبازدياد سيطرة البكوات المماليك على الإدارة فى مصر تمكنوا من شغل منصب الدفتردار. وكان يعين بمرسوم سلطانى وله مرتب ثابت [ساليانه] نقدية يصرف له من الخزينة ومقداره ٨٩٢٠٠ بارة سنويا.

تمسكه مقيداً بالسجل طلب منه بعد ذلك الثبوت، ويدفع على ذلك الإشهاد بعد ثبوته وقبوله قدراً آخر، ويأخذ بذلك تصحيحاً ويكتب له بعد ذلك تمكين، وينظر بعد ذلك فى قيمته، ويدفع على كل مابة اثنين، فإن لم يكن له حجة، أو كانت ولم تكن مقيدة بالسجل، أو مقيدة ولم يثبت ذلك التقييد، فإنها تضبط لديوان الجمهور، وتصير من حقوقهم، وهذا شى متعذر، وذلك أن الناس إنما وضعوا أيديهم على أملاكهم إما بالشرا أو بأيلولتها لهم من مورثهم، أو نحو ذلك بحجة قريبة أو بعيدة العهد، أو بحجج أسلافهم، ومورثيهم، فإذا طولبوا بإثبات مضمونها تعسر، أو تعذر لحادث الموت أو الأسفار، أو ربما حضرت الشهود فلم تقبل، فإن قبلت فعل به ما ذكره.

ومن جملة الشروط مقررات على المواريث والموتى ومقاديرها متنوعة فى القلة والكثرة، كقولهم: إذا مات الميت يشاورون عليه، ويدفعون معلوما لذلك، ويفتحون تركته بعد أربع وعشرين ساعة، فإذا بقيت أكثر من ذلك ضبطت للديوان أيضاً، ولاحق فيها للورثة، وإن فتحت على الرسم بإذن الديوان يدفع على ذلك الإذن مقرراً، وكذلك على ثبوت الورثة، ثم عليهم بعد قبض ما يخصهم مقرر، وكذلك من يدعى دينا على الميت يثبته بديوان الحشريات، ويدفع على إثباته مقرراً*، ويأخذ له ورقة يستلم بها دينه، فإذا استلمه دفع مقرراً أيضاً.

ومثل ذلك فى الرزق والأطيان بشروط وأنواع وكيفية أخرى غير ذلك، والهبات والمبايعات والدعاوى والمنازعات

* قرر بونابرت نشر مرسوم بإنشاء رسوم التسجيل جاء فيه:
بونابرت القائد العام يأمر.
بند رقم ١ ـ ينشأ فى كل عاصمة من اقاليم القطر مكتب للتسجيل حيث تسجل التواريخ رسميا لجميع سندات

والمشاجرات والإشهادات الجزئيات والكليات، والمسافر كذلك لا يسافر إلا بورقة ويدفع عليها قدراً، وكذلك المولود إذ ولد يقال له إثبات الحياة، وكذلك المؤجرات وقبض أجر الأملاك وغير ذلك.

وفيه: نادى أصحاب الدرك على العامة بترك الفضول والكلام فى أمور الدولة، فإذا مر عليهم جماعة من العسكر مجروحون أو منهزمون لا يسخرون بهم، ولا يصفقون عليهم كما هى عادتهم.

وفيه: نهبوا أمتعة عسكر القلينجية الذين كانوا عسكرا عند الأمرا، فأخذوا مكانا بوكالة على بك بساحل بولاق وبالجمالية، وأخذوا متاعهم ومتاع شركاهم محتجين بأنهم قاتلوا مع المماليك، وهربوا معهم.

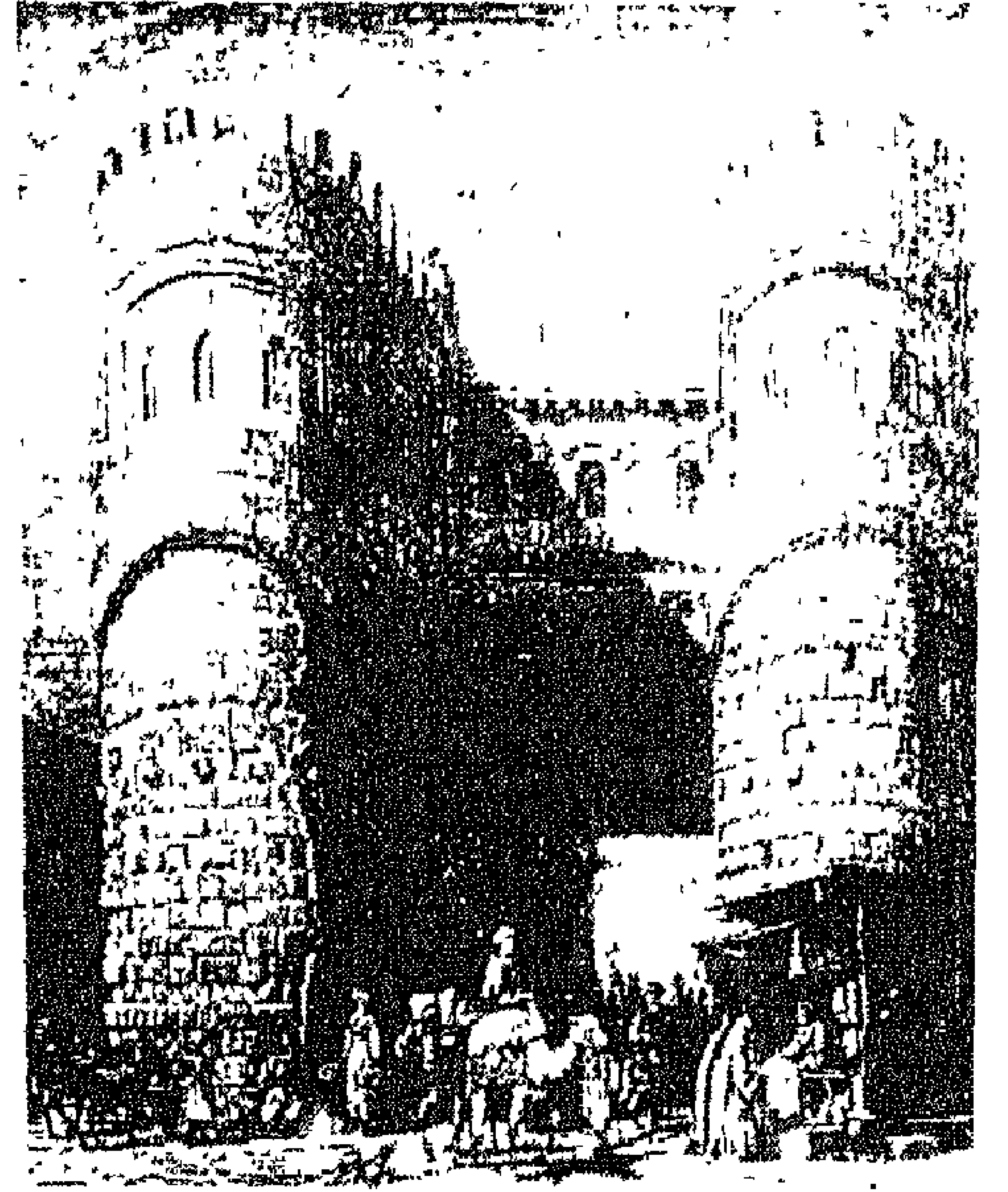
وفيه: أحضروا محمد كتخدا أبا سيف الذى كان سردارا بدمياط من طرف الأمرا المصريين، وكان سابقا كتخدا حسن بك الجداوى، فلما حضر حبسوه فى القلعة، وحبسوا معه فراشا لإبراهيم بك.

وفيه: أمروا سكان القلعة بالخروج من منازلهم، والنزول إلى المدينة ليسكنوا بها، فنزلوا وأصعدوا إلى القلعة مدافع ركزوها بعدة مواضع وهدموا بها أبنية كثيرة، وشرعوا فى بناء حيطان وكرانك وأسوار، وهدموا أبنية عالية، وأعلوا مواضع منخفضة، وبنوا على بدنات باب العزب بالرميلة(*) وغيروا معالمها، وأبدلوا محاسنها، ومحوا ما كان بها من معالم السلاطين وآثار الحكما والعظما، وما كان فى الأبواب العظام من الأسلحة والدرق والبلط والحوادث والحرب



الملكية والعقود التى يحتمل ابرازها أمام المحاكم.
بند رقم ٢ ـ لكل تسجيل يدفع رسم مناسب لأهمية العقد طبقا للتعريفة المرفق منها قائمة بهذا القرار.
بند رقم ٣ ـ لن يعترف بالممتلكات الخاصة إلا إذا كان سند ملكيتها مسجلا وكل الممتلكات الأخرى سوف يطلق عليها (ممتلكات أهلية).
بند رقم ٤ ـ على كل مالك لممتلكات ثابتة أو منقولة ايا كانت أن يسجل سند ملكيته لها فى بحر شهر ابتداء من تاريخ هذا القرار ويكون ذلك لجميع اقاليم القطر.
بندر رقم ٥ ـ إذا لم تسجل سندات الملكية فى الموعد المحدد سيدفع الملاك رسوما مضاعفة بعد انتهاء الموعد وتصبح الأملاك غير المسجلة ملكا للجمهورية.
بند رقم ٦ ـ ابتداء من اليوم جميع عقود البيع ونقل الملكية والمبادلات والهبات الإدارية الموقع عليها عرضيا أو امام موثق يجب تسجيلها فى بحر عشرة ايام ابتداء من تاريخ التوقيع والا اعتبرت باطلة.
بند رقم ٧ ـ لا تثبت تواريخ العقود إلا بالتسجيل وكل عقد لم يسجل فى ظرف عشرة ايام من تاريخ التوقيع سيدفع عليه رسوم تسجيل مضاعفة ولن يكتسب قوة قانونية الا ابتداء من تاريخ تسجيله.

(*) الرميلة: يطلق عليها أسماء أخرى مثل قراميدان. وهى توجد أمام باب العزب ويوجد بها جامع المحمودية والسلطان حسن والرفاعى. والرميلة هى ميدان القلعة فى الوقت الحاضر.



* باب الفتوح .

الهندية وأكر الفداوية، وهدموا قصر يوسف صلاح الدين ومحاسن الملوك والسلاطين ذوات الأركان الشاهقة والأعمدة الباسقة،

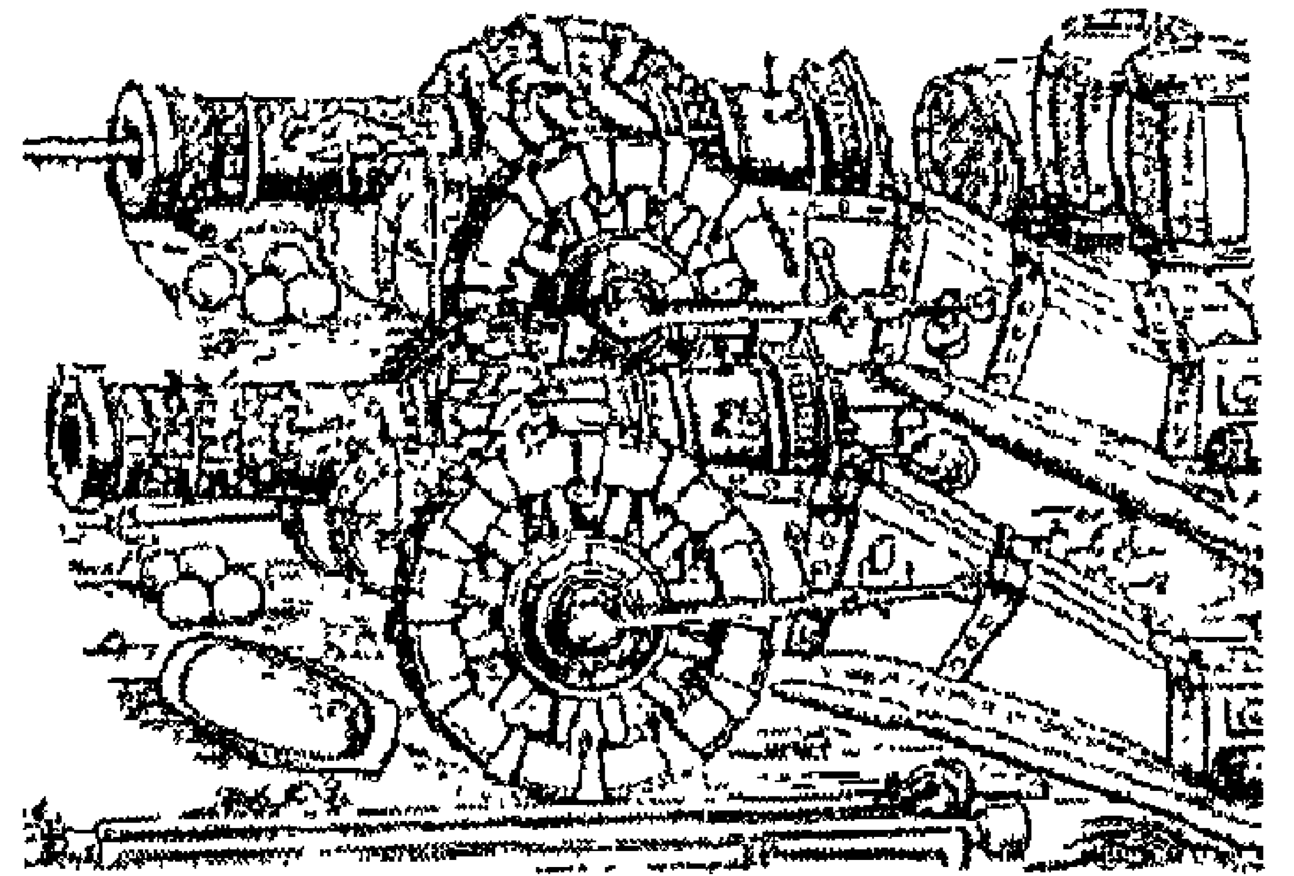
وفيه: عينت عساكر إلى مراد بك، وذهبوا إليه ببحر يوسف جهة الفيوم.

وفي يوم الخميس سادس عشره: نودى بأن كل من تشاجر مع نصرانى أو يهودى، أو تشاجر معه نصرانى أو يهودى يشهد أحد الخصمين على الآخر، ويطلبه لبيت صارى عسكر.

وفيه: قتلوا شخصين وطافوا بروسهما، وهم ينادون عليهما: ويقولون: هذا جزاء من يأتى بمكاتيب من عند المماليك، أو يذهب إليهم بمكاتيب.

* اتخاذ اجراءات صحية خوفا من الطاعون

وفيه. نبهوا على الناس بالمنع من دفن الموتى بالترب القريبة* من المساكن كتربة الأزبكية والرويعى، ولا يدفنون الموتى إلا فى القرافات البعيدة، والذى ليس له تربة بالقرافة يدفن ميته فى ترب المماليك، وإذا دفنوا يبالغون فى تسفيل الحفر، ونادوا أيضا بنشر الثياب والأمتعة والفرش بالأسطحة عدة أيام، وتبخير البيوت بالبخورات المذهبة للعفونة ـ كل ذلك للخوف من حصول الطاعون وعدواه، ويقولون: إن العفونة تنحبس بأغوار الأرض، فإذا دخل الشتا وبردت الأغوار بسريان النيل والأمطار والرطوبات ـ خرج ما كان منحبسًا بالأرض من الأبخرة الفاسدة فتعفن الهوا فيحصل الوباوالطاعون.



* مدافع حصار متنقلة.

ومن قولهم أيضا: إن مرض مريض لابد من الإخبار عنه فيرسلون من جهتهم حكيما للكشف عليه إن كان مرضه بالطاعون أو بغيره، ثم يرون رأيهم فيه.

وفى يوم السبت ثامن عشره: ذهبت جماعة من القوّاسة الذين يخدمون الفرنساوية، وشرعوا فى هدم التراكيب المبنية على المقابر بتربة الأزبكية وتمهيدها بالأرض، فشاع الخبر بذلك، وتسامع أصحاب الترب بتلك البقعة، فخرجوا من كل حدب ينسلون، وأكثرهم النسا* الساكنات بحارة المدابغ وباب اللوق وكوم الشيخ سلامة والفوالة والمناصرة وقنطرة الأمير حسين وقلعة الكلاب ـ إلى أن صاروا كالجراد المنتشر، ولهم صياح وضجيج، واجتمعوا بالأزبكية، ووقفوا تحت بيت صارى عسكر. فنزل لهم المترجمون، واعتذروا بأن صارى عسكر لا علم له بذلك الهدم، ولم يأمر به، وإنما أمر بمنع الدفن فقط، فرجعوا إلى أماكنهم، ورفع الهدم عنهم.

* مظاهرة نسائية ضد هدم مقابر الأزبكية.

وفيه: كتبوا من المشايخ كتابا ليرسلوه إلى السلطان، وآخر إلى شريف* مكة، ثم إنهم بصموا منه عدة نسخ، ولصقوها بالطرق والمفارق، وصورته ملخصا:

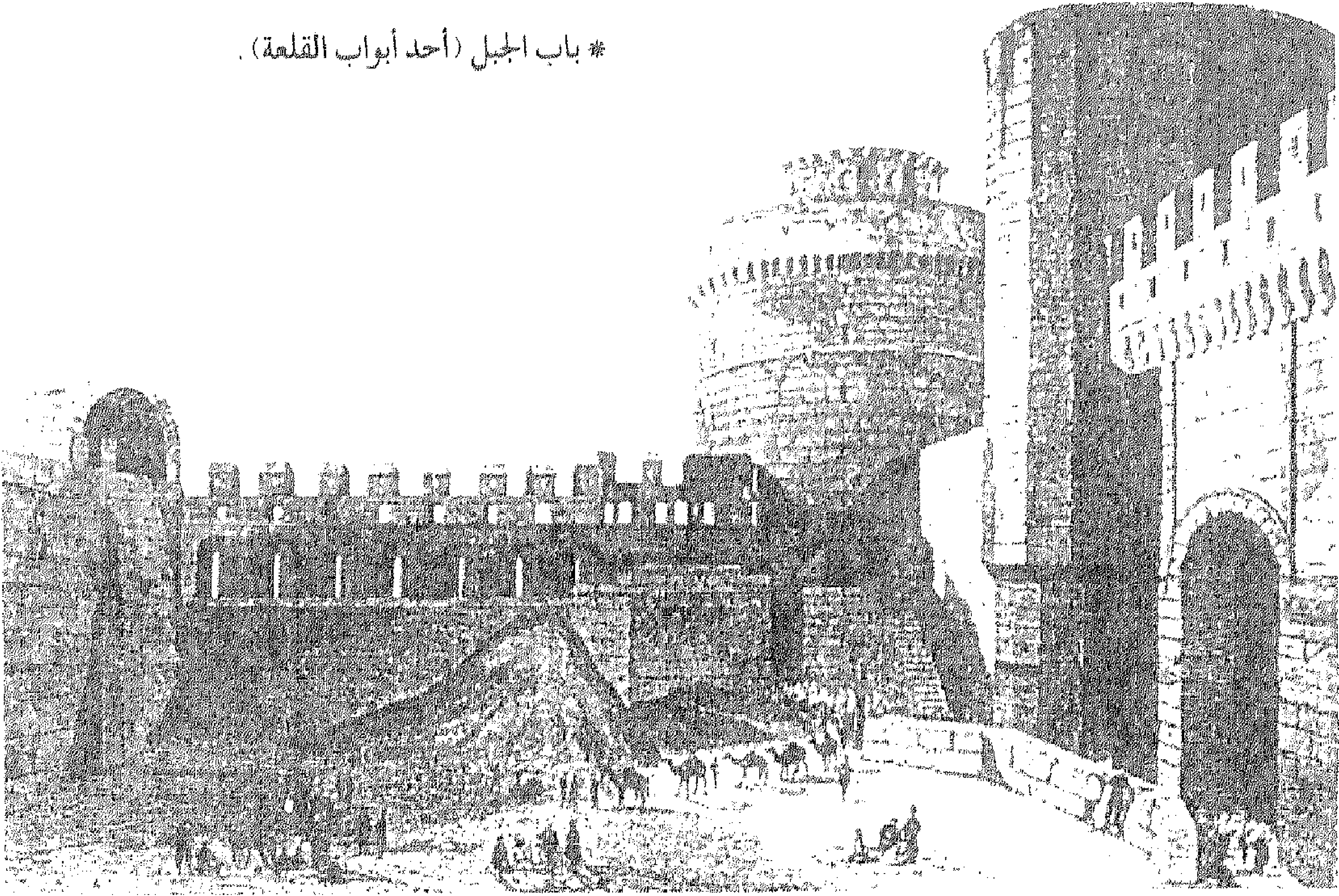
بعد الصدور [المقدمة] وذكر ورودهم [الفرنسيس] وقتالهم مع المماليك وهروبهم، وأن جماعة من العلما ذهبت إليه بالبر الغربى فأمنوهم، وكذلك الرعية دون المماليك، وذكروا فيه أنهم من أخصا السلطان العثمانى وأعدا أعدايه، وأن السكة والخطبة باسمه، وشعاير الإسلام مقامة على ما هى عليه وباقية بمعنى الكلام السابق من قولهم: إنهم مسلمون، وأنهم محترمون القرآن والنبى، وأنهم أوصلوا

* خطاب موجه إلى شريف مكة من مشايخ وأعيان القاهرة:

بعد تضرعاتنا الحارة إلى الله التى تلهج بها ألسنتنا دايما أبدا ليحفظ مولانا أمير المؤمنين والتاج الملكى للذرية الهاشمية وسليل النبى الشريف غالب سلطان مكة حفظه الله ليرمقه برعايته إلى أعلى مراتب المجد ويجنبه أى سوء تأتى به الأيام فى تعاقب الليل والنهار لما أكتسبه من بركات جده المجيد وهو أقدرالشافعين.

نتشرف بإبلاغ مولانا الذى لا يكف أبدا بعبقريته عن رعاية مصالح الدين

* باب الجبل (أحد أبواب القلعة).



والمؤمنين والسادة آل عبد المناف احد مشاهير أجداد أوليائنا الشرفاء وعلماء الإسلام فى مكة والقضاة والأئمة الخطباء وعموم تجار وموظفى الحكومة فى المدينة المقدسة أن اليوم السابع من شهر صفر الذى كان يوافق يوم السبت أقبل الجيش الفرنسى على أراضى الجيزة على ضفاف النيل الغربية وشن فى نفس اليوم هجوما على المماليك. استمرت المعركة فيه حوالى ساعتين وكانت عاقبتها وخيمة على المماليك الذين اضطروا إلى الفرار مع غروب الشمس تاركين عددا كبيرا من جنودهم فى ساحة القتال. وفى صباح اليوم التالى توجه وفد من علماء الشريعة وأعيان القاهرة إلى الجيزة طالبين الحماية والرعاية للمصريين ما عدا المماليك وأتباعهم واستجاب القائد العام إلى طلبهم هذا. ثم طلب

الحجاج المتشتتين وأكرموهم،وأركبوا الماشى، وأطعموا الجيعان، وسقوا العطشان، واعتنوا بيوم الزينة يوم جبر البحر، وعملوا له شنكا ورونقا استجلاب السرور للمومنين، وأنفقوا أموالا برسم الصدقة على الفقرا، وكذلك اعتنوا بالمولد النبوى، وأنفقوا أموالا فى شأن انتظامه، واتفق رأينا ورأيهم على لبس حضرة الجناب المحترم مصطفى أغا كتخدا بكر باشا والى مصر حالا، فاستحسنا ذلك لبقاء عُلْقَه الدولة العلية، وهم أيضا مجتهدون فى إتمام مهمات الحرمين، وأمرونا أن نعملكم بذلك والسلام.

وفيه: وقعت حادثة جزئية من جملة الجزئيات. وهو أن رجلا صيرفياً بجوار حارة الجوانية ـ وقع من لفظه أنه قال: السيد أحمد البدوى بالشرق، والسيد إبراهيم الدسوقى

بالغرب يقتلان كل من يمر عليهما من النصارى، وكان هذا الكلام بمحضر من النصارى الشوام، فجاوبه بعضهم وأسمعه قبيح القول، ووقع بينهما التشاجر، فقام النصرانى، وذهب إلى دبوى، وأخبره بالقصة، فأرسل وقبض على ذلك الصيرفى وحبسه وسمر حانوته، وختم على داره، وتشفع فيه المشايخ عدة مرار، فأطلقوه بعد يومين، وأرسلوه إلى بيت الشيخ البكرى ليؤدب هناك بالضرب، أو يدفع خمسماية ريال فرانسة، فضرب ماية سوط، وأطلق إلى سبيله، وكذلك أفرجوا عن بقية المسجونين.

وفى يوم الاثنين: طاف أصحاب الدرك على الأخطاط والوكايل. فكتبوا أسماها، وأسما البوابين، وأمروهم أن لا يسكنوا أحداً من الأغراب، ولا يطلقوا أحداً يسافر بلا إذن من أغات مستحفظان.

---

الوفد أن تلقى كالمعتاد خطبة الجمعة التى تعود الأئمة الخطباء إلقاءها فى المساجد يوم الجمعة عند صلاة الظهر متضمنة الدعاء لصاحب العظمة السلطانية، فوافق القائد العام على أن تلقى هذه الخطب كما كانت وأضاف أنه من أخلص أصدقاء السلطان العثمانى وأنه يحب جميع الموالين له ويعتبر أعداء السلطان أعداء له شخصيا.

وأمر فى الحال أن تفتح أبواب الجوامع للمصلين لأداء الشعائر الدينية والآذان وتلاوة القرآن بكل حرية فى مدينة القاهرة كالمعتاد.

وتكرم أيضا بإبلاغ الوفد أنه يسلم فى قرارة نفسه بأن الحقيقة التى لا زاغ فيها هى أن الله هو الله وحده وأن معظم الفرنسيين يكنون لنبينا والقرآن اعظم تبجيل وأكثرهم مقتنعون بسيادة الإسلام على جميع الأديان الأخرى ودلل القائد على قوله هذا بإطلاق سراح جميع الأسرى المسلمين الذين وجدهم فى جزيرة مالطة بعد الاستيلاء عليها وهدم الكنائس المسيحية والصلبان فى جميع البلاد التى استولى عليها وخاصة فى مدينة البندقية، حيث أحبط كل المكايد التى كان يتعرض لها المسلمون وخلع بابا المسيحيين فى روما، الذى كان يحل قتل المؤمنين، هذا العدو الأزلى للإسلام الذى كان يدخل فى روع المسيحيين أن الله يكافىء على إهدار دماء المؤمنين الحقيقيين. أن هذا العدو لم يعد له وجود وقد استراح منه المسلمون برعاية الله العلى القدير.

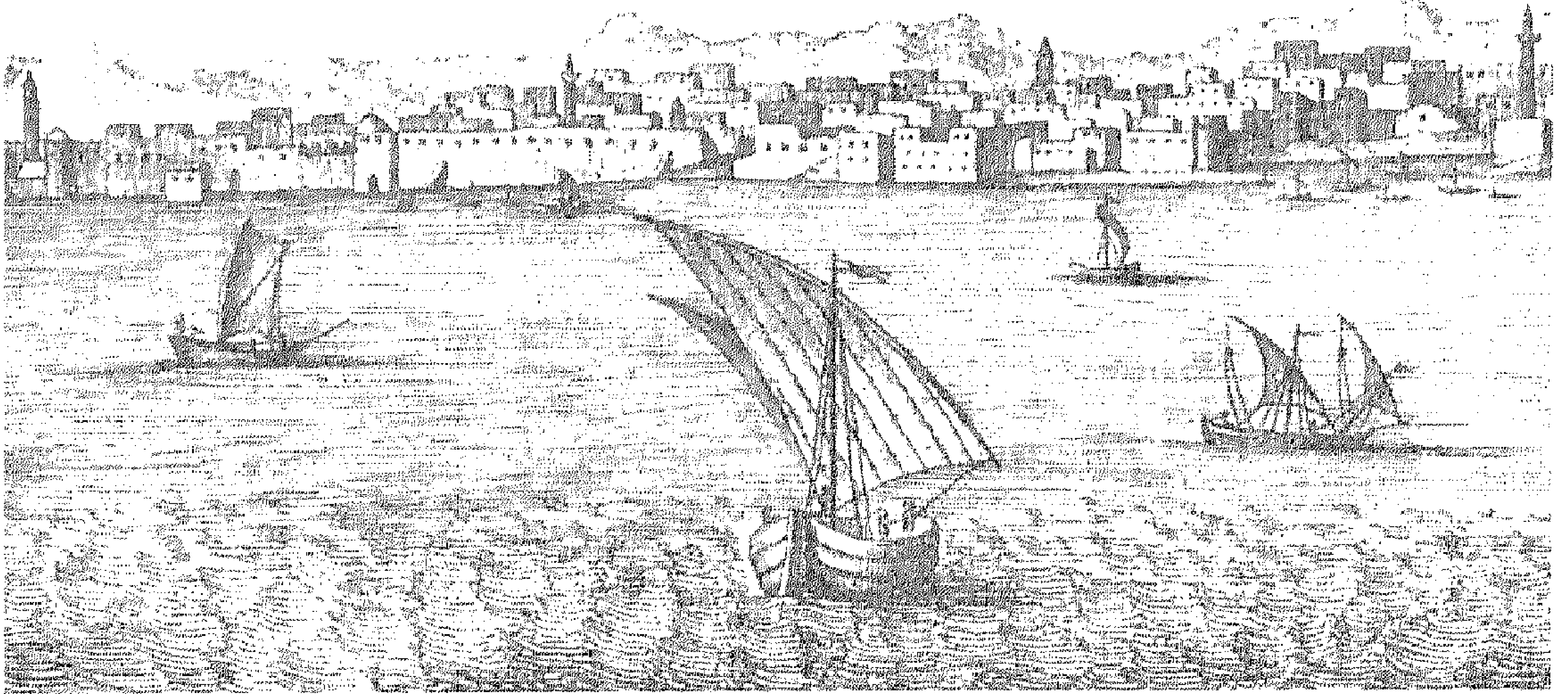
وعندما عاد الحجاج من مكة واقتربوا من القاهرة ذهب القائد العام بنفسه لملاقاتهم فى مديرية الشرقية بعد سماع الأخبار بأن بعض الأعراب اللصوص والمجرمين قد سلبوهم متاعهم وخيراتهم. فاستقبلهم الجنود الفرنسيون وزودوا من بقى منهم على قيد الحياة بالخيول والطعام والزاد وأسعفوا الجياع والعطاشى.

وكان القائد العام قبل ذهابه إلى الشرقية قد كتب إلى قافلة الحجاج يطلب منها العودة رأسا إلى القاهرة حيث تجد أحسن استقبال ولكن للأسف هذه الخطابات لم تصل إلى رجال القافلة الذين لاقوامصيرهم المحتوم.

كما افتتحت قناة [خليج] مدينة القاهرة هذا العام باحتفالات غير عادية ارضاء للمؤمنين دون شك. وتبديدا لمخاوفهم وهمومهم أجرى القائد توزيع مبالغ كبيرة من المال على سبيل الصدقة على الفقراء والمعوزين وأقام وليمة تكريما لأعيان البلد. كذلك أنفق القائد أموالا كثيرة احتفاء بمولد النبى سيد المرسلين وأقيمت احتفالات شيقة بهرت أنظار المؤمنين.

إنا لله وإنا إليه راجعون

ـ كما يجب ألا يخفى عليكم أن القائد أبدى رغبة صادقة فى تعيين أمير



* لوحة ميناء جدة.

الحج واتخاذ جميع الإجراءات التى تسبق رحيل قافلة الحجاج. وكان من رأينا معه أن يسند شرف هذه المأمورية إلى السيد المحترم الأمير مصطفى آغا وهو من رجال صاحب السعادة أبو بكر باشا حاكم القاهرة، ونحن نرجو أن يلقى هذا الاختيار وقعا حسنا من الباب العالى تأكيدا لحق من أعز الحقوق على قلبه. لذلك فقد أضفى هذا الإجراء البهجة والسرور وأدخل الطمأنينة على قلوب جميع المسلمين.

يبدى قائد الجيش الفرنسى نشاطا كبيرا واخلاصا عظيما لمصالح الحرمين ويتفقد كل ما يلزم عمله بشأن رحلة قافلةالحجاج.

هذا هو ما أوصانا به لتكونوا على علم، باعتبارنا شهود عيان بالعناية الفائقة التى يخص بها هذا الأمر المهم لكى تعملوا ما ترونه مناسبا من جانبكم.

والسلام وألف سلام على هذا الرسول المجيد الذى أتى يعلن الحقيقة على العالمين وقد وهب الله كل الفضائل والشمائل. سلام الله أيضا على أهله وصحبه فى رسالته السماوية.

عمل فى القاهرة فى ٢٠ من ربيع الأول سنة ١٢١٣هـ وقد ذيل بامضاءات عديدة جدا.

(كوربيه دى ليجيبت العدد ٦ ـ ص ١٥، ١٦).

وقد نشر لاكروا خطابا كتبه بونابرت فى ذلك الوقت ليبعث به إلى الشريف غالب بن مسعود أمير مكة ولم يرد لهذا الخطاب ذكر فى الكتب العربية، ولذلك رأينا أن نأتى على نصه:

إلى الشريف غالب بن مسعود

«فى الوقت الذى انبأوك فيه بدخول الجيش الفرنسى إلى مصر، أرى من الواجب علىّ أن أوكد لك بان نيتى ترمى إلى تأمين طريق الحج إلى مكة بكل الوسائل الممكنة وستبقى الأوقاف والاملاك التى للحرمين الشريفين فى مصر كما كانت فى الماضى لا ينازعهما فيها منازع.

أننا أصدقاء لنبى المسلمين ولدينهم وسنعمل كلما نستطيعه لارضائكم وللتودد إلى الدين الإسلامى.

أريد منك أن تعلن الناس فى كل مكان أن قوافل الحج لا تلقى فى طريقها مقاومة بل ستكون محمية بطريقة تجعلها فى مأمن من اعتداء البدوعليها

(بونابرت)


* بونابرت يتصدر ديوان القاهرة.

وفيه يوم الثلاثا: عمل المولد الحسينى، وكان من العزم تركه فى هذا العام، فدس بعض المنافقين دسيسة عند الفرنسيس، وذلك أنه وقعت المذاكرة بأن من المعتاد أن يعمل المولد الحسينى بعد مولد النبى، فقال بونابارته: ولم لم يعملوه؟ فقال ذلك المنافق: غرض الشيخ السادات عدم عمله إلا إذا حضر المسلمون، فبلغ شيخ السادات ذلك، فشرع فى عمله على سبيل الاختصار، وحضر صارى عسكر، وشاهد الوقدة، ورجع إلى داره بعد العشا.

وفيه: حضرعلما الإسكندرية وأعيانها، وكذلك رشيد ودمياط، وبقية البنادر باستدعا صارى عسكر ليحضروا الديوان الشارعين فيه لترتيب النظام الذى سبقت الإشارة إليه.

* وفيما يلى نص خطابين متبادلين بين بونابرت والشريف غالب بن مسعود
من القائد العام إلي شريف مكة
بسم الله الرحمن الرحيم
أعرفك بوصولى إلى القاهرة علي رأس الجيش الفرنسى. سترون من واقع الخطابات التى يحررها لكم الديوان، وأشهر تجار القاهرة إنى عينت الأمير حاج مصطفى بك كخيا أبو بكر باشا حاكما لمصر. سوف يصحب القافلة [المحمل] ومعه القوات اللازمة لتأمين سلامتها من هجمات الأعراب عليها.
أخبروا جميع التجار المؤمنين أنه ليس للمسلمين أصدقاء أوفى منا، وليعلم أيضا جميع الشرفاء، وكل من يقضون أوقاتهم لا يدخرون وسعا فى تعليم الشعب والعمل علي نشر تعاليم القرآن، أنه ليس لهم حماة أكثر منا اخلاصا.
طمئنوا جميع التجار بأن التجارة ليست فقط فى مأمن ممن يحاولون النيل منها بل سنحميها أيضا.
سأحافظ دائما على مصالح الكعبة الشريفة التى اعتبر حمايتى لها شرفا ومجدا لى.
وتفضلوا بقبول احترامى وعظيم تقديرى لكم.
الرد
ليصل هذا الخطاب إلى الأمير بونابرت صديق الكعبة الشريفة فى القاهرة بأذن الله تعالى، سدد المولى جميع خطاه.
باسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.
يلى ذلك ختم الشريف ويقرأ فيه: غالب مسعود سنة ١٢٠٢ هجرية (وقت توليه الحكم).
من الشريف غالب بن مسعود، أمير مكة، إلى الأمير بونابرت حامى العلماء وصديق الكعبة الشريفة.

وفيه: سافر أيضا جماعة من الفرنسيس إلى جهة مراد بك ومن معه، التقوا معهم وتراموا ساعة، ثم انهزموا عنهم، وفى أنفسهم، فتتبعوهم إلى أسفل جبل اللاهون، ثم خرجوا عليهم على مثل حالهم رجالا، وتراموا معهم، وأكمنوا لهم وثبتوا معهم، وظهر عليهم المصريون، وقتل من الفرنساوية مقتلة كبيرة.

وفيه: سقطت البوابة المصنوعة ببركة الأزبكية المقابلة لباب الهوا التى كانوا وضعوها فى يوم عيدهم، وقد تقدم شرحها ووصفها. وسبب سقوطها أنهم لما منعوا الما من دخوله للبركة، وسدوا القنطرة كما تقدم، علا الماء فى أرض البركة، وتخلخلت الأرض فسقطت تلك البوابة.

وفى يوم الجمعة رابع عشرينه: نبهوا على المشايخ والأعيان والتجار ومن حضر من الأقطار بالحضور إلى الديوان العام ومحكمة النظام بكرة تاريخه، وذلك ببيت مرزوق بك بحارة عابدين، فلما أصبح يوم السبت أعادوا التنبيه بحضورهم بالديوان القديم ببيت قايد أغا بالأزبكية، فتوجه المشايخ المصرية والذين حضروا من الثغور والبلاد، وحضر الوجاقات وأعيان التجار ونصارى القبط والشوام، ومدبرو الديوان من الفرنسيس وغيرهم جمعا موفوراً.

فلما استقر بهم الجلوس شرع ملطى القبطى الذى عملوه قاضى فى قراة فرمان الشروط، وفى المناقشة فابتدر كبير المدبرين فى إخراج طومار * آخر، وناوله للترجمان، فنشره وقراه، وملخصه ومضمونه:

الإخبار بأن قطر مصر هو المركز الوحيد، وأنه أخصب البلاد، وكان يجلب إليه المتاجر من البلاد البعيدة، وأن

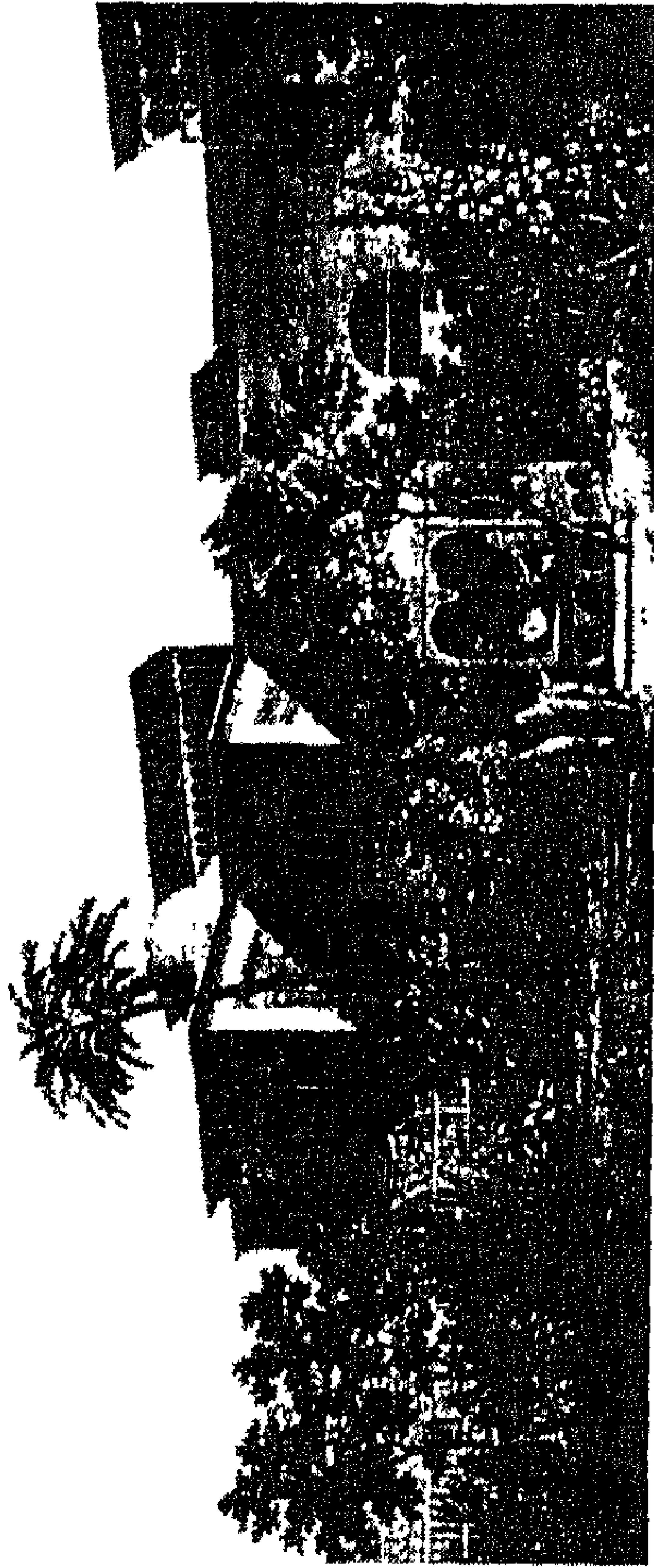
بعد التحية أفيدكم بأننى تسلمت خطابكم الودى وعلمت بما جاء فيه.
علمت منه أيضا أنكم اسندتم إلى كخيا باشا القاهرة شرف قيادة قافلة الحجاج المسلمين ولا يسعنى إلا أن ارحب بهذا التصرف.
تخبروننى أنكم مصممون على تشجيع الحجاج المسلمين على زيارة بيت الله وأنهم يطلبون منا الطمأنينة والحماية. لا شك أنهم يلقون هناك الحماية التامة ولن يتعرض لهم أحد فى زياراتهم الهادئة للكعب الشريفة وضريح النبى، ولم يأمر الله بإقامة بيته المقدس الا لجعله مكانا لالتقاء المسلمين. وعلى ذلك فكل مسلم يمكنه الحضور لتأدية فريضة الحج دون أدنى خوف أو تردد.
أما فيما يختص بما ذكرتموه عن تشجيع تجارة البن فاعلموا أن تجار الحجاز ما زالوا يخشون من مشاكسات المماليك لهم. وإذا رغبتم فى تنمية هذه التجارة ينبغى عليكم أن تتخذوا بعض تدابير من شأنها إدخال الطمأنينة إلى قلوبهم، ومصارحتهم بالرسوم التى ستطلبونها منهم على كميات البن أو غير ذلك من السلع التى سيتجرون بها. فإذا كان لكم ذلك فسوف ترونهم يهرعون إليكم جموعا وفرادى، وإلا فسيمنعهم خوفهم من المشاغبات والمشاكسات عن الحضور إلى مصر.
أما ما تتحدثون عنه بشأن معاملة العرب السيئة للحجاج فانى أفيدكم أنه لن يحدث ذلك بكل تأكيد بإذن الله وبفضل حمايتكم القوية.
والسلام على من اتبع الهدى.
انظر: كوربيه د. ى ليجييت العدد ٢٤.
* بونابرت يصدر طومار يذكر فيه امجاد مصر وينوه برفع يد الترك عنها.

العلوم والصنايع والقراءة والكتابة التى يعرفها الناس فى الدنيا أخذت عن أجداد أهل مصر الأول، ولكون قطرمصر بهذه الصفات طمعت الأمم فى تملكه، فملكه أهل بابل، وملكه اليونان، والعرب، والترك الآن، إلا أن دولة الترك شددت فى خرابه لأنها إذا حصلت الثمرة قطعت عروقها، فلذلك لم يبقوا بأيدى الناس إلا القدر اليسير، وصار الناس لأجل ذلك مختفين تحت حجاب الفقر وقاية لأنفسهم من سوء ظلمهم.

ثم إن طايفة الفرنساوية بعدما تمهد أمرهم وبعد صيتهم بقيامهم بأمور الحروب اشتاقت أنفسهم لاستخلاص مصر مما هى فيه، وإراحة أهلها من تغلب هذه الدولة المفعمة جهلا وغباوة فقدموا وحصل لهم النصرة، ومع ذلك لم يتعرضوا لأحد من الناس، ولم يعاملوا الناس بقسوة، وإن غرضهم تنظيم أمور مصر، وإجراء خلجانها التى دثرت، ويصير لها طريقان: طريق إلى البحر الأسود [المتوسط] ، وطريق إلى البحر الأحمر، فيزداد خصبها وريعها، ومنع القوى من ظلم الضعيف، وغير ذلك. استجلابا لخواطر أهلها، وإبقا للذكر الحسن.

فالمناسب من أهلها ترك الشغب وإخلاص المودة، وإن هذه الطوايف المحضرة من الأقاليم يترتب على حضورها أمور جليلة لأنهم أهل خبرة وعقل، فيسألون عن أمور ضرورية ويجيبون عنها، فينتج لصارى عسكر من ذلك ما يليق صنعه إلى آخر ما سطروه من الكلام.

قلت: ولم يعجبنى فى هذا التركيب إلا قوله المفعمة جهلا وغباوة بعد قوله اشتاقت أنفسهم. ومنها قوله بعد ذلك، ومع ذلك لم يتعرضوا لأحد إلى آخر العبارة.



* حديقة قصر الألفى بك مقر القيادة العامة للجيش الفرنسى.

ثم قال الترجمان نريد منكم يا مشايخ أن تختاروا شخصاً منكم يكون كبيراً وريساً عليكم ممتثلين أمره وإشارته. فقال بعض الحاضرين: الشيخ الشرقاوى، فقال: نو، نو، وإنما ذلك يكون بالقرعة، فعملوا قرعة بأوراق، فطلع الأكثر على الشيخ الشرقاوى*.

* تعيين الشيخ الشرقاوى بالقرعة رئيساً للديوان

فقال حينئذ يكون الشيخ عبد الله الشرقاوى هو الريس، فما تم هذا الأمر حتى زالت الشمس، فأذنوا لهم فى الذهاب، وألزموهم بالحضور فى كل يوم.

وفيه: وقعت كاينة الحاج محمد بن قيمو المغربى التاجر الطرابلسى. وهو أنه كان بينه وبين بعض نصارى الشوام المترجمين منافسة، فأنهى [فأنهوا] إلى عظما الفرنسيس أنه ذو مال، وأنه شريك عبد الله المغربى تابع مراد بك، فأرسلوا بطلبه، فذهب إلى بيت الشيخ عبد الله الشرقاوى لنسابة بينهما، فقال الشيخ للقواسة المرسلين بعد سؤالهم عن سبب طلبهم له، فقالوا لدعوة ليست شرعية، فقال لهم فى غد إحضروا خصمه، ويتداعى معه، فإن توجه الحق عليه ألزمناه بدفعه، فرجعت الرسل، وتغيب الرجل لخوفه.



* الشيخ عبد الله الشرقاوى .

فبعد مضى مقدار نحو ساعة حضر نحو الخمسين عسكرى من الفرنسيس إلى بيت الشيخ وطالبوه به، فأخبرهم أنه هرب، فلم يقبلوا عذره، وألحوه فى طلبه، ووقفوا ببنادقهم ،وأرهبوا، فركب المهدى والدواخلى إلى صارى عسكر وأخبروه بالقضية وبهروب الرجل، فقال. ولأى شى يهرب فقالوا من خوفه، فقال: لولا أن جرمه كبير لما هرب، وأنتم غيبتموه وأظهر الحنق والغيظ، فلاطفاه واستعطفا خاطر الترجمان، فكلمه وسكن غيظه، ثم سأل عن منزله

ومخزنه، فأخبراه عنهما، فقال يذهب معكما من يختم عليهما حتى يظهر فى غد، فاطمأنوا لذلك، ورجعوا عند الغروب، وختموا على مخزنه ومنزله، فلما أصبح النهار فلم يظهر الرجل، فأخذوا ما وجدوه فيهما من البضايع والأمانات.

وفى يوم الأحد: ذهبوا إلى الديوان وعملوا مثل عملهم الأول حتى تمموا أسما المنتخبين بديوان مصر من الثغور والمشايخ والوجاقلية والقبط والشوام وتجار المسلمين، وذلك الترتيب غير ترتيب الديوان السابق*.

* هذا هو الديوان الكبير.

وفى يوم الاثنين: اجتمعوا بالديوان ونادى المنادى فى ذلك اليوم بالأسواق على الناس بإحضارهم حجج أملاكهم إلى الديوان، والمهلة ثلاثون يوما، فإن تأخر عن الثلاثين يضاعف المقرر، ومهلة البلاد ستون يوما.

ولما تكامل الجميع شرع ملطى فى قراءة المنشور، وتعداد ما به من الشروط مسطور، وذكر من ذلك أشيا، منها:

أمر المحاكم والقضايا الشرعية وحجج العقارات، وأمر المواريث، وتناقشوا فى ذلك حصة من الزمن وكتبوا هذه الأربعة أشيا: أرباب ديوان الخاصة يدبرون رأيهم فى ذلك، وينظرون المناسب والأحسن، وما فيه الراحة لهم وللرعية، ثم يعرضون ما دبروه يوم الخميس، وما بين ذلك له مهلة، وانفض المجلس.



الجبرتى/ سنة ١٢١٣م

## واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الخميس الموعود سنة ١٢١٣هـ

واجتمعوا بالديوان ومعهم ما لخصوه واستأصلوه في الجملة. فأما أمر المحاكم والقضايا فالأولى إبقاؤها على ترتيبها ونظامها، وعرفوهم عن كيفية ذلك، ومثل ذلك ما عليه أمر محاكم البلاد، فاستحسنوا ذلك إلا أنهم قالوا يحتاج إلى ضبط المحاصيل وتقريرها على أمر لا يتعداه القضا ولا نوابهم، فقرروا ذلك.

وهو أنه إذا كان عشرة آلاف فما دونها يكون على كل ألف ثلاثون نصفا، وإذا كان المبلغ مابة تكون على الألف خمسة عشر، فإن زاد على ذلك فعشرة، واتفقوا على تقرير القضاة ونوابهم على ذلك.

وأما حجج العقارات فإنه أمر شاق طويل الذيل، فالمناسب فيه والأولى أن يجعلوا عليها دراهم من بادى الرأى ليسهل تحصيلها، ويحسن عليها السكوت، ويكون المحصول أعلى وأدنى وأوسط، وبينوا القدر المناسب بتفصيل الأماكن، وكتبوه وأبقوه حتى يرى الآخرون رأيهم فيه، وانفض الديوان.

* احتياطات ضد الطاعون. وظهور الزائرات الصحيات.

وفي ذلك اليوم نودى في الأسواق بنشر الثياب* والأمتعة خمسة عشر يوما، وقيدوا على مشايخ الأخطاط والحارات والقلقات بالفحص والتفتيش، فعينوا لكل حارة امرأة ورجلين يدخلون البيوت للكشف على ذلك، فتصعد المرأة إلى أعلى الدار وتخبرهم عن صحة نشرهم الثياب، ثم يذهبون بعد التأكد على أهل المنزل والتحذير من ترك

الفعل، وكل ذلك لذهاب العفونة الموجبة للطاعون، وكتبوا بذلك أوراقا لصقوها بحيطان الأسواق على عادتها فى ذلك.

وفيه: حضر إلى بيت البكرى جم غفير من أولاد الكتاتيب والفقها والعميان والمؤذنين وأرباب الوظايف والمستحقين من المزمنى والمرضى بالمارستان المنصورى، وأوقاف عبد الرحمن كتخدا، وشكوا من قطع رواتبهم وخبزهم، لأن الأوقاف تعطل إيرادها، واستولى على نظارتها النصارى القبط والشوام، وجعلوا ذلك مغنما لهم، فواعدهم على حضورهم الديوان، وينهوا شكواهم، ويتشفع لهم، فذهبوا راجعين.

وفيه: قدمت مراكب من جهة الصعيد، وفيها عدة من العسكر مجروحون.

وفيه: وضعوا على التلال المحيطة بمصر بيارق بيضا*، فأكثر الناس من اللغط، ولم يعلموا سبب ذلك.

* كانت هذه طريقة الفرنساوية فى تحديد المناطق التى ستقام عليها تحصينات القاهرة.

وفى يوم الأحد: اجتمعوا بالديوان، وأخذوا فيما هم فيه، فذكروا أمر المواريث. فقال ملطى: يامشايخ أخبرونا عما تصنعونه فى قسمة المواريث؟ فأخبروه بفروض المواريث الشرعية، فقال: ومن أين لكم ذلك، فقالوا من القرآن، وتلوا عليهم بعض آيات المواريث. فقال الإفرنج نحن عندنا لا نورث الولد، ونورث البنت، ونفعل كذا، وكذا بحسب تحسين عقولهم، لأن الولد أقدر على التكسب من البنت.

فقال ميخايل كحيل الشامى، وهو من أهل الديوان أيضًا: نحن والقبط* يقسم لنا مواريثنا المسلمون، ثم التمسوا من

* قسمة مواريث الاقباط دخلت قسمة مواريث أهل الذمة بين اختصاصات القسام العربى فى العصر

المشايخ أن يكتبوا لهم كيفية القسمة ودليلها. فسايروهم ووعدوهم بذلك وانفضوا.

وفي ذلك اليوم عزلوا محمد أغا المسلماني أغات مستحفظان، وجعلوه كتخدا أمير الحاج، واستقروا بمصطفى أغا تابع عبد الرحمن أغا مستحفظان سابقًا عوضا عنه، ونودى بذلك.

وفي يوم الاثنين: عملوا لهم ديوانا وكتبوا لهم كيفية قسمة المواريث، وفروض القسمة الشرعية وحصص الورثة والآيات المتعلقة بذلك، فاستحسنوا ذلك.

وفي يوم السبت عاشر جمادى الأولى: عملوا الديوان،وأحضروا قايمة مقررات الأملاك والعقار، فجعلوا على الأعلى ثمانية فرانسه، والأوسط ستة، والأدنى ثلاثة: وما كان أجرته أقل من ريال فى الشهر فهو معافى، وأما الوكايل والخانات والحمامات والمعاصر والسيارج والحوانيت. فمنها ما جعلوا عليه ثلاثين وأربعين بحسب الخسة والرواج والاتساع، وكتبوا بذلك مناشير على عادتهم، وألصقوها بالمفارق والطرق، وأرسلوا منها نسخا للأعيان، وعينوا المهندسين، ومعهم أشخاص لتمييز الأعلى من الأدنى.

وشرعوا فى الضبط والإحصا وطافوا ببعض الجهات لتحرير القوايم* وضبط أسما أربابها، ولما أشيع ذلك فى الناس كثر لغطهم واستعظموا ذلك، والبعض استسلم للقضا، فانتبذ جماعة من العامة وتناجوا فى ذلك، ووافقهم على ذلك بعض المتعممين الذى لم ينظر فى عواقب الأمور، ولم يتفكر أنه فى القبضة مأسور، فتجمع الكثير من الغوغاء من غير

العثمانى. فقد كان فى حالة الوفاة ينزل القسام العربى بنفسه إلى دار المتوفى أو حانوته لضبط المخلفات. وذلك تمهيدا لقسمة التركة بين الورثة كل حسب حقه الشرعي. كما كان عليه فى نفس الوقت أن يقوم بالكشف على المتوفى قبل دفنه ليعلم هل هناك شبهه جنائية فى الوفاة أم لا؟. وكان القسام العربى يقوم بمراعاة الشروط الفقهية التى وضعها الفقهاء المسلمون لحقوق المتوفى على التركة وهي حسب الترتيب.

١ ـ نفقات تجهيز الميت وتكفينه ودفنه.
٢ ـ قضاء ديوان المتوفى.
٣ ـ تنفيذ وصاياه.
٤ ـ انصبة الورثة.

وهى حقوق مرتبة فى الأداء بحيث لو استغرق الحق صاحب الأداء كل التركة/ فلا يتبقى شى لأصحاب بقية الحقوق. وبذلك يلاحظ أنها كانت تتم حسب ما وضعته الشريعة الإسلامية من شروط.

* كان هذا سبباً من اسباب اندلاع ثورة القاهرة الأولى.

ريس* يسوسهم، ولا قايد يقودهم، وأصبحوا يوم الأحد متحزبين، وعلى الجهاد عازمين، وأبرزوا ما كانوا أخفوه من السلاح وآلات الحرب والكفاح.

وحضر السيد بدر وصحبته حشرات الحسينية، وزعر الحارات البرانية، ولهم صياح عظيم وهو جسيم ويقولون بصياح في الكلام: نصر الله دين الإسلام. فذهبوا إلى بيت قاضى العسكر، وتجمعوا وتبعهم ممن على شاكلتهم نحو الألف والأكثر، فخاف القاضى العاقبة، وأغلق أبوابه وأوقف حجابه، فرجموه بالحجارة والطوب وطلب الهرب، فلم يمكنه الهروب.

وكذلك اجتمع بالأزهر العالم الأكبر.

وفى ذلك الوقت حضر دبوى بطايفة من فرسانه وعساكره وشجعانه فمر بشارع الغورية، وعطف على خط الصنادقية، وذهب إلى بيت القاضى فوجد ذلك الزحام، فخاف وخرج من بين القصرين وباب الزهومة، وتلك الأخطاط بالخلايق مزحومة، فبادروا إليه وضربوه، وأثخنوا جراحاته، وقتل الكثير من فرسانه وأبطاله وشجعانه، فعند ذلك أخذ المسلمون حذرهم وخرجوا يهرعون، ومن كل حدب ينسلون، ومسكوا الأطراف الدايرة بمعظم أخطاط القاهرة: كباب الفتوح وباب النصر والبرقية، إلى باب زويلة وباب الشعرية وجهة البندقانيين، وما حاذاها، ولم يتعدوا جهة سواها وهدموا مساطب الحوانيت، وجعلوا أحجارها متاريس للكرنكة، لتعوق هجوم العدو، وفى وقت المعركة، ووقف دون كل متراس جمع عظيم من الناس.

* ثورة القاهرة الأولى: يذكر البيان الذى اصدره بونابرت عن هذه الثورة قوله: «فى الساعة الثانية بعد الظهر كان كل شى هادى خارج سور المدينة. وعندما تقدم رجال الديوان وكبار المشايخ ورجال الشريعة نحو المتاريس المقامة فى حى المسجد الأكبر رفض الثوار السماح لهم بالمرور واستقبلوهم بطلقات البنادق. وكان الرد فى الساعة الرابعة باصلائهم نارا حامية من مدفعية القلعة ومدفعية الجنرال دومارتان وفى اقل من عشرين دقيقة من قصف المدافع رفعت الاستحكامات والمتاريس وانفض المتظاهرين من الحى واستولت قواتنا على كل المسجد وعاد الهدوء التام إلى كل المنطقة.

وتقدر خسائر الثوار بحوالى ٢,٥٠٠ قتيل. وخسائرنا ١٦ جنديا قتلوا فى ساحة المعركة و ١١ مصابا فيهم واحد خنقه الثوار فى الشارع و ٢٠ رجلا من مختلف الوحدات والرتب.

**ترجمة خطاب دورى موجه من رجال الشريعة بمدينة القاهرة إلى سكان الاقاليم.**

نرجو الله العلى القدير أن يحفظكم من الفتنة والفوضى ما ظهر منها وما بطن ويبعدنا عن الذين يعيثون فى الأرض فسادا. اننا نخبر سكان اقليم... أنه قد حصل فى مدينة القاهرة بعض الاضطرابات من جانب بعض العناصر

المنحطة تؤازرها شرذمة من المجرمين. فقد بثوا روح الشقاق بين الجنود الفرنسيين والرعايا الآمنين مما تسبب في قتل كثير من المسلمين وعمليات سلب ونهب لبعض المساكن والمنازل.

لكن الله لطف بنا وأخمدت الفتنة وقد توسلنا إلى القائد العام بونابرت فرجع عما كان ينويه من صب غضبه علينا بعد اخماد الثورة.

لقد منع الجنود من اضرام النار في المدينة بأسرها ومن تركها للسلب والنهب لأنه رجل عاقل حكيم طيب ورحيم بالمسلمين أنه يحمي الفقراء بصفة خاصة ولولاه لهلك جميع سكان القاهرة.

لذلك أياكم ونشر الفتنة والفوضى بين المواطنين حتى تعيشوا في منازلكم بين أسركم في طمأنينة وأمان. لا تنصتوا إلى نصائح الأشرار وهمسات مثيري الفتن. ولا تنصتوا إلى هؤلاء المجانين التعساء الذين لا يقدرون العواقب وتذكروا أن الله يعطي السلطان لمن يشاء ويأمر بما يشاء.

أن جميع الذين تسببوا في الاضطرابات هلكوا ونجت من شرورهم هذه الأرض بفضل الله.

أننا نستحلفكم بالله ألا تزجوا بأنفسكم في التهلكة والتفتوا لأعمالكم وأرزاقكم وكسبها بالحال وأعملوا بالتعاليم التي أوجبتها عليكم ديانتكم وهذه الديانة المقدسة هي التي حملتنا على إسداء هذه النصائح إليكم والسلام

القاهرة في ١٤ جماد الأولى سنة ١٢١٣ هجرية الموافق ٢ بروميير سنة ٧.

أسماء المشايخ

السيد خليل البكري، نجيب الاسكاف، عبد الله الشرقي، شيخ الجامع، ديجيامي ازهاف رئيس ديوان القاهرة، مصطفى الصاوي، محمد المهدي، سليمان الفيومي، سيد مصطفى الدمنهوري، موسى السرسي، محمد الأمير، أحمد العريشي، إبراهيم الجنايني، الشيخ أبو الشكيم، الشيخ السادات.

القاهرة في ٨ بروميير

عاد الهدوء التام إلى القاهرة وقد أعدم رميا بالرصاص عدد من الأفراد الذين اعتقلوا وهم يحملون السلاح وتؤكد الأنباء أن حوالي عشرين من أهم الزعماء قد اعتقلوا.

انظر كوربيه دي ليجيبت ص ٤٠

القاهرة في ٦ بروميير سنة ٧ من

القائد العام بونابرت إلى

مجلس الإدارة التنفيذي

في فجر يوم ٣٠ فاندميير ظهرت بعض التجمعات في مدينة القاهرة وفي الساعة ٧ صباحا تجمع جمع غفير، أمام باب القاضي إبراهيم حاتم أفندي وهو رجل محترم بأخلاقه وصفاته. ذهب إليه وفد مكون من عشرين شخصا من أبرز الشخصيات وأرغمه على أن يمتطي جواده ويصحبهم إلي. ثم مضوا في طريقهم إلي، وبينما هم في الطريق وجه رجل عاقل رشيد نظر القاضي إلى أن الجمع يضم عددا قليلا وغير منظم من رجال، كل ما يريدونه هو تقديم عريضة فبهر القاضي من هذه الملاحظة مقتنعا بها ثم ترجل عن جواده وذهب إلى منزله.

ولكن ذلك لم يرق للجماهير الغاضبة فانقضت عليه وعلى أهل بيته ورجمتهم بالحجارة وضربتهم بالعصي وسلبت ونهبت ما في المنزل.

ولما ذهب الجنرال دوبوي

قائد الحامية إلى مكان الحادث في غضون ذلك وجد جميع الشوارع قد سدت أمامه وكان هناك قائد كتيبة تركي فلما رأى الضوضاء واستحال عليه تهدئتها بالحسنى أطلق النار للإرهاب فاستشاطت الجموع غضبا وزاد هياجها فهاجمها الجنرال دوبوي بجنده وشتت كل من تصدى له وفتح لنفسه طريقا ولكنه أصيب بضربة رمح تحت ابطه فانقطع شريان أمهله الحياة لمدة ثماني دقائق فقط.

وتسلم القيادة من بعده الجنرال بون Bon وقصفت المدافع وتبودلت النيران في جميع الشوارع وسطت الجماهير على بيوت الأغنياء تسلبها وتنهبها.

وفي المساء كانت المدينة قد هدأت كلها تقريبا إلا حي الجامع الأكبر (الأزهر) حيث كان يجتمع مجلس الثوار الذين أقاموا المتاريس في الشوارع المؤدية له.

وفى منتصف الليل تمركز الجنرال دومارتان Dommartin على رابية بين القلعة والقبة (قبة الغورى)، التى تقع على بعد حوالى ٣٠٠ متر من الجامع الأكبر ومعه ٤ مدافع.

كان العرب والفلاحون يسيرون متلهفين لنجدة الثوار فأمر الجنرال لان Lannes الجنرال فو Vaux بالهجوم على نحو ٤ أو ٥ آلاف فلاح فما أن رأوهم حتي فروا بأسرع مما كان متوقعا وغرق منهم عدد كبير فى مياه الفيضان.

وفى صباح اليوم التالى أرسل الجنرال دوماس Dumas طلائع فرقة من الخيالة لاستطلاع الأمور فطرد العرب بعيدا عن القبة.

وفى الساعة الثانية بعد الظهر كان كل شيء هادئا خارج سور المدينة. وعندما تقدم رجال الديوان وكبار المشايخ ورجال الشريعة نحو المتاريس المقامة فى حى المسجد الأكبر رفض الثوار السماح لهم بالمرور واستقبلوهم بطلقات البنادق.

وكان الرد فى الساعة الرابعة باصلائهم نارا حامية من مدفعية القلعة ومدفعية الجنرال دومارتان وفى أقل من عشرين دقيقة من قصف المدافع رفعت الاستحكامات والمتاريس وانفض المتظاهرون من الحى واستولت قواتنا على المسجد وعاد الهدوء التام إلى كل المنطقة.

وتقدر خسائر الثوار بحوالى ٢,٥٠٠ قتيل وخسائرنا ١٦ جنديا قتلوا فى ساحة المعركة و ٢١ مصابا فيهم واحد ختنه الثوار فى الشارع و ٢٠ رجلا من مختلف الوحدات والرتب.

أن الجيش يشعر بخسارته فى فقدان الجنرال دوبوى الذى سبق أن أخطأه الموت فى مفاجآت الحرب مائة مرة.

وعندما ذهب ياورنا سولوسكى Sulkowsky فى فجر يوم أول بروميير لاستطلاع الحركات التى كانت تبدو خارج المدينة هاجمته بدوره الجماهير فى ضاحية من الضواحى ولما انزلقت أرجل حصانه أنهالت عليه الجماهير ولم تلتئم الجراح التى أصابته فى معركة الصالحية فمات. لقد كان ضابطا ذا مستقبل عظيم.

انظر كوريبه دى ليجيبت العدد ٤ ١ص.٢.٤.

لدينا معلومات صادقة عن الموقف الذى ترتهن به مقتضيات الأمن وحسن تصرف القيادات بقواتها.

مهد للثورة بعض الشيوخ من الرتب الدنيا فى الإدارات بدافع الغيرة من رؤسائهم الذين عينتهم القيادة الفرنسية بأمر الجنرال بونابرت، لما عهده فيهم من الظفر باحترام وتبجيل مسلمى القاهرة، فمنذ ذلك الحين دأب أعداؤهم على تقويض هيبتهم بين المواطنين باتهامهم بالخنوع والخضوع والولاء لسادتهم الفرنسيين واهمال مصالح الشعب وعدم الاهتمام به. وتمكنوا بهذه المؤامرات من طرد أحد هؤلاء المشايخ من المسجد الذى كان يتولى إدارته.

وقد اجتمع فى الليل حوالى عشرين شيخا من المتزمتين وقرروا اغلاق الحوانيت والمتاجر فى صبيحة النهار التالى والعمل على تجميع أكبر عدد من الأهالى بحجة تنظيم مسيرة إلى القائد العام للتظلم إليه من حالة الشعب السيئة. وبالفعل بدأوا فى تجميع أتباعهم الذين انضم إليهم عدد كبير من الأهالى يتحينون الفرص للسلب أو النهب. وقصد الجميع إلى منزل القاضى وأغلقوا المتاجر والحوانيت على طول الطريق الذى سلكوه، وما لبثت أن أقفلت بالتالى المحلات الأخري فى مختلف أحياء القاهرة تضامنا مع من سبقهم من التجار وغيرهم. ثم انتشرت الشائعات المرعبة الكاذبة لإثارة الفوضي، تقول أن الثورة بدأت من أحد أحياء القاهرة النائية عن مكان الحادث.

ويمكن للقارىء أن يطلع على خطاب الجنرال بونابرت لمجلس الإدارة التنفيذى (العدد رقم ١٤) ويرى كيف توجهت التجمعات إلى القاضى وكيف بدأت المعركة ثم كيف أحبطت الثورة.

أن الأشخاص الذين كانوا قد غرروا بمن وثقوا بهم من هؤلاء المساكين واستغلوا جهلهم للزج بهم فى طريق

السلب والإجرام والموت المحقق وكل الذين تسببوا فى خسارة أرواح الفرنسيين البواسل الذين سقطوا فى معارك هذه الثورة، استحقوا عقابا رادعا، يتعظ منه الآخرون ولم ينج منهم أحد.

ولقد تبين لنا من أبحاثنا أن جميع المسلمين الذين استخدمهم الفرنسيون فى مختلف الإدارات وفى أقسام الشرطة وحتى خدم المنازل أظهروا اخلاصا صادقا معرضين أرواحهم للخطر فى غالب الأحيان.

منذ بدأت الثورة اجتمع المشايخ أعضاء الديوان فى القاهرة عند الجنرال ووضعوا أنفسهم تحت تصرفه وقاموا بتنفيذ كل ما طلبه منهم الجنرال وأدلوا بجميع المعلومات التى طلبت منهم،وبمعلومات تتعلق بطبائع وعادات سكان القاهرة وطريقة قيادة الشعب، الأمر الذى اكتسبوه من خبراتهم، كل هذا كان له أثر فعال عندنا.

عندما تحقق شيخ المكفوفين فى المسجد الكبير وكان من أكبر المحرضين على الثورة ومن ألد أعدائنا أن هزيمة جماعته أصبحت وشيكة الوقوع فكر فى الخلاص وتأمين سلامته بالتودد إلى مقر القيادة، وقد أثار هذا النفاق استياء المشايخ الآخرين وبدأ الوجوم على وجوههم عند رؤيته.

أعدم هذا الشيخ فى ١٤ بروميير بضرب عنقه وعندما استجوبه المحققون قبل صدور الحكم لم يوجه اتهام ضد المشايخ الآخرين وكان يشكو منهم مر الشكوى قبل اعتقاله.

وبالرغم من أن المعارك دارت رحاها فى معظم شوارع القاهرة فانه لا يمكننا القول بأن جميع أهالى القاهرة اشتركوا فى هذه الثورة.

كان واضحا لنا أن المظاهرات نتجت عن الفتنة التى أثرت فى النفوس الضعيفة بينما قبع بقية الناس فى منازلهم. وأننا نعتقد أن أمنية غالبية الشعب كانت تميل لانتصار الفرنسيين لا للمشاغبين، لأنه من غير المعقول أن نتصور أن يظل عدد كبير جدا من أهل البلاد وفيا لنا ما لم نكن قد كسبنا الرأى العام واستملنا القلوب.

من كل هذه الاعتبارات وكثير غيرها التى تخفى عن الأفراد ولكنها مدونة فى محاضر أقسام البوليس، تثبت لنا أن جزءا كبيرا وهاما جدا من شعب هذه البلاد قد خدمنا باخلاص أو اتخذ من المظاهرات موقف الحياد التام. وعلى ذلك لو كنا قد بطشنا بأفراد الشعب بطريقة جماعية دون التفرقة بين المذنبين والأبرياء لكان ذلك منتهى الظلم والوحشية فضلا على أن مثل هذه التصرفات تطيح بالحكومات الضعيفة المتراخية التى تترك العنان لرجال شرطتها أثناء السلم. وإذا ما حل بها أى تهديد مهما كان ضئيلا بدت وكأنها ترغب فى إبادة البشرية بأسرها جاعلة إياها ضحية سهلة المنال لارهابهم والفتك بهم. أن هذا المنطق لا يتفق طبعا مع الفرنسيين البواسل وقلوبهم التى تفيض شجاعة وفى نفس الوقت تميل إلى الرحمة والتسامح. أن الفرنسيين يضربون أعداءهم بشدة ولكنهم لا يستسلمون لحماقة عمياء. انهم يتصرفون تحت رقابة التاريخ ويعلمون مدى القسوة فى بلد يتذكر الفظائع والأعمال الوحشية التى قام بها الأسبان والبريطانيون فى أمريكا والهند. زد على ذلك أن هذه الأحداث وطدت سلطان الفرنسيين فى مصر وأعطت للجماهير الجاهلة فكرة واضحة واختبارا صريحا لسمو قدرتنا. فان تفهمهم لأنواع العقاب الذى أنزل بالمذنبين أعطاهم فكرة واضحة عن عدالة حكمنا وقد تبينوا الفارق الجسيم بين عاداتنا المسالمة وعادات البريطانيين ومماليكهم الإجرامية فى سفك الدماء. لقد زاد ولاء الناس لنا وضعفت بينهم أسباب المشاحنات وقد فقدوا الثقة فى الذين كانوا يدفعونهم إلى انتهاج السبل المعادية والعمل على مقاومتنا.

**انظر وكوربيه دى ليجيبت ص ٥٨**

**القاهرة فى ١٤ برومير سنة ٧**

فى الساعة التاسعة من صباح اليوم نفذ حكم الإعدام فى ساحة القلعة بضرب عنق كل من الشيخ إسماعيل البزاوى ويوسف المصيلبى وعبد التواب الشبراوى والسيد عبد القاسم وأحمد الشرقاوى لادانتهم بتدبير الثورة التى اندلعت فى القاهرة فى ٣٠ فاندمير وأول بروميير.

معظم هؤلاء المشايخ انضموا إلى الثورة حقدا على زملائهم الذين عينهم القائد العام فى مناصب عامة.

**انظر كوربيه دى ليجيبت ص ٤٦.**

وأما الجهات البرانية والنواحى الفوقانية فلم يفزع منهم فازع، ولم يتحرك منهم أحد ولم يسارع، وكذلك شذ عن الوفاق مصر العتيقة وبولاق، وعذرهم الأكبر قربهم من مساكن العسكر.

ولم تزل طايفة المحاربين فى الأزقة متترسين، فوصل جماعة من الفرنساوية، وظهروا من ناحية المناخلية. وبندقوا على متراس الشوايين، وبه جماعة من مغاربة الفحامين، فقاتلوهم حتى أجلوهم، وعن المناخلية أزالوهم.

وعند ذلك زاد الحال وكثر الرجف والزلزال، وخرجت العامة عن الحد، وبالغوا فى القضية بالعكس والطرد، وامتدت أيديهم إلى النهب والخطف والسلب، فهجموا على حارة الجوانية، ونهبوا دور النصارى الشوام والأروام، وما جاورهم من بيوت المسلمين على التمام، وأخذوا الودايع والأمانات، وسبوا النسا والبنات، وكذلك نهبوا خان الملايات وما به من الأمتعة والموجودات وأكثروا من المعايب، ولم يفكروا فى العواقب، وباتوا تلك الليلة سهرانين، وعلى هذا الحال مستمرين.

وأما الإفرنج فإنهم أصبحوا مستعدين وعلى تلال البرقية والقلعة واقفين، وأحضروا جميع الآلات من المدافع والقنابر والبنبات، ووقفوا مستحضرين، ولأمر كبيرهم منتظرين، وكان كبير الفرنسيس أرسل إلى المشايخ مراسلة فلم يجيبوه عنها، ومل من المطاولة.

هذا والرمى متتابع من الجهتين، وتضاعف الحال ضعفين، حتى مضى وقت العصر، وزاد القهر والحصر، فعند ذلك ضربوا بالمدافع والبنبات، على البيوت والحارات وتعمدوا

بالخصوص الجامع الأزهر، وجردوا عليه المدافع والقنبر، وكذلك ما جاوره من أماكن المحاربين: كسوق الغورية والفحامين، فلما سقط عليهم ذلك ورأوه، ولم يكونوا فى عمرهم عاينوه. نادوا ياسلام من هذه الآلام، ياخفى الألطاف نجنا مما نخاف، وهربوا من كل سوق، ودخلوا فى الشقوق، وتتابع الرمى من القلعة والكيمان حتى تزعزعت الأركان، وهدمت فى مرورها حيطان الدور، وسقطت فى بعض القصور، ونزلت فى البيوت والوكايل، وأصمت الآذان بصوتها الهايل.

فلما عظم هذا الخطب، وزاد الحال والكرب، ركب المشايخ إلى كبير الفرنسيس ليدفع عنهم هذا النازل، ويمنع عسكره من الرمى المتراسل، ويكفهم كما انكفّ المسلمون عن القتال. والحرب خدعة وسجال. فلما ذهبوا إليه، واجتمعوا عليه عاتبهم فى التأخير، واتهمهم فى التقصير، فاعتذروا إليه فقبل عذرهم، وأمر برفع الرمى عنهم، وقاموا من عنده وهم ينادون بالأمان فى المسالك.

وتسامع الناس بذلك ، فردت فيهم الحرارة، وتسابقوا لبعضهم بالبشارة، واطمأنت منهم القلوب، وكان الوقت قبل الغروب، وانقضى النهار وأقبل الليل، وغلب على الظن أن القضية لها ذيل، وأما أهل الحسينية والعطوف البرانية فإنهم لم يزالوا مستمرين، وعلى الرمى والقتال ملازمين، ولكن خانهم المقصود، وفرغ منهم البارود، والإفرنج أثخنوهم بالرمى المتتابع بالقنابر والمدافع إلى أن مضى من الليل نحو ثلاث ساعات، وفرغت من عندهم الأدوات. فعجزوا عن ذلك وانصرفوا. وكف عنهم القوم، وانحرفوا.

وبعد هجعة من الليل دخل الإفرنج المدينة كالسيل، ومروا في الأزقة والشوارع لا يجدون لهم ممانع، كأنهم الشياطين أو جند إبليس، وهدموا ما وجدوه من المتاريس، ودخل طايفة من باب البرقية، ومشوا إلى الغورية، وكروا ورجعوا، وترددوا، وما هجعوا، وعلموا باليقين أن لا دافع لهم ولا كمين، وتراسلوا أرسالا ركبانا ورجالا، ثم دخلوا إلى الجامع الأزهر، وهم راكبون الخيول، وبينهم المشاة كالوعول، وتفرقوا بصحنه ومقصورته، وربطوا خيولهم بقبلته وعاثوا بالأروقة والحارات، وكسروا القناديل والسهارات، وهشموا خزاين الطلبة والمجاورين والكتبة، ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأواني والقصاع، والودايع والمخبآت بالدواليب والخزانات، ودشتوا الكتب والمصاحف على الأرض طرحوها، وبأرجلهم ونعالهم داسوها، وأحدثوا فيه وتغوطوا، وبالوا وتمخطوا، وشربوا الشراب وكسروا أوانيه، وألقوها بصحنه ونواحيه، وكل من صادفوه به عروه، ومن ثيابه أخرجوا.

وأصبح يوم الثلاثا فاصطف منهم حزب بباب الجامع، فكل من حضر للصلاة يراهم فيكر راجعا ويسارع، وتفرقت طوايفهم بتلك النواحي أفوجا، واتخذوا السعي والطواف بها منهاجا، وأحاطوا بها إحاطة السوار، ونهبوا بعض الديار، بحجة التفتيش على النهب، وآلة السلاح والضرب، وخرجت سكان تلك الجهة يهرعون، وللنجاة بأنفسهم طالبون، وانتهكت حرمة تلك البقعة، بعد أن كانت أشرف البقاع، ويرغب الناس في سكناها، ويودعون عند أهلها ما يخافون عليه الضياع، والفرنساوية لا يمرون بها إلا في النادر، ويحترمونها عن غيرها في الباطن والظاهر.

فانقلب بهذه الحركة منها الموضوع، وانخفض على غير القياس المرفوع، ثم ترددوا فى الأسواق، ووقفوا صفوفاً مئيناً وألوفاً، فإن مر بهم أحد فتشوه وأخذوا ما معه وربما قتلوه، ورفعوا القتلى والمطروحين من الإفرنج والمسلمين، ووقف جماعة من الفرنسيس ونظفوا مراكز المتاريس، وأزالوا ما بها من الأتربة والأحجار المتراكمة، ووضعوها فى ناحية لتصير طرق المرور خالية.

وتحزبت نصارى الشوام، وجماعة أيضًا من الأروام الذين انتهبت دورهم بالحارة الجوانية ليشكو لكبير الفرنسيس ما لحقهم من الرزية، واغتنموا الفرصة فى المسلمين، وأظهروا ما هو بقلوبهم كمين، وضربوا فيهم المضارب، وكأنهم شاركوا الإفرنج فى النوايب، وما قصدهم المسلمون، ونهبوا ما لديهم إلا لكونهم منسوبين إليهم، مع أن المسلمين الذين جاوروهم نهبهم الزعر أيضًا وسلبوهم، وكذلك خان الملايات المعلوم الذى عند باب حارة الروم، وفيه بضايع المسلمين وودايع الغايبين، فسكت المصاب على غصته، واستعوض الله فى قضيته، لأنه إن تكلم لا تسمع دعواه، ولا يلتفت إلى شكواه.

وانتدب برطلمين للعسس، على من حمل السلاح أو اختلس، وبث أعوانه فى الجهات يتجسسون فى الطرقات فيقبضون على الناس بحسب أغراضهم، وما ينهيه النصارى من أبغاضهم، فيحكم فيهم بمراده ويعمل برأيه واجتهاده، ويأخذ منهم الكثير، ويركب فى موكبه ويسير، وهم موثوقون بين يديه بالحبال، ويسحبهم الأعوان بالقهر

والنكال، فيودعونهم السجونات، ويطالبونهم بالمنهوبات، ويقررونهم بالعقاب والضرب، ويسألونهم عن السلاح وآلات الحرب، ويدل بعضهم على بعض، فيضعون على المدلول عليهم القبض.

وكذلك فعل مثل ما فعله اللعين الأغا، وتجبر فى أفعاله وطغى، وكثير من الناس ذبحوهم، وفى بحر النيل قذفوهم، ومات فى هذين اليومين وما بعدهما أمم كثيرة لا يحصى عددها إلا الله، وطال بالكفرة بغيهم وعنادهم، ونالوا من المسلمين قصدهم ومرادهم.

وأصبح يوم الأربع: فركب فيه المشايخ أجمع، وذهبوا لبيت صارى عسكر وقابلوه وخاطبوه فى العفو ولاطفوه والتمسوا منه أمانا كافيا، وعفوا ينادون به باللغتين شافيا، لتطمين بذلك قلوب الرعية، ويسكن روعهم من هذه البرزية، فوعدهم وعدا مشوبا بالتسويف، وطالبهم بالتبيين والتعريف، عمن تسبب من المتعممين فى إثارة العوام،* وحرضهم على الخلاف والقيام، فغالطوه عن تلك المقاصد. فقال على لسان الترجمان: نحن نعرفهم بالواحد، فترجو عنده فى إخراج العسكر من الجامع الأزهر، فأجابهم لذلك السؤال، وامر بإخراجهم فى الحال، وأبقوا منهم السبعين. أسكنوهم فى الخطة كالضابطين ليكونوا للأمور كالراصدين وبالأحكام متقيدين.

* بونابرت يطالب المشايخ بالتبليغ عن المتعممين الذين اثاروا العوام فى ثورة القاهرة.

ثم إنهم فحصوا على المتهمين* بإثارة الفتنة فطلبوا الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طايفة العميان، والشيخ أحمد الشرقاوى، والشيخ عبد الوهاب الشبراوى والشيخ يوسف

* القبض على بعض المتهمين فى ثورة القاهرة.

المصيلحى، والشيخ إسماعيل البراوى، وحبسوهم ببيت البكرى، وأما السيد بدر المقدسى فإنه تغيب، وسافر إلى جهة الشام، وفحصوا عليه فلم يجدوه،وتردد المشايخ لتخليص الجماعة المعوقين، فغولطوا، واتهم أيضًا إبراهيم أفندى كاتب البهار(*) بأنه جمع له جمعا من الشطار، وأعطاهم الأسلحة والمساوق، وكان عنده عدة من المماليك المخفيين، والرجال المعزولين، فقبضوا عليه وحبسوه ببيت الأغا.

* كاتب البهار: مسئول كتابة عوايد البهار والبن الوارد إلى مصر.

وفى يوم الأحد ثامن عشره: توجه شيخ السادات وباقى المشايخ إلى بيت صارى عسكر الفرنسيس، وتشفعوا عنده فى الجماعة المسجونين ببيت الأغا وقايمقام والقلعة فقيل لهم: وسعوا بالكم، ولا تستعجلوا، فقاموا وانصرفوا.

وفيه: نادوا فى الأسواق بالأمان، ولا أحد يشوش على أحد مع استمرار القبض على الناس وكبس البيوت بأدنى شبهة، ورد بعضهم الأمتعة التى نهبت للنصارى.

وفيه: توسط عمر القلقجى لمغاربة الفحامين، وجمع منهم، ومن غيرهم عدة وافرة، وعرضهم على صارى عسكر، فاختار منهم الشباب وأولى القوة، وأعطاهم سلاحا وآلات حرب ورتبهم عسكرا، ورئيسهم عمر المذكور، وخرجوا* وأمامهم الطبل الشامى على عادة عسكر المغاربة ، سافروا إلى جهة بحرى بسبب أن بعض البلاد قام على عسكر الفرنساوية وقت الفتنة، وقاتلوهم، وضربوا أيضاً مركبين* بها عدة من عساكرهم، فحاربوهم وقاتلوهم.

* الفرنسيون يجندون فرقة من المغاربة للقيام بمهام الأمن، ريسهم عمر القلقجى المغربى، ويدربونهم التدريبات العسكرية الفرنسية لقمع البلاد المتمردة على الفرنساوية.

في ١٥ برمويير سنة ٧

هاجمت ثمانية زوارق مليئة بالعرب والفلاحين من بلدة نجيلة سفينة حربية قادمة من رشيد إلى القاهرة وعليها سبعة جنود ظلوايقاومونهم إلى أن نفذت ذخيرتهم وفقدوا واحدا منهم. عند ذلك انسحب الجند إلى الضفة اليمنى للنهر بالقرب من بلدة الجدابى فاستقبلهم السكان وعلى رأسهم الشيخ حسب الله وأكرموهم.

انظر كورييه دى ليجيبت ص(٤٧)


* عسكر من المغاربة.

فلما ذهب أوليك المغاربة سكنوا الفتنة وضربوا عشما، وقتلوا كبيرها المسمى بابن شعير ونهبوا داره ومتاعه وماله وبهايمه، وكان شيًا كثيراً جداً، وأحضروا إخوته وأولاده وقتلوهم، ولم يتركوا منهم سوى ولد صغير جعلوه شيخا عوضا عن أبيهم.

وسكن العسكر المغربي بدار عند باب سعادة، ورتبوا له من الفرنسيس جماعة يأتون إليهم في كل يوم، ويدربونهم على كيفية حربهم وقانونهم، ومعنى إشارتهم في مصافاتهم، فيقف المعلم والمتعلمون مقابلون له صفا وبأيديهم بنادقهم، ويشير إليهم بألفاظ بلغتهم. كأن يقول مردبوش فيرفعونها قابضين بأكفهم على أسافلها، ثم يقول مرش فيمشون صفوفا إلى غير ذلك.

إعلان من الجنرال بونابرت
إلى أهالي القاهرة:

بينكم أناس فاسدون حرضوكم ومن ثم هلكوا جميعا. وقد أمرني الله برحمة الشعب فتسامحت معكم ورحمتكم. لقد غضبت من ثورتكم وحرمتكم من عقد جلسات ديوانكم لمدة شهرين، ولكنني اليوم أعيده لكم مكافأة على حسن سلوككم الذى شفع لكم ومحا زلة ثورتكم.

يا أيها الشرفاء والعلماء وخطباء المساجد، أحيطوا أفراد الشعب علما بأن الذين يعادونني بمحض ارادتهم لن يجدوا لهم ملجأ في هذه الدنيا ولا في الآخرة. هل يوجد بين الناس رجل يملأ العمى قلبه حتي انه لا يعي أن القدر نفسه يوجه جميع ما نقوم به من أعمال؟ هل هل يوجد بين الناس جاحد يشك في أن كل شيء في هذا الكون خاضع لسلطان القدر؟

ليعلم الشعب أنه منذ بدء الخليقة صار مكتوبا أنه بعد تدمير أعداء الإسلام وهدم الصليب، جئت من أقاصي الغرب لتأدية المهمة الموكولة إلى. أبلغوا الشعب أن القرآن الكريم نص في أكثر من عشرن آية فيه على ما حدث. وقد شرح أيضا ما سوف يحدث مستقبلا.

وعلى الذين يخشون رهبة سلاحنا ولغتنا أن يغيروا من سلوكهم لأنهم حينما يتضرعون إلى السماء بتمنيات معادية طالبين أن يلحق بنا الأذى فهم في الحقيقة يجلبون على أنفسهم الحكم بالفناء. اذن فليتضرع المؤمنون بالحق، إلى الله طالبين النصر لجيوشنا.

في أمكاني محاسبة كل منكم على ما يكنه في أعماق قلبه من شعور نحونا

لأنى أعلم كل شىء حتى ما لم تبوحوا به لأحد وسيأتى اليوم الذى يرى فيه الملاء بوضوح أننى موجه بأوامر عليا، وأن كل ما يبذله الآدميون من جهود لن يفيدهم فى الغلبة على.

طوبى للذين يسبقون منكم إلى محالفتى بإيمان وطيد.

البند الأول:

ينشأ فى القاهر ديوان كبير مكون من ال ٦٠ شخصا الأتية اسماؤهم فيما بعد:

الشيوخ والعلماء: البكرى ـ محمد دمرداش ـ السيد حسين رفاعى ـ عبد الله الشرقاوى ـ محمد المهدى ـ مصطفى الصاوى ـ موسى السرسى ـ محمد الأمير ـ سليمان الفيومى ـ أحمد العريشى ـ إبراهيم الهريسى ابن المفتى ـ الشيخ صالح من طائفة الحنابلة ـ محمد الدواخلى ـ مصطفى الدمنهورى ـ محمود آغا شوربجى فلاح ـ على كخيا المكدلى ـ خليل آغا شوربجى فلاح ـ أحمد ذو الفقار أوضه باشى ـ (انكشارية) يوسف شوربجى ـ باشجاويش توفيقجيان ـ يوسف شوربجى ـ باشجاويش جماليان ـ مصطفى أفندى ـ أمير سليم شركوبى ـ (شراكسة) مصطفى افندى عاصى ـ مصطفى كيايا باشختيار ـ حسن شوربجى بركيافى ـ عزب.

تجار الغورية:

محمد العشوبى شيخ الغورية ـ حاج أحمد أبو نصار، مغربى ـ حاج سيد، شيخ مغاربة تيلون.

تجار بيحاس. Behas:

أحمد محرم ـ أحمد محروقى ـ حاج حسين إبراهيم ـ ميخائيل كحيل ـ إبراهيم أفندى ـ قاضى البحار ـ يوسف فرحات ـ حاج أحمد حسين إبراهيم.

تجارة لتجارة تركيا:

سيدى أحمد العقاد المحروقى ـ مصطفى شيخ العقادين ـ أحمد الكازانجى.

تجارة بقالة:

سيد محمد، شيخ العطارين.

تجار السكر:

عبد القادر بجديلى ـ إبراهيم قرموط ـ محمد همشرى.

تجار نحاس:

سيد مصطفى مصباح ـ الحاج حسين.

صياغ وجواهرجية:

حاج سليم الجوهرجى ـ محمد البغدادى.

تجارة ورق:

على بن الحاج خليل.

تجارة أقمشة:

حاج إبراهيم المسيرى ـ على الساطحى شيخ القماشين.

تجار صابون:

سيد أحمد زارو ـ سيد يوسف فخر الدين.

تجار التبغ والأقمشة من سوريا:

أحمد نظام.

مشايخ أهم الأحياء:

شيخ جزارين الحسينية ـ شيخ العطوف:

الأقباط:

إبراهيم جر العايط ـ الشيخ إبراهيم كاتب السرة الشيخ إبراهيم مقار.

المواطنون:

وولمار Wolmar كاف Caffe بوديف Beaudeuf

البند الثانى:

يكون لدى الديوان مندوب فرنسى وهو المواطن جلوتييه Gloutier ومندوب مسلم وهو ذو الفقار كيايا.

٣ ـ على قائد الحامية العمل على اجتماع أعضاء الديوان العام يوم ٥ نيفوز الساعة ٩ صباحا.

٤ ـ يعين الديوان رئيسه وسكرتيرين بطرق الاقتراع وبالأغلبية المطلقة للأصوات.

٥ ـ يعين الأعضاء بعد ذلك ١٤ شخصا يتكون منهم الديوان الصغير وذلك عن طريق الاقتراع وبالأغلبية المطلقة. ويجب أن تنتهى جلسات الديوان العام فى بحر ثلاثة أيام ولن يجتمع بعد ذلك إلا بدعوة غير عادية.

٦ ـ يجتمع أعضاء الديوان الصغير الذين يعينهم الديوان العام بعد موافقة القائد العام لانتخاب رئيس من بينهم، وسكرتير، ومترجمين من خارج هيئتهم وحاجب وعشرة من حاملى الهراوات مع رئيس لهم.

٧ ـ يجتمع أعضاء الديوان الصغير كل يوم ويضطلعون بكافة الأعمال الخاصة بتحقيق العدل ورفاهية الأهالى ومصالح الجمهورية الفرنسية.

٨ ـ يحدد أجر الرئيس بمائة ريال شهريا، ولكل من ال ١٣ عضوا الآخرين ٨٠ ريالا شهريا، والسكرتيرين ٢٥ ريالا لكل منهما، والحاجب ٦٠ باره Parats فى اليوم

وكل من حاملى الهراوات ١٥ باره ما عدا رئيسهم فيكون أجره ٤٠ باره.

امضاء بونابرت

انظر كوربيه دى ليجيبت ص ٨٢ وما بعدها

اعلان موجه من الجزار باشا إلى البكوات والعرب وغيرهم من الأشخاص أعيان البلد

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، يا أيها الذين آمنوا إذا أردتم أن تتجنبوا العذاب الأليم آمنوا بالله وبرسوله وحاربوا بكل جهودكم وطاقاتكم فى سبيل الله. أن ذلك خير ما تفعلون إذا كنتم تبصرون فسيغفر الله لكم ذنوبكم وتدخلون جنات تجرى من تحتها الأنهار. ستكافأون بالسعادة فى جناد عدن تدخلون فيها خالدين.

نصر من الله وفتح قريب. ليعلم المؤمنون أن الذين يتبعون دينا غير دين الهدى والخلاص لن يفيدوا منه شيئا وسيكونون فى مصاف المرذولين فى اليوم الآخر. لا إله إلا الله محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام.

إلى مشايخ عرب نصير وسليمان أبو نير العظيم وعمر أبو نصير ومشايخ عرب الصعايدة المقيمين فى برجة الكبرى Burget el Kubra رفع الله من قدرهم.

بعد السلام

نعرفكم أن الثامن من شعبان اليوم المبارك من سنتنا هذه ١٢١٣ هـ تلقينا أوامر مقدسة من سيد البلاد ولجان الباب العالى الأماجد تفيدنا أن عظمة مولانا السلطان نصره الله قد عيننا فى هذه السنة باشا على القاهرة المحروسة وقد أسبغ علينا بنعمة القيادة العليا لجنود المسلمين فى باشاوية دمشق وقيادة قافلة الحجاج المباركة إلى الكعبة الشريفة وباشوية طرابلس وسوريا وغزة والرملة ويافا وجميع مشتملاتها. وأبقى لنا حكم عكا. أننا نشكر الله على هذه الأفضال الجيدة وهذه المهام الجديدة. وستكون هذه السنة أكثر بركات من سابقتها لجميع المسلمين وقد صدر هذا الأمر الهام لاعلامكم بهذه الأخبار.

ونعرفكم أيضا أننا جمعنا جنود المسلمين فى جيوش جرارة من المؤمنين مشاة وفرسانا وقد أعددنا مؤن الحرب وكميات هائلة من الزاد أرسلناها إلى غزة والعريش لغزو مصر واثقين بعون الله العلى القدير من إبادة الفرنسيين.

ونحن نرغب فى أن تنضموا إلينا على التو، لكى نصبح كتلة واحدة. طهروا قلوبكم ولتنصرف أفكاركم إلى تحقيق الصالح، اتحدوا مع إخوانكم المؤمنين ضد الكفرة الملاعين، وأبذلوا جهودكم فى سبيل نصرة الإسلام لانكم سوف تنتصرون باذن العلى القدير على أعدائكم أعداء الله.

لا تتهيبوا من استفزازاتهم وتهديداتهم السافرة واحذروا على الأخص من خدعاتهم. سيغدقون عليكم أولا الوعود الخلابة ثم يزجون بكم فى هاويات المذلة. سيهدمون دياركم ولن يتركوا لها أثرا يذكر.

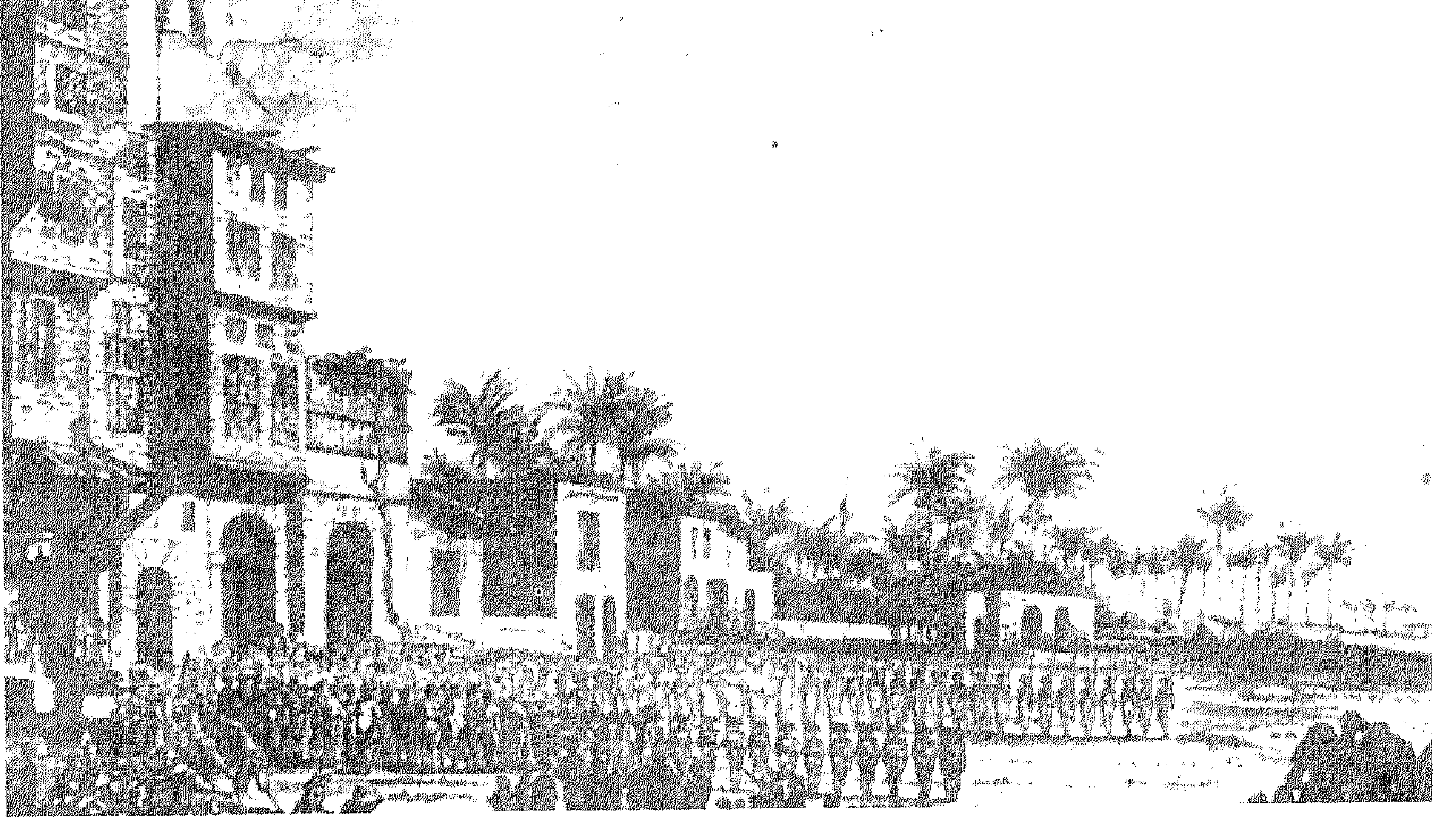
لقد اتضح لنا انهم أصبحوا فى مواقف صعبة لا يحسدون عليها فقد أكدت لنا ذلك أحدث الأخبار التى وصلت إلينا. لقد استولينا خلسة على خطابات كانت مرسلة إلى الفرنسيين وقد ترجمنا مضمونها إلى اللغة العربية وها نحن نعرضها عليكم لكى نؤكد لكم كلمتنا ولن يكون لديكم أدنى شك فى هذا الشأن. أن ذلك يزيد من قوتنا ومن اخلاصكم، وباذن الله سوف ترون من قبلنا كل ما ترضون عنه. سوف نضمن راحة الشعوب بإقامة حكومات عادلة، ونوفى بوعودنا وسوف يلقى هؤلاء الطغاة الظالمون مصيرهم المنتظر.

لقد حررنا رسائل بهذا المعنى لجميع البكوات والعرب والأشخاص ذوى النفوذ، فلتعلموا ذلك وتعملوا حسبما نريد. ليرفع الله من شأنكم ويحميكم من الشعوب الكافرة.

الصلاة والسلام على سيد المرسلين والحمد لله رب العالمين.

صدر فى ١٩ شعبان سنة ١٢١٣ هـ (٣ بلوفيوز سنة ٧)

انظر كوربيه دى ليجيبت ص ١١٢.



* عساكر الفرنساوية تصل إلى رشيد.

وفيه سافر برطلمين إلى ناحية سرياقوس، ومعه جملة من العسكر بسبب الناس الفارين إلى جهة الشرق، وأخذ [فرد] من البلاد، وعسف فى تحصيلها ورجع بعد أيام.

وفى يوم الأربعا: خاطب الشيخ محمد المهدى صارى عسكر فى أمر إبراهيم أفندى كاتب البهار، وتلطف به بمعونة بوسلسيك المعروف بمدبر الحدود، وهو عبارة عن الروزنامجى، ونقله من بيت الأغا إلى داره، فطلبوا منه قايمة كشف عما يتعلق بالمماليك بدفتر البهار.

وفى يوم الخميس: سافرعدة من المراكب نحو الأربعين بها عسكر الفرنسيس إلى جهة بحرى.

وفى ليلة السبت رابع عشرينه: حضر هجان من ناحية الشام وعلى يده مكاتبات؛ وهى صوره فرمان وعليه طرة

ومكتوب من أحمد باشا الجزار وآخر من بكر باشا إلى كتخدايه مصطفى بك، ومكتوب من إبراهيم بك خطابا للمشايخ، وذلك كله بالعربى، ومضمون ذلك بعد براعة الاستهلال والآيات القرآنية والأحاديث والآثار المتعلقة بالجهاد، ولعن طايفة الإفرنج والحط عليهم وذكر عقيدتهم الفاسدة وكذبهم وتحيلهم، كذلك بقية المكاتبات بمعنى ذلك فأخذها مصطفى بك كتخدا، وذهب بها إلى صارى عسكر.

فلما اطلع عليها قال: هذا تزوير من إبراهيم بك ليوقع بيننا وبينكم العداوة والمشاحنة، وأما أحمد باشا [الجزار] فهو رجل فضولى لم يكن واليا بالشام ولا مصر، لأن والى الشام إبراهيم باشا، وأما والى مصر فهو عبد الله باشا ابن العظم الذى هو الآن والى الشام، فأنا أعلم بذلك، وسيأتى بعد أيام والى ويقيم معه كما كانت المماليك مع الولاة.

وورد خبر أيضاً بانفصال محمد باشا عزت عن الصدارة، وعزل كذلك أنفار من رجال الدولة، وفى مدة هذه الأيام بطل الاجتماع بالديوان المعتاد، وأخذوا فى الاهتمام فى تحصين النواحى والجهات، وبنوا أبنية على التلول المحيطة بالبلد، ووضعوا بها عدة مدافع وقنابر، وهدموا أماكن بالجيزة وحصنوها تحصينا زايدا، وكذلك مصر العتيقة ونواحى شبرا، وهدموا عدة مساجد منها المساجد المجاورة لقنطرة إنبابه ومسجد المقس المعروف الآن بأولاد عنان على الخليج الناصرى بباب البحر، وقطعوا نخيلا كثيرة، وأشجارا لعمل الحصون والمتاريس، وهدموا جامع الكازرونى بالروضة، وأشجار الجيزة التى عند أبى هريرة قطعوها وحفروا هناك

خنادق كثيرة وغير ذلك، وقطعوا نخيل جهة الحلى وبولاق، وخربوا دورا كثيرة وكسروا شبابيكها وأبوابها. وأخذوا أخشابها لاحتياج العمل والوقود، وغير ذلك.

وفى ليلة الأحد: حضر جماعة من عسكر الفرنسيس إلى بيت البكرى نصف الليل، وطلبوا المشايخ المحبوسين عند صارى عسكر ليتحدث معهم. فلما صاروا خارج الدار وجدوا عدّة كبيرة فى انتظارهم، فقبضوا عليهم وذهبوا بهم إلى بيت قايمقام بدرب الجماميز، وهو الذى كان به دبوى قايمقام المقتول وسكنه بعده الذى تولى مكانه، فلما وصلوا بهم هناك عروهم من ثيابهم، وصعدوا بهم إلى القلعة فسجنوهم إلى الصباح فأخرجوهم وقتلوهم بالبنادق وألقوهم من السور خلف القلعة، وتغيب حالهم عن أكثر الناس أياما.[ انظر التراجم من ٥٩٣ إلى ٥٩٧ ].

وفى ذلك اليوم ركب بعض المشايخ إلى مصطفى بك كتخدا الباشا وكلموه فى أن يذهب معهم إلى صارى عسكر، ويشفع معهم فى الجماعة المذكورين ظنامنهم أنهم على قيد الحياة، فركب معهم إليه وكلموه فى ذلك، فقال لهم الترجمان: اصبروا ما هذا وقته، وتركهم وقام ليذهب فى بعض أشغاله، فنهض الجماعة أيضا، وركبوا إلى دورهم.

وفى يوم الثلاثا: حضر عدّة من عسكر الفرنسيس، ووقفوا بحارة الأزهر، فتخيل الناس منهم المكروه، ووقعت فيهم كرشة، وأغلقوا الدكاكين، وتسابقوا إلى الهروب، وذهبوا إلى البيوت والمساجد، واختلفت آراهم، ورأوا فى ذلك أقضية بحسب تخمينهم وظنهم وفساد مخيلهم. فذهب



* مشايخ القاهرة يطلبون العفو من بونابرت بعد قمع الثورة.

الجبرتى/ سنة ١٢١٣م

بعض المشايخ إلى صارى عسكر، وأخبروه بذلك، وتخوف الناس، فأرسل إليهم وأمرهم بالذهاب، فذهبوا وتراجع الناس، وفتحو الدكاكين، ومر الأغا والوالى وبرطلمين ينادون بالأمان، وسكن الحال، وقيل إن بعض كبرايهم حضر عند القلق الساكن بالمشهد، وجلس عنده حصة، وهولا كانوا أتباعه، ووقفوا ينتظرونه، ولعل ذلك قصدا للتخويف والإرهاب خشية من قيام فتنة لما أشيع قتل المشايخ المذكورين*، وهو الأرجح.

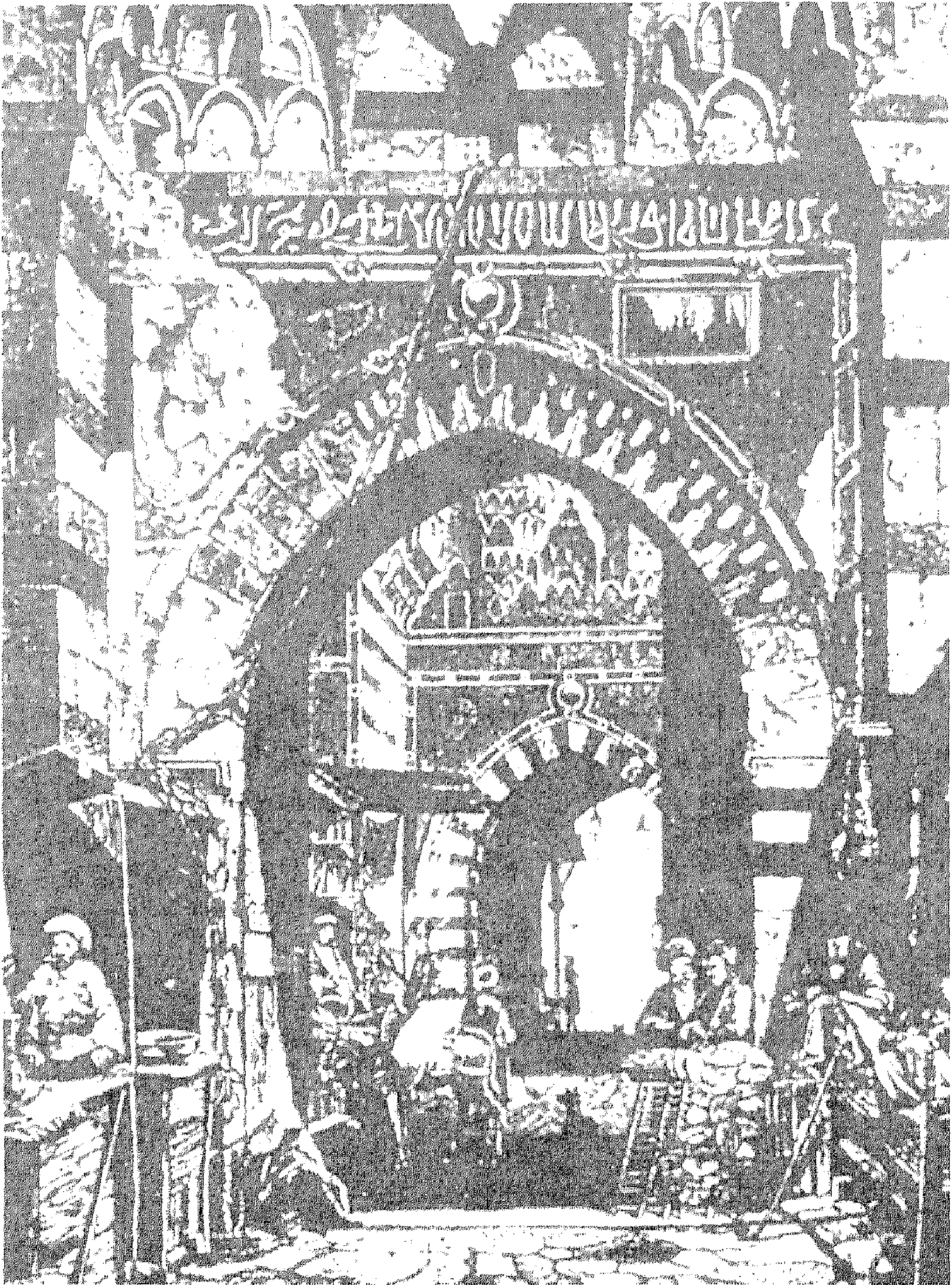
* اضطراب الاحول وخشية الفرنسيس بعد قتل قيادات ثورة القاهرة.

وفيه : كتبوا أوراقًا وألصقوها بالأسواق تتضمن العفو والتحذير من إثارة الفتنة، وأن من قتل من المسلمين فى نظير من قتل من الفرنسيس.

وفيه: شرعوا فى إحصا الأملاك والمطالبة بالمقرر، فلم يعارض فى ذلك معارض، ولم يتفوه بكلمة، والذى لم يرض بالتوت يرضى بحطبه.

وفيه: أيضًا قلعوا أبواب الدروب والحارات الصغيرة غير النافذة، وهى التى كانت تركت وسومح أصحابها، وبرطلوا عليها وصالحوا عليها قبل الحادثة، وبرطلوا القلقات والوسايط على إبقايها، كذلك دروب الحسينية.

فلما انقضت هذه الحادثة ارتجعوا عليها وقلعوها ونقلوها إلى ما جمعوه من البوابات بالأزبكية، ثم كسروا جميعها، وفصلوا أخشابها، ورفعوا بعضها على العربات إلى حيث أعمالهم بالنواحى والجهات، وباعوا بعضها حطبا للوقود، وكذلك ما بها من الحديد وغيره.



* بوابات من أبواب القاهرة



* صراف في سوق طولون.

وفى ليلة الخميس: هجم المنسر على بوابة سوق طولون* كسروها وعبروا منها إلى السوق ـ فكسروا القناديل وفتحوا ثلاثة حوانيت وأخذوا ما بها من متاع المغاربة التجار، وقتلوا القلق [الحرس] الذى هناك، وخرجوا بدون مدافع ولا منازع.

(*) سوق طولون: هو سوق للتجار المغاربة كان إلى جوار جامع طولون ولعل ذلك بسبب تعاون المغاربة مع الفرنساوية فى قمع البلاد الثائرة بالوجه البحرى. انظر ص ١٢٩.

وفى يوم الخميس المذكور: ذهب المشايخ إلى صارى عسكر، وتشفعوا فى ابن الجوسقى شيخ العميان الذى قتل أبوه، وكان معوقا ببيت البكرى، فشفعهم فيه وأطلقوه.

---

## واستهل شهر جمادى ثانية
## بيـوم السبت ١٢١٣هـ

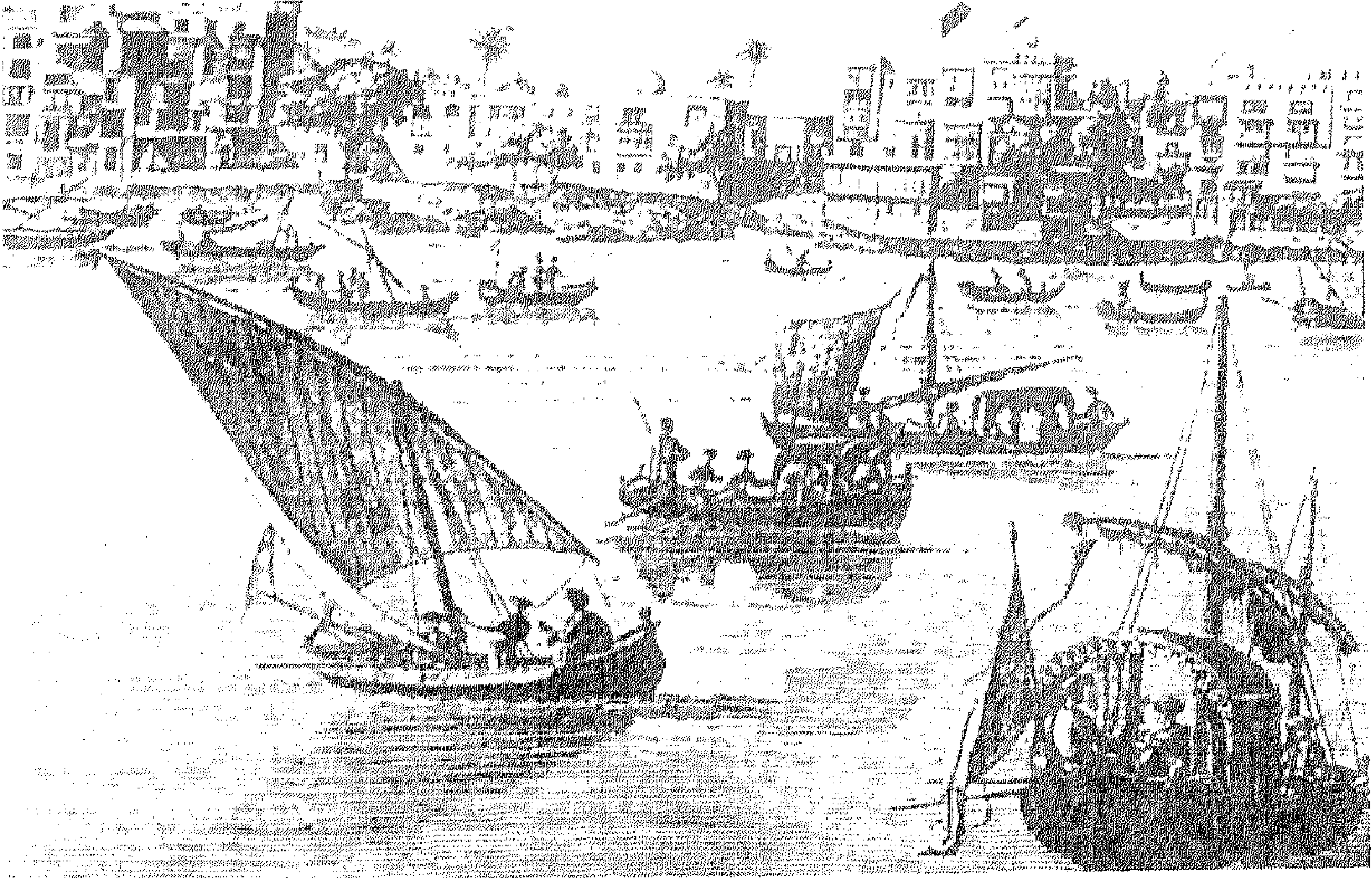
فيه كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ، وأرسلوها إلى البلاد، وألصقوا منها نسخا بالأسواق والشوارع. وصورتها*:

* رسالة من المشايخ إلى الأهالى بالكف عن الثورة ضد الفرنساوية.

«نصيحة من كافة علما الإسلام بمصر المحروسة: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ونبرأ إلى الله من الساعين في الأرض بالفساد. نعرف أهل مصر المحروسة من طرف الجعيدية وأشرار الناس [الذين] حركوا الشرور بين الرعية، وبين العساكر الفرنساوية، بعد ما كانوا أصحابنا وأحبابا بالسّوية. وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ونهبت بعض البيوت ولكن حصلت ألطاف الله الخفية، وسكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش بونابارته، وارتفعت هذه البلية، لأنه رجل كامل العقل، عنده رحمة وشفقة على المسلمين ومحبة إلى الفقرا والمساكين، ولولاه لكانت العساكر أحرقت جميع المدينة ونهبت جميع الأموال، وقتلوا كامل أهل مصر.

فعليكم ألا تحركوا الفتن ولا تطيعوا أمر المفسدين، ولا تسمعوا كلام المنافقين، ولا تتبعوا الأشرار، ولا تكونوا من الخاسرين سفها العقول الذين لا يقرون العواقب. لأجل أن تحفظوا أوطانكم، وتطمينوا على عيالكم وأديانكم، فإن الله سبحانه وتعالى يوتي ملكه من يشا، ويحكم بما يريد. ونخبركم أن كل من تسبب فى تحريك هذه الفتنة قتلوا عن آخرهم، وأراح الله منهم العباد والبلاد، ونصيحتنا لكم أن لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، واشتغلوا بأسباب معايشكم وأمور دينكم، وادفعوا الخراج الذى عليكم - والدين النصيحة - والسلام».

وفيه: أمروا بقية السكان على بركة الأزبكية وما حولها بالنقلة من البيوت ليسكنوا بها جماعتهم المتباعدين منهم



* بركة الازبكية حيث سكن معظم قواد الحملة الفرنسية

ليكون الكل في حومة واحدة، وذلك لما داخلهم من المسلمين، حتى إن الشخص منهم صار لا يمشي بدون سلاح بعد أن كانوا من حين دخلوهم البلد لا يمشون به أصلا إلا لغرض، والذى لم يكن معه سلاح يأخذ في يده عصا، أو سوطاً، أو نحو ذلك، وتنافرت قلوبهم من المسلمين، وتحذروا منهم، وانكف المسلمون عن الخروج والمرور بالأسواق من الغروب إلى طلوع النهار.

ومن جملة من انتقل من الدرب الأحمر إلى الأزبكية كفرلي* المسمى بأبي خشبة، وهو يمشي بها بدون معين، ويصعد الدرج ويهبط منها أسرع من الصحيح، ويركب الفرس ويرمحه وهو على هذه الحالة، ولهم به عناية عظيمة، واهتمام زايد، كان يسكن ببيت مصطفى كاشف طرا.

(*) كفرلي (أبو خشبة).

الجبرتي/ سنة ١٢١٣م

وفي وقت الحادثة هجمت على [هذه] الدار العامة ونهبوها، وقتلوا منها بعض الفرنساوية وفر الباقون، فأخبروا من بالقلعة الكبيرة، فنزل منها عدة وافرة، وقف بعضهم خارج الدار بعد أن طردوا المزدحمين ببابها، وضربوهم بالبندق، ودخل الباقون فقتلوا من وجدوه بها من المسلمين، وكانوا جملة كثيرة.

وكان بتلك الدار شى كثير من آلات الصنايع والنظارات الغريبة والآلات الفلكية والهندسية والعلوم الرياضية وغير ذلك، مما هو معدوم النظير، كل آلة لا قيمة لها [إلا] عند من يعرف صنعتها ومنفعتها، فبدد ذلك كله العامة وكسروه قطعاً، وصعب ذلك على الفرنسيين جداً، وقاموا مدة طويلة يفحصون عن تلك الآلات، ويجعلون لمن يأتيهم بها عظيم الجعالات، وممن قتل فى وقعة هذه الدار الشيخ محمد الزهار.

وفي خامسه: أفرجوا عن إبراهيم أفندى* كاتب البهار، وتوجه إلى بيته.

* إبراهيم افندى: هو من المتهمين فى إثارة ثورة القاهرة. انظر ص ١٢٩.

وفي ثامنه: قتلوا أربعة من القبط منهم إثنان من النجارين قيل إنهم سكروا فى الخمارة ومروا فى سكرهم، وفتحوا بعض الدكاكين، وسرقوا منها أشيا، وقد تكرر منهم ذلك عدة مرار، فاغتاظ لذلك القبطة.

وفيه: كتبوا عدة أوراق وأرسلوا منها نسخاً للبلاد، وألصقوا منها بالأخطاط والأسواق، وذلك على لسان المشايخ* أيضاً، ولكن تزيد صورتها عن الأولى: وصورتها:

«نصيحة من علماء الإسلام بمصر المحروسة. نخبركم يا أهل المداين والأمصار من المؤمنين ويا سكان الريف من العربان والفلاحين – أن إبراهيم بك ومراد بك، وبقية دولة المماليك أرسلوا عدة مكاتبات ومخاطبات إلى سائر الأقاليم المصرية لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات، وادعوا أنها من حضرة مولانا السلطان، ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان.

وبسبب ذلك حصل لهم شدة الغم والكرب الزايد، واغتاظوا غيظاً شديداً من علما مصر ورعاياها حيث لم يوافقوهم على الخروج معهم، ويتركوا عيالهم وأوطانهم، فأرادوا أن يوقعوا الفتنة والشر بين الرعية والعسكر الفرنساوية، لأجل خراب البلاد وهلاك كامل الرعية، وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزايد بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر المحمية، ولو كانوا في هذه الأوراق صادقين بأنها من حضرة سلطان السلاطين لأرسلها جهاراً مع أغوات معينين.

ونخبركم أن الطايفة الفرنساوية بالخصوص عن بقية الطوايف الإفرنجية دايما يحبون المسلمين وملتهم، ويبغضون المشركين، وطبيعتهم أحباب لمولانا السلطان قايمين بنصرته وأصدقا له ملازمون لمودته وعشرته ومعونته، يحبون من والاه، ويبغضون من عاداه.

(*) الموقعين عليه:
١ – خليل البكرى/ نقيب الأشراف.
٢ – مصطفى الصاوى
٣ – محمد الأمير/ مفتى المالكية
٤ – سليمان الفيومى المالكى.
٥ – موسى السرسى الشافعى.
٦ – عبدالله الشرقاوى.
٧ – محمد المهدى الشافعى.
٨ – آحمد العريشى
٩ – محمد الدوغلى الشافعى
١٠ – مصطفى الدمنهورى



* عسكر فرنساوية وقائدهم.

ولذلك بين الفرنساوية والموسكوف غاية العداوة الشديدة من أجل عداوة الموسكوف القبيحة الردية. والطايفة الفرنساوية يعاونون حضرة السلطان على أخذ بلادهم إن شاء الله تعالى، ولا يبقون منهم بقية، فننصحكم أيها الأقاليم المصرية أنكم لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ولا تعارضوا العساكر الفرنساوية بشي من أنواع الأذية، فيحصل لكم الضرر والهلاك، ولا تسمعوا كلام المفسدين، ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين، وإنما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل الملتزمين لتكونوا بأوطانكم سالمين، وعلى أموالكم وعيالكم آمنين مطمينين، لأن حضرة صارى عسكر الكبير أمير الجيوش بونابارته اتفق معنا على أنه لا ينازع أحداً فى دين الإسلام ولا يعارضنا فيما شرعه الله من

الأحكام، ويرفع عن الرعية ساير المظالم، ويقتصر على أخذ الخراج، ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم، فلا تعلقوا آمالكم بإبراهيم ومراد، وارجعوا إلى مولاكم مالك الملك وخالق العباد: فقد قال نبيه ورسوله الأكرم: الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها بين الأمم، عليه أفضل الصلاة والسلام.



وفى ثالث عشرة: قتلوا شخصين عند باب زويلة: أحدهما يهودى، لم يتحقق السبب فى قتلهما.

وفيه: أخرجوا من بيت نسيب إبراهيم كتخدا صناديق ضمنها مصاغ وجواهر وأوانى ذهب وفضة وأمتعة وملابس كثيرة.

وفى خامس عشرة: حضر جماعة من الفرنساوية بباب زويلة، وفتحوا بعض دكاكين السكرية، وأخذوا منها سكراً وضاع على أصحابه.

وفيه: دلوا على إنسان عنده صندوقان وديعة لأيوب بك الدفتردار، فطلبوه، وأمروه بإحضارهما، فأحضرهما بعد الإنكار والجحد عدة مرار، فوجدوا ضمنهما أسلحة وجواهر وسبح لؤلؤ وخناجر مجوهرة، وغير ذلك.

وفى عشرينه: كتبوا عدة أوراق مطبوعة، وألصوقها بالأسواق: مضمونها:

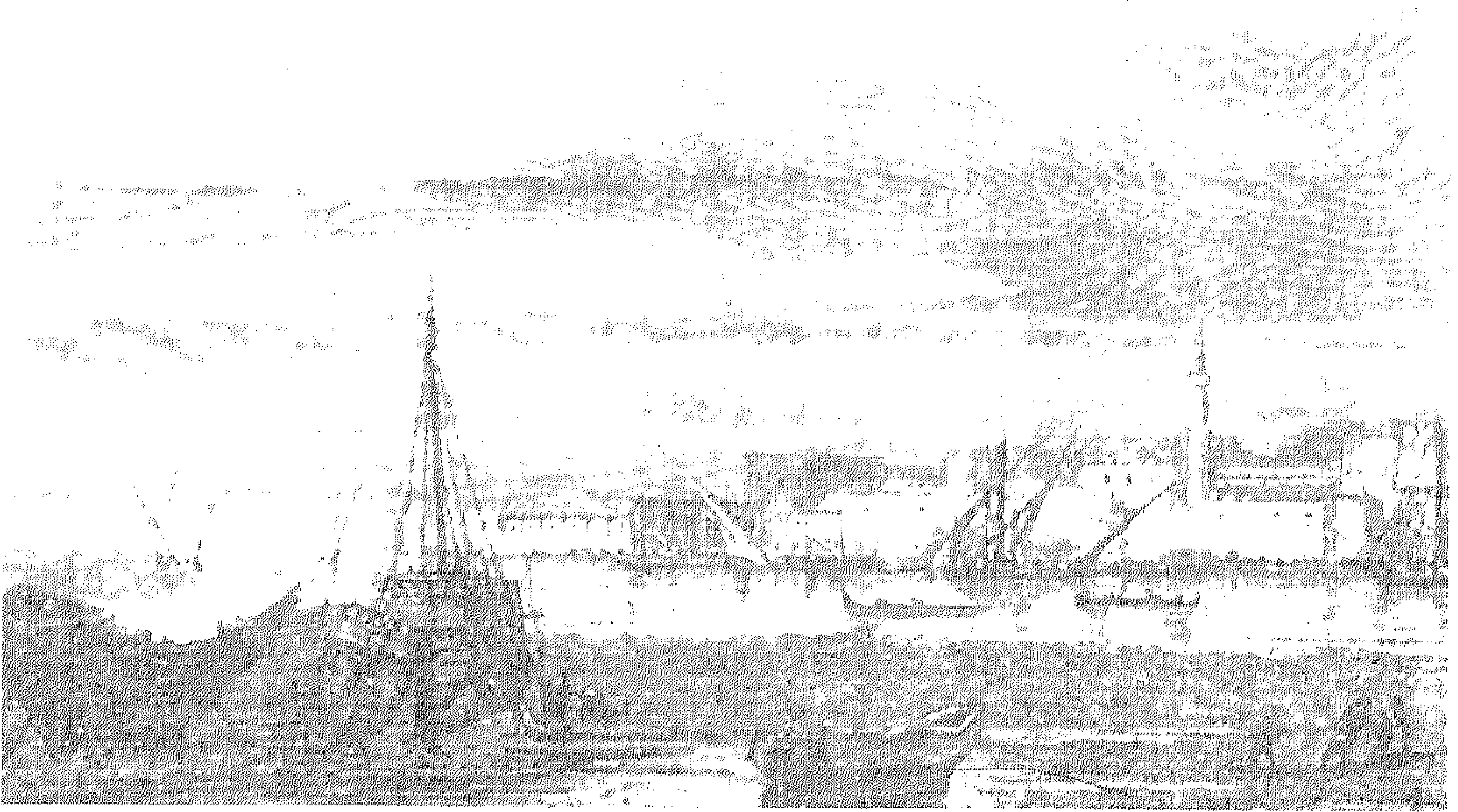
أن فى يوم الجمعة حادى عشرينه قصدنا أن نطير مركباً* ببركة الأزبكية فى الهواء بحيلة فرنساوية. فكثر لغط الناس فى هذا كعادتهم، فلما كان ذلك اليوم قبل العصر تجمع

(*) تجربة البالون الفرنسى الفاشلة.

الناس والكثير من الإفرنج ليروا تلك العجيبة، وكنت بجملتهم، فرأيت قماشا على هيئة الأوية على عمود قايم، وهو ملون أحمر وأبيض وأزرق على مثل دايرة الغربال، وفي وسطه مسرجة بها فتيلة مغموسة ببعض الأدهان، وتلك المسرجة مصلوبة بسلوك من حديد منها إلى الدايرة، وهي مشدودة ببكر وأحبال، وأطراف الأحبال بأيدى أناس قايمين بأسطحة البيوت القريبة منها، فلما كان بعد العصر بنحو ساعة أوقدوا تلك الفتيلة، فصعد دخانها إلى ذلك القماش وملأه، فانتفخ، وصار مثل الكرة، وطلب الدخن الصعود إلى مركزه، فلم يجد منفذاً فجذبها معه إلى العلو، فجذبوها بتلك الأحبال مساعدة لها حتى ارتفعت عن الأرض، فقطعوا تلك الحبال، فصعدت إلى الجو، مع الهواء ومشت هنيهة لطيفة، ثم سقطت طارتها بالفتيلة، وسقط أيضاً ذلك القماش، وتناثر منها أوراق كثيرة من نسخ الأوراق المبصومة [المطبوعة].

فلما حصل لها ذلك انكسف طبعهم لسقوطها، ولم يتبين صحة ما قالوه من أنها على هيئة مركب تسير في الهواء بحكمة مصنوعة، ويجلس فيها أنفار من الناس ويسافرون فيها إلى البلاد البعيدة لكشف الأخبار وإرسال المراسلات، بل ظهر أنها مثل الطيارة التي يعملها الفراشون بالمواسم والأفراح.

وفي تلك الليلة: طاف منهم أنفار بالأسواق، ومعهم مقاطف بها لحوم مسمومة، فأطعموها للكلاب، فمات منها جملة كثيرة، فلما طلع النهار وجد الناس الكلاب مرمية



* ميناء السويس

وطرحى بالأسواق، وهى موتى، فاستأجروا لها من أخرجها إلى الكيمان. وسبب ذلك أنهم لما كانوا يمرون بالأسواق فى الليل، وهم سكوت كانت الكلاب تنبحهم، وتعدو خلفهم، ففعلوا بها ذلك، وارتاحوا هم والناس منها.

وفى خامس عشرينه: سافر عدة عساكر إلى جهة مراد بك، وكذلك إلى جهة كرداسة بسبب العربان، وكذلك إلى السويس والصالحية، وأخذوا جمال السقايين بروايـاها وحميرهم، ولكن يعطونهم أجرتهم فشح الماء وغلا، وبلغت القربة عشرة أنصاف فضة.

وفيه: ظفروا بعدة ودايع وخبايا بأماكن متعددة بها صناديق وأمتعة وأسلحة وأوانى صينى وأوانى نحاس قناطير، وغير

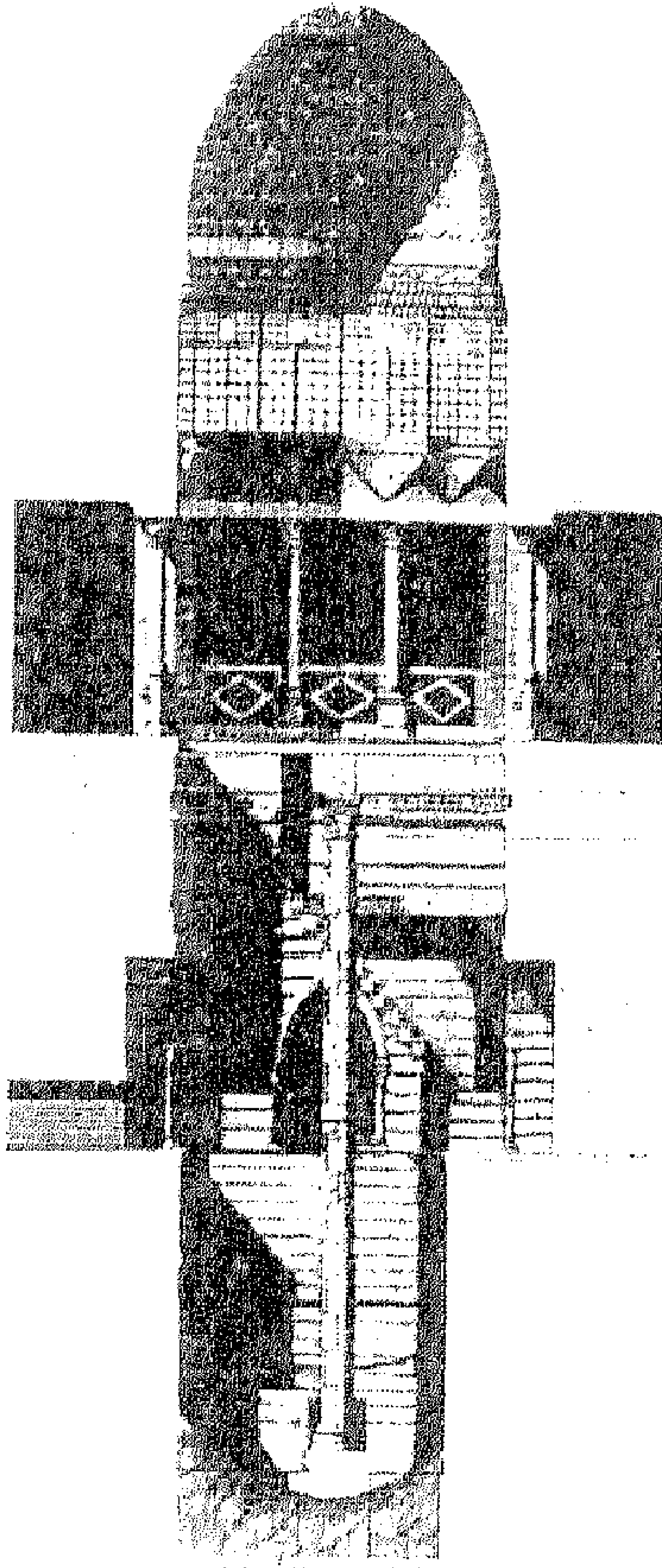
ذلك، وانقضى هذا الشهر، وما حصل به من الحوادث الكلية والجزئية التى لا يمكن ضبطها لكثرتها.

منها أنهم أحدثوا بغيط النوبى المجاور للأزبكية أبنية على هيئة مخصوصة منزهة* يجتمع بها النساء والرجال للهو والخلاعة فى أوقات مخصوصة، وجعلوا على كل من يدخل إليه قدراً مخصوصاً يدفعه أو يكون مأذوناً وبيده ورقة.

(*) بناء متنزهات ومسارح خاصة بالفرنساوية فى الأزبكية.

ومنها أنهم هدموا وبنوا بالمقياس والروضة*، وهدموا أماكن بالجيزة، ومهدوا التل المجاور لقنطرة الليمون، وجعلوا فى أعلاه طاحونا تدور فى الهواء عجيبة، وتطحن الأرادب من البر، وهى بأربعة أحجار، وطاحونا أخرى بالروضة تجاه مساطب النشاب، وهدموا الجامع المجاور لقنطرة الدكة.

(*) بناء مقياس الروضة من جديد.



وشرعوا فى ردم جهات حوالى بركة الأزبكية، وهدموا الأماكن المقابلة لبيت سارى عسكر حتى جعلوها رحبة، متسعة، وهدموا الدور المقابلة لها من الجهة الأخرى والجناين التى خلف ذلك، وقطعوا أشجارها وردموا مكانها بالأتربة الممهدة على خط معتدل من الجهتين مبتدأ من حد بيت سارى عسكر إلى قنطرة المغربى.

وجددوا القنطرة المذكورة، وكانت آلت إلى السقوط، وفعلوا بعدها كذلك الوضع والنسق بحيث صار جسراً عظيماً ممتداً ممهداً مستوياً على خط مستقيم من الأزبكية إلى بولاق، وينقسم بقرب بولاق قسمين: قسم إلى طريق أبى العلا، وقسم يذهب إلى جهة التبانة وساحل النيل،

وبطريقه الطريق المسلوكة الواصلة من طريق أبى العلاء وجامع الخطيرى إلى ناحية المدابغ، وحفروا فى جانبى ذلك الجسر من مبداه إلى منتهاه خندقين، وغرسوا بجانبه أشجاراً وسيسباناً.

وأحدثوا طريقاً أخرى فيما بين باب الحديد وباب العدوى عند المكان المعروف بالشيخ شعيب، حيث معمل الفواخير، وردموا جسراً ممتداً ممهداً مستطيلاً يبتدىء من الحد المذكور، وينتهى إلى جهة المذبح خارج الحسينية، وأزالوا ما يتخلل بين ذلك من الأبنية والغيطان والأشجار والتلول.

وقطعوا جانباً كبيراً من التل الكبير المجاور لقنطرة الحاجب، وردموا فى طريقهم قطعة من خليج بركة الرطلى*، وقطعوا أشجار بستان كاتب البهار المقابل لجسر بركة الرطلى، وأشجار الجسر أيضاً، والأبنية التى بين باب الحديد والرحبة التى بظاهر جامع المقس*، وساروا على المنخفض بحيث صارت طريقاً ممتدة من الأزبكية إلى جهة قبة النصر المعروفة بقبة العزب جهة العادلية* على خط مستقيم من الجهتين.

وقيدوا بذلك أنفاراً منهم يتعاهدون تلك الطرق ويصلحون ما يخرج منها عن قالب الاعتدال بكثرة الدوس وحوافز الخيول والبغال والحمير.

وفعلوا هذا الشغل الكبير والفعل العظيم فى أقرب زمن، ولم يسخروا أحداً فى العمل، بل كانوا يعطون الرجال زيادة

(*) بركة الرطلى: هى من جملة أرض الطبالة عرفت ببركة الطوابين من أجل أنه كان يعمل فيها الطوب، وسميت بالرطلى لأنه كان يوجد فيها رجل يصنع الأرطال بزاوية بها. كان الناس يخرجون للنزهة واللهو بها ولاسيما فى أيام وفاء النيل.

(*) جامع المقس: موقعه الآن بميدان رمسيس (باب الحديد) وقد عرف باسم جامع باب البحر ثم بجامع أولاد عنان. ومحله الآن جامع الفتح صاحب أعلى مئذنة فى القاهرة.

(*) العادلية: هى العباسية فى الوقت الحاضر وعرفت بالعادلية نظراً لوجود مقام يعرف بمقام العادل وما زال بها حتى الآن.

عن أجرتهم المعتادة، ويصرفونهم من بعد الظهيرة، ويستعينون فى الأشغال وسرعة العمل بالآلات القريبة الأخذ السهلة التناول المساعدة فى العمل، وقلة الكلفة، كانوا يجعلون بدل الغلقان والقصاه عربات صغيرة ويداها ممتدتان من خلف يملؤها الفاعل تراباً أو طيناً أو أحجاراً من مقدمها بسهولة بحيث تسع مقدار خمسة غلقان، ثم يقبض بيديه على خشبتها المذكورتين، ويدفعها أمامه فتجرى على عجلتها بأدنى مساعدة إلى محل العمل، فيميلها بإحدى يديه، ويفرغ ما فيها من غير تعب ولا مشقة، وكذلك لهم فوس وقزم محكمة الصنعة متقنة الوضع، وغالب الصناع من جنسهم، ولا يقطعون الأحجار والأخشاب إلا بالطرق الهندسية على الزوايا القايمة، والخطوط المستقيمة.

وجعلوا جامع الظاهر بيبرس* خارج الحسينية قلعة، ومنارته برجا، ووضعوا على أسواره مدافع، وأسكنوا به جماعة من العسكر، وبنوا فى داخله عدة مساكن تسكنها العسكر المقيمة به، وكان هذا الجامع معطل الشعاير من مدة طويلة، وباع نظاره منه أنقاضاً وعمداً كثيرة.

* ظل هذا الجامع رغم صخامته وفخامة بنيانه مهملاً حتى قدوم الحملة الفرنسية التى حولته إلى قلعة عسكرية ثم تحول بعد خروج الحملة إلى مخبز للجهديه، وفى ظل الاحتلال البريطانى تحول إلى مذبح عرف بمذبح الإنجليز.

ومنها: أنهم أحدثوا على التل المعروف بتل العقارب بالناصرية أبنية * وكرانك وأبراجاً، وضعوا فيها عدة من آلات الحرب والعساكر المرابطين فيه، وهدموا عدة دور من دور الأمرا، وأخذوا أنقاضها ورخامها لأبنيتهم، وأفردوا للمدبرين والفلكيين وأهل المعرفة والعلوم الرياضية كالهندسة والهيئة والنقوشات والرسومات والمصورين

() مرسوم إنشاء المجمع المصرى
أصدر الجنرال بونابرت القائد العام أمرا بتاريخ ٣ فروكتيدور سنة ٦ يقضى بإنشاء مجمع للعلوم والفنون فى القاهرة، أهم اختصاصته ما يلى:
١ - نشر العلوم والمعارف فى مصر والعمل على تقدمها وازدهارها.

٢ - القيام بالبحوث والدراسات الخاصة بالشئون الطبيعية والصناعية والتاريخية المصرية، وإصدار الكتب والنشرات المتعلقة بها.

وقد تم إنشاء المجمع، وهو يحتوى على أربعة أقسام: الرياضيات - الطبيعة - الآداب والفنون - الاقتصاد السياسى. ويضم كل قسم ١٢ عضوا. وقسم الرياضيات هو القسم الوحيد الذى اكتمل عدد أعضائه حاليا، والمقاعد الشاغرة هى: ٢ فى قسم الطبيعة و ٦ فى قسم الاقتصاد السياسى و ٤ فى قسم الآداب والفنون الجميلة.

**قائمة بأعضاء المجمع**

**الرياضيات**

| | |
|---|---|
| لوروا | Leroi |
| مالوس | Malus |
| مونج | Monge |
| نوييه | Neuet |
| كيسنو | Quesnot |
| سى | Say |
| اندريوسى | Andreossy |
| بونابرت | Bonaparte |
| كوستاز | Costaz |
| فورييه | Fourier |
| جيرار | Girard |
| لوبير | Le Pére |

**الطبيعة**

| | |
|---|---|
| ديجينيت | Desgenettes |
| دولوميو | Dolomieu |
| دوبوا | Dubois |
| جيوفروى | Geoffroy |
| سافينى | Savigny |
| بيرتوليه | Bertholet |
| شامبى | Champy |
| كونتيه | Conté |
| ديليل | Delille |
| ديسكوتيل | Descotils |

والكتبة والحساب والمنشئين حارة الناصرية حيث الدرب الجديد، وما به من البيوت مثل بيت قاسم بك، وأمير الحاج المعروف بأبى يوسف، وبيت حسن كاشف جركس القديم والجديد الذى أنشأه وشيده وزخرفه وصرف عليه أموالا عظيمة من مظالم العباد، وعند تمام بياضه وفرضه حدثت هذه الحادثة؛ ففر مع الفارين وتركه.

فيه جملة كبيرة من كتبهم وعليها خزان ومباشرون يحفظونها ويحضرونها للطلبة، ومن يريد المراجعة فيراجعون فيها مرادهم فتجتمع الطلبة منهم كل يوم قبل الظهر بساعتين، ويجلسون فى فسحة المكان المقابلة لمخازن الكتب على كراسى منصوبة موازية لتختاة عريضة مستطيلة، فيطلب من يريد المراجعة ما يشاء منها، فيحضرها الخازن، فيتصفحون ويراجعون ويكتبون حتى أسافلهم من العساكر.

وإذا حضر إليهم بعض المسلمين ممن يريد الفرجة لا يمنعونه الدخول إلى أعز أماكنهم، ويتلقونه بالبشاشة والضحك، وإظهار السرور بمجيئه إليهم، وخصوصا إذا رأوا فيه قابلية أو معرفة أو تطلعاً للنظر فى المعارف -بذلوا له مودتهم ومحبتهم، ويحضرون له أنواع الكتب المطبوع بها أنواع التصاوير وكورات البلاد [الخرائط]، والأقاليم والحيوانات والطيور والنباتات، وتواريخ القدما وسير الأمم وقصص الأنبياء بتصاويرهم وآياتهم ومعجزاتهم، وحوادث أممهم مما يحير الأفكار.

| | |
|---|---|
| شولكوسكى | Shulkouski |
| سوسى | Sucy |
| تاليان | Tallien |
| كافاريللى | Cafarelli |
| جلوتييه | Gloutier |
| بوسيلج | Poussielgue |

## الآداب والفنون

| | |
|---|---|
| د. رافائيل | D.Raphael |
| رودوتيه | Redouté |
| ريجيل | Rigel |
| فنتور | Venture |
| دينون | Denon |
| دوتيرتر | Dutertre |
| نورى | Norry |
| بارسيفال | Parseval |

صحف بونابرت فى مصر. صحيفة لا ديكاد ايجبسين. العدد الأول ص ١٤، ١٥.



* مونج: عضو الرياضيات

ولقد ذهبت إليهم مراراً، وأطلعونى على ذلك، فمن جملة ما رأيته كتاب* كبير يشتمل على سيرة النبى صلى الله عليه وسلم، ومصورون به صورته الشريفة على قدر مبلغ علمهم واجتهادهم، وهو قايم على قدميه ناظر إلى السماء كالمرهب للخليقة وبيده اليمنى السيف وفى اليسرى الكتاب [المصحف]، وحوله الصحابة رضى الله عنهم بأيديهم السيوف، وفى صفحة أخرى صورة الخلفاء الراشدين، وفى الأخرى صورة المعراج والبراق، وهو صلى الله عليه وسلم راكب عليه من صخرة بيت المقدس، وصورة بيت المقدس والحرم المكى والمدنى، كذلك صورة الأئمة المجتهدين، وبقية الخلفاء والسلاطين، ومثال إسلامبول وما بها من المساجد العظام كآيا صوفية، وجامع السلطان سليمان، وهيئة صلاة الجمعة فيه، وأبى أيوب الأنصارى، وهيئة صلاة الجنازة فيه.

(*) يبدو أن هذا الكتاب كان النسخة الأصلية لكتاب وصف مصر قبل أن تحذف منه صورة النبى وما ذكره الجبرتى هنا.



* مالوس: عضو الرياضيات



* كوستاز: عضو الرياضيات



* فورييه: عضو الرياضيات



* جيرار: عضو لجنة الطبيعة، وقد ذكر بالخطاء فى لجنة الرياضيات فى مجلة ديكار الجبيين

وصور البلدان والسواحل والبحار والأهرام وبرابى الصعيد، والصور والأشكال والأقلام المرسومة بها، وما يختص بكل بلد من أجناس الحيوان والطيور والنبات والأعشاب وعلوم الطب والتشريح والهندسيات وجر الأثقال.

وكثير من الكتب الإسلامية مترجم بلغتهم، ورأيت عندهم كتاب الشفاء للقاضى عياض، ويعبرون عنه بقولهم: شفا شريف، والبردة للبوصيرى، ويحفظون جملة من أبياتها وترجموها بلغتهم، ورأيت بعضهم يحفظ سورا من القرآن.

ولهم تطلع زايد للعلوم وأكثرها الرياضة ومعرفة اللغات واجتهاد كبير فى معرفة اللغة والمنطق، ويدأبون فى ذلك الليل والنهار.

وعندهم كتب مفردة لأنواع اللغات وتصاريفها واشتقاقاتها بحيث يسهل عليهم نقل ما يريدون من أى لغة كانت إلى لغتهم فى أقرب وقت.

وعند توت الفلكى وتلامذته فى مكانهم المختص بهم الآلات الفلكية الغريبة المتقنة الصنعة وآلات الارتفاعات البديعة العجيبة التركيب العالية الثمن المصنوعة من الصفر [النحاس] المموه، وهى تركب ببراريم مصنوعة محكمة، كل آلة منها عدة قطع تركب مع بعضها البعض برباطات وبراريم لطيفة بحيث إذا ركبت صارت آلة كبيرة أخذت قدرا من الفراغ، وبها نظارات وثقوب ينفذ النظر منها إلى المرئى، وإذا انحل تركيبها وضعت فى ظرف صغير.



* دولوميو: عضو الطبيعة



* جيوفروى: عضو الطبيعة



* سافين: عضو الطبيعة



* ديليل: عضو الطبيعة

وكذلك نظارات للنظر في الكواكب وأرصادها، ومعرفة مقاديرها وأجرامها وارتفاعاتها واتصالاتها ومناظراتها، وأنواع المنكابات والساعات التي تسير بثواني الدقايق الغريبة الشكل الغالية الثمن، وغير ذلك.

وأفردوا لجماعة منهم بيت إبراهيم كتخدا السنارى، وهم المصورون لكل شي، ومنهم أريجو المصور، وهو يصور صور الآدميين تصويراً يظن من يراه أنه بارز في الفراغ مجسم يكاد ينطق، حتى إنه صور صورة المشايخ كل واحد على حدته في دايرة، وكذلك غيرهم من الأعيان، وعلقوا ذلك في بعض المجالس سارى عسكر.

وآخر في مكان آخر يصور الحيوانات والحشرات، وآخر يصور الأسماك والحيتان بأنواعها وأسمائها، ويأخذون الحيوان



* شولكوسكي: عضو الاقتصاد السياسي.



* تاليان: عضو الاقتصاد السياسي



* رودوتيه: عضو الآداب والفنون

أو الحوت الغريب الذى لا يوجد ببلادهم فيضعون جسمه بذاته فى ماء مصنوع حافظ للجسم [الفورمالين]، فيبقى على حالته وهيئته لا يتغير ولا يبلى، ولو بقى زمناً طويلاً.

وكذلك أفردوا أماكن للمهندسين وصناع الدقايق، وسكن الحكيم (رويبا) ببيت ذى الفقار كتخدا بجوار ذلك ووضع آلاته ومساحقه وأهوانه فى ناحية، وركب له تنانير وكوانين لتقطير المياه والأدهان واستخراج الأملاح، وقدورا عظيمة وبرامات، وجعل له مكانا أسفل وأعلى وبهما رفوف عليها القدور المملوة بالتراكيب والمعاجين والزجاجات المتنوعة وبها كذلك عدة من الأطباء والجرايحية.

وأفردوا مكانا فى بيت حسن كاشف جركس لصناعة الحكمة والطب الكيماوى، وبنوا فيه تنانير مهندمة وآلات تقاطير عجيبة الوضع، وآلات تصاعيد الأرواح، وتقاطير المياه، وخلاصات المفردات وأملاح الأرمدة المستخرجة من الأعشاب والنباتات، واستخراج المياه الجلاءة والحلالة، وحوله المكان الداخل قوارير وأوان من الزجاج البلورى المختلفة الأشكال والهيئات على الرفوف والسدلات، وبداخلها أنواع المستخرجات.

ومن أغرب ما رأيته فى ذلك المكان: أن بعض المتقدمين لذلك أخذ زجاجة من زجاجات الموضوع فيها بعض المياه المستخرجة فصب منها شيأ فى كأس، ثم صب عليها شيأ من زجاجة أخرى - فعلا المآن وصعد منه دخان ملون حتى انقطع وجف ما فى الكاس، وصار حجرا أصفر فقلبه على البرجات حجرا يابسا أخذناه بأيدينا ونظرناه، ثم فعل كذلك



* كافاريللى: عضو الاقتصاد السياسى

بمياه أخرى فجمد حجرا أزرق وبأخرى فجمد حجرا أحمر ياقوتيا، وأخذ مرة شيأ قليلاً جداً من غبار أبيض ووضعه على السندال وضربه بالمطرقة بلطف - فخرج له صوت هايل كصوت القربانة انزعجنا منه - فضحكوا منها، وأخذ مرة زجاجة فارغة مستطيلة فى مقدار الشبر ضيقة الفم فغمسها فى ماء قراح موضوع في صندوق من الخشب مصفح من الداخل بالرصاص، وأدخل معها أخرى على غير هيئتها، وأنزلهما فى الماء، وأصعدهما بحركة انحبس بها الهواء في إحداهما، وأتى آخر بفتيلة مشتعلة وأبرز ذلك فم الزجاجة من الماء وقرب الآخر الشعلة إليها فى الحال فخرج ما فيها من الهواء المحبوس، وفرقع بصوت هايل أيضاً.

وغير ذلك الأمور كثيرة وبراهين حكمية تتولد من اجتماع العناصر وملاتاة الطبايع ومثل الفلكة المستديرة التى يديرون



* ينون: عضو الآداب والفنون، وقد أشتهر برسومه العديدة فترة الحملة.



* دوتيرتر: عضو الآداب والفنون. ومعظم الشخصيات المرسومة هنا برشيته.



* نورى: عضو الآداب والفنون.

بها الزجاجة، فيتولد من حركتها شرر يطير بملاقاة أدنى شى كثيف، ويظهر له صوت طقطقة، وإذا مسك علاقتها شخص ولو خيطا لطيفا متصلا بها ولمس آخر الزجاجة الدايرة، أو ما قرب منها بيده الأخرى ارتج بدنه* وارتعد جسمه، وطقطقت عظام أكتافه وسواعده فى الحال برجة سريعة، ومن لمس هذا اللامس أو شيأ من ثيابه أو شيأ متصلا به حصل له ذلك، ولو كانوا ألفا أو أكثر، ولهم فيه أمور وأحوال وتراكيب غريبة ينتج منها نتايج لا يسعها عقول أمثالنا.

(*) بدايات فكرة توليد الكهرباء.

وأفردوا أيضاً مكانا للنجارين وصناع الآلات والأخشاب وطواحين الهوا والعربات واللوازم لهم فى أشغالهم وهندساتهم وأرباب صنايعهم.



* بارسيڤال: عضو الآداب والفنون.

ومكان آخر للحدادين وبنوا فيه كوانين عظاماً وعليها منافيخ كبار يخرج الهواء متصلا كثيراً بحيث يجذبه النافخ من أعلى بحركة لطيفة، وصنعوا السندانات والمطارق العظام لصناعات الآلات من الحديد والمخارط وركبوا مخارط عظيمة لخرط القلوزات الحديد العظيمة.

ولهم فلكات مثقلة يديرها الرجال للمعلم* الخراط للحديد بالأقلام المتينة الجافية، وعليها حق صغير معلق مثقوب، وفيه ماء يقطر على محل الخرط لتبريد النارية الحادثة من الاصطكاك، وبأعلى هذه الأمكنة صناع الأمور الدقيقة مثل البركارات وآلات الساعات والآلات الهندسية المتقنة، وغير ذلك.

(*) آلات الخراطة.

## شهر رجب سنة ١٢١٣

اسنهل بيوم الأحد فى* ثالثه قتلوا شخصا من الأجناد يقال له مصطفى كاشف من جماعة حسين بك المعروف بشفت [اليهودى]، وكان قد فر مع الفارين ثم رجع من غير استيذان، وأقام أياما مستترا ببيت الشيخ سليمان الفيومى، فسلمه لمصطفى أغا مستحفظان ليأخذ له أمانا، فأخبر الفرنسيس بشأنه وأغراهم عليه، فأمروه بقتله، فقطع رأسه، وطافوا بها ينادون عليها بقولهم: «هذا جزا من يدخل إلى مصر بغير إذن الفرنسيس».

* يذكر الجبرتى فى مخطوطة «ليدن» (انظر ملحق ٢٦) أنه فى نفس هذا اليوم عمل الشيخ السادات مولد السيدة زينب بقناطر السباع ودعى صارى عسكر بونابرته فحضر فى عصريتها فى البيت الذى سكن به الشيخ وهو بيت أيوب بك الجداوى وتعشى هناك هو وخواصه ثم ركب وعاد إلى داره.
ولعل الجبرتى حذف هذا الحدث من هذا اليوم كما حذفه من كتاب «مظهر التقديس» مراعاة لجانب السادات وحفاظا على سمعته لدى العثمانيين بعد عودتهم.

وفى يوم الخميس حضر كبير الفرنسيس الذى بناحية قليوب وصحبته سليمان الشواربى شيخ الناحية وكبيرها فلما حضر حبسوه بالقلعة، قيل إنهم عثروا له على مكتوب أرسله وقت الفتنة السابقة إلى سرياقوس لينهض أهل تلك النواحى فى القيام، ويأمرهم بالحضور وقت أن يرى الغلبة على الفرنسيس، ولما حبسوه حبسوا معه أربعة من الأجناد أيضاً.

وفيه أحدثوا مزمارا يضربونه فى كل وقت الزوال، لأن ذلك الوقت عندهم ابتداء اليوم

* مزمار [نفير] تحديد وقت الزوال.

وفى يوم الأربعا عاشره نادوا فى الأسواق بأن من أراد أن يشترى فرسا أو حمارا فليحضر يوم الجمعة ثالث عشره ببولاق ويشترى من الفرنساوية ما أحب من ذلك، وكتبوا بذلك أوراقا وألصقوها بالأسواق والأزقة وهى مطبوعة وعليها الصورة، ونصها:

فليكن معلوما عند كافة الرعايا المصرية أن في يوم الجمعة ثلاثة عشر من شهر رجب الساعة اثنين يباع في بولاق جملة خيل من المشيخة الفرنساوية فلأجل هذا المشترى كل من أراد أن يقتنى خيلا فمنحنا له الإجازة أنه يقتنى كما يريد ويشاء. انتهى».

وفي يوم الاثنين سادس عشره سافر سارى عسكر بونابارته إلى السويس*.

وأخذ صحبته السيد أحمد المحروقي وإبراهيم أفندى كاتب البهار وأخذ معه أيضا بعض المديرين والمهندسين والمصورين وجرجس الجوهرى، وألطون أبو طاقية، وغيرهم، وعدة كثيرة من عساكر الخيالة والمشاة وبعض مدافع وعربات وتختروان وعدة جمال لحمل الذخيرة والماء والقومانية.

وفيه شرعوا في ترتيب الديوان* على تنظيم آخر وعينوا له ستين نفرا، منهم أربعة عشر يقال لهم خصوص، وهم الذين يحضرون دايما، ويقال لهم الديوان الخصوصى والديوان الديمومى، والباقى بحسب الاقتضا، والأربعة عشر هم: من المشايخ / الشرقاوى والمهدى والصاوى والبكرى والفيومى، ومن التجار/ المحروقى وأحمد محرم، ومن النصارى القبطة/ لطف الله المصرى، ومن الشوام / يوسف فرحات ومخاييل كحيل ورواحة الإنكليزى وبودنى وموسى كافرلى الفرنساوى، ومعهم وكلا ومباشرون من الفرنسيس ومترجمون.

وأما العمومى فأكثرهم مشايخ حرف، وكتبوا بذلك طومار كبيرا بصموا منه نسخا كثيرة، وأرسلوا منها نسخا كثيرة

* غادر بونابرت القاهرة متجها إلى السويس بصحبة عدد من ضباطه ومن علماء الحملة الفرنسية. وكانت القافلة تتكون من ٣٠٠ شخص ومنهم عدد من تجار القاهرة، ولقد اجتمع بونابرت مع قباطنة السفن الراسية في ميناء السويس وتحدث معهم عن التجارة في البحر الأحمر فقد افهمهم أن نية الجمهورية هي حماية التجارة والمشتغلين بالملاحة ومساعدتهم بجميع الطرق - وأصدر بونابرت أمامهم قرارا بتخفيف الرسوم الجمركية التي تحصل عن البن المستورد.

* ترتيب الديوان الجديد (انظر هامش ص ١٣٠).

السفر إلى السويس

غادر الجنرال بونابرت القاهرة في ١٤ نيفوز متجها إلى السويس بصحبة الجنرالات برتييه Berthier ودومارتان Dommartin وكافاريللي Gaffarell والاميرال جانتوم Gantaume.

وقد انتهز هذه الفرصة المواطنون برتوليه Berthollet ومونج Monge ودوتيرتر Dutertre وديكوتيل Descotils ولوبير المهندس وكوستاز Costaz أعضاء المعهد المصرى

فزاروا هذه البقعة من الأرض الشهيرة بموقعها الجغرافى وبتاريخها التجارى.
كانت القافلة تتكون من ٣٠٠ شخص يسيرون، البعض منهم على الأقدام والبعض الآخر يركبون الخيل، ومعهم عدد الجمال الكافية لنقل المياه والمؤن والزاد.
وقد انضم إلى القافلة تجار من القاهرة استدعتهم تجارتهم إلى السفر إلى السويس وهم مطمئنون جدا مع الفرنسيين على غير ما اعتادوا عليه مع قوافل أخرى.
قضينا ليل ٥/٤ نيفوز بالقرب من بركة الحاج (بحيرة الحجاج) ولناهناك مركز حصين، وكان للرومان من قبلنا مركز حصين ايضا اطلقوا عليه اسم (مخيمات قدماء العسكريين).
وفى ليل اليوم الخامس توقفت القافلة بالقرب من شجرة العامرة التى كانت تشاهد منعزلة وسط سهل فسيح الأرجاء تغطية الحجارة، وعلى مسيرة بضع ساعات قبل الوصول إليها. ويقع هذا السهل فى المرتفعات الواقعة بجانب الطريق المؤدى من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر. وهذه الجهة قارسة البرد ولا تتوفر فيها أية وسائل تمكننا من أن نضرم نارا ونبقى على وقودها. وقد قررنا عدم المساس بهذه الشجرة فضلا عن أن الجنرال بونابرت نفسه أمر بضرب خيمته تحتها لحمايتها من كل من تسول له نفسه بتر هذه الشجرة ذات المنظر الجميل الخلاب للمسافرين وسط هذه الطبيعة الموحشة، وهذه البقاع الصحراوية التي لا نهاية لها.
وقد تركنا شجرة العامرة فى الثالثة صباحا وقد أسرع الجنرال بونابرت الذى كان طوال اليوم السابق يصاحب القافلة في مسيرها إلى الانفصال عن القافلة وفى معيته بقية الجنرالات. وقد عقد العزم على أن يصل إلى السويس فى اليوم ذاته. اما بقية القافلة فقد أمضت الليل بالقرب من بئر عجرود التى يبلغ عمقها حوالى ١٠٠ متر. هذه البئر ماؤها ملح لا يشربه الإنسان، ولكن الجمال والخيول العربية ترتوى منه. وقد بنى حولها سور على كل جانب منه برج، وشيد على مقربة من هذه البئر قصر تداعى الآن إلى السقوط. هذه المبانى كلها عربية، والغرض منها تأمين الانتفاع من البئر لكى ترتوى منها خيول ودواب القوافل الخاصة بحجاج مكة المكرمة.
من أجل ذلك كانت الجمال ترسل قبل مرور القافلة بها بحوالى شهر أو شهرين لإدارة جهاز خاص لرفع المياه منها وصبها فى قنوات مؤدية إلى ثلاثة خزانات كبيرة مبنية ومبطنة بالاسمنت لمنع تسرب المياه في جوف الأرض. وقد أقيم حول هذه الخزانات عدد كبير من الأحواض لاستعمالها مساقى للحيوانات.
وقد أمر القائد العام بإجراء كل الإصلاحات اللازمة لجهاز تشغيل البئر وإعداده للعمل فوراً.

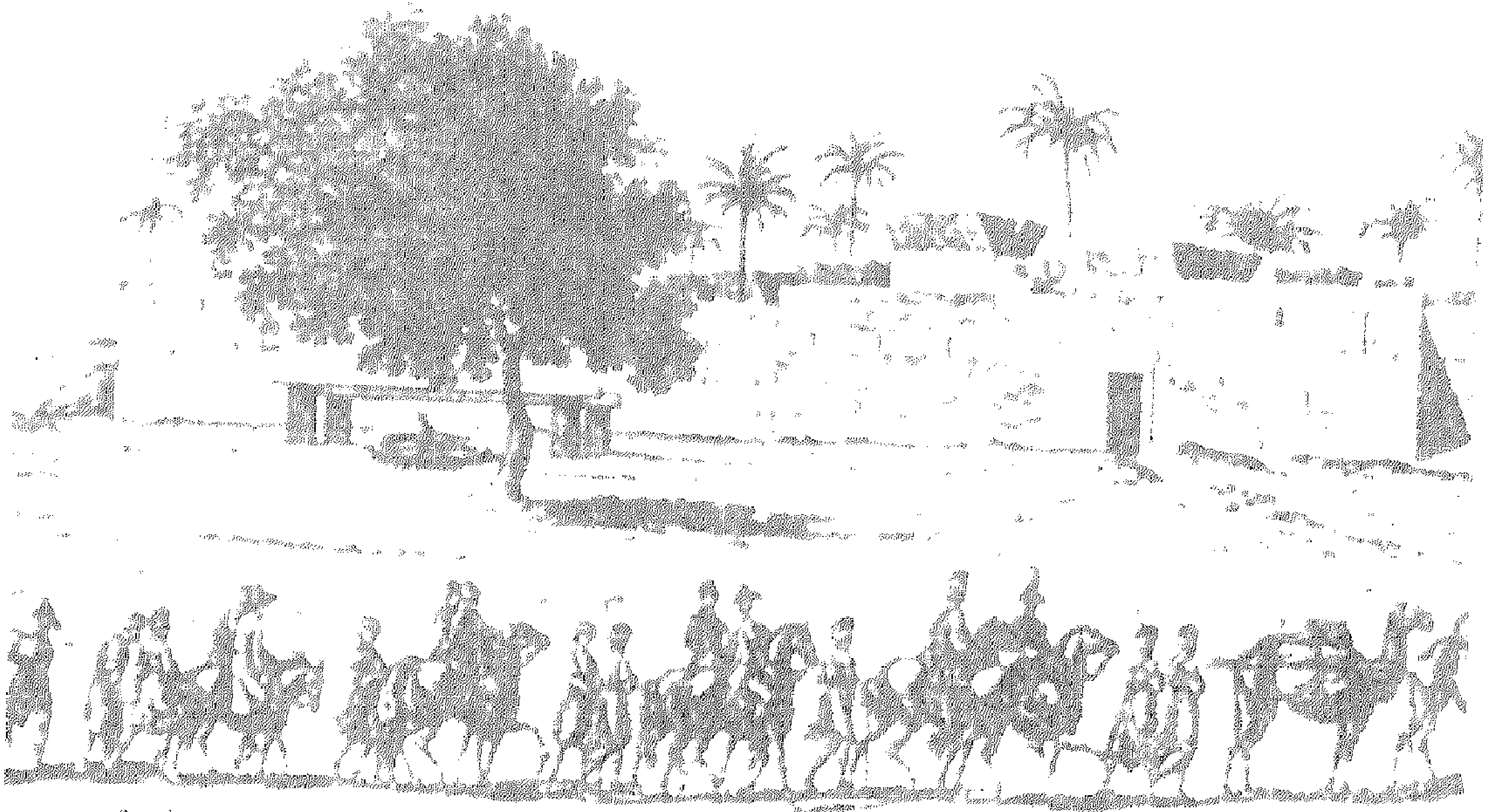
تبعد بئر عجرود عن السويس بمسيرة حوالى خمس ساعات وقبل الوصول إلى المدينة بساعة واحدة نجد بئر السويس ومياهها أقل ملوحة من بئر عجرود.
وفى يوم ٧ نيفوز طلب قباطنة السفن الراسية فى الميناء المثول أمام الجنرال بونابرت فقابلوه في خيمته وكلهم سواء من الأقطار الحجازية أو اليمنية يمارسون الملاحة بين موانىء البحر الأحمر وقد أكد أحدهم وهو من مسقط خبر ما استولى عليه البريطانيون من المواطنين الفرنسيين فى جزيرة فرنسا (حاليا جزيرة موريس) واضاف قائلاً: عند مغادرته مسقط كانت الشائعات قد انتشرت عن دخول ٧٠ قطعة حربية فرنسية إلى البحر الأحمر قادمة إلى السويس. أن مشاعر حاكم مسقط نحو الفرنسيين طيبة جدا، فقد قاوم دائما الحاح البريطانيين فى اغلاق موانىء هذا البلد فى وجهنا.
لقد استمع الجنرال بونابرت إلى جميع القباطنة وتحدث معهم عن التجارة فى البحر الأحمر وقد أفهمهم أن نية الجمهورية هى حماية التجارة والمشتغلين بالملاحة ومساعدته بجميع الطرق. وقد فض المجلس بعد أن أصدر أمامهم أوامره بتخفيف الرسوم الجمركية التى تحصل عن البن المستورد.

للأعيان، وألصقوا منها بالأسواق على العادة، وأرسلوا للذين عينوا بالديوان أوراقا بأسمايهم شبه التقارير وصورة صدر ذلك الطومار المكتتب فى شأن ذلك، وقد أوردت ذلك، وإن كان فيه بعض طول للاطلاع على ما فيه من التمويهات على العقول والتسلق على دعوى الخواص من البشر بفاسد التخيلات التى تنادى على بطلانها بديهة العقل فضلا عن النظر، وهى مقولة على لسان بونابارته كبير الفرنسيس ونصه*.

* نشر فى ١٦ رجب ١٢١٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

من أمير الجيوش الفرنساوى خطابا إلى كافة أهالى مصر الخاص والعام نعلمكم أن بعض الناس الضالين العقول الخالين من المعرفة وإدراك العواقب سابقا أوقعوا الفتنة والشرور بين القاطنين بمصر فأهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة، والبارى سبحانه وتعالى أمرنى بالشفقة والرحمة على العباد فامتثلت أمره وصرت رحيما بكم شفوقا عليكم، ولكن كان حصل عندى غيظ وغم شديد بحسب تحريك هذه الفتنة بينكم ولأجل ذلك أبطلت الديوان الذى كنت رتبته لنظام البلد وصلاح أحوالكم من مدة شهرين، والآن توجه خاطرنا إلى ترتيب الديوان كما كان لأن حسن أحوالكم ومعاملتكم فى المدة المذكورة أنسانا ذنوب الأشرار وأهل الفتنة التى وقعت سابقا. أيها العلما والأشراف أعلموا أمتكم ومعاشر رعيتكم بأن الذى يعادينى ويخاصمنى إنما خصامه من ضلال عقله وفساد فكره، فلا يجد ملجأ ولا مخلصا ينجيه منى فى هذا العالم، ولا ينجو من بين يدى الله لمعارضته لمقادير الله سبحانه



* جنود الحملة فى الطريق إلى السويس مع بونابرت

وتعالى، والعاقل يعرف أن ما فعلناه بتقدير الله تعالى وإرادته وقضايه، ومن يشك فى ذلك فهو أحمق وأعمى البصيرة، وأعلموا أيضا أمتكم أن الله قدر فى الأزل هلاك أعدا الإسلام وتكسير الصلبان على يدى، وقدر فى الأزل أنى أجى* من الغرب إلى أرض مصر لهلاك الذين ظلموا فيها، وإجراء الأمر الذى أمرت به ولا يشك العاقل أن هذا كله بتقدير الله وإرادته وقضاه، وأعلموا أيضا أمتكم أن القرآن العظيم صرح فى آيات كثيرة بوقوع الذى حصل وأشار فى آيات أخرى إلى أمور تقع فى المستقبل، وكلام الله فى كتابه صدق وحق لا يتخلف، إذا تقرر هذا وثبتت هذه المقالات فى آذانكم فلترجع أمتكم جميعا إلى صفاء النية وإخلاص الطوية فإن منهم من يمتنع عن الغى وإظهار عداوتى خوفا من سلاحى وشدة سطوتى، ولم يعلموا أن الله مطلع على

* يشير بونابرت هنا إلى انه المهدى المنتظر.

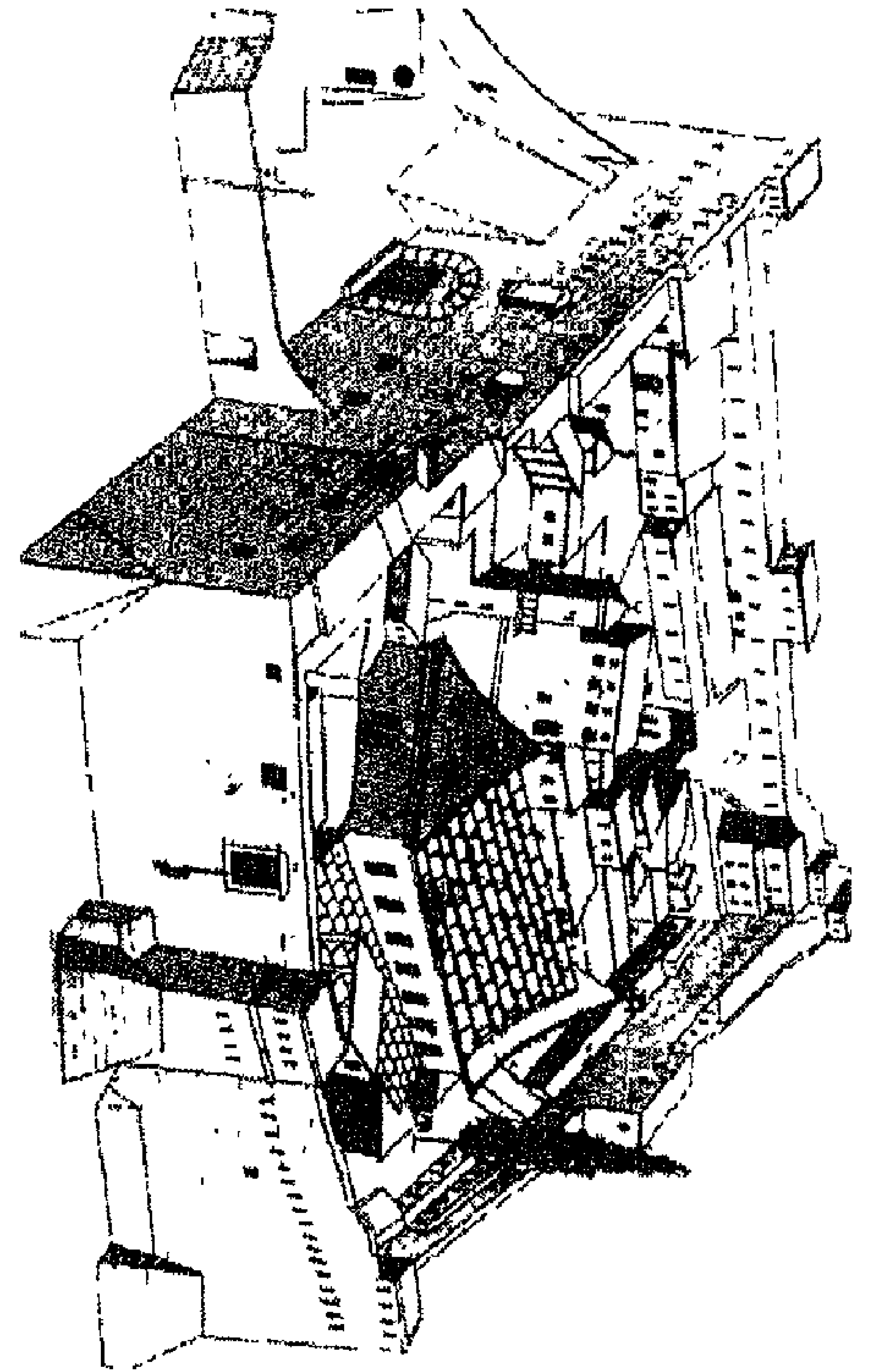
السراير يعلم خاينة الأعين وما تخفى الصدور والذى يفعل ذلك يكون معارضا لأحكام الله ومنافقا وعليه اللعنة والنقمة من الله علام الغيوب. واعلموا أيضا أنى أقدر على إظهار ما فى نفس كل أحد منكم لأننى أعرف أحوال الشخص وما انطوى عليه بمجرد ما أراه، وإن كنت لا أتكلم ولا أنطق بالذى عنده ولكن يأتى وقت ويوم يظهر لكم بالمعاينة أن كل ما فعلت وحكمت به فهو حكم إلهى لا يرد، وأن اجتهاد الإنسان غاية جهده وما يمنعه عن قضا الله الذى قدره وأجراه على يدى، فطوبى للذين يسارعون فى اتحادهم وهمتهم مع صفا النية وإخلاص السريرة والسلام.

ورتبوا لأرباب الديوان الديمومى شهرية تدفع إليهم نظير تقيدهم بمصالح العامة والدعاوى وما يترتب عليه النظام بينهم وبين المسلمين.

وفى ثامن عشره طافوا على الطواحين واختاروا من كل طاحون فرساً أخذوها.

وفى رابع عشرينه حضر السيد المحروقى وكاتب البهار من السويس، وكان سارى عسكر ذهب إلى ناحية بلبيس فاستأذنوه فى ذهابهم إلى مصر فأذن لهم، وأرسل معهم خمسين عسكريا ليوصلوهم إلى مصر، فلما حضروا حكوا أن أهل السويس لما بلغهم مجى الفرنساوية هربوا وأخلوا البلدة فذهبوا إلى الطور وذهب البعض إلى العرب بالبادية، فنهب الفرنسيس ما وجدوه بالبندر من البن والمتاجر والأمتعة وغير ذلك، وهدمو الدور وكسروا الأخشاب وخوابى الماء، فلما حضر كبيرهم وكان متأخرا عنهم، كلمه التجار

* دير جبل الطور (سانت كترين).



الذاهبون معه وأعلموه أن هذا الفعل غير صالح، فاسترد من العسكر بعض الذى أخذوه ووعدهم باسترجاع الباقى أو دفع ثمنه بمصر، وأن يكتبوا قايمة بالمنهوبات.

ثم إنه وجد مركبين حضرا إلى قريب من السويس بهما بن ومتاجر فغرقت* إحداهما فنزلت طايفة من الفرنسيس فى مراكب صغار وذهبوا إليها فى الغاطس وأخرجوها بآلات ركبوها واصطنعوها من علم جر الأثقال.

وفى مدة إقامته بالسويس صار يركب ويتأمل فى النواحى وجهات ساحل البحر والبر ليلا ونهاراً وكان معه من الأدم فى هذه السفرة ثلاثة طيور دجاج محمرة ملفوفة فى ورق وليس معه طباخ ولا فراش ولا فرش ولا خيمة وكل شخص من معسكره معه رغيف كبير، مرشوق فى طرف حربته يتزود منه ويشرب من سقاء لطيف من صفيح معلق فى عنقه [زمزميه].

وفى يوم السبت حضر عدة من العسكر الفرنساوية من ناحية بلبيس ومعهم عدة من العربان نحو الثلاثين نفراً موثقون بالحبال وأسروا أيضًا عدة من أولادهم ذكوراً وإناثًا ودخلوا بهم إلى مصر يزفونهم بالطبول أمامهم ومعهم أيضًا ثلاثة حمول من حمول التجار وبعض جمال مما كان نهب منهم عند رجوعهم من الحج.

وفى ليلة الاثنين غايته حضر سارى عسكر من ناحية بلبيس إلى مصر ليلا وأحضر معه عدة عربان وعبد الرحمن أباظه أخو سليمان أباظه شيخ العبايدة وخلافه رهاين وضربوا

* ذكرت قصة غرق هذه السفينة فى كوريبه دى ليجيبت العدد ٢٤ ص ٩٢ كالآتى:
وصل أحد القباطنة إلى مرسى الميناء فى وقت هبت فيه عاصفة هوجاء جعلت سفينته تجنح بحيث لم يتيسر مشاهدة شى منها سوى صواريها وكان قادما من ينبع ، ولما رأى القبطان أن سفينته غارقة لا محالة، شرع يصيح قايلا أن ذلك أمر الله ولم يحاول اتخاذ أى إجراءات لسحب سفينته إلى بر الأمان.
وعندما رأى ذلك المواطن فالنتين قايد حامية السويس أمر بمده بكل المساعدات الممكنة. وقد توصل البحارة الفرنسيون بعد محاولات جبارة إلى رفع السفينة إلى سطح الماء وانقاذ حمولتها .... ولم يشترك صاحبها فى شى من هذه العمليات وعندما احيط علما بالنتيجة ذهل ولم يصدق القول.

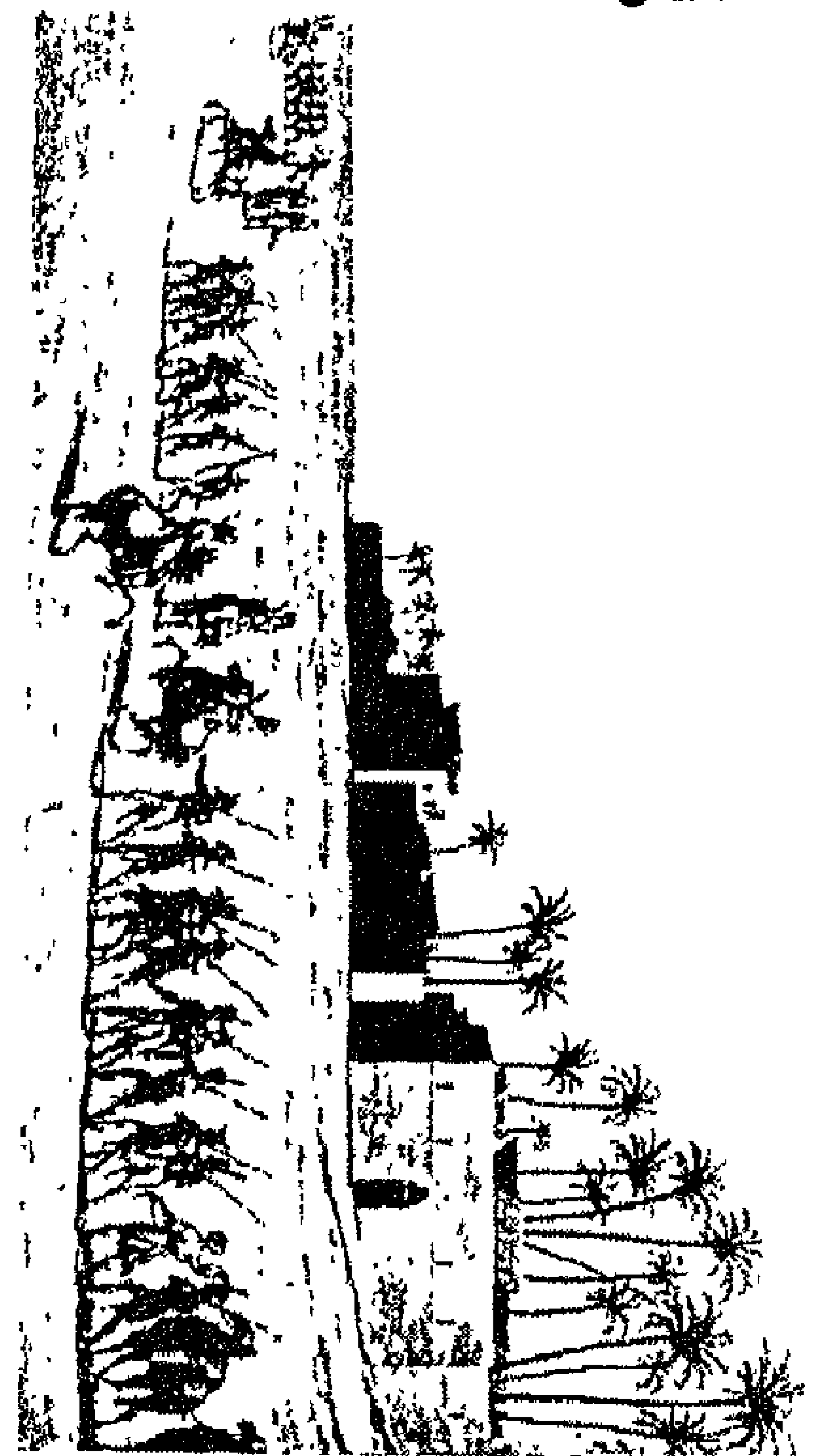
أبو زعبل والمنير وأخذوا مواشيهم وحضروا بهم إلى القاهرة وخلفهم أصحابهم رجالا ونساء وصغاراً.

وفى ذلك اليوم قتلوا شيخ العرب سليمان الشواربى شيخ قليوب ومعه أيضا ثلاثة رجال يقال لهم عرب الشرقية فأنزلوهم من القلعة إلى الرميلة على يد الأغا وقطعوا روسهم وحملوا جثة الشواربى مع رأسه فى تابوت وأخذه أتباعه فى بلدة قليوب ليدفن هناك عند أسلافه وانقضى هذا الشهر وحوادثه الجزئية والكلية.

منها أن فى ليلة السابع والعشرين منه أتت جماعة* [فرنساويه] إلى دار الشيخ محمد بن الجوهرى الكاين بالأزبكية بالقرب من باب الهوا فخلعوا الشباك المطل على البركة، ودخلوا منه وصعدوا إلى أعلى الدار وكان بها ثلاثة من النسا الخدامات وابنة خدامة أيضا وبواب الدار ولم يكن رب الدار بها ولا الحريم بل كانوا قد انتقلوا إلى دار أخرى لما سكن معظم العسكر بالأزبكية فاستيقظ النسا وصرخن فضربوهن وقتلوا منهن امرأة واختفت البنت فى جهة، وعاثوا فى الدار وأخذوا متاعًا ومصاغًا ونزلوا واستيقظ البواب فاختفى خوفا منهم، فلما طلع النهار وشاع الخبر وكان سارى عسكر غايبا فلم يقع كلام فى شأن ذلك، فلما قدم من سفره ركب مشايخ الديوان وأخبروه، فاغتم لذلك وأظهر الغيظ وذم فاعل ذلك لما فيه من العار الذى يلحقه، واهتم فى الفحص عمن فعل ذلك وقتله.

* انظر بقية تفصيل هذه الحادثة فى الصفحةالتالية.

ومنها كثرة تعدى القلقات [الشرطة] وتشديدهم على وقود القناديل بالأزقة وهم من أهل البلد، وإذا مروا بالليل


* عسكر فرنساوية فى الطريق إلى بلبيس

ووجدوا قنديلا أطفاه الهوا أو فرغ زيته سمروا الحانوت أو الدار التى هو عليها ولا يقلعون المسمار حتى يصالحهم صاحبها على ما أحبوه من الدراهم؛ وربما تعمدوا كسر القناديل لأجل ذلك، واتفق أن المطر أطفأ عدة قناديل بسوق أمير الجيوش بسبب كونها فى ظروف من الورق والجريد فابتل الورق وسال الماء فأطفا القناديل فسمروا حوانيت السوق وأصبح أهلها صالحوا عليها، ووقع مثل ذلك فى طرق عديدة، فجمعوا فى ذلك اليوم جملة من الدراهم، وأمثال ذلك، حتى فى الأزقة والعطف الغير النافذة حتى كأن الناس ليس لهم شغل إلا القناديل وتفقد حالها وخصوصاً فى ليل الشتا الطويل.

---

## شهر شعبان المعظم سنة ١٢١٣

استهل بيوم الثلاثا: فيه قتلوا ثلاثة أنفار من الفرنسيس وبندقوا عليهم بالرصاص بالميدان تحت القلعة قيل إنهم من المتسلقين* على الدور، وفيه أخبر السفار بأن مراد بك ومن معه ترفعوا إلى قبلى ووصلوا إلى عقبة الهوا، وكلما قرب منهم عسكر الفرنساوى انتقلوا وقبّلوا ولقد داخلهم من الفرنساوية خوف شديد، ولم يقع بينهم ملاقاة ولا قتال.

وفيه قدمت رِباعة(*) تحمل البن الذى حضر من السويس بالمركب الداو(*) بصحبة جماعة من الفرنساوية لخفارتها من قطاع الطريق.

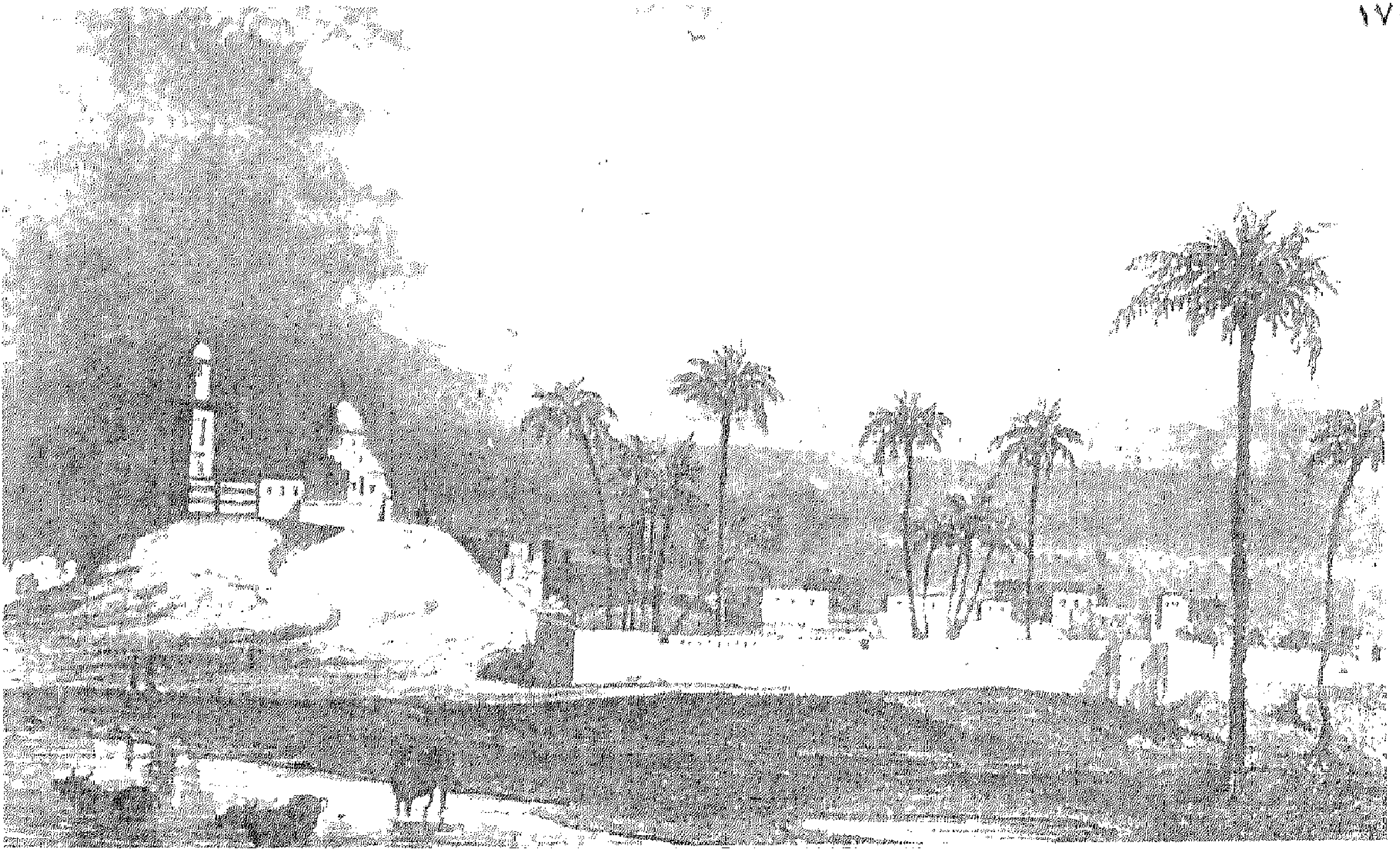
وفى يوم الأحد سادسه نادى القبطان الفرنساوى الساكن بالمشهد الحسينى* على أهل تلك الخطة وما جاورها بفتح

* انظر حادثتهم فى الصفحة السابقة، وتذكر بعض المصادر الفرنسية أن بونابرت اضطرّ إلى إعدام ثلاثة من الجنود دون أن يتأكد من انهم الفاعلين للحادثة حفاظاً على سمعة الجيش الفرنسى.

* رباعة: الرِباع بكسر الراء ما ولد من الإبل فى الربيع والمعنى وصلت إبل تحمل البنّ.

* الداو نوع من السفن. وكانت تسير على الخصوص فى البحر الأحمر، وجمعها داوات.

* مولد الحسين ومنشأه.



* بلبيس فى وقت الحملة الفرنسية

الحوانيت والأسواق لأجل مولد الحسين وشدد فى ذلك وأوعد من أغلق حانوته بتسميره وتغريمه عشرة ريال فرانسه مكافأة [غرامة] له على ذلك، وكان السبب فى ذلك والأصل فيه أن هذا المولد ابتدعه السيد بدوى ابن فتيح مباشر وقف المشهد، فكان قد اعتراه مرض الحب الإفرنجى* فنذر على نفسه هذا المولد إن شفاه الله تعالى، فحصلت له بعض إفاقة، فابتدا به وأوقد فى المسجد والقبة قناديل وبعض شموع ورتب فقها يقرون القرآن بالنهار مدارسة، وآخرين بالمسجد يقرون بالليل دلايل الخيرات للجزولى، ثم زاد الحال وانضم إليهم كثير من أهل البدع كجماعة العفيفى والسمان والعربى والعيسوية، فمنهم من يتحلق ويذكر الجلالة ويحرفها وينشد له المنشدون القصايد والموالات، ومنهم من يقول أبياتا من بردة المديح للبوصيرى ويجاوبهم آخرون مقابلون لهم بصيغة صلاة على النبى.

* [الزهرى أو السيلان] ولقد ظل المصريون حتى وقت قريب يستخدمون هذا الاصطلاح لهذا المرض.



وأما العيسوية* فهم جماعة من المغاربة وما دخل فيهم من أهل الأهوا ينسبون إلى شيخ من أهل المغرب يقال له سيدى محمد بن عيسى، وطريقتهم أنهم يجلسون قبالة بعضهم صفين ويقولون كلاما معوجا بلغتهم بنغم وطريقة مشوا عليها وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها على قدر النغم ضربا شديدا مع ارتفاع أصواتهم وتقف جماعة أخرى قبالة الذين يضربون بالدفوف فيضعون أكتافهم فى أكتاف بعض لا يخرج واحد عن الآخر ويلتوون وينتصبون ويرتفعون وينخفضون ويضربون الأرض بأرجلهم، كل ذلك مع الحركة العنيفة والقوة الزايدة بحيث لا يقوم هذا المقام إلا كل من عرف بالقوة، وهذه الحركات والإيقاعات على نمط الضرب بالدفوف فيقع بالمسجد دوى عظيم وضجات من هولا ومن غيرهم من جماعة الفقرا كل أحد

* اصل الطريقة العيسوية.

له طريقة وكيفية تباين الأخر، هذا مع ما ينضم إلى ذلك من جمع العوام وتحلقهم بالمسجد للحديث والهذيان وكثرة اللغط والحكايات والأضاحيك والتلفت إلى حسان الغلمان الذين يحضرون للتفرج والسعى خلفهم والافتتان بهم، ورمى قشور اللب والمسكرات والمأكولات فى المسجد وطواف الباعة بالمأكولات على الناس فيه وسقاة الما، فيصير المسجد بما اجتمع فيه من هذه القاذورات والعفوش ملتحقا بالأسواق الممتهنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ثم زاد الحال على ذلك بقدوم جماعة الأشاير من الحارات البعيدة والقريبة وبين أيديهم مناور القناديل والجوامع العظيمة التى تحملها الرجال والشموع والطبول والزمور، ويتكلمون بكلام محرف يظنون أنه ذِكْر وتوسلات يثابون عليها وينسبون من يلومهم أو يعترضهم إلى الاعتزال والخروج والزندقة وغالبهم السوقة وأهل الحرف السافلة ومن لا يملك قوت ليلته، فتجد أحدهم يجتهد بقوة معينه ويبيع متاعه أو يستدين الجملة من الدراهم ويصرفها فى وقود القناديل وأجرة الطبالة والزمارة وكل يجتمع عليه ما هو من أمثاله من الحرافيش ثم يقطع ليلته تلك سهرانا ويصبح دايخا كسلانا، ويظن أنه بات يتعبد ويذكر ويتهجد.

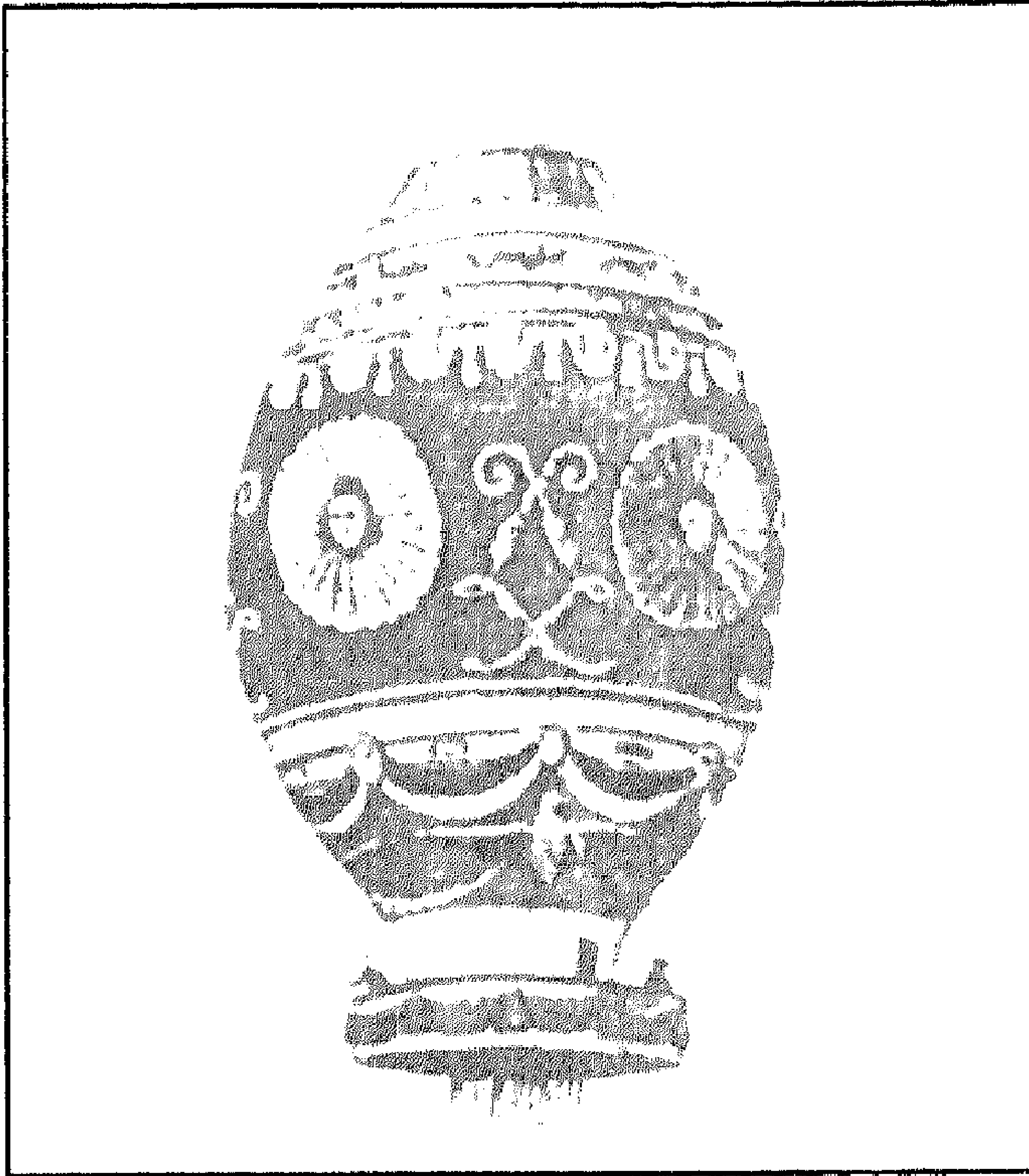
واستمر هذا المولد أكثر من عشر سنين، ولم يزدد الناذر لذلك إلا مرضا ومقتا، واستجلب خدمة الضريح ما لاح لهم من خساف العقول مثل الشمع والدراهم، واتخذوا ذلك حيالة لأكل أموال الناس بالباطل.

الجبرتى/ سنة ١٢١٣م

فلما حصلت هذه الحادثة بمصر ترك هذا المولد فى جملة المتروكات، ثم حصلت الفتنة التى حصلت، وسكن هذا الفرنساوى فى خط المشهد الحسينى لضبط تلك الجهة وفيه مسايرة ومداهنة، فصار يظهر المحبة للمسلمين ويلاطفهم ويدخل بيوت الجيران ويقبل شفاعة المتشفعين ويجل الفقها ويعظمهم ويكرمهم وأبطل وقوف عسكره بالسلاح كعادتهم فى غير هذه الجهة، وكذلك منع ما يفعله القلقات من أنواع التشديد على الناس فى مثل القناديل، فاطمأن به أهل الخطة وتراجعوا للبكور إلى الصلاة فى المساجد بعد تخوفهم من العسكر الذى رتب معهم وتركهم التبكير، فلما أنسوا به وعرفوا أخلاقه رجعوا لعادتهم ومشوا بالليل أيضا بدون فزع وخوف وترجمانه على مثل طريقته، وهو رجل شريف من أهل حلب كان أسيراً بمالطة فاستخلصه الفرنسيس فى جملة من استخلصوه من أسرى مالطة وقدم معهم مصر.

فلما أجلس هذا لضبط الخط كان ترجمانه يهوديا فاحتال بعض أعيان الجهة ورتب* هذا الشريف المذكور ليكون فيه راحة للناس ففتح له قهوة بالخط بالقرب من دار مخدومه وجمع الناس للجلوس فيها والسهر حصة من الليل وأمرهم بعدم غلق الحوانيت مقدارا من الليل كعادتهم القديمة فاستأنسوا، بالاجتماعات والتسلى والخلاعات وعم ذلك جهات تلك الخطة، ووافق ذلك هوى العامة لأن أكثرهم مطبوع على المجون والخلاعة وتلك هى طبيعة الفرنساوية، فصاروا يجتمعون عنده للسمر والحديث واللعب والممازحة ويحضر معهم ذلك الضابط ومعه زوجته وهى من أولاد

* أى رتبوا عزل اليهودى ليكون الشريف بدلاً منه ترجمانا للقبطان الفرنسى.

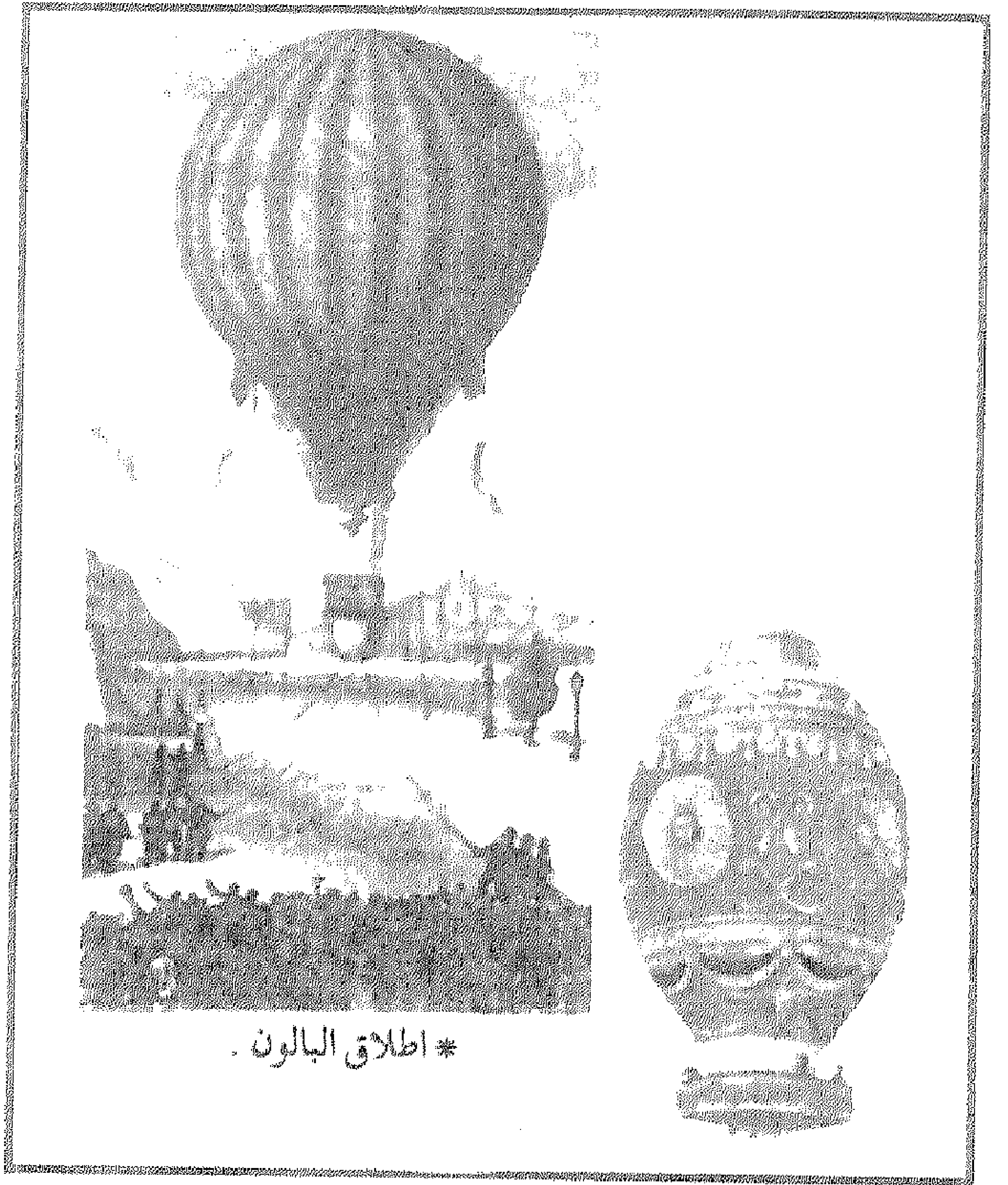


البلد المخلوعين أيضا، فانساق الحديث لذكر هذا المولد الشهرى وما يقع فى لياليه من الجمعيات والمهرجان وحسنوا له إعادته فوافقهم على ذلك وأمر بالمناداة وفتح الحوانيت ووقود القناديل وشدد فى ذلك.

وفى يوم الأربعا كتبوا أوراقا بتطيير طيارة* ببركة الأزبكية مثل التى سبق ذكرها وفسدت، فاجتمعت الناس لذلك وقت الظهر وطيروها وصعدت إلى الأعلى ومرت إلى أن وصلت تلال البرقية وسقطت ولو ساعدها الريح وغابت عن الأعين لتمت الحيلة وقالوا إنها سافرت إلى البلاد البعيدة بزعمهم.

* تجربة فاشلة أخرى للبالون عند بركة الأزبكية.

وفيه سافر الخواجه مجلون إلى الصعيد واليا على جرجا لتحرير البلاد وقبض الأموال والغلال المتأخرة بالنواحى للغز.


* اطلاق البالون .

وفيه سافرت قافلة بها أحمال كثيرة ومواش ونسا إفرنجيات وصناديق قيل إنهم أرسلوها إلى الطور وصحبتهم عدة من العسكر.

وفى يوم الخميس عاشره حضر طايفة من العسكر الفرنساوية إلى وكالة ذى الفقار بالجمالية ففتحوا طبقة كانت لكتخدا على باشا الطرابلسى* وأخذوا ما وجدوه بها من الأمتعة وختموا عدة حواصل وطباق بذلك الخان بالوكالة الجديدة وغيرها للمسافرين والهاربين والقليونجية، وضبطوا ما بها وقبضوا على جماعة من الأتراك والقليونجية التجار وسجنوهم بالقلعة، وصاروا يفتشون على من بقى منهم بالقاهرة وبولاق خصوصاً الكرتليه* الذين كانوا عسكراً لمراد بك.

* على باشا الطرابلسى: هو على باشا برغل الجزايرلى، تمكن فى عام ١٧٩٣ من الاستيلاء على حكم ولاية طرابلسى الغرب من الأسرة القرامانليه- ولكن تمكن القرامانليون بمساعدة باى تونس من طرده من ليبيا فى سنة ١٧٩٥ . فهرب إلى مصر وانظم إلى مماليكها ورجع القرامانليون إلى حكم طرابلس.
* الكرتلية: نسبة إلى جزيرة كريت.

وأخذوا الكثير من نصارى الأروام والقليونجية الذين كانوا مع مراد بك وبعضهم كان بمصر فأدخلوهم فى عسكرهم وزيوهم بزيهم وأعطوهم أسلحة وانتظموا فى سلكهم.

وفيه تواترت الأخبار بأن علي باشا ونصوح باشا فارقا مراد بك وذهبا من خلف الجبل على الهجن إلى جهة الشام وصحبتهم جماعة إبراهيم بك وكان ذهابهم في أواخر رجب.

وفيه نادوا بإبطال القناديل التى توقد فى الليل على البيوت والدكاكين وأن يوقدوا عوضها فى وسط السوق مجامع فى كل مجمع أربعة قناديل بين كل مجمع ثلاثون ذراعا ويقوم بذلك الأغنيا دون الفقرا ولا علاقة للقلقات فى ذلك، ففرح بذلك فقرا الناس وانفرجت عنهم هذه الكربة.

وفيه نادوا أيضاً أن كل من كان له دعوى شرعية أو ظلامة فليذهب إلى العلما والقاضى.

وفيه ذهبت طايفة من العسكر وضربوا عرب الكوامل ورجعوا بمنهوباتهم من الغنم والمعز والدجاج والاوز والحمير وغير ذلك.

وفيه حضر رجل من ناحية غزة [بخطاب] يطلب أمانا للست فاطمة زوجة مراد بك ولابنة المرحوم محمد أفندى البكرى وزوجها الأمير ذى الفقار وخشداشينه *والخطاب للشيخ خليل البكرى، فعرض ذلك على سارى عسكر وترجّى عنده فكتب له أمانا بحضورهم وأرسل لهم نفقة، وكان ذلك حيلة منهم لتأتيهم النفقة وبعض الاحتياجات،

* خشداش: وهى تكتب بصيغ مختلفة مثل خوشداش وخجداش وخوجداش. وهى فى المعجم الفارسى تعنى خواجه تاش ومعناها لغويا هو الشريك فى السيد ونطلق هذه الكلمة بصيغها المختلفة على المملوك ينشأ مع مملوك غيره فى خدمة سيد واحد مشترك فهما مولياه وهما أخوا ولاء له.

وأخبر ذلك الرسول أن عبد الله باشا ابن العظم بغزة وإبراهيم بك ومن معه خارج البلد وهم فى ضيق وحصر وحيز عنهم داخل البلد.

وفيه ذهب عدة من العسكر الفرنساوية إلى قطيا وشرعوا فى بنا أبنية هناك، وأشيع سفر سارى عسكر إلى جهة الشام والإغارة عليها.



* قصر السودان بغزه وقت الحملة الفرنسية.

(وفى ليلة الأحد ثالث عشر) كان انتقال الشمس لبرج الدلو وهو أول شهر من شهورهم وعملوا تلك الليلة حراقة بارود وسواريخ كما هى عاداتهم عند كل انتقال الشمس من برج إلى برج.

وفى يوم الاثنين رابع عشره. نادى المحتسب على اللحم الضانى بسبعة أنصاف الرطل وكان بثمانية واللحم الجاموسى بخمسة وكان بستة.

وفيه ذهبت طايفة من العسكر وضربوا عرب العيايدة نواحى الخانكة وقتلوا منهم طايفة ونهبوهم ووجدوا من منهوبات الناس وأمتعة عسكر الفرنساوية وأسلحتهم جملة، فأخذوا ذلك مع ما أخذوه وأحضروا معهم بعض رجال ونسا حبسوهم بالقلعة.

وفيه ذهب عدة من العسكر إلى صنافير(*) وأجهور الورد وقرنفيل وكفر منصور(*) وبلاد أخرى للتفتيش على العرب، فأخذوا ما وجدوه للعرب من بهايم وغيرها، والذى عصى عليهم ضربوه ونهبوه أيضًا ونهبوا جمالا وبهايم ممن لم يعص أيضًا، ودخلوا بذلك المدينة فصاروا يبيعون البقرة بريالين وثلاثة، والنعجة وابنها بريال، فاشترى غالب ذلك نصارى القبط.

* صنافير وقرنفيل قريتان من قرى مركز قليوب. وأجهور الورد هى أجهور الكبرى من قليوب أيضا.
* كفر منصور: قرية من مركز بنها. ووجدتها أيضًا فى مركز طوخ قرية أخرى.

وفى يوم السبت قتلوا بالقلعة نحو التسعين نفراً وغالبهم من المماليك الذين وجدوهم هاربين فى البلاد والذين عَسّ عليهم الخبيث الأغا وبرطلمين والقلقات ووجدوهم مختفين فى البيوت.

وفيه قبضوا على خمسة أنفار من اليهود وامرأتين فألقوا الجميع فى بحر النيل، وفيه نادوا بأن كل من اشترى شيًا من منهوبات العرب التى نهبتها العسكر يحضره لبيت سارى عسكر.

وفيه كثر الاهتمام والحركة بسفر الفرنسيس إلى جهة الشام وطلبوا وهيئوا جملة من الهجن وأحضروا جمال عرب الترابين ليحملوا عليها الذخيرة والدقيق والعليق والبقسماط، ثم رسموا على الأهالى عدة كبيرة من الحمير وكذلك عدة من البغال فطلب شيخ الحمارة* وأمر بجمع ذلك، وكذلك الركبدارية، أمرهم بجمع البغال فاختفى غالب أصحاب الحمير وخاف الناس على حميرهم فامتنع خروج السقايين* الذين ينقلون الما بالقرب على الحمير وسقايين الجمال والبراسمية، فحصل للناس ضيق بسبب ذلك.

وفى يوم الاثنين حادى عشرينه كتبوا أوراقا وألصقوها بالأسواق على العادة ونصها:

الحمد لله وحده هذا خطاب إلى جميع أهل مصر من خاص وعام من محفل الديوان الخصوصى من عقلا الأنام علما الإسلام والوجاقات والتجار الفخام، نعلمكم معاشر أهل

* ضرائب على شيخ الحمارة.

* السقايين فى القاهرة*
على مدار القرون العشرة التى انقضت منذ إنشاء القاهرة، وحياة المدينة رهن بالنيل، إذ كانت تعتمد عليه كلية سواء فى الحصول على احتياجاتها المادية (كالمياه النقية والمواد الغذائية)، أو فى مزاولة نشاطها الاقتصادى. وقد ظلت القاهرة تقاسي ـ وأحيانا بشدة ـ حتى القرن التاسع عشر، من نتائج التناقض القائم بين ضرورة تكدس سكانها حول النيل، وبين الحاجة للأمن التى تؤدى بالضرورة إلى البحث عن مكان فى منأى عن المخاطر الناجمة عن الفيضانات، أو عن حوادث خروج النهر عن مجراه مع ضرورة توفير احتياجاتها سكانها.
وتاريخ المدينة فى العصور الوسطى شاهد على هذا الصراع الملموس بين الرغبة فى الاقتراب من النهر، وبين الانجذاب نحو الهضبة. ولم يتيسر للمدينة أن تخرج من هذه المعضلة. إلا فى القرن التاسع عشر. بعد أن أمكن تنظيم الفيضانات واصلاح الطرق البرية.
ولم يكن يتهيأ لسكان القاهرة من مصدر للمياه سوى النيل، وفى المنطقة المحصورة بين شاطىء النيل وجبل المقطم. حيث استقرت المدينة وأخذت تنمو وتتطور مع بداية القرن العاشر، كان بإمكان الناس أن يحصلوا على المياه الجوفية، لكن هذه المياه كانت تعتمد اساسا على النيل، كما يبين ذلك تذبذب مستوى منسوبها تبعا لمستوى منسوب النيل، بالإضافة إلى أن هذه المياه كانت قليلة الأهمية من الناحية الغذائية بسبب مذاقها المالح،

* فصول عن التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية اندريه ريمون. ترجمة: زهير الشايب روزاليوسف ١٩٧٤ / القاهرة

فلم تكن تناسب إلا الغسيل ورش الحدايق، وسقاية الماشية.
ولذلك، فان الآبار المنتشرة في مختلفة احياء القاهرة وفي القلعة (خصوصا بئر يوسف الشهيرة) وفي المناطق القريبة من المدينة، لم تكن بقادرة إلا على تقديم كمية محدودة من المياه تتضح قيمتها الحقيقية وقت الأزمات، عندما لا يمكن الوصول للنهر لسبب أو لآخر. وإصرار الشيخ حسن الحجازي على أن يعيد ويكرور أنه اضطر لشرب المياه المالحة في عام ١٧١١ ـ تلك السنة المشئومة التي احتدم فيها الصراع بين طائفتي عزبان والانكشارية ـ هذا الإصرار يبين بوضوح انه كان لابد من البحث عن مخرج.

احاطوا بنا وقد منعونا
استقاء من نيلنا أو نصوب
فعطشنا، وماء ملح شربنا
ورمونا بكل ما كان يرعب

وكذلك:

فأحرقونا وأحصرونا
واعطشونا بالمنع قسر
عن نيلنا ثم قد شربنا
ملحا فزاد الكبود حرا

ولهذا كله، فليس من الغريب أن يكون للنيل ولمياهه في نظر سكان القاهرة صفة شبه دينية، فثمة أعياد موروثة من عصور قديمة، تبين الرابطة الوثيقة بين حياة سكان القاهرة وبين نيلها. والترحيب والسرور بقدوم الفيضان لاحد لهما، لأنه إمارة ازدهار، وعلى العكس من ذلك فانخفاضه لن يجلب للمدينة ولمصر كلها سوى نذر الجفاف ومصايب المجاعات، فمياه النيل إذن تمثل الحياة نفسها. وكان المؤرخ المصري ابن أبي السرور البكري ـ ككثير ممن سبقوه يعتبر أن النيل هو اعجوبة مصر الأساسية، كما كان



مصر أن حضرة ساري عسكر الكبير بونابرته أمير الجيوش الفرنساوية صفح الصفح الكلي عن كامل الناس والرعية بسبب ما حصل من أراذل أهل البلد والجعيدية من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساوية وعفا عفوا شاملا وأعاد الديوان الخصوصي في بيت قايد أغا بالأزبكية ورتبه من أربعة عشر شخصا أصحاب معرفة وإتقان خرجوا بالقرعة من ستين رجلا كان انتخبهم بموجب فرمان. وذلك لأجل قضايا حوايج الرعايا وحصول الراحة لأهل مصر من خاص وعام وتنظيمها على أكمل نظام وأحكام كل ذلك من كمال عقله وحسن تدبيره ومزيد حبه بمصر وشفقته على سكانها من صغير القوم قبل كبيره، رتبهم بالمنزل المذكور كل يوم لأجل خلاص المظلوم من الظالم، وقد اقتص من عسكره الذين أساءوا بمنزل الشيخ محمد الجوهري وقتل

يؤكد أن مياه النيل ـ لأنها فريدة فى نوعها ـ تمنح القوة لشاربيها.
ومما لا جدال فيه، فان لمياه النيل، التى تحدث عنها كل المسافرين الأوروبيين تقريبا، ميزات غذائية اكدتها الدراسات العلمية. ولا يعنى لونها أى ضرر، وإذا كانت مياه الفيضان فى الصيف تحوى الكثير من البكتريا، فالخطورة ليست فى طميه. وقد ابدى سكان القاهرة على الدوام الكثير من ضروب الحذق فى تنقية هذه المياه، باللجوء إلى طرق متفاوته الفاعلية، وكان التقويم القبطى يوصى بغلى المياه ابتداء من ١٥ يونيه أما المؤلفون العرب، والرحالة الأوروبيون فقد حبذوا استخدام المصافى، كما اوصوا بعدد لا بأس به من المواد التى تجعل المياه صالحة، بالإضافة إلى انها تحسن من مذاقها عند خلطها بها، كالطباشير والخل وكذلك النوى الذى يقال أن من خاصيته أن ينقى المياه العكرة.
ولم يكن بإمكان مؤسس الفسطاط فى القرن السابع، ولا بامكان مؤسس القاهرة فى القرن العاشر أن يتجاهلا الفوايد التى ستعود عليهما من الاقتراب من النيل ولذا فقد بنيت المدينتان على الشاطئ نفسه. ومنذ ذلك الحين، كان على حكام القاهرة وسكانها دوما أن يجابهوا مشكلة جفاف شاطئ النهر الايمن ونقص المياه عنده نتيجة للتراجع المستمر للنهر نحو الغرب فى العصور الوسطى. وعندما انشأ جوهر القاهرة فى عام ٩٦٩، كان حدها الغربى مكان الخليج المصرى، من باب الشعرية إلى باب الفرج وكان النيل فى هذه الفترة يجرى غير بعيد من اسوارها، وكان مجراه يشغل على وجه التقريب مناطق بركة الأزبكية، وبركة الغرايين وقناطر السباع. وفى خلال القرون التى تلت ذلك ظلت حركة النهر ـ



* اجتماع الديوان

منهم اثنين بقراميدان وأنزل طايفة منهم عن مقامهم العالى إلى أدنى مقام [انظر الحادثة ص ١٦٨، ١٦٩] ، لأن الخيانة ليست من عادة الفرنسيس خصوصاً مع النسا الأرامل، فإن ذلك قبيح عندهم لا يفعله إلا كل خسيس.

ووضع القبض بالقلعة على رجل نصرانى مكاس، لأنه بلغه أنه زاد المظالم فى الجمرك بمصر القديمة على الناس، ففعل ذلك بحسن تدبيره ليمتنع غيره من الظلم ومراده رفع الظلم عن كاهل الخلق ويفتح الخليج الموصل من بحر النيل إلى بحر السويس لتخف أجرة الحمل من مصر إلى قطر الحجاز الأفخم، وتحفظ البضايع من اللصوص وقطاع الطريق ونكثر عليهم أسباب التجارة من الهند واليمن وكل فج عميق، فاشتغلوا بأمر دينكم وأسباب دنياكم، واتركوا



الفتنة والشرور ولا تطيعوا شيطانكم وهواكم، وعليكم بالرضا بقضا الله وحسن الاستقامة لأجل خلاصكم من أسباب العطب والوقوع فى الندامة.

رزقنا الله وإياكم التوفيق والتسليم، ومن كانت له حاجة فليأت إلى الديوان بقلب سليم إلا من كان له دعوى شرعية فليتوجه إلى قاضى العسكر المتولى بمصر المحمية بخط السكرية، والسلام على أفضل الرسل على الدوام.

وفيه أرسلوا للوالي لينبه على السقايين بنقل الماء وعدم التعرض لهم ولحميرهم.

وفى ليلة الأربعا ثالث عشرينه خرجت عدة كبيرة من العسكر وطلب كبير الفرنساوية بونابارته أن يأخذ معه

التي بدأت منذ وفود العرب واستقرارهم ـ مستمرة متميزة بظاهرتين اساسيتين. فمن جهة، شوهد تكوين عدة جزر نتيجة لترسب الطمى وتكدسه. وهذه الجزر لم تكن فى البداية إلا كتلا بسيطة من الرمال لا تظهر إلا وقت انخفاض منسوب المياه، ثم أخذت تتقوى وتثبت حتى اصبحت جزرا حقيقية متفاوتة الثبات (ففى خلال القرن الثامن عشر وكذلك التاسع عشر لوحظ ظهور بعض الجزر، ثم لوحظ انتقالها ثم اختفاؤها تماما). ومن جهة أخرى، فبينما كان الشاطىء الأيسر للنيل يتعرض للتآكل. فان الشاطى الايمن كان يمتد شيئا فشيئا بسبب تكدس كتل الطمى التى كان النيل يرسبها كل عام. وفى بادىء الأمر، كانت هذه الأراضى الجديدة تبقى غير متماسكة لمدة قصيرة من العام، ثم لا تلبث أن تتماسك حتى يصبح فى الإمكان أستغلالها فى اغراض الزراعة والبناء، وقد كان لهذا التكدس المستمر للطمى على الشاطىء الايمن، والضعف المتواصل لفرع النيل الأيسر، بين مصر القديمة والروضة ـ اشد النتائج خطورة بالنسبة للقاهرة.

وإذا اتخذنا من الغزو العربى نقطة بداية، فاننا نلحظ أن ترسب الرمال كان ـ حتى منتصف القرن العاشر ـ بطيئا لحد ما، فيما عدا منطقة الفسطاط، التى كان فرعها فى هذه الفترة قد سد بفعل الرمال، وسرعان ما أصبح ميناء الفسطاط نفسه غير ذى نفع. ومع استمرار المشكلة، انتهى الأمر بفرع الروضة أن اقترب من حالة الجفاف التام فى القرن الثامن عشر. وفى اقصى القاهرة كان تراجع النيل نحو الغرب شديد الوضوح ففى هذه المنطقة كان ترسب الطمى نشيطا بدرجة غير عادية، فى القرون الثانى

عشر والثالث عشر والرابع عشر، واصبحت المقس ، وهى التى كانت لا تزال واقعة على شاطئ النيل فترة حكم الايوبيين ـ ممتلئة تماما بالرمال ولم تعد تلعب دورها كميناء. وعند الموقع الحالى لبولاق، تكونت جزيرة وسط النيل وفى عام ١٤٠٠ كانت هذه الجزيرة متصلة بالشاطئ الايمن. وما لبث شاطئ النيل بعد عدة قرون أن انتقل لمسافة تقرب من كيلو مترين نحوالغرب.

وفى بعض الأحيان، كان هذا الترسب التدريجى المتواصل للطمى يحدث بسرعة ملحوظة كافية لازعاج السلطات الحاكمة، التى كان يقلقها امر امداد المدينة بالمياه الصالحة، والذى كان تقهقر النيل يجعل منه مهمة تتزايدصعوبتها.

وفى عام ٩٤٧ ـ ٩٤٨ هجر المجرى شاطئ مصر القديمة، ووجب على الناس والماشية أن يذهبوا للتزود بالمياه من المجرى الواقع بين الجيزة والروضة ولم تؤد الأعمال التى نفذت فى ذلك الحين لنتائج يمكن لها أن تستمر، ففى عامى ١١٩٩ و١٢٠٣ وجد سكان القاهر أنفسهم من جديد مضطرين للجوء إلى فرع الجيزة، وفى عام ١٢٣٠ ـ ١٢٣١ شعر الملك الكامل بالقلق عندما لاحظ أن المياه لم تعد تصل تقريبا من جهة الروضة ـ مصر القديمة حتى فى وقت الفيضان، لذلك فقد امر بإعادة حفر الفرع. وقد ساهم الناس جميعا فى هذا العمل المتصل بصالح الجميع، وتم هذا العمل بعد ثلاثة أشهر. لكن ابتداء من عهد خليفة الملك الصالح ١٢٣٨ ـ ١٢٤٩ استوجب الامر أن تستمر هذه الأعمال لإعادة المجرى إلى الشاطئ الشرقى. وفى بداية القرن الرابع عشر كانت فتحة الخليج الناصرى، الذى كان يتفرع من النيل على بعد ٥٠٠



الجبرتى/ سنة ١٢١٣م

متر شمال الفتحة ومنذ فترة المقريزى حتى فترة الجبرتى لم يكن الوضع يكاد يتغير: فالشاطىء الشرقى للنيل ابتعد بما يزيد عن كيلو مترين غربى الخليج، وبكيلو متر واحد من حدود المدينة فى القرن الثامن عشر (باب الحديد. باب اللوق. باب الناصرية).

ولم يعد الخليج المصرى الذى كان يخترق وسط المدينة، بقادر على أن يلعب دوره فى تزويد المدينة بالمياه إلا لفترة محددة جدا فى السنة، هى الثلاثة اشهر التى تلى الفيضان بعد قطع السد الطينى الذى كان يغلق فتحته تجاه الروضة. كما أن هذه المياه (المنزوحة من «مستنقعات نتنة» كانت شديدة (السوء) حسبما يقول Thevenot الذى كان يقيم فى القاهرة حوالى عام ١٦٦٠ ومنذ شهر اكتوبر كان الخليج يكف عن التدفق، وتنخفض المياه فيه. فيؤمر بالنداء فى الشوارع بأن على «السقايين» أن يكفوا عن أخذ المياه منه بسبب القاذورات التى تكدست فيه. بل لقد كانت تأتى سنوات. يكون الفيضان فيها ضعيفا جدا لدرجة يكون معها الخليج شبه جاف فى منتصف الصيف، وإن كان ذلك لم يكن ليمنع السقايين من أن يأخذوا منه مياها آسنة ملوثة لم يكن القاهريون يجدون بدا من الرضى بها.

ولقد كان من الممكن علاج الأمر ببناء مشروعات هندسية يمكنها أن تجلب مياه النيل إلى وسط المدينة. لكن غالبية الأعمال التى نفذت من هذا النوع، كان القصد منها خدمة الحكام والملوك فى الاعتبار الأول، وكانت فائدتها لا تعود على الشعب إلا بطريقة غير مباشرة. مثال ذلك مشروع المجرى الكبير (مجرى العيون) الذى بنى على وجه التقريب منذ العهد الطولونى لجلب مياه النيل إلى



* بائع العناب. كان غالباً من السقايين قبل أن يتحول إلى بائع للعناب.

القلعة، ابتداء من مصر القديمة بالقرب من فم الخليج حتى باب القرافة، ومثل هذه المنشئات التى أقيمت لصالح أصحاب السلطة السياسية المقيمين بالقلعة، عانت من اهمال الحكام اثناء الحكم العثمانى وخاصة فى أواخر القرن الثامن عشر. وكان على محمد على أن يعمل منذ بداية عهده على ترميم مجرى القلعة ـ الذى ظل مهملا منذ عدد من السنين ـ لكى يجلب بهذه الطريقة مياها رخيصة السعر، كان سكان الحى يفتقدونها منذ فترة طويلة.

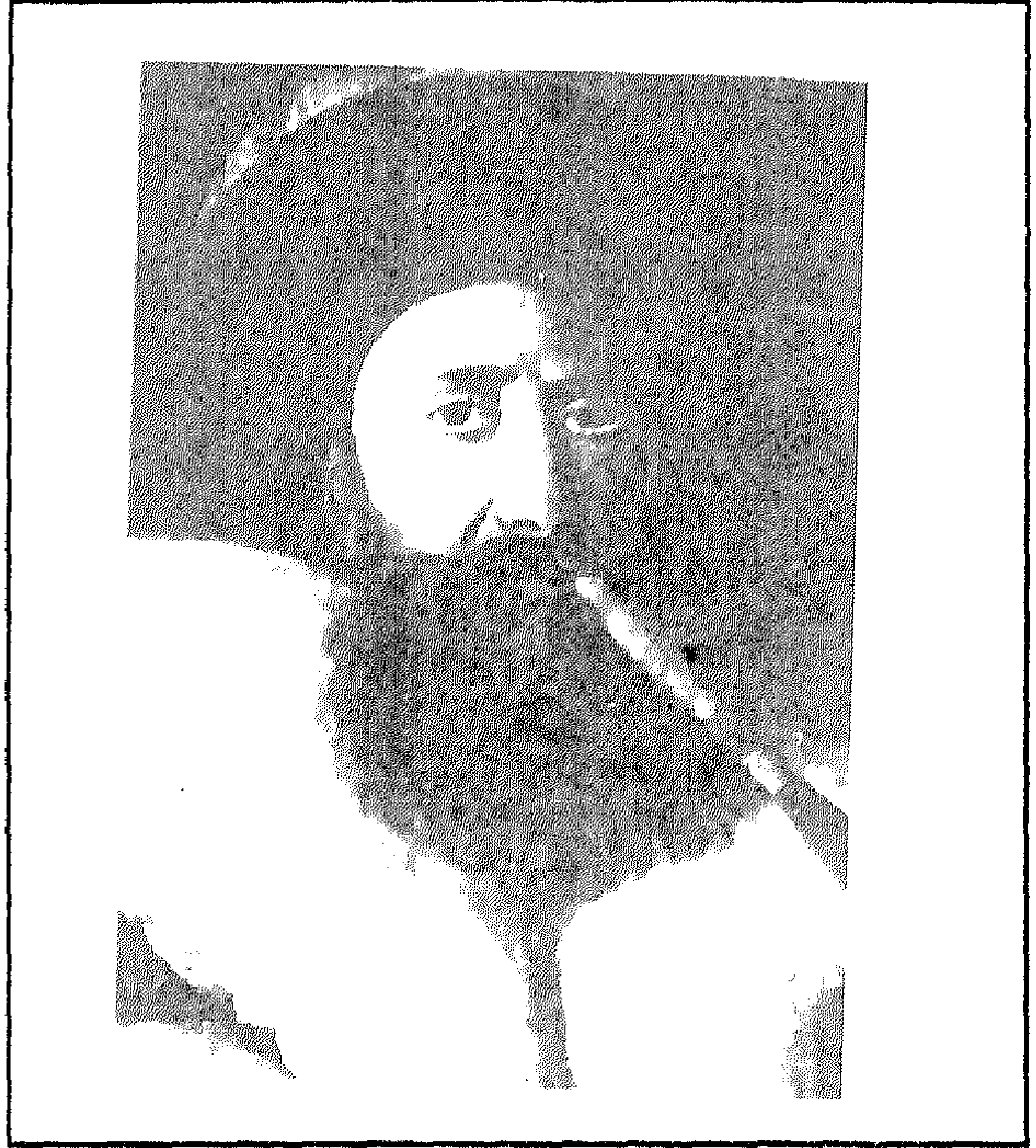
إذن، فقد كان الأمر يستوجب على هذه الكتلة من السكان التى يتراوح عددها بين مائتى ألف وثلاثمائة ألف أن تذهب إلى النيل نفسه لتتزود بالمياه، اللهم إلا إذا كان ثمة تنظيم قوى يستطيع أن يهيىء لها حاجتها من هذه المياه.

* * *

كانت احتياجات القاهرة للمياه كثيرة متعددة. فأولا: هناك الحاجة للمياه النقية اللازمة لاستهلاك سكان المدن سواء داخل بيوتهم أو فى الشوارع. وقد أشار المقريزى وغيره كثير من الرحالة الأوروبيين ـ إلى أن شوارع القاهرة كانت ترش يوميا بالمياه حرصا على نظافتها، وخصوصا لانعاش جو الاسواق وتفادى الاتربة والغبار. وقد كان هناك ـ قبل فترة المقريزى على الاقل ـ أمر من الحكام يلزم أصحاب الحوانيت فى الشارع التجارى الرئيسى فى القاهرة بأن يكون لديهم وتحت تصرفهم دائما جرة مملوءة بالمياه، يلجأ إليها كنجدة أولية ضد أى حريق يمكن أن يشب. وهناك أخيرا الحمامات العامة الكثيرة فى القاهرة (حوالى المائة عام ١٨٠٠) والتى تستهلك مقادير كبيرة من المياه بالتأكيد. ولابد أن حركة الذهاب والمجىء التى لا تهدأ لجالبى



* بائع العرقسوس. كان فى الأصل من السقايين ثم تحول إلى بائع للعرقسوس. كان نداءه التقليدى «شفا وخمير يا عرقسوس».



* الشيخ خليل البكرى.

أمير الحاج ويأخذ أيضاً قاضى العسكر بجمقشى زاده وأربعة أنفار من المتعممين وهم الفيومى والصاوى والعريشى والدواخلى وجماعة أيضاً من التجار والوجاقلية ونصارى القبط والشوام.

وفى سادس عشرينه نادوا الناس بالأمان وفتح الأسواق ليلا فى رمضان حكم المعتاد.

وفيه انتقل قايممقام من بيته المطل على بركة الفيل وهو بيت إبراهيم بك الوالي وسكن بيت أيوب بك الكبير المطل على بركة الفيل وانتقلوا جميعهم إلى بركة الأزبكية.

وفيه أعرض حسن أغا محرم المحتسب لسارى عسكر أمر ركوبه المعتاد لإثبات هلال رمضان فرسم له بذلك على



المياه من النيل (السقايين). لابد أن هذه الحركة كانت تثير دهشة الرحالة الأوربيين وتؤدى بهم لتقديرات غير دقيقة، بل ومبالغ فيها دائما - عن عدد هؤلاء السقايين. كما أن الأرقام التى أوردها ابن بطوطة (١٢ ألفا يستخدمون الجمال و ٣٠ ألفا يستخدمون البغال) - هذه الأرقام هى الأخرى محل مناقشة. وربما كان الأقرب إلى الصواب أن نكتفى بما ذكره de Regny عام ١٨٧٠، إذ قدر عدد السقايين بـ ٣,٨٧٦.

وفى مقابل ذلك، فان الذى لا جدال فيه - والذى يهمنا أكثر بطبيعة الحال - هو أن مهنة السقاء - منذ فترة قديمة جدا - كانت منظمة حسب قواعد دقيقة، كما تشهد بذلك الدفاتر السنوية التى حررتها «الحسبة» (مراقبة الأسواق). ودفاتر الحسبة المحررة فيما بين القرن الثانى عشر والرابع عشر تعطى فكرة عن العناية الفائقة التى كان على المحتسب ومساعديه أن يولوا بها تلك المهنة والتى تتأثر بها الصحة العامة تأثرا مباشرا. فقد كان ينبغى على السقايين أن ينزلوا النهر بعيدا عن الشاطىء وعن الأماكن الملوثة لمجاورتها المراحيض أو الحمامات ومساقى الحيوانات. كما كان ممنوعا عليهم - مع التهديد بالعقوبات الصارمة - أن يخلطوا مياه الآبار بمياه النيل. وكذلك كان عليهم أن يجعلوا قربهم وجرارهم فى حالة نظافة تامة، وأن يتجنبوا استخدام القرب الجديدة لنقل مياه الشرب لانها تجعل طعمها غير مستساغ. وكان من واجب المحتسب أن يلاحظ الأسواق، ولكى لا يضايقوا حركة المرور، فقد كان يطلب إليهم مثلا أن يعلقوا أجراسا صغيرة فى رقاب حيواناتهم لينبهوا الناس باقترابهم، كما كان ينبغى عليهم أن يغطوا قربهم بسعف النخيل حرصا

على ملابس المارة من الطين. بل لقد شمل التنظيم أمر ملابسهم، فقد تحتم أن تكون سراويل قصيرة، زرقاء اللون، مفصلة بطريقة لا تخدش الحياء.
وربما كانت الكثرة العددية لطائفة السقايين هى التى أدت سريعا إلى انقسام فى هذه الهيئة المهنية يتجاوب مع التخصص الفنى للسقائين.
فابن الاخوة (فى بداية القرن الرابع عشر) قد ميز بين السقايين الذين يبيعون المياه فى قرب من الجلد (أصحاب الروايا والقرب) الذين سبق أن ذكرهم الشيرزاى فى القرن الثانى عشر، وبين أولئك الذين يبيعون مياه الشرب فى أكواب (سقايين الكيزان) ومهما يكن الامر، فان هذا التميز داخل طائفة السقايين، قد تحقق واقعيا فى القرن الثامن عشر. وفى قائمة الطوائف التى نشرها ايفليا افندى فى اسطنبول عام ١٦٣٨ ذكر الباحث فيما يختص بالسقايين طائفتين متميزين، «سقايين المدن اصحاب الخيول» (رقم ٨٠) ـ ويصل عددهم إلى ١,٤٠٠ وكانوا ينتسبون إلى سلمان الكوفى. والسقايين المتجولين (رقم ٨١) وهم الذين يحملون قربهم على ظهورهم ويبلغ عددهم ٨٠٠٠ وكان الشيخ الذين ينتسبون إليه هو (أبو الكوثر) وقد أقر كتاب الفتوة هذا التقسيم فيما يختص بمصر فى نهاية القرن السابع عشر. وأشار إلى طائفة السقايين (رقم٤) الذين كانوا ينتسبون ـ كما فى قايمة إيفليا افندى ـ إلى سليمان الكوفى، كطائفة منفصلة عن سقايين القرب (السقايين حاملين القرب) والذين كانوا ينتسبون إلى محمد بن عبد الله وهى تذكر تحت رقم ٤٦ فى مخطوط ١٣٧٥ وتحت رقم ٥٨ فى مخطوط ١٣٧٧.
وشهادة الرحالة الإنجليزى موريسون تلقى بصيصا من الضوء على حقيقة



* الشيخ سليمان الفيومى.

العادة القديمة، فاحتفل لذلك المحتسب احتفالا زايدا وعمل وليمة عظيمة فى بيته أربعة أيام أولها السبت وآخرها الثلاثا، دعا فى أول يوم العلما والفقها والمشايخ والوجاقلية وغيرهم، وفى ثانى يوم التجار والأعيان، وكذلك ثالث يوم، ورابع يوم دعا أيضًا أكابر الفرنساوية وأصاغرهم، وركب يوم الثلاثا بالأبهة الكاملة زيادة عن العادة وأمامه مشايخ الحرف بطبولهم، وزمورهم، وشق القاهرة على الرسم المعتاد ومر على قايممقام وأمير الحاج وسارى عسكر بونابارته، ثم رجع بعد الغروب إلى بيت القاضى بين القصرين فأثبتوا هلال رمضان ليلة الأربعا، ثم ركب من هناك بالموكب وأمامه المشاعل الكثيرة والطبول والزمور والنقاقير والمناداة بالصوم وخلفه عدة خيالة عارية روسهم



وشعورهم مرخية على أقفيتهم بشكل بشيع مهول، وانقضى شهر شعبان وحوادثه.

فمنها أن أهل مصر جروا على عادتهم في بدعهم التي كانوا عليها وانكمشوا عن بعضها واحتشموها خوفا من الفرنسيس، فلما تدرجوا فيها وأطلق لهم الفرنساوية القيد ورخصوا لهم وسايروهم رجعوا إليها وانهمكوا في عمل مواليد الآضرحة التي يرون فرضيتها وأنها قربة تنجيهم بزعمهم من المهالك وتقربهم إلى الله زلفى في المسالك، فرمحوا في غفلاتهم مع ما هم فيه من الأسر وكساد غالب البضايع وغلوها وانقطاع الأخبار ومنع الجالب ووقوف الإنكليز في البحر وشدة حجزهم على الصادر والوارد، حتى غلت أسعار جميع الأصناف المجلوبة من البحر الرومي.



نشاط نظام الطوائف عند السقايين في القرن السابع عشر. وقد ذكر موريسون ـ وهو الذي عاش في القاهرة في عام ١٦٩٧ ـ ١٦٩٨ أن ثمة اختبارا مبدئيا كان يعقد عند التقدم للقبول في هذه الطائفة المهنية. فلكي يقبل المتقدم، عليه أن يستطيع حمل قربة أو كيس مليء بالرمل، يزن ٦٧ رطلا، لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليالي، دون أن يسمح له بالاستناد أو الاتكاء أو الاستراحة أو النوم طيلة هذا الوقت وتفاصيل هذا الاختبار قد تكون محل مناقشة، ولكن مما جدال فيه أن تقاليد مهنية معينة كانت قد تأصلت عند السقايين حتى أن مارتن Germain Martin تمكن من أن يجد آثارا لها في بداية القرن العشرين.

وفي عصر الجبرتي والحملة الفرنسية ـ أي في الفترة التي انهارت فيها السيطرة العثمانية على مصر كان النظام الطائفي للسقايين في القاهرة قد بلغ غاية تطوره، والاتجاه إلى تفتيت وتقسيم هذه الطوائف المتخصصة، والذي لوحظ هنا، والذي ظهر أيضا في طوائف مهنية أخرى، قد يدل على محاولات لقبول نوع من التميز في العمل أشد وضوحا، يبدو كقاعدة في القاهرة في القرنين السابع عشر والثامن عشر. وقائمة الطوائف المهنية التي نشرها علماء الجيش الفرنسي في القاهرة عام ١٨٠١ ذكرت ما لا يقل عن ثماني طوائف للسقايين. وهذه الزيادة في عدد الطوائف ترتبط من جهة بالحاجة إلى التنظيم الفني للعمل، ومن جهة أخرى بشوطن السقايين في إحياء القاهرة. ومثل هذا التعدد ـ في الحقيقة ـ لا مفر منه، في حالة طائفة مهنية كبيرة العدد لهذه الدرجة وتغطى منطقة جغرافية شديدة الاتساع.

كانت هناك خمس طوائف تقتسم

السقايين الذين يعبون مياههم من النيل، لينقلوه أما على ظهور الجمال (طائفة في باب اللوق) وأما على ظهور الحمير (أربع طوائف في إحياء باب البحر، باب اللوق: حارة السقايين، قناطر السباع)، وتوطن هذه الطوائف في القسم الغربي من المدينة يرتبط بوضوح بالحرص على الاقتراب ـ ما أمكن ـ من مصدر المياه، الذى أدت حوادث تغيير النهر لمجراه ـ التى تكررت منذ انشاء القاهرة ـ إلى أبعاده عن المدينة بطريقة مزعجة. وعند باب اللوق كانت طائفة السقايين أصحاب الجمال، تعمل بالضبط وسط المدينة عند بداية شارع تحت الربع الكبير. أما الأربع طوائف الأخرى للسقايين أصحاب الحمير، فان توزعها من الشمال إلى الجنوب قد سمح لكل منها أن تغطى قطاعا من قطاعات القاهرة.

وهكذا كان تجوال السقايين لمدة عدة قرون في منطقة الحدائق الواقعة بين القاهرة والنيل حتى الشاطىء الذى يأخذون منه مياههم. وبين بولاق ومصر القديمة. كانوا يتجولون ساحبين حيواناتهم المحملة بقرب تفوق طاقتها: قرب واسعة من جلد الجاموس (روية) على ظهور الجمال، أو قرب من جلد الماعز فوق ظهور الحمير. لم يتغير في نشاطهم شيء منذ فترة المقريزى حين وصف السهل الخالى على اليمين عند الخروج من باب زويلة مع الخليج والطريق المؤدى إلى مورد السقايين لم يتغير شيء من هذه الفترة حتى نهاية القرن الثامن عشر ويحدد Niebuhr في هذه المنطقة نفس الطريق الذى كان يسلكه القاهريون عند ذهابهم لجلب المياه من النيل على ظهور جمالهم.

وقد تأثرت طبوغرافية القاهرة ـ في هذا الحي بالتحديد تأثرا شديدا بسبب



وانقطع أثر كثير من أرباب الصنايع التى كسدت لعدم طلابها واحتاجوا إلى التكسب بالحرف الدنية كبيع الفطير وقلى السمك وطبخ الأطعمة والمأكولات والأكل فى الدكاكين وإحداث عدة قهاوى وأما أرباب الحرف الدنية الكاسدة فأكثرهم عمل حماراً مكاريا حتى صارت الأزقة خصوصا جهات العسكر مزدحمة بالحمير التى تكرى للتردد فى شوارع مصر فإن للفرنسيس بذلك عناية عظيمة ومغالاة فى الأجرة بحيث إن الكثير منهم يظل طول النهار فوق ظهر الحمار بدون حاجة سوى أن يجرى به مسرعا فى الشارع وكذلك تجتمع الجماعة منهم ويركبون الحمير ويجهدونها فى المشى والإسراع وهم يغنون ويضحكون ويصيحون ويتمسخرون ويشاركهم المكارية فى ذلك، كما

الجبرتى/ سنة ١٢١٣م



* فرقة موسيقية متجولة من الرجال.

أن لهم العناية وبذل الأموال والتردد إلى حانات الراح والتغالى فى شرا الفواكه والبواطى والأقداح: كما قال فى ذلك صاحبنا الشيخ حسن العطار.

إن الفرنسيس قد ضاعت دراهمهم
فى مصرنا بين خمّار وخمّار
وعن قريب لهم فى الشام مهلكة
يضيع لهم فيها آجال أعمار

ومن طبعهم فى الشرب أنهم يتعاطون لحد النشوة وترويح النفس فإن زادوا عن ذلك الحد لا يخرجون من منازلهم ومن سكر وخرج إلى السوق ووقع منه أمر مخل عاقبوه وعزروه.

ظهور طائفة السقايين فحسبما جاء فى كتاب «وصف مصر» سمى المكان الذى كانوا يسكنونه (كفر الشيخ ريحان) باسم حارة السقايين ـ هذا الاسم الذى بقى حتى نهاية القرن التاسع عشر. أما عن البركة المجاورة فلا يمكن الجزم بصفة قاطعة باسمها. فنحن نتردد طويلا بين تسميتها بركة الناصرية أو بركة السقايين كما تشير إليها خريطة «وصف مصر» وكان الخليج المصرى يغنى عن النيل خلال العدة أشهر التى تلى الفيضان، حيث انه أقرب إلى المدينة مما يمكن السقايين القيام بجولات أكثر مما لو كان يتجه إلى النيل نفسه فى نفس المدة. وممارسة عملية نقل المياه من الخليج تعود لزمن قديم، وسبق أن لاحظنا انها استمرت، حتى عندما أدى انسداد فتحة الخليج إلى تقصير المدة التى تستغل فيها الترعة قصرا ملحوظا وبرغم كل الأوامر الرسمية، فان السقايين لم يكونوا ليترددوا فى العب منه حتى عندما تصبح مياهه ابعد ما تكون عن الاتفاق مع كل الشروط الصحية.

وبعد حصول السقايين على تموينهم من المياه، كانوا يتوجهون إلى عملائهم مع قربهم، التى أصبحت فى القرن التاسع عشر ـ بفعل التقدم ـ مجرد براميل يجرها حصان أو حمار. وعندما كان السقا يصل إلى مقصده، كان يصب المياه فى خزان أو زير عميله. ولكى يحصل السقا ثمن خدماته كان يلجأ إلى عدة وسائل تختلف فى دقتها. فقد كان يكتفى احيانا بأن يسجل على باب (المشترك) خطوطا بعدد القرب التى احضرها له. وأحيانا اخرى كان يستخدم عقودا من الخرز الأزرق، يسحب منها خرزة عن كل قربة يحضرها له. وعندما تنتهى كل خرزات العقد كان السقا يسوى حسابه مع عميله.

الجبرتى/ سنة ١٢١٣م

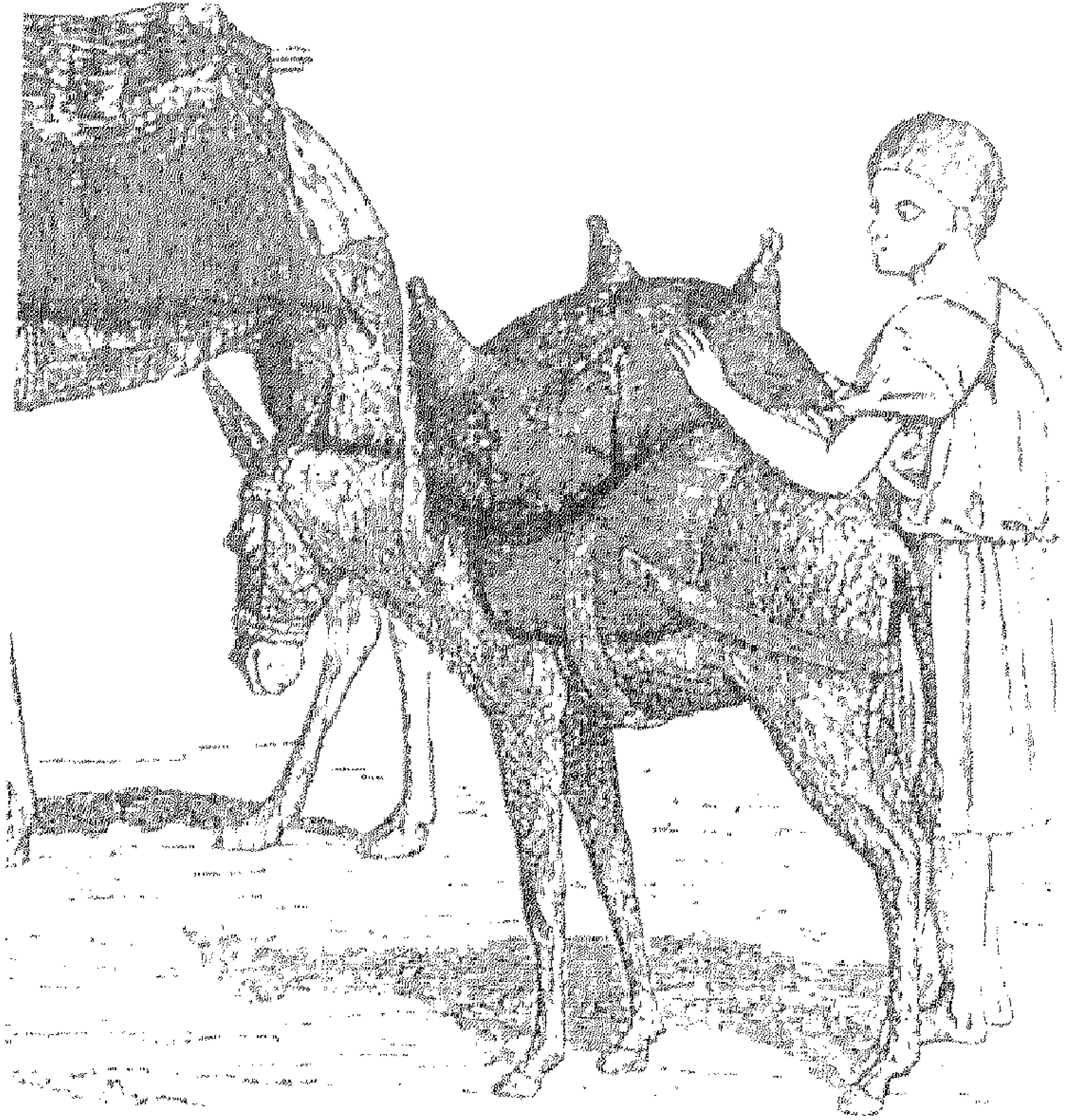
ولم تكن كل كميات المياه المأخوذة من النيل تباع مباشرة إلى سكان القاهرة. فجزء كبير منها كان يوضع في خزانات (سبل) المدينة، حيث يستطيع الفقراء الذين لا يمكنهم شراء المياه من السقايين أن يحصلوا منها على حاجتهم بأنفسهم، وقائمة الجيش الفرنسي تذكر طائفة «لسقايين» الحي المسمى بباب زويلة، ونحن نجهل ما أن كان ثمة طوائف أخرى من هذا النوع في احياء القاهرة الأخرى، أو ما إن كانت هذه الطائفة ـ التي كانت متوطنة في وسط المدينة ـ تضم كل «سقايين» خزانات القاهرة (سبلها).

وفي عام ١٨٠٦ كان يوجد بالقاهرة وحدها حوالي ٣٠٠ (سبيل)، كان معظمها عبارة عن منشئات خيرية اسسها بعض الامرا والأغنياء لمنفعة السكان. كانت هذه الاسبلة ـ» وهي في الغالب مبان ذات زخرفات جميلة ـ تضم عادة ثلاثة طوابق في الطابق الأعلى منها يوجد «كتاب» ـ وهو مدرسة ابتدائية يتعلم فيها الصبيان القراءة والكتابة. أما في الطابق السفلي (تحت الأرض) فكان ثمة حوض يفرغ فيه جماعة السقايين قربهم التي يحضرونها على ظهور الجمال. وكانت المصاريف تدفع من دخل الوقف الذى اوقفه مؤسس السبيل عليه. وفي مستوى الشارع، اعدت أحواض خارج السبيل تقصدها السيدات ليأخذن ما يلزمهن من المياه مجانا، كما كان هناك أيضا خراطيم ليشرب منها العطشى من المارة. بل لقد كان بعض السقايين أنفسهم، يترددون على هذه «الاسبلة» ليتزودوا بالمياه التي سيبيعونها للمارة «بالقطاعي» وهذا العدد الكبير من السبل الموزعة على احياء القاهرة كان يكفى حتى نهاية القرن التاسع عشر لضمان وجود المياه الصالحة في متناول الأهالي،



* المعلم جرجس الجوهرى. من اعيان القاهرة.

ومنها ترفع أسافل النصارى من القبط والشوام والأروام واليهود وركوبهم الخيول وتقلدهم بالسيوف بسبب خدمتهم للفرنسيس ومشيهم الخيلا وتجاهرهم بفاحش القول واستذلالهم المسلمين، كل ذلك بما كسبت أيديهم وما ربك بظلام للعبيد، والحال الحال والمركوز في الطبع ما زال، والبعض استهوته الشياطين ومرق والعياذ بالله من الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



اللهم إلا إذا حالت الأحداث الخارجية دون تموين هذه السبل. وكان يلحق بهذه الاسبلة احواض جميلة المنظر، خصصت لسقاية الماشية.

أما باعة المياه في الشوارع «بالقطاعي»، فقد كانوا يكونون عام ١٨٠١ الطائفة السابعة من السقايين وقد انتشرت هذه الطائفة في القاهرة ومصر القديمة وبولاق. وهؤلاء الباعة هم بالتأكيد، الذين اثاروا انتباه الرحالة الأوروبيين. فمن ليون الافريقي Leon l'Africain حتى لين Lane يكاد لا يوجد رحالة واحد لم يتحدث عن «السقا شربة» الحامل تحت ابطة قربة من الجلد، ذات خرطوم طويل من النحاس، أو برميلا صغيرا، والذى يعلن عن نفسه بنداء «يعوض الله» . وقد نقل إلينا إيفليا افندى الصيغ الكلامية التى كان من عادة هؤلاء السقايين أن يشكروا بها عملاءهم، جالبين البركة المقدسة على رؤوسهم. وهذه الصيغ هي بعض آيات من القرآن الكريم: ﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾ ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ ﴿من الماء كل شي حي﴾. وكان دخل هؤلاء الباعة متواضعا جدا، لا يكاد يفي بضرورات حياتهم.

والطائفة الثانية التى تشير إليها قائمة ١٨٠١، أولئك الذين ينقلون المياه غير النقية ولعل مقر هذه الطائفة كان حى قاسم بك. ومن الأرجح أن هؤلاء السقايين كانوا يتزودون بمياه الآبار الملحة المذاق والتى لا تصلح للطعام وإن كانت تصلح لبعض الأغراض المنزلية الأخرى، كما كانت الحال في بئر زويلة الذى استغله بعض السقايين زمن المقريزى، بعد أن كان استغلاله في زمن الفاطميين وقفا على حيوانات اصطبلات وحظائر الخلفاء وقد أدت عملية نقل المياه إلى نشأة وتطور حرف صناعة الآنية والقرب الجلدية والجرار الفخارية التى كانت تستعملها طائفة السقايين. وتوضح قائمة ١٨٠١ أن ثلاث طوائف كانت تقوم بصيانة وبيع وإصلاح القرب. وحسبما ذكر de Regny فقد كان يوجد في القاهرة في عام (١٨٧١) ٨٣٤ صانع فخار، و ١٨٣ تاجر قرب جلدية. ومراكز توطن هذه المهنة له صلة واضحة بمراكز نشاط السقايين. فقد كان الموطن الرئيسى لصناعة القرب الجلدية يوجد جنوبى باب زويلة في العصور الوسطى إحدى مناطق دخول السقايين إلى المدينة، وكان من المنطقى أن تنشأ مثل هذه الحرفة هناك. وقد سمى الحى كله باسم القربية. وكانت المنطقة الرئيسية لبيع القرب تقع بالقرب من حى السقايين نفسه، في سوق القرب. الذى كان يفتح كل أيام الجمع حتى الظهر. وقد ظهرت مصانع لعمل آنية الفخار في الأزبكية غير بعيد عن باب البحر وباب اللوق. على أن جزءا هاما من الآنية الفخارية كان يأتى من خارج القاهرة. وأخيرا، فقد كانت وكالة القرب تقع قريبا من باب النصر.

ولا يمكن أن نختم دراستنا عن نشاط ووظيفة السقايين دون أن نذكر الدور الهام الذى عهد إليهم القيام به من أجل امن المدينة.. ففى فترة غاب فيها أى تنظيم متخصص لمقاومة الحرايق، كانت طائفة السقايين في الواقع وطوال القرون الوسطى هم الذين يقومون بدور فرقة من جنود المطافى، متعاونين في ذلك مع طوائف مهنية اخرى. وقد أشار المقريزى إلى أن الوالى كان يقوم بجولات ليلية منتظمة في القاهرة «مع فرقة من جنود الشرطة

الجبرتى/ سنة ١٢١٣م

والسقايين والنجارين والقصارين «الهداديين» أولئك الذين كانت مهمتهم مكافحة الحرائق العارضة لكن هذا التنظيم الدورى لم يكن كافيا للوقاية من خطر الحرائق فاستدعاء الوالى للسقايين والنجارين وعمال الانقاض والقصارين الذين يعملون على عزل المنزل المحترق كان فى العادة إجراء كافيا لمنع امتداد الحرائق إلا فى الحالات الشاذة، كما حدث فى حريق القلعة عام ١٨٢٠، حين كان تدخل السقايين غير مجد بسبب نقص المياه فى القاهرة. ويبدو أن الأمور لم تتغير إلا فى عام ١٨٣٨ بعد حادث الحريق الذى أتى على جزء من الحى الافرنجى. وفى اثناء هذا الحريق. استدعى الوالى معظم السقايين كما جرت العادة، وعرض عليهم ثمنا مغريا عن كل قربة تنقل إلى مكان الكارثة لكن الترعة والآبار لسوء الحظ كانت شبه جافة. وبعد عدة أيام اهتدى المسئولون اخيرا إلى اللجوء لمضخات الحريق الأربع التى كانت موجودة فى بولاق، والتى تم نقلها على ظهر جمل.



كانت جماعة السقايين فى القاهرة عنصرا اساسيا من عناصر المظهر الاجتماعى. وبحكم ذهابهم من منزل لآخر ـ كما تقتضى وظيفتهم ـ هيىء لهم أن ينفذوا إلى «أعماق» البيوت حيث السيدات. وربما يكونون ـ لذلك ـ قد لعبوا دورا هاما فى نقل الأخبار ونشرها، أو ساهموا بطريقة مباشرة فى الحياة اليومية لأهالى القاهرة. وفى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، قرر الرحالة الأوربيون، الشغوفون بالوقوف على هذا النوع من التفاصيل، أن السقايين كانوا يستخدمون كوسطاء فى المغامرات العاطفية التى افترض وجودها فى معاقل الحريم. وربما يكونون قد لعبوا دور «رسل الغرام» متنافسين فى ذلك مع الحمارين، الذين كانوا ـ هم أيضا ـ على صلة بالعنصر النسائى والذين كانت شهرتهم السيئة فى هذا الأمر حقيقة مسجلة. ويذكر المؤلفون الجادون لكتاب وصف مصر أن الأمر كان ينتهى بالسقايين بأن يكونوا ذوى حظ طيب مع السيدات.

أما إذا نظرنا إلى هذه المهنة من الناحية الاقتصادية فاننا نجدها أقل بريقا من غيرها. وكان ثمن المياه يختلف تبعا لوفرتها أو ندرتها. وقد قرر لين E.Lane حوالى عام ١٨٣٠ أن السقا لم يكن يتقاضى مقابل قربة مياه محمولة من بعد يقرب من ثلاثة كيلو مترات أكثر من ١٠ ـ ٢٠ فضة فالمهنة ـ كما هو واضح ـ غير مجزية وخاصة فيما يتعلق ببائعى المياه بالقطاعى ـ وهى بلا شك أكثرها مشقة. ومع ذلك فعلى تواضع دخل السقايين هذا، فانهم لم يستثنوا من الدفع للباشا فى العصر العثمانى، ولا من دفع العوايد الشخصية (الفردة) فى القرن التاسع عشر. ولذا فثمة ما يؤكد أن الوضع الاجتماعى للسقايين لم يكن يحظى بالاحترام فحمار الحكايات ـ الذى كان يعرف ما ينتظره فى نهاية حياته ـ كان يشكو قائلا: عندما لا أعود أستطيع الجرى، فسوف يغطون ظهرى بسرج خشبى ويسلموننى إلى سقا، يجعلنى أحمل المياه فى القرب أو فى الجرار، ويا لها من نهاية حقيرة! كما أن الشاعر الذى كان يشكو ميل الزمن الذى لا علاج له، والذى كان يحزنه تراكم سحب الجهل، كان ينهى نشيده بقوله:

من آجرى يومى مثل ليلى فى الاسى
فدهرى وطرفى أسود ومسهد

وليس أخو مجد طريف وتالد

كمن في ذراعيه سقاء ومزود

ومع ذلك، فربما كان ينعكس على السقا شيء من الصفة الدينية التي يتخذها ـ عادة ـ جلب المياه في البلاد الإسلامية .. فقد كان يلعب دورا هاما في كل المنشآت المخصصة لغاية دينية ومن بين الخدمات التي أخذتها الحكومة على عاتقها كانت عملية جذب المياه في جنازة الموتى. وقد بلغ ما كان يدفع للسقايين الذين عهد إليهم القيام بهذه المهمة ٧,٨٠٠ بارة كل عام. ولم يكن من العجيب أن نرى السقايين في فترة الحج يتصدرون موكب المحمل حيث يؤمنون للعطشى من جمهوره مياه الشرب العذبة على حساب المنشئات الخيرية. وقد سبق أن لاحظنا أن لنداءات السقايين على مياههم في الشوارع طابعا دينيا يؤكد الصبغة الدينية لهذه المهنة. وكان الحمليون (المفرد حملي) الذين يحدثنا عنهم (لين) يجمعون بين هذه المهنة وبين النشاط الديني، بشكل يبدو فيه الاثنان شيئا واحدا. فقد كان «دراويش» طريقتي الرفاعية أو البيومية ينقلون الجرار الفخارية ويقدمونها للمارة أيام الأعياد الدينية وموالد الأولياء، مقابل مبلغ زهيد. ولهذا السبب وحده، كانوا يستثنون من العوايد الشخصية (الفردة). وكان من المعتاد أن يدفع زوار أضرحة الأولياء لهولاء الحمالين (التسبيل) لكي يوزعوا المياه مجانا على العطشى. كما كان يصرح للحمالين أن يأخذوا مياههم من الأماكن العامة. وقد أوضح لين أن كثيرا من الدراويش الذين انقطعوا تماما للدين (كانوا يسمون: الفقرا) كانوا يتخذون من مهنة السقاية وسيلة لكسب قوتهم. ولابد أن الورع الديني كان شديدا عند السقايين خاصة. ومن الطريف أن نذكر أن السقايين كانوا ينتسبون لاثنين من الأولياء هما سلمان الكوفي ومحمد بن عبد الله. ومن بين الرؤساء السبعة لطوائف السقايين الذين وصلتنا اسماؤهم، نجد خمسة يحملون نقب (حاج) وهي نسبة كبيرة بدرجة غير عادية. وقد برز من بين السقايين عدة شخصيات دينية لفتت الأنظار. ويذكر السخاوي أن على بن محمد، وهو سقاء وابن سقاء قد توصل لمصافحة الرسول في المنام، وأنه قد عاش ومات تفوح منه ريحة ذكية ـ ومع ذلك فلم يكن كل السقايين من المسلمين، فحسب قائمة ١٨٠١ كان يدير إحدى الطوائف الثماني قبطي.

ومن جهة أخرى، فان الاهمية الحقيقية لدور السقايين لم تكن تظهر جلية لسكان القاهرة إلا اثناء الأزمات. ففي فترات الاضطرابات السياسية، كان الأمر يستوجب ـ حتى تحيق الهزيمة بالعدو المتمركز في القاهرة ـ منع تزويد المدينة بالماء النقي. بقطع السهل الممتد بين المدينة والنيل، وإيقاف نشاط السقايين. وهذا ما حدث عام ١٧١١. أثناء المعارك التي دارت بين طائفتي عزبان والانكشارية عندما ظهرت «استراتيجية حقيقية» للمياه، فقد كان الفريقان يتصارعان لامتلاك منطقة القصر العيني والروضة. ولكي يضطر الباشا طائفة عزبان إلى التسليم، عهد إلى أيوب بك ومحمد بك بمهمة الاستيلاء على جمال وحمير السقايين، وإيقاف وصول المياه إلى المدينة. وعندئذ ارتفع ثمن قربة المياه إلى خمسة فضة، وأعاد خصومهم النظر في خطتهم. ثم أرسلوا فصيلة من جهة القصر العيني ليستردوا الدواب، ثم عسكروا في المنطقة التي كانت طائفة السقايين يقصدونها ليأخذوا المياه وهنا جمع محمد بك بعض الهوارة ـ وهم أفراد قبيلة عربية من صعيد مصر كانت متحالفة مع الانكشارية ـ وهاجم العزبان على غرة، واضطرهم للهرب. وكثيرا ما قاسى سكان القاهرة من انقطاع المياه بسبب هذه المشاحنات. وقد سبق أن لاحظنا أن الشيخ حسن الحجازي قد قال في ذكرى هذه السنة المرة أشعارا عدة.

وكان الامر دائما يحدث على هذا النحو في كل مرة يتعرض فيها الامن للاضطراب، وهذا ما لم يتكرر حدوثه إلا في نهاية القرن الثامن عشر. وفي اثناء هذه الفترات التي أخذت فيها السيطرة العثمانية تتعرض للاهتزاز، كان على السقايين أن يقاسوا الكثير من عمليات السلب والنهب التي امتدت حتى الضواحي القريبة من مشارف القاهرة. وفي حوادث النزاع والصراع التي بدأت تدور بين الامراء والجنود والباشوات، كانت طائفة السقايين بجمالهم وحميرهم فريسة سهلة للمتحاربين. وقد لجأ الفرنسيون ـ كذلك ـ أثناء حملتهم على سوريا إلى إجراء مماثل، إذ جندوا في خدمتهم دواب السقايين، وهنا كف معظم السقايين الذين تعلموا بما فيه الكفاية من التجارب السابقة، عن الخروج والذهاب إلى النيل مسببين بذلك متاعب جمة لشعب القاهرة. وفي عام ١٨٠٦ لجأ محمد على إلى اجراء شبيه بما فعله بونابرت. ولذلك، فعندما بدأ الجنود في العام التالي يستولون على الجمال والحمير والبغال بحجة وضع القاهرة في حالة دفاع، لجأت طائفة السقايين ـ الذين أصبحوا ـ أكثر حذرا ـ إلى سلاح الإضراب، حتى أصبحت المياه في القاهرة نادرة باهظة الثمن.

* حركة الشيخ الكيلانى والقضاء عليها.
* معارك الوجه القبلى.



* لم يعلن الشريف غالب شريف مكة الجهاد ضد الفرنسيين لكنه فى نفس الوقت لم يستطع منع العشاير الأخرى من الدعوة إلى الجهاد ضد الفرنسيين. ووجدت دعوة الكيلانى صدى واسعًا بين سكان الحجاز ويذكر هنرى لورنس أن عدد المتطوعين الذين تدفقوا على موانى البحرالأحمر- أكثر من خمسة آلاف رجل وهو رقم ضخم قياسا إلى سكان الإقليم.

* كرنتيله: هى من الكلمة الإيطالية Quarantina بمعنى أربعين، وكان الوارد من خارج البلاد من المسافرين الذين يشتبه فى مرضهم يحجزون فى الحجر الصحى أربعين يومًا حتى تثبت سلامتهم من الأمراض الوبائية

ومنها تواتر الأخبار من ابتدا شهر رجب بأن رجلا مغربيا يقال له الشيخ الكيلانى كان مجاورًا بمكة والمدينة والطايف فلما وردت أخبار الفرنسيس إلى الحجاز وأنهم ملكوا الديار المصرية انزعج أهل الحجاز لذلك وضجوا بالحرم وجردوا الكعبة، وإن هذا الشيخ صار يعظ الناس ويدعوهم إلى الجهاد ويحرضهم على نصرة الحق والدين، وقرا بالحرم كتابا مولفا فى معنى ذلك فاتعظ جملة من الناس وبذلوا أموالهم وأنفسهم واجتمع نحو الستماية من المجاهدين وركبوا البحر إلى القصير مع ما انضم إليهم من أهل ينبع وخلافه.

فورد الخبر فى أواخره أنه انضم إليهم جملة من أهل الصعيد وبعض أتراك ومغاربة ممن كان خرج معهم مع غز مصر عند وقعة إنبابة، وركب الغز معهم أيضًا وحاربوا الفرنسيس فلم تثبت الغز كعادتهم وانهزموا وتبعهم هوارة الصعيد المتجمعة من القرى وثبت الحجازيون ثم انكفوا لقلتهم وذلك بناحية جرجا وهرب الغز والمماليك إلى ناحية إسنا وصحبتهم حسن بك الجداوى وعثمان بك حسن تابعه.

ووقع بين أهل الحجاز والفرنسيس بعض حروب غير هذه المرة بعدة مواضع وينفصل الفريقان بدون طايل*.

ومنها أن الفرنسيس عملوا كرنتيله * بجزية بولاق وبنوا هناك بنا فيحجزون بها القادمين من السُّفّر أياما معدودة كل جهة من الجهات القبلية والبحرية بحسبها، والله أعلم.

## ثم استهل شهر رمضان المعظم بيوم الأربعا سنة ١٢١٣

وفيه أخذ بونابارته في الاهتمام بالسفر إلى جهة الشام وجهزوا طلباً كثيراً وصاروا فى كل يوم يخرج منهم طايفة بعد طايفة*.

وفى يوم السبت عمل سارى عسكر ديواناً وأحضر المشايخ والوجاقات وتكلم معهم فى أمر خروجه للسفر وأنهم قتلوا المماليك الفارين بالصعيد وأجلوا باقيهم إلى أقصى الصعيد وأنهم متوجهون إلى الفرقة الأخرى بناحية غزة فيقطعونهم ويمهدون البلاد الشامية لأجل سلوك الطريق ومشى القوافل والتجارات براً وبحراً، لعمار القطر وصلاح الأحوال وأننا نغيب عنكم شهراً ثم نعود وعند عودنا نرتب النظام فى البلد والشرايع وغير ذلك، فعليكم ضبط البلد والرعية فى مدة غيابنا ونبهوا مشايخ الأخطاط والحارات كل كبير يضبط طايفته خوفا من الفتن مع العسكر المقيمين بمصر، فالتزموا له بذلك وكتبوا له أوراقا مطبوعة* على العادة فى معنى ذلك وألصقوها بالطرق، وفى ذلك اليوم خرج القاضى ومصطفى كتخدا الباشا والمشايخ المعينون للسفر إلى جهة العادلية وخرج أيضاً عدة كبيرة من عسكرهم ومعهم أحمال كثيرة حتى الأسرّة والفرش والحصر وعدة مواهى ومحفات للنسا والجوارى البيض والسود والحبوش اللاتى أخذوها من بيوت الأمرا وتزيا أكثرهن بزى نساهم الإفرنجيات وغير ذلك.

وفى يوم الأحد خامسه ركب سارى عسكر الفرنسيس وخرج أيضاً إلى العادلية وذلك فى الساعة الرابعة بطالع

حملة الشام: علم بونابرت وهو فى رحلته بالسويس أن عساكر أحمد باشا الجزار قد احتلت قلعة العريش فى ٢ يناير ١٧٩٩ فكان هذا الاحتلال نذيرا بزحف الجيش العثمانى على مصر. ومنذ أن علم بونابرت بالتحالف الإنجليزى العثمانى عزم على أن يسبق خصومه إلى العمل ويهاجمهم قبل أن يهاجموه، ورأى أنه إذا تأخر فى انفاذ الحملة وانتظر اجتياز الجنود العثمانية برزخ السويس تحرج مركزه فى وادى النيل فغرض بونابرت من الحملة على الشام كان إذن تثبيت قدم الاحتلال الفرنسى فى مصر وإبعاد خطر الحملة العثمانية عليها. كذلك كان يهدف إلى منع الأسطول الإنجليزى فى البحر المتوسط من أن يتزود من الثغور الشامية.

نص البيان الذى اصدره الديوان فى شأن سفر حملة الشام:

من محفل ديوان مصر الخصوصى، إلى جميع الأقاليم المصرية: نخبركم أن أمس، تاريخه خامس شهر رمضان المعظم، توجه حضرة الدستور المكرم سر عسكر الكبير بونابرته، أمير الجيوش الفرنساوية، مسافراً يغيب مقدار ثلثين يوماً، لأجل محاربة ابراهيم بيك الكبير وبقية المماليك المصرية، حتى يحصل الراحة الكلية للأقاليم المصرية من هؤلاء الاعدا[ء] الظالمين، الذين

الحمل وفيه القمر فى تربيع زحل وأبقى بمصر عدة من العسكر بالقلعة والأبراج التى بنوها على التلول وقايممقام بوسليك وسارى عسكر ويزة بجملة من العسكر فى الصعيد وكذلك سوارى عسكر الأقاليم كل واحد معه عسكر فى جهة من الجهات وأخذ معه المدبرين وأصحاب المشورة والمترجمين وأرباب الصنايع منهم كالحدادين والنجارين ومهندسى الحروب وكبيرهم أبو خشبة [ كفرلى] وأبقى أيضاً بعض أكابرهم ثم تراسل المتخلفون فى الخروج كل يوم يخرج منهم جماعة.

وفى يوم الثلاثا سابعه انتدب للنميمة ثلاث من النصارى الشوام وعرفوهم أن المسلمين قاصدون الوثوب على الفرنسيس فى يوم الخميس تاسعه، فأرسل قايممقام خلف المهدى والأغا فأحضرهما وذكر لهما ذلك، فقالا له هذا كذب لا أصل له، وإنما هذه نميمة من النصارى كراهة منهم فى المسلمين، ففحص عمن اختلق ذلك فوجدوهم ثلاثة من النصارى الشوام فقبضوا عليهم وسجنوهم بالقلعة حتى مضى يوم الخميس فلم يظهر صحة ما نقلوه فأبقاهم فى الاعتقال.

ثم إن نصارى الشوام رجعوا إلى عادتهم القديمة فى لبس العمايم السود والزرق وتركوا لبس العمايم البيض والشيلان الكشميرى الملونة والمشجرات وذلك بمنع الفرنسيس لهم من ذلك، نبهوا أيضاً بالمناداة فى أول رمضان بأن نصارى البلد يمشون على عادتهم مع المسلمين أولا ولا يتجاهرون بالأكل والشرب فى الأسواق ولا يشربون الدخان ولا شيئا بمرأى منهم، كل ذلك للاستجلاب لخواطر الرعية حتى إن

لا راحة فيهم ولا رحمة فى دولتهم على احد من رعيتهم، وقد وصل الآن مقدمة الجيوش الفرنساوية الى العريش، وعن قريب ياتيكم خبر قطيعة ابراهيم بيك ومن معه من المماليك، نظير ما وقع قطيعة اخيه مراد بيك ومن معه فى اقليم الصعيد، فيقطع دابرهم من بر الشام كما انقطع دابرهم من اقليم الصعيد بالتمام، ويبطل القيل والقال، وتذعب الكاذبة [الكذبة] التى تسمعونها من اوباش الرجال.

ونخبركم ان حضرة السر عسكر المشار اليه يتجدد له كل يوم نية الخير والرحمة، ويحدث فى تصميم الشفقة والرأفة، هذه هى نيته لكم فى كل الأقطار المصرية، ويحصل لكم النجاح والصلاح، ويكمل فى ساير أقطارها السرور والصلاح، الذى مكنه فيها، ونصره على من ظلم فيها من المماليك المفسدين، ولا يتم خلاصهم بالكلية وتتطهر من دولة المماليك الردية، إلا ببذل همته ورأيه السديد فى تكميل نظامها بغنايمهم لسيوفه الباترة، وتكمل زروعها الفاخرة وأنواع تجارتها الباهرة، ويحدث فيها برأيه وحسن تدبيره التحف من أنواع الحرف والصنايع النفيسة، ويجدد فيها ما اندثر من صنايع الحكماء الأولين، ويرتاح فى دولته كل الفقراء والمساكين، فالتزموا يا أهل الارياف والفلاحين بحسن المعاملة والأدب، واجتنبوا فى غيبته انواع الكذب والقبايح، حتى يراكم، حين يقرب بعد هذا الشهر، قد احسنتم المعاملة

بعض الرعية من الفقها مر على بعض النصارى وهو يشرب الدخان فانتهره فرد عليه رداً شنيعاً، فنزل ذلك المتعمم وضرب النصراني واجتمع عليه الناس وحضر حاكم الخطة فرفعهما إلى قايممقام فسأل من النصارى الحاضرين عن عادتهم في ذلك فأخبروه أن من عادتهم القديمة أنه إذا استهل شهر رمضان لا يأكلون ولا يشربون فى الأسواق ولا بمرأى من المسلمين أبداً فضرب النصرانى وترك المتعمم لسبيله.

وفى تاسع عشرينه أحضروا مراد أغا تابع سليمان بك الأغا ومعه آخر من الأجناد من ناحية قبلى فأصعدوهما للقلعة قبل قتلهما.

وفى خامس عشرينه ورد الخبر بأن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش* وطاف رجل من أتباع الشرطة ينادى فى الأسواق إن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش وأسروا عدة من المماليك وفى غد يعملون شنكا ويضربون مدافع فإذا سمعتم ذلك فلا تفزعوا، فلما أصبح يوم الأحد حضر المماليك المذكورة وهم ثمانية عشر مملوكا وأربعة من الكشاف وهم راكبون الحمير ومتقلدون بأسلحتهم ومعهم نحو المائة من عسكر الفرنسيس وأمامهم طبلهم وخرج بعض الناس فشاهدوهم، ولما وصلوا إلى خارج القاهرة حيث الجامع الظاهرى خرج الأغا وبرطلمين بطوايفهما ينتظرانهم ومعهم طبول وبيارق وطوايف ومشوا معهم إلى الأزبكية من الطريق التى أحدثوها ودخلوا بهم إلى بيت قائمقام فأخذوا سلاحهم وأطلقوهم فذهبوا إلى بيوتهم وفيهم أحمد كاشف تابع عثمان بك

ومشيتم على الاستقامة، وينشرح صدره منكم ويرضى عليكم، وينظر اليكم بعين الشفقة، وان حصل منكم فى غيابه ادنى خلل ومخالفة حل بكم الوبال والدمار، ولا ينفعكم الندم، ولا يقر لكم قرار، واعلموا ان اذهاب دولة المماليك بقضاء الله وقدرته، ونصرة سلطانكم امير الجيوش عليهم بتقدير الله وامره، والعاقل يمتثل الى احكام الله ويرضى بمن ولاه، والله يوتى بملكه من يشاء، والسلام عليكم ورحمة الله.

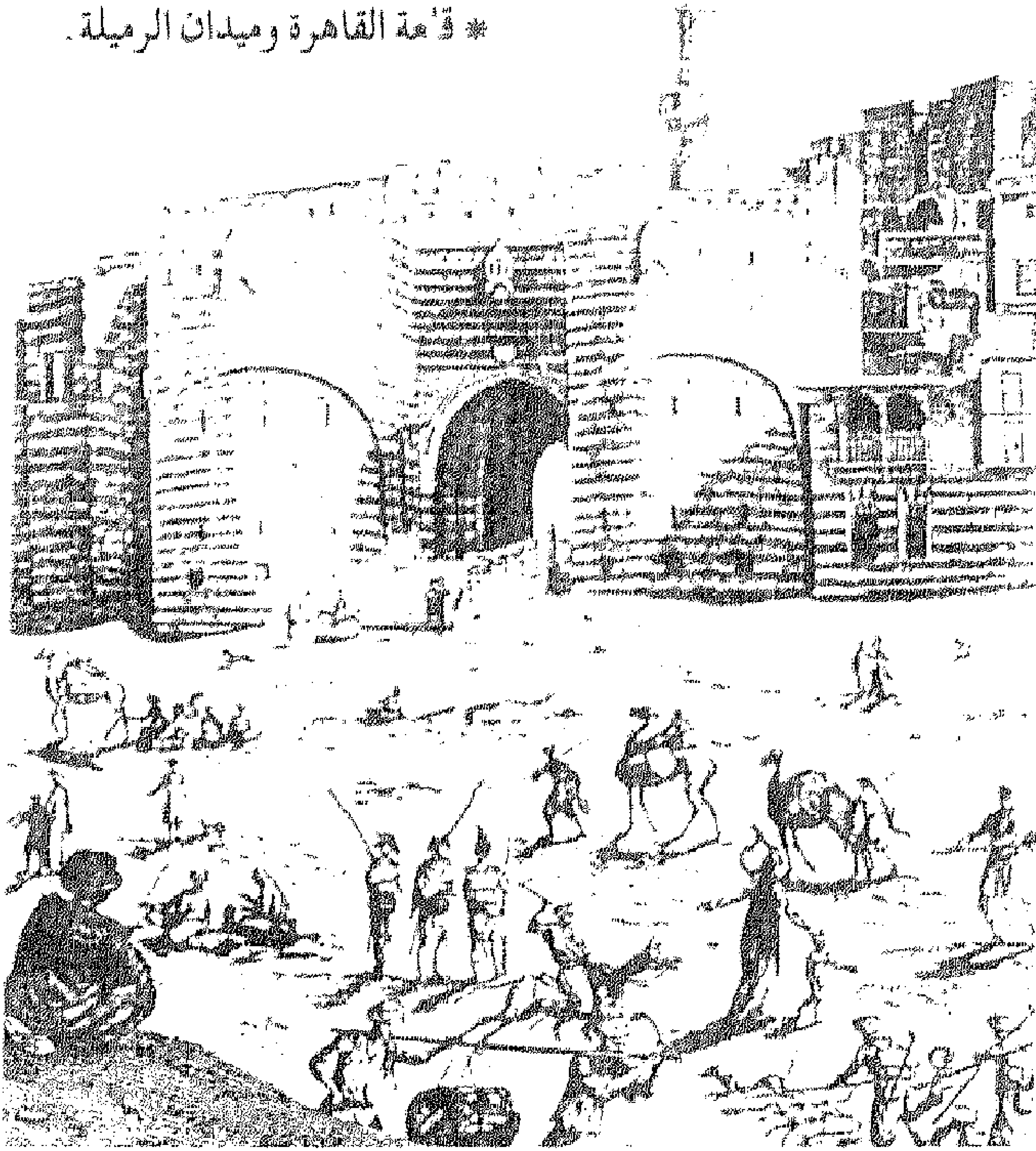
الداعى لكم الفقير عبدالله
الشرقاوى ريس الديوان
الخصوصى
عفا الله عنه
الداعى لكم الفقير السيد محمد
المهدى الحفناوى كاتم السر
وباش كاتب الديوان
عفى الله عنه

(*) أصدر الديوان البيان التالى فى شأن استيلاء الفرنساوية على قلعة العريش:

صورة كتابة علماء الديوان للديار المصرية.

لا اله الا الله المالك الحق المبين، ومحمد رسول الله الصادق الوعد واليقين، نعرف آل مصر وساير الأقاليم ان توجهت الفرنساوية الى الديار الشامية، وحاصروا قلعة العريش من عشرة فى رمضان الى سبع عشر [سنة ١٢١٣ هـ. أى من ١٥ الى ٢٢ فبراير ١٧٩٩م]، ووقعت مقاتلة عظيمة خارج القلعة وكان فى القلعة نحو ألف وخمسماية نفر غير من قتل خارجها، فلما طال عليهم الحصار، وتهدمت اسوار القلعة من ضرب

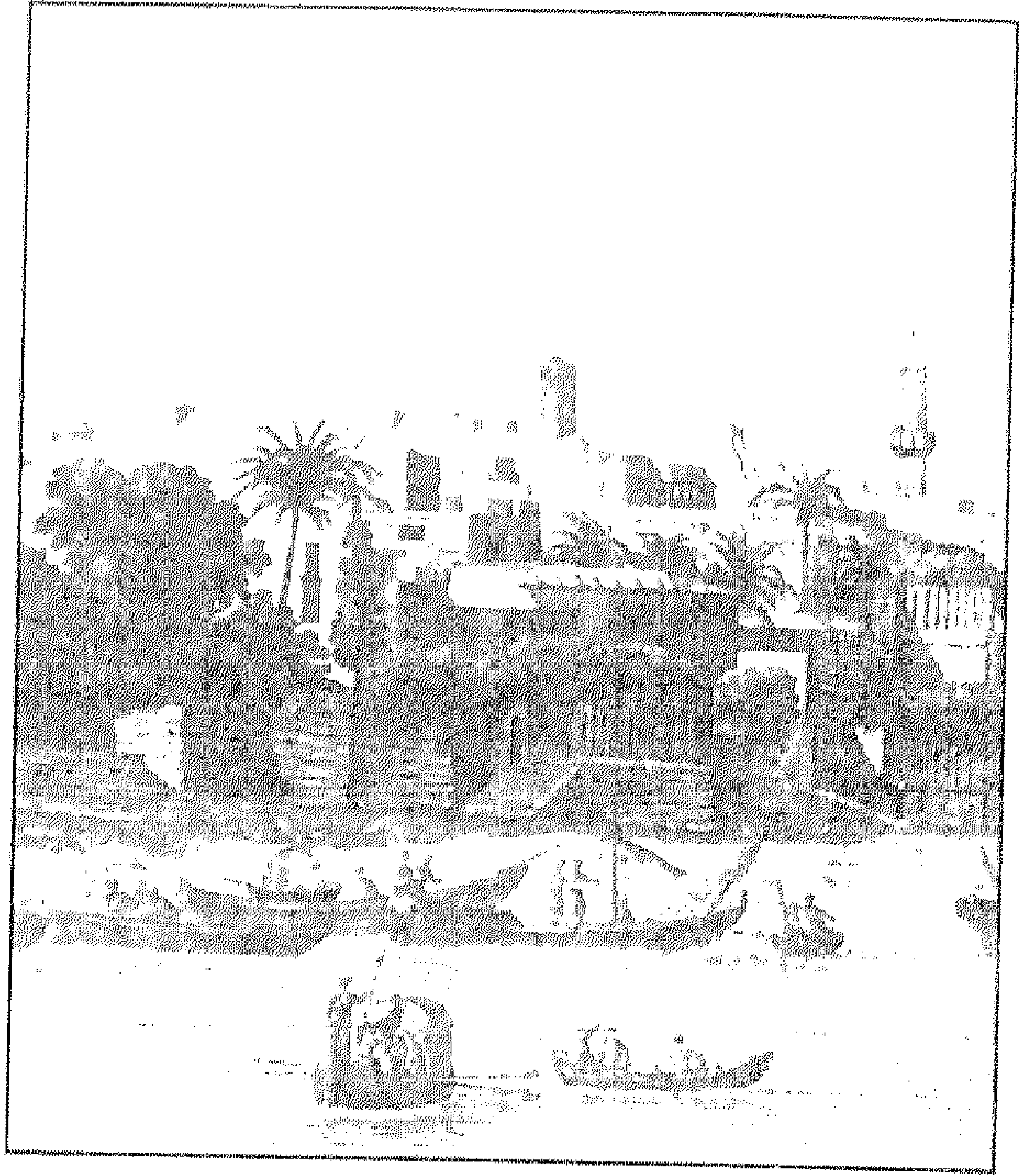
الفرنساوية بالمدافع عليها وتيقنوا بالهلاك، طلبوا الأمان من حضرة السر عسكر الكبير، فأعطاهم الامان الكافى، وسافر منهم نحو ثمانماية من ناحية الشول [الصحراء] الى بغداد، وانعم عليهم حضرة السر عسكر بالحيوة بعد ان تيقنوا بالهلاك، وهكذا اصحاب المروات هولا أعتقهم واطلق سبيلهم، وبعض الكشاف والمماليك الذين كانوا فى القلعة، نحو ستة وثلاثين جنديا، طلبوا من حضرة السر عسكر ان ينعم عليهم برجوعهم الى مصر الى عيالهم وبيوتهم، فأحسن اليهم وارسلهم الينا والىّ وكيله، ودخلوا عليه يوم الاحد فى ستة وعشرين رمضان معزوزين مكرومين وارسل السر عسكر ان يوفى بإكرامهم ان داموا على عهدهم الذى حلفوا به بالعريش، وان خانوا وهانوا فيحصل لهم من يده الانتقام. وامر فى الفرمان ان الجنرال دوكا يأمر التجار بالقوافل الى بر الشام، لينتفعوا بالمكاسب اصحاب التجارة، ويتمتعوا سكان بر الشام ببضايع مصر حسب العادة السابقة، ليحصل الامان بحلوله فى تلك الأراضى، وكتب الى حضرة وزيره الجنرال اسكندر برتيه(*) فرمان يخبرنا ويخبر حضرة الوكيل بالحالة التى وقعت الى عساكر ابراهيم بيك وبعض من عسكر الجزار المساعدين له. وان الفرنساوية وجدوا فى قلعة العريش مخازن رز وبقسماط وشعير، وثلثماية رأس من الخيل الجياد، وحمير كثيرة، وجمال غزيرة اكتسبته جميعه الفرنساوية، ومع ذلك عندهم الصفح عن إخلاصهم عند قدرتهم عليهم، وهذا من صفات أصحاب المروة من الرجال الابطال، فيا اخواننا لا تعارضوا



* قلعة القاهرة وميدان الرميلة.

الأشقر وآخر يقال له حسن كاشف الدويدار وكاشفان آخران وهما يوسف كاشف وإسماعيل الرومى كاشف تابع أحمد كاشف المذكور.

وكان من خبرهم أنهم كانوا مقيمين بقلعة العريش فى صحبتهم نحو ألف عسكرى مغاربة وأرنؤد فحضر لهم الفرنسيس الذين كانوا فى المقدمة فى أواخر شعبان فأحاطوا بالقلعة وحاربوهم من داخلها ونالوا منهم ما نالوه، ثم حضر إليهم سارى عسكر بجموعه بعد أيام وألحوا فى حصارهم فأرسل من بالعريش إلى غزة فطلب نجدة فأرسلوا لهم نحو السبعماية وعليهم قاسم بك أمين البحرية فلم يتمكنوا من الوصول إلى القلعة لتحلق الفرنساوية بها وإحاطتهم حولها فنزلوا قريباً من القلعة فكبستهم عسكر



الفرنسيس بالليل، فاستشهد قاسم بك وغيره وهزم الباقون، ولم يزل أهل القلعةيحاربون ويقاتلون حتى فرغ ما عندهم من البارود والذخيرة فطلبوا عند ذلك الأمان فأمنوهم ومن القلعة أنزلوهم وذلك بعد أربعة عشر يوماً فلما نزلوا على أمانهم أرسلوهم إلى مصر مع الوصية بهم وتخلية سبيلهم فحضروا إلى مصر كما ذكر وأخذوا سلاحهم وخلوا سبيلهم وصاروا يترددون عليهم ويعظمونهم ويلاطفونهم ويفرجونهم على صنايعهم وأحوالهم، وأما العسكر الذين كانوا معهم بقلعة العريش فبعضهم انضاف إليهم وأعطوا جامكية وعلوفة* وجعلوهم بالقلعة مع عسكر من الفرنسيس، والبعض لم يرض بذلك، فأخذوا سلاحهم وأطلقوهم إلى حال سبيلهم، وذهب الفرنسيس إلى ناحية غزة، وفى ذلك اليوم بعد الظهر عملوا الشنك الموعود به

الملك المتعال، واتركوا انفسكم من القيل والقال، واشتغلوا فى اصلاح دينكم والسعى فى معاش دنياكم وارجعوا الى الله الذى خلقكم وسواكم والسلام عليكم ختام.

**الفقير عبدالله الشرقاوى**

ريس الديوان حالا

عفى الله عنه

**الفقير محمد المهدى**

كاتم سر الديوان حالا

عفى الله عنه

**الفقير السيد خليل البكرى**

نقيب السادات الاشراف

عفى الله عنه

(*) المارشال لويس اسكندر برتييه Lo uis Alexandr Berthier (١٧٥٣ - ١٨١٥)، ولد في فرساى، وتطوع فى الجيش الملكى، وحصل على رتبة عقيد خلال الثورة الأميركية، ثم اصبح جنرالا وعين قائدا للحرس الوطنى، حيث امن حماية العائلة المالكة فى فرساى عام ١٧٨٩ ، وبعدها انضم الى بونابرت واصبح رئيسا لهيئة اركان جيش ايطاليا عام ١٧٩٦ ، ثم وزيرا للحربية الفرنسية (١٨٠٠-١٨٠٧) فمساعدا لقائد الجيش الكبير (La G de Armee) الامبراطور نابليون الأول (١٨٠٥-١٨١٤)، حصل على لقب مارشال فرنسا عام ١٨٠٤ وقد وقع على وثيقة استسلام نابليون (عام ١٨١٤) وبعدها مباشرة انضم الى لويس الثامن عشر، وبعد عودة الامبراطور من منفاه (عودة المئة يوم - مارس ١٨١٥)، لجأ هو الى مدينة بامبرغ (Bamberg) فى بافاريا حيث توفى ، فى العام نفسه فى ظروف غامضة.

(*) علوفة: العلوفة هى المرتب النقدى الذى يأخذه أعضاء الأوجاقات، وظهرت فى الوثائق اشارات اليها وأربابها من مختلف العناصر، وكانت تباع العلوفات على

وضربوا عدة مدافع بالقلعة والأزبكية وأظهر النصارى الفرح والسرور بالأسواق والدور وأولموا فى بيوتهم الولايم وغيروا الملابس والعمايم وتجمعوا للهو والخلاعة وزادوا فى القبح والشناعة.

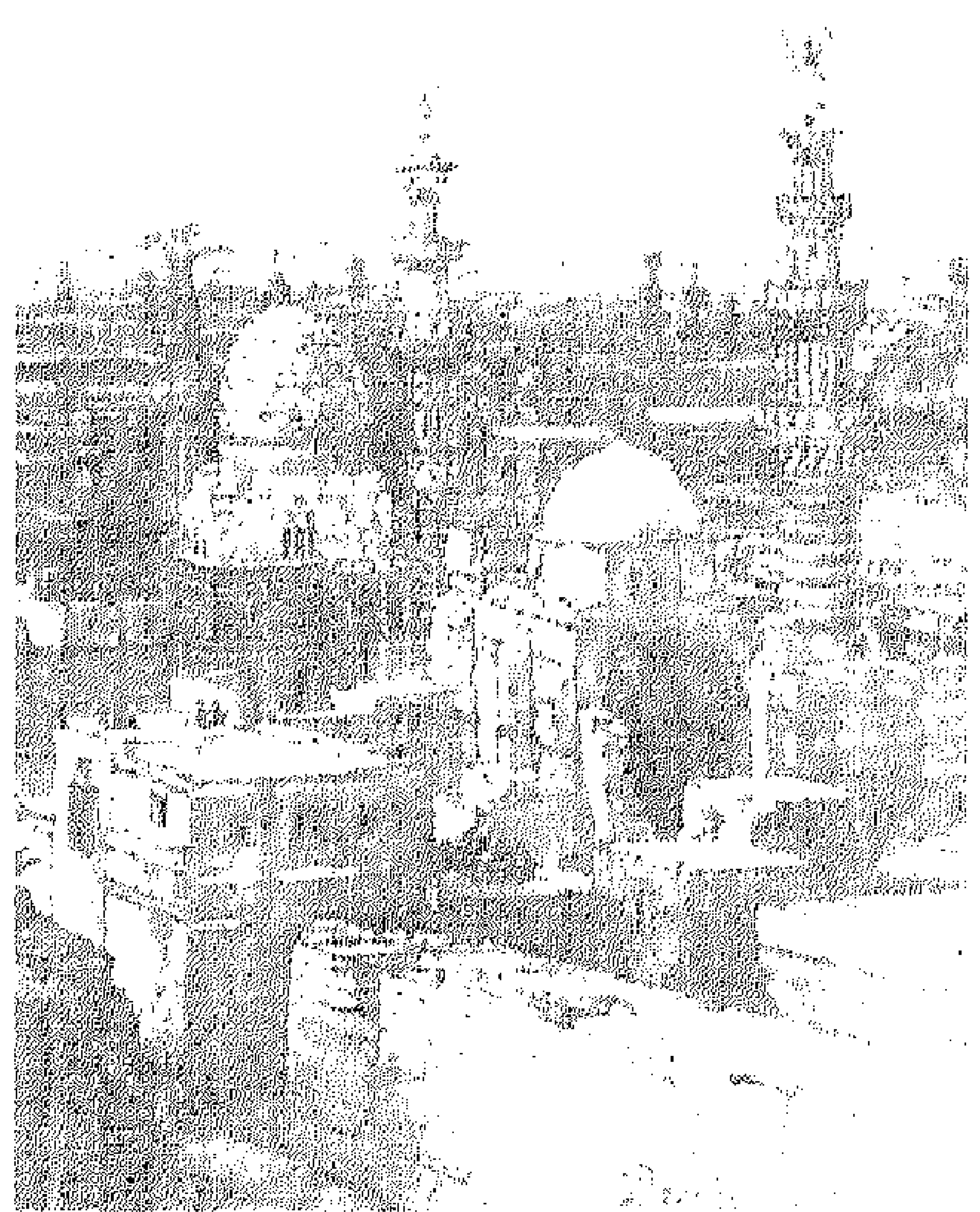
وفى يوم الأربعا توفى أحمد كاشف المذكور فجأة، وفى عصر ذلك اليوم حضر جماعة من الفرنسيس نحو الخمسة والعشرين وهم راكبون الهجن وعلى روسهم عمايم بيض ولابسون برانس بيض على أكتافهم فذهبوا الى بيت قايمقام بالأزبكية، فلما أصبح يوم الخميس عملوا الديوان وقروا المكاتبة التى حضرت مع الهجانة، حاصلها أن الفرنسيس أخذوا غزة وخان يونس* وأخبار مختلفة منها أنهم وجدوا إبراهيم بك ومن معه ارتحلوا من هناك وكانوا أرسلوا حريمهم وأثقالهم إلى جبل نابلس، وقيل بل تحاربوا معهم وانهزموا.

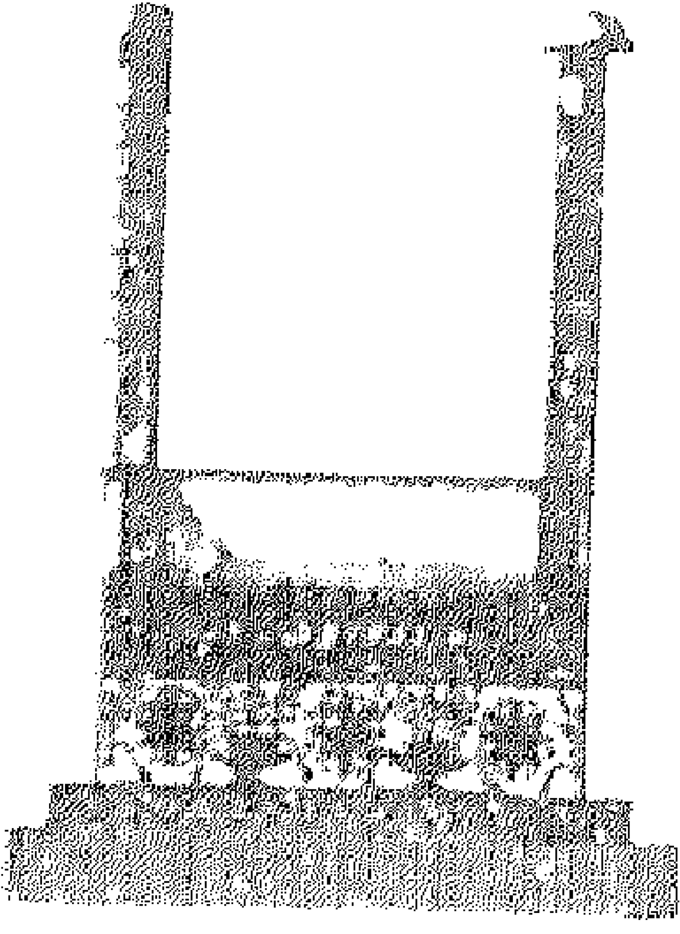
وفى ذلك اليوم بعد العصر بنحو عشرين درجة حضر عدة من الفرنسيين ومعهم كبير منهم وهم راكبون الخيول وعدة من المشاة وفيهم جماعة لابسون عمايم بيض وجماعة أيضاً ببرانيط ومعهم نفير ينفخ فيه وبيدهم بيارق وهى التى كانت عند المسلمين على قلعة العريش إلى أن وصلوا الى الى الجامع الأزهر فاصطفوا رجالاً وركباناً بباب الجامع وطلبوا الشيخ الشرقاوى فسلموه تلك البيارق وأمروه برفعها ونصبها على منارات الجامع الأزهر فنصبوا بيرقين ملونين على المنارة الكبيرة ذات الهلالين عند كل هلال بيرقا وعلى منارة أخرى بيرقا ثالثا، وعند رفعهم ذلك ضربوا عدة

أيدى دلالين من رجال الأوجاقات المختلفة، ولقد أدت زيادة بيع العلوفات على اقبال أهل الحرف من اصحاب الدخول المتواضعة ومن مختلف الحرف على شرائها لتكون موردا هاما لتحسين أوضاعهم، ولقد انتسب أرباب العلوفات الى مختلف الأوجاقات دون مشاركة فعلية فى العمل العسكرى وهم ينتمون الى فئات اجتماعية مختلفة.

(*) استيلاء الفرنساوية على غزة وخان يونس.

* الجامع الأزهر





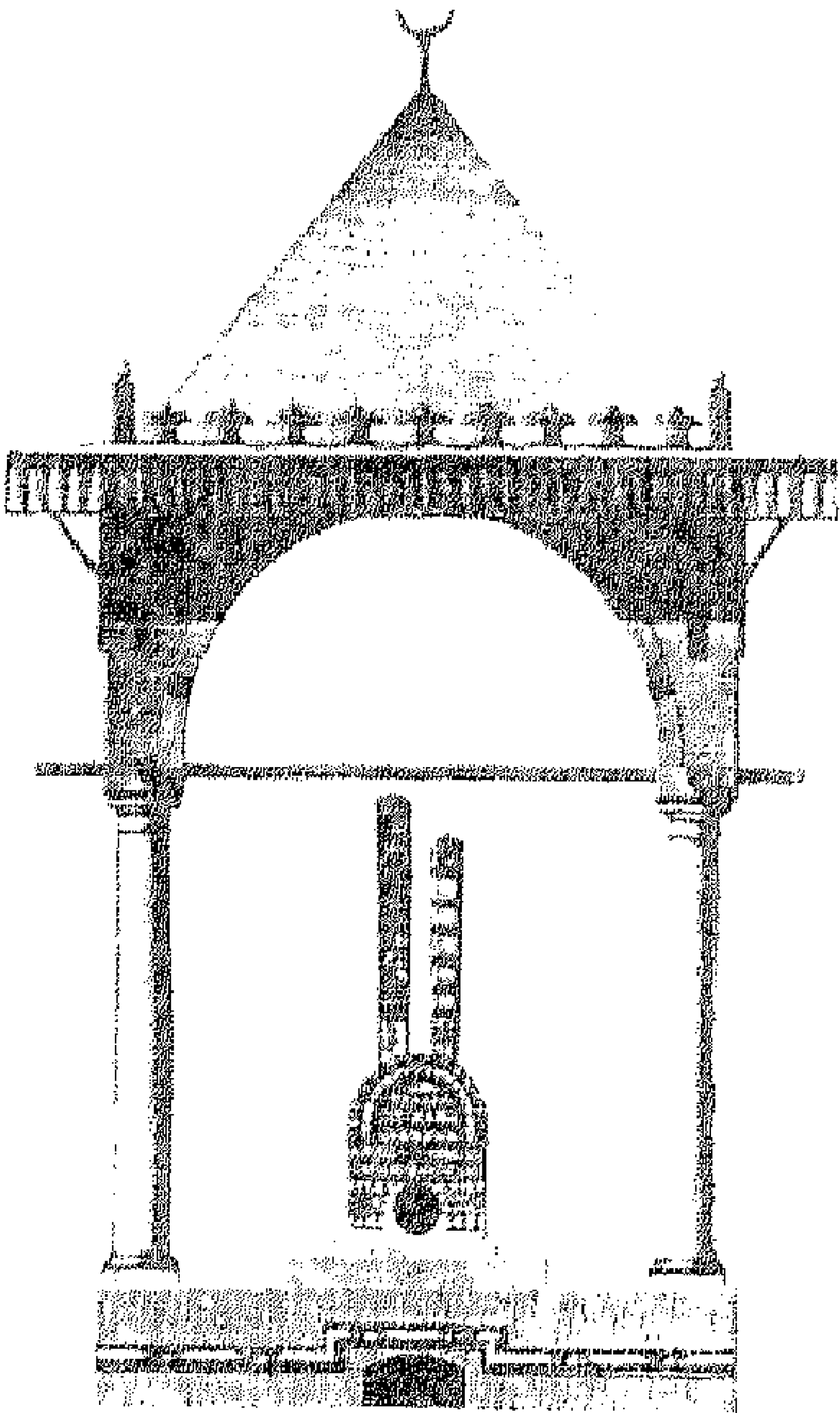
(*) بيان الفرنساوية لأهل الشام بعد الاستيلاء على العريش.

مدافع من القلعة بهجة وسروراً وكان ذلك ليلة عيد الفطر، فلما كان عند الغروب ضربوا عدة مدافع أيضاً إعلاماً بالعيد، وبعد العشا الأخيرة طاف أصحاب الشرطة ونادوا بالأمان وبخروج الناس على عادتهم لزيارة القبور بالقرافتين والاجتماع وأرسلوها الى البلاد ونصها:

فرمان عام موجه من أمير الجيوش إلى أهالي الشام قاطبة.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين من طرف بونابرته أمير الجيوش الفرنساوية إلى حضرة المفتين والعلما وكافة أهالي نواحي غزة والرملة ويافا حفظهم الله تعالى، بعد السلام نعرفكم بأننا حررنا لكم هذه السطور نعلمكم أننا حضرنا في هذا الظرف لقصد طرد المماليك وعسكر الجزار عنكم، وإلى أي سبب حضور عسكر الجزار وتعديه على بلاد يافا وغزة التي ما كانت من حكمه، وإلى أي سبب أيضاً أرسل عساكره إلى قلعة العريش بذلك هجم على أراضي مصر، فلا شك كان مراده إجراء الحروب معنا ونحن حضرنا لنحاربه فأما أنتم يا أهالي الأطراف المشار اليها فلم نقصد لكم أذية ولا أدنى ضرر فأنتم استمروا في محلكم ووطنكم مطمينين ومرتاحين، وأخبروا من كان خارجا عن محله ووطنه أن يرجع ويقيم في محله ووطنه، ومن قبلنا عليكم ثم عليهم الأمان الكافي والحماية التامة ولا أحد يتعرض لكم في مالكم وما تملكه يدكم، وقصدنا أن القضاة يلازمون خدمتهم ووظايفهم على ما كانوا عليه، وعلى الخصوص أن دين الإسلام لم يزل معتزاً ومعتبراً والجوامع عامرة بالصلاة وزيارة المؤمنين، إن كل خير يأتي من الله تعالى وهو يعطي النصر من يشا، ولا يخفاكم أن جميع ما

* احد انماط عمارة المقابر القاهرية.





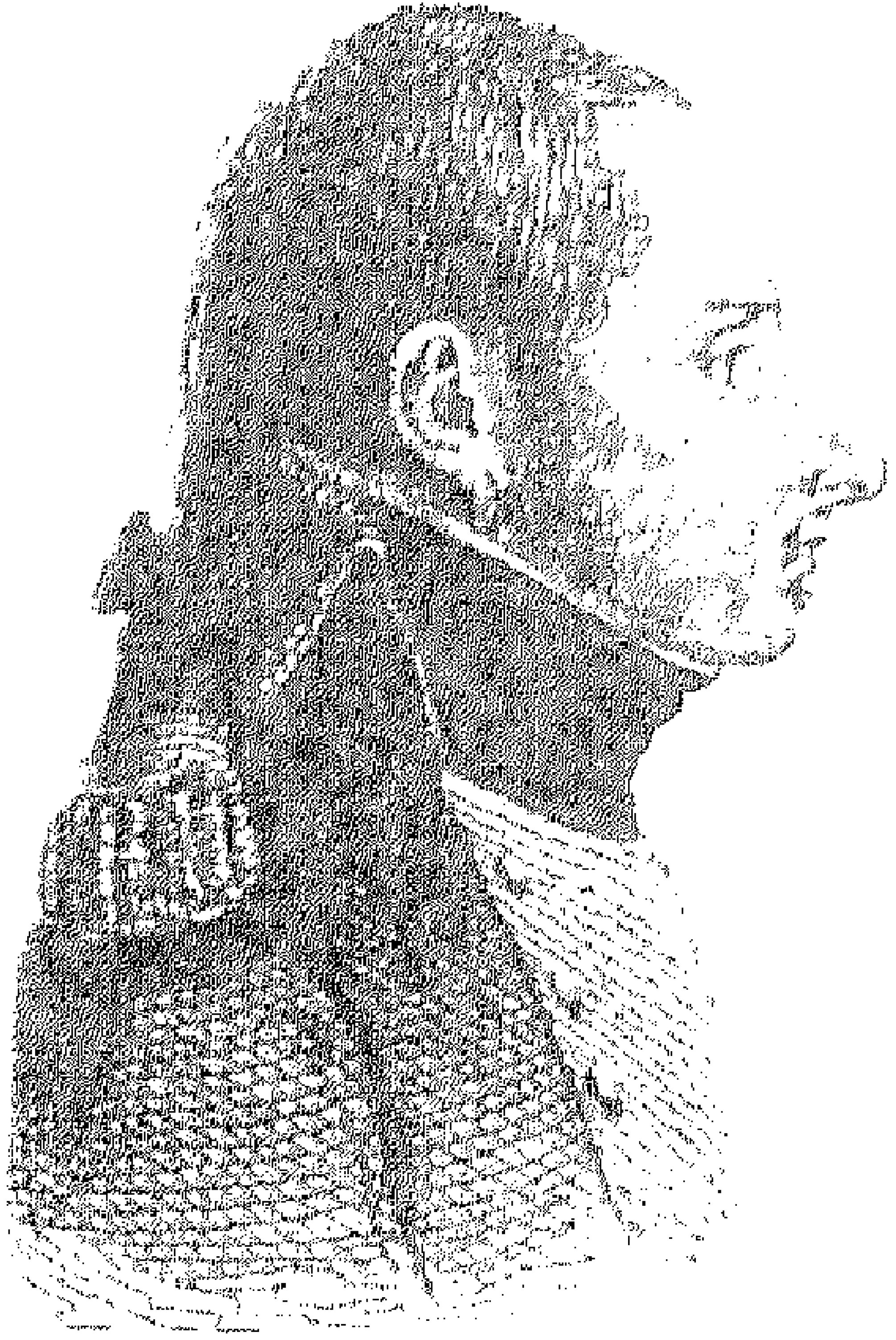
* أحد قلاع الشام بعد تدميرها.

تأمر به الناس ضدنا فيغدو باطلا ولا نفع لهم به لأن كل ما نضع به يدنا لابد عن تمامه بالخير، والذى يتظاهر لنا بالحب يفلح والذى يتظاهر بالغدر يهلك، ومن كل ما حصل تفهمون جيداً أننا نقمع أعدانا ونعضد من يحبنا وعلى الخصوص من كوننا متصفين بالرحمة والشفقة على الفقرا والمساكين.

ولما أخذوا غزة أرسلوا طومارا بصورة الواقعة وبصموه نسخا وقرى بالديوان وألصقوا نسخه المطبوعة بالأسواق وصورته.

* بيان سقوط غزة فى يد الفرنساوية.

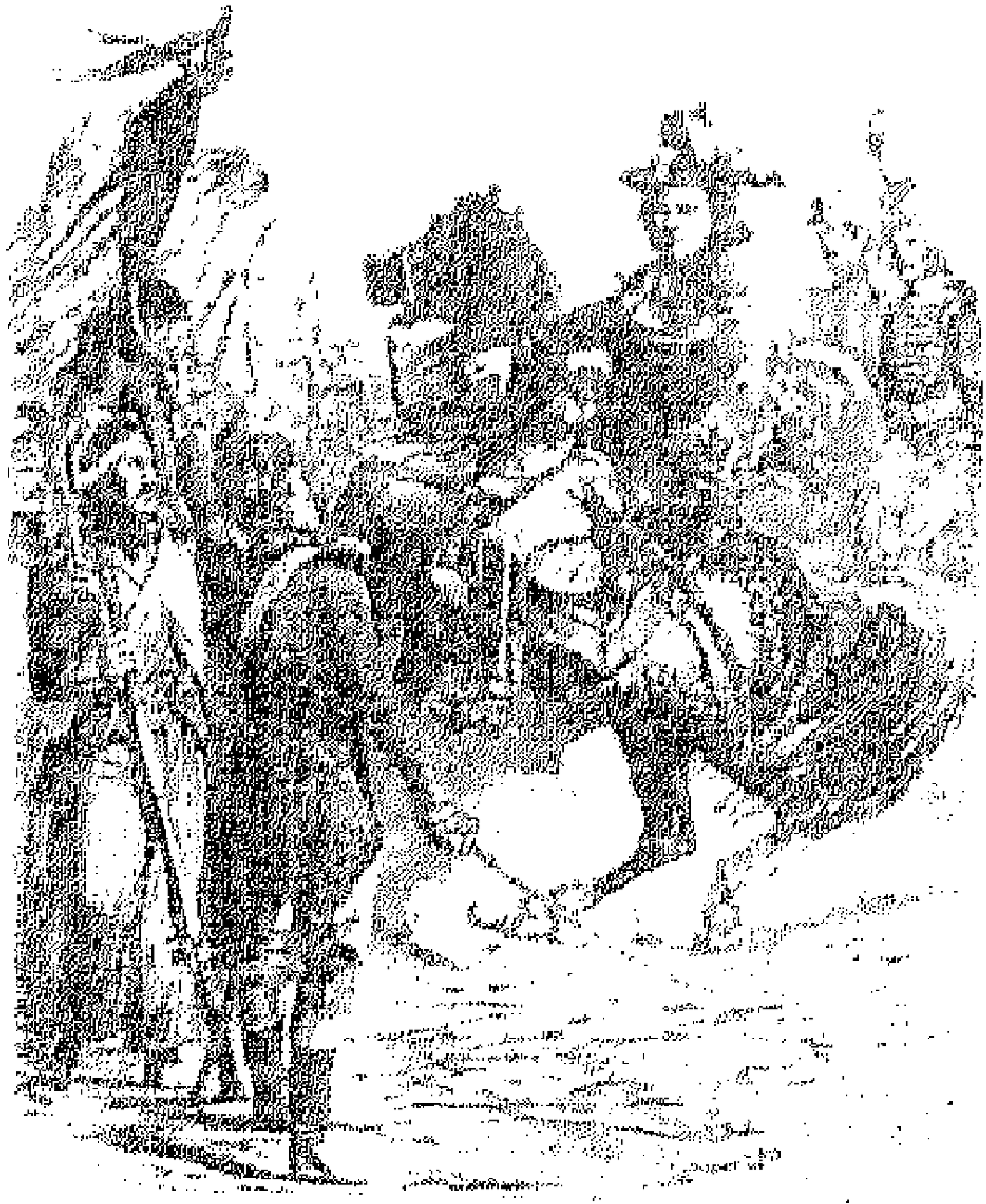
بسم الله الرحمن الرحيم ولا عدوان إلا على الظالمين نخبر أهل مصر وأقاليمها أنه حضر فرمان مكتوب من غزة من حضرة الجنرال إسكندر برتنيه خطابا إلى حضرة سارى عسكر دوجا وكيل الجيوش بمصر يخبره فيه بأن العساكر



الفرنساوية باتوا ليلة تسعة عشر شهر رمضان فى خان يونس وفى فجر تلك الليلة توجهوا سايرين إلى ناحية غزة فكشفوا قبل الظهر بساعة عسكر المماليك وعسكر الجزار، فلما انتبهوا له فروا هاربين ووقع بينه وبين أطراف العساكر بعض مضاربة يسيرة لم ينجرح فيها إلا شخصان من الفرنساوية ومات عسكرى واحد، ومات من عسكر المماليك والجزار ناس قلايل وحين تشاغل سارى عسكر مراد [MORAND] بالمضاربة والمقاتلة دخل حضرة سارى عسكر كليبر الذى كان حاكما بالإسكندرية وكان ساكنا بالأزبكية إلى بندر غزة وملكها من غير معارض له ووجدوا فيها حواصل مشحونة بالذخاير من بقسماط وشعير وأربعماية قنطار بارود واثنى عشر مدفعا وحاصلا كبيرا مملوأ بالخيام الكثيرة وجللا وبنبات مهيئات محضرات كصنعة الإفرنج هذا ما وقع لملكهم لغزة وقد أخبرناكم على ما وقع فى كيفية ملك العريش سابقا، فاستقيموا عباد الله وارضوا بقضاء الله وتأدبوا فى أحكام مولاكم الذى خلقكم وسواكم والسلام ختام.

* مراد.

* كليبر.



وانقضى شهر رمضان ووقع به قبل ورود هذه الأخبار من السكون والطمأنينة وخلو الطرقات من العسكر وعدم مرور المتخلفين منهم إلا فى النادر واختفاهم بالليل جملة كافية، وانفتاح الأسواق والدكاكين والذهاب والمجى وزيارة الإخوان ليلا والمشى على العادة بالفوانيس ودونها، واجتماع الناس للسهر فى الدور والقهاوى ووقود المساجد وصلاة التراويح وطواف المسحرين والتسلى بالرواية والنقول وترجى المأمول وانحلال الأسعار فيما عدا المجلوبات من الأقطار.

ومنها أن الفرنساوية صاروا يدعون أعيان الناس والمشايخ والتجار للإفطار والسحور ويعملون لهم الولايم ويقدمون لهم الموايد على نظام المسلمين وعاداتهم، ويتولى أمر ذلك الطباخون والفراشون من المسلمين تطمينا لخواطرهم، ويذهبون هم أيضا ويحضرون عندهم الموايد ويأكلون معهم فى وقت الإفطار ويشاهدون ترتيبهم ونظامهم ويحذون حذوهم ووقع منهم من المسايرة للناس وخفض الجانب ما يتعجب منه، والله أعلم.

---

## شهر شوال سنة ١٢١٣

استهل بيوم الجمعة وفى صبح ذلك اليوم ضربوا عدة مدافع لشنك العيد واجتمع الناس لصلاة العيد* فى المساجد والأزهر، واتفق أن إمام الجامع الأزهر نسى قراءة الفاتحة فى الركعة الثانية فلما سلم أعاد الصلاة بعدما شنع عليه الجماعة، وخرج الرجال والنسا لزيارة القبور فانتبذ بعض الحرافيش نواحى تربة باب النصر *وأسرع فى مشيه، وهو يقول نزلت عليكم العرب يا ناس فهاجت الناس وانزعجت النسا ورمحت الجعيدية والحرافيش، وخطفوا ثياب النسا، وأزرهن وما صادفوه من عمايم الرجال وغير ذلك، واتصل ذلك بتربة المجاورين وباب الوزير* والقرافة حتى أن بعض النسا مات تحت الأرجل ولم يكن لهذا الكلام صحة، وإنما ذلك من مخترعات الأوباش لينالوا أغراضهم من الخطف بذلك.

وفيه ركب أكابر الفرنسيس وطافوا على أعيان البلد وهنوهم بالعيد، وجاملهم الناس بالمدارة أيضاً.

(*) الاحتفال بعيد الفطر المبارك.

(*) باب النصر: بناه جوهر الصقلى وكان يقع على بعد عشرين مترا الى شمال جامع الشهداء المعروف أيضا باسم وكاله قوصون بشارع باب النصر تجاه زاوية القاصدين مدخل حارة العطوف وجامع الشهداء، فلما جدد بدر الجمالى سور القاهرة عام ١٠٨٧ نقل باب النصر والفتوح من مكانهما الأصلى الى مكانهما الحالى.

(*) باب الوزير: وهو من أبواب القاهرة المندثرة، ورد ذكره كثيرا فى الكتابات الخاصة بالرحالة، وهو يطلق على الشارع الذى بدايته من ميدان القلعة ويؤدى فى نهايته الى باب زويلة، ويطلق عليه فى الوقت الحاضر شارع الدرب الأحمر.

وفى أوايله وردت الأخبار بأن الأمرا المصرية القبليين تفرقوا من بعضهم: فذهب مراد بك وآخرون إلى نواحى إبراهيم بك، ومنهم من ذهب إلى ناحية أسوان، والألفى عدى بجماعته إلى البر الشرقى.

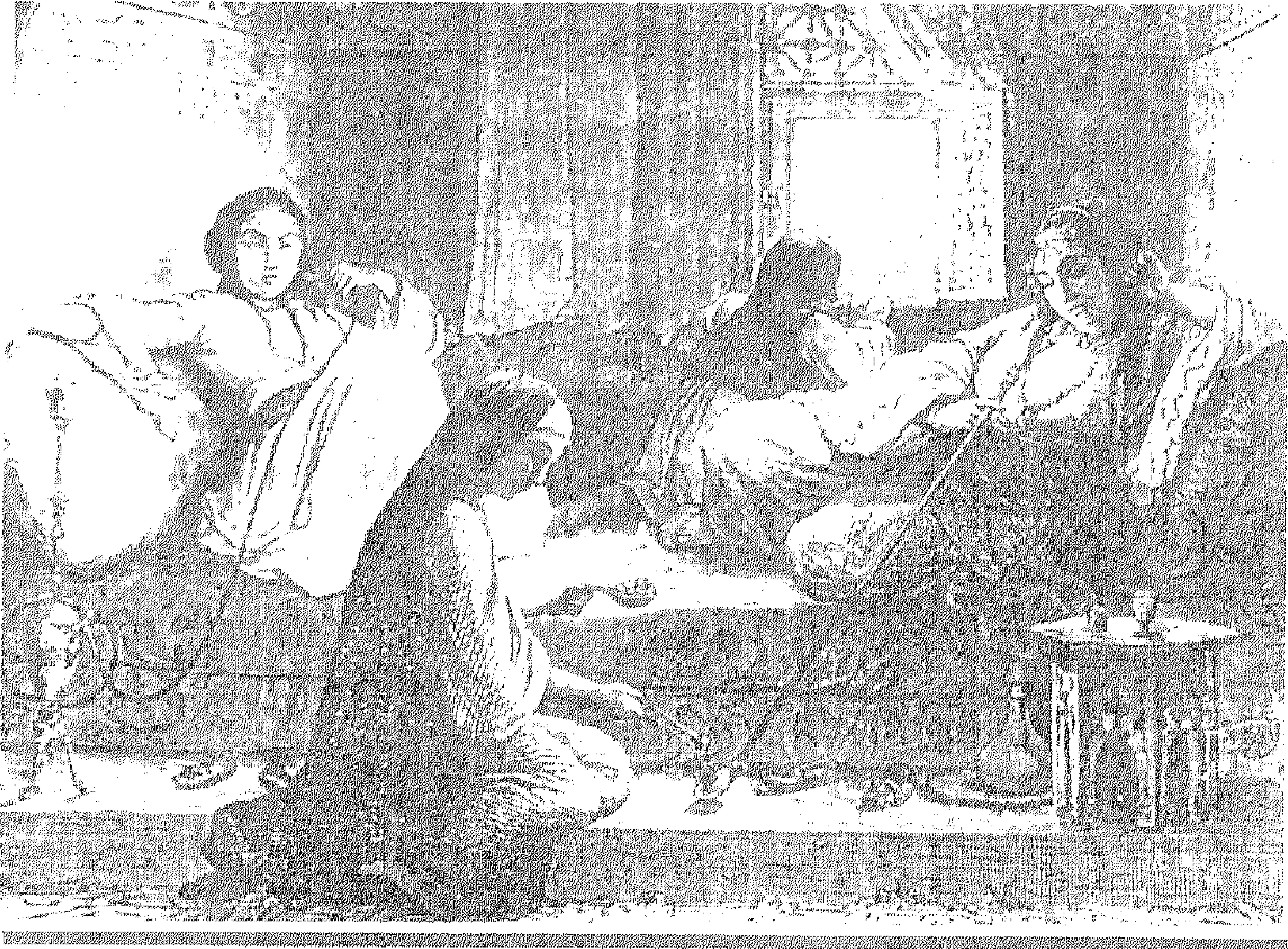
وفى خامسه قدم الشيخ محمد الدواخلى من ناحية القرين متمرضا وكان بصحبته الصاوى والفيومى متخلفين بالقرين، وسبب تخلفهم أن كبير الفرنسيس لما ارتحل من الصالحية أرسل إلى كتخدا الباشا والقاضى والجماعة الذين بصحبتهم يأمرهم بالحضور إلى الصالحية لأنهم كانوا يبعدون عنه مرحلة، فلما أرادوا ذلك بلغهم وقوف العرب بالطريق فخافوا من المرور فذهبوا إلى العرين فأقاموا هناك، واتخذ عسكر الفرنسيين جمالهم فأقاموا بمكانهم فتقلق هولا الثلاثة وخافوا سو العاقبة ففارقوهم وذهبوا للقرين وتخلف عنهم الفيومى فأقام مع كتخدا الباشا والقاضى فحصل للدواخلى توعك فحضر إلى مصر وبقى رفيقاه فى حيرة.



* باب زويلة .

وفى سابعه أحضر الأغا رجلا ورمى عنقه عند باب زويلة* وشنق امرأة على شباك السبيل تجاه الباب، والسبب فى ذلك أن الفرنساوى حاكم خط الخليفة وجهة الركبية ويسمى دلوى أحضر باعة الغلال بالرميلة وصادرهم ومنعهم من دفع معتاد الوالى فاجتمعوا وذهبوا إلى كبير الفرنسيس الذى يقال له شيخ البلد وشكوا إليه، وكان الأمير ذو الفقار حاضرا وهو يسكن تلك الجهة، فعضدهم وعرف شيخ البلد عن شكواهم فأرسل شيخ البلد إلى دلوى فانتهره وأمره برد ما أخذه، فأخبر أتباعه أن ذا الفقار

(*) باب زويلة: وهو أجمل ابواب القاهرة وقد جعله جوهر فى الضلع الجنوبى من سورها وهو ينسب إلى قبيلة زويلة وهى من قبائل البربر بشمال افريقية وقد انضمت القبيلة الى جيش جوهر فى حملته لفتح مصر، أما الموضع الاصلى لباب زويلة فكان عند مسجد يعرف بابن البنا.



هو الذى عضدهم وأنهى شكواهم إلى كبيرهم، فقام دلوى المذكور ودخل على ذى الفقار فى بيته وسبه وشتمه بلغته وفزع عليه ليضربه، فلما خرج من عنده قام وذهب إلى كبيرهم وأخبره بفعل دلوى معه، فأمر بإحضاره وحبسه بالقلعة.



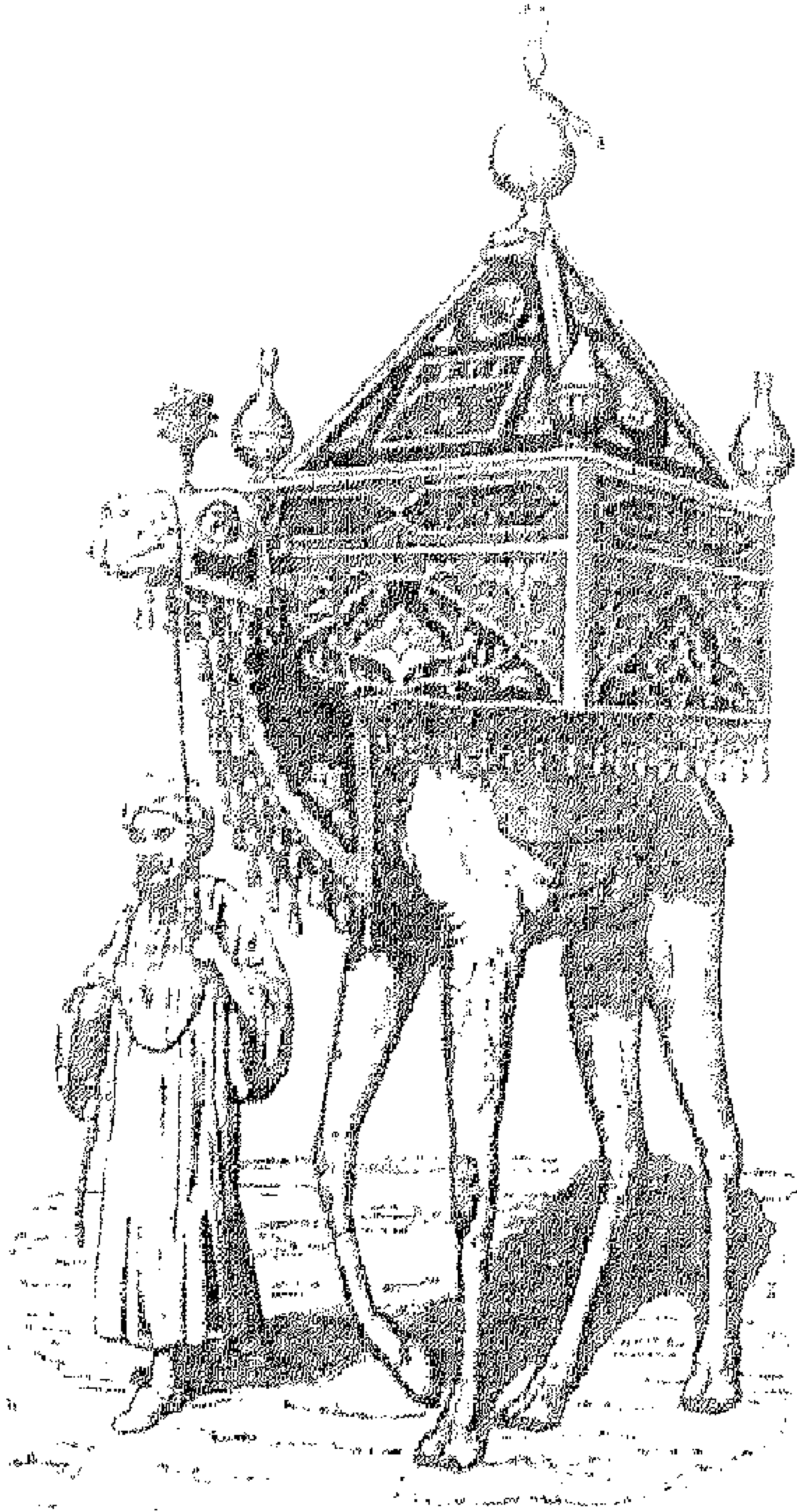
ثم أخبر بعض الناس شيخ البلد أن التعرض الذى وقع من دلوى لباعة الغلة إنما هو بإغرا خادمه، وعرفه أن خادمه المذكور مولع بامراة رقاصة من الرُميلة تأتيه بأشكالها ومن على طريقتها، ويجتمع هو وأضرابه وترقص لهم تلك المرأة فى القهوة التى بخطهم ليلا ونهارا تبيت معهم فى البيت ويصبحون على حالهم، فلما حبس أميرهم اختفوا فدلوا

الجبرتى/ سنة ١٢١٣م

على الرجل والمرأة فقبضوا عليهما وفعلوا بهما ما ذكر، ولا بأس بما حصل.

* الاحتفال بموكب كسوة الكعبة.

وفى ثامنه يوم الجمعة نودى فى الأسواق بموكب كسوة الكعبة* المشرفة من قراميدان والتنبيه باجتماع الوجاقات وأرباب الأشاير وخلافهم على العادة فى عمل المواكب، فلما أصبح يوم السبت اجتمع الناس فى الأسواق وطريق المرور وجلسوا للفرجة فمروا بذلك وأمامها الوالى والمحتسب وعليهم القفاطين والبينشات وجميع الأشاير بطبولهم وزمورهم وكاساتهم ثم برطلمين كتخدا مستحفظان وأمامه نفر الينكجرية من المسلمين نحو المايتين وأكثر وعدة كثيرة من نصارى الأروام بالأسلحة والملازمين بالبراقع وهو لابس فروة عظيمة، ثم مواكب القلقات ثم مواكب ناظر الكسوة وهو تابع مصطفى كتخدا الباشا وخلفه النوبة التركية فكانت هذه الركْبة من أغرب المواكب وأعجب العجايب لما اشتملت عليه من اختلاف الأشكال وتنوع الأمثال واجتماع الملل وارتفاع السفل وكثرة الحشرات وعجايب المخلوقات واجتماع الأضداد ومخالفة الوضع المعتاد، وكان نسيج الكسوة بدار مصطفى كتخدا المذكور وهو على خلاف العادة من نسجها بالقلعة.



* الكسوة محمولة على جمل المحمل.

* سقوط قلعة يافا فى يد الفرنساوية.

وفى يوم الأربعا ثالث عشرة حضر عدة من الفرنسيس وهم راكبون الهجن ومعهم عدة بيارق وأعلام بعد الظهر، وأخبروا أن الفرنسيس ملكوا قلعة يافا وبيدهم مكاتبة من سارى عسكرهم بالإخبار عما وقع ، فلما كان يوم الخميس

واجتمع أرباب الديوان فقرا عليهم تلك المراسلة بعد تعريبها وتوصيفها على هذه الكيفية وهي عن لسان رؤسا الديوان إلى الكافة وذلك بإلزامهم وأمرهم بذلك .وصورتها :

* بيان سقوط يافا فى يد الفرنساوى.

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان مالك الملك يفعل فى ملكه ما يريد سبحان الحكم العدل الفاعل المختار ذى البطش الشديد هذه صورة تمليك الله سبحانه وتعالى جمهور الفرنساوية لبندر يافا من الأقطار الشامية نعرف أهل مصر وأقاليمها من ساير البرية أن العساكر الفرنساوية انتقلوا من غزة ثالث عشرين رمضان ووصلوا إلى الرملة فى الخامس والعشرين منه فى أمن واطمينان فشاهدوا عسكر أحمد باشا الجزار هاربين بسرعة قايلين الفرار.

ثم إن الفرنساوية وجدوا فى الرملة ومدينة «لد» مقدارا كبيرا من مخازن البقسماط والشعير ورأوا فيها ألفا وخمسماية قربة مجهزة جهزها الجزار يسير بها إلى إقليم مصر مسكن الفقرا والمساكين ومراده أن يتوجه إليها بأشرار العربان من سطح الجبل ولكن تقادير الله تفسد المكر والحيل قاصدا سفك دما الناس مثل عوايده الشامية وتجبره وظلمه مشهور لأنه تربية المماليك الظلمة المصرية ولم يعلم من خسافة عقله وسوء تدبيره أن الأمر لله كل شي بقضاه وتدبيره.

وفى سادس عشرين شهر رمضان وصلت مقدمات الفرنساوية إلى بندر يافا من الأراضى الشامية وأحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية وأرسلوا إلى حاكمها

وتحيل الجزار أن يسلمهم القلعة قبل أن يحل به وبعسكره الدمار، فمن خسافة رأيه وسو تدبيره سعى فى هلاكه وتدميره ولم يرد لهم جواب، وخالف قانون الحرب والصواب.

وفى أواخر ذلك اليوم السادس والعشرين تكاملت العساكر الفرنساوية على محاصرة يافا وصاروا كلهم مجتمعين، وانقسموا على ثلاثة طوابير: الطابور الأول توجه على طريق عكا بعيدا عن يافا بأربع ساعات، وفى السابع والعشرين من الشهر المذكور أمر حضرة سارى عسكر الكبير بحفر خنادق حول السور لأجل أن يعملوا متاريس أمينة وحصارات متقنة حصينة، لأنه وجد سور يافا ملآن بالمدافع الكثيرة ومشحونة بعسكر الجزار الغزيرة، وفى تاسع عشرين الشهر لما قرب حفر الخندق إلى السور مقدارماية وخمسين خطوة أمر حضرة سارى عسكر المشار إليه أن ينصب المدافع على المتاريس ، وأن يضعوا أهوان [مدافع] القنبر بإحكام وتأسيس، وأمر بنصب مدافع أخر بجانب البحر لمنع الخارجين إليهم من مراكب المينا لأنه وجد فى المينا بعض مراكب أعدها عسكر الجزار للهروب، ولا ينفع الهروب من القدر المكتوب، ولما رأت عساكر الجزار الكاينون بالقلعة المحاصرون أن عسكر الفرنساوية قلايل فى رأى العين للناظرين لمداراة الفرنساوية فى الخنادق وخلف المتاريس غرهم الطمع فخرجوا لهم من القلعة مسرعين مهرولين وظنوا أنهم يغلبون الفرنساوية، فهجم عليهم الفرنسيس وقتلوا منهم جملة كثيرة فى تلك الواقعة وألجأوهم للدخول ثانيا فى القلعة.

* جنود الحملة الفرنسية.



وفى يوم الخميس غاية شهر رمضان حصل عند سارى عسكر شفقة قلبية وخاف على أهل يافا من عسكره إذا دخلوا بالقهر والإكراه فأرسل إليهم مكتوبا مع رسول مضمونه:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

بسم الله الرحمن الرحيم من حضرة سارى عسكر إسكندر برتية كتخدا العسكر الفرنساوى إلى حضرة حاكم يافا نخبركم أن حضرة سارى عسكر الكبير بونابارته أمرنا أن نعرفك فى هذا الكتاب أن سبب حضوره إلى هذا الطرف إخراج عسكر الجزار فقط من هذه البلدة لأنه تعدى بإرسال عسكره إلى العريش ومرابطته فيها والحال أنها من إقليم مصر التى أنعم الله بها علينا فلا يناسبه الإقامة بالعريش لأنها ليست من أرضه فقد تعدى على ملك غيره، ونعرفكم يا أهل يافا أن بندركم حاصرناه من جميع أطرافه وجهاته وربطناه بأنواع الحرب وآلات المدافع الكثيرة والجلل والقنابر وفى مقدار ساعتين ينقلب سوركم وتبطل آلاتكم وحروبكم ونخبركم أن حضرة سارى عسكر المشار إليه لمزيد رحمته وشفقته خصوصا بالضعفا من الرعية خاف عليكم من سطوة عسكر المحاربين إذا دخلوا عليكم بالقهر أهلكوكم أجمعين فلزمنا أننا نرسل لكم هذا الخطاب أمانا كافيا لأهل البلد والأغراب ولأجل ذلك أخّر ضرب المدافع والقنابر الصاعدة عنكم ساعة فلكية واحدة وإنى لكم لمن الناصحين. وهذا آخر جواب الكتاب، فجعلوا جوابنا حبس الرسول مخالفين للقوانين الحربية والشريعة المطهرة المحمدية

* نص هذا الخطاب كما نشرته كوريه دى ليجيبت
بسم الله الرحمن الرحيم
كلفنى القايد العام بإبلاغكم أنه لم يحضر إلى فلسطين إلا لطرد جنود الجزار باشا منها، والذين لا يجب أيضا أن يتواجدوا فى قلعة العريش داخل الأراضى المصرية - فباحتلاله هذه القلعة بدأ بنفسه الحرب ضد مصر.
أن مدينة يافا محاصرة من جميع الجهات ومدافع البطاريات بجميع أنواعها سوف تقصف بأقصى طاقاتها بعد ساعتين لتهدم حصونكم واستحكاماتكم وتفتك بحاميتكم.
أن القايد العام يرغب صادقا بدافع من العطف والشفقة فى تجنيب المدينة بأسرها أهوال الاغارة عليها واقتحامها، وأنه يمنح الأمان للحامية الحماية للمدينة، ومن أجل ذلك فهو يؤخر بدء إطلاق النار حتى الساعة السابعة صباحا.
إمضاء الكسندر برتييه.

وحالا فى الوقت والساعة هيج سارى عسكر واشتد غضبه على الجماعة وأمر بابتدا ضرب المدافع والقنابر الموجب للتدمير، وبعد مضى زمان يسير تعطلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس وانقلب عسكر الجزار فى وبال وتنكيس، وفى وقت الظهر من هذا اليوم انخرق سور يافا وارتج له القوم ونقب من الجهة التى ضرب فيها المدافع من شدة النار، ولا راد لقضا الله ولا دافع، وفى الحال أمر حضرة سارى عسكر بالهجوم عليهم وفى أقل من ساعة ملكت الفرنساوية جميع البندر والأبراج ودار السيف فى المحاربين* واشتد بحر الحرب وهاج، وحصل النهب فيها تلك الليلة، وفى يوم الجمعة غرة شوال وقع الصفح الجميل من حضرة سارى عسكر الكبير ورق قلبه على أهل مصر من غنى وفقير الذين كانوا فى يافا وأعطاهم الأمان وأمرهم برجوعهم إلى بلدهم مكرمين، وكذلك أمر أهل دمشق وحلب برجوعهم إلى أوطانهم سالمين لأجل أن يعرفوا مقدار شفقته ومزيد رأفته ورحمته يعفو عند المقدرة ويصفح وقت المعذرة مع تمكينه ومزيد اتقانه وتحصينه.

وفى هذه الواقعة قتل أكثر من أربعة آلاف من عسكر الجزار بالسيف والبندق لما وقع منهم من الانحراف.

وأما الفرنساوية فلم يقتل منهم إلا القليل والمجروحون منهم ليسوا بكثير، وسبب ذلك سلوكهم إلى القلعة من طريق أمينة خافية عن العيون وأخذوا ذخاير كثيرة وأموالا غزيرة، وأخذوا المراكب التى فى المينة واكتسبوا أمتعة غالية ثمينة، ووجدوا فى القلعة أكثر من ثمانين مدفعا ولم يعلموا مع مقادير الله أن آلات الحرب لا تنفع، فاستقيموا عباد الله

* لم يعلم الجبرتى ولم يفهم الشيخ المهدى الذى حرّر ذلك البلاغ الغرض من العبارة التى روى فيها المنشور قتل أكثر من أربعة آلاف من عسكر الجزار بالسيف والبندق، وإلا لو علم الكاتب أو الناقل كيف كان ذلك أو على أية حالة، ولأى سبب قتلوا، لما تركها تمرُّ دون أن يعلق عليها بكلمة استهجان واستنكار؛ ويسأل كيف يتفق ذلك العمل الوحشى مع وصفه بونابرت ومقدار شفقته ومزيد رأفته ورحمته!!

وحكاية هذه المسألة أن بونابرت لما فتح يافا أباح لجنده تلك المدينة مدة يومين كاملين يفعلون بها وبأهلها ما يشاؤون، وما أدرى لماذا فعل ذلك، وهو يريد استجلاب الخواطر واكتساب ميول أهل الشام من مسلمين ونصارى، ولعله قد غاظه ما فعل حاكمها برسوله، أو لعله خسر فى الواقعة بعضا من جند جيشه، وهو حريص عليه لقلة عدده، أو لعله أراد أن يعوض على الجنود ما قاسوه من المشقة فى قطع فيافى الصحراء والاحتراق بشواظها، لكيلا يدب دبيب التذمر والشكوى من جرّاء ما يلاقونه من النصب والعناء. ولقد فعل جنده فى تلك البلدة البائسة من الشرور والفضايح ما تقشعر له الأبدان حتى أن بونابرت نفسه كتب فى تقريره الذى بعث به لحكومة الديركتوار: «إنه لم تتصور له فظائع الحرب مثلما ظهرت له فى يافا» !

فلما رأى بونابرت الشرور التى تجرى فى البلدة وخزه ضميره وأرسل ضابطين من ضباطه لمنع الجنود عما يفعلون فوجدوا أن طايفة كبيرة من جند الجزار ومن غيرهم قد تحصنوا فى بعض المنازل والخانات وصاروا يدافعون عن أنفسهم دفاع المستميت

فطلب إليهم أوليك الضباط الفرنسيون أن يسلموا فأبوا إلا أن يؤمنوا على حياتهم، فأمنوهم فسلموا سلاحهم وقبض عليهم كأسرى. وهنا اختلفت الروايات فى عدد أوليك الاسرى، ففى رواية انهم كانوا أربعة آلاف، وفى رواية أخرى انهم كانوا الفين فقط، والرواية الأولى أقرب إلى الصحيح بدليل ذكر هذا العدد فى بلاغ بونابرت للمصريين.

وإلى القارىء حكاية ما جرى نقلا عن مذكرات بوريين: قال:

«كنت أتمشى مع الجنرال بونابرته أمام خيمته وإذ به قد أبصر ذلك الجمع المحتشد من الاسرى يسوقه الجند فقبل أن يقع نظره على الضابطين اللذين بعث بهما من أركان حربه التفت إلىّ بصوت يتهدج من الحزن قايلا: «ماذا يريدون منى أن أفعل بهولا الرجال: هل عندى من الزاد ما يكفيهم؟ الدىً من السفن ما يلزم لنقلهم إلى مصر أول إلى فرنسا؟ لماذا أوقعونى فى هذا المشكل» وبعد أن أصاخ بونابرته سمعا لما قاله الضابطان وهما بوهارنيه وكروازيه وبخهما توبيخا شديدا على سلوكهما، ولكن لا ينفع اللوم إذ الواقع أنه أصبح أمامنا أربعة آلاف أسير ويجب البت فى امرهم. ودافع الضابطان عن أنفسهما بأنه أمرهما أن يوقفا تيار القتال، فكان جواب بونابرت «إنما أردت أن تمنعوا التعدى على النسوة والأطفال والعجزة المستسلمين من الأهالى، ولكن لم أرد بذلك الجنود المسلحة فلقد كان الأولى بكما أن تقتلاهم بدلا من أن تأتيانى بهذا القدر من الأسرى المنكودى الحظ! فماذا تريدون أن أصنع بهم؟».

قال كتاب الفرنساويين انه عقد مجلس حربىّ للبت فى أمر أولئك الاسرى وانفض على انه لم يقرر رأيا

وارضوا بقضا الله ولا تعترضوا على أحكام الله وعليكم بتقوى الله، واعلموا أن الملك لله يؤتيه من يشا والسلام عليكم ورحمة الله.

فلما تحقق الناس هذا الخبر تعجبوا وكانوا يظنون بل يتيقنون استحالة ذلك خصوصاً فى المدة القليلة ولكن المقضى كاين.

وفى يوم الجمعة خامس عشرة شق جماعة من أتباع الشرطة فى الأسواق والحمامات والقهاوى ونبهوا على الناس بترك الفضول والكلام واللغط فى حق الفرنسيس ويقولون لهم من كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر فلينته ويترك الكلام فى ذلك فإن ذلك مما يهيج العداوة وعرفوهم أنه إن بلغ الحاكم من المتجسسين عن أحد تكلم فى ذلك عوقب أو قتل، فلم ينتهوا وربما قبض على البعض وعاقبوه بالضرب والتغريم.

وفى ذلك اليوم كان التحويل الربيعى وانتقال الشمس لبرج الحمل وهو أول شهر من شهورهم [شهور الجمهورية] فعملوا ليلة السبت شنكا وحراقة سواريخ وتجمعوا بدار الخلاعة نسا ورجالا وتراقصوا وتسابقوا وأوقدوا سراجا وشموعا وغير ذلك وأظهر الأقباط والشوام مزيد الفرح والسرور.

وفى يوم السبت المذكور أرسلوا الأعلام والبيارق التى أحضروها من قلعة يافا وعدتها ثلاثة عشر، وفيها من له طلايع فضة كبار إلى الجامع الأزهر وكانوا أنزلوا أعلام قلعة

العريش قبل ذلك بيوم من أعلى المنارات وأرسلوا بدلها أعلام يافا وعملوا لها موكبا بطايفة من العسكر يتقدمهم طبلهم وخلفهم الأغا بجماعته وطايفته والمحتسب ومدبرو الديوان وخلفهم طبل آخر يضربون عليه بإزعاج شديد وخلف ذلك الطبل جماعة من العسكر يحملون البنادق على أكتافهم كالطايفة الأولى وبعدهم عدة من العسكر على روسهم عمايم بيض يحملون تلك الأعلام الكبار والبيارق المذكورة ،خلفهم جماعة خيالة من كبار العسكر وآخرون راكبون على حمير المكارية. فلما وصلوا إلى باب الجامع الأزهر رتبوا تلك الأعلام ووضعوها على أعلى الباب الكبير فوق المكتب منشورة، وبعضها على الباب الآخر من الجهة الأخرى عند حارة كتامة المعروفة الآن بالعينية ولم يصعدوا منها على المنارات كما صنعوا فى أعلام العريش.

وفى يوم الأحد سابع عشره رتبوا أوامر وكتبوها فى أوراق مبصومة [مطبوعة] وألصقوها بالأسواق إحداها بسبب مرض الطاعون وأخرى بسبب الضيوف الأغراب ومضمون الأولى بتقاسيمه ومقالاته.

خطابا لأهل مصر وبولاق ومصر القديمة ونواحيها أنكم تمثلون هذه الأوامر وتحافظون عليها ولا تخالفوها وكل من خالفها وقع له مزيد الانتقام والعقاب الأليم والقصاص العظيم، وهى المحافظة من تشويش الكُبَة [الطاعون]* وكل من تيقنَ أو ظننتم أو توهمتهم أو شككتم فيه ذلك فى محل من المحلات أو بيت أو وكالة أو ربع يلزمكم ويتحتم عليكم أن تعملوا كرنتيلة، ويجب قفل ذلك المكان ويلزم



حاسماً، وانعقد مجلس آخر ولم يوفق لقرار، وطال الجدال والأخذ والرد، وانتهى الامر بأن تقرر إعدامهم جميعاً رميًا بالرصاص وهم عزل من السلاح!!

وفى دفاع نابليون أو تبريره لذلك العمل قوله: «وانى مستعد أن أعيد ذلك العمل إذا وجدت فى نفس الظروف التى كنت فيها، وكذلك كان يفعل الدوق ولنجتون الانكليزى وغيره من القواد الذين يوجدون فى مثل ما وجدت فيه من الظروف». ولكن على الرغم من كل دفاع وظروف حربية اضطرارية، فان ذلك العمل إنما ينظر إليه، ويحكم عليه، من الوجهة الإنسانية، وحكمها فى ذلك واحد لا يتغير، وهو أن قتل الاسرى العزل من السلاح الذين أمنوا على حياتهم، على لسان ضباط من الجيش، جريمة لا تغتفر وعار لا يمحى! وغريب دفاع بعض الكتاب الفرنساويين الذين كانوا مع الحملة مثل فيجو روسوليون Vigo-Rousillon فى دعواه «إننا لما كنا فى الشرق اتبعنا عادات الشرقيين» ! فلو سلمنا جدلا أن الشرقيين كانوا يفعلون بالاسرى مثل ذلك الفعل، فأين الفرق، على دعواكم، بين المدنية والهمجية، يا أبناء الثورة الفرنسية، ورافعى الراية الأخاء والمساواة والحرية؟.

* خطابين لأهل مصر بخصوص الطاعون (الكبه) والتبليغ عن الأغراب.



* القلقات ومشايخ الحارات.

شيخ الحارة أو السوق الذى فيه ذلك أن يخبر حالا قلق الفرنساوية حاكم ذلك الخط والقلق يخبر شيخ البلد قايمقام مصر وأقاليمها ويكون ذلك فورا وكذلك كل ملة من سكان مصر وأقاليمها وجوانبها والأطبا إذا تحققوا وعلموا حصول ذلك المرض يتوجه كل طبيب إلى قايمقام ويخبره ليأمره بما هو مناسب للصيانة والحفظ من التشويش وكل من كان عنده خبر من كبار الأخطاط أو مشايخ الحارات وقلقات الجهات ولم يخبر بهذا المرض يعاقب بما يراه قايمقام ويجازى مشايخ الحارات بماية كرباج جزا للتقصير، وملزوم أيضًا من أصابه هذا التشويش أو حصل فى بيته لغيره من عيلته أو عشيرته وانتقل من بيته إلى آخر أن يكون قصاصه الموت وهو الجانى على نفسه بسبب انتقاله، وكل ريس ملة فى خط إذا لم يخبر بالكبة الواقعة



فى خطه أو بمن مات بها إيضاحا فوريا كان عقاب ذلك الريس وقصاصه الموت. والمغسل إن كان رجلا [أو] امرأة إذا رأى الميت أنه مات بالكبة أو شك فى موته ولم يخبر قبل مضى أربع وعشرين ساعة كان جزاه وقصاصه الموت، وهذه الأوامر الضرورية بلزوم أغات الينكجرية وحكام البلد الفرنساوية والإسلامية تنبيه الرعية واستيقاظهم لها فإنها أمور مخفية، وكل من خالف حصل له مزيد الانتقام من قايمقام، وعلى القلقات البحث والتفتيش عن هذه العلة الردية لأجل الصيانة والحفظ لأهل البلد والحذر من المخالفة والسلام.

ومضمون الثانية الخطاب السابق من سارى عسكر دوجا الوكيل وحاكم البلد دسنى قايمقام.

يلزم المديرين بالديوان أنهم يشهرون الأوامر وينتبهون لها، وكل من خالف يحصل له مزيد الانتقام. وهو أنه يتحتم ويلزم صاحب كل خمارة أو كالة أو بيت الذى يدخل فى محله ضيف أو مسافر* أو قادم من بلدة أو إقليم أن يعرّف عنه حالا حاكم البلد ولا يتأخر عن الإخبار إلا مدة أربع وعشرين ساعة يعرفه عن مكانه الذى قدم منه وعن سبب قدومه وعن مدة سفره ومن أى طايفة أو ضيفًا أو تاجرًا أو زايرًا أو غريمًا مخاصما لابد لصاحب المكان من إيضاح البيان والحذر ثم الحذر من التلبيس والخيانة، وإذا لم يقع تعريف عن كامل ما ذكر فى شأن القادم بعد الأربع وعشرين ساعة بإظهار اسمه وبلده وسبب قدومه يكون صاحب المكان متعديا ومذنبا وخاينا وموالسا مع المماليك.



* سارى عسكر دوجا.

* سارى عسكر دوجا. حاكم القاهرة يصدر منشور للأهالى بضرورة التبليغ عن أى ضيف يأتى إليهم.

ونخبركم معاشر الرعايا وأرباب الخمامير والوكايل أن تكونوا ملزومين بغرامة عشرين ريالا فرانسة فى المرة الأولى، وأما فى المرة الثانية فإن الغرامة تضاعف ثلاث مرات، ونخبركم أن الأمر بهذه الأحكام مشترك بينكم وبين الفرنسيس الفاتحين للخمامير والبيوت والوكايل والسلام.

* مصطفى بك كتخدا الباشا وأمير الحاج يقوم بأعمال السلب والنهب.

وفيه اجتمعوا بالديوان وتفاوضوا في شأن مصطفى بك كتخدا الباشا المولى أمير الحاج .وهو أنه لما ارتحل مع سارى عسكر وصحبته القاضى والمشايخ الذين عينوا للسفر والوجاقلية والتجار وافترق منهم عند بلبيس وتقدم هو إلى الصالحية، ثم إنهم انتقلوا إلى العرين فحضر جماعة من العساكر المسافر فاحتاجوا إلى الجمال فأخذوا جمالهم.

فلما وصل سارى عسكر إلى وطنه أرسل يستدعيهم إلى الحضور فلم يجدوا ما يحملون عليه متاعهم، وبلغهم أن الطريق مخيفة من العرب فلم يمكنهم اللحاق به فأقاموا بالعرين (بالعين المهملة) عدة أيام، وأهمل أمرهم سارى عسكر، ثم إن الشيخ الصاوى والعريشى والدواخلى وآخرين خافوا عاقبة الأمر ففارقوهم وذهبوا إلى القرين* (بالقاف) وحصل للدواخلى توعك وتشويش ، فحضر إلى مصر كما تقدم ذكر ذلك، وانتقل مصطفى بك المذكور والقاضى وصحبتهم الشيخ الفيومى وآخرون من التجار والوجاقلية إلى كفور نجم وأقاموا هناك أياماً.

(*) القرين: إحدى قرى مركز أبو حماد ـ شرقية.

واتفق أن الصاوى أرسل إلى داره مكتوباً وذكر فى ضمنه أن سبب افتراقهم من الجماعة أنهم رأوا من كتخدا الباشا أموراً غير لايقة ،فلما حضر ذلك المكتوب طلبه الفرنساوية المقيمون بمصر وقروه وبحثوا عن الأمور الغير اللايقة فأوّلَها

بعض المشايخ أنه قصّر فى حقهم والاعتنا بشأنهم، فسكتوا وأخذوا فى التفحص فظهر لهم خيانته ومخامرته عليهم، واجتمع عليه الجبالى وبعض العرب العصاة وأكرمهم وخلع عليهم وانتقل بصحبتهم إلى منية غمر [ميت غمر] ودقدوس* وبلاد الوقف وجعل يقبض منهم الأموال، وحين كانوا على البحر مر بهم مواكب تحمل الميرة والدقيق إلى الفرنسيس بدمياط فقاطعوا عليهم وأخذوا منهم ما معهم قهرا وأحضروا المراكبية بالديوان فحكوا على ما وقع لهم معه، فأثبتوا خيانة مصطفى بك المذكور وعصيانه وأرسلوا هجانا بإعلام سارى عسكرهم بذلك، فرجع إليهم بالجواب يأمرهم فيه بأن يرسلوا له عسكراً ويرسلوا إلى داره جماعة ويقبضون عليه ويختمون على داره ويحبسون جماعته*.

وفى يوم الأحد رابع عشرينه عينوا عليه عسكراً وأرسلوا إلى داره جماعة ومعهم وكلا فقبضوا على كتخدايه الذى كان ناظراً على الكسوة وعلى ابن أخيه ومن معهم وأودعوهم السجن بالجيزة، وضبطوا موجوداته وما تركه مخدومه بكر باشا بقايمة وأودعوا ذلك بمكان بالقلعة. فوجدوا غالب أمتعة الباشا ويرقه وملابسه وعبى الخيل والسروج وغيرها شيًا كثيراً، ووجدوا بعض خيول وجمال أخذوها أيضًا فانقبض خواطر الناس لذلك، فإنهم كانوا مستأنسين بوجوده ووجود القاضى ويتوسلون بشفاعتهما عند الفرنسيس وكلمتهما عندهم مقبولة وأوامرهما مسموعة، ثم إنهم أرسلوا أمانا للمشايخ والوجاقلية والتجار بالحضور إلى مصر مكرمين ولا بأس عليهم.

* دقدوس: من قرى مركز ميت غمر ـ دقهلية.

* كان بونابرت قد أمر مصطفى بك الذى عينه أميرا للحج ـ باللحاق به فى سوريا مع عدد من مشايخ ديوان القاهرة وذلك سعيا إلى ضوب مثل طيب للسكان المحليين ـ وبدلا من عبور سيناء يلفق الأمير الذرايع للبقا فى شرق الدلتا وهو مركز القلاقل فى ذلك الوقت ـ وقام انصار الأمير مصطفى بمهاجمة طابور فرنسى فأمر دوجا بالقبض على أفراد بيته فى القاهرة. وأدى هذا بالتالى إلى أن دوجا لم يوافق على رحيل قافلة الحج المصرى برا وأعلن انها سترسل بحرا.

* حضور عمر مكرم إلى دمياط من يافا بعد سقوطها فى يد الفرنساوية.

وفيه ورد الخبر بأن السيد عمر أفندى [مكرم] نقيب الأشراف حضر* إلى دمياط وصحبته جماعة من أفندية الروزنامة الفارين مثل عثمان أفندى العباسي وحسن أفندى كاتب الشهر ومحمد أفندى ثانى قلفة وباش جاجرت والشيخ قاسم المصلي وغيرهم، وذلك أنهم كانوا بقلعة يافا فلما حاصرها الفرنساوية وملكوا القلعة والبلد لم يتعرضوا للمصريين وطلبهم إليه وعاتبهم على نقلهم وخروجهم من مصر وألبسهم ملابس وأنزلهم فى مركب وأرسلهم إلى دمياط من البحر.

وفى يوم الاثنين نادوا فى الأسواق على المماليك والغز والأجناد الأغراب بأنهم يحضرون إلى بيت الوكيل ويأخذون لهم أوراقا بعد معرفتهم والتضمين على أنفسهم، ومن وجد من غير وثيقة فى يده بعد ذلك يستاهل الذى يجرى عليه، وسبب ذلك إشاعة دخول الكثير منهم إلى مصر خفية بصفة الفلاحين.

* الحج عن طريق البحر فقط من السويس.

وفى يوم الثلاثا نادوا فى الأسواق والشوارع بأن من أراد الحج فليحج* فى البحر من السويس صحبة الكسوة والصرة، وذلك بعد أن عملوا مشورة فى ذلك.

* محاولة مصطفى بك كتخدا الباشا التنصل من جرايمه.

وفيه حضر إمام كتخدا* الباشا ومعه مكتوب فيه الثنا على الفرنساوية وشكر صنيعهم واعتنايهم بعملهم موكب الكسوة والدعا لهم وأنه مستمر على مودته ومحبته معهم ويطلب منهم الإجازة بالحضور إلى مصر ليسافر بصحبة الكسوة والحجاج فإن الوقت ضاق ودخل أوان السفر للحج، وفى آخر المكتوب:

وإن بلغكم من المنافقين عنا شي فهو كذب ونميمة فلا تصدقوه، فقرى كتابه بالديوان، فلما فهمه الفرنسيس كذبوه ولم يصغوا إليه، وقالوا إن خيانته ثبتت عندنا فلا ينفعه هذا الاعتذار، ثم كتبوا له جوابا وأرسلوه صحبة إمامه مضمونه:

إن كان صادقا فى مقالته فليذهب إلى جهة سارى عسكر بالشام ، وأمهلوه ست ساعات بعد وصول الجواب إليه، وإن تأخر زيادة عليها كان كاذباً فى مقالته، وأمروا العسكر بمحاربته والقبض عليه.

وفيه كتبوا أوراقا ونادوا بها في الشوارع وهي:

يا أهل مصر نخبركم أن أمير الحاج رفعوه عن سفره بالحاج بسبب ما حصل منه، وأن أهل مصر علما ووجاقات ورعايا لم يخالطوه فى هذا الأمر ولم ينسب لهم شى، فالحمد لله الذى برأ أهل مصر من هذه الفتنة وهم حاضرون سالمون غانمون ما عليهم سو، ومن كان مراده الحج يؤهل نفسه ويسافر صحبة الصرة والكسوة فى البحر والمراكب حاضرة والمعينون المحافظون من أهل مصر صحبة الحاج حاضرون، يكون فى علمكم أن تكونوا مطمنين واتركوا كلام الحشاشين.

وفي يوم السبت غايته حضر المشايخ والوجاقات والتجار ما خلا القاضى فإنه لم يحضر وتخلف مع مصطفى كتخدا.

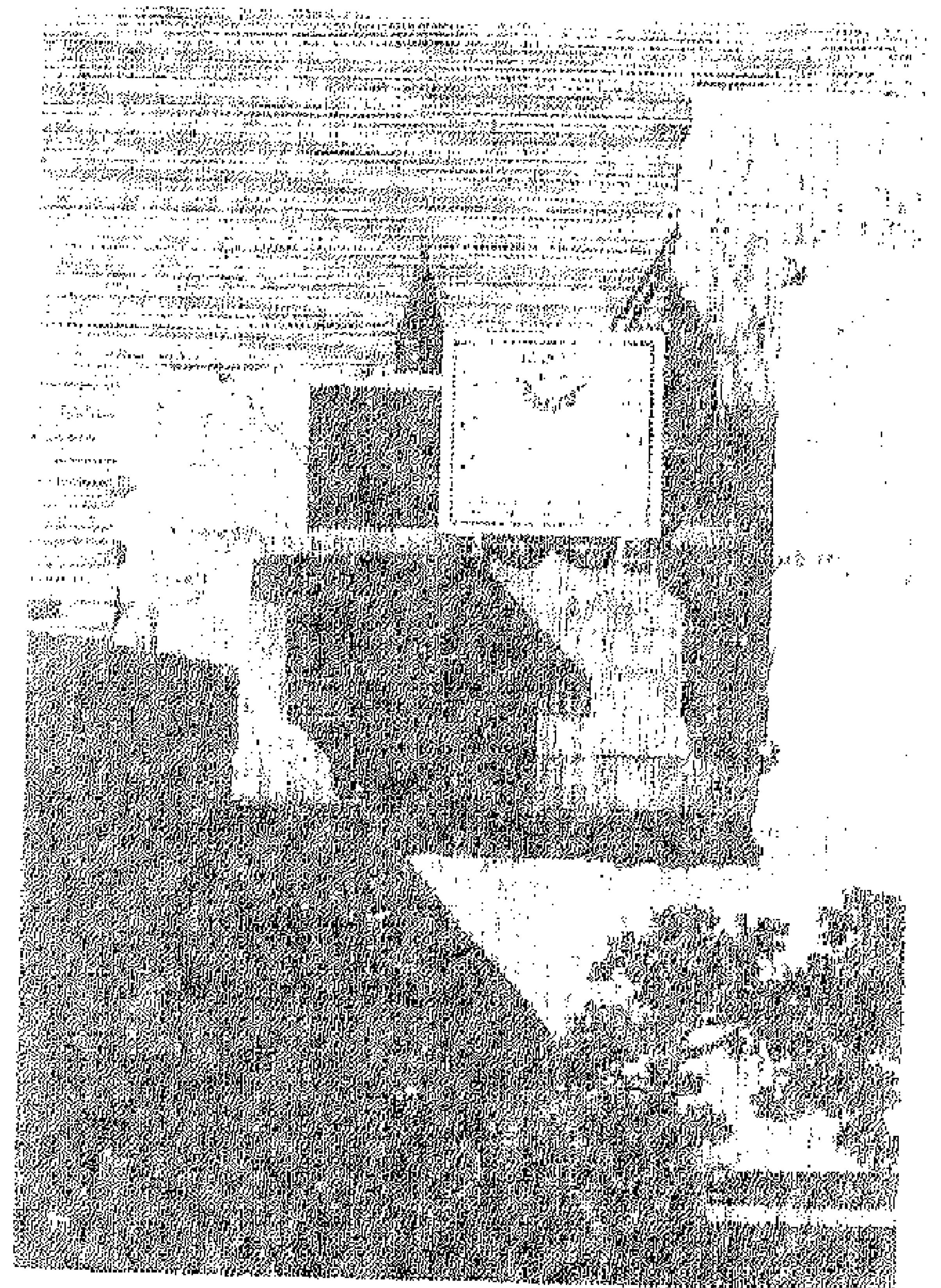
وانقضى هذا الشهر وما تجدد به من الحوادث التى منها أن الفرنساوية عملوا جسرا من مراكب مصطفة وعليها أخشاب مسمرة من بَرِّ مصر بالقرب من قصر العينى إلى

الروضة قريبا من موضع طاحون الهوا، تسير عليه الناس بدوابهم وأنفسهم إلى البر الآخر، وعملوا كذلك جسراً عظيما من الروضة إلى الجيزة.

* توت يرسم خطوط البسيطة (الأرض).

ومنها أن توت* الفلكى رسم فى فُسْحة دارهم العليا ببيت حسن كاشف جركس خطوط البسيطة لمعرفة فضل الدايرة لنصف النهار على البلاط المفروش بطول الفسحة، ووضع لها بدل الشاخص دايرة مثقوبة بثُقَب عديدة فى أعلى الرفوف مقابلة لعرض الشمس ينزل الشعاع من تلك الثقب ويمر على الخطوط المرسومة المقسومة، ويعرف منه الباقى للزوال ومدارات البروج شهراً شهراً وعلى كل برج صورته ليعلم منه درجة الشمس ، ورسم أيضًا مزولة بالحايط الأعلى على حوش المكان الأسفل المشترك بين الدارين بشاخص على طريق وضع المنحرفات والمزاول ولكن للساعات قبل الزوال وبعده، خلاف الطريق المعروفة عندنا بوقت العصر وفضل دايرة الغروب وقوس الشفق والفجر وسمْت القبلة وتقسيم الدَرَج وأمثال ذلك، لأجل تحقيق أوقات العبادة وهم لا يحتاجون إلى ذلك فلم يعاينوه، ورسم أيضا بسيطة على مربعة من نحاس أصفر منزلة بخطوط عديدة فى قاعدة عمود قصير طوله أقل من قامة قايم بوسط الجنينة وشاخصها مثلث من حديد يمر ظل طرفه على الخطوط المتقاطعة، وهى متقنة الرسم والصناعةوحولها معاريفها واسم واضعها باالخط السلس [الثلث] العربى المجود حفراً فى النحاس، وفيها تنازيل الفضة على طريقة أوضاع العجم وغير ذلك.

* المزولة فى فناء بيت حسن كاشف.



ومنها أنهم لما سخطوا على كتخدا الباشا وقبضوا على أتباعه وسجنوهم وفيهم كتخداه الذى كان ناظراً على الكسوة فقيدوا فى النظر على مباشرة إتمامها صاحبنا السيد إسماعيل الوهبى المعروف بالخشاب أحد العدول(*) بالمحكمة فنقلها لبيت أيوب جاويش بجوار مشهد السيدة زينب وتمموها هناك وأظهروا أيضًا الاهتمام بتحصيل مال الصرة وشرعوا فى تحرير دفتر إرسالية خاصة.

---

## واستهـل شهـر القعدة بـيوم الأحد سنة ١٢١٣

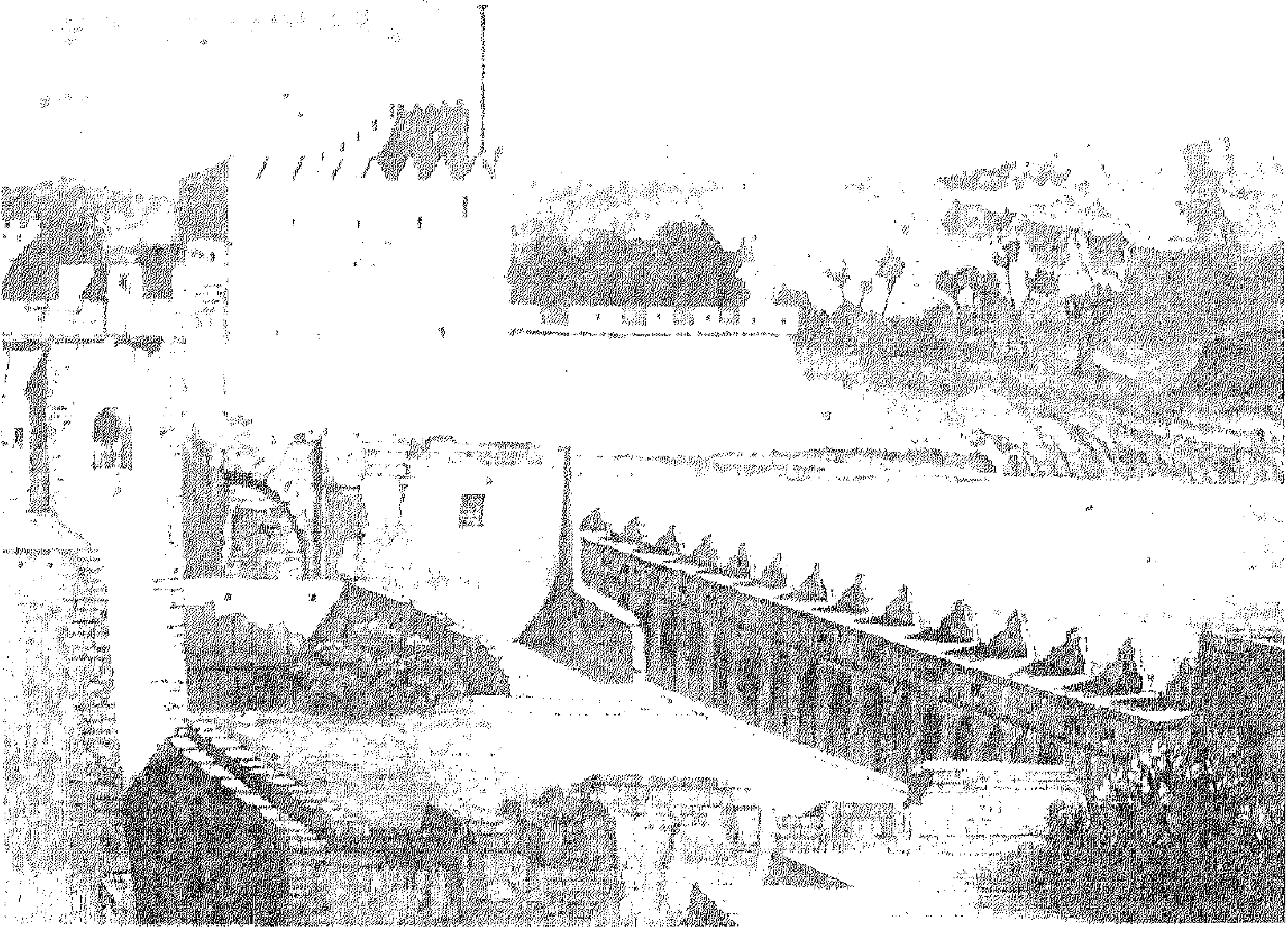
فى سادسه يوم الجمعة حضرت هجانة من الفرنسيس ومعهم مكاتبة مضمونها أنهم أخذوا حيفا وبعدها ركبوا على عكا * وضربوا عليها وهدموا جانبًا من سورها وأنهم بعد أربعة وعشرين ساعة يملكونها وأنهم استعجلوا فى إرسال هذه الهجانة لطول المدة والانتظار لئلا يحصل لأصحابهم القلق فكونوا مطمينين وبعد سبعة أيام نحضر عندكم والسلام.

وفيه حضرت مغاربة حجاج إلى بر الجيزة فتحدث الناس وكثر لغطهم وتقوّلوا بأنهم عشرون ألفًا حضروا لينقذوا مصر من الفرنسيس، فأرسل الفرنسيس للكشف عليهم فوجدوهم طايفة من خلايا وقرى فاس [بالمغرب] مثل الفلاحين فأذنوا لهم فى تعدية بعض أنفار منهم لقضا أشغالهم.

فحضر شخص منهم إلى الفرنسيس ووشى إليهم أنهم قدموا لمحاربتهم والجهاد فيهم وأنهم اشتروا خيلاً وسلاحا

* العدول هى وظيفة دينية تعنى القيام بأذن القاضى بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم عند التنازع. وفى العصر العثمانى لم تكن أعمال العدول قاصرة على الوظيفة التقليدية لهم بل وجدت لهم أعمال مختلفة تماما مثل توثيق العقود سواء الزواج أو الشراء وكافة المعاملات.
كما خضعت أعمال العدول للمراقبة الشديدة من جانب القضاة حفاظا على فقرا المسلمين من التدليس والغش الذى قد يقع عليهم من جانب بعض ضعاف النفوس من العدول، ويتم عزل مثل هؤلاء على الفور. وقد تمتع العدول بسلطة تحقيق واسعة فى القضايا الجنائية واستجواب شهود الحادث والكشف على المجنى عليهم.

* حصار عكا دون فائدة.



* قلعة عكا.

وقصدهم إثارة فتنة، فأرسل الفرنسيس إليهم جماعة ينظرون فى أمرهم، فذهبوا إليهم وتكلموا معهم ومع كبيرهم وعن الذى نقل عنهم، فقالوا إنما جينا بقصد الحج لا لغيره، ثم رجعوا وصحبتهم كبير المغاربة وسألوه وناقشوه فقال إنا لم نأت إلا بقصد الحج، فقيل له ولأى شى تشترون الأسلحة والخيول؟ فقال نعم لازم لنا ذلك ضرورة، فقيل له إنه نقل عنكم أنكم تريدون محاربة الفرنساوية وتقولون الجهاد أفضل من الحج، فقال هذا كلام لا أصل له، فقيل له إن الناقل لذلك رجل منكم، فقال إن هذا رجل حرامى أمسكناه بالسرقة وضربناه وحمله الحقد على ذلك، وإن هذه البلاد ليست لنا ولا لسلطاننا حتى نقاتل عليها ولا يصح أن نقاتلكم بهذه الشرذمة القليلة، وليس معنا إلا نصف قنطار بارود، ثم اتفقوا معه على أن يجمعوا

سلاحهم ويقيم كبيرهم عندهم رهينة حتى يعدى جماعته ويسافروا ويلحقهم بعد يومين بالسلاح، فأجابهم إلى ذلك فشكروه وأهدوا له هدية.

فلما كان يوم السبت خرجت عدة من العسكر إلى بولاق ومعهم مدفعان ليقفوا للمغاربة حتى يعدوا البحر ويمشوا معهم إلى العادلية ، فلما رأى الناس خروج العسكر والمدافع فزعوا فى المدينة وبولاق ورمحوا كعادتهم فى كرشاتهم وصياحهم وأشاعوا أن الفرنسيس خرجت لقتال المغاربة وأغلقوا غالب الأسواق والدكاكين وأمثال ذلك من تخيلاتهم، فلم يعد المغاربة ذلك اليوم وعدوا فى ثانى يوم ومشى معهم عسكر الفرنسيس إلى العادلية وهم يضربون الطبول وأمامهم مدفع وخلفهم مدفع مع جملة من العساكر.

وفى يوم الثلاثا عاشره سافر عدة من عسكر الفرنسيس إلى عرب الجزيرة فإن مصطفى بك كتخدا الباشا ذهب إليهم والتجا لهم فعينوا عليهم تلك العساكر.

وفى يوم الأربعا فرجوا عن جماعة من القليونجية وغيرهم الذين كانوا محبوسين بالقلعة وفيهم المعلم نقولا النصرانى الآرمنى الذى كان ريس مركب مراد بك الحربية التى أنشأها بالجيزة وأسكنوه ببيت حسن كتخدا بباب الشعرية.

وفيه حضر ابن شديد شيخ عرب الحويطات بأمان وكان عاصيا فأعطوه الأمان وخلعوا عليه وسفروا معه قافلة دقيق وبقسماط للعسكر بالشام.

وفي يوم السبت حادى عشرينه حضر «مجلون» من الناحية القبلية وصحبته أموال البلاد والغنايم من بهايم وخلافها.

وفيه عملوا كرنتيلة عند العادلية لمن يأتي من بر الشام من العسكر إلى ناحية شرق إطفيح* بسبب محمد بك الألفى.

(*) اطفيح: إحدى قرى مركز الصف محافظة الجيزة.

وفيه حضر الذين كانوا ذهبوا إلى عرب الجزيرة فضربوهم ونالوا منهم بعض النيل، وأما مصطفى بك فلم تعلم عنه حقيقة حال، قيل: إنه ذهب إلى الشام.

وفي خامس عشرينه. وصلت مراسلة من المذكور خطابا للمشايخ مضمونها أنهم يعرفون [يخبرون] أكابر الفرنسيس أنه متوجه إلى سارى عسكرهم بالشام ويرجون الإفراج عن قريبه وكتخدايه ويتحفظون على الأمتعة التي أخذوها، فإنها من متعلقات الدولة، فلما أطلعوهم على تلك المكاتبة قالوا لا يمكن الإفراج عن المذكورين حتى نتحقق أنه ذهب إلى سارى عسكر ويأتينا منه خطاب في شأنه فانه من الجايز أنه يكذب في قوله.

وفيه ثبت أن محمد بك الألفى مر من خلف الجبل وذهب إلى عرب الجزيرة ومعه من جماعته نحو المايه وقيل أكثر، والتف عليه الكثير من الغز والمماليك المشردين بتلك النواحي وقدم له العربان التقادم والكلف، فأرسل له الفرنسيس عدة من العسكر.

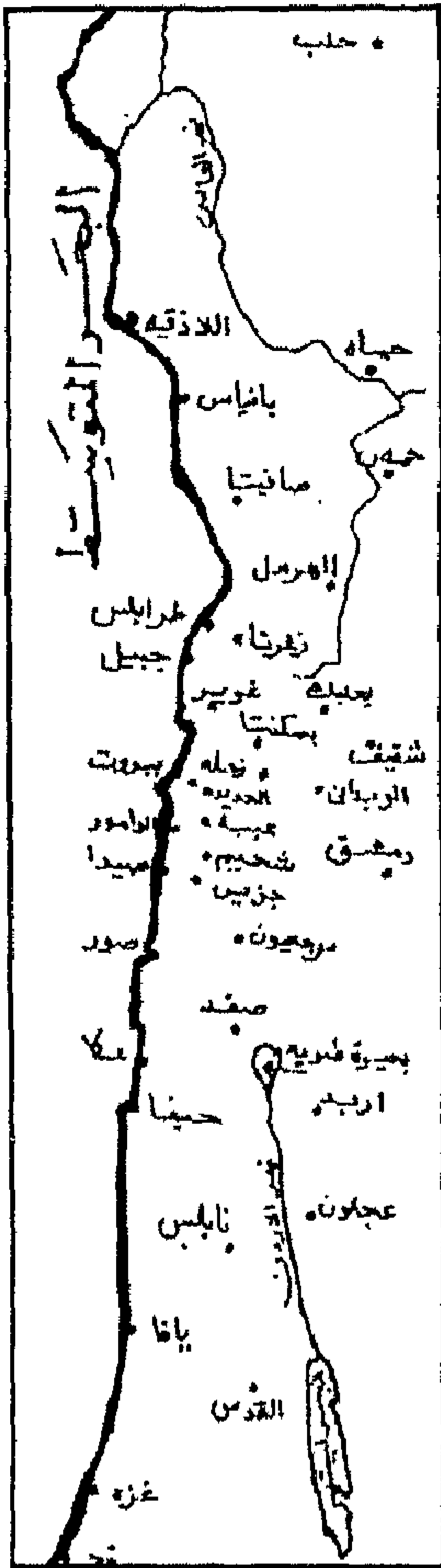
وفي سابع عشرينه خص الفرنساوية طومارا قرى بالديوان وطبع منه عدة نسخ وألصقت بالأسواق على العادة وكان

الناس أكثروا من اللغط بسبب انقطاع الأخبار عن الفرنسيس المحاصرين لعكا والروايات عمن بالصعيد والكيلاني والأشراف الذين معه وغير ذلك، وصورتها .

* بيان الديوان بشأن حصار عكا.

من محفل الديوان الكبير بمصر:

بسم الله الرحمن الرحيم ولا عدوان إلا على الظالمين نخبر أهل مصر أجمعين أنه حضر جواب من عكا من حضرة سارى عسكر الكبير خطابا منه إلى حضرة سارى عسكر الوكيل بثغر دمياط تاريخه تاسع القعدة سنة تاريخه يخبر فيه أننا أرسلنا لكم نقيرتين لدمياط الأولى أرسلناها فى خمسة وعشرين شوال والثانية فى ثمانية وعشرين منه، أخبرناكم فيهما عن مطلوبنا إرسال جانب جلل وذخاير إلى عساكرنا المحافظين في غزة ويافا لأجل زيادة المحافظة والصيانة، وأما من قبل العرضى فإن الجلل عندنا كثيرة والذخاير والمآكل والمشارب والخيرات غزيرة، حتى إنها زادت عندنا الجلل بكثرة، جمعناها بممارسته الأعدا فكأن أعدانا أعانونا، ونخبركم أننا عملنا لغما مقدار عمقه ثلاثون قدما وسرنا به حتى قربناه إلى السور الجوانى بمسافة نحو ثمانية عشر قدما وقد قربت عساكرنا من الجهة التى تحارب فيها حتى صار بينهم وبين السور ثمانية وأربعون قدما، بمشيئة الله تعالى عند وصول كتابنا إليكم، وقبل إتمام قراءته عليكم نكون ظافرين بملك قلعة عكا أجمعين، فإننا تهيأنا إلى دخولها، يأتيكم خبر ذلك بعد هذا الكتاب، وأما بقية إقليم الشام وما يلى عكا من البلاد فإنهم لنا طيعون وبالاعتنا ومزيد المحبة راغبون، يأتوننا بكل خير عظيم ويحضرون لنا أفواجًا أفواجا





* القدس: مسجد عمر.

بالهدايا الكثيرة والحب الجسيم من القلب السليم، وهذا من فضل الله علينا، ومن شدة بغضهم للجزار باشا،

ونخبركم أيضًا أن الجنرال چونوت انتصر على أربعة آلاف مقاتل حضروا من الشام خيالة ومشاة، فقابلهم بثلثماية عسكرى مشاة من عسكرنا فكسروا التجريدة المذكورة وأوقع منهم نحو ستماية نفس ما بين مقتول ومجروح ،وأخذ منهم خمسة بيارق وهذا أمر عجيب لم يقع نظيره في الحروب أن ثلثماية نفس تهزم نحو أربعة آلاف نفس فعلمنا أن النصرة من عند الله لا بالقلة ولا بالكثرة.



* الجنرال چونوت.

هذا آخر كتاب سارى عسكر الكبير إلى وكيله بدمياط وأرسل إلينا بالديوان حضرة الوكيل سارى عسكر دوجا الوكيل بمصر المحروسة ،يخبرنا بصورة هذا المكتوب ويأمرنا

أننا نلزم الرعايا من أهل مصر والأرياف أن يلزموا الأدب والإنصاف ويتركوا الكذب والخراف، فإن كلام الحشاشين يوقع الضرر للناس المعتبرين، فإن حضرة سارى عسكر دوجا* الوكيل بلغه أن أهل مصر وأهل الأرياف يتكلمون بكلام لا أصل له من قبل الأشراف.

* يذكره الجبرتى احياناً باسم «دوكا».

والحال أن الأشراف الذين يذكرونهم ويكذبون عليهم جاءت أخبارهم من حضرة سارى عسكر الصعيد يخبر الوكيل دوجا بأن الأشراف المذكورين الذين صحبة الكيلانى قد مزقوا كل ممزق وانهزموا وتفرقوا، فلم يكن الآن فى بلاد الصعيد شى يخالف المراد، وسلم من الفتن والعناد فأنتم يا أهل مصر ويأهل الأرياف اتركوا الأمور التى توقعكم فى الهلاك والتلاف وامسكوا أدبكم قبل أن يحل بكم الدمار ويلحقكم الندم والعار، والأولى للعاقل اشتغاله بأمر دينه ودنياه وأن يترك الكذب وأن يسلم لأحكام الله وقضاه، فإن العاقل يقرأ العواقب وعلى نفسه يحاسب، هذا شأن أهل الكمال يتركون القيل والقال، ويشتغلون بإصلاح الأحوال، ويرجعون إلى الكبير المتعال، والسلام.



وفى هذا الشهر كتبوا أوراقا بأوامر ونصها:

من محفل الديوان العمومى إلى جميع سكان مصر وبولاق ومصر القديمة إننا قد تأملنا وميزنا أن الواسطة الأقرب والأيمن لتلطيف أو لمنع الخطر الضرورى، وهو تشويش الطاعون عدم المخالطة مع النسا المشهورات لأنهن الواسطة الأولى للتشويش المذكور، فلأجل ذلك حتمنا ورتبنا ومنعنا إلى مدة ثلاثين يوما من تاريخه أعلاه لجميع الناس إن كان

* منشور من الديوان بعدم مخالطة النساء المشهورات (المومسات) خشية العدوى بالطاعون).

فرنساويا أومسلما أو روميا أو نصرانيا أو يهوديا من أى ملة كان، كل من أدخل إلى مصر أو بولاق أو مصر القديمة من النسا المشهورات إن كان في بيوت العسكر أو كل من كان داخل المدينة فيكون قصاصه بالموت، كذلك من قبل النسا والبنات المشهورات بالعسكر إن دخلن من أنفسهن أيضا يقاصصن بالموت.

ومن حوادث هذا الشهر أنه حضر إلى القلزم مركبان إنكليزيان* وقيل أربعةوقفوا قبالة السويس وضربوا مدافع، ففر أناس من سكان السويس إلى مصر، وأخبروا بذلك وأنهم صادفوا بعض داوات* تحمل البن والتجارة فحجزوها ومنعوها من الدخول إلى السويس.

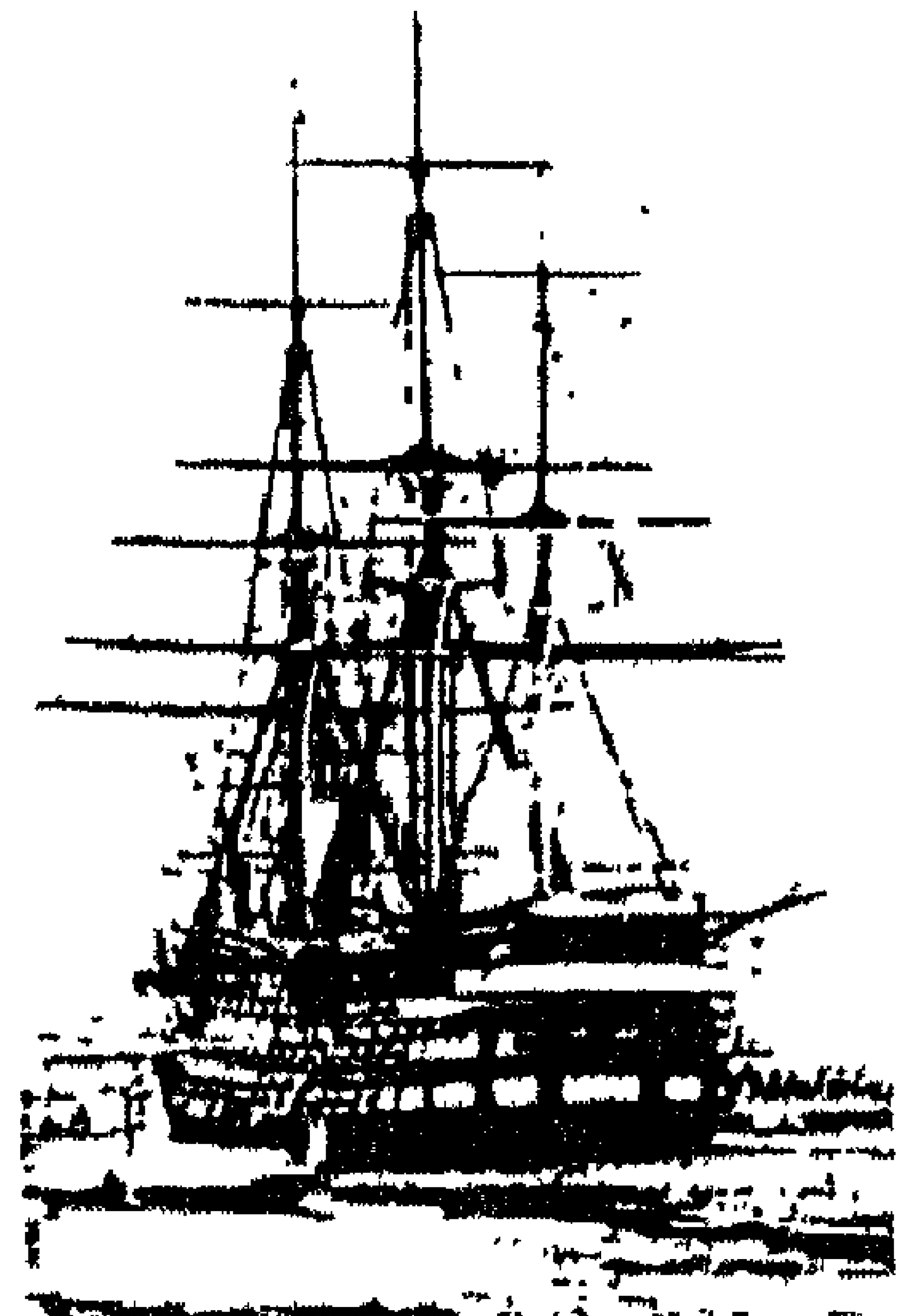
* المراكب الحربية الانجليزية تضرب السويس بالمدفعية

* مراكب تجارية تعمل فى البحر الأحمر. انظر الصورة ص ١٦٧.

ومنها أن طايفة من عرب البحيرة يقال لهم عرب الغز جاءوا وضربوا دمنهور وقتلوا عدة من الفرنسيس وعاثوا في نواحي تلك البلاد حتى وصلوا إلى الرحمانية ورشيد وهم يقتلون من يجدونه من الفرنسيس وغيرهم وينهبون البلاد والزروعات.

ومنها أن الكيلاني المذكور آنفا توفى إلى رحمة الله تعالى وتفرقت طايفته فى البلاد حتى إنه حضر منهم جملة إلى مصر وكان أكثر من يخامر عليهم أهل بلاد الصعيد فيوهمونهم معاونتهم، وعند الحروب يتخلون عنهم، وبعض البلاد يضيفهم ويسلط عليهم الفرنسيس فيقبضون عليهم.

* احد سفن الاسطول الانجليزى.





ومنها أنه حضر إلى مصر الأكثر من عسكر الفرنسيس الذين كانوا بالجهة القبلية وضربوا فى حال رجوعهم بنى عدى بلدة من بلاد الصعيد مشهورة وكان أهلها ممتنعين عليهم فى دفع المال والكلف ويرون فى أنفسهم الكثرة والقوة والمنعة فخرجوا عليهم وقاتلوهم، فملك عليهم الفرنسيس تَلا عاليا وضربوا عليهم بالمدافع فأتلفوهم وأحرقوا جرونهم، ثم كبسوا عليهم وأسرفوا فى قتلهم ونهبهم وأخذوا شيا كثيرا وأموالا عظيمة وودايع جسيمة للغز وغيرهم من مساتير أهل البلاد القبلية لظن منعتهم، وكذلك فعلوا بالميمون [ بلدة من بلاد الصعيد] .

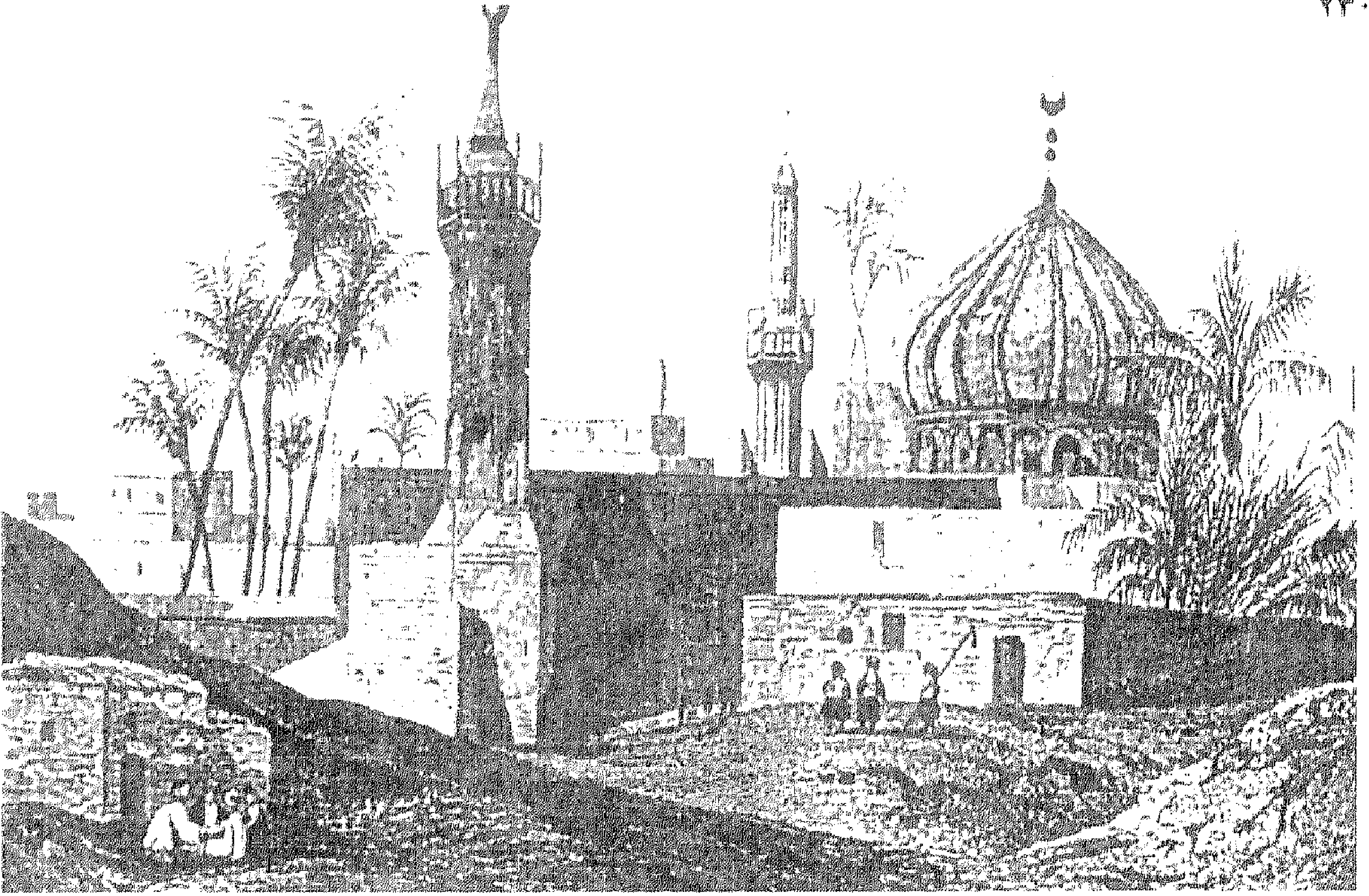
---

## واستهل شهر ذى الحجة بيوم الثلاثا
## سنة ١٢١٣

فى ثانية خرج* نحو الألف من عسكر الفرنسيس للمحافظة على البلاد الشرقية لتجمع العرب والمماليك على الألفى، وكذلك تجمع الكثير من الفرنسيس وذهبوا إلى جهة دمنهور وفعلوا بها ما فعلوا فى بنى عدى من القتل والنهب لكونهم عصوا عليهم، بسبب أنه ورد عليهم رجل مغربى يدعى المهدوية* ويدعو الناس ويحرضهم على الجهاد وصحبته نحو الثمانين نفرا فكان يكاتب أهل البلاد ويدعوهم إلى الجهاد فاجتمع عليه أهل البحيرة وغيرهم وحضروا إلى دمنهور وقاتلوا من بها من الفرنساوية واستمر أياما كثيرة تجتمع عليه أهل تلك النواحى وتفترق، والمغربى المذكور تارة يغرب وتارة يشرق.

* خروج الفرنساوية لمحاربة الألفى.

* شيخ يدعى انه المهدى ويحارب الفرنساوية فى بنى عدى بالبحيرة.



* مدينة رشيد وقت الحملة الفرنسية.

وفيه أشيع أن الألفى حضر إلى بلاد الشرقية وقاتل من بها من الفرنسيس ثم ارتحل إلى الجزيرة.

وفى سابعه حضر جماعة من فرنسيس الشام إلى الكرنتيلة بالعادلية وفيهم مجاريح وأخبر عنهم بعضهم أن الحرب لم تزل قايمة بينهم وبين أحمد باشا بعكا، وأن مهندس حروبهم المعروف بأبى خشبة عند العامة واسمه كفرللى* مات وحزنوا لموته لأنه كان من دهاتهم وشياطينهم وكان له معرفة بتدبير الحروب ومكايد القتال وإقدام عند المصاف مع ما ينضم لذلك من معرفة الأبنية وكيفية وضعها وكيفية أخذ القلاع ومحاصرتها.

* وفاة كفرللى فى عكا.

وفى الأربعا كان عيد النحر وكان حقه يوم الخميس، وعند الغروب من تلك الليلة ضربوا مدافع من القلعة إعلاما

بالعيد وكذلك عند الشروق ولم يقع فى ذلك العيد أضحية على العادة لعدم المواشى ولكونها محجوزة فى الكرنتيلة والناس فى شغل عن ذلك.


* مملوك فى زيه المنزلى.

ومن الحوادث فى ذلك اليوم أن رجلا روميا من باعة الرقيق عنده غلام مملوك ساكن فى طبقة بوكالة ذى الفقار بالجمالية خرج لصلاة العيد ورجع إلى طبقته فوجد ذلك الغلام متقلدا بسلاح ومتزييا بمثل ملابس القليونجية فقال له من أين لك هذا اللباس؟ فقال من عند جارنا فلان العسكرى، فأمره بنزع ذلك فلم يستمع له ولم ينزعها، فشتمه ولطمه على وجهه، فخرج من الطبقة وحدثته نفسه بقتل سيده، ورجع يريد ذلك فوجد عند سيده ضيفا فلم يتجاسر عليه لحضور ذلك الضيف، فوقف خارج الباب ورآه سيده فعرف من عينه الغدر، فلما قام ذلك الضيف قام معه وخرج وأغلق الباب على الغلام فصعد الغلام على السطح وتسلق إلى سطح آخر ثم تدلى بحبل إلى أسفل الخان، وخرج إلى السوق وسيفه مسلول بيده ويقول الجهاد يا مسلمين اذبحوا الفرنسيس ونحو ذلك من كلام، ومر إلى جهة الغورية فصادف ثلاثة أشخاص من الفرنسيس فقتل منهم شخصا وهرب الاثنان، ورجع على أثره والناس يعدون خلفه من بعد، إلى أن وصل إلى درب بالجمالية غير نافذ فدخله وعبر إلى دار وجدها مفتوحة وربها واقف على بابها والفرنسيس تجمع منهم طايفة وظنوا ظنونًا أخر وبادروا إلى القلاع وحضرت منهم طايفة من القلق يسألون عن ذلك المملوك وهاجت العامة ورمحت الصغار وأغلق بعض الناس حوانيتهم، ثم لم تزل الفرنسيس تسأل عن ذلك المملوك والناس يقولون لهم ذهب من هنا حتى وصلوا إلى ذلك

الدرب فدخلوه فلما أحس بهم نزع ثيابه وتدلى ببير فى تلك الدار فدخلوا الدار وأخرجوه من البير، وأخذوه وسكنت الفتنة وسألوه عن أمره وما السبب فى فعله ذلك، فقال إنه يوم الأضحية فأحببت أن أضحى على الفرنسيس، وسأله عن السلاح فقال إنه سلاحى فحبسوه لينظروا فى أمره وطلبوا سيده فوجدوه عند الشيخ المهدى وأخذوا بعض جماعة من أهل الخان، ثم أطلقوهم بدون ضرر وأخذوا سيده من عند المهدى وحبسوه، وحضر الأغا وبرطلمين إلى الخان بعد العشا وطلبوا البواب والخانجى والجيران وصعدوا إلى الطباق وفتشوا على السلاح حتى قلعوا البلاط فلم يجدوا شيا وأرادوا فتح الحواصل فمنعهم السيد أحمد بن محمود محرم فخرجوا وأخذوا معهم الخانجى وجيران الطبقة وجملة أنفار وحبسوهم أيضًا، وقتلوا المملوك فى ثانى يوم واستمر الجماعة فى الحبس إلى أن أطلقوهم بعد أيام عديدة من الحادثة.

وفى ذلك اليوم أيضًا مر نصرانى من الشوام على المشهد الحسينى وهو راكب على حمار فرآه ترجمان ضابط الخطة ويسمى السيد عبد الله، فأمره بالنزول إجلالا للمشهد على العادة فامتنع فانتهره وضربه وألقاه على الأرض، فذهب ذلك النصرانى إلى الفرنسيس وشكا إليهم السيد عبد الله المذكور فاحضروه وحبسوه فشفع فيه مخدومه فلم يطلقوه، وادعى النصرانى أنه كان بعيدًا عن المشهد وأحضر من شهد له بذلك وأن السيد عبد الله متهور فى فعله وادعى أنه ضاع له وقت ضربه دراهم كانت فى جيبه واستمر الترجمان محبوسًا عدة أيام حتى دفع تلك الدراهم وهى ستة آلاف درهم.





* الشيخ محمد المهدى الحفناوى وختمه وتوقيعه.

وفيه أرسل فرنسيس مصر إلى ريس الشام [بونابرت] ميرة على جمال العرب نحو الثمانماية جمل وذهب صحبتها برطلمين وطايفة من العسكر فأوصلوها إلى بلبيس ورجعوا بعد يومين.

وفيه حضر إلى السويس تسعة داوات بها بُن وبهار وبضايع تجارية وفيها لشريف مكة نحو خمسماية فرق بن وكانت الإنكليز منعتهم الحضور، فكاتبهم الشريف فأطلقوهم بعد أن حددوا عليهم أيامًا مسافة التنقيل والشحنة، وأخذوا منهم عشورًا وسامح الفرنسيس ابن الشريف من العشور لأنه أرسل لهم مكاتبة بسبب ذلك وهدية قبل وصول المراكب إلى السويس بنحو عشرين يوما، وطبعوا صورتها فى أوراق وألصقوها بالأسواق وهى خطاب* لبوسليك. وصورته:

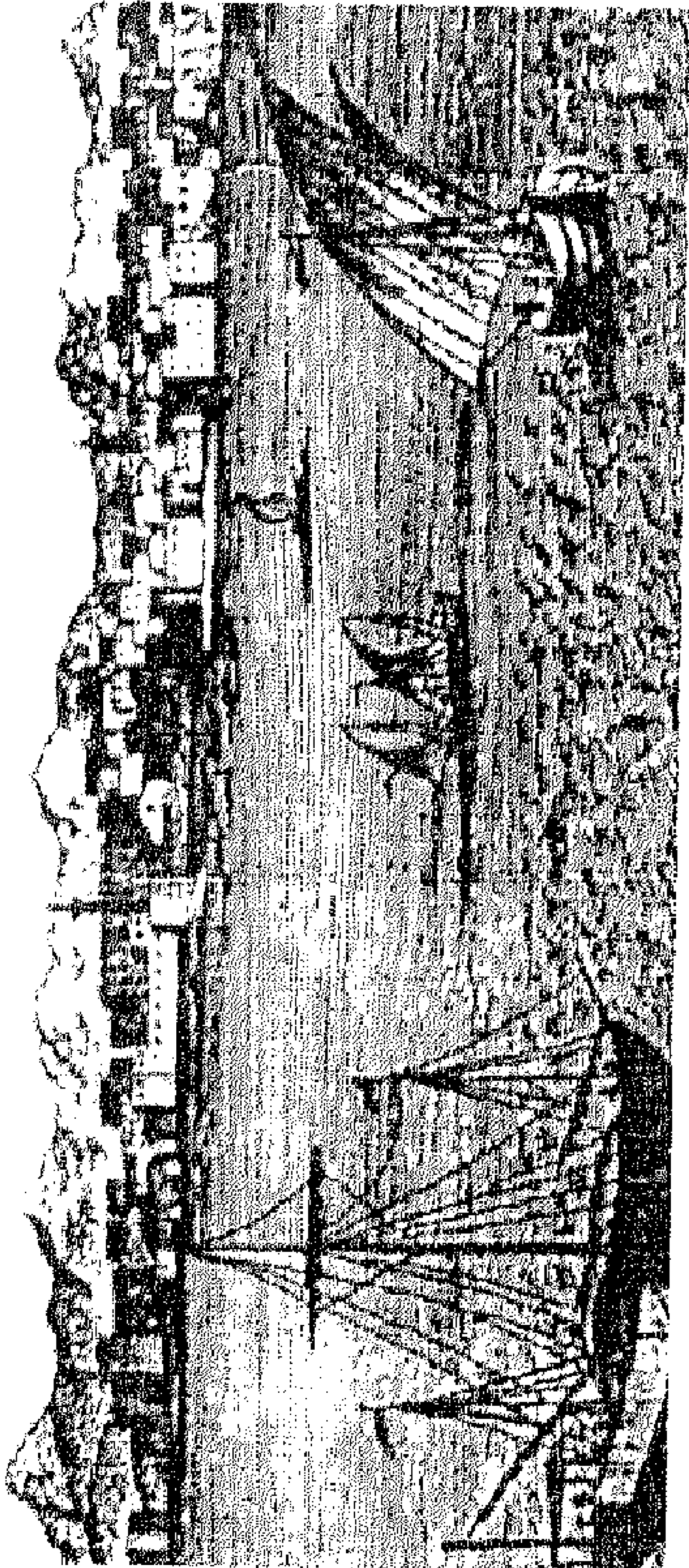
من الشريف غالب بن مساعد شريف مكة المشرفة إلي عين أعيانه وعمدة إخوانه لبوسليك مدبر أمور جمهور الفرنساوية ممهد بنيان السياسة بسداد همته الوفية، وبعد: فإنه وصل إلينا كتابك وفهمنا كامل ما حواه خطابك مما ذكرت من وصول قنجتنا [سفينتنا]، وأنك أرسلت هجانا برفع العشور عن البن وبذلت الهمة فى شأن التصرف فى نفاذ بيعه وتأملنا فى كتابك فوجدنا من صدق مقاله ما أوجب تمسكنا بوثاق الاعتماد عن تموه غياهب الشك فى كل المراد.

ووجب الآن علينا تكوين أسباب المصادقة والمبادرة فيما ينظم مهمات تسليك الطرق بيننا وبينكم من الوعث وزوال المناكرة، وشهلنا الآن إلى طرفكم خمسة مراكب مشحونة من نفس بندرنا جدة المعمورة فى هذا الأوان، ولا أمكن لنا



* تاجر بن يمنى وارد المخا.

* خطاب من الشريف غالب إلى بولسليك لتسهيل تجارته فى مصر.



خروج هذا المقدار إلا بمشقة علاج مع سلب اطمينان التجار لأن كثرة أكاذيب الأخبار أوجبت لهم مزيد الارتياب والأعذار بحيث ما بيننا وبينكم إلا العربان المختلفة رواياتهم على ممر الأزمان، وأما نحن فقد جاتنا منكم قبل هذا، المكاتيب التى أوجبت عندنا من خطاب كتبكم زوال تلك الظنون والأكاذيب فخاطرنا مستقر بالطمانينة من قبلكم لما ثبت عندنا من ألفاظ كتبكم. والمطلوب فى حال وصول كتابنا إليكم إرسال عسكر من لديكم إلى بندر السويس لأجل حفظ أموال الناس ويصلوا بالأبنان إلى مصر ويبيع التجار ويزول وقف الأسباب والباس، وتهتموا فى رجوعهم كذلك قبل بأوان ليكون ذلك سببا فى كثرة وفود الأبنان وعند رجوعهم بعد المبيع من مصر إلى السويس كذلك تصحبوهم بالعسكر من طرفكم الوثيق ليكونوا محافظين لهم من شرور الطريق لأن هذه المرة ما أرسل إليكم هذا المقدار إلا تجربة واستخبار من أعيان التجار.

وعند مشاهدة الإكرام والاحتفال بهم فى كل حال يرسلون إليك نفايس أموالهم ويهرعون بالجلب لطرفكم ويزول الريب عن قلوبهم، ونرجوا الله بهمتنا تسليك الطرقات وتنجيح المطلب وتحصيل الميراث بأحسن مما كانت من الأمان وأعظم مما سبق فى غابر الأزمان، ويكثر بحول الله الوارد إليكم من الأسباب الحجازية.

وكذلك لنا بن فى المراكب فمأمولنا منكم إلقا النظر على خدامنا وبذلك الهمة على ما هو من طرفنا، وأنتم كذلك لكم عندنا مزيد الإكرام فى كل مرام، ولا يخفاك أنه ورد

* ترجمة كتاب محرر من شريف مكة إلى المواطن بوسيلج مدير عام الإدارة المالية بتاريخ ٢٩ من ذى الحجة سنة ١٢١٣ هجرية. (١٥ بريريال سنة ٧ للجمهورية).

يا أمير أعز الأمراء وأشرفهم، يا قدوة معاصرية. يا ذا الأعمال الصالحة وصديقنا المخلص الحقيقى وزير المالية بوسيليج الذى بحكمته يذلل جميع الصعوبات التي تواجه إدارته.

بعد التسبيح لله عز وجل والسؤال عن صحتكم نفيدكم بأن خطابكم وصلنا وعلمنا مضمونه وقد محصناه جيدا وفهمنا الأسباب التى أبديتموها لنا بشأن قافلة [المحمل] مكة المكرمة ونحمد الله على ذلك.

لقد أفهمتمونا فى خطابكم أن رعايانا قد أختطلوا بأعدائكم ولكن ليكن فى علمكم أنه ما من أحد ممن يأتمرون بسلطتنا قد تجاسر أبدا على إقامة أية علاقة مع هؤلاء الذين تذكرونهم فى رسالتكم ويجوز أن بعض عرب الحدود هم الذين حاربوا ضدكم.

ونفيدكم أيضا أن سفننا قد ألقت مراسيها فى السويس ويمكن استخدامها فى شحن الكسوة الشريفة والبساط المخصص لبيت الله فى مكة. ويمكنكم تسليم هذه الوديعة الثمينة لوكيلنا محمد بن الحسين الذى نثق به كل الثقة، وهو الذى سلمكم رسالتنا هذه، وسوف يحضرها إلى هنا بإذن الله.

أعرفكم أيضا بأن لدينا سفينة بثلاثة صوارى وأخرى بها اثنان الأولى اسمها فتح الله البارى، ومزودة بـ ٣٢ مدفعا والثانية اسمها فيض الله وبها ١٤ مدفعا.

الشريف السيد محمد عقيل وهو أحد أبناء عمومتنا يمتلك أيضا مركبين

علينا قبل بأيام كتب من طرف أمير العسكر الفرنساوية محبنا بونابارته فما كان لنا منها فتأملناه وصار إليه الجواب توصله إليه وما كان منها معولا فى إرساله علينا إلى نواحى الهند وابن حيدر وإمام مسكت [مسقط] ووكيلكم الذى فى المخا، فجميعا أصدرناها من طرفنا مع من نعتمده إلى أربابها، وإن شا الله عن قريب يأتيكم الجواب والسلام.

تحريرا فى ثمانية عشر شهر ذى القعدة سنة ألف ومايتين وثلاثة عشر.

وبآخره قد وصل هذا الكتاب لمصر فى ستة عشر يوما خلت من شهر ذى الحجة فيكون مدة وصوله من مكة المشرفة إلى مصر ثمانية وعشرين يوما.

[وبعد وصول هذا الكتاب بسبعة أيام وصلت مكاتيب البشاره الخاص والعام بدخول إحدى عشر داوا إلى بندر السويس بسلام، فحصل بهذا الخبر الخزى للكذابين وبطل كلام المجرمين فألزموا الأدب مع الله وأرضوا بأحكام الله والسلام عليكم ورحمة الله.

طبع فى مطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة*].

وانقضى هذا الشهر ولما يأت خبر صحيح عن فرنسيس الشام وما جرى لهم أو عليهم إلا روايات لا يوثق بها ولا يصح بالتواتر منها إلا تكرار هجوم الفرنسيس على حصون عكا، ولم يتركوا من حيلهم ومكايدهم شيا إلا فعلوه ولم ينالوا غرضا منها.

وانقضت هذه السنة وما حصل بها من الحوادث التى لم يتفق مثلها ومن أعظمها انقطاع سفر الحج من مصر، ولم

---

أحداهما بثلاثة صوارى، ومركب عبيد لهاصاريان.
ولما كنا نرسلها عادة فى كل سنة إلى شواطىء البلاد الهندية محملة ببضائع من الحجاز لمبادلتها ببضائع هندية، نطلب منكم ٤ جوازات سفر حتى لا تضايقها السفن الفرنسية التى قد تلتقى بها فى مياه البحار الهندية أو الحجازية، لا فى ذهابها ولا فى إيابها.
عندما تصلنا هذه الجوازات سنرسل فورا بأذن الله هذا الأسطول محملا بأندر منتجات الحجاز إلى شواطىء وموانىء الهند التى نمتلكها وستظل هذه الجوازات فى أيدى قباطنة مراكبنا.
أرسلوها لنا فى أسرع وقت ممكن لأن المراكب مستعدة للإبحار. هذا كل ما عندنا لنقوله لكم ونرجوا ألا تنقطع مراسلاتنا المتبادلة.
صلوات الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
انظر. كوريبه دى ليجيبت العدد ٣٥.

* الفقرة بين حاصرتين [ ] إضافة غير موجود فى مخطوطات الجبرتى. راجع د. محمد زكريا عنانى: مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد ونابليون مجلة الداره العدد الرابع، رمضان ١٤١٦، ص ١٢، ١٣.

يرسلوا الكسوة ولا الصرة، وهذا لم يقع نظيره فى هذه القرون ولا فى دولة بنى عثمان، والأمر لله وحده.

## وأما من مات فى هذه السنة ومن الأعيان ومن له ذكر فى الناس

٥٩٢/ احمد بن موسى البيلى العدوى المالكى.

* [مات] الإمام العمدة الفقيه العلامة المحقق الفهامة المتقن المتفنن المتبحر عين أعيان الفضلا الأزهرية الشيخ أحمد بن موسى بن أحمد بن محمد البيلى العدوى المالكى.

ولد ببنى عدى سنة إحدى وأربعين وماية وألف وبها نشا فقرا القرآن وقدم الجامع الأزهر ولازم الشيخ عليا الصعيدى ملازمة كلية حتى تمهر فى العلوم وبهر فضله فى الخصوص والعمّوم.



وكان له قريحة جيدة وحافظة غريبة يملى فى تقريره خلاصة ما ذكره أرباب الحواشى مع حسن سبك، والطلبة يكتبون ذلك بين يديه.

وقد جمع من تقاريره على عدة كتب كان يقروها حتى صارت مجلدات وانتفع بها الطلبة انتفاعا عاما، ودرس فى حياة شيخه سنينا عدة، واشتهر بالفتوح [الكرامات]، وكان الشيخ الصعيدى يأمر الطلبة بحضوره وملازمته وكان فيه إنصاف زايد وتؤدة ومروة وتوجه إلى الحق.

ولديه أسرار ومعارف وفوايد وتمايم وعلم بتنزيل الأوفاق [الفلك] والوفق المئينى العددى والحرفى وطرايق تنزيله بالتطويق والمربعات وغير ذلك.

ولما توفى الشيخ محمد حسن جلس موضعه للتدريس بإشارة من أهل الباطن.

ولما توفى الشيخ أحدم الدردير ولى مشيخة رواق الصعايدة،

وله مولفات: منها مسايل كل صلاة بطلت على الإمام وغير ذلك، ولم يزل على حالته وإفادته وملازمه دروسه والجماعة، حتى توفى في هذه السنة ودفن فى تربة المجاورين، رحمة الله تعالى عليه.

٥٩٣/ أحمد بن إبراهيم الشرقاوى قتل بيد الفرنساوية فى ثورة القاهرة الأولى.

* [ومات] العلامة الفاضل الفقيه الشيخ أحمد بن إبراهيم الشرقاوى الشافعي الأزهرى قرا على والده وتفقه وأنجب ولم يزل ملازما لدروسه حتى توفي والده فتصدر للتدريس في محلة واجتمعت عليه طلبة أبيه وغيرهم ولازم مكانه بالأزهر طول النهار يملي ويفيد ويفتى على مذهبه ويأتى إليه الفلاحون من جيرة بلاده بقضاياهم وخصوماتهم وأنكحتهم فيقضى بينهم ويكتب لهم الفتاوى فى الدعاوى التى يحتاجون فيها إلى المرافعة عند القاضى وربما زجر المعاند منهم وضربه وشتمه ويستمعون لقوله ويمتثلون لأحكامه، وربما أتوه بهدايا ودراهم.

واشتهر ذكره وكان جسيما عظيم اللحية فصيح اللسان.

ولم يزل على حالته حتى أتهم فى فتنة الفرنسيس المتقدمة ومات مع من قتل بيد الفرنساوية بالقلعة ولم يعلم له قبر.

٥٩٤/ عبد الوهاب الشبراوى الشافعى، قتل بيد الفرنساوية فى ثورة الثاهرةالأولى.

* [ومات] الشيخ الإمام العمدة الفقيه الصالح القانع الشيخ عبد الوهاب الشبراوى الشافعي الأزهرى تفقه على أشياخ العصر وحضر دروس الشيخ عبد الله الشبراوى والحفنى

والبراوى وعطيه الأجهورى وغيرهم وتصدر للإقرا والتدريس والإفادة بالجوهرية وبالمشهد الحسينى ويحضر درسه فيه الجم الغفير من العامة ويستفيدون منه ويقرا به كتب الحديث كالبخارى ومسلم وكان حسن الإلقا سلس التقرير جيد الحافظة جميل السيرة مقبلا على شانه.

ولم يزل ملازما على حالته حتى اتهم فى إثارة الفتنة وقتل بالقلعة شهيدا بيد الفرنسيس فى أواخر جمادى الأولى من السنة ولم يعلم له قبر.

٥٩٥/ يوسف المصيلحى الشافعى قتل بيد الفرنساوية.

* ومات الشاب الصالح والنبيه الفالح الفاضل الفقيه الشيخ يوسف المصيلحى الشافعى الأزهرى، حفظ القرآن والمتون وحضر دروس أشياخ العصر كالشيخ الصعيدى والبراوى والشيخ عطية الأجهورى والشيخ أحمد العروسى وحضر الكثير على الشيخ محمد المصيلحى وأنجب وأملى دروسا بجامع الكردى بسويقة اللالا، وكان مهذب النفس لطيف الذات حلو الناطقة مقبول الطلعة خفيف الروح، ولم يزل ملازما على حاله حتى اتهم أيضًا فى حادثة الفرنسيس وقتل مع من قتل شهيدًا بالقلعة.

٥٩٦/ سليمان الجوسقى شيخ طايفة العميان. قتل بيد الفرنساوية.

* [ومات] العمدة الشهير الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طايفة العميان بزاويتهم المعروفة الآن بالشنوانى، تولى شيخًا على العميان المذكورين بعد وفاة الشيخ الشبراوى وسار فيهم بشهامة وصرامة وجبروت وجمع بجاههم أموالا عظيمة وعقارات فكان يشترى غلال المستحقين المعطلة بالأبعاد بدون الطفيف ويخرج كشوفاتها وتحاويلها على الملتزمين ويطالبهم بها كيلا وعينا، ومن عصى عليه أرسل

إليه الجيوش الكثيرة من العميان فلا يجد بدًا من الدفع وإن كانت غلاله معطلة صالحة بما أحب من الثمن، وله أعوان يرسلهم إلى الملتزمين بالجهة القبلية يأتون إليه بالسفن المشحونة بالغلال والمعاوضات* من السلع والسكر والزيت وغير ذلك، ويبيعها في سنى الغلوات بالسواحل والرقع بأقصى القيمة، ويطحن منها على طواحينه دقيقا ويبيع خلاصته في البطط(*) بحارة اليهود ويعجن نخالته خبزا لفقرا العميان يتقوتون به مع ما يجمعونه من الشحاذة في طوافهم آناء الليل وأطراف النهار بالأسواق والأزقة وتغنيهم بالمدايح والخرافات وقراة القرآن في البيوت ومساطب الشوارع وغير ذلك، ومن مات منهم ورثه الشيخ المترجم المذكور وأحرز لنفسه ما جمعه ذلك الميت، وفيهم من وجد له الموجود العظيم ولا يجد له معارضًا في ذلك، واتفق أن الشيخ الحفنى نقم عليه في شى فأرسل إليه من أحضره موثوقاً مكشوفا الرأس مضروباً بالنعالات على دماغه وقفاه من بيته إلى بيت الشيخ بالموسكى، بين ملأ العالم(*) .

* كانت الضرايب الزراعية يدفع جزء منها عيناً على شكل غلال أو سمن أو سكر وذلك عوضاً عن دفعها نقداً، ومن هنا سميت بالمعاوضات.

* البُطط: جمع مفرده بَطة: إناء كالقارورة. والتبطيط التجارة فيه.

* مَلأ العالم: أى على رءوس الأشهاد.

ولما انقضت تلك السنون وأهلها صار المترجم من أعيان الصدور المشار إليهم في المجالس تخشى سطوته وتسمع كلمته، ويقال قال الشيخ كذا وأمر الشيخ بكذا، وصار يلبس الملابس والفراوى ويركب البغال وأتباعه محدقة به، وتزوج الكثير من النساء الغنيات الجميلات، واشترى السرارى البيض والحبش السود وكان يقرض الأكابر المقادير الكثيرة من المال ليكون له عليهم الفضل والمنّة ولم يزل حتى حمله التفاخر في زمن الفرنسيس على تولية كِبر [الكبيرة والإثم] إثارة الفتنة التى أصابته وغيره وقتل فيمن قتل بالقلعة ولم يعلم له قبر، وكان ابنه معوقا ببيت البكرى

* الشحاذ والاعمى.



فلما علم بموته قلق وكاد يخرج من عقله خوفا على ما يعلم مكانه من مال أبيه حتى خلص فى ثانى يوم بشفاعة المشايخ ولم يكن مقصوداً بالذات بل حضر ليعود أباه فحجزه القومة عليهم زيادة فى الاحتياط.

٥٩٧/ إسماعيل البراوى الشافعى قتل بيد الفرنساوية.

* [ومات] الأجل المفوه العمدة الشيخ إسماعيل البراوى بن أحمد البراوى الشافعى الأزهرى، وهو ابن أخى الشيخ عيسى البراوى الشهير الذكر تصدر بعد وفاة والده فى مكانه، وكان قليل البضاعة لأنه تغلب عليه النباهة واللسانة [المجادلة] والسلاطة والتداخل، وذلك هو الذى أوقعه فى حبايل الفرنساوية وقتل مع من قتل شهيدا، ولم يعلم له قبر، غفر الله لنا وله.

٥٩٨/ محمد كريم السكندرى حاكم الاسكندرية الذى قتله الفرنسيس.

* [ومات] الوجيه الأجل الأمثل السيد محمد كريم السكندرى، وكريم بضم الكاف وفتح الراء وتشديد الياء مكسورة وسكون الميم مقتولا بيد الفرنسيس.

وخبره * أنه كان فى أول أمره قبانيا يزن البضايع فى حانوت بالثغر وعنده خفة فى الحركة وتودد فى المعاشرة، فلم يزل يتقرب إلى الناس بحسن التودد ويستجلب خواطر حواشى الدولة وغيرهم من تجار المسلمين والنصارى ومن له وجاهة وشهرة فى أبناء جنسه حتى أحبه الناس.

وأشتهر ذكره فى ثغر الإسكندرية ورشيد ومصر واتصل بصالح بك حتى كان وكيلا بدار السعادة وله الكلمة النافذة فى ثغر رشيد وتملكها وضواحيها واسترق أهلها.

وقلد أمرها لعثمان خجا فاتحد به وبمخدومه السيد محمد المذكور، واتصل بمراد بك بعد صالح أغا فتقرب إليه ووافق

* عن علاقة بونابرت بمحمد كريم يذكر بونابرت انه استعان بمحمد كريّم على شرا الخيول اللازمة من عرب البحيرة، وكان من اللازم له عدا شرا الخيول منهم، أن يتودد إليهم لكيلا يعاكسوه ويقطعوا خطوط مواصلاته فى سيره، ولما كان للسيد محمد كريم، بصفته أكبر حاكم فى الاسكندرية، من النفوذ على الأعراب وحاجتهم دائمًا إلى النقود، لبو الأمر سراعاً فاجتمع منهم فى يوم ٤ يوليو ثلاثون شيخا من شيوخ قبائل الهنادى، واولاد على، وبنى يونس، فى ساحة المعسكر الفرنسى فاحسن نابوليون مقابلتهم وتودد إليهم، وكتبوا

منه الغرض، ورفع شأنه على أقرانه وقلده أمر الديوان والجمارك بالثغر ونفذت كلمته وأحكامه، وتصدر لغالب الأمور وزاد فى المكوسات والجمارك ومصادرات التجار خصوصاً من الإفرنج.

ووقع بينه وبين السيد شهبة الحادثة التى أوجبت له الاختفا بالصهريج وموته فيه، فلما حضر الفرنسيس ونزلوا الإسكندرية قبضوا على السيد محمد المذكور وطالبوه بالمال وضيقوا عليه وحبسوه فى مركب*.

ولما حضروا إلى مصر وطلعوا إلى قصر مراد بك وجدوا فيه مطالعة بأخبارهم [من محمد كريم] وبالحث والاجتهاد على حربهم وتهوين أمرهم وتنقيصهم، فاشتد غيظهم عليه فأرسلوا وأحضروه إلى مصر وحبسوه، فتشفع فيه أرباب الديوان عدة مرار، فلم يمكن إلى أن كانت ليلة الخميس فحضر إليه مجلون وقال له المطلوب منك كذا وكذا من المال وذكر له قدراً يعجز عنه وأجله اثنتى عشرة ساعة. وإن لم يحضر ذلك القدر وإلا يقتل بعد مضيها.

فلما أصبح أرسل إلى المشايخ وإلى السيد أحمد المحروقى فحضر إليه بعضهم فترجاهم وتداخل عليهم واستغاث وصار يقول لهم اشترونى يامسلمين* وليس بيدهم ما يفتدونه به، وكل إنسان مشغول بنفسه ومتوقع لشى يصيبه،وذلك فى مبادى أمرهم.

فلما كان قريب الظهر وقد انقضى الأجل أركبوه حمارا واحتاط به عدة من العسكر وبأيديهم السيوف المسلولة

معه عقداً تعهدوا فيه بأن يجعلوا الطريق من الاسكندرية إلى دمنهور آمناً، وأن يوردوا ثلاثماية رأس من الخيل، فى مقابل مايتين وأربعين جنيهاً ذهباً، وخمسماية هجين فى مقابل ماية وعشرين جنيهاً وأن يقدموا ألف جمل مع قادتها لحمل الاثقال، وأن يطلقوا سراح الاسرى الفرنسيين الذين قبضوا عليهم فى مناوشاتهم قرب الاسكندرية. وقبضوا مقدماً مبلغ ألف بنتو ذهباً فسرّ نابوليون بهذه النتيجة سروراً كبيراً.

* حكم بالإعدام على سيد محمد كريم لثبوت تهمة التخابر مع المماليك بعد أن حلف يمين الإخلاص للجمهورية، وقد عمل لديهم أيضا بصفة جاسوس وقد صودرت جميع ممتلكاته المنقولة وغير المنقولة لصالح الجمهورية. ونفذ الحكم يوم ٢٠ ظهرا في ميدان القلعة. وقد طاف الجند فى شوارع المدينة برأسه محمولة على قصبة عالية تحمل لافتة مكتوبا عليها ما يلى:
كريم ـ شريف الإسكندرية حكم عليه بالإعدام لخيانته يمين الإخلاص الذى أداه للجمهورية الفرنسية ولاستمرار علاقاته مع المماليك الذين كان يعمل معهم بصفة جاسوس.
هذا هو مصير جميع الخونة والحانثين باليمين. انظر كوريبه دى ليجيبت العدد رقم (٤).

* محمد كريم يطلب من المشايخ فديته بالمال دون جدوى.

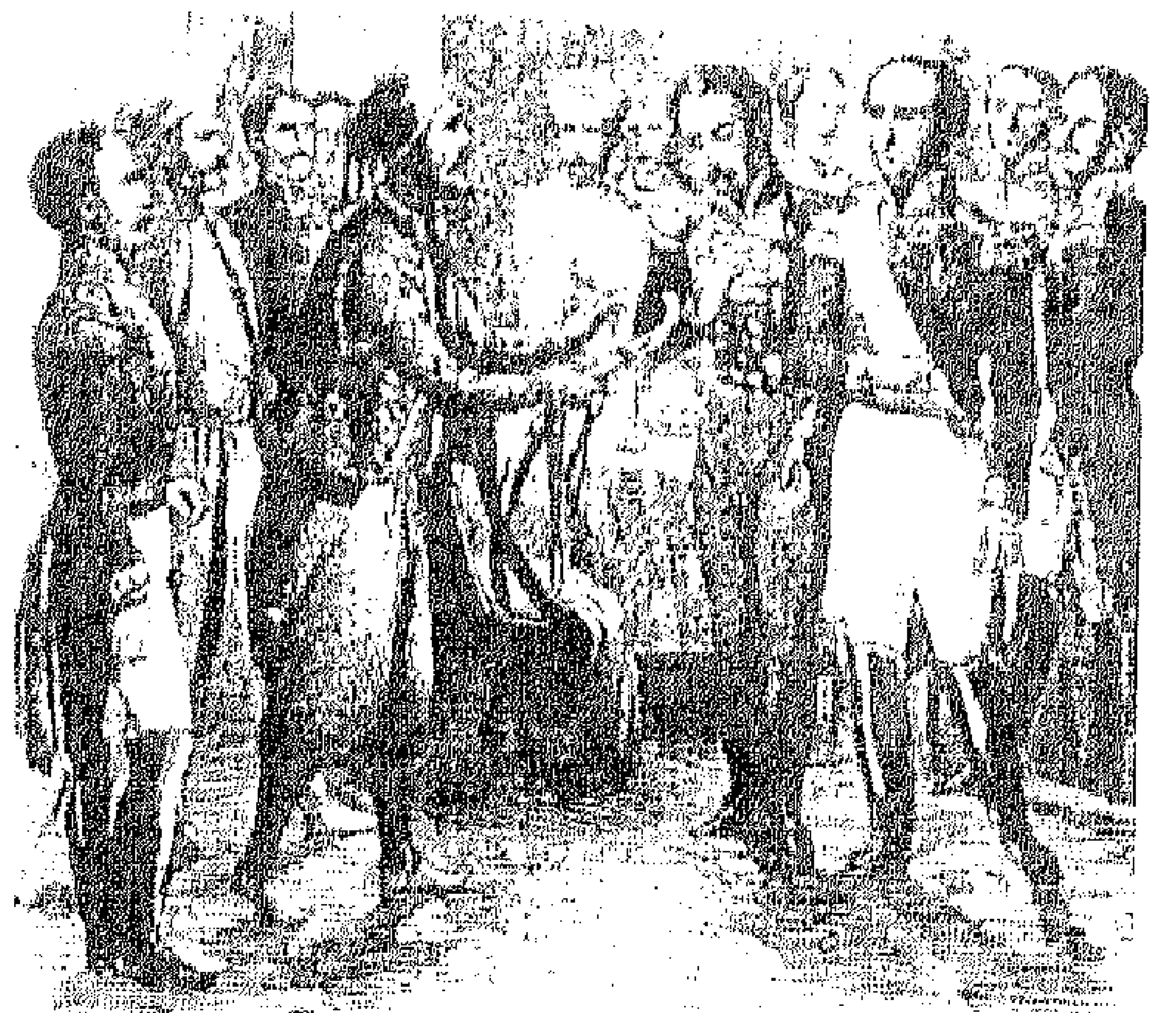
ويقدمهم طبل يضربون عليه وشقوا به [حيّ] الصليبة إلى أن ذهبوا إلى الرميلة وكتفوه وربطوه مشبوحا وضربوا عليه بالبنادق كعادتهم فيمن يقتلونه ثم قطعوا راسه ورفعوها على نبوت وطافوا بها بجهات الرميلة، والمنادى يقول هذا جزاء من يخالف الفرنسيس، ثم إن أتباعه أخذوا رأسه ودفنوها مع جثته وانقضى أمره، وذلك يوم الخميس خامس عشرى ربيع الأول.

٥٩٩/ إبراهيم بك الصغير المعروف بالدالي. مات غريقا.

* [ومات] الأمير إبراهيم بك الصغير المعروف بالدالي وهو من مماليك محمد بك أبى الدهب وتقلد الزعامة بعد موت أستاذه، ثم تقلد الإمارة والصنجقية فى أواخر جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف.

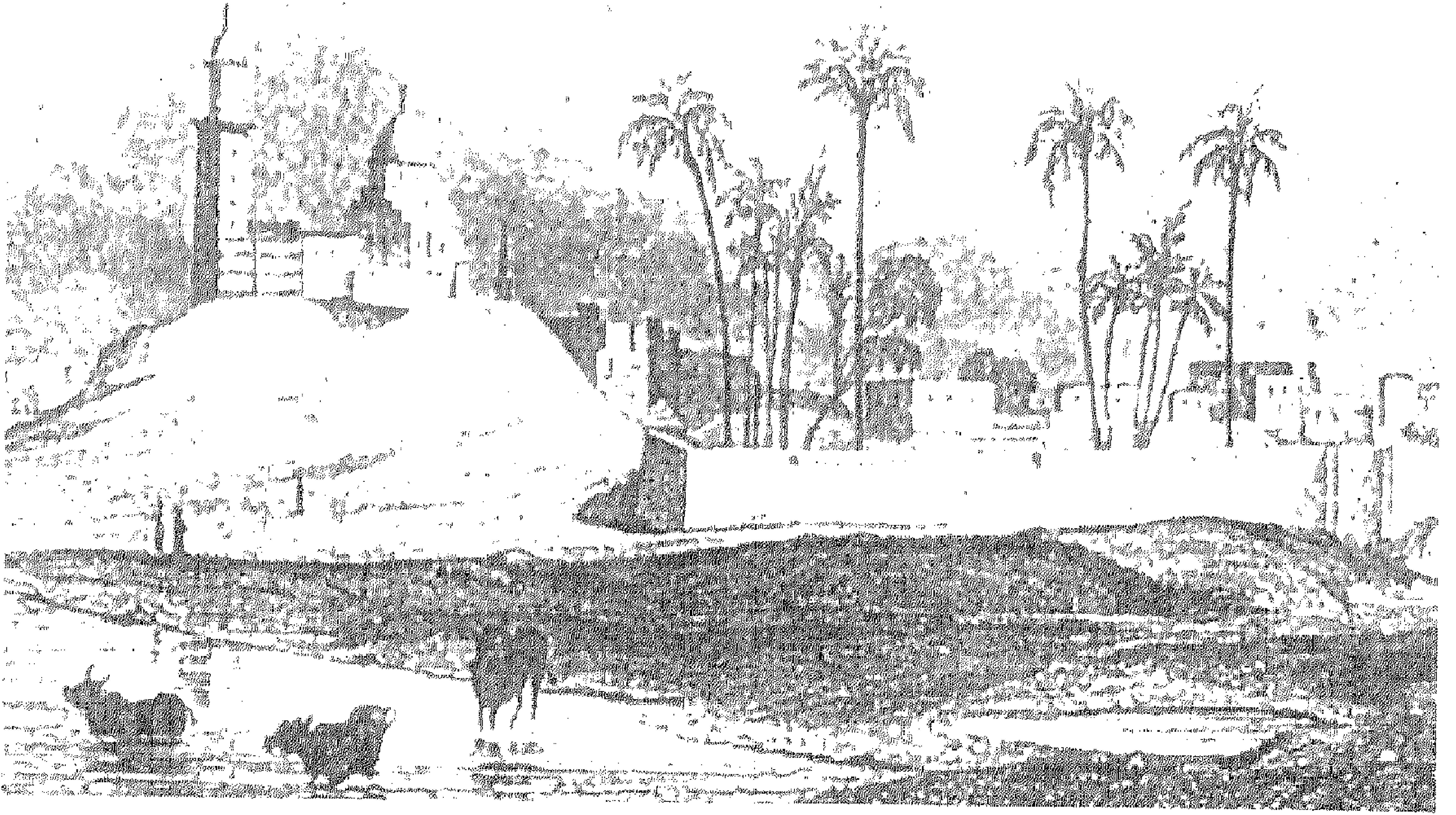
وهو أخو سليمان بك المعروف بالأغا، وعندما كان هو واليا كان أخوه أغات مستحفظان وأحكام مصر والشرطة بينهما.

وفى سنة سبع وتسعين تعصب مراد بك وإبراهيم بك على المترجم وأخرجوه منفيا هو وأخوه سليمان بك وأيوب بك الدفتردار، ولما أمروه بالخروج ركب فى طوايفه ومماليكه وعدى إلى بر الجيزة، فركب خلفه على بك أباظه ولاجين بك ولحقوا حملته عند المعادى، فحجزوها وأخذوها وأخذوا هجنه ومتاعه وعَدُّوا خلفه فأدركوه عند الأهرام فاحتالوا عليه وردوه إلى قصر العينى، ثم سفروه إلى ناحية السرو ورأس الخليج فأقام بها أياما وكان أخوه سليمان بك بالمنوفية.



* محمد كريم يسلم سيفه للفرنساويه بعد نزولهم إلى الاسكندرية.

فلما أرسلوا بنفيه إلى المحلة ركب بطوايفه وحضر إلى مسجد الخضيرى وحضر إليه أخوه المترجم وركبا معا وذهبا إلى جهة البحيرة، ثم ذهبا إلى طندتا، ثم ذهبا إلى شرقية



* مدينة بلبيس فى وقت الحملة الفرنسية.

بلبيس، ثم توجها من خلف الجبل إلى جهة قبلى، وكان أيوب بك بالمنصورة فلحق بهما أيضاً، وكان بالصعيد عثمان بك الشرقاوى ومصطفى بك فالتفا عليهما وعصى الجميع، وأرسل مراد بك وإبراهيم بك محمد كتخدا أباظه وأحمد أغا شويكار إلى عثمان بك ومصطفى بك يطلبانهما إلى الحضور، فأبيا وقالا لا نرجع إلى مصر إلا بصحبة إخواننا وإلا فنحن معهم أينما كانوا.

ورجع المذكوران بذلك الجواب، فجهزوا لهم تجريدة وسافر بها إبراهيم بك الكبير وضمهم وصاحبهم وحضر بصحبة الجميع إلى مصر فحنق مراد بك ولم يزل حتى خرج مغضبا إلى الجيزة ثم ذهب إلى قبلى وجرى بينهما ما تقدم ذكره من إرسال الرسل ومصالحة مراد بك ورجوعه وإخراج المذكورين ثانيا، فخرجوا إلى ناحية القليوبية،

وخرج مراد بك خلفهم، ثم رجعوهم إلى جهة الأهرام وقبض مراد بك عليهم ونفيهم إلى جهة بحرى، وأرسل المترجم إلى طندتا ثم ذهبوا إلى قبلى خلا مصطفى بك وأيوب بك، ثم رجعوا إلى مصر بعد خروج مراد بك إلى قبلى.

واستمر أمرهم على ما ذكر حتى ورد حسن باشا وخرج الجميع وجرى ما تقدم ذكره.

وتولى المترجم إمارة الحاج سنة مايتين وألف، ولم يسافر به، ولما رجعوا إلى مصر بعد الطاعون وموت إسماعيل بك ورجب بك صاهره إبراهيم بك الكبير وزوجه ابنته كما تقدم.

ولم يزل فى سيادته وإمارته حتى حضر الفرنساوية ووصلوا إلى بر إنبابه ومات هو فى ذلك اليوم غريقا ولم تظهر رِمّته، وذلك يوم السبت سابع صفر من السنة المذكورة.

٦٠٠/ على بك الدفتردار كتخدا الجاويشية.

* [ومات] الأمير على بك الدفتردار المعروف بكتخدا الجاويشية وأصله مملوك سليمان أفندى من خشداشين كتخدا إبراهيم القازدغلى.

وكان سيده المذكور رغب عن الإمارة ورضى بحاله وقنع بالكفاف ورغب فى معاشرة العلما والصلحا وفى الانجماع عن أبناء جنسه والتداخل فى شونهم.

وكان يأتى فى كل يوم إلى الجامع الأزهر ويحضر دروس العلما ويستفيد من فوايدهم، ولازم دروس الشيخ أحمد

السليمانى فى الفقه الحنفى إلى أن مات، فتقيد بحضور تلميذه الشيخ أحمد الغزى كذلك.

واقترن في حضوره بالشيخ عبد الرحمن العريشى وكان إذ ذاك مقتبل الشبيبه مجردا عن العلايق فكان يعيد معه الدروس، فاتحد به لما رأى فيه من النجابة فجذبه إلى داره وكساه وواساه واستمر يطالع معه فى الفقه ويعيد معه الدروس ليلا، وزوّجه وأغدق عليه، وكان هو مبدأ زواجه.

ولم يزل ملازما حتى توفى سليمان أفندى المذكور فى سنة خمس وسبعين وماية وألف، فتزوج المترجم بزوجة سيده، واستمر هو وخشداشه الأمير أحمد بمنزل أستاذهم.

وتتوق نفس المترجم للترفع والإمارة فتردد إلى بيوت الأمرا كغيره من الأجناد، فقلده على بك الكبير كشوفية شرق أولاد يحيى فى سنة اثنتين وثمانين وماية وألف ، فتقلدها بشهامة وقتل البغاة وأخاف الناحية وجمع منها أموالا، استمر حاكما بها إلى أن خالف محمد بك أبو الدهب على سيده على بك وخرج من مصر إلى الجهة القبلية فلما وصل إلى الناحية [القبلية] كان المترجم أول من أقبل عليه بنفسه وما معه من المال والخيام، فسر به محمد بك وقربه وأدناه، ولم يزل ملازما لركابه حتى جرى ما جرى وتملك محمد بك الديار المصرية فقلده أغاوية المتفرقة أياما قليلة.

ثم خيرّه فى تقليد الصنجقية أو كتخدا الجاويشية، فقال له حتى أستخير فى ذلك، وحضر إلى المرحوم الشيخ الوالد وذكر له ذلك فأشار عليه بأن يتقلد كتخدا الجاويشية، فإنه منصب جليل واسع الإيراد وليس على صاحبه تعب ولا مشقة غفر ولا سفر تجاريد ولا كثرة مصاريف فكان

كذلك، وذلك فى سنة ست وثمانين، وسكن ببيت سليمان أغا كتخدا الجاويشية بدرب الجماميز على بركة الفيل.

ونما أمره واتسع حاله واشتهر وانتظم فى عداد الأمرا، ولم يزل على ذلك إلى أن مات محمد بك فاستقل بإمارة مصر إبراهيم بك ومراد بك فكان المترجم ثالثهما، واتحد بإبراهيم بك اتحادا عظيما حتى كان إبراهيم بك لا يقدر على مفارقته ساعة زمانية، وصار معه كالأخ الشقيق والصاحب الشفيق، وصار فى قبول ووجاهة عظيمة وكلمة نافذة فى جميع الأمور.

ولم يزل على ذلك حتى حضر حسن باشا بالصورة المتقدمة وخرج إبراهيم بك ومراد بك وباقى الأمرا، فتخلف عنهم المترجم وقد كان راسل حسن باشا سرا، فلما استقر حسن باشا أقبل عليه وسلمه مقاليد الأمور وقلده الصنجقية وأضاف إليه الدفتردارية وفوض إليه جميع الأمور الكلية والجزئية، فانحصرت فيه رياسة مصر وصار عزيزها وأميرها ووزيرها وقايد جيوشها ولا يتم أمر إلا عن مشورته ورأيه.

واجتمعت ببيته الدواوين وقلد الإمريات والمناصب كما يختار، وقرب وأدنى وأبعد وأقصى من يختار، واشتهر ذكره فى إقليم مصر والشام والروم.

وأشار بتقليد مراد كاشف الصنجقية وإمارة الحاج وسموه محمد بك المبدول كراهة فى اسم مراد واشتهر بالمبدول، ونجزله لوازم الحاج والصرة فى أيام قليلة وسافر بالحاج على النسق المعتاد وشهل أيضا التجاريد والعساكر خلف الأمرا المطرودين، واستمر مطلق التصرف فى مملكة مصر بقية السنة.

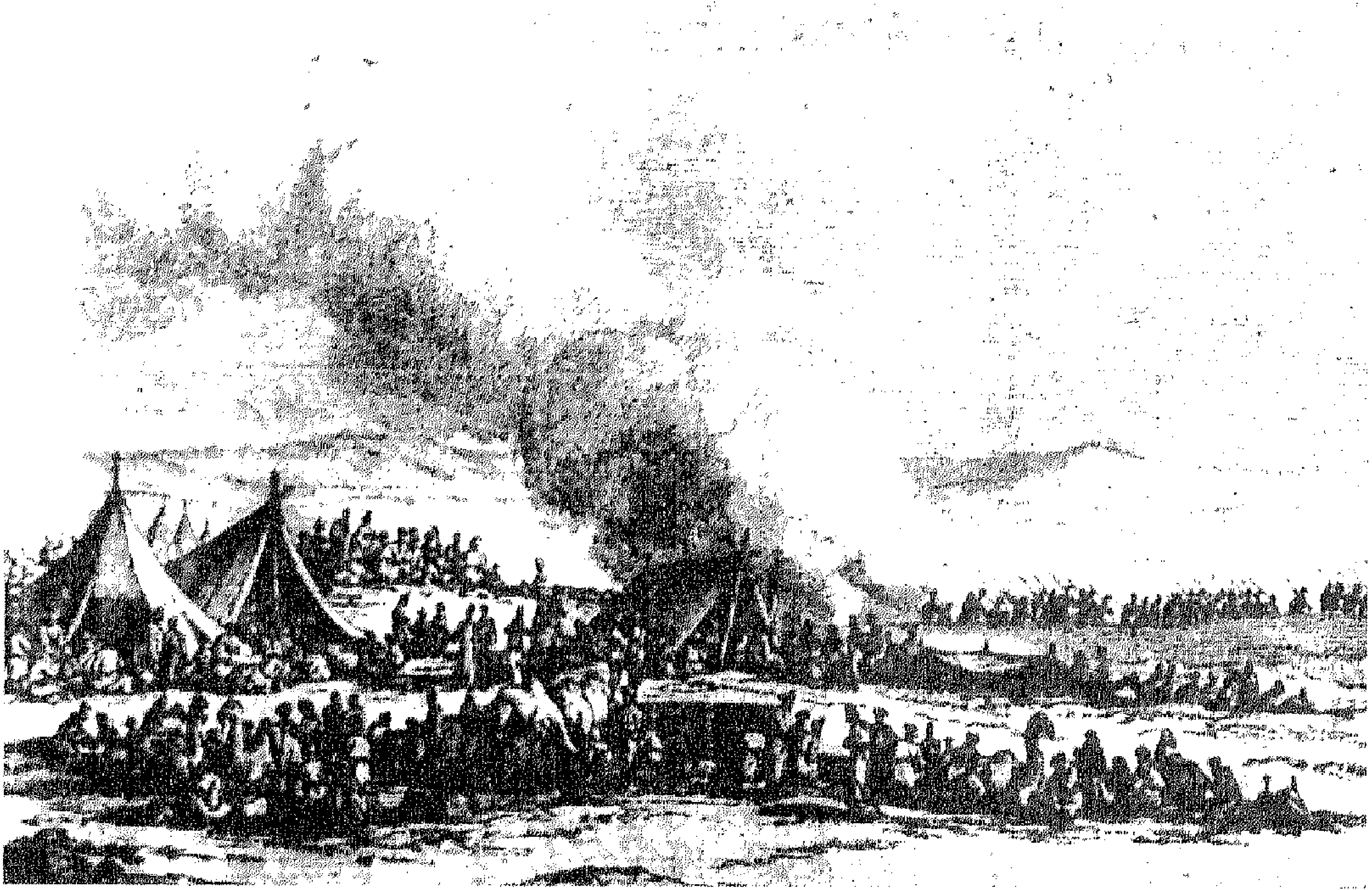
(ولما) استهل رمضان أرسل لجميع الأمرا والأعيان اليلكات والكساوى لهم ولحريمهم ومماليكهم بالأحمال، وكذلك إلى العلما والمشايخ حتى الفقها الخاملين المحتاجين، وظن أن الوقت قد صفا له ولم يزل على ذلك حتى استقر إسماعيل بك وسافر حسن باشا وظهر له أمر حسن بك الجداوى وخشداشينه أخذ يناكد المترجم ويعارضه فى جميع أموره وهو يسامح له فى كل ما يتعرض له فيه ويساير حاله بينهم، ويكظم غيظه ويكتم قهره، وهو مع ذلك وافر الحرمة.

واعتراه صداع فى رأسه وشقيقة* زاد ألمه بها ووجعه أشهراوأتلف إحدى عينيه وعوفى قليلا، واستمر على ذلك حتى وقع الطاعون بمصر سنة خمس، ومات ابن له مراهق أحزنه موته، وكذلك ماتت زوجته وأكثر جواريه ومماليكه.

* الشقيقة: هو الصداع النصفى.

ومات إسماعيل بك وأمراه ومماليكه ورضوان بك العلوى وبقى هو وحسن بك الجداوى فتجاذبا الإمارة ولم يرض أحدهما بالآخر، فوقع الاتفاق على تأمير عثمان بك طبل تابع إسماعيل بك ظنا منهما أنه يصلح لذلك، وأنه لا يمالى الأعدا فكان الأمر بخلاف ذلك.

وكره الإمارة هو أيضا لمناكدة حسن بك له، وراسل الأمرا القبليين سرا حتى حضروا على الصورة المتقدمة وقصد حسن بك وعلى بك الاستعداد لحربهم وخرجوا إلى ناحية طرا وتأهبوا لمبارزتهم، وصار عثمان بك يثبطهما ويظهر لهما أنه يدبر الحيل والمكايد، ولم يعلما ضميره ولا يخطر ببالهما ولا غيرهما خيانته، بل كان كل منهما يظن بالآخر حتى حصل ما تقدم ذكره فى محله.



* عسكر الفرنساوية فى الطريق من قنا إلى القصير.

وفر المترجم وحسن بك إلى ناحية قبلي فاستمر هناك مدة ثم انفصل عن حسن بك وسافر من القصير إلى بحر القلزم، وطلع إلى المويلح وأرسل بعض ثقاته فأخذ بعض الاحتياجات سرا، وذهب من هناك إلى الشام واجتمع بأحمد باشا الجزار ونزل بحيفا وأقام بها مدة.

وراسل الدولة في أمره فطلبوه إليهم فلما قرب من إسلامبول أرسلوا إليه من أخذه وذهب به إلى برصا فأقام هناك وعينوا له كفايته في كل شهر وولد له هناك أولاد،، ثم أحضروه في حادثة الفرنسيس وأعطوه مراسيم إلى إبراهيم باشا سارى عسكر في ذلك الوقت، فلما وصل بيروت راسل أحمد باشا [الجزار] وأراد الاجتماع به وعلم أحمد باشا ما بيده من المرسومات إلى إبراهيم باشا فتنكر له

وانحرف طبعه منه وأرسل إليه يأمره بالرحيل ، وصادف ذلك عزل إبراهيم باشا فارتحل مقهورا إلى نابلس فمات هناك بقهره.

وحضر من بقي من مماليكه إلى مصر وسكنوا بداره التي بها مملوكه عثمان كاشف وابنته التي تركها بمصر صغيرة وقد كبرت وتأهلت للزواج فتزوج بها خازنداره الذى حضر، وهو إلى الآن مقيم معها صحبة خشداشينه ببيتهم الذى بدرب الحجر.

وكان المترجم أميرًا لا بأس به يميل إلى فعل الخير حسن الاعتقاد ويحب أهل العلم والفضايل ويعظمهم ويكرمهم ويقبل شفاعتهم، وفيه رقة طبع وميل للخلاعة والتجاهر، غفر الله له وسامحهم.

٦٠١/ أيوب بك الدفتردار: قتل فى معركة انبابه.

* [ومات] أيضًا الأمير أيوب بك الدفتردار وهو من مماليك محمد بك (أبى الذهب) تولى الإمارة والصنجقية بعد موت أستاذه، وقد تقدم ذكره غير مرة، وكان ذا دها ومكر ويتظاهر بالانتصار للحق وحب الأشراف والعلما، ويشترى المصاحف والكتب ويحب المسامرة والمذاكرة وسير المتقدمين، ويواظب على الصلاة فى الجماعة ويقضى حوايج السايلين والقاصدين بشهامة وصرامة وصدع للمعاند، خصوصا إذا كان الحق بيده.

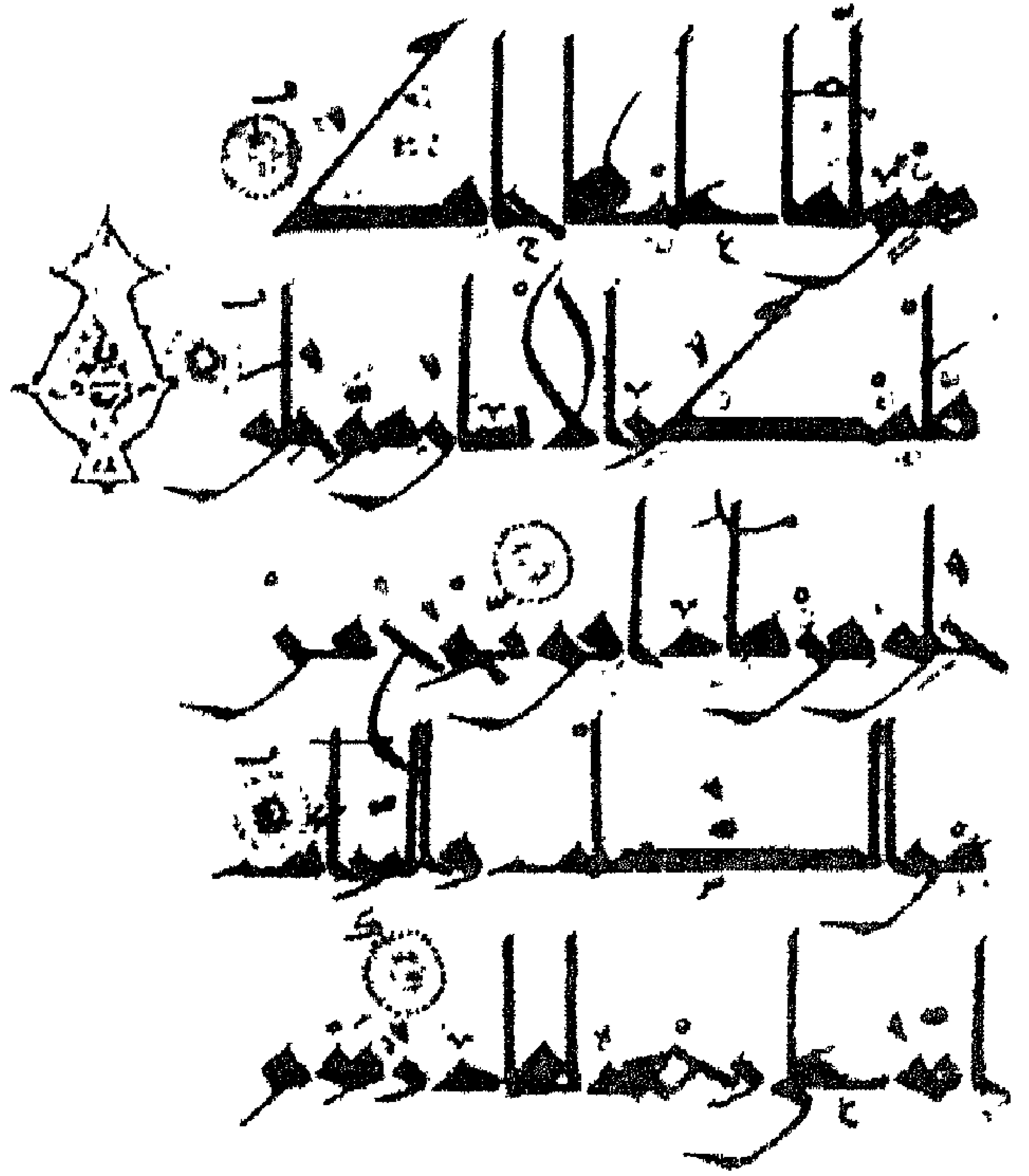
ويتعلل كثيرًا بمرض البواسير وسمعت من لفظه رؤيا رآها قبل ورود الفرنسيس بنحو شهرين تدل على ذلك وعلى موته فى حربهم.



ولما حصل ذلك وحضروا إلى بر إنبابة عدى المترجم قبل يومين وصار يقول أنا بعت نفسى فى سبيل الله فلما التقى الجمعان لبس سلاحه بعد ما توضأ وصلى ركعتين وركب فى مماليكه، وقال اللهم إنى نويت الجهاد فى سبيلك، واقتحم مصاف الفرنساوية وألقى نفسه فى نارهم واستشهد فى ذلك اليوم.

وهى منقبة اختص بها دون أقرانه بل ودون غيرهم من جميع أهل مصر، كما قال فيه الشيخ خليل المنير من قصيدة حكى فيها أمرهم وما حصل للمترجم بقوله:

لم يبر منهم سوى أيوب من ألم
مجانس دا ءخصم قادم حنق



بانت له من حسان الحور قايلة

اركض برجلك للخيرات واستبق

واترك مرادا إلى الدنيا وُلم بنا

إنا الحياةُ فِمل الروح واعتنق

أمّ الجهادَ شهير السيف مجتهدا

في كلمة الحق إعلاء على الفرق

الله أكبر والتوحيد يصحبها

نداؤه في عجاج مظلم غسق

لقد تولى على عرض الصفوف إلى

أن ضمه القلب فاستولى على حِلق

ما زال يقتض حتى انقض كوكبه

وطار منه بَها النور للأفق

مضى شهيدا وحيدا طاهرا سمحا
رمغسلا بدم الهيجا لاغرق
تميز الجوهر المكنون من صدق
ثم انجلى فى الحلى يدعى بمؤتلق
كان الجلاء له عين الجلاء لهم
فأدبروا بائعين الخُلد بالفلق

إلى آخر ما قال وقوله بدم الهيجا لاغرق يشير بذلك إلى إبراهيم بك الوالى حين ولى مدبراً وغرق فى البحر.

٦٠٣/ صالح بك أمير الحاج.

* [ومات] الأمير صالح بك أمير الحاج فى تلك السنة وهو أيضًا من مماليك محمد بك أبى الدهب وتولى زعامة مصر بعد إبراهيم بك الوالى وأحسن فيها السيرة ولم يتشك منه أحد ولم يتعرض لأحد بأذية.

وتقلد أيضاً كتخدا الجاويشية عندما خرج إبراهيم بك مغاضبا لمراد بك، وكان خصيصا به، فلما اصطلحا ورجع إبراهيم بك وعلى أغا كتخدا الجاويشية تقلد علىٌّ منصبه كما كان واستمر المترجم بطالا لكنه وافر الحرمة معدودا فى الأعيان.

ولما خرجوا من مصر فى حادثة حسن باشا أرسله خشداشينه إلى الروم وكاد يتم لهم الأمر فقبض عليه حسن باشا وكان إذ ذاك بالعرضى فى السفر.

ولما رجعوا إلى مصر بعد موت إسماعيل بك سكن ببيت البارودى، وتزوج بزوجته وهى أم أيوب التى كانت سرية

مراد بك، ثم سافر ثانيا إلى الروم بمراسلة وهدية وقضى أشغاله ورجع بالوكالة وأخذ بيت الحبانية من مصطفى أغا وعزله من وكالة دار السعادة وسكن بالبيت، واختص بمراد بك اختصاصا زايداً وبنى له دار بجانبه بالجيزة وصار لا يفارقه قط، وصار هو بابه الأعظم فى المهمات.

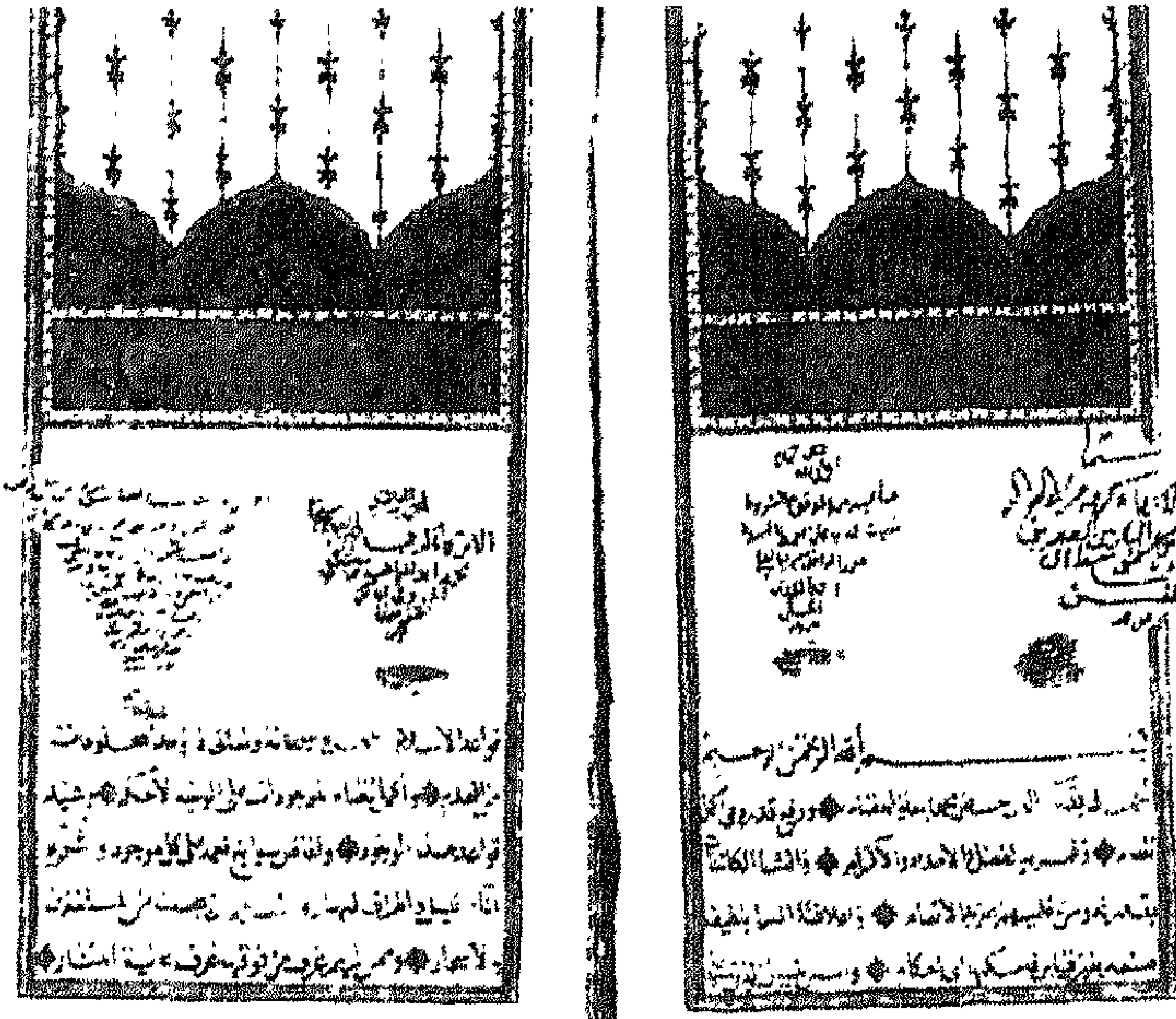
وكان فصيح اللسان مهذب الطبع يفهم بالإشارة، يظن من يراه أنه من أولاد العرب لطلاقة لسانه وفصاحة كلامه، ويميل بطبعه إلى الخلاعة وسماع الألحان والأوتار، ويعرف طرقها ويباشر الضرب عليها بيده.

ثم ولى الصنجقية وتقلد إمارة الحج سنة اثنتى عشرة ومايتين وألف، وتمم أشغاله وأموره ولوازمه على ما ينبغى.

وطلع بالحج فى تلك السنة فى أبهة عظيمة على القانون القديم فى أمن وأمان ورخا وسخا، وراج موسم التجار فى تلك السنة إلى الغاية.

وفى أيام غيابه بالحج وصل الفرنساوية إلى القطر المصرى، وطار إليهم الخبر بسطح العقبة، وأرسلوا من مصر مكاتبة بالأمان وحضوره بالحج فى طايفة قليلة فأرسل إليهم إبراهيم بك يطلبهم إلى بلبيس، فعرج المترجم بالحاج إلى بلبيس، وجرى ما تقدم ذكره.

ولم يزل حتى مات بالديار الشامية ، وبعد مدة أرسلت زوجته فأحضرت رمته ودفنتها بمصر بتربة المجاورين.



* كتاب فى الوقفيات للسيد محمد البكرى الصديقى كتب بخط نسخى سنة ١١٣٩هـ.

٦٠٣/ السيد مصطفى الدمنهورى.

* [ومات] العمدة الفاضل والنحرير الكامل الفقيه العلامة السيد مصطفى الدمنهورى الشافعى تفقه على أشياخ العصر وتمهر فى المعقولات ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوى ملازمة كلية واشتهر بنسبته إليه.

ولما ولى مشيخة الأزهر* صار المترجم عنده هو صاحب الحل والعقد فى القضايا والمهمات والمراسلات عند الأكابر والأعيان، وكان عاقلا ذكيا وفيه ملكة واستحضار جيد للفروع الفقهية، وكان يكتب على الفتاوى على لسان شيخه المذكور ويتحرى الصواب وعبارته سلسلة جيدة.

* أحاط الغموض منصب شيخ الأزهر فى ظل الحكم العثمانى، ولكن هناك اجماع بين جمهرة المؤرخين على أن أول من تقلد هذا المنصب كان الشيخ عبد الله الخرشى.

وكان له شغف بكتب التاريخ وسير المتقدمين، واقتنى كتبا فى ذلك مثل كتاب السلوك والخطط للمقريزى، وأجزاء من تاريخ العينى والسخاوى وغير ذلك.

ولم يزل حتى ركب يوما بغلته وذهب لبعض أشغاله ، فلما كان بخط الموسكى قابله خيال فرنساوى يخج فرسه فجفلت بغلة السيد مصطفى المذكور وألقته من على ظهرها إلى الأرض، وصادف حافر فرس الفرنساوى أذنه فرض صماخه فلم ينطق ولم يتحرك فرفعوه فى تابوت إلى منزله ومات من ليلته ، رحمه الله.

٦٠٤/ عبد الله كاشف قتل فى معركةانبابه.

* [ومات] عبد الله كاشف الجرف وهو عبد إسماعيل كاشف الجرف تابع عثمان بك ذى الفقار الكبير، وكان معروفا بالشجاعة والإقدام كسيده وأدرك بمصر إمارة وسيادة ونفاذ كلمة، واشترى المماليك الكثيرة والخيول المسوّمة والجوار والعبيد، وعنده عدة من الأجناد والطوايف، وعمر دارا عظيمة داخل الدرب المحروق، ولم يزل حتى قتل يوم السبت تاسع صفر بحرب الفرنساوية بإنبابة، وكان جسيما أسود ذا شهامة وفروسية مشهورة وجبروت.



غاية الفيضان: ٦ قيراط ٢١ ذراع.
١٢١٤هـ
١٥١٥ق.
١٧٩٩م.
□ في ١٢ محرم/١٧ يونيو رجع بونابرطة من الشام إلى مصر.
□ في هذه السنة كان اختراع الليتوغرافية، أى مطبعة الحجر □ وفي ٩ [من صفر] وصل الجيش العثماني إلى أبي قير، ومن ضمنه كان المرحوم محمد على الكبير مؤسس الحكومة الخديوية، وفي ٢٠ منه كانت واقعة أبي قير. □ وفي ٣٠ [من ربيع الأول] ترقى الجنرال كليبر قائدا عاما بمصر بدلا عن نابليون بونابرطة.
□ وفي ٣٠ [من ربيع الثاني] وصل إلى دمياط ٥٣ مركبا عثمانية.
□ في ١ [من جماد الأول] ١ اكتوبر ضبطت الأنكليز أحد أبراج دمياط □ وفيها ظهر بمديرية البحيرة بدوى ادعى انه المهدى، واحرق ٦٠ عسكريا فرنساويا.
□ وفي ١٦ [من جماد الأول] كانت وفاة واشنجتون محرر الولايات المتحدة من أميركا.
□ وفي ٢٧ شعبان كانت معاهدة العريش بين الجنرال كليبر ووزير الدولة العثمانية والأميرال سيدنى سميث الانكليزى، فالجنرال كليبر لم يقبل المعاهدة وحارب وزير الدولة العثمانية.
□ وفي ٢٣ من شوال كانت واقعة المطرية، التى بعدها اطلقت الفرنساوية قنابلة على الثائرين من المحروسة، ولم يخضعوا لحكمهم إلا بعد محاربة عشرة أيام فيها ضربت الفرنساوية على العمد والأعيان أموالا قدرها عشرة آلاف ألف فرنك، عن كل فرنك ٢٨ نصف فضة = ٥٠٠,٠٠٠ بنتو، وذلك في نظير الأمان الذى أعطوه لهم.

## (ثم دخلت سنة أربع عشر ومايتين وألف) [١٧٩٩م]

استهل شهر المحرم بيوم الأربعا: فيه حضر جماعة من الفرنسيس إلى العادلية فضربوا خمسة مدافع لقدومهم، فلما كان في ثان يوم عملوا الديوان وأبرزوا مكتوبا مترجما ونسخته:

صورة جواب بونابرت من أمام أسوار عكا عشرين فريبال الموافق لحادى عشر شهر الحجة سنة ثلاث عشرة ومايتين وألف.

من بونابارته سارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية إلى محفل ديوان مصر: نخبركم عن سفره من بر الشام إلى مصر فإني بغاية العجلة بحضورى لطرفكم نسافر بعد ثلاثة أيام تمضى من تاريخه ونصل عندكم بعد خمسة عشر يوماً وجايب معى جملة محابيس بكثرة وبيارق ومحقت سراية الجزار وسور عكا وبالقنبر هدمت البلد، ما أبقيت فيها حجراً على حجر، وجميع سكانها انهزموا من البلد إلى طريق البحر، والجزار مجروح ودخل بجماعته داخل برج من ناحية البحر وجرحه يبلغ لخطر الموت، ومن جملة ثلاثين مركباً موسوقة عساكر الذين حضروا يساعدون الجزار ثلاثة غرقت من كثرة مدافع مراكبنا وأخذنا منها أربعة [مراكب] موقرة [مشحونة] مدافع والذى أخذ هذه الأربعة فرقاطة من بتوعنا والباقى تلف وتبهدل والغالب منهم عدم، وإنى بغاية

الشوق إلى مشاهدتكم لأنى بشوف أنكم عملتم غاية جهدكم من كل قلبكم، لكن جملة فلاتية دايرون بالفتنة لأجل ما يحركون الشر فى وقت دخولى، كل هذا يزول مثل ما يزول الغيم عند شروق الشمس «وفنتوره» مات من تشويش، هذا الرجل صعب علينا جداً والسلام.

وفنتوره هذا ترجمان سارى عسكر وكان لبيبا متبحرا ويعرف باللغات التركية والعربية والرومية والطليانى والفرنساوى.

ولما عجز الفرنساوية عن أخذ عكا وعزموا على الرجوع إلى مصر أرسل بونابارته مكاتبة* إلى الفرنساوية المقيمين بمصر يقول فيها:

إن الأمر الموجب للانتقال عن محاصرة عكا خمسة عشر سبباً.

(الأول) الإقامة تجاه البلدة وعدم الحرب ستة أيام إلى أن جات الإنكليز وحصنوا عكا باصطلاح الإفرنج.

(الثانى) الستة مراكب التى توجهت من الإسكندرية فيها المدافع الكبار أخذها الإنكليز قدام يافا.

(الثالث) الطاعون الذى وقع فى العسكر ويموت كل يوم خمسون وستون عسكريا.

(الرابع) عدم الميرة لخراب البلاد قريب عكا.

(الخامس) وقعة مراد بك مع الفرنساوية فى الصعيد مات فيها مقدار ثلثماية فرنساوى.



١٠٦ توت ١٥١٦ = ١٠ سبتمبر ١٧٩٩ = الثلاث ٩ ربيع الثانى سنة ١٢١٤.

١٠٧ ١ يناير ١٨٠٠ = ٢٤ كيهك ١٥١٦ = الأربع ٤ شعبان ١٢١٤.

بونابرته يرسل مكاتبة يحدد فيها أسباب فشل الحملة الفرنسية على عكا.عودة جيش سوريا

فى ٢ بريريال تحرك الجيش من معسكره أمام عكا ووصل إلى طنطوره Tantoura قبل الليل. ثم رحل عنها فى اليوم التالى فى الساعة الثانية بعد الظهر ووصل قبل غروب الشمس إلى أطلال قيصرية Césarée حيث أمضى الليل.

الطريق من طنطوره إلى قيصرية يحاذى البحر وهو رملى تبلله دائما أمواج البحر وأكثر تماسكا من رمال الصحراء الجافة ومريح فى السير عليه. وكان هواء البحر يلطف من حرار الشمس.

ونجد فى قيصرية بئرا مياهها صالحة للشرب وتقع أمام واجهة كنيسة مسيحية مهدمة، وما تبقى من معالم يغلب عليها الطراز القوطى، ولا أثر فيها للطراز العربى. ويحتمل أن يكون قد بناها الصليبيون، وإلى جانبها قلعة نرى اليوم منها بوضوح جدرانها وخنادقها.

(السادس) بلغنا توجه أهل الحجاز صحبة الجيلانى لناحية الصعيد.

(السابع) المغربى محمد الذى صار له جيش كبير وادعى أنه من سلاطين المغرب.

(الثامن) ورود الإنكليز تجاه الإسكندرية ودمياط.

(التاسع) ورود عمارة الموسقو قدام رودس.

(العاشر) ورود خبر نقض الصلح بين الفرنساوية والنمسا.

(الحادى عشر) ورود جواب مكتوب منا «لتيبو» أحد ملوك الهند كنا أرسلناه قبل توجهنا لعكا، وتيبو هذا هو الذى كان حضر إلى إسلامبول بالهدية التى من جملتها طائران يتكلمان بالهندية والسرير والمنبر من خشب العود وطلب منه الإمداد والمعاونة على الإنكليز المحاربين له فى بلاده، فوعدوه ومنوه وكتبوا له أوراقا وأوامر.

وحضر [تيبو] إلى مصر وذلك فى سنة اثنتين ومايتين وألف أيام السلطان عبد الحميد، وقد سبقت الإشارة إليه فى حوادث تلك السنة وهو رجل كان مقعدا تحمله أتباعه فى تخت لطيف بديع الصنعة على أعناقهم، ثم إنه توجه إلى بلادفرنسا واجتمع بسلطانها، وذلك قبل حضوره إلى مصر، واتفق معه على أمر فى السر لم يطلع عليه أحد غيرهما، ورجع إلى بلاده على طريق القلزم فلما قدم الفرنساوية لمصر كاتبه كبيرهم بذلك السر لأنه اطلع عليه عند قيام الجمهور وتملكه خزانة كتب السلطان [لويس].

غادر الجيش قيصرية فى ٤ بريريال فى الساعة الثانية صباحا. وفى الساعة الثامنة توقف بالقرب من المياه الحلوة فى أسفل صخرة عالية تبرز على شاطىء البحر وتحتمى بها سفن أهل بلاد السامراء وهم يسمون اليوم بالنابلسيين. واستأنفنا السير فى الساعة الثانية واتبعنا شاطىء البحر إلى أن وصلنا إلى مكان يرتفع عنده الشاطىء فجأة ويصبح رأسيا مما اضطرنا إلى الاتجاه نحو الشرق قليلا خلال أراض جبلية تكسوها الحشائش والنباتات الشوكية وبها أيضا بعض الأشجار العالية.

ولما كان نسيم البحر لا يصل إلينا فقد أحسسنا بوطأة حرارة الشمس ترهقنا ووصلنا قبل غروب الشمس إلى جدول ماء أمضينا الليل على مقربة منه وهو يحيط من كل جانب تقريبا بمرتفع من الأرض يتحكم فى الأراضى المجاورة ويشكل موقعا عسكريا قويا جدا بطبيعة أحواله. فأمر الجنرال بونابرت بضرب الخيام على المرتفع.

أن مياه الجدول لها طعم ورائحة المستنقعات. وفى أثناء الحملة كان السامريون سكان هذا الإقليم يهددون مواصلاتنا مع يافا وقد هاجموا بعضا من قوافل عرباتنا فأحرقنا قراهم ومحاصيلهم.

وفى ٥ بريريال رحلنا عن هذا المخيم فى الساعة الثانية صباحا متجهين نحوالغرب. وعند الفجر وصلنا إلى شاطىء البحر وسلكنا الطريق المحاذية له حتى وصلنا إلى يافا. ومكث الجيش فيها مدة أربعة أيام قام خلالها بهدم جميع تحصينات المدينة وتدمير كل ما كان يمكن أن يستخدمه العدو فى إقامة منشآت عسكرية.

ومن يافا واصل الجيش سيره نحو غزة. وعندما مررنا بهذا الطريق لأول مرة

ثم إن تيبوا المذكور بقى فى حرب الإنكليز إلى أن ظفروا به فى هذه السنة وقتلوه وثلاثة من أولاده، فهذا ملخص معنى السبب.

(الثانى عشر) موت كفرللى الذى عملت المتاريس بمقتضى رأيه، وإذا تولى أمرها غيره، يلزم نقضها، ويطول الأمر، وكفرللى هذا هو المعروف بأبى خشبة المهندس.

(الثالث عشر) سماع أن رجلا يقال له مصطفى باشا أخذه الإنكليز من إسلامبول ومرادهم أن يرموه على بر مصر.

(الرابع عشر) أن الجزار أنزل ثقله بمراكب الإنكليز وعزم على أنه عندما نملك البلد ينزل فى مراكبهم ويهرب معهم.

(الخامس عشر) لزوم محاصرة عكا ثلاثة شهور أو أربعة وهو مضر لكل ما ذكرناه من الأسباب أ هـ. [انتهى].

(وفى يوم الثلاثا سابعه) حضر جماعة أيضًا من العسكر بأثقالهم وحضرت مكاتبة من كبير الفرنساوية أنه وصل إلى الصالحية وأرسل دوجا الوكيل ونبه على الناس بالخروج لملاقاته بموجب ورقة حضرت من عنده يأمر بذلك.

(فلما كان ليلة الجمعة عاشره) أرسلوا إلى المشايخ والوجاقات وغيرهم فاجتمعوا بالأزبكية وقت الفجر بالمشاعل ودقت الطبول وحضر الحكام والقلقات بمواكب وطبول وزمور ونوبات تركية وطبول شامية وملازمون وجاويشية وغير ذلك. وحضر الوكيل وقايمقام وأكابر

فى فانتوز وجدنا فى هذا الإقليم مساحات كبيرة من الأراضى تغطيها المياه الضحلة ووجدنا صعوبات كبيرة فى شق طريقنا وسطها وفى عودتنا وجدنا هذه الأراضى يابسة وبها شقوق من قلة الماء ولم نعثر على طول هذا الطريق إلا على ثلاث آبار كان استعمالها صعبا نظرا لعمقها ومياهها كانت شحيحة لم تف بارتواء الجيش ولم تمده بالمياه اللازمة له.

يقطن القرى المنتشرة بين يافا وغزة مثل ابنة Ebneh وأسدود Esdod ودير نارون Deyr-Naron عرب من أعدائنا فأحرقنا بيوتهم ومحاصيلهم من القمح. لقد جمع هؤلاء العرب منهم حوالى ٩٠٠ رجل من المشاة و ١٠٠ من الفرسان وحاولوا فى ١٦ فانتوز مباغتة رجال مقر القيادة وأموال الجيش ممن كانوا يواصلون مسيرتهم بقوافل عرباتهم للحاق بالجيش أمام يافا، فاضطروا إلى الفرار بعد أن خسروا بعضا من رجالهم، ولكن هذا العقاب لم يكن كافيا فأتممناه عند عودتنا.

تحرك الجيش من غزة فى ١٢ بريريال وراح يعسكر للمبيت فى خان يونس وبقيت مؤخرة الجيش فى غزة حتى اليوم التالى لحماية عمليات هدم القصر. ثم التحقت بالجيش فى العريش وكان قد وصل إليها فى مساء ١٣ بريريال بعد مسيرة طويلة ومتعبة للجنود.

تبعد خان يونس عن العريش بمسيرة عشر ساعات على ظهور الخيل، وبالرغم من أن الأراضى التى تفصل بين هاتين النقطتين بعضها مزروع وتكسوها أشجار صغيرة وبعض الزراعات الأخرى، إلا أن جميعها رملية تغوص فيها الأقدام فيتضاعف المجهود الذى يبذله الإنسان الذى يسير

فيها على قدميه، وبالتالى يتضاعف تعبه وتنهك قواه بسرعة.

وكان يجب اجتياز هذه المسافة في يوم واحد وإلا كنا نضطر إلى قضاء الليلة التالية دون ماء، وهذا ما كنا نخشاه اكثر من التعب مهما عظم شأنه.

وفي هذه المسيرة كان الجندى يحمل بالإضافة إلى أسلحته وأدواته الخاصة ـ صفيحة ملأى بالمياه وزاده من الطعام لمدة أربعة أيام.

يهيىء حصن العريش لم يمتلكه ميزات كثيرة، إذ يضمن له الانتفاع بآبار مياهها حلوة غزيرة، وهى جيدة جدا للشرب، ولو أنها ليست نقية كمياه النيل أو السين Seine مثلا. وهو يسهل عمليات إقامة حوانيت ومحلات للجنود سواء عبرت الصحراء للذهاب من مصر إلى سوريا أو العكس.

أن هذا الحصن كان يتبع دائما مصر وهو ضرورى لأمنها وضرورى أيضا للانطلاق منه عند مهاجمة سوريا كلما حاول العدو تنظيم أو تدبير خطة لمهاجمتنا. ولذلك أمر الجنرال بونابرت بتدعيم حاميته وزيادة قوتها ولم يفكر قط في ادخاله ضمن برنامج هدم استحكامات القلاع التى وقعت في أيدينا ابان غزونا لسوريا.

ومنذ أربعة أشهر وهو في أيدينا ولا تزال الأعمال جارية في تقويته وتدعيمه.

عندما نغادر العريش في طريقنا إلى الأراضى المصرية نرى أمامنا الصحراء جرداء على مدى النظر برمالها المحرقة، ولا نجد فيها إلا ما ندر من نباتات شوكية هزيلة تافهة، في الفصل الحالى من السنة تبهر هذه الرمال أعين ناظريها من فرط توهج الشمس الذى تعكسه على سطحها، وحرارتها تشوى الأقدام من خلال نعل الحذاء.

وتبلغ المسافة من العريش إلى

عساكرهم وركبوا جميعاً بالترتيب من الأزبكية إلى أن خرجوا إلى العادلية، فقابلوا سارى عسكر بونابارته هناك وسلموا عليه ودخل معهم إلى مصر من باب النصر بموكب هايل بعساكرهم وطبولهم وزمورهم وخيولهم وعرباتهم ونساهم وأطفالهم في نحو خمس ساعات من النهار إلى أن وصل إلى داره بالأزبكية، وانفض الجمع وضربوا عدة مدافع عند دخولهم المدينة، وقد تغيرت ألوان العسكر القادمين واصفرت ألوانهم وقاسوا مشقة عظيمة من الحر والتعب وأقاموا على حصار عكا أربعة وستين يوما حربا مستقيما ليلا ونهاراً، وأبلى أحمد باشا وعسكره بلاء حسنا وشهد له الخصم.

ولصاحبنا الفاضل النجيب والأديب اللبيب السيد على ٠ الصيرفي الرشيدى نزيل عكا المحروسة في هذه الواقعة قصيدة لطيفة طويلة من بحر الخفيف يقول فيها:

وأراهم قبيحهم حسنَ قصد
نحو عكا ذات السعود البادى
فاستعدوا لها بآلات حرب
ورجال كثيرة كالجراد
خيموا حولها بجيش وخيش
ومتاريس ضاق منها الوادى
أشبهوا قوم صالح في فعال
ينحتون الجبال لاستعداد
في حصون من التراب تراهم
شيدوها بقوة وعماد
فكأنّ الجن الشياطين فيهم
يسرعون الأعمال عند التنادى

حـاصـروهـا وشـددوا فـى حـصـار
واسـتـمـدوا بـكـل نـوع مـراد

ومنها:

ثـم دارت رحـى الحـروب لـديـنـا
بـضـروب مـدامـة الـتـرداد
كـل يـوم ولـيـلـة فـى رعـود
وبـروق مـن غـيـم ذاك الـوادى
كـم نـهـار أضـحـى كـلـيْـلَ بـهـيـم
من دخـان الـوغـى عـدا فـى ازديـاد

إلى آخر ما قال وهى طويلة.

وفيه قبضوا على إسماعيل القلق الخرّبطلى وهو متولى كتخدا العزب وكان ساكنا بخط الجمالية وأخذوا سلاحه وأصعدوه إلى القلعة وحبسوه.

والسبب فى ذلك أنه عمل فى تلك الليلة وليمة ودعا أحبابه وأصدقاءه وأحضر لهم آلات اللهو والطرب وبات سهرانا بطول الليل، فلما كان آخر الليل غلب عليهم السهر والسكر فناموا إلى ضحوة النهار وتأخر عن الملاقاة، فلما أفاق ركب ولاقاهم عند باب النصر فنقموا عليه بذلك وفعلوا معه ما ذكر.

ولما وصل سارى عسكر الفرنساوية إلى داره بالأزبكية تجمع هناك أرباب الملاهى والبهالوين وطوايف الملاعبين والحواة

الصالحية، وهى أول بقعة من الأراضى المنزرعة، حوالى ١٦٠ كيلو مترا/ وتقع إلى جانب هذا الطريق، قتاية Qattyeh على مسافة ٨٨ كيلو مترا من العريش و ٧٢ كيلو مترا من الصالحية، وفيها أحراش من أشجار النخيل يجعل منها جزيرة وسط الصحراء ونجد فيها أيضا آبارا ذات مياه مالحة لا يستطيع أن يشربها الآدميون ولكن الخيول لا تأبى شربها وإن كانت قد أضرت ببعضها، لأن كثيرا من الخيول التى ارتوت منها نفقت. وقد لحقت بنا أكبر خسارة فى جيادنا، حوالى ٦٧ حصانا فى المسافة بين قتاية وبير الأب Bir-el-Ab.
أقام الجيش فى قطيه يومى ١٧ و ١٨ بريريال، وخلال هذين اليومين قام الجنرال بونابرت والجنرالات برتييه ومينو وأندريوسى والصول Le-Turcq.
بزيارة القطاع الشرقى من بحيرة المنزلة، وهم على ظهور الجمال. وقد امضوا ليلة ١٧ و ١٨ بالقرب من مصب النيل الذى سماه قدماء اليونانيين طانطيك Tanitique وسماه العرب أم فريج Omm farége وقد عادوا إلى قتاية سالكين الطريق التى كانت تقع فيه قديما مدينة بيلوز (التينه).
وعندما وصلوا إلى الأرض الضحلة التى أعطت اسمها لهذه المدينة ترجلوا عن جمالهم وساروا على أقدامهم لمدة ثلاث ساعات على أرض وحلة ولزجة. كانت حرارة الشمس مرتفعة جدا تجعل تخيلات السراب قريبة من الحقيقة بشكل كاد يجعلهم يضلون الطريق عدة مرات. هذه الظاهرة التى شرح أسبابها المواطن مونج Monge مثلت أمام أعيننا عدة مرات فى الصحراء، ولا يمكن للمرء أن يتخيل

كيف أن الشعور بالظمأ يجعل الإنسان يتصور وجود ماء وسط أرض فسيحة قاحلة.

فى ١٩ بريريال تحركت القيادة العامة وفرق رينيه ولان وبون فى طريقها إلى الصالحية.

وتأهبت الفرق التى يقودها الجنرال كليبر للذهاب إلى دمياط سالكة الممر الرملى الضيق الذى يفصل بين البحر وبحيرة المنزلة.

غادرنا معسكر قتاية فى الساعة الثانية بعد الظهر وبعد أن اجتزنا جبل كاسيوس Casius قضينا الليل بالقرب من واحة صغيرة بها حوالى مائة شجرة من النخيل ومن تحتها، وعلى عمق بسيط، توجد مياه مالحة. انها فى الحقيقة صالحة للشرب ولكنهم يفضلون عليها مياه قطيه. يوجد موقع النخيل على حدود الرمال التى تقابلنا لمدة خمس ساعات قبل وصولنا إلى قتاية وبعد خمس ساعات من خروجنا منها. هذه الرمال هى الأكثر تحركا وعمقا بين الرمال التى توجد بين مصر وسوريا. أنها تكون جبلا وتغير الرياح من شكل هذا الجبل وموقعه باستمرار. وابتداء من أشجار النخيل إلى الصالحية يتركز الطريق على أرض ثابتة إلا فى الساعة الأخيرة من المسيرة التى نضطر خلالها إلى السير من جديد على الرمال.

وفى وسط المسافة يوجد مكان به أشجار رأينا فيه عند مرورنا به للمرة الأولى مستنقعا من المياه الحلوة. وعند عودتنا كان يكفى الحفر لعمق نصف متر (١٨ بوصة) لكى يكون عندنا بئر ذات مياه غزيرة أصلح للشرب من كل المياه التى ارتوينا بها وبعد أن اجتزنا هذا المكان بقليل زمجرت ريح غربية حارة جدا استمرت طوال اليوم وكانت تهب علينا وتلسع وجوهنا وكأنها نفحات آتية علينا من فرن مجاور ولما



والقرادين [القرادتيه] والنسا الراقصات والخلابيص، ونصبوا أراجيح مثل أيام الأعياد والمواسم واستمروا على ذلك ثلاثة أيام، وفى كل يوم من تلك الأيام يعملون شنكا وحراقات ومدافع وسواريخ.

ثم انفض الجمع بعد ما أعطاهم سارى عسكر دراهم وبقاشيش.

وفى يوم الأحد عزلوا «دستان» قايمقام، وتولى عوضه «دوجا» الذى كان وكيلا عن سارى عسكر وتهيأ المعزول للسفر إلى جهة بحرى، وأصبح مسافراً وصحبته نحو الألف من العسكر وسافر أيضاً منهم طايفة إلى جهة البحيرة.

وفيه طلبوا من طوايف النصارى دراهم سلفة مقدارماية وعشرين ألف ريال.

وفى خامس عشره أرسلوا إلى زوجات حسن بك الجداوى وختموا على دورهن ومتاعهن وطالبوهن بالمال، وذلك لسبب أن حسن بك التف على مراد بك وصار يقاتل الفرنسيس معه، وقد كانت الفرنسيس كاتبت حسن بك وأمنته وأقرته على ما بيده من البلاد، وأن لا يخالف ويقاتل مع الأخصام فلم يقبل منهم ذلك، فلما وقع لنساه ذلك ذهبن إلى الشيخ محمد المهدى ووقعن عليه فصالح عليهن بمبلغ ثلاثة آلاف فرانسة.

وفى تاسع عشره هلك مخاييل كحيل النصرانى الشامى وهو من رجال الديوان الخصوصى فجأة وذلك لقهره وغمه، وسبب ذلك أنهم قرروا عليه فى السلفة ستة آلاف ريال فرانسة، وأخذ فى تحصيلها ثم بلغه أن أحمد باشا الجزار قبض على شريكه بالشام واستصفى ما وجده عنده من المال ، فورد عليه الخبر وهو جالس يتحدث مع إخوانه حصة من الليل فخرجت روحه فى الحال.

وفيه كتبوا أوراقا وطبعوها وألصقوها بالأسواق وذلك بعد أن رجعوا من الشام واستقروا، وهى من ترصيف وتنميق بعض الفصحا،وصورتها:

من محفل الديوان الخصوصى بمحروسة مصر خطابًا بالأقاليم مصر الشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والجيزة والبحيرة.

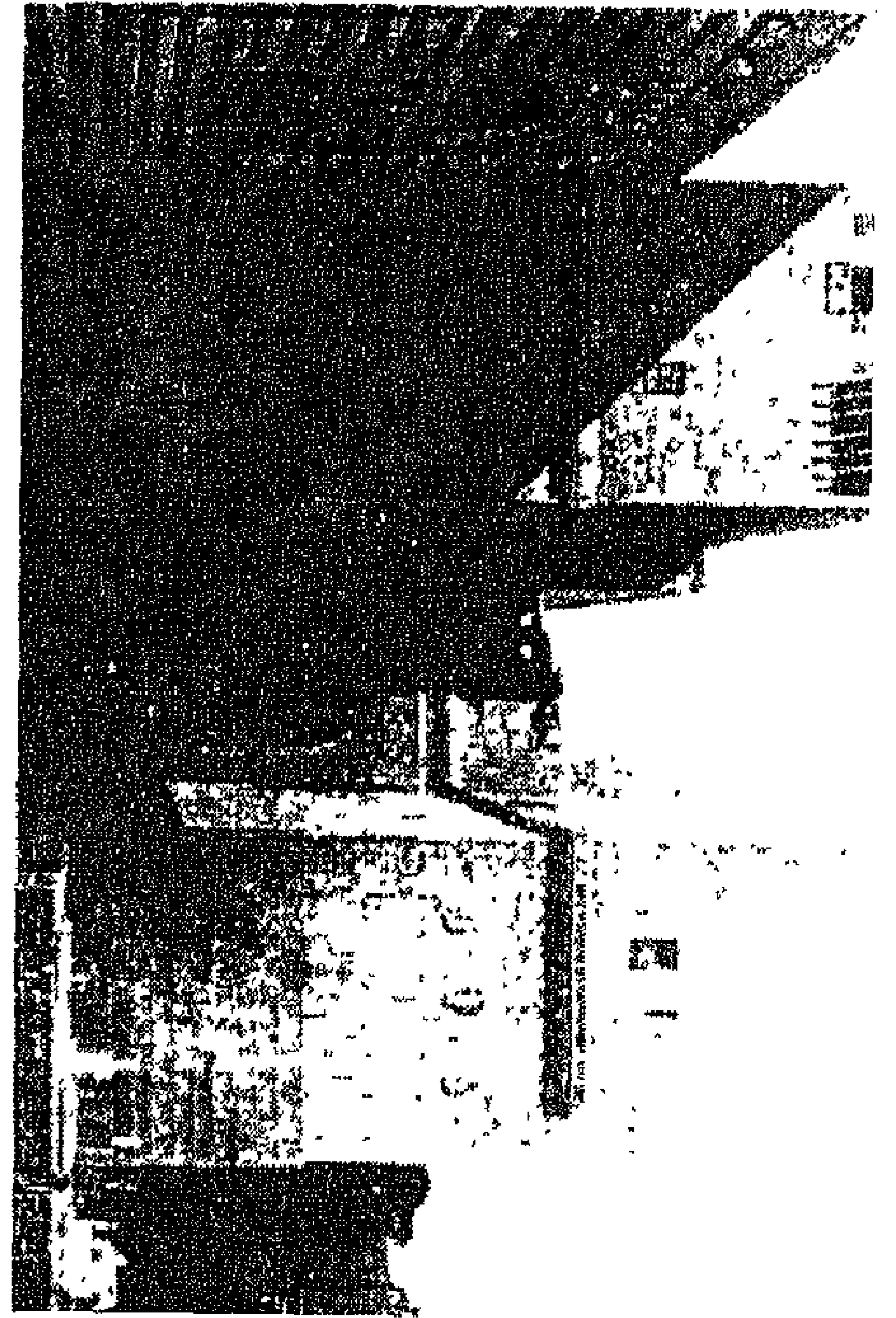
النصيحة من الإيمان.

قاربت الساعة الرابعة بعد الظهر لاحت لنا غابات نخيل الصالحية فأسرعنا إليها.
أن من عادة الفلاحين أن يحضروا مياه النيل في جرار إلى الطريق لبيعها للمسافر الظمآن. فقد استقبلنا كثير من هؤلاء الفلاحين وهم يحملون قربا ملأى بالمياه فاشتريناها منهم وارتوينا بلذة لا يمكن للمرء أن يتصورها إلا إذا وجد نفسه فى مثل هذه الظروف.
عندما وصل الجيش إلى الصالحية اعتبر نفسه قد بلغ نهاية مطافه. فقد وصل إلى بلاد يجد فيها مياه النيل على طول الطريق وكل ما يلزمه من الخبز والألبان والبيض والطيور والحمام والشمام والبطيخ بوفرة وبأثمان زهيدة.
وصل الجيش إلى القاهرة فى صباح ٢٦ بريريال فخرج لملاقاته المشايخ والتجار والصناع والعسكريون من أهل البلاد وهم يحملون الاعلام وكانت تتقدمهم الموسيقى وضاربو الدفوف والطبول من راكبى الجمال والاناشيدالحماسية.
وتقدمت أيضا لاستقباله الفرق الفرنسية لحماية القاهرة وجميع المدنيين من الأهالى الذين أقاموا فى المدينة فى غياب الجيش عنها عند (حى) القبة. لقد اندهشنا عندما رأينا لون وجوههم لاننا كنا قد اعتدنا رؤيتهم وقد لوحت شمس الصحراء لون وجوههم. كانوا يبدون لنا شاحبى الوجوه مما جعلنا نسألهم عن صحتهم فى قلق.
أن ذلك يعطينا فكرة عن قوة العادات المستحكمة التى ولدت عند السود شعور الاشمئزاز من اللون الأبيض واعتقادهم بأنه لا دم يجرى فى عروقنا.
دخل جنود الجيش القاهرة من باب

النصر وقد ثبت كل جندى على خوذته غصنا من النخيل وهرول سكان المدينة لاستقبالهم.
وقد أقيمت الحفلات لمدة ثلاثة أيام تتخللها الألعاب من جميع أنواعها مثل الرقص على الحبال والتحطيب وغيرها من الألعاب المسلية، كان يؤديها المواطنون من جميع الطبقات فى ساحة الأزبكية.

ل. كوستاز

انظر: كوريه دي ليجيبت العدد ٣١.



* باب النصر على وقت الحملة الفرنسية.

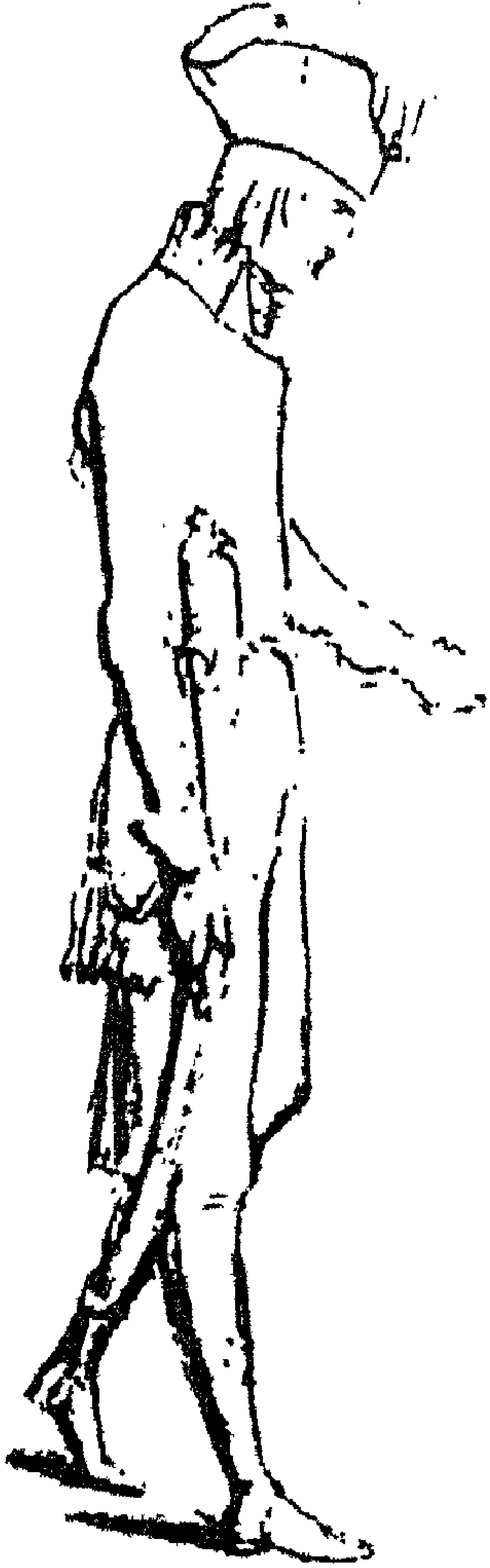
قال تعالى فى محكم القرآن، ولا تتبعوا خطوات الشيطان، وقال تعالى وهو أصدق القايلين فى الكتاب المكنون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون. فعلى العاقل أن يتدبر فى الأمور قبل أن يقع فى المحذور، نخبركم معاشر المؤمنين أنكم لا تسمعوا كلام الكاذبين فتصبحوا على ما فعلتم نادمين.

وقد حضر إلى محروسة مصر المحمية أمير الجيوش الفرنساوية حضرة بونابارته محب الملة المحمدية، ونزل بعسكره في العادلية سليما من العطب والأسقام ودخل إلى مصر من باب النصر يوم الجمعة فى موكب عظيم وشنك جليل فخيم، وصحبته العلما والوجاقات السلطانية وأرباب الأقلام الديوانية وأعيان التجار المصرية.

وكان يوما عظيما مشهودا، وخرجت أهل مصر لملاقاته فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته، وظهر لهم أن الناس يكذبون عليه شرح الله صدره للإسلام.

والذى أشاع عنه الأخبار الكاذبة العربان الفاجرة والغز الهاربة، ومرادهم بهذه الإشاعة هلاك الرعية وتدمير أهل الملة الإسلامية، وتعطيل الأموال الديوانية [و] لا يحبون راحة العبيد، وقد أزال الله دولتهم من شدة ظلمهم «إن بطش ربك لشديد».

وقد بلغنا أن الألفى توجه إلى الشرقية مع بعض المجرمين من عربان بلى والعيايدة الفجرة المفسدين يسعون فى الأرض بالفساد وينهبون أموال المسلمين «إن ربك لبالمرصاد».



ويزورون على الفلاحين المكاتيب الكاذبة ويدعون أن عساكر السلطان حاضرة والحال أنها ليست بحاضرة، فلا أصل لهذا الخبر ولا صحة لهذا الأثر، وإنما مرادهم وقوع الناس في الهلاك والضرر، مثل ما كان يفعل إبراهيم بك فى غزة، حيث كان، ويرسل فرمانات بالكذب والبهتان، ويدعى أنها من طرف السلطان ويصدقه أهل الأرياف خسفاء العقول، ولا يقرون العواقب فيقعون فى المصايب.

وأهل الصعيد طردوا الغز من بلادهم خوفا على أنفسهم وهلاك عيالهم وأولادهم، فإن المجرم يؤخذ مع الجيران، وقد غضب الله على الظلمة ونعوذ بالله من غضب الديان، فكان أهل الصعيد أحسن عقلا من أهل بحرى بسبب هذا الرأى السديد.

ونخبركم أن أحمد باشا الجزار سموه بهذا الاسم لكثرة قتله الأنفس ولا يفرق بين الأخيار والأشرار، وقد جمع الطموش [الجموع] الكثيرة من العسكر والغز والعرب وأسافل العشيرة، وكان مراده الاستيلاء على مصر وأقاليمها، وأحبوا اجتماعهم عليهم لأجل أخذ أموالها وهتك حريمها، ولكن لم تساعده الأقدار، والله يفعل ما يشا ويختاره.

وقد كان أرسل بعض هذه العساكر إلى قلعة العريش ومراده أن يصل إلى قطيا فتوجه حضرة سارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية وكسر عسكر الجزار الذين كانوا فى العريش ونادوا الفرار الفرار بعدما حصل بعسكرهم القتل والدمار، وكانوا نحو ثلاثة آلاف، وملك قلعة العريش وأخذ غزة وهرب من كان فيها وفروا، ولما دخل غزة نادى فى رعيتها

بالأمان وأمر بإقامة الشعاير الإسلامية وإكرام العلما والتجار والأعيان.

ثم انتقل إلى الرملة وأخذ ما فيها من بقسماط وأرز وشعير وقِرب أكثر من ألفين قِربة كبار كان قد جهزها الجزار لذهابه إلى مصر.

ثم توجه إلى يافا وحاصرها ثلاثة أيام ثم أخذها وأخذ ما فيها من ذخاير الجزار بالتمام. ومن نحوسات أهلها أنهم لم يرضوا بأمانه* ولم يدخلوا تحت طاعته وإحسانه، فدور فيهم السيف من شدة غيظه وقوة بأسه وسلطانه، وقتل منهم نحو أربعة الاف أو يزيدون بعدما هدم سورها وأكرم من كان بها من أهل مصر، وأطعمهم وكساهم، وجهزهم في المراكب إلى مصر، وغفرهم بعسكره خوفا عليهم العربان، وأجزل عطاياهم.

* حول هذه المذبحة البربرية التى قام بها بونابرت لأهل يافا بعد أن أعطاهم الامان انظر الهامش ص(٢١١).

وكان في يافا نحو خمسة آلاف من عسكر الجزار هلكوا جميعا وبعضهم ما نجاه إلا الفرار، ثم توجه من يافا إلى جبل نابلس فكسر من كان فيه من العساكر بمكان يقال له فاقوم*،وحرق خمسة بلاد من بلادهم وما قدر كان، ثم أخرب سور عكا وهدم قلعة الجزار التى كانت حصينة لم يبق فيها حجر على حجر، حتى أنه يقال كان هناك مدينة.

* حصن قرب الرملة من بلاد فلسطين.

وقد كان بنى حصونها وشيد بنيانها فى نحو عشرين من السنين وظلم فى بنيانها عباد الله، وهكذا عاقبة بنيان الظالمين، ولما توجه إليه أهل بلاد الجزار من كل ناحية كسرهم كسرة شنيعة، فهل ترى لهم من باقية، نزل عليهم

كصاعقة من السما ثم توجه راجعا إلى مصر المحروسة لأجل شيئين:

الأول: أنه وعدنا برجوعه إلينا بعد أربعة أشهر، والوعد عند الحرّ دَين. والسبب الثانى: أنه بلغه أن بعض المفسدين من الغز والعربان يحركون فى غيابه الفتن والشرور فى بعض الأقاليم والبلدان، فلما حضر سكنت الفتنة وزالت الأشرار والفجرة من الرعية، وحبه لمصر وإقليمها شى عجيب ورغبته فى الخير لأهلها ونيلها بفكره وتدبيره المصيب، ويرغب أن يجعل فيها أحسن التحف والصناعة.

ولما حضر من الشام أحضر معه جملة من الأسارى من خاص وعام وجملة مدافع وبيارق اغتنمها فى الحروب من الأعدا والأخصام.



* بونابرته.

فالويل كل الويل لمن عاداه والخير كل الخير لمن والاه، فسلموا ياعباد الله وارضوا بتقدير الله، وامتثلوا لأحكام الله ولا تسعوا فى سفك دمايكم وهتك عيالكم ولا تتسببوا فى نهب أموالكم، ولا تسمعوا كلام الغز الهربانين الكاذبين.

ولاتقولوا إن فى الفتنة إعلاء كلمة الدين، حاشا لله لم يكن فيها إلا الخذلان وقتل الأنفس وذل أمة النبى عليه الصلاة والسلام، والغز والعربان يطمعوكم ويغروكم لأجل أن يضروكم فينهبوكم، وإذا كانوا فى بلد وقدمت عليهم الفرنسيس فروا هاربين منهم كأنهم جند إبليس.

ولما حضر سارى عسكر إلى مصر أخبر أهل الديوان من خاص وعام أنه يحب دين الإسلام ويعظم النبى عليه

الصلاة والسلام، ويحترم القرآن ويقرأ منه كل يوم بإتقان، وأمر بإقامة شعاير المساجد الإسلامية وإجرا خيرات الأوقاف السلطانية، وأعطى عوايد الوجاقلية وسعى في حصول أقوات الرعية، فانظروا هذه الألطاف والمزية، ببركة نبينا أشرف البرية.

* بونابرت يتعهد ببناء أكبر جامع للإسلام في مصر.

وعرفنا أن مراده أن يبنى لنا مسجداً *عظيما بمصر لا نظير له في الأقطار، وأنه يدخل في دين النبى المختار عليه أفضل الصلاة وأتم السلام. انتهى بحروفه.



وكان أشيع بمصر قبل مجيهم وعودهم من الشام بأن سارى عسكر بونابارته مات بحرب عكا، وتناقله الناس وأنهم ولوا خلافه، فهذا هو السبب في قولهم في ذلك الطومار: «وقد حضر سليما من العطب فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته» إلى آخر السياق المتقدم.

وفي ثاني عشرينه أرسل سارى عسكر جماعة من العسكر وقبضوا على ملازاده ابن قاضي العسكر، ونهبوا بعضا من ثيابه وكتبه وطلعوا به إلى القلعة، فانزعج عليه عياله وحريمه ووالدته انزعاجا شديداً.

وفي صبحها اجتمع أرباب الديوان بالديوان وحضر إليهم ورقة من كبير الفرنسيس قريت عليهم. مضمونها أن سارى عسكر قبض على ابن القاضي وعزله وأنه وجه إليكم أن تقترعوا وتختاروا شيخا من العلما يكون من أهل مصر ومولودا بها، يتولى القضا ويقضى بالأحكام الشرعية كما كانت الملوك المصرية يولون القضا برأى العلما للعلما.

فلما سمعوا ذلك أجاب الحاضرون بقولهم إننا جميعا نتشفع ونترجى عنده فى العفو عن ابن القاضى فإنه إنسان غريب ومن أولاد الناس الصدور، وإن كان والده وافق كتخدا الباشا فى فعله فولده مقيم تحت أمانكم والمرجو انطلاقه وعوده إلى مكانه، فإن والدته وجدته وعياله فى وجد وحزن عظيم عليه، وسارى عسكر من أهل الشفقة والرحمة.



وتكلم الشيخ السادات بنحو ذلك، وزاد فى القول بأن قال: وأيضًا إنكم تقولون دايما إن الفرنساوية أحباب العثمانية وهذا ابن القاضى من طرف العثمانلى، فهذا الفعل مما يسى الظن بالفرنساوية ويكذب قولهم، وخصوصا عند العامة فأجاب الوكيل بعد ما ترجم له الترجمان بقوله: لا بأس بالشفاعة، ولكن بعد تنفيذ أمر سارى عسكر فى اختيار قاض خلافه وألا تكونوا مخالفين ويلحقكم الضرر بالمخالفة.

* انتخاب الشيخ العريشى قاضى قضاة لمصر بالقرعة. وهو بذلك أول قاضى قضاه مصرى.

فامتثلوا وعملوا القرعة* فطلعت الأكثرية باسم الشيخ أحمد العريشى الحنفى، ثم كتبوا عرضحال بصورة المجلس والشفاعة وكتب عليه الحاضرون، وذهب به الوكيل إلى سارى عسكر وعرفه بما حصل وبما تكلم به الشيخ السادات، فتغير خاطره عليه وأمر بإحضاره آخر النهار، فلما حضر لامه وعاتبه فتكلم بينهما الشيخ محمد المهدى ووكيل الديوان الفرنساوى بالديوان حتى سكن غيظه وأمره بالانصراف إلى منزله بعد أن عوقه حصة من الليل.

فلما أصبح يوم الجمعة عملوا جمعية فى منزل «دوجا» قايمقام، وركبوا صحبته إلى بيت سارى عسكر ومعهم الشيخ أحمد العريشى فألبسه فروة مثمنة، وركبوا جميعاً

إلى المحكمة الكبيرة بين القصرين ووعدهم بالإفراج عن ابن القاضى بعد أربع وعشرين ساعة وقد كانت عياله انتقلوا من خوفهم إلى دار السيد أحمد المحروقى وجلسوا عنده، ولما كان فى ثانى يوم أفرجوا عنه ونزل إلى عياله وصحبته أرباب الديوان والأغا ومشوا معه فى وسط المدينة ليراه الناس ويبطل القيل والقال.

* منشور بونابرت بخصوص انتخاب قاضى قضاة مصر من المصريين.

وفيه كتبوا أوراقاً *وطبعوا منها نسخا وألصقوها بالأسواق وصورتها:

جواب إلى محفل الديوان من حضرة سارى عسكر الكبير بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية محب أهل الملة المحمدية خطابا إلى السادات العلما أنه وصل لنا مكتوبكم من شأن القاضى، نخبركم أن القاضى لم أعزله وإنما هو هرب من إقليم مصر وترك أهله وأولادهم وخان صحبتنا من المعروف والإحسان الذى فعلناه معه، وكنت استحسنت أن ابنه يكون عوضا عنه فى محل الحكم فى مدة غيبته ويحكم بدله ولم يكن ابنه قاضيا متوليا للأحكام على الدوام لأنه صغير السن ليس هو أهلا للقضا، فعلمتم أن محل حكم الشريعة خال الآن من قاض شرعى يحكم بالشريعة، واعلموا أنى لا أحب مصر خالية من حاكم شرعى يحكم بين المؤمنين، فاستحسنت أن يجتمع علما المسلمين ويختاروا باتفاقهم قاضيا شرعيا من علما مصر وعقلاهم لأجل موافقة القرآن العظيم باتباع سبيل المومنين، وكذلك مرادى أن حضرة الشيخ العريشى الذى اخترتموه جميعاً أن

يكون لابسًا من عندى وجالسًا فى المحكمة، وهكذا كان فعل الخلفا فى العصر الأول باختيار جميع المؤمنين.

وأخبركم أنى تلقيت ابن القاضى بالمحبة والإكرام لما حضر لى وقابلنى ولم أزل لهذا الوقت أكرمه ولم أحب أن يضره أحد حكم أماننا له، ولما رفعناه إلى القلعة لم نرد ضرره بل رفعناه مكرمًا مثل ما يكون فى بيته بالراحة والإكرام.

* سارى عسكر بونابرته.



* بونابرت يعلن انقضاء دولة العثمانلى من مصر.

وسبب ما رفعناه إلى القلعة سكون الفتن والإصلاح بين الناس، وبعد لبس القاضى الجديد وجلوسه فى محل الحكم مرادى أن أطلق ابن القاضى وأنزله من القلعة وأرد له كامل تعلقاته وأطلق سبيله هو وعياله يتوجهون حيث أرادوا باختيارهم لأنه فى أمانى وتحت حمايتى، وأعرف أن أباه ما كان يكرهنى ولكنه ذهب عقله وفسد رأيه.

وأنتم يا أهل الديوان تهدون الناس إلى الصواب والنور من جنابكم لأهل العقول.

وعرفوا أهل مصر أنه انقضت وفرغت دولة العثمانلى* من أقاليم مصر وبطلت أحكامها منها.

وأخبروهم أن حكم العثمانلى أشد تعبًا من حكم المماليك وأكثر ظلمًا، والعاقل يعرف أن علما مصر لهم عقل وتدبير وكفاية وأهلية للأحكام الشرعية يصلحون للقضا أكثر من غيرهم فى ساير الأقاليم.

وأنتم يا أهل الديوان عرفونى عن المنافقين المخالفين أخرج من حقهم، لأن الله تعالى أعطانى القوة العظيمة لأجل ما

أعاقبهم، فإن سيفنا طويل ليس فيه ضعف ومرادى أن تعرفوا أهل مصر أن قصدى بكل قلبى حصول الخير والسعادة لهم مثل ما هو بحر النيل أفضل الأنهار وأسعدها، كذلك أهل مصر يكونون أسعد الخلايق أجمعين بإذن رب العالمين والسلام انتهى.

وفى تلك الليلة قتلوا شخصين أحدهما على جاويش ريس الريالة* الذى كان بالإسكندرية عند حضور الفرنسيس والثانى قبطان آخر، فلم يزالا بمصر يحبسونهما أيامًا ثم يطلقونهما، فحبسوهما آخرًا فلم يطلقوهما حتى قتلوهما.

* الريالة: هى الأسطول البحرى.

وفى صبيحة ذلك اليوم قتلوا شخصين أيضًا من الأتراك بالرميلة.

وفيه أفرجوا عن زوجات حسن بك الجداوى.

وفى ثامن عشرينه جمعوا الوجاقلية وكتبوا أسماهم.

وفى تاسع عشرينه قبضوا على ثلاثة أنفار أحدهم يسمى حسن كاشف من أتباع أيوب بك الكبير، وآخر يسمى أبو كلس، والثالث رجل تاجر من تجار خان الخليلى يسمى حسين مملوك الدالى إبراهيم فسجنوهم بالقلعة فتشفع الشيخ السادات فى حسين التاجر المذكور فأطلقوه على خمسة آلاف فرانسة.

---

## واستهل شهر صفر الخير
## بيوم الجمعة سنة ١٢١٤

فيه أفرجوا عن بعض قرابة كتخدا الباشا وكان محبوسا بالجيزة ثم نقل إلى القلعة مع كتخدا قريبه، فأطلق وبقى الآخر.



* احد شوارع دمياط .

وفي يوم الأحد ثالثه حضر السيد عمر أفندى [مكرم] نقيب الأشراف سابقا من دمياط إلى مصر وكان مقيما هناك من بعد واقعة يافا ونزل مع الذين أنزلوهم من يافا إلى البحر وفيهم عثمان أفندى العباسى، وحسن أفندى كاتب الشهر وأخوه قاسم أفندى وأحمد أفندى عرفه، والسيد يوسف العباسى والحاج قاسم المصلى وغيرهم، فمنهم من عوق بالكرنتيلة ومنهم من حضر من البر خفية فحضر بعض الأعيان لملاقاة السيد عمر وركبوا معه بعد أن مكث هنيهة بزاوية على بك التى بساحل بولاق حتى وصل إلى داره، وتوجه فى ثانى يوم مع [الشيخ] المهدى وقابل* سارى عسكر فبش له ووعده بخير ورد إليه بعض تعلقاته واستمر مقيما بداره والناس تغدو وتروح إليه على العادة.

* عمر مكرم يقابل بونابرت.

وفيه رابعه حضر أيضًا حسن كتخدا الجربان بأمان وكان بصحبته عثمان بك الشرقاوى.

وفيه أشيع أن مراد بك ذهب إلى ناحية البحيرة فرارا من الفرنسيس الذين بالصعيد.

وفى خامسه قتلوا * عبد الله أغا أمير يافا وكان أخذ أسيرا وحبس ثم قتل.

* قتل عبد الله أغا أمير يافا.

وفيه قتل أيضًا يوسف جربجى أبو كلس ورفيقه حسن كاشف.

وفى سادسه عمل الشيخ محمد المهدى* وليمة عرس لزواج أحد أولاده ودعا صارى عسكر وأعيان الفرنساوية فتعشوا عنده وذهبوا.

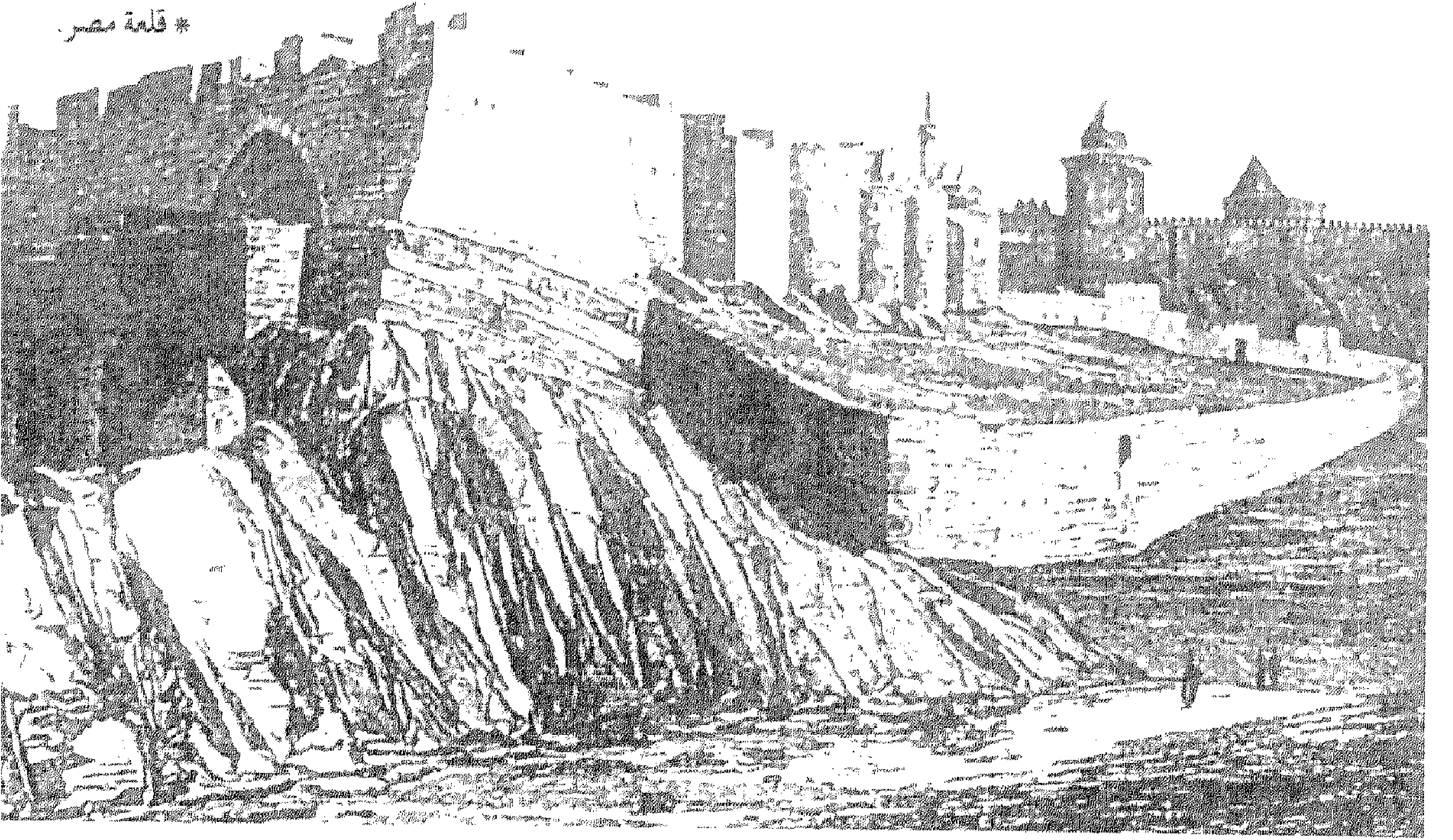
* الشيخ المهدى يولم وليمه لبونابرت.



* الشيخ محمد المهدى.

وفيه أحضروا أربعة عشر مملوكا أسرى وأصعدوهم إلى القلعة قيل إنهم كانوا لاحقين بمراد بالبحيرة فأووا إلى قبة يستظلون بها وتركوا خيولهم مع السواس، فنزل عليهم طايفة من العرب فأخذوا الخيول فمروا مشاة، فدل الفلاحون عليهم عسكر الفرنسيس فمسكوهم، وقيل إنهم أووا إلى بلدة وطلبوا منهم غرامة فصالحوهم فلم يرضوا بذلك بدون ما طلبوا فوعدوهم بالدفع من الغد وكانوا أكثر من ذلك، وفيهم كاشف من جماعة عثمان بك الطنبرجى فذهب الفلاحون إلى الفرنسيس وأعلموهم بمكانهم فحضروا إليهم ليلا وفر من فرمنهم وقتل من قتل وأسر الباقى، وأما الكاشف فيسمى عثمان كاشف التجأ إلى كبير الفرنسيس فحماه وأخذه عنده وأحضروا الأسرى إلى مصر

* قلعة مصر.



وعليهم ثياب زرق وزعابيط وعلى روسهم عرقى* من لباد وغيره وأصعدوهم إلى القلعة وقتلوا منهم فى ثانى ليلة أشخاصا.

* عرقي: طاقية.

وفى تاسعه أحضروا أيضًا ستة أشخاص من المماليك وأصعدوهم إلى القلعة وفى ذلك اليوم قتلوا أيضًا نحو العشرة من الأسرى المحابيس.

وفى يوم الأحد عاشره ركب فى عصريته سارى عسكر وعدى* إلى بر الجيزة وتبعته العساكر ولم يعلم سبب ذلك، ولما صاروا بالجيزة ضربوا نجع البطران ودهشور بسبب نزول مراد بك عندهم.

* مطاردة مراد بك فى الجيزة وهروبه للصعيد.

وفى هذا اليوم ظهر أن مراد بك رجع ثانيًا إلى الصعيد وشاع الخبر أيضًا أن عثمان بك الشرقاوى وسليمان أغا الوالى

وآخرين مروا من خلف الجبل وذهبوا إلى ناحية الشرق فخرج عليهم جماعة من العسكر وفيهم برطلمين ينى الرومي ريس عسكر الأروام ومعهم عدة وافرة من أخلاط العسكر أروام وقبط والمماليك المنضمة إليهم وبعض فرنساوية فأدركوهم بالقرب من بلبيس وأتوهم من خلاف الطريق المسلوكة فدهموهم على حين غفلة، وكان عثمان بك يغتسل فلما أحسوا بهم بادروا للفرار وركبوا وركب عثمان بك بقميص واحد على جسده وطاقية فوق رأسه وهربوا وتركوا ثيابهم ومتاعهم وحملهم وقدور الطعام. على النار ولم يمت منهم إلا مملوكان وأسروا منهم اثنين، ووجدوا على فراش عثمان بك مكاتبة من إبراهيم بك يستدعيهم إلى الحضور إليه بالشام.

وفي ليلة الاثنين حادى عشره [١٦ يوليو ١٧٩٩م] وردت أخبار ومكاتيب مع السعاة لبعض الناس من الإسكندرية وأبي قير وأخبروا بأنه وردت مراكب* فيها عسكر عثمانية إلى أبي قير، فتبين أن حركة الفرنساوية وتعديهم إلى البر الغربي بسبب ذلك، وأخذوا صحبتهم جرجس الجوهرى، وفي ضحوة اليوم الثانى عدى الكثير من العسكر أيضًا واهتم حنا بينو المتولى على بحر بولاق بجمع المراكب وشحنها بالقومانية والذخيرة.

* وصول الاسطول العثمانى إلى أبو قير (موقعة أبو قير البرية).

وداخل الفرنساوية من ذلك وهم* كثير ولما عدى كبيرهم إلى بر الجيزة أقام يوم الاثنين عند الأهرام حتى تجمعت العساكر وبعث بالمقدمة وركب هو في يوم الثلاثا ثانى

* بسبب تمارض العسكرالفرنساوية ورغبتهم في السفر إلى فرنسا اصدر بونابرت الأمر التالى:
من القائد العام بونابرت إلى الجنرال برتييه

عشر. وأرسل مكتوبا إلى أرباب الديوان بالسلام عليهم والوصية بالمحافظة وضبط البلد والرعية كما فعوا فى غيبته السابقة.

وفي سادس عشره ورد الخبر بأن عثمان خجا وصل إلى قلعة أبى قير صحبة السيد مصطفى باشا فضربوا على القلعة وقاتلوا من بها من الفرنساوية وملكوها وأسروا من بقى بها، وعثمان خجا هذا هو الذى كان متولى إمارة رشيد من طرف صالح بك وحج معه ورجع صحبته إلى الشام فلما توفى صالح بك سافر إلى الديار الرومية وحضر صحبة مصطفى باشا المذكور، فلما تحققت هذه الأخبار كثر اللغط فى الناس وأظهروا البشر وتجاهروا بلعن النصارى.

واتفق أنه تشاجر بعض المسلمين بحارة البرابرة بالقرب من كوم الشيخ سلامة مع بعض نصارى الشوام، فقال المسلم للنصرانى إن شا الله تعالى بعد أربعة أيام نشتفى منكم وكلام من هذا المعنى، فذهب ذلك النصرانى إلى الفرنسيس مع عصبة من جنسه، وأخبروهم بالقصة وزادوا وحرفوا وعرفوهم أن قصد المسلمين إثارة فتنة.

فأرسل قايمقام إلى الشيخ المهدى وتكلم فى شأن ذلك، وحاججه واصبحوا فاجتمعوا بالديوان فقام المهدى خطيبا وتكلم كثيراً ونفى الريبة وكذّب أقوال الأخصام وشدد فى تبرية المسلمين عما نسب إليهم وبالغ فى الحطيطة والانتقاص من جانب النصارى، وهذا المقام من مقاماته المحمودة ثم جمعوا مشايخ الأخطاط والحارات وحبسوهم.

وفيه حضرت مكاتبة * من الفرنسيس المتوجهين للمحاربة مع العسكر الوارد لجهة أبى قير وصورتها:

رئيس أركان الحرب العام.
القاهرة فى ١٣ فريمير سنة٧
أرجو يا سيادة الجنرال المواطن أن تبلغ الأطباء ورئيس الجراحين أنى غير راض عن السهولة التي يمنحون بها شهادات العودة إلى أوروبا لأشخاص يدفعهم الجبن وعدم الثبات وعدم حبهم لتأدية الواجب إلى ترك الجيش قبل انتهاء الحملة.
أوضح لهم أنه يتحتم عليهم الا يمنحوا الشهادات إلا للأشخاص الذين لا يمكن علاجهم إلا فى أوروبا الأمر الذى يدعو ـ فى بلد صحى مثل مصر ـ إلى الحد من تلك الشهادات إلى عدد قليل من المرضى.
أن ذلك لا يعني يا جنرال أني أنوى الاحتفاظ فى الجيش بعناصر لا تخفق قلوبها بالإحساس بشرف زمالتنا فى السلاح.
ليرحلوا فانى سوف أسهل لهم طريق العودة ولكنني لا أريد منهم أن يتستروا ـ بادعاء المرض ـ على السبب الحقيقى لعدم مشاركتنا التعب والمخاطر حتى لا نجازف باشراكهم فى مجدنا وعزتنا وكرامتنا.
(كورييه دى ليجيبت ص (٧٥).

* خطاب من عسكر أبو قير إلى بونابرت بوصول الأسطول العثمانى.

انتصار أبو قير

مستخرج من خطاب الجنرال بونابرت
إلى الجنرال دوجا
من معسكر المستشفى المتنقل فى ٨ ترميدور الساعة ٧ صباحا.

فى الساعة السابعة من صباح البارحة وجدنا أنفسنا أمام العدو الذى تمركز على بعد أربعة كيلو مترات أمام قلعة أبو قير فهاجمناه وهزمنا هزيمة منكرة، واستردنا منه القريتين، وأستولينا على متارسهم واستحكاماتهم وخنادقهم وكل ما فى معسكرهم وطاردناهم حتى البحر وأغرقنا منهم، من ١٠ آلاف إلى ١٢ ألف مقاتل وقد أسرنا القائد العام للبر والبحر واسمه سعيد مصطفى باشا، سأحضره بنفسى إلى القاهرة. وقد قتل منا مائة جندى وأصيب أربعمائة بجراح، من بينهم الجنرال مورا والجنرال فوجيير Fu-gieres وقائد الفرقة موراجيبه وكان ضمن القتلى العريف لوتورك وقائد الفرقة دوفيفيه Duvivier ويساورى جبير Cuibert

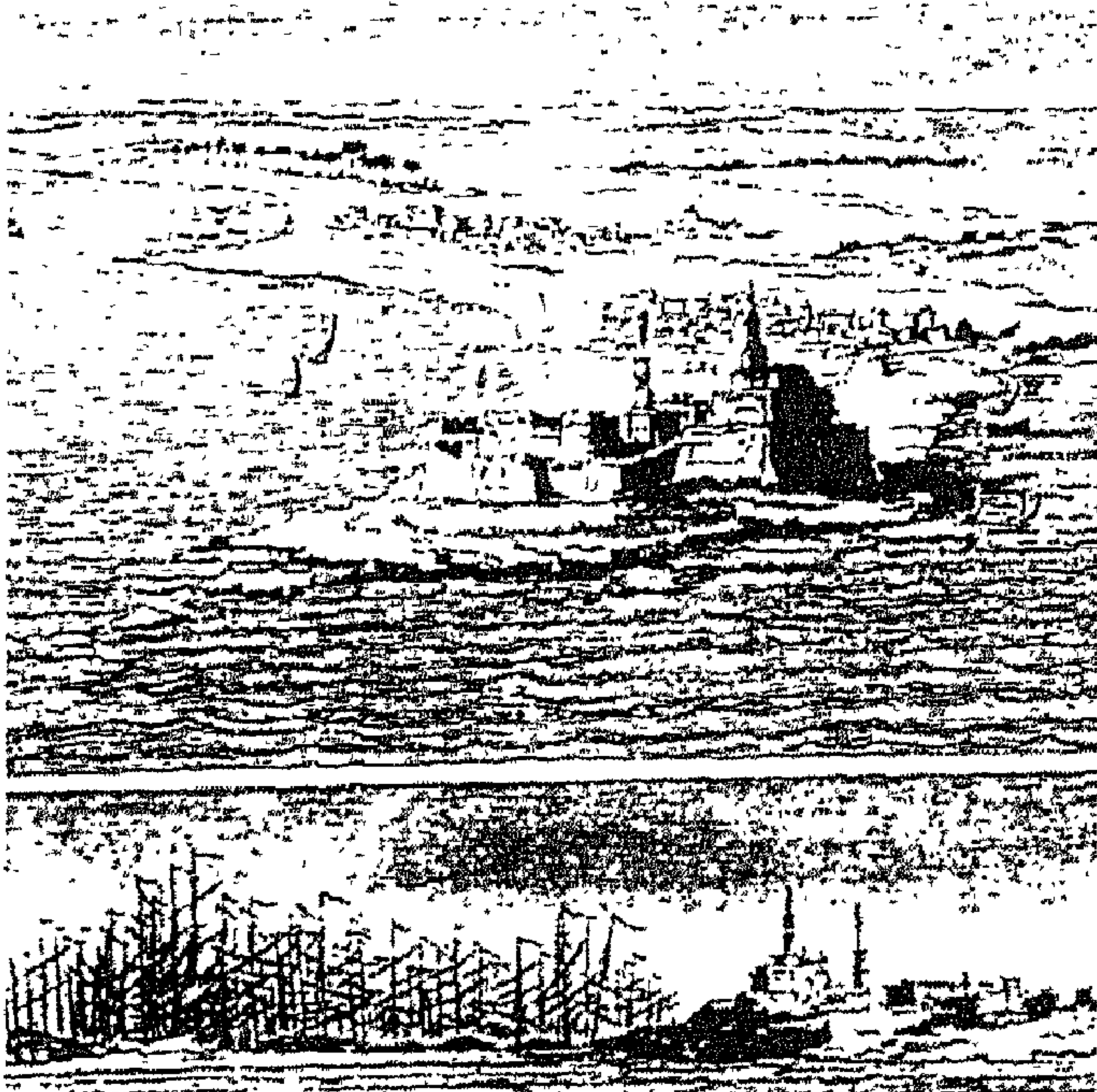
أمضاء :بونابرت

وهذه بعض التفاصيل الأخرى التى وصلتنا بخطابات خاصة:

يظهر أن سلاح الفرسان كان له ضلع كبير فى الانتصار. لقد تقدم الفرسان الهجوم على الأعداء للاستيلاء على استحكماتهم المبنية من الرمال، وكانت فجواتها مليئة بالمنحدرات، وأصاب قائدها الجنرال مورا جرح فى فمه فى اللحظة التى أعطى فيها إشارة الاندفاع الجارف الذى كان دائما يحقق له النصر. والمعتقد أن حالته لا تدعو إلى الانزعاج.

لم تبذل سفن مدفعية الأعداء أى مجهود لحماية جنودهم فكانوا يفرون مهرولين نحو البحر.

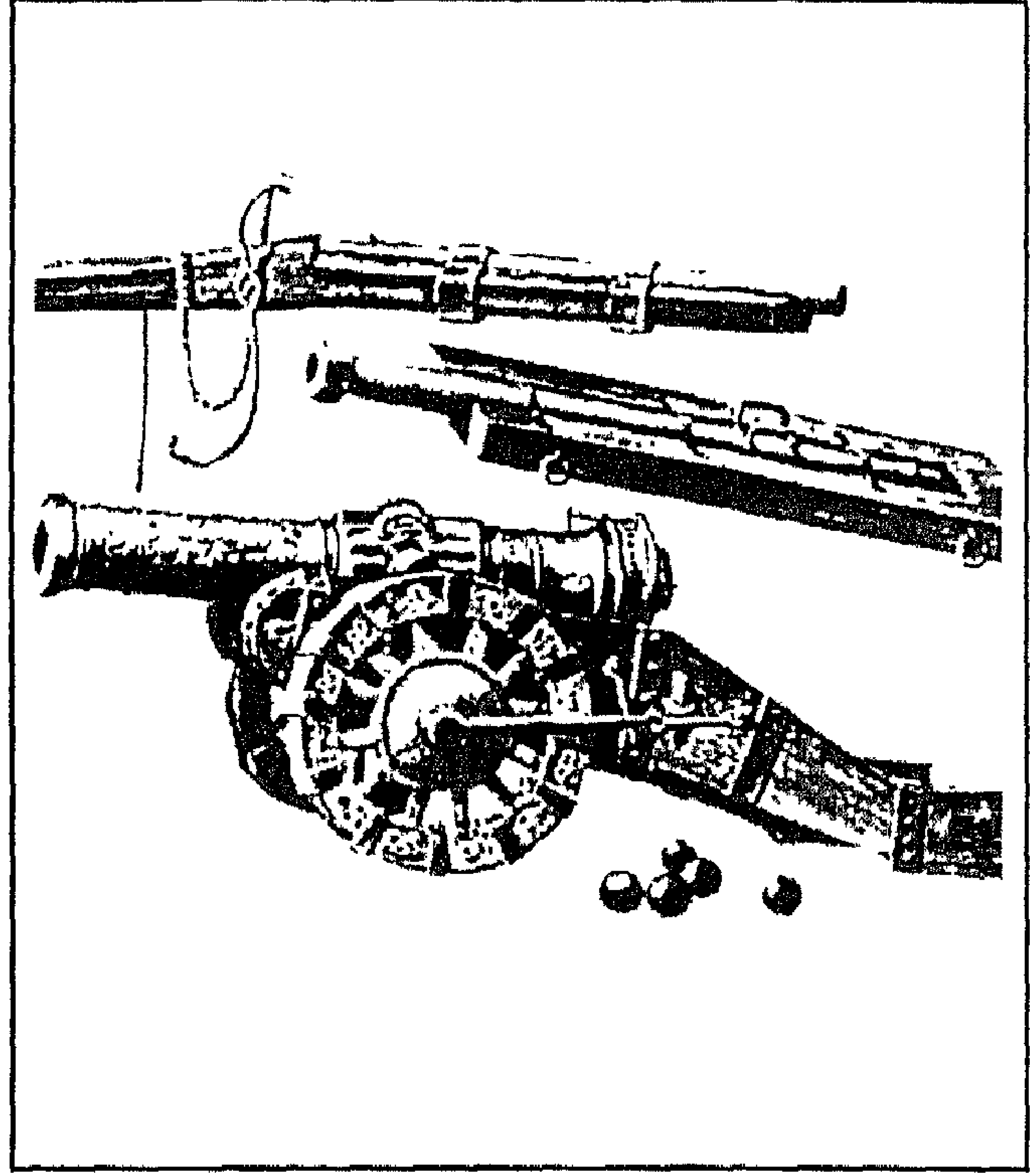
سعيد مصطفى باشا كان قد أحضر معه مؤنا غذائية من البن وغيره



* أعلى ميناء ابو قير واسفل الاسطول الفرنسى فى الميناء قبل تدميره فى موقعة ابو قير البحرية.

لا إله إلا الله محمد رسول الله ›، نخبركم محفل الديوان بمصر المنتخب من أحسن الناس وأكملهم بالعقل والتدبير، عليكم سلام الله تعالى ورحمته وبركاته بعد مزيد السلام عليكم وكثرة الأشواق الزايدة إليكم نخبركم يا أهل الديوان المكرمين العظام بهذا المكتوب أننا وضعنا جماعات من عسكرنا بجبل الطرانة، وبعد ذلك سرنا إلى إقليم البحيرة لأجل ما نرد راحة الرعايا المساكين ونقاصص أعدانا المحاربين، وقد وصلنا بالسلامة إلى الرحمانية وعفونا عفوا عموميا عن كامل أهل البحيرة، حتى صار أهل الإقليم فى راحة تامة ونعمة عامة.

وفى هذا التاريخ نخبركم أنه وصل ثمانون مركبا صغارا وكبارا حتى ظهروا بثغر إسكندرية وقصدوا أن يدخلوها فلم



يمكنهم الدخول من كثرة البنب وجلل المدافع النازلة عليهم، فرحلوا عنها وتوجهوا يرسون بناحية أبى قير وابتدوا ينزلون فى البر، وأنا الآن تاركهم وقصدى أن يتكامل الجميع فى البر وأنزل عليهم أقتل من لا يطيع وأخلى بالحياة الطايعين، وآتيكم بهم محبوسين تحت السيف لأجل أن يكون فى ذلك شأن عظيم فى مدينة مصر.

والسبب فى مجى هذه العمارة إلى هذا الطرف العشم بالاجتماع على المماليك والعربان لأجل نهب البلاد وخراب القطر المصرى.

وفى هذه العمارة خلق كثير من الموسقو الإفرنج الذين كراهتهم ظاهرة لكل من كان يوحد الله وعدواتهم واضحة

ومعاطف وغيرها من الملابس ونقودا لتوزيعها على أهل البلاد واكتساب مؤيدين له ومريدين، فاستولينا على كل ذلك.

هذا الانتصار الباهر كان خاتمة حملتنا الدفاعية للسنة السابعة. هزم العدو فى ميسرته فقد هدمنا فى سوريا ذاتها كل ما كان يعده فيها لغزو مصر عن طريق البر فى الوقت الذى لم تكن تسمح له الرياح بالقيام بأية مغامرة عن طريق البحر. ومن ثم لم يتمكن من اجبارنا على تقسيم قواتنا لمقاومته فى موقعين متباعدين عن بعضهما، بل بالعكس هذه الميزة كانت لنا حتى إذا ما واتت الرياح لفرصة انزال الجنود، عجلت بالزج بميمنته إلى ساحة الوغى والهزيمة.

هذا ونأمل أن يكف البريطانيون عن كبريائهم فى تفاخرهم بموقعة أبو قير البحرية، وأن أخبار موقعة أبو قير التى دارت فى ٧ ترميدور سنة ٧ سوف تخفف فى نفوس الفرنسيين من حسرة ذكرى تلك الموقعة البحرية التى دارت رحاها فى خليج أبو قير بتاريخ ١٤ ترميدور سنة٦.

ليس هناك تفكير فى أن يرسل الجنرال بونابرت إلى بلدية باريس سيف الجنرال البرى والبحرى الأسير. فلو كنا قد أودعنا فى بلدية باريس سيوف جميع الجنرالات والقواد التى استولت عليها القوات الفرنسية أثناء الحرب لكنا حولنا هذا المبنى إلى ترسانة لا تخلو طبعا من السيوف البريطانية ولكن هذا عمل لا يقدم عليه الجمهوريون، وأوروبا ذاتها التى عودناها على أعمالنا الجسام لن تسكت عن مثل هذا الغرور.

انظر. كوربيه دى ليچيبت العدد (٣٥).

لمن كان يعبد الله ويومن برسول الله، يكرهون الإسلام. ولا يحترمون القرآن، وهم نظراً لكفرهم فى معتقدهم يجعلون الآلهة ثلاثة، وأن الله ثالث تلك الثلاثة، تعالى الله عن الشركا، ولكن عن قريب يظهر لهم أن الثلاثة لا تعطى القوة وأن كثرة الآلهة لا تنفع، بلى إنه باطل لأن الله تعالى هو الواحد الذى يعطى النصرة لمن يوحده، هو الرحمن الرحيم المساعد المعين المقوى للعادلين الموحدين، الماحق رأى الفاسدين المشركين، وقد سبق فى علمه القديم وقضاه العظيم أنه أعطانى هذا الإقليم، وقدر وحكم بحضورى عندكم إلى مصر لأجل تغييرى الأمور الفاسدة وأنواع الظلم وتبديل ذلك بالعدل والراحة مع صلاح الحكم وبرهان قدرته العظيمة، ووحدانيته المستقيمة، أنه لم يقدر للذين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة قوة مثل قوتنا لأنهم ما قدروا أن يعملوا الذى عملناه ونحن المعتقدين وحدانية الإله ونعرف أنه العزيز القادر القوى القاهر المدبر للكاينات والمحيط علمه بالأرضين والسموات، القايم بأمر المخلوقات، هذا ما فى الآيات والكتب المنزلات.

ونخبركم بالمسلمين إن كانوا صحبتهم يكونوا من المغضوب عليهم لمخالفتهم وصية النبى عليه أفضل الصلاة والسلام بسبب اتفاقهم مع الكافرين الفجرة اللئام لأن أعدا الإسلام لا ينصرون الإسلام، ويا ويل من كانت نصرته بأعدا الله وحاشا لله أن يكون المستنصر بالكفار مويداً أو يكون مسلما ساقتهم المقادير للهلاك والتدمير مع السفالة والرذالة، وكيف لمسلم أن ينزل فى مركب تحت بيرق الصليب ويسمع فى حق الواحد الأحد الفرد الصمد من الكفار كل

**في مقر القيادة العامة بالاسكندرية**
**في ١٥ ترميدور سنة ٧**

من ألكسندر برتييه إلى قائد الفرقة دوجا.

صمدت قلعة أبو قير منذ بدأت المعركة فى ٧ من هذا الشهر إلى ظهر يوم ١٤ حيث استسلمت بعد أن دكت حصونها من حوالى ١٥ مدفعا طوال هذه المدة من جميع العيارات.

وجدنا فيها حوالى ثلاثة آلاف عسكرى تركى أسرناهم وكان من بينهم ابن مصطفى باشا القائد العام ووجدنا أيضا ٨٠٠ جندى مصابين بجراح مختلفة.

وبذلك يكون الجيش التركى قد فنى وكان قوامه ١٥ ألف مقاتل قتل منهم من قتل وغرق من غرق، وأسر الباقون ولم ينجح أحد.

أقبلكم.

الكسندر برتييه

وصل القائد العام والجنرال برتييه إلى القاهرة فى ٢٣ ترميدور وقد وصل أيضا فى نفس اليوم مصطفى باشا والأسرى الاتراك الآخرون قادمين من أبو قير.

اتفاق تبادل الأسرى موقع بين الجنرال مارمون Marmont بتصريح خاص من القائد العام بونابرت، والباترونا بك Pa-trona Bey قائد الاسطول الحربى التركى.

البند الأول: يتبادل الطرفان أسراهم رجلا برجل ورتبة برتبة.

٢ ـ الجرحى والاطباء والجراحون لا يعتبرون أسرى حرب..

٣ ـ ابتداء من اليوم وفى ظرف ثلاثة أشهر ويستحسن قبل هذا الميعاد يرحل الأسرى الفرنسيين الموجودين حاليا فى القسطنطينية ومختلف أنحاء الامبراطورية التركية على سفن ترسو فى ميناء الاسكندرية. وفى نفس الوقت يرحل إلى الاسكندرية عدد مماثل من الاتراك وستجرى عملية

يوم تخريف واحتقار، ولا شك أن هذا المسلم فى هذا الحال أقبح من الكافر الأصلى فى الضلال.

نريد منكم يا أهل الديوان أن تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والأمصار لأجل أن يمتنع أهل الفساد من الفتنة بين الرعية من ساير الأقاليم والبلاد، لأن البلد الذى يحصل فيه الشر يحصل لهم مزيد الضرر والقصاص، انصحوهم يحفظوا أنفسهم من الهلاك خوفاً عليهم أن نفعل فيهم مثل ما فعلناه فى أهل دمنهور وغيرها من بلاد الشرور بسبب سلوكهم المسالك القبيحة قاصصناهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحريراً فى الرحمانية يوم الأحد خامس عشر صفر سنة أربعة عشر ومايتين وألف [١٩ يوليو ١٧٩٩م].

وطبعوا من ذلك نسخاً وألصقوها بالأسواق وفرقوا منها على الأعيان، انتهى.

وفى ثامن عشرة، وردت أخبار وعدة مكاتيب لكثير من الأعيان والتجار وكلها على نسق واحد تزيد عن المائة مضمونها بأن المسلمين وعسكر العثمانيين ومن معهم ملكوا الإسكندرية فى ثالث ساعة من يوم السبت سادس عشر صفر، فصار الناس يحكى بعضهم لبعض ويقول البعض أنا قرأت المكتوب الواصل إلى فلان التاجر، ويقول الآخر مثل ذلك ولم يكن لذلك أصل ولا صحة، ولم يعلم من فعل هذه الفعلة واختلق هذه النكتة، ولعلها من فعل بعض النصارى البلديين ليوقعوا بها فتنة فى الناس ينشأ منها القتل فيهم والأذية لهم، وسبحان الله علام الغيوب.



التبادل بناء على البندين الأول والثانى.

٤ ـ كلما رست فى الاسكندرية سفينة تركية عليها أسرى فرنسيون يخطر قائد الحامية بعدد الاسرى الموجودين لديه للتبادل. وعلى القائد الفرنسى تقديم عدد مماثل من الأسرى الأتراك فى ظرف ٧٢ ساعة لاتمام عملية التبادل فوراً.

الاسكندرية فى ١٨ ترميدور سنة ٧ للجمهورية.

* * *

أمر يومي بتاريخ ١٤ ترميدور سنة ٧ بونابرت القائد العام.

كان اسم أبو قير بغيضا لكل فرنسي ولكن يوم ٧ ترميدور جعل هذا الاسم مجيدا بانتصار الجيش الذى عجل بعودته إلى أوروبا.

لقد استولينا على ماينز Mayence وحدود نهر الراين واليوم استرددنا ممتلكاتنا فى الهند وممتلكات حلفائنا. وبعملية واحدة أوجدنا فى يد حكومتنا السلطة والقدرة على اجبار بريطانيا بالرغم من انتصاراتها البحرية على قبول صلح يمجد جمهوريتنا.

لقد تحملنا الكثير من العذاب وحاربنا أعداء من مختلف الملل والبيئات والأجناس وبقي علينا أن ننتصر على آخرين، وستكون نتائج هذه الصراعات جديرة بنا، وسوف نستحق عليها اعجاب وتقدير أمتنا.

بونابرت

امضاء: اسكندر برتييه

قائد فرقة ورئيس أركان الحرب العام

انظر كورييه دى ليجيبت ص ١٤٠.

وفى ليلة الأربعا عشرينه [صفر ١٢١٤هـ = ٢٤ يوليو ١٧٩٩م] أشيع أن الفرنساوية تحاربوا* مع العساكر الواردين على أبى قير وظهروا عليهم وقتلوا الكثير منهم ونهبوهم وملكوا منهم قلعة أبى قير وأخذوا مصطفى باشا أسيراً وكذلك عثمان خجا وغيرهما، وأخبر الفرنسيس أنه حضرت لهم مكاتبة بذلك من أكابرهم فلما طلع النهار ضربوا مدافع كثيرة من قلعة الجبل وباقى القلاع المحيطة وبصحن الأزبكية وعملوا فى ليلتها أعنى ليلة الأربعا حراقة بالأزبكية من نفوط وبارود وسواريخ تصعد فى الهواء.

وفى يوم الخميس ثامن عشرينه وصلت عدة مراكب وبها أسرى وعساكر جرحى، وكذلك يوم الجمعة تاسع عشرينه حضرت مكاتبة* من الفرنسيس بحكاية الحالة التى وقعت، لم أقف على صورتها

---

## واستهل شهر ربيع الأول بيوم السبت سنة ١٢١٤

فى ثانيه وصلت مراكب من بحرى وفيها جرحى من الفرنساوية.

وفيه قبضوا على الحاج مصطفي البشتيلى الزيات من أعيان أهالى بولاق وحبسوه ببيت قايمقام، والسبب فى ذلك أن جماعة من جيرانه وشوا عنه بأن بداخل بعض حواصله الذى فى وكالته عدة قدور مملوءة بالبارود فكبسوا على الحواصل فوجدوا بها ذلك كما أخبر الواشى، فأخذوها وقبضوا عليه وحبسوه كما ذكر، ثم نقلوه إلى القلعة.

* القضاء على الأسطول العثمانى فى أبوقير.

* خطاب الجنرال دوجا بخصوص الاستيلاء على قلعة أبو قير ونصه:

صورة مكتوب لجنرال دوكا قيمقام أمير الجيوش بمصر حالا، إلى الإسلام وكافة أرباب الديوان.

بعد السلام عليكم وكثرة الأشواق إليكم، لا يخفاكم انه وصلنى خبر صحيح بأن العساكر الفرنساوى ملكت قلعة أبو قير فى ١٥ شهر ترميدور الموافق إلى شهر صفر سنة ١٢١٤ [يذكر الجبرتى فى المتن المجاور أن الفرنسيين استولوا على قلعة أبى قير فى ليلة الأربعا ٢٠ صفر أى ليلة الواقعه (وهو الأصح). وأنهم استأسروا فيها ثلثة آلاف نفر، ومن الجملة مصطفى باشا. وغاية ما وقع أن العمارة التى نزلت فى أبو قير كانت بها عساكر خمسة ألف لم يخلص منهم أحد، بل الكل تلاشوا وهلكوا، ثم أخبركم، عن لسان حضرة السارى عسكر الكبير بونابرته، إنكم، فى الحال، تظهرون هذا الخبر بين الخاص والعام، وتشهروه فى الأقاليم المصرية. فإنه خبر فيه سرور وفرح وألزمكم انكم تعرفونى، فى الحال، عن إشهار هذا الخبر الفاخر المعتبر. وأخبركم أن حضرة السارى عسكر الكبير بونابرته يحضر إليكم عن قريب. والله تعالى يحفظكم. والسلام ختام].

تحريراً فى ٢٢ شهر ترميدور سنة السابعة لمشيخة الفرنساوية الموافقة إلى ٢ ربيع الأول سنة ١٢١٤ [١٤ أغسطس ١٧٩٩م]

طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر حالاً

وحول انتصار أبو قير: مستخرج من خطاب الجنرال بونابرت إلى الجنرال دوجا.

وفى سادسه حضر أيضا جملة من العسكر وكثر لغط الناس على عادتهم فى رواية الأخبار.

وفيه حضرت حجاج المغاربة ووصلوا صحبة الحاج الشامى، وأخبروا أنهم حجوا صحبته وأمير الحاج الشامى عبد الله باشا ابن العظم.

وفى ليلة الأحد تاسعه حضر سارى عسكر الفرنساوية بونابرته ودخل إلى داره بالأزبكية وحضر صحبته عدة أناس من أسرى المسلمين، وشاع الخبر بحضوره فذهب كثير من الناس إلى الأزبكية ليتحققوا الخبر على جليته، فشاهدوا الأسرى وهم وقوف فى وسط البركة ليراهم الناس، ثم إنهم صرفوهم بعد حصة من النهار فأرسلوا بعضهم إلى جامع الظاهر خارج الحسينية وأصعدوا باقيهم إلى القلعة.

وأما مصطفى باشا سارى عسكر فإنهم لم يقدموا به لمصر بل أرسلوه إلى الجيزة مكرما، وأبقوا عثمان خجا بالإسكندرية، ولما استقر سارى عسكر بونابارته فى منزله ذهب للسلام عليه المشايخ والأعيان وسلموا عليه، فلما استقر بهم المجلس قال لهم على لسان الترجمان إن سارى عسكر يقول لكم إنه لما سافر إلى الشام كانت حالتكم طيبة فى غيابه، وأما فى هذه المرة فليس كذلك لأنكم كنتم تظنون أن الفرنسيس لا يرجعون بل يموتون عن آخرهم، فكنتم فرحانين ومستبشرين وكنتم تعارضون الأغا فى أحكامه، وأن المهدى والصاوى ما هم «بونو» أى ليسوا بطيبين ونحو ذلك، وسبب كلامه هذا الحكاية المتقدمة التى حبسوا بسببها مشايخ الحارات، فإن الأغا الخبيث كان يريد

من معسكر المستشفى المتنقل فى ٨ ترميدور الساعة ٧ صباحا.
فى الساعة السابعة من صباح البارحة وجدنا انفسنا أمام العدو الذى تمركز على بعد أربعة كيلو مترات أمام قلعة أبو قير فهاجمناه وهزمناه هزيمة منكرة، واسترددنا منه القريتين، واستولينا على متاريسهم واستحكاماتهم وخنادقهم حتى البحر وأغرقنا منهم، من ١٠ آلاف إلى ١٢ ألف مقاتل وقد أسرنا القائد العام للبر والبحر واسمه سعيد مصطفى باشا ــ سأحضره بنفسى إلى القاهرة وقد قتل منا ماية جندى وأصيب أربعماية بجراح، من بينهم الجنرال مورا والجنرال فوجيير وقايد الفرقة كريتان وقايد الفرقة موارنجييه. وكان ضمن القتلى العريف لو تورك وقايد الفرقة دوفيفييه وياورى جبيير.

امضاء

بونابرت

كوريه دى ليجيبت ــ رقم ٣٥ ص ١٣٥.

* فى اثناء عودة قافلة الحجاج المغاربة ارسل قايدهم خطابا إلى بوسليك جاء فيه.
منذ أن تركنا مدينتكم زرنا بيت الله. لقد مضت هذه الرحلة فى هدو، ولم نقابل عربا فى طريقنا.
اما عند عودتنا فقد هجم علينا حشد من العرب عند خروجنا من المدينة ــ مدينة النبى ــ واستولينا على عدد من جمالهم. وفى هذه المعركة قتل اثنان من حجاجنا.
وصلنا القصير وكنا سنسلك طريق مصر إلا أن أمير الحج [الشامى إسماعيل باشا العظم] طلب منا أن نصحبه إلى مقربة من القدس، فاتضح لنا عندئذ أنه يدبر دسيسة ما ضد الفرنسيين مما اضطرنا إلى الانفصال

أن يقتل فى كل يوم أناسا بأدنى سبب، فكان المهدى والصاوى يعارضانه ويتكلمان معه فى الديوان ويوبخانه ويخوفانه سوء العاقبة، وهو يرسل إلى سارى عسكر فيطالعه بالأخبار ويشكو منهما، فلما حضر عاتبهم فى شأن ذلك، فلاطفوه حتى انجلى خاطره، وأخذ يحدثهم على ما وقع له من القادمين إلى أبى قير والنصر عليهم وغير ذلك.

وفي يوم الثلاثا حادى عشره عمل المولد النبوى بالأزبكية ودعا الشيخ خليل البكرى سارى عسكر الكبير مع جماعة من أعيانهم وتعشوا عنده. وضربوا ببركة الأزبكية مدافع وعملوا حراقة وسواريخ ونادوا فى ذلك اليوم بالزينة وفتح الأسواق والدكاكين ليلا وإسراج قناديل واصطناع مهرجان، وورد الخبر بأن الفرنسيس أحضروا عثمان خجا ونقلوه من الإسكندرية إلى رشيد فدخلوا به البلد وهو مكشوف الرأس حافى القدمين وطافوا به البلد يزفونه بطبولهم حتى وصلوا به إلى داره فقطعوا رأسه تحتها ثم رفعوا رأسه وعلقوها من شباك داره ليراها من يمر بالسوق*.

وفى ثالث عشره أشيع بأن كبير الفرنسيس سافر إلى جهة بحرى ولم يعلم أحد أى جهة يريد، وسيل بعض أكابرهم فأخبر أن سارى عسكر المنوفية دعاه لضيافته بمنوف حين كان متوجها إلى ناحية أبى قير ووعده بالعود إليه بعد وصوله إلى مصر، وراج ذلك على الناس وظنوا صحته.

ولما كان يوم الاثنين سادس عشره خرج [بونابرت] مسافراً من آخر الليل وخفى أمره على الناس.

عنه دون تحية واتخذنا طريقنا إلى القدس ـ وهذه الدسيسة هى أن الجزار ارسل رسولا إلى إسماعيل باشا قبل أن يصلوا القدس ينصحه بأن يقود جميع الحجاج إلى عكا حيث تحمل مراكبه المغاربة إلى مراكش ووعد بأن تكون هذه المراكب فى حماية البريطانيين موكدا بأنهم إذا لم يأخذوا بنصيحته واصروا على العودة إلى القاهرة، فسوف يبيدهم الفرنسيون ويسلبون أموالهم. فأجاب قايد المغاربة أن امبراطور مراكش على صلة صداقة طيبة مع فرنسا.
كوربيه دى ليجيبت العددين ٣٥، ٣٦. ص١٣٦، ص١٣٨.

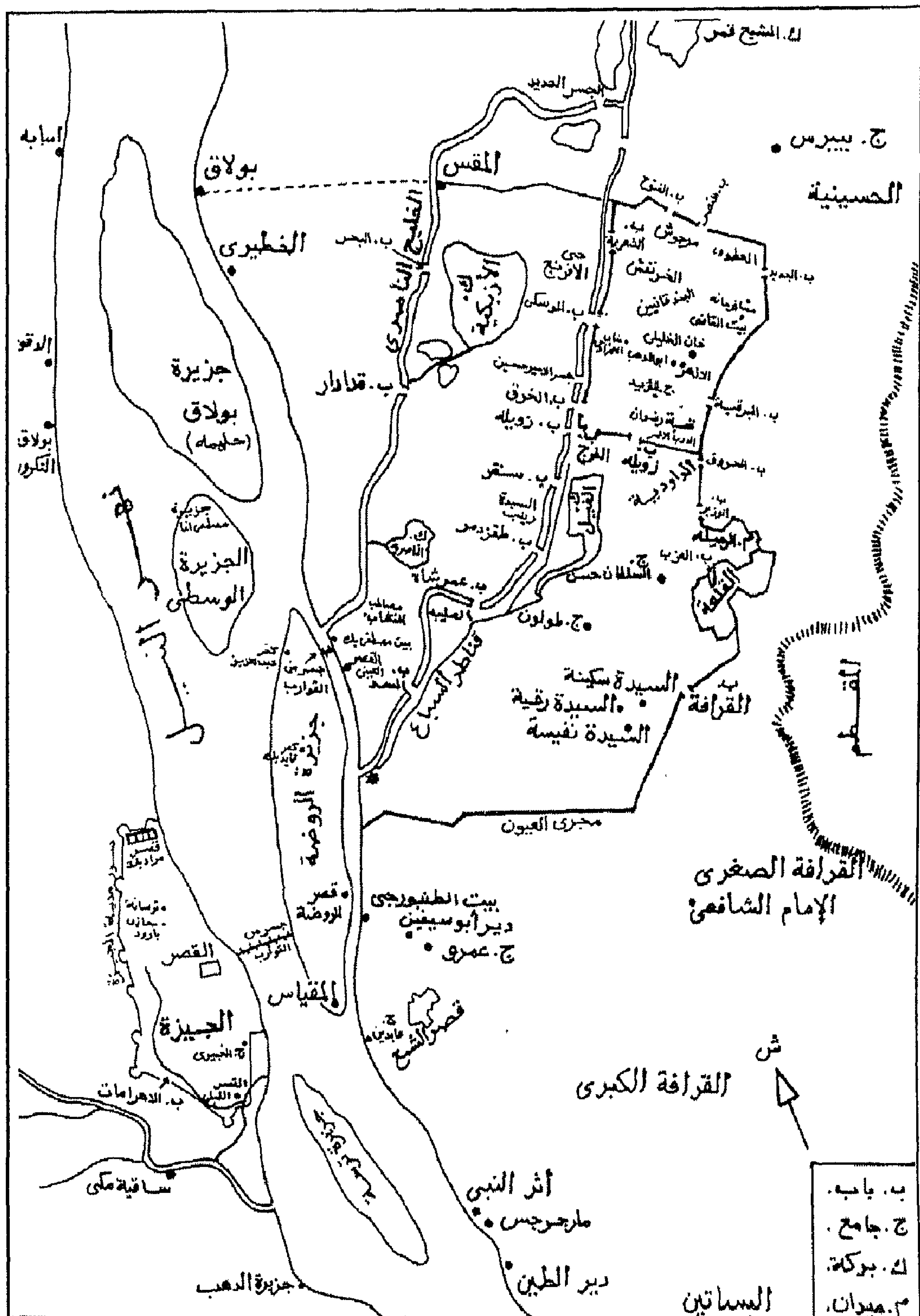
* وهذه هى صورة الفتوى، حكم الشرع الشريف، الذى صدر من محكمة رشيد، دام جلالها، على عثمان خوجا. خطاباً إلى حضرة الجنرال الحاكم فى البلد المذكورة، مؤرخ بأربعة وعشرين من شهر ترميدور. سنة السبعة من إقامة الجمهور الفرنساوى، يعنى فى الثامن من ربيع الأوّل سنة ١٢١٤ [١٠ أغسطس ١٧٩٩م].
وصلنا مكاتيبكم بالأمر اننا نستخبر ونكشف عن جميع الأعمال التى حدثت من طرف عثمان خواجا كردلى، وننظر إن كان حصل منه

الشرّ أكثر من الخير. وبموجب هذا الأمر، بحضور حضرة سيدنا شيخ الإسلام العالم المتورع الشريف أحمد الحضارى مفتى حنفى، ونقيب الاشراف المكرّم المحترم الشريف بدوى، وقدوة الأعيان الحاجّ أحمد أغا السلحدار، والمكرّم على شاوش كتخدا، وقدوة التجّار أحمد شحال، والمكرم سليم أغا، والمكرّم إبراهيم الجمال، والشريف على الجمانى، والشيخ مصطفى ظاهر، والشريف إبراهيم سعيد، والمكرّم محمد القادم، والحاجى باشى سليمان، وبحضور جماعة المسلمين خلاف المذكورين اعلاه. ثم حضر رمضان حمودى، ومصطفى الجبّار، وأحمد شاوش، وعبد الله والحاجّ حسن أبو جوده، والحاج بدوى المقرالى، وعلى أبو زرازى، وبدوى دياب، وحسن عرب. وثبت، من اقرارهم ومن شهاداتهم، أن عثمان الخوجا المذكور كان ظلمهم ظلما شديداً بالضرب والحبس من دون حق، ونهب املاكهم. وخلاف ذلك سيل، من جماعة المسلمين الحاضرين في المجلس، إن كان حصل من طرف عثمان خوجا الشرّ أكثر من الخير، فكلّهم قالوا بلسان واحد: ان حصل من طرف عثمان خوجا الشرّ أكثر من الخير. وبسبب ذلك انقطع رأس عثمان خوجا حاكم رشيد سابقاً، مطابق لأصله ومعناه باسم حاكم رشيد الان.

طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة.



* مصطفى باشا. كان قائدا للأسطول العثمانى الذى هزمه الفرنساويه واسروه




* القاهرة على وقت الحملة الفرنسية

وفى يوم الاثنين رابع عشرينه الموافق لتاسع مسرى القبطى كان وفا النيل* المبارك فنودى بوفائه على العادة، وخرج النصارى البلدية من القبطة والشوام والأروام، وتأهبوا للخلاعة والقصف والتفرج واللهو والطرب وذهبوا تلك الليلة إلى بولاق ومصر العتيقة والروضة وأكثروا المراكب ونزلوا فيها وصحبتهم الآلات والمغانى، وخرجوا فى تلك الليلة عن طورهم ورفضوا الحشمة وسلكوا مسلك الأمرا سابقا، من النزول فى المراكب الكثيرة المقاديف ، وصحبتهم نساهم وقحابهم وشرابهم، وتجاهروا بكل قبيح من الضحك والسخرية والكفريات ومحاكاة المسلمين، وبعضهم تزيا بزى أمرا مصر ولبس سلاحا وتشبه بهم وحاكى ألفاظهم، على سبيل الاستهزا والسخرية وغير ذلك وأجرى الفرنساوية المراكب المزينة وعليها البيارق وفيها أنواع الطبول والمزامير فى البحر، ووقع فى تلك الليلة بالبحر وساحله من الفواحش والتجاهر بالمعاصى والفسوق ما لا يكيف ولا يوصف، وسلك بعض غوغا العامة وأسافل العالم ورعاعهم مسالك تسفل الخلاعة ورذالة الرقاعة، بدون أن ينكر أحد على أحد من الحكام أو غيرهم، بل كل إنسان يفعل ما تشتهيه نفسه وما يخطر بباله، وإن لم يكن من أمثاله.

إذا كان رب الدار بالدف ضاربا
فشيمة أهلِ الدار كلهم الرقص

وأكثر الفرنسيس فى تلك الليلة وصباحها من رمى المدافع والسواريخ من المراكب والسواحل، وباتوا يضربون أنواع الطبول والمزامير.



ترجمة للمحضر الخاص بقطع جسر الخليج والعقد الذى يعلن أن «الميرى» مستحق على الشعب المصرى.
أحمد العريشى قاضى مدينة القاهرة المحروسة.
هذا ما وقع فى جلسة العدل الشريفة وفى مجلس شيوخ الدين حفظه الله ووقاه من كل تغيير وكل بدعة، المنعقد فى القصر الكائن على مصب قناة الحاكمى بين مصر القديمة وبولاق، بمقتضى سلطة مولانا وسيدنا عالم المسلمين الجليل الكامل فى علومه، سند ديانة محمد وسعادة الكون، المتبصر فى تطبيق الشرع، قاضى القضاة الموجود الآن فى القاهرة المحروسة والمبين اسمه أعلاه، حفظ الله مجده وزاده من نعمته. وبحضور السيد الاستاذ الأكبر العالى الثقافة والشرف والاحترام، مفخرة ذرية الصديق نجم مجدهم اللامع فى الحق فرع الشجرة المحبوبة المطهرة كنار الشرف، حامى أهل الخير وسند أهل الحق المؤمن برحمة الله خالقه، مولانا وسيدنا الشريف خليل أفندى البكرى الصديقى من سلالة الحسن، شيخ بيعة أجداده، أسيادنا من بين الصديقين وحماة الأشراف النبلاء فى القاهرة حاليا، من سيدنا ومولانا الشيخ، أول العلماء اقداما على نقل العلوم إلى محبيها، سند طلاب العلم، عماد المؤمنين الحقيقيين، بركة المسلمين، ووارث علم سيد المرسلين، زين

الشريعة والدولة والدين، سيدنا الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ المشايخ النافعين والذين يدرسون فى الأزهر الشريف.

من مولانا وسيدنا شرف العلماء والعلم عماد الحق المتقد الذكاء، حجة العلماء الكبار فريد عصره، صدى نقل العلوم والمعارف، الفطن اللسان العالم المشهور بين العلماء، سيدنا الشيخ شمس الدين محمد الحفناوى المعروف باسم المهدى المحترم

من مولانا وسيدنا علامة العلماء، بحر الأضواء، لسان الخطباء حقل أهل الفكر، سند المعلمين، عماد الحق ووارث العلم من سيد المرسلين زين الشريعة والدولة والدين، سيدنا الشيخ مصطفى الصاوى عين وأفضل المتبصرين بين النافعين الذين يصدرون القراوات ويدرسون فى الجامع الأزهر.

ليحفظهم الله لنا لمواصلة الخير الذى نناله منهم آمين. ومن أشرف الأثرياء النجم العالم بين العظماء العين المبصرة بين جماعات المحترمين من أصحاب المراتب العليا الأمير مصطفى آغا عبد الرحمن آغا فرقة الانكشارية بالقاهرة.

من فرع الشجرة المحبوبة التاجر المحترم السيد الشريف حاج أحمد المعروف باسم المحروقى أعظم رجل فى هيئة تجار القاهرة.

من الشريف بين الأغنياء المشهورين الممتازين المحترمين الشهير الأمير حسن آغا بكراتى المحتسب فى القاهرة.

من الشريف بين المشهورين الرجل الممتاز المحترم الشهير البرنس على اغا شعراوى حامى القاهرة المحروسة.

من المحترم بين زملائه الأمير المحترم يوسف بيه جاويش توفيكجو.

من المشهور المحترم الأمير يوسف باشا هياتم

من الشريف بين الأكابر مصطفى آغا حتال باش اختيار نوت فركاح.

من الشيخ الوقور الأمير مصطفى أفندى أول كاتب فى هيئة الكتاب.

من المشهور المحترم الأمير إبراهيم كخيا عزبان.

من المرموق بين أهل القلم الممتاز بينهم ذى المكانة المحترمة بين الكبراء الرجل المشهور الأمير إسماعيل أفندى كاتب أحوال.

وأخيرا من مجلس كبير يتكون من أشخاص كثيرين آخرين لا يمكن ذكر أسمائهم وكلهم يتمتعون بالاحترام آمين.

فى اليوم المبارك (الجمعة) ١٩ من شهر أمشير القبطى هو آخر شهر فى سنة ١٢١٣ من الميرى (الخراج) الموافق ٢١ من شهر ربيع الأول سنة ١٢١٤ هجرية، وهذا اليوم هو التاريخ المذيل به هذا العقد الذى عقد بحضور طائفة من أهل السلطة المحترمين للحاكم المشهور دوجا، قائد حامية مدينة القاهرة المحروسة، جعل الخير على يديه، آمين.

لقد اكتمل النيل المبارك بإذن الله العظيم المعبود الرحمن الرحيم بعباده، وقد فرحنا وسررنا سرورا عظيما، وكان لنا أكبر عزاء، ونحن نرجو ونطلب من الله أن يغمرنا بنعمه وعطفه، ونشكره على عطاياه لخلقه وعباده.

ارتفعت مياه النيل فى هذه السنة إلى ١٦ ذراعا و ٧ سنتيمترات كما هو مبين فى مقاييس العمود الخاص بها، وبناء على ما أعلنه الشيخ مصطفى، قياس ومدير قاعة مقياس الروضة. فى هذا اليوم بعد طلوع الشمس انكسر سد الخليج وتدفقت المياه فى قناة الحاكمى كالمعتاد منذ قديم الزمان، وحمدنا الله على أن النيل ارتفع منسوبه إلى ١٦ ذراعا و ٧ سنتيمترات وأن السد قد تهدم وأن المياه تدفقت فى القناة كما قلنا.

وبناء على هذا يجب على جميع الملاك فى مصر قاطبة دفع رسوم الميرى بأكملها والحاصلات الزراعية لهذا العام كالمعتاد.

انها تعتبر دينا واجب الأداء قبل الحاكم الذى يطالب بها دون ابطاء ولا أمهال ـ هذه هى مشيئة القانون.

فى هذا اليوم المبارك ٢١ من شهر ربيع الأول سنة ١٢١٤ هجرية والحمد لله الخالق العظيم الذى يرى ويحاسبنا على جميع أفعالنا.

امضاءات

انظر. كورييه دى ليجيبت العدد ٥٠ ص ١٩٤.

وفي الصباح ركب دوجا قايمقام وصحبته أكابر الفرنسيس وأكابر أهل مصر وحضروا إلى قصر السد وجلسوا به، واصطفت العساكر بين الروضة وبر مصر القديمة بأسلحتهم وطبولهم وبعضهم في المراكب لضرب المدافع المتتالية إلى أن انكسر السد وجرى الما في الخليج فانصرفوا.

وفي خامس عشرينه طلبوا من كل طاحون من الطواحين فرسا.

وفي سادس عشرينه كتبوا أوراقا وألصقوها بالأسواق مضمونها أن الناس يذهبون إلى بولاق يوم التاسع والعشرين ليحضروا سوق الخيل ويشتروا ما أحبوا من الخيل.

وفيه ألصقوا أوراقا أيضا مضمونها بأن من كان عليه مال ميرى ملزوم بغلاقه ومن لم يغلق ما عليه بعد مضى عشرين يوما عوقب بما يليق به، ونادوا بموجب ذلك بالأسواق.

وفي سابع عشرينه كتبوا أوراقا أيضا مضمونها انقضا سنة مؤجرات أقلام المكوس، ومن أراد استئجار شي من ذلك فليحضر إلى الديوان ويأخذ ما يريده بالمزاد.

وفيه أفرج عن الأنفار التي قدم بها الفرنساوية من غزة وحبست بالقلعة على مصلحة خمسة وسبعين كيسا دفعوا بعضها، وضمنهم أهل وكالة الصابون في البعض الباقي، فأنزلوهم من القلعة على هذا الاتفاق بشرط أن لا يسافر منهم أحد إلا بعد غلاق ما عليه.

وفى ثامن عشرينه تشفع أرباب الديوان فى أهل يافا المسجونين بالقلعة أيضا فوقع التوافق معهم على الإفراج عنهم بمصلحة ماية كيس، فاجتمع الرويسا والتجار وترووا واشتوروا فى مجلس خاص بينهم فاتفق الحال على تقسيطها وتأجيلها فى كل عشرين يوما خمسة وعشرون كيسا، فدفع التجار خمسة وعشرين كيسا، وأفرج عنهم من القلعة وأجلوا الباقى على الشرح المذكور.

وفيه ورد من بونابارته* سارى عسكر الفرنساوية كتاب من الإسكندرية خطابا لأهل مصر وسكانها فأحضر قايمقام دوجا الرويسا المصرية وقرا عليهم الكتاب، مضمونه:

أنه سافر يوم الجمعة حادى عشرين الشهر المذكور إلى بلاد الفرنساوية لأجل راحة أهل مصر وتسليك البحر، فيغيب نحو ثلاثة أشهر ويقدم مع عساكره، فإنه بلغه خروج عمارتهم ليصفوا له ملك مصر، ويقطع دابر المفسدين وأن المولى على أهل مصر وعلى رياسة الفرنساوية جميعا كليبر سارى عسكر دمياط.

فتحير الناس وتعجبوا فى كيفية سفره ونزوله البحر مع وجود مراكب الإنكليز ووقوفهم بالثغر، ورصدهم الفرنساوية من وقت قدومهم الديار المصرية صيفًا وشتا، ولكيفية خلوصه وذهابه أنبا وحيل لم أقف على حقيقتها.

وفى يوم السبت تاسع عشرينه قدم سارى عسكر كليبر صبيحة ذلك اليوم فضربوا لقدومه المدافع من جميع القلاع، وتلقته كبار الفرنساوية وأصاغرهم، وذهب إلى

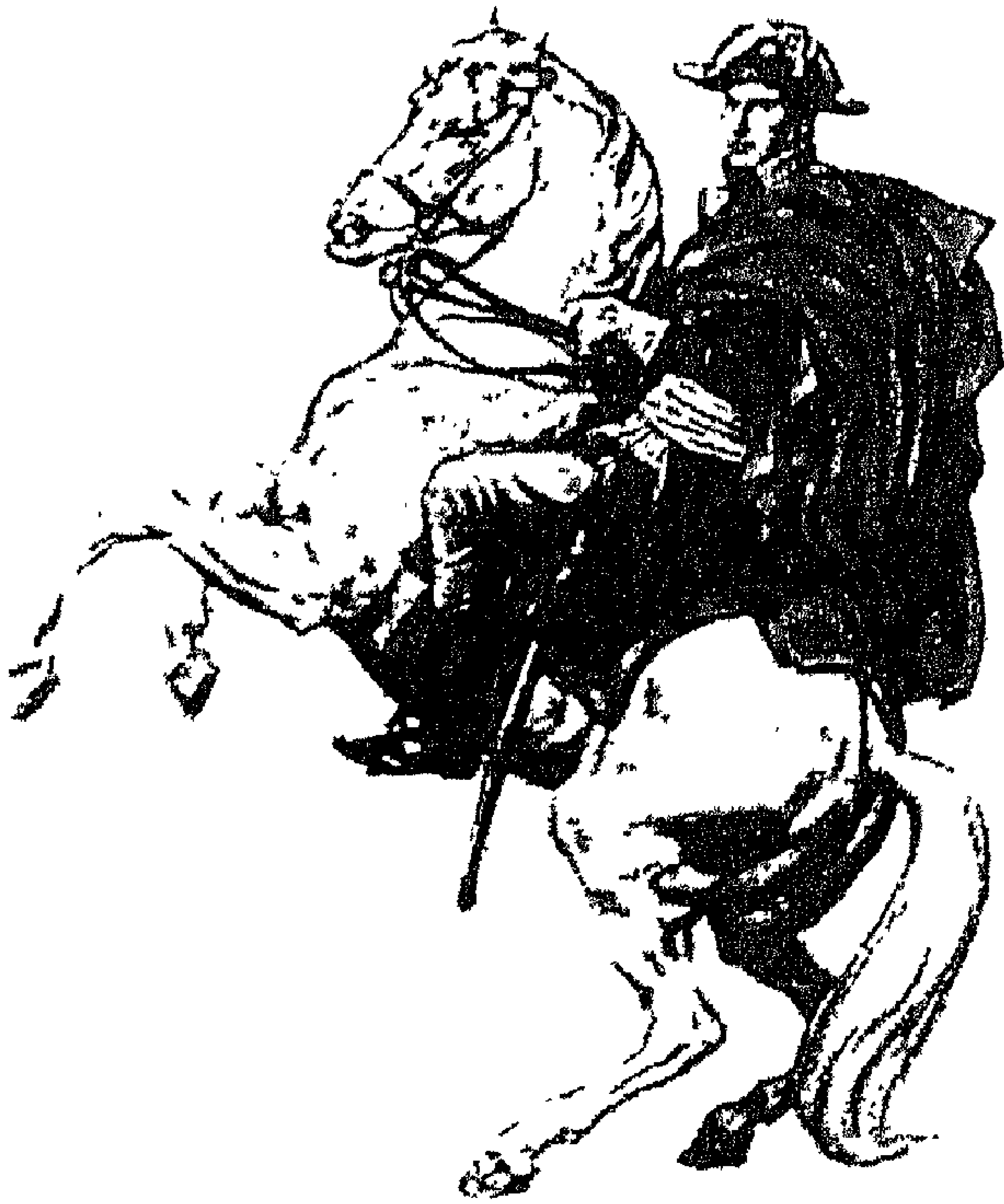
* سفر نابليون بونابرت سرًا إلى فرنسا وتعيين كليبر محله. وكليبر هو جان ـ باتيست كليبر ـ ولد فى استراسبرج عام ١٧٥٣م = ١٦١٧هـ. توفى قتيلاً فى القاهرة، بيد سليمان الحلبى فى حديقة الأزبكية فى القاهرة فى ١٤ يونيو عام ١٨٠٢م = ١٢١٧هـ.
كان من أهم قواد الحملة الفرنسية على مصر. جرح فى الاسكندرية أثنا قيادته لحملة ضد المماليك، كما أنتصر على العثمانيين فى معركة (جبل التوباد) المشهورة. خلف نابليون بونابرت على قيادة الحملة فى مصر، عندما ذهب نابليون إلى فرنسا سعيا وراء العرش الذى يحلم به. هزم الحملة العثمانية فى عين شمس عندما فشلت المفاوضات الخاصة بجلا الحملة الفرنسية على مصر.
* وعن وقايع عودة بونابرت إلى فرنسا نذكر إن نابوليون اتفق مع الأميرال غانتوم على أن تكون تحت أمرته السفينتان لاكاريير La Carriére ولامويرون La Muiron وركب فى



بيت بونابرته الذى كان ساكنا به وهو بيت الألفى بالأزبكية وسكن مكانه، وفى ذلك اليوم قدمت طايفة من العسكر من جهة الشرقية وصحبتهم منهوبات كثيرة من بلد عصت عليهم فضربوها ونهبوها ومعهم نحو السبعين من الرجال والصغار وبعض النسا وهم موثوقون بالحبال فسجنوهم بالقلعة.

وفيه ذهب أكابر البلد من المشايخ والأعيان لمقابلة سارى عسكر الجديد للسلام عليه فلم يجتمعوا به ذلك اليوم ووعدوا إلى الغد، فانصرفوا وحضروا فى ثانى يوم فقابلوه فلم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل بونابرته، فإنه كان بشوشا ويباسط الجلسا ويضحك معهم.

الأولى بونابارت والجنرالان «برتيه ومونج» ومعهما «برتللو» العالم الرياضى، و«بوريين» سكرتير نابوليون. وركب فى الثانية الآخرون. وقد روى «بوريين» لنا فى مذكراته أن عدد الذين ركبوا السفينتين كان يبلغ من اربعماية إلى خمسماية بين قواد وضباط وعلما. وأتباع. وكان ممن سافر مع نابوليون رستم المملوك المشهور الذى أهداه إليه السيد خليل البكرى، ومما رواه سافارى (كونت ده رفيجو) فى مذكراته، أن نابليون ومن معه غادروا ضواحى الاسكندرية ليلاً بحيث لم يعلم بهم أحد، ولما نزلوا البحر من نقطة على الشاطىء (لابد وأن تكون برج العرب قرب المكس) تركوا الخيول التى كانوا يركبونها فعادت أدراجها جافلة إلى الاسكندرية فذعرت الحامية وارتفعت أصوات الأبواق، وهب الحراس ظنًا منهم أن هناك حملة فاجأتهم على غرة، حتى إذا ابصروا الخيل بلا فوارس لها، ظنوا أن كميناً من الأعراب فتك بشرذمة من الجنود الفرنساويين، فأصدر قايد الحامية أمراً باعداد حملة للاستكشاف، وصارت المدينة فى هرج ومرج، وضجيج وصخب، حتى اتضح الأمر، وعرف جواد نابوليون وأخبر بعض الخدم العايدين بما جرى. وهنا نكمل لمولانا الشيخ الجبرتي عبارته بذكر أنباء الحيل التى استطاع بها نابوليون بونابرت الوصول إلى فرنسا «مع وجود مراكب الإنجليز ووقوفهم بالثغر ورصدهم الفرنساوية»



فلا مندوحة لنا من نقل بيان موجز للوسايل التى اتخذت للتملص من الاساطيل البريطانية، ولدينا فى مذكرات بوريين، كاتم أسرار نابوليون ورفيقه فى هذه الرحلة المحفوفة بالاخطار، العبارة الآتية:

قال بوريين:

«فى يوم ٢٣ اغسطس سنة ١٧٩٩ ركبنا فى السفينتين (لاموبرون، ولا كوبير) وكان عددنا يتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ وكانت الليلة حالكة الظلام بحيث كنا نلتمس الوصول إلى السفينتين تحت نور النجوم الضئيل.

ولم يكن الاميرال غانتوم حرا فى تصرفاته واتخاذ السبل البحرية التى يراها موصلة بنا إلى الشواطى الفرنسية لأن نابوليون استبد بالأمر وقال للاميرال بصراحة وصرامة: إن ارادتى هى أن تسير بمحاذاة الشواطى الافريقية إلى أن نصل إلى جنوبى جزيرة سردينيا.. إن معى بضعة أفراد من الرجال الأبطال ومعى كمية من الذخاير والمدافع فإذا انقض علينا الانجليز ونحن بجوار الشاطى الافريقى، فانى أستطيع أن أنزل إلى الأرض اليابسة وأشق طريقى بهولا الشجعان الصناديد إلى وهران، أو إلى تونس، أو إلى أية فرضة بحرية أخرى علنا نستطيع الحصول على ما يوصلنا إلى بلادنا».

ثم استمر بوريين فى وصف الرحلة والقلق الذى كان يساور نابليون ومن معه من انقضاض السفن الانجليزية عليهم، حتى أراد الله الذى اختار نابليون بونابرت لعرش فرنسا لينفذ على يديه ارادته العالية فى اوروبا، أن تصل السفينتان الفرنسيتان إلى خليج (مريجوس) فى جنوب فرنسا فى الثامن من شهر اكتوبر من تلك السنة.

صورة خطاب الجنرال دوجا بخصوص سفر بونابرت:

من محفل الديوان الخصوصى، خطابا إلى ساير الأقطار المصرية، من الأقاليم جهة القبلية والبحرية، وكامل الرعايا وفقهم الله.

نخبركم أنه حضر إلى الديوان مكتوب من حضرة الجنرال دوكا القيمقام، بأن سارى عسكر بونابرته الكبير، قبل غيابه، اقام عوضه رجلاً كاملاً عاقلاً، فيه شفقة ورحمة عامة على الرعيّة، جعله اميراً على الجيوش الفرنساوية. وأخبرنا القيمقام اننا نكون فى غاية الامان والاطمينان على ديننا ومتاجرنا واموالنا وأسباب معاشنا، كما كنّا فى زمان حضرة السرعسكر الكبير بونابرته. فننصحكم يا ايّها الرعايا لا تطيعوا اهل الفساد، واتركوا الفتن والعناد، وامتثلوا أمر خالق العباد. والسلام عليكم ختام.

القيادة العامة بالقاهرة من كليبر القايد العام إلى الجيش

أيها الجنود

دفعت اسباب قهرية الجنرال بونابرت القايد العام إلى السفر إلى فرنسا. لم تمنعه اخطار الملاحة فى وقت الأعاصير وشق طريقه وسط عباب بحر ضيق محاط بالأعدا من كل جانب، من السفر إلى فرنسا لأن فى ذلك مصلحة لكم.

أيها الجنود، سوف تأتيكم نجدة عظيمة أو يحل علينا سلام مجيد جدير بكم وبأعمالكم فتعودوا إلى أوطانكم.

عندما تسلمت اعباء القيادة من بونابرت شعرت بأهميتها وبكل ما كان يكتنفها من متاعب ومشقة، ولما كنت من جهة أخرى مقدرا فيكم الهمة العالية التى طالما توجت بنجاح باهر، ولها كنت مقدار ايضا مثابرتكم العظيمة وطول أناتكم وشجاعتكم فى تحدى الأخطار والأهوال وتحمل جميع صنوف الحرمان، ولما كنت اقدر حق التقدير كل ما يمكن الاقبال عليه من أعمال حِسام مع مثل هولا الجنود لم اتردد البتة فى أن يكون لى شرف قيادتكم وقد زدت قوة على قوة.

أيها الجنود لا تشكوا إطلاقا فى أن كل ما تطلبونه سوف يكون موضع عنايتى الخاصة.

امضاء كليبر



* سارى عسكر كليبر.

الفقير السيد خليل البكرى
نقيب الاشراف
الفقير محمد المهدى
كاتم سرّ الديوان
الفقير سليمان الفيومى
المالكى
الفقير على كتخدا مجرلى
باش اختيار
الفقير لطف الله
المصرى
الفقير جبران
سكروج
الفقير بودوف
الفقير عبد الله الشرقاوى
رئيس الديوان
الفقير مصطفى الصاوى
الشافعى
الفقير السيّد احمد
المحروقى
الفقير يوسف باش شاوش
تفنكجيان
الفقير يوسف
فرحات
الفقير لومار
الفقير ذو الفقار كتخدا
كوميسار الإسلام
نظر وعلم وكيل الفرنساوى
جلوتيه.

(طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة)

وهذا نص منشور كليبر بتولية القيادة بعد سفر نابليون.

## واستهل شهر ربيع الثانى
## بيوم الأحد سنة ١٢١٤ (١٧٩٩م)

* مولد الحسين.

فى أوايله ابتدوا فى عمل مولد* المشهد الحسينى وقهروا الناس وكرروا المناداة بفتح الحوانيت والسهر ووقود القناديل عشر ليال متوالية آخرها ليلة الخميس ثانى عشره.

وفيه طلب سارى عسكر الجديد من النصارى القبط ماية وخمسين ألف ريال فرانسة فى مقابلة بواقى سنة اثنتى عشرة ومايتين وألف وشرعوا فى تحصيلها.

وفى يوم الجمعة سادسه ركب سارى عسكر الجديد من الأزبكية ومشى فى وسط المدينة فى موكب حافل حتى صعد إلى القلعة وكان أمامه نحو الخمسماية قواس وبأيديه النبابيت وهم يأمرون الناس بالقيام والوقوف على الأقدام لمروره، وكان صحبته عدة كثيرة من خيالة الإفرنج وبأيديهم السيوف المسلولة والوالى والأغا وبرطلمين بمواكبهم، وكذلك القلقات والوجاقلية وكل من كان مولّى من جهتهم ومنضما إليهم ما عدا رويسا الديوان من الفقها فلم يطلبوهم للحضور ولا للمشى فى ذلك الموكب، ولما صعد إلى القلعة ضربوا له عدة مدافع وتفرج على القلعة ثم نزل بذلك الموكب إلى داره.

وفى يوم السبت سابعه ركب أغات الينكجرية فى أبهة عظيمة وجبروت وأمامه عدة من عسكر الفرنسيس وأمامه المنادى يقول: حكم ما رسم سارى عسكر خطابا للأغا أن جميع الدعاوى والقضايا العامية لا تعمل إلا ببيت الأغا،

وكل من تعدى من الرعايا أو وقع منه قلة أدب يستاهل ما يجرى عليه.

وفيه ركب سارى عسكر الكبير فى موكب دون الأول ووصل إلى بيت ريس الديوان الشيخ عبد الله الشرقاوى، ثم رجع إلى داره.

وفى يوم الأحد ثامنه عمل سارى عسكر وليمة فى بيته ودعا الأعيان والتجار والمشايخ فتعشوا عنده ثم انصرفوا إلى دورهم.

وفى يوم الثلاثا * عاشره كان آخر المولد الحسينى وحضر سارى عسكر الفرنساوية مع أعيانهم إلى بيت شيخ السادات بعد العصر فى موكب عظيم وأمامه الأغا والوالى والمحتسب وعدة كبيرة من عسكرهم وبيدهم السيوف المسلولة، فتعشوا هناك وركبوا بعد المغرب، وشاهدوا وقود القناديل.

* فى صفحة ٢٩٤ يذكر الجبرتى أنه كان من المقرر أن ينتهى المولد فى يوم الخميس ثانى عشر ربيع الثانى.

وفى سادس عشره نودى بنشر الحوايج* وكتبوا بذلك أوراقا وألصقوها بالأسواق، وشددوا فى ذلك بالتفتيش والنظر بجماعة من طرف مشايخ الحارات، ومع كل منهم عسكرى من طرف الفرنساوية وامرأة أيضًا للكشف على أماكن النسا، فكان الناس يأنفون من ذلك ويستثقلونه ويستعظمونه وتحدثهم أوهامهم بأمور يتخيلونها كقولهم إنما يريدون بذلك الاطلاع على أماكن الناس ومتاعهم، مع أنه لم يكن شى سوى التخوف من العفونة والوبا.

* احتياطات لمنع انتشار الطاعون. ونشر الحوايج هنا يقصد به نشر أثاث المنازل ومتاعها فى الشمس والهواء الطلق.

* مولد السيد على البكرى. وكيفية صياغة الولى.

وفى عشرينه نودى بعمل مولد السيد على البكرى* المدفون بجامع الشرايبى بالأزبكية بالقرب من الرويعى، وأمروا الناس بوقود قناديل بالأزقة فى تلك الجهات، وأذنوا لهم بالذهاب والمجى ليلا ونهاراً من غير حرج.

وقد تقدم ذكر بعض خبر هذا السيد علىّ وأنه كان رجلا من البُلْه، وكان يمشى بالأسواق عريانا مكشوف الراس والسوأتين غالبا، وله أخ صاحب دها ومكر لا يلتم به، واستمر على ذلك مدة سنين، ثم بدا لأخيه فيه أمر لما رأى من ميل الناس لأخيه واعتقادهم فيه، كما هى عادة أهل مصر فى أمثاله فحجر عليه ومنعه من الخروج من البيت وألبسه ثيابا وأظهر للناس أنه أذن له بذلك، وأنه تولى القطبانية ونحو ذلك. فأقلبت الرجال والنسا على زيارته والتبرك به وسماع ألفاظه والإنصات إلى تخليطاته وتأويلها بما فى نفوسهم، وطفق أخوه المذكور يرغبهم ويبث لهم فى كراماته وأنه يطلع على خطرات القلوب والمغيبات وينطق بما فى النفوس، فانهمكوا على الترداد إليه وقلد بعضهم بعضا وأقبلوا عليه بالهدايا والنذور والإمدادات الواسعة من كل شى وخصوصا من نسا الأمرا والأكابر، وراج حال أخيه واتسعت أمواله ونفقت سلعته وصادت شبكته وسمن الشيخ من كثرة الأكل والدسومة والفراغ والراحة حتى صار مثل البو* العظيم، فلم يزل على ذلك إلى أن مات فى سنة سبع بعد المايتين كما تقدم، فدفنوه بمعرفة أخيه فى قطعة حجر عالية من هذا المسجد من غيرمبالاة ولا مانع، وعمل عليه مقصورة ومقاما وواظب عنده بالمقريين والمداحين وأرباب الأشاير والمنشدين، بذكر كراماته وأوصافه فى قصايدهم ومدحهم ونحو ذلك،

* البو: هو الجمل المولود أو جلده بعد موته يحشى بالتبن لينتفخ ويقرب من امه حتى تدر لبنها.

ويتواجدون ويتصارخون ويمرغون وجوههم على شبّاكه وأعتابه ويغرفون بأيديهم من الهوا المحيط به ويضعونه فى أعبابهم وجيوبهم ، كما قال البدر الحجازى فى بعض منظوماته:

ليتنا لم نعش إلى أن رأينا
كل ذى جنة لدى الناس قطبا
عَلَمًا هم به يلوذون بل قد
اتخذوه من دون ذى العريش ربا
إذا نسوا الله قائلين فلان
عن جميع الأنام يفرج كربا
وإذا مات يجعلوه مزارا
وله يهرعون عجما وعربا
بعضهم قبّل الضريح وبعض
عتبَ الباب قَبلوه وتربا

هكذا المشركون تفعل مع أصنامهم تبتغى بذلك قربا.

إلى أن قال:

كل ذا من عمى البصيرة والويـ
ل لشخص أعمى له الله قلبا
والحجازى من سمى حسنا ينـ
ـظر ما خالف الشريعة صعبا

وفى المعنى:

ألا قل لمكى مقول نصوح
وحق النصيحة أن تستمع

* دراويش الطرق الصوفية.



الجبرتى/ سنة ١٢١٤م

متى سمع الناس فى دينهم
بأن الغنا سنة تتبع
وأن يأكل المرء أكل البعير
ويرقص فى الجمع حتى يقع
ولو كان طاوى الحشا جايعاً
لما زاد من طرب واستمع
وقالوا سكرنا بحب الإله
وما أسكر القوم إلا القصع
كذلك الحمير إذا أخصبت
تنهق من ريها والشبع

فهرعت لزيارة قبره النسا والرجال بالنذور والشموع وأنواع المأكولات، وصار ذلك المسجد مجمعاً وموعداً، فلما حضر الفرنساوية إلى مصر تشاغل عنه الناس وأهمل شأنه فى جملة المهملات وترك مع المتروكات، فلما فتح أمر الموالد والجمعيات ورخص الفرنساوية ذلك للناس لما رأوا فيه من الخروج عن الشرايع واجتماع النسا واتباع الشهوات والتلاهى وفعل المحرمات، أعيد هذا المولد مع جملة ما أعيد.

---

## واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الجمعة سنة ١٢١٤

فيه اهتم الفرنسيس بعمل عيدهم المعتاد وهو عند الاعتدال الخريفى وانتقال الشمس لبرج الميزان فنادوا بفتح الأسواق والدكاكين ووقود القناديل وشددوا فى ذلك، وعملوا عزايم وولايم وأطعمة ثلاثة أيام آخرها يوم الاثنين، ولم يعملوه

عيد الثورة الفرنسية.

**تفاصيل الاحتفال بأول فاندمير سنة ٨ المقام فى القاهرة بمناسبة عيد تأسيس الجمهورية.**

عند شروق الشمس أطلقت جميع مدافع القلعة والحصون المحيطة بالقاهرة طلقاتها ايذانا ببدء الاحتفال. وفى نفس الوقت هب الجنود المعسكرون فى بولاق ومصر العتيقة والقاهرة من مختلف الأسلحة لينتظموا فى طوابير تتجمع فى الأرض الفضاء الواسعة والكائنة بين مزرعة إبراهيم بك وحصن المجمع العلمى [عند القصر العينى].

وفى الساعة السابعة اجتمع عند الجنرال كليبر القائد العام جميع كبار الضباط وآغا الجنود الانكشارية وأعضاء الديوان والقضاة وحسين مصطفى باشا الذى أسر فى موقعة أبو قير.

استقبلهم القائد العام فى السراى الفسيحة ذات الذوق الرفيع وذات الرياش الفاخرة والتى تزينها تذكارات النصر المختلفة. وقبل الذهاب إلى مكان الحفل خلع القائد العام على كل من آغا الانكشارية ورئيس الديوان وقاضى القضاة معاطف مزركشة جميلة قائلا لأولهم:

تقبلوا هذا المعطف شاهدا على ثقتى بكم وشعارا للسلطة التى أريد أن تتحلوا بها، فعندما تسهرون، أنام أنا مطمئنا مستريحا.

وقال لرئيس الديوان: فتذكروا دائما الهيئة التى ترأسونها. انها أنشئت لمعاونة السلطة بحكمتها وبنصائحها. وعليها أن تكبح الشهوات الجامحة التى تؤدى إلى الجرائم. ويتعين على أولى الأمر من رجال الشرع معاقبة الذين يستحقون العقاب.

ثم قال لقاضى القضاة: أنت يا وزير العدل، أقم العدل بين الناس دون

على هيئة العام الماضي من الاجتماع بالأزبكية عند الصارى العظيم المنتصب والكيفية المذكورة، لأن ذلك الصارى سقط وامتلأت البركة بالماء.

فلما كان يوم الأحد نبهوا على الأمرا والأعيان بالبكور إلى بيت سارى عسكر فاجتمع الجميع فى صبح يوم الاثنين فركب سارى عسكر معهم فى موكب كبير وذهبوا إلى القصر العينى، فمكثوا هناك حصة وعرضت عليهم العساكر جميعها على اختلاف أنواعها من خيالة ورجالة وهم بأسلحتهم وزينتهم ولعبوا لعبهم فى ميدان الحرب، وخلع سارى عسكر على الشيخ الشرقاوى والقاضى وأغات الينكجرية خلع سمور، ثم رجعوا إلى منازلهم ثم نودى فى جميع الأسواق بوقود أربع قناديل على كل دكان فى تلك الليلة، ومن لم يفعل ذلك عوقب ثم عملوا بالأزبكية حراقة نفوط ومدافع وسواريخ ولعبوا فى المراكب طول ليلهم.

وفى سابعة بعد عيد الصليب نقص ما النيل، وكان من أول زيادته قاصراً عن العادة وزيادته شحيحة ، فضج الناس وانكبوا على شرا الغلة وازدحموا فى الرقع والسواحل وطلب باعة الغلة الزيادة فى السعر، فجمع الفرنساوية كل من كان له مدخل فى تجارة الغلال وزجروهم وخوفوهم وقالوا لهم هذه الغلة الموجودة الآن إنما هى زراعة العام الماضى، وأما هذا العام فلا تخرج زراعته إلا فى العام المستقبل، فانزجروا وباعوا بالسعر الحاضر، وقد كاد يقع الغلا العظيم لولا ألطاف الله حفت ، ونعمه العميمة الشاملة حصلت.

تحيز، فكلهم متساوون أمام القانون، واجعلوا الناس- بفضل عدالة أحكامكم- يباركون الحكومة الفرنسية التى ارتبطتم معها بيمين عظيمة.

ثم وزع القائد العام الهدايا على كبار المشايخ وبدأ الموكب يتحرك، تتقدمه وتتبعه جنود الفرسان والموسيقى العسكرية فى الطريق إلى الساحة على ضفة النيل الشرقية بجوار مزرعة إبراهيم بك وحصن المجمع.

كل جنود المشاة يسيرون على جانبى مربع كبير تقفل طرفيه ثلة من رجال الهجانة والخيالة فى منظر رائع.

وكان يقف فوق المرتفعات التى تفصل بين السهل والمدينة جنود من المشاة لاستكمال هذا المنظر الجميل.

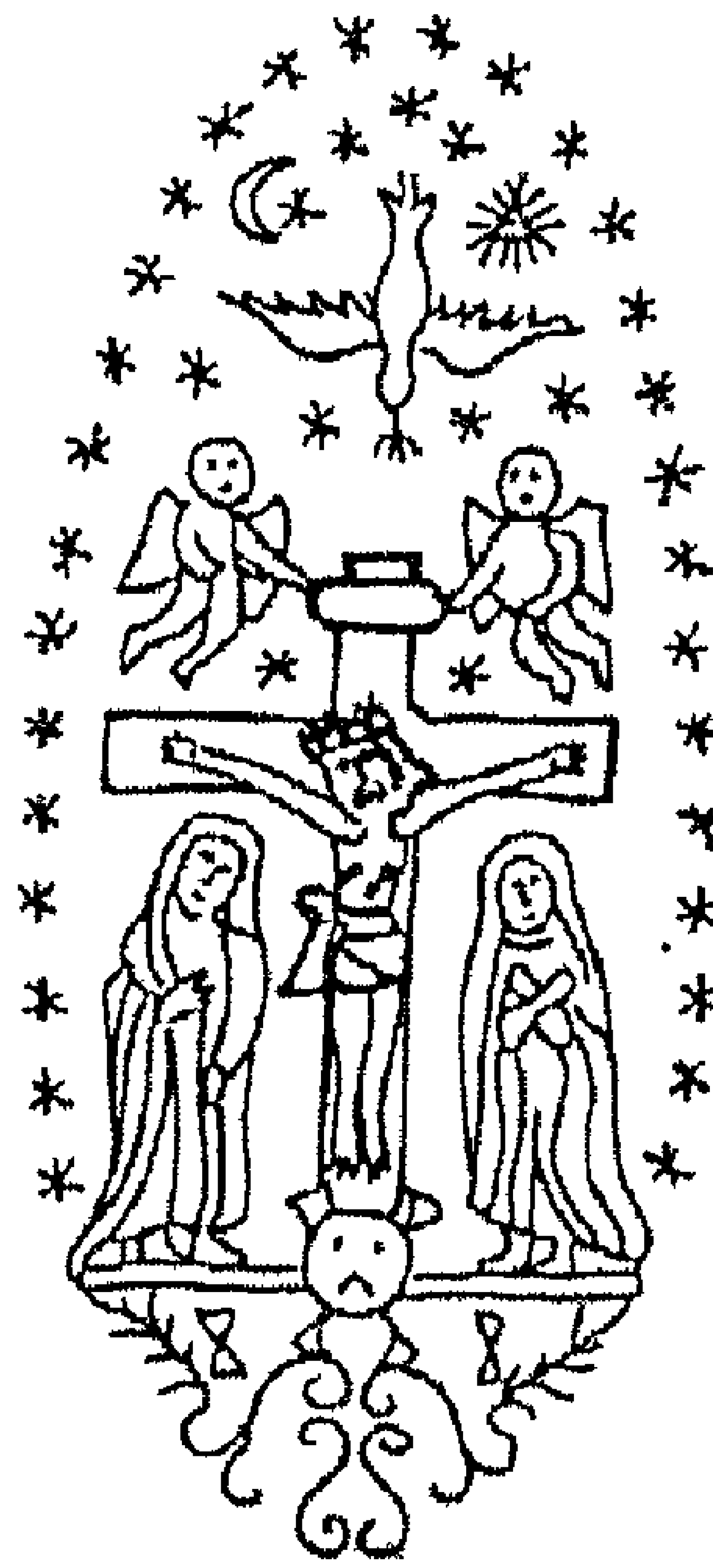
استعرض القائد العام جميع الفرق ثم اتخذ مكانه ومن فى معيته على منصة عالية وسط المربع وألقى فى الجنود الخطاب الآتى:

أيها الجنود..

لقد طويتم اليوم السنة السابعة منذ أن حطم الشعب الفرنسى آخر قيود العبودية وأطاح بالملكية وأقام جمهوريته.

لقد ساندتم الجمهورية وحميتموها بقيمكم الغالية، فى الشمال والجنوب والشرق والغرب، ووسعتم من حدودها، تقهقر الأعداء الذين كانوا فى غمرة كبريائهم، قد اقتسموا مقاطعات بلادنا، وهم الآن، والذعر يملأ قلوبهم، لا يعرفون متى تكفون عن غضبتكم فى التنكيل بهم وماهية الحدود التى تقفون عندها.

أن أعلامكم، يارفاق السلاح الشجعان، تنوء بما تحمله من أكاليل الغار. وأعمال مثل هذه الأعمال ينبغى أن يكون لها حدود، ومجدكم هذا يحتم ثمنا غاليا. أن الأمر لا يتطلب سوى قدر قليل من المثابرة حتى تحققوا هذا وذاك. وما هى إلا



* رسم لوشم على الذراع بصعيد مصر.

* عيد الصليب: هو ذكري الكشف عن الصليب الذى عُلق عليه السيد المسيح.

لحظات قليلة حتى تصبحوا على استعداد لأن تمنحوا العالم سلاما دائما بعد حروبكم المجيدة.
وكانت الهتافات تدوى بحياة الجمهورية تصاحبها طلقات المدافع ورصاص البنادق.
وبعد أن قام الجنود بمختلف المناورات بدقة ومهارة مذهلة، بدأ جنود المشاة بالسير في مقدمة الموكب بطوابير منسقة تتبعها فرقة الهجانة ثم المدفعية ثم لحقت بها فرقة الفرسان ومدافع الميدان.
وبمناورة سريعة ورشيقة اتخذت مواقعها استعدادا للمعركة، المدفعية فى الوسطة فى مواجهة المنصة العالية التى كان يعتليها القائد العام وجميع المشايخ الأتراك والباشا الذى أظهر دهشة فائقة لهذه المناورات وطريقة أدائها من الجنود. وفور الانتهاء من هذا التشكيل أطلقت المدفعية وفرقة الفرسان طلقات سريعة ايذانا بانتهاء الحركات العسكرية.

وعاد الموكب بنفس النظام الذى جاء به مجتازا جزءا كبيرا من المدينة فى طريقه إلى مقر القائد العام.
وبعد أن تفرق المدعوون فى الساعة الرابعة بعد الظهر، تجمعوا من جديد لتناول طعام الغداء. وقد وقع الاختيار لإقامة المأدبة على شرفة جميلة تزين حديقة القائد العام التى تشرف على ميدان الأزبكية. وزينت فيها الأعمدة والتعاريش بذوق بديع وتنسيق جميل، وأعدت مائدة عليها مفارش فخمة على طول الشرفة وهى تتسع لمائتين من المدعوين. وعند طرفى المائدة خصص مكان لفرقتين موسيقيتين كانتا تتناوبان عزف أجمل السيمفونيات والمقطوعات الموسيقية طوال فترة تناول الطعام.

وفى نهاية المأدبة نهض القائد العام وشرب نخب رفاهية الجمهورية ومجد سلاحها.
وفى غمرة الفرح كان الليل قد قارب أن يرخى سدوله والأتراك الذين يأوون إلى منازلهم فى وقت مبكر ظلوا ساهرين ليشاهدوا عملية إطلاق الصواريخ التى قام بها الجنود بقيادة قائد المدفعية جروبير Grobert وقد أدوها بنجاح كبير.
وأقيمت قنطرة تمثل جسر النصر وقد انحسرت المياه وكشفت عن دعائم الجسر وأعدت الطرق على هيئة مدرجات بقصد استعمالها فى الحفل وأقيمت بين أقواس القنطرة مسلات تعلو قمتها أكاليل من أوراق الزيتون. أما الوسطى منها فكان يعلوها تمثال يمثل أوروبا وكتب تحتها الاستيلاء على مالطة. أما تمثالا قارتى آسيا وأفريقيا فكانا فى وسط القوسين الجانبيين وقد كتب تحت الأول: معركة جبل تابور Tabor وكتب تحت تمثال أفريقيا: معركة أبو قير.
ففى هذه البقع الثلاث من العالم تميز جيش الشرق. أما الدعائم الأربع للجسر وكانت تقرأ عليها العبارات التالية:
الذكرى السنوية للجمهورية الفرنسية.
الوطن ساهر علينا.
الشجاعة اكتسبت الحرية.
أيها الجنود دافعوا عن رسالتكم.
ووضعت بعض الصواريخ على المراكب والجزر الصغيرة التى لم تغمرها مياه الفيضان وأطلقت المدافع بين الحين والآخر خلال إطلاق الصواريخ.
أما المدينة فكانت كلها مضاءة وقد اشترك أهل القاهرة فى احتفالاتنا بشكل لم يسبق له مثيل.
وانصرف المسلمون الذين كانوا قد أمضوا النهار عند القائد العام أو فى ضيافته بعد الانتهاء من إطلاق الصواريخ.

وفيه أرسلوا جملة عساكر من الفرنساوية إلى مراد بك بناحية الفيوم وعليهم كبير، فوقع بينهم وبينه أمور لم أتحقق تفصيلها، وترددت بينه وبين سارى عسكر الرسل والمراسلات. ووقع بينه وبينهم الهدنة والمهاداة واصطلح معهم على شروط(*) منها تقليد إمارة الصعيد تحت حكمهم،

وفى هذا الشهر كثرت الإشاعة باجتماع عساكر عثمانية جهة الشام فكثر اهتمام الفرنساوية بإخراج الجبخانات والمدافع وآلات الحرب والقومانية والعساكر وتحصين الصالحية والقرين وبلبيس.

---

## واستهل شهر رجب
## بيوم الجمعة سنة ١٢١٤

وفيه كثرت الأقوال وتواترت الأخبار بوصول الوزير الأعظم يوسف باشا إلى الديار الشامية وصحبته نصوح باشا وعثمان أغا كتخدا الدولة وحسين أغا نزله أمين ومصطفى أفندى الدفتردار وباقى رجال الدولة، وعسفوا فى البلاد الشامية وضربوا عليهم الضرايب العظيمة وجبوا الأموال وفعلوا ما لا خير فيه من الظلم وقتل الأنفس بسبب استخلاص الأموال، فلما كان فى منتصفه وردت الأخبار بوصولهم إلى غزة والعريش، وأنهم حاصروا قلعة العريش وقاتلوا من بها من عسكر الفرنساوية حتى ملكوها فى تاسع عشره واحتووا على ما كان فيها من الذخيرة والجبخانة وآلات الحرب، وصعد مصطفى باشا الذى باشر أخذ القلعة مع

وقد اختتمت الحفلات بحفلة أوروبية راقصة أحيتها الفرنسيات اللاتى صحبن الجيش إلى مصر واللائى كن يعشن فيها من قبل وسيدات بعض الجاليات الأوروبية الأخرى.
انظر: كوريبه دى ليجيبت: العدد (٣٩).

* معاهدة الصلح بين كليبر ومراد بك

بسم الله القدير

نظراً لما أبداه الأمير سامى المقام الحائز لكمال الشرف والاعتبار مراد بك محمد من الرغبة فى أن يعيش فى سلام ووفاق مع الجيش الفرنسى بمصر، ولما يرغبه القايد العام كليبر من الإعراب عما له فى نفوس الفرنسيين من الاحترام الذى استوجبته شجاعته واقتضاء مسلكه حيالهم، فقد تم الاتفاق على ما يأتى:

المادة ١

يعترف القائد العام للجيش الفرنسى بالنيابة عن الحكومة بمراد بك محمد أميراً وحاكماً للوجه القبلى ويخوله بهذا الوصف سلطة الحكم والانتفاع فى البلاد الكائنة بالبر الشرقى والبر الغربى للنيل ابتداء من ناحية بلصفورة بمديرية جرجا إلى أسوان فى مقابل أن يؤدى للجمهورية الفرنسية الخراج الواجب دفعه عن تلك الجهات لصاحب الولاية على مصر.

المادة ٢

يحدد هذا الخراج السنوى بمبلغ ٣٥٠ كيس بواقع الكيس ٢٠,٠٠٠ باره علاوة على ١٥,٠٠٠ أردب قمح و ٢٠,٠٠٠ أردب شعير وغلال أخرى.

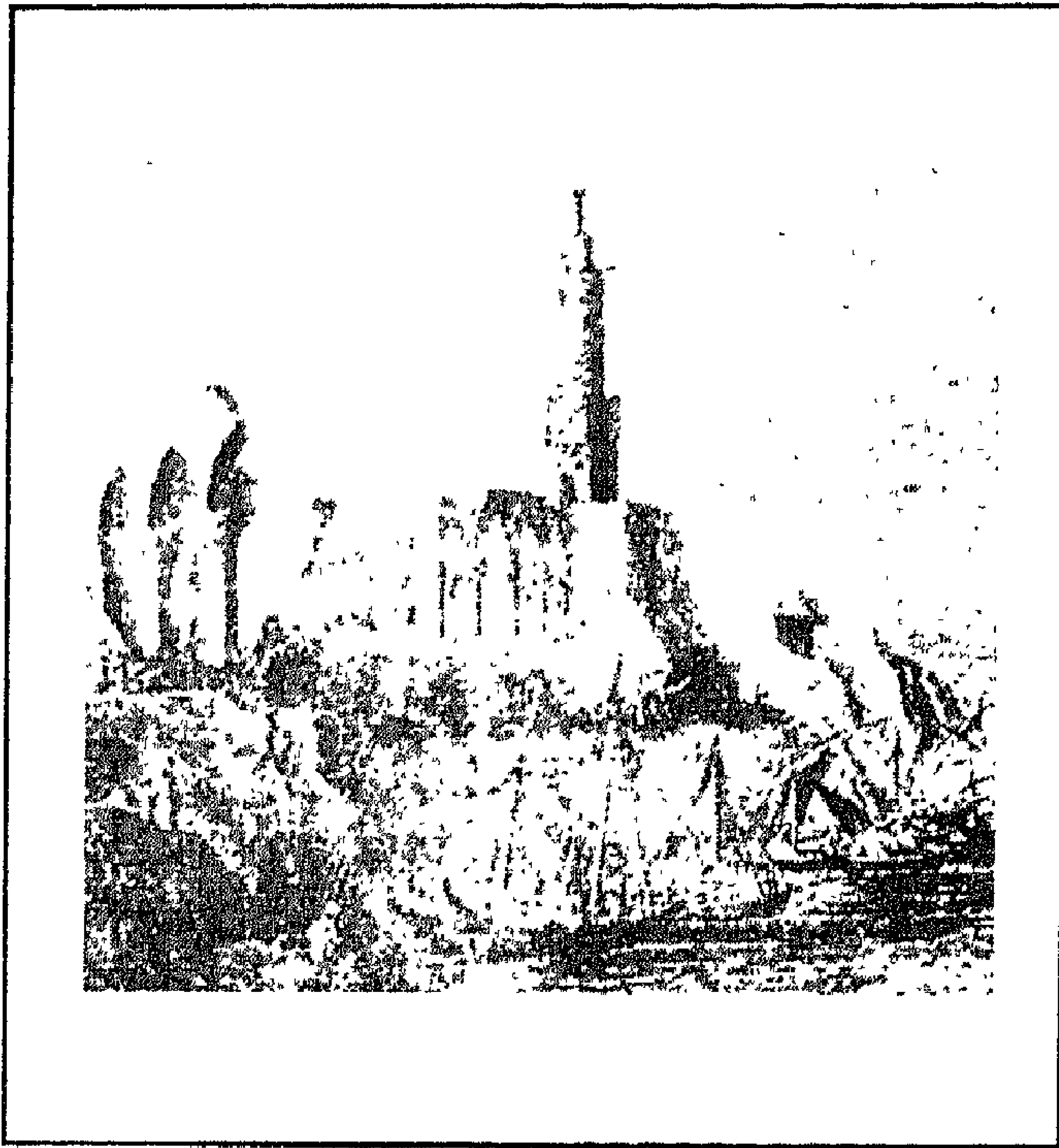
المادة ٣

الخراج الذى يدفع نقداً يؤدى على أربعة أقساط متساوية كل ثلاثة أشهر

قسط، وتبدأ السنة بحساب التقويم الفرنسى، أما الخراج الذى يؤدى عيناً فيورد فى شون القاهرة من أول فلوريال إلى ٣٠ فركتييدور، ويحاسب مراد بك على مصاريف نقل الغلال بواقع الأردب أربعين بارة تخصم من الخراج الذى يدفع نقداً.

المادة ٤

يكون لمراد بك دخل جمرك القصير وجمرك إسنا، وتحتل ميناء القصير حامية فرنسية لا تقل عن مايتى جندى وعلى مراد بك أن يودى نفقات هذه الحامية ويصرف لها ضعف ما يدفع عادة للجند، وعليه أن يخصص كتيبة من المماليك ترابط فى القصير لمساعدة الحامية الفرنسية، وما يدفعه لنفقات الحامية يخصم له من الخراج المذكور فى المادة الثانية.



* جرجا كما كانت فى عهد الجبرتى.

المادة ٥

بما أن أمير الوجه القبلى ليس له إلا الدخل الناتج من الضرايب فليس له أن يتصرف فى ملكية أى بلد إلى حاشيته المتصلين به، ولكن له إدارة هذه البلاد بالطريقة التى يراها مرضية، والحكومة الفرنسية تضمن للأهالى ملكية الأراضى التى يملكونها بالطرق المشروعة وتمنع وقوع أى اعتداء عليها.

المادة ٦

على كل طرف أن يرد إلى الطرف الآخر الجنود اللاجئين إليه من جيش الطرف الآخر، وليس لمزارعى القرى التابعة لأى من الفريقين أن يلجأوا إلى البلاد التابعة للفريق الآخر بقصد التخلص من أداء الضرايب أو لأى سبب آخر من هذا النوع.

المادة ٧

يجعل الأمير حاكم الصعيد مدينة (جرجا) مقراً له. وعليه أن يرسل للقايد العام حرسًا من خمسة وعشرين مملوكًا، وعليه أن يوفد أحد البكوات من أتباعه مندوبًا مفوضًا عنه يقيم باستمرار فى القاهرة.

المادة ٨

يضمن قايد الجيش الفرنسى لمراد بك الانتفاع بدخل حكومته ويتعهد بحمايته فى حالة مهاجمته. وإذا استهدفت الجهات التى تحتلها الجنود الفرنسية لهجوم عدائى أياً كان نوعه فعلى مراد بك أن ينفذ عدداً من جنوده يبلغ على الأكثر نصف قواته لمعاونة القوات الفرنسية، وعليه أن يقدم بالثمن المعتاد أدوات النقل المطلوبة، ومؤونة الجنود التى ينفذها تكون على نفقة الحكومة الفرنسية.

المادة ٩

يعد القايد العام كليبر بألا يوافق على أى اقتراح أو اتفاق يحرم مراد بك من المزايا المبينة أعلاه وعليه أن يبلغ المعاهدة الحالية إلى الحكومة الفرنسية لترعى مصالح مراد بك فى المعاهدات التى قد تبرم بشأن مصر.

المادة ١٠

إن الشروط الواردة فى المعاهدة الحالية والتى تقررت بمعرفة كل من الجنرال داماس قايد فرقة ورئيس أركان الحرب العام والستويان جلوتييه قوميسير الحكومة (لدى الديوان) ومدير الشون المالية المفوضين عن القايد العام كليبر،

جملة من العسكر وبعض الأجناد المصرية وضربت النوبة وحصل لهم الفرح العظيم*.

وعثمان بك البرديسي المفوض عن مراد بك يصير التوقيع عليها من القايد العام كليبر ومن الأمير المعظم والملاذ الأفخم مراد بك محمد.

استيلاء العثمانيين والمصرلية على العريش من العسكر الفرنسى وانفجار القلعة بهم.

فاتفق أنه وقعتْ نار على مكان الجبخانة والبارود المخزون بالقلعة وكان شيًا كثيرًا فاشتعلت وطارت القلعة بمن فيها واحترقوا وماتوا وفيهم الباشا المذكور ومن معه ومحمد أغا أرنؤد الجلفى وغيره من المصرلية، ومات كثير ممن كان خارجا عنها وبقربها مما نزل عليهم من النار والأحجار المتطايرة فى أسرع وقت.

ولما تحقق الفرنساوية أخذ العريش، وأن عساكر العثمانيين زاحفة إلى جهة الصالحية، تهيأ سارى عسكر الفرنساوية واستعد للخروج والسفر فى أسرع وقت وخرج بعساكره وجنوده إلى الصالحية، وقد كان قبل أخذ العثمانيين قلعة العريش أرسل الفرنساوية إلى سيدنى كبير* الإنكليز مراسلات ليتوسط بينهم وبين العثمانيين.

ثم ورد فرمان من حضرة الوزير قبل وصوله لجهة العريش خطابا إلى جمهور الفرنساوية باستدعا رجلين من روساهم وعقلاهم ليتشاور معهم ويتفق معهم على أمر يكون فيه المصلحة للفريقين على ما سيشترطونه بينهم، فوجهوا إليه من طرفهم «بوسليك» ريس الكتاب وديزه سارى عسكر الصعيد فنزلوا فى البحر على دمياط وطالت مدة غيابهم وبعث كليبر سارى عسكر رسلا من طرفه لاستفسار الأخبار.

*هو الكومودور وليم سدنى سميث: قايد الاسطول الانجليزى فى البحر المتوسط فى ذلك الوقت، ولد فى سنة ١٧٦٤، وكان الابن الثانى لكابتن فى فرقة الحرس الانجليزية. دخل البحرية الانجليزية فى سن الثالثة عشرة. واصبح ملازما سنة ١٧٨٠. ثم عمل فى البحرية السويدية حتى حصل على لقب سير من الملك جوستاف الثالث. ثم سافر إلى القسطنطينية حيث عاش ثلاث سنوات مع أخيه تشارلز سبنسر سمث الذى كان يعمل بالسفارة الانجليزية بمنصب سكرتير أول. وفى عام ١٧٩٣ م استدعته البحرية الانجليزية للعمل بها ضد البحرية الفرنسية، فوقع فى الأسر عام ١٧٩٦ وحبس فى سجن

## واستهل شهر شعبان المعظم سنة ١٢١٤

فورد الخبر بقدومهما فى اثنين وعشرين فيه إلى الصالحية فأرسلوا لهم الخيول وما يحتاجان إليه، وحضروا إلى مصر وشاع أمر الصلح وحضر من طرف العثمانيين ريس الكتاب والدفتردار لتقرير الصلح وجنح كل من الفريقين إلى ذلك لما فيه من كف الحرب وحقن الدما.

وأظهر الفرنساوية الخداع والخضوع حتى تم عقد الصلح على اثنين وعشرين شرطا رسمت وطبعت فى طومار كبير*، وورد الخبر بذلك إلى مصر وفرح الناس بذلك فرحا شديدا.

وأرسل سارى عسكر الفرنساوية مكاتبة بصورة الحال إلى دوجا قايمقام فجمع أهل الديوان وقرا عليهم ذلك، ولما ورد ذلك الطومار المتضمن لعقد الصلح والشروط وعربوه وطبعوا منه نسخا كثيرة فرقوا منها على الأعيان وألصقوا منها بالأسواق والشوارع.

وصورته بما فيه من الفصول والشروط بالحرف الواحد ما عدا ترجمة الأسطر التى باللغة الفرنسية:

هذه صورة الشروط الواقعة لخلو مصر ما بين حضرة الجنرال ديزه متفرقة وحضرة بوسليك مدبر الحدود العام نواب سر العسكر العام كليبر المفوضين بكامل السلطان وجناب سامى المقام مصطفى رشيد أفندى دفتردار ومصطفى راسيسه أفندى ريس كتاب الوكلاء المفوضين بكامل السلطان عن جناب حضرة الوزير سامى المقام إن للجيش

«التمبل» فى باريس. ولكن أحد الضباط الفرنسيين المعادين للجمهورية، ويدعى لوى ـ ادمون لوبيكار دُفليبوا ـ وكان زميل دراسة لنابليون بونابرت فى المدرسة الحربية بباريس عام ١٧٨٣م ـ تمكن من تهريبه إلى انجلترا عام ١٧٩٨م. فأنعم على دُفيليبو برتبه كولونيل فى البحرية الانجليزية.

وفى عام ١٧٩٩م، أصبح سدنى سمث قايداً للأسطول البريطانى الصغير الذى كان يجوب البحر المتوسط، فى الوقت الذى كان فيه نابليون قد استولى على يافا، فأرسل على الفور السفينة ثيسيوس وعليها الكولونيل دُفيلبو لمساندة الجزار الذى كان محاصراً فى عكا حينذاك.

انظر: بونابرت فى مصر. ج. كرستوفر هيرولد. ص٣٨٢ وما بعدها.

* بعد رحيل بونابرت، أدرك كليبر حالة الانحطاط فى الجيش فاخذ يفكر فى استئناف المبادرة الدبلوماسية مع العثمانيين ـ وأرسل إلى الصدر الأعظم يذكره بضرورة اتحاد الفرنسيين والعثمانيين ويستأنف استخدام كلام الدعاية التى ميزت الأشهر الأولى للحملة! فهو يوضح أن المماليك وحدهم اعداء الفرنسيين، وأن الفرنسيين قد حافظوا على كل علامات السلطة العثمانية فى مصر. ثم يذكر قائلا.

إن الفرنسيين لا يخشون لا أعداءهم ولا عدد هؤلاء الأعدا، كما أنهم لا يخشون الحرب، وقد قدموا البراهين على ذلك منذ عشر سنوات، لكنهم

الفرنساوى بمصر عندما قصد أن يوضح ما في نفسه من وفور الشوق لحقن الدما ويرى نهاية الخصام المضر الذى قد حصل ما بين المشيخة الفرنساوية والباب العالى فقد ارتضى أن يسلم بخلو الإقليم المصرى بحسب هذه الشروط الآتى ذكرها، يأمل أن بهذا التسليم يمكن أن يتجه ذلك إلى الصلح العام في بلاد المغرب قاطبة.

الشرط الأول: أن الجيش الفرنساوى يلزمه أن يتنحى بالأسلحة والعزال بالأمتعة إلى الإسكندرية ورشيد وأبو قير لأجل أن يتوجه وينتقل بالمراكب إلى فرنسا إن كان ذلك في مراكبهم الخاص بهم، أم في تلك التى يقتضى للباب العالى أن يقدمها لهم بقدر الكفاية، ولأجل تجهيز المراكب المذكورة بأقرب نوال فقد وقع الاتفاق [انه] من بعد مضى شهر واحد من تقرير هذه الشروط يتوجه إلى قلعة إسكندرية نايب من قبل الباب العالى وصحبته خمسون نفرا.

الشرط الثانى: فلابد عن المهلة وتوقف الحرب بمدة ثلاثة أشهر بالإقليم المصرى، وذلك من عهد إمضاء شروط الاتفاق هذه، وإذا صادف الأمر أن هذه المهلة تمضى قبل أن المراكب الواجب تجهيزها من قبل الباب العالى تحضر جاهزة فالمهلة المذكورة يقتضى مطاولتها إلى أن ينجز الرحيل على التمام والكمال، ومن الواضح أنه لابد عن إصراف الوسايط الممكنة من قبل الفريقين لكى لا يحصل ما يمكن وقوعه من التجسس كان ذلك من الجيش أم من أهل البلاد، إذا كانت هذه المهلة قد حصل الاتفاق بها لأجل راحتهم.

إن خاضوا الحرب ضد صديقهم القديم الباب العالى، فهذا يعنى انهم يخوضونها ضد انفسهم، بل اننا مضطرون إلى الاسف لانتصاراتنا لأنها تضعف جيوشكم، التى يجب أن نتحد معها بسرعة لمحاربة اعدائكم الحقيقيين.

ويذكر كليبر فى خطابه إلى الجنود لتبرير اسباب هذه المعاهدة قوله:

ايها الجنود

اضطررت تحت ظروف قاهرة لا يمكنني التصريح بها الآن لأن اقرر وقف مجرى انتصاراتكم ومفاوضة اعدائنا بدلا من مقاتلتهم وعلى ذلك فانه بناء على المعاهدة التى وقعت عليها سوف تعودون لمواصلة خدمة الوطن بأسلحتكم وبسالتكم وعزيمتكم المعهودة بطريقة افضل من خدمتكم فى هذه البلاد، وأكثر فعالية.

ايها الجنود

لو كنت قد خيرت فى المسئوليات الجسام التى خلفها لى الجنرال بونابرت لما كنت قد قبلتها قط إلا اننى احس بأن قواى لم تكن لتفى بمهام القيادة فى تلك الملابسات الصعبة التى كنا نمر بها، وأنتم على علم بأننى لم أكن املك الخيار فى هذا الأمر.

وعلى كل حال، فان ما يعذبنى هو إيمانى الوطيد بأننى إذا كنت لم أكن قد عملت من أجلكم كل ما تستحقه شجاعتكم واخلاصكم للجمهورية، فقد عملت على الاقل كل ما كان يمكن عمله بصورة إنسانية فى تلك الظروف الصعبة التى احاطت بالجيش من كل جانب.

إن الذين لم يصمموا آذانهم لصوت العقل والضمير سوف ينصفوننى فيما اقول ولست غيور على ارضاء الآخرين.
ايهاالجنود.
تربطنا الآن تعهدات رسمية مشهورة مشتركة مع الجيش العثمانى. وأنا مقتنع فى قرارة نفسى بأنه لا الوزير ولا أحد من الرويسا المسلمين تخالجه فكرة خيانتها ولكن فى ظل قوانينهم ونظمهم المتهورة، هل يتمكنون دائما من السيطرة على تصرفات مرؤوسيهم؟ لا، بدون شك.
ويصبح إذن عليكم انتم الذين تحكمكم نظم وقوانين حكيمة متزنة أن تدرأوا وتتجنبوا أية مشاجرات يترتب عليها عواقب قد تكون وخيمة.
ولن اترك دون عقاب أية إهانة ستوجه إليكم ـ ولكننى أيضا سأعاقب بفضل ما تتضمنه قوانينا من شدة كل من يتسبب منكم فى خلق أية مشكلة.
الإمضاء كليبر
كوريه دى ليجيبت. رقم ٥٧. ص٢٢٣.

الشرط الثالث : فرحيل الجيش الفرنساوى يقتضى تدبيره بيد الوكلا القادمين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى وسر العسكر كليبر، وإذا حصل خصام ما بين الوكلا المذكورين بوقت الرحيل فى هذا الصدد فلينتخب من قبل حضرة سيدنى سميث رجل لينهى المخاصمات المذكورة بحسب قواعد السياسة البحرية السالكون عليها ببلاد الإنكليز.

الشرط الرابع : قطية والصالحية لابد عن خلوهما عن الجيش الفرنساوى فى ثامن يوم، وأعظم ما يكون فى عاشر يوم من إمضا شروط الاتفاق هذه ، ومدينة المنصورة يكون خلوها من بعد خمسة عشر يوما، وأما دمياط وبلبيس من بعد عشرين يوما، وأما السويس فيكون خلوه ستة أيام قبل مدينة مصر، وأما المحلات الكاينة فى الجهة الشرقية من بحر النيل فيكون خلوها فى اليوم العاشر والدلط [الدلتا] أى الأقاليم البحرية يكون خلوها خمسة عشر يوما من بعد خلو مصر. والجهة الغربية وما يتعلق بها تستمر بيد الفرنسيس إلى حد خلو مدينة مصر، ولكن من حيث إنها لابد أن تستمر بيد الفرنساوية إلى أن يكون انحدار العسكر من جهات الصعيد فجهة الغربية وتعلقاتها كما ذكر، فممكن أنه لا يتيسر خلوها إلا من بعد انقضا وقت المهلة المعين إذا لم يمكن خلوها قبل هذا الميعاد. والمحلات التى تترك من الجيش فتسلم إلى الباب الأعلى [الباب العالى] كما هى فى حالتها الآن.

الشرط الخامس : ثم إن مدينة مصر إن أمكن ذلك يكون خلوها بعد أربعين يوما وأكثر بمدة خمسة وأربعين يوما من وقت إمضا الشروط المذكورة.

الشرط السادس :أنه لقد وقع الاتفاق صريحا على أن الباب الأعلى يصرف كل اعتناه فى أن الجيش الفرنساوى الموجود فى الجهة الغربية من بحر النيل عندما يقصد التنحى بكامل ماله من السلاح والعزال لنحو معسكرهم لا تصير عليه مشقة ولا أحد يشوش عليه إن كان ذلك مما يتعلق بشخص كل واحد منهم أو بأمتعته أو بكرامته، وذلك إما من أهالى البلاد وإما من جهة العسكر السلطانى العثمانى.

الشرط السابع :وحفظا لإتمام الشرط المذكور أعلاه وملاحظة لمنع ما يمكن وقوعه من الخصام والمعاداة فلابد عن استعمال الوسايط وأن عسكر الإسلام يكون دايما متباعدا عن العسكر الفرنساوى.

الشرط الثامن : فمن تقرير وإمضا هذه الشروط فكل من كان من الإسلام أم من باقى الطوايف من رعايا الباب الأعلى بدون تميز الأشخاص أوليك الواقع عليها الضبط أم الذين واقع عليهم الترسيم ببلاد فرنسا أو تحت أمر الفرنساوية بمصر يعطى لهم الإطلاق والتعلق، وبمثل ذلك فكل الفرنساوية المسجونين فى كامل البلدان والأساكل من مملكة العثملى وكذلك كامل الأشخاص من أيمّا طايفة كانت أوليك الذين كانوا فى تعلق خدمة المراسلات والقناصل الفرنساوية لابد عن إنعتاقهم.

الشرط التاسع :فترجيع الأموال والأملاك المتعلقة بسكان البلاد والرعايا من الفريقين أم دفع مبالغ أثمانها لأصحابها فيكون الشروع به حالا من بعد خلو مصر، والتدبير فى

٣٠٧ من الملاحظ انه كانت هناك داخل فرنسا قوى تعارض حملتها فى مصر وفيما يلى مستخرج من جريدة لوسرفاتور ترتستينو عدد ٦٦.
قدم النائب رويل Ruelle لمجلس الخمسماية تقريرا باسم لجنة الاحد عشر ويعد مقدمة وأساسا لتوجيه الاتهام إلى رجال حكومة الإدارة السابقين. وفيما يلى مقتطفات منه :
أيها المواطنون النواب.
لا شك فى أن المصدر الرئيسى لضرر الوطن هو عملية انتهاك الأراضى العثمانية التى قامت بها الحملة على مصر، لانها هى التى دفعت الأتراك إلى الدخول فى الحلف الجديد، وجعلت النمساويين والروس ـ بعد أن أمنوا سلامتهم من جانب هذه الدولة القوية ـ يرسلون ضدنا قوات متفوقة، بل فى استطاعتهم أن يرسلوا قوات حتى آخر رجل لديهم.
أن الحملة على مصر التى تقررت ازدراء بالدستور وممثلى الأمة. هى المؤامرة الحقيقية والخطيرة ضد الأمن الداخلى والخارجى للجمهورية.
ولنكف عن القول بأن انعدام الخبرة لدى المديرين السابقين وانعدام كفاءتهم هو السبب فى نكساتنا الحالية. أن السبب فى الحقيقة هو خيانتهم، بقطع العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية والامبراطورية العثمانية فى نفس الوقت ليزداد الحلف الجديد قوة واتساعا فى شتى نواحيه. يضاف إلى هذه الأحداث جميع الأخطاء التى نتجت عن دبلوماسيتهم فى غضون عامين، فى هولندا وسويسرا وإيطاليا.

الجبرتى/ سنة ١٢١٤م

ذلك يكون بيد الوكلا فى إسلامبول المقامين بوجه خاص من الفريقين لهذا المقصد.

الشرط العاشر :فلا يحصل التشويش لأحد من سكان الإقليم المصرى من أى ملة كانت وذلك لا فى أشخاصهم ولا فى أموالهم نظرا إلى ما يمكن أن يكون قد حصل من الاتحاد ما بينهم وبين الفرنساوية من إقامتهم بأرض مصر.

الشرط الحادى عشر : ولابد أن يعطى للجيش الفرنساوى إن كان من قبل الباب الأعلى أو من قبل المملكتين المرتبطين معه أعنى بهما مملكة إنكليزة ومملكة الموسكوب [الروسيا] فرمان الإذن وأوراق المحافظة بالطريق، وبمثل ذلك السفن اللازمة لرجوع الجيش المذكور بالأمن والأمان إلى بلاد فرنسا.

---

إذ كيف يمكن أن نتصور استفزاز الامبراطورية العثمانية والقوى البربرية والولايات المتحدة الامريكية علانية، تلك الدول التى لم تكن فى يوم من الأيام تفكر أو ترضى عن تقديم المعونات للحلف المذكور. لقد جاء الاستفزاز من جانب أولئك الذين كان يتعين عليهم بأى حال وبأى ثمن، العمل على كسب صداقة الامبراطوريةالعثمانية.

فإذا كنتم تريدون القضاء على هذه المؤامرة واجبار الروس على العودة إلى ديارهم وحرمان الانجليز من نفوذهم فى أمريكا، وقعوا معاهدة الصلح مع الأتراك والأمريكيين وأفهموهم أن الأمة الفرنسية لا تقبل العنف الذى اتبع ضدها .... (ثم تأتى الاتهامات كما يلى).

- لبيعهم أو السماح ببيع ذخائرنا وأسلحتنا ومؤننا ومختلف الأشياء الخاصة بنا، وتركهم حصوننا دون تموين لجمودهم القاتل فى موقفهم بينما كل شىء من حولهم ينذر بخطر الحرب واعداؤنا يقومون باستعدادات هائلة وتتدفق علينا من الشمال جحافل المقاتلين المدربين.

- للزج بجنودنا البواسل المتعبين دون سلاح ولا مؤن، تباد فلولها على ضفاف الدانوب والاديج من عدو يفوقهاعددا.

- للاحتفاظ داخل البلاد بأكثر من مائة ألف جندى وقت إعلان الحرب.

- لانهم أرسلوا بمحض إرادتهم أربعين ألف جندى إلى صحارى الجزيرة العربية [الشام] وكأنهم ذهبوا للمنفى.

- لانهم تسببوا فى إغضاب جيش إيطاليا وفتور شجاعته وهمته بمحاكمة شامبونيه Championnet الذى كان قد أنزل أحد الملوك عن عرشه وتعيين شيرر Scherer بدلا من هذا القائد.

- لأنهم لم ينزلوا العقاب بعملاء ووكلاء المجلس الإدارى المتهمين بتدبير المكايد والتبذير والإسراف فى الجمهوريات الحليفة.

- لتقويض دستور جمهورية شمال إيطاليا بقوة السلاح وتشويه السلطة فيها.

- لابطال المراسلات بين الوكلاء الدبلوماسيين والوزير ثم الاستيلاء عليها.

- لمحاولة النيل من الحرية الوطنية بانتهاك حريةالانتخابات.

- لانهم أرسلوا وكلاء عنهم مكلفين بالتأثير على هذه الانتخابات لصالح المجلس الإدارى وتهديد كل من كان يرفض الامتثال قائلين أن تلك هى إرادة الحكومة.

- لإرسالهم رسائل خاصة إلى الوكلاء المركزيين تتضمن شرحا وافيا عن طرق افساد الرأى العام.

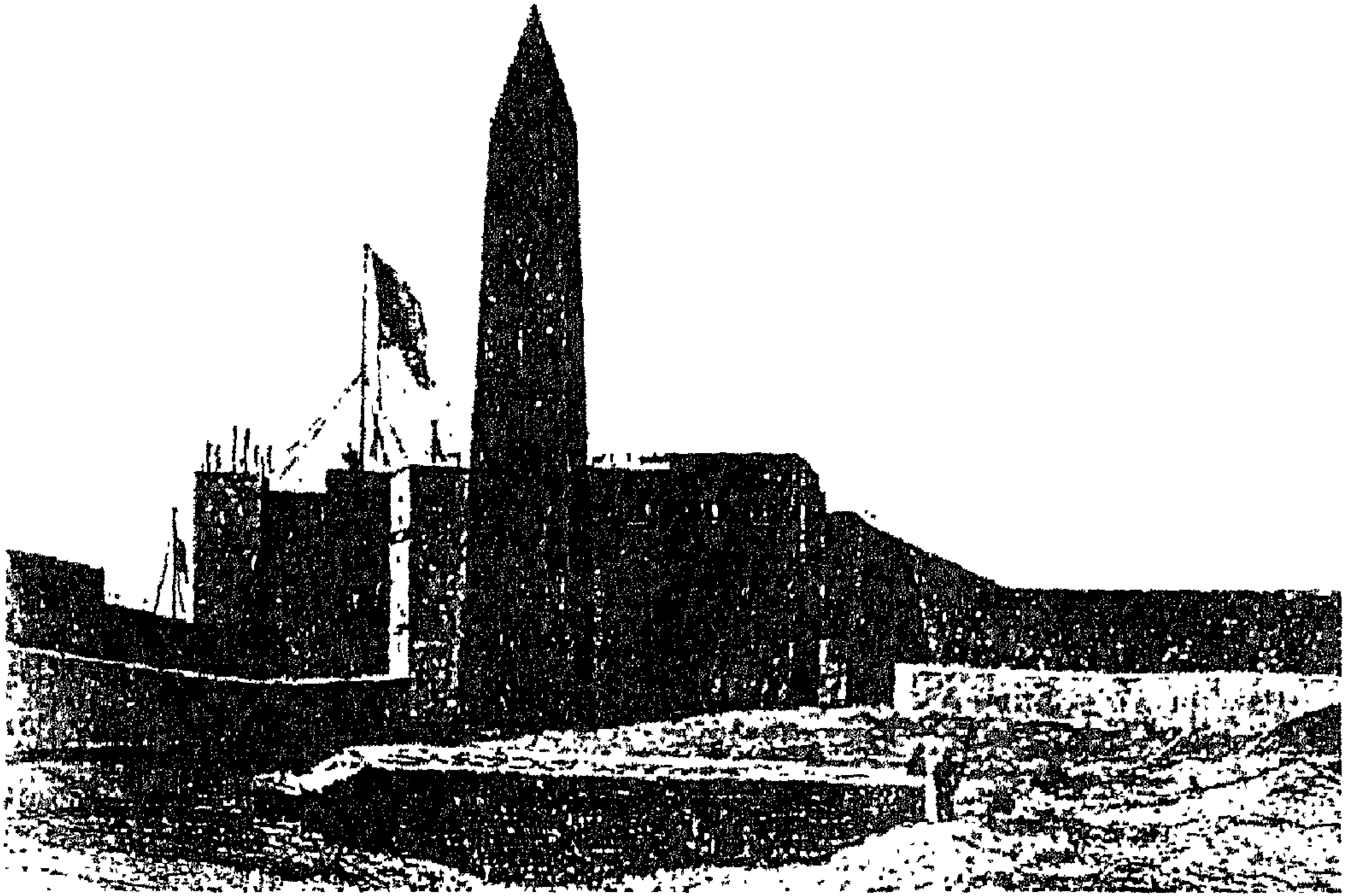
- لعدم معاقبة وكيل مقاطعة السارت Sarthe والدفاع عنه بعدة خطابات.

- للطرق الإرهابية التى استعملها وكلاء المجلس الإدارى لإبعاد الوطنيين عن المجمعات السياسية.

- لاتخاذ الإجراءات التعسفية ضد عديد من موظفى الجمهورية وعزلهم من مناصبهم قبيل الانتخابات بحجة الفوضى، وذلك لإبعاد أصوات الشعب عنهم مما أدى إلى إخماد الرأى العام.

- لما قاموا به من إلقاء القبض على المواطنين وحبسهم بطرق استبدادية.

- لتركهم إعادة تنظيم صفوف المقاتلين فى حرب الفاندية Vendée



* الاسكندرية على عهد الجبرتي ونشاهد هنا المسلة القائمة أمام القلعة والمسلة الثانية الساقطة امامها.

الشرط الثانى عشر : وعند نزول الجيش الفرنساوى المذكور الكاين بمصر الان فالباب الأعلي وباقى الممالك المتحدة معه يعاهدون بأجمعهم أنهم من وقت ينزلون بالمراكب إلى حين وصولهم إلى أراضى فرنسا لا يحصل عليهم شى قط مما يكدرهم، وبنظير ذلك فحضرة الجنرال كليبر سر العسكر العام يعاهد من قبله، وصحبته الجيش الفرنساوى الكاين بمصر بأنه لا يصدر منهم مما يئول إلى المعاداة على الإطلاق ما دامت المدة المذكورة، وذلك لا ضد العمارة ولا ضد بلدة من بلدان الباب الأعلى وباقى الممالك المرتبطة معه، وكذلك إن السفن التى يسافر بها الجيش المشار إليه ليس لها أن ترى فى حد من الحدود إلا بتلك التى تختص بأراضى فرنسا، ما لم يكن ذلك فى حادث ما ضرورى.

بينما كان الواجب اتخاذ الاحتياطات اللازمة نحو عدم اندلاعها، أو مقاتلة رجالها بوساطة القوات المنتشرة في داخل البلاد.

– لتشجيعهم المواطنين على القتل والاغتيالات الموجهة خصيصا ضد الموظفين العموميين والجمهوريين، وذلك بسبب تشجيعهم الرجعية وعدم معاقبة المجرمين.

– وأخيرا لتعريضهم سلامة الجمهورية للخطر بسبب فساد إدارتهم.

انظر : كوربيه دى ليجيبت العدد (٤٢).

الشرط الثالث عشر : ونتيجة ما قد وقع الاتفاق عليه من الإمهال المشترط أعلاه بما يلاحظ خلو الإقليم المصرى، فالجهات الواقع بينهم هذا الاشتراط قد اتفقوا على أنه إذا حضر فى حد هذه المدة المذكورة مركب من بلاد فرنسا بدون معرفة غلايين الممالك المتحدة، ودخل بمينا إسكندرية، فلازم عن سفره حالا، وذلك من بعد أن يكون قد تحوج بالما والزاد اللازم، ويرجع إلى فرانسا وذلك بسندات أوراق الإذن من قبل الممالك المتحدة وإذا صادف الأمر أن مركبا من هذه المراكب تحتاج إلى الترقيع فهذه لا غير يباح لها الإقامة إلى أن ينتهى إصلاحها المذكور، وفى الحال من ثم تتوجه إلى بلاد فرنسا نظير التى قد تقدم القول عنها عند أول ريح يوافقها.

الشرط الرابع عشر :وقد يستطيع حضرة الجنرال كليبر سرى العسكر العام أن يرسل خبرا إلى أرباب الأحكام الفرنساوية فى الحال، ومن يصحب هذا الخبر لابد أن تعطى له أوراق الإذن بالإطلاق كما يقتضى ليسهل بهذه الوساطة وصول الخبر إلى أصحاب الحكم بفرنسا.

الشرط الخامس عشر : وإذا قد اتضح أن الجيش الفرنساوى يحتاج إلى المعاش اليومي ما دامت الثلاثة أشهر المعينة لخلو الإقليم المصرى، وكذلك لمعاش الثلاثة الأشهر الأخرى التى يكون مبتداها من يوم نزولهم بالمراكب فقد وقع الاتفاق على أنه يقدم له مقدار ما يلزمه من القمح واللحم والأرز والشعير والتبن وذلك بموجب القايمة التى تقدمت الآن من وكلا الجمهور الفرنساوى إن كان ذلك مما

يخص إقامتهم أو ما يلاحظ سفرهم والذى يكون قد أخذه الجيش المذكور مقدار ما كان من شونه وذلك من بعد إمضا هذه الشروط فينخصم مما قد لزم ذاته بتقدمته الباب الأعلى.

الشرط السادس عشر : ثم إن الجيش الفرنساوى منذ ابتدا وقوع إمضا هذه الشروط المذكورة ليس له أن يفرد على البلاد فردة ما من الفوايد قطعا بالإقليم المصرى، لا بل وبالعكس فإنه يخلى للباب الأعلى كامل فرد المال وغيره مما يمكن توجب قبضه، وذلك إلى حين سفرهم وبمثل ذلك الجمال والهجن والجبخانة والمدافع وغير ذلك مما يتعلق بهم ولا يريدون أن يحملوه معهم، ونظير ذلك شون الغلال الواردة لهم من تحت المال، وأخيرا مخازن الخرج فهذه كلها لابد عن الفحص عنها وتسعيرها من أناس وكلا موجهين من قبل الباب الأعلى لهذه الغاية ومن أمين البحر الإنكليزى وبرفقة الوكلا المتصرفين بأمر الجنرال كليبر سارى العسكر وهذه الأمتعة لابدعن قبولها من وكلا الباب الأعلى المتقدم ذكرهم بموجب ما وقع عليه السعر إلى حد قدر مبلغ ثلاثة آلاف كيس التى تقتضى للجيش الفرنساوى المذكور لسهولة انتقاله عاجلا ونزوله بالمراكب، وإذا كانت الأسعار فى هذه الأمتعة المذكورة لا توازى المبلغ المرقوم أعلاه فالخسيس والنقص في ذلك لابد من دفعه بالتمام من قبل الباب الأعلى، على جهة السلفة تلك التى يلزم بوفائها أرباب الأحكام الفرنساوية بأوراق التمسكات المدفوعة من الوكلا المعينين من الجنرال كليبر سارى العسكر العام لقبض واستلام المبلغ المذكور.

الشرط السابع عشر : ثم إنه إذا كانت تقتضى للجيش الفرنساوى بعض مصاريف لخلوهم مصر فلابد أن تقبض وذلك من بعد تقرير تمسك الشروط المذكورة القدر المحدد أعلاه بالوجه الآتى ذكره، أعنى فمن بعد مضى خمسة عشر يوما خمسماية كيس، وفى غلاق الثلاثين يوما خمسماية كيس أخرى، وبتمام الأربعين يوما ثلثماية كيس أخرى، وعند تمام الخمسين يوما ثلثماية كيس شرحه، وعند غلاق الستين يوما ثلثماية كيس أخرى، وفى السبعين يوما ثلثماية كيس أخرى، وعند تمام الثمانين يوما ثلثماية كيس أخرى، وعند غلاق التسعين يوما خمسماية كيس أخرى، وكل هذه الأكياس المذكورة هى عن كل كيس خمسماية غرش عثملى، ويكون قبضها على سبيل السلفة من يد الوكلا المعينين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى، ولكى يسهل إجرا العمل بما وقع الاعتماد عليه، فالباب الأعلى من بعد وضع الإمضا على النسختين من الفريقين يوجه حالا الوكلا إلى مدينة مصر وإلى بقية البلاد المستقر بها الجيش.

الشرط الثامن عشر : ثم إن فرد المال الذى يكون قد قبضه الفرنساوية من بعد تاريخ تحرير الشروط المذكورة وقبل أن يكون قد اشتهر هذا الاتفاق فى الجهات المختلفة بالإقليم المصرى فقد تخصم من قدر مبلغ الثلاثة آلاف كيس المتقدم القول عنها.

الشرط التاسع عشر : ثم إنه لكى يسهل خلو المحلات سريعا فالنزول فى المراكب الفرنساوية المختصة بالحمولة

والموجودة في البر بالإقليم المصرى مباح به ما دامت مدة الثلاثة أشهر المذكورة المعينة للمهلة، وذلك من دمياط ورشيد حتى إلى الاسكندرية، ومن إسكندرية حتى إلى رشيد ودمياط.

الشرط العشرون: فمن حيث إنه للطمان الكلى فى جهات البلاد الغربية يقتضى الاحتراس الكلى لمنع الوبا الطاعونى عن أنه يتصل هناك فلا يباح ولا لشخص من المرضى أو من أوليك الذين مشكوك بهم بريحة من هذا الدا الطاعونى أن ينزل بالمراكب، بل إن المرضى بعلة الطاعون أو بعلة أخرى أينما كانت تلك التى بسببها لا يقتضى أن يسمح بسفرهم بمدة خلو الإقليم المصرى الواقع عليها الاتفاق يستمرون فى بيمارستان المرضى حيث هم الآن تحت أمان جناب الوزير الأعظم عالى الشان، ويعالجهم الأطبا من الفرنساوية أوليك الذين يجاورونهم بالقرب منهم إلى أن يتم شفاهم يسمح لهم بالرحيل الشى الذى لابد عن اقتضا الاستعجال به بأسرع ما يمكن، ويحصل لهم ويبدو نحوهم ما ذكر فى الشرطين الحادى عشر والثانى عشر من هذا الاتفاق، نظير ما يجرى على باقى الجيش، ثم إن أمير الجيش الفرنساوى يبذل جهده فى إبراز الأوامر الأشد صرامة لرويسا العساكر النازلة بالمراكب بأن لا يسمحوا لهم بالنزول بمينا خلاف المين [الموانى] التى تتعين لهم من رويسا الأطبا، تلك المين التى يتيسر لهم بها أن يقضوا أيام الكارنتينة بأوفر السهولة من حيث إنها من مجرى العادة ولا بد عنها.

الشرط الحادى والعشرون: فكل ما يمكن حدوثه من المشاكل التى تكون مجهولة ولم يمكن الاطلاع عليها فى

هذه الشروط. فلابد عن نجازها بوجه الاستحباب، ما بين الوكلا المعينين لهذا القصد من قبل الجناب الوزير الأعظم عالى الشان وحضرة الجنرال كليبر سارى العسكر العام بوجه يسهل ويحصل الإسراع بالخلو.

الشرط الثانى والعشرون : وهذه الشروط لا تعد صحيحة إلا من بعد إقرار الفريقين وتبديل[تبادل] النسخ، وذلك بمدة ثمانية أيام، ومن بعد حصول هذا الإقرار لابد عن حفظ هذه الشروط الحفظ اليقين من الفريقين كليهما، صح وثبت وتقرر بختوماتنا الخاصة بنا بالعسكر، حيث وقعت المداولة بحد العريش فى شهر بلويوز [بليفيوز] * سنة ثمان من إقامة المشيخة الفرنساوية، وفى رابع عشرين شهر كانون الثانى عربى من سنة ألف وثمانماية الواقع فى ثمان عشرين شعبان هلالية سنة أربعة عشر ومايتين وألف هجرية، الممضيين الجنرال متفرقة دزه البلدى وبوسليك المفوضين بكامل سلطانه الجنرال كليبر وجناب سامى مقام مصطفى رشيد أفندى دفتردار ومصطفى راسيسه أفندى ريس الكتاب المفوضين بكامل سلطان جناب الوزير الأعظم عالى الشان منقولة عن النسخة الأصلية الموافقة لتلك الموجهة بالفرنساوية إلى الوكلا العثملى بدلا من التى قد وجهوها باللغة التركية. ممضى دزه وبوسليك تقرير الجنرال سارى العسكر العام [كليبر] محرر فى آخر السنة التركية التى بقيت محفوظة بيد الوزير الأعظم، إننى أنا الواضع اسمى أدناه الجنرال سرى العسكر العام أمير الجيش الفرنساوى بالإقليم المصرى [كليبر] أثبت وأقر شروط الاتفاق المذكور أعلاه للحصول على إجرايه بالعمل بالنوع

* استخدمت الثورة الفرنسية منذ انتصارها عام ١٧٩٣ التقويم الجمهورى الذى قسمت فيه السنة إلى ١٢ شهراً متساوية، عدد أيام كل منها ٣٠ يوما، يضاف إليها خمسة أيام «نسىء»، وكانت الشهور مقسمة إلى عشرات الأيام وليس إلى أسابيع (لاحظ التشابه الكبير بين هذا التقويم والتقويم المصرى الفرعونى). حتى أن عيد الفيضان المصرى كان يأتى مع أول السنة الفرنسية).

وكان بدء السنة الجمهورية فى ٢٢ سبتمبر ١٧٩٣. وهذه الشهور هى:

١ ـ فنديمبير ـ شهر القطاف والجنى. أوله ٢٢ سبتمبر.

٢ ـ بريميير ـ شهر الضباب. أوله ٢٢ أكتوبر.

٣ ـ ڤريميير ـ شهر الصقيع. أوله ٢١ نوفمبر.

٤ ـ نيفوزيه ـ شهر الثلوج. أوله ٢١ ديسمبر.

والصورة إن كان من اللازم أن أتيقن بأن الاثنين وعشرين شرطا المشروحة إلى الآن هى موافقة على التدقيق باللغة الفرنساوية الممضى عليها من الوكلا أصحاب ولاية الوزير الأعظم والمقررة من جناب عالي الشان، الترجمة التى لابد عن الاعتماد باجرايها كل مرة إن كان لسبب أم لآخر يمكن حصول بعض الاختلافات، ومن ثم فتقلد بعض المشاكل.

صح وجرى بمحل العسكر العام بالصالحية فى ثامن شهر بليفيوز [يناير ١٧٩٩م] سنة ثمان من المشيخة. ممضى كليبر عن نسخة صحيحة الجنرال متفرقة رأس صاحب ختام فى الجيش الفرنساوى ممضى داماس.

انتهى بحروفه وما فيه من خطأ وتحريف فيه طبق الأصل المطبوع بالمطبعة الفرنساوية باللغة العربية، ولم أغير منه سوى ما فى تواريخ الأشهر والسنين بالأرقام الهندية [العربية]، والله أعلم.

٥ ـ بلنيفيوز ـ شهر الامطار. أوله ٢٠ يناير.
٦ ـ فانتوز ـ شهر الرياح. أوله ١٩ فبراير.
٧ ـ جرمينال ـ شهر البذار. أوله ٢١ مارس.
٨ ـ فلوريال ـ شهر الزهور. أوله ٢٠ أبريل.
٩ ـ بريريال ـ شهر المروج أوله ٢٠ مايو
١٠ ـ ميسيدور ـ شهر الحصاد. أوله ١٩ يونيو.
١١ ـ ترميدور ـ شهر الحرارة ـ أوله ١٩ يوليو.
١٢ ـ فريكتيدور ـ شهر الثمار ـ أوله ١٨ أغسطس.
وقد ألغى هذا التقويم فى فرنسا عام ١٨٠٦م.

---

## واستهل شهر رمضان المعظم بيوم الأحد سنة ١٢١٤ (٢٦ يناير ١٨٠٠م)

فى ثانيه حضر سارى عسكر الفرنساوية كليبر إلى ناحية العادلية وصحبته أغا من رجال الدولة العثمانية يسمى محمد أغا فأرسل سارى عسكر إلى حسن أغا نجاتى المحتسب يأمره بأن يتلقاه وينزله فى بيته ويكرمه إكراما زايدا، فلما كان بعد العشا دخل ذلك الأغا إلى مصر فى موكب، فحصل للناس ضجة عظيمة وازدحموا على مشاهدتهم له



الجبرتى/ سنة ١٢١٤م

والفرجة عليه، وارتفعت أصواتهم وعلا ضجيجهم وركبوا على مصاطب الدكاكين والسقايف وانطلقت النسا بالزغاريت من الطيقان واختلفت آراهم في ذلك القادم ولم يعلموا ما هو، فدخل من باب النصر وشق القاهرة، ولم يزل سايرا حتى وصل إلى بيت حسن أغا بسويقة اللالا، فنزل هناك، فلما استقر به الجلوس ازدحم الناس والأعيان للسلام عليه ولمشاهدته بالمشاعل والفوانيس.

فلما كان صبح تلك الليلة عمل ديوانا وجمع العلما والوجاقلية وأعيان الناس وكبار النصارى من الأقباط والشوام، فلما تكلموا أبرز لهم فرمانا من الوزير فقرى عليهم بالمجلس، فدل مضمونه على أنه أغات الجمارك* أى المكوس بمصر وبولاق ومصر القديمة، وفيه التحكير على جميع الواردات من أصناف الأقوات فيشتريها بالثمن الذى يسعره هو بمعرفة المحتسب ويودعه فى المخازن.

* أول من أرسلته السلطنة العثمانية لمصر كان أغات الجمارك. الذى حمل معه أول فرمان للسلطنة ينص على تحصيل الأموال.

وأبرز فرمان آخر قرى بالمجلس مضمونه أن الوزير أقام مصطفى باشا الذى كان أسر بأبى قير وكيلا عنه وقايمقام بمصر إلى حين حضوره، وأن السيد أحمد المحروقى كبير التجار ملزوم ومقيد بتحصيل الثلاثة الآلاف كيس المعينة لترحيل الفرنساوية.


* مصطفى باشا.

وانفض المجلس على ذلك، وأخذ السيد أحمد المحروقى فى تحصيل ذلك القدر من الناس، وفرضوه على التجار وأهل الأسواق والحرف وشرعوا فى تحكير الأقوات، فغلت أسعارها وضاقت مون الناس، ودهى الناس من أول أحكامهم بهاتين الداهيتين.

وكان أول قادم منهم أمير المكوسات ومحكر الأقوات، وأول مطلوبهم مصادرة الناس وأخذ المال منهم، وتغريمهم واجتهد السيد أحمد المحروقى فى توزيع ذلك وجمعه فى أيام قليلة، فكان كل من توجه عليه مقدار من ذلك اجتهد فى تحصيله وأخرجه عن طيب قلب وانشراح خاطر، وبادر بالدفع من غير تأخير، لعلمه أن ذلك لترحيل الفرنساوية، ويقول سنة مباركة ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة، كل ذلك بمشاهدة الفرنسيس ومسمعهم وهم يحقدون ذلك عليهم.

وحضر مصطفى باشا من الجيزة، وسكن بيت عبد الرحمن كتخدا بحارة عابدين وأرسل الوزير فرمانات إلى البلاد وعين المعينين والمباشرين بطلب المال والغلال والكلف من الأقاليم.

وأرسل إلى البنادر وجعل فى كل بندر أميراً ووكيلا لجمع الغلال والمطلوبات من الذخيرة وجمعها بالحواصل، ولا يخفى ما يحصل فى ضمن ذلك من الجزئيات التى سيتضح بعضها فيما بعد.

وأما الرعايا وهمج الناس من أهل مصر فإنهم استولى عليهم سلطان الغفلة ونظروا للفرنسيس بعين الاحتقار وأنزلوهم عن درجة الاعتبار، وكشفوا نقاب الحيا معهم بالكلية، وتطاولوا عليهم بالسب واللعن والسخرية، ولم يفكروا فى عواقب الأمور ولم يتركوا معهم للصلح مكانا، حتى إن فقها المكاتب كانوا يجمعون الأطفال ويمشون بهم فرقا وطوايف حسبة، وهم يجهرون ويقولون كلاما مقفى بأعلى أصواتهم بلعن النصارى وأعوانهم وأفراد رويساهم كقولهم:

الله ينصر السلطان ويهلك فرط الرمان ونحو ذلك، وظنوا فروغ القضية ولم يملكوا لأنفسهم صبرا حتى تنقضى الأيام المشروطة.

على أن ذلك لم يثمر إلا الحقد والعداوة التى تأسست فى قلوب الفرنسيس وأوجبت ما حصل بعد ذلك من وقوع العذاب البئيس كقول القايل:

أمور تضحك السفها منها
ويبكى عندها الحبر اللبيب

وأيضاً

وكم ذا بمصر من المضحكات
ولكنه ضحك كالبكا*

* هذا البيت للمتنبى من قصيدة هاجم بها كافور الاخشيد لانه لم يجزل عليه عطاياه.

وقد قيل: قاتل بجد وإلا فدع.

وقال الشعبى من جملة كلام:

وصادفنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقيا ولا فجرة أقويا.

* الفرنساوية يستعدون للرحيل والعسكر العثمانى يعسف بالأهالى دون رادع من الباشا.

وأخذ الفرنساوية* فى أهبة الرحيل، وشرعوا فى مبيع أمتعتهم وما فضل عن سلاحهم ودوابهم، وسلموا غالب الثغور والقلاع كالصالحية وبلبيس ودمياط والسويس، ثم إن العثمانيين تدرجوا فى دخول مصر وصار فى كل يوم يدخل منهم جماعة بعد جماعة وأخذوا يشاركون الناس فى صناعاتهم وحرفهم مثل القهوجية والحمامية والخياطين والمزينين وغيرهم، فاجتمع العامة وأصحاب الحرف إلى مصطفى باشا قايمقام وشكوا إليه فلم يلتفت لشكواهم لأن ذلك من سنن عساكرهم وطرايقهم القبيحة.

ورد الخبر بوصول* حضرة الوزير إلى بلبيس وصحبته الأمرا المصرية ، وأرسلوا إلى مراد بك ومن معه بالحضور إلى العرضى فأجاب بالاعتذار عن الحضور لأنه في الصعيد فلم يقبلوا عذره، فأكدوا عليه بالحضور فاستأذن الفرنساوية سرا فأذنوا له في المقابلة، وكان سفيره في ذلك عثمان بك البرديسى، ثم إنه حضر وقابل الوزير بصحبة إبراهيم بك وخلع عليهما.

* وصول الوزير يوسف باشا إلى بلبيس وبداية دخول العسكر العثمانية والمملوكية إلى القاهرة دون مانع من الفرنساوية.

ورجع مراد بك فخيم جهة العادلية، وحضر حسن أغا نزله أمين * ودخل مصر وأخلى الفرنساوية قلعة الجبل وباقى القلاع التى أحدثوها ونزلوا منها، فلم يطلع إليها أحد من العثمانيين ولم يلتفتوا لتحصينها ولا ربطها بالعساكر والجبخانة، وأعرضوا عن المحاذرة وركبهم الغرور لأجل نفاذ المقدور.

* نزله أمين: هو المسئول المالى عن مصروفات وتكاليف الحملة العسكرية.

وحضر أيضًا غالب المصريين الفارين من مصر وقت مجى الفرنساوية إليها من الأغوات والوجاقلية والأفندية والكتبة مثل إبراهيم أفندى الروزنامجى وثانى قلفة وغيرهما بنساهم وأولادهم يظنون فروغ القضية، والذى خافوا منه وقعوا فيه كما ستراه.

وأرسل إبراهيم بك إلى السيد أحمد المحروقى يطلب كساوى وثيابا وطرابيش وسراويل للماليك ولخاصة نفسه، فأرسل إليه مطلوبه وأخرجت لهم الخيام والتراتيب والنظام وهيأت نسا الأمرا والأجناد احتياجاتهم وترتيباتهم وجروا على عادتهم فى التغالى ولازمت الخدم والفراشون الغدو والرواح إلى خيم ساداتهم وهم راكبو البغال والرهوانات والحمير



الفارهة وفى حجورهم تعابى الثياب والبقج المزركشة بالذهب والفضة، وكذلك الخدم الذين يحملون الخوانات وطبالى الأطبخة والأطعمة وعليها الأغطية الحرير والوشى الملون وهم يتغنون برفع أصواتهم ويتجاوبون بكلام وسخريات ولعن للنصارى البلدية والفرنسيس بمرأى منهم ومسمع، إلى غير ذلك مما يحرك الحفايظ ويوغر الصدور.

ولما استقر الوزير بمدينة بلبيس وذلك فى الثانى والعشرين من شهر رمضان استأذن العلما والتجار والأعيان المصرية مصطفى باشا فى التوجه للسلام فاستأذن ثم أذن لهم، فذهبوا أيضًا إلى سارى عسكر كليبر واستأذنوه فأذن لهم أيضاً، فذهبوا عند ذلك للسلام عليه فوصلوا إلى نصوح باشا والى مصر وسلموا عليه وباتوا بوطاقه.

فلما وصلوا إليه واستقر بهم الجلوس سأل عن أسماهم وكذلك عن التجار وأكابر النصارى ثم خلع عليهم خلعا وانصرفوا من عنده فطافوا على أكابر الدولة بالعرضى، وكذلك على الامرا المصرية ورجعوا إلى مصر ودخلوها وعليهم تلك الخلع وصحبتهم قاضى العسكر وهو لابس قبوط* أسود ووصل نصوح باشا والأمرا إلى جهة الخانكاه ثم إلى المطرية.

وفيه حضر درويش باشا والى الصعيد إلى خارج القاهرة جهة الشيخ قمر فمكث أياما ثم توجه إلى قبلى وصحبته نحو المابة نفر، وكذلك ذهبت طايفة إلى السويس وإلى دمياط والمنصورة وانبثوا فى البلاد ودخلوا مصر شياً فشياً.

* قبوط : عباءة.

## واستهل شهر شوال سنة ١٢١٤

فى سابعة وقعت حادثة* بين عسكر الفرنساوية والعثمانية، وهى أول الحوادث التى حصلت بينهم، وهو أن جماعة من عسكر العثمانية تشاجروا مع جماعة من عسكر الفرنساوية فقتل بينهم شخص فرنساوى، ووقعت فى الناس زعجة وكرشة وأغلقوا الحوانيت وعمل العثمانية متاريس وتترسوا بها بناحية الجمالية وما والاها واجتمعوا هناك، ووقع بينهم مناوشة قتل فيها أشخاص قليلة من الفريقين وكادت تكون فتنة، وباتوا ليلتهم عازمين، على الحرب، فتوسطت بينهم كبرا العسكر فى تمهيد ذلك، وأزالوا المتاريس وانكف الفريقان، وبحث مصطفى باشا عمن أثار الفتنة وهم ستة أنفار، فقتلهم وأرسلهم إلى سارى* عسكر الفرنساوية فلم يطب خاطره بذلك. وقال لابد من خروج عسكركم إلى عرضيهم حتى تنقضى الأيام المشروطة، وإذا دخل منهم أحد إلى المدينة لا يدخلون إلا بطريقته [ أى بموافقته] وبدون سلاح، فعند ذلك أمر مصطفى باشا بخروج الداخلين من العساكر ولا يبقى منهم أحد، ووقف جماعة من الفرنساوية خارج باب النصر، فإذا أراد أحد من العسكر أو من أعيان العثمانية الدخول إلى المدينة فعند وصوله إليهم ينزل عندهم وينزع ما عليه من السلاح، ويدخل وصحبته شخص أو شخصان موكلان به يمشيان أمامه حتى يقضى شغله ويرجع، فإذا وصل إلى الفرنساوية الملازمين خارج البلد أعطوه سلاحه فيلبسه ويمضى إلى أصحابه فكان هذا شأنهم.

وفى منتصفه توجه جماعة من أعيان الفرنساوية إلى الإسكندرية بمتاعهم وأثقالهم وفيهم دوجا قايقمام وديزه

* حادثة العسكر العثمانية مع العسكر الفرنساوية.

*كليبر يطلب خروج العسكر العثمانلى من القاهرة.
وقد نشرت كورييه دي ليجيبت في عددها رقم (٦١) الأمر اليومي الصادر في هذا الأمر كما يلي:
أمر القائد العام أن تأخذ العدالة مجراها فيما يتعلق باغتيال الجنديين التابعين للفرقة ٧٥ والذين اغتالهما الجنود الفارون من جيش الوزير الأعظم في يوم ١٢ فانتوز بالقاهرة.
وكان قد ألقى القبض على خمسة من العثمانيين ثبت ادانتهم في هذه الجريمة واعدموا اليوم شنقا بأمر الباشا، وقد تركت اجسادهم معروضة أمام الشعب في ميدان الأزبكية.
هذا وقد أعدم خمسة آخرون بقطع رقابهم.
جنرال الفرقة رئيس أركان الحرب العام امضاء: داماس

ساری عسكر الصعيد وبوسليك ريس الكتاب ومدبر الحدود، ونزل جماعة منهم إلى البحر يريدون السفر إلى بلادهم، فتعرض لهم الإنكليز* يريدون معاكستهم، فأرسلوا إلى ساری عسكر بمصر وعرفوه الحال، فأرسل بذلك إلى الوزير، فأجابه بجواب لم يرتضه ، وأصبح زاحفا إلى سطح الخانكاه، وكان ذلك آخر أيام المهلة المتفق عليها فى دخول الوزير إلى مصر وخروج الفرنساوية منها، فلما رأوا ذلك طلبوا ثمانية أيام آجلة زيادة على أيام المهلة فأجيبوا إلى ذلك، ووصل الأمرا المصرية وعرضى نصوح باشا، وجملة من العساكر العثمانية إلى ناحية المطرية ونصبوا خيامهم ووطاقهم هناك.

ثم إن الفرنساوية جعلوا الثمانية أيام المذكورة ظرفا لجمع عساكرهم وطوايفهم من البلاد القبلية والبحرية، ونصبوا وطاقهم بساحل البحر متصلا بأطراف مصر ممتدا من مصر القديمة إلى شبرا وترددوا إلى نواحي القلاع وهى لم يكن بها أحد، وشرعوا واجتهدوا فى رد الجبخانة والذخيرة وآلات الحرب والبارود والجلل والمدافع والبنب على العربات ليلا ونهارا والناس يتعجبون من ذلك ومصطفى باشا قايمقام ومن معه يشاهدون ذلك ولا يقولون شيا، والبعض يقول إن الوزير أرسل إليهم وأمرهم برد ذلك كما كان ونحو ذلك من الخرافات التى لا تروج على الفطن.

ويقال إن الفرنساوية أرسل إليهم بعض أصدقاهم من الإنكليز وعرفوهم أن الوزير اتفق مع الإنكليز على الإحاطة بالفرنساوية إذا صاروا بظاهر البحر فلما حصل منهم معهم

*** موقف الانجليز من اتفاقية الصلح بين العثمانية والفرنساوية**

وقف الانكليز موقفا معاكسا لتنفيذ الاتفاق. وقد ارسل قائد الاسطول الانجليزى فى البحر المتوسط خطاب إلى كليبر جاء فيه.

سيدى:

أخطركم بأنه صدرت إلى أوامر إيجابية من جلالة الملكة بالا أقبل أى تسليم من الجيش الفرنسي تحت قيادتكم فى مصر وسوريا إلا إذا ألقى الجيش السلاح ، واعتبر جنوده اسرى حرب، تاركا جميع السفن والمون الموجودة فى الموانى ومدينة الاسكندرية للسلطات المتحالفة. وفى حالة التسليم فانه لا يمكنني السماح لاية فرقة بالعودة إلى فرنسا قبل إجرا التبادل معها. واعتقد ايضا انه من الضرورى أخبركم بأن جميع السفن التي تحمل جنودا فرنسيين المختصين بذلك سوف يجبرهم ضباط السفن التى اقودها، على العودة إلى الاسكندرية، وأن السفن التى يتم الالتقاء بها عائدة إلى أوروبا وهى مزودة بجوزات سفر ممنوحة تطبيقا بمعاهدة خاصة مع إحدى الدول المتحالفة سوف تصادر وتعتبر غنيمة، ويعتبر جميع الأشخاص الموجودين عليها اسرى حرب.

الإمضاء كيث

ورد كليبر على ذلك بجملة وجهها إلى جنوده وهى

أيها الجنود.

اننا نعرف كيف نرد على مثل هذه الوقاحة بانتصاراتنا استعدوا للقتال.

كورييه دى ليجييت ـ العدد ٦٢ ص ٢٤١ وما بعدها.

ما سبقت الإشارة إليه تحققوا ذلك، وأرسلوا ليوسف باشا بذلك فلم يجبهم بجواب شاف وعجل بالرحيل والقدوم إلى ناحية مصر.

وقد كان الفرنساوية عندما تراسلوا وترددوا جهة العرضى تفرسوا فى عرضى العثمانيين وعساكرهم وأوضاعهم وتحققوا حالهم وعلموا ضعفهم عن مقاومتهم، فلما حصل ما ذكر تأهبوا للمقاومة والمحاربة وردوا آلاتهم إلى القلاع فلما تمموا أمر ذلك وحصنوا الجهات وأبقوا من أبقوه وقيدوه بها من عساكرهم واستوثقوا من ذلك، خرجوا بأجمعهم إلى ظاهر المدينة جهة قبة النصر، وانتشروا فى تلك النواحى، ولم يبق بداخل المدينة منهم إلا من كان بداخل القلاع وأشخاص ببيت الألفى بالأزبكية وبعض بيوت الأزبكية، وغلب على ظن الناس أنهم برزوا للرحيل.

وفى العشرين منه طلبوا مصطفى باشا وحسن أغا نزله أمين فلما حضر إليهم أرسلوهما للجيزة، فلما كان اليوم الثالث والعشرون من شوال ركب* سارى عسكر كليبر قبل طلوع الفجر بعساكره وصحبتهم المدافع وآلات الحرب وقسم عساكره طوابير، فمنهم من توجه إلى عرضى الوزير، ومنهم من مال على جهة المطرية فضربوا عليهم، فلم يسعهم إلا الجلا والفرار وتركوا خيامهم ووطاقهم، وركب نصوح باشا ومن كان معه وطلبوا جهة مصر، فتركهم الفرنساوية ولحقوا بالذاهبين من إخوانهم إلى جهة العرضى بالخانكاه بعد أن نهبوا ما فى عرضى ناصف باشا من المتاع والأغنام وسمروا أفواه المدافع وتركوها وساروا إلى جهة

* هجوم كليبر على العسكر العثمانلى وفرارهم (معركة المطرية).

العرضى. فلما قاربوه أرسلوا إلى الوزير يأمرونه بالرحيل بعد أربع ساعات، فلم يسعه إلا الارتحال والفرنساوية فى أثره وغالب عساكره مفرقون ومنتشرون فى البلاد والقرى والنواحى لجمع المال* ومقررات الفرض وظلم الفقرا.

* العسكر العثمانلى ينشغل بجمع الأموال من الفلاحين.

أما أهل مصر فإنهم لما سمعوا صوت المدافع كثر فيهم اللغط والقيل والقال، ولم يدركوا حقيقة الحال، فهاجوا ورمحوا إلى أطارف البلد وقتلوا أشخاصًا من الفرنساوية صادفوهم خارجين من البلد ليذهبوا إلى أصحابهم، وذهبت شرذمة من عامة أهل مصر فانتهبت الخشب وبعض ما وجدوه من نحاس وغيره حيث كان عرضى الفرنساوية.



* كليبر يستعد لطرد العثمليه.

وخرج السيد عمر أفندى [مكرم] نقيب الأشراف والسيد المحروقى وانضم إليهما أتراك خان الخليلى والمغاربة الذين بمصر، وكذلك حسين أغا شنن أخو أيوب بك الصغير، وتبعهم كثير من عامة أهل البلد وتجمعوا على التلول خارج باب النصر بأيدى الكثير منهم النبابيت والعصى والقليل معه السلاح، وكذلك تحزب كثير من طوايف العامة والأوباش والحشرات وجعلوا يطوفون بالأزقة وأطارف البلد ولهم صياح وضجيج وتجاوب بكلمات يقفونها من اختراعاتهم وخرافاتهم وقاموا على ساق، وخرج الكثير منهم إلى خارج البلدة على تلك الصورة فلما تضحى النهار حضر بعض الأجناد المصريين ودخلوا مصر وفيهم المجاريح، وطفق الناس يسألونهم فلم يخبروهم بشى لجهلهم أيضًا حقيقة الحال، ثم لم يزل الحال كذلك إلى أن دخل وقت العصر فوصل جمع عظيم من العامة ممن كان خارج

البلد ولهم صياح وجلبة على الشرح المتقدم، وخلفهم عثمان كتخدا الدولة، ثم نصوح باشا ومعه عدة وافرة من عساكرهم وصحبتهم السيد عمر [مكرم] النقيب والسيد أحمد المحروقى وحسن بك الجداوى وعثمان بك المرادى وعثمان بك الأشقر وعثمان بك الشرقاوى وعثمان أغا الخازندار وإبراهيم كتخدا مراد بك المعروف بالسنارى. وصحبتهم مماليكم وأتباعهم، فدخلوا من باب النصر وباب الفتوح ومروا على الجمالية حتى وصلوا إلى وكالة ذى الفقار، فقال نصوح* باشا عند ذلك للعامة اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم، فعندما سمعوا منه ذلك القول صاحوا وهاجوا ورفعوا أصواتهم ومروا مسرعين يقتلون من يصادفون من نصارى القبط والشوام وغيرهم، فذهب طايفة إلى حارات النصارى وبيوتهم التى بناحية بين الصورين وباب الشعرية وجهة الموسكى، فصاروا يكبسون الدور ويقتلون من يصادفونه من الرجال والنساء والصبيان ويأسرون حتى اتصل ذلك بالمسلمين المجاورين لهم، فتحزبت النصارى واحترسوا وجمع كل منهم ما قدر عليه من العساكر الفرنساوى والأروام وقد كانوا قبل ذلك محترسين، وعندهم الاسلحة والبارود والمقاتلون لظنهم وقوع هذا الأمر، فوقع الحرب بين الفريقين وصارت النصارى تقاتل وترمى البندق والقرابين من طبقات الدور على المجتمعين بالأزقة من العامة والعسكر ويحامون عن أنفسهم، والآخرون يرمون أسفل ويكبسون الدور ويتسورون عليها وبات نصوح باشا وكتخدا الدولة وإبراهيم بك وبعض من صناجق مصر والكشاف والأتباع وطوايف من العساكر بخط الجمالية بوكالة ذى الفقار.

* نصوح باشا يدخل القاهرة خلسة ويأمر بقتل النصارى والاقباط.
من الواضح أن السلطنة العثمانية والحكومة الإنجليزية كانتا تنويان على الغدر بجنود الحملة الفرنسية ويتضح ذلك من أوراق مسترموريبه سكرتير اللورد ايلجن السفير فوق العادة والوزير المفوض لجلالة ملكة بريطانيا لدى الباب العالى التى استولت عليها القوات الفرنسية منه بعد فراره من دمياط فى أعقاب نقض اتفاقية العريش. وفيما يلى بعض هذه المذكرات التى نشرتها كوريبه دى ليجيبت فى العدد (٧٠):
غادرت القسطنطينية فى ٢٣ ديسمبر على ظهر سفينة المدفعية مارى آن التى كان الأميرال سيدنى سميث قد استولى عليها من الفرنسيين.
وفى يوم ١٣ يناير أوصلتنا ريح مواتية إلى جزيرة رودس وكان لدىّ تعليمات تقضى بأن أبحث عن مكان السير سدنى سميث لكى اتصل به قبل اللحاق بالوزير بغية الاتفاق معه على وضع منهاج لخدعة حربية لتنفيذها بشأن جلاء الفرنسيين عن مصر.

فلما أصبح الصباح أرسلوا إلى المطرية وأحضروا منها ثلاثة مدافع فوجدوها مسدودة الفانية [الفوهة] فعالجوها حتى فتحوها، وقام ناصف باشا وشمر عن ساعديه وشد وسطه ومشى وصحبته الأمرا المصرية على أقدامهم وجروا أمامهم الثلاثة مدافع وسحبوها إلى الأزبكية وضربوا منها على بيت الألفي، وكان به أشخاص مرابطون من عساكر الفرنساوية فضربوهم أيضاً بالمدافع والبنادق.

واستمر الحرب بين الفريقين إلى آخر النهار فسكن الحرب وباتوا ينادون بالسهر.

وفي هذا اليوم وضع أهل مصر والعسكر متاريس بالأطراف كلها وبجهة الأزبكية وشرعوا في بنا بعض جهات السور واجتهدوا في تحصين البلد بقدر الطاقة، وبات الناس في هذه الليلة خلف المتاريس.

فلما أظلم الليل أطلق الفرنساوية المدافع والبنب على البلد من القلاع، ووالوا الضرب بالخصوص على خط الجمالية لكون المعظم مجتمعا بها، فلما عاين ذلك الجميع أجمع رأى الكبرا والروسا على الخروج من البلد في تلك الليلة لعجزهم عن المقاومة وعدم آلات الحرب وعزة الأقوات والقلاع بيد الفرنساوية، ومصر لا يمكن محاصرتها لاتساعها وكثرة أهلها، وربما طال الحال فلا يجدون الأقوات لأن غالب قوت أهلها يجلب من قراها في كل يوم، وربما امتنع وصول ذلك إذا تجسمت الفتنة، فاتفقوا على الخروج بالليل.

وفي ٢٤ يناير ابحرنا في ظروف جوية قاسية في اتجاه قبرص أو دمياط حسب اتجاه الريح.
وفي مساء ٢ فبراير في الساعة العاشرة مساء وصلت إلى معسكر تركي بالقرب من العريش وذهبت فورا إلى خيمة المستر «فرانكيني» حيث علمت أن سيدني سميث لم يبحر بعد وأن معاهدة الجلاء عن مصر قد أبرمت وتم التصديق عليها.
وفي ٣ فبراير، وبناء على التعليمات الصادرة إلي، لم أضيع وقتا دون مقابلة سيدني سميث فذهبت على ظهر السفينة «كاميليون» حيث كان موجودا بها، وعلى وشك الابحار إلى يافا للحاق بسفينة قيادته. فأطلعني على جميع الأوراق التي كانت قد صدرت وأعلنت وأفهمني أنه قد أنهى معاهدة الجلاء عن مصر وشرح بالتفصيل جميع الظروف التي حملته على الاشتراك في المسائل الحربية لهذه البلاد.
وكانت تشغله كثيرا فكرة ثابتة وهي أن أمن الامبراطورية العثمانية يتوقف على التزام النص في تنفيذ المعاهدة بحذافيرها، وكان يعتقد أن تنفيذ مشروع الخدعة الحربية من شأنه إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه.

وتسامع الناس بذلك، فتجهز المعظم للخروج، وغصت خطة الجمالية وما والاها من الأخطاط بازدحام الناس الذين يريدون الخروج من المدينة وركب بعضهم بعضا وازدحمت تلك النواحي بالحمير والبغال والخيول والهجن والجمال المحملة بالأثقال وباتوا على تلك الصورة.

ووقع للناس في هذه الليلة من الكرب والمشقة والانزعاج والخوف ما لا يوصف، وتسامع أهل خان الخليلي من الألداشات وبعض مغاربة الفحامين والغورية ذلك، فجاءوا للجمالية وشنعوا على من يريد الخروج وعضدهم طايفة عساكر الينكجرية وعمدوا إلى خيول الأمرا فحبسوها ببيت القاضي والوكايل وأغلقوا باب النصر وبات في تلك الليلة معظم الناس على مساطب الحوانيت وبعض الأعيان في بيوت أصحابهم بالجمالية وأزقة الحارات أيضا وكل متهيىء للخروج.

* جندى انكشارى



الجبرتي/ سنة ١٢١٤م

فلما حصل ذلك وأصبح يوم السبت فتهيأ كبرا العساكر والعساكر ومعظم أهل مصر ما عدا الضعيف الذى لا قوة له للحرب، وذهب المعظم إلى جهة الأزبكية وسكن الكثير في البيوت الخالية والبعض خلف المتاريس وأخذوا عدة مدافع زيادة عن الثلاثة المتقدمة وجدت مدفونة في بعض بيوت الأمرا، وأحضروا من حوانيت العطارين من المثقلات التي يزنون بها البضايع من حديد وأحجار استعملوها عوضا عن الجلل للمدافع وصاروا يضربون بها بيت سارى عسكر بالأزبكية، واستمر عثمان كتخدا بوكالة ذى الفقار بالجمالية، وكان كل من قبض على نصرانى أو يهودى أو فرنساوى

أخذه وذهب به إلى الجمالية حيث عثمان كتخدا ويأخذ عليه البقشيش فيحبس البعض حتى يظهر أمره ويقتل البعض ظلما، وربما قتل العامة من قتلوه وأتوا برأسه لأجل البقشيش، وكذلك كل من قطع رأسا من روس الفرنساوية يذهب بها إما لنصوح باشا بالأزبكية وإما لعثمان كتخدا بالجمالية ويأخذ فى مقابلة ذلك الدراهم.

وبعد أيام أغلقوا باب القرافة وباب البرقية وباقى الأبواب التى فى أطراف البلد، وزاد الناس فى اصطناع المتاريس وفى الاحتراس، وجلس عثمان بك الأشقر عند متاريس باب اللوق وناحية المدابغ وعثمان بك طبل عند متأريس المحجر، ومحمد بك المبدول عند الشيخ ريحان ومحمد كاشف أيوب وجماعة أيوب بك الكبير والصغير عند الناصرية ومصطفى بك الكبير بقناطر السباع وسليمان كاشف المحمودى عند سوق السلاح وأولاد القرافة والعامة وزعر الحسينية والعطوف عند باب النصر مع طايفة من الينكجرية وباب الحديد وباب القرافة وجماعة خان الخليلى والجمالية عند باب البرقية المعروف الآن بالغريب.

وبالجملة كل من كان فى حارة من أطراف البلد انضم إلى العسكر الذى بجهته بحيث صار جميع أهل مصر والعساكر كلها واقفة بأطراف البلد عند الأبواب والمتاريس والأسوار، وبعض عساكر من العثمانية وما انضم إليهم من أهل مصر المتسلحين مكثت بالجمالية، إذا جا صارخ من جهة من الجهات أمدوه طايفة من هولا وصار جميع أهل مصر إما بالأزقة ليلا ونهارا، وهو من لا يمكنه القتال وإما بالأطراف ورا المتاريس وهو من عنده إقدام وتمكن من الحرب.

ولم ينم أحد ببيته سوى الضعيف والجبان والخايف وناصف باشا وإبراهيم بك وجماعاتهم وعسكر من الينكجرية والأرنؤد والدلاة وغيرهم جهة الأزبكية ناحية باب الهوا والرحبة الواسعة التى عند جامع أزبك والعتبة الزرقا [الخضراء].

وأنشا عثمان كتخدا معملا للبارود ببيت قايد أغا بخط الخرنفش وأحضر القندقجية* والعربجية والحدادين والسباكين لانشا مدافع وبنبات وإصلاح المدافع التى وجدوها فى بعض البيوت وعمل العجل والعربات والجلل وغير ذلك من المهمات الجزئية، وأحضروا لهم ما يحتاجون إليه من الأخشاب وفروع الأشجار والحديد، وجمعوا إلى ذلك الحدادين والنجارين والسباكين وأرباب الصنايع الذين يعرفون ذلك، فصار هذا كله يصنع ببيت القاضى والخان الذى بجانبه، والرحبة التى عند بيت القاضى من جهة المشهد الحسينى، واهتم لذلك اهتمامًا زايدًا وأنفق أموالا جمة وأرسلوا فأحضروا باقى المدافع الكاينة بالمطرية، فكانوا كلما أدخلوا مدفعاً أدخلوه بجمع عظيم من الأوباش والحرافيش والأطفال، ولهم صياح ونباح وتجاوب بكلمات مثل قولهم: الله ينصر السلطان ويهلك فرط الرمان وغير ذلك.

وحضر محمد بك الألفى فى ثانى يوم وتترس بناحية السويقة التى عند درب عبد الحق وعطفة البيدق وصحبته طوايفه ومماليكه وأشخاص من العثمانية، وبذل الهمة وظهرت منه ومن مماليكه شجاعة، وكذلك كشافه وخصوصاً إسماعيل كاشف المعروف بأبى قطية فإنه لم يزل

* القندجيه: من الكلمة التركية «قونداق» بمعني كعب البندقية «الدبشك» الحقت بها «جيه» أداة النسب إلي الصنعة ليكون معناها صانع الأسلحة.
ولقد كانت سوق السلاح تقام بجوار مسجد السلطان حسن كل صباح إلا صباحى الاثنين والخميس، فقد كانت تقام فى هذين اليومين فى خان الخليلى، وكان بعض التفكجيه والقندقجيه يعملون فى مدخل الدرب الأحمر، وهناك كانت سوق القندقجيه.

يحارب ويزحف حتى ملك ناحية رصيف الخشاب وبيت مراد بك الذى أصله بيت حسن بك الأزبكاوى وبيت أحمد أغاشويكار، وتترس فيهما، وحسن بك الجداوى تترس بناحية الرويعى وربما فارق متراسه فى بعض الليالى لنصرة جهة أخرى.

وحضر أيضاً رجل مغربى* يقال إنه الذى كان يحارب الفرنسيس بجهة البحيرة سابقًا والتفت عليه طايفة من المغاربة البلدية وجماعة من الحجازية ممن كانوا قد قدموا صحبة الجيلانى الذى تقدم ذكره، وفعل ذلك الرجل المغربى أموراً تنكر عليه لأن غالب ما وقع من النهب وقتل من لا يجوز قتله يكون صدوره عنه، فكان يتجسس على البيوت التى بها الفرنسيس والنصارى فيكبس عليهم ومعه جمع من العوام والعسكر فيقتلون من يجدونه منهم وينهبون الدار ويسحبون النسا ويسلبون ما عليهن من الحلى والثياب، ومنهم من قطع رأس البنية الصغيرة طمعاً فيما على راسها وشعرها من الذهب.

* تكرار ظهور مدعى الولاية من المغاربة اثناء ثورات القاهرة للقيام بأعمال السلب والنهب مستغلين فى ذلك النوازع الدينية لدى العامة.

وتتبع الناس عورات بعضهم البعض وما دعتهم إليه حظوظ أنفسهم وحقدهم وضغائنهم، واتهم الشيخ خليل البكرى* بأنه يوالى الفرنسيس ويرسل إليهم الأطعمة، فهجم عليه طايفة من العسكر مع بعض أوباش العامة ونهبوا داره وسحبوه مع أولاده وحريمه وأحضروه إلى الجمالية وهو ماش على أقدامه ورأسه مكشوفة وحصلت له إهانة بالغة وسمع من العامة كلاما مؤلما وشتما، فلما مثلوه بين يدى عثمان كتخدا هاله ذلك واغتم غما شديداً ووعده بخير

* إهانة الشيخ خليل البكرى بسبب تداخله مع الفرنساوية وقد ظلت العثمانية تضمر له الشر حتى قتلوا ابنته فيما بعد بدعوى تداخلها مع الفرنساوية.

وطيب خاطره، وأخذه سيدى أحمد بن محمود محرم التاجر مع حريمه إلى داره وأكرمهم وكساهم، وأقاموا عنده حتى انقضت الحادثة.

وباشر السيد أحمد المحروقى وباقى التجار ومساتير الناس الكلف والنفقات والمآكل والمشارب، وكذلك جميع أهل مصر كل إنسان سمح بنفسه وبجميع ما يملكه وأعان بعضهم بعضا وفعلوا ما فى وسعهم وطاقتهم من المعونة.

وأما الفرنساوية فإنهم تحصنوا بالقلاع المحيطة بالبلد وببيت الألفى وما والاه من البيوت الخاصة بهم وبيوت القبطة المجاورين لهم، واستمر الناس بعد دخول الباشا والأمرا ومن معهم من العسكر إلى مصر أيامًا قليلة وهم يدخلون ويخرجون من باب الفتوح وباب العدوى وأهل الأرياف القريبة تأتى بالميرة والاحتياجات من السمن والجبن واللبن والغلة والتبن والغنم فيبيعونه على أهل مصر ثم يرجعون إلى بلادهم.

كل ذلك ولم يعلم أحد حقيقة حال الفرنساوية المتوجهين مع كبيرهم للحرب، واختلفت الروايات والأخبار، وأما الوزير فإنه لما ارتحل بالعرضى تخلف عنه ببلبيس جملة من العسكر، وأما عثمان بك حسن وسليم بك أبو دياب ومن معهما فإنهما تقاتلا مع الفرنساوية، ثم رجعا إلى بلبيس فحاصروا من بها، وكان عثمان بك وسليم بك وعلى باشا الطرابلسى وبعض وجاقلية خرجوا منها وذهبوا إلى ناحية العرضى، فحارب الفرنساوية من [فى] بلبيس من العسكر، ولم يكن لهم بهم طاقة فطلبوا الأمان فأمنوهم وأخذوا

سلاحهم وأخرجوهم حيث شاءوا فذهبوا أشتاتا فى الأرياف يتكففون الناس ويأوون إلى المساجد الخربة ومات أكثرهم من العرى والجوع.

ثم لما لحق عثمان بك ومن معه بالعرضى ناحية الصالحية تكلموا مع الوزير وأوجعوه* بالكلام فاعتذر إليهم بأعذار منها عدم الاستعداد للحرب وتركه معظم الجبخانة والمدافع الكبار بالعريش، اتكالا على أمر الصلح الواقع بين الفريقين وظنه غفلة الفرنساوية عما دبره عليهم مع الإنكليز، فقال له عثمان بك أرسل معنا العساكر وانتظرنا هنا، فخاطب العسكر وبذل لهم الرغايب فامتنعوا ولم يمتثل منهم إلا المطيع والمتطوع وهو نحو الألف، وعادوا على إثرهم وجمعوا منهم من كان مشتتا ومنتشرا فى البلاد ورجعوا يريدون محاربة الفرنساوية، فنزلوا بوهدة بالقرب من القرين* [لمحاربة سارى عسكرها] لكونهم نظروه فى قلة من عسكره وعلمهم بقرب من ذكر منهم فضاربوهم بالنبابيت والحجارة وأصيب سرج سارى عسكر بنبوت فانكسر وسقط ترجمانه إلى الأرض وتسامع المسلمون، فركبوا لنجدتهم واستصرخ الفرنساوية عساكرهم فلحقوا بهم ووقع الحرب بين الفريقين حتى حال بينهم الليل فانكف الفريقان وانحاز كل فريق ناحية، فلما دخل الليل واشتد الظلام أحاط العسكر الفرنساوى بعساكر المسلمين، فأصبح المسلمون وقد رأوا إحاطة العسكر بهم من كل جانب، فركبت الخيالة وتبعتهم المشاة واخترقوا تلك الدايرة، وسلم منهم من سلم وعطب من عطب ورجعوا على إثرهم إلى الصالحية، فعند ذلك ارتحل الوزير ورجع إلى الشام.

* الامراء المماليك يوبخون الوزير بسبب نقضه لاتفاق مع الفرنساوية فيتعلل بانه كان يظن عقلة ـ الفرنساوية عن الغدر بهم.

* معركة القرين.



وأما مراد بك فإنه بمجرد ما عاين هجوم الفرنسيس على الباشا والأمرا بالمطرية وكان هو بناحية الجبل ركب من ساعته هو ومن معه ومروا من سفح الجبل، وذهب إلى ناحية دير الطين، ينتظر ما يحصل من الأمور وأقام مطمينا على نفسه واعتزل الفريقين واستمر على صلحه مع الفرنساوية.

هذا حاصل خبر الشرقيين، ولما تحقق الباشا [نصوح] والأمرا الذين انحصروا بمصر ذلك أخفوه بينهم وأشاعوا خلافه لئلا تنحل عزايم الناس عن القتال وتضعف نفوسهم، واستمر الباشا يظهر كتابة المراسلات وإرسال السعاة في طلب النجدة والمعونة، وربما افتعلوا أجوبة فزوروها على الناس، فتروج عليهم وتسرى في غفلتهم ويقولون للناس في كل وقت إن حضرة الصدر الأعظم مجتهد في محاربة الفرنسيس، وفي غد أو بعد غد يقدم العساكر والجنود بعد قطع العدو، وعند حضوره ووصوله يحصل تمام الفتح وتهدم العساكر القلاع وتقلبها على من يبقى من الفرنساوية، وبعد ذلك ينظم البلاد ويريح العباد، واجتهدوا فيما أنتم فيه وتابعوا المناداة على الناس والعسكر باللسان العربي والتركي بالتحريض والاجتهاد والحرص على الصبر والقتال وملاقاة العدو ونحو ذلك، ووصل طايفة من عسكر الفرنساوية ورجعوا من عرضيهم نجدة لأصحابهم الذين بمصر فقويت بهم نفوس الكاينين بمصر ووقفت منهم طايفة خارج باب النصر وخارج باب الحسينية ونهبوا زاوية الدمرداش وما حولها كقبة الغوري والمنيل، وحضر نحو خمسماية من عسكر الأرنود، وهم الذين كان الوزير

وجههم إلى القرى لقبض الكلف والفرض، فلما قربوا من مصر عارضهم عسكر الفرنساوية الواقفة على التلول الخارجة، فحاموا ودافعوا عن أنفسهم وخلصوا منهم ودخلوا إلى مصر، وفرح الناس لقدومهم، وضجت العامة بحضورهم، واشتدت قواهم ولفقوا أن يقولوا للناس إذا سيلوا أنهم حاضرون مددا، وسيأتى فى أثرهم عشرون ألفا، وعليهم كبير ونحو ذلك.

* الحاج مصطفى البشتيلى يقود الأهالى ضد الفرنساوية.

وأما بولاق فإنها قامت على ساق واحد وتحزم الحاج* مصطفى البشتيلى وأمثاله هيجوا العامة، وهيئوا عصيهم وأسلحتهم ورمحوا وصفحوا وأول ما بدأوا به أنهم ذهبوا إلى وطاق الفرنسيس الذى تركوه بساحل البحر وعنده حرسية منهم، فقتلوا من أدركوه منهم، ونهبوا جميع ما فيه من خيام ومتاع وغيره، ورجعوا إلى البلد وفتحوا مخازن الغلال والودايع التى للفرنساوية وأخذوا ما أحبوا منها، وعملوا كرانك حوالى البلد ومتاريس واستعدوا للحرب والجهاد، وقوى فى روسهم العناد واستطالوا على من كان ساكنا ببولاق من نصارى القبط والشوام فأوقعوا بهم بعض النهب وربما قتل منهم أشخاص، هذا ما كان من أمر هولا.

* عودة كليبر للقاهرة ومحاصرتها.

وأما ما كان من أمر سارى عسكر الفرنساوية ومن معه فإنه لما استوثق بهزيمة الوزير وعدم عوده ونجاته بنفسه ، لم يزل خلفه حتى بعد عن الصالحية فأبقى بها بعضا من عسكر الفرنسيس محافظين، وكذلك بالقرين وبلبيس، ورجع* إلى مصر وقد بلغت الأخبار بما حصل من دخول ناصف باشا والأمرا وقيام الرعية، فلم يزل حتى وصل إلى داره بالأزبكية



* المعلم جرجس الجوهرى.

وأحاطت العساكر الفرنساوية بالمدينة وبولاق من خارج ومنعوا الداخل من الدخول والخارج من الخروج، وذلك بعد ثمانية أيام من ابتدا الحركة، وقطعوا الجالب عن البلدين وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم، فكانت جماعة من المفوضين لهم المحصورين داخل المدينة كبعض القبطة ونصارى الشوام وغيرهم يهربون إليهم ويتسلقون من الأسوار والحيطان بحريمهم وأولادهم، فعند ذلك اشتد الحرب وعظم الكرب وأكثروا من الرمى المتتابع بالمكاحل والمدافع وأكثروا وأوصلوا وقع القنابر والبنبات من أعالى التلول والقلعات خصوصا البنبات الكبار على الدوام والاستمرار آناء الليل وأطراف النهار فى الغدو والبكور والأسحار، وعدمت الأقوات وغلت أسعار المبيعات وعزّت المأكولات وفقدت الحبوب والغلات وارتفع وجود الخبز من الأسواق وامتنع الطوافون به على الأطباق وصارت العساكر الذين مع الناس بالبلد يخطفون ما يجدونه بأيدى الناس من المآكل والمشارب وعلا سعر الماء المأخوذ من الآبار أو الأسبلة حتى بلغ سعر القربة نيفا وستين نصفا، وأما البحر فلا يكاد يصل إليه أحد، وتكفل التجار ومساتير الناس والأعيان بكلف العساكر المقيمين بالمتاريس المجاورة لهم، فألزموا الشيخ السادات بكلفة الذى عند قناطر السباع: وهم مصطفى بك ومن معه من العساكر.

وأما أكابر القبط مثل جرجس الجوهرى وفلتيوس وملطى فإنهم طلبوا الأمان من المتكلمين من المسلمين لكونهم

انحصروا فى دورهم وهم فى وسطهم وخافوا على نهب دورهم إذا خرجوا فارين، فأرسلوا إليهم الأمان، فحضروا وقابلوا الباشا والكتخدا والأمرا وأعانوهم بالمال واللوازم.

* المعلم يعقوب يدافع عن نفسه وأهله ضد حسن بك الجداوى الطامع فى أمواله.

وأما يعقوب* فإنه كرنك فى داره بالدرب الواسع جهة الرويعى واستعد استعدادا كبيرا بالسلاح والعسكر المحاربين وتحصن بقلعته التى كان شيدها بعد الواقعة الأولى، فكان معظم حرب حسن بك الجداوى معه.



* المعلم يعقوب.

هذا والمناداة فى كل وقت بالعربى والتركى على الناس بالجهاد والمحافظة على المتاريس.

واتهم مصطفى أغا مستحفظان بموالاته للفرنساوية وأنه عنده فى بيته جماعة من الفرنسيس، فهجمت العساكر على داره بدرب الحجر فوجدوا أنفارا قليلة من الفرنسيس فقاتلوا وحاموا عن أنفسهم وقتل منهم البعض وهرب البعض على حمية حتى خلصوا إلى الناصرية، وأما الأغا فإنهم قبضوا عليه وأحضروه بين يدى عثمان كتخدا ثم تسلمه الإنكشارية وخنقوه ليلا بالوكالة التى عند باب النصر ورموا جيفته على مزبلة خارج البلد واستقر عوضه شاهين كاشف الساكن بالخرنفش، فاجتهد وشدد على الناس وكرر المناداة ومنعهم من دخول الدور وكل من وجده داخل داره مقته وضربه، فكان الناس يبيتون بالأزقة والأسواق حتى الأمرا والأعيان.

وهلكت البهايم من الجوع لعدم وجود العلف من التبن والفول والشعير والدريس بحيث صار ينادى على الحمار أو



البغل المعدد الذى قيمته ثلاثون ريالا وأكثر بماية نصف فضة أو ريال واحد وأقل، ولا يوجد من يشتريه، وفى كل يوم يتضاعف الحال، وتعظم الأهوال.

وزحف المسلمون على جهة رصيف الخشاب وترامى الفريقان بالمدافع والنيران، حتى احترق ما بينهم من الدور.

وكان إسماعيل كاشف الألفى تحصن ببيت أحمد أغا شويكار الذى كان ببيته وقد كان الفرنساوية جعلوا به لغما بالبارود* المدفون فاشتغل ذلك اللغم ورفع ما فوقه من الأبنية والنسا وطاروا فى الهوا واحترقوا عن آخرهم وفيهم إسماعيل كاشف المذكور وانهدم جميع ما هناك من الدور والمبانى العظيمة والقصور المطلة على البركة، واحترق

* نسف منزل بلغم بارود واحتراق معظم دور الأزبكية.

جميع البيوت التى من عند بين المفارق بقرب جامع عثمان كتخدا إلى رصيف الخشاب والخطة المعروفة بالساكت بأجمعها إلى الرحبة المقابلة لبيت الألفى سكن سارى عسكر الفرنساوية وكذلك خطة الفوالة بأسرها وكذلك خطة الرويعى بالسباطين العظيمين وما فى ضمن ذلك من البيوت إلى حد حارة النصارى وصارت كلها تلالا وخرايب كأنها لم تكن مغنى صبابات ولا مواطن أنس ونزاهات، وفيها يقول صديقنا العلامة النحرير الفهامة الشيخ حسن العطار* حفظه الله: وأما بركة الأزبكية فهى مسكن الأمرا ومواطن الرويسا قد أحدقت بها البساتين الوارفة الظلال العديمة المثال، فترى الخضرة فى خلال تلك القصور المبيضة كثياب سندس خضر على أثواب من فضة، يوقد بها كثير من السرج والشموع فالأنس بها غيرمقطوع ولا ممنوع، وجمالها يدخل على القلب السرور، ويذهل العقل حتى كأنه من النشوة مخمور، ولطالما مضت لى بالمسرة فيها أيام وليالى هن فى سمط الأيام من يتيم اللآلى وأنا أنظر إلى انطباع صورة البدر فى وجناتها وفيضان لجين نوره على حافاتها وساحاتها، والنسيم بأذيال ثوب مائها الفضى لعاب وقد سل على حافاتها من تلاعب الأمواج كل قرضاب، وقام على منابر أدواحها فى ساحة أفراحها مغردات الطيور وجالبات السرور، فلذيذ العيش بها موصول وفيها أقول:

بالأزبكية طابت لى مسرات
ولَذّ لى من بديع الأنس أوقات

* الشيخ حسن العطار ولد تقريبا عام ١١٨٠هـ = ١٧٦٦م، بالقاهرة ألف أول كتبه فى النحو عام ١٢٠١هـ = ١٧٨٦م. فى اعقاب الغزوة الفرنسية هرب إلى اسيوط ثم عاد للقاهرة بعد أن أخذ الأمان سنة ١٢١٤ = ١٧٩٩م وكتب المقامة الشعرية متأثرا بأجواء الأدب الأندلسى. وفى عام ١٢١٧ = ١٨٠٢م غادر مصر إلى تركيا وزار الاسكندرونه ودمشق حيث قام بدراسته للصوفية ثم رحل إلى فلسطين عام ١٢٢٦ = ١٨١١م. واهتم بدراسة الطب وكتب ملخصات فى علم الكلام ووضع عدة حواشى. ثم عاد إلى مصر عام ١٢٣١ = ١٨١٥م حيث اشتغل بالتدريس والكتابة. وفى عام ١٢٣٦ = ١٨٢٠م ألف كتابا فى المنطق، ثم عمل كمحرر عربى للوقايع المصرية فى عهد محمد على من سنة ١٢٤٤ = ١٨٢٨م وألف كتابه الرئيسى فى أصول الدين. وفى سنة ١٢٤٧ = ١٨٣١م عين شيخا للأزهر، وفى هذه الفترة اهتم برفاعة الطهطاوى وكان له تأثير قويا على اتجاهاته العملية.

توفى عام ١٢٥١ = ١٨٣٥م.
انظر دراسة بيترجران للعطار فى كتابه الجذور الإسلامية للرأسمالية. ترجمة: محروس سليمان من ص ١٤٧ إلى ص ١٦٥.

حيث المياه بها والفلك سابحة
كأنها الزهر تحويها السموات
وقد أدير بها دُور مشيدة
كأنها لبدور الحسن هالات
مَدت عليها الروابى خضر سندسها
وغردت فى نواحيها حمامات
والما حين سرى رطب النسيم به
وحل فيه من الأدواح زهرات
كسابغات دروع فوقها نقط
من فضة واحمرار الورد طعنات
مراتع لبيض الترك ساحتها
وللأسود بها فيهن غيضات
وللنديم بها عيش تجدده
أيدى الزمان ولا تخشى جنايات
يروح منها صريع العقل حين يرى
على محاسنها دارت زجاجات
وللرفاق بها جمع ومفترق
لما غدت وهى للندمان حانات

قلت وقد جنب عليها أيدى الزمان وطوارق الحدثان، حتى تبدلت محاسنها وأقفرت مساكنها، وهكذا عقبى سوء ما عملوا فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا.

وأرسلوا* إلى مراد بك يطلبونه للحضور أو يرسل الأمرا والأجناد التى عنده، فأرسل يعتذر عن الحضور، ويقول إنه محافظ على الجهة التى هو فيها، فأرسلوا إليه بالإرسال والاستكشاف عن أمر الوزير، فأرسل يخبر أنه أرسل هجانا

* نصوح باشا يرسل إلى مراد بك لنجدته فيرفض وينصحه بالصلح مع الفرنساوية بعد ذلك يختفى نصوح باشا.

إلى الشرق من نحو عشرة أيام وإلى الآن لم يحضر، وإن الفرنساوية إذا ظفروا بالعثمانية لا يقتلونهم ولا يضربونهم وأنتم كذلك معهم، فاقبلوانصحى واطلبوا الصلح معهم، واخرجوا سالمين، فلما بلغهم تلك الرسالة حنق حسن بك الجداوى وعثمان بك الأشقر وغيرهم، وسفهوا رأيه وقالوا كيف يصح هذا الأمر وقد دخلنا إلى البلد وملكناها فكيف نخرج منها طايعين ونحو ذلك، هذا مما لا يكون أبداً فأشار إبراهيم بك برجوع البرديسى وصحبته عثمان بك الأشقر ليقول الأشقر لمراد بك ما يقوله، فلما اجتمع به ورجع لم يرجع على ما كان عليه حال ذهابه وفترت همته وجنح لرأى مراد بك.

واستمر الحال على ما هو عليه من اشتعال نيران الحرب وشدة البلا والكرب ووقوع البنبات على الدور والمساكن من القلاع والهدم والحرق وصراخ النسا من البيوت والصغار من الخوف والجزع والهلع مع القحط وفقد المآكل والمشارب وغلق الحوانيت والطوابين والمخابز ووقوف حال الناس من البيع والشرا وتفليس الناس وعدم وجدان ما ينفقونه إن وجدوا شيأ، واستمر ضرب المدافع والقنابر والبنادق والنيران ليلا ونهاراً حتى كان الناس لا يهنا لهم نوم ولا راحة ولا جلوس لحظة لطيفة من الزمن، ومقامهم دايما أبدا بالأزقة والأسواق وكأنماعلى روس الجميع الطير، وأما النسا والصبيان فمقامهم بأسفل الحواصل والعقودات تحت طباق الأبنية إلى غير ذلك.

وفى أثنا ذلك فرضوا على الناس من أهل الأسواق وغيرهم مابة كيس، فردوها على بعض الناس كالسادات والصاوى.

وصار مونة غالب الناس الأرز ويطبخونه بالعسل وباللبن ويبيعون ذلك فى طشوت وأوان بالأسواق.

وفى كل ساعة تهجم العساكر الفرنساوية على جهة من الجهات ويحاربون الذين بها ويملكون منهم بعض المتاريس* فيصيحون على بعضهم بالمناداة ويتسامع الناس ويصرخون على بعضهم البعض ويقولون عليكم بالجهة الفلانية الحقوا إخوانكم المسلمين، فيرمحون إلى تلك الخطة والمتاريس حتى يجلوهم عنها، وينتقلون إلى غيرها فيفعلون كذلك.

* الأهالى يمارسون حرب المتاريس داخل مدينة القاهرة.

وكان المتحمل لغالب هذه المدافعات حسن بك الجداوى، فإنه كان عندما يبلغه زحف الفرنساوية على جهة من الجهات يبادر هو ومن معه للذهاب لنصرة تلك الجهة، ورأى الناس من أقدامه وشجاعته وصبره على مجالدة العدو ليلا ونهارا ما ينبى عن فضيلة نفس وقوة قلب وسموهمة، وقل أن وقع حرب فى جهة من الجهات إلا وهو مدير رحاها وريس كماتها، هذا والأغا والوالى يكررون المناداة وكذلك المشايخ والفقها والسيد أحمد المحروقى والسيد عمر النقيب يمرون كل وقت ويأمرون الناس بالقتال ويحرضونهم على الجهاد، وكذلك بعض العثمانية يطوفون مع أتباع الشرطة وينادون باللغة التركية مثل ذلك.

وجرى على الناس ما لا يسطر فى كتاب ولم يكن لأحد فى حساب، ولا يمكن الوقوف على كلياته فضلا عن جزئياته، منها عدم النوم ليلا ونهاراً، وعدم الطمأنينة وغلو الأقوات

وفقد الكثير منها خصوصاً الأدهان، وتوقع الهلاك كل لحظة والتكليف بما لا يطاق، أو مغالبة الجهلا على العقلا وتطاول السفها على الروسا، وتهور العامة ولغط الحرافيش وغير ذلك مما لا يمكن حصره.

* مراسلات الصلح بين الفرنساوية والمماليك المحصورين فى القاهرة.

ولم يزل الحال على هذا المنوال إلى نحو عشرة أيام، وكل هذا والرسل من قبل الفرنساوية وهم عثمان بك البرديسى تارة ومصطفى كاشف ورستم تارة أخرى، والاثنان من أتباع مراد بك يترددون فى شأن الصلح* وخروج العساكر العثمانية من مصر، والتهديد بحرقها وهدمها إذا لم يتم هذا الغرض، واستمروا على هذا العناد، ثم نصب الفرنساوية فى وسط البركة فسطاطا لطيفا وأقاموا عليه علما وأبطلوا الرمى تلك الليلة وأرسلوا رسولا من قبلهم إلى الباشا والكتخدا والأمرا يطلبون المشايخ يتكلمون معهم فى شأن هذا الأمر، فأرسلوا الشرقاوى والمهدى والسرسى والفيومى وغيرهم، فلما وصلوا إلى سارى عسكر وجلسوا خاطبهم على لسان الترجمان بما حاصله أن سارى عسكر قد أمن أهل مصر أمانا شافيا، وأن الباشا والكتخدا ومن معهما من العساكر العثمانية يخرجون من مصر ويحلقون بالعرضى، وعلى الفرنساوية القيام بما يحتاجون إليه من المونة والذخيرة حتى يصلوا إلى معسكرهم، وأما الأجناد المصرية الداخلة معهم فمن أراد منهم المقام بمصر من المماليك والغز الداخلين معهم فليقم، وله الإكرام، ومن أراد الخروج فليخرج والجرحى من العثملى يجردون من سلاحهم، وإن كان يأخذه الكتخدا فليأخذه، وعلينا أن نداويهم حتى

يبروا، ومن أقام بعد البرء منهم فعلينا مونته، ومن أراد الخروج بعد برئه فليخرج، وعلى أهل مصر الأمان فإنهم رعيتنا.

وتوافقوا على ذلك وتراضوا عليه، ولما كان الغد وشاع أمر الموادعة واستفاض أمر الصلح على هذا قال لهم: لأى شى تفعلون هذا الفعل، وهذه المحاربات والوزير بتاعكم ولى مهزومًا ورجع هاربًا. ولا يمكن عوده فى هذا الحين إلا أن يكون بعد ستة أشهر. فاعتذروا له بأن هذا من فعل نصوح باشا وكتخدا الدولة وإبراهيم بك ومن معهم، فإنهم هم الذين أثاروا الفتنة وهيجوا الرعايا ومنوا الناس الأمانى الكاذبة والعامة لا عقول لهم، فقال لهم بعد كلام طويل قولوا لهم يتركون القتال ويخرجون فيلحقون بوزيرهم فإنهم لا طاقة لهم على حربنا ويكون سببا لهلاك الرعية وحرق البلدين مصر وبولاق، فقالوا له نخشى أنهم إذا امتثلوا وجنحوا للموادعة وخرجوا وذهبوا إلى سارى عسكرهم تنتقمون منا ومن الرعايا بعد ذلك، فقال لا نفعل ذلك، فإنهم إذا رضوا ومنعوا الحرب اجتمعنا معكم وإياهم وعقدنا صلحًا ولا نطالبكم بشى والذى قتل منا فى نظير الذى قتل منكم، وزودناهم وأعطيناهم ما يحتاجون من خيل وجمال وأصحبنا معهم من يوصلهم إلى مأمنهم من عسكرنا ولا نضر أحدًا بعد ذلك.

فلما رجع المشايخ بهذا الكلام وسمعه الانكشارية والناس قاموا عليه وسبوهم وشتموهم وضربوا الشرقاوى والسرسى ورموا عمايمهم وأسمعوهم قبيح الكلام وصاروا يقولون

هولا المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ومرادهم خذلان المسلمين، وأنهم أخذوا دراهم من الفرنسيس وتكلم السفلة والغوغا من أمثال هذا الفضول.

* الدجال المغربى ينادى بنقض الصلح لتحقيق مصالحه.

وتشدد فى ذلك الرجل المغربى* الملتف عليه أخلاط العالم ونادى من عند نفسه الصلح منقوض، وعليكم بالجهاد، ومن تأخر عنه ضرب عنقه، وكان السادات ببيت الصاوى فتحير واحتال بأن خرج وأمامه شخص ينادى بقوله الزموا المتاريس ليقى بذلك نفسه من العامة، ووافق ذلك أغراض العامة لعدم إدراكهم لعواقب الأمور، فالتفوا عليه [الدجال المغربى] وتعضد كل بالآخر وأن غرضه هو فى دوام الفتنة*، فإن بها يتوصل لما يريده من النهب والسلب والتصور بصورة الإمارة باجتماع الأوغاد عليه وتكفل الناس له بالمآكل والمشرب هو ومن انضم إليه، واشتطّ فى المآكل مع فقد الناس لأدْوَن ما يوكل حتى إنه إذا نزل جهة من جهات المدينة لإظهار أنه يريد المعونة أو الحرس فيقدمون له بالطعام فيقول لا آكل إلا الفراخ ويظهر أنه صايم فيكلف أهل تلك الجهة أنواع المشقات والتكلفات بتعنته فى هذه الشدة بطلب أفحش المأكولات وما هو مفقود، ثم هو مع ذلك لا يغنى شيا بل إذا دهم العدو تلك الجهة التى فيها فارقها وانتقل لغيرها، وهكذا كان ديدنه وسبحه ثم هو ليس ممن له فى مصر ما يخاف عليه من مسكن أو أهل أو مال أو غير ذلك، بل كما قيل لا ناقتى فيها ولا جملى، فإذا قدر ما قدر تخلص مع حزبه إلى بعض الجهات والتحق بالريف أو غيره وحينئذ يكون كآحاد الناس ويرجع لحالته الأولى

* تحليل الجبرتى لشخصية الدجال.

وتبطل الهيئة الاجتماعية التى جعلها لجلب الدنيا فخا منصوبا، ومخرق بها على سخاف العقول وأخفا الأحلام.

وهكذا حال الفتن تكثر فيها الدجاجلة ولو أن نيته ممحضة لخصوص الجهاد لكانت شواهد علانيته أظهر من نار على علم، أو اقتحم كغيره ممن سمعنا عنهم من المخلصين فى الجهاد فى بيع أنفسهم مع مرضاة رب العباد، لظا الهيجا، ولم يتعنت على الفقرا ولم يجعل همته السلب مصروفة وحال سلوكه عند الناس ليست معروفة

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

*المجذوب.



الجبرتى/ سنة ١٢١٤م

وبالجملة فكان هذا الرجل سبباً فى تهدم أغلب المنازل بالأزبكية، ومن جملة ما رميت به مصر من البلاء، وكان ممن ينادى به عليه حين أشيع أمر الصلح وتكلم به الأشياخ الصلح منقوض وعليكم بالجهاد ومن تأخر ضرب عنقه، وهذا منه افتيات وفضول ودخول فيما لا يعنى حيث كان فى البلد مثل الباشا والكتخدا والأمرا المصرية فما قدر هذا الأهوج حتى ينقض صلحا أو يبرمه ، وأى شى يكون هو حتى ينادى أو ينصب نفسه بدون أن ينصبه أحد لذلك، لكنها الفتن يستنسر بها البغاث سيما عند هيجان العامة وثوران الرعاع والغوغا إذ كان ذلك مما يوافق أغراضهم.

وذنب جره سفها قوم
وحل بغير جانيه العذاب

على أن المشايخ لم يأمروا بشى ولم يذكروا صلحا ولا غيره، إنما بلغوا صورة المجلس الذى طلبوا لأجله لحضرة الكتخدا، فبمجرد ذلك قامت عليهم العامة هذا المقام وسبوهم وشتموهم بل ضربوهم، وبعضهم رموا بعمامته إلى الأرض وأسمعوهم قبيح الكلام، وفعلوا ما فعلوا معهم، وصاروا يقولون لولا أن الكفرة الملاعين تبين لهم الغلب والعجزّ ما طلبوا المصالحة والموادعة، وأن بارودهم وذخيرتهم فرغت ونحو ذلك من الظنون الفاسدة، ولم يردوا عليهم جوا بًا بل ضربوا بالمدافع والبنادق، فأرسلوا أيضًا رسلا يسألونهم عن الجواب الذى توجه به المشايخ، فأرسل إليهم الباشا* والكتخدا يقولان لهم: إن العساكر لم يرضوا بذلك ويقولون لا نرجع عن حربهم حتى نظفر بهم أو نموت عن آخرنا، وليس فى قدرتنا قهرهم على الصلح، فأرسل الفرنساوية جواب ذلك فى ورقة يقولون فى ضمنها: قد عجبنا من قولكم إن العساكر لم ترض بالصلح! وكيف يكون الأمير أميرًا على جيش لا ينفذ أمره فيهم ونحو ذلك؟ وأرسلوا أيضًا رسولا إلى أهل بولاق* يطلبونهم للصلح وترك الحرب ويحذرونهم عاقبة ذلك فلم يرضوا وصمموا على العناد، فكرروا عليهم المراسلة وهم لا يزدادون إلا مخالفة وشغبا، فأرسلوا فى خامس مرة فرنساويا يقول أمان أمان سوا سوا، وبيده ورقة من سارى عسكر، فأنزلوه من على فرسه وقتلوه، وظن كامل أهل مصر أنهم إنما يطلبون صلحهم عن عجز وضعف وأشعلوا نيران القتال، وجدوا فى الحرب من غير انفصال، والفرنساوية لم يقصروا كذلك، وواصلوا رمى المدافع والقنابر والبندق المتكاثر

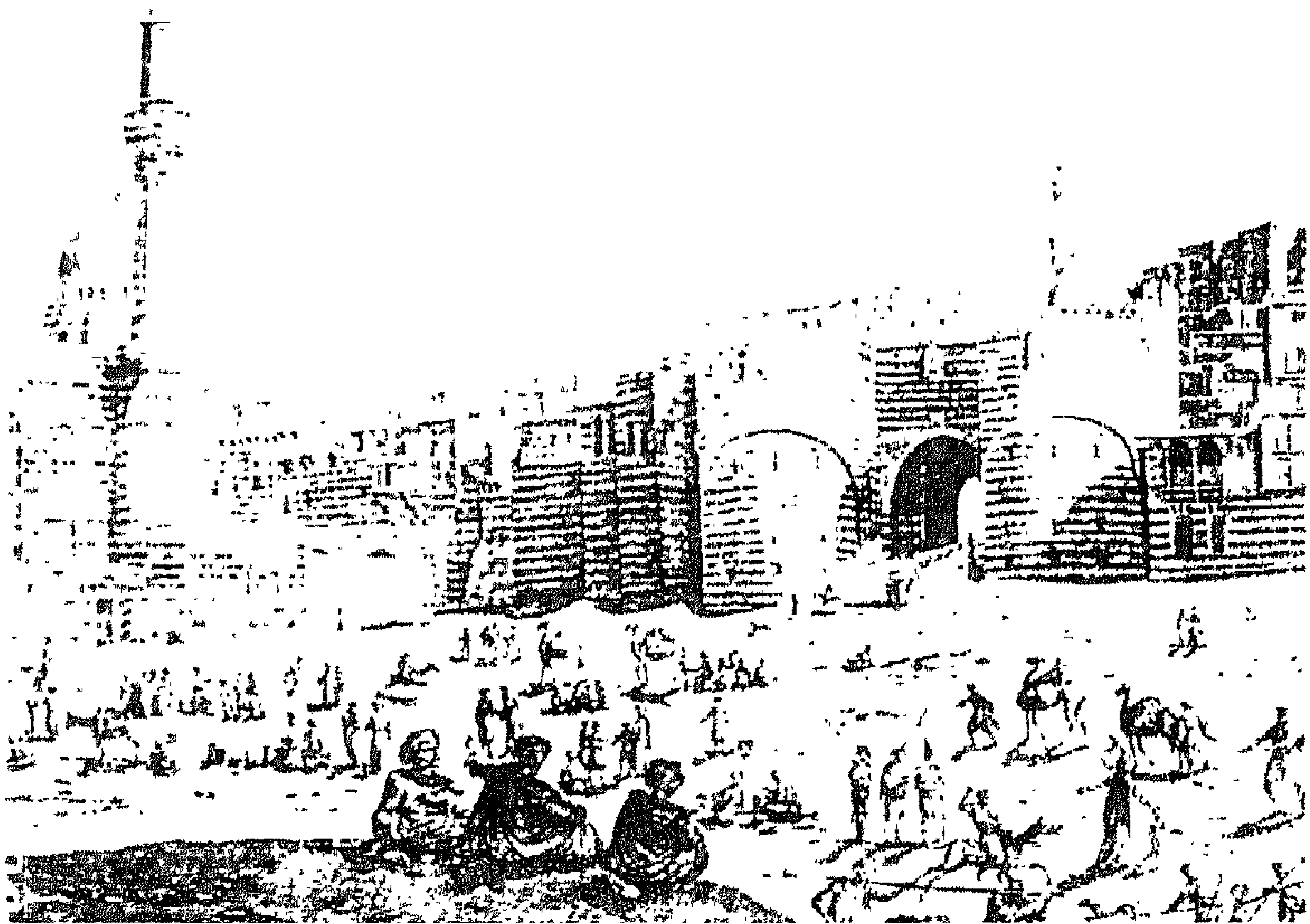
* الباشا يعتذر للفرنساوية بعدم قدرته على إصدار الأوامر لجنوده .

* يبدو أن كل محاولات كليبر لتهديد سكان بولاق قد ذهبت أدراج الريح فقد نشرت كوربيه دى ليجيبت تقول أنذر القائد العام للمرة الثالثة سكان بولاق وناشدهم تقديم فروض الطاعة ووعدهم بنسيان الماضى إلى غير رجعة، وبحماية فعالة فى مقابل طاعتهم. فأجابوا بأنهم مصممون على أن يحذو حذو القاهرة وبأنهم سيدافعون عن أنفسهم حتى آخر رمق إذا هوجموا.
ولما استنفدت جميع أساليب التوفيق تلقى الجنرال فريان امرا بالهجوم فى

وحضر الألفى إلى عثمان كتخدا برأى ابتدعه ظن أن فيه الصواب: وهو أن يرفعوا على هلالات المنارات أعلاما نهارا ويوقدون عليها القناديل ليلا ليرى ذلك العسكر القادم فيهتدى، ويعلمون أن البلد بيد المسلمين وأنهم متصوررون [محاصررون]، وكذلك صنع معهم أهل بولاق. وذلك لغلبة ظن الناس أن هناك عسكراً قادمين لنجدتهم، وظن أهل بولاق أن الباعث على ذلك نصرتهم، فصمموا على ذلك للحرب. واستمر هذا الحال بين الفريقين إلى يوم الخميس ثانى عشرينه الموافق لعاشر برموده القبطى، وسادس نيسان الرومى [أبريل] فغيمت السما غيما كثيفا وأرعدت رعدا مزعجا عنيفا. وأمطرت مطراً غزيراً، وسيلت سيلا كثيرا. فسالت المياه فى الجهات [واشتد ذلك بعد الغروب] وتوحلت جميع السكك والطرقات، فاشتغل الناس بتجفيف المياه والأوحال، ولطخت الأمرا والعساكر بسراويلهم ومراكيبهم بالطين.

والفرنساوية هجموا على مصر وبولاق من كل ناحية ولم يبالوا بالأمطار لأنهم فى خارج الأفنية، وهى لا تتأثر بالمياه كداخل الأبنية، وعندهم الاستعداد والتحفظ والخفة فى ملابسهم وما على روسهم، وكذلك أسلحتهم وعددهم وصنايعهم بخلاف المسلمين. فلما حصل ذلك اغتنموا الفرصة وهجموا على البلدين من كل ناحية وعملوا فتايل مغمسة بالزيت والقطران وكعكات غليظة ملوية على أعناقهم معمولة بالنفط والأرواح المصنوعة المقطرة التى تشتعل ويقوى لهبها بالماء وكان معظم كبستهم من ناحية باب الحديد وكوم أبى الريش وجهة بركة الرطل وقنطرة

اليوم التالى على راس جزء من رجال فرقته والاستيلاء على هذه المدينة بالقوة إذا لم يذعن سكانها عند رؤية الجنود. وقد نفذ هذا الأمر وقصفت المدينة بقنابل المدافع، ووقع اشتباك من أعنف الاشتباكات واشتعلت النيران فى اجزاء من أجمل مبانيها وسالت الدماء من كل جانب وسط صيحات الغضب واليأس من داخل الأسوار.
وفى وسط هذا الأتون من النار عرض عليهم أيضاً السلام والتفاهم فرفضوا كل العروض واشتد القتال بأعنف مما كان، وانتشرت الحرايق فى كل مكان.
واستمرت عمليات السلب والنهب بضع ساعات ولم تنته إلا عندما جاء أعيان المدينة، ولكن بعد فوات الأوان وهم يطلبون باسم الشعب رحمة المنتصرالكريم.
راجع. كورييه دى ليجيبت ـ العدد ٦٥ ص ٢٤٨.



* ميدان الرميلة أمام القلعة وجامع المحموديه.

الحاجب وجهة الحسينية والرميلة. فكانوا يرمون المدافع والبنبات من قلعة جامع الظاهر وقلعة قنطرة الليمون، ويهجمون أيضا وأمامهم المدافع وطايفة خلفهم بوارديه [ضاربو البارود] يقال لهم السلطان يرمون بالبندق المتتابع وطايفة بأيديهم الفتايل والكعكات المشتعلة بالنيران يلهبون بها السقايف وضرف الحوانيت وشبابيك الدور. ويزحفون على هذه الصورة شياً فشياً، والمسلمون أيضاً بذلوا جهدهم وقاتلوا بشدة همتهم وعزمهم وتحول الأغا وأكثر الناس إلى تلك الجهة وزلزلوا فى ذلك اليوم والليلة زلزالا شديدا، وهاجت العامة وصرخت النسا والصبيان ونطوا من الحيطان، والنيران تأخذ المتوسطين بين الفيتين من كل جهة، هذا والأمطار تسح حصة من النهار وكذلك بالليل من ليلة

الجمعة، كذلك الرعد والبرق. وعثمان بك الأشقر الإبراهيمى وعثمان بك البرديسى المرادى ومصطفى كاشف رستم يذهبون ويجيون من الفرنسيس إلى المسلمين ومن الفرنسيس إليهم، ويسعون فى الصلح بين الفريقين ثم إنهم هجموا على بولاق من ناحية البحر ومن ناحية بوابة أبى العلا بالطريقة المذكور بعضها، وقاتل أهل بولاق جهدهم ورموا بأنفسهم فى النيران حتى غلب الفرنسيس عليهم وحصروهم من كل جهة وقتلوا منهم بالحرق والقتل وبلوا بالنهب والسلب، وملكوا بولاق وفعلوا بأهلها ما يشيب من هوله النواصى وصارت القتلى مطروحة فى الطرقات والأزقة، واحترقت الأبنية والدور والقصور، وخصوصا البيوت والرباع المطلة على البحر، وكذلك الأطارف وهرب كثير من الناس عندما أيقنوا بالغلبة فنجوا بأنفسهم إلى الجهة القبلية، ثم أحاطوا بالبلد ومنعوا من يخرج منها، واستولوا على الخانات والوكايل والحواصل والودايع والبضايع، وملكوا الدور وما بها من الأمتعة والأموال والنسا والخوندات والصبيان والبنات ومخازن الغلال والسكر والكتان والقطن والأبازير* والأرز والأدهان والأصناف العطرية وما لا تسعه السطور ولا يحيط به كتاب ولا منشور. والذى وجدوه منعكفا فى داره أو طبقته ولم يقاتل ولم يجدوا عنده سلاحا نهبوا متاعه وعروه من ثيابه ومضوا وتركوه حيا، وأصبح من بقى من ضعفا أهل بولاق، وأهلها وأعيانها الذين لم يقاتلوا فقرا لا يملكون ما يستر عوراتهم. وذلك يوم الجمعة ثالث عشرينه، وكان محمد الطويل كاتب الفرنساوية أخذ منهم أمانا لنفسه وأوهم

* الأبازير: جمع البزْر: كل حبٍّ يبذر للنبات جمعه بزور، وبجمع على أبزار وأبازير، وعلى هذا فالأبازير جمع الجمع.

أصحابه أنه يحارب معهم، وفي وقت هجوم العساكر انفصل إليهم، واختفى البشتيلى فدلوا عليه وقبضوا على وكيله وعلى الرويسا، فحبسوا البشتيلى بالتكية والباقى ببيت سارى عسكر وضيقوا عليهم حتى منعوهم البول، وفى اليوم الثالث أطلقوهم وجمعوا عصبة البشتيلى من العامة وسلموهم البشتيلى* وأمروهم [بتجريسه وشهرته فى البلده وأن يقتلوه بأيديهم لدعواهم أنه هو الذى كان يحرك الفتنة ويمنعهم الصلح، وأنه كاتب عثمان كتخدا بمكتوب قال فيه: إن الكلب دعانا للصلح فأبينا منه، وأرسله مع رجل ليوصله إلى الكتخدا فوقع فى يد سارى عسكر كليبر، فحركه ذلك على أخذ بولاق وفعله فيها الذى فعله، وقوبل على ذلك بأن أسلم إلى عصبته، وأمروا أن يطوفوا به البلد ثم يقتلوه ففعلوا ذلك وقتلوه بالنبابيت.

* قصة قتل مصطفى البشتيلى كما رسمها كليبر.

وألزم أهل بولاق بأن يرتبوا ديوانا لفصل الأحكام* وقيدوا فيه تسعة من رويساهم ثم بعد مضى يومين ألزموا بغرامة مايتى ألف ريال.

* كليبر يأمر أهالى بولاق بتشكيل محكمة منهم لتحكم عليهم.

وأما المدينة فلم يزل الحال بها على النسق المتقدم من الحرب والكرب والنهب والسلب إلى سادس عشرينه حتى ضاق خناق الناس من استمرار الانزعاج والحريق والسهر وعدم الراحة لحظة من الليل والنهار، مع ما هم فيه من عدم القوت، حتى هلكت الناس وخصوصا الفقرا والدواب وإيذاء عسكر العثمانلى* للرعية وخطفهم ما يجدونه معهم حتى تمنوا زوالهم ورجوع الفرنسيس على حالتهم التى كانوا عليها.

* العسكر العثمانلى يواصل السلب والنهب فى ظل مقاومة المصريين للفرنساوية.

والحال كل وقت في الزيادة وأمر المسلمين فى ضعف لعدم الميرة والمدد والفرنساوية بالعكس، وفى كل يوم يزحفون إلى قدام والمسلمون إلى ورا، فدخلوا من ناحية باب الحديد وناحية كوم أبى الريش وقنطرة الحاجب وتلك النواحى، وهم يحرقون بالفتايل والنيران الموقدة ويملكون المتاريس إلى أن وصلوا من ناحية قنطرة الخروبى وناحية باب الحديد إلى قرب باب الشعرية، وكان شاهين أغا هناك عند المتاريس فأصابته جراحة فقام من مكانه ورجع القهقرى، فعند رجوعه وقعت الهزيمة ورجع الناس يدوسون بعضهم البعض.

وملك الفرنساوية كوم أبى الريش وصاروا يحاربون من كوم أبى الريش وهم فى العلو والمسلمون أسفل منهم، وكان المحروقى زور كتابا على لسان الوزير، وجا به رجل يقول إنه رسول الوزير وأنه اختفى فى طريق خفية ونط من السور، وأن الوزير يقدم بعد يومين أو ثلاثة، وأنه تركه بالصالحية، وأن ذلك كذب لا أصل له وأن يكتب جوابا عن فرمان كتبوه على لسان المشايخ والتجار وأرسلوه إلى الوزير فى أثنا الواقعة، هذا والبرديسى ومصطفى كاشف والأشقر يسعون فى أمر الصلح إلى أن تمموه على كف الحرب، وأن الفرنساوية يمهلون العثمانية والأمرا ثلاثة أيام حتى يقضوا أشغالهم ويذهبون حيث أتوا، وجعلوا الخليج حدا بين الفريقين لا يتعدى أحد من الفريقين بر الخليج الآخر، وأبطلوا الحرب وأخمدوا النيران وتركوا القتال، وأخذ العثمانية والأمرا والعسكر فى أهبة * الرحيل وقضا أشغالهم، وزودهم الفرنساوية وأعطوهم دراهم وجمالا وغير ذلك، وكتبوا بعقد الصلح فرمانا مضمونه:

* انسحاب العسكر العثمانلى من القاهرة.

أنهم يعوقون عندهم عثمان بك البرديسى وعثمان بك الأشقر ويرسلون ثلاثة أنفار من أعيانهم يكونون بصحبة عثمان كتخدا حتى يصل إلى الصالحية، وأن يوصلهم سارى عسكر داماس بثلثماية من العسكر خوفا عليهم من العرب، وأن من جاء منهم من جهة يرجع إليها، ومن أراد الخروج من أهل مصر معكم فليخرج ما عدا عثمان بك الأشقر فإنه إذا رجع الثلاثة مع الفرنساوية يذهب مع البرديسى إلى مراد بك بالصعيد، وأرسلوا الثلاثة المذكورين إلى وكالة ذى الفقار بالجمالية، وأجلسوهم بمسجد الجمالى صحبة نصوح باشا فهاجت العامة وراموا قتلهم، وهموا بقتل عثمان كتخدا فأغلق دونهم باب الخان ومنع نصوح باشا العامة من الهجوم على المسجد، ورجب المغربى* فتوجه إلى الحسينية وطلب محاربة الفرنسيس فحضر أهل الحسينية إلى عثمان كتخدا يستأذنونه فى موافقة ذلك المغربى أو منعه، فأمر بمنعه وكفهم عن القتال وركب [السيد أحمد] المحروقى عند ذلك ومر بسوق الخشب وقدامه المناداة بأن لا صلح ولزوم المتاريس، فمنعه «نزله أمين» ثم فتح باب الوكالة وخرج منها عسكر بالعصى فهاجوا فى العامة ففروا وسكن الحال.

* الدجال المغربى يواصل إدعاء الجهاد.

وقد كان لما حصل ما تقدم من نقض الصلح ودخول العثمانية وعساكرهم إلى المدينة ووقع ما تقدم، وكلفوا الناس الأمور الغير اللايقة. حضر السيد أحمد المحروقى إلى الشيخ أبى الأنوار السادات بجواب عن لسان عثمان كتخدا الدولة، فكتب له الشيخ* تذكرة وصورتها: حسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير وما هى من الظالمين ببعيد.

* الشيخ أبو الأنوار السادات يرد على رسالة من عثمان كتخدا الدولة يوبخه فيها.

ظـنـنـت أنك عـدتـى أسـطـو بـهـا
ويـدى إذا اشـتـد الـزمـان وسـاعـدى
فـرمـيـت مـنـك بـغـيـر مـا أمـلـتـه
والمـرء يـشـرق بـالـزلال الـبـارد

أما بعد فقد نقضت عهدى، وتركت مودة آل بيت جدى، وأطعت الظلمة السفلة، وامتثلت أمر المارقين الثفلة فأعنتهم على البغى والجور، وسارعت فى تنجيز مرامهم الفاسد على الفور من إلزامكم الكبير والصغير والغنى والفقير إطعام عسكركم الذى أوقع بالمؤمنين الذل والمضرات، وبلغ فى النهب والفساد غاية الغايات، فكان جهادهم فى أماكن الموبقات والملاهى حتى نزل بالمسلمين أعظم المصايب والدواهى، فاستحكم الدمار والخراب، ومنعت الأقوات وانقطعت الأسباب، فبذلك كان عسكركم مخذولا وبهم عم الحريق كل بيت كان بالخير مشمولا، كيف لا وأكابركم أضمرت السوء للمرتزقة فى تضييق معايشهم، وأخذ مرتباتهم، وإتلاف ما بأيديهم من أرزاقهم وتعلقاتهم، وقد أخفتم أهل البلد بَعْدَ أَمْنِها، وأشعلتم نار الفتنة بعد طفيها، ثم فررتم فرار الفيران من السنّور، وتركتم الضعفا متوقعين أشنع الأمور، فواغوثاه واغوثاه أغثنا ياغيات المستغيثين، واحكم بعدلك يا أحكم الحاكمين، وانصرنا وانتصر لنا، فإننا عبيدك الضعفا المظلومون يا أرحم الراحمين.

## شهر ذى القعدة استهل بيوم الخميس

## ٢٧ مارس ١٨٠٠

## [ وقد ضمه الجبرتى لشهر شوال ].

## واستهل شهر ذى الحجة بيوم الجمعة سنة ١٢١٤

* خروج العثمانلية من القاهرة بعهد أمان من الفرنساوية.

فيه خرج* العثمانية وعساكرهم وإبراهيم بك وأمراه ومماليكه والألفي وأجناده ومعهم السيد عمر مكرم النقيب والسيد أحمد المحروقى الشاه بندر وكثيرون من أهل مصر ركبانا ومشاة إلى الصالحية، وكذلك حسن بك الجداوى وأجناده، وأما عثمان بك حسن ومن معه فرجعوا صحبة الوزير، فلم يسع إبراهيم بك وحسن بك ترك جماعتهما خلفهما وذهابهم بأنفسهم إلى قبلى، بل رجعا بجماعتهما على أثرهما وذاقوا وبال أمرهم.

* تحليل الجبرتى لأحداث ثورة القاهرة الثانية.

وانكشف الغبار *عن تعسة المسلمين وخيبة أمل الذاهبين والمتخلفين، وما استفاد الناس من هذه العمارة وما جرى من الغارة إلا الخراب والسخام والهباب، فكانت مدة الحرب والحصر بما فيها من الثلاثة أيام الهدنة سبعة وثلاثين يوما وقع بها من الحروب والكروب والانزعاج والشتات والهياج وخراب الدور وعظايم الأمور وقتل الرجال ونهب الأموال وتسلط الأشرار وهتك الأحرار، وخصوصا ما أوقع الفرنساوية بالناس بعد ذلك مما سيتلى عليك بعضه.

وخرب فى هذه الواقعة عدة جهات من أخطاط مصر الجليلة، مثل جهة الأزبكية الشرقية من حد جامع عثمان

والفوالة وحارة كتخدا ورصيف الخشاب وخطة الساكت إلى بيت سارى عسكر بالقرب من قنطرة الدكة، وكذلك جهة باب الهوا إلى حارة النصارى من الجهة القبلية، وأما بركة الرطلى* وما حوالها من الدور والمنتزهات والبساتين فإنها صارت كلها تلالا وخرايب وكيمان أتربة، وقد كانت هذه البركة من أجل منتزهات مصر قديما وحديثا، وبالقرب منها المقصف المعروف بدهليز الملك والبربخ والجسر، وكانت تعرف ببركة الطوابين، ثم عرفت ببركة الحاجب منسوبة للأمير بكتمر الحاجب، من أمرا الملك الناصر محمد بن قلاوون، لأنه هو الذى احتفرها وأجرى إليها الما من الخليج الناصرى وبنى القنطرة المنسوبة إليه، وعمر عليها الدور والمناظر، وبنى على الجسر الفاصل بينها وبين الخليج دورا بهية، وكان هذا الجسر من أجل المنتزهات وقد خربت منازله فى القرن العاشر فى واقعة السلطان سليم خان مع الغورى، وصار، محله بستانا عظيما، قطع أشجاره وغالب نخيله الفرنساوية، وفيه يقول بعضهم من قصيدة قديمة.

* أصل تسمية بركة الرطلى

أصابت الجسر عين الدهر فانقصفا
ولاح بدر التصابى فيه منخسفا
وأعين البحر قد فاضت معكرة
تبكى على زمن قد كان فيه صفا

ومنها:

أيارعى الله وقتا مَرّ حين حلا
بطيب عيش لنا فى الجسر قد سلفا

وكان للقاضى ابن الجيعان عليها دور جليلة، ومسجده المعروف به إلى الآن بشاطئها، ومسجد الحريثى، وعرفت

ببركة الرطلى، لأنه كان فى شرقها زاوية بها نخل كثير وفيها شخص يصنع الأرطال الحديد التى تزن بها الباعة، يقال له الشيخ على الرطلى فنسبت إليه، وفيها يقول بعضهم.

فـى أرض طـبـالـتـنـا بـركـة
مـدهـشـة لـلـعـين والـعـقـل
تـرجـح فـى مـيـزان عـقـلـى عـلـى
كـل بـحـار الأرض بـالـرطـل

وقوله فى أرض طبالتنا بركة يعنى أن هذه البركة من جملة أرض الطبالة، والطبالة* امرأة مغنية مشهورة فى آخر دولة الإخشيد، فلما حضر المغربى معد الفاطمى إلى مصر، وكان يدعى الإمامة والخلافة دون بنى العباس، فخرجت إليه بجوقتها ومشت أمامه تزفه بالدفوف وتقول:

* أصل تسمية أرض الطبالة.

يـا بـنـى الـعـبـاس ردوا
مـلـك الأمـر مـعـد
مـلـكـكـم مـلـك مـعـار
والـعـوارى تـسـترد

فأعجبه ذلك، وأراد أن ينعم عليها، فتمنّت عليه أن يقطعها هذه الأرض، فأقطعها إياها فعُرفت بها، وبهذه البركة بركة يطلع بها البشنين، وهو اللينوفر يقوم على ساق ممتد إلى أعلى بمقدار غمر الما، بحيث تكون نوارة كل ساق مساوية لسطح الما، ونواره أصفر، وهو على هيئة الورد المتفتح،

ويحيط بذلك الورد الأصفر ورق أخضر، وفي داخل الأصفر عروق بيض، يدور ذلك النوار مع الشمس حيث دارت.

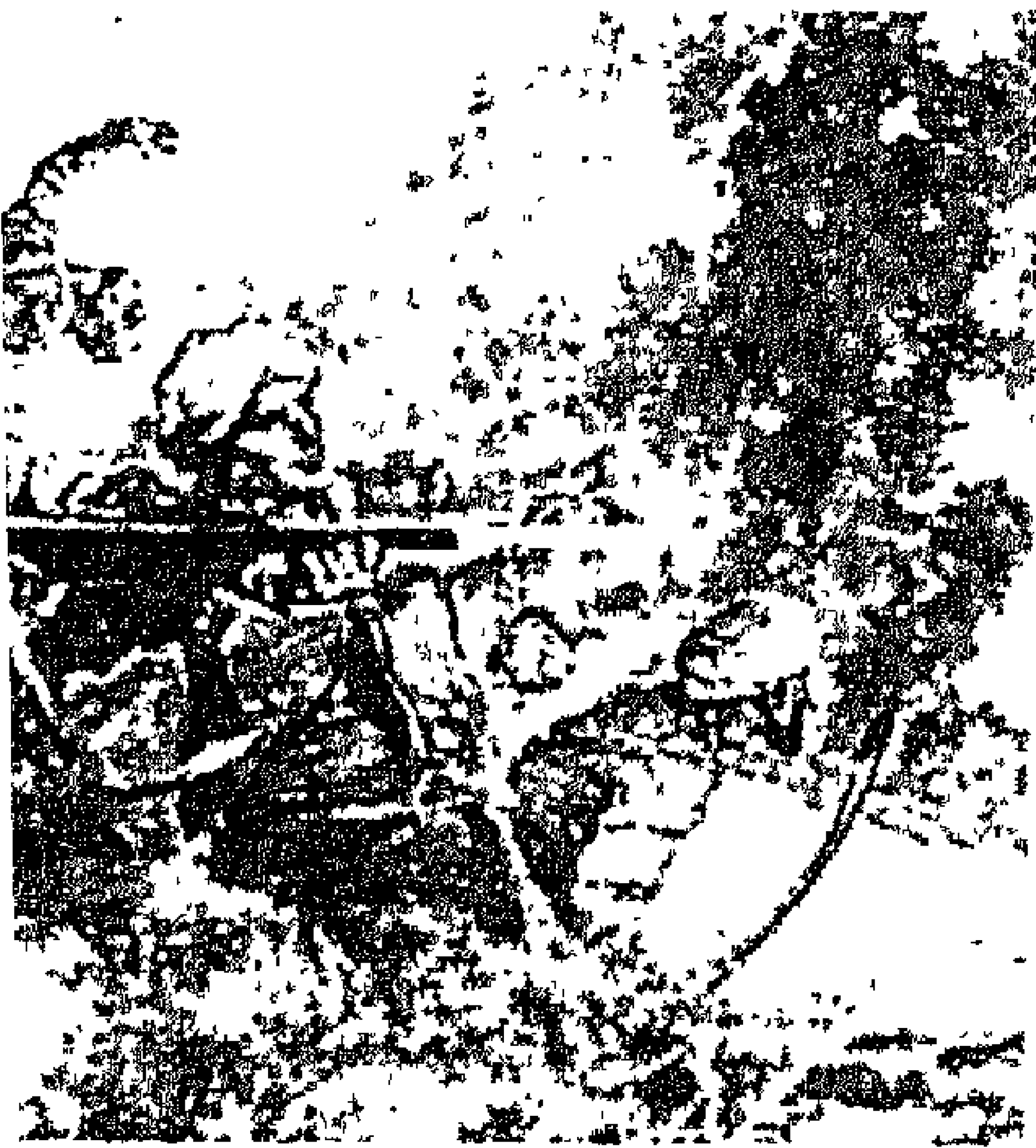
وفيه يقول بعضهم:

وبـركـة تـزهـو بـلـيـنـوفـر
شـبـهـتـه طـيـبـة بـشـر الحـبـيـب
مـفـتـح الأحـداق فـي نـومـتـه
حتى إذا الـشـمـس دنت لـلـمـغـيـب
أطـبـق جـفـنـيـه عـلـى خـده
وغـاص في الـبـركـة خوف الـرقـيـب

وليس يطلع هذا البشنين بجميع أرض البركة بل بقطعة منها مخصوصة تجاه الجسر المذكور.

ومما تخرّب أيضا حارة المقس* من قبل سوق الخشب إلى باب الحديد، وجميع ما في ضمن ذلك من الحارات والدور صارت كلها خرايب متهدمة محترقة، تسكب عند مشاهدتها العبرات، ويتذكر بها ما يتلى في حق الظالمين من الآيات، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ﴿إن في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾؛ وقال تعالى: ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾. وقال تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾.

* ما زالت هناك حارة ضيقة في باب الحديد خلف مبنى هيئة سكك حديد مصر بهذا الاسم.



ودخل الفرنساوية إلى المدينة يسعون، وإلى الناس بعين الحقد ينظرون، واستولوا على ما كان اصطنعه وأعده العثمانية من المدافع والقنابر والبارود وآلات الحرب جميعها، وقيل: إنهم حاسبوهم على كلفته ومصاريفه وقبضوا ذلك من الفرنساوية، وركب المشايخ والأعيان عصر ذلك اليوم وذهبوا إلى كبير الفرنسيس، فلما وصلوا إلى داره ودخلوا عليه وجلسوا ساعة أبرز إليهم ورقة مكتوب فيها:

النصرة لله الذى يريد أن المنصور يعمل بالشفقة والرحمة مع الناس، وبناء على ذلك سارى عسكر العام يريد أن ينعم بالعفو العام والخاص على أهل مصر وعلى أهل بر مصر، ولو كانوا يخالطون العثملى فى الحروب، وأنهم يشتغلون بمعايشهم وصنايعهم، ثم نبه عليهم بحضورهم إلى قبة النصر بكرة تاريخه.

* احتفالات الفرنساوية بدخول القاهرة.

ثم قاموا من عنده وشقوا المدينة وطافوا بالأسواق وبين أيديهم المناداة* للرعية بالاطمينان والأمان؛ فلما أصبح ذلك اليوم ركبت المشايخ والوجاقلية وذهبوا إلى خارج باب النصر، وخرج أيضا القلقات والنصارى القبط والشوام وغيرهم، فلما تكامل حضور الجميع رتبوا موكبا وساروا ودخلوا من باب النصر وقدامهم جماعة من القواسة يأمرون الناس بالقيام، وبعض فرنساوية راكبين خيلا وبأيديهم سيوف مسلولة ينهرون الناس ويأمرونهم بالوقوف على أقدامهم، ومن تباطأ فى القيام أهانوه، فاستمرت الناس وقوفا من ابتدا سير الموكب إلى انتهاه، ثم تلا الطايفة الآمرة للناس بالوقوف، جمع كثير من الخيالة الفرنساوية بأيديهم سيوف

خطاب كليبر فى شأن اطمئنان الرعية: من كليبر القايد العام إلى الجيش.
أيها الجنود
رغبة فى حقن الدماء، تابعت المفاوضات وفى نفس الوقت كانت العمليات الحربية تأخذ مجراها الطبيعى فى ضرب العدو. أن العقبة الكبرى التى صادفتنى خلال المفاوضات هى محاولة اقناع السكان واشاعة الطمأنينة فى نفوسهم ضد عمليات السلب والتخريب. أن ما راوه مثلا فى بولاق، حيث سمحت لكم بأن تشفوا غليلكم بانتقامكم العادل، كان له

مسلولة وكلهم لابسون جوخا أحمر وعلى روسهم طراطير من الفراوى على غير هيئة خيالتهم ومشاتهم، ثم تتالى بعد هولا طوايف العساكر ببوقاتهم وطبولهم وزمورهم واختلاف أشكالهم وأجناسهم وملابسهم من خيالة ورجالة، ثم الأعيان والمشايخ والوجاقلية وأتباعهم إلى أن قدم سارى عسكر الفرنساوية وخلف ظهره عثمان بك البرديسى وعثمان بك الأشقر، وخلفهم طوايف من خيالة الفرنسيس.

وقع رهيب فى نفوسهم. وقد توصلت إلى تبديد مخاوفهم ووعدتهم بمنحهم الامان والحماية لاشخاصهم وممتلكاتهم. وعند ذلك كفوا عن خلق العراقيل لمنع انسحاب الجنود العثمانيين.

ايها الجنود عندما يقطع قايدكم على نفسه تعهدات باسم الجيش فان عليكم انتم القيام بتنفيذها ............

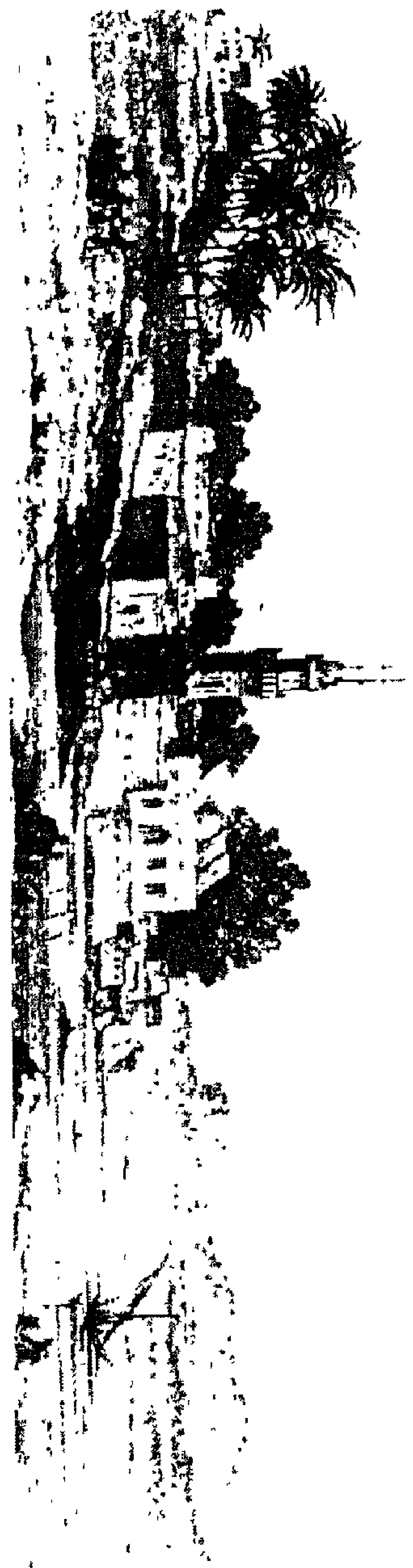
الإمضاء كليبر

كورييه دى ليجيبت، العدد ٦٦، ص ٢٥٠.

ولما انقضى أمر الموكب نادوا بالزينة فزينت البلد ثلاثة أيام آخرها يوم الثلاثا مع السهر ووقود القناديل ليلا، ثم دعاهم فى يوم الأربعا وعمل لهم سماطا عظيما على طريقة المصرلية، وبعد انقضا الوليمة والطعام خاطبهم على لسان الترجمان يقول لهم: إن سارى عسكر يقول لكم إنكم تأتون إليه بعد غد يوم الجمعة ويعمل تدبيرا ويرتب الديوان لأجل تنظيم البلد وصلاح حالكم وحال الرعية، وقلدوا فى ذلك اليوم محمد أغا الطنانى أغات مستحفظان وركب ونادى بالأمان، وأعطوا البكرى بيت عثمان كاشف كتخدا الحج وهو بيت البارودى الثانى فسكن به وشرع فى تنظيمه وفرشه، ولبسوه فى ذلك اليوم فروة سمور فقاموا من عنده فرحين مطمنين مستبشرين.

فلما كان يوم الخميس سابعه ذهب* إلى مراد بك بجزيرة الدهب باستدعا، فمد لهم أسمطة عظيمة وأعطاه ما كان أرسله درويش باشا معونة للباشا والأمرا من الأغنام وغيرها، وكانت نحو الأربعة آلاف رأس وولوه إمارة الصعيد من جرجا

* كليبر يذهب لمراد بك بجزيرة الدهب للاحتفاء به.



* مدينة المنيا.

إلى إسنا ورجع عايداً إلى داره بالأزبكية، فلما كان فى صبحها يوم الجمعة ثامنه بكر [المشايخ] بالذهاب إلى بيت سارى عسكر [حكم الامر السابق]، ولبسوا أفخر ثيابهم وأحسن هيئاتهم وطمع كل واحد منهم، وظن أن سارى عسكر يقلده فى هذا اليوم أحلى المناصب أو ربما حصل التغيير والتبديل فى أهل الديوان فيكون فى الديوان الخصوصى، فلما استقر بهم الجلوس فى الديوان الخارج أهملوا حصة طويلة لم يؤذن لهم ولم يخاطبهم أحد، ثم طلب سارى عسكر الشيخ محمد المهدى فدخل إليه بمفرده، فكلمه كلاما طويلا، فمما قال له:

إننا لما حضرنا إلى بلدكم هذه نظرنا أن أهل العلم هم أعقل الناس، الناس بهم يقتدون، ولأمرهم يمتثلون، ثم إنكم أظهرتم لنا المحبة والمودة وصدقنا ظاهر حالكم، فاصطفيناكم، وميزناكم على غيركم واخترناكم لتدبير الأمور وصلاح الجمهور، فرتبنا لكم الديوان وغمرناكم بالإحسان، وخفضنا لكم جناح الطاعة، وجعلناكم مسموعين القول مقبولين الشفاعة، وأوهمتمونا أن الرعية لكم ينقادون، ولأمركم ونهيكم يرجعون، فلما حضر العثملى فرحتم لقدومهم وقمتم لنصرتهم وثبت عند ذلك نفاقكم لنا. فقال له [المهدى] نحن ما قمنا مع العثملى إلا عن أمركم لأنكم عرفتمونا أننا صرنا فى حكم العثملى من ثانى شهر رمضان، وأن البلاد والأموال صارت له وخصوصا وهو سلطاننا القديم وسلطان المسلمين، وما شعرنا إلا بحديث هذا الحادث بينكم وبينهم على حين غفلة، ووجدنا أنفسنا فى

وسطهم [على صورة مبهمة لا نعلم حقيقتها وأغترتهم العامة والأوباش وحصل ما حصل] ، فلم يمكننا التخلف عنهم. فرد عليهم الترجمان ذلك الجواب، ثم أجابهم بقوله: ولأى شي لم تمنعوا الرعية عما فعلوه من قيامهم ومحاربتهم لنا. فقالوا لا يمكننا ذلك خصوصا وقد تقووا علينا بغيرنا [وينسبونا لكم] وسمعتم ما فعلوه معنا من ضربنا وبهدلتنا عندما أشرنا عليهم بالصلح وترك القتال. فقال لهم: وإذا كان الأمر كما ذكرتم ولا يخرج من يدكم تسكين الفتنة ولا غير ذلك، فما فايدة رياستكم وإيش يكون نفعكم، وحينئذ لايأتينا منكم إلا الضرر، لأنكم إذا حضر أخصامنا قمتم معهم وكنتم وإياهم علينا، وإذا ذهبوا رجعتم إلينا معتذرين فكان جزاؤكم أن نفعل معكم كما فعلنا مع أهل بولاق من قتلكم عن آخركم وحرق بلدكم وسبى حريمكم وأولادكم. ولكن حيث إننا أعطيناكم الأمان فلا ننقض أماننا ولا نقتلكم وإنما نأخذ منكم الأموال*. ثم فتح باب المجلس الداخلى وطلبوا إلى [المشايخ] الدخول فيه فدخلوا وجلسوا حصة مثل الأولى، ثم خرج إليهم سارى عسكر وصحبته الترجمان وجماعة من أعيانهم فوضع له كرسى فى وسط المجلس وجلس عليه، ووقف الترجمان وأصحابه حواليه واصطف الوجاقلية والحكام من ناحية، وأعيان النصارى والتجار من ناحية، وعثمان بك الأشقر والبرديسى أيضا حاضران فأخرج سارى عسكر ورقة من كمه وتكلم بما فيها وكلم الترجمان الترجمان كلاما طويلا بلغتهم حتى فرغ، فالتفت الترجمان إلى الجماعة وشرع يفسر لهم مقالة سارى عسكر ويترجم

* كليبر يفرض غرامات باهظة على المشايخ والأهالى.

عنها بالعربى والجماعة يسمعون، فكان ملخص ذلك القول أن سارى عسكر يقول لكم [انه عفا عنكم مع استحقاقكم للعقوبة وانما] يطلب منكم عشرة آلاف ألف فرنك وذلك مقداره الفى ألف فرانسه منها على الشيخ السادات خاصة، [مايه الفا] والشيخ محمد بن الجوهرى خمسون ألف، وأخيه الشيخ فتوح خمسون ألف، والشيخ مصطفى الصاوى خمسون ألفا، والشيخ العنانى خمسة عشر ألف [ومايتان وخمسون الفا] تقتطعها من ذلك، نظير نهب دور الفارين مع العثملى مثل المحروقى، والسيد عمر مكرم، وحسين أغا شنن وما بقى تدبرون رأيكم فيه وتوزعونه على أهل البلد وتتركون عندنا منكم* خمسة عشر شخصا، انظروا من يكون فيكم رهينة عندنا حتى تغلقوا ذلك المبلغ، وقام من فوره ودخل مع أصحابه إلى داخل، وأغلق بينه وبينهم الباب، ووقفت الحرسية على الباب الآخر يمنعون من يخرج من الجالسين فبهت الجماعة وانتقعت وجوههم ونظروا إلى بعضهم البعض وتحيرت أفكارهم ،ولم يخرج عن هذا الأمر إلا البكرى والمهدى، لكون البكرى حصل له ما حصل فى صحايفهم والمهدى حرق بيته بمرأى منهم وكان قبل ذلك نقل جميع ما فيه بداره بالخرنفش ولم يترك به إلا بعض الحصر، ولم يكن به غير بعض الخدم، وكان يستعمل المداهنة وينافق الطرفين بصناعته وعادته.

* كليبر يطلب رهائن من المشايخ حتى يسددوا الأموال المقدرة عليهم.

ولم تزل الجماعة فى حيرتهم وسكرتهم وتمنى كل منهم أنه لم يكن شيا مذكورا، ولم يزالوا على ذلك الحال إلى

قريب العصر حتى بال أكثرهم على ثيابه وبعضهم شرشر ببوله من شباك المكان، وصاروا يدخلون على نصارى القبط ويقعون فى عرضهم، فالذى انحشر فيهم ولم يكن معدودا فى الرويسا أخرجوه بحجة أو سبب، وبعضهم ترك مداسه وخرج حافيا، وما صدق بخلاص نفسه، هذا والنصارى والمهدى يتشاورون فى تقسيم ذلك وتوزيعه وتدبيره وترتيبه فى قوايم حتى وزعوها على الملتزمين وأصحاب الحرف حتى على الحواة والقرداتية والمحبظين والتجار وأهل الغورية وخان الخليلى والصاغة والنحاسين والدلالين والقبانية وقضاة المحاكم وغيرهم، كل طايفة مبلغ له صورة مثل ثلاثين ألف فرانسة وأربعين ألف، وكذلك بياعو التنباك والدخان والصابون والخردجية والعطارون والزياتون والشواءون والجزارون والمزينون وجميع الصنايع والحرف، وعملوا على أجرة الأملاك والعقار والدور أجرة سنة كاملة.

* الحلاق على عهد الجبرتى.



الجبرتى/ سنة ١٢١٤م

ثم إنهم استأذنوا للمشايخ [فاذنوا لهم بالذهاب]، الخالص [أى الذى دفع ما عليه] يتوجه حيث أراد، والمشبوك يلزمون به جماعة من العسكر، حتى يغلق المطلوب منه، فأما الصاوى وفتوح بن الجوهرى فحبسوها ببيت قايمقام، والعنانى هرب فلم يجدوه وداره احترقت، فأضافوا غرامته على غرامة الشيخ السادات كملت بها ماية وخمسين ألف فرانسة، وانفض المجلس على ذلك.

وركب سارى عسكر من يومه ذلك وذهب إلى الجيزة ووكل يعقوب القبطى يفعل فى المسلمين ما يشا، وقايمقام والخازندار لرد الجوابات وقبض ما يتحصل وتدبير الأمور والرهونات.

ونزل الشيخ السادات وركب إلى داره فذهب معه عشرة

* فرض مبالغ على الشيخ السادات وحبسه حتى يسدد الغرامة المفرووضة عليه.

الليل حضر إليه مقدار عشرة من العسكر أيضا فأركبوه وطلعوا به إلى القلعة وحبسوه* فى مكان، فأرسل إلى عثمان بك البرديسى وتداخل عليه فشفع فيه، فقالوا له: أما القتل فلا نقتله لشفاعتك وأما المال فلابد من دفعه، ولابد من حبسه وعقوبته حتى يدفع، وقبضوا على فراشه ومقدمه وحبسوهما، ثم أنزلوه إلى بيت قايمقام فمكث به يومين، ثم أصعدوه إلى القلعة ثانيا وحبسوه فى حاصل ينام علي التراب ويتوسط بحجر، وضربوه تلك الليلة، فأقام كذلك يومين ثم طلب زين الفقار كتخدا فطلع إليه هو وبرطلمان، فقال لهما أنزلونى إلى دارى حتى أسعى وأبيع متاعي وأشهل حالي، فاستأذنوا له وأنزلوه إلى داره، فأحضر ما وجده من الدراهم، فكانت تسعة آلاف ريال معاملة عنها ستة آلاف ريال فرانسة ثم قوموا ما وجدوه من المصا غ والفضيات والفراوى والملابس وغير ذلك بأبخس الثمن فبلغ ذلك خمسة عشر ألف فرانسة، فبلغ المدفوع بالنقدية والمقومات أحدا وعشرين ألف فرانسة.

والمحافظون عليه من العسكر ملازمونه لا يتركونه يطلع إلى حريمه ولا إلى غيره، وكان وزع حريمه وابنه إلى مكان آخر.

وبعد أن فرغوا من الموجودات جاسوا خلال الدار يفتشون ويحفرون الأرض على الخبايا حتى فتحوا الكنيفات ونزلوا فيها فلم يجدوا شيا، ثم نقلوه إلى بيت قايمقام ماشيا وصاروا يضربونه خمسة عشر عصا فى الصباح ومثلها فى الليل، وطلبوا زوجته وابنه فلم يجدوهما، فأحضروا محمد السندوبى تابعه وقرروه حتى عاين الموت حتى عرفهم

بمكانهما فأحضروهما وأودعوا ابنه عند أغات الانكشارية وحبسوا زوجته معه، فكانوا يضربونه بحضرتها وهى تبكى وتصيح، وذلك زيادة فى الإنكا، ثم إن المشايخ وهم الشرقاوى والفيومى والمهدى والشيخ محمد الأمير وزين الفقار كتخدا تشفعوا فى نقلها من عنده فنقلوها إلى بيت الفيومى، وبقى الشيخ على حاله وأخذوا مقدمه وفراشه وحبسوهما وتغيب أكثر أتباعه واختفوا.

ثم وقعت المراجعة والشفاعة فى غرامة الشيخ فتوح الجوهرى والصاوى فأضعفوها [خفضوها] وجعلوها على كل واحد منهما خمسة عشر ألف فرانسة ورد [أضيف] الباقى على الفردة العامة.

وأما الشيخ محمد بن الجوهرى فإنه اختفى فلم يجدوه فنهبوا داره ودار نسيبه المعروف بالشويخ، ثم إنه توسل* بالست نفيسة زوجة مراد بك فأرسلت إلى مراد بك وهو بالقرب من الفشن فأرسل من عنده كاشفا وتشفع فيه فقبلوا شفاعته ورفعوها عنه وردوها أيضا على الفردة العامة.

* شفاعة الست نفيسة زوجة مراد بك فى الشيخ محمد الجوهرى وقبول شفاعتها.

ثم إنهم وكلوا بالفردة العامة وجميع المال يعقوب القبطى* وتكفل بذلك وعمل الديوان لذلك ببيت البارودى وألزموا الأغا بعدة طوايف كتبوها فى قايمة بأسما أربابها وأعطوه عسكرا وأمروه بتحصيلها من أربابها، وكذلك على أغا الوالى الشعراوى وحسين أغا المحتسب وعلى كتخدا سليمان بك، فنبهوا على الناس بذلك، وبثوا الأعوان بطلب الناس وحبسهم وضربهم*، فدهى الناس بهذه النازلة التى لم يصابوا بمثلها ولا ما يقاربها.

* المعلم يعقوب يلتزم بجمع المال.

* التعسف فى جمع الأموال.

ومضى عيد النحر ولم يلتفت إليه أحد بل ولم يشعروا به، ونزل بهم من البلا والذل ما لا يوصف، فإن أحد الناس غنياً كان أو فقيراً لابد وأن يكون من ذوى الصنايع أو الحرف فيلزمه دفع ما وزع عليه فى حرفته أو حرفتيه وأجرة داره أيضاً سنة كاملة فكان يأتي على الشخص غرامتان أو ثلاثة ونحو ذلك.



وفرغت الدراهم من عند الناس واحتاج كل إلى القرض فلم يجد الداين من يدينه لشغل كل فرد بشأنه ومصيبته، فلزمهم بيع المتاع فلم يوجد من يشترى وإذا أعطوهم ذلك لا يقبلونه، فضاق خناق الناس وتمنوا الموت فلم يجدوه، ثم وقع الترجى فى قبول المصاغات والفضيات فأحضر الناس ما عندهم فيقوم بأبخس الأثمان، وأما أثاثات البيوت من فرش ونحاس وملبوس فلا يوجد من يأخذه، وأمروا بجمع البغال ومنعوا المسلمين من ركوبها مطلقا سوى خمسة أنفار من المسلمين وهم الشرقاوى والمهدى والفيومى والأمير وابن محرم والنصارى المترجمين، وخلافهم لا حرج عليهم.

وفى كل وقت وحين يشتد الطلب وتنبث المعينون والعسكر فى طلب الناس وهجم الدور وجرجرة الناس حتى النسا من أكابر وأصاغر وبهدلتهم وحبسهم وضربهم والذى لم يجدوه لكونه فر وهرب يقبضون على قريبه أو حريمه أو ينهبون داره، فإن لم يجدوا شياً ردوا غرامته على أبنا جنسه وأهل حرفته، وتطاولت النصارى من القبط والنصارى الشوام على المسلمين بالسب والضرب ونالوا منهم أغراضهم وأظهروا حقدهم ولم يبقوا للصلح مكانا، وصرحوا بانقضا ملة المسلمين وأيام الموحدين.

هذا والكتبة والمهندسون والبناءون يطوفون ويحررون أجر الأماكن والعقارات والوكايل والحمامات ويكتبون أسما أربابها وقيمتها، وخرجت الناس من المدينة وجلوا عنها وهربوا إلى القرى والأرياف.

وكان ممن خرج من مصر صاحبنا النبيه العلامة الشيخ حسن* [العطار] المشار إليه فيما تقدم فتوجه لجهة الصعيد وأقام بأسيوط فأقام بها نحو ثمانية عشر شهراً، وكان كثيراً ما يراسلني بالمكاتبة ويبالغ فى ذلك لتشوقه إلى مصر، ومن جملة رسايله وقد كنت أرسلت له كتابا فأجاب بقوله:

* الشيخ حسن العطار يهرب إلى الصعيد ويراسل الجبرتى.

قد وصل إلى أعزك الله كتابك الذى برد بوروده لهيب الحشا وأودع من البلاغة ما نطق بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشا فهو كالبرد الموشى والروض الذى هو بلآلىء الزهور مغشى، جا مفصحاً عن بلاغة وبراعة منبياً عن قريحة لدى تحرير القول وتحبيره منقادة مطواعة:

ففى كل سطر منه شطر من المنى
وفى كل لفظ منه عقد من الدر


* مدينة اسيوط.

فلله هو من كتاب جمع محاسن الخطاب وحرك عندى ما كان كامنا فى الفؤاد، وأضرم فى الحشا نار الهوى كورى الزناد، وطال ما كنت متشوقا لأخبار، ومتشوقا لاستعلام أحوال وآثار، فجاء كتابك يا سيدى شافيا عليل التذكر، مبردا عليل التشوق والتفكر، سرت حميا ألفاظه فى فؤاد المشروق، وقعت عنده موقع العاشق من المعشوق، فياله من كتاب أخبر عن محاسن الأحبة، قال له القلب حين مازجه وحبه، إنه أحاديث نعمان وساكنه، وهات حدّث عن نجد

وقاطنه، تلك شئون طال بها العهد، وانجر عليها ذيل الحوادث وامتّد، وما كنت أوثر أن يمتد بى الزمان، حتى أرى الأسفار تتلاعب بى كالكرة فى ميدان البلدان، وحصل فى القهر بخروجى من القاهرة؛ وأغبرّ أخضر أيامى الزاهرة ولقد ألجأتنى خطوب الأغتراب وأخطرتنى شئون السفر الذى هو قطعة من العذاب، إلى التقلب فى قوالب الاكتساب، والتلبيس بتلبيس الانتساب؛ وإخفا معالم المجى والذهاب.

فطوراً شيخ زاوية وكفر
وأخرى كاتب فى باب والى

أسلك الوفاق مع الرفاق ولا أركب المشاق بجلب الشقاق

طوراً يمان إذا لاقيت ذايمن
وإن رأيت معدياً فعدنانى

وبهذا وأشباهه تم الدست وثبت حبل الحبالة آمنا من السبت، بأخذى بالتخلق بأخلاق من عاصرنا من أبنا الدهر الذى حلبوا أشطره، ومارسوا أخضر العيش وأغبره، حتى انطبعت فى مرآة عقولهم حقايق الأشيا ولاحت لهم أكنتها بغير خفا، وغير خاف أن الماء يمازج اللبن والراح، وكما يكون به الخنق يكون به الارتياح.

لئن كنت فى بعض المواضع عالما
فللجهل فى بعض المواضع أحوج

وقد كدت من الشوق الذى اجتلبه كتابك أطير إليك بلا جناح، وأركب متن اليم آيبا بالهلك أو النجاح، وكان من أقوى أسباب القدوم مشاهدة طلعتكم المزينة بأزاهر النجوم ولقى أحباب يتفتح بهم باب المسرة ويفوح عبير الرياض التى بعدنا صارت مغبرة، فحين عزمت على السفر وصممت، وأخذت فى الاستعداد وتأهبت، حدثت عوايق فى الطريق وموانع، ولا وزر مما قضى الله شافع، بسبب الكرتينات التى هى من البلاء والآفات، أقيمت كالشجا فى فم البر والبحر، بداعية أمر الطاعون الذى يتلى علينا من حديث سورة الانشقاق والفجر، وحلوله بالقاهرة وضواحيها، وانتشاره فى أرجاها ونواحيها، وكل هذا هين بالنسبة للمتوقع التى كادت الأفئدة من أصغره تنقطع، وبه كان فراقى للوطن ونبوّى من الأهل والسكن، فحينئذ تحققت أن لا خلاص من هذه البلاد ولات حين مناص، إذ لا يلدغ المسلم من جحر مرتين، ولا يكر العاقل على نفسه بالندامة كرتين، فراجعت نفسى عما عزمت عليه من السفر، وأشفقت عليها من ورود موارد الخطل والخطر، وخاطبت ما هجس فى البال من السفر والارتحال، الذى قواه مطالعة كتابك وأيقظه من رقدته سحر خطابك:

طرقتك صايدة القلوب وليس ذا
وقت الزيارة فارجعى بسلام

ثم أطال فى أغراض أخر وجال فى أساليب الكلام وفنونه.

ثم إن أكثر الفارين رجع إلى مصر لضيق القرى وعدم ما يتعيشون به فيها وانزعاج الريف بقطاع الطريق والعرب والمناسر بالليل والنهار والقتل فيما بينهم وتعدى القوى على الضعيف، واستمرت الطرق مجفرة والأسواق معفورة، والحوانيت مقفولة والعقول مخبولة، والخانات والوكايل مغلوقة، والنفوس مطبوقة، والغرامات نازلة والأرزاق عاطلة والمطالب عظيمة والمصايب عميمة، والعكوسات مقصودة والشفاعات مردودة، وإذا أراد الإنسان أن يفر إلى أبعد مكان وينجو بنفسه ويرضى بغير أبناء جنسه، لا يجد طريقا للذهاب وخصوصا من الملاعين الأعراب، الذين هم أقبح الأجناس وأعظم بلاء محيط بالناس، وبالجملة فالأمر عظيم والخطب جسيم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم «وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم [شديد*]».

* سورة هود آية ١٠١.

وفى عشرينه انتقلوا بديوان الفردة من بيت البارودى إلى بيت القيسرلى بالميدان، ووقع التشديد فى الطلب والانتقام بأدنى سبب، وانقضى هذا العام وما جرى فيه من الحوادث العظام بإقليم مصر والشام والروم والبيت الحرام.

---

## (موجز لأحداث العام الماضى)

* تعطيل الثغور وحركة التجارة الخارجية بسبب حصار الأسطول الانجليزى.

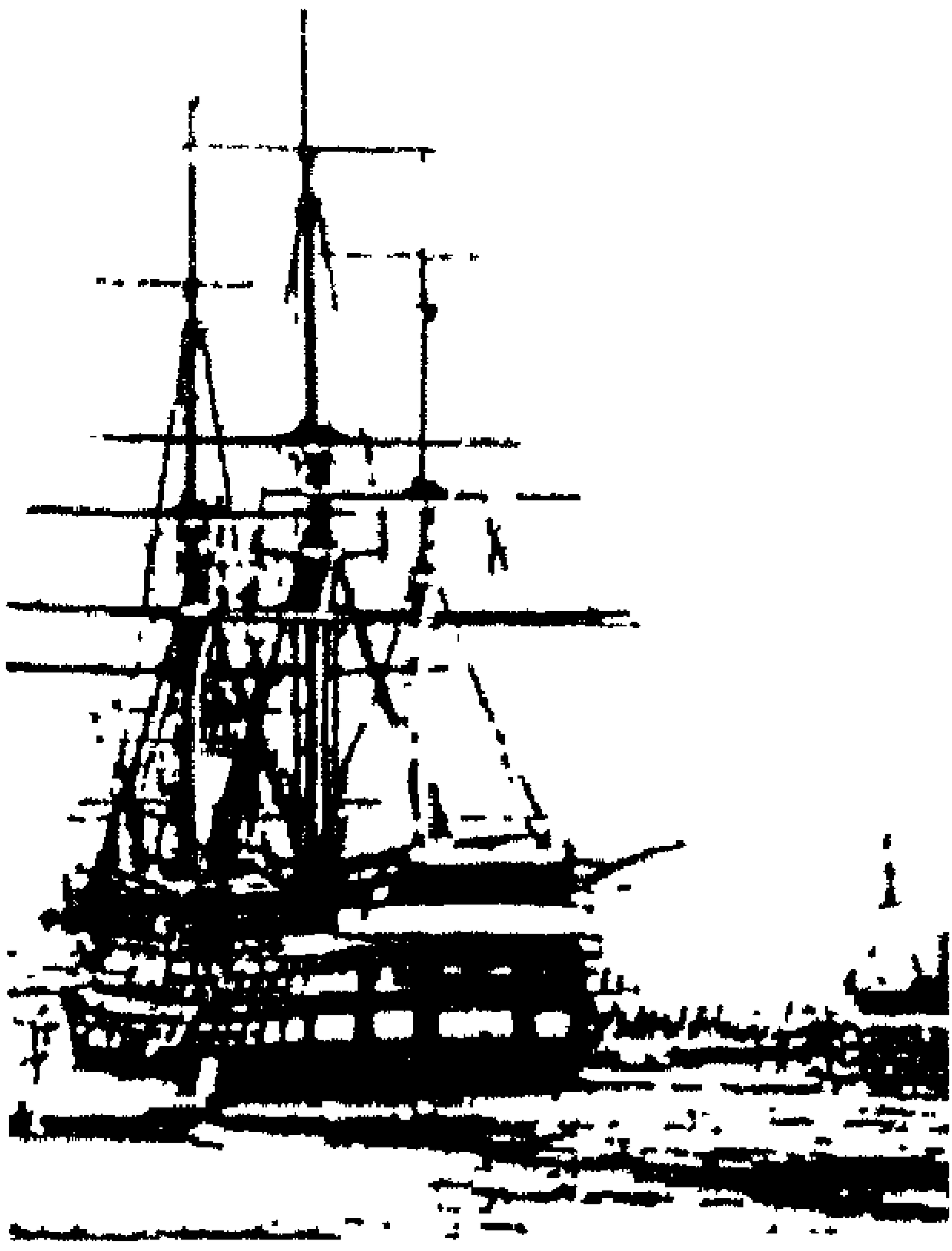
فمنها وهو أعظمها تعطيل الثغور ومنع المسافرين برا وبحرا، ووقوف الإنكليز بثغر إسكندرية ودمياط يمنعون الصادر والوارد، وتخطوا أيضاً بمراكبهم إلى بحر القلزم.

* ومنها انقطاع الحج المصرى فى هذا العام أيضا حتى لم يرجع المحمل بل كان مودوعا بالقدس، فلما حضر العساكر الإسلامية أحضروه صحبتهم إلى بلبيس، فيقال إن السيد بدر أرجع به إلى جبل الخليل.

* تعطيل الحج المصرى.

* ومنها وقوف العرب وقطاع الطريق بجميع الجهات القبلية والبحرية والشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والدقهلية وساير النواحى، فمنعوا السبيل ولو بالخفارة وقطعوا طريق السفار، ونهبوا المارين من أبنا السبيل والتجار، وتسلطوا على القرى والفلاحين وأهالى البلاد والحوف بالعرى والخطف للمتاع والمواشى من البقر والغنم والجمال والحمير وإفساد المزارع ورعيها، حتى كان أهل البلاد لا يمكنهم الخروج ببهايمهم إلى خارج القرية للرعى أو للسقى لترصد العرب لذلك.

* العرب وقطاع الطرق ينهبون كل أطراف مصر وقراها.



* الاسطول الانجليزى يحاصر الشواطىء المصرية.

ووثب أهل القرى على بعضهم بالعرب فداخلوهم وتطاولوا عليهم وضربوا عليهم الضرايب، وتلبسوا بأنواع الشرور واستعان بعضهم على بعض وقوى القوى على الضعيف وطمعت العرب فى أهل البلاد وطالبوهم بالثارات والعوايد القديمة الكاذبة، وآن وقت الحصاد فاضطروا لمسالمتهم لقلة الضم، فلما انقضت حروب الفرنسيس نزلوا إلى البلاد واحتجوا عليهم بمصادقتهم العرب فضربوهم وسبوهم وطالبوهم بالمغارم والكلف الشاقة، فإذا انفضوا وانتقلوا عنهم رجعت العرب على أثرهم، وهكذا كان حالهم «وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون»*.

* سورة هود آية: ١١٦.

* ضعف فيضان النيل.

* ومنها أن النيل قصر مده فى هذه السنة فشرقت البلاد وارتحل أهل البحيرة إلى المنوفية والغربية، فاستحسن رحيل عربان البحيرة لأنه بقى لهم فى الحى نخيل.

* ومنها أنه لما حضرت العثمانية وشاع أمر الصلح وخضوع الفرنساوية لهم، نزل طايفة من الفرنسيس إلى المنوفية وطلبوا من أهلها كلفة لرحيلهم، فلما مروا بالمحلة الكبيرة تعصب أهلها واجتمعوا إلى قاضيها وخرجوا لحربهم فأكمن الفرنسيس لهم وضربوا عليهم طلقا بالمدافع والبنادق فقتلوا منهم نيفا وستماية إنسان، ومنهم القاضى وغيره ولم ينج منهم إلا من فر وكان طويل العمر.

* الفرنساوية تهاجم طنطا وتطلب الفرده من خدم مسجد السيد البدوى.

وكذلك أهل طنتدا عند حضورهم إليهم وصل إليهم رجل من الجزارين المنتسبين للعثمانية من جهة الشرق لزيارة سيدى أحمد البدوى وهو راكب على فرس وحوله نحو خمسة أنفار، وكان بعض الفرنسيس بداخل البلدة يقضون بعض أشغالهم فصاحت السوقة والبياعون عند رؤية ذلك الرجل بقولهم نصر الله دين الإسلام، وهاجوا وماجوا ولقلقت النسا بألسنتهن وصاحت الصبيان وسخروا بالفرنسيس وتراموا بما على روسهم وضربوهم وجرحوهم وطردوهم فتسحبوا من عندهم فغابوا ثلاثة أيام ورجعوا إليهم بجمع من عسكرهم ومعهم الآلات من المدافع فاحتاطوا بالبلدة وضربوا عليهم مدفعا ارتجوا له ثم هجموا عليهم ودخلوا إليهم وبأيديهم السيوف المسلولة ويقدمهم طبلهم وطلبوا خَدَمة الضريح الذين يقال لهم أولاد الخادم وهم ملتزمو البلدة وأكابرها ومتهمون بكثرة الأموال من قديم الزمان.

وكانوا قبل ذلك بنحو ثلاثة أشهر قبضوا عليهم بإغرا القبط وأخذوا منهم خمسة عشر ألف ريال فرانسة بحجة مسالمتهم للعرب ، فلما وصلوا إلى دورهم طلبوهم، فلم يمكنهم التغيب خوفا على نهب الدور وغير ذلك، فظهروا لهم فأخذوهم إلى خارج البلد وقيدوهم وأقاموا نحو خمسة أيام خارجها يأخذون فى كل يوم ستماية ريال سوى الأغنام والكلف، ثم ارتحلوا وأخذوا المذكورين صحبتهم إلى منوف وحبسوهم أيامًا ثم نقلوهم إلى الجيزة أيام الحرابة بمصر، فلما انقضت تلك الأيام وسرحوا فى البلاد نزلت طايفة إلى طنتدا وهم بصحبتهم وقرروا عليهم أحد وخمسين ألف ريال فرانسة، وعلى أهل البلدة كذلك بل أزيد وأقاموا حول البلد محافظين عليهم، وأطلقوا بعضهم وحجزوا المسمى بمصطفى الخادم لأنه صاحب الأكثر فى الوظيفة والالتزام وطالبوه بالمال، وفى كل وقت ينوعون عليه العقاب والعذاب والضرب حتى على كفوف يديه ورجليه، ويربطونه فى الشمس فى قوة الحر والوقت مصيف وهو رجل جسيم كبير الكرش فخرجت له نفاخات فى جسده ثم أخذوا خليفة المقام أيضًا وذهبوا به إلى منوف ثم ردوه وولوه رياسة جمع الدراهم المطلوبة من البلد. فوزعت على الدور والحوانيت والمعاصر وغير ذلك، واستمروا على ذلك إلى انقضا العام، حتى أخذوا عساكر* المقام وكانت من ذهب خالص زنتها نحو خمسة آلاف مثقال.

* عساكر المقام: هى أربعة كتل من الذهب على هيئة رأس العسكرى مقامة على الزوايا الأربع للمقام.

وأما المحلة الكبرى فإنهم رجعوا عليها وقرروا عليها نيفا ومائة ألف فرانسه وأخذوا فى تحصيلها وتوزيعها: وهجموا دورها وتتبع المياسير من أهلها.

كل ذلك مع استمرار طلب الكلف الشاقة فى كل يوم منها ومن طنتدا، والتعنت عليهم وتسلط طوايف الكشوفية التابعين لهم الذين هم أقبح فى الظلم من الفرنسيس بل ومن العرب فإنهم معظم البلا أيضًا، فإنهم هم الذين يعرفون دسايس أهل البلاد ويشيعون أحوالهم ويتجسسون على عوراتهم ويغرون بهم، واستمروا على ذلك أيضا، «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون*» .

* سورة الأعراف آية (٥).

* ومنها أنه لما وقع الصلح بين العثمانية والفرنساوية أرسل الوزير فرمانات للثغور بإطلاق [الأساطيل] وحضور المراكب والتجار بالبضايع وغيرها إلى ثغر اسكندرية وصحبتها ثلاثة غلايين سلطانية وسفن مشحونة بالذخيرة لحضرة الوزير ولوازم العسكر العثمانى، فلما قربوا من الثغر أقاموا البنديرات وضربوا مدافع للشنك فطمعهم الفرنساوية وأظهروا لهم المسالمة وأظهروا لهم بنديرة العثمانى فدخلوا إلى المينا ورموا مراسيهم ووقعوا فى فخ الفرنسيس فاستولوا على الجميع، وأخذوا مدافعهم وسلاحهم وحبسوا القباطين وأعيان التجار وأخذوا الملاحين والمتسببين من البحرية والنصارى الأروام وهم عدة وافرة أعطوهم سلاحا وزيوهم بزيهم، وأضافوهم إلى عسكرهم وأرسلوهم إلى مصر فكانوا أقبح مذكور فى تسلطهم على إيذاء المسلمين، ثم أخرجوا شحنة المراكب من بضايع ويميش وحازوه بأجمعه لأنفسهم، وبقى الأمر على ذلك وكان ذلك فى أواسط شهر القعدة.

* ومنها أنه بعد نقض الصلح أرسل الفرنسيس عسكراً إلى متسلم السويس* الذى كان تولاها من طرف العثمانية فتعصب معه أهل البندر فحاربوهم فغلبهم الفرنسيس وقتلوهم عن آخرهم ونهبوا البندر وما فيه من البن والبهار بحواصل التجار وغير ذلك.

* استيلاء الفرنساوية على ثغر السويس.

* ومنها أن مراد بك عند توجهه للصعيد بعد انقضا الصلح أخذ ما جمعه درويش باشا من الصعيد من أغنام وخيول وميرة وكان شيأ كثيراً ، فتسلم الجميع منه وعدى درويش باشا إلى الجهة الشرقية متوجها إلى الشام وأرسل مراد بك جميع ذلك للفرنساوية بمصر.

* ومنها أيضًا أنه بعد انقضا المحاربة واستيلا* الفرنسيس على المخازن والغلال التى كان جمعها العثمانية من البلاد الشرقية وبعض البلاد الغربية والقليوبية وكذلك الشعير والأتبان، طلب الفرنساوية مثل ذلك من البلاد وقرروا على النواحى غلالا وشعيرا وفولا وتبنا وزادوا خيلا وجمالا فوقع على كل إقليم زيادة عن ألف فرس وألف جمل سوى ما يدفع مصالحة على قولها للوسايط وهو نحو ثمنها أو أزيد، وكذلك التعنت فى نقض الغلال وغربلتها وغير ذلك وكل ذلك بإرشاد القبطة وطوايف البلاد لأنهم هم الذين تقلدوا المناصب الجليلة وتقاسموا الأقاليم والتزموا لهم بجمع الأموال، ونزل كل كبير منهم إلى إقليم وأقام بسرة الإقليم، مثل الأمير الكبير ومعه عدة من العساكر الفرنساوية، وهو فى أبهة عظيمة وصحبته الكتبة والصيارف والأتباع والأجناد من الغز البطالة وغيرهم، والخيام والخدم والفراشون

* تعنت الفرنساوية فى جمع الأموال من أهالى البلاد.

والطباخون والحجاب، وتقاد بين يديه الجنايب والبغال والرهوانات والخيول المسومة والقواسة والمقدمون وبأيديهم الحراب المفضضة والمذهبة والأسلحة الكاملة والجمال الحاملة ويرسل إلى ولايات الإقليم من جهته المستوفين من القبط أيضا بمنزلة الكشاف، ومعهم العسكر من الفرنساوية والطوايف والجاويشية والصرافين والمقدمين على الشرح المذكور، فينزلون على البلاد والقرى ويطلبون المال والكلف الشاقة بالعسف ويؤجلونهم بالساعات، فإذا مضت ولم يوفوهم المطلوب حل بهم ما حل من الحرق والنهب والسلب والسبى، وخصوصا إذا فر مشايخ البلدة من خوفهم وعدم قدرتهم وإلا قبضوا عليهم وضربوهم بالمقارع والكسارات على مفاصلهم وركبهم وسحبوهم معهم فى الحبال وأذاقوهم أنواع النكال، وخاف من بقى فصانعوهم وأتباعهم بالبراطيل والرشوات، وانضم إليهم الأسافل من القبط والأراذل من المنافقين وتقربوا إليهم بما يستميلون قلوبهم به وما يستجلبونه لهم من المنافع والمظالم وأجهدوا أنفسهم فى التشفى من بعضهم وما يوجبه الحقد والتحاسد الكامن فى قلوبهم إلى غير ذلك مما يتعذر ضبطه «وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون(*)».

* سورة القصص آية ٥٨.

## وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر

٦٠٥/ عبد العليم بن محمد

* مات الإمام الفاضل الصالح العلامة الشيخ عبد العليم بن محمد بن محمد بن عثمان المالكى الأزهرى الضرير، حضر دروس الشيخ على الصعيدى رواية* ودراية فسمع عليه جملة من الصحيح والموطأ والشمايل والجامع الصغير

* رواية ودراية: الرواية: الذى يروى عن غيره حديثا أو شعرا أو علما. والدراية العلم بالشى والتفقه فيه.

ومسلسلات ابن عقيلة، وروى عن كل من الملوى والجوهرى والبليدى والسقاط والمنير والدردير والتاودى بن سودة حين حج، ودرس وأفاد، وكان من البكايين عند ذكر الله سريع الدمعة كثير الخشية، وكان يعرف أشيا فى الرقى والخواص وفوايد القرينة وأم الصبيان، ثم ترك ذلك لرؤيا منامية رآها وأخبرنى بها، توفى فى هذه السنة ودفن ببستان المجاورين.

* ومات العمدة الفاضل والنبيه الكامل صاحبنا العلامة الوجيه الشيخ شامل أحمد بن رمضان بن سعود الطرابلسى المقرى الأزهرى، حضر من بلده طرابلس الغرب إلى مصر فى سنة إحدى وتسعين، وجاور بالأزهر وكان فيه استعداد، وحضر دروس الشيخ أحمد الدردير والبيلى والشيخ أبى الحسن الغلقى، وسمع على شيخنا السيد مرتضى [الزبيدى] المسلسل بالأولية وغير المسلسل أيضا وأخذ منه الإجازة فى سنة اثنتين وتسعين. ٦٠٦/ شامل أحمد بن رمضان.

ولما مات الخواجا حسن البنانى من تجار المغاربة فتوصل إلى أن تزوج بزوجته بنت الغريانى وسكن بدارها الواسعة بالكعكيين، وتجمل بالملابس وتودد للناس بحسن المعاشرة ومكارم الأخلاق، وكان سموح النفس جدا، دمث الطباع والأخلاق جميل العشرة.

ولما عزل السيد عبد الرحمن السفاقسى الضرير من مشيخة رواقهم كان المترجم هو المتعين لذلك دون غيره، فتولى مشيخة الرواق بشهامة وكرم ونوه بذكره وزادت شهرته، وكان وجيها طويل القامة بهى الطلعة بشوشا.

ولما تولى مشيخة الرواق امتدحه صاحبنا الشيخ حسن العطار بقصيدة أشار فى مطلعها إشارة خفية لحالته مع المترجم المتولى، والسيد عبد الرحمن المعزول لصداقة بينه وبين المتولى بخلاف المعزول وأول القصيدة:

انهض فقد ولت جيوش الظلام
وأقبل الصبح سفير اللثام
وغنت الوُرْق على أيكها
تنبه الشرب لشرب المدام
والزهر أضحى فى الربا باسما
لما بكت بالطل عين الغمام
والغصن قد ماس بأزهاره
لما غدت كالدر فى الانتظام
وعطر الروض مرور الصبا
على الرياحين فأبرى السقام
كأنما الورد على غصنه
تيجان إبريز على حسن هام
كأنما الغدران خلجان أغصـ
ان النقا والنهر مثل الحسام
كأن منظوم الزراجين يا
قوت غدا من نظمه فى انسجام
كأنما الآس عذار على
وجنته وقد علاها ضِرام
كأنما الورقاء لما شدت
تتلو علينا فضل هذا الإمام


الجبرتى/ سنة ١٢١٤م

ثم استمر فى مدحه وهى طويلة مسطرة بديوان المذكور يقول فى آخرها:

بشراك مولانا على منصب
كان له فيك مزيد الهيام
وافاك إقبال به دايما
وعشت مسعودا بطول الدوام
فقد رأينا فيك ما نرتجى
لا زلت فينا سالما والسلام

ولماحصلت واقعة الفرنسيس خرج تلك الليلة مع الفارين وذهب إلى بيت المقدس، وتوفى هناك فى هذه السنة.

[٦٠٧] الحسن بن على البدرى العوضى.

* ومات السيد الأفضل والسند الأكمل المقرى ابن المقرى والفهامة الذى بكل فن على التحقيق يدرى، بدر أضا فى سما العرفان وعارف وضح دقايق المشكلات بإتقان، فلله دره من فاضل أبرز درر اللطايف من كنوزها، وكشف عن مخدرات الفهوم لثامها فأظهر الأنفس من نفيسها والأعز من عزيزها، فلا غرو فإنه بذلك حقيق، كيف لا وما ذكر من بعض صفاته التى به تليق، العلامة الشريف الحسن بن على البدرى العوضى، ربى فى حجر أبيه وحفظ القرآن والمتون، وأخذ عن أبيه علم القراءات، وأتقن القراءات الأربعة* عشر بعد أن أتقن العربية والفقه وباقى العلوم، وحضر أشياخ الوقت وتمهر وأنجب، وقرا الدروس ونظم الشعر الجيد وشهد له الفضلا، وله ديوان مشهور بأيدى الناس، وامتدح الأعيان، وبينه وبين الصلاحى وقاسم بن عطا الله مطارحات ذكرنا منها طرفا فى ترجمتهما، ومن مطارحات

* مع أن القرآن دُون فى مصحف عثمان لم يتحول الأساس فى تلاوته يومًا إلى الأعتماد على المصحف المكتوب، بل ظل الاعتماد منذ وجود الرسول عليه السلام على الرواية بالسند الصحيح المتواتر عنه. فالأساس دائما الرواية عن الرسول، وقد تلقاه شفويًا عنه صحابته، وعنهم تلقاه التابعون. ثم تكاثر فى الأمصار خلفاء الجيل الأول من التابعين يتقدمهم أبو

العالم العلامة شيخ الوقت الشيخ محمد الأمير حفظه الله للمذكور قوله:

حى الفقيه للشافعى وقل له
ما ذلك الحكم الذى يستغرب
نجس عفوا عنه ولو خالطه
نجس فإن العفو باق يصحب
وإذا طرا بدل النجاسة طاهر
لا عفو يا أهل الذكا تعجبوا

فأجاب المترجم بقوله:

حييت إذ حييتنا وسألتنا
مستغربا من حيث لا يستغرب
العفو عن نجس عراه مثله
من جنسه لا مطلقا فاستوعبوا
والشى ليس يصان عن أمثاله
لكنه للأجنبى يجنب
وأراك قد أطلقت ما قد قيدوا
وهو العجيب وفهم ذلك أعجب

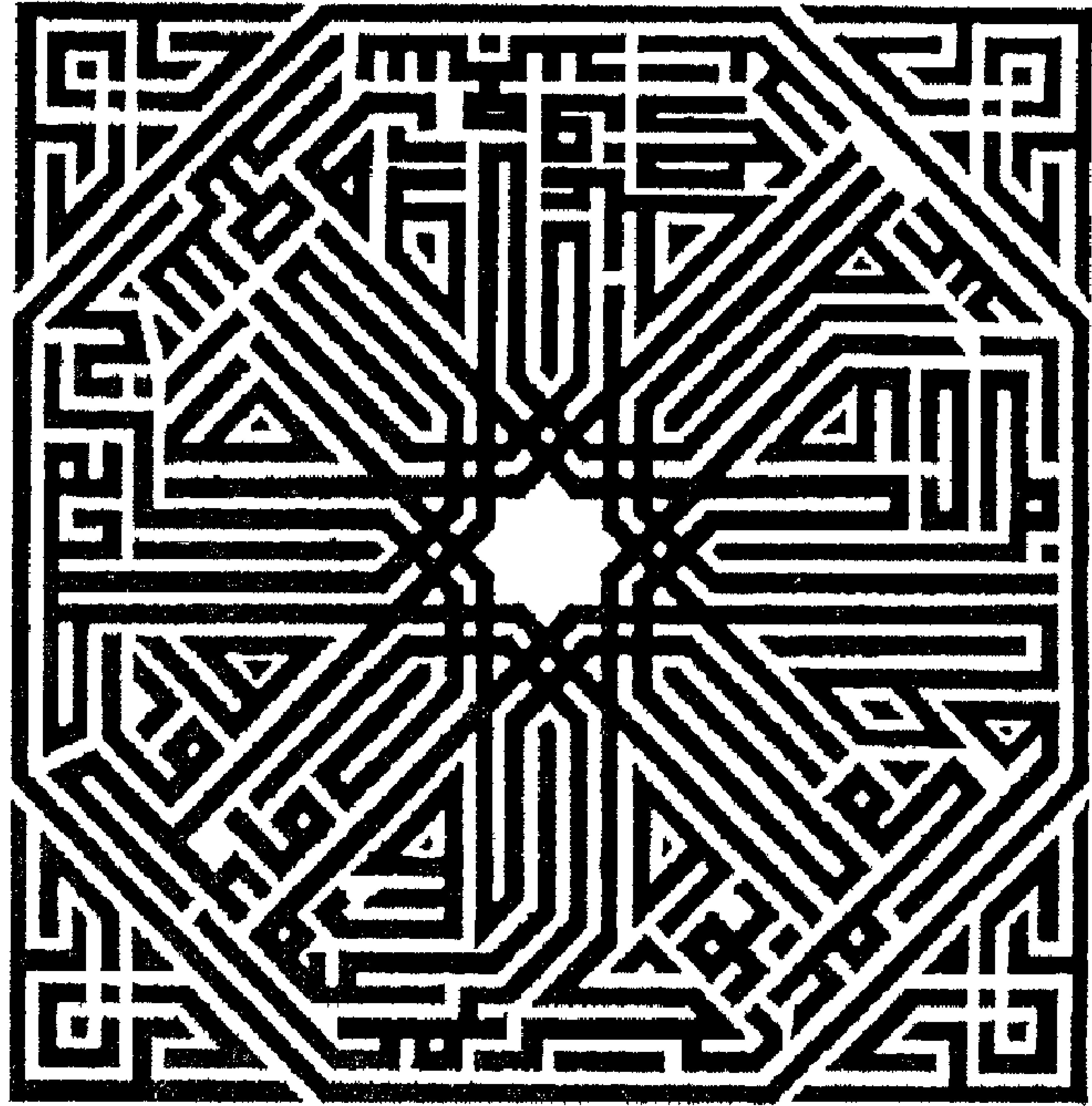
ومن نظمه مورخا لمولد السادات بنى الوفا قوله:

قصدناكم فأثنينا عليكم
بأجمل مدحة وأجل صيغه
وشاهدنا الذى جددتموه
فأرخنا موالدكم بليغه

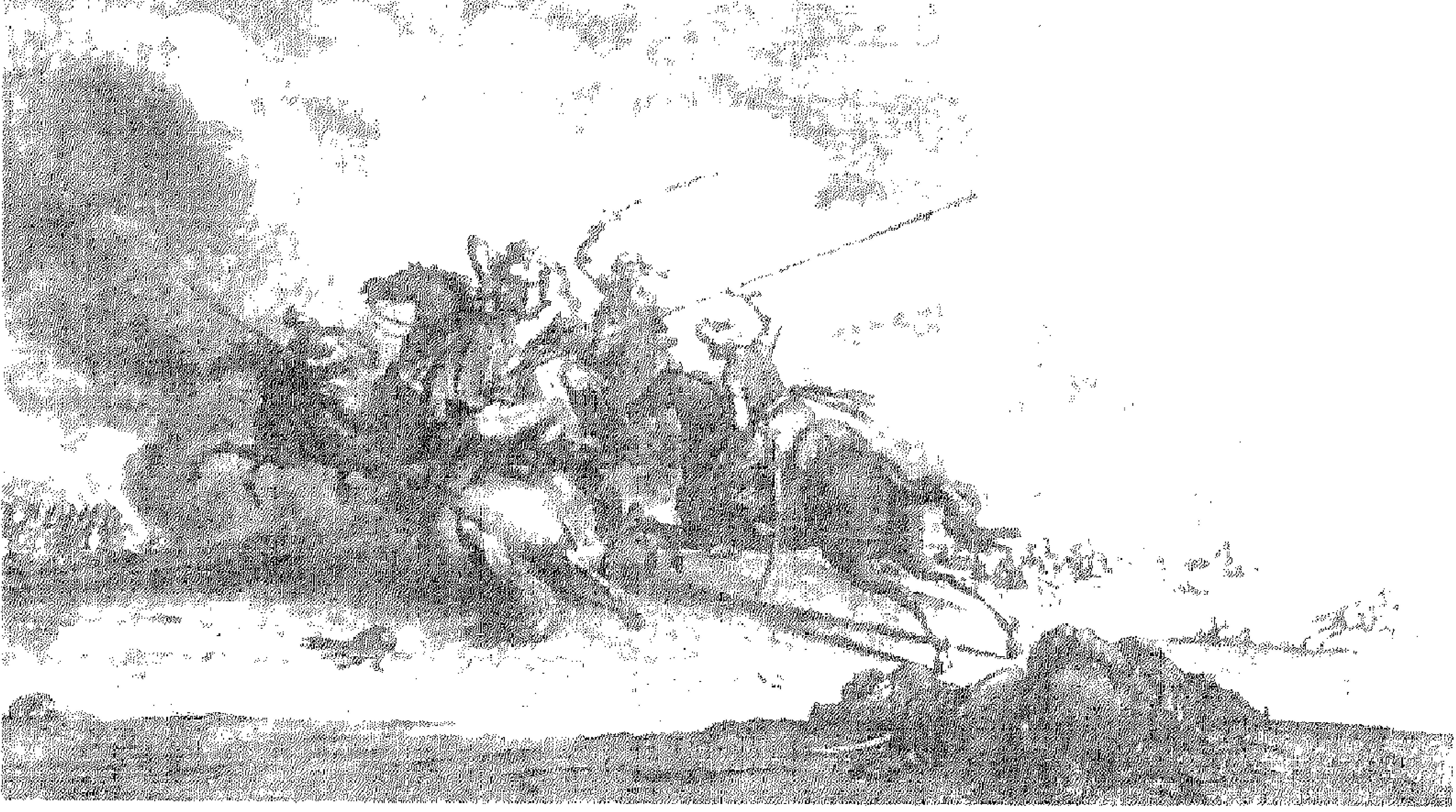
جعفر يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة النابهين، ونافع أحد القراء السبعة، ومحمد بن عبد الرحمن بن محيصن أحد القراء الأربعة عشر.
ولم يكن علماء القراءات قد تواضعوا على أئمة بأعيانهم يحملون عنهم وحدهم القرآن، وظل الأمر كذلك إلى أن ظهر ابن مجاهد فحدد القراء السبعة فى كتابه المشهور «السبعة فى القراءات» وهم: نافع، ابن كثير، عاصم، حمزة، الكسائى، أبا عمرو بن العلاء، عبد الله بن عامر.
ومن بعده حاول نفر من علماء اللغة والنحو أن يتميزوا بقراءة خاصة على نحو ما حاول القراء، مما جعل هؤلاء الأئمة يتكاثرون، حتى لنرى أبا عبيد القاسم ابن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ يصنف كتابا يجمع فيه قراءات خمسة وعشرين إماما سوى السبعة المشهورين عند ابن مجاهد.
انظر: كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد. تحقيق: د. شوقى ضيف. دار المعارف ط. ثانيه ١٩٨٠.

وله مدايح فى الأستاذ أبى الأنوار بن وفا قصايد طنانة وغير ذلك وهو كثير مذكور بديوانه، وله أيضاً تآليف وتقييدات وتحقيقات ورسايل فى فنون شتى. ورسالة بليغة فى قوله تعالى: «استكبرت أم كنت من العالين*» وكان الباعث له على تأليفها مناقشة حصلت بينه وبين الشيخ أحمد يونس الخليفى فى تفسير الآية بمجلس على بك الدفتردار فظهر بها على الشيخ المذكور، وأجازه الأمير المذكور بأن رتب له تدريسا بالمشهد الحسينى، ورتب له معلوما بوقته، وقدره كل يوم عشرة أنصاف فضة يستغلها من جانب الوقف فى كل شهر واستمر يقبضها حتى مات فى شعبان من هذه السنة رحمه الله، ولم يخلف بعده مثله فى الفضايل والمعارف.

* سورة «ص» آية ٧٥.



# ملاحـــق



* معارك الفرنساوية فى الوجه القبلى.

## ملحق ( ١)

## العمليات العسكرية الفرنسية فى صعيد مصر بين عامى ١٧٩٨/ ١٧٩٩م

لم يفرد الجبرتى مساحة كافية للعمليات العسكرية الفرنسية فى صعيد مصر ولذلك أوردت هذا الملحق لإتمام الاستفادة .

إلى القارى أولاً كل ما جاء فى الجبرتى متقطعًا عن المحاربات فى الصعيد قال: «انه فى يوم الأربعاء أول ربيع الثانى سنة ١٢١٣ وردت الأخبار بأن مراد بك ومن معه لما بلغهم ورود الفرنسيس عليهم رجعوا إلى جهة الفيوم وأن عثمان بك الأشقر عدا إلى البر الشرقى وذهب من الخلف إلى أستاذه إبراهيم بك بغزه وخرج جماعة من الفرنسيس إلى جهة الشرق ومعهم عدة جمال بأحمالها ولم يلحقوهم.

وفى ليلة الأحد ١٢ منه ركب كبير الفرنسيس إلى بر الجيزة وسفر عساكر إلى الجهة التى بها مراد بك وذهبوا إليه ببحر يوسف جهة الفيوم. وفى يوم الثلاثا سافر أيضًا جماعة من الفرنسيس إلى جهة مراد بك ومن معه والتقوا معهم وتراموا ساعة ثم انهزموا عنهم واطمعوهم فى أنفسهم فتتبعوهم إلى أسفل جبل اللاهون ثم خرجوا عليهم على مثل حالهم رجالا وتراموا معهم وكمنوا لهم وثبتوا معهم وظهر عليهم المصريون وقتل من الفرنسيس مقتلة كبيرة.

وجاء فى حوادث شهر جمادى الأولى قوله: «وفى يوم الخميس أول جمادى الأولى قدمت مراكب من جهة الصعيد وفيها عدة من العسكر

جرجى. وفى أول شعبان جاءت الأخبار أن مراد بك ومن معه سافروا إلى قبلى ووصلوا إلى عقبة الهوا وكلما قرب منهم عساكر الفرنسيس انتقلوا إلى قبلى وقد داخلهم خوف شديد ولم تقع بينهم ملاقاة ولا قتال.

وجاء فى حوادث شهر رجب تواترت الأخبار من ابتداء شهر رجب بأن رجلا مغربيًا يقال له الشيخ الكيلانى كان مجاورًا بمكة والمدينة والطائف فلما وردت أخبار الفرنسيس إلى الحجاز وانهم ملكوا الديار المصرية انزعج أهل الحجاز وضجوا بالحرم وجردوا الكعبة وصار هذا الشيخ يعظ الناس ويدعوهم إلى الجهاد ويحرضهم على نصرة الحق والدين وقرأ بالحرم كتابا مؤلفًا فى معنى ذلك فاتعظ جملة من الناس وبذلوا أموالهم وأنفسهم واجتمع نحو الستماية من المجاهدين وركبوا إلى القصير مع من انضم إليهم من أهل ينبع وخلافهم وورد الخبر فى أواخر رجب انه انضم إليهم جملة من أهل الصعيد وبعض الأتراك والمغاربة ممن كان خرج معهم مع غز مصر عند واقعة انبابه وركب الغز معهم أيضًا وحاربوا الفرنسيس فلم يثبت الغز كعادتهم وانهزموا وتبعهم هوارة الصعيد والمتجمعون من القرى وثبت الحجازيون ثم انكفوا نقلتهم وذلك بناحية جرجا وهرب الغز والمماليك إلى ناحية إسنا وصحبتهم حسن بك الجداوى وعثمان بك حسن تابعه ووقع بين أهل الحجاز والفرنسيس بعض حروب غير هذه المرة فى عدة مواضع وانفصل الفريقان بدون طائل» اه.

وظاهر أن الجبرتى لم يكن يعلم شيئًا عن أخبار فتح الفرنسيس لبلاد الصعيد إلا ما يسمعه من أفواه الناس وما يصل من الأخبار المتقطعة إلى القاهرة، وظاهر أيضاً أن هذه المحاربات فى الصعيد بين المماليك والأهالى والعرب من جانب، والفرنسيين من جانب آخر لم تكن متوافرة للجبرتى. ولكن من المعروف انه بعد فرار مراد بك إلى الصعيد وهزيمته فى موقعة امبابه (٢١ يوليه ١٧٩٨) آخذا معه الباقين من جنوده وكان عددهم يبلغ ثلاثة آلاف، فشكل ذلك خطرا على بونابرت، لأنه لن يحس بالآمان فى الدلتا ما دام المماليك مسيطرين على نهر النيل جنوبى القاهرة، إذ كان معنى ذلك أن فى استطاعتهم ـ فى أى لحظة ـ أن يكروا عليه بهجوم مفاجىء من مصر العليا، والواقع أنه كان معروفاً أن مراد بك راح يجمع بالفعل جيشاً جديدا فى صعيد مصر.

ولقد سبق لمراد بك فى زمن مضى أن أقصى على يد الأتراك إلى الصعيد بالقوة، إلا أنه عاد بعد ذلك بالقوة أيضًا منتصرا إلى القاهرة، وكان فى استطاعة مراد بك أن يعتمد إلى حد ما على مساعدات البدو والقبائل التى تعيش فى الصعيد على امتداد ضفتى النيل، إلى جانب أتباعه من المماليك، وبالتالى كان من الممكن أن تتكون لديه قوة كبيرة للقيام بغارات مسلحة على أقاليم الدلتا، وربما أيضا لضرب الحصار على القاهرة نفسها، حيث كان مراد بك على اتصال بالمراسلات مع الساخطين فى مدينتى القاهرة والاسكندرية، ومع زميله إبراهيم بك فى غزة، وبالجزار باشا فى عكا، وبالأسطول الانجليزى المرابط أمام الاسكندرية، وكانت مراسلاته مع هؤلاء تتم بواسطة البدو.

وأصبح بقاء مراد بك بمصر الوسطى والعليا لا يبرحهما أمراً لا يطيقه الفرنسيس حتى ولو لم ينشأ عنه تهديد مباشر لتملكهم القاهرة والدلتا، فما دام مراد حراً طليقاً فسينتظر سكان الأقاليم المحتلة عودته آخر الأمر، سواء أرادوا أو لم يريدوا، وسوف تتأثر نفوسهم بدعاية مراد بك وتستجيب لها إما بالخوف منه، وإما بالتحمس له،أضف إلى ذلك انه كان من الضرورى طرد مراد بك من مصر الوسطى والعليا قبل أن يجد من الوقت متسعاً لجمع الضرائب هناك، لئلا يفلت هذا المورد من الخزانة الفرنسية وهى فى أمس الحاجة إليه. ولا شك فى أن كل هذه الأسباب قد جعلت بونابرت يفكر بنظره الثاقب وهو غارق فى مجالات نشاطه المتباينة الألوان فى إرسال حملة لإخضاع الصعيد لسلطته والقضاء على قوة مراد بك، لأن وجود قوة معادية فى الصعيد يهدد سلطة الحكومة المركزية، ويكون مثابة للمقاومة الأهلية، ويعطل الملاحة فى النيل، ويحبس الغلال على الوجه البحرى فيستهدف سكان القاهرة والدلتا وجنود الحملة للمجاعة.

## بونابرت ومحاولة الاتفاق مع مراد

قبل أن يهم بونابرت بإرسال حملة لإخضاع الصعيد، فكر فى أن يدخر قواته ويمنع الحرب وذلك نظراً للموقف الحرج للحملة فى الوجه البحرى والقاهرة بسبب المقاومة الشعبية، هذا إلى جانب ما ستتعرض له حملته فى صعيد مصر من صعاب تتمثل فى كون بلاد الوجه القبلى مستطيلة ومتباعدة عن بعضها البعض، وتحف بها الصحارى الواسعة فضلا عن وعورة الطرق وصعوبة المواصلات.

لذلك فكر بونابرت فى أن يتبع أسلوب المفاوضة السلمية مع مراد بك على أن يترك له إقليم جرجا وما يليها إلى الشلال، ويكون تابعا للحكومة الفرنسية فيؤدى الخراج الذى كان يخرج من هذه الجهات، وكان المسيو كارلو روستى "Rosetti" قنصل النمسا فى مصر رسول المفاوضة بينهما، فبعث إليه بونابرت بتعليماته فى الرسالة الآتية.

«المعسكر العام بالقاهرة فى ١٤ ترميدور من السنة السادسة (أول أغسطس سنة ١٧٩٨).

«إلى المواطن روستى، عليك أن تذهب سراً إلى مراد بك وتخبره بأنك قدمت لى الرسول الذى أوفده إلى، وأن هذا الرسول قد ترك فى نفسى أثراً سيئًا بثرثرته وأقواله الطايشة، على أننى أدركت أنه قد يجىء الوقت الذى أرى فيه من مصلحتى أن انتفع بخدمات مراد بك، وأن اتخذه عضدا أميناً لى، فلتخبره أنى أقبل إذا تم الاتفاق بيننا أن تبقى مديرية جرجا فى حيازته على أن ينسحب إليها فى مدى خمسة أيام، وأن لا أرسل إليها من ناحيتى أيًا من الجنود، وعليك أن تبلغه كذلك أنه إذا تم الاتفاق مبدئيا على هذه الشروط فمن المحتمل إذا ازددت معرفة به وثقة بمقاصده أن أعاهده على مزايا أكبر، وعليك أن توقع وإياه على معاهدة اتفاق تكتب باللغتين الفرنسية والعربية تكون مؤلفة على وجه التقريب من الشروط الآتية:

المادة الأولى: يستبقى مراد بك معه خمسمائة أو ستمائة من الفرسان تكون عدته فى حكم مديرية جرجا من شلال أسوان إلى ما يلى جرجا شمالا بنصف فرسخ وعليه أن يجعلها فى مأمن من هجمات العرب.

المادة الثانية: يعترف مراد بك بأن يكون فى حكم المديرية المذكورة تابعا لفرنسا وأن يدفع لخزانة الجيش الخراج الذى يجبى منها.

المادة الثالثة: يتعهد القائد العام من ناحيته بألا تحتل جنوده أى جهة من مديرية جرجا وأن يترك إدارتها لمراد بك.

المادة الرابعة: على مراد بك أن يمضى برجاله إلى ما وراء حدود مديرية جرجا فى مدى خمسة أيام، ولا يسوغ لأحد من أتباعه أن يتخطى هذه الحدود إلى مديرية أخرى إلا بإذن من القائد العام».

ولقد زود بونابرت القنصل روستى بتفويض كتابى يخوله حق توقيع المعاهدة مع مراد بك، وتوجه القنصل المذكور إلى مراد بك وأعطاه المكتوب وأفهمه باللسان فكان جواب مراد بك إن هذا الكلام نحن لا نقدر أن نسمعه ولكن قول إلى الجنرال بونابرته يأخذ عساكره ويرجع إلى اسكندرية ونحن ندفع له عشرة آلاف كيس ويتوجه إلى بلاده فإن فعل حقن دماء جنوده ووفر على مشقة محاربته.

وواضح من العرض السابق أن بونابرت كان راغبا فى الاتفاق مع مراد بك وإذا كانت رغبته فى الاتفاق من أجل ادخار قواته، فما هى الأسباب التى جعلت مراد بك يرفض الاتفاق مع بونابرت؟

أغلب الظن أن رفض مراد بك للعرض الفرنسى السالف الذكر ناتج عن الأخبار التى وصلته عن معركة أبو قير (أول أغسطس ١٧٩٨) والتى انتهت بتدمير الأسطول الفرنسى.

ولذلك نجد فى رد مراد بك على بونابرت غطرسة وثقة زائدة بالنفس يبدو أنها ناتجة عن فهم مراد بك أن بونابرت حين عرض عليه هذا العرض قد ضعف فرفضه.

## تحرك حملة الجنرال ديزيه واحتلال بنى سويف

جعل بونابرت الجنرال ديزيه قائداً للحملة على الوجه القبلى، وأصدر بونابرت أمره إلى الجنرال ديزيه بالسير لمقاتلة مراد بك والقضاء على قواته من جهة، واخضاع الوجه القبلى من جهة أخرى، فشرع الجنرال ديزيه فى مغادرة الجيزة وركب سفينة فى ٨ فريكتيدور من العام السادس من التقويم الجمهورى الموافق ٢٥ أغسطس ١٧٩٨، وتحرك مع أول ضوء من اليوم المذكور مع كتيبتين من الصف ٨٨ وكتيبتين من الصف الثانى الخفيف وكتيبتين من المدفعية المرتبطة بفرقته وبعض السفن المسلحة لحراسة الحملة.

ولقد بلغ عدد تلك القوة التى تألفت منها حملة الجنرال ديزيه لإخضاع الصعيد أربعة آلاف جندى، ثلاثة آلاف منهم من المشاة وألف من الخيالة، بالإضافة إلى ما يقرب من مائة مدفع، وأسطول صغير من القوارب، وسرب كبير من الجمال لنقل ما يلزم له على طول الطريق الصاعد مع النهر، وضمت الحملة بين صفوفها عددا من المترجمين والادلاء كما اصطحب الجنرال ديزيه معه المعلم يعقوب القبطى ليدبر لهم الأمور.

وبعد أن تم تجهيز الحملة على النحو السالف الذكر، بدأ ديزيه السير جنوبا لمطاردة مراد بك فى

اليوم الخامس والعشرين من شهر أغسطس عام ١٧٩٨، وسار جزء من الحملة على شاطىء النيل فوصلت إلى أطفيح فى ٢٩ أغسطس، ثم أقلعت السفن الفرنسية من أطفيح ووصلت يوم ٣١ أغسطس إلى بنى سويف واحتلتها بدون مقاومة،وكان مراد بك بعد موقعة امبابة وفراره من الجيزة، قد اجتمع عليه بقية من بقى من المماليك فى الفيوم، وانضم إليه خصومه الذين كانوا فى الصعيد، وكذلك التف حوله عدد عديد من العربان، وبهذا الجيش المكون من المماليك والعربان اتخذ مراد بك مقره عند ناحية البهنسا فى مديرية الفيوم، وكانت معه بقية من بعض السفن الحربية التى سلمت من الحريق فى موقعة امبابة، وهذه سارت فى الليل إلى بلده المنيا واستقرت امامها، وألقت القوارب والمراكب الصغيرة التى تحمل المؤونة والأدوات وبعض مستلزمات المماليك مراسيها فى بحر يوسف بالقرب من «أبو جرج».

وبعد أن احتل الجنرال ديزيه بنى سويف بقى بها عدة أيام يستطلع أخبار المماليك، وينتظر وصول الذخائر والمؤونة من القاهرة، وهناك علم أن مراد بك مرابط فى ناحية البهنسا بين بحر يوسف والجبل، وأنه جمع أسطوله فى هذا البحر يحمل زاده ومؤونته وذخيرته، وكان لابد للوصول إلى موقع مراد بك على بحر يوسف والاستيلاء على أسطوله أن تمضى الحملة فى النيل إلى ديروط وهى مأخذ بحر يوسف، ومن ثم تنحدر فيه إلى أن تلتقى بقوة المماليك، لذلك نجد الجنرال ديزيه بعد أن وفر لوسائله الزاد رحل بحملته حيث وصل إلى أبو جرج فى تمام الساعة السابعة مساء يوم ١٨ فروكيتدور الموافق ٤ سبتمبر ١٧٩٨.

## احتلال البهنسا وتعقب أسطول المماليك إلى أسيوط

عزم ديزيه على أن يكشف مواقع مراد بك وأن يفاجئه براً فى البهنسا، فنزل إلى البر تجاه «أبو جرج» ومعه جزء من الجيش وسارت القوة براً حتى وصلت إلى البهنسا الواقعة على بحر يوسف، وقبل أن تصل إليها شعر مراد بك باقترابها، فأمر بانسحاب أسطوله إلى أسيوط حتى لا يقع فى أيدى الفرنسيين، وأخلى البهنسا فاحتلها ديزيه، ولما علم الجنرال ديزيه من الأهالى أنه توجد اثنتا عشرة من المراكب محملة بالمؤونة والذخيرة على مقربة منه أمر رجاله من الوحدة ٢١ بالاستيلاء على هذه المراكب، فاستولوا عليها رغم النار التى كان يصبها المماليك عليهم، وكان فى هذا المراكب بعض المماليك فلما رأوا أنهم واقعون فى أيدى الفرنسيين ألقوا بأنفسهم إلى الماء، وتمكن الكابتن راب Rapp ياور الجنرال ديزيه أن يجرد اثنين منهم من السلاح بعد مقاومة شديدة لأنهما رفضا التسليم، وكانت أحد عشر من هذه المراكب محملة بالذخيرة والطعام وخاصة بكمية كبيرة من القمح والمركبة الثانية عشرة كانت تحمل سبع قطع مدافع.

وعلم الجنرال ديزيه وهو فى البهنسا أن مراد بك بعد أن أقام فى هذه المدينة شهراً غادرها منذ ثمانية أيام وذهب إلى اللاهون بقرب الفيوم حيث يقيم محمد بك الألفي وبعض المماليك، ولا تزال المواصلات بين اللاهون والبهنسا سليمة، وأن البكوات عثمان رضوان وعمر ومماليك إبراهيم بك الصغير قد كلفوا بالمحافظة على البهنسا بجيش

مؤلف من أربعمائة رجل من المماليك وقبيلتين من العرب، وقد حضر أولئك العرب من أسيوط منذ ثلاثة أيام ، وأمروا بحماية الإمدادات التى تأتى من البلاد إلى البهنسا بطريق بحر يوسف، وفى نفس الوقت علم ديزيه أن العمارة البحرية التى كانت للمماليك فى أبى جرج زحفت إلى الامام لتحمى حركات مراد بك.

ولقد واجه الجنرال ديزيه تحركات المماليك هذه بأن عاد يوم ٧ سبتمبر ١٧٩٨ إلى أبو جرج، حيث انضم إلى مجموعته، ثم تحركت الحملة كلها صاعدة فى النيل، ووصلت يوم ١٢ سبتمبر إلى ديروط الشريف، وفى اليوم التالى اتخذت مكانا عند مدخل بحر يوسف.

وعندما علم ديزيه أن أسطول مراد بك عند أسيوط عزم على أن يستمر جنوبا حتى أسيوط ليستولى على اسطول مراد بك وقد علم أن معظم بحارته من اليونانيين الذين يمكن استمالتهم فدس إليهم رسله لهذا الغرض فى محاولة منه لاستمالتهم إليه، ورحل ديزيه بالجزء الأكبر من قواته قاصدا أسيوط، وترك جزءا من قواته فى ديروط على مدخل بحر يوسف لاحتلال هذا الموقع وحماية الملاحة مع القاهرة، ووصل ديزيه إلى أسيوط يوم ١٤ سبتمبر ١٧٩٨ ، فلم يجد أسطول المماليك الذى تمكن قبل وصول ديزيه من السير جنوبا حتى وصل إلى جرجا، بينما هرب المماليك بمجرد أن علموا باقتراب الفرنسيين منهم.

وعلم ديزيه أن ثلاثة من كشاف سليمان بك وحوالى ثلثماية مملوك وبعض العرب قد تركوا أسيوط وتوجهوا إلى قرية بنى عدى «على بعد ستة فراسخ من أسيوط» مع زوجاتهم وكثير من رجال السفن، ورأى ديزيه أن يفاجئهم فى موقعهم الجديد بعد أن فشل فى محاربتهم فى أسيوط، فتحركت قافلته بهدوء شديد فى مساء يوم ١٧ سبتمبر ١٧٩٨ ووصلت بنى عدى فى صباح اليوم التالى بعد مسيرة شاقة عبر الصحراء، ولم يجد ديزيه فى بنى عدى سوى السكون والخلاء، فقد علم المماليك بتحركات الفرنسيين عن طريق جواسيسهم، وتحركوا فورا بمجرد علمهم بخطتهم، متجهين إلى الصحراء للحاق بزملائهم فى الفيوم.

## رجوع ديزيه إلى الفيوم

انزعج الجنرال ديزيه بعض الشيء عندما علم بتحرك المماليك بزعامة مراد بك إلى إقليم الفيوم الخصيب، ولكنه سعد بتجمع كل أعدائه فى مكان واحد، وصمم ديزيه على مباغتة مراد بك بعد أن فشل فى اللحاق بأسطول المماليك، وفشل أيضا فى مواجهة قوتهم، وهكذا كانت رحلته الأسيوطية عقيمة أضاعت عليه ثمانية أيام اغتنمها مراد بك ليقوى صفوفه فى الفيوم، وانحاز إليه عدد كبير من الأهالى وحالفوه على الفرنسيين، واتخذ هو وحلفاؤه معسكرهم فى اللاهون لذلك نجد ديزيه يعود إلى أسيوط بعد أن علم بتحركات المماليك فى ١٩ سبتمبر ١٧٩٨ ويترك فيها نصف فرقة وسفينة حربية لحراسة قافلة كبيرة للحبوب كان قد أمر بشحنها إلى القاهرة.

وفى نفس المساء من اليوم المذكور رحل ديزيه مع فرقته العسكرية وأسطوله بنية أن يلحق بمراد بك الذى هرب إلى الفيوم وفى ٢١ سبتمبر وصل

ديزيه إلى مدخل بحر يوسف وهو الممر المائى الوحيد الذى يتيح للفرنسيين المرور فى ذلك الوقت من السنة إلى الفيوم وفى ذلك الوقت تسلم ديزيه امدادات من القاهرة تتمثل فى خمسين قنطارا من البسكويت وثلاثة آلاف خرطوشة.

ثم سار ديزيه فى يوم ٢٣ سبتمبر ١٧٩٨، ودخل بحر يوسف بعد أن ترك ست سفن مسلحة لتحمى مدخل بحر يوسف وتتقابل فى مستوى ديروط، وتلقت اثنتان من هذه السفن الأمر بالانحدار حتى بنى سويف مع أتباع حركة السفن الحربية.

وبدأت السفن الفرنسية تسير فى بحر يوسف ابتداء من يوم ٢٣ سبتمبر ١٧٩٨ وكانت هناك صعوبات كثيرة واجهت الحملة تمثلت فى أن بحر يوسف يتخذ طريقا متعرجا مما جعل المرور فيه متعبا، هذا إلى جانب هبوب الرياح من الصحراء، وقلة غور المياه، فكان الجنود ينزلون إلى الشاطىء ويجرون السفن بالحبال فى محاولة منهم للإسراع فى الوصول، ولكن على حد قول أحد المصادر المعاصرة كانت كل هذه الجهود بلا جدوى.

وبالإضافة إلى الصعوبات السالفة الذكر فإن المراكب الفرنسية كانت تتعرض وهى سائرة فى بحر يوسف لهجمات الأهالى والمماليك، ولا شك فى أن هذه الصعوبات تركت فى نفس الفرنسيين أثرا سيئا، حيث كانت الرحلة فى بحر يوسف طويلة وشاقة، وكان عدد جنود فرقة الجنرال ديزيه تتناقص بشكل سريع، وفى كل يوم كانت تنفصل سفينة عن الركب لتحمل المرضى إلى القاهرة، ويبدو أن اليأس قد سيطر على نفوس الفرنسيين إلى حد أن اعتقد البعض منهم أن المماليك قد انتصروا عليهم دون حرب، وسارت فرقة ديزيه بالرغم من كل الصعوبات المذكورة، وفى يوم ٣ أكتوبر ١٧٩٨ تحت طليعة الجيش الفرنسى مركزا عسكريا لمراد بك فى مستوى قرية منيكيا Menkia وعلى الفور أمر ديزيه بالنزول من المراكب، واتجه مع فرقة فوق أنواع من التلال الرملية التى تهيمن على القناة حتى اللاهون، وما أن أطلقت طليعة الجيش الفرنسى نيرانها على قوة المماليك حتى انسحبت بعيدا عن ضفة النهر تاركة القوات الفرنسية لتواصل سيرها فى بحر يوسف.

وفى اليوم الموافق ٤ أكتوبر رأى الفرنسيون قوة أخرى من المماليك عددها ستمائة مملوك كانت تترقب السفن الفرنسية على شاطىء البحر لتطلق عليها النار، وكان ذلك صباحا بالقرب من قرية منصورة Mansourah وكانت عملية الانزال من السفن بالغة الصعوبة تحت نيران هذا العدد الكبير من المماليك، وهنا أمر ديزيه عمارته بالتقهقر نحو نصف فرسخ لكى ينزل فيها الجنود، ولم تكد العمارة تنفذ الأمر حتى فهم المماليك هذا التصرف على أنه هروب، فهجموا على الفرنسيين بشجاعة أكبر، ولكن حملة القرابينات من الفرقة الحادية والعشرين لم تدع الفرصة للمماليك للاقتراب من الشاطىء، ونزلت الفرقة ونظمت صفوفها بدون أن تلقى مانعا، وأمر الجنرال ديزيه فى الحال بوضع مدفعين، وبزحف الجيش لمقابلة المماليك، فتقهقر المماليك ببطء أمام الفرنسيين الذين كانوا يصلونهم نارا حامية لمدة أربع ساعات، وأمام هذه السرعة وهذا الشكل المنظم من قبل الفرنسيين، فر المماليك فى اتجاه الصحراء بعد أن فقدوا بعض

خيولهم، وكان هؤلاء المماليك تحت قيادة محمد بك الألفى.

## معركة سدمنت
## (٧ أكتوبر ١٧٩٨)

واصلت فرقة الجنرال ديزيه زحفها حتى وصلت مساء يوم ٦ أكتوبر ١٧٩٨ إلى مشارف قرية سدمنت، وكان ديزيه قد أبلغ بواسطة جواسيسه أن مراد بك ينوى انتظاره فى سدمنت، وكانت كل الدلائل تشير إلى أن المماليك لن يغادروا هذه القرية قبل القيام بعمل حاسم ضد الفرنسيين، فالمعارك التى قاموا بها أثناء الهروب، والتى يبدو أنهم كانوا يقيسون بها قوة الفرنسيين، أو حت إلى الفرنسيين أنهم يريدون أن ينتهوا من الموقف بشكل حاسم، كما كان الفرنسيون متشوقين إلى هذه اللحظة، لذلك اتجه الفرنسيون صباح يوم ٧ أكتوبر تجاه سدمنت لمنع الخطر الذى يتهددهم.

وقبل أن نتحدث عن أحداث هذه المعركة، يجب علينا أن نتعرف أولاً على عدد قوات الجيش المملوكى وقوات الجيش الفرنسى، وعن الخطة الحربية التى أعدهاكل فريق لخوض هذه المعركة الهامة.

كان الجيش المملوكى تحت زعامة مراد بك يتألف من ثلاثة آلاف رجل، وواضح أن عدد الجيش المملوكى كان يفوق عدد الجيش الفرنسى بكثير، ولكنه كان فى نفس الوقت يفتقد النظام والتنسيق بين قواته، كما كانت تنقصه الأسلحة الحديثة المتطورة، بينما نجد الجيش الفرنسى بالرغم من قلة أعداده كان يتميز بالنظام والتنسيق بين قواته ويملك أسلحة متطورة، وعلى رأسه قيادة حازمة وواعية منهما مائة وثمانون جنديًا جعلها فى المقدمة، أما الجيش بمدفعيته فأبقاه كتلة واحدة متراصة فى المؤخرة.

وكان مراد بك وحلفاؤه قد أعدوا معدات الهجوم، وقوى أملهم فى سحق الجيش الفرنسى لقلة عدد جنوده بالنسبة إليهم، واتخذ جنود مراد بك مواقع حصينة فى المرتفعات بحيث كانوا يسيطرون على أرض المعركة.

وبدأت المعركة بهجوم خاطف من المماليك والعربان، وانقضوا على الفرنسيين كالطيور الكواسر، ولم يملك الفرنسيون أمام هذه الهجمة الخاطفة إلا الإسراع بإطلاق النار على المماليك والعربان.

وتذكر المصادر الفرنسية المعاصرة أن فرقة المقدمة اليمنى كانت الهدف الأول لضربات جنود مراد بك ، حيث ارتمى أكثرهم ببسالة فى صفوف الفرنسيين، وأحدثوا عدة ثغرات قوية فى المربعات الفرنسية، واستعملوا فى دفاعهم الأسلحة التى يستترون بها من قرابينات، ثم دار بعد ذلك قتال فردى بين رجال الفريقين تقشعر لفظاعته الأبدان، وراح الجرحى يطعن بعضهم بعضاً، ويذكر «فيفان دينون» مشهداً من هذه المشاهد المروعة حيث ذكر ما يلى «زحف أحد رجالنا وكان صريعا على الأرض صوب مملوك محتضر Expirant وقطع حلقومه، وسأله ضابط، كيف تستطيع أن تقتل هذا فى حالتك هذه؟ وأجاب الجندى، من السهل عليك أن تتكلم أما أنا فليس أمامى غير بضع دقائق أعيشها، وأريد أن أستمتع بها ما دام ذلك فى استطاعتى.

ويصور «دومنيك دى بيترو» مشاعر فرقة المقدمة اليمنى من الفرنسيين تجاه المماليك قائلاً «تجمعت كل مشاعر الجنود من كراهية ويأس على رأس المماليك الذين ذهلوا من صلابة هذه الفرقة الصغيرة العدد ، كانت شجاعتهم نادرة واحتقارهم للموت ظاهران على جباه هذا العدد الصغير من جنودنا ، لم تكن حربهم للانتصار، فقد كانت الأعداد الكبيرة للأعداء قد أزالت هذه الفكرة، ولكنهم أرادوا أن يموتوا بشرف غارقين فى دماء أعدائهم وقد تحققت رغبتهم، فقد قتلوا تحت وطأ العدو ودفنت جثثهم تحت جثث الأعداء.

وأثناء هذا الهجوم الأول من المماليك نجح المربع الحربى الفرنسى فى الدفاع عن نفسه من جميع الاتجاهات.

ثم حدث هجوم آخر شديد الضراوة من المماليك على الفرنسيين، وأثناء هجومهم رأوا أن خيولهم المجهدة تتراجع أمام نيران البنادق الفرنسية، فكانوا يهاجمون بظهورهم لكى يحموا الخيول من رؤية البنادق، ولكى يفتحوا لهم ثغرات داخل الجيش الفرنسى، وعندما باءت محاولات المماليك بالفشل، ألقى بعض المماليك بأنفسهم من فوق ظهور الخيل ليقعوا وسط جنوده الجيش الفرنسى وكانت نتيجة ذلك أن قتلوا جميعًا، وهنا أدرك المماليك أنه من الصعب هزيمة الفرنسيين بهذه الطريقة، خصوصًا بعد أن عجز فرسان مراد بك من اختراق صفوف الفرنسيين، وكانت نيران المدافع والبنادق تصدهم وتفتك بهم فتكًا ذريعًا، وهنا قرر المماليك أن يتراجعوا، وظن الفرنسيون أنهم قد انهزموا ولكن المماليك كانوا قد قرروا أن يحاربوا الفرنسيين فى محاولة أخيرة لعلهم ينتصرون عليهم فى هذه المعركة، وكان سلاح المماليك فى هذه المحاولة ثمانية مدافع كان مراد بك قد أخفاها خلف أحد التلال، وكانت موضوعة بطريقة فنية وفجأة انطلقت نيران هذه المدافع فى اتجاه الفرنسيين لتحصد القتلى من بين صفوفهم، وهكذا أصابت مدفعية المماليك الفرنسيين بخسائر فادحة وتركت فى المعسكر الفرنسى الكثير من الجرحى والقتلى.

وارتفعت صيحات الفرح بين صفوف جند مراد بك لهذا الانتصار المؤقت على الفرنسيين، وظن المماليك أن الدائرة ستدور على الجيش الفرنسى وأن الهزيمة الكبرى ستلحق به، ولكن ماذا عن موقف الجيش الفرنسى بزعامة الجنرال ديزيه تجاه هذا الهجوم المفاجئ من المماليك؟.

فى البداية نود أن نقول أن الجنرال ديزيه كان يتمتع بشجاعة غير عادية وهذا ما جعل الجنرال «فريان» الذى اشترك فى المعركة يقول عنه «أعتقد أن الجنرال ديزيه أبرد من الثلج بعشر درجات، فلم يكن أمام الجنرال ديزيه إلا الانتصار على المماليك أو القتال حتى آخر رجل، حيث كان من الصعب عليه أن يتقهقر أو ينسحب عائدًا إلى سفنه هو وجنوده فى تلك الظروف وبعد أن فكر الجنرال ديزيه فى هذا الموقف قرر أن يشن هجومًا على مدفعية المماليك حتى يتحقق له النصر ولكنه تردد بعض الشئ، لأن الهجوم على المماليك كان يفرض عليه أن يترك ستون جريحًا، سيتركون للقتل من جانب المماليك إذا لم يقم بحمايتهم وهنا يذكر «دومينيك دى بيترو» عن مواقف

الجنرال «ديزيه» من الجرحى وعن قرار الهجوم الذى اتخذه ديزيه ما يلى «إن الرحمة عنده تأتى أحيانًا فى أوقات غير مناسبة، وفى كل مرة يستسلم لها يزداد أكثر عدد الجرحى، وأخيرًا ومن أجل صالح الجيش قرر الجنرال ديزيه إتمام المهمة، وأمر بالهجوم، وفى لحظات تجمع الجنود فى الصف، وعندما رأى الجرحى أنهم سيتركون لمصيرهم حاولوا بصرخاتهم أن يستدروا روح التعاطف لدى زملائهم، ولكن الجميع أصابه الصمم، فرؤية الخطر تقتل أى مشاعر تعاطف ، وابتعد عنهم التشكيل بسرعة، وبعد قليل جاءهم بعض المماليك وزرعوا الصحراء بأشلائهم.

ولا شك فى أن رؤية الجنود الفرنسيين لرفاقهم من الجرحى والقتلى قد أشعلت الثورة فى نفوسهم وزادت من حماستهم فى تحقيق الانتصار على المماليك والاستيلاء على مدافعهم،ويصور «دى بيترو» موقفهم بأسلوب أدبى شيق فيقول «عند رؤية هذه الوحشية Horrible امتلأت نفوسنا بالغضب والثورة وطار الجنود على مدافع الأعداء، وكان البرق L'eclair أقل منهم سرعة وضربات القدر أكثر منهم رحمة، وتشتت جنود الأعداء من أمامنا، والصحرا التى امتلأت بصرخات الغضب، وأصوات المدافع غاصت فى سكون عميق، هذا الاختفاء السريع للعدو ترك لنا الوقت لكى نرى موقع القتال ونبحث عن جرحانا.

ونجح هجوم الفرنسيين على مدافع المماليك، واستولوا عليها بأسنة حرابهم وقتلوا جنو د المدافع فى مراكزهم، وأداروا أفواه المدافع على المماليك الذين فروا منهزمين وتاركين خلفهم نحو أربعمائة من رجالهم على أرض المعركة ما بين قتيل وجريح.

وانتهت هذه المعركة بإنتصار الفرنسيين على مراد بك، وبلغت خسائر ه كما قدرها الجنرال ديزيه بأربعمائة قتيل وجريح، بينما بلغت خسائر الفرنسيين كما قدرها الجنرال برتييه ثلاثمائة وأربعون قتيلاً ومائة وخمسون من الجرحى.

وتعتبر موقعة سدمنت أكبر موقعة دارت فى الصعيد بين القوات الفرنسية وبين قوات مراد بك، لذلك فهى تعد من أهم المعارك التى خاضها الفرنسيون فى صعيد مصر، إذ أنها كانت المعركة البرية الثانية فى أهميتها بعد معركة امبابة، لأنها قضت على آمال مراد بك فى أن ينتصر فى معركة منظمة كما أنها أعطت للفرنسيين حكم منطقة بنى سويف والفيوم، وهى منطقة غنية بمنتجاتها الزراعية التى كانت لازمة لتموين القاهرة.

ومن العرض السابق لمعركة «سدمنت» يتبين لنا أن الفرنسيين انتصروا على مراد بك بتفوقهم الحربى الذى أتاحه لهم قوة مدفعيتهم، وكثرة ذخيرتهم، وبما امتازوا به من نظام حربى وقيادة تتمتع بالكفاءة الحربية، ولكنه بالرغم من ذلك فإن الخسائر التى أصابت الفرنسيين فى هذه الموقعة تدل على أن المماليك وحلفاءهم كانت لديهم الرغبة الأكيدة فى الانتصار على الفرنسيين فى هذه الموقعة، فكما رأينا كان من الممكن أن يتحقق النصر لمراد بك بفضل ما كان لديه من مدفعية أحدثت خسائر فادحة فى صفوف الفرنسيين لولا هجوم الفرنسيين الحاسم فى اللحظة الأخيرة والذى أدى إلى هزيمة المماليك وفرارهم كما مر بنا.

ولقد ترتب على انتصار الفرنسيين فى هذه المعركة أن تحولت الحرب بين الفرنسيين والمماليك فى صعيد مصر من حرب منظمة إلى عمليات مناوشة مستمرة أخذت شكل حرب العصابات، وإن كانت عصابات يقوم بها الفرسان ولم يكن أمام المماليك إلا هذه الطريقة بعد أن فقدوا الأمل فى طرد الفرنسيين من الصعيد بواسطة قوة السلاح.

وهذا النوع من المعارك كان يمثل خطراً كبيراً على الفرنسيين، إذ أنه كان يعرضهم للخطر المستمر فى مواقع مختلفة، وفى أوقات مختلفة ودون أن يتمكنوا من اتخاذ الاستعدادات اللازمة لمواجهته ولا شك فى أن طبيعة الأرض فى الصعيد، ووجود المزروعات العالية فيه، وكذلك وجود كل من الجبل الغربى والجبل الشرقى سيسمح لقوات المماليك وقوات أبناء الصعيد بحركات التفاف سريعة ، وبمهاجمة كتائب وفصائل الفرنسيين التى ستصبح مبعثرة فى الوادى، وتحاول تأمين المواقع المختلفة، وهذا النوع من المعارك سيفقد الفرنسيين معنى الراحة والطمأنينة وسيجبرهم على مداومة السير والانتقال، بشكل يرهق قواتهم دون أن يتمكنوا من الإشتباك مع خصم واضح.

وبعد معركة سدمنت انسحب المماليك بقيادة مراد بك غربا حتى استقروا وراء بركة «الغرق» وهى بركة كبيرة واقعة جنوبى الفيوم بغرب، وانفصل العربان عن المماليك، بينما سارت فرقة الجنرال ديزيه فى تمام الساعة الثالثة ظهراً من يوم ٧ أكتوبر ١٧٩٨ تجاه قرية سدمنت واحتلتها، واستولى الفرنسيون على جزء من متاع المماليك الدى بدأ العرب سلبه.

ولم يفكر الجنرال ديزيه فى تعقب المماليك نظراً لإرهاق قواته التى كانت بحاجة إلى الراحة بعد الأهوال التى كابدوها، ومن أجل ذلك نجد الجنرال ديزيه فى اليوم التالى الموافق ٨ أكتوبر يرحل بجنوده وأسطوله إلى اللاهون، وقد استولى على مراكب المماليك الموجودة بها ثم قام بترحيل الجرحى والمرضى إلى القاهرة، ومكث الجنرال ديزيه وجنوده فى اللاهون من ٩ إلى ١٢ أكتوبر، ثم سار قاصداً مدينة الفيوم، ولم يبق بها إلا بضعة أيام، ثم أخلاها خوفا على مواصلات جيشه أن تنقطع إذا ابتعد كثيراً عن النيل، ولأنه علم بعودة المماليك إلى سدمنت، وبذلك يتهددون مواصلات الجيش الفرنسى، فاضطر إلى العودة إلى اللاهون من جديد يوم ١٦ أكتوبر، واعتزم أن يعاود تعقب المماليك والأهالى، لكنه وجد صعوبة كبرى فى تعقبهم لأن ماء الفيضان كان فى ذلك الحين يغمر البلاد فيحول دون تقدم الجيش واتصاله بالقرى، وكانت المؤون والزاد قد نقصت، والأمراض فتكت بالجنود ولا سيما الرمد، وبعث ديزيه فى ٢٠ أكتوبر من اللاهون برسالة إلى بونابرت ضمنها متطلباته والصعوبات التى تواجهه، ومكث ديزيه فى اللاهون ينتظر تعليمات بونابرت.

## الموقف الحربى فى بنى سويف والفيوم والمنيا

لم يكن انتصار الفرنسيين فى موقعة سدمنت ليوطد مركزهم فى الوجه القبلى ، وبالرغم من أن

الجيش الفرنسى قد فتح فى طريقه ثلاث مديريات وهى بنى سويف والمنيا والفيوم فإن الحالة ظلت مضطربة فى تلك المديريات، وسلطة الفرنسيين تكاد تكون مجهولة عند الأهالى فى تلك المديريات،ولم يستطع الفرنسيون لإضطراب الأحوال أن يحصلوا من تلك المديريات، على ما يلزمهم من الغلال والخيول وفقدوا فى حالات كثيرة ما كانوا قد جمعوه منها، نتيجة لهجوم الأهالى على الشون، وهجومهم على تجمعات هذه الخيول واستمرت الإشتباكات مع الأهالى خاصة وأن بعض الفرنسيين كانوا يحاولون اغتصاب بعض وسائل التموين من الأهالى، الأمر الذى كان يدفع أبناء القرى إلى مهاجمتهم بالعصى والأسلحة النارية.

ولقد عين بونابرت الجنرال زايونشك Zayonchek قومندانا لمديرية بنى سويف فى أوائل أكتوبر ١٧٩٨، وأرسل معه كتيبة من الجنود وكلفه تنظيم هذه المديرية وكتب بونابرت إلى الجنرال برتييه طالبًا منه العمل على ترحيل الجنود من الفرسان إلى بنى سويف، كما كلف بونابرت الجنرال ديزيه بتنظيم مديريتى المنيا والفيوم.

وكان بونابرت شديد الرغبة فى أن يتعقب ديزيه قوات الأهالى والمماليك للقضاء عليها، وقد حمل ياوره ديروك أمره إلى ديزيه بأن يهاجم مراد بك ويقضى على جيشه قبل نهاية الفيضان، لكن ثورة القاهرة التى نشبت فى ٢١ أكتوبر حالت دون سفر «ديروك»، وفى خلال ذلك وصلت رسالة ديزيه المؤرخة فى ٢٠ أكتوبر، فأدرك بونابرت مبلغ ما عاناه الجنود الفرنسيون من المتاعب والمشاق وحاجتهم إلى الراحة، فأرسل إليه يطلب منه اختيارا موقع صالح ليعسكر فيه الجنود، وكلفه إخضاع مديريات بنى سويف والمنيا والفيوم وكانت مهمة الجنرال ديزيه شاقة، لأن المماليك والأهالى قد رابطوا فى الصحراء فلا تستطيع القوات الفرنسية أن تحيط بهم، وكان الأهالى لا ينفكون يناوشون هذه القوات فى اللاهون، بعد أن فتكت المعارك والأمراض بجنود الجنرال ديزيه ونزل عددهم إلى الألفين، لم يعد فى استطاعته أن يخضع بنى سويف والمنيا والفيوم بهذا العدد، لبعد المسافات بين البلاد، وما غمر الأرض من الفيضان، فأصبح من الصعب على الجنود أن يتنقلوا من بلد إلى بلد، ولأن الجنود قد أنهكهم التعب فاختار الجنرال ديزيه مدينة الفيوم ليستقر فيها مع فرقته.

## احتلال مدينة الفيوم وإخماد الثورة فى القرى المجاورة

انتقل الجنرال ديزيه وجنوده قرب نهاية شهر أكتوبر سنة ١٧٩٨ إلى مدينة الفيوم، لكى يعطى فرقته بعض الراحة، وفى نفس الوقت كان ينتظر مجئ مدد من القاهرة، ويستعد فى الوقت نفسه لاستئناف الهجوم على مراد بك وأهالى الصعيد، وشرع الجنرال ديزيه ينظم الإدارة فى مديرية الفيوم، ويجمع الخيول من القرى، حيث كان بحاجة إليها ليسد حاجة حملته منها.

وقرر الجنرال ديزيه أن يقوم بحملة على قرى الفيوم لجمع الأموال والمؤون لكى يصرف مرتبات الجنود، ولكنه واجه عنتًا شديداً فى تحصيل الضرائب ومصادرة الغلال وجمع الخيول من القرى، حيث رفضت معظم القرى التسليم لمطالبه،

ودهش الجنرال ديزيه عندما أحس بروح التمرد والعصيان في نفوس الأهالي، واعتقد الفرنسيون أن مراد بك هو الذى منع السكان من دفع الضرائب، وأنه أوفد أحد أعوانه مع مائة وخمسين مملوكا لتحريض البلاد على الثورة وتنظيم المقاومة.

والحقيقة أن رسل مراد بك لم تنقطع عن المرور فى القرى، وعن إثارة الأهالى فى وجه الفرنسيين، ولكن فى نفس الوقت يجب أن نذكر أن نفوس الأهالى كانت مستعدة للمقاومة، ولعدم دفع أو تسليم أى شئ للفرنسيين، والدليل على ذلك هو تضخم وتزايد أعداد المصريين الذين كانوا ينضمون للمماليك، أو يقومون بمناوشاتهم، وكانت حماسة أبناء الصعيد، وعقليتهم، وروح فروسيتهم، عوامل تتجمع لكى تخلق منهم قوات هجوم ممتازين، ورجال عصابات ومقاومة لهم خطرهم على أى جيش يتوغل فى بلادهم.

وبعد انحسار مياه الفيضان، قرر الجنرال ديزيه أن يجرد حملة على القرى الثائرة لإخضاعها للنفوذ الفرنسى، وترك ديزيه فى مدينة الفيوم ١٥٠ مريضاً و ٣٠٠ جندى لحمايتهم، وسار بباقي جنوده يوم ٦ نوفمبر لإخضاع القرى الثائرة، فأخضع فى طريقه (مطرطارس) و (سيلة) وتوجه بعد ذلك تجاه قرية (سرسنا) ولكنهم وجدوا مقاومة شديدة من أهالى سرسنا الذين تأهبوا للقتال وكان على رأسهم على كاشف، ولكن لم يصمدوا أمام قوة نيران الفرنسيين، فانسحبوا من القرية، واستولى عليها الفرنسيون.

ولقد تعرضت هذه القرية للسلب والنهب من قبل الفرنسيين، وليتهم اكتفوا بذلك، بل قاموا بإشعال النيران فيها وأحرقوها.

وتابعت فرقة الجنرال ديزيه سيرها فوصلت تجاه قرية الروضة، وكان الليل قد أقبل فعسكرت الحملة بالقرب من الروبيات (مركز سنورس).

وإذا كانت حملة الجنرال ديزيه قد نجحت فى إخضاع القرى السالفة الذكر لسلطتها إلا أنها فى نفس الوقت قد تركت دماء على أرض الصعيد، ظلت تنادى بالثأر، وتحول الموقف من مجرد عمليات حربية إلى حقد وضغينة ورغبة فى الانتقام كما سنرى.

## هجوم الثوار على مدينة الفيوم

عندما كان الجنرال ديزيه ومعه الغالبية العظمى من جنوده يقومون بحملة الغرض منها جمع الخيول والغلال فى القرى المجاورة لمدينة الفيوم كما مر بنا، وكان قد ترك فى مدينة الفيوم ١٥٠ مريضاً و ٣٠٠ جندى لحمايتهم، انتهز مراد بك هذه الفرصة وأرسل حوالى ألف من المماليك لإثارة الأهالى كى يقوموا مع المماليك بالزحف على مدينة الفيوم والإستيلاء عليها والقضاء على القوة الفرنسية الموجودة بها.

وانتشر البكوات والكشاف من المماليك فى شمال وجنوب إقليم الفيوم لإثارة العرب والفلاحين ضد الفرنسيين، وكانت نفوس العرب والفلاحين من أبناء الصعيد مهيأة للثورة، خصوصاً بعد أن رأوا وسمعوا عما يقوم به الجنرال ديزيه ورجاله من جمع للضرائب ومصادرة للخيول والغلال، بل إن نار الثورة قد اشتعلت فى نفوس الأهالى بعدما علموا أن الفرنسيين يحرقون القرى الثائرة مثلما حدث فى قرية سرسنا كما مر بنا.

ولا شك فى أن كل هذه العوامل كانت وراء تجمع عدد هائل من المماليك والعرب والفلاحين قدرهم الجنرال ديزيه بثلاثة آلاف رجل بينما ذكرالجنرال «برتيبه» أن هذه القوة كانت مؤلفة من ثلاثة آلاف من العرب وألف من المماليك وعدد هائل من الفلاحين المسلحين لم يذكر عددهم، وبالرغم من اختلاف المصادر الفرنسية فى تقديرها لأعداد القوات المصرية من أبناء الصعيد المشتركين فى الهجوم على مدينة الفيوم، فيمكن القول بأن هذه الأعداد كانت تتراوح ما بين ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف، بينما كانت أعداد القوات الفرنسية حوالى خمسمائة جندى ثلثهم من المرضى.

تجمعت الأعداد المذكورة من أبناء الصعيد عرب وفلاحين يتزعمهم فرسان المماليك يوم ٧ نوڤمبر ١٧٩٨ وفى حوالى الساعة الثامنة صباحًا ظهرت أمام المدينة طلائع الثوار من أبناء الصعيد وحوالى الساعة الحادية عشرة صباحًا تقدموا ومعهم العرب والمماليك وهجموا على أسوار المدينة، وفى لحظات حطموا أبواب المدينة، وملأوا الشوارع والطرقات، واحتلوا كل المواقع الرئيسية التى تشرف على مواقع الفرنسيين بعد قتال عنيف دار بينهم وبين القوات الفرنسية التى كانت تقوم بحراسة مدخل المدينة.

وكانت القوة الفرنسية تحت قيادة الجنرال «روبان Robin» المصاب بالرمد، لذلك حل محله فى قيادة المعركة نائبه الكولونيل «ابلر Eppler وقام ابلر بتحصين المنزل المقام فيه المستشفى وهو منزل« على الكاشف» وأمام زحف المماليك والعرب والفلاحين وتحطيمهم لأبواب المدينة انسحبت القوة الفرنسية إلى منزل على كاشف حيث مقر القيادة الفرنسية حيث جمع القائد «ابلر» قواته لتجنب حرب شارع دامية جدا، وتقدم العرب والفلاحون والمماليك فى طريقهم حتى وصلوا إلى المنزل الذى تقيم فيه القوة الفرنسية فأطلق الفرنسيون النار عليهم من فوق سطح المنزل ومن نوافذه، وفى نفس الوقت كون القائد «ابلر» صفين من جنوده، وقاد بنفسه الفرقة اليمنى، أما الفرقة اليسرى فقد تولى قيادتها الرائد «ساكرو Sacro، وفى الوقت الذى قام فيه الاحتياطى بتراشق بالرصاص من الأسقف والنوافذ على المهاجمين من قوات مراد بك خرج الصفين بقيادة «أبلرو ساكرو» لمواجهة الثائرين، وانقضا بالحراب على الثائرين، وطاردوهم من شارع إلى شارع واستولى الرعب على العرب والفلاحين فانسحبوا هاربين، وارتبكوا فى هروبهم، وحدثت مجزرة شنيعة، وتعقبهم الفرنسيون وطاردوهم لمسافة طويلة فى المدينة بواسطة الرائدين «إبلر وساكرو».

وبالرغم من أن أعداد أبناء الصعيد كانت تفوق أعداد الفرنسيين بكثير فإن الهزيمة قد حلت بهم، وانتهت محاولتهم بمجزرة شنيعة، ولكن كيف تم للفرنسيين هزيمة هذه الأعداد الكبيرة بهذه السرعة رغم قلة عددهم؟

وفى هذا الصدد يذكر لنا «دومنيك دى بيترو» تلك الحيلة التى نفذها القائد «إبلر» وخدع بها تلك الأعداد الكبيرة وأجبرهم فى النهاية على الفرار فيذكر ما يلى «رأى القائد «إبلر» أن الأعداء يستمدون قوتهم من فكرة أنهم يواجهون عددًا

بسيطًا من الفرنسيين، فقررا أن يجعلهم يظنون العكس، فأمر بتجميع كل الطبول، وأمر أن يسير خلف كل حامل طبلة مجموعة من الجنود وأمر كل مجموعة أن تتجه فى شارع مختلف، وعليهم أن يطلقوا نيران ذخيرتهم فى كل الشوارع، وعند سماع هذه الأصوات، اعتقد العرب أن الجنرال ديزيه قد عاد لنجدتنا وحل الرعب محل الطمأنينة فى قلوبهم، واتجهوا جميعًا خوفًا من الموت إلى بوابات المدينة لكى يفلتوا بحياتهم، وفى لحظات رأينا تلك الأعداد الغفيرة تختفى فى الصحراء وهنا يمكن القول بأنه إذا كانت الحرب خدعة فلقد استطاع القائد «ابلر» بذكائه أن يخدع أبناء الصعيد والمماليك بهذه الطريقة وانتصر عليهم رغم قلة أعداد جنوده ورغم إصابة ثلثهم بالأمراض، ولكن يجب علينا أن نذكر أنه كان فى نفس الوقت يملك من الأسلحة والذخيرة، ودقة النظام والتخطيط العسكرى إلى جانب الموقع الاستراتيجى المحصن، وكل هذه أدوات لم تتوافر لأبناء الصعيد فحلت بهم الهزيمة.

إلا أنه بالرغم من هزيمة أبناء الصعيد لعدم خبرتهم بالحرب، ولأنهم كانوا يحملون أدوات بسيطة لم تستطع أن تصمد أمام نيران الفرنسيين، فهناك حقيقة يجب أن نذكرها وهى أن أبناء الصعيد قاموا بالدفاع عن أرضهم ضد الغاصب المحتل، وقاوموه بكل ما يملكون من أدوات، وعملوا على إخراجه من بلادهم ولم يبالوا بالموت، وكانت خسائرهم فادحة، فلقد ذكرت المصادر الفرنسية أن الأهالى من أبناء الصعيد بلغت خسائرهم من القتلى فى هذا الهجوم مائتين من رجالهم بينما كان عدد الجرحى منهم كبيرًا، بينما بلغت خسائر المماليك أربعة رجال من القتلى، وعشرة من الجرحى وهذه الخسائر البسيطة التى أصابت المماليك تدل على أنهم كانوا على جانب عظيم من الحذر والحرص، وكانت خسائر الفرنسيين قليلة فبلغت أربعة رجال من القتلى، وستة عشر جريحًا.

وترتب على انتصار الفرنسيين على الثوار نتائج مؤثرة فيذكر دومينيك دى بييترو «أن هذا الانتصار السريع والقوى كانت له نتائجه المؤثرة فقد أخمد الثورة، وأمن وصول المؤن والأموال وأتى بالجنرال ديزيه وسطنا ولكن من ناحية أخرى يمكن القول بأن هذا الهجوم كان دليلاً على استهانة أبناء الصعيد بقوة الفرنسيين ومقاومتهم لها وتجرئهم عليها، وأدرك الجنرال ديزيه أن قلة جنوده كانت من أهم أسباب الحالة الثورية التى ذاعت فى البلاد، ورأى ألا سبيل إلى المغامرة فى فتح الوجه القبلى إلا إذا جاءه المدد الكافى للقيام بهذه الحملة الطويلة المدى، فآثر الانتظار إلى حين وصول الإمدادات من القاهرة ليواصل مهمته التى كلف بها ألا وهى إخضاع الوجه القبلى لسلطة الفرنسيين.

## ديزيه يطلب المدد من بونابرت لاستئناف الحملة

كان ديزيه يلح قبل هجوم الثوار على الفيوم فى طلب المدد من بونابرت، فكلف بونابرت الجنرال بليار الذى كان فى ذلك الحين قومندانا للجيزة أن يسير بقواته إلى الفيوم لمعونة الجنرال ديزيه فى العمليات الحربية.

وسار بليار من الجيزة يوم ٨ نوڤمبر بالقوة التى كانت معه، فوصل إلى الزاوية (شمالى بنى سويف) يوم ١٢ نوڤمبر ١٧٩٨، وهناك وصلته أنباء انتصار فرقة الجنرال ديزيه على المماليك والقرى الثائرة، واستراح الجنرال بليار بالزاوية ينتظر تعليمات الجنرال ديزيه، فأمره أن يبقى فى بنى سويف ليعاون الجنرال زايونشك إذا ما قامت ثورة فى بنى سويف مثل التى قامت فى الفيوم، واعتزم الجنرال ديزيه بعد إخماد ثورة الفيوم أن يعود إلى بنى سويف لقمع حركات الهياج فيها، وجباية الضرائب من البلاد، فانتقل بفرقته إلى بنى سويف ووصل إليها فى ٢٢ نوڤمبر حيث ضم إليه قوة الجنرال بليار، وهكذا تحول مركز قيادة الفرنسيين فى الصعيد فى تلك الفترة من الفيوم إلى بنى سويف التى أصبحت قاعدة لهم، سواء بالنسبة لإخضاع الصعيد، أو بالنسبة لجمع الغلال ومواد التموين من القوى. وفى تلك الفترة طلب ديزيه من بونابرت أن يمده باحتياجاته من المدافع والذخائر والمهمات، كما ألح عليه فى طلب قوة كبيرة من الفرسان، لأنها الوسيلة الوحيدة للتغلب على قوات المقاومة فى الصعيد، وبدونها لا يزال الأهالى والمماليك يفلتون من الجيش الفرنسى، فلا يستطيع اللحاق بهم ولا تعقبهم فى الصحراء، وتبقى قوتهم تتحين الفرص لمناوشة الفرنسيين وإرهاقهم وتكبيدهم ما يستطيعون من الخسائر.

وبالرغم من انشغال بونابرت فى ذلك الوقت فى التفكير فى الإعداد للحملة على سوريا، إلا أنه وضع مطالب ديزيه موضع الاهتمام، لأن إخضاع الصعيد كان من أهم المقاصد التى وجه إليها بونابرت اهتمامه، خصوصاً بعد أن شحت الغلال فى القاهرة والوجه البحرى، لأن إنقطاع المواصلات من الصعيد منع ورود الغلال، فارتفعت أسعارها ارتفاعًا أدى إلى تذمر الناس وهياج الخواطر فى مصر.

وانتظر الجنرال ديزيه بفرقته فى بنى سويف حتى أتيه المدد من بونابرت ولما طال انتظاره أناب عنه فى القيادة الجنرال بليار وتوجه بنفسه فى أول ديسمبر ١٧٩٨ إلى القاهرة للحصول على الإمدادات اللازمة لمقاومة المماليك وأهالى الصعيد.

والتقى ديزيه ببونابرت وعرض مطالبه،وفى نفس الوقت تلقى تعليمات من بونابرت، حيث أمره بمطاردة مراد بك بنشاط حتى شلالات النيل وإبادة المماليك أو طردهم تماماً من مصر.

وأمد بونابرت الجنرال ديزيه بقوة مؤلفة من ١٢٠٠ من الفرسان و ٣٠٠ من المشاة و ٦ مدافع و ٦ سفن حربية منها السفينة «إيطاليا» سفينة بونابرت الخاصة التى كان يركبها فى النيل وعاد الجنرال ديزيه من القاهرة مزوداً بهذا المدد فوصل إلى بنى سويف يوم ٦ ديسمبر على ظهر السفينة «إيطاليا» وفى اليوم التالى وصلت قوة الفرسان بطريق البر، ثم وصلت السفن التى تحمل مهمات الحملة بعد ذلك بأربعة أيام، وفى ١٥ ديسمبر كانت الحملة على تمام الاستعداد للزحف وكان عندها ما يقرب من أربعة آلاف رجل، وشعر الجنرال «ديزيه» أنه على رأس جيش صغير، لكنه فى نفس الوقت يستطيع أن يقاوم به حملات المماليك والعرب مجتمعين بل ويستطيع أن يتتبعهم أينما ذهبوا وكان هذا هو هدف ديزيه، ومنذ هذه اللحظة لم يشعر هو أو جندى من جنوده بلحظة راحة.

## حادثة الفقاعى (الفجاعى)

سارت حملة الجنرال ديزيه من بنى سويف يوم ١٦ ديسمبر ١٧٩٨ لمطاردة مراد بك، ووصلت ليلاً إلى البرنقة El- Beranqah على البر الغربى للنيل وفى صباح اليوم التالى واصلت الحملة سيرها فبلغت «ببا» قاصدة «الفشن» وقبل أن تصل إليها استراحت لتنتظر قدوم المدفعية، وكانت طلائع فرقة الجنرال ديزيه ترابط بالقرب من قرية الفقاعى الواقعة على الضفة الغربية للنيل.

وقد حدث بقرب (الفقاعى) حادث دهش له الجنرال ديزيه وكبار الضباط الفرنسيين، ذلك أنه بينما كان الجنود ينتظرون وصول بقية الجيش تسلل أحد غلمان القرية إلى داخل المعسكر الفرنسى، وسرق بندقية أحد الفرسان الفرنسيين، وحمل الغلام البندقية وتوجه بها فى طريقه إلى القرية فرآه فارس آخر من الفرنسيين وجرى خلفه شاهراً سيفه وجرى الغلام بأسرع ما يمكن ولم يقف إلا بعد أن أصابه الجندى بجرح فى ذراعه، وجئ به أمام الجنرال ديزيه لمحاكمته، ودار بين الجنرال ديزيه وهذا الغلام هذا الحديث الذى دونه فى حينه «فيفان دينون» كالتالى:

الجنرال: من الذى طلب منك سرقة البنادق؟

الغلام: لا أحد.

الجنرال: من الذى دفعك لذلك؟

الغلام: الله القوى Le port Dieu

الجنرال: هل عندك عائلة؟

الغلام: أم فقيرة وعمياء.

الجنرال: إذا قلت لنا من الذى أرسلك لن نعاقبك لكن إذا امتنعت عن الكلام فسوف تعاقب.

الغلام: لقد قلت لك لم يرسلنى أحد، والله وحده هو الذى أوحى لى بذلك، ثم ألقى بطاقيته عند قدمى الجنرال ديزيه وقال فى ثبات: رأسى هاهو فاقطعوه.

ويذكر الجنرال بليار فى يومياته «أن هذا الطفل ظل طوال الوقت هادئًا هدوءاً عجيبًا، وأبدى قوة خلق نادرة، أما الجنرال «ديزيه» فقد راعى صغر سنه وخضوعه لحكمه، ثم حكم عليه بثلاثين جلدة، وتلقى الغلام الجلدات على ظهره دون صوت أو دمعة.

وكان هذا الغلام فى الثانية عشرة من عمره، جميل الطلعة كأحد الملائكة وهو جرئ وقوى وكان إعجاب الجنرال «ديزيه» بشجاعة هذا الغلام هى التى جعلته يضن به على الموت، ولا شك فى أن هذا الغلام كان مثلاً لكل أبناء الصعيد فى مواجهة العدوان على حرياتهم ومقدسات أوطانهم.

## موقعة أبو جرج

بينما كان الفرنسيون يواجهون الثورة التى نشبت فى بنى عدى كان اقليم بنى سويف يموج بالثورة، ولقد قيل كما ذكرت المصادر الفرنسية أن عرب ينبع اتجهوا إلى بنى سويف، وأن الأهالى كانوا على أتم الاستعداد لمساندتهم، لهذا نجد الجنرال دافو Devoust بعد أن قضى على الثوار فى بنى عدى يتجه إلى بنى سويف للقضاء على عرب ينبع وعلى الثوار من الأهالى والعربان فى ريف بنى سويف.

وفى ريف بنى سويف كما فى كل الصعيد تلقوا خبر وصول قوات فرنسية جديدة كدليل على أن القوات الأولى قد دمرت، لذلك فهم يسرعون إلى حمل السلاح، وإذا كانوا أقوياء فسوف يهاجمهم، وإذا كانوا ضعفاء فسينتشرون عند مجئ القوات وسيسرقون منها كل ما يمكنهم سرقته وإذا لم يستطيعوا قتلهم ولا سلبهم كما تذكر المصادر الفرنسية فإنهم يرفضون إعطاء المؤن للجيش الفرنسى وهنا لا يجد الفرنسيون أمامهم سوى استعمال العنف مع المشايخ لكى يعطوهم الطعام اللازم للقوات الفرنسية، ولقد وجد الجنرال «دافو» نفسه فى الحالة الأخيرة، فعندما وصل إلى قرية أبو جرج بعث ببعض مندوبيه إلى شيخ القرية طالبين منه المؤن للجيش الفرنسى، فرفض شيخ القرية طلبهم قائلاً «بأنه لا يوجد طعام للفرنسيين فى قريته، وأن قواتهم قد دمرت فى الجنوب، وأنه إذا لم ينسحبوا فسوف يلاقون مصير إخوانهم وعاد رسل الجنرال «دافو» إليه بهذا الرد الذى يعنى أن أهل القرية قد رفضوا إمدادهم بالمؤونة، وأنهم على أتم الاستعداد لمواجهته ، ولم يهتم الجنرال دافو بهذه التهديدات، واتجه إلى القرية التى استقبلته بالطلقات النارية، وقام الأهالى يشد من أزرهم عربان الجهمة Gheamieh بإلقاء التراب على رؤوس الفرنسيين كعلامة للموت وعلى الفور قامت القوات الفرنسية بمحاصرة القرية ودخلتها من عشرة أماكن، وأمر الجنرال دافو جنوده بقتل وحرق كل شئ فى القرية فاشتعلت النيران فى القرية، وسالت الدماء فيها، وكانت خسائر الأهالى جسيمة، فلقد بلغت كما قدرتها المصادر الفرنسية بألف قتيل.

ولقد استأنف الجنرال دافو سيره إلى بنى سويف فى محاولة منه للحاق بعرب ينبع الذين كانوا قد عبروا النهر إلى الضفة اليمنى، وبالرغم من قلة أعدادهم، فإنهم كانوا يشكلون قوة كانت القوات الفرنسية تعمل لها حساب، وكان الجنرال دافو يتأهب لمطاردتهم عندما تلقى من الجنرال دوجا Dugua أمراً بالعودة إلى القاهرة لحماية المدينة من الغارات التى كانت تتهددها.

## الحملة الفرنسية على الصعيد الأوسط وحركات المقاومة

### تمهيد:

سارت حملة الجنرال ديزيه فى طريقها لإخضاع وسط الصعيد، ولم تكن مهمتها سهلة، بل صادفتها الكثير من العقبات،ومن أهم هذه العقبات الحركات الثورية التى قام بها الأهالى والمماليك وعرب الحجاز فى وجه الفرنسيين، وظل جيش الجنرال ديزيه يطارد قوات شتى لا عداد لها، ولا يكاد يتغلب عليها حتى تتجمع وتعود ثانية للقتال، ولقى الفرنسيون مقاومة عنيفة فى المنيا وأسيوط وسوهاج، واستعمل الفرنسيون كل ما لديهم من إمكانات لمكافحة قوات المقاومة فى هذه المنطقة من صعيد مصر كما سنرى من خلال عرضنا لهذه المعارك والثورات بالتفصيل.

### احتلال أسيوط

سارت حملة الجنرال ديزيه فى طريقها لتعقب مراد بك حيث علم ديزيه أن مراكز المماليك المتقدمين تقع فى «الفشن» فأسرع إليهم، ولكنهم لم ينتظروا وصوله واختفوا، وظل الجيش الفرنسى يتعقب مراد وجنوده ثلاثة أيام ينتقل من قرية إلى أخرى دون أن يتمكن منه، حيث كان المماليك متقدمين على الفرنسيين بنحو ١٠ إلى ١٢ ساعة

فى طريقهم إلى أسيوط، وكان الفرنسيون يلاقون صعوبات فى التحرك بسبب المدافع التى يحملونها معهم، أما المماليك فلم تكن ضمن أمتعتهم مدافع تعوقهم عن الحركة، بالإضافة إلى أنهم كانوا كما يقول دينون «يملكون الصحراء ويتحدوننا فيها فى القدرة على التحمل.

وكان الفرنسيون يتوقفون فى القرى كلما أضناهم السير، وفى هذه القرى كانوا يتزودون بالطعام والشراب ويستولون على ما تركه المماليك خلفهم فى هذه القرى، ووصل الفرنسيون إلى المنيا يوم ٢١ ديسمبر سنة ١٧٩٨، ليجدوا المماليك قد تركوها قبل قدومهم بساعات تاركين بها أربعة من سفنهم فغنم الفرنسيون ما على هذه السفن من مدافع وذخيرة، وانضم إلى الفرنسيين الكثير من اليونانيين الذين كانوا يعملون على هذه الأسلحة.

واستمرت حملة الجنرال ديزيه فى تقدمها بعد المنيا، فاستولت على ملوى التى عثرت فيها على ثمانية مدافع كان المصريون يستخدمونها فى ضرب سفن الفرنسيين واستمرت الحملة فى سيرها حتى وصلت إلى أسيوط واحتلتها يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٧٩٨، وكان المماليك قد انسحبوا منها مسرعين بعد أن أغرقوا سفينة مسلحة من أسطولهم وتركو است سفن أعجلهم عنها ما كانوا فيه فلم يأخذوها ولم يغرقوها، فاستولى الفرنسيون عليها وعلى ما فيها من الأقوات والذخائر.

## سير حملة الجنرال ديزيه من أسيوط إلى جرجا

سار الجيش الفرنسى من أسيوط ٢٦ ديسمبر وانقسم إلى فرقتين فرقة بقيادة الجنرال فريان Friant أخذت سفح الجبل، والفرقة الثانية بقيادة الجنرال بليار أوغلت فى السهل ثم التفتا فى الغنايم التى احتلوها ونهبوها ولكنهم وجدوا مقاومة من أهالى الغنايم الذين هبوا للدفاع عن أنفسهم وحدث اشتباك بين الفريقين أدى إلى مقتل واحد من الأهالى وجرح اثنان من الفرنسيين.

وعلم الجنرال ديزيه بناء على تقارير جواسيسه أن مراد بك ينوى ملاقاته بالقرب من جرجا، لذلك نجد ديزيه يغادر الغنايم هو وجنوده فى طريقه إلى جرجا التى أخلاها المماليك قبل وصول الفرنسيين إليها فى الساعة الثانية ظهرًا يوم ٢٩ ديسمبر سنة ١٧٩٨.

وفى جرجا حط الجيش الفرنسى أثقاله ليستريح الجنود من عناء تلك الرحلة التى أنهكت قواهم، ولننتظر وصول المراكب التى بها ذخائره ومهماته ومؤونته، وقد تعطل سيرها وتأخرت عن متابعة الجيش، بسبب انخفاض منسوب المياه، واختلاف الريح مما جعل تحركها شديد الصعوب ورأى الجنرال ديزيه ألا يغامر بجيشه فيما وراء جرجا، لأنه أصبح بعيدًا عن القاهرة، ووجد فى جرجا مدينة كبيرة فى وسط مديرية خصبة تصلح لتموين الجيش، فرأى من الحكمة أن يستقر بها وينعم بالراحة إلى أن يصل أسطوله فيواصل زحفه لإخضاع الصعيد، وإذا كان هذا هو موقف الجنرال ديزيه فماذا عن موقف مراد بك فى تلك الفترة؟

## موقف مراد بك فى صعيد مصر

تذكر المصادر الفرنسية المعاصرة أنه بالرغم من هزيمة مراد بك فى كل من سدمنت والفيوم، إلا أنه ظل دائمًا سيد أقاليم صعيد مصر، واحتفظ

بمركز قوى كان السبب فى توقف الجنرال «ديزيه» عن مطاردته لحين استكمال النقص فى جنوده ووصول الإمدادات من القاهرة، وفى تلك الفترة التى كان الجنرال ديزيه يقوم فيها باستكمال النقص فى صفوفه، وإعداد حملته لإخضاع الصعيد، لم يضيع مراد بك وقته، بل أراد هو الآخر أن يزيد من قوته بكل الوسائل الممكنة التى يوفرها له نفوذه القديم فى الصعيد، وبذلك استطاع أن يضم إلى جانبه كل القبائل العربية المنتشرة فى الصعيد، وكان واثقًا من مساندة الأهالى، ويذكر «مارتان» أن مراد بك أرسل رسله إلى ما وراء الشلالات لتهديد النوبيين بإرسالهم إلى أثيوبيا مما دفع هؤلاء المواطنين المسالمين إلى الإنضمام إليه فى الحرب ولكن يبدو أن فكرة تهديد مراد بك للنوبيين ليس لها أساس من الصحة حيث تذكر مصادر أخرى أكثر إنصافًا أن مراد بك أرسل بعض الرسل إلى النوبة كى يأتوا بالمدد أو المعونات ، كما قام مراد بك بالكتابة لرؤساء «ينبع وجدة» ببلاد الحجاز يدعوهم لعبور البحر الأحمر بقواتهم للحاق به وبقواته وذلك للدفاع عن دين محمد ضد أعدائه من الكافرين الذين يرغبون فى إبادة هذا الدين.

كما أرسل مراد بك بعض المهرة من الرسل إلى حسن بك الجداوى «بإسنا» بقصد التوفيق بينه وبين مراد بك ويطلبون منه مساعدة مراد بك فى مقاومة الفرنسيين وأن ينتشر رجاله ما بين جرجا وأسيوط لمقاومة الفرنسيين ومهاجمة وتدمير أسطولهم ولم يكن مراد بك وحده هو الذى راسل حسن بك الجداوى بل راسله أيضًا السلطان العثمانى، وتذكر وثائق المحاكم الشرعية صورة «فرمان شريف» حضر لحضرة «مير اللوى» حسن بيك الجداوى «تحثه وتحث طائفة المماليك على التماسك والترابط من أجل مقاومة الفرنسيين «فكونوا على قلب واحد بعضكم لبعض معاضد، وارفعوا بينكم الشقاق وبدلوه فى الحب الله والوفاق وادفعوا من بينكم الأشرار وأولوا النميمة وأهل النفاق أينما كنتم وحيث ماوجدتم قربًا وبعدًا» وتذكر الوثيقة أن «الفرنسيين هم الكفرة الطغاة والفجرة البغاة لا يؤمنون برب السموات والأرض ولا برسالة الشفيع يوم العرض «كما تفضح سياسة الفرنسيين وتحذر منهم فتذكر» ومن جملة قواعدهم الشيطانية جواز النفاق والقاء الفتن والشقاق بين الملوك والدول وساير الناس من أرباب الفساد » وهم أى الفرنسيين «يخاطبون كل طايفة بأننا منكم وعلى دينكم وملتكم ويعدونهم بالمواعيد الباطلة، ويحذرونهم بالتحاذير الهايلة، والحاصل أنهم أنهمكوا فى الفسق والفجور وامتطوا مطية الغدر والغرور وخاضوا بحر الضلال والطغيان» . ثم تحض الوثيقة المماليك على مقاومة الفرنسيين «فاللازم عليكم أن تباشروا من غير توان ولا تكاسل فى دفعه ورفعه وطرده وقمعه، والحاصل فلتكن كلمتكم واحدة متفقين فى تقوية هذا الدين المبين وكونوا على حذر من حيل ومكر أولئك الكافرين اللئام، ولتكن سيوفكم بارقة وسهامكم راشقه ومدافعكم صاعقة ونبالكم إلى أفئدتهم متسابقة ودبابيسكم لقصم ظهورهم شادقة بفرسان تجول فى حومة الميدان بكل حملة توصل كافر إلى درك النيران، لأن عون الله إن شاء الله سيهزم

الجميع ويولون الدبر، بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر، ونحن في طرف السلطنة السنية نشرنا الأوامر العلية في جميع العساكر والأجناد من أقطار البلاد فبحول الله وقوته وباهر عظمته وقدرته عما قليل يجتمع عساكر وفيرة وجنود كثيرة مع سفاين كالجندل تمشى بقدرة الله ذى الجلال، ومدافع كالرعد القاصف والبرق الخاطف وشجعان لا يبالون بالموت لإعلاء كلمة الله وغزّ يقتحمون النار محبة في دين الله فتعقب أدبارهم لعل الله يرزقنا تدميرهم، فنجعلهم إن شاء الله هباء منثورا كأن لم يكونوا شيئاً.

ولم تكن منشورات السلطان العثمانى موجهة لطائفة المماليك فقط بل كانت موجهة إلى عامة المصريين، وكانت هذه المنشورات تحثهم على مقاومة الفرنسيين الذين يريدون رفع شرايع الإسلام فهم الطايفة الخاينون والشرذمة الملعونون ذوو مكر وفساد وبغي وعناد، وقد قصدوا تلك الديار وهجموا على تلك الأقطار، وذلك لرفع شرايع الإسلام وقواعد دين محمد عليه السلام وهدم بيت الله الحرام والمدينة المنورة. والفرمان بذلك يحث المصريين على مقاومة هؤلاء الكفرة ويحذرهم من أن ينقادوا لهم أو يتعاونوا معهم فيذكر: ثم إياكم أن تنخدعوا بمواعيدهم الباطلة وبأقوالهم الكاذبة كلها مكر وحيلة ودسيسة وخيانة لهذه الشريعة المطهرة النفيسة وأنتم تعلمون أن من يطيع وينقاد لهؤلاء الكفرة اللئام ويعينهم على أهل الإسلام يكون والعياذ بالله مرتداً عن دينه فينهدر دمه ويستحل ماله ويجب على كل مسلم قتاله تشهد بذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فكونوا على قلب واحد بعضكم لبعض معاضد، والله معنا أيها المؤمنون قال تعالي ﴿وإن جندنا لهم الغالبون، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾.

ومما لا شك فيه أن هذه الفرمانات كانت تلهب حماس الأهالى، وتقوى من عزيمتهم في نضالهم ضد الفرنسيين، وهكذا تجمع لدى مراد بك أعداد هائلة من الفلاحين والعربان إلى جانب قواته من المماليك، وقوات حسن بك الجداوى الذى انضم إلى مراد بك، بالإضافة إلى عرب ينبع وجده (عرب الحجاز) الذين انضموا لمراد بك بصعيد مصر وشكلوا خطراً على القوات الفرنسية ووقفت هذه القوات الهائلة من الأهالى والمماليك وعرب الحجاز ضد قوات الجنرال «ديزيه» التى كان شغلها الشاغل فتح الصعيد والإستيلاء عليه وإخضاعه للنفوذ الفرنسى.

## الثورة فيما بين أسيوط وجرجا

كان ديزيه يتوقع قدوم أسطوله إلى جرجا بعد أيام معدودات، ولكنه تأخر في الوصول، فاضطر ديزيه أن يبقى في جرجا لمدة ثلاثة أسابيع دون أن يزحف أو يعمل عملاً، وكان تأخره مدعاة لتنظيم قوة المقاومة في البلاد التى لم يفتحها، وسريان روح الثورة في المدن التى فتحها، وعلم الفرنسيون في ١٣ نيفوز من العام السابع الجمهورى الموافق ٢ يناير سنة ١٧٩٩ أن الفلاحين قد تشجعوا بالمماليك واستعدوا لمهاجمتهم من الخلف على أن يهاجمهم المماليك من الأمام، وعزم مراد بك على الاستيلاء على السفن الفرنسية قبل أن تصل إلى مدينة جرجا وأرسل للقيام بذلك أحد أعوانه

المشهورين بالنشاط والحذق واسمه عثمان بك قمر فقطع الطريق بين أسيوط وجرجا وهيج الأهلين وحملهم على محاربة الفرنسيين، فسرت روح الثورة فى أربعين بلداً فى المنطقة الواقعة بين أسيوط وجرجا، وبلغ عدد الثوار من الأهالى كما قدرتها المصادر الفرنسية ما بين ستة إلى سبعة آلاف من الأهالى، وبالرغم من أن هذه الثورة كانت واسعة النطاق وتميزت بانضمام أعداد هائلة من الأهالى، إلا أن الفرنسسين استطاعوا أن يقضوا عليها قبل أن تتحد عناصرها، وتمكنوا من هزيمة قواتها المبعثرة معتمدين على نظامهم الحربى ومدافعهم القوية وبنادقهم الحديثة ، فكانت المعارك التى نشبت بينهم وبين الأهالى أشبه بالمذابح التى فتكت فيها نيران المدافع والبنادق بمجموع من الأهالى محرومين من النظام غير مزودين إلا بأسلحة قديمة، وفشلت ثورة الأهالى فى تحقيق غرضها بالقضاء على القوات الفرنسية، لافتقادها إلى النظام والعتاد الحربى والقيادة الحازمة.

## معركة سوهاج
## (٣ يناير سنة ١٧٩٩)

علم ديزيه أن هناك تجمعًا كبيرًا من الأهالى يتشكل بالقرب من سوهاج قدرته المصادر الفرنسية بأربعة آلاف من الفلاحين مسلحين بالبنادق والحراب Piques بالإضافة إلى ثمانمائة من الفرسان فقرر الجنرال ديزيه أن يقضى على هذه الثورة قبل أن يتسع مداها، وأمر ديزيه الجنرال دافو Davout بالرحيل فوراً من جرجا على رأس قواته للقضاء على هذه الثورة، فوصل إلى سوهاج يوم ٣ يناير سنة ١٧٩٩، وفى اللحظة الأولى لهذه المعركة أعطى الجنرال دافو لطليعة جيشه المكون من الفرقة السابعة من الفرسان والفرقة الثانية والعشرين من القناصة بأن يهاجموا بعنف قوات الأهالى ومن معهم من فرسان المماليك، ولم يستطع الأهالى الصمود طويلاً أمام هجوم الفرنسيين ونيران أسلحتهم ففروا هاربين بعد أن تركوا خلفهم ثمانمائة قتيل على أرض المعركة.

وهكذا كانت هذه المعركة كارثة أصابت الأهالى وألحقت بهم خسائر جسيمة واعتقد الفرنسيون أن القضاء على هذه الثورة بهذه السرعة وما أصاب الأهالى من خسائر سيؤدى إلى انتشار الرعب فى البلدان الأخرى وإخماد الثورة فيها، لكن على العكس من ذلك فإن الأهالى استمدوا من هذه الهزيمة دافعًا لمواصلة الثورة، فلم تنكسر شوكتهم، ولم تفتر عزيمتهم فما أن عاد الجنرال دافو إلى جرجا بعد انتصاره فى هذه المعركة حتى علم الجنرال ديزيه بأن هناك حشداً كبيراً تكون بالقرب من أسيوط ومكون من فلاحين مشاه وفرسان جاء معظمهم من المنيا وبنى سويف والفيوم وهنا أحس ديزيه بالقلق وازداد قلقه بسبب تأخر أسطوله الذى يحمل المؤن والمعدات ولم تصله حتى الآن أخبار أكيدة عن ميعاد وصوله إلى جرجا، وهنا كلف ديزيه الجنرال دافو بأن يزحف من جديد على رأس فرسانه لمقاومة المتمردين من الأهالى، وأن يبذل أقصى جهده فى العمل على سلامة الأسطول الفرنسى الذى انقطعت أخباره وتأخر وصوله إلى جرجا.

## معركة طهطا

### (٨ يناير سنة ١٧٩٩)

سار الجنرال دافو على رأس قواته من الفرسان تجاه طهطا فوصلها فى ٨ يناير، ووجد بها ما يقرب من ٢٠٠٠ عربى من الفرسان و ٦٠٠٠ مشاة من الأهالى الذين أقنعهم رجال مراد بك أن الجيش الفرنسى قد دمر، ولم يتبق منه إلا فيالق صغيرة يسهل مهاجمتها.

وفى اللحظة التى كان يدخل فيها دافو وجنوده طهطا علم أن هناك عدداً كبيراً من فرسان الصعيد فى طهطا يهاجمون مؤخرة جيشه المكون من سرية من الصف العشرين من الجنود الخيالة، وفى الحال قام الجنرال دافو بالهجوم المباغت وهرب الفرسان العرب عند أول مقاومة، وتركوا الفلاحين المشاة يتعرضون لضربات الفرنسيين، وانتصر الفرنسيون على الأهالى والعرب فى هذه المعركة، وقتل منهم ألف قتيل كانت الغالبية العظمى منهم من الأهالى المشاة، وبعد المعركة انتقم الفرنسيون انتقاماً فظيعاً من القرى التى أطلقت عليهم النار فقتلوا من أهلها خمسمائة رجل وأحرقوها.

ثم تابع الجنرال دافو سيره فوصل بفرسانه إلى أسيوط يوم ١١ يناير ووجد السفن الفرنسية راسية تجاه المدينة، ثم تابعت السفن الفرنسية سيرها فوصلت إلى جرجا يوم ١٨ يناير حيث كانت تتقدمها الفرسان بقيادة الجنرال دافو، وكانت السفن «الفرنسية تحمل الذخائر والأقوات لقوات الجنرال ديزيه ومدداً من ١٥٠ جندياً، مما يجعل ديزيه يفكر فى الاشتباك مع مراد بك وأعوانه فى معركة فاصلة.

## معركة الصوامعة

### (٥ مارس سنة ١٧٩٩)

عندما علم الجنرال ديزيه من جواسيسه بأن مراد بك فى طريقه إلى الالتقاء بمحمد بك الألفى فى أسيوط، اتجه ديزيه إلى أسيوط لكى يمنع لقاء مراد بك بمحمد بك الألفى ويحاربهما إذا كان هذا الانضمام قد تم بالفعل وكان مراد بك وجنوده قد نجحوا فى إثارة عدد هائل من الفلاحين تحت قيادة مشايخ البلاد بالقرب من طهطا، فلما علم ديزيه بذلك، عهد إلى الجنرال فريان بمهمة القضاء على هؤلاء الثوار فالتقى بهم فى الصوامعة يوم ٥ مارس سنة ١٧٩٩، ووجد الجنرال فريان هذه البلدة فى حالة من الهياج والثورة، ووجد بها ما يقرب من ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف من الفلاحين يحتلونها، وعندما رأى الجنرال فريان هذه الأعداد الهائلة من الثوار، قسم جيشه إلى ثلاثة أقسام كبيرة من الجنود لكى يحاصرهم ويمنعهم من اللجوء إلى الصحراء ، كما قام باحتلال المنطقة الواقعة بين النيل والصحراء لكى يمنع هروب مماليك الألفى أو لقاؤهم بجنود مراد، ونجحت خطة الجنرال فريان نجاحًا تامًا، ففى لحظات استطاع الجنرال فريان وجنوده أن يقتلوا ألفا من الثوار ما بين قتيل وغريق أما بقية الثوار فقد لاقوا الأمرين فى محاولتهم النجاة بأنفسهم ولم ينسحبوا إلا تحت وابل من طلقات البنادق، ولم يفقد الجنرال فريان رجلاً واحداً من جنوده فى هذه المعركة، وغنم الفرنسيون خمسين حصانا تركها فرسانها ليرتموا فى الماء للسباحة فى محاولة للنجاة بأنفسهم.

وفى اليوم التالى للمعركة طاردت القوات الفرنسية قوات المماليك مما جعل مراد بك يقرر الهروب ومعه ١٥٠ من رجاله إلى الواحة الكبرى La grand Oasis، أما باقى رجال مراد بك فقد اتجهوا إلى أسيوط حيث وصل الجنرال ديزيه بعدهم بقليل، أما محمد بك الألفى فقد عبر النهر إلى الضفة اليمنى للنيل ليعود إلى واحة أخميم وتبعه بعض كشاف ومماليك مراد بك.

## معركة برديس

## (٦ أبريل سنة ١٧٩٩)

وصلت إلى الجنرال ديزيه معلومات تفيد بأن الأهالى والمماليك وعرب الحجاز قد استأنفوا حركاتهم الثورية فى مديرية جرجا وأنهم احتشدوا بالبر الشرقى لقطع مواصلات الجيش الفرنسى، فأدرك الجنرال ديزيه خطورة الموقف، وعلى الفور كلف الجنرال دافو وفرسانه بمهمة إخضاع البلاد الثائرة فى هذه النواحى والقضاء على مقاومتها، كما أرسل ديزيه أوامره إلى موراند Morand قومندان جرجا أن يذهب إلى المرتفعات المشرفة على الضفة اليمنى» للنيل قبالة جرجا، ويهاجم الثائرين أو يعترض مسيرتهم فى حالة انسحابهم.

وهنا شعر عرب ينبع بحرج موقفهم، وصمموا على عدم انتظار الجنرال دافو، وعبروا النيل أعلى برديس . وعندما علم قائد جرجا بذلك أخذ مائتين وخمسين رجلاً من حاميته وذهب لملاقاتهم فى برديس، التى وصلها بعد ظهر يوم ٦ أبريل، فخرج لملاقاته عرب ينبع وكثير من الفلاحين والمماليك وعرب من قرية برديس وهم يطلقون صيحات عالية تنم عن استعدادهم للقتال، وهجموا على القوة الفرنسية التى ردت عليهم باطلاق نيران بنادقها دفعة واحدة عليهم، فتراجع الثوار قليلاً بالرغم من أعدادهم الكثيرة.

وبالرغم من أن موراند كان فى موقع أفضل من موقع الثوار من الناحية العسكرية إلا أنه كان يعانى من نقص قواته عن قوات الثوار بكثير، وكان من الصعب عليه أن يهزم هذه الأعداد الهائلة من الثوار بهذا العدد القليل من جنوده ولكنه اعتقد أنه يستطيع أن يصمد بهذا العدد، ولكن بعد نصف ساعة تلقى هجوماً ثانياً منهم فرد عليهم بالطلقات النارية التى أصابت العديد منهم، وفر الباقون تحت جنح الظلام الذى كان يقترب فاستغل موراند هذه الفرصة وعاد إلى جرجا ليحمى مواقع الفرنسيين بها.

## معركة جرجا

## (٧ ابريل سنة ١٧٩٩)

عندما علم الأهالى والمماليك وعرب ينبع بعودة موراند إلى جرجا صمموا على مواصلة الهجوم، وساروا فى طريقهم إلي جرجا يريدون احتلالها، ولقد تضاعف عددهم وهم فى طريقهم. إلى جرجا بمن كان ينضم إليهم من سكان البلاد التى مروا بها وسكان البلاد المحيطة بجرجا، ولقد قدر الجنرال دافو عددهم بثلاثة آلاف من الفلاحين يعاونهم جماعة من المماليك وعرب ينبع، وهجموا على جرجا يوم ٧ أبريل، وتمكن عرب ينبع من دخولها، وكان موراند يملك الكثير من العتاد فى جرجا، وبينما كان عرب ينبع يحاولون الحصول على المؤنة من مخازن جرجا، كان موراند قد شكل فرقتين من جنوده، وجعل لكل منهما مهمة، فكلف فرقة منهم أن تكون مهمتها القضاء على

الثوار داخل مدينة جرجا، أما الأخرى فكانت مهمتها خارج مدينة جرجا ومهمتها ملاحقة القوات وعدم تمكينهم من دخول المدينة، ونجحت خطة موراند، فلقد استطاعت الحامية الفرنسية قتل كل ما كان فى المدينة من القوات، وهرب الباقون إلى الصحراء أما عن الخسائر التى لحقت بقوات مراد بك فى هذه الموقعة، فلقد اختلفت المصادر الفرنسية فى تقديرها لهذه الخسائر، ففى الوقت الذى لم تتعرض فيه لذكر الخسائر التى لحقت بالثوار فى موقعة برديس (٦ أبريل) ذكرت عند تعرضها للخسائر التى لحقت بالثوار فى موقعة جرجا (٧ أبريل) أن عرب ينبع فقدوا فى هذين اليومين (أى فى موقعتى برديس وجرجا) مائتى رجل دون أن تتعرض لأعداد هؤ لاء الجرحى، بينما ذكرت أن خسائر الفرنسيين تمثلت فى عدد من الجرحى دون أن تتعرض لأعداد هؤلاء الجرحى، بينما ذكر بونابرت فى رسالته إلى حكومة الإدارة أن الخسائر التى لحقت بالثوار فى معركة جرجا بلغت مائة قتيل وقدر الجنرال دافو خسائر الثوار فى معركة جرجا بمائة وخمسين قتيلا كما قدر خسائر الفرنسيين بستة من القتلى وأحد عشر جريحًا، وبالرغم من اختلاف المصادر الفرنسية فى تقديرها للخسائر التى لحقت بالثوار فى هذه المعركة، فإن البحث يميل إلى تقدير الجنرال دافو السالف الذكر لأنه الأقرب إلى الحقيقة، فهو وحده الذى ذكر لنا عدد الخسائر التى لحقت بالفرنسيين من قتلى ومن جرحى، مما يدل على دقته وموضوعيته، أما تقدير الجنرال ديزيه فهو لا يتسم بالموضوعية حيث أنه نسب خسائر الثوار من أهالى ومماليك وعرب ينبع إلى عرب ينبع فقط، وكأن عرب ينبع هم وحدهم الذين تصدوا للفرنسيين وهم وحدهم الذين لحقت بهم الخسائر، وهذا لا يتطابق مع الحقيقة، فالواقع أن الخسائر ألمت بالجميع بمن فيهم عرب ينبع، هذا إلى جانب أنه لم يشر إلى الخسائر التى ألمت بالفرنسيين.

أما ما ذكره بونابرت لحكومة الإدارة فهو أيضًا لا يمثل الحقيقة كاملة لأنه لم يتعرض لأى ذكر للخسائر التى ألمت بالفرنسيين، وإن كان فى نفس الوقت قد تحدث عن الخسائر التى ألمت بالمصريين، كعادة التقارير الرسمية التى تذكر المكاسب دائمًا، وتتجاهل الخسائر أحيانًا، وإن ذكرتها فإنها تكون دائمًا بعيدة عن الحقيقة وعن الواقع.

## معركة جهينة

## (١٠ أبريل سنة ١٧٩٩)

نما إلى علم الفرنسيين بأن عرب ينبع بعد هزيمتهم فى جرجا توجهوا إلى طهطا، وحاول قائدهم إثارة أهلها ضد الفرنسيين، وعلى الفور تحرك القائد لاسال Lasalle بجنوده من أسيوط فى طريقه إلى طهطا لقمع الثورة التى نشبت فيها، وكانت قوات لاسال تتكون من كتيبة من الفرقة ٨٨، والفرقة ٢٢ من القناصة ومدفع واحد ووصل لاسال وجنوده إلى جهينة فى الساعة الواحدة بعد الظهر من يوم ١٠ أبريل سنة ١٧٩٩، فوجد بها عرب ينبع، فقام بمحاصرة القرية بجزء من جيشه، وسار لمقابلة عرب ينبع بالجزء الأخر فقابله عرب ينبع بإطلاق نيران بنادقهم عليه وعلى جنوده، فرد عليهم لاسال بالطلقات النارية، ووجه نيران مدافعه تجاههم، فدخل عرب ينبع فى دار حصينة كان

يحوطها سور ضخم، وكانوا قد أحدثوا فيه فتحات، وحدث تراشق بينهم وبين الفرنسيين بالرصاص وقاوموا الفرنسيين لعدة ساعات وهم فى داخل هذه الدار، واستطاع الفرنسيون فى النهاية أن يتغلبوا عليهم وهزموهم شر هزيمة بواسطة الفرقة ٢٢، وقتل من عرب ينبع عدد كبير ومن نجا من القتل فر هارباً، وتمكن نحو مائتين منهم أن يفروا تجاه الصحراء وبلغت خسائر عرب ينبع فى هذه المعركة حوالى ثلثمائة قتيل من بينهم الشريف نائب حسن.

## معركة بنى عدى

## (١٨ أبريل سنة ١٧٩٩)

وصل الجنرال «دافو» إلى أسيوط يوم ١٦ أبريل، وبعد وصوله بأربع وعشرين ساعة، علم أن حشداً ضخماً من الثوار قد تشكل فى بنى عدى الواقعة غرب منفلوط فى الطريق إلى الواحات، حيث قام أهلها وهم أشجع رجال مصر Le plus braves de l'Egypte بالثورة على الفرنسيين، وانضم إليهم فى ثورتهم هذه المماليك والعرب وأهالى دارفور الذين جاءوا مع القوافل من قلب أفريقية، وشجعت هذه الجموع مراد بك فخرج من الواحات ليكون على رأس هذا الجيش، وأرسل بقواته وكشافه لينظموا هذه القوات ويثيروا حميتهم فى نضالهم ضد الفرنسيين، واتخذ الثوار بنى عدى مركز لهم، واجتمع بها كما يذكر الجنرال ديزيه ثلاثة آلاف من رجال بنى عدى و ٤٥٠ من قبائل عربان الجهمة والتراهونة، وخمسون من عربان بنى وافى، وثلاثمائة من المماليك، ولم يستطع ديزيه أن يحصر أعداد المكيون (عرب الحجاز) الذين انضموا إلى الثوار ببنى عدى لأنه يجهلها وذلك كما ذكر فى رسالته إلى بونابرت.

وإذا ما أضفنا أعداد المكيون التى لم يستطع ديزيه أن يحصرها إلى الأعداء التى ذكرها، فإن عدد القوات التى تجمعت فى بنى عدى من الثوار تبلغ على الأقل أربعة آلاف رجل، الغالبية العظمى منهم من أهالى بنى عدى فلاحون وعربان، ويليهم فى العدد المماليك ثم عرب الحجاز.

وما إن أصبح تجمع الثوار حقيقة، وتحفزهم للثورة واضحاً حتى استعد الجنرال دافو للقائهم ولم يتوان لحظة واحدة فى اللحاق بهم، وعزز قواته بكتيبة من الفرقة ٨٨ والفرقة ١٥ من الفرسان، وعين سيلى Silly قائداً على أسيوط بدلاً من بينون Pinon وتوجه دافو بجنوده تجاه بنى عدى فوصلها يوم ١٨ أبريل، ووجد بها جيشًا كبيراً يحمل السلاح ويتأهب للقتال، وكان جناح القرية بإتجاه الصحراء مغطى بعدد كبير من الفرسان والمماليك والعرب والفلاحين، فشكل الجنرال دافو مشاته إلى طابورين أحدهما لمهاجمة القرية والآخر لمحاصرتها، والطابور الأخير هذا كان يتقدمه الفرسان بقيادة بينون وهو رئيس فرقة ممتاز، ولكن هذا الضابط التعس أثناء مروره بالقرب من أحد المنازل تلقى طلقة بندقية أردته قتيلاً، فأسرع الجنرال دافو بإرسال المساعد العام راباس Rabasse ليحل محل بينون لقيادة الفرسان الذين لاحظوا وجود المماليك فى الصحراء فى طريقهم إلى بنى عدى لنجدة الأهالى فاتجهت إليهم أحد طوابير المشاة الفرنسية، لكن طليعة مراد بك التى أخرجها البؤس الشنيع

من الواحات، نصحته بالعودة سريعًا، فارتد المماليك لأول صدمة وانسحبوا راجعين إلى الواحة التى قدموا منها وتركوا الأهالى وحدهم يتلقون هجمات الجيش الفرنسى، فاشتبك الفريقان فى معركة حامية دارت رحاها فى طرقات بنى عدى، وفى بيوتها التى حصنها الأهالى وجعلوا منها شبه قلاع كان الرصاص ينهال منها على الجنود الفرنسيين، فلقى الجيش الفرنسى فى بنى عدى ما لم يلق مثله فى كثير من البلاد، واستمرت المعركة إلى الليل واستخدمت فيها المدفعية ولم يتمكن الفرنسيون من الإستيلاء على بنى عدى إلا بعد أن أشعلوا فيها النيران، وفى لحظات تحولت هذه القرية الجميلة إلى رماد وأطلال واحتلها الجنود الفرنسيون وأمعنوا فى أهلها قتلاً ونهبًا.

أما عن الخسائر التى لحقت بالثوار فى بنى عدى، فإننا لا نجد أمامنا سوى المصادر الفرنسية المعاصرة التى قدرت هذه الخسائر، وللأسف فإن هذه المصادر بالرغم من أن أصحابها كانوا شهود عيان وشاركوا فى الأحداث إلا أن تقديرهم للخسائر التى لحقت بالثوار قد اختلفت من مصدر لآخر على النحو التالى:

قدر الجنرال دافو عدد القتلى من الثوار ببنى عدى بما يزيد على الألفين من القتلى، أما الجنرال ديزيه فقد كان متناقضًا مع نفسه فى تقديره لعدد القتلى، فلقد ذكر فى رسالة منه إلى بونابرت بعد المعركة بأيام عدد القتلى من الثوار بلغ ثلاثة آلاف، ثم ذكر فى تقرير آخر لبونابرت بعد المعركة بشهور أن عدد القتلى بلغ ألفى قتيل من عرب ينبع والمغاربة والدارفوريين والمماليك والأهالى من بنى عدى.

أما بونابرت فقد أخطأ عندما قدر عدد القتلى من الثوار بألف رجل وهو لم يشهد الواقعة، وكان من المفروض أن يعتمد على رسائل وتقارير الجنرال ديزيه والجنرال دافو، لكنه وضع تقديرًا لعدد القتلى من عنده دون أن ينظر إلى تقارير من شاهدوا الواقعة واشتركوا فيها، ولا شك أن اختلاف المصادر قد يوقع الباحث فى حيرة، ولكن بعد تحليل هذه المصادر يتضح لنا إذا ما استبعدنا تقدير بونابرت لأنه لم يشاهد الواقعة، فإننا نجد أن باقى المصادر قد اتفقت على أن عدد القتلى من الثوار قد بلغ ألفى قتيل وذلك حسب تقديرات كل من دافو وبرتييه وديزيه.

أما خسائر الفرنسيين فى هذه المعركة فقد بلغت ثمانية من القتلى وثلاثين جريحًا على حد تقدير الجنرال دافو.

ونود أن نشير إلى أن الخسائر التى لحقت بالأهالى لم تكن تتمثل فقط فى أعداد القتلى السالفة الذكر، بل شملت هذه الخسائر الأرواح والأموال فلقد خسر الأهالى كل ما يملكون، حيث استولى الفرنسيون على كل ما وجدوه فى بنى عدى من أموال وجواهر حيث وجد الفرنسيون فى بن عدى صناديق مملوءة بالذهب، فاستولوا عليها وأخذوا شيئًا كثيرًا وأموالا عظيمة، وودائع جسيمة للغز وغيرهم من مساتير أهل البلاد القبلية وأصابت الخسائر جميع الطوائف التى تقطن بنى عدى، وغنم الفرنسيون أموالاً طائلة، فلقد ذكر الجنرال دافو أن الغنائم التى استولى عليها الجنود قد عوضتهم ما فقدوه، وكثير منهم كان نصيبه

خمسة عشر أو عشرين ألف فرنك ذهبى، وهكذا فلقد كانت خسائر المقاومة فادحة فى الأرواح والأموال، بينما كانت خسارة الفرنسيين فى الأرواح قليلة ومكاسبهم فى الأموال عظيمة.

## ثورة المنيا

### (٢٣ - ٢٥ أبريل سنة ١٧٩٩)

كانت المنيا مركزًا لثورة عارمة، امتدت لمدة ثلاثة أيام متوالية، وفى ذلك الوقت كان ديتريس De'tre's قائدًا للحامية الفرنسية فى المنيا، وقبل أن يصل الجنرال دافو إليها شبت الثورة فى البلاد المجاورة فواجهها ديتريس بالقوات التى تحت قيادته، ونشبت معارك ثلاث فى ثلاثة أيام متوالية وسنعرض لهذه المعارك بالتفصيل كالتالى:

ففى اليوم الأول الموافق ٢٣ أبريل سنة ١٧٩٩، وفى حوالى الساعة الثانية بعد الظهر علم ديتريس أن حشدًا مكونًا ما بين ثلاثمائة إلى أربعمائة من الأهالى ومثلهم من المكيين (عرب الحجاز) قد تكون فى قرية (طهنشا) جنوبى المنيا وأنهم قد استعدوا للهجوم على الحامية الفرنسية فى المنيا، بل وأرسل زعيمهم إلى شيخ بلد المنيا يطلب منه مظاهرتهم على عدوهم فعزم ديتريس على مهاجمتهم قبل أن يهاجموه، وترك فى المنيا فصيلة صغيرة من جنوده، وتوجه بباقى جنوده التى كانت تصل إلى ما يزيد على ٢٩٩ جنديا، وأخذ معه أيضًا حوالى ثلاثة مدافع، والتقى بالثائرين بالقرب من (تلة) التى تبعد عن المنيا غربا بنحو ثلاثة كيلو مترات، فلما اقترب منهم ديتريس برزوا من معسكرهم لمقاتلته، وبدأت المعركة بتحرك الثوار تجاه الفرنسيين فى محاولة منهم لشن هجوم خاطف على القوة الفرنسية، وفى نفس الوقت كان ديتريس قد جعل من قواته مربعًا على الطريقة الفرنسية، وسلط مدافعه على جموع الثائرين، واستمر القتال بين الفريقان لمدة أربع ساعات، ولمح ديتريس جماعة من المماليك قادمين من الجنوب فى طريقهم إلى المنيا. فانسحب ديتريس إلى المنيا ليوطد مركزه بالمدينة، وقد نجح فى ذلك إلى حد كبير بدليل أن الأهالى والمماليك لم يستطيعوا اقتحام بوابات مدينة المنيا ودخولها، وكان الليل قد أقبل، فعاد الأهالى إلى تلة، واستغل ديتريس هذه الفرصة لينظم قواته استعدادًا لصد هجوم الأهالى فى اليوم التالى.

وفى اليوم الموافق ٢٤ أبريل استعد «ديتريس» لمقاومة الأهالى والعربان والمماليك وعرب الحجاز، ووقف بجنوده خارج مدينة المنيا فى موقع حصين تحميه المقابر والحدائق، وأوقف الرماة خلف الهضاب العالية، وتقدم الثوار فى اتجاه الفرنسيين وهم يصيحون صيحات القتال، وكان عددهم قد زاد بمن انضم إليهم من سكان القرى الواقعة على شاطئ النيل، وبمن انضم إليهم من جماعة المماليك الذين قدموا من الجنوب، وامتلأ السهل المجاور للمدينة على مسافة فرسخ Lieue بالمقاتلين، ودارت المعركة من جديد بين الثوار والفرنسيين، وبدأ الأهالى فى مهاجمة الفرنسيين الذين اتخذوا خطة الدفاع لقلة أعدادهم، واستمر الفرنسيون يدفعون هجمات الثوار لمدة ساعتين ويبدو أن هجوم الثوار كان عنيفًا، ونجح الأهالى فى الضغط على القوة الفرنسية المكلفة بالدفاع عن الباب الشمالى لمدينة المنيا، فانسحبت هذه القوة

أمام هجمات الأهالي إلى داخل المدينة، ولحق بهم ديتريس، وفي نفس الوقت تمكن الثوار من اقتحام أبواب المدينة الأخرى ودخلوا المدينة، وامتلأت بهم شوارعها واستولوا على كل ما وقعت عليه أيديهم، وهنا جمع ديتريس جنوده وأمرهم بمهاجمة الثوار، وإطلاق النار عليهم، كما أرسل فصائل من جنوده لاحتلال الشوارع الرئيسية بالمدينة، وإخلاء الثوار منها وإعادة سلطة الفرنسيين عليها، ونجحت القوات الفرنسية في السيطرة على المدينة، وطرد الثوار منها بعد أن حلت بهم خسائر فادحة.

وفي اليوم الثالث الموافق ٢٥ أبريل، أقبل أربعمائة فارس من العرب والمصريين يظاهرهم جماعة من المماليك، وهاجموا الفرنسيين وكادت تدور الدائرة على الفرنسيين لو لا وصول الجنرال دافو بقواته في الوقت المناسب فهزم الثوار، وعاد الهدوء إلى المدينة من جديد بعد أن انسحب الثائرون منها تاركين خلفهم العديد من الجرحى والقتلى أمام الخسائر التي لحقت بالثوار في الثلاثة أيام فلقد بلغت على حد تقدير ديتريس ٦٠ قتيلاً من بينهم عشرة من المماليك، إلى جانب ما يزيد على ١٥٠ جريحًا من الأهالي والمكيون، أما الخسائر التي لحقت بالفرنسيين في الثلاثة أيام أيضًا فلقد بلغت كما قدرها «ديتريس بعشرة من القتلى إلى جانب ٢٧ من الجرحى.

ومن العرض السابق يتضح لنا أن ثورة المنيا لم تكن ثورة المدينة نفسها بل كانت ثورة القرى المجاورة للمدينة، وإذا كنا قد أطلقنا عليها ثورة المنيا، فلأن مدينة المنيا كانت هي البؤرة التي دارت فيها هذه المعارك، أما غالبية الثوار فكانوا من القرى المجاورة للمنيا، وكان معهم عربان المناطق المجاورة أيضًا إلى جانب جماعة من المماليك، وجماعة من عرب الحجاز، أما أهل مدينة المنيا فلم ينضم غالبيتهم إلى الثوار ضد الفرنسيين ويؤكد ذلك ديتريس في رسالته إلى الجنرال دوجا حيث يقول إن حامية المنيا سلمت من القتل بفضل السلوك الهادئ لمشايخ البلد في المنيا، والغالبية العظمى من سكانها فلو أنهم حملوا السلاح في وجه الفرنسيين لما بقي منهم أحدًا.

وهكذا يمكن القول بأن الأقلية من سكان المنيا هم الذين انضموا إلى الثوار، بينما وقفت أغلبية السكان موقفًا سلبيًا فلم ينضموا إلى الثوار ضد الفرنسيين، وأدى موقفهم السلبي هذا إلى تمكن ديتريس وجنوده من القضاء على الثوار وتكبيدهم خسائر جسيمة ولكن موقفهم السلبي هذا من وجهة نظر الثوار، كان بالنسبة للفرنسيين موقفًا إيجابيًا يستحق سكان المنيا مكافأة عليه، وبالفعل فلقد قام ديتريس بإنقاص المال المفروض على سكان مدينة المنيا في ذلك العام بمقدار الثلث Tiers لحسن تصرفهم، وقرر ديتريس حمل هذا الثلث على ثلاث قرى من البلاد التي اشتركت في الثورة عقابًا لهم على اشتراكهم في الثورة ضد الفرنسيين.

## الحملة الفرنسية على الصعيد الأعلى وحركات المقاومة

### تمهيد:

زحفت حملة الجنرال ديزيه على الصعيد الأعلى أو مصر العليا لإخضاعها للإدارة الفرنسية، ولم تكن مهمة الجنرال ديزيه سهلة، حيث

اشتعلت الثورة فى كل مكان، وتوالت هجمات الأهالى على القوات التى تجتاز البر وتلك التى تجتاز البحر حيث واجهت القوات الفرنسية فى هذا القطاع من صعيد مصر ثلاث قوات مجتمعة ممثلة فى العرب القادمين من الحجاز والمماليك والأهالى، ودارت معارك عديدة بين أهالى الصعيد وحلفائهم وبين القوات الفرنسية، وهذا ما سنتعرض له بالتفصيل من خلال عرضنا لأحداث هذا الفصل.

## معركة سمهود

## ( ٢٢ يناير سنة ١٧٩٩ )

علم مراد بك بهزيمة جيشه فى طهطا، لكنه بالرغم من ذلك لم يفقد الأمل فى أن يتلقى بالفرنسيين فى موقعة حاسمة يحقق فيها انتصاراً يعوضه عن هزائمه السابقة، وخصوصاً بعد أن جاءته الأنباء مبشرة بصلحه مع حسن بك الجداوى وعثمان بك حسن وانضمام رجالهما إليه فى معركته ضد الفرنسيين، وكذلك بمجئ قوات من الحجاز ومن عرب جدة وينبع الذين عبروا البحر الأحمر متجهين إلى ميناء القصير ومن هناك اتجهوا إلى قنا حيث انضموا إلى مراد بك لمساعدة إخوانهم فى حربهم ضد الفرنسيين، ولقد انضم إلى مراد بك جمع غفير من أهالى الصعيد الثائرين حيث ذكرت المصادر الفرنسية أنه بسبب الكتابات المهيجة المنتشرة بواسطة المماليك كان جميع سكان مصر العليا من الشلالات إلى جرجا مجندين ومستعدين للزحف ضد الفرنسيين.

والواقع أن أهالى الصعيد لم يكونوا بحاجة إلى منشورات أو رسائل كى تحثهم على قتال الفرنسيين، فهم قد هبوا من أنفسهم للذود عن وطنهم وعن عرضهم ضد الغاصب المحتل، وهكذا تكون لدى مراد بك جيش كبير يضم ألفين من المشاة من عرب ينبع وجدة، أى أن قوات مراد بك بلغت ما يقرب من أربعة عشر ألف مقاتل كما قدرتها المصادر الفرنسية.

وعلى الجانب الآخر فإن الجيش الفرنسى بقيادة الجنرال ديزيه كان مؤلفاً من خمسة آلاف مقاتل من المشاة والفرسان، وأربعة عشر مدفعاً وعمارة بحرية صغيرة فى النيل وعلم ديزيه أن قوات مراد بك مرابطة فى سمهود الواقعة على ترعة بهجورة فانتقل إليها بجيشه وهناك حدثت موقعة حامية يوم ٢٢ يناير .

بدأت هذه الموقعة صباح يوم ٢٢ يناير بلقاء بين طلائع الجيشان، حيث تقابلت الفرقة السابعة من الخيالة بقيادة القومندان دوبليسى Duplessis مع طلائع قوات مراد بك التى كان يقودها عثمان بك حسن، وحدثت مناوشات بين طلائع الجيشين، انتهت بفرار مقدمة قوات مراد بك تاركة خلفها عدد من الرجال يتراوح بين أربعين وخمسين رجلاً فى ميدان القتال، وفقد الفرنسيون جندياً واحداً كما أصيب اثنان من الفرنسيين بجروح فى هذه البداية الساخنة للمعركة الكبيرة كما يذكرها الكابتن ديفرنوا أحد المشاركين فى أحداث هذه المعركة.

وأثناء تلاحم مقدمات الجيشان كان الجنرال ديزيه يضع جيشه فى وضع القتال، ويعد خطته الحربية بدقة ليضمن لجيشه الفوز فى هذه المعركة الهامة، وقام ديزيه بتشكيل جيشه إلى ثلاثة مربعات متجاورة كالتالى:

١- المربع الأيمن: ويتكون من جنود الفرق ٦١ ، ٨٨ بقيادة الجنرال فريان.

٢- المربع الأيسر: ويتكون من جنود الفرقة ٢١، بقيادة الجنرال بليار.

٣- فرقة الفرسان: فى القلب على شكل مربع بقيادة الجنرال دافو.

وروعى بالنسبة لفرقة الفرسان أن تكون فى فاصل المربعين ليكونوا فى مأمن من نيران المماليك أما المدفعية فكانت خلف هذا التقسيم. كان الجيش الفرنسى يتميز بالنظام والتخطيط الحربى الذى يتبع طرق الحروب الحديثة، بينما نجد جيش مراد بك بالرغم من كثرة أعداده إلا أنه كان يفتقر إلى النظام وفى هذا يذكر أحد المعاصرين الفرنسيين عن بداية المعركة بعد أن نظم الجنرال ديزيه جيشه على الطريقة السالفة الذكر فيقول «بعد أن تم استعدادنا بهذه الطريقة للقتال، هجم علينا الأعداء من جميع الإتجاهات بكل قوتهم وكان بإمكاننا تمييز المماليك من هذه المجاميع الغير نظامية من فخامة ملابسهم وبلمعة سيوفهم، أما الفلاحين فكانت أعدادهم لا تحصى، وبين هذه الأعداد من المحاربين ارتفعت أعلام من كل شكل ولون، وامتلأت الساحة بقعقعة السلاح وصهيل الخيل وشعرنا كما لو أن مصر بأجمعها قد اجتمعت فى «سمهود» للقضاء علينا.

وهكذا بدأت المعركة بهجوم عام من جيش مراد بك حيث أحاط فرسانه وهم كثيرو العدد بالقوات الفرنسية من جميع الإتجاهات، وبعد ذلك نزلت جماعة من المشاة من عرب ينبع فى ترعة كبيرة وعميقة ثم بدءوا فى مهاجمة الجناح الأيسر للجيش الفرنسى بنيرانهم فاضطر الجنرال ديزيه إزاء هذا الهجوم الذى بدأ يزعج الجناح الأيسر لجيشه إلى أن يأمر مساعديه راب وسافارى Rapp et Savary بأن يضعوا أنفسهم على رأس كوكبة من الفرقة السابعة من الفرسان للإجهاز عليهم من أحد الأجنحة، وفى نفس الوقت أمر ديزيه فرقة حملة القرابينات [البنادق] الحادية والعشرين تحت قيادة الكابتن كليمان Cle'ment أن تتقدم على شكل طابور إلى القناة لحصار هؤلاء العرب من الجانب الأخر من القناة، ولقد نفذت أوامر الجنرال ديزيه بكل شجاعة ودقة، وانتهت هذه العملية بهزيمة عرب ينبع ومكة، وفروا من ميدان المعركة تاركين خلفهم خمسة عشر قتيلاً وحاملين معهم عدداً كبيراً من الجرحى، أما خسائر الفرنسيين فى هذه الجولة من المعركة فإنها بلغت قتيلاً واحداً من فرقة حملة القرابينات، حيث قتل بطعنة خنجر عندما حاول نزع الأعلام الخاصة بعرب مكة، وكان هناك عدد من الجرحى من الفرنسيين منهم الكابتن ديفرنوا وراب مساعدا الجنرال ديزيه وبعض الجنود الآخرين من فرقة الفرسان، ولقد انتهت هذه العملية لصالح الفرنسيين بسقوط سمهود فى قبضة الفرنسيين، وأصبحت لهم السيادة عليها.

ولم تنته المعركة عند هذا الحد ولم ييأس مراد بك، بل حاول استرداد سمهود، وتقدمت أعداد كبيرة من المماليك يعاونها عرب ينبع وهم يرددون أصواتًا عالية وصيحات مدوية ومرعبة أزعجت الجانب الفرنسى، وتقدموا تجاه سمهود فى محاولة لاستردادها من أيدى الفرنسيين، ولكن بمجرد أن حاول طابور من عرب ينبع التقدم لدخول سمهود،

تصدت لهم فرقة حملة القرابينات الحادية والعشرين، وأطلقت عليهم نيرانها الحامية والكثيفة، وعندئذ اضطر عرب ينبع إلى الانسحاب بعد إصابتهم بخسائر فادحة.

وفى نفس الوقت انقض المماليك على المربع الذى كان يقوده الجنرال فريان، بينما اتجهت عدة طوابير من مشاتهم تهاجم المربع الذى كان يقوده الجنرال بليار، وهكذا قامت قوات مراد بقيادة مماليكه بمحاصرة المربع الأيمن والمربع الأيسر للجيش الفرنسى، ولكن الفرنسيين استطاعوا فك هذا الحصار بعد أن انضمت المدفعية الخفيفة إلى جنود المشاة الفرنسيين، وقامت القوات الفرنسية بفتح نيران مدفعيتها المدوية على قوات مراد بك، فاضطروا إلى التقهقر تاركين أرض المعركة مغطاة بعدد كبير من القتلى والجرحى.

وفى هذه اللحظة أصدر الجنرال ديزيه أمره إلى الجنرال دافو بالهجوم على جيش المماليك الذى يقوده مراد بك وحسن بك اللذان كانا يريدان الاحتفاظ بموضعهما، واندفع الجنرال دافو ورجاله فى هجوم كاسح على قوات المماليك فاضطر مراد بك إلى اصدار تعليماته لجنوده بالتراجع والإنسحاب من أرض المعركة وقامت القوات الفرنسية بمطاردة المماليك لمدة أربع ساعات، ولم تتوقف إلا فى فرشوط حيث وجدوا كثيراً من قتل المماليك متأثرين بجراحهم.

وبلغت خسائر جيش مراد بك فى هذه المعركة حسبما قدرتها المصادر الفرنسية بأكثر من ٢٥٠ رجلا من القتلى منهم ١٠٠ من عرب ينبع، هذا إلى جانب عدد كبير من الجرحى أما خسائر الفرنسيين فلقد بلغت أربعة من القتلى وبعض الجرحى.

وإذا كانت هذه المعركة قد انتهت بانتصار الفرنسيين بالرغم من قلة أعدادهم عن جيش مراد بك، فإن ذلك يرجع إلى كفاءة الجيش الفرنسى وما يملكه من أسلحة متطورة عن أسلحة المماليك، وفى ذلك يذكر الجنرال برتييه أن نجاح هذه المعركة كان راجعًا خاصة إلى المدفعية الخفيفة التى كان يقودها قائد الفرقة لاتورنيرى Latour-nerie.

وعلى كل حال فلقد انتهت هذه المعركة بانتصار الفرنسيين وهزيمة مراد بك وانسحابه جنوبًا، وإذا كان لهذا الانتصار من نتائج فإنه فتح الطريق أمام الجيش الفرنسى لمواصلة زحفه جنوبًا دون أن تعترضه عقبات لها قيمتها، وإن كان البعض من المعاصرين الفرنسيين قد غالى فى تقدير النتائج التى ترتبت على هذا الانتصار حيث ذكر الجنرال ديفرنو أن هذا النصر كانت له نتائج عديدة، فقد أثار الرعب فى قلوب حلفاء مراد، وجعل للفرنسيين مهابة فى الصعيد والجزيرة العربية والنوبة وأثيوبيا وإذا كان هذا الرأى مغالى فيه فإن هناك من المعاصرين الفرنسيين من ذكر أنهم (لو كانوا فى أوروبا لكانت موقعة سمهود قد أعطتهم السيطرة على الصعيد كله.

ولكن أهم النتائج التى ترتبت على هذه المعركة تتلخص فى أن مراد بك قد غير خطته الحربية بعد هذه المعركة ويذكر المؤرخ الفرنسى المعاصر دومينيك دى بيترو أن مراد بك قرر بعد معركة سمهود أن ينهك قواتنا فى تحركات طويلة

ومرهقة وهذا الأسلوب قد سلبنا ثمار انتصار سمهود فاضطررنا للعدو خلف عدو لا يتركنا نقترب منه إلا عندما تسمح له ظروفه بالقتال، وهكذا أنتهت هذه المعركة إلى تغيير مسار الحرب فى الصعيد، وجعلت كلا الطرفين المتحاربين يغيران من خططهما الحربية طبقًا لظروف كل منهما.

ويمكن القول بأن معركة «سمهود» يمكن إضافتها إلى معركة «سدمنت» ومعركة «إمبابة» بصفتها من المعارك الفاصلة، والتى تستحق هذا الاسم فى تاريخ مصر الحربى فى عهد الحملة الفرنسية.

## سير حملة الجنرال ديزيه من فرشوط حتى أسوان

فر مراد بك جنوبًا بعد هزيمته فى سمهود، وقامت القوات الفرنسية بمطاردته حتى وصلت إلى فرشوط، ثم تابعت سيرها حتى وصلت إلى الهو ثم الوقف التى وصلتها يوم ٢٣ يناير سنة ١٧٩٩، وبلغت دندرة يوم ٢٤ يناير، ثم واصلت القوات الفرنسية سيرها جنوبًا وعسكرت من ٢٥ إلى ٢٦ يناير فى دنفيق ثم وصلت إلى طيبة مدينة المائة باب.

ولا شك فى أن هذا السير المتواصل للقوات الفرنسية قد أصاب رجالها بحالة نفسية سيئة، ولكن كانت مشاهدة آثار البلدان التى يمرون بها كفيلة بإزالة المتاعب التى يحسون بها، فلقد توقفت القوات الفرنسية عند آثار دندرة مبهورين بها وبعظمتها، ثم توقفوا عند طيبة للإستمتاع بآثارها الخالدة، وفى ذلك يقول ديفرنو منظر الآثار المهيب، وهذه المعابد الضخمة التى لها مكانة هامة فى تاريخ الإنسانية، أجبرت الجنود الفرنسيين على التصفيق بشدة، ودون أن يصدر أمر للجنود وقفوا فى طوابيرهم وأدوا التحية العسكرية على قرع الطبول وعزف الموسيقى..

وغادر الجيش الفرنسى طيبة، وأسرع يتعقب المماليك فوصل إلى أرمنت يوم ٢٦ يناير ثم غادرها فى اليوم التالى مواصلاً زحفه جنوبا حتى اسنا التى وصلها يوم ٢٨ يناير سنة ١٧٩٩، وكان مراد بك وقواته قد غادروها فى الليلة السابقة لوصول الفرنسيين إليها.

وتجدر الإشارة إلي أنه قد حدثت تغيرات فى قوات المماليك قبل أن تصل إلى اسنا أدت إلى قلة أعداد جنود مراد بك، وهى إنفصال متطوعو مكة عن مراد بك بعد موقعة سمهود واختفاؤهم فى ريف قنا على الضفة اليمنى من النيل، ثم جاءت ظروف أخرى لتقلل من عدد جنود مراد بك حيث انفصل عنه بعض البكوات واتجه بعضهم إلى الضفة اليمنى والبعض الأخر اتجه إلى أسيوط، ولكن بقى العدد الأكبر مع مراد بك متجهين فى طريقهم إلى الشلالات.

وأدت هذه التغيرات إلى تغيرات مماثلة فى الجيش الفرنسى، فلقد تلقى الجنرال فريان الأمر بالتوقف فى اسنا على رأس فرقتين، وأن يترك بعض الجنود لحماية هذه المدينة، ثم يتجه لمحاربة المكيين والمماليك الذين عبروا للجهة اليمنى، بينما احتفظ ديزيه ببقية الجيش لمحاربة مراد بك.

ثم سار ديزيه بقواته من «اسنا»، واتجه جنوبا حتى وصل إلى إدفوا يوم ٢٩ يناير، وزحفت القوات الفرنسية بعد ذلك زحفاً سريعاً نحو أسوان، فى محاولة منها للحاق بمراد بك والقضاء على قواته، وأحس الجنود الفرنسيون بالإرهاق الشديد بعد إدفو، لأن الضفة الغربية كانت قد غدت بعد إدفوا أميل إلى الجدب والإقفار، وبالرغم من ذلك فلقد واصلت القوات الفرنسية زحفها جنوباً حتى وصلت تجاه أسوان فى اليوم الأول من شهر فبراير سنة ١٧٩٩ .

واجتاز الفرنسيون النيل ووصلوا إلى البر الشرقى حيث توجد أسوان على الضفة اليمنى للنيل فاحتلوها وبذلك تم للجيش الفرنسى احتلال الصعيد بأكمله، وبالرغم من ذلك فإن حملة الجنرال ديزيه لم تحقق هدفها وهو القضاء على مراد بك وقواته، لأن فلول المماليك بزعامة مراد بك وحسن بك وسليمان بك، وثمانية بكوات أخرون لما رأوا أنهم مطاردون بعنف لا يترك لهم أية حيلة، وأن مماليكهم منهكين من التعب، وليس فى إمكانهم القتال، وأن عدد الفارين منهم يزداد يومابعد يوم، وأنهم فقدوا كثيراً من الجياد وكمية كبيرة من معداتهم، وأنه ليس لديهم أى أمل فى التوقف من ناحية الفرنسيين، اتخذوا قرارا بالاندفاع إلى بلدة ابرى أعلى الشلالات، وعلى مسافة أربعة أيام من أسوان.

وفى يوم ٢ فبراير سار الجنرال ديزيه نحو جزيرة فيلة ووجد الغرنسيون بقرب شلالات النيل نحو خمسين مركبا محملة بالأمتعة تركها المماليك خلفهم أثناء فرارهم فاغتنمها الفرنسيون، ولم يستطع ديزيه دخول جزيرة فيلة فى ذلك الوقت، وترك للجنرال بليار مهمة الاستيلاء عليها فيما بعد.

واستراح الفرنسيون لهذه النتيجة وهللوا طربا، وحفروا لوحة تذكارية فخمة على الجرانيت أقاموها تخليدا لانتصاراتهم على طول مجرى النهر، ووضعوا العلم الفرنسى على أعلى صخرة فى الشلالات وأطلقوا الرصاص فى الهواء تعبيرا عن فرحتهم باكتمال احتلالهم للصعيد مشبهين أنفسهم بالرومان الذين امتلكوا مصر من أقصاها إلى أقصاها.

وبالرغم من ذلك فإن انسحاب فلول المماليك بزعامة مراد بك إلى ما وراء الشلال كان يزيد من قلق الفرنسيين رغم احتلالهم للصعيد، لهذا نجد الجنرال ديزيه قبل أن يغادر أسوان قد ترك فيها الجنرال بليار مع الفرقة الحادية والعشرين الخفيفة ليمنع عودة المماليك من وراء الشلال ويضطرهم إلى البقاء فى بلاد النوبة حيث يتسرب اليأس إلى نفوسهم فى تلك البلاد النائية فظل بليار يرقب حركاتهم، وبقيت فلول المماليك فى حالة ضنك شديد مشتتين بالقرب من النيل قريبا من الدر وإبريم وعلى بعد نحو مائتى كيلو متر من جنوب أسوان ولم يطل مكث الجنرال ديزيه بأسوان أكثر من يومين، ففى ٤ فبراير سنة ١٧٩٩ رحل ديزيه من أسوان ببقية جيشه فى طريقه إلى إسنا التى وصلها يوم ٩ فبراير، وعزم على اتخاذها مؤقتا معسكرا لجيشه، وبينما كان ديزيه فى إسنا يرقب منها حالة الوجه القبلى كان الجنرال «بليار» يستخدم الجواسيس بسخاء فانبأوه أن المماليك الموجودين جنوبى مدار السرطان يتضورون جوعا

لأنهم أتوا على كل شيء استطاعوا ابتزازه من الأهالى السودانيين، وأنهم فى بأسهم موشكون على الرجوع واستئناف الهجوم.

وسرعان ما انتشرت الأنباء عن اقتراب مراد بك من أسوان برفقة استطلاع، فذهب بليار لمطاردتهم مع كتيبة من جنوده، وتعقبهم حتى انسحبوا جنوب دهميت وأوغلوا ثانية فى بلاد النوبة، ورأى الجنرال بليار أن يحول دون رجوعهم بتخريب تلك المنطقة لكيلا يستطيع المماليك أن يقيموا بها ويتخذوها مركزا لمناوشة الفرنسيين، وحتى يحرمهم من الحصول على مزيدز من الأغذية، فإنه أمر بإتلاف مزروعاتها والاستيلاء على ما فيها من الماشية واعتزم أيضا احتلال جزيرة فيلة والجزر الواقعة فى شلال أسوان ليأمن على سلامة الجيش الفرنسى.

## المقاومة فى جزيرة فيلة

فى السادس من فبراير سنة ١٧٩٩ توجه بليار ومعه كتيبة من جنوده قاصداً جزيرة فيلة، ولما وصلوا تجاه الجزيرة وأرادوا أن يعبروا النيل إليها على مراكب الأهالى، رفض الأهالى جميعهم بكل شجاعة أن يسلموا للفرنسيين أى مركب من مراكبهم، فما كان من بليار إلا أن عاد بجنوده إلى أسوان.

ولكن فكرة احتلال جزيرة فيلة كانت قد اختمرت فى ذهن الجنرال بليار، فحاول فى الأيام التالية أن يحقق هدفه بالاستيلاء عليها، وكان قد فكر فى أكثر من وسيلة ليعبر عليها هو وجنوده نهر النيل إلى جزيرة فيلة، ولكنه وجد مقاومة شديدة من النوبيين فى جزيرة فيلة، حيث كانوا مصممين على الدفاع عن عائلاتهم ضد الفرنسيين، ولم تتوقف مقاومتهم إلا عندما تم الاستيلاء على الموقع عنوة، ووصف الجنرال بليار فى يومياته هذه المقاومة فقال:

«حمل الأهالى أسلحتهم وصاحوا صيحات القتال، وخرجت النساء ينشدن أناشيد الحرب، ويقذفن التراب فى وجوهنا، أما الرجال فأطلقوا الرصاص على رجالنا الذين ركبوا البحر، وكنت قد أحضرت معى مدفعا لإرهابهم فدعوتهم إلى الصلح والسلام، فكان جوابهم، أنهم لا يقبلون منا كلاما، وأنهم لا يفرون أمامنا كما يفر المماليك وأستأنفوا اطلاق الرصاص، فجرح ثلاثة من رجالنا، وفى المساء حاولنا أن نتخذ من جذوع النخل وسيلة لعبور الجنود إلى الجزيرة، وعندما قمنا بتنفيذ ذلك فى الرابعة صباحا غمرت المياه جذوع النخل، فاضطررنا أن نؤجل احتلال الجريرة، ومكثت الجنود ترابط يوم ١٩ فبراير على شاطىء النهر تجاه الجزيرة، واستجلبت من أسوان بعض ألواح الخشب للعبور عليها.

وفى اليوم التالى الموافق ٢٠ فبراير سنة ١٧٩٩ نجح الجنرال بليار وجنوده فى الوصول الى الجزيرة، فقابلهم الفلاحون بإطلاق نيران بنادقهم عليهم، ولكن لم تحدث إصابة فى الجانب الفرنسى، وهجم الفرنسيون على الأهالى الذين فروا أمام الفرنسيين تاركين مواشيهم ومؤونتهم وقام الفرنسيون باحتلال الجزيرة.

ويستطرد الجنرال بليار مشيرا إلى ما حدث بعد ذلك من احتلال الفرنسيين للجزر الأخرى المجاورة لجزيرة فيلة وعن الخسائر التى لحقت بالأهالى

والغنائم التى استولى عليها جنوده فيقول «وفى يوم ٢١ فبراير احتللنا الجزر الأخرى المجاورة لجزيرة فيلة، والتى اشترك أهلها فى الثورة وفى المساء عاد الجنود وبقيت فصيلة منهم استولت على ما فى أحد المخازن الضخمة من التمر، وكانت نتيجة أحداث هذين اليومين أن قتل من الأهالى أحد وثلاثون رجلا، واستولينا على ٢٠٠ بندقية و٢٠٠ من الطبنجات والسيوف وكميات كبيرة من التمر واللحم.

وهكذا نجح الفرنسيون فى انزال الهزيمة بأهالى جزيرة فيلة والجزر المجاورة لها، ولكن هناك حقيقة يجب أن نذكرها وهى أن الأهالى لم يستسلموا إلا أمام قوة مدافع ونيران الفرنسيين التى فتكت بالكثيرين منهم، وواضح مما ذكره الجنرال بليار ما حاق بالأهالى من خسائر فى الأرواح والسلاح والأقوات على يد الفرنسيين الذين انتقموا من الأهالى شر انتقام نتيجة لموقفهم البطولى منذ أن رفضوا التعاون مع الجنرال بليار وإمداده بالمراكب التى تنقل جنوده الى الجزيرة، وإطلاقهم رصاصات بنادقهم على الفرنسيين وعدم استجابتهم لدعوة بليار لهم بالصلح والاستسلام، وما كان ذلك إلا لأن النوبيين ينفرون ويمقتون الأجانب Le Etrangers لذلك نجدهم قد دافعوا عن أرضهم وعرضهم بكل ما يملكون من قوة ضد الغاصب الفرنسى.

## تجدد القتال بين جرجا وأسوان

عندما هرب مراد بك إلى بلاد النوبة، لم يكن ذلك معناه تركه للسلاح إلى الأبد، فهو لم يستسلم للفرنسيين إلافترة بسيطة، وذلك لأن موقعة خلف الشلال كان سيؤدى لموته جوعا إن آجلا أو عاجلا، يضاف إلى ذلك أنه كان من الصعب على مراد بك أن يتقبل فكرة طرده من الدولة التى حكمها كل هذه السنوات، لذلك قرر أن يعاود القتال عندما تتيسر له الظروف، وخلال ذلك أرسل مماليكه فى كل مكان وعندما نفدت منه المؤن فى الجنوب، عاد إلى مصر عن طريق الصحراء الغربية بدون أى علم من الجنرال بليار، ثم واصل مراد ومن منعه من المماليك مسيرتهم حتى وصلوا إلى قلب الصعيد.

وأحس الجنرال بليار بأن وجوده فى أسوان بلا فائدة لأنه ترك مراد بك يفر منه، لذلك قرر أن يترك موقعه ليلحق بمراد بك أو ليتجنب على الأقل قطع مراد بك للاتصالا بينه وبين ديزيه، ولكن مراد بك كان أسرع من بليار، فعبر الصحراء بمن معه من المماليك حتى وصلوا إلى جرجا واعتزموا مهاجمة الجيش الفرنسى هناك وتهديد المواصلات بين كتائب الجيش الفرنسى فيما بين أسيوط وأسوان وهكذا يتضح أن وصول الفرنسيين إلى أسوان لم يكن له ضرورة أو داع، اللهم إلا فرحة الجند برؤيتهم طيبة.

ووصل بليار إلى إسنا يوم ٢٨ فبراير سنة ١٧٩٩ وهناك تلقى تعليمات ديزيه لمواجهة هذه الحركة الهجومية التى قام بها المماليك. وعلم ديزيه وهو فى إسنا أن جماعات من عرب الحجاز جاءوا لنجدة مراد، وأنهم ينوون احتلال قنا لقطع مواصلات الجيش الفرنسى، وأن عثمان بك حسن وحسن بك الجداوى ورجالهما تحركوا بالبر الشرقى فى قبالة إدفو، فعهد إلى الجنرال فريان احتلال قنا،

وذلك لكى يحول بين العرب واتصالهم بالنيل، كما أرسل فى نفس الوقت الجنرال دافو للتصدى لقوات عثمان بك حسن، وحسن بك الجداوى تجاه ادفو.

## معركة الردسيه
## ( ١١فبراير ١٧٩٩ )

أرسل الجنرال ديزيه الجنرال دافو لمطاردة عثمان بك حسن وقواته، فالتقى بهم الجنرال دافو يوم ١١ فبراير بالردسية وكانت قوات الجنرال دافو تتكون من جنود الفرقة ٢٢ من القناصة والفرقة ١٥ من الجنود الخيالة، وشكل الجنرال دافو فرسانه فى صفين ثم تقدم بسرعة نحو المماليك الذين تظاهروا فى البداية بالانسحاب، ثم غيروا موقفهم فجأة وشنوا هجوما عنيفا على الفرقة الخامسة عشرة من جنود الخيالة والتى سرعان ما ردت بنيرانها على المماليك، وأسفرت نتيجة الجولة الأولى من المعركة عن قتل الكثيرين من المماليك والفرنسيين فى ساحة المعركة وكان من بينهم قائد الفرقة فونتيت Fontéte الذى قتل بطعنة سيف وجرح عثمان بك حسن جرحا خطيرا وفى الجولة الثانية من معركة الردسية انقضت الفرقة ٢٢ للقناصة على المماليك، وقد تقاتلوا مجابهة، وبالرغم من تفوق المماليك فى العدد والسلاح إلاأنهم اضطروا إلى ترك ساحة القتال وتخلف فيها عدد كبير من ذويهم وعدد من الكشاف قتلى، ثم أسرعوا للحاق بجمالهم التى استمرت أثناء المعركة فى السير فى الصحراء.

أما عن الخسائر التى لحقت بالمماليك فى هذه المعركة فلقد بلغت كما قدرتها المصادر الفرنسية ٣٧ مملوكا بالاضافة الى أربعة من الكشاف، أما عدد الجرحى من المماليك فلقد بلغ ٥١ جريحا من بينهم عثمان بك أما خسائر الفرنسيين فقد بلغت ٣٧ قتيلا و٤٤ جريحا.

وانتهت المعركة بانسحاب قوات المماليك بقيادة عثمان بك إلى قلب الصحراء على طريق القصير، ولم يتمكن أحد الفريقين فى هذه المعركة من الانتصار على الفريق الآخر وإن كان من الممكن أن يتحقق الفوز للمماليك لولا حرصهم على الاحتفاظ بالقافلة الكبيرة من المؤن والتى كانت معهم وخشيتهم من أن تقع فى أيدى الفرنسيين، لذلك عندما حصل عثمان بك على هدفه، وضمن سلامة المؤن ترك ميدان القتال للحاق بجماله التى قادها فى الصحراء على طريق القصير.

واعتقد الجنرال ديزيه أن عثمان بك لن يستقر به الحال طويلا فى هذه المنطقة، وأنه سيتجه إلى الضفة اليسرى إلى قرية يسيطر عليها بالقرب من ادفو وبناء على ذلك أرسل ديزيه إلى هذه القرية فرقة مكونة من ١٦٠ رجلا من الصف ٢١ الخفيف بقيادة مساعده كليمان Clément.

## معركة قنا
## ( ١٢-١٣ فبراير سنة ١٧٩٩ )

عندما علم الجنرال «فريان» أن بقايا عرب الحجاز يتجمعون فى ضواحى قنا على طريق القصير، وأنهم بصدد مهاجمة المدينة، بدأ فريان منذ يوم ٦ فبراير فى تشكيل طابور متحرك مكونا من الفرقة ٦١، ورماة القنابل من الفرقة ٨٨ تحت

قيادة الضابط كونرو Conroux الذى مضى سريعا بجنوده إلى قنا لمطاردة عرب الحجاز والقضاء على قوتهم قبل أن يهاجموا مدينة قنا. ولدى وصول الجنرال ديزيه إلى إسنا يوم ٩ فبراير وعلمه بتحركات عرب الحجاز، أرسل فى الحال الجنرال فريان وبقية فرقته لمطاردتهم والقضاء على قوتهم وفى ذلك الوقت كان الشريف حسن الذى كان يقود عرب الحجاز قد قرر الاستيلاء على قنا وطرد الفرنسيين منها وبالفعل ففى تمام الساعة الحادية عشرة مساء يوم ١٢ فبراير سنة ١٧٩٩ شن ما يقرب من ثمانمائة من عرب الحجاز ومعهم العديد من الفلاحين هجوما على جميع مراكز الفرقة ٦١ ولكن القوات الفرنسية قامت بالرد على هذا الهجوم، وجرح الضابط «كونروا» أثناء الهجوم جرحا بليغا، فأسرع جنوده حوله وحملوه وسط خطوط الدفاع، وقد أقسموا أن ينتقموا له.

وأجبرت هجمات الفرنسيين المتتالية عرب الحجاز على الانسحاب، وتولى قيادة القوات الفرنسية الضابط دورسين Dorsenne الذى لم يألوا أو يدخر جهدا للدفاع وصد هجمات العرب حتى أقبل الليل وتوقف القتال.

وفى اليوم التالى الموافق ١٣ فبراير شن العرب والاهالى هجوما على الفرنسيين مرددين صيحات ملؤها الرعب والفزع، ومن ثم فقد بادرت المدفعية الفرنسية بإطلاق نيران مدافعها وأنزلت بهم هزيمة فادحة وتكبدوا خسائر جسيمة، وبالرغم من قوة نيران المدفعية الفرنسية فإن الأهالى لم يستسلموا، بل استبسلوا فى المقاومة ويؤازرهم عرب الحجاز غير مكترثين بضعف إمكانياتهم وسوء حالتهم، وتكشف المصادر الفرنسية الخسائر التى لحقت بعرب الحجاز فى هذه المعركة وتقدرها بحوالى ٣٠٠ قتيل كما قتل العديد من الفلاحين بينما تمثلت الخسائر التى لحقت بالفرنسيين فى ثلاثة من الجرحى من بينهم القائد دورسين. ووصل الجنرال فريان إلى قنا فى اليوم التالى للمعركة الموافق ١٤ فبراير ومعه الفرقة السابعة من الفرسان، بينما انسحب عرب الحجاز بقيادة الشريف حسن ورابطوا بالقرب من أبو مناع.

## معركة أبو مناع

## (١٧ فبراير سنة ١٧٩٩)

بعد معركة قنا انسحب عرب الحجاز بقيادة الشريف حسن بالقرب من «أبو مناع» واستطاع الشريف حسن أن يقوى من عزيمة رجاله، واستطاع بحماسه الدينى أن يثير سكان الضفة اليمنى للنيل فحملوا السلاح وانضموا إليه، وأسرع إلى أبو مناع عدد وافر من العرب ومن المماليك الهاربين أو الذين لا يجدون ملجأ أو ملاذا لينضموا إليه فى حربه ضد الفرنسيين، وهكذا تمكن الشريف حسن من أن يكون جيشا من العرب والفلاحين والمماليك بالإضافة إلى عرب الحجاز، ولكى يرفع من همتهم وعدهم بالقضاء على الفرنسيين بواسطة تعزيزات قادمة فى الطريق.

ولما علم الجنرال فريان بذلك توجه إلى أبو مناع فوصلها يوم ١٧ فبراير ووجدها مملوءة بالرجال المسلحين وكان عرب الحجاز فى المقدمة، فأعد الجنرال فريان جيشه فى الحال ووضع حملة القنابل فى وضع الاستعداد بقيادة رئيس الفرقة كونرو.

ووجه الفرنسيون طلقات مدافعهم على القوات المضادة وعند اقتراب رماة البنادق فر الفرسان والفلاحون.واندفعوا إلى القرية، فقام الجنود الفرنسيون بمهاجمتهم والقضاء عليهم.

وأثناء ذلك كان هناك طابور آخر يقوده المواطن سيلى Silly قائد الفرقة ٨٨ كان يطارد الفارين من عرب الحجاز لمدة خمس ساعات فى الصحراء، وأخيرا وصلوا إلى معسكرهم واستولوا على ما فيه من مؤمن وملابس، ودهش الجنرال فريان عندما رأى جنوده يعودون سالمين ومحملين بالغنائم، وهو الذى كان يعتقد أنهم فى الصحراء أو ماتوا من الجوع والعطش، وانتهت هذه المعركة بانتصار الفرنسيين على القوات المضادة وحلفائهم من عرب الحجاز، وفقد عرب الحجاز فى هذه المعركة أربعمائة قتيل إلى جانب العديد من الجرحى كما قتل عدد كبير من الفلاحين فى هذه المعركة، أما خسائر الفرنسيين فقد تمثلت فى عدد من الجرحى كما تذكر المصادر الفرنسية، وبعد المعركة توجه الجنرال فريان إلى جرجا تنفيذا لتعليمات الجنرال ديزيه فوصلها يوم ٢١ فبراير سنة ١٧٩٩.

## معركـــــة إسنـــــــا
## (٢٥ فبراير سنة ١٧٩٩)

استطاع مراد بك أن يخدع جواسيس الجنرال بليار فى أسوان، واتجه شمالا حتى ظهر أمام إسنا يوم ٢٥ فبراير ومعه عدد من الرجال يتراوح ما بين سبعمائة وثمانمائة من الفرسان إلى جانب حشد هائل من النوبيين قاصدين مهاجمة الحامية الفرنسية فى إسنا.

وعلى الفور تحرك الكابتن كليمان على رأس كتيبة مكونة من مائة وستين جنديا من الفرقة ٢١ وخرج من إسنا للتصدى لمراد بك ورجاله، واشتبك الفريقان فى معركة استمرت لمدة ساعة من الزمن، وانتهت بتقهقر مراد بك ورجاله إلى أرمنت.

## معركة أبنود النيلية
## (٣ مارس سنة ١٧٩٩)

تحرك الجنرال ديزيه من قوص فى طريقه إلى أسيوط تاركا خلفه أسطوله الذى كان يسير ببطء فى النيل ليلحق بالجيش فى أسيوط، وكان هذا الأسطول تحت قيادة القومندان موردان ويتألف من اثنتى عشرة سفينة محملة بالمدافع والذخائر والمؤن الخاصة بالجيش، وتتقدمها السفينة الحربية «ايطاليا» التى كانت تحمل ذخيرة نصف الفرقة ٦١ وبعض الرجال المسلحين إلى جانب بعض المرضى والجرحى.

وبينما كان الأسطول الفرنسى يسير فى النهر اعترته رياح شمالية شديدة اضطرته إلى التوقف عند مرسى أبنود وفى ذلك الوقت كان الشريف حسن قد جاءته نجدات من بلاد الحجاز دعمته بألف وخمسمائة عربى، وانضم اليهم من تبقى من موقعتى أبو مناع وقنا، وزادت قوتهم بانضمام عدة آلاف من الفلاحين، وقرر الجميع التواجد فى أبنود، حيث كانت تقف السفن الفرنسية وهاجم الأهالى ومعهم عرب الحجاز السفن الفرنسية وأطلقوا عليها الرصاص، فردت السفينة إيطاليا

بإطلاق مدافعها عليهم فقتلت العديد من العرب والأهالى ولكنهم لم يضطربوا وهجموا على السفن والقوارب الصغيرة واستولوا عليها وأفرغوا شحنتها من المؤن والذخائر وقطع السلاح اللازمة لهم، ثم ركبوها وقصدوا إلى السفينة الحربية إيطاليا لمهاجمتها والاستيلاء عليها وحينئذ ضاعف قائد السفينة القومندان موراندى من قذائفه على الثوار، ولكنه لم يصمد طويلا، وذلك لإصابة عدد كبير من رجاله بجروح، كما أنه رأى عددا كبيرا من الأهالى على الشاطىء الأيسر، يتحفزون للهجوم عليه فقرر الهرب ولكن لسوء حظه أن عدد بحارته كان قليلا، والرياح كانت عاتية فمالت سفينته، وانتهز الأهالى والعرب هذه الفرصة وهجموا عليها من كل جانب وصعدوا على ظهرها ورفض موراندى الاستسلام، ولم يكن لديه أى أمل فى النجاة، لهذا قام بإشعال النار فى مستودع البارود وألقى هو ورجاله بأنفسهم فى اليم قاصدين النجاة، فانفجر مستودع البارود، وانفجرت السفينة،. وتفجرت شظايا القنابل على الشاطىء فقتلت عددا كبيرا من الأهالى ولكن الباقين منهم قاتلوا موراندى ورجاله فى اليم فمات متأثرا بجراحه هو ومن معه.

وجميع الأحياء من الفرنسيين الذين نجوا من حريق السفينة ايطاليا والذين كانوا على ظهر السفن الأخرى اقتادهم الأهالى وعرب الحجاز إلى البر، وهناك أمر المنتصرون فرقة موسيقى نصف اللواء الحادى والستين أن تعزف، وعلى أنغام مارشات الثورة الفرنسية قتل الأسرى الفرنسيون وأكثرهم من العميان أو المرضى، ثم جاء دور الفرقة الموسيقية فتم قتلهم جميعا.

وكانت خسارة الفرنسيين فى هذه المعركة فادحة، فقد بلغت على حد تقدير المصادر الفرنسية مائتى بحار وثلثمائة جندى من المرضى الذين كانوا على ظهر السفن الفرنسية، أى أن خسارة الفرنسيين فى هذه المعركة بلغت خمسمائة قتيل وهى أكبر خسارة تعرض لها الجيش الفرنسى فى حملته على صعيد مصر وغنم الفلاحون وعرب الحجاز فى هذه المعركة الكثير مما كانت تحمله السفن الفرنسية من عتاد وذخائر ومدافع استغلوها فيما بعد فى معاركهم ضد الفرنسيين كما سنرى وبالإضافة إلى ذلك فإنهم استولوا على ما كان فى سفن الفرنسيين من أموال فيذكر أحد المصادر المعاصرة أنهم وجدوا بأحدها ثمانين ألف ريال.

ولاشك فى أن هذا الانتصار رفع من أمال قوات مراد بك ومعهم عرب الحجاز فى حربهم ضد الفرنسيين إلى حد أن أعلن الشريف حسن «أن هزيمة الفرنسيين أصبحت مؤكدة، وأنه سيسحق حفنة الكفرة الموجودة بالقرب منه» .

## معركـــــة قفـــط

## (٨ مارس سنة ١٧٩٩)

عندما علم الجنرال بليار بما حدث للفرنسيين فى موقعة ابنود النيلية، وأنهم انهزموا شر هزيمة، اتجه الجنرال بليار، وجنوده فى طريقهم إلى أبنود للانتقام من الأهالى وعرب الحجاز، ولاسترداد الأسلحة والمدافع الفرنسية التى استولوا عليها حتى يجردوا المقاومة الشعبية من أى سلاح حديث.

وبينما كان الجنرال بليار يسير فى طريقه إلى أبنود، كانت قوات الأهالى ومعهم عرب الحجاز فى انتظاره عند قفط لتعوق مسيرته، وفى الثامن من مارس سنة ١٧٩٩ التقت قوات الجنرال بليار بقوات الأهالى وعرب الحجاز والمماليك عند قفط، ودارت بين الفريقين معركة حامية، انتهت بهزيمة الأهالى والعرب وانسحابهم إلى أبنود.

## معركـــــة أبـــــنود

**(٨ - ٩ - ١٠ مارس سنة ١٧٩٩)**

بعد هزيمة الأهالى وعرب الحجاز فى قفط انسحبوا إلى أبنود، فلما وصلوها تحصنوا فيها، ونصبوا بها المدافع الفرنسية التى غنموها فى موقعة أبنود النيلية، وكان هناك جيش من المماليك قد انضم لهم لمساعدتهم فى هذه المعركة، وقد أخذ موقع الاستعداد فى الصحراء بالقرب من أبنود انتظار للحظة الالتحام.

وفى ذلك الوقت كانت فرقة الجنرال بليار تواصل تقدمها خلف الأهالى وعرب الحجاز حتى وصلت على مشارف أبنود يوم ٨ مارس سنة ١٧٩٩، ورأى الجنرال بليار استعدادات الأهالى وحلفائهم، فأعطى لجنوده اشارة بدء الهجوم وفى هذه اللحظة أطلق الثوار نيران مدافعهم على الفرنسيين ففتكت بهم فتكا ذريعا.

وشعر الفرنسيون لأول مرة بشدة مدفعيتهم عليهم وهى فى أيدى الخصوم، وكانت هذه أول مرة واجه فيها الفرنسيون مدفعية حديثة فى صفوف خصومه، وهنا أدرك الجنرال بليار أن موقفه سيظل محفوف بالخطر ما دامت هذه المدافع في يد خصومه، وأنه لكى يتمكن من السيطرة على الموقف، يجب عليه أن يعمل على الاستيلاء على هذه المدافع ليجرد خصومه من أقوى سلاح فى أيديهم.

وبالفعل فلقد أمر الجنرال بليار حاملى البنادق من الفرقة الحادية والعشرين بالتوجه للاستيلاء على هذه المدافع ولقد أتموا هذه المهمة بكفاءة عالية وتمكنوا من الاستيلاء على المدافع ووجهوها على الأهالى وعرب الحجاز.

ولم يصمد الثوار طويلا أمام طلقات البنادق والمدافع الفرنسية فانسحبوا إلى داخل القرية، ولحق بهم الفرنسيون وتجدد القتال بين الفريقين فى شوارع وبيوت القرية واستبسل الأهالى وعرب الحجاز فى الدفاع، وهنا أدرك الفرنسيون أن الدائرة ستدور عليهم، فأسرعوا بإشعال النيران فى منازل القرية، وفى لحظة تحولت القرية إلى أكوام من الخراب، وامتلأت الشوارع بالقتلى من الأهالى وعرب الحجاز، وكل ما حل بالثوار عبارة عن مذبحة رهيبة أو مجزرة لم يشهد الفرنسيون لها مثيلا من قبل على حد تعبير المصادر الفرنسية.

وبالرغم مما حل بالثوار من الحريق والدمار فإن البقية الباقية منهم لم تستسلم وتجمعوا فى منزل حصين كان فيما مضى مقرا لكشاف المماليك، وفى مسجد يجاوره وتحصنوا فيهما، وأخذوا يطلقون النار على الفرنسيين واشتد القتال مرة أخرى، وتبادل الفريقان إطلاق النار وحاول الفرنسيون دخول المسجد فخرجت منه نيران طلقات قوية اضطرتهم للتراجع، فما كان منهم إلا

أن أشعلوا النيران فى هذا المسجد وأحرقوه ومات من بداخله حرقا.

وبقى المنزل المملوكى صامدا، وكان به عدد كبير من المكيين تحصنوا بداخله وصمموا على المقاومة حتى الموت، وظل الفرنسيين يحاصرون هذا المنزل طوال ليلة ٨ مارس ونصبوا حوله المدافع لاستئناف القتال فى اليوم التالى، واستؤنف القتال فى اليوم التالى (٩ مارس) وأصدر الجنرال بليار أمره باقتحام المنزل ونجح جنوده فى شق طريق لهم إلى فناء المنزل، ثم قاموا بإشعال النار فى البناء؛ وحينئذ نزل المكيون عدوا الى الحوش ويمسك كل منهم سيفا بيد والبندقية فى يده الأخرى وظلوا يطلقون رصاص بنادقهم على الفرنسيون، ويقاتلونهم بشجاعة وبسالة اعترف بها الجنرال بليار فى رسالته إلى الجنرال ديزيه.

ظل المكيون يقاومون الفرنسيين فى فناء المنزل ومن داخل حجراته، حتى أرخى الليل سدوله، وكان قد قتل كثير منهم، وتمكن البعض الآخر منهم من الهرب من داخل المنزل فى جنح الظلام ناجين بأنفسهم من الحريق ومن القتل، ومع ذلك فقد فتك الجنود الفرنسيون بالكثيرين منهم خارج المنزل، وفى صباح اليوم التالى الموافق ١٠ مارس سنة ١٧٩٩ دخل الفرنسيون المنزل وكان قد تخلف به نحو ثلاثين من المكيين أعجزهم عن الفرار مرضهم أو جراحهم، ويقول بليار فى رسالته إلى الجنرال ديزيه عنهم وكانوا لا يزالون يريدون الدفاع عن أنفسهم، فقتلوا جميعا إلا ثلاثة تونسيين استبقيتهم لأستجوبهم.

أما عن دور المماليك فى هذه الموقعة التى استمرت ثلاثة أيام فكان دوراً سلبيا إذ أنهم طوال أيام المعركة ظلوا فى معسكرهم فى الصحراء يشاهدون هزيمة حلفائهم من الأهالى وعرب الحجاز دون أن يتحركوا لمساندتهم، وبالتالى ظلوا فى مأمن من ضربات الفرنسيين.

وهكذا تم النصر للفرنسيين فى هذه المعركة واستعاد الفرنسيون كل المراكب التى فقدوها فى معركة ابنود النيلية ما عدا السفينة ايطاليا التى احترقت اثناء المعركة كما غنموا تسع قطع مدفعية ورايتين.

أما عن الخسائر التى لحقت بالثوار فى هذه المعركة فقد اختلفت المصادر الفرنسية فى تقديرها فبينما قدر الجنرال بليار فى رسالته إلى الجنرال ديزيه خسائر الأهالى وحلفائهم الحجازيين ما بين خمسمائة إلى ستمائة قتيل و،وثمانية إلى عشرة من المماليك وكثير من الجرحى، يذكر الجنرال ديزيه فى رسالته إلى بونابرت أن «الجنرال بليار أخبره بأن العرب فقدوا فى هذه المعركة ألفا ومائتان رجل غير الجرحى ويتفق برتييه مع ديزيه فى نفس التقدير لعدد القتلى ويبدو أنه نقل من تقرير ديزيه الذى أرسله إلى بونابرت.

ولكن رواية الجنرال بليار ادعى إلى الثقة لأنه قائد المعركة، أما ديزيه فيبدو أنه حاول أن يضخم من خسائر العدو ليظهر قوته وتفوقه وروعة الانتصار الذى حققه جنوده.

أما عن الخسائر التى لحقت بالفرنسيين فى هذه المعركة فلقد اختلفت ايضا المصادر الفرنسية فى تقديرها فبينما يقدرها الجنرال بليار بـ ٣٥ قتيلا

و١٣٤ جريحا يذكر ديزيه أن خسائر الفرنسيين بلغت ثلاثون قتيلا وثلاثون من الجرحى.

وهنا نلاحظ أن الجنرال ديزيه يقلل من عدد الخسائر التى لحقت بجنوده، بينما كان يزيد من الخسائر التى لحقت بالثوار وحتى الجنرال بليار لم يذكر الحقيقة كاملة بدليل أن هناك مصادر فرنسية أخرى ذكرت أن خسائر الفرنسيين بلغت ثلاثون قتيلا وبضع مئات من الجرحى.

ومما يؤكد أن عدد الجرحى من الفرنسيين كان أكثر مما يؤكده مصدر معاصر آخر حيث يقول كان ثمن الانتصار الذى حصلنا عليه بعد كل هذا الجهد هو خسارة فى كل أنواع المؤن والرجال، لقد فقدنا إتزاننا تحت وطأة المعركة، لأنه كانت تقودنا فكرة واحدة هى تدمير الحواجز التى وضعت أمامنا ولكن بعد هزيمة الأعداء (يقصد الأهالى وحلفاءهم) عندما أعدنا الحسابات وجدنا أن ثلاثمائة من رجالنا أصبحوا غير قادرين على القتال، وأن كل الذخيرة قد انتهت مما عطل كل خطط الجنرال بليار، فقد كانت نيته أن يتجه للصحراء لكى يحارب المماليك وبضع مئات من المكيين الذين لجأوا اليها عند بدء معركة أبنود لكنه أرجأ هذه العملية لحين حصوله على امدادات من الجنرال ديزيه.

ومن العرض السابق يتبين لنا أن عدد الجرحى من الفرنسيين كان لا يقل عن ثلاثمائة جريح، وأن عدد القتلى من الفرنسيين كان يزيد على ٣٥ قتيلا وإن لم تذكر المصادر الفرنسية ذلك، كما يتضح أنه بالرغم من انتصار الفرنسيين فى هذه المعركة فقد أنهكهم القتال وتكبدوا خسائر فى الأرواح والسلاح والذخيرة.

## معركة بئر عنبر
## ( ٢ ابـريل سنة ١٧٩٩ )

اتجه الجنرال بليار بعد معركة ابنود الى قنا فى انتظار المدد والذخيرة من الجنرال ديزيه ليواصل عملياته العسكرية ضد الأهالي والعرب والمماليك، وفى ذلك الوقت كانت معلومات قد وصلت إلى الجنرال ديزيه علم منها بما حدث من كارثة للسفن الفرنسية فى معركة ابنود النيلية، وعن انتصار الفرنسيين فى معركة ابنود، وبناء على هذه المعلومات ترك الجنرال ديزيه اسيوط واتجه الى قنا على رأس مجموعتين من الفرسان وفرقة مشاة، وقد قرر أن يقوم بنفسه بقيادة العملية التى قررها بليار خصوصا بعد وصول الجنرال ديزيه بقوات جديدة ومؤن تكفى الجيش فى هذه العملية.

وفى قنا وضع الجنرال ديزيه مع الجنرال بليار خطة لهزيمة الأهالى وحلفائهم، وبناء على هذه الخطة شرع الجنرال ديزيه فى توجيه قواته لسحق رجال حسن بك الجداوى وعثمان بك حسن الذين انسحبوا بعد معركة أبنود إلى جـهة «الجـطة Gittah» فى طريق القصير.

وكانت خطة الجنرال ديزيه تهدف إلى قطع الطريق على رجال حسن بك الجداوى حتى لا يصلوا إلى النيل بأحد الطريقين الموصلين إليه من الجطة وهما طريق بئر عنبر وطريق «حجازة» الواقعة جنوبى قوص بقرب الجبل الشرقى.

لذلك قام ديزيه بإعداد حملة مكونة من ١٥٠٠ من خيرة جنوده، وسار بها إلى بئر عنبر وقام باحتلالها، ثم عهد إلى بليار باحتلال حجازة فاحتلها، وبذلك تم للفرنسيين احتلال رأس الطريقين الموصلين إلى النيل، وأخذ الجنرال بليار وهو فى حجازة يستطلع حركات المماليك وحلفائهم الذين كانوا فى الجطة يتحفزون للتقدم يريدون النيل ، فلما علم ديزيه بمقصدهم سار بجنوده فى صباح يوم ٢ ابريل لمنازلتهم وبالقرب من بئر عنبر على الطريق بين قنا والقصير قامت معركة عنيفة بين طلائع جيش ديزيه من الفرسان وقوات الأهالى وعرب الحجاز والمماليك حيث تلقت كتيبة الفرسان من الفرنسيين صدمة الهجوم الأول بقيادة المماليك، حيث تأخر المشاه من الفرنسيين عن المعركة لصعوبة السير فى هذا الطريق، وكان يتولى قيادة الجيش الفرنسى فى هذه المعركة الجنرال ديزيه ويعاونه الجنرال دافو، بينما كانت القوات المضادة تحت قيادة المماليك بزعامة حسن بك الجداوى وعثمان بك حسن.

وبينما فشل الجنرال ديزيه فى تحقيق انتصار على القوات المضادة، نجح المماليك فى قيادة المعركة واستطاعوا أن يحققو ا انتصارا خاطفا وسريعا ثم انسحبوا ببطء تاركين أرض المعركة مغطاة بجثث ٥١ ضابطا وجنديا فرنسيا من بينهم الكولونيل «دوبليسى Duplessis و ٢ برتبة كابتن و ٤ ضباط، أما عدد الجرحى من الفرنسيين فبلغ ٤٣ فارسا و ٥٠ ضابطا على حد تقدير الجنرال «ديفيرنوا» الذى شارك فى أحداث هذه المعركة.

وواضح أن خسارة الفرنسيين فى هذه المعركة كانت كبيرة الى حد أن أهملت بعض المصادر الأخرى ذكر أعداد الجرحى والقتلى من الفرنسيين.

أما خسائر خصومهم فى هذه المعركة فقد بلغت ٤٤ قتيلا من بينهم سليمان بك.

وبالرغم من إخلاص الكولونيل دوبليسى فى أداء مهمته على أكمل وجه، ولولا اخلاصه لانتهت حياة الجنرال ديزيه فى هذه المعركة، فان الجنرال ديزيه قد اتهمه فى تقريره إلى بونابرت عن هذه المعركة بعدم الحرص وعدم إطاعة الأوامر، ويعلق الجنرال ديفيرنو على ماكتبه ديزيه بقوله «ان الطريقة التى كتب بها الجنرال ديزيه تقريره عن هذه المعركة فى وصفه للحملة على الصعيد، يعتبر إهانة بالغة لذكرى الكولونيل دوبلسى الشجاع حيث اتهمه فيه بعدم الحرص وعدم اطاعة الأوامر، والدخول فى مخاطر بلا داع، فى الوقت الذى قام فيه دوبليسى بمهمته على أكمل وجه وبدون إخلاصه الشديد لكانت انتهت حياة الجنرال ديزيه على هضبة بئر عنبر ومعه الذين كانوا فى خدمته ثم يعلق الجنرال «ديفيرنو» على ذلك بقوله «لا يحق لأى جنرال أو أى رجل عسكرى أن يمسح أخطاءه بهذا الظلم القادح كما حدث فى هذه المناسبة، ولكى يبرر ديزيه ودافو موقفهما تم تبديل الحقائق وقد رأيت إعادة الحق لأصحابه بذكر الأحداث الحقيقية لهذه المعركة.

ويتبين لنا مما ذكره الجنرال ديفيرنو أن الحقيقة التاريخية تزيف أحيانا على يد القادة عندما تكشف سلبياتهم أو أخطاءهم فهم يزيفونها حتى تظل صورتهم ناصعة البياض فى أعين التاريخ.

## معركـــة أســـوان

## (١٦ مايو سنة ١٧٩٩)

بعد معركة بئر عنبر انسحب كل من حسن بك الجداوى وعثمان بك حسن جنوبا حتى وصلا إلى أسوان فأسرع خلفهما الجنرال بليار وأجبرهما على اللجوء جنوب الشلالات،

ثم ترك فى اسنا القائد الشجاع ابلر Eppler مع خمسمائة جندى لحماية المدينة، وليقوم بمراقبة المماليك وليمنعهم من الإلتجاء مرة أخرى إلى الأراضى المصرية، ثم عاد بليار بعد ذلك إلى قنا ليعمل دون توقف فى بناء القلعة والاعداد لحملة القصير.

وعلم ابلر يوم ٩ مايو أن المماليك بزعامة حسن بك الجداوى وعثمان بك حسن عاد الى أسوان، ويعيشون فيها فى سلام، ويقومون بإعداد قواتهم، ونتيجة لهذه الأحداث، أمر ابلر الكابتن رينو Renaud الذى كان قد أرسله منذ بضعة أيام إلى أدفو مع مائتى رجل أن يزحف على أسوان، وأن يطرد المماليك إلى جنوب الشلالات.

وفى تمام الساعة الثانية بعد ظهر يوم ١٦ مايو سنة ١٧٩٩ وعلى بعد نصف فرسخ من أسوان نشبت معركة حامية بين القوة الفرنسية والقوات المضادة بزعامة المماليك، وبدأت المعركة بهجوم عام من المماليك، فردت القوة الفرنسية بعنف شديد ونجحت فى اختراق القوات المضادة واصابتها بخسائر فادحة.

وانتهت المعركة بهزيمة المماليك وجرح حسن بك الجداوى وقتل حصانه، كما أصيب عثمان بك حسن بعيارين ناريين وبلغت خسائر المماليك على حد تقدير المصادر الفرنسية خمسين قتيلا وستين جريحا.

ولاشك فى أن فوز الفرنسيين على المماليك فى هذه الموقعة يعد انتصارا عظيما إلى حد أن وصفه بونابرت فى مذكراته التى أملاها على الجنرال «برتران» فى سانت هيلين بأنه أجمل انتصار فى حملة مصر أما خسائر الفرنسيين فبلغت أربعة قتلى و ١٥ جريحا.

وبعد المعركة انسحبت فلول المماليك إلى ما وراء أسوان وهذه هى المرة الثالثة التى انسحبت فيها المماليك الى ماوراء الشلال منذ ابتداء الحملة على الوجه القبلى، ولم يتبق من زعماء المماليك سوى مراد بك الذى ظل معتصما بالواحة الخارجة التى تبعد عن أسيوط ثلاثة أيام فى انتظار تحسن الأوضاع حتى يواصل هجماته على الفرنسيين من جديد لذلك فكر الجنرال ديزيه فى أن يجرد حملة من أسيوط على الواحة التى كان مراد بك مرابطا بها للقضاء عليه وعلى قواته.

## احتلال القصير

## (٢٩ مايو سنة ١٧٩٩)

عنى ديزيه أشد العناية بالحملة على القصير إلى حد أنه كتب يلح على الجنرال بليار فى الزحف على القصير، لأن الاستيلاء على القصير كان ضرورة لا مناص منها، لأنه الثغر الوحيد الواقع على البحر الأحمر الذى يصل منه العدو إلى بلاد الوجه القبلى، فمنه جاء عرب الحجاز الذين شدوا أزر الأهالى فى مقاومة الفرنسيين، ثم

كان لظهور السفن الإنجليزية فى البحر الأحمر وشروعها فى مخر عباب البحر بين جدة والقصير أثر كبير فى ازعاج القيادة الفرنسية، لذلك عملت كل طاقتها على التعجيل بالاستيلاء على القصير وتحصينه.

وكان الجنرال بليار يقدر أهمية القصير ويتوق إلى الزحف عليها ولكنه كان ينتظر الفرصة المناسبة ولذلك أرسل ديزيه إلى بليار جميع ما طلب من ذخيرة ومؤن وأرسل إليه أيضا مساعده العام. المواطن «دونزلو» لكى يأخذ مكانه فى قيادة الحملة فى حالة تدهور حالته، حيث كان الجنرال بليار فى ذلك الوقت مصابا بألم شديد فى عينيه.

وبعد أن أتم الجنرال بليار استعداداته غادر قنا يوم ٢٦ مايو سنة ١٧٩٩ فى طريقه للزحف على القصير، أخذا معه ٣٥٠ من الجنود المشاه على ظهور الجمال و ٤٠٠ جمل تحمل مؤنا، ومدفعا، وحرسا من ٦٠ اعرابيا من قبيلة موالية يمتطون الجمال أيضا واتجهوا فى طريقهم إلى القصير التى وصلوها بعد مسيرة أربعة أيام فى الصحراء التى تفصل النيل عن البحر الأحمر، وتوقفوا فى المحطات وعند الآبار ومراكز القوافل التى أعدت لهم ووصلوا أخيرا الى القصير يوم ٢٩ مايو سنة ١٧٩٩ وقاموا باحتلالها واحتلال قلعتها بدون مقاومة وكانت القصير فى ذلك الوقت قرية صغيرة بالرغم من أهميتها الإستراتيجية.

وغادر الجنرال بليار القصير يوم أول يونية وترك بها الجنرال دونزلو ومعه قوة من الجنود ومعهم ما يلزمهم من العتاد والذخائر، وعاد هو إلى قنا.

وطرب الفرنسيون لاحتلال ميناء القصير التى تعد مفتاح الوجه القبلى من طريق البحر الأحمر، واعتبروا احتلالها ختام الحركات الحربية التى تم ببها فتح الصعيد وكتب ديزيه إلى بونابرت قائلا إن احتلال هذا الميناء قد حقق كل أمالى.

وكافأ بونابرت كلا من الجنرال ديزيه والجنرال بليار والجنرال فريان على حسن بلائهم فى الحملة على الصعيد فأهدى الجنرال ديزيه سيفا جميلا مكتوبا على صفحته فتح مصر العليا» وأهدى الجنرال بليار سيفا مكتوبا عليه «معركة أبنود ـ فتح القصير» وأهدى الجنرال فريان سيفا آخر*.



* آثار مدينة البهنسا بالصعيد.

* اعتمد هذا الملحق على كتاب صعيد مصر فى عهد الحملة الفرنسية. نبيل السيد الطوخى. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧.

## ملحق رقم (٢)

رسالة من مراد بك إلى الجنرال دنزلو صارى عسكر حاكم ولاية أسيوط ومنفلوط والمنيا، وثيقة رقم ٦٠ مؤرخة فى غرة شهر صفر سنة ١٢١٥ هـ

(مصدر الوثيقة محفظة بدون رقم ولا تاريخ محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة)

إلى جانب حضرة أعز المحبين الدستور المكرم حضرة محبنا العزيز الجنرال دنزلوه صارى عسكر حاكم ولاية أسيوط ومنفلوط والمنيا دام بقاه بعد مزيد السلام عليه وكثرة الأشواق اليه أسبغ الله تعالى جزيل نعمته وفضله عليه. إن خاطرنا عندكم كثير قوى وان سألتم عنا فإننا طيبين بخير ولم نسأل عنكم وغير ذلك ان حضر لنا جوابكم وقريناه وفهمنا مافيه بالحرف الواحد وذكرتوا أنه حصل أمر الله تعالى إلى حضرة محبنا الصادق كليبر صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية، وحصل لنا غم شديد وبكاء لأنه كان محب لطرفنا ويعشمنا بكامل الخير، وسلطتنا بمصر حكم ما كنا أول ولكن هذا أمر الله تعالى لم فيه اندفاع، وان شاء الله تعالى تكون البركة فى حضرة محبنا العزيز الدستور المكرم مينو صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية، وبقا عشمنا فى حضرته السعيدة حكم ما كان عشمنا فى حضرة كليبر صارى عسكر فى كامل الوعد الذى أوعدنا به نرجو من حضرته راحتنا فى كامل الأمور وتكون المحبة ما بيننا وما بين الجمهور الفرنساوى مثل أول وتزيد، ويكون الصلح وكامل الشروط على ماهى عليه، وأن الواصل إلى عندكم جواب الى حضرة محبنا العزيز الدستور المكرم مينوا صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية صحبة الأمير ابراهيم أغا كتخدا تابعنا تطلعوا عليه قبل توجهوا وتفهموا مضمونه، وترسلوا صحبته واحد من طرفكم بتوصية إلى حضرة صارى عسكر ولم نعرف راحتنا من قبل المباشر وخلافه الا من حضرتكم السعيدة حكم ما أرسلنا عرفناكم سابق تاريخه وباقى الكلام يعرفكم عنه الأمير ابراهيم كتخدانا وترسلوا لنا أخباركم لأجل الطمأنة عليكم والله تعالى يحفظكم والسلام فى غرة شهر صفر سنة ١٢١٥.

أمير اللواء السلطاني

مراد بك



## ملحق رقم ( ٣ )

صورة جواب حضرة أمير اللواء مراد بيك

١٥ شهر صفر ١٢١٥ إلى عبدالله مينو صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية

مؤرخ فى ١٥ شهر صفر سنة ١٢١٥ هـ

مصدر الوثيقة محفظة بدون رقم ولا تاريخ محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة

انه حضر لنا جوابكم وعرفتونا بما حصل إلى حضرة محبنا العزيز صارى عسكر كلبير وهذا أمر الله تعالى لم أحدا بيده حيلة وأمر الله تعالى لابد عن نفاذه والذى سلط على قتله مثل واحد كبير زى ده لم هو شأن الأميرى ويبقا خاين وقليل المروة ولكن من قديم الزمان الخوانة لهم وكل أحدا جزائه على الله تعالى وذكرتوا لنا فى جوابكم أن الجمهورى سلموا لكم كامل الأمور والحكم وحصل لنا غاية الفرح والسرور لأن سابق بلغنا عنكم الأخبار الطيبة وشكر أنه عن حضرتكم من الناس جميعا يمدحوكم بكل خير واحنا الآخرين حصل لنا فرح بذلك وزاد حبنا لطرفكم وإن شاء الله تعالى يكون راحتنا على الله تعالى وعلى حضرتكم السعيدة وأننا على المحبة والشروط على ماهو عليه حكم الأول وإن شاء الله تعالى تزيد المحبة والتوفيق وقبل تاريخ أرسلنا لكم جواب صحب الأمير ابراهيم أغا كتخدا تابعنا وعرفنا الأمير ابراهيم كتخده يعرف حضرتكم عن راحتنا وحضرتكم تتحملونا وتقبلوا عذرنا فى سنة تاريخه لأن حاصل لنا تعب من قبل المعايش والأمر بالله تعالى وإلى حضرتكم السعيدة وترسلوا لنا كامل أخباركم لأجل الطمأنينة عليكم والله يحفظكم.

## ملحق رقم ( ٤ )

رسالة من مراد بك إلى جناب أعز المحبين الصادقين الدستور المكرم حضرة محبنا العزيز الجنرال دنزلوه صارى عسكر حاكم ولاية أسيوط ومنفلوط والمنيا دام بقاه، وثيقة رقم ٩١

(مصدر الوثيقة محفظة بدون رقم ولا تاريخ محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة)

بعد مزيد السلام عليه وكثرة الأشواق اليه أسبغ الله تعالى جزيل نعمه وفضله عليه أن خاطرنا عندكم كثير ولم نسأل إلا عنكم وغير ذلك أن الواصل لكم الأمير محمد كاشف تابعنا يتوجه مصر بجوابات إلى حضرة محبنا العزيز صارى عسكرى أمير الجيوش الفرنساوية لأجل مقابلته ويفهم عن أمو ر المكرهين لنا لأن فى هذا الوقت الذى يكرهونا كثير إن كان عشملى ولا خلافة على شأن صلحنا معكم ويسلطوا الناس المنافقين لأجل ما يفسدوا ما بيننا وما بينكم وإن المراد منكم يا محبينا تكتبوا جواب من عندكم إليى حضرة صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية أنه لم يسمع فينا كلام المكرهين لأن احنا عشمنا فى الجمهور بكل الخير والراحة والحمد لله تعالى أنتم قريبين منا وناظرين أحوالنا واحنا تبع الجمهور بالصدق والمحبة ولم نمشى فى أمور شرك بفم خاطر الجمهور وترسلوا لنا أخباركم لأجل طمأنا عليكم واحنا عشمانين فى حضرتكم لأنكم خاص المحبين لنا واحنا كذلك.

فى ٦ جمادى أول ١٢١٥

أمير اللواء السلطاني

مراد بك

## ملحق رقم (٥)

عرضحال من أهالى ناحية طهطا الواضعين أسماهم وختومهم فيه خطابا إلى الدستور المكرم والجنرال دنزلو صارى عسكر الجيوش الفرنساوية بولاية المنيا والأسيوطية وفقه الله تعالى للشفقة على الرعية، مؤرخة فى ٢٣ شهر رجب عام ١٢١٥ هـ

(مصدر الوثيقة محفظة بدون رقم ولا تاريخ محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة)

نعلمه أن بلدتنا ناحية طهطا المذكورة فى حين حضر الجمهور الفرنساوى فى بر مصر وهى فى راحة والرعية يبيعوا ويشتروا بالحق والانصاف ويدفعوا جميع ما عليهم من الجمرك المعتاد للديوان وكل يوم داخل البلد جميع ما يحتاج اليه معاش الرعية والفقرا والمساكين وأهل البلاد المجاورة وخلافها ويبيعوا ويشتروا والناس حاصل لها راحة ولم يكن عليكم حوادث إلا الجمرك المعتاد.

والآن حصل عندنا حوادث على جميع الذى يباع ويشترى فى غلال ومواشى وتبن ووقد وطيور وتجارات وخلافه وذلك لم يكن معتاد قبل حضور الفرنساوية ولا بعده فبسبب ذلك امتنع جميع ما يدخل البلد من معاش الرعية وتعطل حال البلد وحصل لأهلها تعب ومشقة عظيمة بسبب التعطيل الحاصل فى هذه الحوادث ونرجوا من حضرة جنابكم أن تشفعونا فى رفع هذه الحوادث التى عطلت أحوال الرعية لأجل راحة الناس ويبيعوا ويشتروا ويدفعوا الجمرك المعتاد عليهم للديوان ان من عادتكم راحة الرعية والشفقة عليهم وتحبوا عمار البلاد وجميع الرعية لكم وحاصل لها سرور بكم أنه حين قدومكم لم يحصل منكم لا الراحة للرعية وعمار المحلات والله يوفق لفعل الخيرات.

تحريرا فى ثالث عشرين شهر رجب عام ١٢١٥ خمسة عشر ومائتين وألف.

| | |
|---|---|
| الفقير | الفقير |
| **عبدالرحمن محمد** | **مسعود أبوالسعود** |
| | المالكى بطهطا |

الفقير

**محمد عمر أفندى/ بطهطا**

| | |
|---|---|
| الفقير الى الله | الفقير الى الله تعالى |
| **على أحمد شيخون** | **السيد محمد عابدين** |

## ملحق رقم (٦)

رسالة مراد بك

مصدر الوثيقة: محفظة بدون رقم ولا تاريخ محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة . إلى حضرة أعز المحبين الدستور المكرم حضرة محبنا العزيز الجنارال دنزلو حاكم ولاية أسيوط ومنفلوط والمنيا، مؤرخة في ١١ محرم سنة ١٢١٥ هـ

بعد مزيد السلام عليه، وكثرة الأشواق اليه أسبغ الله تعالى جزيل نعمه وفضله عليه إن خاطرنا عندكم كثير وغير ذلك نعرف حضرتكم من قبل شيخ العرب على محمد كريم شيخ عربان طرهونة فإن المذكور صادق فى الخدمة إن كان فى طرفكم أو فى طرفنا قبل حضوركم كنا كتبنا له جوابات إلى حضرة محبنا العزيز الدستور المكرم صارى عسكر دام بقاه وأن الجوابات بالتخمين إنها لم وصلت، ولكن لما حضرتوا وبقى راحة المذكور على الله تعالى وعلى حضرتكم السعيدة. المراد منكم راحة المذكور فى كامل أحواله. وتريحوه غاية الراحة، وتريحوه غاية الراحة ولم تسمعوا فيه كلام أحد من المكرهين وتعطوه أمان كافى من حضرتكم السعيدة ولم نعرف راحة المذكور إلا منكم كما هو العشم فيكم واحنا نعرف ونتحقق أنكم لم تعوروا وصية من قبل الذين طرفنا وثانيا أن المذكور خدامكم وخدامنا وأن الحال واحد ولم نحتاج الى شرح لكم كثر كلام والله تعالى يحفظكم والسلام:

١١ محرم سنة ١٢١٥ م

أمير اللواء السلطانى

مراد بك

## ملحق رقم (٧)

رسالة دنزلو إلى القائد العام الجنرال منو

وثيقة بدون رقم مؤرخة فى أسيوط بتاريخ ١٠ فريمير العام التاسع الجمهورى

(مصدر الوثيقة: ملف رقم١ ، B658 بمحفظة فترتها التاريخية من ١ ديسمبر إلى ٢٩ ديسمبر سنة ١٨٠٠، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة.

سيدى القائد

قائد كتيبة التنظيم تونسار Tonsard الذى أرسلته إلى قنا مع فرقة بها ٢٥ رجل سوف يعود ومعه ١٥ مدفع كانت فى القلعة ١٣ منها حديد من أنواع ٨، ٦، ٤ والاثنان الأخران صلب وغير صالحين.

قلب القلعة قد دمر تماما بعد رحيلنا والمياه غمرت جزءا من السور، مراد بك الذى أعلمته مسبقا بوصولهم استقبلهم بحفاوة. هذا البك مازال يقطن «الهو» How ولن يتأخر فى الذهاب للإقامة فى جرجا.

لقد عجلت بإرسال المواطن تونسار له ليخبره بإمتنانك وبرغبتك فى نقل الجنود من القصير إلى السويس، أكد له أنه سيقوم بتقديم كل التسهيلات لهم وإرسال مرشدين من المماليك والعرب معهم وكل شىء يستطيع تقديمه. تبعا لتقارير وصلت الى هذا البك إن الجيوش الانجليزية قد تركت جدة والبحر الأحمر. لم تصله أخبار مباشرة من سوريا، بضعة مماليك جاءوا لرؤيته أخبروه أن الوزير ينظم صفوفه ومن بين قواته سيكون بعض «الألبان» والأرمن وسيقوم ببضعة هجمات على مصر، لكنه

أكد لى أنه إذا كنا نشك فيه ـ وهو غير صحيح. فإنه ليس له اتجاه آخر إلا الانضمام لنا ومشاركتنا في مصيرنا، لأن العثمانيين ـ كما يقول ـ لن يغفروا له أبدا وأنه لا يثق في وعودهم، ومتوقع خداعهم له في هذه الظروف ليس له ملجأ آخر الا الالتجاء للفرنيسين والاحتماء بجمهوريتهم.

أنا أحاول بكل قوتى الحفاظ على التوافق بيننا وبين هذا الأمير ولكنى آسف لأننا لم نعطيه مقابل يساوى الخدمات التي قدمها لنا والتى باستطاعته تقديمها في المستقبل. الفرنسيون الذين هربوا من العسكرية والموجودون معه لا يريدون تركه، بالرغم من تأكيدنا لهم بالعفو الذى أرسلناه مع المواطنين «زوسار Zousard.

سأجد طريقة أخرى لاجبارهم على العودة. إنهم يرتدون ملابس الفلاحين ولا يأكلون مع المماليك. إنهم لا يركبون الخيل ولا يوجد معهم سلاح ومراد بك قرر أن هذا هو حالهم دائما لكى لا يتهم بجذب جنود فرنسيين إلى صفوفه.

سلامى واحترامى

دونزيلو

## ملحق رقم (٨)

خطاب موجه من السيدة نفيسة حرم مراد بك الى القائد الأعلى عبدالله جاك مينو

مؤرخ في ١٧ ميسيدور السنة ٩ (٢٤ صفر سنة ١٢١٦ هـ)

(مصدر الوثيقة ملف ٣٥، B6 70 بمحفظة من ٢٠ يونيو الى ٢٢ يوليو سنة ١٨٠٠، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة)

بعد سلامنا وبعد دعواتنا لكى يحطيكم الله بنعمته، إذا كنتم تسألون عن أخبارنا فنحن بأتم صحة، نحمد الله ونرغب في معرفة حالة صحتكم..

لقد تلقينا خطابكم وهداياكم التى أرسلتموها، فليزيد الله رخاءك ونحمد الله على صحتكم ونحن ندعوه أن تكون نهايتكم حسنة.

منذ بضعة أيام جاءت السيدة زبيدة، زوجتكم لرؤيتنا مع سليمان ابنكم الغالى، ورغبنا في أن يقيموا عندنا بضعة أيام لكى يستريحوا ولكى نتحادث سويا ولكنهم لم يستطيعوا لأنهم لم يتلقوا الأمر أو الاذن من جانبكم، نحن نصلى ياصديقنا أن تستمر في إرسال الخطابات لكى نطمئن على أحوالكم وحماك الله من كل شر.

نفيسة الكبرى، السيدة الشريفة

٢٤ صفر ١٢١٦ هجرية

بصمة ختمها يحمل حرف (ن) وهو أول حرف من اسمها الشخصى.

## ملحق رقم (٩)

رسالة من شريف مكة إلى قائد اللواء الجنرال دنزلوا مؤرخة فى ٢١ ديسمبر سنة ١٧٩٩، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة

ترجمة حرفية بالفرنسية للرسالة العربية من شريف مكة الكبير إلى قائد اللواء دونزلو.

بسم الله الواحد الأحد، له كل الصلوات، الذى منه كل الخيرات والسلطات، وكلمتى أنا أمير مكة، إليك أنت دونزلو، الأمير الجنرال القومندان بالقصير، ليكن فى علمكم أن رسالتكم وصلتنا وفهمنا كل ما بها وأعلمنا تجار مكة أن يضعوا ثقتهم فيكم وقد وثقوا فى كلامنا ونفذوه. وبعد المراكب التى وصلتكم سيصلكم غيرها، وتأكدوا بعد الثقة التى وضعتموها فينا أنكم سترون الكثير من التجار. استقبلوهم وعاملوهم بنفس الطريقة التى أفهمتهم اياها، وقد قررنا ذهاب بعضهم اليكم لأن بين أيدينا رسائل كضمان أمن وثقة من أمراء فرنسيين، وهؤلاء الأمراء لا يخونون الكلمة ابدا ولا يتكلمون إلا لغة واحدة. ومن أجل هذا يصل عندكم إبننا الشريف حسن. اعتنوا به حبا لنا وما ستعملونه له كأنكم تعملونه لى شخصيا ولكم منا التحية.

إمضاء

الشريف عبدالله

٢٣ من رجب ١٢١٤

## ملحق رقم (١٠)

رسالة من محمد أغا حاكم مدينة ينبع الى الجنرال دونزيلو مؤرخة فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٧٩٩، وثيقة رقم ١٧٤٥.

مصدر الوثيقة ملف رقم ١١٠ بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ الى ٣١ ديسمبر سنة ١٧٩٩، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة.

ترجمة عن العربية لرسالة محمد أغا حاكم مدينة ينبع الى الجنرال دونزيلو

إلى دونزيلو حاكم القصير، الله أكبر يحفظه ويعطيه طول العمر، وبعد سلام عميق يمن الله عليه برحمته وبركاته.

علمنا أنكم تذكرونا، حمدا لله أننا بصحة جيدة ونرجو أن تكونوا أنتم كذلك وبعد...

سيصلكم الشريف حسن ابن العبد لله، ومعه خطابنا. واذا كنتم تسألون عن المراكب فإن بعضها سيصل معه والبعض الآخر بعده، يوجد بها الكثير من البضائع. بعد ذلك سيصلنا الكثير من البضائع، فأرسلوا الينا مراكب الحبوب وسنبعث اليكم بالبن.

السنة الماضية كان البن قليلا في اليمن ولم يكن مثل الأعوام التى سبقته ولكننا نأمل أن يصلنا الكثير منه هذا العام، وقد وصل فعلا بن جديد من اليمن الى جده، وإذا أراد الله تصلنا قريبا.

أرجو لكم الصحة والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

محمد أغا من ينبع

٢٤ من رجب ١٢١٤ هـ

## ملحق رقم ( ١ ١)

أمر الجنرال كليبر المؤرخ في يوم ١٧ فلوريال العام الثامن الجمهورى إلى الإدارة العامة بالقاهرة

مصدر الوثيقة ملف رقم ٧ B6 44 بمحفظة فترتها التاريخية من أول مايو إلى ٣١ مايو سنة ١٨٠٠، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل القاهرة

أمر يوم ١٧ فلوريال العام الثامن الجمهورى

الجيش قد أنبىء أن القائد الأعلى باسم الجمهورية، قد أعطى السلام لمراد بك، وقد منح امتياز عوائد ريف جرجا.

«تابع»

من الآن فصاعدا

المديرية الأولى ستشمل مديرية أسيوط والمنيا

المديرية الثانية، مديرية بنى سويف والفيوم

المديرية الثالثة، مديرية إطفيح، والجيزة

المديرية الرابعة، مديرية الشرقية والقليوبية

المديرية الخامسة، كما في السابق ، مديرية البحيرة ورشيد

المديرية السادسة كما فى السابق، مديرية دمياط والمنصورة

المديرية السابعة كما فى السابق، مديرية الغربية

المديرية الثامنة كما فى السابق، مديرية منوف

أمر يوم ١٧ فلوريال عام ٨

«بقية»

قائد اللواء دونزلو Donzelos سيرأس المديرية الأولى

قائد اللواء زايونشك Zayonchek المديرية الثانية

قائد الفرقة فريان Friant المديرية الثالثة

قائد الفرقة رينييه Reynier المديرية الرابعة

قائد الفرقة لانوسLanusse المديرية الخامسة

قائد الفرقة رامبون Rampon المديرية السادسة.

قائد الفرقة فردييه Verdierالمديرية السابعة والثامنة.

## ملحق رقم (١٢)

رسالة من لابانوز الوكيل الفرنسى لمديرية طيبة الى الشريف الكبير بمكة مؤرخة فى يناير ١٨٠٠

(مصدر الوثيقة ملف رقم ١٦ B6 40 بدوسيه رقم ٢، بمحفظة فترتها التاريخية من ١ إلى ٣١ يناير سنة ١٨٠٠ محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة)

لقد أعطيتنا أيها الشريف الكبير دليل مؤثر على صداقتكم بوجود ابنكم الشريف حسن فى وسطنا الآن لكى يجلب لنا أخباركم، ولقد سعدنا جدا لرؤيته. وقد أظهرنا له معزتنا وشعورنا تجاه سموكم، فتكونوا متأكدين أن أكبر طموحاتنا هو استمرار علاقات الصداقة والتجارة بيننا وبينكم، أرجو أن تعلمونا ماهى رغباتكم من هذا البلد الذى نحكمه نحن الآن وستجدونا دائما فى خدمتكم على قدر استطاعتنا. نحن نعلم احتياجكم للحبوب، لهذا، سوف نرسلها لكم على وجه السرعة، وتبعا لاختصاصى فى موقعى هذا كوكيل للحكومة الفرنسية، فتأكدوا أنى لن أدخر وسعا لكى أكلف التجار بتحميل الحبوب من القصير، ومن جانبكم أرجو أن ترسل لنا الكثير من البن، وهذا التبادل بيننا سينتج عنه غنى مصر ومكة على السواء، لنكون أصدقاء دائما وليمت سوء الظن والكراهية الوحشية البربرية التى طالما تسببت فى محاربة الأتراك للمسيحيين والمسيحيين للأتراك.

إن الأمة الفرنسية قد استنارت وعادت لها المبادىء الإنسانية وجاءت الى هذه المنطقة لتصلح المعتقدات الخاطئة. إننا جميعا بشر، كلنا أخوة، المسيحى والمسلم واليهودى، كلنا خلقنا إله واحد وله وحدة محاكمة البشر وله وحده الادانة فى التصرفات والمعتقدات وله وحدة العقاب ولايجب أن يلجأ البشر إلا لله.

فليرجع الأتراك إذن عن أخطائهم القديمة وليطمئنوا ويثقوا بنا نحن الفرنسيين. لقد جاء الفرنسيون الى هذا البلد ليخلصه من العبودية وليرقى به.

وأنتم ياحضرة الشريف الكبير، الرئيس الروحى للديانة الإسلامية، والمسلمة لك المبادىء المقدسة والحامى للأماكن المقدسة لدى الأتراك والمسلمين عامة، نرجو أن تستمروا فى شهادتكم عن الصداقة التى تربطنا، وهى صداقة نعتز بها جدا هذه الشهادة سوف تقوى أكثر فأكثر التوافق والوحدة الموجودة بيننا وبين الأتراك وستوفر سلام دائم بين الأمتين للفائدة المشتركة.

أتمنى لك كل السعادة وليزيد الله فى عمرك سنين عديدة وليحرسك الرسول العظيم، أنت وكل أبنائك حتى آخر الأيام.. الخ الخ.

الوكيل الفرنسى ريف طيبا

لابنوز

ملحوظة: هذه الوثيقة كانت مرفقة لخطاب من القائد لابنوز الى الجنرال بونابرت بتاريخ ٢٧ اكتوبر سنة ١٨٠٢.

## ملحق رقم (١٣)

من قائد الكتيبة دنزلو إلى القائد العام الجنرال مينوا

أسيوط فى ٢٥ ميسيدور العام الثامن الجمهورى

(مصدر الوثيقة ملف بدون رقم B6 47 بمحفظة فترتها التاريخية من ١٠ يوليو الى ١٩ أغسطس سنة ١٨٠٠، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة

سيدى الجنرال

عاد الضابط الذى بعثته برسالتك إلى مراد بك واليك رده كما عرضهَ علي. لقد اسعدته رسالتك جدا وفى رسائله وأقواله يوحى اليك هذا البك انه حسن النية. وأول شيء أظهره شدة تأثره لمقتل الجنرال كليبر الذى كان يعتبره صديقه وراع مخلص [له]، ويخشى ألا يجد من خليفته نفس المشاعر تجاهه. وقد اطمأن من التأكيد الكامل بأنك ستلتزم من ناحيته بكل ما وعده به سلفك. ثم تحدث عن سوريا والعداء الواضح من الصدر الأعظم وأرسل لإحضار خطاب من ابراهيم بك وحسن بك وطلب قراءتها عليه، وهى تحوى الأخبار التى أرسلتها لك فى العاشر من ميسيدور الماضى، لكن البكوات سجلوا أن الكثير من الشكاوى وصلت ضده، واتهموه أنه وفر مواد مشتعلة لحرق القاهرة أثناء الحصار، وأن الوزير فى شدة غضبه أرسل تقريرا للصدر الأعظم ، ولكنهما قدما عنه شتى الأعذار متعللين أن مراد بك لم يتعاون معنا الا لرغبته فى الهروب من الفقر والبؤس والهروب من سكنى الصحراء حيث أصبح العيش مستحيل، وانتهاز الفرص لاسترداد قوته وقد ختما الرسالة بقولهما أن الوزير لا ينقصه الا القليل ويبعث بجيش كبير للقضاء على هؤلاء الكفار.

بعد هذه الرسالة أعتقد أن ابراهيم بك وحسن بك لهما نفس المصلحة التى للعثمانيين وقد طمأن مراد الضابط من ناحية اعتماد الفرنسيين على وفائه ولن يتراجع أبدا عن تصميمه فى مقاسمتنا المصير وان كل الوعود المعطاه له من جهتهم تخفى أحط النوايا الخبيثة. ولا يشك أن لرأسه ثمنا مثل كليبر وأنه يعلم أكثر منا ومنذ زمن طويل نوايا مبعوثى الصدر الأعظم وبالنسبة لاستعدادات الأتراك فقد أخبرنا بأننا سنهاجم من الجيش التركى وبأن ٥٠٠٠ رجل سيرحلون من يافا فى طريقهم للقاهرة وأن ٣٠٠٠٠، سيصلون بين رشيد والإسكندرية للالتقاء فى نفس الموقع عند الضفة اليسرى للنيل، وهذه المجموعات مكونة من انكشارية وأرمن وألبان ولن يكون هناك فرسان بالإضافة لبعض العرب مع حوالى من ٥٠٠ الى ٦٠٠ من المماليك.

وقد أعلن مراد بك أن محمد بك الألفى لا يطيع أوامره وأنه فى الغالب ينتظر فى الصحراء بالقرب من القاهرة وصول الجيش التركى للانضمام له أو ربما كان مكلفا بتجنيد العرب وكان يجب تنبيهه بالانضمام له أو العودة للوراء. وفى حالة العصيان يجب تشتيت جيوشه والقضاء عليه قبل وصول الأتراك. وسينال منه اليأس عندما يعلم أن أحدا من رجاله لم يقبل الانضمام لأعداء

الفرنسيين. عندما سألته عن أخبار القصير أجاب بأن بارجه انجليزية غادرت الميناء بعد تأكدها أن الفرنسيين لم يعودوا يحتلوا الموقع وكان قد أنبأك بهذا يوم طلب منك امدادات من الأسلحة لاستخدامها فى حالة حدوث انزال من الأعداء، وقد علم أنه فى حالة الشك فى حسن نواياه ستمنع عنه هذه الامدادات. عموما لقد تلقت هذه الرسالة المرفقة لنفس الموضوع وقد أجبت أنه ليس لدى أسلحة الا ما يكفينى. وقد كتب لك رسالة فى نفس الوقت يحملها ابراهيم أغا، وأعتقد أنه لو كنت أصدرت الأمر بإعطاء مدافع فلن تكون ذات عون كبير وسيتبين لك أنه فى حالة الرغبة فى اعطاء مراد بك دليل على الثقة به فلن يكون من اللائق ارسال بعضها إليه. عند مغادرة القصير تركت ١٦ قطعة وسبعة مدافع قطع ٦ حديد مع معدات بحرية لكن بدون بودرة أو ذخيرة.

إذا كانت أسلحتك تختلف عما كان لدى سلفك، فيجب، ليس فقط تموين هذه المدافع، ولكن العمل ايضا على تقوية هذا الموقع الذى لم ينتهى عند اخلائه عثرت على كمية من المونة، وأربعين قنبلة بالإضافة إلى ٣٠٠ عيار ٢٤ وانى انتظر ياسيدى الجنرال أوامرك بخصوصها.

نعود لحديث مراد، انتهى إلى القول أنه شديد الوفاء والصداقة مع الفرنسيين وله كلمة واحدة يحافظ عليها بحياته وأننا لا يجب الشك فيه، وأن مصيره مرتبط بمصيرنا وإذا حدث لا قدر الله مكروه وانقلب الحظ ضدنا سينظم لنا فورا وليس لديه أى جانب آخر يناصره، وسينتهز الفرصة المتاحة الآن لتدريب بعض المماليك لتكون على مستوى مشاركتنا كل الأعمال إذا دعت الضرورة لذلك سيستمر فى مراسلة عدونا المشترك ولن يضيع دقيقة فى تبليغنا أى شيء وفى حالة الهجوم علينا حلف براسه أنه سيحافظ على أمن صعيد مصر من أول أسوان حتى أبواب القاهرةولكن ليس أبعد من ذلك.

أخيراً بدون تعليقاته هذه أخبرنى الضابط أنه لاحظ حسن النوايا على وجه مراد بك مما لا يترك أى مجال للشك.

حاليا سيدى الجنرال لديك الآن رده وأرجوك اتخاذ القرار فى طلباته بخصوص تأجيل الميرى لهذا العام وزيادة بضعة قرى، وكان لى الشرف فى الكتابة لكم فى هذا الموضوع.

تحياتى واحترامى

دونزلو

## ملحق رقم (١٤)

من كليبر إلى حكومة الإدارة ٢٥ برومبير العام الثامن الجمهورى (١٦ نوفمبر ١٧٩٩) وثيقة رقم ١٧٤١ بملف رقم ١٤، دوسيه رقم ١، بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر إلى ١٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة.

### السادة الأجلاء

هذا تقرير بالأحداث التى مرت على مصر بعد آخر تقرير أرسلته بتاريخ اليوم السادس التكميلى من العام ٧ (٢٢ سبتمبر)

#### الصعيد

مراد بك بعد هزيمته على يد المساعد العام موران يهيم فى صحراء الصعيد ولا يقترب من الوادى إلا لكى يتزود بالمؤن، الجنرال ديزيه كان ا العدو الذى لا يكل٤٣٨٤٥٨ يريد التخلص م بأى ثمن، لذلك جمع طابورين من الجنود على الجمال والخيول والمدفعية هذا الجيش تحرك من أسيوط أوائل شهر فاندميير، يقود الطابور الأول الجنرال ديزيه والطابور الثانى الجنرال بواييه.

يوم ١٧ منه (٩ أكتوبر) المساعد العام بواييه ـ بعد ثلاثة أيام من السفر ـ تقابل مع مراد بك فى صحراء سدمنت، ما أن ترجل الجنود من على الجمال وجمعوا صفوفهم إلا كانوا قد تعرضوا لهجوم مشترك من المماليك والعرب، لكنهم دافعوا بقوة بالبنادق والسيوف، لكن العدو كان ماهرا فى حربه فوق الجمال وكاد أن ينتصر ثلاث مرات لكن جنودنا ردوا ببسالة، فى النهاية هرب المماليك والعرب وقام الجنود بملاحقتهم بالجمال، فقدنا فى المعركة جنديا واحدًا و ١٧ جريحا ترك العدو فى الرمال أكثر من ٤٠ قتيلا.

أعطيت أوامرى إلى الجنرال ديزيه أن يعود إلى القاهرة ليقود مجموعة من الجيش الذى سيحارب الوزير القادم من سوريا.

الجنرال بواييه سيتابع الحرب مع مراد بك الذى يهرب منه دائما هذا البك مل من الهروب المستمر، عبر النيل يوم ٣٠ فاندميير (٢٢ أكتوبر) من عند أطفيح وهو يتجنب قوات الجنرال رمبان ودخل إلى الصحراء الشرقية وأخذ طريق السويس ثم توقف وعاد إلى الصعيد، وفى كل مكان كانت تلاحقه قواتنا دون أن تستطيع الإمساك به، وفى كل مكان يصل إليه ينشر إعلانات الصدر الأعظم ليشعل الثورة بين الأهالى دون جدوى.

الجنرال بواييه أظهر شجاعة عالية فى حروبه وكان جيشه مكون من الكتيبة ٢١ المدفعية الخفيفة والفيلق ٨٨.

## ملحق رقم (١٥)

من مدير البحرية لوروى إلى القائد الأعلى

وثيقة بدون رقم مؤرخة فى القاهرة ١٣ فريميير العام التاسع الجمهورى، ملف رقم ٤ B6.58 ، بمحفظة فترتها التاريخية من ١ إلى ٢١ ديسمبر سنة ١٨٠٠، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة

القائد المواطن

ليس من اختصاصى أن أخبرك بأى شىء خارج اختصاص البحرية ولكن لن أكون عند حسن ظنكم إذا لم أطلعكم على هذه الشكوى التى وصلتنى.

الحركة الملاحية فى النيل تقل يوما بعد يوم أعتقد أن تعطيل التجارة بالقصير قد أضر بالزراعة والملاحة بصعيد مصر. وأنا واثق أن القائد الأعلى سيكون عنده الحل اللازم لهذه المشكلة.

سلامى واحترامى

لو روى

## ملحق رقم (١٦)

من الجنرال ديزيه إلى الجنرال كليبر القائد العام لجيش مصر

وثيقة رقم ١٨٠ مؤرخة من أسيوط فى ٢٦ فروكتيدور العام السابع الجمهورى

١٢ سبتمبر ١٧٩٩، ملف رقم ١٦، محفظة فترتها التاريخية من ٢٠ إلى ٣١ أغسطس ١٨٠٠، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة

الجنرال ديزيه إلى الجنرال كليبر القائد العام لجيش مصر

لقد وصلت ياسيدى القائد من الصعيد حيث قمت بجولة، لقد أردت أن أذهب لأرى «القصير» ولكن خبر رحيل القائد الأعلى منعنى من ذلك على أى حال كان يلزمنى ١٢ يوما لذلك وأنا كنت متعجل للعودة لأتمم استعدادتى لمتابعة مراد بك. لقد تلقيت الخطابات التى أرسلتها لى يوم ٩ من رشيد لقد تلقيت بكل البهجة خبر تعيينكم قائدا عاما للجيش وخبر رحيل القائد الأعلى إلى أوروبا. أنت تعلم التقدير الذى أكنه لك لذلك فأنت تعلم أنى سأخدم تحت إمرتك بكل إطمئنان وثقة. كل الجيش يشاركنى الرأى ولا يشعر بأى قلق ولك أن تطمئن أنه سيقوم باللازم لسلامته ولوجوده. الجميع مطمئن. القائد الأعلى الآن فى فرنسا، لنا ثقة فى نشاطه وموهبته وقدراته لكى يحسن من موقفنا، يجب عليك يا سيدى القائد وأنت فى القاهرة أن تكون مدرك لموقفنا، لقد شرحته مسبقا للقائد الأعلى وللجنرال دوجا فى جملتين.

أما عن موقف أعدائنا فهو كما يلي: جنوب الشلالات حسن بك جداوى مع عثمان بك حسن، وجالا بك تحت إمرته حوالى ١٥٠ فارسا ومعهم سليمان بك أبو دياب جريح ومعه ٥٠ رجل البكوات الأربعة مرابطون جنوب الشلالات على بعد يومين، يحيون حياة بائسة، لكن عندما تترك جيوشنا أسوان سيتجهون إليها وسيعصفون بكل البلاد وسينظمون صفوفهم ويبرهنوا أنهم أعداء شديدى السطوة أو الخطورة.

وبالقرب من أسيوط يوجد سليمان بك، وعثمان بك وإبراهيم أغا كاشف مراد بك وحوالى ١٠٠ عربى، بقى فى النهاية مراد بك مع محمد بك المنفوخ، وعثمان بك برديسى وعثمان بك الطنبورجى، اتحدوا بعد المفاجأة التى حدثت لهم بالقرب من جرجا، مجموعهم حوالى ٢٠٠ رجل، وتبعا للتقارير الأخيرة فهم الآن بين أسيوط والفيوم فى هذه المنطقة توجد عدة قبائل عربية اتحدوا معهم مثل الجهمة وبها حوالى ٣٠٠ فارس.

لقد أغدقت عليهم بالخيرات [يقصد قبيلة الجهمة] لأحلهم من ارتباطهم، لقد أعطيتهم أراضى وقمح، كل شىء يكفل لهم حياة كريمة ولم يكن لهم من قبل وسيلة للعيش سوى بيع الجمال التى يصطادوها من أى مكان ما إن ابتعدت عنهم قليلا حتى ثاروا وهاجموا الكثير من المناطق وسببوا خسائر هؤلاء هم كل أعدائنا.

لهزيمتهم هذه هى خطتى من العبث الذهاب وراءهم لأنهم يهربون باستمرار، أنا أتصور أنه يمكننى هزيمتهم على الجمال، ولقد جمعت عددا كبيرا منها وأمرت بصناعة سروج لها، طابور واحد من الجنود غير كاف لتدمير أعدائنا فهم يهربون منه، لابد من تطبيق طريقة الخطاف (الكماشة)، أنا أحتاج إلى طابورين من الجنود يسير كل منهما على بعد ثمانية أميال من الآخر، إذا حاول البكوات الهرب سيضطرون لعمل دوران كبير جدا ومع خيولهم المجهدة سيصعب عليهم ذلك وسيجدون أنفسهم أمام جيشنا وهم فى غاية الإجهاد.

وهكذا ياسيدى القائد سأرحل مع طابورين من الجنود ومعى ٥٠٠ جمل تم تدريبها، الطابور الأول سيتكون من ٣٤٠ جملا ومدفعين صغيرين، لن يكون به أى خيل مما سيسهل حركته، الطابور الثانى يتكون من ٣٠٠ حصان و ١٥٠ جملا وقطعتين من المدافع على بعد ١٠ أميال، بهذا الأسلوب لا أعتقد أن مراد بك يستطيع الفرار. فى نفس الوقت الجنرال بليار يجمع ٣٠٠ جمل وسيقسمها على طابورين، سيذهب حتى ٧ أو ٨ أميال جنوب الشلالات لتشتيت البكوات هناك.

وسيتبقى بعد ذلك مجموعة أخرى من المماليك وهم أغنياء وتصحبهم نساؤهم، تفكيرهم فى الراحة وليس فى الحرب، بعد أن نهزم مراد فى الصحراء، سأرسل لهم مجموعة لتفرقتهم، بعد الثلاث حملات، صعيد مصر سيكون بلا أعداء. سنطرد منه بسهولة الباقين، ولكنهم يعودون بسرعة لأن الصحراء، حيث يلجأون، تجبرهم على العودة سريعا إلى الأراضى الخصبة، ولكن بعدد قليل من الجمال نستطيع طردهم.

إذا تخلصنا من المماليك، مصر العليا ستكون هادئة وفى سلام، فالشعب فيها أفضل من أى مكان آخر، فهو صاحب أرض وقد دافع بقوة عن حريته ولكنه أسهل فى القيادة عن أهل مصر السفلى، فلايوجد بدو مما يسهل الأمور.

لكن يوجد موقع هام هو «القصير» هذا الميناء الهام يستحق كل اهتمامنا فمنه المنطقة العربية تساعد أعدائنا ومنه سيهاجمنا الإنجليز. فمنذ شهر حدثت غارة من سفينتين من سفنهم وقد دمروا القلعة تقريبا بأربعة آلاف طلقة مدفع، الجنرال دونزلو الذى لا يكل قام بكل ما يستطيع لترميمها ولكن إمكانياته قليلة والإصلاح يحتاج إلى أموال كثيرة. إذا كانت القلعة قد تم ترميمها وفى حالة جيدة لما خشيت شيئا لأن كل الأرض المحيطة بها صخرية شديدة ولكن يجب أن نمنع اقتراب السفن الأجنبية حتى لا تدمر القلعة تماما ونستطيع ذلك عن طريق وضع مدافع من الحجم الكبير على مسافات مناسبة. هناك اثنان من هذه المدافع فى قنا ولكنها من الكبر بحيث تحتاج إلى آلات ضخمة لجرها، الآلات المعتادة لن تستطيع نقلها. فى قنا نعد الشباك الحديدية والفحم وسنقيم فى القصير أفرانا، بهذه الطريقة نستطيع ابعاد سفن الأعداء. وأنا أكلفك ياسيدى القائد أن ترسل لنا مدافع من الحجم الكبير، وإذا لم يكن باستطاعتك، أرسل لنا الآلات اللازمة لنقل مدافع قنا، سور القصير سمكه أربعة أقدام فقط ونحن نعمل لكى يكون بالسمك المطلوب. وهذه العلية تحتاج لكثير من الوقت. فى قنا أقمنا تبعا لأوامر القائد العام قلعة متينة من الأحجار محاطة بتحصينات بعرض ٣٠ قدما وهى فى حالة جيدة، وفى خلال شهر المساكن ستكون جاهزة بحيث لا نخشى أى هجوم. هناك ٢٠٠ رجل سيقومون بحمايتها بضراوة.

هذه هى كل تحصيناتنا. هذه القلعة وقلعة القصير ستمنع خروج الحبوب بدون علمنا من الصعيد وهكذا نكون مسيطرين على أماكن التجارة على هذا الطريق. ولكى نحكمه أحكاما دقيقا نستطيع أن نبنى برجين بجانب النبعين؛ وهكذا لن يستطيع أحد التحرك إلا بأمرنا، وعندما ننتهى من قلعة قنا سنشرع فى بناء البرجين. إذا طردنا المماليك من الصعيد، وبهاتين القلعتين وبداخلهما ٤٠٠ رجل لن نخشى أى شىء من مصر كلها، ولكن احتاج إلى عدد أكبر من الأفراد وهذه هى المشكلة.

بنى سويف والمنيا تحت حماية عدد قليل من فرقتى ولكنهما ليسا تحت إمرتى، أسيوط وجرجا واسنا تحت قيادتى. فى كل مدينة يوجد معسكر به جنود يكفوا لمواجهة هجمات الأهالى أى حوالى ٥٠ جنديا، عندى ٤٠٠ جندى من الفرسان منهم ٤٠ لا يملكون سروجا وقد أمرت بتصنيعها على وجه السرعة، غير ذلك عندى ٥٠٠ جمل و ١٠٠ رجل مجهدين ولا يستطيعون القيام بعملهم.

جرجا بها ٢٠٠ رجل، وقنا بها ٣٠ حصان وعدد مماثل من الفرسان و ٣٠٠ رجل، فى القصير ٣٠٠ وفى إسنا ٣٠٠ وفى أسوان ٢٠٠، الخمسمائة جمل الموجودة فى أسيوط وبعض الفرسان من الجيش، متجهة لمهاجمة مراد والباقى سيبقى للحماية هنا فى جرجا. الجيوش التى ستبقى فيها ستطارد المماليك لأنهم دائما يلجأون إليها فى

وقت الحروب، الصحراء فيها كثبان رملية والنيل له مسارات تسمح باختفاء البعض فيها.

فى القصير احتاج إلى ٣٠٠ رجل لحمايتها وأيضا للعمل فالسكان لا يساعدونا إطلاقا فعددهم قليل كما أنهم يهربون عندما نسوقهم للعمل الفرق فى قنا يجب أن تكون مستعدة لحماية القصير فى حالة الهجمات الكبيرة. ولحماية القلعة سأترك بها بعض الفرنسان لكى يساعدوا المشاة الذين سأنزلهم فى القصير.

الفرق فى إسنا وأسوان مهمتها منع حسن بك الجداوى من التحرك بدلا من استخدام فرقة من مائتى رجل لمهاجمته لأنه يهرب بمناورات ليس لها عدد، فرقتان ستمنعان العدو من التحرك جنوب أسوان. هذا هو استخدام كل قواتنا.

إن الجنرال بليار هو الذى أطلعنى على هذا، مشكلة الحصول على سفن ومشكلة عدم قدرتى على التحرك مع هذا الهواء الشديد جعلتنى أقرر أن أصحب معى هذه الفرقة إلى الفيوم، من هنا تستطيع أن ترحل إلى القاهرة عن طريق السفن.

بخصوص الدخل من الأرياف فهو دخل مرتفع (أسيوط وجرجا وإسنا) بالرغم من أن المماليك قد حصلوا على جزء من الضرائب إلا أننا حصلنا على ١,٤٠٠,٠٠٠ جنيه. دفعنا منها مصاريف جيوشنا من شهر برومبير وحتى شهر ترميدور بالإضافة لشهرين من المتأخرات مما يجعل المجموع ١١ شهرا، فى خلال شهر سيكون علينا جمع ٢٥٠ ألف جنيه من طيبة ونفس المبلغ من جرجا، الفرسان فى حالة جيدة وتمارس عملها بكفاءة عالية فى المنطقة حيث توجد خيول من سلالات جيدة. بعد الفيضان إذارغبت فى ٥٠٠ حصان يمكننى إرسالها بسهولة من أسيوط وجرجا ولكن فى إسنا لا نحصل إلا على الجمال فعندهم منها الكثير هذا هو كل ما يمكننى أن أطلعك عليه بخصوص موقعنا.

عندما ننتهى من مراد نستطيع أن نستخدم الفرسان المكلفين بهذه المهمة فى أى شىء أو حتى تخفيض عدد الحامية ولكن المهم هو التخلص من هذا العدو الذى لا يكل.

سلامى ديزيه

أنا أفكر ياسيدى القائد فى أن أذهب خلف مراد بك خلال ستة أيام ولكن ما يعوقنى هو ٦٠ رجلا لم يعودوا بعد، كما أن مدفعيتى فى حالة سيئة ولا أستطيع إصلاحها.

أريد الحصول على صناديق قطع غيار للمدافع رقم ٣ ، ٥ إذا استطعت إرسالها إلى القائد زايونشك الموجود بالفشن يستطيع أن يسلمنى إياها، وستكون هذه خدمة جليلة منك. أرجو أن ترسل لى أوامرك على بنى سويف وهم يستطيعون الاتصال بى، إذا انتهيت من مراد بك بسرعة سيمكننى أن أذهب لرؤيتك مما سيسعدنى كثيرا. أنا أعتقد أن مراد سيتجه إلى الإسكندرية من المهم متابعته ومهاجمته عندما أكون فى الفيوم. أرجو أن تأخذ هذا فى حسبانك.

ديزيه

# ملحق رقم (١٧)

من فاليت قائد كتيبة إلى قائد اللواء بليار قائد طيبة في قنا

وثيقة رقم ١٦٣٦، مؤرخة في جرجا بتاريخ ٢٢ فريمير العام الثامن الجمهوري

(١٣ ديسمبر سنة ١٧٩٩) بملف رقم ١٢، دوسيه رقم ٢ بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦

نوفمبر إلى ١٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة

لقد قابلت الآن ثلاثة جواسيس أخبروني أن مراد بك وحسن وعثمان قد باتوا ليلتهم أمام أخميم على بعدميل في اتجاه الجبل. وأكدوا لي أن معهم الكثير من العرب والكثير من شيوخ القرى وأنهم يجمعون كل المماليك الذين يجدونهم في القرى ويعطوهم السلاح والخيل. وأنا لا أستطيع إلاتأكيد كلامهم تبعا للتقرير الذي أرسله لي قائمقام أخميم الذي قال إن مراد بك وأصحابه قد قضوا ليلتهم أمام أخميم وأن خدمه قد قالوا إنه يريد أن يسير أكبر مسافة ممكنة لتجميع مماليكه من كل القرى وأنه عندما يتقوى سيهجم على الفرنسيين الضعاف في مواقعهم وأنه بهذه الوسيلة سيهزمنا في نفس الوقت الذي سيهجم فيه الصدر الأعظم على القاهرة.

ولقد أخبرنا أيضا أن المماليك المخلصين له ذهبوا معه، وأن معه الكثير من العرب، وهو يقدر العدد الإجمالي لقواته بخمسة آلاف رجل كلهم تقريبا من راكبي الخيل ويوجد حوالي ٦٠ فقط يركبون الجمال، لأن شيوخ القرى المؤيدين له قد جلبوا له الخيول ولكن المعدات والأسلحة قد حصل عليها من القاهرة كما أخبرتك من قبل.

لقد أرسلت جواسيس آخرين ليخبروني عن الاتجاه الذي سيسلكه وهل سيسير بالقرب من النيل كما فعل حسن وعثمان أم لا.

سأستعلم بدقة عن وجهتهم لكي أعلمك بها وسأكتب إلى الجنرال فريان وللمواطن سيلي لكي أخبرهم أيضا بهذه التحركات.

الريف عندي هادىء ولكن أهالي أخميم قلقين، إن جميعهم مسيحيين وهم يخشون أن يذبحوا إذا ما فلت منا زمام الأمور.

سلامي واحترامي

**فاليت**

# ملحق رقم (١٨)

تقرير من بوييه قائد المنيا إلى الجنرال كليبر القائد العام للجيش الفرنسى عن العمليات فى إقليم المنيا مؤرخ فى ٢٨ فروكتيدور العام السابع الجمهورى (١٤ سبتمبر سنة ١٧٩٩، ملف رقم ٢١٨، بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ أغسطس إلى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة

المنيا فى ٢٨ فركتيدور عام ٧ (١٤ سبتمبر ١٧٩٩)

تلقيت اليوم رسالتك المؤرخة فى ٢٢ من هذا الشهر بعد غيابى ١٥ يوما فى جنوب إقليمى على الضفة اليمنى للنيل.

أحضر لى اليوم خادم الشيخ السادات طلب الإحاطة المرسل منك الخاص بحادثة «الزاوية» وكان الأمر سينتهى لو كان هؤلاء الشهود الأغبياء قد حضروا إلى بدلا من الهروب، وعلى العموم سأهتم بالأمر وأراد لخدم الشيخ ما تستحقه هذه الجريمة من العدالة. حدثت قلاقل كثيرة فى الإقليم، أثناء غيابى عن المنيا، ناحية بأكملها اسمها عميرة بنى ثارت ضدنا وامتنعت عن دفع الضرائب،وهذه الناحية المكونة من ثمانى قرى، تشغى باللصوص والسفاحين يرتكبون أفعالهم يوميا فى النيل مما يستحق العقاب الشديد، فقمت مع ١٢٠ رجلا بمحاصرة ثلاث قرى فخضع المشايخ وسلموا لى اللصوص والسفاحين الذين اعدمتهم ودفعوا الضرائب المطلوبة ولو كانت قواتى أكبر من ذلك لقمت بتأديب بقية القرى ولكن كان ذلك غيرمستطاع، الوطا ودير القصير والجزيرة وجرف سرحان قاموا بالعصيان المسلح اعتصم الفلاحون فى الوطا ومن هناك أخبرونى عن امتناعهم عن دفع الضرائب وزيادة على ذلك عزمهم على منعى من اجتياز قراهم. وقد جعلتهم يدفعون ثمن تمردهم، فاستوليت على هذه القرى وقتلت منهم ستين واحرقت ديارهم وذبحت مواشيهم وقطعت ٣٠٠ من أجود أنواع النخيل، وقد وقع فى يدى أحد أهم شيوخهم وقد أذقته طعم ١٠٠ جلدة على قدميه انتظارا لمصيره المحتوم. وقد فقدت أحد رجالنا فى هذه الحملة وقد هرب المتمردون لدير القصير وكان الجنرال ديزيه قد ترك لى ملحوظة عن هذه القرية وأنها مأوى اللصوص والسفاحين، وقد انضم العامة للتجمع الذى فى الوطا، وبناء على ذلك هاجتمهم وقتلت منهم ١٢٠ واستولى رجالى على ٥٠٠ رأس من الماشية واحرقت القرية أيضا وفقدنا رجلا آخر من رجالنا. وقد رضخت بقية القرى لهذا العمل ونأمل أن ترتدع هذه القرى بهذا العقاب. وقد طلبت دير القصير العفو والسماح بالعودة للقرية فأجبتها لذلك.

منذ ثلاثة أيام قامت قرية من إقليم الفيلى على بعد ٣ مسافات من هنا فنهبت مركبا عليه ١٥ رجلا وقتلوهم سأقوم بمعاقبتها مساء الغد، لأن الملاحة فى النيل ستكون خطرة إن تركنا مثل هذه الأعمال دون عقاب والـ ١٥ قتيل هم مدنيون من طور.

لنتكلم الآن عن مراد، هذا الحاج موجود كما هو فى بلصفوره وهى قرية فى إقليمى على قناة يوسف ويوجد معه عرب أبو كريم الأقوياء بـ ٨٠٠ حصان والجهمة بـ ٢٥٠ كذلك الزايد والرديسى.

كنت قد عزمت على دخول القناة لإكراه هذا البك على ترك موقعة والارتماء فى أحضان الجنرال زايونشك فى سول، ولكن بمفردى هذا غير ممكن لأن الـ ١٢٠ رجلا فقط الذين معى سيكونون معرضين للضياع ضد مراد، وستصاب عملياتنا بالضرر إذا أعطيناه مجرد فكرة تفوقه علينا.

لم يصل الجنرال فريان من الصحراء فأرجأت دخولى القناة، لكننى اعتقد أن الجمال ستتجهز فى خلال ثمانية أيام، وأنا كذلك عندما سأكون عند مدخل القناة وسأدخلها فور علمى بوجوده فى محاذاتى، على كل سأنتظر الأحداث وأعلمك بها.

رأيت أشياء جميلة أثناء تفتيش أطلال ما زالت قائمة تثير الإعجاب، معبد مجهول ليومنا هذا، لفت نظرى إليه أحد المشايخ ويقع على أطراف إقليمى فى الصحراء وقد حفروبنى بأكمله فى الصخر. جميل جدا بل رائع وسليم كله. تظهر الرسومات على سقفه وجدرانه تمثل وجوها فى غاية الوضوح، منهاملك على عرشه يرتدى التاج وحاشية كبيرة من الناس مع قرابين كثيرة وعلى وجوههم البشر والفرح مما يوحى بمناسبة هذه الصورة، واعتقد عن حق أن هذا المعبد قد شيد للشمس، حيث تجدها فى كل مكان، وقد رسمت المعبد لترى هذه الروائع لدى عودتى للقاهرة. كذلك مداليات وجدتها تمثل إحداها النيل وهى رائعة الجمال.

تحية واحتراما

Boyer

تحياتى إلى Dugnoneou وأركان حربك

## العمليات العسكرية الفرنسية فى شمال مصر.

**وإلى القارىء ملخص لتلك الملاحم والحوادث التى جرت فى شمال القطر المصرى ملخصة عن «لاكروا» قال ما خلاصة تعريبه:**

«عين الجنرال مينو (الذى أسلم بعد وسمى عبد الله مينو) محافظا لرشيد وبعد أن وجه عنايته لنشر أعلام الأمن فى ربوع هذه الأرجاء وإعادة الطمأنينة إليها قرر أن يتفقد الأحوال بنفسه فيها، واستصحب معه الجنرال «مارمون» الذى أرسله القائد العام بمهمة خاصة،وقاما للطواف فى البلاد ومعهما بعض أعضاء المجمع العلمى فى مصر الذين انتهزوا هذه الفرصة للبحث والتنقيب خدمة للعلم.

وفى اليوم العاشر من شهر سبتمبر سافرت هذه البعثة من رشيد سائرة على ضفاف النيل ولم يكن رجالها يخافون أهل البلاد أو يرتابون فى إخلاصهم بعد أن رأوا احتفاء أهالى برمبال ومطوبس وفوه بهم.

وأراد الجنرالان أن يعبرا إلى الضفة اليمنى، ولكن فيضان النيل حال بينهما وبين أمنيتهما إذ كان لابد لهما من اجتياز جسور لا يزيد عرضها عن قدمين وهى مهددة بالسقوط من وقت لآخر.

ولما وصلت البعثة إلى كفر شباس عامر فى اليوم الخامس عشر من شهر سبتمبر ووثقت باخلاص الأهالى لم يأخذ الجنرالان معهما للحراسة غير ستة أو ثمانية من الفرسان. ولكن لم تكد البعثة تدخل هذه القرية حتى أحاط برجالها عدد كبير من الأهالى بأيديهم البنادق والحراب.

فلما رأى العلماء ذلك فروا هاربين وتقدمت جموع المصريين واستولوا على الجسر ليمنعوا الفرنسيين من اجتيازه . ولما رأى الجنرالان أنهما وقعا في الفخ تبعا الهاربين. ووقع مصور اسمه «جولى» من فوق جواده خوفا ورعباً. وأراد الجنرال مارمون أن يعيده على الجواد ولكن الرجل ملكه الهلع فلم يستطع أن يحرك قدميه أو يعتدل على جواده، وسقط ثانية فاضطر الفرنسيون لتركه وذبحه الأهالى أمام أبناء جلدته الذين لم يستطيعوا انقاذه.

وكان الجنرالان قد تركا كتيبة من الجند لحفظ الأمتعة فوصلا إليها وعادا مستصحبين مائة وأربعين رجلا ولكنهما وجدا أن الجسر قد قطع فى عدة مواضع واضطرا أن يخوضا الماء برجالهما ولم تستطع هذه القوة الصغيرة أن تحصر القرية إلا بمشقة كبيرة.

ولم يثبت الأهالى إلا قليلا وانسحبوا إلى المنازل والأبراج فى كفر شباس عامر وقاد الجنرال مارمون فصيلة من حملة القرابينات وزحف حتى وصل إلى باب البرج الكبير، ولكن علو ذلك البرج ومتانة بابه لم تمكنه من اقتحامه إذ كان من فيه يطلقون عليه نيران البنادق ويرمون رجاله بالأحجار الثقيلة بحيث لم يستطع الجنود القرب منه.

وبعد قليل دخل الجنرال مينو إلى القرية فقتل جواده برصاصة ووقع فى حفرة عمقها ثلاثة أقدام ولما رأى الجنرال مارمون حرج الموقف أراد أن لا يعرض رجاله للقتل وصمم على احتلال البلدة، فأمر رجاله أن يشعلوا النار فى المنازل وأن يدمروا جزءاً من البرج. وفى الساعة الحادية عشرة مساء حينما اندلعت ألسنة النيران فى البيوت هرع عدد عظيم من أهالى القرى المجاورة لاغاثة القرية التى تأججت فيها النار، ولكن تمكن ثلاثون من الجنود الفرنسيين كانوا على الجسر من أن يصدوا هؤلاء القادمين ويمزقوا شملهم ثم أكرهوهم على الفرار واستطاع الفرنسيون أن يدمروا القرية ويهدموا البرج ولم يفقد منهم غير ثلاثة من القتلى وتسعة عشر من الجرحى.

ولما رأى الجنرالان مينو ومارمون أن الفرصة غير ملائمة لاستئناف الطواف فى الدلتا ارجأ هذه المهمة حتى ينتهى وقت الفيضان وعادا إلى رشيد برجالهما.

وقد حدث مثل هذه الحوادث فى الوقت ذاته فى اقاليم المنصورة ودمياط والمنزلة وجاءت قوة من العرب فى مديرية الشرقية يعاونها عرب «درة» وأهالى المنزلة تحت قيادة زعيم قادر اسمه حسن طوبار صديق للماليك وحليف لهم فهجمت فى ليلة ١٥ سبتمبر على حامية دميان ولك هذه استطاعت أن تقف فى وجه هؤلاء المغيرين وتصدهم.

وفى ١٦ سبتمبر ثارت قرية الشعراء الكائنة على رمية قوس من دمياط واجتمع فيها واتخذوها محلا لقيادتهم العامة، وفى ١٧ و ١٨ وصلهم امداد كبير وكذلك وصلت لحامية دمياط إمدادات أيضاً.

وفى ٢٨ سبتمبر صمم الجنرال «فيال» أن يهاجم قرية الشعراء وتولى الجنرال اندريوسى قيادة العمارة البحرية التى ألقت مراسيها بقرب القرية. وصف العدو (أى المصريين) رجاله صفاً واحداً واحتل المنطقة الواقعة بين النيل وبحيرة المنزلة وكان عدد رجاله نحو ١٠ آلاف (كذا). فأرسل الجنرال «فيال» كتيبة من الفرقة الخامسة والعشرين

لتهجم على ميمنة العدو وتقطع عليه الطريق إلى بحيرة المنزلة وفى الوقت ذاته هجم على المقدمة تفرق شمل العدو الذى غرق كثير من رجاله فى النيل وبحيرة المنزلة. واشعل النار فى قرية الشعراء فمات نحو ١٥٠٠ من العرب بين غريق وقتيل وغنم منهم مدفعين جميلين من البرونز وثلاثة أعلام، أما الفرنسيون فلم يفقدوا إلا قتيلا واحدا وأربعة من الجرحى، وهكذا استطاع جيش صغير من الفرنسيين قوامه ٥٠٠ رجل أن يقهر جيشاً عرمرمًا للعدو وعدده ١٠ آلاف !! وامتاز فى هذه الموقعة بالبسالة الكابتين ساباتيه وارسل القائد العام إلى الجنرال فيال رسالة يهنئه فيها بالفوز جاء فيها «ان الموقعة التى قمت بها أيها الجنرال المواطن فى قرية الشعراء رفعت مكانتك ومكانة جنودك».

وكلف الجنرال فيرديه بالزحف على قرية سنباط بمديرية المنصورة فسار ومعه قوة مؤلفة من ٦٠٠ رجل وقام بمهمته خير قيام رغم ما لاقاه من ثبات الذين قتل منهم نحو خمسين رجلا دون أن يفقد الفرنسيون غير جندى واحد!!

وأرسلت عدة حملات صغيرة قليلة الأهمية إلى بلاد الوجه البحرى وظلت الثورات من أواخر أغسطس حتى نهاية ستبمبر ولكن قضى عليها ووزعت الفرق الفرنسية فى أقاليم الدلتا.

وبقى عرب «درنه» محتلين قرية «دنديط» فأرسل نابوليون امراً إلى الجنرال «مورات» قائد القوة بإقليم القليوبية والجنرال «لانوس» بالزحف واستخلاص هذه القرية فوصلا إليها فى ٢٨ سبتمبر وفرقا شمل الثائرين بعد أن هلك منهم نحو مائتى رجل بين غريق وقتيل وتركوا قطعانهم وجمالهم وحميرهم ولم يصب من الفرنسيين غير بعض الجرحى.

وقدم الجنرال مورات تقريراً اثنى فيه ثناء عاطراً على الجنود واختص بالمديح الضباط نيشرودو، وكان هذا الضابط سويدى الأصل امتاز بالبسالة والإقدام ورقى إلى رتبة قائد فرقة وجرح بعد ذلك جرحاً مميتاً فى سنة ١٨٠٣ إذ اعتدى عليه فى مدينة «بنى جواف»

وكان بونابرت يعلق أهمية كبرى على امتلاك بحيرة المنزلة ويظهر ذلك من تعليماته التى أصدرها إلى الجنرال اندريوسى إذ جاء فيها:

«يامواطنى الجنرال علمت مسروراً خبر وصولك إلى دمياط ويظهر لى انك وصلتها فى الوقت الملائم لتساعد الجنرالى «فيال» وتمده بنصائحك وآرائك الثاقبة ولتقدم للجيش مرة أخرى خدمة كبيرة.

يجب أن يكون معك عدد كبير من الجنود وقد أصدرت الأوامر إلى الجنرال دوجا بالاستيلاء على المنزلة وأن يدخل إلى البحيرة أكبر عدد يستطيعه من القوارب والسفن المسلحة بالمدافع الصغيرة، وأمرته أن يطوف بالجزر الموجودة فى هذه البحيرة وأن يأخذ رهائن من كل القرى التى تظهر العداء وأن يقوم بكل ما يلزم ، وقلت له يجب عليك:

(١) أن تسيطر على بحيرة المنزلة.

(٢) ولكى تستطيع الوصول إلى «بيلوس» يجب أن تذكر كلماتى وتعمل بها وهى: اجتهد أن تدخل فى البحيرة كل الفرقة التى معك ويجب أن يصل الجنرال اندريوسى إلى بيلوس.

اننى اعتقد أن مصر لا يمكن أن تهاجم إلا من بحيرة المنزلة وأن الدفاع والهجوم يتوقف على ما تقوم به، وأذن يجب عليك السير بحذر وبطء ولا تتقدم إلى الإمام إلا إذا كنت متحققًا منه لانه ربما كانت حفرة صغيرة سببًا فى خطأ حسابنا ولتعرف:.

(١) كم عدد المراكب الموجودة فى بحيرة المنزلة.

(٢) وكم تستطيع كل منها أن تحمل من الناس.

(٣) وما هو عمق البحيرة.

(٤) وهل يمكن لكل قارب أو مركب أو سفينة أن تمخر فى البحيرة.

(٥) وما هو عمق كل من المصبات الثلاثة.

(٦) وهل يمكن لسفينة مدفعية أن تمخر فيها.

(٧) وكم عدد سكان الجزائر الموجودة فى البحيرة.

(٨) وما السبيل إلى اتصال دمياط بالبحيرة.

(٩) وهل ماء البحيرة حلو أو مالح.

(١٠) وكيف يستطيع الجنود الذين يعسكرون بين البحيرة والبحر أن يتصلوا ببعضهم.

لا تذهب إلى «بيلوس» إلا بقوات كبيرة وليكن معك على الأقل ست كتيبات مسلحة كل منها بمدفع. ولا تغادر دمياط إذا لم يكن معك على الأقل ٥٠٠ رجل وست مراكب مسلحة بالمدافع وخذ معك من الماء ما يكفيك للإقامة فى بيلوس خمسة أو ستة أيام لابل عشرة أيام.

وأرسل لى مذكرات عن كل ما تجده فى دمياط والمنزلة والصالحية وكل ما يتعلق بدمياط والنيل والدفاع عن المرسى «بونابرت»

وبعد أن عاد الجنرال اندريوسى إلى دمياط عقب واقعة الشعراء قام بالمهمة التى عهدت إليه خير قيام وكانت عمارته البحرية مؤلفة من ست عشرة مركباً منها ثلاثةمسلحة، وسافر من دمياط فى ٣ أكتوبر ونزل إلى النيل واجتاز البوغاز وسار ومعه ١٠٠ رجل فى الطريق الفاصلة بين بحيرة المنزلة والبحر، وترك بقية الجيش فى السفن. وفى اليوم الرابع من أكتوبر سبر عمق البوغاز فى «دبيه» وخرج من البوغاز قاصدا المصرية، فرأى عمارة العدو البحرية تمخر مختفية وراء الجزر وقد ظهرت أشرعتها فأطلق عليها نارا حامية مدة ساعتين لكى يدمرها من جهة وليعلن الجنرال «فيال» من جهة أخرى أن المعركة قد بدأت. وكان هذا الجنرال متأهباً فلما احتل الجنرال اندريوسى منطقة قرية المنية (غرب دمياط) أرسل له الجنرال «فيال» بعض الجنود لتعزيز قوته. ولما جاءوه أمرهم أن يطفئوا عطشهم قبل الدخول فى المعركة فأجابوه لسنا عطاشى ولا حاجة لنا بالطعام بل نريد الحرب. وهبوا للقتال ونشبت معركة شديدة قتل فيها من الفلاحين خلق كثير ولم يقتل ولم يجرح جندى فرنسى واحد، وكان قائد قوة العدو حسن طوبار فأرسل إليه الجنرال «دوجوا» كتابا يدعوه إلى الاتفاق مع الفرنسيين، فرد عليه الشيخ حسين طوبار بما يلى: «إننى لا أريد أن أرى الفرنسيين لا عن قرب ولا عن بعد، وإذا أكدوا لى انهم يبقون مسالمين هادئين فى ضواحى المنزلة، فأننى أدفع لهم الضرائب التى كنت أدفعها للماليك، ولكننى ، لا أريد أن يكون بينى وبين الكافرين أقل اتصال».

وبعد ثلاثة أيام أرسل الجنرال اندريوسى الضابط «تيرليه» رئيس فرقة عمال الجسور، والكابتن ساباتيه من فرقة المهندسين للقيام بالأعمال المعلقة بسبر غور البحيرة ومعرفة ما أراده بونابرت.

وقد أكرهت هذه الموقعة مراكب العدو على الابتعاد حتى المصب القديم فى «بيلوس» ومكنت الفرنسيين من إقامة حاميات عسكرية فى المطرية والمنزلة لحماية العمارة البحرية الفرنسية التى خصصت للجولان فى البحيرة».

والى هنا ينتهى التلخيص من الفرنسية عن بحيرة المنزل وما جرى من المناوشات الفرعية فى شمال الدلتا.

## ملحق رقم (١٩)

**معاهدة صلح بين كليبر ومراد بك مؤرخة فى ١٥ جرمينال العام الثامن الجمهورى (٥ أبريل سنة ١٨٠٠)، وثيقة بدون رقم بملف رقم ١٩ B6 42، بمحفظة فترتها التاريخية من ١ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٨٠٠، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة**

باسم الله القادر

الأمير الفائق الاحترام، المبجل بين الأمراء، مراد بك محمد، وبناء على رغبته التى أبداها بالعيش بسلام ووئام مع الجيش الفرنسى بمصر ومع القائد كليبر واعطائهما دليلا على التقدير الذى ناله منهما تبعا لشجاعته وحسن تصرفه تم الاتفاق على الآتى:

البند الأول: يعترف القائد العام للجيش الفرنسى بالنيابة عن الحكومة بمراد بك أميرا وحاكما للوجه القبلى ويخوله بهذه الصفة سلطة الحكم والانتفاع فى البلاد الكائنة بالبر الشرقى والبر الغربى للنيل إبتداء من ناحية «بلصفورة» بمديرية جرجا إلى أسوان فى مقابل أن يؤدى للجمهورية الفرنسية الخراج الواجب دفعه عن تلك الجهات لصاحب الولاية على مصر.

البند الثانى: يحدد هذا الخراج السنوى بمبلغ ٢٥٠ كيس بواقع الكيس ٢٠,٠٠٠ بارة علاوة على ١٥,٠٠٠ أردب قمح و ٢٠,٠٠٠ أردب شعير وغلال أخرى.

البند الثالث: الخراج الذى يدفع نقدا [illegible] أربعة أقساط متساوية كل ثلاثة أشهر قسط، وتبدأ السنة بحساب التقويم الفرنسى، أما الخراج الذى يؤدى نوعا فيورد فى شون القاهرة من أول فلوريال إلى ٣٠ فركتيدور ويحاسب مراد بك على مصاريف نقل الغلال بواقع الأردب أربعين بارة تخصم من الخراج الذى يدفع نقدا.

البند الرابع: يكون لمراد بك دخل جمرك القصير وجمرك إسنا وتحتل ميناء القصير حامية فرنسية لا تقل عن مائتى جندى، وعلى مراد بك أن يؤدى نفقات هذه الحامية ويصرف لها ضعف ما يدفع عادة للجند، وعليه أن يخصص كتيبة من المماليك ترابط فى القصير لمساعدة الحامية الفرنسية، وما يدفعه لنفقات الحامية يخصم له من الخراج المذكور فى المادة الثانية.

البند الخامس: بما أن أمير الوجه القبلى ليس له إلاالدخل الناتج من الضرائب فليس له أن يتصرف فى ملكية أى بلد إلى حاشيته المتصلين به، ولكن له إدارة هذه البلاد بالطريقة التى يراها مرضية، والحكومة الفرنسية تضمن للأهالى ملكية الأراضى التى يملكونها بالطرق المشروعة وتمنع وقوع أى اعتداء عليها.

البند السادس: على كل طرف أن يرد إلى الطرف الآخر الجنود الذين يلجأوا إليه من جيش الطرف الآخر، وليس لمزارعى القرى التابعة لأى من الفريقين أن يلجأوا إلى البلاد التابعة للفريق الآخر بقصد التخلص من أداء الضرائب أو لأى سبب آخر من هذا النوع.

البند السابع: يجعل الأمير حاكم الصعيد مدينة (جرجا) مقرا له وعليه أن يرسل للقائد العام حرسا من خمسة وعشرين مملوكا، وعليه أن يوفد أحد البكوات من أتباعه مندوبا مفوضا عنه يقيم باستمرار فى القاهرة.

البند الثامن: يضمن قائد الجيش الفرنسى لمراد بك الانتفاع بدخل حكومته ويتعهد بحمايته فى حالة مهاجمته، وإذا استهدفت الجهات التى تحتلها الجنود الفرنسية لهجوم عدائى أيا كان نوعه فعلى مراد بك أن ينفذ عددا من جنوده يبلغ على الأكثر نصف قواته لمعاونة القوات الفرنسية وعليه أن يقدم بالثمن المعتاد أدوات النقل المطلوبة ومؤونة الجنود التى ينفذها تكون على نفقة الحكومة الفرنسية.

البند التاسع: يعد القائد العام كليبر بأن لا يوافق على أى اقتراح أو اتفاق يحرم مراد بك من المزايا المبينة أعلاه وعليه أن يبلغ المعاهدة الحالية إلى الحكومة الفرنسية لترعى مصالح مراد بك فى المعاهدات التى قد تبرم بشأن مصر.

البند العاشر: أن الشروط الواردة فى المعاهدة الحالية والتى تقررت بمعرفة كل من الجنرال داماس قائد فرقة ورئيس أركان الحرب العام والمواطن جلوتييه قوميسير الحكومة (لدى الديوان) ومدير الشئون المالية المفوض عن القائد العام كليبر، وعثمان بك البرديسى المفوض عن مراد بك يصير التوقيع عليها من القائد العام كليبر ومن الأمير المعظم والملاذ الأفخم مراد بك محمد.

القاهر فى ١٥ جرمينال العام الثامن بتقويم الجمهورية الفرنسية الموافق ١٠ ذو القعدة عام ١٢١٤هـ.

تعليق رسمى من القائد العام كليبر متعلق بالتصرفات الواجب اتباعها من جانب مراد بك تبعا لاتفاق ١٥ جرمينال العام الثامن الجمهورى.

١ ـ يعسكر مراد بك بقواته على الضفة الغربية للنيل على مسافة ٤ فراسخ من الجيزة. يمكث هناك لمدة عشرة أيام حتى يمكن تجميع البكوات والمماليك الموجودين حاليا فى القاهرة، واستعمال تأثيره فى فصل الجانب العثمانى من القيادة الرئيسية للمدينة، بعد هذه الأيام العشرة ينسحب مراد بك إلى الجيزة حيث مقره مع أتباعه.

٢ ـ لا يستطيع مراد بك جمع جباية عينية أو نقدية من أقاليم الجيزة ـ بني سويف ـ المنيا ـ أسيوط، طوال المدة المفروضة لإقامته.

٣ ـ يعمل على الإسراع في توصيل الحبوب القادمة في النيل والتي أرسلها درويش باشا لإعاشة الجيش الفرنسي والجيش العثماني. واتخاذ الخطوات السريعة لتوصيل الحبوب التي سيقوم القبطي المعلم يعقوب بكتابة قائمة بها مع تحديد مكان تخزينها.

٤ ـ يرسل إلى القائد العام بالقاهرة كل العثمانيين الموجودين في معسكره، كل من يستطيع التسليم منهم، كل اتباع درويش باشا والذين قبض عليهم مراد بك في الصعيد دون أي استثناء ولا حتى الباشا نفسه.

٥ ـ على مراد بك الإعلان بالقاهرة وبولاق على اتفاق السلام الذي أبرم بينه وبين القائد العام مع وعد من هذا الأخير بالعفو العام والخاص لكل من ينفصل عن العثمانيين وينضم لصفوف مراد بك أو الفرنسيين.

٦ ـ يرسل مراد بك أحد بكوات حاشيته ليظل بجانب القائد العام مندوبا مفوضا من طرفه مخول بسلطاته لبحث كل الأمور المتعلقة بالمصلحة المشتركة.





## ملحق رقم ( ٢٠ )

فيما يلي نص معاهدة العريش مترجمة عن الأصل الفرنسي كما وردت عند الرافعي من ص ٣٥٦ إلى ٣٦٢ وذلك لصعوبة فهم النص الذى أورده الجبرتي.

معاهد العريش

٢٤ يناير سنة ١٨٠٠

«معاهدة للجلاء عن مصر محررة بين الستويان (ديزيه) قائد فرقة والستويان (بوسليج) مدير الشئون المالية المفوضين عن الجنرال كليبر القائد العام للجيش الفرنسى، وبين مصطفى رشيد أفندى الدفتردار ومصطفى راسخ أفندى رئيس الكتاب المفوضين عن الصدر الأعظم.

«إن الجيش الفرنسى فى مصر رغبة منه فى الإعراب عن مقاصده فى حقن الدماء ووضع حد للمنازعات الضارة التى قامت بين الجمهورية الفرنسية والباب العالى قد قبل أن يجلو عن مصر طبقًا لشروط هذه المعاهدة آملا أن يكون ذلك تمهيداً للصالح العام فى أوروبا.

المادة ١

«ينسحب الجيش الفرنسى بأسلحته وأمتعته ومنقولاته إلى الإسكندرية ورشيد وأبو قير ومن هناك ينتقل إلى فرنسا على سفنه أو السفن التى يقتضى أن يقدمها الباب العالى لهذا الغرض، ويرسل الباب العالى إلى قلعة الإسكندرية بعد شهر من التصديق على هذه المعاهدة مندوباً (قوميسيرا)

يصحبه خمسون شخصاً لتعجيل تهيئة هذه السفن للنقل.

المادة ٢

تعقد هدنة ثلاثة أشهر فى مصر تبتدىء من يوم التوقيع على المعاهدة وإذا انقضت هذه المدة قبل أن يعد الباب العالى السفن فنمد الهدنة إلى أن يتم نقل الجنود بحراً، ويلاحظ الطرفان أن يبذلا كل الوسائل لعدم الإخلال بطمأنينة الجيش والأهالى وراحتهم خلال الهدنة.

المادة ٣

يتبع فى نقل الجيش الفرنسى النظام الذى يضعه مندوبون يختارهم الباب العالى والجنرال كليبر لهذا الغرض، وإذا حصل خلاف بين المندوبين أثناء انتقال الجنود إلى السفن فيختار الكومودور السرسدنى سميث مندوباً من قبله ليفصل فى الخلاف طبقاً للوائح البحرية البريطانية.

المادة ٤

تخلى الجنود الفرنسية موقعى (قطية) و(الصالحية) فى اليوم الثامن وعلى الأكثر فى اليوم العاشر بعد التصديق على المعاهدة، ومدينة (المنصورة) فى اليوم الخامس عشر، و(دمياط) و(بلبيس) فى اليوم العشرين، والسويس قبل إخلاء القاهرة بستة أيام، والبلاد الأخرى الواقعة بالبر الشرقى للنيل فى اليوم العاشر، وتخلى بلاد الدلتا بعد خمسة عشر يوماً من إخلاء القاهرة، ويبقى البر الغربى للنيل وملحقاته فى يد الفرنسيين إلى حين الجلاء عن القاهرة، وبما أن هذه الجهات يحتلها الجيش الفرنسى إلى أن تجىء الجنود الفرنسية من الوجه القبلى فيجوز أن تبقى محتلة إلى تمام الهدنة إذا لم يتيسر إخلاؤها قبل ذلك، وتسلم الجهات التى يصير إخلاؤها إلى الباب العالى بالحالة التى هى عليها الآن.

المادة ٥

يعتبر إخلاء القاهرة بعد أربعين يوماً أو على الأكثر خمسة وأربعين يوماً من التصديق على المعاهدة.

المادة ٦

يتعهد الباب العالى بأن يبذل كل عنايته ليضمن للجنود الفرنسية التى تخلى مواقعها بالبر الغربى وتنسحب بأسلحتها وبأمتعتها نحو معسكر الجيش العام الانتضار ولا تؤذى فى أشخاصهم ولا فى أموالهم وكرامتها سواء من أهالى مصر أم من العسكر السلطانى العثمانى.

المادة ٧

تنفيذاً للمادة السابقة ومنعاً لكل خلاف وخصام تتخذ الوسائل اللازمة لتكون الجنود التركية بعيدة البعد الكافى عن الجنود الفرنسية.

المادة ٨

بمجرد التصديق على المعاهدة يطلق سراح الترك والرعايا العثمانيين على اختلاف أجناسهم المحجوزين أو المحبوسين فى فرنسا أو الذين اعتقلتهم السلطة الفرنسية فى مصر وكذلك يطلق سراح الفرنسيين المحجوزين أو المحبوسين فى مدن السلطنة العثمانية وثغورها والأشخاص التابعين للوكالات والقنصليات الفرنسية على اختلاف أجناسهم.

المادة ٩

الأشخاص الذين صودرت أموالهم وأملاكهم من الجانبين يستردون هذه الأملاك والأموال أو ترد لهم قيمتها، ويبدأ بذلك فوراً بعد الجلاء عن مصر، وتتم تسوية ذلك فى الآستانة بوساطة لجان تؤلف لهذا الغرض من الجانبين.

المادة ١٠

لا يضارّ أحد من سكان مصر من أى دين كان ولا يؤذى فى ملكه، ولا فى شخصه بسبب اتصاله أو ارتباطه بالفرنسيين مدة احتلالهم مصر.

المادة ١١

تعطى للجيش الفرنسى جوازات سفر وعهود بعدم التعرض لأفراده فى الطريق من تركيا وحلفائها أى إنجلترا والروسيا وكذلك تقدم له السفن اللازمة لرجوعه إلى فرنسا.

المادة ١٢

عندما ينزل الجيش الفرنسى يتعهد الباب العالى وحلفاؤه أن لا يحصل له أى تعرض حتى يصل إلى فرنسا، ويتعهد الجنرال كليبر والجيش الفرنسى من ناحيتهما أن لا يحصل منهما خلال هذه المدة أى تحرش أو عمل عدائى ضد أساطيل تركيا أو حلفائها أو أى بلد من البلدان التابعة لها وألا ترسو السفن المقلة للجيش فى أى جهة عدا الشواطىء الفرنسية ما لم تقض بذلك الضرورة القصوى

المادة ١٣

ينتج عن الهدنة التى تقرر عقدها لمدة ثلاثة أشهر لجلاء الجيش الفرنسى عن مصر أنه إذا وصلت خلال هذه المدة بعض السفن الفرنسية إلى الإسكندرية بغيرعلم قواد أساطيل الحلفاء فقد اتفق الطرفان على أن تقلع منها بعد أن تتزود مما يكفيها من الماء والمؤونة وتعود إلى فرنسا مزودة بجوازات مرور من الحكومات المتحالفة، وفى حالة احتياج بعض هذه السفن إلى الترميم فلها دون سواها أن تبقى إلى أن يتم ترميمها ومن ثم تقلع فوراً إلى فرنسا حينما تطيب لها الريح.

المادة ١٤

للجنرال كليبر أن يرسل من فوره نبأ معاهدة الجلاء عن مصر إلى الحكومة الفرنسية ويعطى للمركب المقلة للرسالة جواز المرور اللازم للوصول إلى فرنسا.

المادة ١٥

نظراً لما اتضح من حاجة الجيش الفرنسى إلى المؤونة اليومية مدة الثلاثة الأشهر التى يجب أن يتم فيها جلاؤه عن مصر وثلاثة أشهر أخرى ابتداء من يوم نزوله السفن فقد تم الاتفاق على أن يقدم له الباب العالى الكميات اللازمة من القمح واللحم والأرز والشعير والتبن وذلك بموجب ٢٦٠ القوائم التى تقدم من المفاوضين الفرنسيين مما يكفى لمدة إقامة الجيش فى مصر ومدة سفره ويخصم من ذلك ما يأخذه الجيش من المخازن بعد التصديق على المعاهدة.

المادة ١٦

لا يسوغ للجيش الفرنسى ابتداء من يوم التصديق على المعاهدة أن يجبى أى ضريبة فى مصر، وعليه بالعكس أن يترك للباب العالى قيمة الضرائب العادية التى يحل موعد تحصيلها لغاية

يوم رحيله، وكذلك الجمال والهجن والذخاير والمدافع وغير ذلك من الأشياء التى يملكها ولا يرى أن يأخذها معه، وكذلك شون الغلال التى جبيت نوعاً من ضرائب الأطيان ومخازن المأكولات، فجميع هذه الأشياء يصير حصرها وتقدير قيمتها بمعرفة مندوبين يرسلهم الباب العالى لهذا الغرض على يد قائد القوات البريطانية بالاتفاق مع وكلاء الجنرال كليبر القائد العام ويتسلمها المندوبون المذكورون بقيمتها لغاية ثلاثة آلاف كيس وهو المبلغ المتفق على أدائه للجيش الفرنسى بمثابة نفقات لازمة لتعجيل الجلاء والرحيل فإذا لم تف تلك الأشياء بهذه القيمة فعلى الباب العالى أداء الفرق بصفة سلفة تردها الحكومة الفرنسية طبقاً لسندات الاستلام التى تحرر بقيمتها من وكلاء الجنرال كليبر.

المادة ١٧

بما أن الجيش الفرنسى يلزمه إنفاق المصاريف اللازمة للجلاء فيتسلم بعد التصديق على المعاهدة المبالغ المتفق عليها لهذا الغرض على النحو الآتى: خمسمائة كيس فى اليوم الخامس عشر بعد التصديق على المعاهدة وخمسمائة أخرى فى اليوم الثلاثين، وثلثمائة كيس فى اليوم الأربعين، وثلثمائة أخرى فى اليوم الخمسين، وثلثمائة أخرى فى اليوم الستين، وثلثمائة أخرى فى اليوم السبعين، وثلثمائة أخرى فى اليوم الثمانين، وخمسمائة فى اليوم التسعين، بواقع الكيس خمسمائة قرش عثمانى.

وتؤدى هذه المبالغ بصفة سلفة بواسطة مندوبين يوفدهم الباب العالى لهذا الغرض وتسهيلا لتنفيذ هذه العهود يرسل الباب العالى بعد تبادل التصديق على المعاهدة فوراً مندوبين عنه إلى القاهرة والمدن الأخرى التى يحتلها الجيش الفرنسى.

المادة ١٨

الضرائب التى يمكن أن يجبيها الفرنسيون بعد التصديق على المعاهدة وقبل إذاعة هذه المعاهدة فى أنحاء القطر المصرى تخصم قيمتها من الثلاثة آلاف كيس المنصوص عنها آنفاً.

المادة ١٩

تسهيلا وتعجيلا لإخلاء المدن والمواقع تخول لسفن النقل الفرنسية التى توجد بالثغور المصرية حرية الانتقال والملاحة من دمياط ورشيد إلى الإسكندرية ومن الإسكندرية إلى رشيد ودمياط مدة الثلاثة الأشهر المتفق على جعلها مهلة للجلاء.

المادة ٢٠

بما أن سلامة أوروبا من الأوبئة تقتضى اتخاذ الاحتياطات التامة لمنع انتشارعدوى الوباء إليها فلا يباح لأى شخص مصاب بالطاعون أو مشتبه فى إصابته به النزول إلى السفن، والجنود الموبوءون أو المصابون بأى مرض آخر يحول دون إمكان نقلهم فى الموعد المحدد للجلاء يبقون بالمستشفيات التى يعالجون بها فى أمان الصدرالأعظم وحمايته ويعالجهم أطباء من الجيش الفرنسى يبقون لهذا الغرض بجانبهم إلى أن يتم شفاؤهم ويتسنى لهم السفر بحيث يتم ذلك فى أقرب وقت ممكن، وتسرى عليهم أحكام المادتين ١١ و١٢ من هذه المعاهدة كما تطبق بالنسبة لباقى الجند، ويتعهد القائد العام للجيش الفرنسى بأن يصدر تعليماته المشددة إلى ضباط الفرق التى تنزل بالسفن بألا

يسمح لسفن النقل بالرسو في غير الثغور التي يعينها أطباء الجيش ويتوخون في اختيارها أن تتوافر فيها الوسائل الضرورية للحجر الصحي.

المادة ٢١

كل ما يحدث من المشاكل مما لا تتناوله أحكام هذه المعاهدة يحسم بالطرق الودية بمعرفة مندوبين يعينهم لهذه الغاية الصدر الأعظم والقائد العام الجنرال كليبر بالطريقة التي تؤدي إلى تسهيل وتعجيل الجلاء.

المادة ٢٢

لا تسري أحكام هذه المعاهدة إلا بعد التصديق عليها من الجانبين، ويتم تبادل التصديق خلال ثمانية أيام، وعندئذ يتحتم على الطرفين مراعاة تنفيذ أحكامها بتمام الدقة.

«تحررت هذه المعاهدة ووقع عليها بأختامنا الخاصة بنا بالمعسكر الذي وقعت به المفاوضات بالقرب من العريش يوم ٤ بلوفيوز من السنة الثامنة للجمهورية الفرنسية الموافق ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ ميلادية و ٢٧ من شهر شعبان سنة ١٢١٤ هجرية.

«إمضاءات (ديزيه) قائد فرقة، (بوسليج) المفوضين عن الجنرال كليبر، و(مصطفى رشيد) الدفتردار و (مصطفى راسخ) رئيس الكتاب المفوضين عن الصدر الأعظم».

«طبق الأصل المحرر بالفرنسية والمسلم إلى المفوضين الترك في مقابل النسخة التركية المسلمة منهما: إمضاء ديزيه، بوسليج».

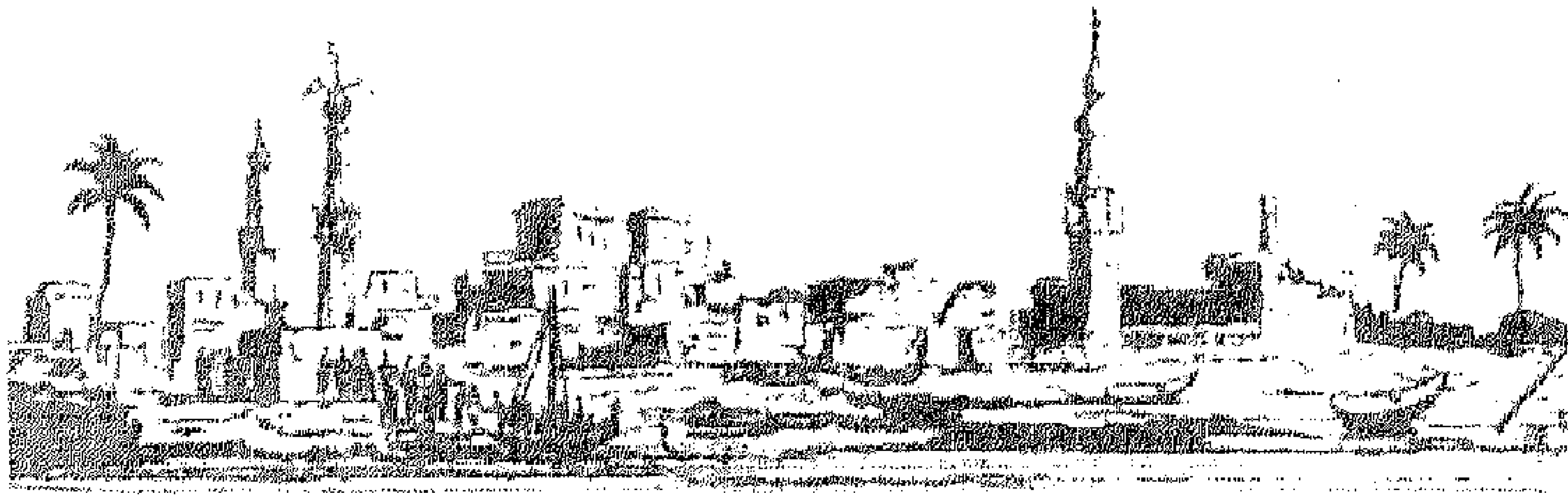
تصديق كليبر

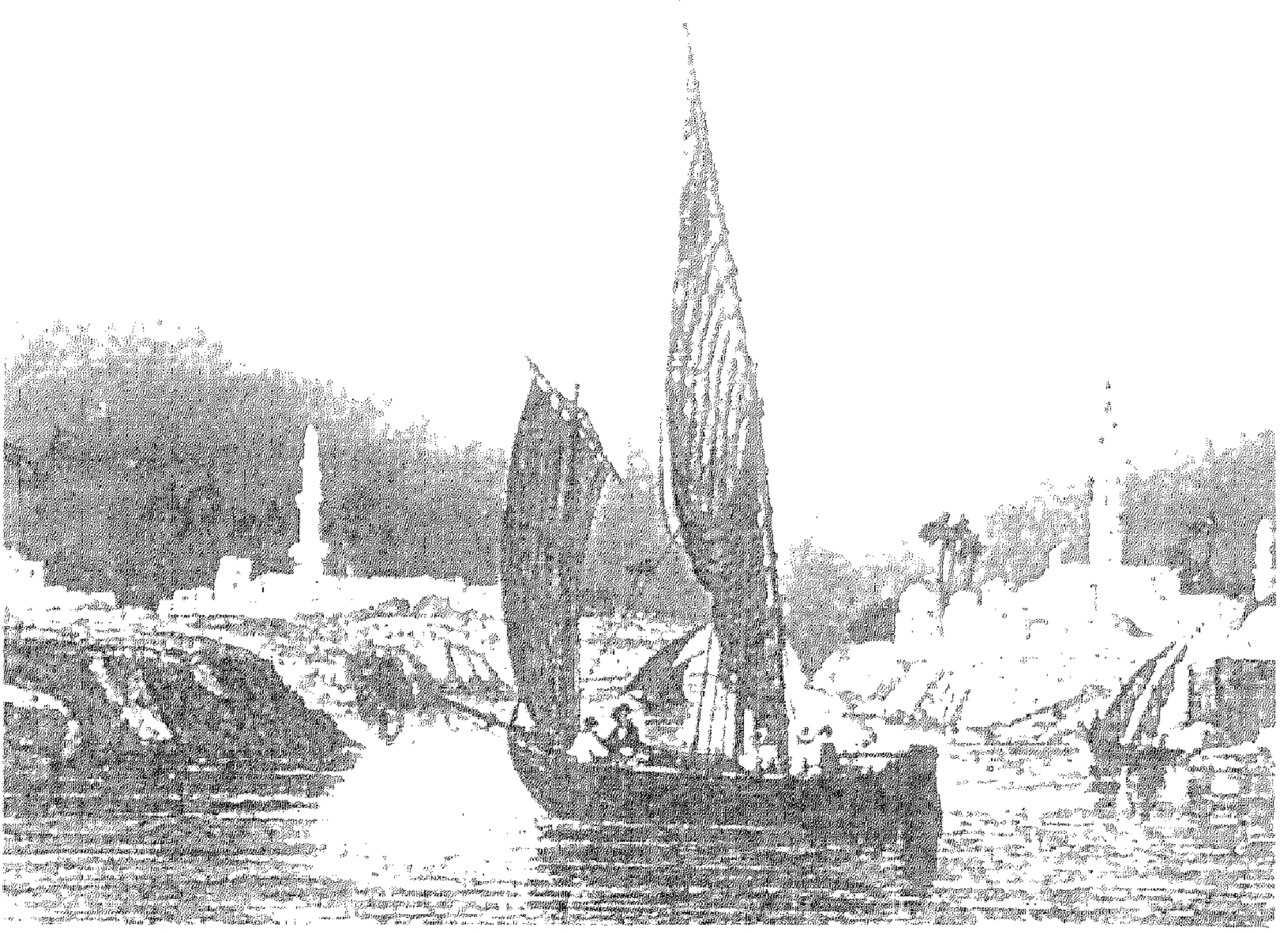
أنا الموقع أدناه القائد العام للجيش الفرنسي في مصر أوافق وأصدق على أحكام المعاهدة المذكورة أعلاه لتنفذ بفحواها ومعناها، وللتحقيق من مطابقة الصيغة التركية المدون فيها الاثنان وعشرون شرطًا للترجمة الفرنسية الموقع عليها من مفوضي الصدر الأعظم والمصدق عليها من سموه فسيصير الرجوع إلى صيغة الترجمة الفرنسية في حالة وجود أي خلاف.

المعسكر العام بالصالحية يوم ٨ بلوفيوز من السنة الثامنة (٢٨ يناير سنة ١٨٠٠)

إمضاء

«كليبر»





## ملحق رقم ( ٢١ )

أمر يوم ٧ فاندميير العام التاسع الجمهورى من أوامر مينو المحفوظة فى دوسيه يحتوى على أربع وتسعين وثيقة مطبوعة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل .

أمر يوم ٧ فاندميير إلى المركز الرئيسى بالقاهرة، ٧ فاندميير العام التاسع من الجمهورية الفرنسية الواحدة الموحدة

القائد الأعلى رغب دون أن يؤثر على التجار مع رفع المعاناة عن الشعب، رغب أن يرفع عن الملاحة النيلية ضريبة كانت مع بقية الضرائب والتحصيلات المأخوذة من مصر توفر للجيش الفرنسى المبلغ المحدد لدفع مصروفاته، لذلك أمر بالتالى:

أولا: بداية من أول فاندميير الماضى كل الضرائب القديمة المفروضة على السفن، الجرم، الجرمون، الماطسن، الكياس، أو أى نوع آخر من المراكب السارية فى النيل والترع قد ألغيت.

ثانيا: من نفس التاريخ تسرى ضريبة جديدة واجبة الدفع وهى كالتالى: من آخر قرية فى مديرية أسيوط إلى القاهرة ، كل مركب جرم من مصر العليا حمولتها:

من ١٠٠٠ أردب تدفع كل عام ١٥ بطاقة من ٩٠ مدينى.

من ٦٠٠ أردب تدفع كل عام ١٠ بطاقة من ٩٠ مدينى.

من ٥٠٠ أردب تدفع كل عام ٨ بطاقة من ٩٠ مدينى.

من ٢٠٠ ـ ٤٠٠ أردب تدفع كل عام ٨ بطاقة من ٩٠ مديني.

٢٠ ـ ١٠٠ تدفع كل عام ١٢ من ٩٠ مديني.

من ١٠ أردب تدفع كل عام ٦ بطاقة من ٩٠ مديني.

كل جرم ( مركب) من وجه بحرى حمولتها:

من ٤٠٠ أردب تدفع كل عام ٢٠ بطاقة من ٩٠ مديني.

من ٣٠٠ أردب تدفع كل عام ١٨ بطاقة من ٩٠ مديني.

من ٢٠٠ أردب تدفع كل عام ١٥ بطاقة من ٩٠ مديني.

من ١٠٠ أردب تدفع كل عام ١٨ بطاقة من ٩٠ مديني.

من ١٠ ـ ٩٠ أردب تدفع كل عام ١٢ بطاقة من ٩٠ مديني.

ثالثا: كل مركب أو أى سفينة تحت أى مسمى ستحصل على رقم سيعلق دائما عليها فى مكان ظاهر وسيكتب عليه حمولة السفينة.

رابعا: سيستخدم سجل لكل منطقة فى مصر يسجل فيه عدد السفن ورقمها والميناء الذى تتبعه، كذلك اسم صاحبها وريسها والقرى التى يقطنوها.

خامسا: الضريبة المفروضة سنويا على كل جرم أو سفينة سارية فى النيل أو الترع الخارجية منه ستوجه لرخاء الدافعين، وستدفع على ٤ دفعات متساوية كل ٣ شهور، مع كل قسط صاحب المركب أو الريس سيتلقى وصل سليم سيقدمه عند دفع القسط التالى.

المحصل الذى سيفرض مبلغا أكبر من الموضح فى البند الثانى على كل سفينة، سيقبض عليه كخائن وسيسجن شهرين فى سجن القلعة أو أى سجن آخر وسيدفع غرامة قيمتها مائة تالارى Talarys تسلم إلى المستشفيات المصرية.

سادسا: الضرائب المفروضة فى المادة الثانية على المراكب النيلية تسرى أيضا على سفن النقل السارية بين رشيد والإسكندرية، وبين رشيد والبرلس، وبين البرلس ودمياط، وبين دمياط وسواحل أسيا أو أى سواحل أخرى. نفس الضرائب ستفرض على المراكب التى تسرى فى البحيرات.

سابعا: فى كل منطقة هو أن الرسوم على المراكب سوف تؤجر بمزاد علنى لمن يتقدم بطلبها وذلك حسب الأقاليم.

ثامنا: المدير العام ومحاسب العوائد العام سيعطى أوامر لتنفيذ الأوامر السابقة وسيقوم بكل الإجراءات اللازمة على شرط روح وحرفية الشروط المذكورة سابقا.

تاسعا: الأموال العائدة من بيع المنشآت ستسلم لخزانة المحصل العام أو وكلائه.

عاشرا: قواد الأقاليم والمدن وكل قائد عسكرى آخر سيتلقون الشكاوى التى يمكن أن ترفع عند تنفيذ الأمر السابق. وسيساعدون بقوة الذين يحتاجون إليهم فى الحق ، وسيبلغوا القائد العام بالمخالفات التى يمكن أن تحدث وسيمنعون بكل الوسائل الممكنة أى مضايقة تحدث للفلاحين. لكن سيحصلون الأموال بمنتهى الدقة.

حادى عشر: الأمر الحالى سينشر ويعلق باللغتين أمام مكتب المدير العام ومحاسب العوائد الشعبية.

مينو

# ثم دخلت سنة خمس عشرة ومايتين وألف [١٨٠٠م]

كان ابتدا المحرم يوم الأحد وفى خامسه أصعدوا الشيخ السادات إلى القلعة، وكان أرسل إلى كبار القبط بأن يسعوا فى قضيته ورهن حصصه، ويغلق الذى عليه فردوا عليه بأنه لابد من تشهيل قدر نصف الباقى أولا ولا يمكن غير ذلك، وأما الحصص فليست فى تصرفه، ولما تكرر إرساله للنصارى وغيرهم نقلوه إلى القلعة ومنعوه الاجتماع بالناس وهى المرة الثالثة.

وفيه أشيع حضور مراكب وغلايين من ناحية الروم إلى ثغر سكندرية، وسافر سارى عسكر كليبر وصحبته العساكر الفرنساوية فغاب أياما ثم عاد إلى مصر، ولم يظهر لهذا أثر.

وفيه طلبوا عسكرا من القبط فجمعوا منهم طايفة وزيوهم بزيهم، وقيدوا بهم من يعلمهم كيفية حربهم ويدربهم على ذلك، وأرسلوا إلى الصعيد فجمعوا من شبانهم نحو الألفين وأحضروهم إلى مصر، وأضافوهم إلى العسكر.

وفى حادى عشرينه أعادوا الشيخ أحمد العريشى إلى القضا كما كان، وعملوا له موكبا وركب معه أعيان الفرنسيس وسوارى عساكرهم بطبولهم وزمورهم والمشايخ والتجار والأعيان وبجانبه قايمقام عبد الله منو الذى كان سارى

غاية الفيضان ١٨ قيراط / ٢٣ ذراع

١٢١٥هـ.

١٥١٦ق

١٨٠٠م

ـ في ٢٠ محرم / ١٥ يونيو سليمان الحلبى قتل الجنرال كليبر غدرا بالأزبكية ـ وفيه كانت نصرة نابليون فى واقعة مارنجو ـ وفى ٩ صفر رجوع بونابرته إلى باريز. وفى يومها التحقت ايرلاندة بانكلترة.

ـ وفى جماد أول تغلبت الانكليز على جزيرة مالطة ـ وفيه زاد النيل زيادة مفرطة لم يعهد مثلها ومكث زائدا إلى آخر توت ـ وفيها وقع بمصر غلاء وصل فيه سعر كل شيء إلى عشرة أمثاله، فبلغ رطل اللوز إلى ٥٠٠ نصف فضة، وكان بقشره ـ ثم وقع طاعون بمصر والشام، وكان معظم عمله بالصعيد ـ فيها اخترع جاكر، الفرنساوى، آلة النسج الميكانيكية، أى التى تنسج من نفسها دون الأيدى ـ وفى ١٤ شوال ظهرت الدونتما الانكليزية امام الاسكندرية. وفى ٢٨ منه نزل ١٨٠٠ عسكرى انكليزى فى الثغر.

ـ فى ١٧ القعدة قطعت الانكليز سد أبى قير وغرقت القرى والأراضى المحيطة بالاسكندرية، وبذلك انحصر الجنرال مونو وجيشه فى الاسكندرية ـ وفى يوم ٨ القعدة مع ليلة ٩ توفى بولس الأول، امبراطور الروسيا، وتولى ابنه اسكندر الأول.

□ ١ توت ١٥١٧ = ١٠ سبتمبر ١٨٠٠ = الأربع ٢٤ ربيع الثانى ١٢١٥.

□ ١ يناير ١٨٠١ = ٢٤ كيهك ١٥١٧ = الخميس ١٥ شعبان ١٢١٥.

* كليبر يؤسس فرقه من الأقباط. وقد ردد بعض الكتاب عن جهل بان المصريين الاقباط توددوا للحملة بغية بعض المكاسب، فهل كان ذلك حقيقة؟

الجواب على هذا صريح واضح، وهو أنه إن لحق المسلمين ظلم واحد من الغاصبين، فانه قد لحق الاقباط ضعف ذلك، والقضية فى هذا الشأن بديهية لا تخفى على أحد إذ لا نزاع مطلقا فى أن الفاتح الأجنبى إنما يعمل جهده لارضاء الأغلبية بالتودد لها والتقرب منها ولا يهمه أن يستضعف جانب الأقلية أو تهضم حقوقها. وتبقى دائما هذه خطته مهما تظاهر بعكس ذلك أمام الاقلية بقصد غرس أسباب النفرة ليسود بالحكم من جراء التفرقة.

ولو كان نابليون يثق بأنه إذا أباد الأقباط على بكرة أبيهم ينال ثقة المسلمين ويحل فى قلوبهم محل العثمانيين، لما تأخر عن ذلك طرفة عين!! ثم هل أدعى نابليون المسيحية الأرثوذكسية كما ادعى الإسلام وتظاهر بمدح الدين الإسلامى وقد كان أقرب للتصديق فى الأولى من الثانية!

خذ المثال الآتى: قال الجبرتى فى حوادث شهر رمضان من تلك السنة «نبهوا الفرنساوية بالمناداة فى أول رمضان بأن نصارى البلد يمشون على عاداتهم مع المسلمين أولاً: ولا يتجاهرون بالأكل والشرب فى الأسواق، ولا يشربون الدخان ولا شيئا من ذلك بمرأى منهم.. كل ذلك لاستجلاب خواطر الرعية حتى أن بعض الرعية من الفقهاء مر على بعض النصارى وهو يشرب الدخان، فانتهره فرد عليه رداً شنيعا، فنزل ذلك المتعمم وضرب النصرانى واجتمع عليه الناس وحضر حاكم الخطة، فرفعهما إلى قائمقام، فسأل من النصارى الحاضرين عن عادتهم فى ذلك فأخبروه عن عادتهم القديمة أنه إذا استهل شهر رمضان لا يأكلون ولا يشربون فى الأسواق ولا بمرأى من المسلمين أبداً. فضرب النصرانى وترك المتعمم لسبيله»!

وذكر الجبرتى فى حوادث يوم ٨ جمادى الآخرة قال «وفيه قتلوا (الفرنساوية) أربعة أنفار من القبط قيل إنهم سكروا فى الخمارة وعربدوا فاغتاظ لذلك القبطة» أضف إلى هذا أن الفرنساوية رغم شعار الحرية والمساواة لم ترفع الجزية عن المصريين الأقباط وظلت تقبضها منهم.



* عبد الله جاك مينو.

عسكر برشيد، فلم يزالوا معه حتى أوصلوه إلى المحكمة الكبرى* بعد أن شقوا به المدينة.

## ذكر قتل سارى عسكر كليبر وتحقيق قضيته*

وفى ذلك اليوم أعنى يوم السبت وقعت نادرة عجيبة: وهو أن سارى عسكر كليبر كان مع كبير المهندسين [بروتاين] يسيران بداخل البستان الذى بداره بالأزبكية فدخل عليه شخص حلبى وقصده فأشار إليه بالرجوع، وقال له، مافيش، وكررها فلم يرجع، وأوهمه أن له حاجة وهو مضطر فى قضايها، فلما دنا منه مد إليه يده اليسار كأنه يريد تقبيل يده، فمد إليه الآخر يده، فقبض عليه وضربه بخنجر كان أعده فى يده اليمنى أربع ضربات متوالية، فشق بطنه وسقط إلى الأرض صارخا، فصاح رفيقه المهندس فذهب إليه وضربه أيضا ضربات وهرب، فسمع العسكر الذين خارج الباب صرخة المهندس، فدخلوا مسرعين فوجدوا كليبر مطروحا وبه بعض الرمق ولم يجدوا القاتل، فانزعجوا وضربوا طبلهم وخرجوا مسرعين وجروا من كل ناحية يفتشون على القاتل، واجتمع رويساهم وأرسلوا العساكر إلى الحصون والقلاع، وظنوا أنها من فعل أهل مصر فاحتاطوا بالبلد وعمروا المدافع وحرروا القنابر، وقالوا لابد من قتل أهل مصر عن آخرهم.

ووقعت هوجة عظيمة فى الناس وكرشة وشدة انزعاج وأكثرهم لا يدرى حقيقة الحال، ولم يزالوا يفتشون على ذلك القاتل حتى وجدوه منزويا فى البستان المجاور لبيت سارى عسكر المعروف بغيط مصباح بجانب حايط منهدم،

* المحكمة الكبرى: يقصد بها محكمة الباب العالى وكانت توجد فى مقعد ماماى ازبك السيفى وهذا المقعد يسمى مقعد بيت القاضى وهو أجمل مثال للمقعد فى العمارة الإسلامية وهو فى الأصل جزء من قصر انشأه الأمير ماماى السيفى سنة ٩٠١ هـ ١٤٩٥م كما هو منقوش على العضادة اليسرى للمدخل وذلك فى عهد السلطان الناصر ابن قايتباى وكلمة المقعد تطلق عادة على المكان المخصص لاستقبال الرجال فى البيوت فى مصر منذ العصور الوسطى. كما اطلق على الميدان المواجه لبيت القاضى بالنحاسين التابع لقسم الجمالية.

* بيان القيادة العامة الفرنساوية فى شأن قتل سارى عسكر كليبر.
القيادة العامة بالقاهرة فى ١٦ بريريال لسنة ٨
من الجنرال عبد.ج. مينو [عبد الله جاك] القائد العام لجيش الشرق بالنيابة إلى الجيش
أيها الجنود لقد وقع اعتداء أثيم عليكم، واغتيل من بينكم جنرال كنتم تحبونه وتحترمونه، أقترف ذلك عدو لا يستحق إلا احتقار ومقت العالم أجمع. ولما لم يتمكن عدوكم من قهر الفرنسيين تحت قيادة كليبر الشجاع لجأ إلى حيلة دنيئة وأرسل إليه خلسة أحد المجرمين لاغتياله. وأنى استنكر أمامكم وأمام العالم أجمع ما لجأ إليه الوزير الأعظم، قائد ذلك الجيش الذى هزمتموه شر هزيمة فى بطاح المطرية وهليوبوليس. انه هو الذى اتفق مع أغا الانكشارية ووضع الخنجر بين يدى المدعو سليمان الحلبى الذى كان قد غادر غزة منذ ٣٢ يوما وجعلنا نخسر أمس، فى عملية

فقبضوا عليه فوجدوه شاميا، فأحضروه وسألوه عن اسمه وعمره وبلده فوجدوه حلبيا واسمه سليمان، فسألوه عن محل مأواه فأخبرهم أنه يأوى ويبيت بالجامع الأزهر، فسألوه عن معارفه ورفقايه. وهل أخبر أحد بفعله وهل شاركه أحد فى رأيه وأقره على فعله أو نهاه عن ذلك، وكم له بمصر من الأيام أو الشهور، وعن صنعته وملته، وعاقبوه حتى أخبرهم بحقيقة الحال، فعند ذلك علموا ببراءة أهل مصر من ذلك، وتركوا ما كانوا عزموا عليه من محاربة أهل البلد، وقد كانوا أرسلوا أشخاصا من ثقاتهم تفرقوا فى الجهات والنواحى يتفرسون فى الناس فلم يجدوا فيهم قراين دالة على علمهم بذلك، ورأوهم يسألون من الفرنسيس عن الخبر فتحققوا من ذلك براءتهم من ذلك.

ثم إنهم أمروا بإحضار الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ أحمد العريشى القاضى وأعلموهم بذلك وعوقوهم إلى نصف الليل وألزموهم بإحضار الجماعة الذين ذكرهم القاتل، وأنه أخبرهم بفعله فركبوا وصحبتهم الأغا وحضروا إلى الجامع الأزهر وطلبوا الجماعة فوجدوا ثلاثة منهم ولم يجدوا الرابع، فأخذهم الأغا وحبسهم ببيت قايمقام بالأزبكية.

ثم إنهم رتبوا صورة محاكمة على طريقتهم فى دعاوى القصاص وحكموا بقتل الثلاثة أنفار المذكورين مع القاتل، وأطلقوا مصطفى أفندى البرصلىّ [من مدينة برصه] لكونه لم يخبره بعزمه وقصده، فقتلوا الثلاثة المذكورين لكونه أخبرهم بأنه عازم على قصده صبح تاريخه، ولم يخبروا

اغتيال حالكة السواد، الرجل الذى ستظل ذكراه عاطرة خالدة فى قلوب الفرنسيين جميعاً.
أيها الجنود:
لقد بدد كليبر معكم جحافل هؤلاء البربر الذين أتوا من أوروبا وآسيا للسطو على مصر.
عندما قاد كليبر تشكيلات جنودكم البواسل استعاد مصر برمتها فى نحو عشرة أيام من الزمن.
لقد أعاد كليبر تنظيم أموال الجيش بطريقة يسرت صرف جميع متأخراتكم وجعلتكم تصرفون رواتبكم دون أدنى تأخير. لقد أصلح كليبر بفضل قوانينه وتنظيماته الحكيمة، كثيرا من الانحرافات التى لابد أن تحدث فى الإدارات الكبيرة.
أن أجمل تحية مخلصة يمكن تقديمها لذكرى قائدكم كليبر الشجاع هى أن تحافظوا على رباطة جأشكم وأن تظلوا ثابتين على حالكم وأوضاعكم الرهينة التى طالما أوقعت الرعب والذعر فى قلوب أعدائكم حيثما وجدتم، وعليكم أن تخضعوا لنظامكم العسكرى، قوام قوة جيشكم وجبروته.
وعليكم أن تتذكروا دائما انكم جمهوريون، وعليكم أينما وجدتم أن تكونوا قدوة للآخرين بمعنوياتكم وطاعتكم لرؤسائكم مثل ما أنتم عليه من قدوة للشجاعة والجرأة فى المعارك التى تخوضونها.

أيها الجنود:
أن الأقدمية فى الرتب العسكرية هى التى جعلتنى أتحمل مؤقتا أعباء قيادة الجيش، وليس لدى فى ذلك ما أقدمه سوى الإخلاص الذى لا حد له للجمهورية وحرية فرنسا وسعادتها.
سأستمد قوتى من روح كليبر وعبقرية بونابرت، وسنعمل جميعا فى وفاق تام لمصلحة الجمهورية.

عنه الفرنسيس، فكأنهم شاركوه فى الفعل وانقضت الحكومة [المحكمة] على ذلك، وألفوا فى شأن ذلك أوراقا ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها وطبعوا منها نسخا كثيرة باللغات الثلاث الفرنساوية والتركية والعربية.

وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها لقصورهم فى اللغة، ثم رأيت كثيراً من الناس تتشوق نفسه إلى الإطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة، ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام من هولا الطايفة الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين، وكيف وقد تجارى على كبيرهم ويعسو بهم رجل آفاقى أهوج وغدره وقبضوا عليه وقرروه ولم يعجلوا بقتله وقتل من أخبر عنهم بمجرد الإقرار بعد أن عثروا عليه ووجدوا معه آلة القتل مضمخة بدم سارى عسكرهم وأميرهم، بل رتبوا حكومة ومحاكمة وأحضروا القاتل وكرروا عليه السؤال والاستفهام مرة بالقول ومرة بالعقوبة، ثم أحضروا من أخبر عنهم وسألوهم على انفرادهم ومجتمعين ثم نفذوا الحكومة فيهم بما اقتضاه التحكيم، وأطلقوا مصطفى أفندى البرصلىّ الخطاط حيث لم يلزمه حكم ولم يتوجه عليه قصاص كما يفهم جميع ذلك من فحوى المسطور بخلاف ما رأيناه بعد ذلك من أفعال أوباش العساكر الذين يدعون الإسلام ويزعمون أنهم مجاهدون وقتلهم الأنفس وتجاريهم على هدم البنية الإنسانية بمجرد شهواتهم الحيوانية، مما سيتلى عليك بعضه بعد.

وسوف يطلع الجيش فى القريب العاجل على تفاصيل الاغتيال الفظيع والإجراءات التى ستتبع للقبض على المجرم وعقابه هو وشركائه فى الجريمة.

امضاء:

عبد. ج. مينو

وفيما يلى صورة خطاب عزاء مراد بك فى مقتل كليبر.

* نقل الجبرتى ترجمة هذا الأوراق عن اثنان من مترجمى الحملة وهما براسفيش ولوماكا.

* التقرير الطبى عن مقتل كليبر.

وصورة ترجمة* الأوراق المذكورة.

* **بيان شرح الاطلاع على جسم سارى عسكر العام كليبر يوم الخامس والعشرين من شهر «برريال» مايو السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى.**



* الجنرال كليبر

نحن الواضعون أسمانا وخطنا فيه باش حكيم والجرايحى من أول مرتبة الذى صار مرتبة باش جرايحى فى غيبته انتهينا حصة ساعتين بعد الظهر إلى بيت سارى عسكر العام فى الأزبكية بمدينة مصر، وكان سبب روحتنا هو أننا سمعنا، دقة الطبلة وغاغة الناس التى كانت تخبر أن سارى عسكر العام كليبر انغدر وقتل، وصلنا له فرأيناه فى آخر نفس، فحصنا عن جروحاته فتحقق لنا أنه قد انضرب بسلاح مدبب وله حد وجروحاته كانت أربعة: الأول منها تحت البز فى الشقة اليمنى، الثانى أوطى من الأول جنب السوّة، الثالث فى الذراع الشمال نافذ من شقه لشقه، والرابع فى الخد اليمين، فهذا حررنا البيان بالشرح فى حضور الدفتردار «سارتلون» الذى وضع اسمه فيه كمثلنا لأجل أن يسلم البيان المذكور إلى سارى عسكر مدبر الجيوش.



* الستوين [المواطن] بروتاين.

تحريرا فى سراية سارى عسكر العام فى النهار، والسنة المذكورة فى الساعة الثالثة بعد الظهر، بإمضا باش حكيم وخط الجرايحى من أول مرتبة «كازبيانكا» والدفتردار سارتلون.

شرح جروحات الستوين بروتاين المهندس نهار تاريخه خمسة وعشرين من شهر برريال السنة الثامنة من انتشار

الجمهور الفرنساوى فى الساعة الثالثة بعد الظهر، نحن الواضعون أسمانا وخطنا فيه باش حكيم وجرايحى من أول مرتبة الذى صار مرتبة باش جرايحى فى غيبته، انطلبنا من الدفتردار سارتلون أننا نعمل بيان شرح جروحات الستوين بروتاين المهندس وعضو من أعضا مدرسة العلما فى بر مصر، الذى انغدر هو أيضًا فى جنب سارى عسكر العام كليبر مدبر الجيوش ومضروب ستة أمرار بسلاح مدبب وله حد، وهذا بيان الجروحات: الأول فى جنب الصدغ [الشمال سلخ الجلد وقطع عرق الصدغ]، الثانى فى الكف فى عظمة الإصبع الخنصر، الثالث بين الضلوع الشمالية [والرابع تحت البز فى الشقة اليمنى] الخامس فى الشدق الشمالى، والسادس فى الصدر من الشقة الشمالية وشق نحو العرق.



* سليمان الحلبى.



* سارى عسكر داماس.

ثم إلى تأييد ذلك وضعنا أسمانا وخطنا فيه برفقة الدفتردار سارتلون، تحريرًا فى سراية سارى عسكر مدبر الجيوش فى اليوم والشهر والسنة والساعة المرموقة أعلاه بإمضا باش حكيم وخط الجرايحى من أول مرتبة كازابيانكا والدفتردار سارتلون.

عن أول فحص [استجواب] سليمان الحلبى نهار تاريخه خمسة وعشرين فى شهر برريال [مايو] من السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى فى بيت سارى عسكر داماس مدبرالجيوش.

واحد فسيال [جندى] من ملازمين بيت سارى عسكر العام حضر وبيده ماسك راجل من أهل البلد مدعيا أن هذا هو الذى قتل سارى عسكر العام كليبر المتهوم المذكور، انعرف

من الستوين [المواطن] بروتاين المهندس الذى كان مع سارى عسكر حين انغدر، لأنه أيضاً انضرب برفقته بالخنجر ذاته وانجرح بعض جروحات، ثانيا المتهوم المذكور كان انشاف بين جماعة سارى عسكر من حد الجيزة وانوجد مخبى فى الجنينة التى حصل فيها القتل، وفى الجنينة نفسها انوجد الخنجر الذى به انجرح سارى عسكر وبعض حوايج أيضًا بتوع المتهوم فحالا بدى الفحص بحضور سارى عسكر منو الذى هو أقدم اقرانه فى العسكر وتسلم فى مدنية مصر، والفحص المذكور صار بواسطة الخواجا براشويش [ Brachwich ] كاتم سر وترجمان سارى عسكر العام ومحرر من يد الدفتردار سارتلون الذى أحضره سارى عسكر منو لأجل ذلك المتهوم المذكور.

انسال [سئل] عن اسمه وعمره ومسكنه و صنعته؟

فجاوب: أنه يسمى سليمان* ولادة بر الشام وعمره أربعة وعشرون سنة ثم صنعته كاتب عربى وكانت سكنته فى حلب.

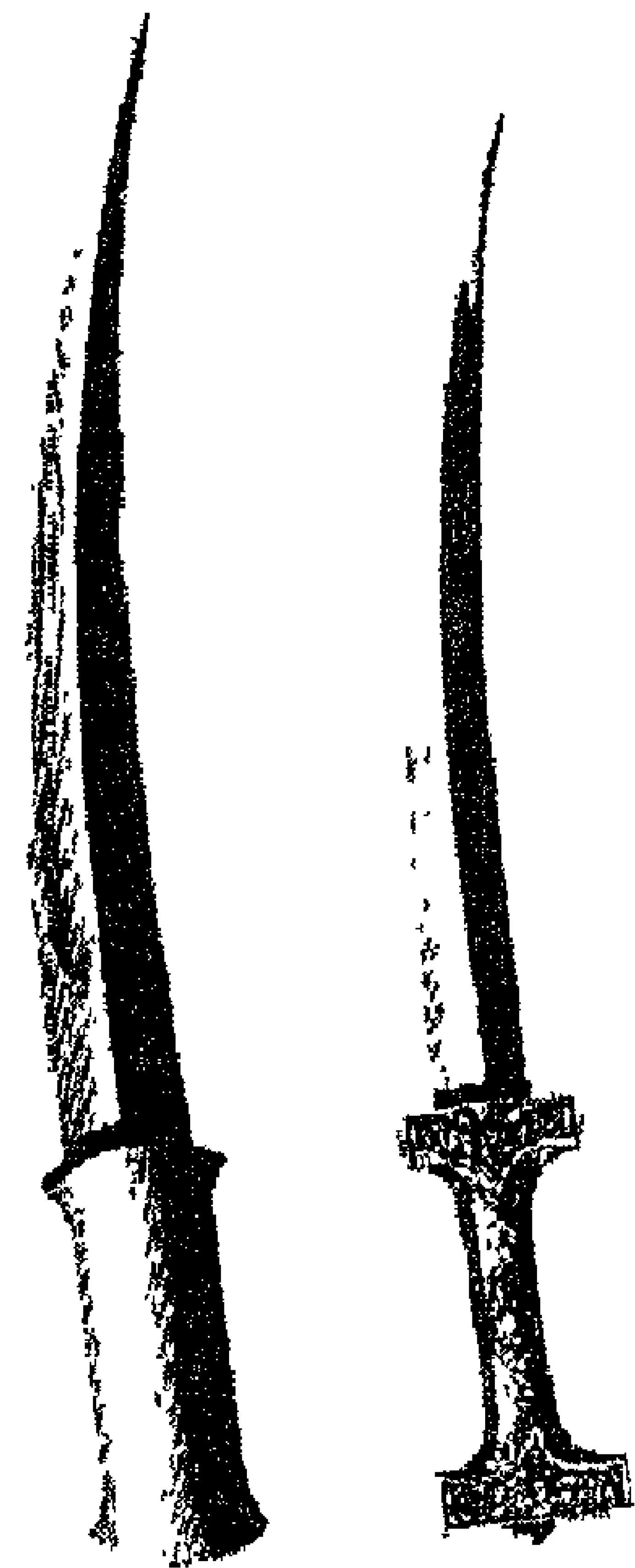
* التحقيق مع سليمان الحلبى.

انسال كم زمان له فى مصر؟

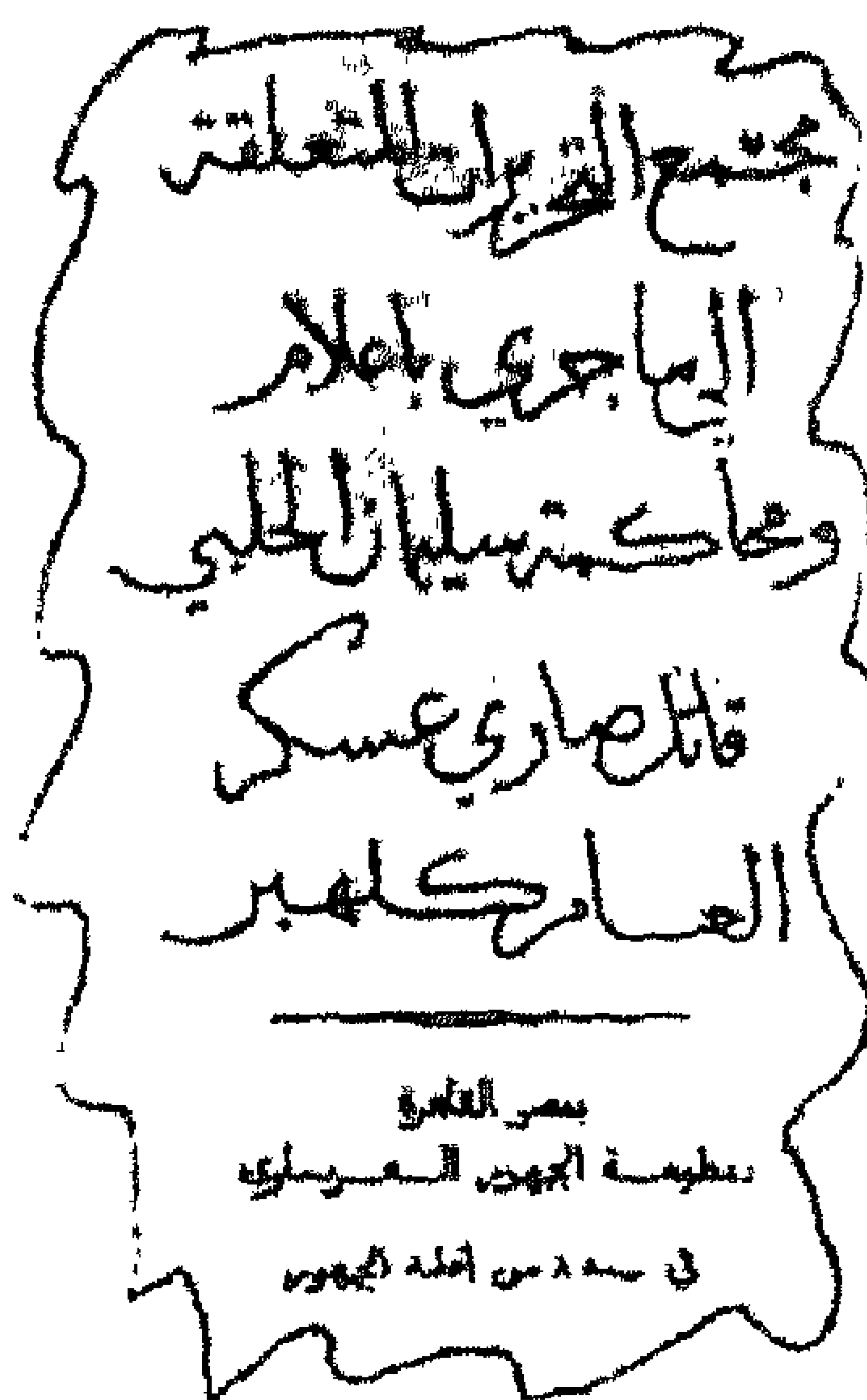
فجاوب: أنه بقى له خمسة أشهر وأنه حضر فى قافلة وشيخها يسمى سليمان جوربجى.

انسال عن ملته.

فجاوب أنه من ملة محمد وأنه كان سابقًا سكن ثلاث سنين فى مصر وثلاث سنين فى مكة والمدينة.



الجبرتى/ سنة ١٢١٥م




انسال هل يعرف الوزير الأعظم وهل له مدة ما شافه؟

فجاوب أنه ابن عرب ومثله ليس يعرف الوزير الأعظم.

انسال عن معارفه فى مدينة مصر.

فجاوب أنه لم يعرف أحدا وأكثر قعاده فى الجامع الأزهر وجملة ناس تعرفه، وأكثرهم يشهدون في مشيه الطيب.

انسال هل راح صباح تاريخه الجيزة؟

فجاوب نعم، وأنه كان قاصد ينشبك كاتب عند أحد، ولكن ما قسم له نصيب.

انسال عن الناس الذين كتب لهم أمس؟

فجاوب أن كلهم سافروا.

انسال كيف يمكن أنه لم يعرف أحدا من الذين كتب لهم فى الأيام الماضية وكيف يكونون كلهم سافروا.

فجاوب أنه ليس يعرف الذين كان يكتب لهم وأنه غير ممكن أن يفتكر أسماهم.

انسال من هو الأخرانى الذين كتب لهم؟

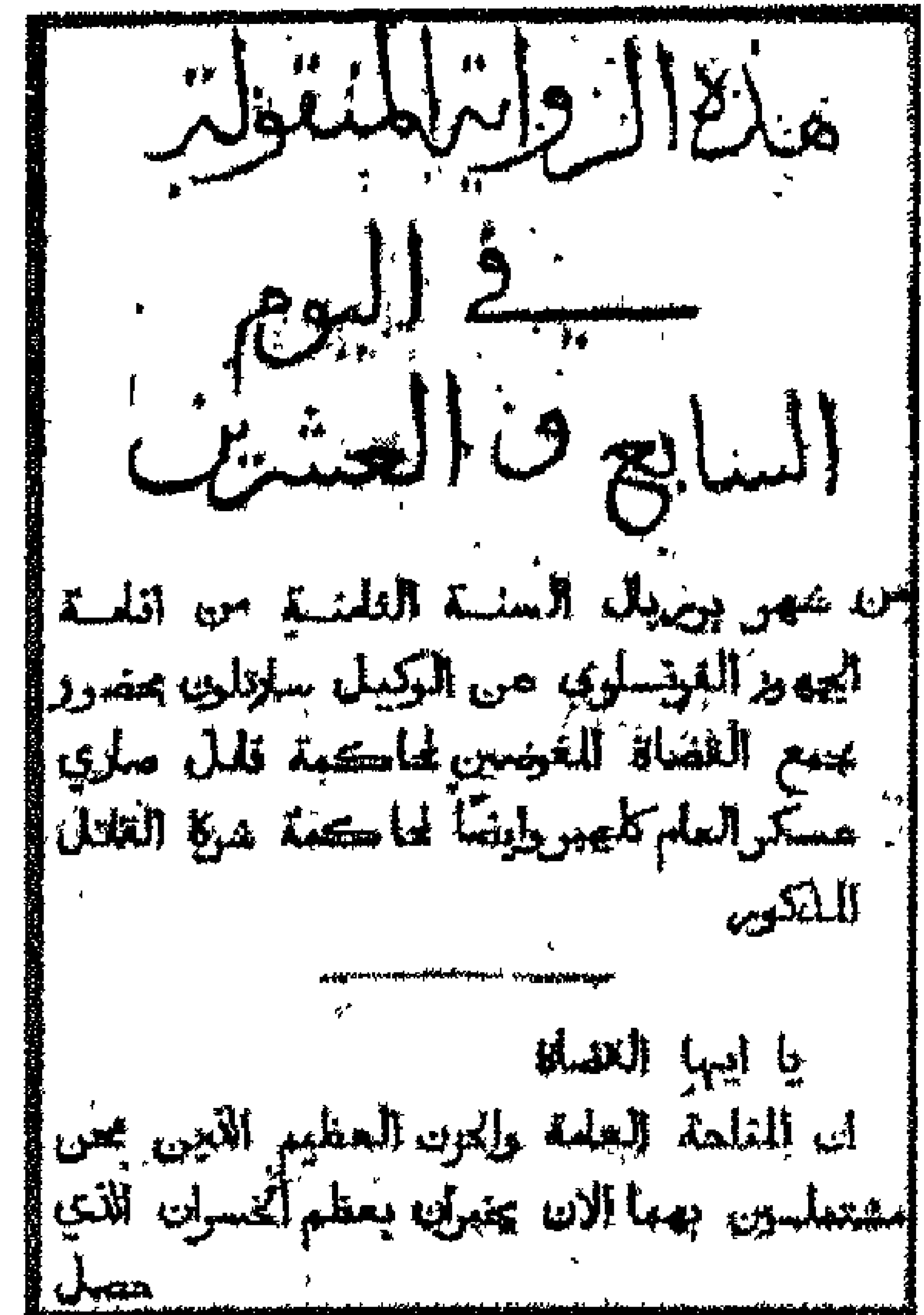
فجاوب أنه يسمى محمد مغربى السويسى بياع عرقسوس وأنه ما كتب لأحد فى الجيزة.

انسال ثانيا عن سبب روحته الجيزة.

فجاوب دايماً أنه كان قاصد أن ينشبك كاتبا.

انسال كيف مسكوه فى جنينة سارى عسكر؟

فجاوب أنه ما انمسك فى الجنينة بل فى عارض الطريق.



هذه الرواية المنقولة
في اليوم
السابع والعشرين

من شهر بريريال السنة الثامنة من اقامة الجمهور الفرنساوي من الوكيل سارتلون بحضور جميع القضاة المعينين لمحاكمة قاتل ساري عسكر العام كليبر وايضا لمحاكمة شركا القاتل المذكور

يا ايها القضاة

ان الفاجعة الهائلة والكرب العظيم الذين نحن مشتغلون بهما الان يخبران بعظم الخسران الذي حصل

فذاك الوقت انقال له إنه ما ينجيك إلا الصحيح، لأن عسكر الملازمين مسكوه فى الجنينة وفى المحل ذاته انوجدت السكينة وفى الوقت انعرضت عليه؟

فجاوب صحيح أنه كان فى الجنينة ولكن ما كان مستخبى بل قاعد لأن الخيالة كانت ماسكة الطرق وما كان يقدر أن يروح للمدينة وأن ما كان عنده سكينة ولم يعرف أن كان هذا موجود فى الجنينة.

سيل لأى سبب كان تابع سارى عسكر من الصبح؟

فجاوب : أنه كان مراده فقط يشوفه.

انسال هل يعرف حتة قماش خضرة التى باينة مقطوعة من لبسه وكانت انوجدت فى المحل الذى انغدر فيه سارى عسكر.

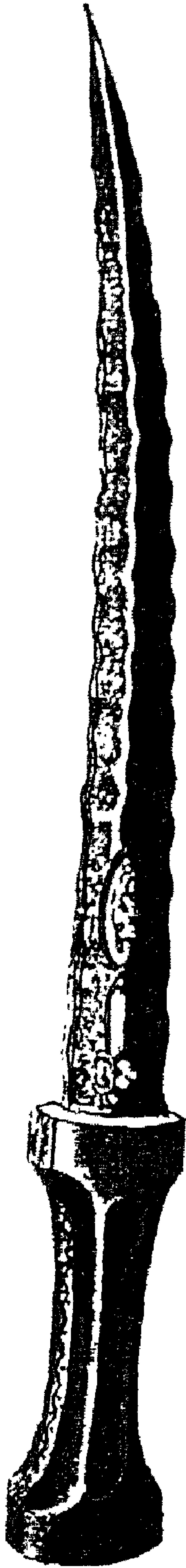
فجاوب: بأن هذه ما هى تعلقه.

انسال : إن كان تحدث مع أحد فى الجيزة وفى أى محل نام؟

فجاوب : أنه ما تكلم مع ناس إلا لأجل مشترى بعض مصالح وأنه نام فى الجيزة فى جامع.

فأشاروا على جروحاته التى ظاهره فى دماغه وقيل له إن هذه الجروحات بينت أنه هو الذى غدر سارى عسكر لأن أيضا الستوين بروتاين الذى كان معه عرفه و ضربه كم عصايه الذين جرحوه؟

فجاوب : أنه ما انجرح إلا ساعة ما مسكوه.



انسال هل كان تحدث نهار تاريخه مع حسين كاشف أو مع مماليكه؟

فجاوب أنه ما شافهم ولا كلمهم.

فلما أن كان المتهوم لم يصدق فى جواباته أمر سارى عسكر أنهم يضربونه حكم عوايد البلاد، فحالا انضرب لحد أنه طلب العفو ووعد أنه يقر بالصحيح، فارتفع عنه الضرب وانفكت له سواعده، وصار يحكى من أول جديد كما هو مشروح.

انسال كم يوم له فى مدينة مصر؟

فجاوب أنه له واحد وثلاثون يوما وأنه حضر من غزة فى ستة أيام على هجين.

انسال لأى سبب حضر من غزة؟

فجاوب لأجل أن يقتل سارى عسكر العام.

انسال من الذى أرسله لأجل أن يفعل هذا الأمر؟

فجاوب أنه أرسل من طرف أغات الينكجرية وأنه حين رجع عساكر العثملى من مصر إلى بر الشام أرسلوا إلى حلب بطلب شخص يكون قادراً على قتل سارى عسكر العام الفرنساوى، ووعدوا لكل من يقدر على هذه المادة أن يقدموه فى الوجاقات ويعطوه دراهم، ولأجل ذلك هو تقدم وعرض روحه لهذا .

انسال من هم الناس الذين تصدروا له فى هذه المدة فى بر مصر وهل صارح أحد على نيته؟

فجاوب أن ما أحد تصدر له وأنه راح سكن فى الجامع الأزهر، وهناك شاف السيد محمد الغزى والسيد أحمد الوالى والشيخ عبد الله الغزى والسيد عبد القادر الغزى الذين ساكنون فى الجامع المذكور فبلغهم على مراده، فهم أشاروا عليه أنه يرجع عن ذلك لأن غير ممكن أن يطلع من يده ويموت فرط، وإن كان لازم يشخصوا واحداً غيره فى قضا هذه المادة، ثم إنه كل يوم كان يتكلم معهم فى الشغل المذكور، وأن أمس تاريخه قال لهم إنه رايح يقضى مقصوده ويقتل سارى عسكر وأنه توجه إلى الجيزة حتى ينظر إن كان يطلع من يده، وأن هناك قابل نواتية قنجة [مركب نيلية] سارى عسكر فاستخبر عليه منهم إن كان يخرج برا فسألوه إيش طالب منه، فقال لهم إن مقصوده يتحدث معه، فقالوا له إنه كل ليلة ينزل فى جنينته، ثم صباح تاريخه شاف سارى عسكر معديا للمقياس، وبعده ماشى إلى المدينة، فتبعه لحين ما غدره.

هذا الفحص صار من حضر سارى عسكر منو بحضور باقى سوارى العساكر الكبار وملازمين بيت سارى عسكر العام ثم انختم بإمضا سارى منو والدفتردار سارتلون فى اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه.

ثم انقرا على المتهوم، وهو أيضا خط يده واسمه بالعربى سليمان إمضا سارى عسكر عبد الله منو إمضا الجنرال

«مارتينه» إمضا دفتردار البحر «لروا» إمضا الدفتردار «سارتلون» إمضا الترجمان «لوماكا» إمضا الترجمان «مناروكه» إمضا «داميانوس براشويش» كاتم السر وترجمان سارى عسكر العام.

وفحص الثلاثة مشايخ المتهمين نهار تاريخه خمسة وعشرين فى شهر بريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى فى الساعة الثامنة بعد الظهر حضروا فى منزل سارى عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنساوية السيد عبد الله الغزى ومحمد الغزى والسيد أحمد الوالى، وهم الثلاثة متهومين فى قتل سارى عسكر العام كليبر فسارى عسكر منو أمر بفحصهم [استجوابهم] فبدى ذلك حالا فى حضور بعض سوارى العساكر المجتمعين لذلك وبواسطة الستوين لوماكا الترجمان كما يذكر أدناه السيد عبد الله الغزى هو الذى سيل أولا لوحده.

**انسال عن اسمه وعن مسكنه و صنعته؟**

فجاوب أنه يسمى السيد عبد الله الغزى ولادة غزة ومسكنه فى مصر فى الجامع الأزهر وهناك كان كاره [صنعته] مقرى القرآن وأنه لم يعرف كم عمره ولكن تخمينه يجى ثلاثين سنة.

**انسال إن كانت سكنته فى الجامع الأزهر هل يعرف جميع الغربا الذين يدخلونه؟**

فجاوب أنه ساكن ليل ونهار ويعرف الغربا الذين فيه.

**انسال هل يعرف رجلا حضر من بر الشام من مدة شهر؟**

فجاوب أن من مدة خمسين يوما ما شاف أحداً حضر من بر الشام.

فقيل له: إن رجلا من طرف عرضى الوزير حضر من مدة ثلاثين يوما قال إنه يعرفك والظاهر أنك لم تتكلم الصدق.

فجاوب أنه ملهى دايما فى وظيفته، وأنه ما شاف أحدا من بر الشام بل سمع أن قافلة كانت وصلت من ناحية الشرق.

فقيل له أيضا إن ناسا حضروا من بر الشام يقولون إنهم تكلموا معه ويعرفونه،

فجاوب أن هذا غير ممكن وأنهم يقابلوه مع الذى فتن عليه.

انسال هل يعرف واحد اسمه سليمان كاتب عربى حضر من حلب من مدة ثلاثين يوما؟

فجاوب لا.

فقيل له إن هذا الرجل يحقق أنه شافه وأنه أخبره ببعض أشيا لازمة.

فجاوب أنه ما شافه، وأن هذا الرجل كذاب وأنه يريد أن يموت إن كان ما يحكى الصحيح.

فحالا سارى عسكر نده إلى محمد الغزى الذى هو أيضا متهوم فى قتل سارى عسكر وبدى الفحص كما يذكر.

انسال عن اسمه وعمره ومسكنه و صنعته.

فجاوب أنه يسمى الشيخ محمد الغزى وعمره نحو خمسة وعشرين سنة وولادته غزة وسكن بمصر فى الجامع الأزهر

ثم صنعته مقرى القرآن من مدة خمس سنين وما يخرج من الجامع إلا لكى يشترى ما يأكل.

انسال هل يعرف الغربا الذين يجون يسكنون فى الجامع.

فجاوب أن فى بعض الأوقات يحضر ناس غربا وأما البواب فهو الذى يقارشهم، ومن قبله ينام البعض ليالى فى الجامع والبعض فى بيت الشرقاوى.

انسال هل يعرف رجلا يسمى سليمان حضر من بر الشام من مدة ثلاثين يوما؟

فجاوب أنه لم يعرفه وأنه غير ممكن أن يشوف كل الناس لأن الجامع كبير قوى.

انسال أنه يحكى على الذى تكلم به معه سليمان فإن المذكور يحقق أنه تكلم معه فى الجامع.

فجاوب أنه يعرفه من مدة ثلاث سنين وأنه كان عنده خبر أنه راح مكة، وأما من بعد ما شافه ولم يعرف إن كان رجع أم لا.

انسال هل السيد عبد ا الغزى يعرفه أيضا؟

فجاوب نعم.

فقيل له محقق أن أمس تاريخه سليمان المذكور تحدث معه حصة طيبة وأن الشواهد موجودة،

فجاوب أن هذا صحيح.

انسال لأى سبب كان بدأ يقول إنه ما شافه؟

فجاوب أن تخمينه ما قال هذا وأن المترجمين غلطوا.

انسال هل سليمان المذكور ما بلغه عن شى مذنب قوى وتحقيقا لذلك معلوم عندنا أنه كان قصده يحوشه؟

فجاوب أنه لم يعرف هذا الأمر وأن سليمان المذكور راح وجا كام مرة إلى مصر وبقى له هنا مقدار شهر.

فقيل له إنه موجود شواهد أن سليمان المذكور كان أخبره أن مراده أن يغدر سارى عسكر العام وأنه أراد أن يمنعه.

فجاوب أنه ما بلغه عن هذا الأمر بل أمس تاريخه قال له أنه رايح ويمكن أن ما بقى يرجع.

فبعده أحضرنا عبد ا الغزى لأجل يتفحص ثانيا كما ذكر أدناه.

انسال لأى سبب قال إنه لم يعرف سليمان الحلبى حين سألوه عنه بحيث أن موجودة شواهد أن هذا له فى مصر واحد وثلاثون يوما، وأنه تقابل وإياه جملة مرار وتحدث معه أكثر الأيام؟

فجاوب حقا أنه لم يعرفه.

انسال هل يعرف واحدا يسمى محمد الغزى الذى هو مثله مقرى القرآن فى جامع الأزهر؟

فجاوب نعم.

انسال السيد عبد ا المذكور لأى سبب أنكر ذلك؟

فجاوب أنهم خبطوا عليه السؤال وأن هذا الوقت بحيث إنهم سألوه عن سليمان الذى من حلب فيقر أنه يعرفه.

**فقيل له معلوم عندنا أنه شافه مرارا كثيرة وتحدث معه.**

فجاوب أنه بقي له ثلاثة أيام ما شافه.

**أنسال هل إنه ما قصد يمنعه عن قتل سارى عسكر العام؟**

فجاوب أنه ما قال له أبداً على هذا الأمر وأنه لو كان بلغه منه ذلك كان منعه بكل قدرته.

**أنسال لأى سبب ما يحكى الصحيح بحيث إنه موجودة عليه شواهد؟**

فجاوب أنه غير ممكن يوجد عليه شواهد وأنه ما شاف سليمان المذكور إلا لأجل أن يسلموا على بعض حين تقابلوا.

**أنسال هل سليمان ما أخبره أبدا عن سبب مجيه إلى مصر؟**

فجاوب حاشا.

فبعد ذلك أخروا الاثنين المذكورين وأحضروا السيد أحمد الوالى الذى هو متهوم وسيل كما يذكر:

**أنسال عن اسمه وعمره ومسكنه و صنعته،**

فجاوب أنه يسمى السيد أحمد الوالى ولادة غزة وصنعته مقرى القرآن فى الجامع الأزهر من مدة عشر سنين ولم يعرف كم عمره.

**أنسال هل يعرف الغربا الذين يدخلون فى الجامع؟**

فجاوب أن وظيفته يقرا ولا يتنبه إلى الغربا .

فقيل لـه إن بعض الغربا الـذين حضروا هناك عن قريب يقولون إنهم شافوه في الجامع.

فجاوب أنه ما شاف أحدا.

أنسـال هل شاف رجلا حضر من بر الشام من طرف الوزير وهذا الرجل قال إنه يعرفه؟

فجاوب لا وإن كان يقدروا يحضروا هذا الرجل حتى يقابله.

أنسال هل يعرف سليمان الحلبى؟

فجاوب أنه يعرف واحدا يسمى سليمان الذى كان يروح يقرا عند واحد أفندى ، وكان طالب أنه يستقيم فى الجامع وأن هذا الرجل قال إنه من حلب ومن مدة عشرين يوما كان شافه وبعدها ما قابله ثم كان قال له إن الوزير فى يافا وإن عساكره ما كان عندهم دراهم وكانوا يفوتوه.

أنسال هل هذا الرجل المذكور ما هو تحت حمايته؟

فجاوب أنه لم يعرفه طيبا حتى يضمنه.

أنسال هل الأثنان الآخران المتهومان معارفه وهل أن الثلاثة تحدثوا سوا عن قريب أم أمس تاريخه مع سليمان المذكور؟

فجاوب لابل إنه يعرف أن سليمان المذكور كان حضر لزيارة الجامع وأنه وضع فى الجامع جملة أوراق مضمونها أنه كان قوى متعبداً لخالقه.

أنسال هل المذكور أمس أيضا ما و ضع أوراقا فى الجامع؟

فجاوب أن ما عنده خبر بذلك.

أنسال هل ما منع سليمان عن فعل ذنب بليغ؟

فجاوب أنه أبدا ما حدثه بهذا الشى ولكن قال له إن مراده يفعل شى جنون، وأنه عمل كل جهده حتى يرجعه.

أنسال إيش هو الجنان الذى قا صد يعمله و حدثه عليه؟

فجاوب أنه قال له إنه كان مراده يغازى فى سبيل الله وأن هذه المغازة هى قتل واحد نصرانى، ولكن ما أخبره باسمه وأنه قصد يمنعه بقوله إن ربنا أعطى القوة للفرنساوية وان لم أحد يقدر يمنعهم حكم البلاد.

فبعد هذا المتهوم المذكور انشال لمحله، وهذا الفحص تختم بحضور سوارى العساكر المجموعين بإمضا سارى عسكر منو والدفتردار سارتلون الذى هو ذاته حرر هذا الفحص بأمر سارى عسكر منو، ثم بعد قراءته على المتهومين وضعوا أسماهم وخطهم بالعربى.

تحريرا فى اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه.

ثلاثة إمضاءات بالعربى إمضا سارى عسكر منو إمضا الدفتردار سارتلون إمضا الترجمان لوماكا.

سارى عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنساوية فى مصر [يأمر] تأسيس:

المادة الأولى:: أن ينتشى ديوان قضاة* لأجل أن يشرعوا على الذين غدروا سارى عسكر العام كليبر فى اليوم الخامس والعشرين من شهر بbooريال.

المادة الثانية: القضاة المذكورون يكونوا تسعة وهم سارى عسكر رينيه، سارى عسكر فرياند، سارى عسكر روبين، الجنرال موراند، رئيس المعمار براند الوكيل، رجنيه دفتردار البحر، لروو الدفتردار، سارتلون فى وظيفة مبلغ، والوكيل لبهر [لوبير] فى وظيفة وكيل الجمهور.

المادة الثالثة: القضاة المذكورون ينظر لهم [يعين لهم] كاتم سر.

المادة الرابعة: القضاة المذكورين مفوضون الأمر فى الكشف والتفتيش وحوش كل من يريدو حتى إنهم يطلعوا على الذين لهم حصة فى الذنب المذكور أو يكون عندهم خبره.

المادة الخامسة: القضاة المذكورون يتفقون على العذاب اللايق إلى موت القاتل ورفقاه.

المادة السادسة: القضاة المذكورون يجتمعون من نهار تاريخه الذى هو السادس والعشرون من شهر برريال لحد خلاص الشريعة [المحاكمة] المذكورة.

إمضا سارى عسكر منو وهذه نسخة من الأصل إمضا الجنرال رينيه كتخدا مدبر الجيوش.

شرع اجتماع القضاة فى السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى فى اليوم السادس والعشرين من شهر برريال

* عبد ا چاك مينو سارى العسكر الفرنساوية الجديد يأمر بتشكيل ديوان القضاء (هيئة المحكمة) الخاصة بمحاكمة سليمان الحلبى ومن معه.
القيادة العامة فى القاهرة
فى ٢٦ بريريال سنة ٨ من الجمهور.
الجنرال عبد ج. مينو القائد العام للجيش يامر:
١ ـ تشكل لجنة للمحاكمة النهائية فى قضية الاغتيال الفظيع الذى وقع فى يوم ٢٥ بريريال على شخص القائد العام كليبر.
٢ ـ تتكون اللجنة من تسعة أشخاص هم:
ـ قائد الفرقة رينييه Reynier
ـ قائد اللواء روبان Robin
ـ منظم البحرية لوروى.
الأمير آلاى أركان الحرب مارتينيه
ـ الأمير آلاى أركان الحرب موران
رئيس اللواء جوجيه.
ـ رئيس لواء المهندسين برتران
ـ رئيس لواء المدفعية فور
ـ مندوب الحروب رجنيه Regnier
ـ مندوب الحروب سارتلون
يقوم بمهام المقرر
مندوب الحروب لوبير
يتولى مهام مندوب السلطة التنفيذية
٣ ـ تختار اللجنة كاتب جلساتها.
٤ ـ تصدر اللجنة أوامر القبض والحبس وبصفة عامة جميع الأوامر التى تراها ضرورية لاكتشاف القتلة وشركائهم فى الجريمة.

حكم أمر سارى عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنساوى المحرر فى نهار تاريخه، اجتمعوا فى بيت سارى عسكر رينيه المذكور وسارى عسكر روبين ودفتردار البحر لرو والجنرال مارتينه عوضا عن سارى عسكر فرياند حكم أمر سارى عسكر منو ثم الجنرال موراند وريس العسكر جوجه [جوجيه] وريس العمارة برتراند وريس المدافع فاور [فور] والوكيل رجنيه والدفتردار سارتلون فى رتبة مبلغ والوكيل لبهر فى وظيفة وكيل الجمهور لأجل قضا شريعة قتل سارى عسكر العام كليبر الذى انغدر أمس تاريخه.

القضاة المذكورون اجتمعوا مع شيخهم سارى عسكر رينيه وقروا أمر سارى عسكر منو المشروح أعلاه وحكم المادة الثالثة المحرر فيه استخصوا كاتم السر لهم الوكيل «بينه» الذى حلف كما هى العوايد ولزم وظيفته، ثم القضاة المذكورون وكلوا سارى عسكر رينيه والمبلغ الدفتردار سارتلون فى التفتيش والحبس لكل من اكتشفوا عليه حكم ما هو محرر فى المادة الرابعة المحررة أعلاه، وهذا لكى يظهروا رفقا القاتل، ثم إن السكينة التى وجدت مع القاتل حين انمسك تبقى عند كاتم السر [بينه] لأجل يظهرها فى الوقت الذى يلزم.

ثم وعدوا المجلس لصباح تاريخه فى الساعة الرابعة قبل الظهر ثم حرروا خط يدهم مع كاتم السر إمضا الوكيل رجنيه إمضا ريس المعمار برتراند إمضا رئيس المدافع فاور إمضا ريس العسكر جوجه إمضا الجنرال موراند إمضا الجنرال مارتينه إمضا دفتردار البحر وإمضا سارى عسكر روبين إمضا سارى عسكر رينيه إمضا كاتم السر «بينه»

٥ ـ تعين اللجنة نوع وطرق التعذيب التى تراها مناسبة لانزال العقاب بالقاتل وبشركائه.

٦ ـ تجتمع اللجنة اليوم (٢٦) وتظل قائمة إلى أن ينتهى الفصل فى القضية.

**امضاء: عبد . ج . مينو**

صورة طبق الأصل

وكيل الأميرالاى أركان الحرب العام

**امضاء: رينيه**

* انظر: كوريه دى لچيبت العدد ٧١ ص ٢٦٧.

إقرار الشهود نهار تاريخه فى ستة وعشرين شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى:

نحن الواضعون أسمانا فيه الدفتردار سارتلون المسمى من حضرة سارى عسكر العام منو أمير الجيوش فى وظيفة مبلغ حكم الأمر الذى خرج من طرفه.

أشار القضاة فى شرع القاتلين سارى عسكر العام كليبر والسيتوين «بينه» المسمى من القضاة المذكورين فى مرتبة كاتم السر إنه حضر بين يدنا «يوسف برين» عسكرى خيال من الطبجية الملازمين بيت سارى عسكر العام، وقال لنا هو ورفيقه خيال أيضا يسمى «روبرت» مسكوا المسلم سليمان المتهوم فى غدر سارى عسكر العام، وأنهم وجدوه فى الجنينة التى معمول فيها الحمامان الفرنساويان الملتزقان بجنينة سارى عسكر وأنهم رأوه مخبأ بين حيطان الجنينة المهدودة. وأن الحيطان المذكورة كانت ملغمطة بدم فى بعض نواحى، وأن سليمان المذكور كان أيضا ملغمطا بدم. وأنهم مسكوه فى هذه الحالة، وأن بعده التزموا يضربوه بالسيف لأجل يمشوه.

ثم «برين» المذكور قال: إن بعد حوشة سليمان بساعة فى الموضع ذاته الذى كان مخبأ فيه شاف سكينة بدمها وأنه سلم السكينة فى بيت سارى عسكر العام، فقرينا إليه إقراره هذا، وسألناه هل فيه شى زايد أم ناقص فجاوب أن هذا كل الذى فعله وعاينه.

ثم حرر خط يده معنا. إمضا برين الخيال إمضا سارتلون إمضا كاتم السر بينه.

ثم حضر أيضا بين أيدينا الشاهد الثاني وهو السيتوين روبرت الخيال أحد الطبجية الملازمين، وقال إنه حين كان يفتش على الذى قتل سارى عسكر دخل فى الجنينة التى فيها الحمامين الفرنساويه لزق جنينة سارى عسكر العام، وهناك شاف برفقة «برين» المذكور سليمان الحلبى مستخبى فى ركن حيطان مهدودة، وكان ملغمط دم، وأن حين مسكوه بان منه وهم، وأن بعد حوشته بساعة شاف برفقة السيتوين برين فى الموضع ذاته سكينة بدمها، وأنهم سلموها فى بيت سارى عسكر العام، والسكينة المذكورة كانت مخبية تحت الأرض.

فقرانا عليه إقراره هذا ثم سألناه إن كان ما فيه زايد أم ناقص، فجاوب أن هذا هو الذى فعله وشافه.

ثم حرر خط يده معنا، حرر بمدينة مصر فى النهار والشهر والساعة المحررة أعلاه.

إمضا روبرت الخيال إمضا سارتلون، إمضا كاتم السر «بينه».

أنا الدفتردار سارتلون المبلغ رحت إلى بيت السيتوين بروتاين لأنه كان راقدا بسبب جروحاته ثم استلمت منه التبليغ الآتى أدناه.

أنا حنا قسطنطين بروتاين المهندس وعضو من أعضاء مدرسة العلم فى بر مصر، أننى كنت أتمشور تحت التكعيبة

الكبيرة التى فى جنينة سارى عسكر وتطل على بركة الأزبكية، وكنت برفقة سارى عسكر العام فنظرت رجلا لابسا عثملى خارج من مبتدا التكعيبة من جنب الساقية فأنا كنت بعيدا كام خطوة عن سارى عسكر [والتفت لورا فحالاً سمعت صارى عسكر ينده] على الغفرا، فانتبهت لأجل أشوف السيرة رأيت أن الرجل المذكور بيضرب سارى عسكر بالسكينة [فرحت لأجل أخلصه منه فالراجل ضربنى بالسكينة] ذاتها كام مرة، فارتميت على الأرض، وفى الوقت سمعت سارى عسكر يصرخ ثانيا، فهميت ورحت قريبا من سارى عسكر فرأيت الرجل يضربه فهو ضربنى ثانيا كام سكينة، التى رمتنى وغيبت صوابى، وما عدت نظرت شيا، غير أننى أعرف طيب أننا قعدنا مقدار ستة دقايق قبل ما أحد يسعفنا.

فبعده قريت هذا الإقرار على السيتوين بروتاين.

وسألته هل فيه زايد أم ناقص؟ فجاوب أن هذا الذى فعله وعاينه، ثم حرر خط يده معنا إمضا بروتاين إمضا سارتلون، إمضا كاتم السر «بينه» والسيتوين بروتاين.

بعد ما ختم الورقة أعلاه قال إن مقصوده يضيف عليها أن بعد غدر سارى عسكر بزمان قليل حين شاف سليمان الحلبى الذى هو متهوم فى غدره وغدر سارى عسكر العام عرفه أنه هو ذاته الذى كان ضرب سارى عسكر وبعده ضربه سليمان المذكور كام سكينة غيبت صوابه، فقرينا عليه أيضا هذه الإضافة، فجاوب أنها حاوية الحق وما فيها زايد ولا ناقص، ثم ختمها معنا.

إمضا بروتاين إمضا سارتلون إمضا كاتم السر «بينه» نهار تاريخه ستة وعشرين فى شهر برريال [مايو] السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى.

أنا الواضع اسمى فيه مبلغ القضاة المأمور فى شرع قتلة سارى عسكر العام كليبر ذهبت إلى مساعدى سارى عسكر المذكور لأجل أن أسمع إقرارهم ثم كان معى كاتم السر «بينه» وهم قالوا لنا كما يذكر أدناه.

السيتوين فورتونه دهوج ابن أربعة وعشرين سنة فسيال فى طابور الخيالة ومساعد عند سارى عسكر كليبر، قال: إنه فى اليوم الخامس والعشرين من شهر برريال كان مع سارى عسكر العام حين حضر إلى الأزبكية يشوف بيته الذى كان داير فيه العمارة، وأنه شاف رجلا بعمة خضرا ودلق [عباءه] وحش وكان دايما تابع سارى عسكر حين كان داير يتفرج على المحلات.

وأنه هو وخلافه حسبوا هذا الرجل من جملة الفعلة فما أحد سأله، ولكن حين نزل سارى عسكر من بيته إلى الجنينة لأجل ينفذ إلى جنينة سارى عسكر «داماس السيتوين دهوج» شاف الرجل المذكور مدحوش بين جماعة سارى عسكر، فنهره وطرده برا فبعد ساعتين حين انغدر سارى عسكر «السيتوين دهوج» المذكور عرف دلق الخاين لأنه كان رماه جنب سارى عسكر، وبعده حين انمسك الرجل فعرفه أنه هو الذى قبل بشوية طرده من الجنينة.

ثم قرى هذا المضمون على السيتوين دهوج المذكور لأجل بيان هل يوجد شي خلافه يزيد أم ينقص؟ فجاوب أن هذا الحق حكم ما عاين وفعل، ثم حرر خط يده مع كاتم السر.

تحريراً فى اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه.

إمضا السيتوين دهوج إمضا سارتلون إمضا «بينه» كاتم السر.

ثانى فحص سليمان الحلبى.

نهار تاريخه ستة وعشرين من شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى.

نحن الواضعون أسمانا فيه الدفتردار سارتلون برتيه مبلغ والوكيل «بينه» فى رتبة كاتم سر القضاة المنقامين إلى شرع كل من هو متهوم فى غدر سارى عسكر العام كليبر أحضرنا* سليمان الحلبى لأجل نسأله من أوله وجديد عن صورة غدر وقتل سارى عسكر وهذا صار بواسطة السيتوين براشيوش كاتم سر وترجمان سارى عسكر العام كما يذكر أدناه.

* إعادة التحقيق مع سليمان الحلبى فى المحكمة.

انسال المذكور عن قصة سارى عسكر فجاوب أنه حضر من غزة مع قافلة حاملة صابون ودخان وأنه كان راكب هجين وبحيث إن القافلة كانت خايفة أن تنزل بمصر توجهت إلى ريف يسمى الغيطة فى ناحية الألفية وهناك استكرى حماراً من واحد فلاح، وحضر لمصر ولكن لم يعرف الفلاح صاحب الحمار.

ثم إن أحمد أغا وياسين أغا من أغوات الينكجرية بحلب وكلوه فى قتل سارى عسكر العام بسبب أنه يعرف مصر طيب، بحيث إنه سكن فيها سابق ثلاث سنوات، وأنهم كانوا وصوه أنه يروح ويسكن فى الجامع الأزهر وأن لا يعطى سره لأحد كليًا بل يوعى لروحه ويكسب الفرصة فى قضا شغله لأنها دعوة تحب السر والنباهة، ثم يعمل كل جهده حتى يقتل سارى عسكر.

لكن حين وصل إلى مصر التزم يسارر الأربعة مشايخ الذين أخبر عنهم لأنه لو كان ما قال لهم فما كانوا يسكنوه فى الجامع، أنه كان كل يوم يتحدث معهم فى هذا الأمر وأن المشايخ المذكورين قصدوا يغيروا عقله عن هذا الفعل بقولهم إنه ما يقدر عليه، وهو ما دعاهم لمساعدته لأنه كان يعرفهم بلديين.

وأن اليوم الذى قصد التوجه فيه ليقتل سارى عسكر قابل أحدهم الذى هو محمد الغزى فعرفه أن مقصوده أن يتوجه إلى الجيزة ليفعل مراده، ثم انه مضى وحده ليفعل هذا الغدر.

وأن تخمينه أنه مثل المجنون* من حين أراد أن يقضى هذا الأمر لأنه لو كان له عقل ما حضر من غزة لهذا الأمر.

* سليمان الحلبى يتهم نفسه بالجنون.

وأن الأوراق الذين وضعهم فى الجامع هم بعض آيات من القرآن لأنه عوايد الكتبة أولاد العرب يوضعوا ذلك فى الجامع.

وأنه ما أخذ دراهم من أحد فى مصر، لأن الأغوات كانوا أعطوا له كفايته.

وأن الأفندى الذى كان يروح يقرا عنده يسمى مصطفى أفندى وكان يقرا عليه نهار الاثنين والخميس تبع العادة، ولكن ما أخبره بسر خوفا أن ينشهر.

وأما من قبل الأربعة مشايخ المذكورين صحيح أنه كان قال لهم كل شى لأنهم من أولاد بلاده ثم حقق لهم أنه ناوى أن يغازى فى سبيل الله.

**انسال أين كان هو حين رجع الوزير من بر مصر فى ابتدا شهر جرمنيال مارس الموافق لشهر الإسلام ذى القعدة.**

فجاوب أنه كان فى القدس حاجج من حين كان الوزير أخذ العريش.

**انسال أين شاف أحمد أغا الذى يقول إنه عرض عليه مادة قتل سارى عسكر وفى أى يوم قال له ذلك؟**

فجاوب أنه حين انكسر الوزير رجع إلى العريش وغزة فى أواخر شهر أو فى أوايل شهر ذى القعدة الموافق لشهر جرمنيال الفرنساوى وأن أحمد أغا المذكور هو من جملة أغوات الوزير، ولكن كان رسم عليه فى غزة من حين أخذ العريش، وحين رجع أرسله إلى القدس فى بيت المتسلم، ثم إنه يوم وصوله توجه سلم عليه فى بيت المتسلم وشكا له من إبراهيم باشا متسلم حلب الذى كان يظلم أباه الذى يسمى الحاج محمد أمين بياع سمن وحططوه غرامات زايدة، ومن الجملة واحدة قبل سفر الوزير من الشام، ثم وقع فى عرضه بشأن ذلك.

ثم إنه رجع عند أحمد أغا ثاني يوم وأن الأغا وقتها قال له إنه محب إبراهيم باشا وأنه ما يقصر ويوصيه فى راحة أبيه ، ولكن بشرط أنه يروح يقتل أمير الجيوش الفرنساوية.

ثم فى ثالث ورابع يوم كرر عليه أيضًا هذا السؤال وحالا أرسله إلى ياسين أغا فى غزة لأجل أن يعطى له مصروفه.

وأنه من بعد هذا الكلام بأربعة أيام سافر من القدس إلى الخليل، وهناك قعد كام يوم وما وصله ولا مكتوب من أحمد أغا، وأما أحمد أغا المذكور كان أرسل خداما إلى غزة لأجل يخبر ياسين أغا بالذى اتفقوا عليه.

**أنسال كام يوم قعد فى الخليل؟**

فجاوب عشرين يوما.

**أنسال لأى سبب قعد عشرين يوما في الخليل وهل فى هذه المدة ما و صله مكاتيب من الاثنين الأغوات؟**

فجاوب أن السكة كانت ملآنة عرب وأنه خايف منهم فالتزم يستنظر سفر القافلة التى سافر برفقتها وأنه كان فى غزة فى أواخر شهر ذى القعدة الموافق لغرة شهر فلوريال [أبريل] الفرنساوى.

**أنسال إيش عمل فى غزة وإيش قال له ياسين أغا؟**

فجاوب أن ثانى يوم وصوله راح شاف الأغا، والمذكور قال له: إنه يعرف الشغل الذى هو سبب مشواره، هذا وأنه أسكنه فى الجامع الكبير، وهناك امرار عديدة كان يروح

يشوفه ليلا ونهارا ويتحدث معه فى هذا الأمر ووعده أنه يرفع الغرايم عن أبيه، وأنه دايما يجعل نظره عليه فى كل ما يلزمه، ثم بلغه بمن كل الذى كان لازم يفعله كما شرح أعلاه، وهذا صار سراً بينهم، ثم أعطى له أربعين قرشا لمصروف السفر، وبعد عشرة أيام سافر من غزة راكباً هجيناً ووصل هنا بعد ستة أيام كما عرف سابقاً، وأن سفره من غزة كان فى أوايل شهر ذى الحجة الموافق لنصف شهر فلوريال الفرنساوى فبقى باين أنه حين غدر سارى عسكر كان له واحد وثلاثون يوما فى مدينة مصر.

أنسال هل يعرف الخنجر ملغمط دم الذى قتل به سارى عسكر؟

فجاوب نعم يعرفه [وأن هذا هو بداية الذى قتل به سارى عسكر]

أنسال من أين أحضر هذا الخنجر؟ وهل أحد من الأغوات أعطاه له أم أحد خلافهم؟

فجاوب أنه ما أحد أعطاه له وإنما بحيث إنه كان قاصد قتل سارى عسكر توجه إلى سوق غزة واشترى أول سلاح شافه.

أنسال هل أن أحمد أغا أو ياسين أغا ما حدثاه أصلاه عن الوزير وعشموه بشى من طرفه إن كان يقدر يقتل سارى عسكر؟

فجاوب لا بل أنهم ذاتهم وعدوه أنهم يساعدوه فى كل ما يلزمه إن كان يخرج هذا الشى من يده.

أنسال هل إن الوزير نادى فى تلك النواحى بقتل الفرنساوية؟

فجاوب أنه لا يعلم بل يعرف أن الوزير كان أرسل طاهر باشا لأجل يعين الذين كانوا بمصر وأنه رجع حين شاف العثملى مقبلين لبر الشام من مصر.

أنسال هل هو فقط الذى توكل فى هذه الإرسالية؟

فجاوب أن تخمينه هكذا، لأن هذا الكلام قد حصل سراً ما بينه وبين الأغوات.

أنسال كيف كان يعمل حتى إنه كان يعرف الأغوات بالذى فعله؟

فجاوب أنه كان قصده يروح هو بنفسه يخبرهم أو يرسل لهم حالا ساعى.

فبعد خلاص الفحص المذكور انقرا على المتهوم وهو حرر خط يده مع المبلغ وكاتم السر والترجمان.

حرر بمصر فى اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه.

إمضا سليمان الحلبى بالعربى إمضا كاتم السر بينه.

مقابلة* المتهمين مع بعضهم.

* المواجهة بين سليمان الحلبى وبقية المتهمين.

نهار تاريخه ستة وعشرين من شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى.

أنا الواضع اسمى فيه مبلغ القضاة المنقامين لشرع كل من هو متهوم فى قتل سارى عسكر العام كليبر أحضرنا الشيخ محمد الغزى لأجل نجدد فحصه ونقابله مع سليمان الحلبى قاتل سارى عسكر ولهذا كان موجود معنا السيتوين بينه كاتم سر القضاة المذكورين، وصار كما يذكر أدناه.

**أنسال الشيخ محمد الغزى هل يعرف سليمان الحلبى الموجود ههنا؟**

فجاوب نعم.

**أنسال سليمان الحلبى هل يعرف الشيخ محمد الغزى الموجود هنا؟**

فجاوب نعم.

**أنسال محمد الغزى هل أن سليمان الحلبى ما قال له من قيمة واحد وثلاثين يوما أنه حضر من بر الشام من طرف أحمد أغا وياسين أغا لأجل يقتل سارى عسكر العام، وهل كل يوم ما حدثه فى هذا الشغل حتى إنه فى آخر يوم قال له إنه رايح إلى الجيزة حتى يغدر سارى عسكر؟**

فجاوب أن هذا ماله أصل لكن حين شافوا بعضا وقع بينهم سلام فقط ومن قبل آخر يوم الذى فيه سليمان نوى على الرواح إلى الجيزة جاب له ورق وحبر، وقال له إنه ما يرجع إلا غدا.

**قيل له إنه ما يخبر بالصحيح لأنه سليمان يحقق أنه أخبره بهذه السيرة كل يوم وأن عشية قبل غدر سارى عسكر كان قال له أنه رايح لقضا هذا الأمر؟**

فجاوب أن هذا الرجل يكذب.

أنسال هل كان يروح مرارا عديدة يبات عند الشيخ الشرقاوى وهل له فى الأيام الأخيرة ما راح بات عنده؟

فجاوب أن من حين دخول الفرنساوية ما راح أبدا بات عنده، وأما قبل دخول الفرنساوية كان يبيت عنده بعض مراراً.

فقيل له إنه ما يحكى الصحيح لأن فى فحص أمس قال إنه كان يروح امرار عديدة يبيت عند الشيخ الشرقاوى.

فجاوب أنه ما قال ذلك.

أنسال سليمان الحلبى هل يقدر يثبت على الشيخ محمد الحا ضر بأنه كل يوم كان يخبره على نيته فى قتل سارى عسكر وخصو صا عشية النهار الذى صباحه صار القتل؟

فجاوب نعم وأنه ما قال إلا الصحيح.

وأن الشيخ محمد الغزى ما كان يقر بالحق أمرنا بضربه كعادة البلد فحالا انضرب لحد أنه طلب العفو ووعد أنه يحكى على كل شى فارتفع عنه الضرب [وأنسال هكذا:]

أنسال هل سليمان أخبره على ضميره فى قتل سارى عسكر؟

فجاوب أن سليمان كان قال له إنه حضر من غزة لأجل أنه يغازى فى سبيل الله بقتل الكفرة الفرنساوية وأنه منعه عن ذلك بقوله إنه يحصل له من ذلك ضرر وما عرفه أن مراده

يغدر سارى، عسكر إلى الليلة التى راح فيها إلى الجيزة وصباحها قتله.

أنسال لأى سبب ما حضر أخبرنا على سليمان المذكور؟

فجاوب أنه أبدا ما كان يصدق أن واحدا مثل هذا يقدر على قتل سارى عسكر الذى الوزير بذاته ما قدر عليه.

أنسال هل أخبر بالذى قال له عليه سليمان لأحد من المدينة وخصوصا إلى الشيخ الشرقاوى؟

فجاوب أنه ما أخبر أحدا بذلك وحتى إذا وضعوه تحت القتل ما يقول بذلك.

أنسال هل يعرف أحدا خلاف سليمان حضر لأجل غدر الفرنساوية وأين هم قاعدين؟

فجاوب أنه ما يعرف وأن سليمان ما قال له على أحد.

أنسال سليمان المذكور أنه يشهر رفقاه أى يذكر رفقاه فى الجريمة.

فجاوب أنه لم يعرف أحداً فى مصر وأن تخمينه ما فيه غيره الذى قاصد قتل الفرنساوية.

فبعد هذا صرفنا محمد الغزى المذكور لحبسه وأبقينا سليمان لأجل نقابله مع السيد أحمد الوالى الذى حالا أحضرناه لأجل ذلك.

أنسال هل يعرف سليمان الحلبى الموجود ههنا.

فجاوب نعم.

انسال أيضا سليمان هل يعرف السيد أحمد الوالى الموجود ههنا؟

فجاوب هو أيضا نعم.

انسال السيد أحمد الوالى هل أن سليمان ما أخبره على نيته فى قتل سارى عسكر وخصو صا فى العشية التى قصد بها التوجه لذلك؟

فجاوب أن سليمان حين وصل من مدة ثلاثين يوما كان قال له إنه حضر حتى يغازى فى الكفرة وأنه نصحه عن ذلك بقوله إن هذا شى غير مناسب وما أخبره على سيرة سارى عسكر.

انسال سليمان المذكور أنه يبين هل حدثه أحمد الوالى فى قتل سارى عسكر وكم يوم له ما حدثه؟

فجاوب أنه فى أوايل وصوله قال له إنه حضر بقصد الغزو فى الكفار وأن السيد أحمد ما رضى له بذلك ثم بعد ستة أيام أخبره على نيته فى قتل سارى عسكر ومن بعد ما عاد حدثه بذلك، وقبل الغدر بأربعة أيام ما كان قابله.

فقيل للسيد أحمد الوالى إنه لم يصدق فى قوله لأنه ينكر أن سليمان ما أخبره بأنه كان ناوى يقتل سارى عسكر.

فجاوب الآن لما فكره سليمان افتكر أنه أخبره.

انسال لأى سبب ما أشهر [أبلغ عنه الشرطة] سليمان المذكور.

فجاوب أنه ما أشهره لسببين الأول انه كان يخمن أنه يكذب والثانى ما كان مستعنيه فى فعل مادة مثل هذه.

أنسال هل سليمان ما عرفه برفقاه وهل هو ما تحدث مع أحد بذلك وخصوصا مع شيخ الجامع الذى هو ملزوم يخبره بكل ما يجرى؟

فجاوب أن سليمان ما قاله له على رفقاه وهو ما أخبر بذلك أحد ولا أيضا شيخ الجامع.

أنسال هل يعرف الأمر الذى خرج من سارى عسكر العام بأن كل من شاف عثملى فى البلد يخبر عنه؟

فجاوب أنه ما درى بذلك.

أنسال هل سكن سليمان بالجامع لسبب أنه قال له على مراده فى قتل سارى عسكر؟

فجاوب لا لأن كل أهل الإسلام تقدر تسكن فى الجامع.

أنسال سليمان هل أنه ما قال بأنهم ما كانوا يريدوا يسكنوه لولا أنه قال لهم على سبب مجيه لمصر؟

فجاوب أن كامل الغربا لازم يخبروا عن سبب حضورهم وأما هو يقول الحق إن ما أحد من المشايخ ارتضى على مقصوده.

فبعد هذا أرسلنا السيد أحمد الوالى إلى حبسه وبقى سليمان الحلبى لأجل مقابلة السيد عبد الله الغزى الذى أحضرناه فى الحال.

أنسال سليمان هل يعرف السيد عبد ا الغزى الموجود ههنا؟

فجاوب نعم.

أنسال السيد عبد ا الغزى هل يعرف سليمان الموجود هھنا؟،

فجاوب نعم.

أنسال السيد عبد ا الغزى هل ما بلغه نية سليمان فى قتل سارى عسكر؟

فجاوب وأقر أن يوم حضور سليمان عرفه أنه حضر يغازى فى الكفرة، وأنه مراده يقتل سارى عسكر وأنه قصد يمنعه عن ذلك.

أنسال لأى سبب ما شكاه؟

فجاوب أنه كان يظن أن سليمان المذكور يتوجه عند المشايخ الكبار وأن المذكورين كانوا يمنعوه ولكن من الآن صار يخبر بالذين يحضرون بهذه النية.

أنسال هل يعرف أن سليمان أخبر أحدا خلافه فى مصر؟

فجاوب أن ما عنده علم بذلك.

أنسال هل يعرف أنه موجود بمصر ناس خلاف سليمان متوكلين فى قتل الفرنساوية؟

فجاوب أن ما عنده خبر وأن تخمينه لم يوجد أحد.

فبعد ذلك انقرا هذا الفحص على الأربعة المتهومين وهم سليمان الحلبى ومحمد الغزى والسيد أحمد الوالى والسيد عبد الله الغزى.

وسألوهم هل جواباتهم هذه صحيحة ولا فيها زايد ولا ناقص؟

فأربعتهم جاوبوا لا.

ثم حرروا خط يدهم معنا بالعربى برفقة الاثنين المترجمين وكاتم السر.

حرر بمدينة مصر فى اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه، إمضا المتهومين بالعربى إمضا الترجمان لوماكا إمضا دميان سومر براشويش كاتم السر وترجمان سارى عسكر العام إمضا المبلغ سارتلون إمضا كاتم السر بينه.

بعد خلاص الفحص المشروح أعلاه أنا المبلغ سارتلون سألت الأربعة المتهومين المذكورين أنهم يختاروا لهم واحد ليتكلم عنهم قدام القضاة ويحامى عنهم والمذكورون قالوا إن ما هم عارفون من يختاروا فأورينا لهم الترجمان لوماكا لأجل يمشى لهم فى ذلك.

[ حرر بمصر فى اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه.

أمضة سارتلون امضة كاتم السر بينه

بيان فحص مصطفى أفندى.

نهار تاريخه ستة وعشرين شهر بريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى.

أنا المبلغ سارتلون وبينه كاتم سر القضاة المنتشرين لشرع كل من كان له جرة فى قتل سارى عسكر العام كليبر أحضرنا مصطفى أفندى لكى نفحص منه على الذى قد حصل.

**أنسال عن اسمه وعمره ومسكنه و صنعته؟**

فجاوب بأنه يسمى مصطفى أفندى ولادة برصة فى بر أناضول وعمره واحد وثمانون سنة وساكن فى مصر، ثم صنعته معلم كتاب.

**أنسال هل من مدة شهر شاف سليمان الحلبى؟**

فجاوب أن هذا الرجل مشدوده [من طلابه] من مدة ثلاث سنين وأنه من مدة عشرة أو عشرين يوما حضر عنده وبات ليلة ومن حيث إنه رجل فقير قال له يروح يفتش له على محل غيره.

**أنسال هل سليمان المذكور ما أخبره أنه حضر من بر الشام حتى يقتل سارى عسكر العام؟**

فجاوب لا بل حضرعنده ليسلم عليه فقط لكونه معلمه من قديم.

**أنسال هل سليمان ما عرفه عن سبب حضوره لهذا الطرف وهل هو نفسه ما استخبر عن ذلك؟**

فجاوب أن كل اجتهاده كان فى أنه يصرفه من عنده بحيث أنه رجل فقير بل سأله عن سبب حضـوره فأخبـره

لأجل يتقن القراة.

أنسال هل يعرف بأن سليمان راح عند ناس من البلد وخصو صا عند أحد من المشايخ الكبار؟

فجاوب أنه لا يعرف شيا لأنه ما شافه إلا قليلا وأنه لم يقدر يخرج كثيراً من بيته بسبب ضعفه وكبره.

أنسال هل أنه ما يعلم القرآن إلا لمشاديده؟

فجاوب نعم.

أنسال هل أن القرآن ير ضي بالمغازاة ويأمر بقتل الكفرة؟

فجاوب أنه ما يعرف إيش هى المغازاة التى القرآن ينبى عنها.

أنسال هل يعلم مشاديده هذه الأشيا؟

فجاوب واحد اختيار [عجوز] مثله ماله دعوة فى هذه الأشيا بل إنه يعرف أن القرآن ينبى عن المغازة وأن كل من قتل كافرا يكسب أجراً.

أنسال هل علم هذا الغرض لسليمان؟

فجاوب أنه ما علمه إلا الكتابة فقط.

أنسال هل عنده خبر أن أمس تاريخه رجل مسلم قتل سارى عسكر الفرنساوية الذى ما هو من ملته وهل بموجب تعليم القرآن هذا الرجل فعل طيب ومقبول عند النبى محمد؟

فجاوب أن القاتل يقتل وأما هو يظن أن شرف الفرنساوية هو من شرف الإسلام وإذا كان القرآن يقول غيره شيًا هو ماله علاقة.

فحالا قدمنا سليمان المذكور وقابلناه بمصطفى أفندى.

ثم سألناه هل شاف مصطفى أفندى مرارا كثيرة، وهل بلغه عن نيته؟

فجاوب أنه ما شافه سوى مرة واحدة لأجل أنه يسلم عليه بحيث أنه معلمه القديم وبما أنه رجل اختيار وضعيف قوى ما رأى مناسب يخبره عن ضميره.

انسال هل هو من ملة المغازين وهل أن المشايخ سمحوا له فى قتل الكفار فى مصر ليكتب له أجر ويقبل عند النبى محمد؟

فجاوب أنه ما فتح سيرة المغازاة إلا إلى الأربعة مشايخ فقط الذين سماهم.

انسال هل أنه ما تحدث مع الشيخ الشرقاوى فجاوب أنه ما شاف هذا الشيخ لأنه ما هو من ملته مذهبه بسبب أن الشيخ الشرقاوى شافعى وهو حنفى.

فبعد هذا قرينا على سليمان ومصطفى أفندى إقرارهم هذا فجاوبوا أن هذا هو الحق وما عندهم ما يزيدوا ولا ينقصوا ثم حرروا خط يدهم برفقة الترجمان ونحن.

حرر بمصر فى اليوم الشهر والسنة المحررة أعلاه إمضا لوماكا الترجمان إمضا سارتلون إمضا كاتم السر بينه.

هذه الرواية المنقولة فى اليوم السابع والعشرين من شهر بريال السنة الثامنة من إقامة الجمهور الفرنساوى عن الوكيل سارتلون بحضور مجمع القضا المفوضين لمحاكمة قاتل سارى عسكر العام كليبر وأيضاً لمحاكمة شركا القاتل المذكور.

يا أيها القضاة إن المناحة العامة والحزن العظيم الذى نحن مشتملون بهما الآن يخبران بعظم الخسران الذى حصل الآن بعسكرنا لأن سارى عسكرنا فى وسط نصراته وماجده ارتفع بغتة من بيننا بحد يد قاتل رذيل ومن يد مستأجره من كبرا ذوى الخيانة والغيرة الخبيثة والآن أنا معين ومأمور لاستدعا الانتقام للمقتول، وذلك بموجب الشريعة، من القاتل المسفور وشركاه كمثل أشنع المخلوقات، لكن دعونى ولو لحظة خالطا فيض دموع عينى وحسراتى بدموعكم ولوعاتكم التى سببها هذا المفدى الأسيف والمكرم المنيف فقلبى احتسب جدا اهتياجه لتأدية تلك الجزية لمستحقها، فوظيفتى كأنها ليست فى الرؤية إلا ألما بتغريق المهيب بماء هذه المصنوعة الشنيعة التى بوقوعها ارتبكت. سمعتم الآن قراءة إعلام وفحص المتهمين وباقى المكتوبات عما جرى منهم، وقط ما ظهر سيئة أظهر من هذه السيئة التى أنتم محاكمون فيها من صفة الغدارين ببيان الشهود وإقرار القاتل وشركاه، والحاصل كل شى متحد ورامى الضيا المهيب لمناورة ذا القتل الكريه إنى أنا راوى لكم سرعة الأعمال جاهد نفسى أن ظفرت لمنع غضبى منهم منها فلتعلم بلاد الروم والدنيا بكمالها أن الوزير الأعظم سلطنة العثمانية وروسا جنود عسكرها رذلوا أنفسهم حتى أرسلوا قاتل معدوم العرض إلى الجرىء والأنجب كليبر الذى

لا استطاعوا بتقهيره. وكذلك ضموا إلى عيوب مغلوبيتهم المجرم الظالم بالذى ترأسوا قبل السما والأرض. تذكروا جملتكم تلك الثول [الشراذم] العثمانية المحاربين من إسلامبول ومن أقاصى أرض الروم وأناضول واصلين منذ ثلاثة شهور بواسطة الوزير لتسخير وضبط بر مصر وطالبين تخليتها بموجب الشروط الذى بمتفقهم بذاتهم مانعوا إجراهم، والوزير أغرق بر مصر وبر الشام بمناداته مستدعى بها قتل عام الفرنساوية، وعلى الخصوص هو عطشان لانتقامه لقتل سر عسكرهم.

وفى لحظة الذين هم أهالى مصر محتفين بأغويات الوزير كانوا محرومين شفقات ومكارم نصيرهم، وفى دقيقة الذين هم أسارى ومجروحين العثملية هم مقبولين ومرعيين فى دور ضيوفنا وضعفانا تقيد الوزير بكل وجوه بتكميل سو غفارته تلوه منذ زمان طويل.

واستخدم لذلك أغا مغضوبا منه ووعد له إعادة لطفه وحفظ رأسه الذى كان باخطر إن كان يرتضى بذات الصنع الشنيع.

وهذا المغوى هو أحمد المحبوس بغزة منذ ما ضبط العريش وذهب للقدس بعد انهزام الوزير فى أوايل شهر جرمينال الماضى والأغا المرقوم محبوس هناك بدار متسلم البلد وفى ذلك الملجا، فهو مفتكر بإجرا السو الخبيث الذى يستثقل التقدير لا فهيم ولا معه تدبير سيما هو عامل شى لإجرا انتقام الوزير.

وسليمان الحلبى شب مجنون وعمره أربعة وعشرون سنة، وقد كان بلاريب متدنس بالخطايا ظهر عند ذا الأغا يوم وصوله القدس ويترجى صيانته لحراسة أبيه تاجر بحلب من أذيات إبراهيم باشا والى حلب، يرجع له سليمان يوم غدره، فقد كان استفتش الأغا عن احتيال أصل وفصل ذا الشب المجنون وعلم أنه مشتغل بجامع بين قراء القرآن وأنه هو الآن بالقدس للزيارة وأنه حج سابقا بالحرمين وأن العتَة النسكى هو منصوب فى أعلى رأسه المضطرب من زيغاته وجهالاته بكمالة إسلامه وباعتماده أن المسمى منه جهاد هو تهليك غير المؤمنين فمما أنهى وأيقن أن هذا هو الإيمان.

ومن ذلك الآن ما بقى تردد أحمد أغا فى بيان ما نوى منه فوعد له حمايته وإنعامه، وفى الحال أرسله إلى ياسين أغا ضابط مقدار من جيوش الوزير بغزة وبعثه بعد أيام لمعاملته وأقبضه الدراهم اللازمة له.

وسليمان قد امتلا من خباثته وسلك بالطرق فمكث واحدا وعشرين يوما فى بلد الخليل بحبرون منتظراً فيه قافلة لذهاب البادية وكل مستعجل.

ووصل غزة فى أوايل شهر فلوريال الماضى وياسين أغا سكنه بالجامع لاستخدام غيرته المجنون وتواجهه مراراً وتكراراً بالنهار والليل مدة عشرة أيام مكثه بغزة يعلمه. وبعد ما أعطاه أربعين قرشا أسديا ركبه بعقيبة الهجين الذى وصل مصر بعد ستة أيام، وممتن بخنجر دخل بأواسط شهرنا فلوريال إلى مصر التى قد سكنها سابقا ثلاث سنين وسكن

بموجب تربياته بالجامع الكبير ويتحضر فيه للسيئة التى هو مبعوث لها.

ويستدعى الرب تعالى بالمناداة وكتب المناجاة وتعليقها بالسور مكانه بالجامع المذكور أعلاه وتأنس مع الأربعة مشايخ الذين قروا القرآن مثله وهم مثله مولودين ببر الشام وسليمان أخبرهم بسبب مراسلته وكان كل ساعة معهم متامرين به لكن ممنوعين بصعبة ومخطرات المواجدة الواحدة وهم: محمد الغزى والسيد أحمد الوالى وعبد الله الغزى وعبد القادر الغزى هم معتمدين سليمان بارتهان ما نواه ولا عاملوا شى لممانعته أو لبيانه وعن مداومة سكوتهم به صاروا مسامحين ومشتركين فى قبحة.

القاتل هو منتظر واحد وثلاثين يوم معدودة بمصر فعقبة جزَم توجهه إلى الجيزة، وبذاك اليوم اعتمد سره إلى الشركا المذكورين أعلاه، وكان كل شى صار مسهل جرم القاتل بمصنوعته الشنيعة.

وبيوم الغدرة طلع السر عسكر من الجيزة متوجها مصر وسليمان طوى الطرق ولحقه هلقدر حتى لزم أن يطردوه مراراً مختلفة لكن هو المكار عقيب غدار تعدا.

وفى يوم الخامس والعشرين من شهرنا الجارى وصل واختفى فى جنينة السر عسكر لتقبيل يده فالسر عسكر لا أبى عن قيافة فقره، وفى حال ما السر عسكر ترك له يده ضربه سليمان بخنجره ثلاثة جروح وقصد الستين بروتاين الذى هو ريس المعمار ومصاحب العرفا وجاهد لحماية السر

عسكر لكن ما نفع جسارته فهو بذاته وقع أيضًا مجروح عن يد القاتل المسفور بستة جروحات وبقى لا مستطيع شى وهكذا وقع بلا صيانة، وهو الذى كان من الأماجد فى الحرب ومخاطرات الغزا، وهو أول الذين مضوا برياسة عسكر دولة الجمهور الفرنساوى المنصور الرهن الرهين، وهو فتح ثانيا بر مصر حينئذ بهجوم سحايب من العثمانية، فكيف اقتدر واضم الوجع العميق الجملة إلى دموع الأجناد إلى لوعات الرويسا وجميع الجنرالية أصحابه بالمجاهدة والمماجدة بالمناحة وموالهة العسكر، أنتم جميعاً تنعوه والمحاسنات تستاهله وتنبغى له، والقاتل سليمان ما قدر يهرب من مغاشاة الجيوش غَضُو بين له والدم ظاهر فى ثيابه وخنجره واضطرابه ووحشة وجهه وحاله كشفوا جرمه وهو بالذات مقر بذنبه بلسانه ومسمى شركاه. وهو كمادح نفسه للقتل الكريه صنع يديه وهو مستريح بجواباته للمسايل وينظر محاضر سياسات عذابه بعين رفية، والرفاهية هى الشمر المحصول من العصمة والتفاوه، فكيف تظهر بوجوة الآثمين ومساحينهم، وشركا سليمان الأثيم كانوا مرتهنين سره للقتل الذى حصل من غفلتهم وسكوتهم قالوا باطلا إنهم ما صدقوا سليمان هو مستعدد بذا الإثم، وقالوا باطلا أيضًا أن لو كانوا صدقوا ذا المجنون كانوا فى الحال شايعين خيانته. لكن الأعمال شهود تزور وتنبى أنهم قابلوا القاتل وما غيروا له نية إلا خوف مهلكتهم ومصممين تهلكة غيرهم ولا هم مستعذرين وجها من الوجوه.

لا أحكى لكم شى عن مصطفى أفندى [البرصلى] بما أن لا ظهر شى عند ذلك الشيب يثبت معا قرته.

بشكل العذاب اللايق للمذنبين هو تحت اصطفاكم بموجب الأمر من الذى أنتم مأمورون بعقيبه لمحاكمة السيئين وأظن أن يليق أن تصنعوا لهم من العذابات العادية ببلاد مصر، ولكن عظمة الإثم تستدعى أن يصير عذابه مهيب، فإن سألتمونى أجبت أنه يستحق الخوزقة وإن قبل كل شي تحترق يد ذا الرجل الأثيم وأنه هو يموت بإعذابه ويبقى جسده لمأكول الطيور.

وبجهة المسامحين له [أى المحرضين له] يستحقون الموت لكن بغير عقوبة كما قلت لكم ونبهت فليعلم الوزير والعثملية الظالمين تحت أمره حد جزا الآثمين الذين ارتكبوا بقصد انتقامهم لعدم المروة أنهم عدموا من عسكرنا واحد مقدام سبب دايم دموعنا ولوعتنا الأبدية فلا يحسبوا ولا يأملوا بإقلال جزانا إنماخليفة السر عسكر المرحوم هو رجل قد شهر شجاعة ومضى قدما بصفا ضمير منير وهو مشار إليه بالبنان لمعرفته بتدبير الجنود والجمهور المنصور وهو يهدينا بالنصرة، وأما أوليك المعدومين القلب والعرض فلا احمرت وجوههم بانتقامهم وانهزامهم باق ثم عدم اعتبارهم بالتواريخ لأبدانهم باقين بالرذالة لا نفع لهم قدام العالم إلا اكتساب خجالتهم.

وعلى المبالاة حالا كشفتها لكم أثبت محاكمات كما يأتى بيانها.

أولا: أن سليمان الحلبى مثبت اسمه الكريه بقتل* السر عسكر كليبر فلهذا هو يكون مدحوض بتحريق يده اليمنى

* الحكم فى قضية مقتل كليبر.

وبتخزيقه حتى يموت فوق خازوقه وجيفته باقية فيه لمأكولات الطيور.

ثانيًا: أن الثلاثة مشايخ المسمين محمد الغزى وعبد الله الغزى وأحمد الغزى يكونون متبينين منكم أنهم شركا لهذا القاتل فلذلك يكونون مدحوضين بقطع روسهم.

ثالثًا: أن الشيخ [سعيد] عبد القادر الغزى يكون مدحوضا بذلك العذاب [هارب].

رابعاً: أن إجرا عذابهم يصير بعودة المجتمعين لتدفين السر عسكر وأمام العسكر وناس البلد لذاك الفعل موجودين فيه.

خامسًا: أن مصطفى أفندى تبين غير مثبوت مسامحته [بقتل كليبر] وهو مطلوق إلى ما نوى.

سادسًا: أن ذا الأعلام وبيناته وما جرى يطبع فى خمسة نسخ ويؤول [يترجم] من لسان الفرنساوى بالعربى والتركى لتلزيقها بمحلات بلاد بر مصر بكمالها بموجب المأمور.

حرر بمصر القاهرة في اليوم السابع وعشرين من شهرنا برريال سنة ثمانية من إقامة الجمهور المنصور.

ممضى سارتلون.

(الفتوى الخارجة من طرف ديوان القضاة المنتشرين بأمر سارى عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنساوية فى مصر لأجل شرعية كل من له جرة فى غدر وقتل سارى عسكر العام كليبر).

فى السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى وفى اليوم السابع وعشرين من شهر برريال اجتمعوا فى بيت سارى عسكر رينيه المذكور وسارى عسكر روبين ودفتردار البحر لرو، والجنرال ماتينه والجنرال مورانه وريس العسكر جوجة وريس المدافع فاور وريس المعمار برترنه، والوكيل رجينه، والدفتردار سارتلون فى رتبة مبلغ، والوكيل لبهر فى رتبة وكيل الجمهور، والوكيل بينه فى رتبة كاتم السر، وهذا ما صار حكم أمر سارى عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنساوية الذى صدر أمس وأقام القضاة المذكورين لكى يشرعوا على الذى قتل سارى عسكر العام كليبر فى اليوم الخامس والعشرين من الشهر ولكى يحكموا عليه بمعرفتهم.

فحين اجتمعوا القضاة المذكورين وسارى عسكر رينيه الذى هو شيخهم أمر بقراءة الأمر المذكور أعلاه الخارج من يد سارى عسكر منو ثم بعده المبلغ قرا كامل الفحص والتفتيش الذى صدر منه فى حق المتهومين وهم سليمان الحلبى والسيد [سعيد] عبد القادر الغزى [هارب] ومحمد الغزى وعبد الله الغزى وأحمد الوالى ومصطفى أفندى.

فبعد قراءة ذلك أمر سارى عسكر رينيه بحضور المتهومين المذكورين قدام القضاة وهم من غير قيد ولا رباط بحضور وكيلهم والأبواب مفتتحة قدام كامل الموجودين فحين حضروا سارى عسكر رينيه وكامل القضاة سألوهم جملة سؤالات وهذا بواسطة الخواجا براشويش الترجمان، فهم ما جاوبوا إلا بالذى كانوا قالوه حين انفحصوا فسارى عسكر

رينيه سألهم أيضًا إن كان مرادهم يقولوا شى مناسب لتبريتهم، فما جاوبوه بشى، فحالا سارى عسكر المذكور أمر بردهم إلى الحبس مع الغفرا عليهم.

ثم إن سارى عسكر رينيه التفت إلى القضاة وسألهم إيش رأيهم فى عدم حديث المتهومين وأمر بخروج كامل الناس من الديوان وقفل المحل عليهم لأجل يستشاروا بعضهم من غيرأن أحدًا يسمعهم.

ثم انوضع أول سؤال وقال: سليمان الحلبى ابن أربع وعشرين سنة وساكن بحلب متهوم بقتل سارى عسكر العام وجرح السيتوين بروتاين المهندس وهذا صار فى جنينة سارى عسكر العام فى خمسة وعشرين من الشهر الجارى فهل هو مذنب؟

فالقضاة المذكورون ردوا كل واحد منهم لوحده والجميع بقول واحد إن سليمان الحلبى مذنب.

والسؤال الثانى، السيد عبد القادر الغزى مقرى قرآن فى الجامع الأزهر ولادة غزة وساكن فى مصر متهوم بأنه بلغه بالسر فى غدر سارى عسكر العام وما بلغ ذلك وقصد الهروب فهل هو مذنب؟.

فالقضاة جاوبوا تماما إنه مذنب.

ثم وضع السؤال الثالث، وقال: محمد الغزى ابن خمسة وعشرين سنة ولادة غزة وساكن فى مصر مقرى قرآن فى الجامع الأزهر متهوم أنه بلغه بالسر فى غدر سارى عسكر

وأنه حين ذلك الغادر كان نوى الرواح لقضا فعله بلغه أيضاً وهو ما عرف أحداً بذلك فهل هو مذنب؟

فالقضاة جاوبوا تماماً أنه مذنب.

السؤال الرابع، عبد الله الغزى ابن ثلاثين سنة ولادة غزة ومقرى قرآن فى الجامع الأزهر متهوم أنه كان يعرف فى غدر سارى عسكر وأنه ما بلغ أحداً بذلك فهل هو مذنب؟

فالقضاة جاوبوا تماما إنه مذنب.

السؤال الخامس، أحمد الوالى ولادة غزة مقرى قرآن فى جامع الأزهر متهوم أن عنده خبر فى غدر سارى عسكر وأنه ما بلغ أحداً بذلك فهل هو مذنب؟

فالقضاة جاوبوا تماما إنه مذنب.

السؤال السادس، مصطفى أفندى ولادة برصة فى بر أناضول عمره واحد وثمانون سنة ساكن فى مصر معلم كتّاب ما عنده خبر بغدر سارى عسكر فهل هو مذنب؟

فالقضاة تماما جاوبوا بأنه غير مذنب وأمروا بإطلاقه.

فبعد ذلك القاضى وكيل الجمهور طلب أنهم يفتوا بالموت على المذنبين أعلاه فالقضاة تشاوروا مع بعضهم ليعتمدوا على جنس عذاب لايق لموت المذنبين أعلاه.

ثم بدوا بقراة خامس مادة من الأمر الذى أخرجه أمس سارى عسكر منو بسبب ذلك والذى بموجبه أقامهم قضاة فى فحص وموت كل من كان له جرة فى غدر وقتل

سارى عسكر العام كليبر، ثم اتفقوا جميعهم أن يعذبوا المذنبين [بعذاب من العذابات المعتادة بالبلد الأعظم المذنبين] ويكون لايق للذنب الذى صدر وأفتوا أن سليمان الحلبى تحرق يده اليمين* وبعده يتخوزق ويبقى على الخازوق لحين تاكل رمته الطيور، وهذا يكون فوق التل الذى برا قاسم بك ويسمى تل العقارب بعد دفن سارى عسكر العام كليبر وقدام كامل العسكر وأهل البلد الموجودين فى المشهد.

ثم أفتوا بموت السيد عبد القادر الغزى [هارب] مذنب أيضاً كما ذكر أعلاه، وكل ما تحكم يده عليه يكون حلالا للجمهور الفرنساوى، ثم هذه الفتوى الشرعية تكتب وتوضع فوق النبوت الذى مختص بوضع رأسه.

وأيضًا أفتوا على محمد الغزى وعبد الله الغزى وأحمد الوالى أن تقطع روسهم وتوضع على نبابيت وجسمهم يحرق بالنار وهذا يصير فى المحل المعين أعلاه، ويكون ذلك قدام سليمان الحلبى قبل أن يجرى فيه شى،

هذه الشريعة والفتوى لازم ينطبعوا باللغة التركية والعربية والفرنساوية من كل لغة قدر خمسماية نسخة لكى يرسلوا ويتعلقوا فى المحلات اللازمة والمبلغ يكون مشهل فى هذه الفتوى.

تحريراً فى مدينة مصر فى اليوم والشهر والسنة المحررين أعلاه.

* ذكرت اللجنة التى حاكمت سليمان الحلبى ورفاقه قولها: لقد اختارت بالإجماع نوعًا من العذاب، يستخدم فى البلاد بالنسبة للمجرمين الكبار، ويناسب فداحه الجرم، ولهذا فقد حكمت على سليمان الحلبى بأن يحرق معصم يده اليمنى، ثم يغرس فى مؤخرته وتد ليخترق أمعاءه، ثم يترك وحيدا وبه الوتد إلى أن تأتى الغربان والطيور الجارحة لتنهش جسده. ونفذ هذا الإعدام على تل حصن المجمع فور دفن القائد العام كليبر، أمام جنود الجيش وسكان القاهرة المتجمعين لتشييع الجنازة.

وقد حكمت غيابيا بالإعدام على سعيد عبد القادر الغزى ومصادرة أمواله لصالح الجمهورية الفرنسية على أن تعلق وثيقة الحكم على الصارى المخصص لتعليق رأسه به، وحكمت على محمد الغزى وعبد الله الغزى وأحمد الوالى بقطع روسهم وعرضها فى مكان اعدام المذنبين ............
وقد وقعه جميع أعضاء اللجنة وكاتب المحكمة.
كوريبه دى ليجيبت بعدد رقم ٧١ ، ص٢٦٩..

ثم إن القضاة حطوا خط يدهم بأسمايهم برفقة كاتم السر.

ممضى فى أصله أمضه: الوكيل رجليه. امضه : ريس المدافع فاور. امضه : ريس المعمار برتراند. امضه : ريس العسكر جوجه. امضه: الجنرال موراند. امضه: الجنرل مارتينه. امضه: دفتردار البحرلروا. امضه: صارى عسكر روبين. امضه: صارى عسكر رينيه. امضه: كاتم السربينه.

ثم هذه الشريعة والفتوى انقرت وتفسرت على المذنبين بواسطة السيتوين لوماكا الترجمان قبل قصاصهم، فهم جاوبوا أن ما عندهم شى يزيدوا ولا ينقصوا على الذى أقروا به فى الأول.

فحالا قضوا أمرهم فى ثمانية وعشرين من شهر برريال حكم الاتفاق وقبل نصف النهار بساعة واحدة.

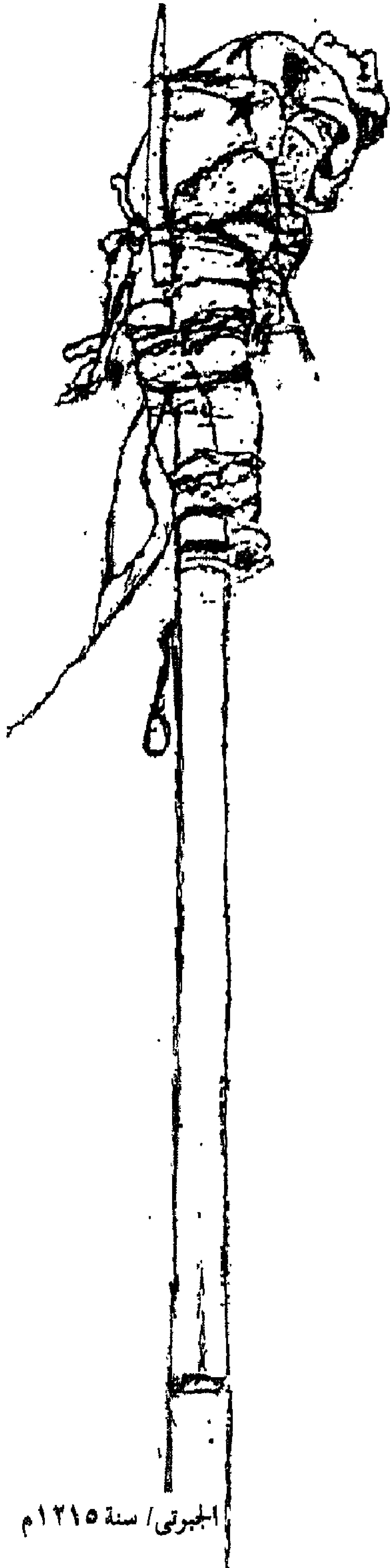
حرر بمصر فى ثمانية وعشرين برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى.

ثم ختموا بأصله الدفتردار سارتلون وكاتم السر بينة وهذه نسخة من الأصل إمضا بينه كاتم السر (ا . هـ).

وهذا آخر ما كتبوه فى خصوص هذه القضية ورسموه وطبعوه بالحرف الواحد ولم أغير شيًا مما رقم إذ لست ممن يحرف الكلم وما فيه من تحريف فهو كما فى الأصل والله أعلم وأحكم.

ولما فرغوا من ذلك اشتغلوا بأمر سارى عسكرهم المقتول، وذلك بعد موته بثلاثة أيام كما ذكر ونصبوا مكانه عبد الله

* سليمان الحلبى على الخازوق.



جاك منو ونادوا ليلة الرابع من قتله وهى ليلة الثلاثا خامس عشرين المحرم فى المدينة بالكنس والرش فى جهات حكام الشرطة.

فلما أصبحوا اجتمع عساكرهم وأكابرهم وطايفة عينها القبط والشوام، وخرجوا بموكب مشهده ركبانا *ومشاة وقد وضعوه فى صندوق من رصاص مسنم الغطا ووضعوا ذلك الصندوق على عربة وعليه برنيطته وسيفه والخنجر الذى قتل به وهو مغموس بدمه وعملوا على العربة أربعة بيارق صغار فى أركانها معمولة بشعر أسود، ويضربون بطبولهم بغير الطريقة المعتادة وعلى الطبول خرق سود، والعسكر بأيديهم البنادق وهى منكسة إلى أسفل وكل شخص منهم معصب ذراعة بخرقة حرير سودا ولبسوا ذلك الصندوق بالقطيفة السودا وعليها قصب مخيش، وضربوا عند خروج الجنازة مدافع وبنادق كثيرة وخرجوا من بيت الأزبكية على باب الخرق إلى درب الجماميز إلى جهة الناصرية، فلما وصلوا إلى تل العقارب حيث القلعة التى بنوها هناك ضربوا عدة مدافع، وكان أحضروا سليمان الحلبى والثلاثة المذكورين فأمضوا فيهم ما قدر عليهم، ثم ساروا بالجنازة إلى أن وصلوا باب قصر العينى فرفعوا ذلك الصندوق ووضعوه على علوة من التراب بوسط تخشيبة صنعوها وأعدوها لذلك وعملوا حولها درابزين وفوقه كسا أبيض وزرعوا حوله أعواد سرو ووقف عند بابها شخصان من العسكر ببنادقهما ملازمان ليلا ونهاراً يتناوبان الملازمة على الدوام وانقضى أمره واستقر عوضه فى السر عسكرية قايمقام عبد الله جاك منو وهو الذى كان متولى على رشيد

* الجنازة العسكرية لجثة كليبر وو صف جريدة كوربيه لها..
القاهرة
جنازة الجنرال كليبر
منذ اللحظة التى فارق فيها الجنرال كليبر الحياة ظلت قذائف المدفعية تنطلق مرة فى كل نصف ساعة، وفى صباح ٢٨ بريريال أطلقت مدافع القلعة وأعقبها مدافع الحصون جميعها ايذانا بأن الجيش سوف يؤدى التحية الجنائزية.
بدأ تشييع الجنازة من مقر القيادة العامة فى ميدان الأزبكية وسط دوى المدافع وطلقات البنادق تحية للفقيد فى موكب اجتاز المدينة إلى المعسكر المسمى بمعسكر «إبراهيم بك» لدفن جثمانه هناك.
كان الموكب يسير بالنظام التالى:
فى المقدمة: فيلق من الفرسان.
خمس مدافع ميدان.
جنود المشاة من اللواء الثانى عشر.
جنود الفرسان من الفيلق الأول للفرسان.
المرشدون وهم مترجلون.
فرق موسيقية مختلفة تصدح موسيقاها الحزينة بالتناوب.
جثمان الجنرال الراحل كليبر داخل تابوت من الرصاص محمولا على عربة مكسوة ببساط من القطيفة السوداء ومزركشة بما يشبه قطرات الدموع الفضية اللون وعليه خوذة الجنرال وسيفه. وكانت العربة تجرها ستة جياد مكسوة بقماش من الجوخ

من قدومهم وقد كان ظهر أنه أسلم وتسمى بعبد الله وتزوج بامرأة مسلمة* وقلدوا عوضه فى قايمقاميه بليار.

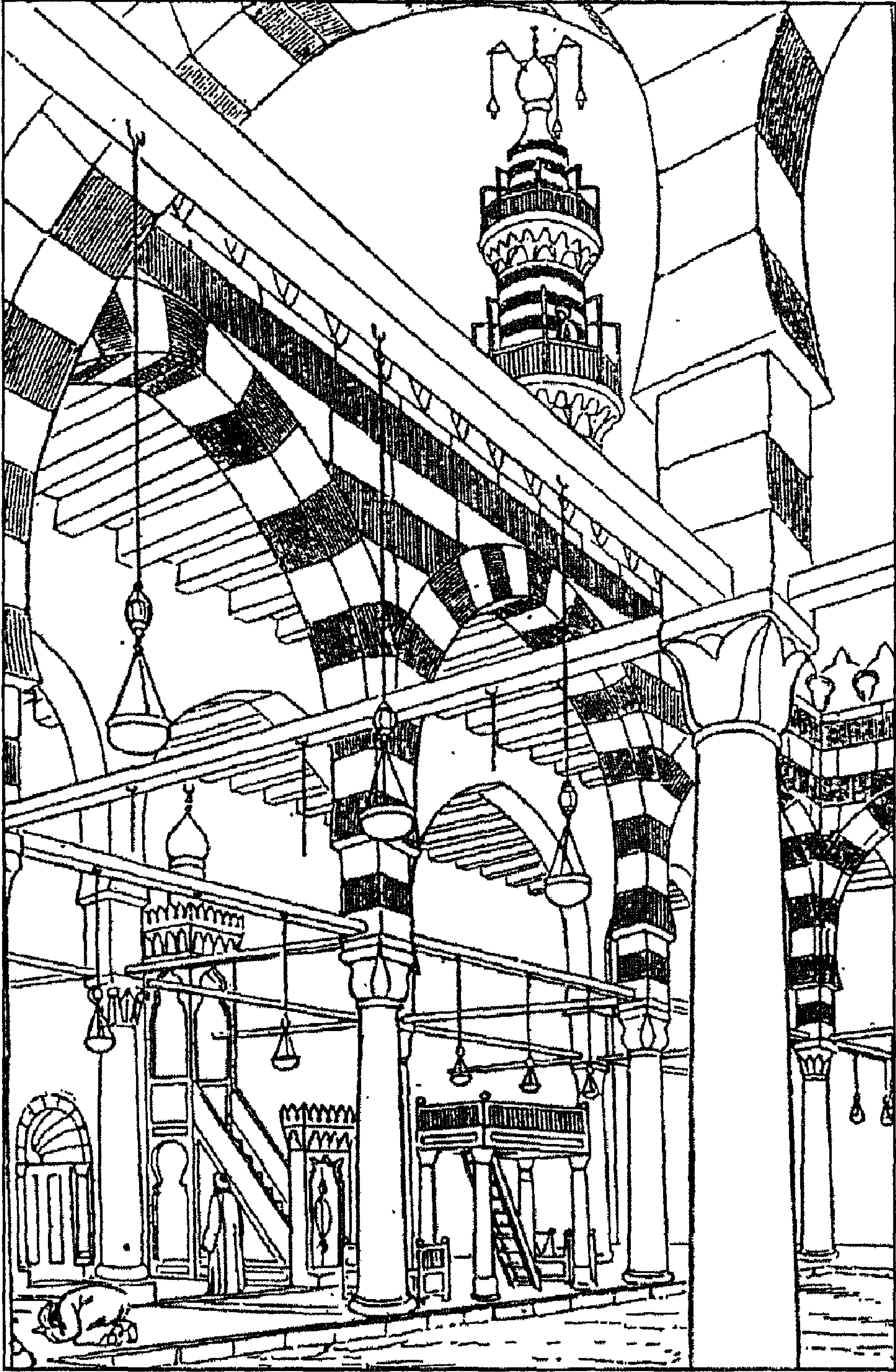
فلما أصبح ثاني يوم حضر قايمقام والأغا إلى الأزهر ودخلا إليه وشقا فى جهاته وأروقته وزواياه بحضرة المشايخ.

وفي يوم الخميس حضر سارى عسكر عبد الله جاك منو وقايمقام والأغا وطافوا به أيضاً وأرادوا حفر أماكن للتفتيش على السلاح ونحو ذلك ثم ذهبوا فشرعت المجاورون به في نقل أمتعتهم منه ونقل كتبهم وإخلا الأروقة، ونقلوا الكتب الموقوفة بها إلى أماكن خارج عن الجامع، وكتبوا أسما المجاورين في ورقة وأمروهم أن لا يبيت عندهم غريب ولا يؤوا إليهم آفاقيا مطلقا، وأخرجوا منه المجاورين من طايفة الترك

---

الأسود ورؤوسها مزينة بخصل من الريش الأبيض.
ثم القائد العام مينو يحيط به القادة وهيئة أركان الحرب العامة ومعاونو الجنرال الراحل كليبر، يليهم الجنرال قائد الحامية وأركان حربه. ثم:
سلاح المهندسين.
أعضاء المجمع.
مندوبو الحروب.
ضباط الصحة.
رجال الإدارات.
فيلق المرشدين على ظهور الخيل.
حسن كاشف مندوب مراد بك بصحبة مماليكه.
الأغاوات والقاضي والمشايخ والعلماء المطارنة والقساوسة والرهبان اليونانيون الأقباط والكاثوليك.
مختلف الهيئات الممثلة فى المدينة.
جنود الفرقة التاسعة.
جنود الفرقة الثالثة عشرة.
البحرية.
جنود المطافيء.
جنود فرقة المناطيد.
الهجانة.
منشأة المدفعية
الفيلق اليوناني.
الجنود الأقباط.
فرقة الخيالة.
المماليك والسوريون وهم يمتطون ظهور الخيل. وكان جنود فرقة الفرسان الفرنسية في نهاية الموكب الذى وصل فى الساعة الحادية عشرة إلى ساحة حصن المجمع.
ثم أدت الفرق بعض المناورات العسكرية التى أعقبتها خمس طلقات من المدافع ورصاص البنادق.
ثم تقدمت العربة تحمل الجثمان ويتبعها المشيعون ويسيرون خلفها وعلى جانبيها بالنظام السالف الذكر، وأحيطت جوانب المكان بأقمشة ذات اللون الجنائزى، ثم وضع تابوت الجنرال وسط هذه الأكمة على قاعدة أضيئت من حولها الشموع فى داخل شمعدان أثرية.
وترجل ضباط أركان الحرب العام لتحية الجثمان، ثم توافد للتحية أيضاً العسكريون من مختلف الفرق والرتب يلقون على قبره أكاليل الزهور والورود. وبعد ذلك توجه المواطن فورييه المندوب الفرنسي لدى الديوان الذى كلفه القائد العام بتأبين الفقيد ومعه ضباط هيئة أركان الحرب العامة وكبار الضباط العسكريين والمدنيين فى القاهرة إلى أحد المرتفعات المطلة على الجنود وهم مصطفون فى طوابير.

* جاك مينو يشهر إسلامه ويتزوج بمسلمة..
وثيقة زواج الجنرال منو بالسيد زبيدة المصرية. كما اكتشفها العلامة على بك بهجت في دفتر محكمة رشيد الشرعية:
«بمحضر كل من مولانا العلامة السيد أحمد الخضرى المفتى الشافعى، ومولانا الشيخ محمد صديق النائب والمفتي الحنبلي، ومولانا السيد محمد غرا النائب والمفتى المالكى، والسيد أحمد بدوى نقيب الأشراف حالا، والأمير محمد بدوى جوريجى سردار مستحفظان، وأحمد آبق جاويش مستحفظان، والحاج أحمد جاويش العسال، والحاج محمود اللبومى المغربى، وإبراهيم الجمال الرزاز، والحاج محمد ميتو وعبد الله بربير، والحاج بدوى الشنشاوى، وازون إسماعيل السلانكى، وعلى جاويش كتخدا البيك دام كمالهم.
«بعد أن أقر واعترف منو باشا سارى عسكر بالقطر المصرى حالا بصريح لفظه وفصيح نطقه بكلمتى



* الجامع الازهر من الداخل.

* شروط زواج عبد الله چاك مينو.

الشهادتين وهما أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله عارفاً معتقداً معناهما ومصدقاً بمضمونهما تاركاً لدين النصرانية والأديان الردية على الترتيب والولا وإعادة التشهد واستيفا الشروط المعتبرة فيهما شرعاً طايعاً مختاراً من غير إكراه ولا إجبار وبمقتضى ذلك صار له ما للمسلمين وعليه ما عليهم وظهر منه الرغبة والحب للمسلمين والميل إليهم وسمى نفسه عبد الله باشا وأشهد على نفسه الجماعة المذكورين بجميع ذلك إشهاداً شرعياً ثم بعد ذلك رغب عبد الله باشا المذكور في تزوجه بامرأة مسلمة فخطبها خطبة شرعية وأجيب إلى ذلك بعد إبرازه لفتيا شريفة لفظ سؤالها ما قولكم دام فضلكم في رجل أحب الإسلام وأهله ورغب فيهما تاركاً لدين النصرانية ناطقاً بكلمتي الشهادتين مصدقاً على الوجه الأكمل ثم أراد أن يتزوج امرأة مسلمة على كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم فهل يجوز له حينئذ التزوج بها والعقد عليها بشروطه الشرعية أفيدوا الجواب، وبأدناه الحمد لله حيث كان الحال ما شرح في السؤال فيجوز للرجل المسلم المذكور خطبة المرأة المسلمة والعقد عليها بشروطه الشرعية والله أعلم كتبه العبد الفقير أحمد الخضرى الشافعي لطف الله به وبأدناه الحمد لله حيث أقر الرجل المذكور بالشهادتين بشروطهما الشرعية فيجوز له أن يعقد على المرأة المسلمة عقداً شرعياً مستوفياً لشرايطه الشرعية والله سبحانه وتعالى هو الموفق كتبه الفقير محمد صديق الحنبلي عفي عنه وبأدناه الحمد لله حيث رغب الرجل المذكور في الإسلام ونطق بكلمتي التوحيد جاز له أن يتزوج المرأة المسلمة وأن يعقد عليها العقد الشرعي بشروطه الشرعية والله أعلم كتبه الفقير محمد غرا المالكي غفر له وعفي عنه.

فبمحضر كل من ذكر أعلاه تزوج عبد الله باشا المذكور بمخطوبته زبيدة المرأة بنت محمد البواب التي كانت زوجاً لسليم أغا نعمة الله وطلقها وانقضت عدتها منه شرعاً على كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم وصداق جملته ألفا ريال اثنتان معاملة ومائة دينار ذهباً محبوباً فالحال لها من ذلك المائة دينار المذكورة أقبضها لوكيلها الحاج حسين بن السيد محمد الموقت فقبض منه ذلك عداً بالمجلس بمعاينة من ذكر أعلاه وعليه الخروج من عهدة ذلك لها شرعاً والباقي ألف ريال الاثنان يحلان لها عليه بموت أو فراق زوجها له بذلك، وعقد نكاحها عليه وكيلها الحاج حسين الموقت المرقوم، بإذنها له في ذلك بشهادة كل من أخيها لأمها السيد على الحمامى بن حسن البواب والسيد أحمد وشقيقه السيد إبراهيم المكلف كل منهما ابنى السيد سليمان النقرزان تزويجاً شرعياً قبله للزوج المرقوم وكيله الحاج أحمد شهاب حسبما وكله صريحاً بالمجلس بشهادة شهوده المذكورين، وعلى عبد الله باشا الزوج المذكور القيام لزوجته المذكورة في كل سنة تمضى من تاريخه أدناه بقضاء كسوة أقمشة شتاء وصيفاً لائقين بحالها القيام الشرعي، وثبت ذلك لدى مولانا أفندى بعد أن ثبت لديه معرفة زبيدة المذكورة المعرفة الشرعية التي لا جهالة معها شرعاً بشهادة كل من شهود توكيلها المذكورين ثبوتاً شرعياً وحكم بموجبه حكماً شرعياً في الخامس والعشرين من رمضان سنة ثلاثة عشرة ومائتين وألف (نسختان متطابقتان).

صورة عقد الاتفاق بين منو وزوجته بمحضر كل من مولانا الشيخ أحمد الخضرى المفتى الشافعي ومولانا الشيخ محمد صديق النائب المفتى الحنبلي ومولانا السيد محمد غرا النائب والمفتى المالكى والسيد أحمد بدوى نقيب الأشراف والأمير محمد بدوى جوريجى سردار مستحفظان وأحمد آبق جاويش مستحفظان والحاج أحمد جاويش العسال والحاج محمود اللومى المغربى وإبراهيم الجمال الرزاز والحاج محمد ميتو وعبد الله بربير والحاج بدوى الشناوى وأزون إسماعيل السلانكلى وعلى جاويش كتخدا البيك ولوى جوسف ڤيكتور جليان صارى عسكر حاكم ولاية الثغر ولوى أوجست دورى رئيس طائفة عسكرية وكتخدا صارى عسكر الآتى ذكره فيه وجان فرنسوا لوى لوبكه مهندس وميقاتى الجيش الفرنساوى ولويزى داتولى باش حكيم القرنتينة دام كمالهم صدر التوافق والتراضى بين الحاج حسين بن السيد محمد الميقاتى الوكيل الشرعى عن زبيدة المرأة بنت السيد محمد البواب الثابت معرفتها وتوكيله عنها فيما يذكر فيه بشهادة كل من أخيها لأمها السيد على الحمامى بن حسن البواب والسيد أحمد وشقيقه السيد إبراهيم ابنى السيد سليمان النقرزان الثبوت الشرعى وبين الحاج أحمد شهاب الحاضر معه بالمجلس القائم فى ذلك بوكالته الشرعية عن عبد الله باشا منو صارى عسكر القطر المصرى حالا الثابتة صريحًا بالمجلس وبتصديقه على ذلك التصديق الشرعى وهو زوج زبيدة الموكلة بموجب كتاب الزوجية المسطر بمحكمة الثغر المؤرخ بخامس عشرين شهر تاريخه أدناه على شروط تكون وتوجد بين عبد الله باشا منو وبين زوجته زبيدة بإقرار الوكيلين المذكورين.

الأول: منها أن زبيدة الزوجة أقامت وأذنت زوجها المذكور وكيلا عنها فى سائر ما تملكه يدها الآن وفيما يوجد لها من المال يتصرف لها فى ذلك بحسن نظره السعيد.

الثانى: أن عبد الله باشا منو الزوج المذكور أقر بأن كامل ما هو تحت يدها من متاع ومصاغ وحلى فهو ملك لها بمفردها.

الثالث: عبد الله باشا منو الزوج المرقوم أعطى لوكيله الحاج أحمد شهاب المذكور مائة محبوب كل واحد منها بمائة وثمانين نصفًا فضة فى نظير صداق زوجته المذكورة وأن الحاج أحمد شهاب سلم جميع ذلك ليد وكيلها الحاج حسين المذكور فسلمها ذلك عددًا بالمجلس وذلك على حسب عادة عقودات المسلمين.

الرابع: أن الزوج المذكور شرط على نفسه أنه إن حصل بينه وبين زوجته فراق يدفع لها ألفا ريال اثنان معاملة فى نظير فراقه لها وكل ما كان تحت يدها وقت ذاك يكون جميعه ملك لها حسب عادة دفع مؤخر صداق المسلمين.

الخامس: أن زبيدة الزوجة المذكورة إن كانت تطلب طلاقها من زوجها المذكور بحسب شرع المسلمين لم يكن لها من الألفين ريال المذكورة ولا نصف فضة ما عدا ما تحت يدها من مصاغ وغيره فهو لها.

السادس: زبيدة لم تزل وارثة فى كل ما كانت ترثه شرعًا.

السابع: أن زبيدة أقرت بنفسها أنه إن مات زوجها المذكور وهى فى عصمته تأخذ من ماله الألفين ريال المذكورة وليس لها مقارشة ولا طلب فى تركته وذلك فى نظير إرثها الشرعى حسب رضاها بذلك.

الثامن: إنه إن مات الزوج المذكور وخلف أولادًا من زوجته المذكورة وهم قصر يقام عليها رجلان ناظران ووصيان واحد فرنساوى والثانى ابن عرب يتصرفان فى أموالهم بحسب المصلحة فى طريقة الفرنساوية وطريقة المسلمين.

التاسع: أن الزوجة المذكورة إن ماتت وخلفت أولادًا من زوجها المذكور فى حياته يكون أبيهم هو الوكيل الشرعى على أولاده وعلى مالهم.

العاشر: الناظر الوصى الفرنساوى المذكور فى الشرط الثامن يقام من طرف حكام الفرنساوية الموجودين فى بر مصر وقت ذاك والناظر الوصى الثانى يقام بحسب عادة المسلمين وإن حصل تداعى بسبب اختلاف تقام على يد الحاكم الشرعى إن كان ببر مصر أو ببر الفرنساوية.

الحادى عشر: عبد الله باشا منو وزوجته إن ماتا جميعاً وخلفا أولادًا تكون أولادهما تحت حماية جمهور الفرنسوية والزوجين المذكورين يقصدا فضل الحكام الخمسة التى ببلاد فرنسا يكونوا نظارًا على أولادهما وأن الزوج والزوجة أقرا واعترفا برضاهما على هذه الشروط المذكورة على يد وكيلهما الإقرار والاعتراف الشرعيين الصادرين منهما بالمجلس بحضرة من ذكر أعلاه وأنهما التزما بهذه الشروط ليفعلانها وقت الاحتياج إليها من غير إكراه ولا إجبار التزامًا مرضيًا وثبت ذلك لدى مولانا أفندى ثبوتًا شرعيًا وحكم بموجه فى سابع عشرين رمضان سنة ثلاث عشر ومائتين وألف.

نسختان متطابقتان

ثم إن الشيخ الشرقاوى* والمهدى والصاوى توجهوا فى عصريتها عند كبير الفرنسيس منو واستأذنوه فى قفل الجامع وتسميره فقال بعض القبطة الحاضرين للأشياخ هذا لا يصح ولا يتفق، فحنق عليه الشيخ الشرقاوى وقال اكفونا شر دسايسكم يا قبطة، وقصد المشايخ من ذلك منع الريبة بالكلية فإن للأزهر سعة لا يمكن الإحاطة بمن يدخله فربما دس العدو من يبيت به واحتج بذلك على إنجاز غرضه ونيل مراده من المسلمين والفقها، ولا يمكن الاحتراس من ذلك، فأذن كبير الفرنسيس بذلك لما فيه من موافقة غرضه باطنا فلما أصبحوا اقفلوه وسمروا أبوابه من ساير الجهات.

* الشيخ الشرقاوى يستأذن مينو فى غلق الجامع الأزهر ورؤساء الأقباط يستنكرون ذلك.

وفى غايته جمعوا الوجاقلية وأمروهم بإحضار ما عندهم من الأسلحة فأحضروا ما أحضروه فشددوا عليهم فى ذلك، فقالوا لم يكن عندنا غير الذى أحضرناه، فقالوا، وأين الذى كنا نرى لمعانه عند متاريسكم فقالو تلك أسلحة العساكر العثمانية والأجناد المصرية وقد سافروا بها.

## واستهل صفر بيوم الثلاثاء سنة ١٢١٥

فى أوايله سافر* بعض الأعيان من المشايخ وغيرهم إلى بلاد الأرياف بعيالهم وحريمهم وبعضهم بعث حريمه وأقام هو فسافر الشيخ محمد الحريرى وصحب معه حريم الشيخ السحيمى وصهره الشيخ المهدى، فلما رآهم الناس عزم الكثير منهم على الرحلة وأكثروا المراكب والجمال وغير ذلك، فلما أشيع ذلك كتب الفرنسيس أوراقا ونادوا فى الأسواق بعدم انتقال الناس ورجوع المسافرين، ومن لم

* هروب المشايخ والأعيان إلى بلاد الأرياف.

يرجع بعد خمسة عشر يوما نهبت داره، فرجع أكثر الناس ممن سافر أو عزم على السفر إلا من أخذ له ورقة بالإذن من مشاهير الناس أو احتج بعذر كأن يكون فى خدمة لهم أو قبض خراج أو مال أو غلال من التزامه.

**تقرير فردة جديدة قبل تمام سداد الفردة الأولى.**

**فى مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت اسم «منشورات قائد الفرنساويين فى مصر أثناء الحملة الفرنساوية بخط حسن رشيد رمزها ح. ٦٢١٠ ورد فى ص ٢٥ الفرمان التالى:**

أمر من حضرة صارى عسكر الكبير امير الجيوش الفرنساوية حضرة منو سارى عسكر الكبير. نظر أن العوايد والأموال لازم أن يكونوا مفرودين على جميع أهل الديار المصرية وذلك بموجب مقدرتهم، ونظر أيضا أن إلى وقت تاريخه الصنايعية والمتسببين من البلاد الكبار والبنادر بالديار المصرى لم دخلوا بقدر مقدرتهم فى دفع الأموال المطلوبة والمرتبة تحت المصاريف العمومية، وهؤلاء الصنايعية والمتسببين تحت منفعة الحكم والى وقت تاريخه عملوا شغلهم وسببهم ومتجرهم بكل راحة وامان واطمان، ونظر أيضا أن من الأمور اللازمة أن الفلاحين وأهالى البلاد والأرياف يكونوا متساعدين من عند أهل البنادر والبلاد الكبار فى تشهيل الأموال يأمر كما هو مشروح ادناه:

الشرط الأول: المتسببين والصنايعية من أى شرح كان الموجودين فى البلاد الكبار والبنادر بالديار المصرية يكونوا من ابتدا أول شهر فندمير سنة تسعة من شهور الفرنساوية وسنينهم ملزومين بدفع أموال سنوى وذلك

وفيه قرروا فردة* أخرى وقدرها أربعة ملايين، وقدر المليون ماية وستة وثمانون ألف فرانسه، وكان الناس ما صدقوا قرب تمام الفردة الأولى، بعدما قاسوا من الشدايد ما لا يوصف ومات أكثرهم فى الحبوس وتحت العقوبة؛ وهرب الكثير منهم وخرجوا على وجوههم إلى البلاد ثم دُهوا بهذه الداهية أيضاً فقرروا على العقار والدور مايتى ألف فرانسه وعلى الملتزمين ماية وستين ألفا، وعلى التجار مايتى ألف، وعلى أرباب الحرف المستورين ستين ألفا، وأسقطوا فى نظير المنهوبات ماية ألف، وقسموا البلدة ثمانية أخطاط، وجعلوا على كل خطة منها خمسة وعشرين ألف ريال، ووكلوا بقبض ذلك مشايخ الحارات والأمير الساكن بتلك الخطة، مثل المحتسب بجهة الحنفى وعمر شاه وسويقة السباعين ودرب الحجر، ومثل ذى الفقار كتخدا جهة المشهد الحسينى وخان الخليلى والغورية والصنادقية والأشرفية، وحسن كاشف جهة الصليبة والخليفة وما فى ضمن كل من الجهات والعطف والبيوت، فشرعوا فى توزيع ذلك على الدور الساكنة وغير الساكنة، وقسموها عال وأوسط ودون، وجعلوا العال ستين ريالا والوسط أربعين، والدون عشرين، ويدفع المستأجر قدر ما يدفع المالك، والدار التى يجدونها مغلقة وصاحبها غايب عنها يأخذون ما عليها من جيرانها.

فروكتيدور وذلك كل سنة ومشايخ الحرف ان كان يقع تعطيل فى الدفع هم الذين ملزمين به ومدبر الحرف يدفع المبلغ الذى يتحصل عنده إلى الخازنداره الكبير.

الشرط الثالث: مدبر عوايد الحرف المرتب المحرر فى ٢٠ فروكتيدور يقدم إلى مدبر حدود العام وذلك فى ثلاثين من شهر فندمير تحرير بعلم التفريد على الحرف من جميع البلاد والبنادر المشروحة اعلاه بالقدر المطلوب منهم. ومدبر حدود العام يقدم التحرير المذكور إلى حضرة سارى عسكر الكبير لأجل إثباته.

الشرط الرابع: شيخ الحرفة هو الذى ملزوم فى جميع البلاد والبنادر بالديار المصرية انه يلم القدر الذى انفرد على حرفته وجميع مشايخ الحرف ملزومين انهم يسلموا أو يرسلوا إلى المدبرين عوائد الحرف قلميه [كشوف] باسامي الأنفار الذين انفرد عليهم المقدار المطلوب. وجميع مشايخ الحرف لازم انهم يخلوا فى بالهم انهم ملزومين، وعليهم انهم فى هذا التفريد لم يشاوروا إلا على مقدار الإنسان، وانهم يشفقون على الفقراء وأنهم يجيبوا على الأكابر على قدر مقدرتهم.

حضرة سارى عسكر الكبير يسال عن الذين لم يمشوا بالعدل ويقاصصهم بقصاص قاسى.

الشرط الخامس: ويترتب أربعة ناظرين مصرلية تحت طاعة مدبر الحرف ملزمين انهم يكتنفوا عند المتسببين والصنايعية إن كان المبلغ المقيد فى قوائم التفريد الذى تسلمهم مدبر عوايد الحرف بموجب الشرط المشروح اعلاه صحيح، وإن كان الذى دفعوه قدر الذى مقيد عليهم، وملزومين أيضا أنهم يكشفوا إلى



*صانع الكنافة على عهد الجبرتى.

بالقدر المشروح أدناه: مصر ألف ألف فرنك. بولاق ثلاثين ألف فرنك. الوجه القبلي: طحطا ثلاثة الاف فرنك. أبو تيج ألفين فرنك. بنى عدى ألفين فرنك. أسيوط عشرة آلاف فرنك. منفلوط ستة آلاف فرنك. المينة ستة آلاف فرنك ملوى ألفين فرنك. صنبوا ألف فرنك. دلجه ألف فرنك. القوصيه ألف فرنك. مدينة الفيوم عشرة آلاف فرنك. بنى سويف أربعة آلاف فرنك. بوش أربعة آلاف فرنك. ببا ألف فرنك. الفشن الفين فرنك. البسقلون ألف فرنك. سمالوط ألف فرنك. الجيزة ثلاثة الاف فرنك. الوجه البحرى: بلبيس ثلاثة الاف فرنك. منية غمر ستة آلاف فرنك. قليوب ألفين فرنك. شبين القناطر ألفين فرنك. المنصورة خمسة عشر ألف فرنك. دمياط ثلاثين ألف فرنك. سمنود خمسة عشرة ألف فرنك. المحلة الكبرى خمسة عشرة ألف فرنك. طنطا عشرة ألف فرنك. منوف ستة ألف فرنك. زفتي أربعة آلاف فرنك. أبو صير أربعة آلاف فرنك. فوه خمسة عشر ألف فرنك. مطوبس ستة آلاف فرنك. رشيد خمسة عشر ألف فرنك. اسكندرية ثلاثين ألف فرنك. دمنهور ستة آلاف فرنك. يكون جميع الأموال المطلوبة من حرف الإسلام فرنك ٢,٢٩٤,٠٠٠.

الشرط الثانى: العوايد المرتبة فى الشرط المشروح اعلاه على حرف الإسلام المتسببين وأرباب الصنائع من أى شرح كان فى الديار المصرية تدفع إلى مدبر الحرف عن ثلاث دفعات كل دفعة قدر بعضها وذلك فى الميعاد المشروح أدناه: أول ثلث فى شهر فلوريال ثانى ثلث فى شهر نيفوز والثلث الأخير فى شهر

المدبر جميع الذى يوجدوه من القلق من قبل تفريد وقبض العوايد.

الشرط السادس: وهذه الأربعة الناظرين يكونوا منقيين من عند مدبر حدود العام من أعيان المسلمين والذين لم عندهم طمع. والمذكورين ملزمين أنهم يعرفوا يقروا ويكتبوا بالعربى. ومدبر حدود العام يقدمهم إلى حضرة صارى عسكر الكبير المذكور يوليهم فى مناصبهم.

الشرط السابع: حضرة سارى عسكر الكبير يعرف جميع أهل المدينة وأهل البنادر والبلاد والكفور وجميع أهل الديار المصرية انهم بموجب العوايد والأموال المرتبة وبيانهم أدناه: وهم الحلوان عوايد على مشايخ البلاد، عوايد مرتبة على جميع الأصناف الذين يدخلوا فى البلاد الكبار والبنادر بالديار المصرية، عوايد على الكيالين والقبانية والصيارف، عوايد على النقاير والمراكب والمسافرين فى بحر النيل، عوايد على الخيل والحمير والجمال والأبغال، عوايد البصمجيه، عوايد النشادر، عوايد السلخانه، عوايد الملاحة، عوايد على الصياغ، عوايد علن السمك والطير ببحر النيل والترع والبرك، عوايد على الأطرون، عوايد على العرقى والخمر، عوايد على الميزان وهى بيت المال، عوايد على البضايع المتوجهة لبلد غريبة والمتوجهة منها إلى الديار المصرية وكذلك الدواوين [المراكب]، عوايد على حرف المتسببين والصنايعية، عوايد على القبط وأهل بر الشام وعلى الأروام واليهود والإفرنج وعلى موجب ذلك لم عليهم شىء ولم يتطلب منهم خلاف ذلك لا عوايد ولافرده ولا شىء لا على الحاجة ولا على الأسنان، ولم يصير ظلم وكل يتصرف فى ملكه كما يشاء ويتسبب ويتاجر ويبيع ويتشرى كما يشاء ويطلب. وحضرة صارى عسكر يحمى المتجر والتجار غاية الحماية وكذلك الفلاحة ويطلب أن جميع أهل البلاد يزرعوا أطيانهم ويعمروا بيوتهم وجناينهم، وأنهم يتسببوا ويتاجروا وأنهم يفتحوا دواليب وكرخانات من جميع الجنوس ولم يخشوا من شىء ولم يخافوا أنهم يظهروا أغنياء وشطار لأنهم يتصرفوا فى أملاكهم. كما يشاؤا ويطلبوا. ولم أحد يعارضهم أبدا. ومن قبل الميرى والأموال من الأرياف حضرت صارى عسكر الكبير فى نظره انه يصلح قبضهم ويبطل جميع الظلم الذى يقع للرعية من الذى يقبضوهم أهل الديار المصرية يدفعوا قدر مرتين عن الذى مطلوب منهم للحاكم وذلك من الظلم المرتب عليهم من الذين يقبضوا الأموال ومن اذى يأخذوها منهم هم وتوابعهم، فان كان أهل البلاد يفهموا طيب وإن كان يطلبوا يخلصوا من هذا الظلم لازم أنهم هم بذاتهم وبيادهم يحضروا ويدفعوا عند وكلاء الفرنساوية الأموال الميرى المطلوب منهم من غير واسطه.

الشرط الثامن: حضرت صارى عسكر الكبير يعرف جميع أهل الديار المصرية أن جميع العوايد والمال والفرد غير الميرى والمال المطلوب من الأرياف وغير العوايد المشروحة فى الشرط السابع المشروح اعلاه يكونوا جميعا بطالين فى الديار المصرية على أى اسم كان على كل من كان يقبضهم ولو يكون تعلقه، ويمنع المنع الكلى على من كان يدفع شىء زيادة عن الذى مرتب فى العوايد المشروحة فى الشروط اعلاه، ويمنع





* الجمبازيه (البهلوانات)

* على اليمين (خمار) وعلى اليسار (السقا).

وفى سادس عشرينه أفرجوا عن الشيخ السادات ونزل إلى بيته بعد أن غَلّق الذى تقرر عليه واستولوا على حصصه وأقطاعه وقطعوا مرتباته وكذلك جهات حريمه والحصص الموقوفة على زاوية أسلافه، وشرطوا عليه عدم الاجتماع بالناس، وأن لا يركب بدون إذن منهم، ويقتصد فى أموره ومعاشه ويقلل أتباعه.

## شهر ربيع الأول سنة ١٢١٥

فيه نادوا على الناس الخارجين من مصر من خوف الفردة* وغيرها بأن من لم يحضر من بعد اثنين وثلاثين يوما من وقت المناداة، نهبت داره وأحيط بموجوده وكان من المذنبين واشتد الأمر بالناس وضاقت منافسهم، وتابعوا نهب الدور بأدنى شبهة ولا شفيع تقبل شفاعته أو متكلم تسمع كلمته، واحتجب سارى عسكر عن الناس وامتنع من مقابلة المسلمين وكذلك عظما الجنرالات، وانحرفت طباعهم عن المسلمين زيادة عن أول واستوحشوا منهم ونزل بالرعية الذل والهوان، وتطاولت عليهم الفرنساوية وأعوانهم وأنصارهم من نصارى البلد الأقباط والشوام والأروام بالإهانة حتى صاروا يأمرونهم بالقيام إليهم عند مرورهم ثم شددوا فى ذلك حتى كان إذا مر بعض عظمايهم بالشارع ولم يقم إليه بعض الناس على أقدامه رجعت إليه الأعوان وقبضوا عليه، وأصعدوه إلى الحبس بالقلعة، واستمر عدة أيام فى الاعتقال ثم يطلق بشفاعة بعض الأعيان.

كل من كان يقبض شىء خلاف الذى مرتب وإن كان أحدا يأخذ شى زيادة يتقاصص المستحق للظلم وللباطلى.
حضرت صارى عسكر الكبير يحط دايما همته لأجل الرعايا يكونوا بالعدل وفى غاية الراحة والخير وفى ذلك يمشى أمر حكم الفرنساوية. ورأس حكم المذكور حضرت صارى عسكر بونابرته أول قنصل الجمهور محبوب من جميع أهل الديار المصرية.

الشرط التاسع: جميع الجنرالية حكام الأقاليم والبنادر وجميع الحكام ومدبر حدود العام ملزومين جميعا يمشى هذا الأمر كل واحد منهم بجرته، وهذا الأمر بهمة مدبر حدود العام يترجم بالعربى ويرسل منه صورة إلى جميع مشايخ البلاد ويتنادى ويلتصق بالحيطان باللغتين.

توقيع: منو صاري عسكر الكبير حالا

* التشديد في جمع الفردة من الهاربين.

وفيه أنزلوا مصطفى باشا [المأسور في موقعة أبو قير البرية] من الحبس وأهدوا إليه هدايا وأمتعة وأرسلوه إلى دمياط فأقام بها أياما، وتوفي إلى رحمة الله تعالى.

## شهر ربيع الثاني سنة ١٢١٥

فيه اشتد أمر المطالبة بالمال وعين لذلك رجل نصراني قبطي يسمى شكر الله فنزل الناس منه ما لا يوصف، فكان يدخل إلى دار أي شخص كان لطلب المال وصحبته العسكر من الفرنساوية والفعلة وبأيديهم القزم فيأمرهم بهدم الدار إن لم يدفعوا له المقرر وقت تاريخه من غير تأخير إلى غير ذلك، وخصوصاً ما فعله ببولاق فإنه كان يحبس الرجال مع النسا ويدخّن عليهم بالقطن والمشاق [الحطب] وينوع عليهم العذاب، ثم رجع إلى مصر يفعل كذلك.

وفيه أغلقوا جميع الوكايل والخانات على حين غفلة في يوم واحد وختموا على جميعها، ثم كانوا يفتحونها وينهبون ما فيها من جميع البضايع والأقمشة والعطر والدُخان خانا بعد خان، فإذا فتحوا حاصلا من الحواصل قوموا ما فيه بما أحبوا بأبخس الأثمان وحسبوا غرامته، فإن بقي لهم شي أخذوه من حاصل جاره وإن زاد له شي أحالوه على جاره الآخر كذلك وهكذا، ونقلوا البضايع على الجمال والحمير والبغال وأصحابها تنظر وقلوبهم تتقطع حسرةً على مالهم وإذا فتحوا مخزنا دخله أمناهم ووكلاهم فيأخذون ما يجدونه من الودايع الخفيفة أو الدراهم وصاحب المحل لا يقدر على التكلم، بل ربما هرب أو كان غايباً.

وفيه حرر دفاتر العشور وأحصوا جميع الأشيا الجليلة والحقيرة ورتبوها بدفاتر وجعلوها أقلاماً يتقلدها من يقوم

بدفع مالها المحرر وجعلوا جامع أزبك الذى بالأزبكية سوقا لمزاد ذلك بكيفية يطول شرحها، وأقاموا على ذلك أياما كثيرة يجتمعون لذلك فى كل يوم، ويشترك الأثنان فأكثر فى القلم الواحد وفى الأقلام المتعددة.

وفيه كثر هدم الدور وخصوصًا فى دور الأمرا ومن فر من الناس، وكذلك كثر الاهتمام بتعمير القلاع وتحصينها وإنشا قلاع فى عدة جهات وبنوا بها المخازن والمساكن وصهاريج الما وحواصل الجبخانات حتى ببلاد الصعيد القبلية.

---

## (جماد الأول سنة ١٢١٥)

واستهل شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٥ والأمور من أنواع ذلك تتضاعف* والظلومات تتكاثف، وشرعوا فى هدم أخطاط الحسينية وخارج باب الفتوح وباب النصر من الحارات والدور والبيوت والمساكن والمساجد والحمامات والحوانيت والأضرحة، فكانوا إذا دهموا دارًا وركبوها للهدم لا يمكنون أهلها من نقل متاعهم ولا أخذ شى من أنقاض دارهم فينهبونها ويهدمونها وينقلون الأنقاض النافعة من الأخشاب والبلاط إلى حيث عمارتهم وأبنيتهم، وما بقى يبيعون منه ما أحبوا بأبخس الأثمان ولوقود النيران، وما بقى من كسارات الخشب يحزمه الفعلة حزما ويبيعونه على الناس بأغلى الأثمان، لعدم حطب الوقود ويباشر غالب هذه الأفاعيل النصارى البلدية، فهدم للناس من الأملاك والعقار ما لا يقدر قدره وذلك مع مطالبتهم بما قرر على أملاكهم ودورهم من الفردة فيجتمع على الشخص الواحد النهب والهدم والمطالبة فى آن واحد وبعد أن يدفع ما على داره أو عقاره، وما صدق أنه غلق ما عليه إلا وقد دهموه بالهدم

* تضاعف الظلومات وهدم الدور والمساجد والأضرحة.

فيستغيث فلا يغاث فترى الناس سكارى حيارى ثم بعد ذلك كله يطالب بالمنكسر من الفردة.

وذلك أنهم لما قسموا الأخطاط كما تقدم وتولى ذلك أمير الخطة وشيخ الحارة والكتبة والأعوان ووزعوا ذلك برأيهم ومقتضى أغراضهم، فأول ما يجتمعون بديوانهم يشرع الكتبة. فى كتابة التنابيه، وهى أوراق صغار باسم الشخص والقدر المقرر عليه وعلى عقاره بحسب اجتهادهم ورأيهم وعلى هامشها كراء طريق المعينين ويعطون لكل واحد من أولئك القواسة عدة من تلك الأوراق فقبل أن يفتح الإنسان عينيه ما يشعر إلا والمعين واقف على بابه وبيده ذلك التنبيه فيوعدوه حتى ينظر فى حاله فلا يجد بداً من دفع حق الطريق فما هو إلا أن يفارقه حتى يأتيه المعين الثانى بتنبيه آخر فيفعل معه كالأول وهكذا على عدد الساعات، فإن لم يوجد المطلوب وقف ذلك القواس على داره ورفع صوته وشتم حريمه أو خادمه فيسعى الشخص جهده حتى يغلق ما تقرر عليه بشفاعة ذى وجاهة أو نصرانى، وما يظن أنه خلص إلا والطلب لاحقه أيضًا بمعين وتنبيه، فيقول ما هذا؟ فيقال له إن الفردة لم تكمل وبقى منها كذا وكذا وجعلنا على العشرة خمسة أو ثلاثة أو ما سولت لهم أنفسهم، فيرى الشخص أن لابد من ذلك، فما هو إلا أن خلص أيضا إلا وكرة أخرى وهكذا أمرا مستمرا ومثل ذلك ما قرر على الملتزمين فكانت هذه الكسورات من أعظم الدواهى المغلقة ونكسات الحمى المطبقة.

وفى خامسه كان عيد الصليب* وهو انتقال الشمس لبرج الميزان والاعتدال الخريفى وهو أول سنة الفرنسيس وهى السنة التاسعة من تاريخ قيامهم ويسمى عندهم هذا الشهر فندميير*[سبتمبر] ،وذلك يوم عيدهم السنوى فنادوا بالزينة

* عيد الصليب

* الاحتفال برأس السنة الجمهورية

الجبرتى/ سنة ١٢١٥م

بالنهار والوقدة بالليل وعملوا شنكات ومدافع وحراقات ووقدات بالأزبكية والقلاع، وخرجوا صبح ذلك اليوم بمواكبهم وعساكرهم وطبولهم وزمورهم إلى خارج باب النصر، وعملوا مصافهم فقرى عليهم كلام بلغتهم على عادتهم وكأنه مواعظ حربية، ثم رجعوا بعد الظهر.

وفى هذه السنة* زاد النيل زيادة مفرطة لم يعهد مثلها فيما رأينا حتى انقطعت الطرقات وغرقت البلدان وطف الماء من بركة الفيل وسال إلى درب الشمسى وكذلك حارة الناصرية وسقطت عدة دور من المطلة على الخليج ومكث زايداً إلى آخر توت.

* زيادة فيضان النيل.

## واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢١٥

فيه قرروا * على مشايخ البلدان مقررات يقومون بدفعها فى كل سنة أعلى وأوسط وأدنى، فالأعلى وهو ما كانت بلده ألف فدان فأكثر خمسماية ريال، والأوسط وهى ما كانت خمسماية فأزيد ثلثماية ريال والأدنى ماية وخمسون ريالا وجعلوا الشيخ سليمان الفيومى وكيلا فى ذلك فيكون عبارة عن شيخ المشايخ وعليه حساب ذلك وهو من تحت يد الوكيل الفرنساوى الذى يقال له بريزون، فلما شاع ذلك ضجت مشايخ البلاد لأن منهم من لا يملك عشاه فاتفقوا على أن وزعوا ذلك على الأطيان وزادت فى الخراج واستملوا البلاد والكفور من القبطة فأملوها عليهم حتى الكفور التى خربت من مدة سنين بل سموا أسما من غير مسميات.

فرض ضرائب سنوية على المشايخ الملتزمين قدرها لمن كانت بلده ألف فدان فأكثر ٥٠٠ ريال، ٥٠٠ فدان ٣٠٠ ريال، أقل من ٥٠٠ فدان يدفع ١٥٠ ريال



*الكمشارى فوريه.
الجبرتى/ سنة ١٢١٥م



* على اليمين الشيخ الفيومى، على اليسار الشيخ البكرى.

وفيه شرعوا فى ترتيب الديوان* على نسق غير الأول من تسعة أنفار متعممين لا غير، وليس فيهم قبطى ولا وجاقلى ولا شامى ولا غير ذلك وليس فيه خصوصى وعمومى على ما سبق شرحه، بل هو ديوان واحد مركب* من تسعة رؤسا هم الشيخ الشرقاوى ريس الديوان والمهدى كاتب السر والشيخ الأمير والشيخ الصاوى وكاتبه [أى الجبرتى] والشيخ موسى السرسى والشيخ خليل البكرى والسيد على الرشيدى نسيب سارى عسكر [منو] والشيخ الفيومى والقاضى الشيخ إسماعيل الزرقانى وكاتب سلسلة التاريخ السيد إسماعيل الخشاب والشيخ على كاتب عربى وقاسم أفندى كاتب رومى وترجمان كبير القس روفاييل وترجمان صغير إلياس فخر الشامى والوكيل الكمثارى فوريه ويقال له مدبر سياسة الأحكام الشرعية ومقدم

* مينو يرتب الديوان الجديد.

* تشكيل الديوان من المشايخ المسلمين فقط وهم:
١ ـ الشرقاوى
٢ ـ المهدى.
٣ ـ الأمير
٤ ـ الصاوى
٥ ـ الجبرتى*.
٦ ـ موسى السرسى.
٧ ـ البكرى
٨ ـ الرشيدى
٩ ـ الفيومى.
١٠ ـ الزرقانى
١١ ـ الخشاب
١٢ ـ على
١٣ ـ قاسم أفندى
١٤ ـ روفاييل
١٥ ـ إلياس فخر.
١٦ ـ فورييه.

(*) هذه أول مرة يذكر فيها الجبرتى انه كان أحد أعضاء الديوان.

وخمسة قواسة، واختاروا لذلك بيت رشوان بك الذى بحارة عابدين، وكان يسكنه برطلمان فانتقل منه إلى بيت الجلفى بالخرنفش وعمر وبيض وفرشت قاعة الحريم بمجلس الديوان فرشا فاخرا وعينوا عشرة جلسات فى كل شهر، وانتقل إليها فوريه وسكنها بأتباعه وأعدوا للمترجمين والكتبة من الفرنساوية مكانا خاصا يجلسون به فى غير وقت الديوان على الدوام لترجمة أوراق الوقايع وغيرها وجعلوا لها خزاين للسجلات وفتحوا أيضا بجانبها دارا نفذوها إليها وشرعوا فى تعميرها وتأنيقها وسموها بمحكمة المتجر*، وأخذوا يرتبون أنفاراً من تجار المسلمين والنصارى يجلسون بها للنظر فى القضايا المتعلقة بقوانين التجار، والكبير على ذلك كله فوريه، ولم يتم ذلك المكان الثانى.

* تأسيس المحكمة التجارية.

فى خامس عشره شرعوا فى جلسة الديوان وصورته أنه إذا تكامل حضور المشايخ يخرج إليهم الوكيل فوريه وصحبته المترجمون فيقومون له فيجلس معهم، ويقف الترجمان الكبير رفاييل ويجتمع أرباب الدعاوى فيقفون خلف الحاجز عند آخر الديوان، وهو من خشب مقفص وله باب كذلك، وعنده الجاويش يمنع الداخلين خلاف أرباب الحوايج ويدخلهم بالترتيب الأسبق فالأسبق، فيحكى صاحب الدعوى قضيته فيترجمها له الترجمان فإن كانت من القضايا الشرعية فإما أن يتمها قاضى الديوان بما يراه العلما أو يرسلوها إلى القاضى الكبير بالمحكمة إن احتاج الحال فيها إلى كتابة حجج أو كشف من السجل، وإن كانت من غير جنس القضايا الشرعية كأمور الالتزام أو نحو ذلك يقول الوكيل ليس هذا من شغل الديوان، فإن ألح أرباب الديوان

في ذلك يقول اكتبوا عرضا لسارى عسكر فيكتب الكاتب العربى والسيد إسماعيل [الخشاب] يكتب عنده فى سجله كل ما قال المدعى، والمدعى عليه وما وقع فى ذلك من المناقشة، وربما تكلم قاضى الديوان فى بعض ما يتعلق بالأمور الشرعية، ومدة الجلسة من قبيل الظهر بنحو ثلاث ساعات إلا الأذان أو بعده بقليل بحسب الاقتضا، ورتبوا لكل شخص من مشايخ الديوان التسعة أربعة عشر ألف فضة فى كل شهر عن كل يوم أربعماية نصف فضة وللقاضى والمقيد والكاتب العربى والمترجمين وباقى الخدم مقادير متفاوتة تكفيهم وتغنيهم عن الارتشا، وفى أول جلسة من ذلك اليوم عملت المقارعة [القرعة] لريس الديوان وكاتب السر فطلعت للشرقاوى والمهدى على عادتهما وكذلك الجاويشية والترجمان وكتب تذكرة من أهل الديوان خطابا لسارى عسكر يخبرونه فيها بما حصل من تنظيم الديوان وترتيبه، وسر الناس بذلك لظنهم أنه انفتح لهم باب الفرج بهذا الديوان ولما كانت الجلسة الثانية ازدحم الديوان بكثرة الناس وأتوا إليه من كل فج يشكون.



* شحاذ.

وفى ثالث عشرينه* أمروا بجمع الشحاذين أى السؤّال بمكان وينفق عليهم نظار الأوقاف.

* مينو يأمر بجمع الشحاذين ويكلف بهم نظار الأوقاف.

وفيه أيضًا أمروا بضبط إيراد الأوقاف وجمعوا المباشرين لذلك وكذلك الرزق الأحباسية والأطيان المرصدة على مصالح المساجد والزوايا وأرسلوا بذلك إلى حاكم البلاد والأقاليم.

وفى غايته حضررجل إلى الديوان مستغيث بأهله وإن قلق الفرنسيس قبض على ولده وحبسه عند قايمقام وهو رجل زيات، وسبب ذلك أن امرأة جات إليه لتشترى سمنا فقال لها لم يكن عندى سمن فكررت عليه حتى حنق منها فقالت له كأنك تدخره حتى تبيعه على العثملى تريد بذلك السخرية، فقال لها نعم رغما عن أنفك وأنف الفرنسيس، فنقل عنه مقالته غلام كان معها حتى أنهوه إلى قايمقام فأحضره وحبسه، ويقول أبوه أخاف أن يقتلوه فقال الوكيل لا لا يقتل بمجرد هذا القول وكن مطمينا فإن الفرنساوية لا يظلمون كل هذا الظلم فلما كان فى اليوم الثانى قتل ذلك الرجل ومعه أربعة لا يدرى ذنبهم وذهبوا كيوم مضى.

---

## واستهل شهر رجب الفرد سنة ١٢١٥

والطلب والنهب والهدم مستمر ومتزايد وأبرزوا أوامر أيضا بتقرير مليون على الصنايع والحرف يقومون بدفعه فى كل سنة قدرهماية ألف وستة وثمانون ألف ريال فرانسة، ويكون الدفع على ثلاث مرات كل أربعة أشهر يدفع من المقرر الثلث وهو اثنان وستون ألف فرانسه، فدهى الناس وتحيرت أفكارهم واختلطت أذهانهم وزادت وساوسهم، وأشيع أن يعقوب القبطى تكفل بقبض ذلك من المسلمين، ويقلد فى ذلك شكر الله وأضرابه من شياطين أقباط النصارى، واختلقت الروايات فقيل إن قصده أن يجعلها على العقار والدور، وقيل بل قصده توزيعها بحسب الفردة، وذلك عشرها لأن الفردة كانت عشرة ملايين، فالذى دفع عشرة يقوم بدفع واحد على الدوام والاستمرار، ثم قيدوا لذلك



* كانت حرفة الحماره من أهم الحرف على عهد الجبرتى..

رجلا فرنساويا يقال له دناويل وسموه مدبر الحرف، فجمع الحرف وفرض عليهم كل عشرة أربعة، فمن دفع عشرة فى الفردة يدفع أربعة الآن، فعورض فى ذلك بأن هذا غير المعقول، فقال هذا باعتبار من خرج من البلد ومن لم يدخل فى هذه الفردة كالمشايخ والفارين، فإن الذى جعل عليهم أضيف على من بقى، فاجتمع التجار وتشاوروا فيما بينهم فى شأن ذلك فرأوا أن هذا شي لا طاقة للناس به من وجوه: الأول وقف الحال وكساد البضايع وانقطاع الأسفار وقلة ذات اليد وذهاب البقية التى كانت فى أيدى الناس فى الفرد والدواهى المتتابعة، الثانى أن الموكلين بالفردة السابقة وزعوا على التجار والمتسببين وكل من كان له اسم فى الدفتر من مدة سنين ثم ذهب ما فى يده وافتقر حاله وخلا حانوته وكيسه فألزموه بشقص [بنصيب] من ذلك وكلفوه به وكتب اسمه فى دفتر الدافعين، ويلزمه ما يلزمهم وليس ذلك فى الإمكان : الثالث أن الحرفة التى دفعت مثلا ثلاثين ألفا يلزمها ثلاثة آلاف فى السنة على الرأى الأول وعلى الثانى اثنا عشر ألفا وقد قل عددهم وغلقت أكثر حوانيتهم لفقرهم وهِجاجهم وخصوصا إذا لزموا بذلك المليون فيفر الباقى ويبقى من لا يمكنه الفرار ولا قدرة للبعض بما يلزم الكل.

وفيه أمر الوكيل بتحرير قايمة تتضمن أسما الذين تقلدوا قضا البلاد من طرف القاضى والذين لم يتقلدوا، وأخبر أن السر فى ذلك أن مناصب الأحكام الشرعية استقر النظر فيها له وأنه لابد من استيناف ولا يات القضاة حتى قاضى مصر بالقرعة من ابتدا سنة الفرنساوية ويكتب لمن تطلع له



* كانت القاهرة تعتمد على السقايين فى استهلاك حاجتها من مياه الشرب.

* حرفة التجارة: كانت فى عهد الجبرتى تقوم عليها صناعة الأثاث والعمارة.



القرعة تقليد من سارى عسكر الكبير فكتبت له القايمة كما أشار.

وفى رابعه قتل جماعة بالرميلة وغيرها ونودى عليهم هذا جزا من يتداخل فى الفرنسيس والعثملى*.

وفى سادسه عملت القرعة على شرطها بل زاد تكرارها ثلاث مرات لقاضى مصر واستقرت للعريشى على ما هو عليه وخرج له التقليد بعد مدة طويلة.

وفى ثامنه قتل غلام وجارية بباب الشعرية، ونودى عليهما هذا جزا من خان وغش وسعى بالفساد فيقال إنهما كانا يخدمان فرنساويا فدسا له سما وقتلاه.

وفى تاسعه حضر جماعة من الوجاقلية إلى الديوان وهم يوسف باشا جاويش ومحمد أغا سليم كاتب الجاويشية وعلى أغا يحيى باشجاويش الجراكسة ومصطفى أغا أبطال ومصطفى كتخدا الرزاز، وذكروا أنهم كانوا تعهدوا بباقى الفردة المطلوبة من الملتزمين وقدرها خمسة وعشرون ألف ريال، وقد استدانوا لذلك قدراً من البن بخمسة وثلاثين ألف ريال فرانسه، ليوفوا ما عليهم من الديوان، وأنهم أرسلوا إلى حصصهم يطالبون الفلاحين بما عليهم من الخراج فامتنع الفلاحون عن الدفع وأخبروا أن الفرنساوية خرجوا عليهم ومنعوهم من دفع المال للملتزمين، فكتب لهم عرضحال فى شأن ذلك وأرسل إلى سارى عسكر ولم يرجع جوابه.

وفى رابع عشره صنع الجنرال بليار المعروف بقايمقام عزومة لمشايخ الديوان والوجاقلية وأعيان التجار وأكابر نصارى

* أعلن القائد العام فى أمره اليومى بتاريخ ٢٦ أن عقوبة الإعدام ستوقع على كل شخص من أى امة كانت تثبت ضده تهمة الخيانة بالتخابر أو التراسل مع أعداء الجمهورية أو قيامه بعمليات استطلاعية أو تنبيهات وتحذيرات من شأنها اعلام أعدائها بما يجرى من احداث.
انظر: كورييه دى ليچيبت رقم ١٠٣.


* تاجر البن.

القبط والشوام ومَدّ لهم أسمطة حافلة وتعشوا عنده ثم ذهبوا إلى بيوتهم.

وفى ثانى عشرينه طيف بامرأتين فى شوارع مصر بين يدى الحاكم ينادى عليهما هذا جزا من يبيع الأحرار، وذلك أنهما باعتا امرأة لبعض نصارى الأروام بتسعة ريالات.

وفيه طلب الخواجه الفرنسيسى المعروف بموسى كافو من الوجاقلية بقية الفردة المتقدم ذكرها فأجابوا بأن سبب عجزهم عن غلاقها توقف الفلاحين عن دفع المال بأمر الفرنساوية وعدم تحصيلهم المال من بلادهم ثم أحيلوا بعد كلام طويل على استيف الخازندار لأن ذلك من وظايفه لا من وظايف الديوان.

وفى سابع عشرينه حضر الوجاقلية ومعهم بعض الأعيان وحريمات ملتزمات يستغيثون بأرباب الديوان ويقولون* إنه بلغنا أن جمهور الفرنساوية يريدون وضع أيديهم على جميع الالتزام المفروج عنه الذى دفعوا حلوانه ومغارمه ولا يرفع أيدى الملتزمين عن التصرف فى الالتزام جملة كافية، وقد كان قبل ذلك أنهى الملتزمون الذين لم يفرجوا لهم عن حصصهم إما لفرارهم وعودهم بالأمان، وإما لقصر أيديهم عن الحلوان، وإما لشراقى بلادهم، وإما لانتظارهم الفرج وعودة العثمانيين فيتكرر عليهم الحلوان والمغارم، فلما طال المطال وضاق حال الناس، أعرضوا أمرهم وطلبوا من مراحم الفرنساوية الإفراج عن بعض ما كان بأيديهم ليتعيشوا به، ووقع فى ذلك بحث طويل ومناقشات يطول شرحها، ثم ما كفى حتى بلغهم أن القصد نزع المفروج

* أقاويل حول رغبة الفرنساوية فى إلغاء الالتزام والاستيلاء على الأراضى.



* بعض مشايخ الملتزمين.

عنه أيضاً ونزع أيدى المسلمين بالكلية وأنهم يستشفعون بأهل الديوان عند سارى عسكر بأن يبقى عليهم التزامهم يتعيشون به ويقضون ديونهم التى استدانوها فى الحلوان ومغارم الفردة، فقال فوريه الوكيل هل بلغكم ذلك من طريق صحيح فقالوا نعم، بلغنا من بعض الفرنساوية، وقال الشيخ خليل البكرى وأنا سمعته من الخازندار، وقال الشيخ المهدى مثل ذلك وأنهم يريدون تعويضهم من أطيان الجمهور، فقال الملتزمون إن بيدنا الفرمانات والتمسكات من سلفكم بونابارته ومن السلاطين السابقين ونوابهم وقايمون بدفع الخراج، وأنهم ورثوا ذلك عن آباهم وأسلافهم وأسيادهم، وإذا أخذ منهم الالتزام اضطروا إلى الخروج من البلد والهجاج وخراب دورهم ويصبحون صعاليك ولا يأتمنهم الناس، وطال البحث فى ذلك والوكيل مع هذا كله ينكر وقوع ذلك مرة ويناقش أخرى إلى أن انتهى الكلام بقوله إن الكلام فى هذا وأمثاله ليس من وظيفتى، فإنى حاكم سياسة الشريعة لا مدبر أمر البلاد نعم من وظيفتى المعاونة والنصح فقط.

وفى خامس عشرينه اتفق أن جماعة من أولاد البلد خرجوا إلى النزهة جهة الشيخ قمر* ومعهم جماعة آلاتية ويغنون ويضحكون، فنزل إليهم جماعة من العسكر الفرنساوية المقيمين بالقلعة الظاهرية خارج الحسينية وقبضوا عليهم وحبسوهم، وأرسلوا شخصا منهم إلى شيخ البلد بليار وأخبروه بمكانهم ليستفسر عن شأنهم فلقيه، ثم رده إلى القلعة الظاهرية ثانيا فبات عند أصحابه، ثم طلبهم فى ثانى يوم فذهبوا وصحبتهم جماعة من العسكر بالبندق تحرسهم فقابلوه ومَنّ عليهم بالإطلاق وذهبوا إلى منازلهم.

* بركة الشيخ قمر: تقع شمال شرق القاهرة قرب العادلية على الخليج المصرى.

وفيه منعوا الأغا والوالى والمحتسب من عوايدهم على الحرف والمتسببين فإنها اندرجت فى أقلام العشور ورتبوا لهم جامكية من صندوق الجمهور يقبضونها فى كل شهر.

---

## واستهل شهر شعبان سنة ١٢١٥

فيه أجيب الملتزمون* بإبقا التزامهم عليهم وأنكروا ما قيل فى رفع أيديهم وعوتب من صدق هذه الأكذوبة وإن كانت صدرت من الخازندار فإنما كانت على سبيل الهزل. أو يكون التحريف من الترجمان أو الناقل.

وفيه حضر التجار إلى الديوان وذكروا أمر المليون وأن قصدهم أن يجعلوه موزعا على الروس ولا يمكن غير ذلك، وطال الكلام والبحث فى شأن ذلك ثم انحط الأمر على تفويض ذلك لرأى عقلا المسلمين، وأنهم يجتمعون ويدبرون ويعملون رأيهم فى ذلك بشرط أن لا يتداخل معهم فى هذا الأمر نصرانى أو قبطى، وهم الضامنون لتحصيلهم بشرط عدم الظلم، وأن لا يجعلوا على النسا ولا الصبيان ولا الفقها ولا الخدامين شيًا وكذلك الفقرا، ويراعى فى ذلك حال الناس وقدرتهم وصناعتهم ومكاسبهم، ثم قالوا نرجو أن تضيفوا إلينا بولاق ومصر القديمة فلم يجابوا إلى ذلك لكونهم جعلوهما مستقلين، وقرروا عليهما قدرا آخر خلاف الذى قرروه على مصر.

وفيه خصوا عرضا ولطفوا فيه العبارة لسارى عسكر فأجيبوا إلى طلبهم ما عدا بولاق ومصر القديمة، وأخرجوا من أرباب الحرف الصيارفة والكيّالين والقبانية، وجعلوا عليهم

* الواقع أن احتجاجات الملتزمين دفعت الفرنسيين إلى إعادة فتح ملف الضرايب الريفية ـ ويدرك استيف أنه من المستحيل تميز الضرايب التى يحصل عليها ملتزمو الضرايب بشكل غير شرعى. من الجبايات غير المشروعة «أن كل شىء مشروع وفقا لهم ووفقا للعرف ولا شىء يدل على ذلك»
وفى المشروع الذى أعده مينو. ذكر أنه لن توجد بعد غير ضريبة واحده وسوف يخضع لها جميع الملاك بلا استثناء وسوف يجرى تقسيم الأراضى إلى ثلاث فئات بحسب نوعياتها.
وهذه المرة يعتبر الالتزام ملغيا تماما.

بمفردهم ستين ألف ريال خلاف ما يأتى عليهم من المليون أيضًا يقومون بدفعها فى كل سنة، والسر فى تخصيص الثلاث حرف المذكورة دون غيرها أن صناعتهم من غير رأس مال.

وفيه أفردوا ديوانا لذلك ببيت داود كاشف خلف جامع الغورية، وتقيد لذلك السيد أحمد الزرو وأحمد بن محمود محرم وإبراهيم أفندى كاتب البهار وطايفة من الكتبة، وشرعوا فى تحرير دفاتر بأسما الناس وصناعتهم وجعلوها طبقات فيقولون فلان من نمرة عشره أو خمسة أو ثلاثة أو اثنين أو واحد ومشوا على هذا الاصطلاح.

وفيه أبطلوا عشور الحرير الذى يتوجه من دمياط إلى المحلة الكبرى.

وفيه أرسل سارى عسكر يسأل المشايخ عن الذين يدورون* فى الأسواق ويكشفون عوراتهم ويصيحون ويصرخون ويدعون الولاية وتعتقدهم العامة ولا يصلون صلاة المسلمين ولا يصومون هذا جايز عندكم فى دينكم أو هو محرم؟ فأجابوه بأن ذلك حرام ومخالف لديننا وشرعنا وسنتنا، فشكرهم على ذلك وأمر الحكام بمنعهم والقبض على من يرونه كذلك، فإن كان مجنونا ربط بالمارستان، أو غير مجنون فإما أن يرجع عن حالته أو يخرج من البلد.

(وفيه) أرسل ريس الأطبا الفرنساوى نسخا من رسالة ألفها فى علاج الجدرى لأرباب الديوان لكل واحد نسخة على سبيل المحبة والهدية ليتناقلها الناس ويستعملوا ما أشار إليه

* بناء على الرد الذى ذكره الديوان اصدر مينو أمرا جاء فيه
البند الأول:
على جميع القواد وغيرهم من الحكام أو الروسا العسكريين، وكذلك على جميع الذين يمكن أن يتولوا القيام ببعض مهام الشرطة أن يلقوا القبض على الرجال الذين يزعمون أنهم من أوليا الله القديسين ـ كما جاء بتصريح ديوان القاهرة ـ ويجوبون الشوارع عراة أو شبه عراة، ويأتون علنا بأعمال محظورة ومعاقب عليها فى جميع البلاد التى يوجد فيها شى من الاحترام للأداب العامة ـ وعلى القواد الزج بهولا فى السجون.
٢ ـ يلقى القبض على الرجال أو النسا سوا فى القاهرة أو فى أى جهة من البلاد المصرية ممن يؤدون أمام

فيها من العلاجات لهذا الدا العضال فقبلوا منه ذلك وأرسلوا له جوابا شكراً له على ذلك، وهى رسالة لا بأس بها فى بابها.

(وفى حادى عشره) وجدت امرأة مقتولة بغيط عمر كاشف بالقرب من قناطر السباع فتوجه بسبب الكشف عليها رسول القاضى والأغا وأخذوا الغيطانيةوحبسوهم، وكان بصحبتهم أيضًا القبطان الحاكم بالخط ولم يظهر القاتل ثم أطلقوا الغيطانية بعد أيام.

(وفيه) كمل المكان الذى أنشاه بالأزبكية عند المكان المعروف بباب الهوا وهو المسمى فى لغتهم بالكُمدى* وهو عبارة عن محل يجتمعون به كل عشرة ليال ليلة واحدة يتفرجون به على ملاعيب يلعبها جماعة منهم بقصد التسلى والملاهى مقدار أربع ساعات من الليل وذلك بلغتهم، ولا يدخل أحد إليه إلا بورقة معلومة وهيئة مخصوصة.

(وفى سادس عشره) ذكروا فى الديوان أن سارى عسكر أمر وكيل الديوان أنه ذكر لمشايخ الديوان أن قصده ضبط وإحصا من يموت ومن يولد من المسلمين*، وأخبرهم أن سارى عسكر بونابارته كان فى عزمه ذلك، وأن يقيد له من يتصدى لذلك ويرتبه ويدبره ويعمل له جامكية وافرة فلم يتم مراميه، والآن يريد تتميم ذلك ويطلب منهم التدبير فى ذلك وكيف يكون، وذكر لهم أن فى ذلك حكما وفوايد منها ضبط الأنساب ومعرفة الأعمار، فقال بعض

تجمعات المارة من الناس بعض المشاهد الحقيرة المخلة بالآداب التى غالبا ما تكون فاضحة أو فاحشة ومخالفة للطبيعة.

٣ - على جميع القواد والرويسا العسكريين وكذلك ريس إدارة العدل كل فيما يخصه تنفيذه هذا الأمر الذى سيترجم إلى اللغة العربية ويعلن ويعلق ويطبع باللغتين على عمودين مذيلا بخطاب ديوان القاهرة.

الامضا مينو

انظر كوريبه دى ليچيبت. العدد ٩٦ ص٣٥٢.

* الكُمدى: لعلها مأخوذة من الكلمة الفرنسية Comédie والتى تعنى مسرح الـ Comédie Française الذى اسس فى باريس فى عهد لويس الرابع عشر سنة ١٦٨٠م.

* منشور الديوان حول قوايم الوفيات: من ديوان القاهرة الشريف إلى القايد العام للجيش الفرنسى عبد الله جاك مينو.

بعد دعواتنا لشخصكم الكريم نسترعى نظر سيادتكم إلى أن سلفكم العظيم حفظه الله كان قد اتخذ قرارا مفيدا جدا بشأن قوايم الوفيات فى جميع أنحاء القاهرة.

الحاضرين وفيه معرفة انقضا عدة الأزواج أيضًا ثم اتفق الرأى على أن يعلموا بذلك قلقات الحارات والأخطاط وهم يقيدون على مشايخ الحارات والأخطاط بالتفحص عن ذلك من خدمة الموتى والمغسلين والنسا القوابل وما فى معنى ذلك، ثم ذكر الوكيل أن سارى عسكر ولد له مولود فينبغى أن تكتبوا له تهنية بذلك المولود ولد له من المرأة المسلمة الرشيدية، وجوابا عن هذا الرأى فكتبوا ذلك فى ورقة كبيرة وأوصلها إليه الوكيل فوريه.

وفى خامس عشرينه، أرسل سارى عسكر إلى مشايخ الديوان كتابا وقراه الترجمان الكبير رفائيل وصورته ونصه بالحرف الواحد.

بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله من عبد الله جاك منو سارى أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً إلى حضرة المشايخ والعلما أهالى الديوان المنيف بمصر القاهرة حالا أدام الله تعالى فضايلهم وزينهم بلميع النور لإكمال وظايفهم وإنجاز فرايضهم آمين يامعين.

والآن نخبركم أن الذى حررتموه لنا ملأ أنفسنا سرورا، وقلبنا حبورا فثبت عندنا وتحقق وفور ما عندكم من المحبة التى شهدتم بها وما فيكم من النعمة والنظام والعدل فحقا إنكم لمستحقون لأن تكونوا فى مثل هذا المحل الذى اخترتم عليه، فنحن نعلم أن القرآن العظيم الشأن ذلك المصحف الأكمل والكتاب المفصل، يشتمل على مبادى الحكمة

لقد أمر بإعداد هذه القوايم وحفظها فى سجل رسمى، وهذه إجراءات حكيمة، الغرض منها معرفة كل ما يمكن أن يساهم فى رفع مستوى الإدارات الحكومية.

واستكمالا لهذا النظام المفيد، يصبح من الضرورى أيضا معرفة عدد المواليد فى هذه البلاد يوميا، وبمعرفة خساير المدن وما تكسبه يمكن الحكم على ما لديها فى أى وقت. وفى اعتقادنا أن ذلك أيضا كان هو هدف صاحب القرار المذكور. ولكن الظروف التى طرأت بعد ذلك حالت دون صدور القرار التكميلى.

أما أنت أيها القائد الجنرال، وقد شا الله لهذه البلاد أن تكملوا جميع مشاريع بونابرت العظيم وأول خلفائه فى الحكم فقد أبديتم رغبتكم فى إنشاء الجزء الثانى من التنظيم وهو الخاص بسجلات الوفيات والمواليد.

لقد أكدنا للمواطن فورييه مندوب الحكومة أن إنشاء مثل هذا التنظيم سوف يؤيده جميع الرجال العقلاء، ورجوناه إبلاغكم رأى أعضا الديوان الإجماعى فى هذا الشأن وهم يوصون بكل ما هو نافع للبلاد.

أن المعرفة لا يمكن أن تنال من الإيمان الحق، بل انها تؤيده وتسانده، أن الرجال المثقفين والمستنيرين هم الأتقياء، لأنهم هم الشهود الحق للنظام العجيب الذى يسود الطبيعة وينبثق من عند الله سبحانه وتعالى.

قال الله فى كتابه العزيز ما معناه أن كل يوم ينبغى أن يخصص لهدف نافع. العلم نور والإيمان نور أيضا، والعلم والإيمان يضفيان نورهما، كل منهما على الآخر، ولكن كل نور هو قبس من نور الله. والله يهدى من يشا.

أن التنظيم الذى نطلبه منكم قد يكون مفيدا فيما يختص بالعدالة والتوزيع القانونى للميراث وغير ذلك مما قد تكون له أهمية كبرى إذا ما أمكن معرفة السن والحالة الاجتماعية للأفراد والعائلات بالإضافة إلى أن النسا اللائى يتوفى أزواجهن يتعين عليهن، حسب التقاليد، ارجاء زواجهن، للمرة الثانية، لفترة معينة. والغرض من هذا القانون هو التأكد عما إذا كن سينجبن ولدا من الزوج الأول أم لا. ولكن التطبيق السليم لهذه الشروط يستلزم التثبت من تاريخ وفاة الزوج.

أما سجلات المواليد فسيكون لها أهمية خاصة لأنه سيتبين منها النسا الشريفات اللائى ينجبن أولادا شرعيين، كما سينكشف الغطا عن العاهرات أو الخائنات اللائى ينجبن أولادا غير شرعيين.

اننا نقترح عليك أيها القائد بأن تصدروا أوامركم إلى روسا جميع الجهات لاعداد سجل مضبوط لجميع المواليد وآخر للوفيات، ويذكر فى هذا السجل الجنس وأصل الموطن والديانة والمهنة. وأن تأمروا بجمع هذه السجلات الخاصة فى مواعيد معينة للاحتفاظ بها فى دار المحفوظات العامة.

ونحن نأمل أن تعمم هذه المنشأة فى جميع انحا البلاد، وسوف نسهم بنصائحنا وبعنايتنا فى تنفيذ الأوامر التى ستصدرونها فى هذا الشأن وحمل المواطنين على تنفيذها.

ونحن نريد على الأخص من جميع المسئولين عن هذه السجلات ومن المولدات والقابلات وجميع الأشخاص الذين سيدلون باقراراتهم فيها أن يتجنبوا أى خطأ أو هفوة، لأنه

السنية والحقوق اليقينية وهذه المبادى المذكورة لا يصح بناها المتين على الحكم والحق اليقين إلا إذا عرضت على أحسن الآداب وتعليم العلوم بغير ارتياب، وبهذين تنتج أعظم الفوايد وذلك بمساعى أناس متحدين معاً برياضيات الحظ والسعد، وبمثل ذلك عرفت أنه لمن المستحيل أن القرآن الشريف يفصح الا على ما هو من باب النظام لأنه من دون ذلك فكل ما هو فى هذا العالم الفانى ليس إلا معابر وخراب ولا يسهى عنا أن كل ما هو من الموجودات الكاينات كقولك تلك المتحركة بطريقة ونظام من قبل من جعلها للمسير سبحانه مبدع الأنام كالنجوم السايرة فى الأعالى وبها يهتدى للسير الحالى ثم على الخصوص تلك الفصول الأربع المتولى انتقالها باستمرار جولانها ثم اتصال الليل بالنهار والنهار بالليل على حد واحد من المقدار ثم وجود المتباينات وتمييز النور من الظلمات وأن ذاك وما أدراك فماذا عسى كان يحل بنا وبحال العالم بأسره أيضاً لو عدم هذا النظام ولو برهة فالآن نرجو جناب حضرة المشايخ والعلما يفيدون كيف ترى كان يصير حال القطر المصرى لو يمتنع عن جريانه كعادته نهره هذا المبارك المشتهر لا يسمح الله سبحانه بذلك، فبلاشك أن البلاد قاطبة لا يمكن أن تسكن حين ذاك إلا ببحر سنة واحدة فقط، وذلك من عدم الما وريّ الأرض أراضى هذه المملكة التى أنتم قاطنون بها وفى ذلك الحين كانت تصعد الرمال على الأطيان والمزارع والحيضان والناس تهلك جوعا وتعدم السكان فتنشحن الأرض من الأموات فنعوذ بالله الحفيظ لساير المخلوقات.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أبدع كل الأشيا بمعرفته القادرة وحكمتة الباهرة وجعل هذا النظام العجيب ورتب هذه الدنيا وما فيها ترتيب معجز غريب فقد عرف أنها بدون ذلك تعدم سريعا وحالها يغدو مريعاً الآن إنما نكون من أشهر المذنبين إذا سرنا سيرة كالضالين وعلى أوامره عصاة غير منخضعين، ومع ذلك فنسأله جل شأنه أن يقوينا على السلوك فى ديننا ودنيانا وهذا القدر كفانا.

فيا أيها المشايخ المكرمون والعلما المحققون ومن هم بالعلم موصوفون، لا يخفاكم أن أجمل ما فى النظام فى تدبير هذه الدنيا بأسرها حسن تام هو الاحتفال والميل إلى النظام الذى هو صادر ترتيبه عن حكمة الله تعالى بوجه تام، ثم إن البلاد وتلك النواحى التى يطلق عليها كونها فى حال النجاح والحظ والفلاح لا تعتد هكذا إلا إذا كان سكانها يهتدون إلى قواعد الشريعة والفرايض الصادرة عن أصحاب الفطنة والإدراك ويستعدون للسلوك بالعدل والإنصاف خلافا لغيرها من البلاد التعسة الحال تلك التى سكانها خاضعون على الدوام لما فيهم من العجرفة والاعتدا ولا ينعطفون إلا إلى أهوا أنفسهم المنحرفة.

فجناب حضرة بونابارته الشهير النبيل الصنديد الشجاع الجليل قد تقدم فأمر بأن يحرر دفتر يكتب فيه أسما كامل الميتين والآن حضرتكم قد طلبتم منى دفتراً آخر خلافه يتحرر فيه أسما المولودين أيضاً ومن حيث ذلك فلابد أن أعتنى منذ الآن مع جزيل الاهتمام بهذين الأمرين، وهكذا أيضاً بتحرير دفتر الزواج إذ كان ذلك أشد المهمات

لا نفع من وراء هذه السجلات إلا إذا كانت بياناتها صحيحة. وإذا كان العلم أفضل من الجهل فان الجهل أيضاً أفضل من الخطأ، والذى لا يعلم يعد أفضل من ذلك الذى يعد الخطأ صحيحا.

ويبدو لنا أيها القائد أن الحظ قد واتانا فى هذه المناسبة السعيدة لإنشاء مثل هذا النظام. ونقصد بتلك المناسبة هى مولد ابنكم الكريم مستبشرين بهذا الحادث السعيد كبداية عهد رخا وسعادة لمصر.

فها هو الوقت قد حان لإصدار القرار الخاص بإنشاء سجلات المواليد فى مصر وقد من الله على حاكم البلاد بمولود ونحن ننتهز هذه الفرصة لتهنئتكم بهذا الحاديث السعيد، والتحدث معكم بشأن الاجراءات التى تتخذ حيال قيد المواليد فى مصر.

فتقبل تهانينا بما وهبكم الله، وليجعل الله هذا المولود سعيدا محظوظا. وليكن قدومه فال رخاء للبلاد، ولنفتح باسمه الجميل سجل المواليد. وسيؤرخ القرار بهذا التاريخ المجيد، تاريخ اليوم الذى تعم فيه بركات الله على جميع من تقيد أسماؤهم بعده.

أما نحن فنطلب من الله أن يحقق لكم السعادة ويسدد خطاكم فى كل أعمالكم الصالحة.

الإمضاء:

| | |
|---|---|
| عبد الله الشرقاوى | محمد مهدى |
| رئيس | سكرتير |

القاهرة فى ١٦ شعبان سنة ١٢١٥ هجرية



* القنصل الأول نابليون بونابرت.

والحوادث الواجبات ثم يتبع ذلك بتحديد نظام غير قابل التغيير فى ضبطا لأملاك والتمييز الكامل عمن ولد ومات من السكان وهذا يعرف من أهل كل بيت فعلى هذا الحال يتيسر للحاكم الشرعي الحكم بالعدل والإنصاف، وينقطع الخلف والخصام بين الورثة، وتقرر الولادة ومعرفة السلالة التي هي الشي الأجل والأوفر استحقاقاً فى الإرث، وهكذا إن شا الله لابد من الفحص والتفتيش بالحرص والتدقيق وبذل المهمة للحصول لأقرب نوال إلى ما يلزم لإكمال ما قصدناه، ثم إن أراد الله لابد أن أعتنى بالمطالبة على وجه تام كل وقت يقتضى لنا أن ندبر أشيا تستفيد بها هذه المملكة التي قد تسلمنا سياستها، وبهذا نوقن ونتحقق كوننا امتثلنا لأوامر دولة جمهور الفرنساوية وحضرة قنصلها الأول بونابرته، فيا حضرة المشايخ الكرام إننا نشكر فضلكم على ما أظهرتم لنا تهنية بولادة ولدى السيد سليمان مراد جاك منو فنطلب من الله سبحانه وتعالى واسألوه كذلك بجاه رسوله سيد المرسلين أن يجود به على زمانا مديداً وأن يكون للعدل محبا وللاستقامة والحق مكرما وموّفى وعده صادقا، وألا يكون من أهل الطمع فهذا هو أوفر الغنى الذى أرغبه لولدى، لأن الرجل الذى لا يهتدى إلا بالخير فلا يصرف اعتناه إلا فى خير الأدب لا فى قنية الفضة والذهب فنسأله تعالى أن يطيل بقاكم والسلام.

* سقوط منارة جامع قوصون.

وفى غايته سقطت منارة جامع قوصون*، سقط نصفها الأعلى فهدم جانبا من بوايك الجامع ونصفها الأسفل مال على الأماكن المقابلة له بعطفة الدرب النافذ لدرب الأغوات وبقى مسندا كذلك قطعة واحدة إلى يومنا هذا وأظن سقوطها من قبل الفرنسيس بالبارود.

## واستهل شهر رمضان سنة ١٢١٥

ثبت هلاله ليلة الجمعة وعملت الرؤية وركب المحتسب ومشايخ الحرف بالطبول والزمور على العادة وأطلقوا له خمسين ألف درهم لذلك نظير عوايده التى كان يصرفها فى لوازم الركبة [الموكب].

وفى خامسه وقع السوال والفحص* عن كسوة الكعبة التى كانت صنعت على يد مصطفى أغا كتخدا الباشا وكملت بمباشرة حضرة صاحبنا العمدة الفاضل الأديب الأريب الناظم الناثر السيد إسماعيل الشهير بالخشاب، ووضعت فى مكانها المعتاد بالمسجد الحسيني، وأهمل أمرها إلى حد تاريخه، وربما تلف بعضها من رطوبة المكان وخرير السقف من المطر فقال الوكيل إن سارى عسكر قصده التوجه بصحبتكم يوم الخميس قبل الظهر بنصف ساعة إلى المسجد الحسينى ويكشف عنها فإن وجد بها خللا أصلحه ثم يعيدها كما كانت، وبعد ذلك يشرع فى إرسالها إلى مكانها بمكة وتكسى بها الكعبة على اسم المشيخة الفرنساوية، فقالوا له شأنكم وما تريدون، وقرى بالمجلس فرمان بمضمون ذلك.

* فحص الكسوة التى كانت تحت اشراف إسماعيل الخشاب.

وفى ذلك اليوم قرى فرمان مضمونه أنه وردت مكاتبات من فرنسا بوقوع الصلح بينهم وبين أهل الجزاير وتونس* بشروط ممضاة مرضية، وقد أطلقوا الإذن للتجار من أهل الجهتين بالسفر للتجارة، فمن سافر له الحماية والصيانة فى ذهابه وإيابه وإقامته باسم دولة الجمهور الفرنساوية إلى آخره ولم يظهر لذلك أثر.

* معاهدة صلح بين فرنسا والجزاير وتونس.

* تقليد أحمد العريشي بقضا مصر وغيره.

وفيه قرى تقليد* الشيخ أحمد العريشي بقضا مصر، ووصل أيضاً تقليد القضا بدمياط لأحمد أفندى عبد القادر وإبيار للعلامة الشيخ رضوان نجا، ومحلة مرحوم للشيخ عبد الرحمن طاهر الرشيدى وذلك على موجب القرعة السابقة من مدة شهرين أو أكثر وقرى ذلك بالديوان ولم يحصل بعد ذلك غيرهم، فلما كان صبح ذلك اليوم أرسل شيخ البلد «بليار» إلى العريشي ومشايخ الديوان والوجاقلية فلما تكاملوا خلع على القاضي العريشي فروة سمور بولايته القضا وركب بصحبته الجميع وجملة من العساكر الفرنساوية وشيخ البلد بجانبه ومشوا من وسط المدينة إلى أن وصلوا إلى المحكمة بين القصرين، فجلسوا ساعة من النهار وقرى تقليده بحضرة الجميع ووكيل الديوان «فوريه» ثم رجعوا إلى منازلهم.

وفي يوم الخميس الموعود بذكره توجه الوكيل ومشايخ الديوان إلى المشهد الحسيني لانتظار حضور سارى عسكر الفرنسيس بسبب الكشف على الكسوة، وازدحم الناس زيادة على عادتهم في الازدحام في رمضان، فلما حضر ونزل عن فرسه عند الباب وأراد العبور للمسجد رأى ذلك الازدحام فهاب الدخول وخاف من العبور وسأل ممن معه عن سبب هذا الازدحام فقالوا له هذه عادة الناس في نهار رمضان يزدحمون دايما على هذه الصورة في المسجد، ولو حصل منكم تنبيه كنا أخرجناهم قبل حضوركم، فركب فرسه ثانيا وكر راجعا، وقال نأتي في يوم آخر وانصرف حيث جا وانصرفوا.

* كاينة سيدى محمود وأخيه محمد مع على باشا الطرابلسى بسبب توزيعه منشورات عثمانية ضد الفرنساوية.

وفي ليلة السبت تاسعه حصلت كاينة* سيدى محمود وأخيه سيدى محمد المعروف بأبى دفية، وذلك أن سيدى

محمود المذكور كان بينه وبين على باشا الطرابلسى صداقة ومحبة أيام إقامته بالجيزة، وحج صحبته فى سنة تسع ومايتين وألف، فلما وقعت حادثة الفرنساوية وخرج على باشا المذكور مع من خرج إلى الشام، ووردت العساكر العثمانية صحبة يوسف باشا الوزير فى العام الماضى،وصحبته على باشا المذكور، وله به مزيد الوصلة والعناية والمرجع فى المشورة لخبرته بالأقطار المصرية ومعرفته أهالى البلاد، استشاره فى شخص يعرفه يكون عينا بمصر ليراسله ويطالعه بالأخبار، فأشار عليه بمحمود أفندى المذكور، فكانوا يراسلونه ويطالعهم بالأخبار سرا فلما قدموا إلى مصر فى السنة الماضية وجرى ما جرى من نقض الصلح ورجوع الوزير، ولم يزل سيدى محمود تأتيه المراسلات بواسطة السيد أحمد المحروقى أيضا، ولأن على باشا ارتحل إلى الديار الرومية فيطالعهم كذلك بالأخبار مع

شدة الحذر خوفا من سطوة الفرنساوية وتجسس عيونهم المقيدة لذلك، فكان يذهب إلى قليوب ويتلقى ورود القاصد ويرد له الجواب، فلما كان فى التاريخ ورد عليه رسول ومعه جواب وأربعة أوراق مكتوبة باللغة الفرنساوية وفيها الأمر بتوزيعها ووضعها فى أماكن معينة حيث يسكن الفرنساوية، فوزع اثنتين وقصد وضع الثالثة فى موضع جمعيتهم فلم يمكنه ذلك إلا ليلا، فأعطاها خادمه وأمره أن يشكها بمسمار فى حايط ذلك المكان وهو بالقرب من الحمام المعروف بحمام الكلاب ففعل، وتلكا فى الذهاب فاطلع عليه بعض الفرنسيس من أعلى الدار، فنزل إليه وأخذ الورقة وقبضوا على ذلك الخادم وصادف ذلك مرور حسن القلق وهو يتوقع نكتة تكون له بها الوجاهة عند الفرنساوية، فاغتنم هذه الفرصة وقبض على الخادم مع الفرنساوية، وسيده ينظر إليه من بعيد وعلم أنه وقع فى خطب لا ينجيه

في ظل الاو ضاع المتردية للحملة الفرنسية في مصر واحساس مينو بالحصار الشديد من حولة داخليا وخارجيا ونقص موارده ا صدر البيان التالى إلى أهل مصر يحاول فيه أن يؤكد صداقته و صداقة الفرنسيس للمصريين.

القياة العامة بالقاهرة في ٦ برومير سنة ٩

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله محمد رسول الله

من مينو القائد العام

إلي سكان مصر

يا أهل مصر، اسمعوا ما أقوله لكم باسم الجمهورية الفرنسية.

كنتم تعساء فجاءت الجيوش الفرنسية لتسعدكم. كنتم ترزحون تحت وطأة المكايد بأنواعها وقد كلفتنى الجمهورية وقنصلها الأول بونابرت بأن أخلصكم منها. كانت ثمرات أعمالكم تلتهمها شتى الضرائب فألغينا الجزء الأكبر منها.

لم تكن هناك أية قوانين أو قواعد ثابتة تحدد لكم ضرائب معينة تدفعونها وأنتم آمنون مطمئنون، فوضعت لكم قواعد عامة لدفع الضرائب، ومن الآن فصاعدا كل منكم سوف يعرف المبالغ التي يجب عليه دفعها للضرائب. في كل مدينة وقرية وفي كل منزل إذا كان ذلك ممكنا، سوف تعلن وتنشر القوائم المتعلقة بهذا الشأن.

كان حكامكم الطغاة والمتحكمون في أموركم فيما مضى من الزمان، يفرضون عليكم معاملات كلها ذل ومهانة، وإني أعاهدكم بشرفي بأني لن أحذو حذوهم أبدا. أن من بينكم من كسبوا أموالا واشتروا ممتلكات وكانوا يجدون أنفسهم مضطرين على اخفائها عن أعين الملأ، وإلى دفنها في باطن الأرض أحيانا، كي يتجنبوا سطو هؤلاء الظالمين الذين

منه إلا الفرار، فرجع إلى داره وتناجى مع أخيه واستشاره فيما وقع فيه، وكيف يكون العمل، فأشار عليه بالاختفا، ويستمر أخوه بالمنزل مستهدفا للقضا، وليكون وقاية على منزله وعرضه وليس هو مقصودا بالذات فكان كذلك، وتغيب سيدى محمود وأصبح الطلب قاصده فلما لم يجدوه قبضوا على أخيه سيدى محمد أفندى ومن كان معه بالبيت، وهو الشيخ خليل المنير وقرابته إسماعيل جلبى ونسيبه البرتوسى والسقا وشيخ حارتهم وحبسوهم ببيت قايمقام وهم سبعة أنفار بالخادم المقبوض عليه أولا، وأوقفوا حرسا بدارهم واجتهدوا فى الفحص عن سيدى محمود وتكرار السؤال عليه من أخيه ورفقايه أياما، فلما لم يقفوا له على خبر أحاطوا بالدار ونهبوا ما فيها وصحبتهم الخادم يدلهم على المتاع والمخبآت.

ثم أصعدوهم إلى القلعة وضيقوا عليهم وأرسلوا خلف الشواربى شيخ قليوب ومن كان ينتقل عندهم، وألزموهم بإحضاره فأنكروه وجحدوه، ثم أطلقوا خادمه بعد أن أعطوه خمسين ريالا فرنسة، وجعلوا له ألفا إن دلهم عليه وقيدوا به عينا يتبعه أينما توجه، فاستمر أياما يغدو ويروح فى مظناته فلم يقع له على خبر، فردوه إلى السجن ثانيا عند أصحابه، ولم يزالوا به حتى فرج الله عنهم، وأما المطلوب فوقع له مزيد المشقة فى مدة اختفاه وتبرا منه غالب أصحابه ومعارفه من العربان وغيرهم وتنكروا منه، ولم يزل حتى استقر عند شيخ العرب موسى أبى حلاوة وأولاده بناحية أمية بالقليوبية باطلاع الشواربى فأكرموه وواسوه وأخفوا أمره ولم يزل مقيما عندهم فى غاية الإكرام حتى فرج الله عنه.

كانوا دائما لكم بالمرصاد يتحينون الفرص للسطو على أموالكم واغتصابها منكم.
يا أهل مصر
إنى أعدكم باسم الجمهورية معاهدا الله ورسوله أنه لا أنا ولا أى فرنسى آخر سوف نسمح لأنفسنا بالاعتداء على ممتلكاتكم. فإذا ما سددتم الضرائب المفروضة قانونا تصبح لكم مطلق الحرية فى الاستمتاع بكل ما تملكونه كيفما شئتم، دون أى اعتراض من أحد أو محاسبة عن أموالكم.
كان كبراء قومكم وحكامكم الطغاة يحتقرونكم ويسيئون معاملتكم ويعدونكم فى مرتبة أقل من مرتبة خيولهم وجمالهم. ومن الآن فصاعدا سوف تعاملون منى ومن سائر الفرنسيين بوصفنا أخوة.
عندما كان صيارفة الميرى وغيرهم من محصلى الضرائب يجوبون أقاليم مصر لجبايتها كانوا يصطحبون معهم دائما طاقما كبيرا من الخدم والحشم والكتبة والقواصين، وكان كل هؤلاء يلتهمون أموالكم وكثيرا ما كانوا يغتصبونها منكم حتى آخر مليم.
لن يحصل هذا بعد اليوم يا أهل مصر. فإذا تجاسر أحد من الذين سأوفدهم إليكم لجباية الضرائب على أن يأخذ منكم مليما واحدا زيادة عن المقرر عليكم قانونا، فسنلقى القبض عليه ويسجن ويعاقب أشد العقاب.
يا أهل مصر
إذا كنتم تريدون، فسوف نخفض الميرى والضرائب الأخرى التى أضيفت إليه تخفيضا كبيرا. وهذه هى الطريقة لذلك:
عندما تخاطون علما بموجب قانون مكتوب أوجهه لكم ولسائر المدن والقرى فى مصر عن المبالغ التى يجب عليكم دفعها للميرى، لا تنتظروا أن يأتى إليكم الصيارفة لتحصيها، بل

ولما كان يوم الخميس رابع عشرة تقيد للحضور بسبب الكشف على الكسوة «استوفو» خازندار الجمهور «وفوريه» وكيل الديوان فحضر صحبتهما المشايخ والقاضى والأغا والوالى والمحتسب بعد ما أخلى المسجد من الناس، وأحضروا خدامين الكسوة الأقدمين، وحلوا رباطاتها وكشفوا عليها فوجدوا بها بعض خلل، فأمروا بإصلاحه ورسموا لذلك ثلاثة آلاف فضة وكذلك رسموا للخدمة الذين يخدمونها ألف نصف فضة وخدمة الضريح ألف نصف، ثم ركبوا إلى منازلهم، ثم طويت ووضعت فى مكانها بعد إصلاحها.

فى رابع عشرينه ضربت مدافع كثيرة بسبب ورود مركبين عظيمين من فرنسا فيهما عساكر وآلات حرب وأخبار بأن بونابارته أغار على بلاد النمسه وحاربهم وحاصرهم وضايقهم وأنهم نزلوا على حكمه وبقى الأمر بينهم وبينه على شروط الصلح، وأنه استغنى عن هذه الأشيا المرسلة وسيأتى فى إثرهم مركبان آخران فيهما أخبار تمام الصلح، ويستدل بذلك على أن مملكة مصر صارت فى حكم الفرنسيس لا يشركهم غيرهم فيها، هكذا قالوا، وقرأوه فى ورقة بالديوان.

---

## واستهل شهر شوال سنة ١٢١٥

وفيه بدا أمر الطاعون فانزعج الفرنساوية من ذلك وجردوا مجالسهم من الفرش وكنسوها وغسلوها وشرعوا فى عمل كرنتيلات ومحافظات.

وفى ثامنه قال وكيل الديوان للمشايخ إن حضرة سارى عسكر بعث إلىّ كتابا معناه إيضاح ما يتعلق بأمر الكرنتيلة ويرى رأيكم فى ذلك وهل توافقون على رأى الفرنساوية أم

توجهوا أنتم إلى خزائن الدولة فى الأقاليم لتوريدها، ولكى أسهل عليكم عملية الدفع هذه سوف أقسم الميرى إلى أربعة أقساط متساوية، يدفع قسط منها كل ثلاثة شهور، ولكى تتفهموا جيدا ما أريد عمله لصالحكم اقرأوا ما يلى بامعان:

لنفرض أن قرية ما فرضت عليها ضريبة الميرى بمبلغ ١٠,٠٠٠ Pataque سنويا، يكون عليها أن تدفع منها إلى خزائن الدولة فى اقليمها مبلغ ٢,٥٠٠ Pataque كل ثلاثة شهور، وفى نهاية السنة تكون قد سددت جميع ما عليها من ضرائب الميرى دون أن تتعرض لأى سلب أواغتصاب، وعلى العكس من ذلك فانها إذا انتظرت فانهم سيصلون إليها جماعات ويكلفونها من الأموال ما يزيد كثيرا عن قيمة الميرى المطلوبة قانونا.

فترون من ذلك يا أهل مصر أن فى استطاعتكم تخفيض الأموال التى تدفعونها للميرى إلى حد كبير دون تحمل أية اهانات أو معاملات سيئة ودون التعرض لاغتصاب أموالكم.

كان الملتزمون فى القرى يطلبون منكم مبالغ تزيد كثيرا عما يتحتم عليكم توريده، بغير وجه حق، فلن يحدث هذا بعد اليوم. ان كل ما يطلبه الملتزمون منكم سوف تحدده القوانين، وانى أمنعكم من أن تدفعوا لهم ولو مليما واحدا أكثر مما يكون مفروضا عليكم. وإذا ثبت أن أحدهم طالبكم باكثر مما هو مطلوب منكم قانونا فسوف تصادر ممتلكاته.

ان مشايخ البلاد كثيرا ما يستفزونكم ويجبرونكم على دفع اتاوات يقتسمونها مع الملتزمين والصيارفة وغيرهم من أصحاب النفوذ الذى لا هم لهم إلا اشباع جشعهم وخراب دياركم.

تخالفون؟ فقالوا حتى ننظر ما هو المقصود، فقال حضرة أرباب الديوان يجب عليهم أن يعملوا الطريق الذى يكون سبباً لانقطاع هذه العلة فإننا نبغي لهم ولغيرهم الخير فإن أجابوا فذاك وإلا فليزموا ولو قهراً، وربما استعملنا القصاص ولو بالموت عند المخالفة، ومن الذى يتغافل عما يكون سبباً لقطع هذا الدا، فإن رأينا قد انعقد على ذلك ويجب أن يتفق معنا أرباب الديوان لأن حفظ الصحة واجب، ولذا نرى كثيراً من الناس ولا سيما المتشرعون يستعمل الطبيب عند المرض وغايته حفظ الصحة وما نحن فيه من ذلك، ونذكر لكم أن بلاد المغرب قد اعتمدوا فعل الكرنتيلة الآن فعلما القاهرة أولى بأن لا يتأخروا عن استعمال الوسايط إذ قد ربطت الأسباب بالمسببات، فقيل له وما الذى تأمرون به أن يفعل فقال هو الحذر لا غير وهو الغاية والنتيجة، وهو أنه إذا دخل الطاعون بيتًا لا يدخل فيه أحد ولا يخرج منه أحد مع ما يترتب على ذلك من القوانين المختصة به وخدمة المريض وعلاجه، وسيوضح لكم ذلك فيما بعد يعنى أن تذعنوا للطاعة وعدم المخالفة، وطال البحث والمناقشة فى ذلك بين أرباب الديوان والوكيل وأنفض المجلس على أن الوكيل سيفاوض سارى عسكر فى ذلك ثم يدبرون أمراً وطريقة يكون فيها الراحة للناس البلدية والفرنساوية، فإن ذلك فيه مشقة على أهل البلد لعدم ألفتهم لهذه الأمور.

وفى ثالث عشره ضربت عدة مدافع من القلاع لا يدرى سببها.

وفى رابع عشرة قرى فرمان من سارى عسكر بالديوان وألصقت منها نسخ فى مفارق الطرق والأسواق. ونصه:

يا أهل مصر لن يحدث هذا بعد اليوم. سوف أحدد ما يتقاضاه مشايخ البلد بقانون أرسله لكم وإذا طالبكم أحدهم بأكثر مما هو محدد بالقانون فسوف يطرد من عمله وتصادر ممتلكاته.
ومن الآن فصاعدا لن تكونوا ملزمين باطعام الفرق التى تجوب الأقاليم الا فى حالة ما إذا كانوا مرسلين إليكم لمطالبتكم بدفع الضرائب التى لم تكونوا قد سددتموها فى المواعيد المحددةقانونا.
ففى جميع الأحوال الأخرى سوف يدفع رجال هذه الفرق كل ما تتفضلون بتقديمه إليهم من طعام، وسوف أصدر أوامرى بهذا الشأن لجميع الجنرالات والقادة والحكام.
ومن ذلك يمكنكم أن تتبينوا إمكانيات توفير مبالغ كبيرة من المال كنتم تدفعونها دون أى مبرر. لذلك فانى أبلغكم جميعا أنه إذا تعرض أحدكم لأى أذى فى هذا الشأن، فان اللوم يقع عليكم، لا على. وسيحرص جميع الجنرالات والقادة والحكام الفرنسيين على ألا يطلب منكم أحد من أولى الأمر شيئا أكثر مما تقرره القوانين.
هذا وأنبه عليكم أيضا أنه ممنوع عليكم تقديم أى نوع من الهدايا إلى أى شخص كان.
ان واجبى وواجب جميع القادة والمديرين والإداريين أن نسمع شكاواكم، وأن نقدم لكم المساعدات اللازمة والعون والحماية عندما تكونون على حق.
ومحظور أيضا على قضاتكم أن يفرضوا عليكم أية هدايا أوعطايا، لأن الله ونبيه محمدا يأمران بإقامة العدل بينكم، وإنى آمرهم بذلك أيضا فارضا عليهم ألا تشوب أحكامهم أيه اعتبارات، متعلقة بالغنى أو الفقير، بل يسوها الحق وعدالة الضمير، وذلك دون قبول أى نوع من الهدايا أو العطايا، وسأنزل عقوبات رادعة بالذين يخالفون هذه الأوامر.

بعد البسملة والجلالة من عبد الله، جاك منو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا إلى كامل الأهالى كبير وصغير غنى وفقير المقيمين حالا بمحروسة مصر وبمملكة مصر. الناس الذين هم من الأشقيا والمفسدين ولا يفتشون إلا على الإضرار بالناس واضراركم يظهرون فى وسط المدينة بينكم أخباراً ردية تزويراً لتخويفكم وتخويف المملكة وكل ذلك كذب وافترا، فإنما نحن نخبركم جميعًا أن كلا من الأهالى المذكورة من أى طايفة وملة كان الذى يثبت عليه بالإشهاد أو النشر من نفسه بينكم تلك الأخبار الردية المكذوبة تخويفا لكم وإضلالا بالناس، ففى الحال ذلك الرجل يمسك وترمى رقبته بوسط واحدة طرق مصر، ويا أهالى مصر انتبهوا وتذكروا هذه الكلمات وكونوا مستريحين البال ومترهفين الحال إنما دولة الجمهور الفرنساوى حاضرة لحمايتكم وصيانتكم، ولكن ناظر كذلك إلى تعذيب العصاة والسلام على من اتبع الهدى والصدق والاستقامة، تحريراً فى شهر فانتور [فبراير] سنة تسع الموافق لحادى عشر شهر شوال انتهى.

فعلم الناس من ذلك الفرمان ورود شى وحصول شى على حد كاد المرتاب أن يقول خذنى.

وليس للناس ذكر ولا فكر إلا فى بواقى الفردة وما لزمهم فى المليون، ولا شغل لكل فرد إلا بتحصيل ما فرض عليه، ولعل ذلك بسبب الأوراق الواصلة على يد سيدى محمود أبى دفية باللغة الفرنساوية التى تقدم ذكرها، واشتهر أيضاً أنه وردت عليهم أخبار بوصول مراكب إنكليز جهة أبى قير،

يا أهل مصر
لقد أنشأت بالقاهرة محكمة عليا تتكون من أرفع المشايخ شأنا من حيث حكمتهم والفضائل التى يتحلون بها، ومشهور لهم بنزاهتهم واخلاصهم.
وقد كلفتهم بالحفاظ على الديانة بنقاوتها وإقامة العدل بينكم بالحق والقسطاس، وانى اعتقد أنهم سوف يقومون بعملهم على أحسن ما يراه، وهم يخشون الله ونبيه عليه الصلاة والسلام. هذا وانى أعلن لكم ولهم، وأنا أستبعد من ذهنى ما أقول، انه إذا ما أخل أحدهم بواجبه المقدس فسوف أنزل به أشد العقاب.
وحتى الآن كان المترجمون يفرضون عليكم مدهم بالمال، ويعدونكم ببسط حماية سادتهم عليكم ولكنهم كانوا يخدعونكم. فلن يحدث شيء مثل هذا من الآن. فإذا طالبكم بعضهم بنقود أو بهدايا فأخبرونى أو أخبروا القادة أو الحكام بذلك، فسوف أعاقب هؤلاء الأشرار بعقوبات قاسية رادعة. أن هؤلاء الناس، وهم يحملونكم على اعطائهم النقود، يقولون لكم أن سادتهم الفرنسيين هم الذين يحرضونهم على ذلك، أو قد يقولون لكم انه من المستبعد التوصل إلى الجنرالات أو القادة أو غيرهم من الفرنسيين فى مقر أعمالهم أو التحدث إليهم. انهم يخدعونكم ويكذبون عليكم، فعرفونا بهم وسوف ننزل بهم العقوبات الصارمة.
كثيرا ما يحدث، عندما يسافر الفرنسيون أو فرق الجنود، أن يسبقهم إلى القرى أحد الخدم أو المترجمين والكتبة أو أى شخص آخر ويقول لكم، بقصد ادخال الرعب فى قلوبكم، أن الفرنسيين يطلبون عددا كبيرا من رؤوس الماشية سواء من الماعز أو الخراف أو الجاموس لغذائهم. وعندئذ تطلبون منهم أن يتوسلوا باسمكم ولكنهم يرفضون امعانا فى مضاعفة مخاوفكم حتى ينتهى الأمر

بكم إلى مدهم بالنقود. انهم بذلك يخدعونكم ويخدعون سادتهم كذلك.

وفى المدن، يفرض الأغوات الموكول إليهم أمر الشرطة والنظافة والماكولات رسوما مختلفة عليكم وأنتم تدفعونها صاغرين. لقد ألغيت جميع هذه الرسوم. ومن الآن فصاعدا محظور عليكم دفع أى شيء لهم. انهم سوف يتقاضون مرتبات يحددها القانون.

انى على علم بما يحدث من أولئك الذين يوكل لهم أمر الاشراف على سلامة الموازين. انهم يمرون على التجار ويزعمون دائما أن الصنجات زائفة، ثم يدفعون قواصيهم ويأمرونهم بمعاقبة المخالف بالضرب بالعصى أوبغير ذلك من شتى العقوبات، فيفزع التاجر ويعد بأنه سيتوجه فى اليوم التالى إلى مقر الاغا المختص بالمعايير والموازين وفى اليوم التالى يقصد إلى الاغا فعلا ومعه ٢٠ أو ٣٠ أو ٥٠ ريالا بوطاقة حسب مقتضيات الأحوال.

وهكذا كنتم أيها المصريون فريسة للخديعة وموضوع المهانة حتى الآن.

أين منكم الأموال الخاصة بالمساجد؟ ماذا كان مصير المؤسسات الدينية الضخمة التى شيدها أجدادكم؟ وماذا كانت مهمتها؟ هل صيانة المساجد؟ انى أراها خربة أينما وجدت أو آيلة إلى السقوط.

هل اطعام الفقراء؟ انهم يموتون جوعا فى كل مكان وتكتظ بهم الشوارع والطرقات. هل معالجة المرضى والعجزة والمكفوفين والبؤساء؟ أن ملاجئهم مثل المساجد فى حالة يرثى لها من الفوضى والفقر، والنزلاء التعساء يبدون وكأنهم ضحايا محكوم عليهم بالفناء، لا كأشخاص تجمعوا فيها لكى يتلقوا العون أو العلاج.

من الذى عبث بكل هذه الأموال؟ انهم حكامكم السابقون وذوو النفوذ من بينكم الذين خدعوكم حتى الآن.

ان هذا الزمن قد ولى إلى غير رجعة

وفى ذلك المجلس سيل الوكيل عن ضرب المدافع لأى شي، فقال لابد وأن أحيط علمكم ببعض ذلك فى هذا المجلس وهو أن الفرنساوية كانت تحارب القرانات والآن وقع صلح بينهم وبين القرانات ما عد الإنكليز فإنه الآن مضيق عليه، وربما كان ذلك سبباً لرضاه بالدخول فى الصلح وقد خرج من فرنسا عمارة ربما توجهت إلى الهند وربما أنهم يقدمون إلى مصر، وقد وصل لسارى عسكر أمر من المشيخة بوصول مراكب الموسقو التى تحمل الذخاير إلى الفرنساوية، وأن يمكنهم من دخول إسكندرية، وقد خرج ستة غلايين من فرنسا إلى بحر الهند فربما قدموا بعد ذلك إلى جهة السويس، وبورود هذه الأخبار تعين خلوص مصر إلى جمهور الفرنساوية، وفى سالف الزمان كانت جميع القرانات التى بالجهة الشمالية ضدا للفرنساوية، وقد زالت الآن هذه الضدية ومتى انقضى أمر الحرب عمت الرحمة والرأفة والنظر بالملاطفة للرعية، والذى أوجب الاغتصاب والعسف إنما هو الحرب، ولو دامت المسألة لما وقع شى من هذا، فقال بعض أهل الديوان سُنَّة الملوك العفو والصفح وما مضى لا يعاد، فارحموا واعفوا عما سلف، فقال الوكيل قد وقع الامتحان ولم يبقى إلا السلم والمسامحة.

وفيه قبضوا على القلق المعروف بعمر أغا وهو أغات المغاربة المرتبة عندهم عسكرا وعلى شخصين آخرين، يدعى أحدهما على جلبى والآخر مصطفى جلبى وسجنا بالقلعة، وسبب ذلك أنه حضر إلى مصطفى جلبى مكتوب من نسيبه بجهة الشام يطلب منه بعض حوايج فقرى ذلك المكتوب بحضرة عمر القلق ورفيقه الآخر فوشى بهم رجل قواس فقبضوا على الجميع، وكان مصطفى جلبى المذكور

سكن ببيته محمد أفندى ثانى قلفة، فدخلوا يفتشون عليه فى الدار فلم يجدوه، فألزموا به محمد أفندى المذكور وأزعجوه وأحاط به عدة من العسكر، ولم يمكنوه من القيام من مجلسه ولا من اجتماعه بأحد، وبعد أن وجدوا ذلك الإنسان لم يفرجوا عن محمد أفندى بل استمر معهم فى الترسيم، ووجدوا مكانا بالدار به أسلحة وأمتعة فنهبوه وانتهبت الدار والحارة، وحصل عندهم غاية الكرب والمشقة حتى إن بعض جيران ذلك المحل كبر عنده الخوف وغلب عليه الوهم فمات فجأة رحمه الله، ثم فرج الله عن محمد أفندى بعد ثلاثة أيام، وأطلق عمر القلق لظهور براته ولم يكن له جرم غير العلم والسكوت، وانتقل محمد أفندى من تلك الدار وما صدق بخلاصه منها، وبقى على جلبى ومصطفى جلبى فى الحبس.

وفى سابع عشره استفيضت الأخبار بوصول مراكب إلى أبى قير كما تقدم.

وفى ثامن عشره خرج جملة من العسكر الفرنساوية وسافروا إلى الجهة البحرية براً وبحراً.

وفى عشرينه اجتمع أهل الديوان فيه على العادة فبدأ الوكيل يقول إنه كان يظن أن يكون حرب، ولكن وردت أخبار أن المراكب* التى حضرت إلى إسكندرية وهى نحو ماية وعشرين مركبا قد رجعت، فقيل له وما هذه المراكب فقال مراكب فيها طايفة من الإنكليز وصحبتهم جماعة من الأروام ليس فيها مراكب كبار إلا قليل جدا وباقيها صغار

واكرر لكم أيضا أنى قد تلقيت الأمر من الجمهورية الفرنسية والقنصل الأول بونابرت لكى أجعلكم سعداء، ولن أدخر جهدا فى تحقيق ذلك. ولكنى فى نفس الوقت أحذركم بأنه إذا لم تخلصوا للفرنسيين وإذا استسلمتم مرة أخرى إلى وشايات الغشاشين والمخادعين والكذابين من أهل السوء وثرتم ضدنا، سيكون انتقامنا فظيعا.

وهنا أعاهد الله والنبى . (ﷺ) أن شر البلية سيقع على رؤوسكم. فلتتذكروا ما قد وقع فى القاهرة وبولاق والمحلة الكبرى وبعض المدن الأخرى فى مصر.

لقد سالت فيها بحورا دماء آبائكم واخوانكم وأولادكم ونسائكم وأصدقائكم، خربت منازلكم ودمرت أملاككم والتهمتها النيران.

ما السبب فى كل ذلك؟ النصائح الفاسدة المغرضة التى كنتم تستمعون إليها من رجال خادعين أفاقين وغشاشين.

فلتتعظوا من هذا الدرس القاسي إلى الأبد، وكونوا عقلاء هادئين، حماء فى تصرفاتكم، وانصرفوا إلى أعمالكم وتجارتكم وزراعة أراضيكم فسوف تجدون دائما أن الفرنسيين أصدقاء مخلصون، اسخياء يحمونكم ويدافعون عنكم.

أقسم لكم بالله العظيم ، الله القوى العالم بكل ما فى الوجود والمهيمن على مصائر العالمين، وهو الذى يعلم كل مافى ضمائرنا وقلوبنا ولا يخفى عليه شيء.

أمضاء: مينو

* بناء على وصول هذه المراكب أصدر مينو إعلان إلى الناس يبدو منه أن عدد السفن ١٣٥ سفينة وليس ١٢٠ سفينة كما يذكر الجبرتى ونص الإعلان كما يلى:
القيادة العامة فى القاهرة.

تحمل الذخيرة، ثم قال ان حضرة سارى عسكر قد كان وجه إليكم فرمانا فى شأن ذلك قبل أن يتبين الأمر وهو وإن كان قد فات موضعه من حيث إنه كان يظن أن هناك حربا ولكن من حيث كونه قد برز إلى الوجود فينبغى أن يتلى على مسامعكم، ثم أمر رفاييل الترجمان بقرايته ونصه:

من عبد الله جاك منو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا .

إلى جميع [سكان مصر] الكبير والصغير الأغنياء والفقرا المشايخ والعلما، وجميعهم الذين يتبعون الدين الحق والحاصل لجميع أهالى بر مصر سلمهم الله بمقام السر عسكر الكبير بمصر فى أربعة عشرشهر «فانتوز» سنة تسع من قيام الجمهور الفرنساوية واحد ولا ينقسم. ثم كتب تحت ذلك البسملة ولفظ الجلالة، وتحته إن الله هو هادى الجنود ويعطى النصرة لمن يشا والسيف الصقيل فى يد ملاكه يسابق دايما الفرنساوية ويضمحل أعداهم، إن الإنكليزية الذين يظلمون كل جنس للشر فى كل المواضع فهم ظهروا فى السواحل وإن كانوا يتجرءوا يضعوا أرجلهم فى البر فيرتدوا فى الحال على أعقابهم فى البحر والعثمانيين متحركين كهولا الإنكليزية يعملون أيضًا بعض حركات فإن كان يقدموا ففى الحال يرتدوا وينقلعوا فى غبار وعفار البادية فأنتم يا أهالى مملكة ومحروسة مصر إنى أنا أخبركم إن كان تسلكوا فى طريق الخاضعين لله وتبقوا مستريحين فى بيوتكم ومقيمين كما كنتم فى أشغالكم وأغراضكم فحينئذ لا خوف عليكم ولكن إن كان واحد منكم يسلك للفساد

بسم الله الرحمن الرحيم ـ لا إله إلا الله محمد رسول الله.
هو الله الذى يقود الجيوش ويمنح النصر لمن يشا، والجيش الفرنسى يسبقه دايما ملك الرحمن يلمع السيف فى يده لسحق اعداه.
لقد ظهر الانجليز وهم القوم الطغاة اعدا البشرية على مراكبهم بالقرب من السواحل فإذا نزلوا منها على ارضنا فسوف يردون مدحورين إلى أعماق البحر. والعثمانيون يتحركون بإيعاز من نفس هولا الإنجليز فإذا تقدموا نحونا فسوف ندحرهم فى الصحارى ويغوصون تحت رمالها ـ أما أنتم ياسكان مصر والقاهرة فأحذركم بانكم إذا تصرفتم كما يتصرف المؤمنون الذين يخافون الله، إذا لزمتم دياركم وانصرفتم إلى أعمالكم اليومية كالمعتاد فلن تخافوا شيا وما عليكم من حرج.
ولكننى انذركم أيضا أنه إذا ظهر منكم من تحدثه نفسه بالقيام بأى ما من شانه اثارة الحركات الفردية، أو اثارة الثورة ضد الحكومة الفرنسية فانى اقسم بالله العظيم وبنبيه المصطفى أن عنقه سيدق فى الحال.
فلتتذكروا الأحداث التى جرت ابان حصار القاهرة الاخير، فقد سالت فيها دماء آبائكم وأولادكم ونسائكم فى جميع أنحاء البلاد، لاسيما فى القاهرة. وقد ضربت دياركم ونهبت، ثم فرضت عليكم ضرايب كبيرة وغير عادية، فليكن ما قلته لكم حاضرا فى اذهانكم، والسلام على من اتبع الهدى. والويل لمن يحيد عنه
امضا مينو
راجع كوريبه دى ليجيبت العدد ١٠٦، ص ٣٨٨.

واضلالا لكم بالعداوة ضد دولة الجمهور الفرنساوى فأقسمت بالله العظيم وبرسوله الكريم أن رأس ذلك المفسد ترمى فى تلك الساعة فتذكروا فى كل المواقع حين محاصرة مصر الأخيرة وجرى دما آبايكم ونسايكم وأولادكم فى كل مملكة مصر وخصوصا محروسة مصر وخواصكم انتهبوا تحت الغارات وطرحوا عليكم فردة قوية غير المعتاد فأدخلوا فى عقولكم وأذهانكم كل ما قلت لكم الآن والسلام على كل من هو فى طريق الخير، فالويل ثم الويل على كل من يبعد من طريق الخير، ممضى خالص الفؤاد عبد الله جاك منو.

وفى ذلك اليوم عملوا شنكا وضربوا عدة مدافع من القلاع فارتاع الناس لذلك واضطربوا اضطرابا شديداً فسيل من الفرنسيس فأخبروا أن ذلك سرور بقدوم مركبين من فرانسا إلى إسكندرية.

وفى ذلك اليوم أيضا وقع بمجلس الديوان بين الوكيل والمشايخ مفاوضة ومناقشة وذلك أنه لما أشيع خبر ورود المراكب إلى أبى قير شحت الغلال وارتفعت من الرقع على العادة وزادت أثمانها، فتفاوضوا فى شأن ذلك وأنه لابد من الاعتنا من الحكام وزجر الباعة وطواف المحتسب وشيخ البلد على الرقع والسواحل، ولما قرى الفرمان المذكور قال بعض الحاضرين العقلا لا يسعون فى الفساد وإذا تحركت فتنة * لزموا بيوتهم، فقال الوكيل ينبغى للعقلا ولأمثالكم نصيحة المفسدين فإن البلا يعم المفسد وغيره، فقال بعضهم هذا ليس بجيد، بل العقاب لا يكون إلا على المذنب قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة، وقال آخر من أهل المجلس ولا تزر وازرة وزرة أخرى، فقال الوكيل المفسدون فيما تقدم

* خطاب من مينو يحذرهم من الاشاعات.

منشور من مينو للمصريين.

* حوار حول الجريمة والعقاب بين المشايخ ووكيل الديوان.

أهاجوا الفتنة فعمت العقوبة،والمدافع والبنبات لا عقل لها حتى تميز بين المفسد والمصلح فإنها لا تقرأ القرآن، وقال آخر المخلص نيته تخلصه، فقال الوكيل إن المصلح من يشمل صلاحه الرعية فإن صلاحه فى حد ذاته يخصه فقط، والثانى أكثر نفعا، وطال البحث والمناقشة المذكورة. وصورته:

بعد البسملة والجلالة من عبد الله جاك منو سارى عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ومظهر حكومتها ببر مصر حالا إلى كافة المشايخ والعلما الكرام المقيمين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر أدام الله تعالى فضايلهم وألهمهم الحكمة الواجبة لاجرا فرايضهم. نرسل لحضراتكم يامشايخ ويا علما الكرام نداءاً جديدا خطابا إلى جميع أهالى مملكة مصر وخصوصا أهل محروسة مصر ولا شبهة لى فى تقييدكم لتنبيههم لكل ما هو محرر فيها، وغير ذلك تذكروا أن هذا التنبيه هو غرضكم إنما حضراتكم ههنا رجال دولة الجمهور الفرنساوى فيبقى فى عقولكم وأذهانكم كل ما وقع حين قصاص مصر الأخيرة تفهموا بنا على ذلك كيف هو واجب إلى أمنيتكم وراحتكم ضبط الخلايق لأنه إن كان يصير أصغر الحركات فلابد أثقالها يقع على روسكم وغير ذلك ورد لنا فى الحال من فرنسا أنه كملت المصالحة مع إمبراطورية النيمسه وأن قيصر الروسيين أقام المحاربة ضد دولة العثمانية والسلام.

وفيه أصبح ثانى يوم اجتمع المشايخ ببيت الشيخ عبد الله الشرقاوى وحضر الأغا والوالى والمحتسب وأحضروا مشايخ الحارات وكبرا الأخطاط ونصحوهم وأنذروهم وأمروهم بضبط من هو دونهم وأن لا يغفلوا أمر عامتهم وحذروهم



* شيخ الحارة.

وخوفوهم العاقبة وما يترتب على قيام المفسدين وجهل الجاهلين وأنهم هم المأخوذون بذلك كما أن من فوقهم مأخوذ عنهم، فالعاقل يشتغل بما يعنيه على أنه لم يبق فى الناس إلا رسوم هافتة.

* تشدد الفرنساوية فى طلب الأموال ومحاربة الطاعون.

وانفصلوا على ذلك هذا وديوان المليون يعملون فيه بالجد* والاجتهاد وبث المعينين من القواسة والفرنساوية فى المطالبة بالثلث والكسرة الباقية من الفردة والتشديد فى أمر الكرنتيلة وازعاج الناس من ذلك وخوفهم من حصول الطاعون وأشاعوا فيما بينهم أن من أصابه هذا الدا [ء] فى مكان كشفوا عليه فإن كان مريضاً بذلك الدا أخذوا ذلك المصاب إلى الكرنتيلة عندهم وانقطع خبره عن أهله إلا إن كان له أجل باق وشفى من ذلك ويعود إليهم صحيحا وإلا فلا يراه أهله بعد ذلك أصلا ولا يدرى خبره، لأنه إذا مات أخذه الموكلون بالكرنتيلة ودفنوه بثيابه فى حفرة وردموا عليه التراب، وأما داره فلا يدخلها أحد ولا يخرج منها مدة أربعة أيام ويحرقون ثيابه التى تختص به ويقف على بابه حرس فإن مر أحد ولمس الباب أو الحد المحدود قبضوا عليه وأدخلوه الدار وكرتنوه.

وإن مات الشخص فى بيته وظهر أنه مطعون جمعوا ثيابه وفرشه وأحرقوها وغسله الغاسل وحمله الحمالون لا غير وأخرجوه من غير مشهد، وأمامه ناس تمنع المارين من التقرب منه، فإن قرب منه أحد كرتنوه فى الحال وبعد دفنه يكرتنون على كل من باشره بغسل أو حمل أو دفن فلا يخرجون إلا لخدمة أخرى مثلها بشرط لا مساس، فهال الناس هذا الفعل واستبشعوه وأخذوا فى الهرب والخروج

من مصر إلى الأرياف لذلك ولتوهم وقوع الفتنة بورود أخبار المراكب إلى أبي قير وتحذر الفرنساوية واستعدادهم وتأهبهم ونقل أمتعتهم إلى القلعة.

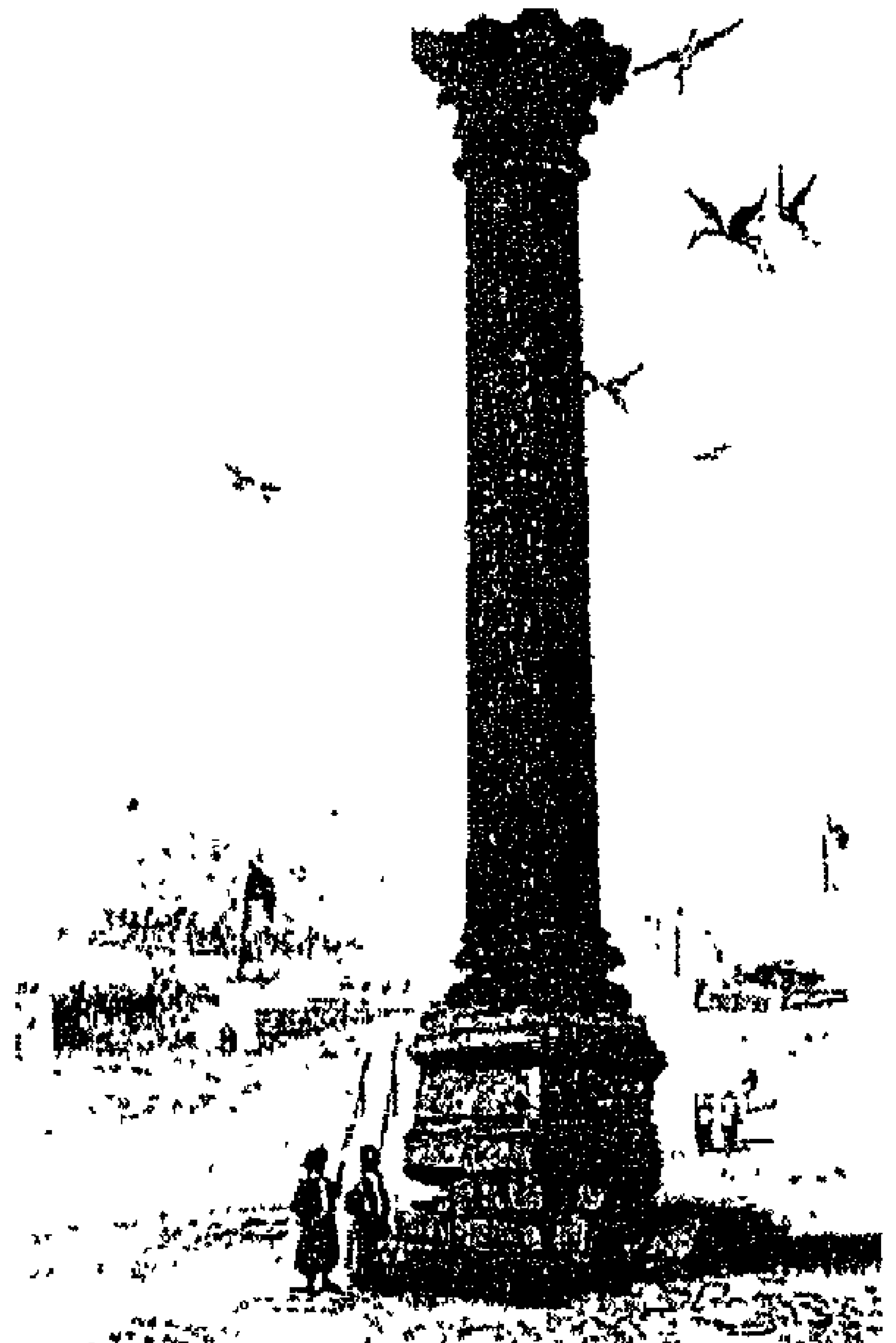
وفي تاسع عشره خرجت عساكر كثيرة بحمولهم وفرشهم وذهبوا إلى جهة الشرق وأشيع حضور عرضي * العثمانية ووصولهم إلى العريش صحبة يوسف باشا الوزير.

* بداية وصول القوات التركية والانجليزية إلى أبو قير واسكندرية والعريش.

وفيه أصعدوا الشيخ السادات إلى القلعة من غير إهانة.

وفي يوم الثلاثا رابع عشرينه قبضوا أيضا على حسن أغا المحتسب وأصعدوا إلى القلعة أيضا بشخص يخدمه، فحبسوه بالبرج الكبير فأما الشيخ السادات فسأل الموكل به عن ذنبه وجرمه الموجب لحبسه؟ فقال له لم يكن إلا الحذر من إثارة تلك الفتن في البلد وإهاجة العامة لبغضك الفرنسيس لما سبق لك منهم من الإيذا، وأما المحتسب فإن الشيخ البكرى والسيد أحمد الزرو ذهبا إلى قايمقام وإلى سارى عسكر وتكلما في شأنه فأجابهما بأن هذا لم يكن من شغلكما وقيل للسيد أحمد إنك رجل تاجر وذاك أمير وليس من جنسك حتى تشفع فيه، فقال إننا محتاجون إليه لأجل مساعدته معنا في قبض المليون ولا نعرف له ذنبا يوجب حبسه، لأنه ناصح في خدمة الفرنسيس، فقالا على لسان الترجمان الله يعلم ذنبه وسارى عسكر وهو أيضا يعلم ذلك من نفسه، ولما سجنوه لم يقلدوا مكانه غيره فكان كتخداه يركب مع الأغا وأمامهم الميزان ونوبة الحسبة.

* عمود السوارى بالاسكندرية الذى دفن قربه قتلى الحملة الفرنسية في الاسكندرية ومن كلمة صارى عسكر اخذ العمود اسم الصوارى (السوارى).



وفيه نادوا في الأسواق بالأمان وعدم الانزعاج من أمر الكرنتيلة وأن من مات لا تحرق إلا ثيابه التي على بدنه لا غير، وكان أشيع في الناس ما تقدم وزادوا على ذلك حرق .

الدار التى يموت فيها أيضا وأن قصدهم أيضا عمل كرنتيلة على البلد بتمامها، فحصل من هذا المشاع[الاشاعات] فى الناس كرب عظيم ووهم جسيم، فنودى بذلك ليسكن روع الناس.

وفى يوم الخميس سادس عشرينه أرسل كبير الفرنسيس وطلب رويسا الديوان والتجار فحضروا إلى منزله فأعلمهم أنه مسافر إلى بحرى وتارك بمصر قايمقام بليار * وجملة من العسكر والكتبة والمهندسين وأوصاهم بأن يكون نظرهم على البلد، وكان فى العزم حبسهم رهينة، فاستشار فى ذلك فاقتضى رأيهم تأخير ذلك وركب من فوره مسافرا ولم يرجع من هذا السفره إلى مصر، وحضر الجماعة إلى الديوان واجتمعوا بالوكيل فوريه فأخبرهم أنه حضر إلى ناحية أبى قير طايفة من الإنكليز وصحبتهم طايفة من المالطية وأخرى نابطلية* وطلعوا إلى قطعة أرض رخوة بين سلسولين* من الما وإن الفرنساوية محيطون بهم من كل جهة.

وفى سابع عشرينه رجعت العساكر التى كانت توجهت إلى جهة الشرق بحمولهم وأثقالهم وصحبتهم سارى عسكر الشرقية «رينه»* فسافروا من يومهم لحقوا بكبيرهم برا وبحرا. وأخبروا عنهم أنهم لم يزالوا سايرين حتى وصلوا إلى الصالحية، وأرسلوا هجانة إلى العريش، فلم يجدوا أحدا فكروا راجعين وأشاعوا أن الجهة الشرقية لم يأت إليها أحد مطلقا،وأصل الخبر أن سارى عسكر رينه كاشف القليوبية والشرقية أخبره بعض عربان المويلح* بأنهم شاهدوا مراكب إنكليزية ترددت بالقلزم فأرسل بخبر ذلك إلى سارى

* هو أحد جنرالات الحملة الفرنسية فى مصر، وكان قائد القوات الفرنسية فى القاهرة بعد أن تركها مينو ليحارب الإنجليز الذين هبطوا فى الاسكندرية، ولقد فشل بليار فى صد هجوم الاتراك من الشرق والإنجليز الذين هاجموه من الغرب (من انبابة) وخاصة بعد هزيمة قواته فى قرية الزوامل قرب بلبيس أمام القوات التركية،وأضطر بليار فى النهاية إلى توقيع شروط تسليم القاهرة للإنجليز فى أواخر شهر يونيو.

* نابطلية: نسبة إلى مملكة نابلى التى لم تكن اتحدت بعد فى مملكة إيطاليا.

* سلسولين: مثنى لكلمة سلسبيل أو سلسول وهو الما. لسان العرب مادة (سلس) جـ٣ ولعله يقصد هنا لسان من الأرض محصور بين الما من الجهتين

* الجنرال رينه: هو الجنرال رينييه، كان من أشد المتحمسين لكليبر لرغبته فى الجلا عن مصر. ولذلك فإنه ناصب مينو العدا لرغبته فى البقا بمصر وتحويلها إلى مستعمرة فرنسية دايمة. ولذلك عندما تولى مينو قيادة الحملة الفرنسية فى مصر بعد مقتل كليبر على يد سليمان الحلبى، كان من أشد منتقديه حتى أن مينو اضطر للقبض عليه بتهمة الخيانة وقام بترحيله بالقوة إلى فرنسا.

* المويلح: وكان يوجد فى المويلح قلعة التأمين طريق الحج المار بها. وهى تقع على الساحل الشرقى للبحر

الأحمر، في ثلث الطريق بين مكة والقاهرة. وأنشأت هذه القلعة في عهد داود باشا الخادم الذى حكم مصر في ١٥٣٨ : ١٥٤٩م. وبنيت كاستراحة للحجاج. وكانت حامية هذه القلعة ترحل من القاهرة قبل خروج المحمل بشهرين أو بثلاثه حتى تحل محل الحامية التي كانت تعمل هناك خلال السنة السابقة.



* سارى عسكر بليار. وقع اتفاق الجلاء عن القاهرة.



* سارى عسكر «رينه» اتهمه مينو بالخيانه.

عسكر منو ويقول له في ضمن ذلك ويشير عليه بأن يتوجه صحبة جانب من العسكر ويحصن نواحى الإسكندرية خوفاً من ورود الإنكليز تلك الناحية وأن رينه يتكفل له بمن يرد إلى ناحية الشرق وأكد عليه في ذلك، فأجابه سارى عسكر بقوله إن الإنكليز لا يأتون من هذه الناحية وأنهم يأتون من ساحل الشام ويأمره بالارتحال والذهاب إلى الصالحية يرابط فيها، فتوانى في الحركة وأرسل إليه ثانيا بمعنى الجواب الأول ويحثه على تحصين ثغور الإسكندرية وترددت بينهما المراسلات في ذلك ومضت أيام فيما بين ذلك فورد الخبر للفرنساوية بورود مراكب الإنكليز وترددها تجاه الإسكندرية ثم رجوعها، فكتب سارى عسكر منو يقول لرينه: إنهم تَراءَوْا ليوهموا بأن قصدهم ورود الإسكندرية ثم غابوا وأنهم رجعوا ليطلعوا بناحية الطينة ويستحثه على الرحلة والذهاب إلى الصالحية فلم يسعه إلا الامتثال والارتحال.

وكتب إليه كتابا يقول فيه إنهم لا يريدون إلا ثغر الإسكندرية وإنما لم يسعفهم الريح فلا تغتر برجوعهم وأنه رحل امتثالا للأمر ويشير عليه هو أيضاً بعدم تأخره عن الذهاب إلى الإسكندرية ويقبل إشارته، فلم يسمع وتأخر عن ذلك، ورحل رينه إلى جهة البركة [بركة الحج] ولم يستعجل الذهاب ثم انتقل إلى الزوامل [قرب بلبيس] ثم إلى بلبيس وفي كل يوم ووقت يرسل إليه سارى عسكر منو ويأمره بالذهاب إلى الصالحية وهو يتلكأ في الرحيل ثم أرسل له آخرا يقول له إنه وردت علينا أخبار بأن يوسف باشا الوزير متحرك إلى القدوم ويحتم عليه في الرحيل إلى الصالحية، فعند ذلك جمع رينه سوارى عسكره وعرض عليهم ذلك وسفه رأيه وأن هذا الخبر لا أصل له، وأنا أعلم

أننا لا نصل إلى الصالحية حتى يأتى الخبر بخلاف ذلك ويأتينا الأمر بالرجوع والذهاب إلى الإسكندرية فلا نستفيد إلا التعب والمشقة، وارتحل بمن معه من غير استعجـــال فوصلوا إلى القرين فى ثلاثة أيام وإذا بمراسلة سارى عسكر منو إلى رينه يخبره بأن الإنكليز* وصلوا إلى أبى قير وطلعوا إلى البر وتحاربوا مع أمير الإسكندرية ومن معه من الفرنساوية وظهروا عليهم ويستعجله فى الرجوع والذهاب إلى الإسكندرية، فقال رينه هذا ما كنت أخمنه وأظنه، وارتحل راجعا وعدى على بر إنبابه بعساكره وتقدم سارى عسكر منو وسبقه إلى الإسكندرية.

---

## شهر القعدة سنة ١٢١٥

فى ثالثه أمر وكيل الديوان أرباب الديوان بأن يكتبوا لسارى عسكر مكتوبا بالسلام ففعلوا ما أمروا به، وفى سادسه توفى محمد أغا مستحفظان مطعونا، مرض يوم السبت وتوفى ليلة الأحد فوضعوه فى نعش وخرج به الحمالون لا غير، وأمامه الطرادون ولم يعملوا له مشهد ولا جماعة وكرتنوا داره وأغلقوها على من فيها ولم يقلدوا عوضه أحداً بل أذنوا لعبد العال أن يركب عوضا عنه، وذلك بمعونة نصر الله النصرانى ترجمان قايمقام، فاستقر عبد العال المذكور أغات مستحفظان ومحتسبا، فكان ذلك من جملة النوادر والعبر، فإن عبد العال هذا كان من أسافل العامة، وكان أجيرا لبعض نصارى الشوام بخان الحمزاوى يخدمه، ثم توسط بمصطفى أغا السابق بسبب معرفته للنصارى المترجمين حتى تقدم بوساطته وقلدوه الأغاوية فجعله كتخداه ومشيره؛ فلما تولى محمد أغا تقيد معه كما كان

* كانت الحكومة الإنجليزية تحرض تركيا على محاربة فرنسا وإجلائها عن مصر. وكانت مهمة انجلترا فى الحملة العثمانية الأولى مقصورة على معاونتها بأساطيلها فى البحر المتوسط. ولكن هزيمة العثمانيين فى موقعة عين شمس جعلتها تفكر فى الدخول إلى ميدان القتال برا واعداد جيش انجليزى يشترك مع الجيش العثمانى فى الزحف على مصر، لأن الجيش العثمانى قد برهن على عجزه عن طرد الفرنسيين منها. فأخذت انجلترا فى اقناع الباب العالى فى تجهيز حملة جديدة بالاشتراك مع الحملة الإنجليزية لتتحد حركاتها وتتناصر القوات العثمانية والإنجليزية برا وبحرا.
وكانت الخطة الحربية التى رسمتها انجلترا بالاتفاق مع الباب العالى أن يزحف الجيش العثمانى براً من طريق العريش وقطية، وفى الوقت نفسه ينزل فى (أبو قير) جيش انجليزى تركى بحماية الاسطول البريطانى والعمارة التركية. وينزل بالسويس جيش هندى قادم من الهند على ظهر العمارة الإنجليزية فى البحر الأحمر، فتلتقى القوات الثلاث فى أرض مصر وتطوق الجيش الفرنسى بها.

مع مصطفى أغا ولكن دون الحالة التى كان عليها مع ذلك لصلاحية محمد أغا عن ذلك المقتول، فلما توفى فى هذا الوقت ترك لعبد العال أمر المنصب لاشتغال الفرنساوية بما هو الأهم من انفتاح الحروب والطاعون وغير ذلك.

وفي يوم الثلاثا تاسعه أشيع فى الناس* وصول العثمانيين إلى ناحية غزة وأن جواليشهم وصلوا إلى العريش وقدمت الهجانة إلى الفرنساوية بالخبر، فلما كان عشا تلك الليلة طلبوا المشايخ إلى الديوان فلما تكامل حضورهم حضر فوريه الوكيل وصحبته آخر من الفرنسيس من طرف قايمقام، فتكلم فوريه كلاما كثيرا ليزيل عنهم الوهم ويوانسهم بزخرف القول كقوله إنه يحب المسلمين ويميل بطبعه إليهم وخصوصا العلما وأهل الفضايل ويفرح لفرحهم ويغتم لغمهم ولا يحب لهم إلا الخير، وسياسة الأحكام تقتضى بعض الأمور المخالفة للمزاج، وأن سارى عسكر قبل ذهابه رسم لهم رسوما وأمرهم بإجرائها والمشى عليها فى أوقاتها، وأنه عند سفره قصد أنه يعوق المشايخ وأعيان الناس ويتركهم فى الترسيم رهينة عن المسلمين، فلما ظهر له وتحقق أن الذين وردوا إلى أبى قير ليسوا من المسلمين وإنماهم إنكليزية ونابلطية وأعدا للفرنساوية وللمسلمين أيضاً وليسوا من ملتهم حتى يخشى من ميلهم إليهم أو يتعصبوا من أجلهم، والآن بلغنا أن يوسف باشا الوزير وعساكر العثمانية تحركوا إلى هذا الطرف فلزم الأمر لتعويق بعض الأعيان وذلك من قوانين الحروب عندنا بل وعندكم، ولا يكون عندكم تكدر ولا وهم بسبب ذلك، فليس إلا الإعزاز والإكرام أينما كنتم، والوكيل دايما نظره معهم ولا يغفل عن تعليل مزاجهم فى كل وقت ويوم، ثم

* تحرك القوات العثمانية نحو غزة.
وقد ورد فى صحيفة كوربيه دى ليجيبت العدد (٧٥) ص ٣٨٥ وما بعدها ما يلى:
لا يزال الوزير الأعظم فى يافا ومعه فيلق يتراوح عدده بين سبعة وثمانية آلاف جندى، وثمة فيلق آخر فى غزة قوامه حوالى ألفى جندى، وفيلق ثالث يضم نفس العدد من المقاتلين ويعسكر فى العريش تحت قيادة إسماعيل باشا.
سكان نابلس فى حرب سافرة مع الوزير الأعظم وقد هزم النابلسيون أبو مرق Abou-Marak باشا الجيش العثمانى الذى خسر فى المعركة ما بين الف ومائتين وألف وخمسمائة مقاتل، وقد قدم الجزار باشا امدادات واعانات إلى النابلسيين.
يجوب القبطان باشا على رأس أسطول من ٢٦ قطعة حربية كبيرة وصغيرة البحار من دمياط إلى الاسكندرية.
أصبح جيش الوزير الأعظم ضعيفا جدا فى يافا، وقد تفشى مرض وبائى بين جنوده، ويؤكد البعض ان إبراهيم بك وإحدى نسائه قد توفيا.

انتهى الكلام وانقضى المجلس على تعويق* أربعة أشخاص من المشايخ وهم الشيخ الشرقاوى والشيخ المهدى والشيخ الصاوى والشيخ الفيومى، فأصعدوهم إلى القلعة فى الساعة الرابعة من الليل مكرمين وأجلسوهم بجامع سارية، ونقلوا إلى مكانهم الشيخ السادات فاستمر معهم بالمسجد وأمروا الأربعة الباقية من أعضاء الديوان وهم البكرى والأمير والسرسي وكاتبه أن يكون نظرهم على البلد، ويجتمعون بشيوخ البلد ولا ينقطعون عنه وأن المشايخ المحجوزين لا خوف عليهم ولا ضرر، وهم معززون مكرمون، وأطلقوا لكل شيخ منهم خادما يطلع إليه وينزل ليقضى له أشغاله وما يحتاج إليه من منزله والذى يريد من أحبابهم وأصحابهم زيارتهم يأخذ له ورقة بالإذن من قايمقام، ويطلع بها فلا يمنع وكذلك أصعدوا إبراهيم أفندى كاتب البهار وأحمد بن محمود محرم(*) وحسين قرا إبراهيم ويوسف باشجاويش تفكجيان وهلى كتخدا يحيى أغات الجراكسة ومصطفى أغا أبطال وعلى كتخدا النجدلى ومحمد أفندى سليم ومصطفى أفندى جمليان ورضوان كاشف الشعراوى وغيرهم، وأمروا المشايخ الباقية والذين لم يحبسوا بتقييدهم ونظرهم إلى البلد والعامة، وأنهم يترددون على بليار قايمقام ويعلمونه بالأمور التى ينشا عنها الشرور والفتن، وأهمل الديوان المليون والمطالبة بثلثه وكذلك كسرة الفردة ونفّس الله عن الناس، وكذلك تسوهل فى أمر الكرنتيلة وإجازة الأموات وعدم الكشف عليهم وتصديق الناس بما يخبرون به فى مرض من يموت، وذلك لكثرة أشغالهم وحركاتهم وتحصنهم ونقل متاعهم وصناديقهم وفرشهم وذخايرهم إلى القلعة الكبيرة على الجمال والحمير ليلا

* تعويق الشرقاوى والمهدى والصاوى والفيومى والسادات وحجزهم بالقلعة.

* أحمد بن محمود محرم: هو من الاسر التجارية الكبيرة فى العصر العثمانى، أصلهم من الفيوم وأول من اشتغل بالتجارة منهم الحاج محرم الذى استوطن القاهرة، وسافر إلى الحجاز عدة مرات واتسعت ثروته، وقد شاركه فى تجارته ابنه أحمد.



* الشيخ سليمان الفيومى.

ونهاراً والطاعون متعلق فيهم، ويموت منهم العدة الكثيرة في كل يوم.

وفى حادى عشره أفرجوا عن الشيخ سليمان الفيومى، وأنزلوه من القلعة ليكون مع من لم يحبس، وأمرهم الوكيل بالتقيد والحضور إلى الديوان على عادتهم، ولا يهملونه، فكانوا يحضرون ويجلسون حصة يتحدثون مع بعضهم، ولا يرد عليهم إلا القليل من الدعاوى، ثم ينصرفون إلى منازهم، وكذلك أمروا الشيخ أحمد العريشى القاضى بأن يحضر ويجلس من غير سابقة له بذلك، وذلك حفظا للناموس لا غير.

وفى ثالث عشرة نقل الكمسارى فوريه الوكيل متاعه إلى القلعة وصعد إليها فلم ينزل، وأرسل إلى الشيخ سليمان الفيومى تذكرة يأمره فيها بأن ينقل فراش المجلس ويودعه فى مكان بداره ففعل ما أمره به ولم يتركوا به إلا الحصر، وأمر بحضور أرباب الديوان على عادتهم فكانوا يفرشون سجاجيدهم ويجلسون عليها حصة الجلوس ثم ينصرفون.

وفى رابع عشره نقلوا حسن أغا المحتسب من البرج إلى جامع سارية صحبة المشايخ، وكذلك فوريه الوكيل جعل سكنه الجامع المذكور وأظهر أن قصده موانستهم وليس إلا لضيق مساكن القلعة وازدحام الفرنسيس وكثرة ما نقلوه إليها من الأمتعة والذخاير والغلال والأحطاب مع ما هدموه من أماكنها حتى إنهم سدوا أبواب الميدان وجعلوه من جملة حقوقها، فكانوا ينزلون إليه ويصعدون منه من باب السبع حدرات.

وفى تاسع عشره ورد مكتوب من كبير الفرنسيس من ناحية إسكندرية مؤرخ بثالث عشر القعدة وهو جواب عن المكتوب المرسل إليه السابق ذكره وصورته بعد الصدر المعتاد:

من عبد الله جاك منو سر عسكر أمير عام جيوش الفرنساوية بالشرق والمظهر حكومتها ببر مصر حالا إلى كامل المشايخ والعلما الكرام المقيمين بالديوان المنيف بمحروسة مصر أدام الله فضايلهم، ورد لنا مكتوبكم العزيز ورأينا بكامل السرور كل ما فصلتم لنا به وثبت من مفهومنا صدق ودادكم لنا ولعساكر دولة جمهور الفرنساوية ودمتم حضراتكم وكافة أهالى مصر بالحمية والاستقامة الموعودة ومعلوم على فضايلكم أن الله يهدى كل من يشاء وما النصر إلا منه ووضعت عليه اعتمادى وما توفيقى إلا به وبرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام الدايم، وإن ابتغيت النصرة فما هو إلا لسهولة خيراتى إلى بر مصر وسكان ولايتها وخير أمور أهلها، والله تعالى يكون دايما معكم ويكرم وجوهكم بالسلامة.

وفيه سمع ونقل عن بعض الفرنسيس أنه وقع الحرب بين الفرنساوية والإنكليزية وكانت الهزيمة على الفرنساوية* وقتل بينهم مقتلة كبيرة وانحازوا إلى داخل الإسكندرية ووقع بينهم الاختلاف واتهم منو سارى عسكر رينه وداماص، وَرَابَهُ منهما ما رابه، وكان سببا لهزيمته فيما يظن ويعتقد، فقبض عليهما وعزلهما من إمارتهما، وذلك أن رينه وداماص لما ذهبا على الصورة المتقدمة ونظر رينه وأرسل من كشف على متاريس الإنكليز فوجدها فى غاية

نزول القوات الانجليزية فى الاسكندرية

عمل الفرنسيون فى القاهرة على اعلان انتصارات مينو فى الاسكندرية على الانجليز حتى مع مخالفة ذلك للواقع. فبالرغم من هذه الهزايم نشرت جريدة كورييه دى ليچيبت تقول.

«تفيد الخطابات التى وصلتنا من الاسكندرية وكذلك ابلغنا المسافرون القادمون منها أنه بدأت معارك طاحنة



* سارى عسكر رينه.

الوضع والإتقان، فاجتمعوا للمشورة على عادتهم، ودبروا بينهم أمر المحاربة، فرأى سارى عسكر منو رأيه فلم يعجب رينه ذلك الرأى، و[قال] : إن فعلنا ذلك وقعت الغلبة علينا وإنما الرأى عندى كذا وكذا ووافقه على ذلك داماص وكثير من عقلاهم، فلم يرض بذلك منو وقال أنا سارى عسكر وقد رأيت رأيى فلم يسعهم مخالفته، وفعلوا ما أمر به فوقعت عليهم الهزيمة، وقتل منهم فى تلك الليلة خمسة عشر ألفا وتنحى رينه وداماص ناحية ولم يدخلا فى الحرب بعسكرهما، فاغتاظ منو ونسبهما للخيانة* والمخامرة عليه وتسفيههم لرأيه، وأكد ذلك عنده أنهما لما حضرا إلى الإسكندرية أخذا معهما أثقالهما وما كان لهما بمصر لعلمهما عاقبة الأمر وسوء رأى كبيرهما، فاشتد إنكاره عليهما وعزل عنهما العسكر وحبسهما ثم أطلقهما ونزلا

بين جيشنا والجيش الإنجليزى الذى هاجمناه فى عقر خنادقه لقد أبدع فرساننا فى منازلة العدو ببسالة فايقة، وكان القايد العام مينو يقود الجيش بنفسه، وقتل حصانه وخر تحت قدميه».

وكان ذلك بلا شك لرفع الروح المعنوية للجنود الفرنسيين فى القاهرة ولمنع ثورة المصريين عليهم.

راجع كوربيه دى ليجيبت ـ العدد ١٠١ ، ص٤٠١.

* مينو يتهم رينيه ودماص بالخيانة ويرسلهما إلى فرنسا.

إلى المراكب مع عدة من أكابرهم وسافرا إلى بلادهما، وكان منو أرسل إلى بونابرته* يخبر عن ورود الإنكليز ويستنجده، فأرسل إليه عسكراً فصادفوا الجماعة المذكورين فى الطريق فأخبروهم عن الواقع وردوهم من أثناء الطريق*، وقد أشاروا لذلك فى بعض مكاتباتهم. وأخبر أيضاً المخبرون أن الإنكليز أطلقوا حبوس المياه الملحة حتى أغرقت طرق الإسكندرية وصار جميعها لجة ماء ولم يبق لها طريق مسلوك إلا من جهة العجمى إلى البرية [الصحراء] وأن الإنكليز تترسوا قبالهم من جهة الباب الغربى*.

وفيه ورد الخبر بأن حسين باشا القبطان* ورد بعساكره جهة أبى قير وطلع عسكره من المركب إلى البر وقويت القراين الدالة على صحة هذه الأخبار وظهرت لوايح ذلك من الفرنسيس مع شدة تجلدهم وكتمان أمرهم وتنميق كلامهم.

وفيه سدوا باب البرقية المعروف بباب الغريب* وبنوه، فضاق خناق الناس بسبب الخروج إلى القرافة بالأموات فكان الذى مدفنه ببستان المجاورين يخرج بجنازته من باب النصر ويمرون بها من خلف السور المسافة الطويلة حتى ينتهوا إلى مدفنهم، فحصل للناس مشقة شديدة وخصوصاً مع كثرة الأموات، فكلّم يوم الأحد حادى عشرينه بعض المشايخ قايمقام فى شأن ذلك فأرسل إلى قبطان الخطة ففتح بابا صغيراً من حايط السور جهة كفر الطماعين على قدر النعش والحمالين والمشاة.

* عمل بونابرت بعد أن وصل إلى قمة السلطة فى فرنسا على إمداد الجيش الفرنسى فى مصر بما يحتاجه، ولكن سيادة انجلترا فى البحر المتوسط حالت دون ذلك ولا سيما بعد استيلائها على مالطة من أيدى الفرنسيين ورغم الحصار المفروض على الشواطى المصرية من قبل الإنجليز فقد أخذت المراكب الفرنسية تغامر فى الرحلة إلى مصر فتضبط السفن الإنجليزية بعضها ويصل بعضها سالما إلى السواحل المصرية. وكان نابليون يقصد من هذه المحاولات تقوية الروح المعنوية للجنود الفرنسيين، وإحياء الأمل فى نفوسهم بأنه لا ينساهم على البعد وأنه يمدهم بالجند والعتاد.

* أرسل نابليون إمدادات بحرية إلى مينو لمساعدته فى مقاومة الإنجليز والأتراك تحت قيادة الاميرال جانتوم الذى أقلع من طولون بالفعل فوصل إلى درنه بالساحل الليبى فى ٢٣ يونيو ١٨٠١ قرب الحدود الغربية لمصر ولكنه عاد إلى طولون فى ٢٢ يوليو دون أن يتمكن من الوصول إلى السواحل المصرية وذلك بعد أن صادف السفينة التى كان عليها رينية ودماص فى طريقه.

* الباب الغربى: هو باب غرب بسور الاسكندرية القديم، ومنه كان الوصول بين منطقة القبارى (حيث كانت مدافن المدينة) وقلب الاسكندرية. والقبارى تعنى مدينة الموتى (نيكروبوليس) باليونانية، ولعل منها الكلمة العربية (قبر).

وفى ثانى عشرينه سافر جماعة من أعيان الفرنساوية إلى جهة بحرى وهم استوف الخازندار العام ومدبر الحدود وفوريه وكيل الديوان وشنانيلو مدبر أملاك الجمهور وبرنار وكيل دار الضرب وريج خازندار دار الضرب ولابرت ريس مدرسة المكتب [المكتبة] وحافظ سجلاتهم وكتبهم وأخذوا معهم طايفة من رويسا القبط وفيهم جرجس الجوهرى* وأشيع فى الناس بأن سفرهم لتقرير الصلح وليس كذلك.

وفى ثالث عشرينه توكل بحضور الديوان كمسارى يقال له جيرار.

وحضر يوم الجمعة سادس عشرينه بصحبة كاتب سلسلة التاريخ محبنا الفاضل العمدة السيد إسماعيل المعروف بالخشاب وحضرة قاسم أفندى أمين الديوان وكاتب الديوان، فلما استقر به الجلوس أخبر أنه ورد كتاب من كبيرهم جاك منو باللغة الفرنساوية مضمونه أنه مقيم بإسكندرية وهو مورخ بعشرين القعدة، ومثل ذلك من الكلام الفارغ.

وفيه قدم ثلاثة أنفار من العرب صحبة جماعة من الفرنسيس وذهبوا بهم إلى بيت قايمقام فاستفسر منهم فاختل كلامهم وتبين كذبهم، فأمر بحبسهم.

وفيه حضر جماعة من الفرنسيس من جهة الشرق ومعهم دواب كثيرة وآلات حرب ومروا فى شارع المدينة ومنعوا الناس من شرب الدخان خوفا على البارود من النار ولم يعلم سبب قدومهم، ثم تبين أنهم هم الذين كانوا محافظين

* قبودان باشا حسين: من كبار قادة الدولة العثمانية. حضر إلى مصر مرة سابقة فى ٢٥ شعبان سنة ١٢٠٠هـ = ٢٣ يونيو ١٧٨٥م لتحصيل الخزاين المنكسرة على مراد بك وإبراهيم بك. وهذه هى المرة الثانية التى حضر فيها ضمن الحملة العثمانية الإنجليزية على مصر لإجلا الفرنسيين منها. توفى سنة ١٢٠٤هـ.

* باب البرقية فى سور الشرقى على امتداد شارع الأزهر متجها نحو المقطم وكان يعرف كذلك بباب الغريب.

* جرجس الجوهرى: توفى عام ١٢٢٠هـ، ويذكر عنه الجبرتى انه كان كبير المباشرين بالديار المصرية نافذ الكلمة وافر الحرمة، وتقدم فى أيام الفرنسيس، وكذلك عند مجىء الوزير والعثمانيين وقدموه وأجلسوه لما يسديه إليهم من الهدايا والرغايب، حتى كانوا يسمونه جرجس أفندى، ورأيته يجلس بجانب محمد باشا خسرو وبجانب شريف أفندى الدفتردار، ويشرب بحضرتهم الدخان وغيره، ويراعون جانبه ويشاورونه فى الأمور، وكان عظيم النفس ويعطى العطايا ويفرق على جميع الأعيان عند قدوم شهر رمضان الشموع العسلية والسكر والأرز والكساوى والبن، وأنشا دارا كبيرة، وهى التى يسكنها الدفتردار الآن ويعمل فيها الباشا (محمد على باشا) وابنه الدواوين عند قنطرة الدكة، ولم يزل على حالته حتى نافسه المعلم غالى وتداخل فى هذا الباشا، فكان إذا طلب الباشا من المعلم جرجس طلبا واسعا، يقول له هذا لا يتيسر تحصيله، فيأتى

بالصالحية وبعد أيام حضر أيضا الذين كانوا بالقرين وكذلك الذين كانوا ببلبيس وناحية الشرق شيا بعد شي.

المعلم غالى فيسهل له الأمور ويفتح له أبواب التحصيل، فضاق خناق المترجم وخاف على نفسه فهرب إلى قبلى ثم حضر بأمان، وانحط قدره ولازمته الأمراض حتى مات فى أواخر شعبان سنة ١٢٢٥هـ = سبتمبر ١٨١٠م.
انظر الجزء الخامس ترجمة رقم ٦٧٢.

## شهر ذى الحجة الحرام سنة ١٢١٥

فيه حصل الاجتماع بالديوان وأخبر الوكيل أن كبيرهم قد بعث أخباراً بالأمس منها أنه قد مات جماعة من كبرا الإنكليز وأن أكثر عساكرهم مريضون بمرض الزحير* والرمد وربما يحصل الصلح عن قريب ويرجعون إلى بلادهم وأن العطش مضاررهم وبعثوا عدة مراكب لتأتيهم بالماء فتعذر عليهم ذلك، ثم سأل عن أحوال البلد وسكون الرعية والغلال والأقوات فأجيب بأن البلد مطمينة والرعية ساكنة والغلال موجودة فقال لابد من اعتناكم بجميع هذه الأمور الموجبة للراحة.

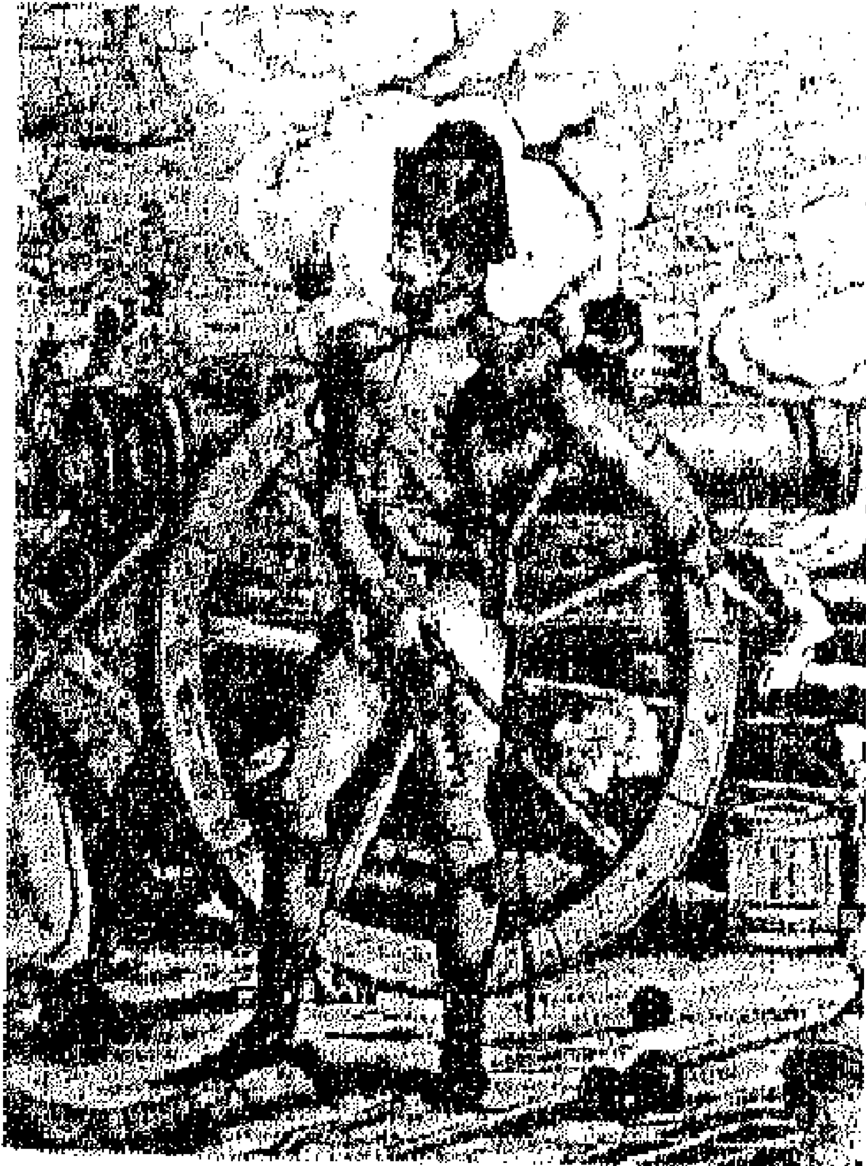
* الزحير: هو مرض الدوسنطاريا.

وفيه أشيع أن الإنكليز ومن معهم من العثمانية. ملكوا ثغر* رشيد وأبراجها وحاربوا من كان بها من الفرنسيس حتى أجلوهم عنها ودخلوها.

* الانجليز والعثمانية يتملكوا رشيد.

وفى ذلك اليوم قبضوا على نيف وستين من مغاربة الفحامين وطولون والغورية ونفوهم، وذلك من فعل عبد العال الأغا.

وفيه أمر بليار قايمقام بركوب أحد المشايخ صحبة عبد العال ويمرون بشوارع المدينة فكان يركب معه مرة الشيخ محمد الأمير ومرة الشيخ سليمان الفيومى وذلك لتطمين الرعية.

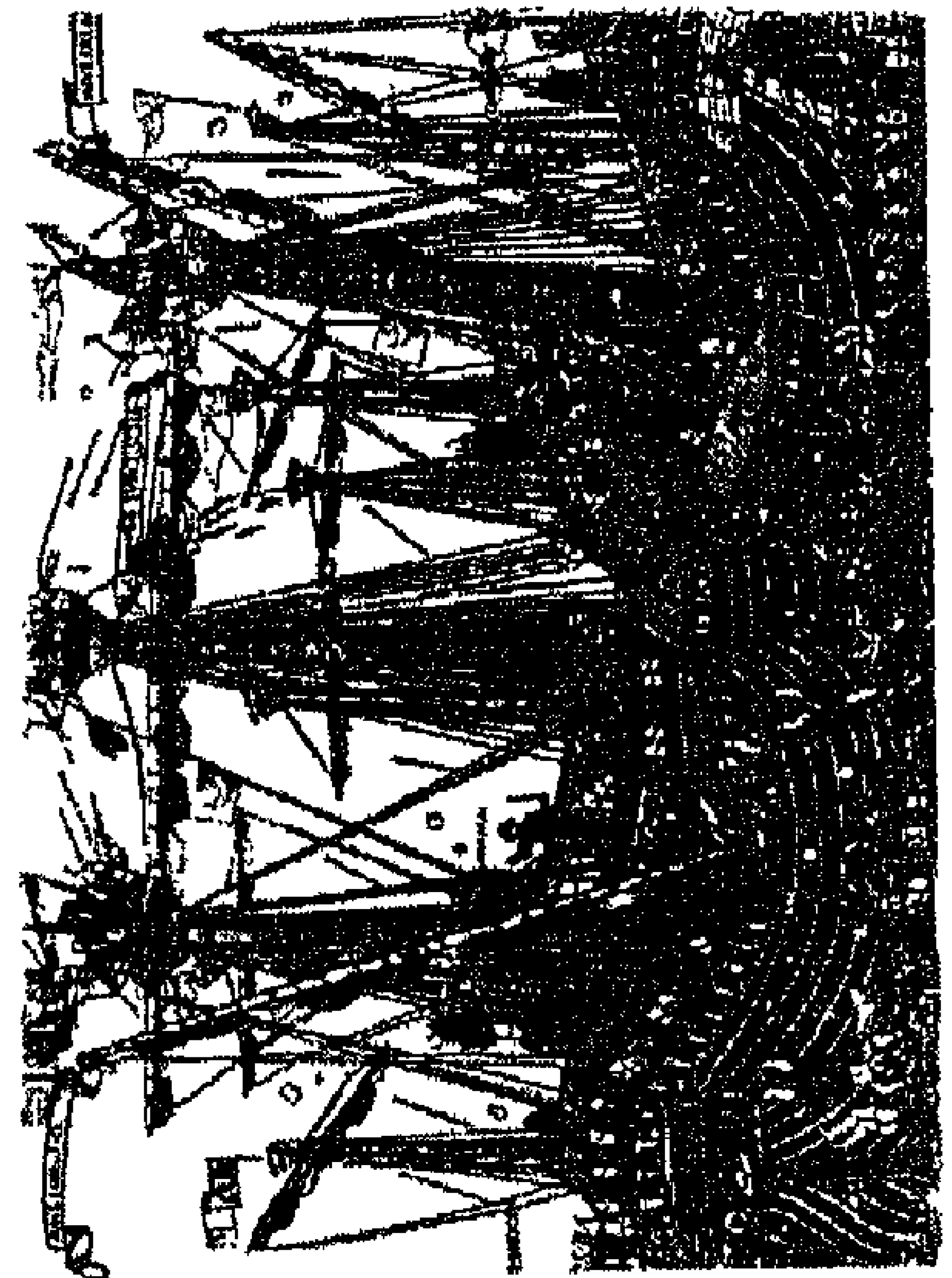


وفى سادسه قرى مكتوب زعموا أنه حضر من سارى عسكر منو من جهة الإسكندرية وصورته بعد البسملة والجلالة والصدر المعتاد.

إلى حضرات كافة المشايخ والعلما الكرام المستشيرين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر أدام الله تعالى فضايلهم وما النصرة إلا من الله وبشفاعة رسوله الكريم عليه السلام الدايم، العساكر الفرنساوية والإنكليزية هما إلى هذا الآن حصيران قبلهما فحصنا أطرافنا بمتاريس وخنادق لا تغلب ولا تهجن، وغير ذلك يلزم نخبر حضراتكم لتهدية تمشياتكم ولأجل انتظامها أن سلطان الروسية المحمية أعلن بواسطة مراسله إلى حضرة السلطان سليم أذعن الأمر إلى عسكره لأجل ما يتجانبوا ويتراووا ويخلوا من بر مصر جميعا وإلا لابد من السلطان الروسيا الجمعية الإقامة بالمحاربة بمعية ماية ألف عسكرية ضد العثمانية وضد قسطنطينية، فبناء على ذلك أرسل السلطان سليم أوامره بفرمانه خطابه إلى عساكره لتخلية بر مصر بالكامل من بالبر المذكور.

ولكن ذهب الإنكليزية كفاً للارتشا بعض من مقدار العسكر العثمانية وبتقديم امتثالهم إلى أوامر سلطانهم فأعلنوا وأخبروا كل ذلك إلى أهالى مصر. فانتظموا كما كنتم دايما بالخير، وأعتمدوا واعتنوا بحماية وصيانة دولة الجمهور الفرنساوية والله تعالى يديم فضايلكم عن الإلهام بالخير والسلامات، حرر فى الخامس والعشرين شهر

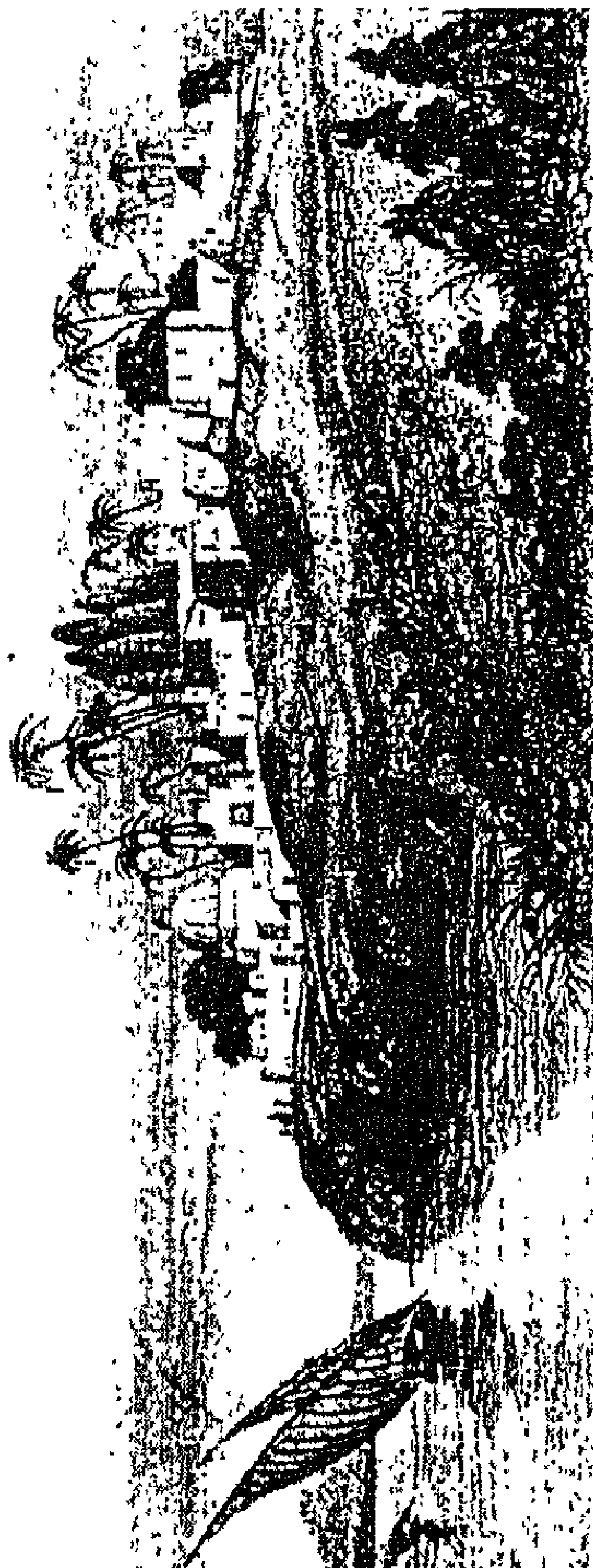
* الاسطول العثمانى.



الجبرتى/ سنة ١٢١٥م

جرمينيال [أبريل] سنة تسعة الموافق لثلاثة ذى الحجة سنة ألف ومايتين وخمسة عشر. كتب بألفاظه وحروفه من خط منشيه لوماكا الترجمان.

ثم قال الترجمان إن الفرنساوى الذى حمل هذا الكتاب نقل لى عن سر عسكر أنه ناشر لكم ألوية الشكر على قيامكم بوظايفكم فدوموا على ذلك فأجيب بالسمع والطاعة، ثم إن بعض الحاضرين من المشايخ أخبر بأن رجلا من المنوفية يقال له موسى خالد كان الفرنساوية أحسنوا إليه وقدموه على أقرانه فلما خرجوا من المنوفية أفسد فى البلاد وقطع الطريق ولا يتمكن أحد من أهل هذه الجهة أن يخرج من بلده لتحصيل معاشه، وأنه قبض على الشيخ عابدين القاضى وصادره فى نحو ثلاثة آلاف ريال، وكذلك صادر كثيراً من أغنيا منوف وغيرها وأخذ أموالهم، فقال الوكيل ستسكن الفتنة ويعاقب المفسدون. ثم أمر بكتابة مكاتيب ممضاة من مشايخ الديوان خطابا للتجار والمتسببين ولمشايخ البلاد يأمرونهم بإرسال الغلال والأقوات إلى مصر، فكتبوا للمحلة الكبرى ومنوف والمنصورة والفشن وبنى سويف.



وفيه كتبوا جوابا من مشايخ الديوان لكبير الفرنسيس جوابا عن المكتوب المذكور آنفا.

وفيه ذكر قايمقام بليار لبعض الرؤسا أنه إذا رجع سارى عسكر منصورا ودامت أهل البلد على طاعتهم وسكونهم رفع عنهم نصف المليون والظلم ويمكنكم أن تكتبوا إلى البلاد بدفع الميرى ورفعنا الطلب عن الناس، فقالوا هذا غير ممكن لحصول البلاد فى حيازة القادمين وقطع الطريق من وقوف العرب بها وعدم الانتظام، وإنما القصد الملاطفة والرفق فإن وظيفتنا النصح والوساطة فى الخير.

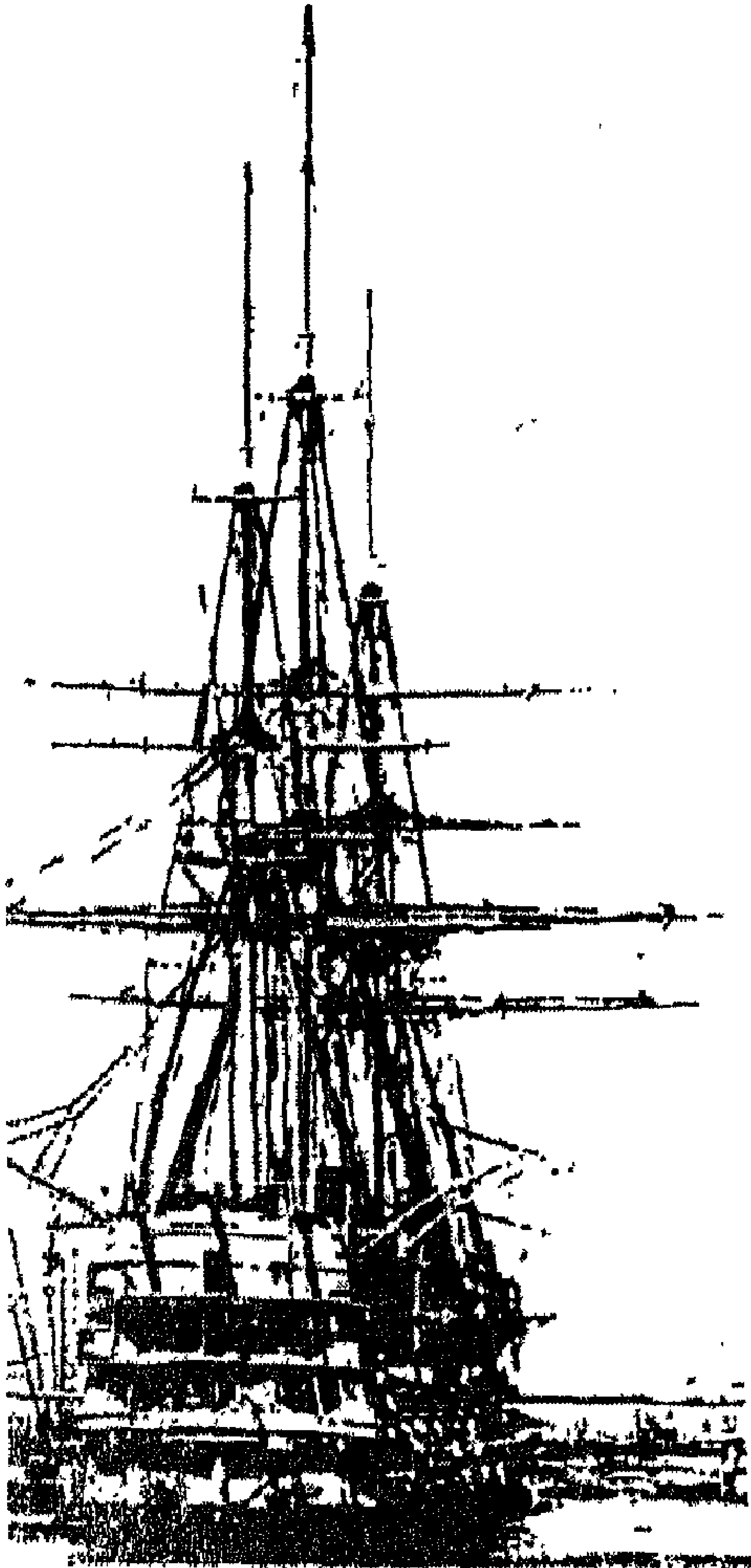
وفي يوم الخميس سادس الحجة حضر استوف الخازندار وجرجس الجوهري ومن معهما من القبطة وغيرهم ما عدا الفرنسيس الذين ذهبوا معه، فأرسلت أوراق بحضور مشايخ الديوان والتجار والأعيان من الغد فلما كان في صبحها حصلت الجمعية وحضر الخازندار والوكيل وعبد العال وعلي أغا الوالي وبعض التجار كالسيد أحمد الزرو والحاج عبد الله التاودي شيخ الغورية والحاج عمر المطيلي التاجر بخان الخليلي ومحمود حسن وكليمان الترجمان، فتكلم استوف وترجم عنه الترجمان [بما يلي]:.

أن ساري عسكر الكبير منو يقريكم السلام ويثني عليكم كثيرا، وسينجلي هذا الحادث إن شا الله تعالى ويقدم فيه خير، ويرى أهل مصر ما يسرهم، وقد هلك من الإنكليز خلق كثير وباقيهم أكثرهم مرمودون الأعين وبمرض الزحير، وجات طايفة منهم إلى الفرنساوية وانضموا إليهم من جوعهم وعطشهم، ولتعلموا أن الفرنساوية لم يسلموا في رشيد قهراً عنهم بل تركوها قصدا، وكذلك أخلينا دمياط لأجل أن يطمعوا ويدخلوا إلى البلاد وتتفرق عساكرهم فنتمكن عند ذلك من استيصالهم، ونخبركم أنه قد وردت إلى إسكندرية مركب من فرنسا وأخبرت أن الصلح قد تم مع كامل القرانات* ما عدا الإنكليز فإنهم لم يدخلوا في الصلح وقصدهم عدم سكون الحرب والفتن ليستولوا على أموال الناس، واعلموا أن للمشايخ المحبوسين بالقلعة وغيرهم لا بأس عليهم وإنما القصد من تعويقهم وحبسهم رفع الفتن والخوف عليهم، وشريعة الفرنساوى اقتضت ذلك ولا يمكن مخالفتها كمخالفة القرآن العظيم

* القرانات: أو القرلات، مفردها (قرال) وهي صقلبيه دخلت التركية وكانت تطلق على الملوك المسيحيين من غير الأباطره، ثم أطلقت بعد ذلك على بعض الملوك المسيحيين كما هو واضح من نص الجبرتي هنا. وفي نص آخر يذكر الجبرتي: والخبر عن مجمل القضية أن بونابارته أمير جيش

عندكم، وقد بلغنا أن السلطان العثملى أرسل إلى عسكره بالكف عن الفرنساوية والرجوع عن قتالهم فخاف عليه بعض السفها منهم وخرجوا عن طاعته وأقاموا الحرب بدون أذنه، فأجابه بعض الحاضرين بقوله: إن القصد حصول الراحة والصلح والفرنساوية عندنا أحسن حالا من الإنكليز لأننا قد عرفنا أخلاقهم ونعلم أن الإنكليز إنما يريدون بانضمامهم إلى العثملية تنفيذ أغراضهم فقط فإنهم يولون العثملى ويغرونه حتى يوقعوه فى المهالك ثم يتركونه كما فعلوا سابقا، ثم قال الخازندار إن الفرنساوية لا يحبون الكذب ولم يعهد عليهم، فلازم أن تصدقوا كل ما أخبركم به، فقال بعض الحاضرين إنما يكذب الحشاشون، والفرنساوية لا يأكلون الحشيش. ثم قال الخازندار إن وقع من أهل مصر فشل أو فساد عوقبوا أكثر من عام أول، واعلموا أن الفرنساوية لا يتركون الديار المصرية ولا يخرجون منها أبدا لأنها صارت بلادهم وداخلة فى حكمهم، وعلى الفرض والتقدير إذا غلبوا على مصر فإنهم يخرجون منها إلى الصعيد ثم يرجعون إليها ثانيا، ولا يخطر فى بالكم قلة عساكرهم فإنهم على قلب رجل واحد وإذا اجتمعوا كانوا كثيرا، وطال الكلام فى مثل هذه التمويهات والخرافات وأجوبة الحاضرين بحسب المقتضيات، ثم قال الخازندار القصد منكم معاونة الفرنساوية ومساعدتهم وغلاق نصف المليون ونشفع بعد ذلك عند سارى عسكر فى فوات النصف الثانى حكم ما عرفكم قايمقام بليار فاجتهدوا فى غلاقه من الأغنياء واتركوا الفقرا، فأجابوا فى آخر الكلام بالسمع والطاعة، فقال لكن ينبغى التعجيل فإن

الفرنساوية وعساكرهم خرجوا فى العام الماضى، وأغاروا على القرانات الممالك الإفرنجية، واستولوا على النيمسا التى هى أعظم القرانات.



الأمر لازم لأجل نفقة العسكر، ثم قال لهم ينبغى أن تكتبوا جوابا لسارى عسكر تعرفونه فيه عن راحة أهل البلد وسكون الحال وقيامكم بوظايفكم وهو إن شا الله يحضر إليكم عن قريب وانفض المجلس، وكتب الجواب المأمور به وأرسل.

وفيه ورد الخبر بوصول طاهر باشا الأرنؤدى* بجملة من العسكر الأرنؤدية إلى أبى زعبل.

وفيه خرج عدة من عساكر الفرنساوية وضربوا أربع قرى من الريف بعلة موالاة وقطاع الطريق فنهبوهم وحضروا إلى مصر بمتاعهم ومواشيهم.

وفيه أرسل بليار قايمقام يطلب من الوجاقلية بقية ما عليهم من المال المتأخر من فردة الملتزمين وقدره اثنا عشر ألف ريال وإن تأخروا عن الدفع أحاط العسكر ببيوتهم ونقلهم إلى أضيق الحبوس بل واستعمالهم فى شيل الأحجار فاعتذروا بضيق ذات يدهم وحبسهم، فتصدر إليهم السيد أحمد الزرو وتشفع عند قايمقام بأن يقوموا بدفع أربعة آلاف ريال يؤجلوا بالباقى وينزلوا من القلعة لتحصيل ذلك، فأجابه وأنزل على أغا يحيى أغات الجراكسة ويوسف باشجاويش إلى بيت عبد العال وحبسهم بمكان بداره وحبس معهم مصطفى كتخدا الرزاز فكان يتهددهم ويرسل إليهم أعانه يقولون لهم شهلوا ما عليكم وإلا ضربكم الأغا بالكرابيج فسبحان الفعال لما يريد، فإن عبد العال هذا الذى يتهددهم ربما كان لا يقدر على الوصول إلى الوقوف بين يدى بعض أتباعهم فضلا عنهم.

* طاهر باشا الأرناؤطى: كان أحد قواد الفرق العثمانية التى صاحبت القوات البريطانية فى هجومها على مصر من الناحية الشرقية للقضا على الحملة الفرنسية. وتفصيل ذلك أن الصدر الأعظم (يوسف ضيا) كان قد جمع حوله منذ أواخر فبراير ١٨٠١ م جيشا عظيما قرب يافا بفلسطين ولكن انتشار أمراض الزحير (الدوسنتاريا) والطاعون أخر زحفه إلى مصر حتى قام بصحبته نخبة من الضباط الإنجليز، فكان مع الصدر الأعظم الكولونيل «هالوى» ومع فرسان طاهر باشا الأرناؤطى الكابتن «ليك» ومع مشاة محمد باشا الألبانيين الكابتن «لاسى»، وبدأ الصدر الأعظم زحفه يوم ١٢ مارس بشكل بطى حتى انه وصل العريش فى أول أبريل، ثم غادر جيش طاهر باشا ومعه الكابتن «ليك» العريش صوب القطية و«الطينة»؛ بعد ثلاثة أيام تبعه جيش محمد باشا ومعه الكابتن «لاسى»، وفى ١٩ أبريل تحرك الصدر الأعظم بساير قواته والضباط الانجليز بقيادة «هالوى» فتقدموا حتى الصالحية فى ٢٨ أبريل وفى اليوم التالى وصلوا بلبيس. وهنا تحرك القايد الفرنسى «بليار» بقواته تجاه بلبيس،

وفيه أحاط الفرنسيس بمنزل حسن أغا الوكيل المتوفى قبل تاريخه، وذلك بسبب أنه وجد ببيته غلام فرنساوى مختف أسلم وحلق رأسه وقبضوا على أحد خشداشينه وحبسوه لكونه علم ذلك ولم يخبر به.

فأرسل له الصدر الأعظم قوات بقيادة طاهر باشا اتبعها بقوات أخرى بقيادة محمد باشا اشتبكت مع القوات الفرنسية قرب الخانكة فى منطقة الزوامل، وانضمت قوات الصدر الأعظم لبقية القوات العثمانية مما أدى إلى هزيمة القوات الفرنسية وإنسحابها إلى القاهرة فى ١٦ مايو.

وفيه حضرت رسل من طرف عرضى الوزير لقايمقام بليار فاجتمعوا به وخلا بهم ووجههم من ليلتهم، فلما حصلت الجمعية بالديوان سيل الوكيل عن ذلك فقال نعم، إنهم أرسلوا يطلبون الصلح.

وفى ثامن عشره أفرجوا عن إبراهيم أفندى كاتب البهار ليساعد فى قبض نصف المليون.

وفى رابع عشرينه قبضوا على أبى القاسم المغربى شيخ رواق المغاربة وحبسوه بالقلعة بسبب أنه كان يتكلم فى بعض المجالس ويقول، أنا شيخ المغاربة وأحكم عليهم ويتباهى بمثل هذا القول، فنقل عنه ذلك إلى عبد العال والفرنسيس وظنوا صحة قوله وأنه ربما أثار فتنة فقبضوا عليه وحبسوه، وكذلك حبسوا محمد أفندى يوسف ثانى قلفة وآخر يقال له عبيد السكرى.

وفى خامس عشرينه أبرزوا مكتوبا وزعموا أنه حضر من سارى عسكرهم* وقرى بالديوان وصورته بعد الصدرخطابا.

* خطاب من مينو يبرر فيه هزيمته أمام الإنجليز بسبب عصيان السوتيان رينيه.

إلى كافة العلما والمشايخ الكرام بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر حالا أدام الله تعالى فضايلهم. ورد لنا مكتوبكم وانشرح قلبى من كل ما شهدتم لنا فيه بأنه يثبت

عقلكم السليم وصدقكم وتقييد قلوبكم فى طارق الدستور فدوموا مهتدين بهذه المملكة ولابد لفضايلكم من دولة جمهورنا كامل الوفا من حُسن رضا واطمينان عليكم منها، ومن طرف عمدة أصحاب الجراءة والشجاعة حضرة القونصل أولها بونابارته وعلى الخصوص من طرفنا. وكان ضد أوامرى أن الستويان رينيه الذى كنت وصفته قرب فضايلكم ترك ذلك الموضع توجها إلى إسكندرية وما تلك الفعلة إلا من نقص جسارته فى ذى الوقعة فبدلناه جنب فضايلكم بالستويان جيرار جُلّ واجب الاستوصا لأجل عرضه وفضله وخصوصا لأجل غيرته وجسارته: فلذلك هو كسب اعتمادى فاعتمدوا إلى كل ما هو قايل بفضايلكم من جانبنا، وبمنه وعونه تعالى عن قريب نواجهكم بمصر بخير وسلامة ودوموا حسب تدبيراتكم لتنظيم البلد ومماسكة الطاعة بين الأمة الحامدة والسياسة بين غيرهم، وكذلك نرجو من رب الأجناد بحرمة سيد العباد أن تشدوا قلوبكم توكلا له لأن عوننا اسمه العظيم.

حرر فى ثلاثة عشر فلوريال سنة تسعة موافقا لثمانية عشر ذى الحجة سنة ألف ومايتين وخمسة عشر، ممضى عبد الله جاك منو، انتهى بألفاظه وحروفه.

وفى سادس عشرينه أعادوا فرش الديوان بأمر الوكيل جيرار، وذلك على حد قول القايل:

وتجلدى للشامتين أريهم
أنى لريب الدهر لا أتضعضع*

* وتجلدى للشامتين إلخ: هذا البيت لأبى ذويب خويلد بن خالد بن مارن الهذلى.
وبعده:
والنفس راغبة إذا رغبتها
وإذا ترد إلى قليل تقنع

وفيه أفرجوا عن محمد كاشف سليم الشعراوى بشفاعة حسين كاشف وسافر إلى جهة الصعيد.

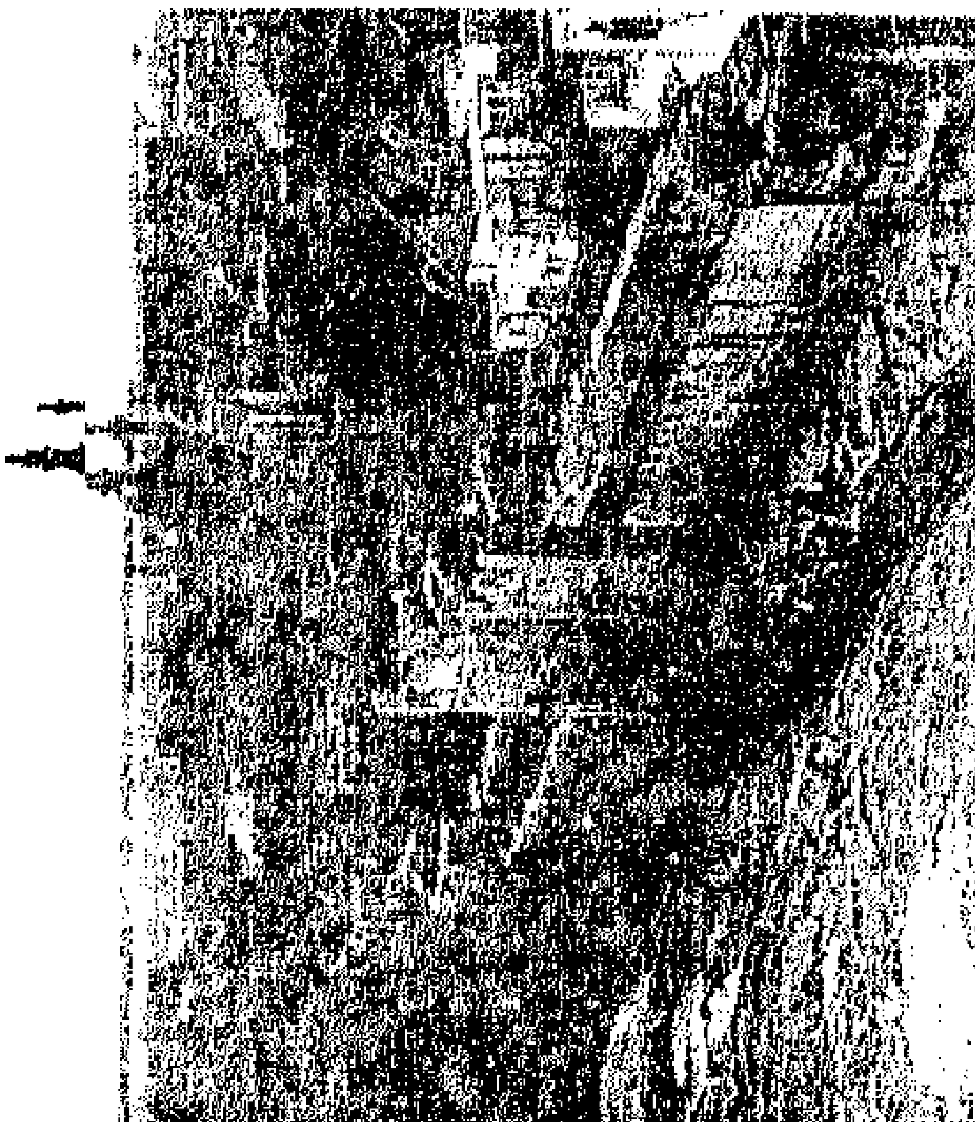
وفى ثامن عشرينه وردت الأخبار بوصول ركاب الوزير يوسف باشا إلى مدينة بلبيس، وذلك يوم الجمعة رابع عشرينه.

وفيه أخبر وكيل الديوان أن سارى عسكر أرسل كتابا إلى الست نفيسة بالتعزية ورتب لها فى كل شهر ماية ألف نصف وأربعين، وانقضت هذه السنة بحوادثها وما حصل فيها.

## (موجز لأحداث العام الماضى)

* فمنها توالى الهدم والخراب وتغيير المعالم وتنويع المظالم وعم الخراب خطة الحسينية خارج باب الفتوح والحروبى فهدموا تلك الأخطاط والجهات والحارات والدروب والحمامات والمساجد والمزارات والزوايا والتكايا وبركة جناق وما بها من الدور والقصور المزخرفة وجامع الجنبلاطية العظيم بباب النصر وما كان به من القباب العظام المعقودة من الحجر المنحوت المربعة الأركان الشبيهة بالأهرام والمنارة العظيمة ذات الهلالين واتصل هدم خارج باب النصر بخارج باب الفتوح وباب القوس إلى باب الحديد حتى بقى ذلك كله خرابا متصلا واحدا وبقى سور المدينة الأصلى ظاهرا مكشوفا فعمروه ورموا ما تشعث منه وأوصلوا بعضه ببعض بالبنا ورفعوا بنيانه فى العلو وعملوا عند كل باب كرانك وبدنات عظاما وأبوابا داخلة وخارجة وأخشابا

* سور القاهرة.



مغروسة بالأرض مشبكة بكيفية مخصوصة، وركزوا عند كل باب عدة من العسكر مقيمين وملازمين ليلا ونهارا.

ثم سدوا باب الفتوح بالبنا وكذلك باب البرقية وباب المحروق وأنشاوا عدة قلاع فوق تلال البرقية ورتبوا فيها العساكر وآلات الحرب والذخيرة وصهاريج الما، وذلك من حد باب النصر إلى باب الوزير وناحية الصوة طولا فمهدوا أعالى التلال وأصلحوا طرقها وجعلوا لها مزالق وانحدارات لسهولة الصعود والهبوط بقياسات وتحريرات هندسية على زوايا قايمة ومنفرجة، وبنوا تلك القلاع بمقادير بين أبعادها وهدموا أبنية راس الصوة حيث الحطابة وباب الوزير تحت القلعة الكبيرة وما بذلك من المدارس القديمة المشيدة والقباب المرتفعة.

وهدموا أعالى المدرسة النظامية ومنارتها وكانت فى غاية من الحسن وجعلوها قلعة ونبشوا ما بها من القبور فوجدوا الموتى فى توابيت من خشب* فظنوا داخلها دراهم فكسروا بعضها فوجدوا بها عظام الموتى فأنزلوا تلك التوابيت وألقوها إلى خارج، فاجتمع أهل تلك الجهة وحمولها وعملوا لها مشهدا بجمع من الناس ودفنوها داخل التكية المجاورة لباب المدرج وجعلوا تلك المدرسة قلعة أيضا بعد أن هدموا منارتهاأيضا.

* لعلهم موتى الخلافه الفاطميه.

وكذلك هدموا مدرسة القانبية والجامع المعروف بالسبع سلاطين وجام الجركسى وجامع خوند ببركة الناصرية خارج باب البرقية، وكذلك أبنية باب القرافة ومدارسها ومساجدها، وسدوا الباب وعملوا الجامع الناصرى الملاصق له قلعة بعد أن هدموا منارته وقبابه.

وسدوا أبواب الميدان من ناحية الرميلة وناحية عرب اليسار وأوصلوا سور باب القرافة بجامع الزمرد وجعلوا ذلك الجامع قلعة ، وكذلك عدة قلاع متصلة بالمجراة [مجرى العيون] التى كانت تنقل الماء إلى القلعة الكبيرة وسدوا عيونها وبواكيها وجعلوها سورا بذاتها، ولم يبقوا منها إلا قوصرّة [منفذ] واحدة من ناحية الطيبى جهة مصر القديمة جعلوها بابا ومسلكا وعليها الكرنك والغفر والعسكر الملازمين الإقامة بها ولقبض المكس من الخارج والداخل وسدوا الجهة المسلوكة من ناحية قنطرة السد بحاجز خشب مقفص وعليه باب بقفل مقفص أيضا وعليه حرسجية ملازمون القيام عليه، وذلك حيث سواقى المجراة التى كانت تنقل الماء إلى القلعة وحفروا خلف ذلك خندقا.

* وأما ما أنشاوه وعمروه من الأبراج والقلاع والحصون بناحية ثغر الإسكندرية ورشيد ودمياط وبلاد الصعيد فشى كثير جدا وذلك كله فى زمن قليل.

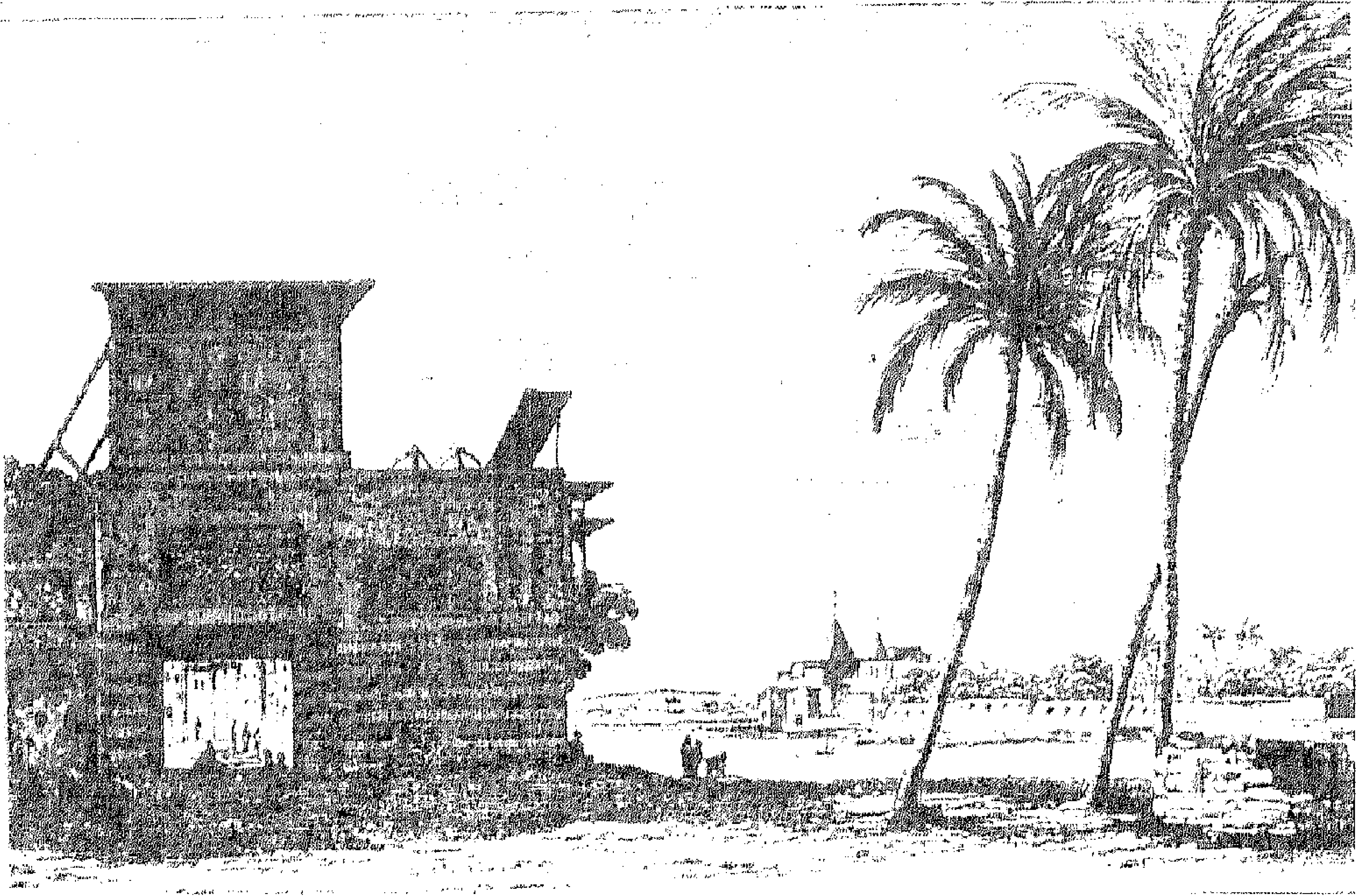
* ومنها تخريب دور الأزبكية وردم رصيفاتها بالأتربة وتبديل أوضاعها وهدم خطة قنطرة الموسكى وما جاورها من أول القنطرة المقابلة للحمام إلى البوابة المعروفة بالعتبة الزرقا، حيث جامع أزبك وما كان فى ضمن ذلك من الدور والحوانيت والوكايل وكوم الشيخ سلامة، فيسلك المار من على القنطرة فى رحبة متسعة تنتهى إلى رحبة الجامع الأزبكى، وهدموا بيت الصابونجى ووصلوه بجسر عريض ممتد ممهد حتى ينتهى إلى قنطرة الدكة، وفى متوسط ذلك الجسر ينعطف جسر آخر جهة اليسار عند بيت الطويل



* المجراه (مجرى العيون).

المهدوم وبيت الألفى حيث سكن سارى عسكر، ممتد ذلك الجسر إلى قنطرة المغربى، ومنها يمتد إلى بولاق على خط مستقيم إلى ساحل البحر [النيل] حيث موردة التبن والشون، وزرعوا بحافتيه السيسبان والأشجار وكذلك برصيفات الأزبكية.

وهدموا المسجد المجاور لقنطرة الدكة مع ما جاوره من الأبنية والغيطان، وعملوا هناك بوابة وكرنكا وعسكرا ملازمين الإقامية والوقوف ليلا ونهارا، وذلك عند مسكن بليار قايمقام وهى دار جركس الجوهرى وما جاوره، وكان فى عزمهم إيصال ما انتهوا إلى هدمه بقنطرة الموسكى إلى سور باب البرقية، ويهدمون من حد حمام الموسكى حتى يتصل المهدوم بناحية الأشرفية، ثم إلى خان الخليلى إلى إسطبل الطارمة المعروف الان بالشنوانى إلى ناحية كفر الطماعين إلى البرقية ويجعلون ذلك طريقا واحدا متسعا وبحافتيه الحوانيت والخانات، وبها أعمدة وأشجار وتكاعيب وتعاريش وبساتين من أولها إلى آخرها من حد باب البرقية إلى بولاق، فلما انتهوا فى الهدم إلى قنطرة الموسكى تركوا الهدم ونادوا بالمهلة ثلاثة أشهر وشرعوا فى أبنية حوايط بحافتى القنطرة ومعاطف ومزالق إلى حارة الإفرنج وحارة النباقة، وذلك بالحجر النحت المتقن الوضع، وكذلك عمروا قناطر الخليج المتهدمة داخل مصر وخارجها على ذلك الشكل مثل قنطرة السد والقنطرة التى بين أراضى الناصرية وطريق مصر القديمة وقنطرة الليمون، وقنطرة قديدار وقنطرة الإوز وغير ذلك، ثم فاجأهم حادث الطاعون ووصول القادمين فتركوا ذلك واشتغلوا بأمور التحصين وسيأتى تتمة ذلك.



* أحد القصور على بركة الفيل.

* ومنها توالى خراب بركة الفيل وخصوصا بيوت الأمرا التى كانت بها، وأخذوا أخشابها لعمارة القلاع ووقود النيران والبيع، وكذلك ما كان بها من الرصاص والحديد والرخام، وكانت هذه البركة من جملة محاسن مصر، وفيها يقول أبو سعيد الأندلسى وقد ذكر القاهرة.

وأعجبنى فى ظاهرها بركة الفيل لأنها دايرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل ويسرح أصحاب المناظر على قدر هممهم وقدرتهم فيكون بذلك لها منظر عجيب وفيها أقول:

انظر إلى بركة الفيل التى اكتنفت

بها المناظر كالأهداب للبصر

كأنما هي والأبصار ترمقها
كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت إليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت:

انظر إلى بركة الفيل التي نحرت
لها الغزالة* نحرا من مطالعها
وخل طرفك محفوفا ببهجتها
تهيم وجدا وحبا في بدايعها

* الغزالة: هي الشمس.

* وتخرب أيضًا جامع الرويعي وجعلوه خمارة، وبعض جامع عثمان كتخدا القزدغلي الذي بالقرب من رصيف الخشاب وجامع خير بك حديد الذي بدرب الحمام بقرب بركة الفيل، وجامع البنهاوي والطرطوشي والعدوي وهدموا جامع عبد الرحمن كتخدا المقابل لباب الفتوح حتى لم يبق به إلا بعض الجدران، وجعلوا جامع أزبك سوقا لبيع أقلام المكوس.

* ومنها أنهم غيروا معالم المقياس* وبدلوا أوضاعه وهدموا قبته العالية والقصر البديع الشاهق والقاعة التي بها عمود المقياس وبنوها على شكل آخر لا بأس به لكنه لم يتم، وهي على ذلك باقية إلى الآن ورفعوا قاعة العامود العليا ذراعا وجعلوا تلك الزيادة من قطعة رخام مربعة ورسموا عليها من جهاتها الأربع قراريط الذراع.

* ومنها أنهم هدموا مساطب الحوانيت التي بالشارع ورفعوا أحجارها مظهرين أن القصد بذلك ترسيع الأزقة لمرور

تغيير معالم المقياس: عاين المهندسون المقياس. وقاموا بنزح البير وتطهيره حتى القاعة وعاينوا أولى التقسيمات السفلى للصمود حيث قسمت المسافة بين القاعدة والقمة إلى ١٦ ذراعا، ولم تكن الستة الأذرع الأولى السفلية مجزأة، أما الستة العليا التالية فكانت مقسمة كل منها ٤ أجزاء متساوية ـ يسمى الجزء منها اصبعا. منذ عدة قرون كانت مياه الفيضان ترتفع إلى ما فوق الذراع السادس عشر. ولكي يتيسر قياس هذا

العربات الكبيرة التى ينقلون عليها المتاع واحتياجات البنا من الأحجار والجبس والجبر وغيره، والمعنى الخفى الشافى خوفا من المتاريس بها عند حدوث الفتن كما تقدم، وكانوا وصلوا فى هدم المساطب إلى باب زويلة ومن الجهة الأخرى إلى عطفة مرجوش، فهدموا مساطب خط قناطر السباع والصليبة ودرب الجماميز وباب سعادة وباب الخرق إلى آخر باب الشعرية، ولو طال الحال لهدموا مساطب العقادين والغورية والصاغة والنحاسين إلى آخر باب النصر وباب الفتوح، فحصل لأرباب الحوانيت غاية الضيق لذلك وصاروا يجلسون فى داخل فجوات الحوانيت مثل الفيران فى الشقوق.

وبعض الزوايا والجوامع والرباع التى درجها خارج عن سمت حايط البنا لما هدموا درجه وبسطته بقي باب مدخله معلقا فكانوا يتوصلون إليه بدرج من الخشب مصنوع يضعونه وقت الحاجة ويرفعونه بعدها وذلك عمل كثير.

* ومنها تبرج* النسا وخروج غالبهن عن الحشمة والحيا، وهو أنه لما حضر الفرنسيس إلى مصر ومع البعض منهم نساهم كانوا يمشون فى الشواع مع نساهم وهن حاسرات الوجوه لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة ويسدلن على مناكبهن الطرح الكشميرى والمزركشات المصبوغة ويركبن الخيول والحمير ويسوقونها سوقا عنيفا مع الضحك والقهقهة ومداعبة المكارية معهم وحرافيش العامة.

فمالت إليهم نفوس أهل الأهوا من النسا الأسافل والفواحش، فتداخلن معهم لخضوعهم للنسا وبذل الأموال

التجاوز للفيضان فوق العمود، قاموا بتقسيم الحجر المكعب الذى يعلو القمة أو التاج، فتوصلوا إلى مقياس قدره ١٨ ذراعا و ٦ أصابع بها فى ذلك العمود أو قمته.

تم كانت هناك كتلة خشبية عارضه عتيقة كان حمزة باشا قد ثبت بها المقياس عام ١١٨٠هـ، وقد تأكلت بسبب قدمها، فأستبدلت بعارضة أخرى جديدة من قطعة واحدة تخترق البير من الشرق إلى الغرب وهى ترتكز على المكعب الحجرى الذى يعلو تاج العمود.

وقد رم جدار البير فى جميع اجزائه. كذلك اجريت اصلاحات فى الحجرة ذات الممرات الدائرية. وأعيد طلا العمود بدقة مع مراعاة عدم المساس بالكتابات الكوفية والعربية الموجودة عليه.

لمزيد من المعلومات راجع كوربيه دى ليجيبت العدد ١٠١ ص٣٦٨ وما بعدها.

* هجوم الجبرتى على تحرر النسا فى وقته.



لهن وكان ذلك التداخل أولا مع بعض احتشام وخشية عار ومبالغة فى إخفايه، فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر وحاربت الفرنسيس بولاق وفتكوا فى أهلها وغنموا أموالها وأخذوا ما استحسنوه من النسا والبنات صرن مأسورات عندهم، فزيوهن بزى نساهم وأجروهن على طريقتهن فى كامل الأحوال، فخلع أكثرهن نقاب الحيا بالكلية، وتداخل مع أوليك المأسورات غيرهن من النسا الفواجر.





* النساء تمشى سافرات للنظر فى أمور الرعية بصفتهن من العاملين فى السلطة الفرنسية كزائرات صحيات خاصة اوقات الطواعين.

ولما حل بأهل البلاد من الذل والهوان وسلب الأموال واجتماع الخيرات فى حوز الفرنسيس ومن والاهم وشدة رغبتهم فى النسا وخضوعهم لهن وموافقة مرادهن وعدم مخالفة هواهن ولو شتمته أو ضربته بتاسومتها الحذاء، فطرحن الحشمة والوقار والمبالاة والاعتبار واستملن نظراهن واختلسن عقولهن لميل النفوس إلى الشهوات وخصوصاً عقول القاصرات، وخطب الكثير منهم بنات الأعيان وتزوجوهن رغبة فى سلطانهم ونوالهم، فيظهر حالة العقد الإسلام وينطق بالشهادتين لأنه ليس له عقيدة يخشى فسادها، وصار مع حكام الأخطاط منهم النسا المسلمات متزييات بزيهم ومشوا معهم فى الأخطاط للنظر فى أمور الرعية* والأحكام العادية والأمر والنهى والمناداة وتمشى المرأة بنفسها أو معها بعض أترابها وأضيافها على مثل شكلها وأمامها القواسة والخدم وبأيديهم العصى يفرجون لهن الناس مثل ما يمر الحاكم ويأمرن وينهين فى الأحكام.

* ومنها أنه لما أوفى النيل أذرعه ودخل الما إلى الخليج وجرت فيه السفن وقع عند ذلك من تبرج النسا

واختلاطهن بالفرنسيس ومصاحبتهم لهن فى المراكب والرقص والغنا والشرب فى النهار والليل فى [ضو] الفوانيس والشموع الموقدة وعليهن الملابس الفاخرة والحلى والجواهر المرصعة وصحبتهم آلات الطرب وملاحو السفن يكثرون من الهزل والمجون ويتجاوبون برفع الصوت فى تحريك المقاديف بسخيف موضوعاتهم وكثايف مطبوعاتهم خصوصاً إذا دبت الحشيشة فى روسهم وتحكمت فى عقولهم فيصرخون ويطبلون ويرقصون ويزمرون ويتجاوبون بمحاكاة ألفاظ الفرنساوية فى غناهم وتقليد كلامهم شي كثير.



وأما الجوارى السود فإنهن لما علمن رغبه القوم فى مطلق الأنثى ذهبن إليهم أفواجا فرادى وأزواجا فنططن الحيطان وتسلقن إليهم من الطبقات ودلوهم على مخبآت أسيادهن وخبايا أموالهم ومتاعهم وغير ذلك.

ومنها أن يعقوب القبطى* لما تظاهر مع الفرنساوية وجعلوه سارى عسكر القبطة جمع شبان القبط وحلق لحاهم وزياهم بزى مشابه لعسكرالفرنساوية مميزين عنهم بقبع يلبسونه على روسهم مشابه لشكل البرنيطة وعليها قطعة فروة سودا من جلد الغنم فى غاية البشاعة مع ما يضاف إليها من قبح صورهم وسواد أجسامهم وزفارة أبدانهم وصيرهم عسكره وعزوته وجمعهم من أقصى الصعيد، وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصارى التى هو ساكن بها خلف الجامع الأحمر، وبنى له قلعة وسورها بصور عظيم وأبراج وباب كبير يحيط به بدنات عظام وكذلك بنى

* الجبرتى ينتقد تكوين يعقوب لفرقة الأقباط.





أبراجا فى ظاهر الحارة جهة بركة الأزبكية فى جميع السور المحيط والأبراج طيقانا للمدافع وبنادق الرصاص على هية سور مصر الذى رمه الفرنساوية، ورتب على باب القلعة الخارج والداخل عدة من العسكر الملازمين للوقوف ليلا ونهارًا وبأيديهم البنادق على طريقة الفرنساوية.

ومنها قطعهم الأشجار والنخيل من جميع البساتين والجناين الكاينة بمصر وبولاق ومصر القديمة والروضة وجهة قصر العينى وخارج الحسينية وبساتين بركة الرطلى وأرض الطبالة وبساتين الخليج بل وجميع القطر المصرى كالشرقية والغربية والمنوفية ورشيد ودمياط، كل ذلك لاحتياجات عمل القلاع وتحصين الأسوار فى جميع الجهات وعمل العجل والعربات والمتاريس ووقود النار، وكذلك المراكب والسفن أخذوا أخشابها أيضا مع شدة الاحتياج إليها وعدم إنشا الناس سفنا جديدة لفقرهم وعدم الخشب والزفت والقار والحديد وباقى اللوازم، حتى إنهم حال حلولهم الديار المصرية وسكنهم بالأزبكية كسروا جميع القنج والأغربة [السفن والمراكب] التى كانت موجودة تحت بيوت الأعيان بقصد التنزه، وكذلك ما كان ببركة الفيل وبسبب ذلك شحت البضايع وغلت الأسعار وتعطلت الأسباب وضاقت المعايش وتضاعفت أجر حمل التجارات فى السفن لقلتها.

* ومنها هدم القباب والمدافن الكاينة بالقرافة تحت القلعة خوفا من تترس المحاربين بها فكانوا يهدمون ذلك بالبارود على طريقة اللغم فيسقط المكان بجميع أجزايه من قوة البارود وانحباسه فى الأرض فيسمع له صوت عظيم ودوى،

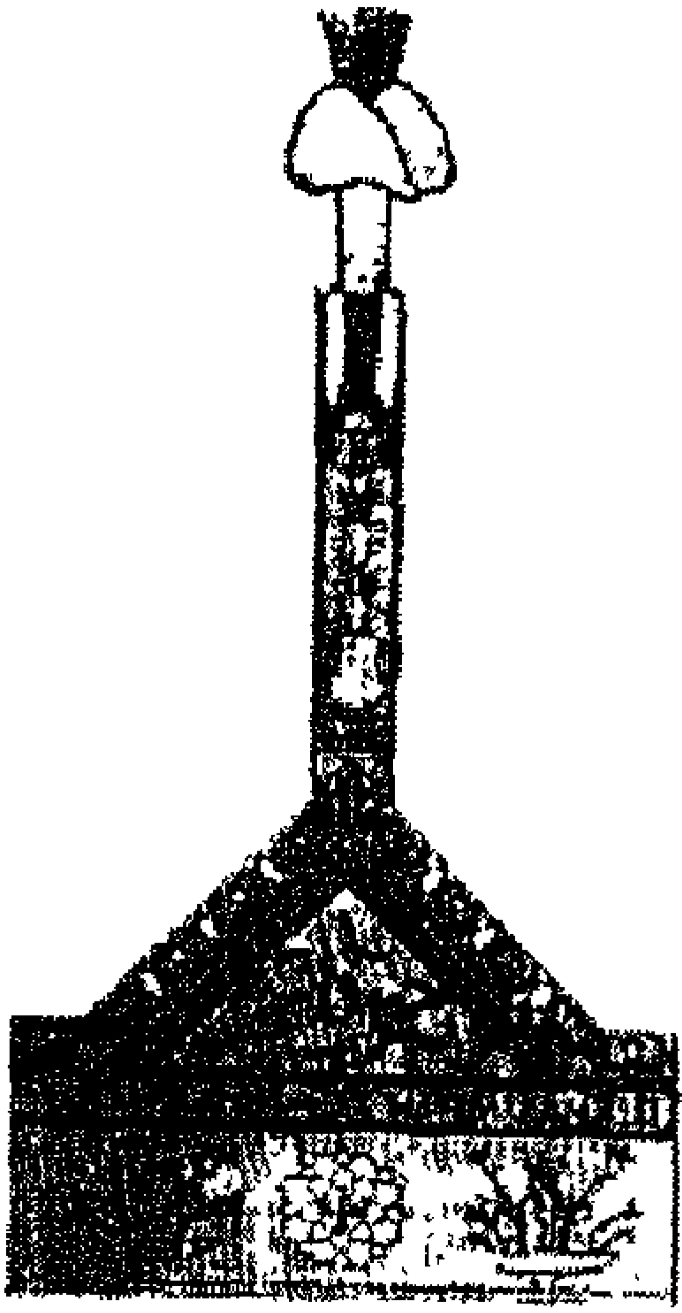
فهدموا شيأ كثيرا على هذه الصورة، وكذلك أزالوا جانبا كبيرا من الجبل المقطم بالبارود من الجهة المحاذية للقلعة خوفا من تمكن الخصم منها والرمى على القلعة.

* ومنها زيادة النيل الزيادة المفرطة التى لم يعهد مثلها فى هذه السنين حتى غرقت الأراضي وحوصرت البلاد وتعطلت الطرق فصارت الأرض كلها لجة ماء وغرق غالب البلاد التى على السواحل فتهدم من دورها شى كثير، وأما المدينة فإن الماء جرى من جهة الناصرية إلى الطريق المسلوكة وطفح من بركة الفيل إلى درب الشمسى وطريق قنطرة عمر شاه.

ومنها استمرار انقطاع الطرق وأسباب المتاجر وغلو البضايع المجلوبة من البلاد الرومية والشامية والهندية والحجازية والمغرب حتى غلت أسعار جميع الأصناف، وانتهى سعر كل شى إلى عشرة أمثاله وزيادة على ذلك، فبلغ الرطل الصابون إلى ثمانين نصفا واللوزة الواحدة بنصفين وقس على ذلك، وأما الأشيا البلدية فإنها كثيرة وموجودة وغالبها يباع رخيصا مثل السمن والعسل النحل والأرز والغلال وخصوصا الأرز فإنه بيع فى أيامهم بخمسماية نصف فضة الأردب، وكانت النصارى باعة العسل النحل يطوفون به فى بلاليص محملة على الحمير ينادون عليه فى الأزقة بأرخص الأثمان.

* خطاب الشيخ حسن العطار حول الطاعون فى أسيوط.

* ومنها وقوع الطاعون بمصر والشام وكان معظم عمله ببلاد الصعيد أخبرنى صاحبنا العلامة الشيخ حسن المعروف بالعطار المصرى نزيل أسيوط مكاتبة، ونصه



ونعرفكم يا سيدى أنه قد وقع فى قطر الصعيد طاعون لم يعهد ولم نسمع بمثله، وخصوصا ما وقع منه بأسيوط وقد انتشر هذا البلا فى جميع البلاد شرقا وغربا وشاهدنا منه العجايب فى أطواره وأحواله وذلك أنه أباد معظم أهل البلاد وكان أكثره فى الرجال سيما الشبان والعظما وكل ذى منقبة وفضيلة، وأغلقت الأسواق وعزت الأكفان وصار المعظم من الناس بين ميت ومشيع ومريض وعايد، حتى إن الإنسان لا يدرى بموت صاحبه أو قريبه إلا بعد أيام ويتعطل الميت فى بيته من أجل تجهيزه فلا يوجد النعش ولا المغسل ولا من يحمل الميت إلا بعد المشقة الشديدة وإن أكبر كبير إذا مات لا يكاد يمشي معه ما زاد على عشرة أنفار تكترى، وماتت العلما والقراء والملتزمون والرويسا وأرباب الحرف ولقد مكثت شهرا بدون حلق رأسى لعدم الحلاق.

وكان مبدأ هذا الأمر من شعبان وأخذ فى الزيادة فى شهرى ذى القعدة والحجة حتى بلغ النهاية القصوى فكان يموت كل يوم من أسيوط خاصة زيادة على الستماية، وصار الإنسان إذا خرج من بيته لا يرى إلا جنازة أو مريضا أو مشتغلا بتجهيز ميت، ولا يسمع إلا نايحة أو باكية، وتعطلت المساجد من الأذان والإمامة لموت أرباب الوظايف واشتغال من بقى منهم بالمشى أمام الجنايز والسبح والسهر. وتعطل الزرع من الحصاد ونشف على وجه الأرض وأبادته الرياح لعدم وجدان من يحصده، وعلى التخمين أنه مات الثلثان من الناس. هذا مع سعى العرب فى البلاد بالفساد والتخويف بسبب خلو البلاد من الناس والحكام، إلى أن قال ولو شيت أن أشرح لك ياسيدى ما حصل من أمر الطاعون

* جنازة



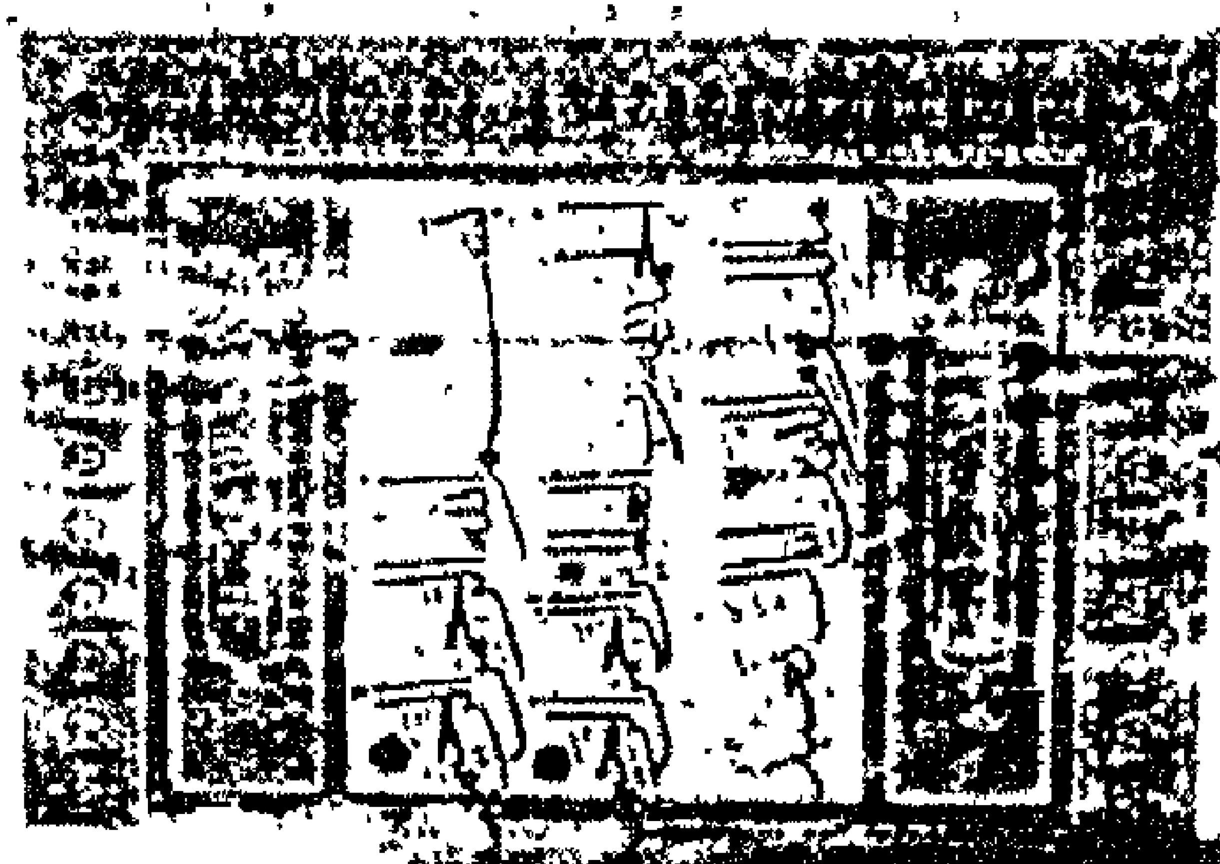
الجبرتى/ سنة ١٢١٥م

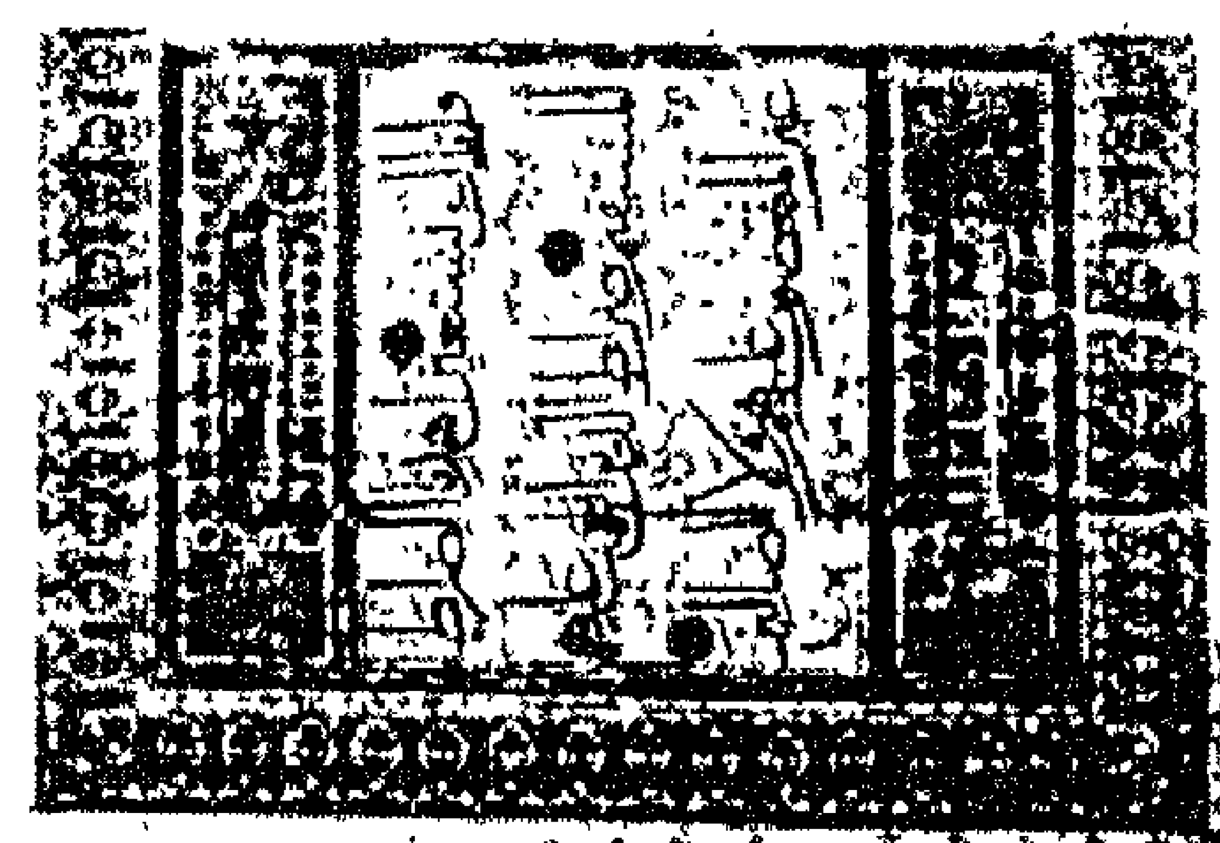
لملأت الصحف مع عدم الإبقا، وتاريخه ثامن عشرين الحجة سنة تاريخه.

## وأما من مات في هذه السنة من الأعيان

٦٠٨/ محمد بن أحمد الجوهري.

*مات الإمام الألمعي والذكي اللوذعي من عجنت طينته بماء المعارف، وتآخت طبيعته مع العوارف، العمدة العلامة والنحرير الفهامة فريد عصره ووحيد دهره الشيخ محمد بن أحمد بن حسن بن عبد الكريم الخالدى الشافعي الشهير بابن الجوهرى، وهو أحد الإخوة الثلاثة وأصغرهم، ويعرف هو بالصغير ولد سنة إحدى وخمسين وماية وألف ونشأ في حجر والده في عفة وصون وعفاف، وقرا عليه وعلى أخيه الأكبر الشيخ أحمد بن أحمد وعلى الشيخ خليل المغربى والشيخ محمد الفرماوى وغيرهم من فضلا الوقت، وأجازه الشيخ محمد الملوى بما في فهرسته، وحضر دروس الشيخ عطية الأجهورى في الأصول والفقه وغير ذلك، فلازمه وبه تخرج في الإلقا، وحضر الشيخ على الصعيدى والبراوى وتلقى عن الشيخ الوالد حسن الجبرتى كثيرا من العلوم ولازم التردد عليه والأخذ منه مع الجماعة ومنفردا، وكان يحبه ويميل إليه ويقبل بكليته عليه. وحج مع والده في سنة ثمان وستين وجاور معه فاجتمع بالشيخ السيد عبد الله المرغنى صاحب الطايف، واقتبس من أنواره واجتنى من ثماره، وكان آية في الفهم والذكا والغوص والاقتدار على حل المشكلات وأقرا الكتب وألقى الدروس بالأشرفية وأظهر التعفف والانجماع عن خلطة الناس والذهاب والترداد إلى بيوت الأعيان والتزهد عما بأديهم فأحبه الناس وصار له

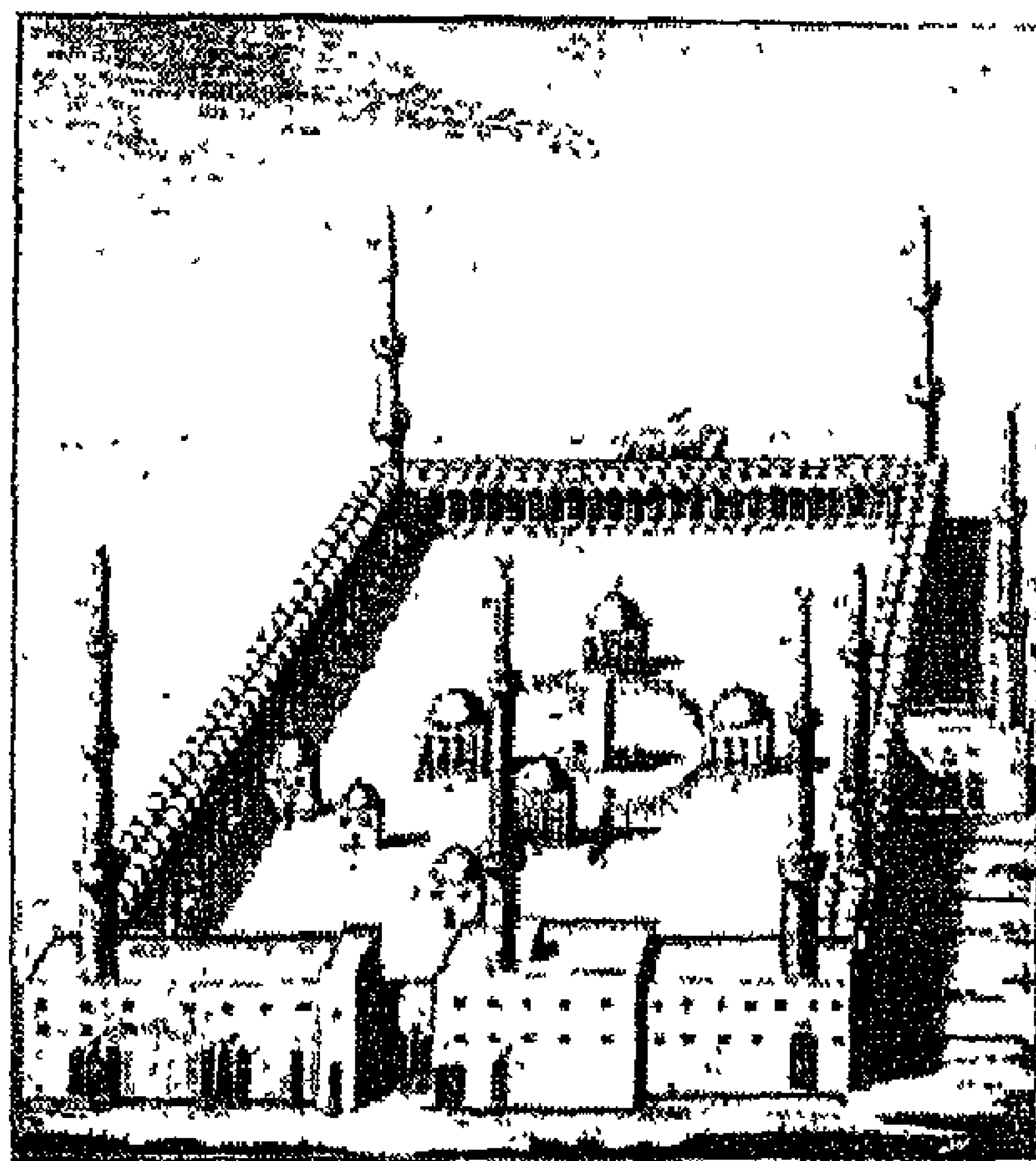




أتباع ومحبون،وساعده على ذلك الغنى والثروة وشهرة والده وإقبال الناس عليه ومدحتهم له وترغيبهم فى زيارته، وتزوج ببنت الخواجا الكريمى وسكن بدارها المجاورة لبيت والده بالأزبكية، واتخذ له مكانا خاصا بمنزل والده يجلس فيه في أوقات، وكل من حضر عند أبيه في حال انقطاعه من الأكابر أو من غيرهم للزيارة أو للتلقي يأمره بزيارة ابنه المترجم، والتلقي عنه وطلبهم الدعا منه، ويحكى لهم عنه مزايا وكرامات ومكاشفات ومجاهدات وزهديات فازداد اعتقاد الناس فيه وعاشر العلما والفضلا من أهل عصره ومشايخه وقرناه، وتردد عليهم وترددوا عليه ويبيتون عنده ويطعمهم ويكرمهم ويتنزه معهم فى أيام النيل مع الحشمة والكمال ومجانبة الأمور المخلة بالمروة.

ولما مات أخوه الكبير الشيخ أحمد وقد كان تصدر بعد والده فى إقرا الدروس أجمع الخاص والعام على تقدم المترجم فى إقرا الدروس فى الأزهر والمشهد الحسينى فى رمضان، فامتنع من ذلك وواظب على حالة انجماعه وطريقته وإملايه الدروس بالأشرفية، وحج فى سنة سبع وثمانين وماية وألف، وجاور سنة وعقد دروسا بالحرم وانتفع به الطلبة ثم عاد إلى وطنه وزاد فى الانجماع والتحجب عن الناس فى أكثر الأوقات، فعظمت رغبة الناس فيه وورد هداياهم مرة بعد أخرى وأظهر الغنى عنهم فازداد ميل الناس إليه وجبلت قلوبهم على حبه واعتقاده وتردد الأمرا وسعوا لزيارته أفواجا وربما احتجب عن ملاقاتهم وقلد بعضهم بعضا فى السعى، ولم يعهد عليه أن دخل بيت أمير قط أو أكل من طعام أحد قط إلا بعض أشياخه المتقدمين، وكانت

* الحرم الملكى.



شفاعته لا ترد عند الأمر والأعيان [وكان] من الشكيمة والصدع بالأمر والناصحة فى وجوههم إذا أتوا إليه، وازدادت شهرته وطار صيته، ووفدت عليه الوفود من الحجاز والمغرب والهند والشام والروم وقصدوا زيارته والتبرك به.

وحج أيضاً فى سنة تسع وتسعين لما حصلت الفتنة بين أمرا مصر فسافر بأهله وعياله وقصد المجاورة فجاور سنة وأقرا هناك دروساً واشترى كتباً نفيسة ثم عاد إلى مصر، واستمر على حالته فى انجماعه وتحجبه عن الناس بل بالغ فى ذلك، ويقرى ويملى الدروس بالأشرفية وأحياناً بزاويتهم بدرب شمس الدولة وأحيانًا بمنزله بالأزبكية.

ولما توفى الشيخ أحمد الدمنهورى وتولى مشيخة الأزهر الشيخ عبد الرحمن العريشى الحنفى باتفاق الأمرا والمتصدرين من الفقها وهاجت حفايظ الشافعية وذهبوا إليه وطلبوه للمشيخة فأبى ذلك ووعدهم بالقيام لنصرتهم وتولية من يريدونه، فاجتمعوا ببيت الشيخ البكرى وأختاروا الشيخ أحمد العروسى لذلك وأرسلوا إلى الأمرا فلم يوافقوا على ذلك، فركب المترجم بصحبة الجمع إلى ضريح الإمام الشافعى، ولم يزل حتى نقض ما أبرمه العلما والأمرا ورد المشيخة إلى الشافعية، وتولى الشيخ أحمد العروسى وتم له الأمر كما تقدم ذلك فى ترجمة العريشى.

ولما توفى الشيخ أحمد العروسى كان المترجم غايباً عن مصر فى زيارة سيدى أحمد البدوى فأهمل الأمر حتى حضر وتولى الشيخ عبد الله الشرقاوى بإشارته، ولم يزل

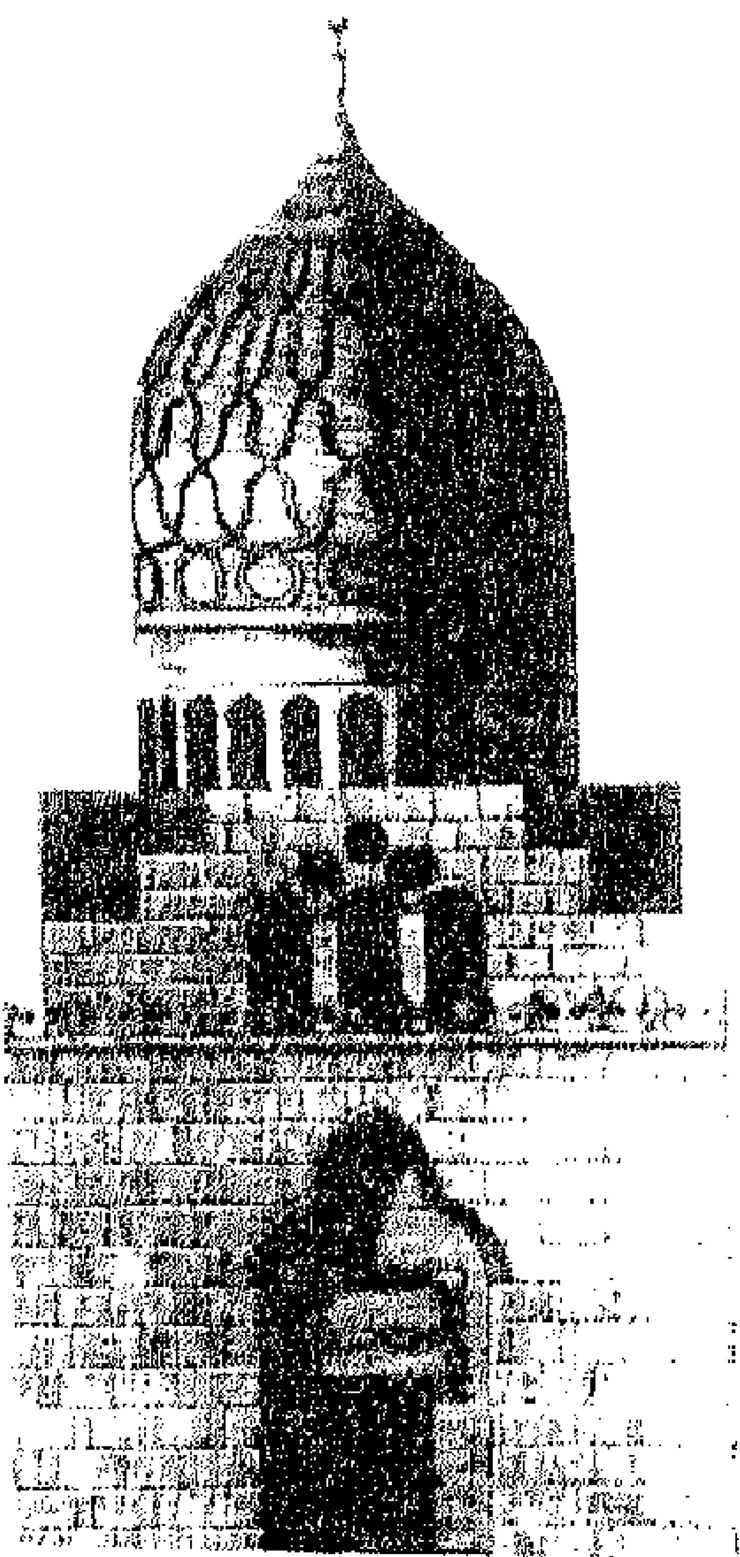


وافر الحرمة معتقداً عند الخاص والعام، حتى حضر الفرنساوية واختلفت الأمور وشارك الناس فى تلقى البلا وذهب ما كان له بأيدى التجار ونهب بيته وكتبه التى جمعها وتراكمت عليه الهموم والأمراض وحصل له اختلاط.

ولم يزل حتى توفى يوم الأحد حادى عشرين شهر القعدة سنة تاريخه بحارة برجوان، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل ودفن عند والده وأخيه بزاوية القادرية بدرب شمس الدولة، وبالجملة فكان من محاسن مصر الفريد فى العصر، ذهنه وقاد ونظمه مستجاد وكان رقيق الطبع لطيف الذات مترفها فى مأكله وملبسه.

ومن مولفاته مختصر المنهج فى الفقه وزاد عليه فوايد واختصر الاسم وسماه المنهج ثم شرحه وهو بليغ فى بابه.

ومنها شرح المعجم الوجيز لشيخه السيد عبد الله المرغنى وقد اعتنى به وقراه درسا، ومنها شرح عقيدة والده المسماة «منقذة العبيد» فى كراريس أجاد فيه جداً، ورسالة فى تعريف شكر المنعم وشرح الجزرية والدر النظيم فى تحقيق الكلام القديم ونظم عقايد النسفى وعقيدة فى التوحيد وشرحها بشرحين، و«اللمعة الألمعية فى قول الشافعى بإسلام القدرية»، و«تحقيق الفرق بين علم الجنس وبين اسمه»، و«إتحاف الكامل ببيان تعريف العامل»، و«زهر الأفهام فى تحقيق الوضع وماله من الأقسام»، و«حلية ذوى الأفهام بتحقيق دلالة العام»، و«إتحاف الطرف فى بيان متعلق الظرف»، و«الروض الأزهر فى حديث من رأى منكم منكراً»، و«رسالة فى تعريف الشكر العرفى»، و«ثمرة غرس



الاعتنا بتحقيق أسباب البنا» ، و«الدر المنثور في الساجور» ، و«إتحاف الآمال بجواب السؤال في الحمل والوضع لبعض الرجال» ، و«إتحاف الأحبة في الضبة أي المفضضه» ، و«رسالة في التوجه وإتمام الأركان» و«رسالة في زكاة النابت» و«رسالة في ثبوت رمضان» و«رسالة في أركان الحج» و«رسالة في مدعجوه ودرهم» ، و«رسالة في مسئلة الغصب» ، و«حاشية على شرح ابن قاسم العبادى إلى البيوع» و«الروض الوسيم في المفتى به من المذهب القديم» ، و«رسالة في النذر للشريف» ، و«رسالة في إهدا القرب للنبي عليه السلام» ، و«رسالة في الأصولى والأصول» ، و«رسالة في مسئلة ذوى الأرحام» و«إتحاف اللطيف بصحة النذر للموسر والشريف» ، وله غير ذلك منظومات، وضوابط وتحقيقات رحمه الله تعالى.

٦٠٩/ عبد الفتاح بن أحمد.

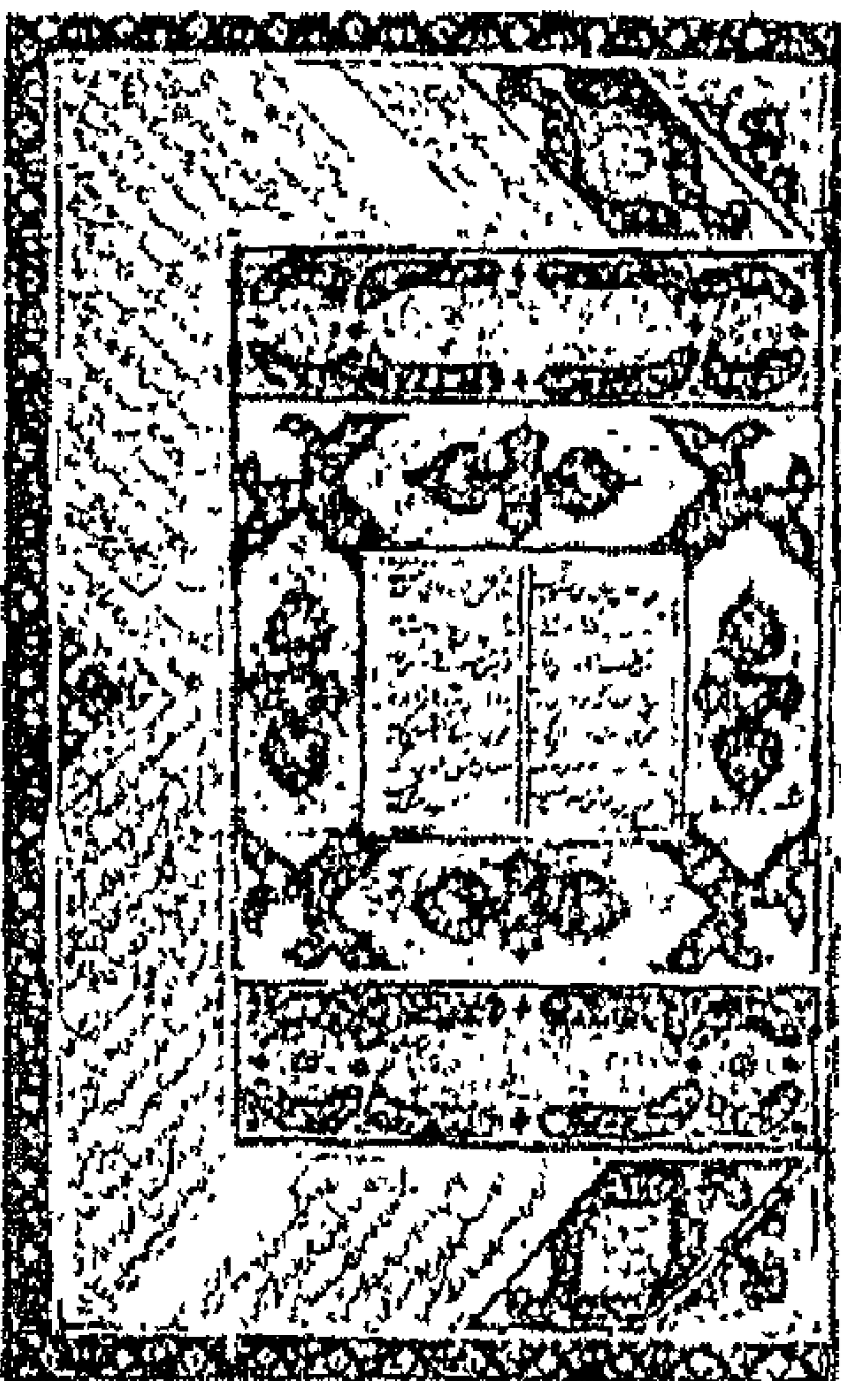
* ومات الأجل الأمثل العمدة الوجيه السيد عبد الفتاح بن أحمد بن الحسن الجوهرى أخو المترجم المذكور، وهو أسن منه وأصغر من أخيه الشيخ أحمد ، ولد سنة إحدى وأربعين ومائة وألف،ونشأ في حجر أبيه وحضر الشيخ الملوى وبعض دروس أبيه وغيره، ولم يكن معتنياً بالعلم ولم يلبس زى الفقها، وكان يعانى التجارة ويشارك ويضارب ويحاسب ويكاتب، فلما توفي أخوه الأكبر الشيخ أحمد وامتنع أخوه الأصغر الشيخ محمد من التصدر للإقرا في محله اتفق الحال على تقدم المترجم حفظا للناموس وبقاء لصورة العلم الموروث، فعند ذلك تزيا بزى الفقها ولبس التاج والفراجة الواسعة وأقبل على مطالعة العلم وخالط أهله وصار يطالع ويذاكر وأقرا دروس الحديث بالمشهد الحسيني في رمضان



مع قلة بضاعته وذلك بمعونة الشيخ مصطفى ابن الشيخ محمد الفرماوى فكان يطالع الدرس الذى عليه من الغد ويتلقى عنه مناقشات الطلبة وثبت على ذلك حتى ثبتت المشيخة وتقررت العالمية كل ذلك مع معاناته التجارة، وتردد إلى الحرمين وأثرى واقتنى كتباً نفيسة وعروضاً وحشماً واشترى المماليك والعبيد والجوارى والأملاك والالتزام، ولم يزل حتى حصلت حوادث الفرنساوية، وصادروه وأخذوا منه خمسة عشر ألف فرانسه، وداخله من ذلك كرب وانفعال زايد فسافر إلى بلدة جارية فى التزامه يقال لها كوم النجار، فأقام بها أشهرا ثم ذهب إلى شيبين الكوم بلدة أقاربه وأقام بها إلى أن مات فى هذه السنة، وذلك بعد وفاة أخيه الشيخ محمد بنحو خمسة أيام، ودفن هناك رحمه الله تعالى.

٦١٠/ أحمد بن سلامة الشافعى.

* ومات الإمام العلامة الثقة الهمام النحرير الذى ليس له فى فضله نظير، أبو محمد أحمد بن سلامة الشافعى المعروف بأبى سلامة، اشتغل بالعلم وحضر العلوم النقلية والنحوية والمنطقية وتفقه على كثير من علما الطبقة الأولى كالشيخ على قايتباى والحفنى والبراوى والملوى وغيرهم، وتبحر فى الأصول والفروع وكان مستحضراً للفروع الفقهية والمسايل الغامضة فى المذاهب الأربع ويغوص بذهنه وقياسه فى الأصول الغريبة ومطالعة كتب الأصول القديمة التى أهملها المتأخرون، وكان الفضلا يرجعون فى ذلك إليه ويعتمدون قوله ويعولون فى الدقايق عليه إلا أن الدهر لم يصافيه على عادته، وعاش فى خمول وضيق عيش وخشونة ملبس وفقد رفاهية بحيث إن من يراه لا يعرفه

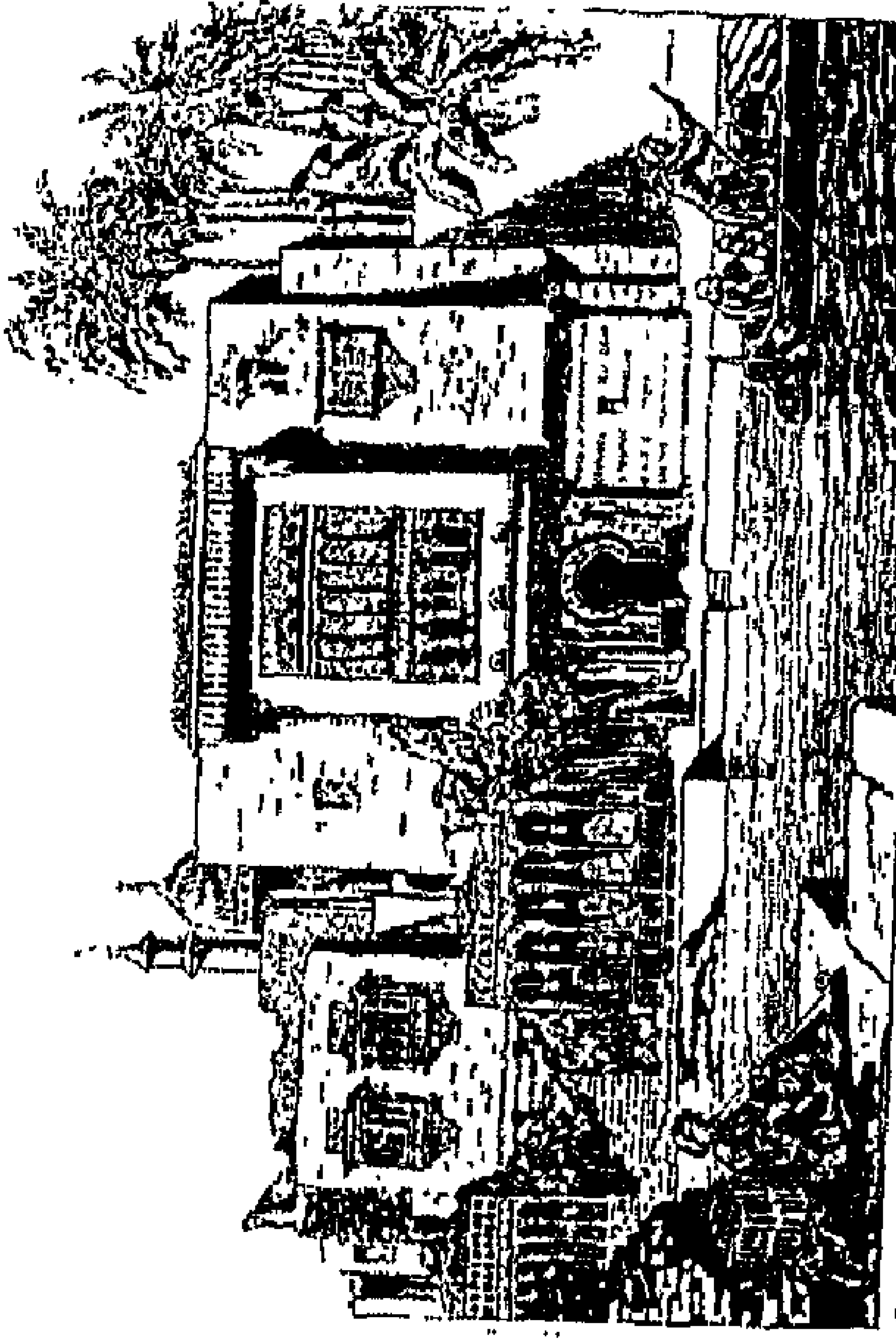


لرثاثة ثيابه وكان مهذباً حسن المعاشرة جميل الخلق والنادرة، مطبوعا فيه صلاح وتواضع ونزل مؤقتاً فى مسجد عبد الرحمن كتخدا الذى أنشاه تجاه باب الفتوح بمعلوم قدره ثمانية أنصاف يتعيش بها مع ما يرد عليه من بعض الفقها والعامة الذين يحتاجون إليه فى مراجعة المسايل والفتاوى فلما خرب المسجد المذكور فى حادثة الفرنسيس وجهات أوقافه انقطع عنه ذلك المعلوم، وكان ذا عائلة ومع ذلك لا يسال شيًا ولا يظهر فاقة، توفى يوم الأحد حادى عشرين جمادى الآخرة من السنة عن خمس وسبعين سنة تقريباً رحمه الله.

* ومات الأمير مراد بك محمد مات بسهاج [سوهاج] قادما إلى مصر باستدعا الفرنسيس ودفن بها عند الشيخ العارف وكان موته رابع شهر الحجة كما تقدم، وهو من مماليك محمد بك أبى الذهب ومحمد بك مملوك على بك وعلى بك مملوك إبراهيم كتخذا القازدغلى اشترى محمد بك مراد بك المذكور فى سنة اثنتين وثمانين وماية وألف وذلك فى اليوم الذى قتل فيه صالح بك الكبير، فأقام فى الرق أياما قليلة ثم أعتقه وأمّره وأنعم عليه بالإقطاعات الجليلة وقدمه على أقرانه، وتزوج بالست فاطمة زوجة الأمير صالح بك وسكن داره العظيمة بخط الكبش، ولما مات على بك تزوج بسريته أيضًا وهى الست نفيسة الشهيرة الذكر بالخير، ولما انفرد محمد بك بإمارة مصر كان هو وإبراهيم بك أكبر أمراه المشار إليهما دون غيرهما، فلما سافر محمد بك إلى الديار الشامية محاربا للظاهر عمر أقام عوضه فى إمارة مصر إبراهيم بك وأخذ صحبته مراد بك

٦١١/ الأمير مراد بك.
* نشرت جريدة كوريبه دى ليجيبت فى عددها ١١٢ نعياً له نصه: مات مراد بك ويقال أنه توفى متأثرا بالمرض الوبائى الذى تفشى أخير فى الصعيد والذى هدد. وقتا ما بالتفشى فى مدينة القاهرة.
أن حياة هذا الرجل العظيم أصبحت فى ذمة التاريخ، ونحن لا نريد أن نسبق التاريخ فى الحكم عليه وعلى سيرة حياته سوا من جهة مجده أو ثرائه أو مصائبه وازماته.
وقد أمر القائد العام مينو بأن يصرف لأرملته الست نفيسة وأرملة على بك معاش سنوى قدره ٦٠,٠٠٠ جنيه.
راجع كوريبه دى ليجيبت ــ العدد ١١٢،ص٤١٤.

وباقى أمراه، فلما مات محمد بك بعكا اجتمع أمراه على رأى مماليكه فى رياسة مراد بك، فتقدم وقدمه عليهم وحملوا جثة سيدهم وحضروا بأجمعهم إلى مصر، فاتفق رأى الجميع على إمارة من استخلفه سيدهم وقدمه دون غيره وهو إبراهيم بك، ورضى الجميع بتقدمه ورياسته لوفور عقله وسكون جاشه، فاستقر بمشيخة مصر ورياستها ونايب نوابها ووزراها، وعكف مراد بك على لذاته وشهواته وقضى أكثر زمانه خارج المدينة مرة بقصره الذى أنشاه بالروضة وأخرى بجزيرة الدهب وأخرى بقصر قايماز جهة العادلية كل ذلك مع مشاركته لإبراهيم بك فى الأحكام والنقض والإبرام والإيراد والإصدار ومقاسمة الأموال والدواوين وتقليد مماليكه وأتباعه الولايات والمناصب، وأخذ فى بذل الأموال وإنفاقها على أمراه وأتباعه فانضم إليه بعض أمرا على بك وغيرهم ممن مات أسيادهم كعلى بك المعروف بالملط وسليمان بك الشابورى وعبد الرحمن بك عثمان فأكرمهم وواساهم ورخص لمماليكه فى هفواتهم وسامحهم فى زلاتهم وحظى عنده كل جرى غشوم عسوف ذميم ظلوم، فانقلبت أوضاعهم وتبدلت طباعهم وشرهت نفوسهم وعلت روسهم، فتناظروا وتفاخروا وطمعوا فى أستاذهم وشمخت آنافهم عليه وأغاروا حتى على ما فى يده، واشتهر بالكرم والعطا فقصده الراغبون وامتدحه الشعرا والغاوون وأخذ الشى من غير حقه وأعطاه لغير مستحقه كما قال القايل:



وإنها خطرات من وساوسه
يعطى ويمنع لا بخلا ولا كراما

ثم لما ضاق عليه المسلك ورأى أن رضا العالم غاية لا تدرك، أخذ يتحجب عن الناس فعظم فيه الهاجس والوسواس، وكان يغلب على طبعه الخوف والجبن مع التهور والطيش والتورط في الإقدام مع عدم الشجاعة، ولم يعهد عليه أنه انتصر فى حرب باشره أبداً على ما فيه من الادعا والغرور والكبر والخيلا والصلف والظلم والجور كما قال القايل:

أسدٌ على وفى الحروب نعامة
فتْخاء تنفر من صفير الصافر*

* وبعد هذا البيت:
هلا برزت إلى غزالة فى الوغى
بل كان قلبك فى جناحى طائر
وفتخاء معناها لينة الجناحين أو الأطراف.

ولما قدم حسن باشا إلى مصر وخرج المترجم مع خشداشينه وعشيرته هاربين إلى الصعيد حتى انقضت أيام حسن باشا وإسماعيل بك ومن كان معه ورجعوا ثانيا بعد أربع سنين وشى من الشهور من غيرعقد ولا عهد ولا حرب وتعاظم فى نفسه جداً واختص بمساكن إسماعيل بك وجعل إقامته بقصر الجيزة وزاد فى بناه وتنميقه، وبنى تحته رصيفًا محكما وأنشا بداخله بستانا عظيما نقل إليه أصناف النخيل والأشجار والكروم واستخلص غالب بلاد إقليم الجيزة لنفسه شرا ومعاوضة وغصبا، وعمر أيضا قصر جزيرة الذهب وجعل بها بستانا عظيما وكذلك قصر ترسا* وبستان المجنون، وصار ينتقل فى تلك القصور والبساتين ويركب للصيد فى غالب أوقاته واقتنى المواشى من الأبقار والجواميس الحلابة والأغنام المختلفة الأجناس فكان عنده بالجيزة من ذلك شى كثير جداً، وعمل له ترسخانة عظيمة وطلب صناع آلات الحرب من المدافع والقنابر والبنب والجلل والمكاحل، واتخذ بها أيضا معامل البارود خلاف

* قصر ترسا: بجزيرة ترسا الواقعة إلى جنوب جزيرة الروضة.



المعامل التى فى البلد وأخذ جمع الحدادين والسباكين والنجارين، فجمع الحديد المجلوب والرصاص والفحم والحطب حتى شحت جميع هذه الأدوات لكونه كان يأخذ كل ما وجده منها، وكذلك حطب القرطم والترمس والذرة لحرق قمام الجير والجبس للعمارة وأوقف الأغوات فى كل جهة يحجزون المراكب التى تأتى من البلاد بالأحطاب يأخذونها ويجمعونها للطلب ويبيعون لأنفسهم ما أحبوا، ويأخذون الجعالات على ما يسمحون به أو يطلقونه لأربابه بالوسايط والشفاعات، وأحضر أناسا من القليونجية ونصارى الأروام وصناع المراكب فأنشاوا له عدة مراكب حربية وغلايين، وجعلوا بها مدافع وآلات حرب على هية مراكب الروم، صرف عليها أموالا عظيمة ورتب بها عساكر وبحرية وأدار عليهم الجماكى والأرزاق الكثيرة، وجعل عليهم ريسا كبيرا رجلا نصرانيا وهو الذى يقال له نقولا، بنى له دارا عظيمة بالجيزة وأخرى بمصر، وله عزوة وأتباع من نصارى الأروام المرتبين عسكرا، وكان نقولا المذكور يركب الخيل ويلبس الملابس الفاخرة ويمشى فى شوارع مصر راكبا وأمامه وخلفه قواسة يوسعون له الطريق فى مروره على هيئة ركوب الأمرا كل ذلك خطرات من وساوسه لا يدرى أحد لأى شي هذا الاهتمام، ولأى حاجة إنفاق هذا المال فى الخشب والحديد وإعطاه لنصارى الأروام، واختلفت آراء الناس فى ذلك فمن قايل إن ذلك خوفا من خشداشينه،وقايل من مخافة العثمانيه كما تقدم فى قضية حسن باشا، والبعض يظن خلاف ذلك وليس غير الوهم والتخيل الفاسد والخوف شى ، وبقيت آلات الحرب جميعها



والبارود بحواصله والجلل والبنبات حتى أخذ جميعه الفرنسيس، فيقال إنه كان بحواصل الترسخانة من جنس الجلل أحد عشر ألف جلة، كذا نقل عن معلم الترسخانة أخذ جميع ذلك الفرنسيس يوم استيلاهم على الجيزة والقصر.

ومما اتفق أنه وقعت مشاجرة فى بعض الأيام بين بعض نصارى الأروام القليونجية وبعض السوقة بمصر القديمة فتعصب النصارى على أهل البلد وحاربوهم وقتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا وانتهت الشكوى إلى الأمير فطلب كبيرهم عليه فأمتنع من مقابلته ، وعمر مدافع المراكب ووجهها جهة قصره، فلم يسعه إلا التغافل وراحت على من راح.

واستوزر رجلا بربريا [نوبيا] ، وهو المسمى بإبراهيم كتخدا السنارى وجعله كتخداه ومشيره وبلغ من العظمة ونفوذ الكلمة بإقليم مصر ما لم يبلغه أعظم أمير بها، وبنى له داراً بالناصرية واقتنى المماليك الحسان والسرارى البيض والحبوش والخدم، وتعلم اللغة التركية والأوضاع الشيطانية واختص ذلك السنارى أيضا ببعض رعاع الناس وجعله كتخداه يأتمر بأمره ويتوسل به أعاظم الناس فى قضا أشغالهم، ولما حسن لمراد بك الإقامة بالجيزة واختار السكن بها وزين له شيطانه العزلة عن خشداشينه وأقرانه وترك لإبراهيم بك أمر الأحكام والدواوين ومقتضيات نواب السلطنة العثمانية مع كونه لا ينفذ أمرا دون رأيه ومشورته، واحتجب هو عن الاجتماع بالناس بالكلية حتى عن الأمرا الكبار من أقرانه،



الجبرتى/ سنة ١٢١٥م

كان السفير بينه وبينهم إبراهيم كتخدا المذكور فكان هو عبارة عنه وربما نقض القضايا التى انبرم أمرها عند إبراهيم بك أو غيره بنفسه أو عن لسان مخدومه،وأقام المترجم على عزلته بالبر الغربى نحو الست سنوات متوالية لا يعدى إلى البر الشرقى أبدا ولا يحضر الديوان ولا يتردد إلى الأقران.

وإذا حضر الباشا المولى على مصر ووصل إلى بر إنبابه ركب وسلم عليه مع الأمرا ورجع إلى قصره فلا يراه بعد ذلك أبدا، وتعاظم فى نفسه وتكبر على أقرانه وأبنا جنسه فتزاحمت على سدته الطلاب وتكالبت على جيفته الكلاب، فانزوى من نبشهم وتوارى من نهشهم، فإذا بلغه قدوم من يختشيه، أو وصول من يرتجيه، وكان يستحى من رده أو يخشى عاقبة صده ركب فى الحال وصعد إلى الجبال، وربما وصله الغريم على غفلة فيجده قد شمع الفتلة، فإن صادفه واجتمع عليه أعطاه ما فى يديه أو وعده بالخير، أو وهبه ملك الغير، فما يشعر الميسور إلا ولقمته قد اختطفتها النسور.

ثم أخذ يعبث بدواوين الأعشار والمكوسات والبهار فيحول عليهم الحوالات ويتابع لمماليكه ختم الوصلات، فتجاذب هو وإبراهيم بك ذلك الإيراد، وتعارضت أوراقهما وخافا فى المعتاد ثم اصطلحا على أن تكون له الدواوين البحرية، ولقسيمه ما يرد من الأصناف الحجازية وما انضاف إلى قلم البهار وحسب فى دفاتر التجار، فانفرد كل منهما بوظيفته، وفعل بها من الإجحاف ما سطر فى صحيفته، فأحدث المترجم ديوانا خاصا بثغر رشيد على الغلال التى تحمل إلى

٥٩٨ * نشأة ديوان البدعة برشيد.

بلاد الإفرنج وسموه ديوان البدعة*، وأذن ببيع الغلال لمن يحملها إلى بلاد الإفرنج أو غيرها، وجعل على كل أردب ديناراً خلاف البرانى،والتزم بذلك رجل سراج من أعوانه الموصوفين بالجور، وسكن برشيد وبقيت له بها وجاهة وكلمة نافذة، فجمع من ذلك أموالا وإيرادا عظيما.

وكانت هذه البدعة السيئة من أعظم أسباب قوة الفرنسيس وطمعهم فى الإقليم المصرى مع ما أضيف إلى ذلك من أخذ أموالهم ونهب تجاراتهم وبضاعاتهم من غير ثمن.

* حاكم الاسكندرية الذى أعدم على يد الفرنسيس انظر ترجمته رقم ٥٩٨.

واقتدى به أمراه وتناظروا فى ذلك وفعل كل منهم ما وصلت إليه همته، واستخرجته فطنته، واختص بالسيد محمد كريم السكندرى* ورفع شأنه بين أقرانه، فمهد له الأمور بالثغر وأجرى أحكامه وفتح له باب المصادرات والغرامات، ودله على مخبآت الأمور وأخذ أموال التجار من المسلمين وأجناس الإفرنج حتى تجسمت العداوة بين المصريين والفرنسيس، وكان هو من أعظم الأسباب فى تملك الفرنسيس للثغر كما ذكر ذلك فى قتله، وذلك أنه لما خرجت مراكب الفرنساوية وعمارتهم لا يدرى أحد لأى جهة يقصدون تبعهم طايفة الإنكليز إلى الإسكندرية فلم يجدوهم، وكانوا ذهبوا أولا إلى جهة مالطة فوقف الإنكليزية قبالة الإسكندرية وأرسلوا قاصدهم إلى الثغر يسألون عن خبر الفرنساوية فردهم المذكور ردا عنيفًا، فأخبروه الخبر على جليته، وأنهم أخصامهم علموا بخروجهم فاقتفوا أثرهم،ونريد منكم أن تعطونا الما والزاد بثمنه ونقف لهم على ظهر البحر فلا نمكنهم من العبور إلى ثغركم فلم يقبل منهم ولم يأذن فى تزويدهم، فذهبوا ليتزودوا من

بعض الثغور فما هو إلا أن غابوا فى البحر نحو الأربعة أيام إلا والفرنسيس قد حضروا وكان ما كان.

ومما سولت به نفس المترجم بإرشاد بعض الفقها عمارة جامع عمرو بن العاص وهو الجامع العتيق، وذلك أنه لما خرب هذا الجامع بخراب مدينة الفسطاط وبقيت تلالا وكيمانا وخصوصا ما قرب من ذلك الجامع، ولم يبق بها بعض العمار إلا ما كان من الأماكن التى على ساحل النيل وخربت فى دولة القزدغلية وأيام حسن باشا لما سكنتها عساكره ولم يبق بساحل النيل إلا بعض أماكن جهة دار النحاس وفم الخليج يسكنها أتباع الأمرا ونصارى المكوس وبها بعض مساجد صغار يصلى بها السواحلية والنواتية وسكان تلك الخطة من القهوجية والباعة والجامع العتيق لا يصل إليه أحد لبعده وحصوله بين الأتربة والكيمان، وكان فيما أدركنا الناس يصلون به آخر جمعة فى رمضان فتجتمع به الناس على سبيل التسلى من القاهرة ومصر وبولاق وبعض الأمرا أيضا والأعيان، ويجتمع بصحنه أرباب الملاهى من الحواة والقرداتية وأهل الملاعيب والنسا الراقصات المعروفات بالغوازى، فبطل ذلك أيضا من نحو ثلاثين سنة لهدمه وخراب ما حوله وسقوط سقفه وأعمدته وميل شقته اليمنى بل وسقوطها بعد ذلك فحسن ببال المترجم هده وتجديده بارشاد بعض الفقها ليرقع به دينه الخلق كما قال شاعرهم:



ومسجد فى فضا ما عمارته
فوق الصيانة لا لهو مختلق

كـأن عـمـرا دعـايـا عـاص هـم بـه
ورمـه رقـعـة فـى ديـنـك الخـلـق

فاهتم لذلك وقيد به نديمه الحاج قاسم المعروف بالمصلى، فجعله مباشرا على عمارته وصرف عليه أموالا عظيمة أخذها من غير حلها ووضعها فى غير حلها، وأقام أركانه وشيد بنيانه ونصب أعمدته وكمل زخرفته وبنى به منارتين وجدد جميع سقفه بالخشب النقى وبيضه جميعه فتم على أحسن ما يكون، وفرشه بالحصر الفيومى وعلق به القناديل وحصلت به الجمعية آخر جمعة برمضان سنة اثنتى عشرة ومايتين وألف فحضر الأمرا والأعيان المشايخ وأكابر الناس وعامتهم، وبعد انقضا الصلا عقد له الشيخ عبد الله الشرقاوى مجلسا وأملى حديث «من بنى لله مسجدا» وآية «إنما يعمر مساجد الله» ، وعند فراغه ألبس فروة من السمور وكذلك الخطيب، فلما حضرت الفرنساوية فى العام القابل جرى عليه ما جرى على غيره من الهدم والتخريب وأخذ أخشابه حتى أصبح بلقعا أشوه مما كان، «فياليتها لم تزن ولم تتصدق» وبالجملة فمناقب المترجم لا تحصى وأوصافه لا تستقصى، وهو كان من أعظم الأسباب فى خراب الإقليم المصرى بما تجدد منه ومن مماليكه وأتباعه من الجور والتهور ومسامحته لهم فلعل الهم يزول بزواله.

وكان صفته أشقر مربوع القامة كث اللحية غليظ الجسم والصوت بوجهه أثر ضربة سيف، ظالما غشوما متهورا مختالا معجبا متكبرا، إلا أنه كان يحب العلما ويتأدب معهم وينصت لكلامهم ويقبل شفاعتهم، ويميل طبعه إلى

الإسلام والمسلمين، ويحب معاشرة الندما والفصحا وأهل الذوق والمتكلمين ويشاركهم ويباسطهم ولا يمل من مجالستهم ومنادمتهم، ويناهل فى الشطرنج ويطلب أهل المعرفة فيه، ويحب سماع الآلات والأغانى وكانت عطاياه جمة ومواهبه وهمته فوق كل همة، ولم يخلف ولدا ولابنتا وصناجقه الذين مات عنهم الأمير محمد بك المعروف بالألفى، وعثمان بك الجوخدار المعروف بالطنبرجى، وعثمان بك المعروف بالبرديسى ومحمد بك المنفوخ وسليم بك أبو دياب وأصله مملوك مصطفى بك الإسكندرانى، ولما مات دفن بسوهاج كما تقدم عند الشيخ العارف غفر الله له.

٦١٢/ حسن بك الجداوى.

* ومات الأمير حسن بك الجداوى مملوك على بك وهو من خشداشين محمد بك أبى الدهب مات بغزة بالطاعون وكان من الشجعان الموصوفين والأبطال المعروفين ولما انفرد على بك بمملكة مصر ولاه إمارة جدة، فلذلك لقب بالجداوى وذلك سنة أربع وثمانين وماية وألف، وابتلى فيها بأمور ظهرت بها شجاعته وعرفت فروسيته، ولذلك خبر يطول شرحه، ولما حصلت الوحشة بين إسماعيل بك والمحمديين [اتباع محمد بك أبو الدهب] كان المترجم ممن نافق معه وعضده هو وخشداشينه رضوان بك وعبد الرحمن بك، وكانت لهم الغلبة ، ونما أمره عند ذلك وظهر شانه بعد أن كان خمل ذكره، وهو الذى تجاسر على قتل يوسف بك فى بيته بين مماليكه وعزوته ثم خامر على إسماعيل بك، وانقلب مع المحمديين عندما خرج لمحاربتهم بالصعيد فخدعوه وراسلوه وانضم إليهم بمن معه ورجعوا إلى مصر

* اتباع محمد بك أبو الدهب

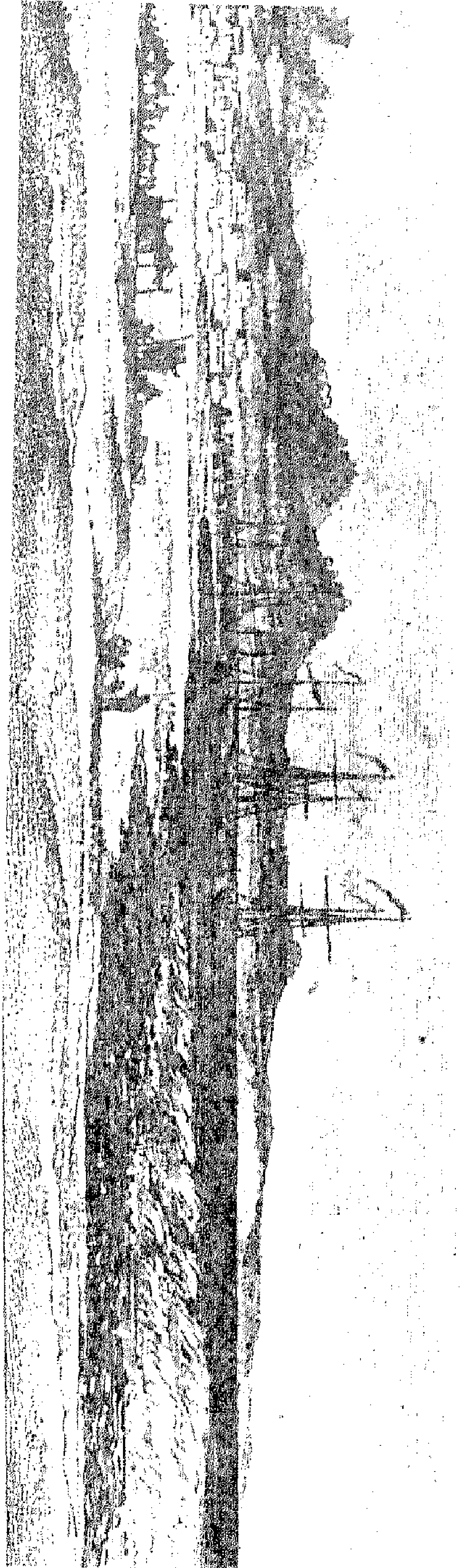


الجبرتى/ سنة ١٢١٥م

وفر إسماعيل بك بمن معه إلى الشام واستقر هو وخشداشينه فى مملكة مصر مشاركين لهم مظهرين عليهم الشمم طامعين فى خلوص الأمر لهم متوقعين بهم الفرصة مع التهور الموجب لتحذر الآخرين منهم إلى أن استعجلوا إشعال نار الحرب فجرى ما جرى بينهم من الحروب والمحاصرة بالمدينة وانجلت عن خذلانهم وهزيمتهم وظهور المحمديين عليهم، وقتل بها عدة من أعيانهم ومواليهم ومن انضم إليهم، وربما عوقب من لا جناية له كما سطر ذلك فى محله.

وفر المترجم مع بعض من بقى من عشيرته إلى القليونجية فقبض عليه وأتى به إلى مصر ففر إلى بولاق بمفرده، والتجا إلى بيت الشيخ الدمنهورى فأحاط به العسكر فنط من سطح الدار وخلص إلى الزقاق وسيفه مشهور فى يده، فصادف جندياً فقتله وأخذ فرسه فركبه وفر العساكر خلفه ترد أخذه وتتلاحق به من كل جهة وهو يراوغهم ويقاتلهم، حتى خلص إلى بيت إبراهيم بك فأمنه واتفقوا على إرساله إلى جدة، فلما أقلع به فى القلزم أمر ريس المركب أن يذهب به إلى القصير وخوفه القتل إن لم يفعل، فذهب به إلى القصير فتوجه منها إلى إسنا، وعلمت به عشيرته وخشداشينه ومماليكه فتلاقوا به واستقر أمرهم بها بعد وقايع يطول شرحها فأقام نيفا وعشر سنين حتى رجع إليهم إسماعيل بك بعد غيبته الطويلة، وانضم إليهم واصطلح معهم إلى أن كان ما كان من وصول حسن باشا إلى الديار المصرية وإخراج المحمدين وإدخاله للمذكور مع إسماعيل بك ورضوان بك وأتباعهم وتأميرهم بمصر واستقرارهم بها بعد رجوع حسن باشا إلى بلاده ووقوع الطاعون الذى

* ميناء القصير.



مات به إسماعيل بك ورضوان بك وغيرهم من الأمرا، فاستقل بمن بقى من الأمرا وفعل معهم من التهور والحمق والشر ما أوجب لهم بغض النعيم والحياة معه.

وخامر عليه من كان يأمن إليه فلم يسعه ومن معه إلا الفرار، ورضى ذاك لنفسه بالذل والعار.

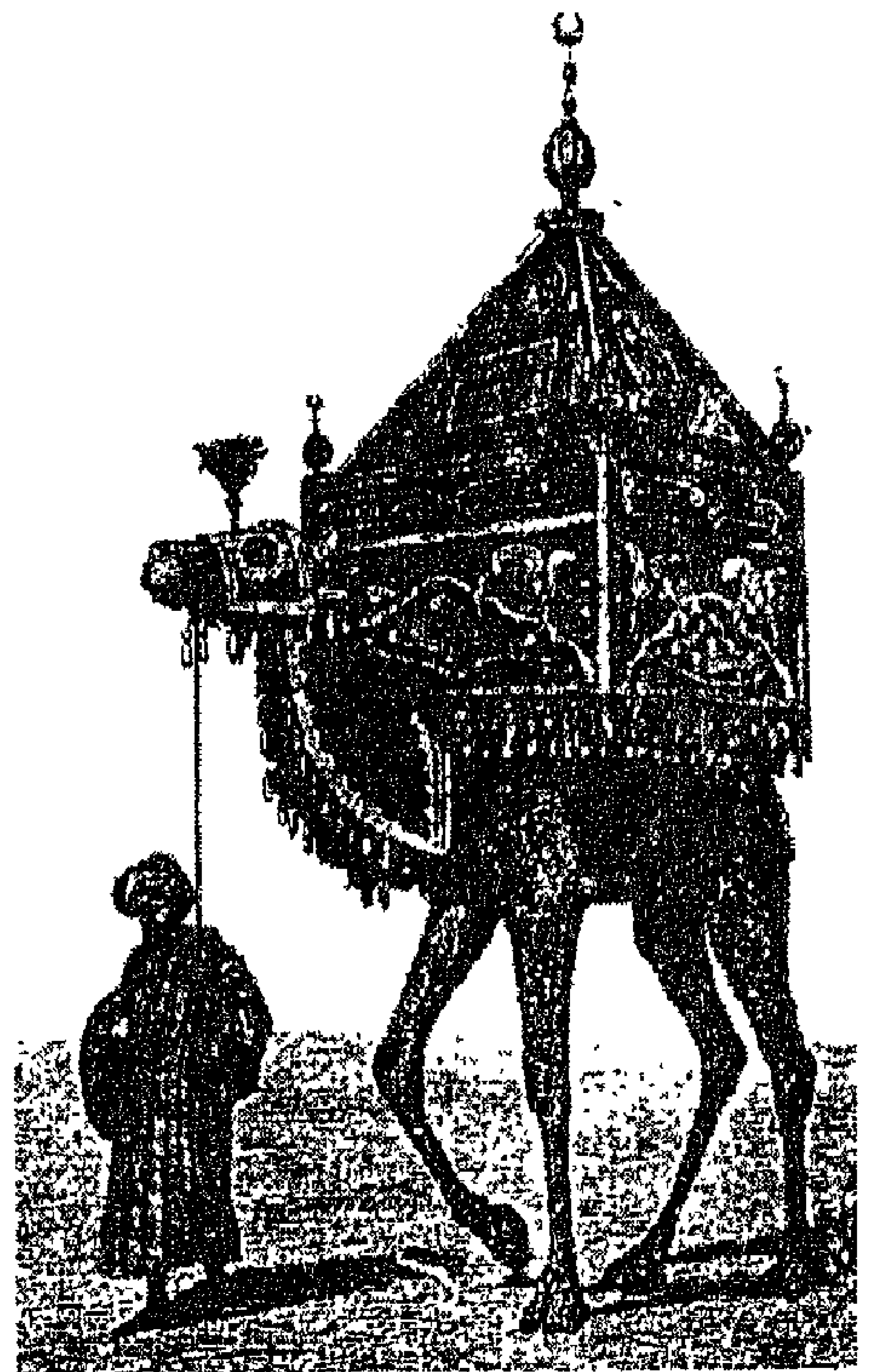
ودخلت المحمديون إلى مصر المحمية واستقر هو كما كان بالجهة القبلية، فأقام على ذلك سبع سنين وبعض أشهر إلى أن وقعت حادثة الفرنسيس واستولوا على الإقليم المصرى، وحضرت العساكر بصحبة الوزير يوسف باشا، ووقع ما وقع من الصلح ونقضه وانحصر المترجم مع من انحصر بالمدينة من المصرلية والعثمانية فقاتل وجاهد وأبلى بلا حسنا شهد له بالشجاعة والإقدام كل من العثمانية والفرنساوية والمصرلية، فلما انفصل الأمر وخرجوا إلى الجهة الشامية، لم يزل محرصا ومرابطا ومجتهدا، حتى مات بالطاعون فى هذه السنة، وفاز بالشهادتين وقدم على كريم يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم، وأمراه الموجودون الآن عثمان بك المعروف بالحسينى وأحمد بك أمرّه الوزير عوضا عن أستاذه.

٦١٣/ عثمان بك طبل.

* ومات الأمير عثمان بك المعروف بطبل وهو من مماليك إسماعيل بك أمرّه فى سنة اثنتين وتسعين، ثم خرج مع سيده وتغرب معه فى غيبته الطويلة فلما رجع إلى مصر فى أيام حسن باشا تولى إمارة الحج فى سنة خمسة ومايتين وألف، وكان سيده يقدمه على أقرانه ويظن به النجاح، ولما طعن وعلم أنه مفارق الدنيا أحضره وأوصاه وحذره من أعداه، وقال له إنى حصنت لك مصر وسورتها وصيرتها

بحيث تملكها بنت عميا، فلما مات سيده تشوق للإمارة حسن بك الجداوى وعلى بك الدفتردار، فلم يرض كل منهما بالآخر وتخوفامن بعضهما، فاتفق رأيهما على تأمير عثمان بك المذكور كبيرا عوضا عن سيده، وسكن داره وعقدوا الدواوين عنده، فنزل عن إمارة الحج لحسن بك تابع حسن بك قصبة رضوان، واشتغل هو بأمور الدولة ومشيخة مصر فلم يفلح، وخامر مع أخصامه وأخصام سيده، والتف عليهم سرا وصدق تمويهاتهم وخذل نفسه ودولته، وذلك غيظا من حسن بك كما سبقت إليه الإشارة، وكل من حسن بك وعثمان بك الجداوى وعلى بك الدفتردار يتخوف نفاق صاحبه لتكرر ذلك منهما فى الوقايع السابقة، وانحراف طبع كل عن صداقة الآخر الباطنية ولم يخطر ببالهما بل ولا ببال أحد من المجانين فضلا عن العقلا ركون المشار إليه إلى أعداه وأعدا سيده العداوة والموروثة، فكانا كلما شرعا فى تدبير أو شى من مكايد الحرب ثبطهما وأقعدهما يظنان نصحه ويعتقدان خلوصه ومعرفته، ولكونه تعلم سياسة الحروب من سيدة لكثرة تجارية وسياحته ولم يعلما أنه يمهد لنفسه طريقا مع الأعدا إلى أن كان ما كان من مساعدته لهم بالتغافل والتقاعد، حتى تحولوا إلى الجهة الشرقية ، وخلص إليهم بمن انضم إليه من عشيرته فلم يسع الباقين إلا الهرب وأسلم هو نفسه لأعداه فأظهروا له المحبة وولوه إمارة الحج حكم عهدهم بذلك، وأن تكون له إمارة الحج ما دام حيا، فخرج فى تلك السنة أميرا على الحج أعنى ست ومايتين وألف، وكذلك سنة سبع، ونهب الحج فى تلك السنة، وفر المترجم إلى غزه فصودرت زوجاته، واقتسمت أقطاعه ورجع بعد حين إلى مصر،وأهمل أمره وأقام بطالا واستمر كآحاد الطايفة من

* المحمل.



الجبرتى/ سنة ١٢١٥م

الأجناد، ويغدو ويروح إليهم ويرجوا رفدهم إلى أن حدثت حادثة الفرنسيس، فخرج مع من خرج إلى الشام ، ولم يزل هناك حتى مات بالطاعون فى السنة المذكورة. وكان دايما يقول عند تذكره الدولة والنعيم ذلك تقديرالعزيز العليم.

٦١٤/ عثمان بك الشرقاوى.

* ومات الأمير عثمان بك المعروف بالشرقاوى، وهو من مماليك محمد بك أبى الدهب أيضا الكبار، وتأمر فى أيامه وعرف بالشرقاوى لكونه تولى الشرقية، ووقع منه ظلم وجبروت بعد موت أستاذه، وصادر كثيرامن الناس فى أموالهم، ثم انكف عن ذلك، وزعم أن ذلك كان بإغرا مقدمه فشهره وقتله، ولم يزل فى إمارته حتى مات فى الشامبالطاعون.

٦١٥/ أيوب بك الكبير.

* ومات أيوب بك الكبير وهو أيضا من مماليك محمد بك، وكان من خيارهم يغلب عليه حب الخير والسكون، ويدفع الحق لأربابه، وتأمر على الحج ، وشكرت سيرته، واقتنى كتبا نفيسة واستكتب الكثير من المصاحف والكتب بالخطوط المنسوبة، وكان لين الجانب مهذب النفس يحب أهل الفضايل ذا ثروة وعزة وعفة، لا يعرف إلا الجد ويجتنب الهزل، ويلوم ويعترض على خشداشينه فى أفعالهم، ولا يعجبه سلوكهم ولا يهمل حقا توجه عليه، وإذا ساوم شيا وقال له البايع هذا بعشرة يقول له بل هو بخمسة مثلا وهذا ثمنها حالا، وقد يكون ذلك رأس ما لها أوبزيادة قليلة ويرضى البايع بذلك ويقبض الثمن فى المجلس، وهكذا كان شانه وطريقته.

٦١٦/ مصطفى بك الكبير.

* ومات الأمير مصطفى بك الكبير، وهو أيضاً من مماليك محمد بك تولى الصعيد وإمارة الحج عدة مرار، وكان فظا غليظا متمولا بخيلا شحيحا، وفي إمارته على الحج ترك زيارة المدينة لخوفه من العرب وشحه بعوايدهم وقلة اعتناه بشعاير الدين، وانتقد ذلك على المصريين من الدولة وغيرها، وكان ذلك من أعظم ما اجترمه من القبايح.

٦١٧/ سليمان أغا.

* ومات الأمير سليمان بك المعروف بالأغا توفى بأسيوط بالطاعون، وهو أيضا من مماليك محمد بك الكبير وهو أخو إبراهيم بك المعروف بالوالى، صهر إبراهيم بك الكبير، وهو الذى مات غريقا فى وقعة الفرنسيس الأولى بإنبابة مدبرا فارا فسقط فى البحر وغرق، وكان هو وأخوه المترجم قبل تقلدهما الصنجقية أحدهما والى الشرطة والآخر أغات مستحفظان، فلم يزالا يلقبان بذلك حتى ماتا، وكان المترجم محبا لجمع المال وله أقطاع واسعة وخصوصا بجهة قبلى. وفى آخر أمره استوطن أسيوط لأنها كانت فى أقطاعه وبنى بها قصرا عظيما وأنشا بعض البساتين وسواقى، واقتنى أبقارا وأغناما كثيرة، ومما اتفق له أنه جز صوف الأغنام وكانت أكثر من عشرة آلاف ثم وزعه على الفلاحين وسخرهم فى غزله بعد أن وزنه عليهم ثم وزعه على القنزازين فنسجوه أكسية، ثم جمع التجار وباعه عليهم بزيادة عن السعر الحاضر فبلغ ذلك مبلغا عظيما.

٦١٨/ قايد نار أغا.

* ومات الأمير قايد أغا وهو من مماليك محمد بك أيضا، وكان يلقب أيام كشوفيته بقايد نار لظلمه وتجبره، وولى أغات مستحفظان فى سنة ثمان وتسعين ومائة وألف،

فأخاف العامة وكان يتنكر ويتزيا بأشكال مختلفة ويتجسس على الناس، وذلك أيام خروج إبراهيم بك إلى قبلى ووحشته من مراد بك وانفراد مراد بك بإمارة مصر، فلما تصالحا ورجع إبراهيم بك رد الأغاوية لعلى أغا، فحنق المترجم لذلك وقلق قلقا عظيما وترامى على الأمرا، وصار يقول إن لم يردوا إلىّ منصبى قتلت على أغا أو قتلت نفسى، فلما حصل منه ذلك عزلوا على أغا وقلدوا سليم أغا أمين البحرين أغاوية مستحفظان، ولم يبلغ غرضه ولم ترض نفسه بالخمول.

وأكثر عنده من الأعوان والأتباع فيحضرون بين يديه الشكاوى والدعاوى ويضرب الناس ويحبسهم ويصادرهم فى أموالهم، ويركب وبين يديه العدة الوافرة من القواسة والخدم يحملون بين يديه الحراب والقرابين والبنادق وخلفه الكثير من الأجناد والمماليك واتخذ له جلسا وندما يباسطونه ويضاحكونه، ولم يزل كذلك حتى خرج مع عشيرته إلى الصعيد عند حضور حسن باشا، فاستولى على كثير من حصص الإقطاع فلما رجعوا فى أواخر سنة خمس بعد المايتين سكن دار جوهر أغا دار السعادة سابقا بالخرنفش، وقد كان مات فى الطاعون وتزوج سريته قهرا واستكثر من المماليك والجند وتاقت نفسه للإمارة وتشوف إلى الصنجقية وسخط على زمانه والأمرا الذين لم يلبوا دعوته ولم يبلغوه أمنيته، وصارت جلساه وندماه لا يخاطبونه إلا بالإمارة ويقولون له يا بك ويكره من يخاطبه بدون ذلك.

وكان له من الأولاد الذكور اثنا عشر ولدا لصلبه يركبون الخيول، ماتوا فى حياته وكان له أخ من أقبح خلق الله فى

الظلم، اتخذ له أعوانا وأتباعا وليس عنده ما يكفيهم، فكان يخطف كل ما مر بخطته بباب الشعريه من قمح وتبن وشعير وغير ذلك، ولا يدفع له ثمنا، هلك قبله بنحو ست سنوات بناحية قبلى، وأتوا بجيفته إلى مصر مقر فصا، ودفن بمدفن أخيه بتربة المجاورين.

ومن جملة افاعليه القبيحة أنه كان يجرد سيفه ويضرب رقاب الحمير، ويزعم انه يقطعها فى ضربة واحدة ولم يزل المترجم وأخوه على حالته حتى خرج من مصر عند مجى الفرنسيس، وعاد بصحبة عرضى العثملى ومات قاسم بك مع من مات من الأمرا والصناجق بالشام، فقلده الوزير الصنجقية فيمن تقلد وأدرك أمنيته فأقام قليلا وهلك فيمن هلك بالطاعون، فكان كما قال القايل:

فكان كالمتمنى أن يرى فلقا
من الصباح فلما أن رآه عمى

٦١٩/ حسن كاشفة جركسى.

* ومات أيضا حسن كاشف المعروف بجركس وهو أيضا من مماليك محمد بك وإشراق عثمان بك الشرقاوى، وكان من الفراعنة وهو الذى عمر الدار العظيمة بالناصرية وصرف عليها أموالا عظيمة، فما هو إلا أن تمم بناها ولم يكمل بياضها حتى وصلت الفرنسيس، فسكنها الفلكيون والمدبرون وأهل الحكمة والمهندسون، فلذلك صينت من الخراب كما وقع بغيرها من الدور، لكون عسكرهم لم يسكنوا بها، وتقلد المذكور الصنجقية بالشام أيضا، ثم هلك بالطاعون.

٦٢٠/ حسن كتخدا الجربان..

* ومات الأمير حسن كتخدا المعروف بالجربان بالشام أيضاً وأصله من مماليك حسن بك الأزبكاوى، وكان ممتهنا فى المماليك فسموه بالجربان لذلك، فلما قتل أستاذه بقى هو لا يملك شيا فجلس بحانوت جهة الأزبكية يبيع فيها تنباكا وصابوناً ثم سافر إلى المنصورة فأقام بها مدة تحت قصر محمود جربجى، ثم رجع إلى مصر فى أيام دولة على بك، وتنقلت به الأحوال فأنعم عليه على بك بأمرية بناحية قبلى.

فلما حصلت الوحشة بين على بك ومحمد بك وخرج محمد بك من مصر إلى قبلى خرج إليه المترجم ولاقاه وقدم بين يديه ما كان عنده من الخيام واليرق والخيول، وانضم إليه ولم يزل حتى تملك محمد بك واستوزر إسماعيل أغا الجلفى، وكان يبغض المترجم لأمور بينهما، فلم يزل حتى أوغر عليه صدر مخدومه وأدى به الحال إلى الإقصاء والبعد، إلى أن انضم إلى مراد بك وتقرب منه.

وكان مفوها لينا مشاركا قد حنكته الأيام والتجارب فجعله كتخداه ووزيره، واشتهر ذكره وعمر دارا بناحية باب اللوق بالقرب من غيط الطواشى وصار من الأعيان المعدودين وقصدته أرباب الحاجات واحتجب فى غالب الأوقات واتحد به محمد أغا البارودى فقربه من مراد بك وبلغ إلى ما بلغ معه، وكان يعترى المترجم مرض شبيه بالصرع ينقطع به أياما عن السعى والركوب، ولم يزل حتى مات مع من مات بالشام.

٦٢١/ قاسم بك الموسقو.

* ومات الأمير قاسم بك المعروف بالموسقو، وكان من مماليك إبراهيم بك وكان لين الجانب قليل الأذى، إلا أنه كان شحيحاً لا يدفع حقا توجه عليه، ولما مات خشداشه حسن بك الطحطاوى تزوج بزوجته، وشرع فى بنا السبيل المجاور لبيته بحارة قوصون بالقرب من الداودية فما قرب إتمامه إلا وقد قدمت الفرنسيس لمصر فخربوه وشعثوا بنيانه وخرقوا حيطانه، وأخذوا عواميده وبقى على حالته مثل ما فعلوه بدور تلك الخطة وغيرها، ومات أيضا المترجم بالشام.

٦٢٢/ على كتخدا الجاويشية.

* ومات على أغا كتخدا الجاويشية وهو من مماليك الدمياطى، ونسب إلى محمد بك وأخيه إبراهيم بك ورقاه واختص به وولاه أغات مستحفظان فى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف، فلم يزل إلى سنة ثمان وتسعين. فخرج مع إبراهيم بك إلى المنية عندما تغاضب مع مراد بك، فلما تصالحا قلده الأغاوية كما كان، فحنق قايد أغا وكان ما كان من عزله وولاية سليم أغا كما سبق الإلماع بذلك عند ذكر قايد أغا، ثم تقلد كتخدا الجاويشية فى سنة ست ومايتين وألف.

ولم يزل متقلداً ذلك حتى خرج مع من خرج فى حادثة الفرنسيس، وكان ذا مال وثروة مع مزيد شح وبخل، واشترى دار عبد الرحمن كتخدا القازدغلى العظيمة التى بحارة عابدين وسكنها، وليس له من المآثر إلا السبيل والكتّاب الذى أنشأه بجوار داره الأخرى بدرب الحجر وهو من أحسن المبانى، وقد حماه الله من تخريب الفرنسى، وهو باق إلى يومنا هذا ببهجته ورونقه.

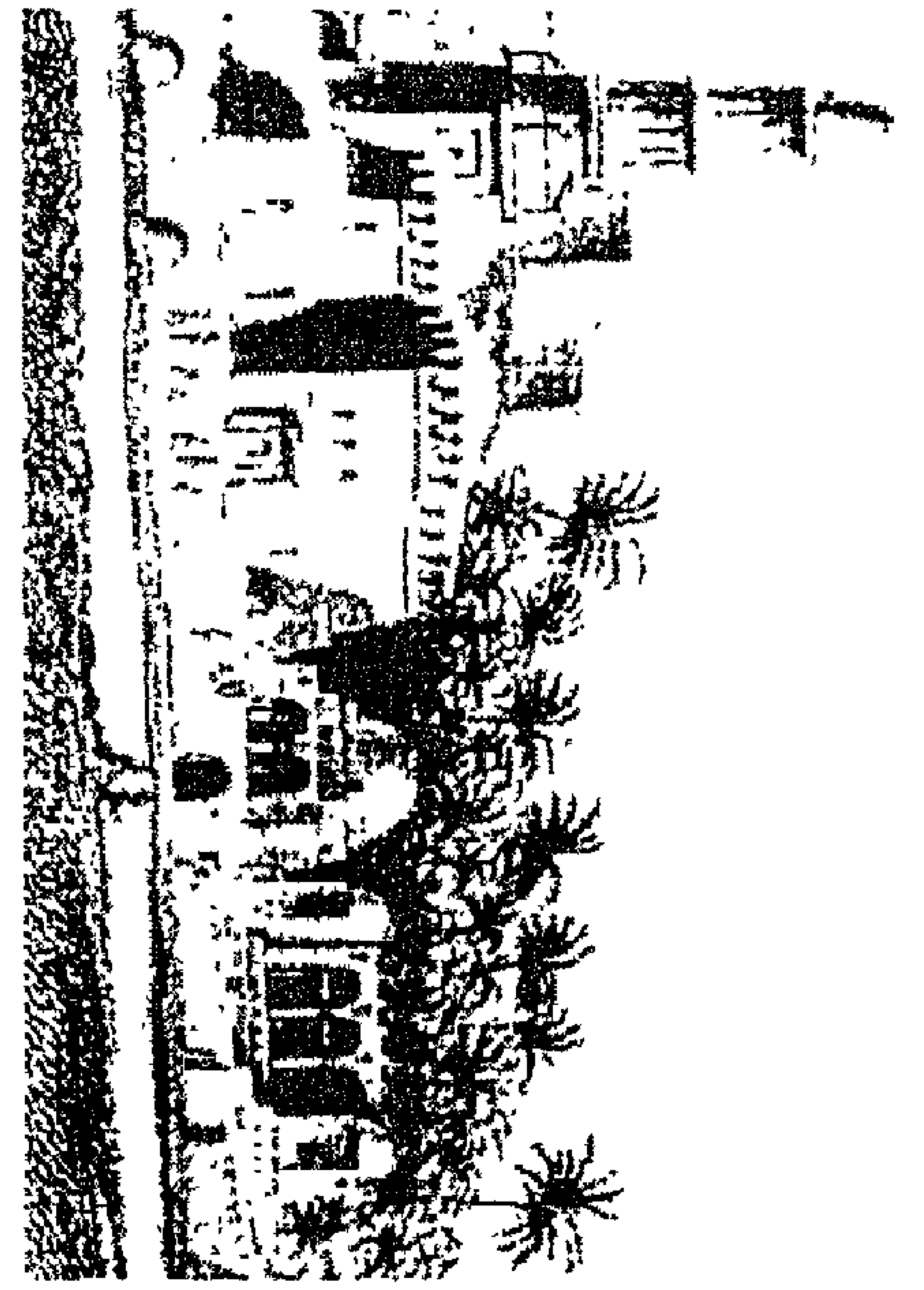
* ومات الأمير يحيى كاشف الكبير وهو من مماليك إبراهيم بك الأقدمين وكان لطيف الطباع حسن الأوضاع، وعنده ذوق وتودد عطارديا يحب الرسومات والنقوش والتصاوير والأشكال ودقايق الصناعات والكتب المشتملة على ذلك، مثل كليلة ودمنه والنوادر والأمثال. ٦٢٣/ يحيى كاشف الكبير.

واهتم فى بناء السبيل المجاور لداره بخطة عابدين، فرسم شكله قبل الشروع فيه فى قرطاس بمعونة الأسطا حسن الخياط، ثم سافر إلى الإسكندرية وأحضر ما يحتاجه من الرخام والأعمدة المرمر الكبيرة والصغيرة وأنواع الأخشاب، وحفر أساسه وأحكم وضعه واستدعى الصناع والمرخمين فتأنقوا فى صناعته ونقش رخامه على الرسم الذى رسمه لهم، كل ذلك بالحفر بالآلات فى الرخام وموهوه بالذهب، فما هو إلا أن ارتفع بنيانه وتشيدت أركانه وظهر للعيان حسن قالبه، وكاد يتم ما قصده من حسن مآربه، حتى وقعت حادثة الفرنسيس، فخرج مع من خرج قبل إتمامه، وبقى على حالته إلى الآن، ولما خرج سكن داره برطلمين واستخرج مخبأة بين داره والسبيل فيها ذخايره ومتاعه فأوصلها للفرنسيس.

* ومات الأمير رشوان كاشف وهو من مماليك مراد بك وكان له أقطاع بالفيوم فكان معظم إقامته بهم فاحتكر الورد وما يخرج من مايه والخل المتخذ من العنب، والخيش واتجر فى هذه البضايع بمراده واختياره، وتحكم فى الإقليم تحكم الملاك فى أملاكهم وعبيدهم وذلك قوة واقتدارًا. ٦٢٤/ رشوان كاشف.

٦٢٥/ سليم كاشف.

* ومات الأمير سليم كاشف بأسيوط مطعوناً وهو من مماليك عثمان بك المعروف بالجرجاوى من البيوت القديمة، وخشداش عبد الرحمن بك عثمان المتوفى فى سنة خمس ومايتين وألف بالطاعون الذى مات به إسماعيل بك وخلافه، وتزوج ابنته بعد موته.


* اسيوط

وكان ملتزماً بحصة من أسيوط وشرق الناصرى، واستوطن بأسيوط وبنى بها داراً عظيمة وعدة دور صغار، وأنشا بها عدة بساتين وغرس بها وبشرق الناصرى أشجاراً كثيرة وعمر عدة قناطر وحفر ترعا وصنع جسوراً وأسبلة فى مفاوز الطرق.

وأنشا داراً بمصر بالمناخلية بسوق الأنماطيين، واشترى داراً جليلة كانت لسليمان بك المعروف بأبى نبوت بحارة عابدين وعمرها وزخرفها.

وأنشا بأسيوط جامعاً عظيما ومكتبا فما هو إلا أن أكمل بنيانه حتى قدمت الفرنسيس فاتخذوه سجنا يسجنون به.

ثم لما قابل المذكور الفرنسيس وأمنوه أخذ فى إصلاح ما تشعث من البنا وتتميم العمارة ولم يساعده الوقت إذ ذاك لقلة الأخشاب وآلات البنا فاشتغل بذلك على قدر طاقته، فلما فرغ البنا وقارب التمام ولم يبق إلا اليسير وقع الطاعون بأسيوط فمات، والمسجد باق على ما هو عليه الآن، وهو من المبانى العظيمة المزخرفة على هيئة مساجد مصر.

وكان المذكور ذا بأس وشدة وإقدام وشجاعة وتهور ومشابه لحسن بك الجداوى فى هذه الفعال، وموائده مبسوطة

وطعامه مبذول وداره بأسيوط مقصد للوارد والقاصد والصادر من الأمرا وغيرهم، وله إغداقات وصدقات وأنواع من البر ومحبة فى العمارة وغراس الأشجار واقتنا الأنعام.

وكان متزوجا بثلاث زوجات إحداهن ابنة سيده عثمان بك توفيت بعصمته، والثانية ابنة خشداشه عبد الرحمن المذكور آنفا، والثالثة زوجة على كاشف المعروف بجمال الدين.


* عرب مسلحون

وكان ذا بأس، وله صولة وظلم وتجارؤ على سفك الدماء، فبذلك خافته عرب الناحية وأهل القرى وقاتل العرب مرارًا وقتل منهم الكثير، وبسكناه بأسيوط كثرت عمارتها وأمنت طرقها برا وبحرا واستوطنها الكثير من الناس لحمايتها وعدم صولة أحد على أهلها، وله مهاداة مع الأمرا المصرية وأرباب الحل والعقد بها والمتكلمين عندهم، فيرسل إليهم الغلال والعبيد والجوارى السود والطواشية وغير ذلك.

وله عدة مماليك بيض وسود أعتق كثيرا منهم من جملتهم عزيزنا الأمير أحمد كاشف المعروف بالشعراوى، رقيق حواشى الطبع مهذب الأخلاق ذو فروسية فى ركوب الخيل ومحبة فى العلما واللطفا وهو من جملة محاسن سيده.

* ومات كل من الأمير بكير بك والأمير محمد بك تابع ٦٢٦/ باكيربك.
حسين بك كشكش كلاهما بالشام، ومات غير هولا ممن لم ٦٢٧/ محمدبك.
يحضرنى أسماهم.

# واستهلت سنة ست عشرة ومايتين وألف بيوم الخميس

١٢١٦هـ.
١٥١٧ق.
١٨٠١م.
□ فى آخر محرم/ مايو تصرح بفتح الأزهر ثانيا بعد أن قفله الفرنساوية عقب واقعة سليمان الحلبى.
□ فى ١٣ صفر الجيش العثمانى والإنكليزى باتحادهما حصر الجنرال باليارد بمصر فانجبر على التسليم ومبارحة المدينة بشرف الحرب.
□ فى ربيع ثان/ أغسطس كان اكتشاف الكوكب المسمى سيريس.
□ ١ توت ١٥١٨ = ١٠ سبتمبر ١٨٠١ = الخميس ٢ جماد أول ١٢١٦.
□ فى ٢٢ ربيع الثانى تم الاتفاق بين الجنرال مونو والأمير كيث، الانكليزى، والصدر الأعظم على منطوق معاهدة العريش، التى لم يرض بها الجنرال كليبر، وفى أوايل هذا الشهر سافرت الفرنساوية إلى بلادهم، وتبعتهم الإنكليزايضا.
□ ١ يناير ١٨٠٢ = ٢٤ كيهك ١٥١٨ = الجمعة ٢٦ شعبان ١١٦.
□ وفى ١٠ جماد الثانى عقدت معاهدة مع التركية بخصوص السبع جزاير تحت كفالة فرانسا والروسيا.
□ فى ذو الحجة / أبريل كان اكتشاف الكوكب المسمى بالاس.
فيها عزت الأقوات وشحت جدا، خصوصا السمن والجبن والأشيا.

وباستهلالها خف أمر الطاعون.

وفى ليلة الجمعة تلك أرسل عبد العال الأغا وأحضر الشيخ محمد الأمير ليلا إلى منزله فبيته عنده، ولما أصبح النهار طلع به إلى القلعة وحبسه عند المشايخ بجامع سارية، والسبب فى ذلك أن ولد الشيخ المذكور كان من جملة من يستحث الناس على قتال الفرنسيس فى الواقعة السابقة فى مصر، فلما أضقت هرب إلى جهة بحرى ثم حضر بعد مدة إلى مصر فأقام أياما ثم رجع إلى فوة بإذن من الفرنسيس.

فلما حصلت هذه الحركة وتحذوا شدة التحذير وآخذوا الناس بأدنى شبهة وتقرب إليهم المنافقون بالتجسس والإغرا ذكر بعضهم ذلك لقايمقام وأدخل فى مسامعه أن ابن الشيخ المذكور ذهب إلى عرضى الوزير والتف عليهم فأرسل قايمقام إلى الشيخ قبل تاريخه فلما حضر سأله عن ولده المذكور فأخبره أنه مقيم بفوة فقال له لم يكن هناك وإنما هو عند القادمين، قال له لم يكن ذلك وإن شيتم أرسلت إليه بالحضور، فقال له أرسل إليه وأحضره، فقام من عنده على ذلك وأمهله ثمانية أيام مدة مسافة الذهاب والمجى، ثم خاطبه على لسان وكيل الديوان أيضا فوعده بحضوره أو حضور الجواب بعد يومين، واعتذر بعدم أمن الطريق فلما انقضى اليومان أمروا عبد العال بطلبه وإصعاده إلى القلعة ففعل.

وفيه حضر جملة من عساكر الفرنساوية من جهة بحرى وتواترت الأخبار بوصول القادمين من الإنكليز والعثمانية إلى الرحمانية وتملكهم القلعةوما بالقرب منها من الحصون الكاينة بالعطف وغيره، وذلك يوم السبت خامس عشرين الحجة.

□ فى ٢٣ القعدة معاهدة صلح اميان بين فرانسا وأسبانيا من جهة وانكلترا من جهة أخرى تقضى برد جزيرة مالطة إلى كافلييرة بيت المقدس.

وفيه حضرت زوجة* سارى عسكر كبير الفرنسيس بصحبة أخيها السيد على الرشيدى أحد أعضا الديوان، وكان خرج بها من رشيد حين ما ملكها القادمون ونزل بها فى مركب وأرسى بها قبالة الرحمانية، فلما حصلت واقعة الرحمانية وأخذت قلعتها حضر بها إلى مصر بعد مشقة وخوف من العربان وقطاع الطريق وغير ذلك، فأقامت هى وأخوها ببيت الألفى بالأزبكية نحو ثلاثة أيام ثم صعد إلى القلعة.

* حضور السيدة زبيدة زوجة عبد الله مينو من رشيد للقاهرة هروباً من الإنجليز وكان زواجه منها على حد قوله فى رسالة إلى الجنرال ديجا «يجب أن أحيطك علما ياعزيزى الجنرال بأننى قد اتخذت زوجة، وإنى اعتقد أن هذا الإجرا يخدم الصالح العام، ويقصد بذلك مصلحة مشروعه السياسى بإقامة مستعمرة فرنسية فى مصر. انظر، بونابرت فى مصر ٢٠ كرستوفر هيرولد. ص ٥٠٥.

وفيه قربت العساكر القادمة من الجهة الشرقيةوحضرت طوالعهم إلى القليوبية والمنير* والخانكة لأخذ الكلف فتأهب قايمقام بليار للقاهم وأمر العساكر بالخروج من أول الليل ثم خرج هو فى آخر الليل، فلما كان يوم الأحد رابعه رجع قايمقام ومن معه ووقع بينه وبينهم مناوشة فلم يثبت الفرنسيس لقلتهم ورجعوا مهزومين، وكتموا أمرهم ولم يذكروا شيأ.

* المنير: قرية من قرى مركز بلبيس، محافظةالشرقية.

وفى خامسه رفعوا الطلب* عن الناس بباقى نصف المليون وأظهروا الرفق بالناس والسرور بهم لعدم قيامهم عند

* الفرنساوية ترفع الطلب عن الناس كسبا لودهم.

خروجهم للحرب وخلوا البلدة منهم وكانوا يظنون منهم ذلك.

وفيه أخذت جملة من عدد الطواحين وأصعدت إلى القلعة وأكثروا من نقل الما والدقيق والأقوات إليها وكذلك البارود والكبريت والجلل والقنابر والبنب، ونقلوا ما في الأسوار والبيوت من الأمتعة والفرش والأسرةوحملوه إليها، ولم يبقوا بالقلاع الصغارإلا مهمات الحرب.

وفيه طلبوا الزياتين وألزموهم بمايتى قنطار [زيت] سيرج وسمروا جملة من حوانيتهم، وخرج جماعة من الجزارين لشرا الغنم من القرى القريبة فقبض عليهم عساكر العثمانية القادمة ومنعوهم من العود بالغنم والبقر، وكذلك منعوا الفلاحين الذين يجلبون الميرة والأقوات إلى المدينة فانقطع الوارد من الجهات البحرية والقليوبية وعزّت الأقوات وشح اللحم والسمن جدا، وأغلقت حوانيت الجزارين، واجتهد الفرنساوية فى وضع متاريس خارج البلد من الجهة الشرقية والبحرية وحفروا خنادق وطلبوا الفعلة للعمل فكانوا يقبضون على كل من وجدوه ويسوقونهم للعمل، وكذلك فعلوا بجهة القرافة، وألقوا الأحجار العظيمة والمراكب ببحر إنبابة لتمنع المراكب من العبور، وابتدأوا المتاريس البحرية من باب الحديد ممدودة إلى قنطرة الليمون إلى قصر إفرنج أحمد إلى السبتية إلى مجرى البحر.

وفى ثامنه بعث قايمقام بليار فأحضر التجار وعظما الناس وسالهم عن سبب غلق الحوانيت فقالوا له من وقف الحال

والكساد والجلا والموت، فقال لهم من كان موجودا حاضرا فألزموه بفتح حانوته وإلا فأخبرونى عنه، ونزلت الحكام فنادت بفتح الحوانيت والبيع والشرا.

وفى عاشره شرعوا فى هدم جانب من الجيزة من الجهة البحرية وقربت عساكر الإنكليز القادمة من البر الغربى إلى البلد المسماة بنادر عند راس ترعة الفرعونية.

وفيه تواترت الأخبار بأن العساكر الشرقية وصلت أوايلها إلى بنها وطحلا* بساحل النيل وأن طايفة من الإنكليز رجعوا إلى جهة اسكندرية وأن الحرب قايم بها، وأن الفرنساوية محصورون بداخل الإسكندرية والإنكليز ومن معهم من العساكر يحاربون من خارج، وهى فى غاية المنعة والتحصين وأن الإنكليز بعد قدومهم وطلوعهم إلى البر ومحاربتهم المرات السابقة أطلقوا الحبوس عن المياه * السايلة من البحر المالح منه إلى الجسر المقطوع حتى سالت المياه وعمت الأراضى المحيطة بالإسكندرية وأغرقت أطيانا كثيرة وبلادا ومزارع، وأنهم قعدوا فى الأماكن التى يمكن الفرنسيس النفوذ منها بحيث إنهم قطعوا عليهم الطريق من كل ناحية.

وفى ثانى عشره نزلت أمرأة من القلعة بمتاعها واختفت بمصر فأحضر الفرنسيس حكام الشرطة وألزموهم بإحضارها، وهذه المرأة اسمها هوى كانت زوجة لبعض الأمرا الكشاف، ثم إنها خرجت عن طورها وتزوجت نقولا وأقامت معه مدة فلما حدثت هذه الحوادث جمعت ثيابها واحتالت حتى نزلت من القلعة وهى على حمار ومتاعها

* طحلا، وتكتب طحله، وهى قرية قديمة. وتكتب احيانًا طحلى. كانت تابعه لمركز طوخ ثم ضمت لمركز بنها سنة ١٩١٣.

* كانت القوات الانجليزية فى ١٣ ابريل ١٨٠٠ قد قطعت البرزخ الصغير الواقع بين بحيرة المعدية (جفت الآن وكانت تتصل بالبحر المتوسط)، وقاع بحيرة مريوط جنوبى الاسكندرية، وكان جافا جزئيا. وفى الساعة السابعة مسا اندفعت المياه إلى اليابس بانحدار ستة أقدام، وفى ساعات قليلة أتت يد الإنسان المدمرة على مفخرة مصر (الإسكندرية) وتدفقت كمية هايلة من الماء ظلت شهرا تدخل الأرض بقوة شديدة وعزلت الاسكندرية عزلا تاماً، وسهلت مهمة القوة الانجليزية المحاصرة، ومكنت عدداً من السفن الانجليزية الصغيرة من دخول بحيرة مريوط. انظر: بونابرت فى مصر. ج. كريستوفر هيرولد. ص٥١٨.

محمول على حمار آخر، فنزلت عند بعض العطف وأعطت المكارية الأجرة وصرفتهم من خارج واختفت، فلما وقع عليها التفتيش وأحضروا المكارية قالوا لا نعلم غير المكان الذى أنزلناها به وأعطتنا الأجرة عنده فشددوا على المكارية ومنعوهم من السروح وقبضوا على أهل الحارة وحبسوهم، ثم أحضروا مشايخ الحارات وشددوا عليهم وعلى سكان الدور وأعلموهم أنه إن وجدت المرأة فى حارة من الحارات ولم يخبروا عنها نهبوا جميع دور الحارة وعاقبوا سكانها، فحصل للناس غاية الضجر والقلق بسبب اختفاها وتفتيش أصحاب الشرطة وخصوصا عبد العال فإنه كان يتنكر ويلبس زى النسا ويدخل البيوت بحجة التفتيش عليها، فيزعج أرباب البيوت والنسا، ويأخذ منهن مصالح ومصاغا ويفعل ما لا خير فيه، ولا يخشى خالقا ولا مخلوقا.

وفى خامس عشرة قبضوا على ألطون [أنطون] أبى طاقية النصرانى القبطى وحبسوه بالقلعة وألزموه بمبلغ دراهم تأخرت عليه من حساب البلاد.

وفى سادس عشره أفرجوا عن محمد أفندى يوسف ونزل إلى بيته وكذلك الشيخ مصطفى الصاوى لمرضه.

وفيه انقضت دعوة تهمة الشيخ خليل البكرى، ومحصلها أن خادم مملوكه ذهب عن لسان المملوك إلى بليار قايمقام وأخبره أنه وصل إلى أستاذه الشيخ خليل البكرى المذكور فرمان من عرضى الوزير بالأمان وكان هذا بإغرا عبد العال ليوقعه فى الوبال ويحرك عليه الفرنسيس لحزازة بينه وبينه،

فلما حضر الشيخ خليل على عادته عند قايمقام سأله عن ذلك فجحده فأحضروا الخادم الذى بلغ ذلك فصدق على ذلك، وأسند إلى المملوك سيده فأحضروا المملوك وسألوه فقال نعم، فقالوا له وأين الفرمان فقال قراه وقطعه، فقال الفرنساوية وكيف يقطعه؟ هذا دليل الكذب، لأنه لا يصح أن يتلقاه بالقبول ثم يقطعه، فقيل له ومن أتى به قال فلان، فألزموا الشيخ بإحضار ذلك الرجل وحبس المملوك عند عبد العال يومين وحضر الرجل فسألوه فجحد ولم يثبت عليه وظهر كذب الغلام والخادم، فعند ذلك طلب الشيخ غلامه فقال قايمقام إن قصاصه فى شريعتنا أن يقطع لسانه فتشفع فيه سيده وأخذه بعد أمور وكلام قبيح قاله الغلام فى حق سيده.

وفيه حضر حسين كاشف [شفت] اليهودى إلى قايمقام وأخبره أن الأمرا الذين بالصعيد خرجوا عن طاعة الفرنساوية وردوا مكاتبتهم التى أرسلوها لهم بعد موت مراد بك وأنهم مروا وتوجهوا إلى بحرى من البر الغربى وعثمان بك الأشقر ذهب من خلف الجبل إلى جهة الشرق فلما حصل ذلك ركب قايمقام وذهب للست نفيسة وأمنها وطيب خاطرها وأخبرها أنها فى أمان هى وجميع نسا الأمرا والكشاف والأجناد ولا مواخذة عليهن بما فعله رجالهن.

وفى عشرينه توكل رجل قبطى يقال له عبد الله من طرف [المعلم] يعقوب بجمع طايفة من الناس لعمل المتاريس فتعدى على بعض الأعيان وأنزلهم من على دوابهم وعسف وضرب بعض الناس على وجهه حتى أسال دمه،

فتشكى الناس من ذلك القبطى وأنهوا شكواهم إلى بليار قايمقام، فأمر بالقبض على ذلك القبطى وحبسه بالقلعة ثم فردوا على كل حارة رجلين يأتى بهما شيخ الحارة وتدفع لهما أجرة من شيخ الحارة.

وفيه وردت الأخبار بأن الوزير وصل دجوه*.

* دجوه: قرية من قرى مركز طوخ ـ قليوبية.

وفى يوم الاثنين سمع عدة مدافع على بعد وقت الضحوة.

وفى ذلك اليوم قبل العصر طلبوا مشايخ الديوان فاجتمعوا بالديوان وحضر الوكيل والترجمان وطلبهم للحضور إلى قايمقام فلما حصلوا عنده قال لهم على لسان الترجمان نخبركم أن الخصم قد قرب منا ونرجوكم أن تكونوا على عهدكم مع الفرنساوية وأن تنصحوا أهل البلد والرعية بأن يكونوا مستمرين على سكونهم وهدوهم ولا يتداخلوا فى الشر والشغب، فإن الرعية بمنزلة الولد وأنتم بمنزلة الوالد والواجب على الوالد نصح ولده وتأديبه وتدريبه على الطريق المستقيم التى يكون فيها الخير والصلاح، فإنهم إن داموا على الهدو حصل لهم الخير ونجوا من كل شر، وإن حصل منهم خلاف ذلك نزلت عليهم النار وأحرقت دورهم ونهبت أموالهم ومتاعهم ويتمت أولادهم وسبيت نساهم وألزموا بالأموال والفرد التى لا طاقة لهم بها، فقد رأيتم ما حصل فى الوقايع السابقة فاحذروا من ذلك فإنهم لا يدرون العاقبة ولا نكلفكم المساعدة لنا ولا المعاونة لحرب عدونا وإنما نطلب منكم السكون والهدو لا غير، فأجابوه بالسمع والطاعة وقولهم كذلك وقرى عليهم ورقة بمعنى ذلك، وأمروا الأغا وأصحاب الشرطة بالمناداة على الناس

بذلك وأنهم ربما سمعوا ضرب مدافع جهة الجيزة فلا ينزعجوا من ذلك فإنه شنك* وعيد لبعض أكابرهم، وأن يجتمع من الغد بالديوان الأعيان والتجار وكبار الأخطاط ومشايخ الحارات ويتلى عليهم ذلك فلما كان ضحوة يوم الثلاثا اجتمعوا كما ذكر وحصلت الوصية والتحذير، وانتهى المجلس وذهبوا إلى محلاتهم.

وفى ذلك اليوم أشيع حضور الوزير إلى شلقان* وكذلك عساكر الإنكليز بالناحية الغربية *وصلوا إلى أول الوراريق*.

وفى يوم الجمعة غايته اجتمع المشايخ والوكيل بالديوان على العادة وحضر أستوف الخازندار وترجم عنه رفاييل بقوله إنه يثنى على كل من القاضى والشيخ إسماعيل الزرقانى باعتنائهما فيما يتعلق بأمر المواريث وبيت المال والمصالح على التركات المختومة، لأن الفرنساوية لم يبق لهم من الإيراد إلا ما يتحصل من ذلك، والقصد الاعتنا أيضاً بأمر البلاد والحصص التى انحلت بموت أربابها، فلازم أيضاً من المصالحة والحلوان والمهلة فى ذلك ثمانية أيام، فمن لم يصالح على الالتزام الذى له فيه شبهة فى تلك المدة ضبطت حصته ولا يقبل له عذر بعد ذلك، واعلموا أن أرض مصر استقر ملكها للفرنساوية فلازم من اعتقادكم ذلك وأركزوه فى أذهانكم كما تعتقدون وحدانية الله تعالى، ولا يغرنكم هولا القادمون وقربهم، فإنه لا يخرج من أيديهم شى أبداً وهولا الإنكليز ناس خوارج حرامية وصناعتهم إلقا العداوة والفتن والعثملى مغتر بهم، فإن الفرنساوية كانت من الأحباب الخلص للعثملى فلم يزالوا حتى أوقعوا بينه

* شنك: هى من التركية (شن) بمعنى بهيج وشنلك البهجة والطرب. وتطلق كلمة الشنك على الاحتفال تطلق فيه المدافع والصواريخ الملونة، وربما أقتصر فى الشنك على إطلاق المدافع فى أوقات الصلاة يقول الجبرتى فى ذلك: «فعلموا لها شنكا، وهى مدافع تضرب من أبرا ج القلعة فى الأوقات الخمسة ثلاثة أيام».

* شلقان: من القرى القديمة العامرة. من أعمال القليوبية.

* بالغربية: المقصود بالغربية هنا غرب فرع رشيد قرب إنبابه.

* الوراريق: قرى فى مركز إنبابة ـ جيزة وهى: وراق الحضر، وأمبوبة ومنية النصارى، ووراق العرب.

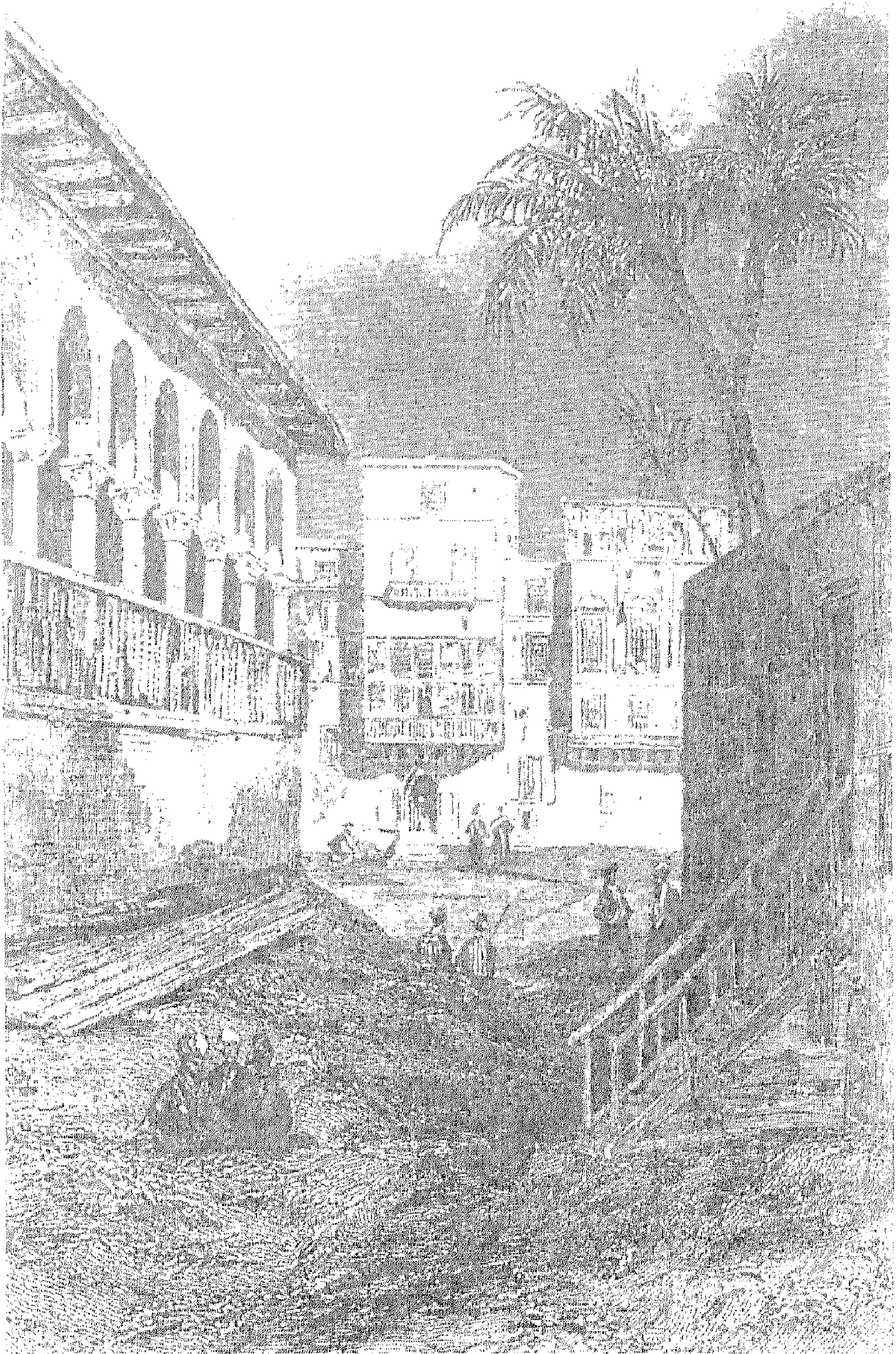
وبينهم العداوة والشرور، وأن بلادهم ضيقة وجزيرتهم صغيرة ولو كان بينهم وبين الفرنساوية طريق مسلوك من البرلانمحي أثرهم ونسي ذكرهم من زمان مديد، وتأملوا في شأنهم وأى شي خرج من أيديهم فإن لهم ثلاثة أشهر من حين طلوعهم إلى البر وإلى الآن لم يصلوا إلينا، والفرنسيس عند قدومهم وصلوا في ثمانية عشر يوما، فلو كان فيهم همة أو شجاعة لوصلوا مثل وصولنا، وكلام كثير من هذا النمط في معنى ذلك من بحر الغفلة.

ثم ذكر البكرى والسيد أحمد الزرو أنه حضر مكتوب من رشيد على يد رجل حناوى لآخر من منية كنانة يذكر فيه أنه حضر إلى إسكندرية مراكب وعمارة من فرنسا، وأن الإنكليز رجعت إليهم وأن الحرب قايمة بينهم على ظهر البحر، فقال الخازندار يمكن ذلك وليس ببعيد، ثم نقلوا ذلك إلى بليار قايمقام، فطلب الرجل الراوى لذلك فأحضر الزرو رجلا شرقاويا حلف لهم أنه سمع ذلك بأذنه من الرجل الواصل إلى منية كنانة* من رشيد.

* منية كنانة: هي ميت كنانة وكفر شومان مركز طوخ ـ قليوبية.

## شهر صفر الخير سنة ١٢١٦

واستهل بيوم السبت وفي ذلك اليوم قبل المغرب مشى عبد العال الأغا وشق في شوارع المدينة وبين يديه منادى يقول الأمن والأمان على جميع الرعايا، وفي غد تضرب مدافع وشنك من القلاع في الساعة الرابعة فلا تخافوا ولا تنزعجوا فإنه حضرت بشارة بوصول بونابارته بعمارة عظيمة إلى الإسكندرية، وأن الإنكليز رجعوا القهقرى، فلما أصبح يوم الأحد في الساعة الرابعة من الشروق ضربت عدة مدافع وتابعوا ضربها من جميع القلاع، وصعد أناس إلى المنارات



* أحد شوارع رشيد على عهد الجبرتي

ونظروا بالنظارات فشاهدوا عساكر الإنكليز بالجهة الغربية وصلوا إلى آخر الوراريق وأول إنبانة ونصبوا خيامهم أسفل إنبابة وعند وصولهم إلى مضاربهم ضربوا عدة مدافع، فلما سمعها الفرنساوية ضرب الآخرون تلك المدافع التي ذكروا أنها شنك، وأما العساكر الشرقية فوصلت أوايلهم إلى منية الأمرا المعروفة بمنية السيرج* والمراكب فيما بينهما من البرين بكثرة.

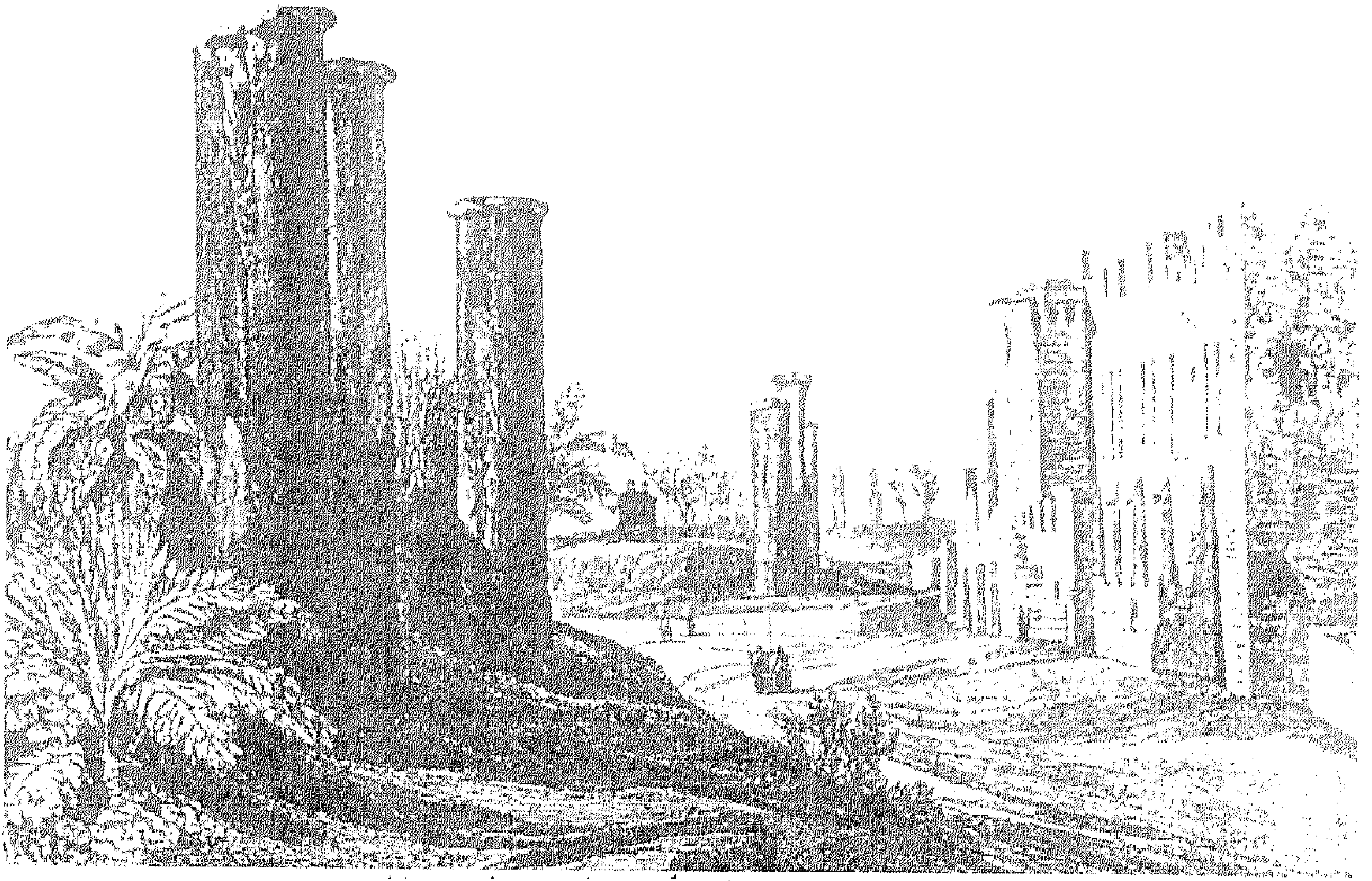
* منية السيرج أحد أقسام حي شبرا الآن.

فعند ذلك عزت الأقوات* وشحت زيادة على قلتها وخصوصا السمن والجبن والأشيا المجلوبة من الريف، ولم يبق طريق مسلوكة إلى المدينة إلا من جهة باب القرافة، وما يجلب من جهة البساتين من القمح والتبن فيأتي ذلك إلى عرصة بالرميلة، ويزدحم عليه النسا والرجال بالمقاطف فيسمع لهم ضجة عظيمة، وشح اللحم أيضا وغلا سعره لقلة المواشي والأغنام، فوصل سعر الرطل تسعة أنصاف، والسمن خمسة وثلاثين نصفا والبصل بأربعماية فضة القنطار، والرطل الصابون بثمانين فضة، والشيرج عشرون نصفا وأما الزيت فلا يوجد ألبتة، وغلت الأبزار جدا، واتفق لي غريبة وهو أني احتجت إلى بعض أنيسون فأرسلت خادمي إلى الأبزارية على العادة يشترى منه بدرهم فلم يجده، وقيل له إنه لا يوجد إلا عند فلان وهو يبيع الوقية بثلاثة عشرنصفا ثم أتانى منه بوقيتين بعد جهد فى تحصيله فحسبت على ذلك سعر الإردب فوجدته يبلغ خمسماية ريال أو قريبا من ذلك. فكان ذلك من النوادر الغريبة.

* غلاء الأسعار:

| | |
|---|---|
| رطل اللحم | ٩ أنصاف. |
| رطل السمن | ٣٥ نصفا. |
| رطل الشيرج | ٢٠ نصفا. |
| رطل الصابون | ٨٠ فضة. |
| قنطار البصل | ٤٠٠ فضة. |
| الدجاجه | ٤٠ نصفا. |

وفى يوم الاثنين ثالثه حصلت الجمعية بالديوان وحضر التجار ومشايخ الحارات والأغا وحضر مكتوب من بليار


* بقايا اثريه من الاسكندرية القديمة على عهد الجبرتى

قايمقام خطابا لأرباب الديوان والحاضرين يذكر فيه أنه حضر إليه مكتوب من كبيرهم منو بالإسكندرية صحبة هجانة فرنسيس وصلوا إليهم، من طريق البرية، مضمونه أنه طيب بخير والأقوات كثيرة عندهم يأتى بها العربان إليه وبلغهم خبر وصول عمارة مراكب الفرنساوية إلى بحر الجزر* وأنها عن قريب تصل الإسكندرية، وأن العمارة حاربت بلاد الإنكليز واستولت على شقة كبيرة منها فكونوا مطمينين الخاطر من طرفنا، ودوموا على هدوكم وسكونكم إلى آخر ما فيه من التمويهات، وكل ذلك لسكون الناس وخوفا من قيامهم فى هذه الحالة، وكان وصول هذا المكتوب بعد نيف وأربعين يوما من انقطاع أخبار من إسكندرية ولا أصل لذلك.

* كانت هناك عمارة بحرية فرنسية قد وصلت إلى درنه قرب الحدود الغربية لمصر بقيادة الجنرال جانتوم فى ٢٣ يونيو عام ١٨٠١ ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى الإسكندرية فعاد إلى طولون الميناء الفرنسى فى ٢٢ يوليو. وفى تفاصيل ذلك نذكر أنه فى الثالث والعشرين من شهر يونيه سنة ١٨٠١م لاح فى أفق مياه درنة الأسطول الفرنسى الذى يقوده الأميرال «جانتوم» وعلى ظهر سفنه

أربعة آلاف جندى من قوات الإنزال التى أعدتها فرنسا تحت قيادة الجنرال «ساهوجى» كقوات دعم لحملتها فى مصر.

وكان ذلك الأسطول الكبير قد غادر مينا طولون الفرنسى فى ٢٥ أبريل فقط؛ حيث إن إصلاح العطب الذى لحق بعض سفنه قد اضطره إلى التريُّث بذلك المينا أكثر من ثلاثين يوماً تلت آخر تعليمات أصدرها نابليون بونابرت لقادة الأسطول بخصوص عملية الإنزال المزمعة. ولقد حدث خلال الأسابيع الأربعة التى مكثتها سفن الأسطول بمياه طولون أن نشب خلاف بين الأميرال جانتوم والجنرال ساهوجى نتيجة للمسلك العدائى الواضح الذى كان قد أبان عنه الثانى تجاه قايد الأسطول؛ فانتهى الأمر بأن تمت تنحية ساهوجى عن قيادة قوات الإنزال المحمولة على ظهر الأسطول، حيث حلَّ محله فى هذا المنصب الجنرال «مبير».

وكانت قطع الأسطول المذكور تتألف من القطع الحربية التالية أسماوها: (الصّامدة) (L'INDIVISIBLE)، (الرهيبة) (LE FORMIDABLE)، (الجموحة) (LE DESAIX) (ديزيه) (LE DESAIX)، (أغسطس) (LE DIX-AOUt)، (جان بار) (LE JEAN-BART)؛ زيادة عن الطرّادات الحربية التالية أسماوها: (الدستور) (LA CONSTITUTION)، (المولّدة) (LA CREOLE)، (البسّالة) (La BRAVOURE)، وعين شمس) (L'HELIOPOLIS)؛

وهذا بالطبع إلى جانب ناقلات الجنود ذوات العنابر الواسعة.

وبعد أن تجاوزت سفن الأسطول وقطعه الحربية جزيرة «إلْبا»(١) الإيطالية الصغيرة، الواقعة شرقى جزيرة «كورسيكا»؛ نرى قائده الأميرال جانتوم يأمر ثلاثاً من سفنه الحربية تلك بالعودة إلى ميناء طولون، تحت إمرة مساعده الضابط البحرى «لينوا». وكانت تحمل السفن الثلاث بعض قوات عسكر المشاة التى يحملها الأسطول. ثم تأخرت مسيرة بقية سفن الأسطول قُدُماً نتيجة لسكون الرياح التى تحتاج إليها أشرعتها. بيد أن الرياح ما لبثت أن هبّت من جديد؛ فواصل الأسطول تقدُّمه حثيثاً نحو مياه شرقى البحر المتوسط، بحيث أصبح فى الثلاثين من شهر مايو إلى قبالة (راس ماتابان)، الواقع جنوب غربى الأرخبيل اليونانى. ثم تحوّل الأسطول نحو جزيرة إقريطش (كريت) والسواحل المصرية.

وفى السابع من شهر يونيه كان الأميرال جانتوم وسفنه وطرّاداته الحربية وناقلات جنوده، قد اقتربوا من الاسكندرية بمسافة قدّرها الأميرال نفسه بما يتراوح ما بين ماية وتسعين كيلو متر، ومايتين كيلو متر. ثم تمّ اتّخاذ الإجراءات المبدئية للشروع فى عملية إنزال القوات؛ غير أن هيجان البحر جعل العملية مستحيلة. وفيما اضطرَّ الأسطول إلى رفع مراسى سفنه على عجالة ـ بحيث توجهت من بينها، نحو ثغر الإسكندرية الطرّادة (عين شمس)، التى نجحت فى الدخول إلى مينائها، نجد أن الأسطول الانجليزى تمكن من اعتقال اثنتين من

سفن نقل الجنود، كانتا تحت حماية تلك الطرّادة الحارسة ـ وعندئذ نرى بقية قطع الأسطول الفرنسى وسفنه تتحوّل باتجاه جزيرة رودس والساحل القرمانى الجنوبى من آسيا الصغرى والمطل على (بحر إيجه). ثم بادر الأسطول فغيّر وجهته نحو جزيرة إقريطش (كريت)؛ حيث عبر منطقة بحر إيجه، ماراً ما بين شمالى هذه الجزيرة وبين جزر الأرخبيل اليونانى؛ ومن ثم توجه نحو مياه درنة.

وعند تغلغل الأسطول الفرنسى إلى المياه الإقليمية الليبية لشرقى الإيالة، بتاريخ ٢٣ يونيه سنة ١٨٠١، نرى الأميرال جانتوم يأمر سفنه برفع العلم العثمانى بأعلى قلاع أشرعتها الأمامية، وذلك للتمويه ولإيهام كل من يلحظ اقتراب الأسطول، من بين الليبيين، بأنه أسطول صديق جا لزيارة التراب الليبى فى تلك المنطقة. وكان الأميرال جانتوم والجنرال «مبير» ـ القايد الجديد الذى خلف الجنرال ساهوجى فى قيادة القوات الفرنسية المحمولة على ظهور سفن الأسطول ـ يتوقعان بسذاجة أن أهالى مدينة درنة وبيكها سيرحبون بقدوم أسطولهم. وذلك، فيما يبدو، لأن الأميرال والجنرال الفرنسيّين كانا قد علما قبل مغادرتهم لمينا طولون، بإيفاد المالطى «إكزافييه نودى» إلى يوسف القرمانلى فى مدينة طرابلس. لتسهيل حركتهم كما كانا على علم كذلك بأن السلطات الفرنسية فى باريس كانت قد طلبت من مفاوضها المالطى الحصول من باشا طرابلس على

إذن مسبّق بالسماح بإنزال تلك القوات على السواحل الشرقية للإيالة، ومن ثم عبور الصحرا الليبية نحو مصر، وذلك بعد التزوّد من درنة بوسايل النقل اللازمة من جمال ودواب أخرى. وكان الضابطان الكبيران المذكوران يعتقدان أنه قد تم اتخاذ جميع الإجراءات اللازمة، من قبل سلطات يوسف باشا القرمانلى، للسماح لجنودهم بالنزول إلى التراب الليبى؛ وبالتالى فإنهما اعتقدا بأنه لن يكون هنالك ما يعرقل إنجاز هذه العملية العسكرية الخطيرة. ولقد وصف الأميرال جانتوم هذا التكهّن الوهمى لما سيحدث له ولأسطوله، قائلاً فى التقرير الذى رفعه إلى حكومته فيما بعد: «.. كان الجوّ صحواً، ولم تكن هنالك أيّة صعوبة تعرقل الشروع فى عملية الإنزال العسكرى؛ إلى درجة اعتقدنا معها أن الطالع الحسن قد بدأ يبتسم لقواتنا». وهكذا، فقد بادر الجنرال «ميبير» إلى إنزال قارب صغير يحمل رسولاً عنه، وحمّل ذلك الرسول رسالة منمّقة العبارات، مسهبة الأسلوب لتسليمها إلى «بك درنة». وفيما يلى نص تلك الرسالة الهامة والساذجة الطريفة: «حرّرت على ظهر [السفينة المسماة] «الصامدة»، بتاريخ ٢٣ يونيه سنة ١٨٠١.

من طرف الجنرال القايد الأعلى لجيش الحملة الفرنسية على المشرق إلى سعادة بك درنة المبجّل:

أحيطك بهذه الرسالة علماً بأننى موفد من طرف الكبير بونابرتَ المُظَفّر، على رأس قوات جرّارة تعتبر طليعة جيوشنا. إننى لم أحضر للنزول فى منطقتك ـ التى أعرف أنك تدير شؤونها بحُنكة ـ لإعلان الحرب ضدّها؛ ولا من أجل استعمارها أو استعبادها؛ ولا من أجل تعكير صفْو رعاياك؛ أو انتهاك حرمة نسائها العفيفات المصونات؛ أو التّعدّى على ديانة آباكم وأجدادكم. وإنما جئتُ لكىْ أطلب منك السماح لنا بالمرور عبر أراضيك بغرض التغلغل بأسرع وقت فى أراضى مصر؛ حيث سنقوم ـ بعون الله ـ بقطْع دابر شراذم الإنجليز الذين بذلوا حتى الآن جهوداً، لا طايل تحتها، لاحتلال ذلك البلد العظيم؛ لا من أجل استعادته [من القوات الفرنسية] لإرجاعه إلى السلطان الأعظم ـ مثلما يدّعون ـ وإنما للاحتفاظ به لصالحهم الخاص، وذلك بحجّة حقهم فى الحصول على تعويض عن خساير الحرب. وهذا هو السبب فى أن هولا القوم من سُكّان الجزر الخدّاعين المراوغين، بعد أن احتلوا جزيرة مالطا التى وعدوا بإرجاعها إلى أصحابها الأصليين؛ قد احتفظوا بها الآن لأنفسهم. إن تصرُّفًا كهذا قد أزال الغشاوة عن عين قيصر روسيا «بولس»، الذى انفصل منذ تلك اللحظة عن حلفايه وصار من ثم حليفاً لفرنسا. ولا شك أنك أنت نفسك تعرف أن الباب العالى العثمانى ـ وقد ملّ أن يظل ألعوبة بين أيدى تجار لندن ـ قد بادر ففاتح الجمهورية الفرنسية فى أمر إبرام السلم، فهو مستعد لاستئناف علاقاته السالفة معها. إن صاحب الرفعة داىْ طرابلس المبجّل المهيب ـ الذى فَسُد دينه لبعض الوقت بسبب انخداعه بالشَّعْوَذات الماكرة التى جُبل عليها الانجليز والبرتغاليون، بالرغم من أنهم هم أعداؤه الحقيقيون، وإن كانوا قد أدخلوا فى روعه أننا نحن هم الماكرون الخدّاعون ـ قد عاد فتدارك، شاعراً بأنه ليس من صالح الإيالات المغربية أبداً الدخول ضدنا فى حرب مدمّرة، وبأنه على العكس من ذلك، يتوجّب التعجيل باستئناف علاقاتنا الودية؛ وأن علينا أن نتكاتف ضد جبروت الإنجليز هولا الإنجليز الذين استأثروا بخيرات بلاد الهند فى معظمها كلقمة سايغة لهم؛ ثم نهضوا مؤخراً لاحتلال جزيرة «سوقطرة»، وكذلك مضيق «باب المندب». والإنجليز قد صاروا يتهدّدون قبر الرسول بالمدينة [المنورة]. أقول بعد كل هذا، شعر داىْ طرابلس بأن الجمهورية الفرنسية سيدة مصر(٢)، هى وحدها التى صارت قادرة على كبح جماع هذا العدو الخطير الوقح، لوضع حدٍّ لمطامحه التى لا حدود لها. وبعد أن تدبّر داىْ طرابلس ـ بما له من دراية وعقل ـ جميع ما ذكرته لك أعلاه، فإنه طلب إلى الكبير المنصور بونابرت، أن يعيّن له قنصلاً فى طرابلس. وفيما لو قُدّر لهذا القنصل بلوغ مدينة طرابلس، بالرغم من كماين سفن المراقبة الإنجليزية المبثوثة فى البحر المتوسطَ، فإن هذا القنصل سيزيد فى ترسيخ دعايم السلم. وليس هذا فحسب، بل وسيبادر إلى إجرا مفاوضات عاجلة لحمل رفعة يوسف باشا القرمانلى على السماح للقوات الفرنسية بالمرور عبر أراضى درنة. تلك هى التعليمات التى زوّدنى بها الكبير بونابرت المُؤزر؛ وهى التعليمات التى أنقلها إليك الآن، لكى تعتبرنا أصدقا وحلفا مخلصين، يقدمون إليك أنفسهم

وأيديهم تلوح بغصن الزيتون. لكنهم ـ فيما لو اقترفت ضدهم أية عداوة ـ فإنهم قادرون على أن يتحولوا إلى أناس شرسين، وعندئذ فإنك لن تكون فقط مسؤولاً عن ذلك أمام حكومتك، بل وكذلك أمام رعاياك، الذين ستكون قد جلبت لهم بفعلتك وبال الحرب ونكدها، وحرمتهم من كل الميزات التى ستجلبها عليهم إقامتنا المؤقتة بين ظهرانيهم. ويمكنك أن تبلغ هولا أنه إذا كان مسلكهم تجاهنا يتسم بالودية والمحبة؛ وإذا ما متعونا ثقتهم، وبادروا إلى مساعدتنا، وإلى مدنا بكل ما نحتاجه للتعجيل بانطلاقنا [نحو مصر]؛ فإننى سأجبر، بكل حزم، رجال قوات على التزام مسلك طيب نحوهم، وسوف لن تلحق الإهانة أو يكدر خاطر أى منهم، وسوف لن نعيث فى ربوعكم وأريافكم وحقولكم. وإن كل ما قد يزودنا به أهاليكم من الميرة والمؤن والدواب، سندفع مقابله على الفور ثمناً سخيًا بالعملة الذهبية. بل إننى سوف أجزل العطا لأولئك الذين سيظهرون همة عالية وتفان كبير نحونا. وهكذا، فإنه وقد رضى كلانا عن الطرف الآخر، فإننا سنودع بعضنا البعض كأعز ما يكون عليه الأحباب والأصدقا.

وبعد كل ما بينته لك، يتوجب عليك الآن أن تستشير عقلك، وأن تعرف أين تقع مصلحتك أنت وأهاليك، وأن تبادر إلى عمل ما يمليه عليك واجبك، بحيث تنهض لاستقبالنا، إمّا بخير وإمّا بشرّ.

وانتظاراً لقرارك، تقبّل فايق تحياتى

إمضاء: ميّير»

وهكذا فإن الجنرال «مييّر» ـ وقد سبقته إلى بك درنة الرسالة الواردة أعلاه ومرفق بها ترجمة عربية ـ نراه يأمر بنقل ثلاثة آلاف جندى مشاة على ظهر عشرة زوارق، وبإنزال قاربين من فوق ظهر إحدى قطع أسطوله، حيث استقلهما هو وعدد من آمرى الوحدات وضباط الأركان الذين كان من بينهم على الخصوص «جيروم بونابرت»(٣)، شقيق نابليون، حيث كان آمراً لما يسمى بالفيالق المالطية. ثم توجه الجنرال «مييّر»، على رأس تلك الزوارق والقوارب إلى مرسى درنة.

ولقد وصفت فيما بعد إحدى المجلات الفرنسية مجىء هذا الأسطول الفرنسى إلى مياه درنة فى مقال مطول لها، قائلة: «لقد لاح شاطى درنة، كما لاحت المشارف الجردا العالية، المحيطة بالمدينة. ولم تكن تغطى تلك المشارف أية خضرة؛ اللهم سوى أشجار النخيل السامقة وسط الرمال الحارقة. ثم تبدت درنة نفسها ببساتينها ورياضها ورا مدخل المرسى، ووسط المرتفعات المحيطة بها والتى بدت قاحلة حزينة. وكان هناك حمير لاهية بالتنقيب عن قوتها بين الشعاب. هذا هو كل ما لاح للوهلة الأولى من مظاهر الحياة ورا تلك الشطآن الكئيبة. وما إن ازدادت الزوارق دنًا من اليابسة حتى تجلت الحركة والحياة للعيان: فلقد برز عندئذ حوالى الأربعماية أو الخمسماية فارس، وحولهم حشود من الناس الراجلين، وأخذوا يتقدمون حثيثًا باتجاه الشاطىء. ثم ازدادت أعداد هولا حتى أصبحوا يشكلون جمهرة كبيرة تصيح وتتوعد. وفى هذه الأثنا تعالت دقات الطبول. وعندئذ أمر الجنرال مييّر الزوارق التى تقلّ قواته بالتريّث فى عرض البحر، فيما اقترب هو بقاربيه من الشاطى، حيث أخذ يلوح ـ رمازاً للمسالمة ـ بالأعلام والرايات العثمانية والفرنسية. ولكن ما إن أصبح القاربان المقلاّن له ولضباطه ـ ومن بينهم شقيق بونابرت، جيروم ـ عند مرمى طلقة غدّارة من الشاطى حتى انهال على القاربين وابل ماطر من الطلقات النارية! فأسقط فى أيدى الفرنسيين وهلة من الوقت، حيث طفقوا يلوحون بالأعلام والرايات للتأكيد على نواياهم السلمية. غير أن دقات الطبول عند الشاطى صارت تتضاعف وتعلو، واستمر إطلاق الرصاص على القوارب الدانية، وتضخمت حشود الأهالى الغاضبين المتوعدين. وظل مييّر رابضاً بقاربه على بعدفترة من النهار، دون أن يتمكن من النجاح فى الدخول فى أى حوار مع الأهالى الغاضبين. ثم تقهقر بقاربه نحو الزوارق المقلة للجنود فى عرض البحر. وعندئذ أصدر أوامره إلى كل زورق منها بأن يقفل راجعًا إلى السفينة التى ينتمى إليها. وفيما يتعلق به هو نفسه، فإننا نراه يعود إلى سفينته المسماة (الصامدة)، حيث انكب على إعداد تقريره إلى الأميرال جانتوم ـ الذى كان يتواجد ساعتئذ على ظهر سفينة أخرى ـ فقال له فى ذلك

التقرير إنه فقد كل أمل في حمل أهالي درنة على السلوك نحوه مسلكاً ودياً، وبأنه يرى استحالة تسريب قوات الدعم إلى مصر عبر أراضي الإيالة الطرابلسية؛ ولذا فإنه قرّر الإقلاع عن الشروع في أية عملية إنزال عسكرى من هذا النوع. ولقد بسط الجنرال «ميير» أسباب قراره هذا في مذكرة مطوّلة، حرّرها وسلّمها في نفس الليلة للاميرال جانتوم، حيث ذكّره فيها بأنه في كل مرة كان يخوض معه حول موضوع الإنزال العسكرى المزمع عند مياه درنة، فإنهما كانا في النهاية يعترفان سويّةً بأن الإقدام على مثل هذه العملية يعتبر من المستحيلات، ما لم يتم التوصل مسبقاً إلى اتفاق بشأنها مع باشا طرابلس نفسه».

وهكذا فإن تصدّى أهالي درنة للأسطول الفرنسي ومنعه حتى من الدنوّ من الشاطئ، قد حمل الجنرال ميّير على الهرب وعدم القدرة على مجابتهم؛ الأمر الذى حدا بالأميرال جانتوم إلى رفع مراسي سفنه وقطعه الحربية والابتعاد بأسطوله كليةً عن السواحل الليبية في ليلة ٢٤ يونيه سنة ١٨٠١.

ولقد برّر الأميرال جانتوم، من جانبه، هروب أسطوله ورجاله أمام نهوض أهالي درنة صفّاً واحداً لإفشال خطة الإنزال، قائلاً في مذكرة رفعها عند عودته لفرنسا إلى نابليون بونابرت، قائلاً: «..إننا فيما لو حاولنا اقتحام مرسى درنة بالقوة، فإن النتيجة الوحيدة للعملية ستكون تأليب شعب بأكمله ضدنا؛ الأمر الذى سيعطى باشا الإيالة يوسف القرمانلي عذراً مناسباً وفرصة ذهبية سيغتنمها لقطع جميع علاقاته الحميمة مع الجمهورية الفرنسية».

ولو التفتنا إلى مجرى الأحداث في مصر نفسها خلال تلك الأيام الحاسمة، لوجدنا أن جيش الحملة الفرنسية كان عندئذ ينهار ويتفكك ويُهزم. ذلك أن الفرنسيين كانوا قد سلّموا وانهزموا في «الصالحية»، وهرعوا إلى القاهرة يتحصّنون ورا أسوارها، فيما كانت القوّات العثمانية تتبّع فلولهم وتضيّق عليها الخناق. وعندئذ لم تجد الحملة الفرنسية بُدّاً من قبول الأمر الواقع،، فبادر القايد الأعلى لقوات الحملة إلى قبول شروط الاستسلام ووقّع بتاريخ ١٦ صفر سنة ١٢١٦هـ، الموافق ٢٧ يونيه سنة ١٨٠١ م وثيقة التسليم.

(١) * وهي الجزيرة التي تم نفي نابليون بونابرت إليها، بعد أن أرغمته الدول الأوروبية المتحالفة في إطار ما كان يسمى بـ (التحالف الدولى السادس) إلى التنازل عن عرش الامبراطورية، ودخلت جيوش تلك الدول باريس في شهر مارس سنة ١٨١٤م. حيث نفى هو إلى جزيرة (إلبا) في شهر أبريل ١٨١٤، وظل بها إلى فبراير ١٨١٥، حيث عاد إلى فرنسا وأطاح بـ (لويس الثامن عشر) وحكم فرنسا من جديد فترة مائة يوم، ثم أبْعِد إلى جزيرة (هيلانة). بعد هزيمته بتاريخ ١٨١٥/٦/١٨ في معركة «ووترلو» التي كانت بمثابة نهاية لعصر الثورة الفرنسية وبداية لعصر جديد من تاريخ فرنسا عادت فيه السيادة لأسرة (البوربون). أما نابليون فقد نقلته مدمّرة انجليزية إلى منفاه بعد أن استجدى هو الإبقاء على حياته من أعدائه الإنجليز، حيث أرسل إلى الأمير الوصى على عرش انجلترا رسالة استجداء قال فيها بالحرف الواحد: «لقد قرّرتُ أن أختم سلكي السياسي، وأن ألجأ إلى الأسرة الحاكمة للأمة البريطانية التي استليذ بنظامها وقوانينها، وأنني ألتمس هذه الاستلاذة من سموك الملكي: أقْدر وأثبت وأكرمْ أعدائي». فقبل الإنجليز استجداءه ونفوه إلى جزيرة (القديسة هيلانة) ــ التي كانت مستعمرة انجليزية ــ تقع في جنوب المحيط الأطلنطلي، حيث مات بها في سنة ١٨٢١.

(٢) إن الجنرال «ميّير» لم يكن يعلم، بطبيعة الحال، وهو يحرر هذه الرسالة الموجهة إلى بك درنة، أن شراذم جيش الحملة الفرنسية في مصر، كانت في تلك الساعة قد انكسرت شوكتها وحوصرت في القاهرة، حيث اضطرت إلى قبول الأمر الواقع بالجلاء الكامل عن تراب مصر، حيث تم ذلك بتاريخ ٢٧ يونيه سنة ١٨٠١ الموافق ١٦ صفر سنة ١٢١٦هـ، أى بعد أربعة أيام فقط من تحرير هذا الجنرال لرسالته التي نحن بصددها.

(٣) ولد جيروم بونابرت في مدينة أجاكسيو بجزيرة كورسكا في سنة ١٧٨٤، أى أنه كان يبلغ من العمر عند مجيئه إلى مياه درنة ١٧ عاماً، حيث كان قائداً لما يسمى بالفيالق المالطية. وخلال الفترة ما بين ١٨٠٧م ١٨١٣م تم تنصيب جيروم بونابرت هذا ملكاً على مملكة (ويستفاليا) التي اقتطعها نابليون آنئذ من أراضي ألمانيا (بروسيا) وجعل عاصمتها مدينة (كاسّل) الألمانية. ثم تلاشت تلك المملكة سنة ١٨١٣. وفي سنة ١٨٥٠ اصبح جيروم ضابطا كبيرا في الجيش الفرنسي برتبة (مشير). ثم مات سنة ١٨٦٠. ولقد كان لنابليون ثمانية إخوة ما بين ذكور وإناث، لعب معظمهم أدواراً هامة في الحياة السياسية طيلة الحقبات التي حكم خلالها أخوهم نابليون فرنسا.

وفى ذلك اليوم قتل عبد العال رجلا ذكروا أنه وجد معه مكتوب من بعض النسا مرسل إلى بعض أزواجهن بالعرضى، قتل ذلك الرجل بباب زويلة ونودى عليه هذا جزا من ينقل الأخبار إلى العثملى والإنكليز*.

* مينو يصدر منشوراً بعقوبة التجسس، نصه:
ان عقوبة الإعدام ستوقع على كل شخص من أية أمة كانت، تثبت ضده تهمة الخيانة بالتخابر أو التراسل مع اعدا الجمهورية أو قيامه بعمليات استطلاعية أو تنبيهات وتحذيرات من شأنها إعلام اعداها بما يجرى من أحداث.
كوربيه دى ليجيبت. العدد ١٠٣. ص ٣٧٥.

وفيه وصلت العساكر الشرقية إلى العادلية وامتد العرضى منها إلى قبلى منية السيرج وكذلك الغربية إلى إنبابه ونصبوا خيامهم بالبرين والمراكب بينهم فى النيل وضربوا عدة مدافع وخرج عدة من الفرنساوية خيالة فترامحوا معهم وأطلقوا بنادق ثم انفصلوا بعد حصة من الليل ورجع كل إلى مأمنة، واستمر هذا الحال على هذا المنوال يقع بينهم فى كل يوم.

فى سادسه زحفت العساكر الشرقية حتى قربوا من قبة* النصر، وسكن إبراهيم بك زاوية الشيخ دمرداش*، وحضر جماعة من العسكر وأشرفوا على الجزارين من حايط المدبح وطلبوا شيخ الجزارين ووجدوا ثلاثة أنفار من الفرنسيس فضربوا عليهم بنادق فأصيب أحدهم فى رجله فأخذوه وهرب الاثنان. وأصيب جزار يهودى، ووقع بين الفريقين مضاربة على بعد، وقتل بعض قتلى وأسر بعض أسرى،

ولم يزل الضرب بينهم إلى قريب العصر، والفرنسيس يرمون من القلعة الظاهرية* وقلعة نجم الدين والتل ولا يتباعدون عن حصونهم.

وفى سابعه وقعت مضاربة بين الفريقين ببنادق ومدافع من الصباح إلى العصر أيضا.

* قبة النصر: وهى خارج سور القاهرة فى مواجهة باب النصر. وهى فى الغالب القبة المقامة على مقام أمير الجيوش بدر الجمالى الذى تولى إمارة دمشق من قبل المستنصر سنة ٤٥٥هـ = ١٦٠٣م وتولى حكم مصر بنا على طلب المستنصر سنة ٤٦٥هـ = ١٠٧٣م وتوفى سنة ٤٨٧هـ = ١٠٩٤م وتولى من بعده ولاية مصر ابنه شاهنشاه الملقب بالأفضل ابن أمير الجيوش.
* زاوية الشيخ دمرداش: تقع شمال شرق القاهرة قرب صحرا العباسية.
* جامع الظاهر: وهو خارج القاهرة بالحسينية. أنشأه الملك الظاهر بيبرس. وكان موضعه ميدانا يعرف بميدان قراقوش، وكان منتزه الملك ومحل لعبه بالكرة. كملت عمارة الجامع سنة

وفيه أشيع موت السيد أحمد المحروقي بدجوة وكان مريضا بها وامتنع الوارد من الجهة البحرية بالكلية.

وفيه قبضوا على رجل شبه خدام ظنوه جاسوسا فأحضروه عند قايمقام فسألوه فلم يقر بشي فضربوه عدة مرار حتى ذهل عقله وصار كالمختل، وكرروا عليه الضرب والعقاب وضربوه بالكرابيج على كفوفه ووجهه وراسه حتى قيل أنهم ضربوه نحو ستة آلاف كرباج وهو على حاله ثم أودعوه الحبس.

وفيه أطلقوا محبوساً يقال له الشيخ سليمان حمزة الكاتب، وكان محبوسا بالقلعة من مدة أشهر فأطلق على مصالحة [قدرها] ألفي ريال.

وفي ثامنه وقعت مضاربة أيضًا بطول النهار ودخل نحو خمسة وعشرين نفرا من عسكر العثمانية إلى الحسينية وجلسوا على مساطب القهوة وأكلوا كعكا وخبزا وفولا مسلوقا [فول نابت] وشربوا قهوة ثم انصرفوا إلى مضربهم.

وأخذ الفرنساوية عسكريا من أتباع محمد باشا والي غزة والقدس المعروف بأبي مرق، فحبسوه ببيت قايمقام، وأغلقوا في ذلك اليوم باب النصر وباب العدوى.

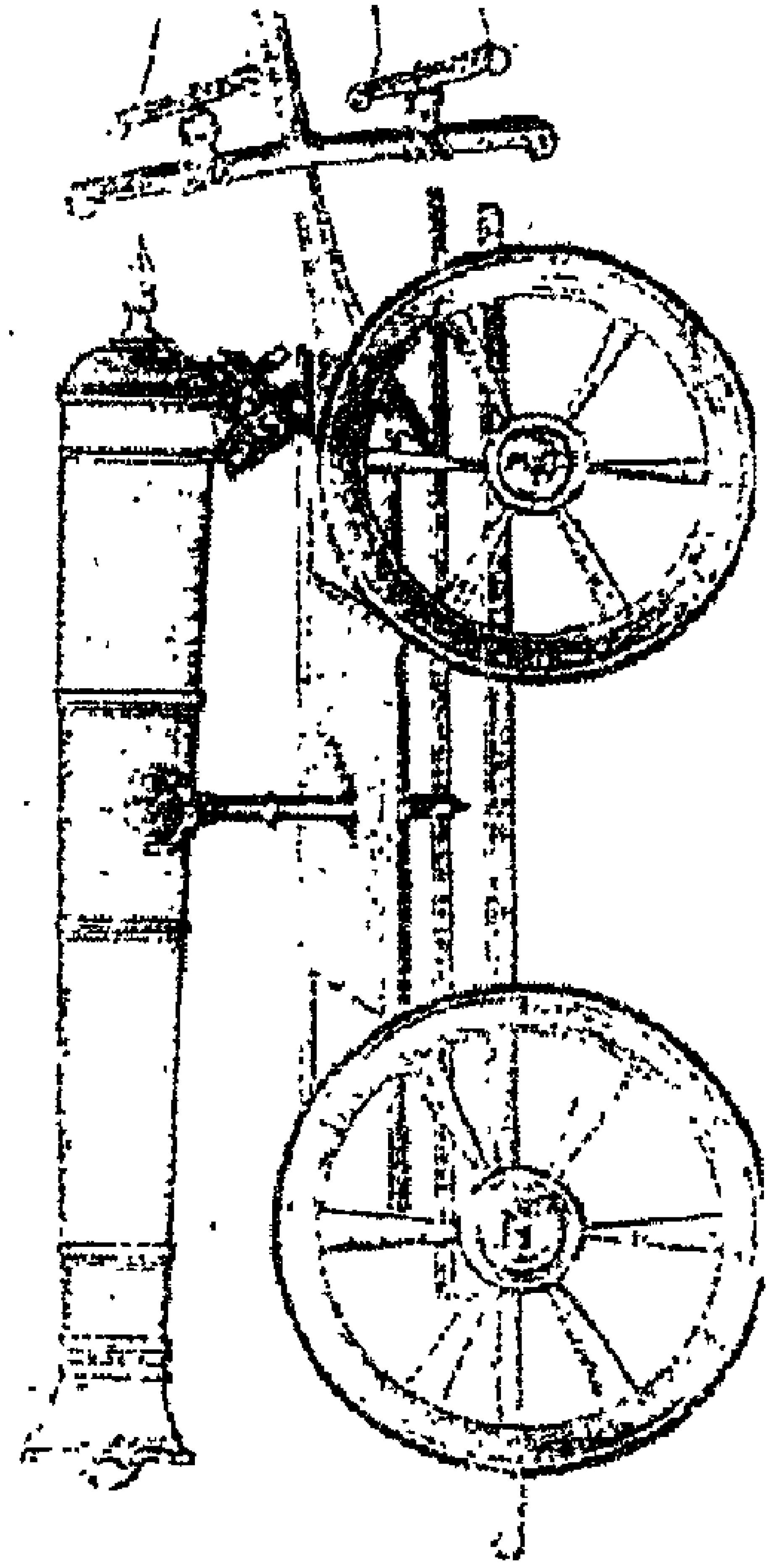
وفيه زحفت عساكر البر الغربي إلى تحت الجيزة فحضر في صبحها «يني»* وأخبر قايمقام فركب من ساعته وعدى إلى بر الجيزة، فسمع الضرب أيضاً من ناحية الجيزة وسمعت طبول الأمرا ونقاقيرهم، واستمر الأمر إلى يوم الثلاثا حادي عشره، فبطل الضرب في وقت الزوال.

٦٦٧هـ. والظاهر هو ركن الدين الملك الظاهر بيبرس البندقداري أحد المماليك البحرية، تولى ملك مصر بعد قتله لسيده سيف الدين قطز.
وهو أكبر جامع بعد جامع ابن طولون وجامع الحاكم. وكانت الفرنساوية حولته إلى قلعة عسكرية باسم قلعة سلكوسكي، ثم حوله محمد على إلى مخبز للجهادية وفي ظل الاحتلال الإنجليزي تحول إلى مذابح للحيوانات.

* من النصارى الاروام العاملين في الشرطه الفرنسية، كان من ضمن من خرجوا مع الحملة إلى فرنسا.

ولماحصلوا جهة الجيزة انتشروا إلى قبلى منها ومنعوا المعادى من تعدية البر الشرقى فانقطع الجالب من الناحية القبلية أيضًا فامتنع وصول الغلال والأقوات والبطيخ والعجور والخضروات والخيار والسمن والجبن والمواشى، فعزت الأقوات وغلت الأسعار فى الأشيا الموجودة منها جدا.

واجتمع الناس بعرصة الغلة بالرميلة يريدون شرا الغلة فلم يجدوها، فكثر ضجيجهم وخرج الأكثر منهم بمقاطفهم إلى جهة البساتين ورجع الباقون من غير شى، فأحضر عبد العال القبانية وألزمهم بإحضار السمن وضرب البعض منهم فأحضروا له فى يومين أربعة عشر رطلا بعد الجهد فى تحصيلها وبيعت الدجاجة بأربعين نصفا، وامتنع وجود اللحم من الأسواق.



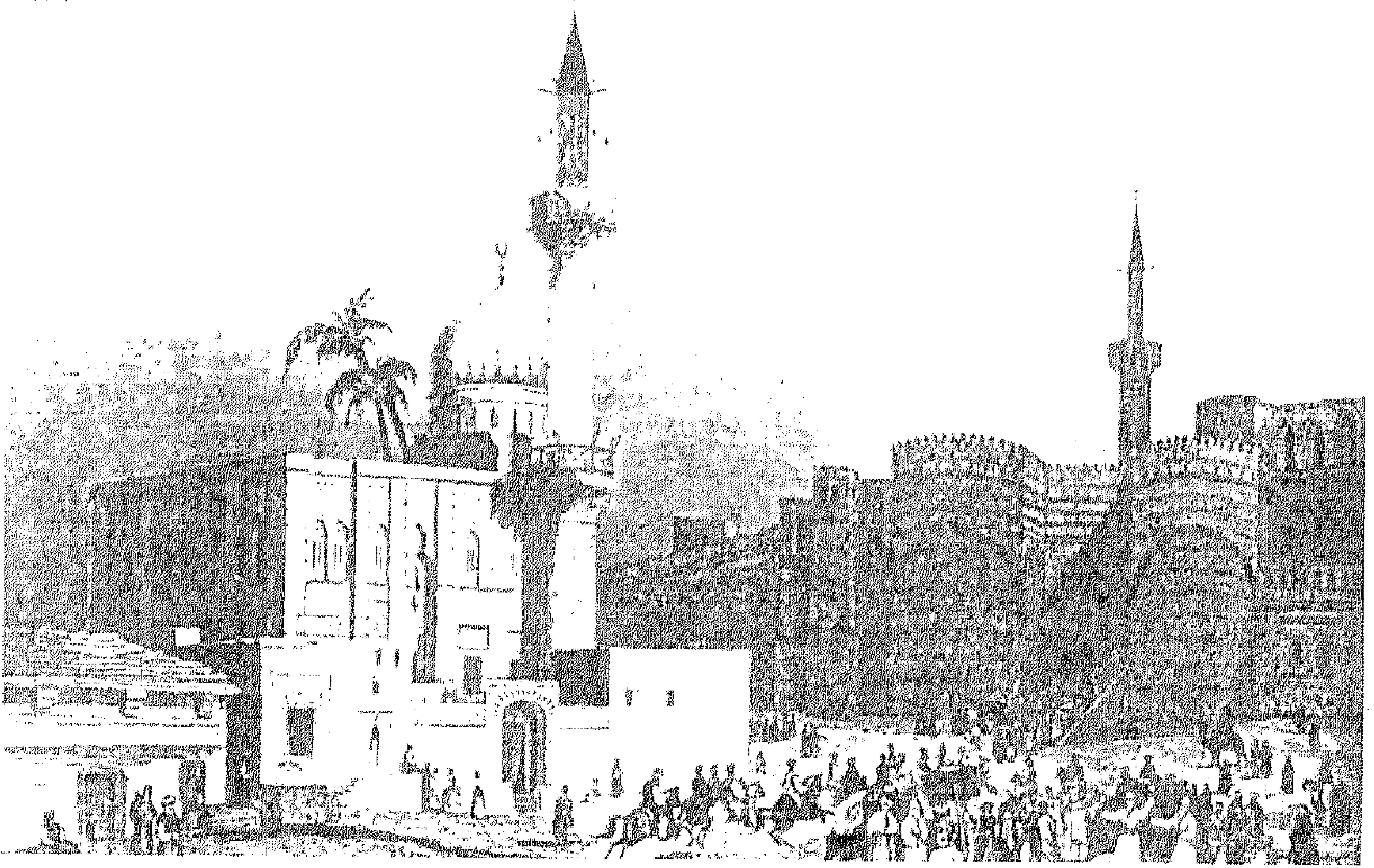
* مدفعية ميدان تجر على عجل.

واستمر الأمر على ذلك الأربعا والخميس والمضاربة بين الفريقين ساكنة وأشيع وقوع المسالمة* والمراسلة بينهما والمتوسط فى ذلك الإنكليز وحسين قبطان باشا، فانسر الناس وسكن جاشهم لسكون الحرب.

وفى ذلك اليوم أغلقوا باب القرافة وباب الجراة، ولم يعلم سبب ذلك ثم فتحوهما عند الصباح من يوم الجمعة، ورفعوا عشور الغلة.

وفى يوم الاثنين سابع عشره أطلقوا المحبوسين بالقلعة من أسرى العثمانية وأعطوا كل شخص مقطع قماش وخمسة عشر قرشا وأرسلوهم إلى عرضى الوزير وكان بلغ بهم الجهد من الخدمة والفعالة وشيل التراب والأحجار وضيق

* استمرت المفاوضة أربعة أيام، وانتهت باتفاق على جلا الجيش الفرنسى عن مصر، ووقع المندوبون على هذا الاتفاق وتقتضى شروطه أن تجلو الجنود الفرنسية البرية والبحرية التى تحت قيادة الجنرال بليار عن مدينة القاهرة وقلاعها وقلاع بولاق والجيزة وعن كل جهة تحتلها من الأراضى المصرية.
وأن يكون جلاء الجنود بأسلحتهم وامتعتهم ومدافعهم وذخايرهم بطريق فرع رشيد ومن رشيد وأبو قير يبحرون إلى فرنسا على نفقة الحلفا، وأن يتم الجلا فى أقرب وقت ممكن بحيث لا يزيد عن خمسين يوما من يوم التصديق على الاتفاق، وحدد الجلا عن القاهرة وبولاق اثنى عشر يوما.

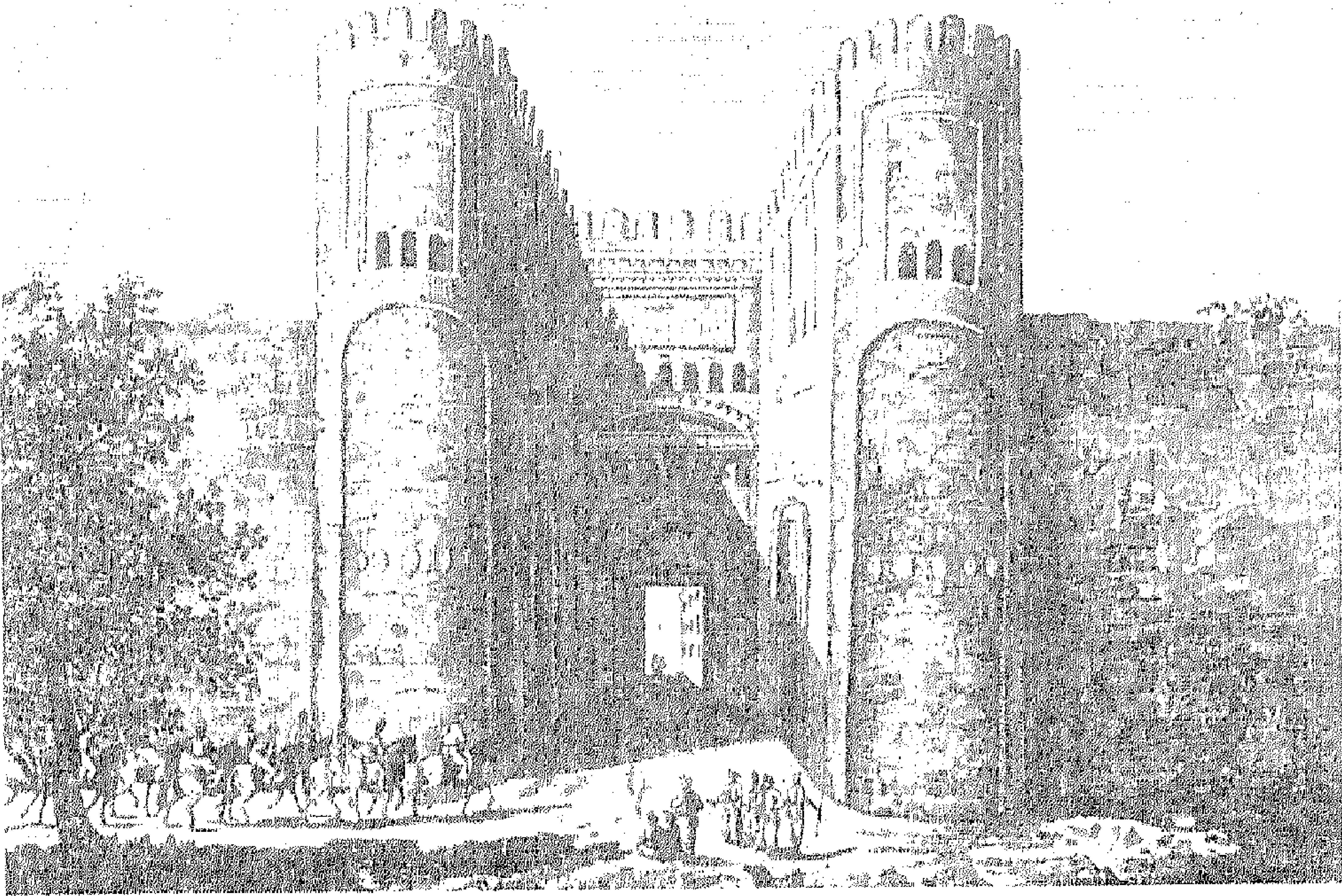


* بوابة القلعة الكبيرة (القاهرة) وجامع المحمودية وميدان الرميله (قراميدان).

الحبس والجوع، ومات الكثير منهم، وكذلك أفرجوا عن جملة من العربان والفلاحين.

وفى ليلة الاثنين المذكور سمع صوت مدفع بعد الغروب عند قلعة جامع الظاهر خارج الحسينية ثم سمع منها أذان العشا والفجر، فلما أضا النهار، نظر الناس فإذا البيرق العثمانى بأعلاها والمسلمون على أسوارها فعلموا بتسليمها، وكان ذلك المدفع إشارة إلى ذلك، ففرح الناس وتحققوا أمر المسالمة وأشيع الإفراج عن الرهاين من المشايخ وغيرهم وباقى المحبوسين فى الصباح، وأكثر الفرنساوية من النقل والبيع فى أمتعتهم وخيولهم ونحاسهم وجواريهم وعبيدهم وقضا أشغالهم.

وفى ذلك اليوم أنزلوا عدة مدافع من القلعة وكذلك من قلعة باب البرقية وأمتعة وفروش وبارود.



* باب الفتوح.

وفى يوم الثلاثا عمل الديوان وحضر الوكيل وأعلن بوقوع الصلح والمسالمة ووعد أن فى الجلسة الآتية يأتى إليهم فرمان الصلح وما اشتمل عليه من الشروط ويسمعونه جهارا.

وفى ذلك اليوم كثر اهتمام الفرنساوية بنقل الأمتعة من القلعة الكبيرة وباقى القلاع بقوة السعى.

وفيه أفرجوا عن محمد جلبى أبى دفية وإسماعيل القلق ومحمد شيخ الحارة بباب اللوق والبرنوسى نسيب أبى دفية والشيخ خليل المنير وآخرين تكملة ثمانية أنفار ونزلوا إلى بيوتهم.

* اجتماع ديوان القاهرة



وفيه سافر عثمان بك البرديسى إلى الصعيد وعلى يده فرمانات للبلاد بالأمن والأمان وسوق المراكب بالغلال والأقوات إلى مصر ويلاقى ستة آلاف من عسكر الإنكليز حضروا من القلزم إلى القصير.

وفيه شنق الفرنساوية شخصاً منهم على شجرة ببركة الأزبكية قيل إنه سرق.

وفيه أرسل الفرنساوية إلى الوزير وطلبوا منه جمالا ينقلون عليها متاعهم فأمر لهم بإرسال مايتى جمل، وقيل أربعماية، مساعدة لهم وفيها من جمال طاهر باشا وإبراهيم بك.

* الإفراج عن السادات. الشرقاوى. محمد الأمير. محمد المهدى. حسن أغا. رضوان كاشف. وغيرهم.

وفى يوم الخميس عشرينه أفرجوا عن بقية المسجونين والمشايخ وهم شيخ السادات والشيخ الشرقاوى والشيخ الأمير والشيخ محمد المهدى وحسن أغا المحتسب ورضوان كاشف الشعراوى وغيرهم، فنزلوا إلى بيت قايمقام وقابلوه وشكروه، فقال للمشايخ إن شئتم اذهبوا فسلموا على الوزير فإنى كلمته ووصيته عليكم.

وفيه حضر الوزير ومن معه من العساكر إلى ناحية شبرا، وكذلك الإنكليز وصحبتهم قبطان باشا إلى الجهة الغربية والعساكر تجهاهم، ونصبوا الجسر فيما بينهم على البحر وهو من مراكب مرصوصة مثل جسر الجيزة بل يزيد عنه فى الإتقان بكونه من ألواح فى غاية الثخن وله داربزين من الجهتين أيضاً وهو عمل الإنكليز.

وفيه ألصقوا أوراقا بالطرق مكتوبة بالعربى والفرنساوى وفيها شرطان من شروط الصلح* التى تتعلق بالعامة ونصها:

* شروط الصلح بين الفرنساوية والعثملية.

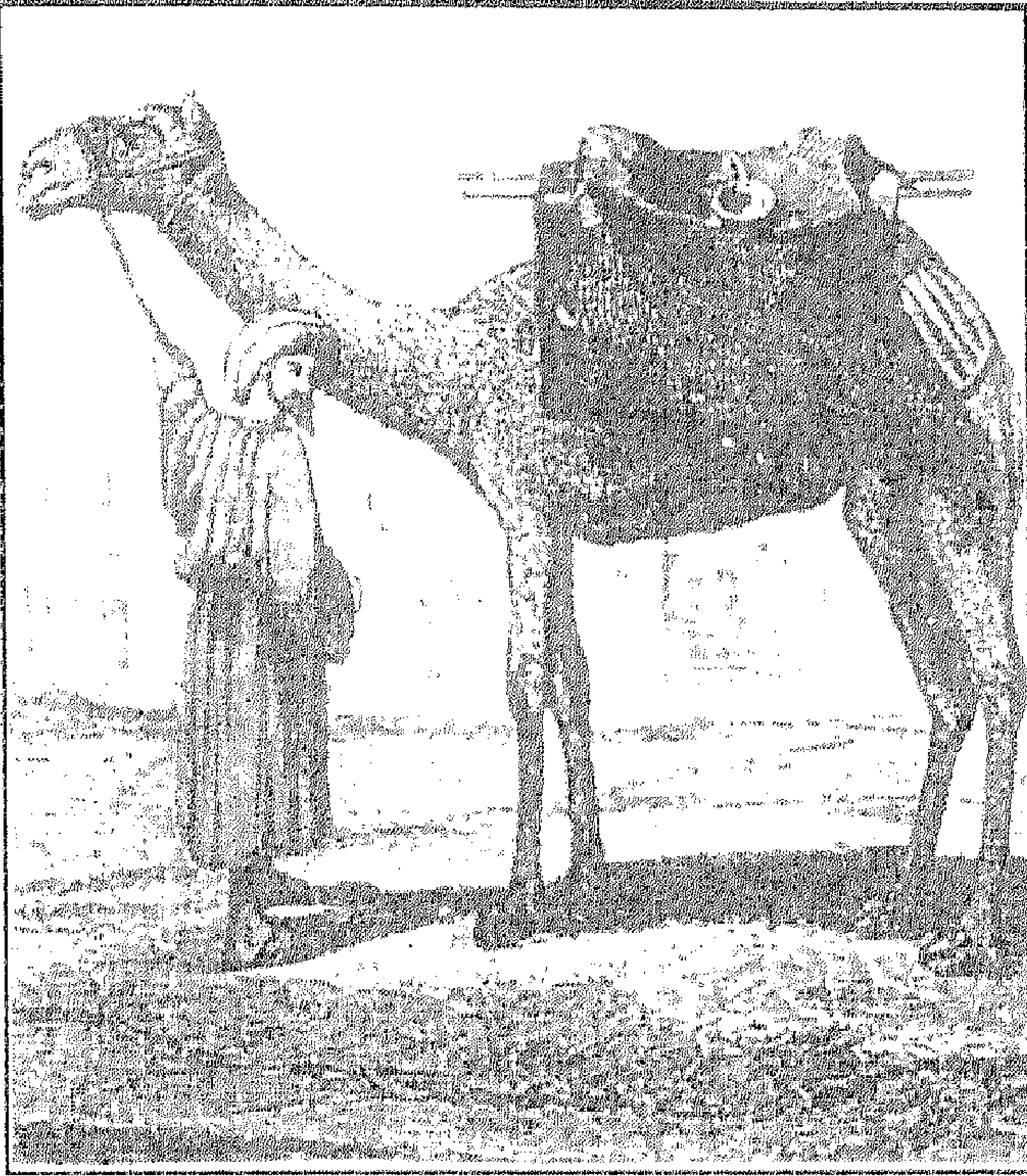
نص شروط الصلح بين الفرنسيين والإنجليز والعثمانيين.

**معاهدة الجلا عن مصر**

**(أبرمها الجنرال بليار قايد الجيش الفرنسى فى القاهرة)**

**٢٧ يونيه سنة ١٨٠١**

«معاهدة الجلا الجيش الفرنسى بقيادة الجنرال بليار عن مصر أبرمت بين كل من البرديجادييه جنرال هوب Hope بالنيابة عن القايد العام للجيش الإنجليزى فى مصر، وعثمان بك بالنيابة عن الصدر الأعظم، وإسحق بك بالنيابة عن قبطان باشا، والجنرال دنزلو Donzelot والجنرال موران Morand والكولونل تارير Ta-rayre بالنيابة عن الجنرال بليار قايد فيلق الجنود الفرنسية ومن يتبعه، اجتمع المندوبون المذكورون أعلاه فى مكان المفاوضات وبعد تبادل الصفات والسلطات المخولة لهم اتفقوا على الشروط الآتية:



المادة ١

إن الجنود الفرنسية من كافة الأسلحة والملحقين بهم بقيادة الجنرال بليار يجلون عن القاهرة والقلعة وحصون بولاق والجيزة وعن كل الجهات التى يحتلونها الآن فى القطر المصرى.

المادة ٢

ينتقل الجنود الفرنسيون والملحقون بهم بأسلحتهم وأمتعتهم ومدافعهم وذخايرهم إلى رشيد بطريق البر الغربى للنيل ومن هناك يبحرون إلى الثغور الفرنسية بالبحر المتوسط ومعهم أسلحتهم ومدافعهم ومنقولاتهم على نفقة الدولة المتحالفة، ويتم إقلاعهم فى أقرب ما يمكن من الوقت بحيث لا يتأخر عن الخمسين يوماً التالية لتاريخ التصديق على هذه المعاهدة ومن المتفق عليه أن ينقل الجنود المذكورون إلى الثغور الفرنسية بأقرب وأسرع طريق.

المادة ٣

تقف الأعمال العدائية من الجانبين بمجرد التوقيع والتصديق على هذه المعاهدة وتسلم قلعة سلكوسكى [جامع الظاهر بيبرس] وباب مدينة الجيزة المسمى باب الأهرام إلى جيش الحلفا ويحدد خط المخافر الأمامية لجيوش الطرفين بمعرفة مندوبين يعينون لهذا الغرض وتعطى الأوامر المشددة للجنود بأن لا يجتازوا هذا الخط منعًا لكل اصطدام بين جنود الطرفين، وإذا وقع أى اصطدام فيحسم بالطرق الودية.

المادة ٤

يخلى الجنود الفرنسيون والملحقون بهم مدن القاهرة والقلعة وبولاق وقلاعها فى اليوم الثانى عشر بعد التصديق على هذه المعاهدة، وينسحبون إلى قصر العينى والروضة والجيزة، ومن هناك يرحلون إلى الثغور المعدة لإقلاعهم ويكون هذا الرحيل فى أقرب وقت ممكن بحيث لا يزيد عن خمسة أيام، ويتكفل قواد الجيوش البريطانية والتركية بنفقات نقل الجنود الفرنسيين بطريق النيل من الجيزة.

المادة ٥

تنظم طريقة رحيل الجنود الفرنسيين باشتراك قواد جيوش الطرفين أو ضباط أركان الحرب الذين ينتدبون لهذا



الغرض من الجانبين، ولكن من المتفق عليه أنه طبقاً لهذه المادة يكون لقواد جيوش الحلفا تحديد عدد الأيام التي يقتضيها احتشاد الجيش الفرنسي ورحيله وبنا على ذلك يصحب الجيش الفرنسي في رحيله مندوبين من الإنجليز والترك يكلفون تقديم المؤن اللازمة له أثنا الرحيل.

المادة٦

تعهد حراسة الأمتعة والأثقال والذخاير وساير المهمات التي ينقلها الجنود الفرنسيون بطريق النيل إلى شراذم من الجيش الفرنسي وإلى السفن المسلحة التابعة لدول الحلفا.

المادة٧

تقدم المؤن الكافية للجنود الفرنسيين والملحقين بهم من يوم رحيلهم من الجيزة إلى حين وصولهم إلى فرنسا وتتبع في هذا الصدد لوائح الجيش الفرنسي في المسافة بين الجيزة والثغر الذى يقلعون منه، واللوايح البحرية البريطانية في طريقهم بحراً لغاية وصولهم إلى فرنسا.

المادة٨

يقدم قواد القوات البرية والبحرية الإنجليزية والتركية مراكب النقل اللازمة لنقل الجنود الفرنسية إلى ثغور فرنسا الواقعة على البحر المتوسط وكذلك لجميع الفرنسيين والأشخاص الآخرين الملحقين بالجيش الفرنسي، ويعهد في هذه المهمة وفي تدبير المؤن الكافية إلى مندوبين يعينهم لهذا الغرض الجنرال بليار وقواد الحلفا البريين والبحرين بعد التصديق على هذه المعاهدة مباشرة، ويتوجه هولا المندوبون إلى رشيد وأبو قير لتدبير الوسايل اللازمة للنقل.

المادة٩

يقدم الحلفا أربع سفن (أو أكثر من هذا العدد عند الإمكان) خاصة لنقل الجياد والمياه والعلف الكافي لمدة السفر.

المادة ١٠

يعود الجنود الفرنسيون والملحقون بهم إلى فرنسا في حراسة سفن الحلفا، وتضمن الدول المتحالفة للذين يركبون السفن منهم ألا يصابوا بأذى ما إلى أن يبلغوا الشواطي الفرنسية ويتعهد الجنرال بليار هو والجنود الذين تحت قيادته بألا يصدر عنهم أثنا رحلتهم أى عمل عدائي ضد السفن أو البلاد التابعة لصاحب الجلالة البريطانية أو الباب العالي وحلفائهما. ولا يجوز للسفن المقلة للجنود أو للرعايا الفرنسيين أن ترسو في أي ثغر آخر غير الثغور الفرنسية ما لم تقض بذلك الضرورة القصوى.

ويتعهد قواد القوات البريطانية والتركية والفرنسية بالعهود المبينة أعلاه مدة إقامة الجيش الفرنسي في مصر من يوم التصديق على المعاهدة إلى حين نزوله إلى السفن ويتكفل الجنرال بليار قايد القوات الفرنسية بالنيابة عن حكومته بأن السفن التي تقل الجنود الفرنسية أو تتولى حراستها في البحر لا تحجز ولا تضبط في موانى فرنسا بعد نزول الجنود منها وأن يكون لقباطينها الحق أن يشتروا على حسابهم حاجتهم من الزاد والمؤونة مما يكفيهم للعودة، ويتكفل الجنرال بليار أيضاً بالنيابة عن حكومته أن لا تضار هذه السفن في عودتها إلى ثغور الحلفا ما دامت لا تحاول القيام بحركات حربية عدائية أو المشاركة فيها بأى وسيلة ما.

المادة ١١

جميع الرجال الإداريين وأعضا لجنة العلوم والفنون وبالجملة كل الأشخاص الملحقين بالجيش الفرنسي يتمتعون بالمزايا المخولة في هذه المعاهدة لأفراد الجيش.

ولرجال الإدارة وأعضا لجنة العلوم والفنون أن يأخذوا معهم الأوراق المتعلقة بوظايفهم وأعمالهم وأوراقهم الخاصة والأشيا الأخرى التى تتعلق بهم.

المادة ١٢

يحق لأى من سكان مصر على اختلاف أجناسهم إذا رغب اللحاق بالجيش الفرنسى فى رحيله أن يرحل معه ولا يجوز بعد رحيله أن تؤذى عائلته أو تصادر أملاكه.

المادة ١٣

لا يضار أحد من سكان مصر من أى دين كان ولا يؤذى فى شخصه ولا فى ماله بسبب علاقته أثناء الاحتلال الفرنسى بالسلطات الفرنسية ما دام يخضع من الآن لقوانين البلاد.

المادة ١٤

المرضى الذين لا يستطيعون السفر يبقون فى مستشفى حيث يتولى علاجهم أطبا من الفرنسيين أو أشخاص من مواطنيهم إلى أن يتم شفاهم وعندئذ يرسلون إلى فرنسا طبقاً للأحكام التى تسرى على الجنود، وعلى قواد الحلفا أن يقدموا لهم حاجاتهم فى ذلك المستشفى وعلى الحكومة الفرنسية أن ترد قيمة هذه الحاجات.

المادة ١٥

عند تسليم المواقع والقلاع المقتضى تسليمها طبقًا لهذه المعاهدة يعين مندوب لتسلم المدافع والذخاير والمخازن والأوراق والمحفوظات والرسوم وغير ذلك من الأشيا والمنقولات التى يجب على الفرنسيين تركها للحلفا.

المادة ١٦

يرسل قايد القوات البحرية للحلفا سفينة تبحر فى أقرب وقت إلى طولون وعليها ضابط ومندوب من الجيش يعهد إليهما إبلاغ الحكومة الفرنسية نص هذه المعاهدة.

المادة ١٧

جميع ما ينشا من الخلاف فى شأن تنفيذ هذه المعاهدة يحسم بالطرق الودية على يد مندوبين يعينون لهذا الغرض من الجانبين

المادة ١٨

بعد التصديق على هذه المعاهدة يصير الإفراج فوراً عن الأسرى الإنجليز والعثمانيين المحبوسين فى القاهرة وعلى قواد الحلفا أن يفرجوا من ناحيتهم عن الأسرى الفرنسيين الذين فى معسكراتهم.

المادة ١٩

يتبادل الحلفا والفرنسيون الرهاين لضمان تنفيذ هذه المعاهدة من الجانبين وتكون الرهاين من ضباط الطرفين متساويين فى الرتبة ويطلق سراح الرهاين بمجرد وصول الجنود الفرنسية إلى موانى فرنسا.

المادة ٢٠

يبلغ أحد الضباط الفرنسيين هذه المعاهدة إلى الجنرال منو بالإسكندرية، ولهذا الأخير أن يقبلها بالنسبة للجنود الفرنسيين ومن يلحق بهم ممن تحت إمرته براً وبحراً فى تلك المدينة وعليه فى حالة القبول أن يبلغ ذلك إلى قايد القوات البريطانية المرابطة أمام الإسكندرية فى مدة اليومين التاليين لتبليغه نص المعاهدة.

المادة ٢١

يصير تبادل التصديق على هذه المعاهدة من قواد الطرفين فى مدة أربع وعشرين ساعة بعد التوقيع عليها.

حرر من هذه المعاهدة أربع نسخ بالمكان الذى حصلت فيه المفاوضات بين مندوبى الطرفين ظهر يوم ٢٧ يونيه سنة ١٨٠١ الموافق ١٦ صفر سنة ١٢١٦ هجرية أى ٨ مسيدور من السنة التاسعة للجمهورية الفرنسية.

إمضاءات: هوب Hope بريجاديه جنرال. عثمان بك وكيل الصدر الأعظم. إسحق بك وكيل حسين قبطان باشا. دنزلوا Donzelot قايد لوا. موران قايد لوا تارير Tarayre كولونل.

نوافق ونصدق على هذه المعاهدة، ٩ مسيدور (٢٨ يونيه سنة ١٨٠١) بليار قايد فرقة نوافق: هل هتشنسون القايد العام (للجيش الإنجليزي). نوافق بالنيابة عن اللورد كيث: ستفنس قبطان بالبحرية الملكية.

صدقنا على مواد هذه المعاهدة الحاج يوسف ضيا. حسين باشا قبطان.

ملحق إضافى وتفسير للمعاهدة

١ ـ أن مدافع الميدان التى يسوغ للجيش الفرنسى تحت إمرة الجنرال بليار أن ينقلها معه فى انسحابه من القاهرة ويأخذها لفرنسا هى: مدفعان من مدافع الميدان عن كل طابور ومدفع عن كل سرية وما يتبعها من العربات والذخيرة.

٢ ـ من المتفق عليه أيضاً أن الجنود الفرنسيين الذين يركبون سفناً حربية من سفن الحلفا يودعون أسلحتهم وذخيرتهم فى الأمكنة المخصصة لها على ظهر تلك السفن تحت رقابة قباطينها ثم تسلم للجنود الفرنسيين عند نزولهم من السفن فى الموانى الفرنسية، أما الجنود الذين يركبون سفناً غير حربية وغير مسلحة فيستبقون

ثم إنه أراد الله تعالى بالصلح ما بين عسكر الفرنساوية وعساكر الإنكليز وعساكر العثمانية ولكن مع هذا الصلح أنفسكم وأديانك ومتاعكم ما أحد يقارشكم وروس عساكر الثلاثة جيوش قد اشترطوا بهذا كما ترونه.

الشرط الثانى عشر: كل واحد من أهالى مصر المحروسة من كل ملة كان الذى يريد أن يسافر مع الفرنساوية يكون مطلق الإرادة وبعد سفره كامل ما يبقى عياله ومصالحه ما أحد يعارضهم.

الشرط الثالث عشر: لا أحد من أهالى مصر المحروسة من كل ملة كان يكون قلقا من قبل نفسه ولا من قبل متاعه جميع الذين كانوا بخدمة الجمهور الفرنساوى بمدة إقامة الجمهور بمصر ولكن الواجب أن يطيعوا الشريعة. ثم يا أهالى مصر وأقاليمها جميع الملل أنتم ناظرون لحد آخر درجة الجمهور الفرنساوى ناظرا لكم ولراحتكم، فيلزم أنتم أيضا تسلكون فى الطريق المستقيمة، وتفتكرون أن الله جل جلاله هو الذى يفعل كل شى، وعليه إمضا بليار قايمقام.

وفى يوم الجمعة عملوا الديوان وحضر المشايخ والوكيل، فقال الوكيل هل بلغكم بقية الشروط الثلاثة عشر فقالوا لا، فأبرز ورقة من كمه بالقلم الفرنساوى فشرع يقرؤها والترجمان يفسرها وهى تتضمن الأحد عشر شرطا الباقية فقال .

إن الجيش الفرنساوى يلزم أن يخلوا القلاع ومصر ويتوجهون على البر بمتاعهم إلى رشيد، وينزلون فى مراكب ويتوجهون إلى بلادهم، وهذا الرحيل ينبغى أن يسرع به ، وأقل ما يكون فى خمسين يوما وأن يساق

أسلحتهم وذخيرتهم مدة رحلتهم ويكونون تحت رقابة ضباطهم.

٣ ـ تنتقل زوجة الجنرال منو وابنه وباوره من القاهرة إلى الإسكندرية بطريق النيل على سفينة يعدها الحلفا لهذه الغاية وترسل معهم منقولات الجنرال منو.

٤ ـ بما أنه يوجد بالقاهرة الآن بعض زوجات الضباط والجنود وباقى الفرنسيين المرابطين فى الإسكندرية فلهن كامل الحرية فى الانتقال إلى تلك المدينة، وتعد لهن وسايل الانتقال اللازمة لهذا الغرض وفى حالة عدم قبولهن فى الإسكندرية ينتقلن إلى فرنسا عند إقلاع الجيش الفرنسى الذى تحت قيادة الجنرال بليار أو فى أى وقت ممكن، ويخولن جميع المزايا المنصوص عنها فى هذه المعاهدة.

٥ ـ الفرنسيات من نساء ضباط الجيش الفرنسى وجنود أو نساء الموظفين الفرنسيين الملحقين بهذا الجيش ينتقلن مع أزواجهن إلى فرنسا ويعطين المؤونة الكافية ويخولن المزايا المبينة فى هذه المعاهدة وتتبع فى ذلك اللوايح البحريةالبريطانية.

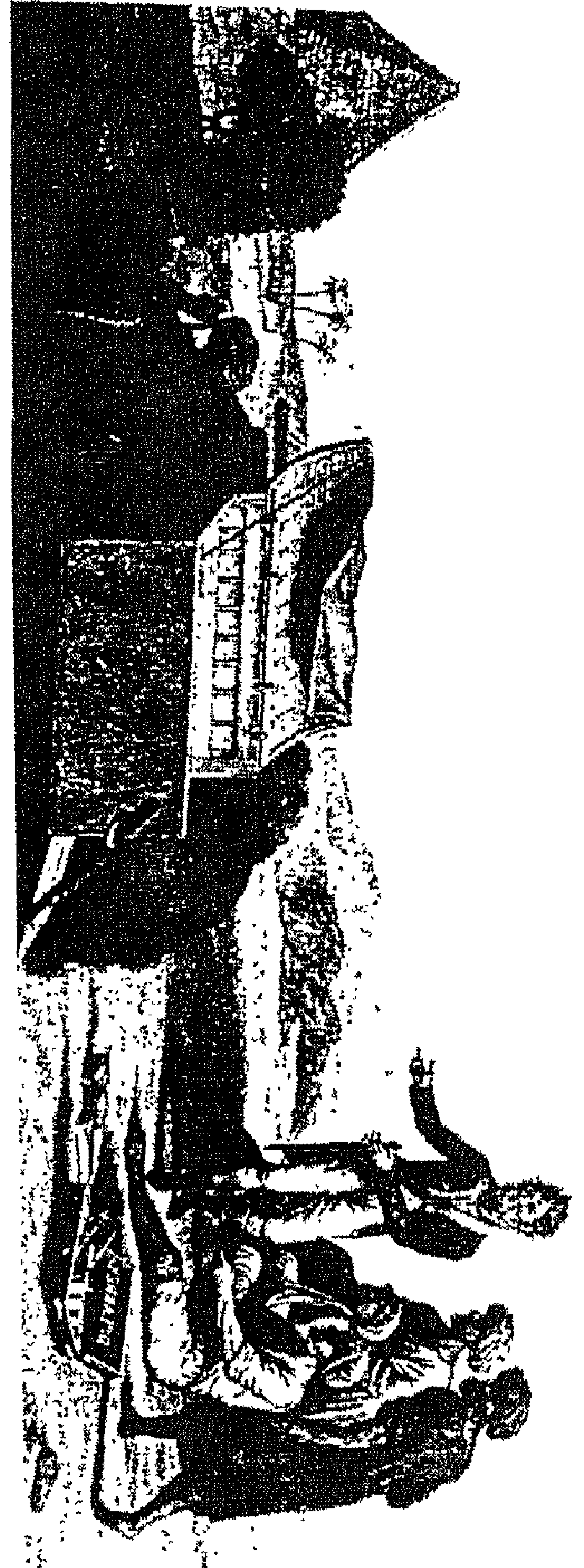
الجيش من طريق مختص وسر عسكر الإنكليز والمساعد يلزم أن يقوم لهم بجميع ما يحتاجونه من نفقة ومونة وجمال ومراكب.

والمحل الذى يبدأ منه السعي يكون بالتراضي بين الجمهور والإنكليز والمساعد وكامل الأمتعة والأثقال تتوجه من البحر ومعهم جيش من الفرنساوى لأجل الحراسة ولابد من كون المونة التى تترتب لهم. كالمونة التى كان يعطونها هم لجيش الإنجليز وريساهم وعلى ريسا عساكر الإنكليز وحضرة العثملى القيام بنفقة الجميع، والحكام المتقيدون بذلك يحضرون لهم المراكب ليسفروهم إلى فرنسا من جهة البحرالمحيط [البحر المتوسط] وأن يقدم كل من حضرة العثملى والإنكليز أربع مراكب للعليق والعلف للخيل التى يأخذونها فى المراكب وأن يسيروا معهم مراكب للمحافظة عليهم إلى أن يصلوا إلى فرنسا.

وأن الفرنساوية لا يدخلون مينة إلا مينة فرنسا والأمنا والوكلا يقدمون لهم ما يحتاجون إليه. نظرا لكفاية عساكرهم والمدبرون والأمنا والوكلا والمهندسون الفرنساوية يستصحبون معهم ما يحتاجون من أوراقهم وكتبهم، ولو التى شروها من مصر.

وكل من أهل الإقليم المصرى إذا أراد التوجه معهم فهو مطلق السراح مع الأمن على متاعه وعياله، وكذلك من داخل الفرنساوية من أى ملة كانت فلا معارضة له إلا أن يجرى على أحواله السابقة.

وجرحى الفرنساوية يتخلفون بمصر ويعالجهم الحكما وينفق عليهم حضرة العثملى، وإذا عوفوا توجهوا إلى فرنسا



* محفة لنقل الجرحى الفرنساوية.
الجبرتى/ سنة ١٢١٦م

بالشروط المتقدم ذكرها وحكام العثملي يتعهدون من بمصر منهم.

ولابد من حاكمين من طرف الجيشين يتوجهان بمركبين إلى طولون فيرسلون خبراً إلى فرنسا ليطلعوا حكامها على الصلح وساير الرسوم، وكل جدال وخصام صدر بين شخصين من الفرنساوية [والحلفاء] فلابد أن يقام شخصان حاكمان من الطايفتين ليتكلما في الصلح، ولا يقع في ذلك نقض عهد الصلح.

وعلى كل طايفة معين من العثملي والفرنساوى أن تسلم ما عندها من الأسرى، ولابد من رهاين من كل طايفة واحد كبير يكون عند الطايفة لأخرى حتى يتوصلوا إلى فرنسا.

ثم قال الوكيل وقد علمنا الشروط، وما ندرى ماذا يكون فقيل له هذه شروط عليها علامة القبول، وهذا الصلح رحمة للجميع وسيكون الصلح العام، فقال الوكيل إنى أرجو أن يكون هذا الصلح الخصوصى مبدأ للصلح العمومي.

وفيه كثر خروج الناس ودخولهم من الأتباع والباعة والمتنكرين من نقب البرقية المعروف بالغريب، فصار الحرسجية من الفرنساوية يأخذون من الداخل والخارج دراهم ولا يمنعوهم فلما علم الناس بذلك كثر ازدحامهم فلما أصبحوا منعوهم فدخلوا وخرجوا من باب القرافة لم يمنعهم الواقفون به من الفرنسيس بل كانوا يفتشون البعض ويمنعون البعض وكل ذلك حذرا من أفعال الطموش وسو أخلاقهم وتولد الشر بسببهم.

وقد دخل بعض أكابر الإنكليز وصحبتهم فرنساوية يفرجونهم على البلدة والأسواق، وكذلك دخل بعض أكابر العثمانية فزاروا قبر الإمام الشافعى والمشهد الحسينى والشيخ عبد الوهاب الشعراوى والفرنساوية ينتظرونهم بالباب.

* العثمانية تزور قبر الإمام الشافعى.

وفى ليلة الاثنين رابع عشرينه نادوا فى الأسواق برمى مدافع فى صبحه، وذلك لنقل رمة *كليبر فلا يرتاع الناس من ذلك، فلما كان فى صبح ذلك اليوم أطلقوا مدافع كثيرة ساعة نبش القبر بالقرب من قصر العينى، وأخرجوا الصندوق الرصاص الموضوع فيه رمته ليأخذوه معهم إلى بلادهم.

* نقل جثة (رمة) كليبر من مقبرتها لأخذها الفرنسا.

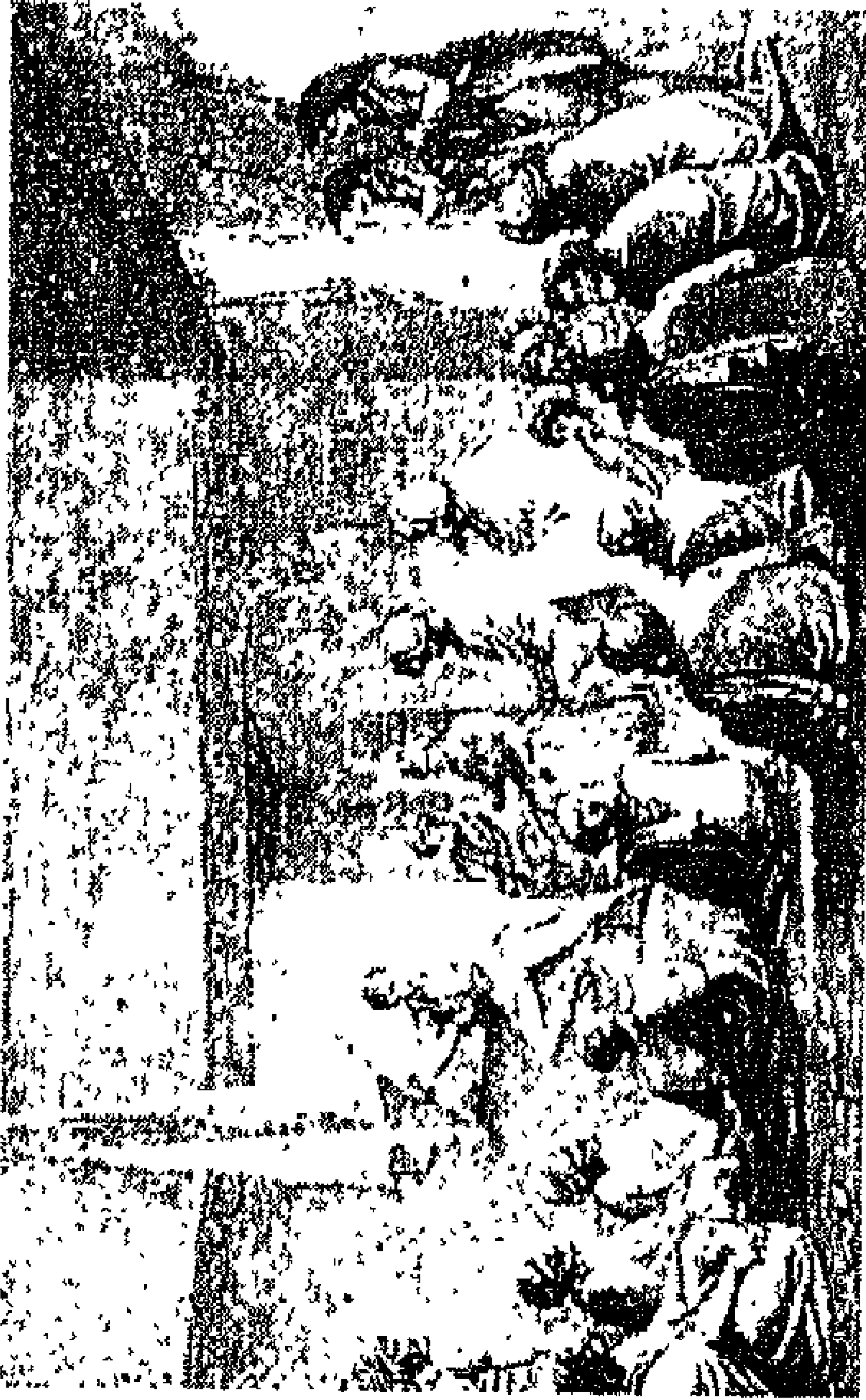
وفيه أرسلوا أوراقا ورسلا للاجتماع بالديوان وهو آخر الدواوين فاجتمع المشايخ والتجار وبعض الوجاقلية وأستوف الخازندار والوكيل والترجمان، فلما استقر بهم الجلوس أخرج الوكيل كتابا مختوما وأخبر أن ذلك الكتاب من سارى عسكر منو بعث به إلى مشايخ الديوان ثم ناوله لريس الديوان ففضه وناوله للترجمان فقراه والحاضرون يسمعون.

وصورته : بعد البسملة والجلالة والصدر نخبركم أنا علمنا بكثرة الانبساط أنكم تهتدون بكثرة الحكمة والإنصاف فى الموقع الذى أنتم مستمرون فيه وإن لم تقدروا لتنظيم أهالى البلد بالهدى والطاعة الموجبة منه لحكومة الفرنساوى فالله تعالى بسعادة رسوله الكريم عليه السلام الدايم ينعم عليكم فى الدارين عواض خيراتكم، وأخبرنا المقدام الجسور بونابارته المشهور عن كل ما فعلتم حاكما ونافعا بوصايا لأجلكم سارة، رضى واستراح لتلك الفعال الجيدة، وعرفنى أيضًا أنه عن قريب يرسل لكم بذاته جواب جميع

* آخر بيان لديوان القاهرة قبل مغادرة الحملة الفرنسية.

مكاتيبكم إليه فدمتم إلى الآن بخير الهدى وبقوته تعالى نرى فضايلكم عن قريب ونواجه سكان محروسة مصر كما هو مأمولنا.

لكن يسركم أن جمهور المنصور غلب فى أقاليم الروم جميع أعداه وبعون الله هادى كل شى سيغلب، كذلك العدا فى مصر واعتمدوا بأكثر الاعتماد على الستويان [المواطن] جيرار هذا الذى وضعناه قربكم لأنه هو رجل مشهور بالعدل والاستقامة.



* اجتماع الديوان

ونوجه إلى هممكم النصيحة إلى زوجتنا الكريمة السيدة زبيدة وولدنا العزيز سليمان مراد أن كليهما حالا كاينان فى حصننا فى مصر، وتأسفناجدا برحلة المرحوم مراد بك فى انتقاله إلى البقاء، ومعلوم فضايلكم أننا أرضينا بإنعام علوفة توجه على عمدة العفايف حضرة الست نفيسة خاتون لما جرت الحكومة الفرنساوية إلى أصدقاها،

وقولوا للقوم إن مامنيتى ومرامى وإبرامى ألا تقيدى بيمنه وخيره،واعتمدوا أيضاً إلى كل ما سيقول لكم الستويان استيو المأمور بتدبير الأمور وكمال العوائد، والله تعالى ينعم عليكم وعلى عيالكم فى الأيام بالبشرى والإقبال.

وحرر فى أحد عشر مسيدور سنة تسعة من قيام دولة جمهور الفرنساوية الموافق لثامن عشر صفر، وتحته الواحدة غير المنقسمة ممضى عبد الله جاك منو بخطه وختمه.

نقل بألفاظه وحروفه وهو من تراكيب لوماكا الترجمان وكأنه كتب قبل وصول خبر الصلح إلى الإسكندرية.

ثم أخذ الوكيل يقول إن الجنرال منو انسر بسلوككم حتى الآن وراحة البلد حظ الفقراء، وأن الحكام القادمين لابد وأن يسلكوا معكم هذا الموضوع، ولابد من وصول مكاتيب بونابرته بعد أربعة أيام أو خمسة، وأنه لا ينسى أحبابه كما لا ينسى أعداءه، ولو لم يكن له من الحسن إلا جعلكم وسايط لإغاثة الناس لكان كافيا، وأنكم تعلمون أنه كان نظر إلى أحوال المارستان ومصالح المرضى، وكان قصده أن يبني جامعا ولكن عاقه توجهه إلى الشام، وذكر كثيراً من أمثال هذه الخرافات والتمويهات

ثم أخرج ورقة بالفرنساوى وقراها بنفسه حتى فرغ منها ثم قرا ترجمتها بالعربى الترجمان رفاييل ومضمونها حصول الصلح وتمويهات وهلسيات ليس فى ذكرها فايدة.

ولما انتهى من قراها أبرز أيضًا أستوف الخازندار ورقة وقراها بالفرنساوى ثم قرا ترجمتها بالعربى الترجمان وهى فى معنى الأولى.

* خطاب محبة من حضرة استوف إلى الديوان العالى.

وصورتها: *خطاب محبة من حضرة أستوف مدبر الحدود العام فى مجلس الديوان العالى فى سبعة عشر مسيدور سنة تسع من المشيخة الفرنساوية.

يا مشايخ وياعلما وغيرهم أعلمكم أنه ما على أنى أكلمكم فى أسباب خروجنا من الديار المصرية بل وظيفتى تدبير أمور السياسة فقط ومجى عندكم لأجل أن أعرفكم قدر ما هو حاصل من الصعوبة، كل واحد منكم رأى المحبة والأخوة التى كانت موجودة ما بين الفرنساوية وما بين أهل الديار المصرية، قد كان الجيش والأهل المذكورون مثل الرعية الواحدة.

واسم حضرة بونابارته القنصل الأول من جمهور الفرنساوية في عز الكفالة عندكم وعندنا.

كم مرة يا مشايخ ويا علما فقد تمت صحبتنا لأجل سيرة هذا الشجاع الأعظم المعان بقوة الله الذى عقله ماله مثيل، كان يستحق أن يكون حاكما عليكم، دايما عرفتمونى عن المحبة والشفقة الذى مضت منه لكم، ومن وقت ما التزم بسبب التعب الذى حصل له فى بلده أن يتوجه إليه ما ضاع منكم العشم أن يترتب فى الديار المصرية التدبير العدل والمنافقة الذى كان وعدكم به وقت ما كان عندكم وصحيح يا مشايخ وعلما أن حكم الفرنساوى كان يتم ما عاهدكم به الذى هو كبيرهم بونابارته دايما رأى لكم فى الخير والمحبة إلى رعاية الديار المصرية لما لها نظير.



* نابليون . القنصل الاول.

كم مرة كرر إلى حضرة سر عسكر منو أنه ينظر إليكم فى كامل الأمور بالخير وكام نوبة حضرة منو المذكور أثبت أن الحكام والجيوش لما أمنوه أعطوه الأمان فى أحسن محل وفى حكم سر عسكر منو صار أن كثرة الظلم والجور الذى كان مستقلينه الرعية قد أبطله، والعدل الذى كان ممنوعا عنكم فى الأحكام السابقة قد وصل إليكم بواسطته.

وأيضًا فى مدة حكمه رأيتم أن نقضى تحصيل الأموال بالشفقة إلى الرعايا، ولما كان التزم بسبب الحرب أنه يرتب تدبير فى تحصيل الأموال وهذا التدبير يكون فى حد العدل والخير لأهل الديار المصرية ونحن كنا صحبته فى تدبير هذا الشغل العمومى، وأنتم تعرفون أن خير أو خراب الرعايا من تدبير مثل هذا.

وكذلك حضرة سر عسكر منو قبل ما يتوجه إلى السفر بمدة كان أمر بمسح الديار المصرية، وكان وكّل لذلك مدبرين ونحن من جملتهم، والمدبرون المذكورون كانوا بدأوا فى إتمام هذا الأمر الذين هو كنز لكامل الناس، لكن كل ذلك ما كان يكفى له وكان صعبان عليه من أمور الفلت الذى يقع من العربان الذين حواليكم، وأيضا من الخوف الذى عندكم بسببهم، وكان فى عقله أن يزيلهم من على وجه الأرض لأجل راحة الفلاحين ولأجل إتمام الخير والصلاح.

وكذلك مراده يامشايخ وياعلما أن يسفر فى هذه السنة الحج الشريف ويفتح زيارة طنطا لأجل حفظ مقام السيد أحمد البدوى، ويظهر جميع ما تشهرونه وكامل ما تمشون فيه، من اللازم أنكم تعرفون جميع ما صدر لكم من الخيرات بواسطة حكم الفرنساوية، هذا ورعاية الديار المصرية جربه بعض منهم، وفى عشمى أنهم لم ينسوه أبداً.

صحيح أن حكم الفرنساوى حقق الكل، والذى يعجب الأكثر إلى الرعايا بسبب ذلك ذات الفرنساوية قتلوا فيه لأجل منع الظلم والتعب الذى كانوا فيه والقرانات فى بلاد الغرب خافوا أن رعاياهم يقبلون الحكم المذكور، وبسبب ذلك ارتبطوا مع بعضهم لأجل ما يمنعوه منا لكن كل جهاتهم صارت بطالة وقد حاربونا حربا شديدا مدة عشر سنين متوالية، وفى جميع المطارح وقعت لهم الهزيمة، وحكمنا قد بقى محله وكذلك هو الباقى دايما أبداً فلا يحتاج أننا نعرفكم فى الذى تعرفونه ويكفينا الآن أننا نحقق لكم من عند حضرة القنصل الأول فى الجمهور الفرنساوى بونابارته ومن عند حضرة سر عسكر منو المحبة والشفقة





* اعلى بوديه
أسفل استوف.

الصادقة التى واقعة من الفرنساوية إلى الرعايا المصرية وهذه المحبة والعشم لم ينقطعا أبدا بسبب سفر جانب من الجيش.

وهلبت أن يصادف يوم أننا نرجع إلى عندكم لأجل تمام الخير الذى يصدر من حكم الفرنساوى، والذى ما أمكننا تتميمه فلا تتوهموا يامشايخ وياعلما أن فراقنا لم يقع إلا عن مدة وذلك محقق عندى ولابد أن دولتنا يربطون ثانيا فى مدة قريبة المحبة القديمة التى كانت بينهم وبينكم.

وهلبت أن دولة العثمانية لما تسير على الجرف الخالى الذى عمل لهم الإنكليز يرون أن الفرنساوية فى طلب الديار المصرية ليس لهم إلا ربط زيادة محبة صحبتهم لأجل كسر نفس وطيش الإنكليز الذين مرادهم نهب جميع البحور ومتاجر الدنيا انتهى.

وهو من تعريف أبى ديه وإنشا أستوف بالفرنساوى.

ولما فرغوا من قراته قيل له: إن الأمر لله والملك له وهو الذى يمكن منه من شاء.

وانفض الديوان وركب المشايخ وخرجوا للسلام على الوزير يوسف باشا الذى يقال له الصدر الأعظم والسلام على القادمين معه أيضًا من أعيان دولتهم والأمرا المصرية وكانوا عزموا على الذهاب فى الصباح فعوقوا لبعد الديوان.

وأما الشيخ السادات فإنه خرج للسلام من أول النهار وكتب لهم قايمقام أوراقا للحرسجية لأنهم مستمرون على منع الناس من الدخول والخروج وأبواب البلد مغلقة وكان خروجهم من طريق بولاق، فلما وصلوا إلى العرضى سلموا

علي إبراهيم بك وتوجه معهم إلى الوزير فلما وصلوا إلى الصيوان أمروهم برفع الطيلسان التي على أكتافهم وتقدموا للسلام عليه، فلم يقم لقدومهم فجلسوا ساعة لطيفة وخرجوا من عنده وسلموا أيضاً على محمد باشا المعروف بأبي مرق وعلى المحروقي والسيد عمر مكرم وباتوا تلك الليلة بالعرضي، ثم عادوا إلى بيوتهم.

وفي ثاني يوم عدوا إلى البر الغربي وسلموا على قبطان باشا ورجعوا إلى منازلهم.

وفيه أرسل إبراهيم بك أمانا *لأكابر القبط فخرجوا أيضاً وسلموا ورجعوا إلى دورهم، وأما يعقوب فإنه خرج بمتاعه وعازقه وعدى إلى الروضة، وكذلك جمع إليه عسكر القبط* وهرب الكثير منهم واختفى، واجتمعت نساهم وأهلهم وذهبوا إلى قايمقام وبكوا وولولوا، وترجوه في إبقاهم عند عيالهم وأولادهم فإنهم فقرا وأصحاب صنايع ما بين نجار وبنا وصايغ وغير ذلك، فوعدهم أنه يرسل إلى يعقوب أنه لا يقهر منهم من لايريد الذهاب والسفر معه.

* إبراهيم بك يرسل أمانًا لأكابر القبط.

* الأقباط يرفضون ترك مصر والذهاب مع الحملة إلى فرنسا.

وفيه ذهب بليار قايمقام وصحبته ثلاثة أنفار من عظما الفرنسيس إلى العرضي وقابلوا الوزير فخلع عليهم وكساهم فراوي سمور ورجعوا.

وفي يوم الأربعا تاسع عشرة خرج المسافرون مع الفرنساوية إلى الروضة والجيزة بمتاعهم وحريمهم وهم جماعة كثيرة من القبط وتجار الإفرنج والمترجمين وبعض المسلمين ممن تداخل معهم وخاف على نفسه بالتخلف وكثير من نصارى الشوام والأروام مثل «يني» و«برطلمين» و«يوسف

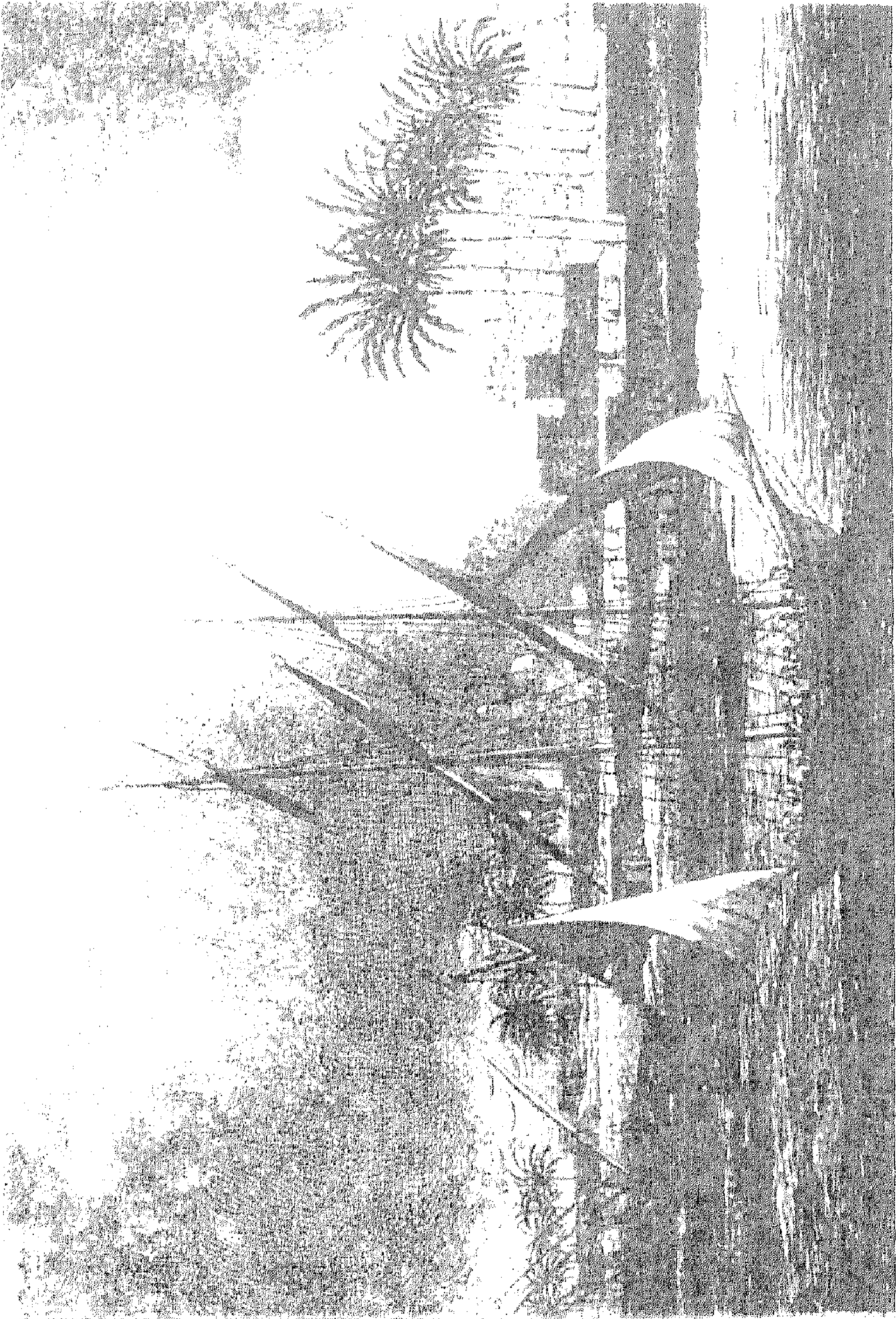
الحموى» ، و«عبد العال» الأغا أيضًا طلق زوجته وباع متاعه وفراشه وما ثقل عليه حمله من طقم وسلاح وغيره، فكان إذا باع شيا يرسل خلف المشترى ويلزمه بإحضار ثمنه فى الحال قهرًا، ولم يصحب معه إلا ما خف حمله وغلا ثمنه.

وفيه حضر وكيل الديوان إلى الديوان وأحضر جماعة من التجار وباع لهم فراش المجلس بثمن قدره ستة وثلاثون ألف فضة على ذمة السيد الزرو.

وفى ذلك اليوم أيضًا فتحوا باب الجامع الأزهر وشرعوا فى كنسه وتنظيفه، وفى ذلك اليوم وما بعده دخل بعض الإنجليز* ومروا بأسواق المدينة يتفرجون وصحبتهم اثنان أو واحد من الفرنسيس يعرفونهم الطرق وأشيع فى ذلك اليوم ارتحال الفرنساوية ونزولهم من القلاع وتسليمهم الحصون من الغد وقت الزوال، فلما أصبح يوم الخميس ومضى وقت الزوال لم يحصل ذلك فاختلفت الروايات، فمن الناس من يقول ينزلون يوم الجمعة، ومنهم من يقول إنهم أخذوا مهلة ليوم الاثنين، وبات الناس يسمعون لغط العساكر العثمانية وكلامهم ووطء نعالاتهم فنظروا فإذا الفرنساوية خرجوا* بأجمعهم ليلاوأخلوا القلعة الكبيرة وباقى القلاع والحصون والمتاريس وذهبوا إلى الجيزة والروضة وقصر العينى ولم يبق منهم شبح يلوح بالمدينة وبولاق ومصر العتيقة والأزبكية، ففرح الناس كعادتهم بالقادمين وظنوا فيهم الخير وصاروا يتلقونهم ويسلمون عليهم ويباركون لقدومهم، والنسا

* بعض الإنجليز يدخلون القاهرة للسياحة.

* الفرنساوية يخلون القلعة ويذهبون إلى الجيزة.



* القوات الفرنسية تنتقل إلى الروضه والجيزة.

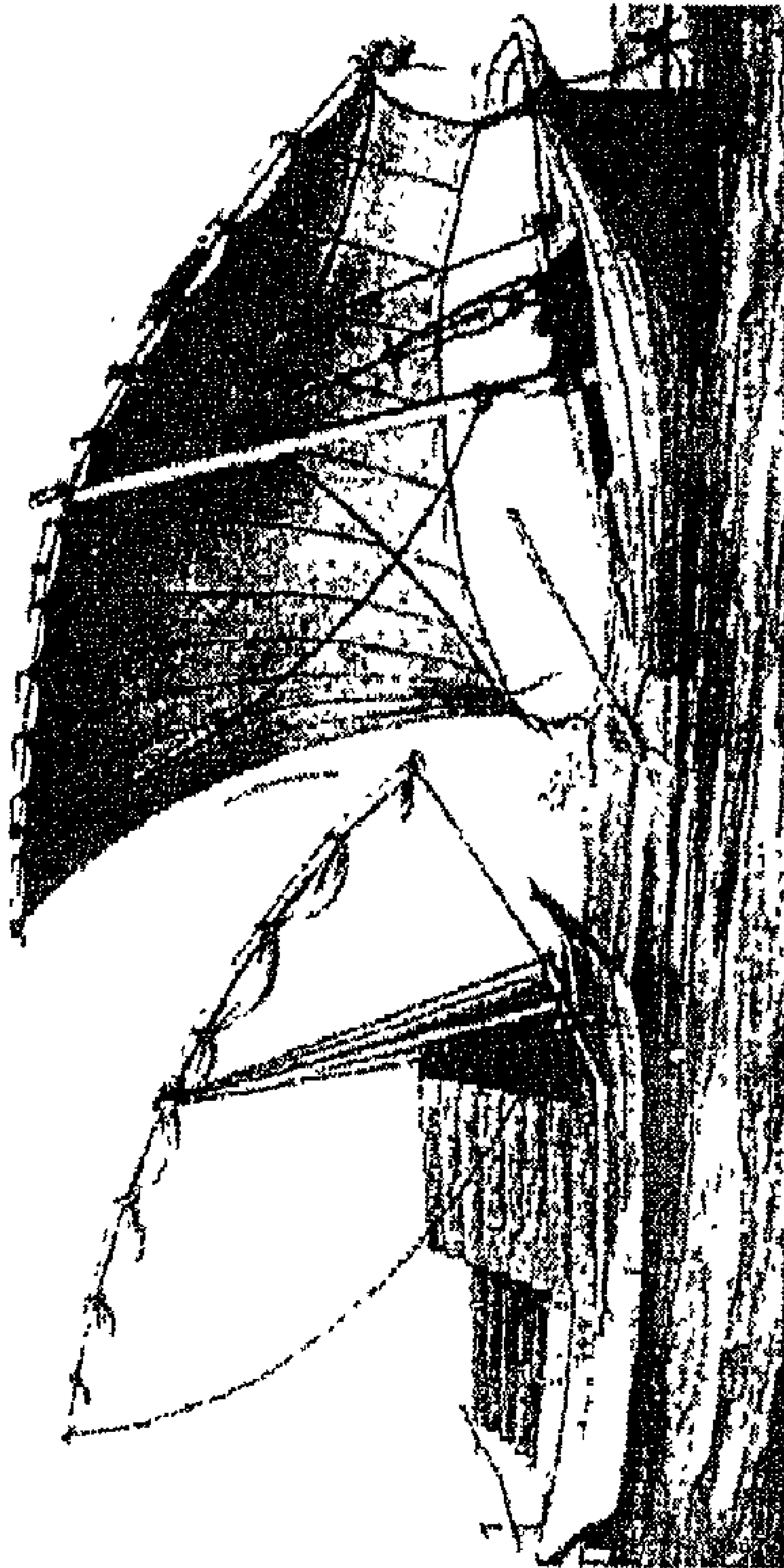
يلقلقن [يزغردن] بألسنتهن من الطيقان وفى الأسواق، وقام للناس جلبة وصياح وتجمع الصغار والأطفال كعادتهم ورفعوا أصواتهم بقولهم نصر الله السلطان ونحو ذلك.

* تسرب الجند العثمانى إلى القاهرة.

وهولا الداخلون دخلوا * من نقب الغريب المنقوب فى السور وتسلقوا أيضاً من ناحية العطوف والقرافة وأما باب النصر والعدوى فهما على حالهما مغلوقان لم يأذنوا بفتحهما خوفا من تزاحم العسكر ودخولهم المدينة دفعة واحدة فيقع فيهم الفشل والضرر بالناس، وباب الفتوح مسدود بالبنا.

فلما تضحى النهار حضر قبى قول [كتخدا الينكجريه] وفتح باب النصر والعدوى وأجلس بهما جماعة من الينكجرية ودخل الكثير من العساكر مشاة وركبانا أجناسا مختلفة.

* مراكب تجارية فى النيل.



ودخلت بلوكات الينكجرية وطافوا بالأسواق ووضعوا نشاناتهم ورنكهم [شارات الفرق العسكرية] على القهاوى والحوانيت والحمامات فامتعض أهل الأسواق من ذلك.

وكثر الخبز واللحم والسمن والشيرج بالأسواق وتواجدت البضايع وانحلت الأسعار وكثرت الفاكهة مثل العنب والخوخ والبطيخ وتعاطى بيع غالبها الأتراك والأرنؤد فكانوا يتلقون من يجلبها من الفلاحين بالبحر والبر ويشترونها منهم بالأسعار الرخيصة ويبيعوها على أهل المدينة وبولاق بأغلى الأثمان.

ووصلت مراكب من جهة بحرى وفيها البضايع الرومية واليميش من البندق واللوز والجوز والزبيب والتين والزيتون الرومى.

فلما كان قبل صلاة الجمعة وإذا بجاويشية وعساكر وأغوات وتلا ذلك حضرة يوسف باشا الصدر فشق من وسط المدينة وتوجه إلى المسجد الحسينى فصلى فيه الجمعة وزار المشهد الحسينى، ودعاه حضرة الشيخ السادات إلى داره المجاورة للمشهد فأجابه فدخل معه وجلس هنيهة ثم ذهب إلى الجامع الأزهر فتفرج عليه وطاف بمقصورته وأروقته وجلس ساعة لطيفة وأنعم على الكناسين والخدمة بدراهم وكذلك خدمة المسجد الحسينى، ثم ركب راجعا إلى وطاقه بناحية الحلى بشاطى النيل.

وعملوا فى ذلك الوقت شنكا وضربوا مدافع كثيرة من العرضى والقلعةودخل قلقات الينكجرية وجلسوا بروس العطف [جمع عطفة] والحارات وكل طايفة عندها بيرق ونادوا بالأمان والبيع والشرا وطلب أوليك القلقات من أهل الأخطاط المآكل والمشارب والقهوات وألزموهم بذلك.

وانحاز الفرنساوية إلى جهة قصر العينى والروضة والجيزة إلى حد قلعة الناصرية* وفم الخليج وعليها بنديراتهم ووقف حرسهم عند حدهم يمنعون من يأوى إلى جهتهم من العثمانية فلا يمر العثمانى إلا إلى الجهة الموصلة إلى بولاق، وأما إذا كان من أهل البلد فيمر حيث أراد.

* قلعة الناصرية : كانت على الخليج تجاه القصر العينى شرقاً.

وفى مدة إقامة المشار إليه بساحل الحلى ببولاق خرب عساكره ما قرب منهم من الأبنية والسواقى والمتريز الذى صنعه الفرنساوية من حد باب الحديد إلى البحر وأخذوا ما بذلك من الأفلاق الكثيرة المتهدمة والأخشاب المنجرة المرصوصة فوق المتريز وتحته، وفى الخندق، فخربوا ذلك جميعه فى هذه المدة القليلة وذلك لأجل وجود النار والمطابخ.

وفي يوم السبت دخل قبى قول وهو المسمى عند المصريين كتخدا الينكجرية وشق المدينة وأمر بمحو نشانات الإنكشارية من الحوانيت ولم يترك إلا القهاوى.

## واستهل شهر ربيع الأول بيوم الأحد سنة ١٢١٦

فيه ركب أغات الينكجرية الكبيرالعثملي وشق المدينة وخلفه سليم أغا المصرى، ودخل الكثير من العساكر والأجناد المصرية بمتاعهم وعازقهم وأحمالهم وطلبوا البيوت وسكنوها، ودخل محمد باشا المعروف بأبي مرق الغزى وهو المرشح لولاية مصر وسكن ببيت الهياتم بالقرب من مشهد الأستاذ الحنفي*، وأرسل إلى المشايخ وكبار الحارات وطلب منهم التعريف عن البيوت الخالية بالأخطاط.

* الحنفي: يذكره على مبارك في خططه بأسم جامع الأستاذ الحنفي. أنشاه الأستاذ شمس الدين أبو محمود محمد الحنفي سنة ٨١٧هـ = ١٤١٤م كما ذكر المقريزى. وفي سنة ١٢٣٧هـ = ١٨١٢م جدده الأمير سليمان أفندى تابع العزيز محمد على باشا.

وفي يوم الثلاثا ثالثه حضر حسين باشا القبطان من الجيزة ودخل المدينة وتوجه إلى المشهد الحسيني فزاره وذبح به خمس جواميس وسبعة كباش واقتسمتها خدمة الضريح وحلق تاج المقام بأربعة شيلان كشميرى، وأخذ قياس المقام ليصنع له سترا جديدا، وفرق عليهم وعلى الفقرا نحو ألفي محبوب ذهب إسلامبولي، وامتدحه صاحبنا العلامة أحد أدبا مصر وفضلا لها في العلوم الأدبية الشيخ على الشرنفاشي بقصيدة مطلعها:

بدر المسرة بالمعالي أمنا
والوقت من بعد المخاوف أمنا

وهى طويلة يقول في بيت التاريخ منها:



*بائع العرقسوس.

ولمصرنا نادى السرور مورخا
صدر الكمال حسينه شرف الهنا

وقدمها إليه وهو جالس للزيارة فأعطاه جايزة سنية،ثم ركب وعاد إلى مخيمه بالجيزة.

وفى ذلك اليوم وقعت حادثة*: وهو أن شخصا من العسكر بالجمالية شرب من العرقسوسى شربة عرقسوس ولم يدفع له ثمنها فكلم العرقسوسى القلق الإنكشارى فأحضره وأمره بدفع ثمنها ونهره وأراد ضربه، فاستل ذلك العسكرى الطبنجة وضرب ذلك الحاكم فقتله وهرب إلى حارة الجوانية ودخل إلى داره وامتنع فيها وصار يضرب بالرصاص على كل من قصده فقتل خمسة أنفار، ومر شخصان من الأرنؤد بتلك الخطة فقتلهما الإنكشارية لكون الغريم أرنؤديا من جنسهما فلما أعياهم أمره حرقوا عليه الدار فخرج

* قتل تسعة أشخاص فى شربة عرقسوس وكان ذلك من بدايات تعديات الجند العثمانى على الأهالى.

هاربا من النار فقبضوا عليه وقتلوه، ومات تسعة أشخاص في شربة عرقسوس.

ووقع في ذلك اليوم أيضا أن شخصين من القليونجية دخلا إلى دار رجل نصراني فأخذا من بيته بقجتين من الثياب وخرجا فوجدا شخصين مارين من الفلاحين فسخراهما في حمل البقجتين فخرج النصراني وشكا إلى القلق فأمر بالقبض على الشخصين العسكريين فتخلصا وهربا بعد أن انجرح أحدهما وأخذوا الشخصين المسخرين فقطعوا روسهما ظلما وعدوانا وذلك من مبادى قبايحهم.



* اثنان من الفلاحين.

وفي يوم الأربعا رابعه ارتحل الفرنساوية وأخلوا قصر العيني والروضة والجيزة وانحدروا إلى بحرى الوراريق وارتحل معهم قبطان باشا ومعظم الإنكليز ونحو الخمسة آلاف من عسكر الأرنؤد ومن الأمرا المصرية عثمان بك الأشقر ومراد بك الصغير وأحمد بك الكلارجي وأحمد بك حسن فكانت مدة الفرنساوية* وتحكمهم بالديار المصرية ثلاث سنوات وإحدى وعشرين يوما فإنهم ملكوا برانبابة والجيزة وكسروا الأمرا المصرية يوم السبت تاسع عشر صفر سنة ثلاث عشرة ومايتين وألف، وان انتقالهم ونزولهم من القلاع وخلو المدينة منهم وانخلاعهم عن التصرف والتحكم ليلة الجمعة الحادى والعشرين من شهر صفر سنة ست عشرة ومايتين وألف، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتحول سلطانه.

* كانت مدة الفرنساوية وتحكمها في مصر ثلاث سنوات وإحدى وعشرين يوما منذ دخلوا الجيزة.

وفي ذلك اليوم حضر السيد عمر أفندى نقيب الأشراف وصحبته السيد أحمد المحروقي شاه بندر التجار بمصر وعليهما خلعتا سمور وتوجها إلى دورهما.

* الاحتفال بدخول الوزير يوسف باشا.

[١٣٦] محمد باشا أبو مرق. نائب على مصر.

وفيه نبهوا على موكب* حضرة الوزير يوسف باشا من الغد فلما أصبح يوم الخميس خامسه اجتمع الناس من جميع الطوايف وساير الأجناس وهرع الناس للفرجة وخرجت البنت من خدرها واكتروا الدور المطلة على الشارع بأغلى الأثمان وجلس الناس على السقايف والحوانيت صفوفا وانجر الموكب من أول النهار إلى قريب الظهر ودخل من باب النصر وشق من وسط المدينة وأمامه العساكر المختلفة من الأرنؤد وأرط الينكجرية والعساكر الشامية والأمرا المصرلية والمغاربة والقليونجية وطاهر باشا باشة الأرنؤد وإبراهيم باشا والى حلب ومحمد باشا [أبو مرق]* والى مصر والكتبة وريس الكتاب وكتخدا الدولة والأغوات الكبار بالطبول والنقرزانات وقاضى العسكر ونواب القضا والعلما المصرية ومشايخ التكايا والدراويش.

وأقبل المشار إليه وأمامه الملازمون بالبراقع والجاويشية والسعاة الجوخدارية وعليه كرك صوف سنجابى مطرزمخيش وعلى رأسه شلنج بفصوص الماس، وخلفه اثنان عن يمينه وشماله ينشرون دراهم الفضة البيضا ضربخانة إسلامبول على المتفرجين من النسا والرجال وخلفه أيضا العدة الوافرة من أكابر أتباعه وبعدهم الكثير من عسكر الأرنؤد وموكب الخازندار وخلفه النوبة التركية المختصة به، ثم المدافع وعربات الجبخانات.

وعملوا وقت الموكب شنكا ضربوا فيه مدافع كثيرة فكان ذلك اليوم يوما مشهودا وموسما وبهجة وعيدا عمت المسلمين فيه المسرات ونزلت فى قلوب الكافرين الحسرات، ودقت البشاير وقرت النواظر، وأمروا بوقود المنارات سبع

ليال متواليات، فلله الحمد والمنة على هذه النعمة، ونرجو من فضله أن يصلح فساد القلوب ويوفق أولى الأمر للخير والعدل المطلوب ويلهمهم سلوك سواء السبيل القويم ويهديهم إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غيرالمغضوب عليهم ولا الضالين آمين.

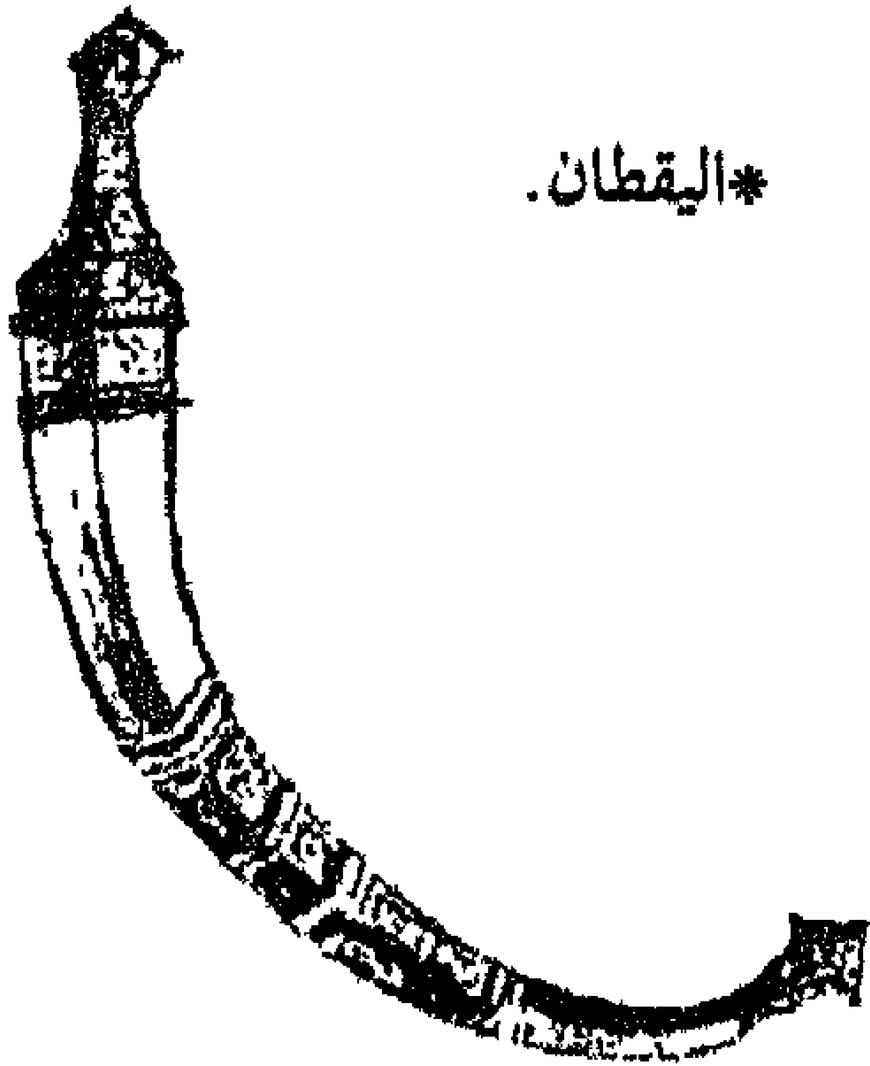
وممن قدم بصحبة ركاب المشار إليه من أكابر دولتهم إبراهيم باشا والى حلب وإبراهيم باشا شيخ أوغلى ومحمد باشا المعروف بأبى مرق وخليل أفندى الرجائى الدفتردار ومحمود أفندى ريس الكتاب وشريف أغا نزله أمين ومحمد أغا جبجى باشا الشهير بطوسون، ووقع الاختيار بأن يكون سكن المشار إليه ببيت رشوان بك بحارة عابدين تجاه بيت عبد الرحمن كتخدا القازدغلى.

وفى يوم الجمعة نودى بإبطال كلف القلقات وإبطال شرك العسكر لأرباب الحرف إلا من شارك برضاه وسماحة نفسه، فلم يمتثلوا لذلك واستمر أكثرهم على الطلب من الناس.

* العسكر العثمانى يفرض الفرد على أصحاب الحرف رغم أنفهم.

وفى يوم الأحد نودى بأن لا أحد يتعرض بالأذية لنصرانى ولا يهودى سوا كان قبطيا أوروميا أو شاميا فإنهم من رعايا السلطان والماضى لا يعاد.

والعجب أن بعض نصارى الأروم الذين كانوا بعسكر الفرنسيس تزيوا بزى العثمانية وتسلحوا بالأسلحة واليقطانات* ودخلوا فى ضمنهم وشمخوا بآنافهم وتعرضوا بالأذية للمسلمين فى الطرقات بالضرب والسب باللغة التركية، ويقولون فى ضمن سبهم للمسلم «فرنسيس كافر» ولا يميزهم إلاالنطق الحاذق أو يكون له بهم معرفة سابقة.


*اليقطان.

* اليقطان أو اليطقان خنجر طويل مقوس يعلق فى الخصر.

وفيه أرسلوا هجانا إلى الحجاز ومعه فرمان بخبر الفتح والنصر وارتحال الفرنساوية من أرض مصر ودخول العثمانية ومكاتبات من التجار لشركاهم بإرسال المتاجر إلى مصر.

وفيه أرسلوا فرمانات أيضاً إلى الأقاليم المصرية والقرى بعدم دفع المال إلى المتلزمين ولا يدفعون شيا إلا بفرمان من الوزير.

وفى يوم الاثنين قتلوا شخصا بالرميلة يسمى حجاجا كان متولى الأحكام ببولاق أيام الفرنسيس وجار وعسف، وقتل معه آخر يقال إنه أخوه.

وفيه أيضا قتلوا أشخاصا بالأزبكية وجهات مصر.

وفيه ركب الوزير بثياب التخفيف وشق المدينة وتامل فى الأسواق وأمر بمنع العسكر من الجلوس على حوانيت الباعة وأرباب الصنايع ومشاركتهم فى أرزاقهم، ثم توجه إلى المشهد الحسينى فزاره ثم عبر إلى دار السيد المحروقى وشرفه بدخوله إليه فجلس ساعة، ثم ركب وأعطى أتباعه عشرين دينارا، وذكر له أنه إنما قصد بحضوره إليه تشريفه وتشريف أقرانه وتكون له منقبة، وذلك على مر الأزمان.



* السلطان سليم الثالث (١٢٠٣ ـ ١٢١٣هـ). (١٧٨٩ ـ ١٧٩٨م).

وأما العسكر فلم يمتثلوا ذلك الأمر إلا أياما قليلة ووقع بسبب ذلك شكاوى ومشاكلات ومرافعات عند العظما.

وفى يوم الثلاثا وصل قاصد من دار السلطنة وعلى يده شال (مثال) شريف من حضرة الهنكار السلطان سليم

خان خطابا لحضرة الوزير ومعه خنجر مرصع بفصوص الماس وهو جواب عن رسالته بدخوله بلبيس.

وفيه نودى بتزيين الأسواق من الغد تعظيما ليوم المولد النبوى* الشريف فلما أصبح يوم الأربعا كررت المناداة الأمر بالكنس والرش، فحصل الاعتنا وبذل الناس جهدهم وزينوا حوانيتهم بالشقق الحرير والزردخان [الديباج والسندس] والتفاصيل الهندية مع تخوفهم من العسكر.

* الاحتفال بالمولد النبوى فى ظل وجود القوات العثمانية.

وركب المشار إليه عصر ذلك اليوم وشق المدينة وشاهد الشوارع، وعند المسا أوقدوا المصابيح والشموع ومنارات المساجد وحصل الجمع بتكية الكلشنى على العادة، وتردد الناس ليلا للفرجة وعملوا مغانى ومزامير فى عدة جهات وقراءة قرآن وضجت الصغار فى الأسواق وعم ذلك ساير أخطاط المدينة العامرة ومصر وبولاق وكان من المعتاد القديم أن لايعتنى بذلك إلا بجهة الأزبكية وبولاق فقط حيث سكن الشيخ البكرى لأن عمل المولد من وظايفه.

وفى يوم الخميس ثانى عاشره سافر سليمان أغا وكيل دار السعادة وصحبته عدة هجانة إلى ناحية الشام لإحضار* المحمل الشريف وحريمات الأمرا إلى مصر.

* بعثة لإحضار المحمل المصرية وحريمات الأمرا من الشام.

وفيه افتتحوا ديوان مزاد الأعشار والمكوس* وذلك ببيت الدفتردار، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

* ديوان مزاد الأعشار والمكوس: بعد دخول القوات العثمانية للقاهرة بدأت فوراً فى جمع المكوس والعشور ومختلفة أشكال الإتاوات من الأهالى، حتى انهم شاركوا التجار والحرفيين فى أرباحهم بطريق التعنت والتسلط.

وفيه حضر اليسرجى الذى جلب مملوك الشيخ البكرى الذى تقدم ذكره إلى بيت القاضى وأحضروا الشيخ خليل البكرى

وادعى عليه أنه قهره فى أخذ المملوك بالفرنسيس وأخذه منه بدون القيمة وأنه كان أحضره على ذمة مراد بك وطال بينهما النزاع وآل الأمر بينهما إلى انتزاع المملوك من المذكور، وقد كان أعتقه وعقد له على ابنته فأبطلوا العتق وفسخوا النكاح، وأخذ المملوك عثمان بك الطنبرجي المرادى ودفع للشيخ دراهمه وجلابه باقى الثمن وتجرع فراقه*.

* بداية المضايقات للشيخ البكرى بفسخ عقد نكاح ابنته على مملوك كان اشتراه واعتقه، فألغى عتق المملوك واشتراه عثمان بك الطنبرجى نكاية فى البكرى.
بالرغم من انه كان متهما بالتعاون مع العثمليه قبل خروج الفرنساويه.
انظر ص٦١٨.

وفى يوم الجمعة ركب الوزير وحضر إلى الجامع الأزهر وصلى به الجمعة وخلع على الخطيب فرجية صوف.

وفى ذلك اليوم احترق* جامع قايتباى الكاين بالروضة المعروف بجامع السيوطى، والسبب فى ذلك أن الفرنسيس كانوا يصنعون البارود بالجنينة المجاورة للجامع فجعلوا ذلك الجامع مخزنا لما يصنعونه فبقى ذلك بالمسجد وذهب الفرنسيس وتركوه كما هو وجانب كبريت فى انخاخ أيضاً فدخل رجل فلاح ومعه غلام وبيده قصبة يشرب بها الدخان وكأنه فتح ماعونا من ظروف البارود ليأخذ منه شيئاً ونسى المسكين القصبة بيده فأصابت البارود فاشتعل جميعه وخرج له صوت هايل ودخان عظيم واحترق المسجد واستمرت النار فى سقفه بطول النهار واحترق الرجل والغلام.

* انفجار مخزن بارود فى جامع قايتباى بالروضة.

وفى يوم الأحد خامس عشره أشيع بأنه كتب فرمان* على النصارى أنهم لا يلبسون الملونات ويقتصرون على لبس الأزرق والأسود فقط، فبمجرد الإشاعة وسماع ذلك ترصد جماعة القلقات لمن يمر عليهم من النصارى ومن لم

* فرمان يمنع النصارى من لبس الملونات وليس القصد من ذلك الانتصار للدين بل استغنام السلب..



* الاحتفال بجبر السد فى ظل الاحتلال الفرنسي.

يجدوه بثياب ملونة يأخذوا طربوشه ومداسه الأحمر ويتركوا له الطاقية والشد الأزرق، وليس القصد من أوليك القلقات الانتصار للدين بل استغنام السلب وأخذ الثياب، ثم إن النصارى صرخوا إلى عظماهم فأنهوا شكواهم، فنودى بعدم التعرض لهم وأن كل فريق يمشي على طريقته المعتادة.

وفى يوم الاثنين طلب الوزير من التجار ماية كيس وعشرة أكياس سلفة من عشور البهار وألزمهم بإحضارها من الغد فاجتمع المستعدون لجمع الفردة فى أيام الفرنساوية كالسيد أحمد الزرو وكاتب البهار وأرادوا توزيعها على المحترفين كعادتهم، فاجتمع أرباب الحرف الدنية وذهبوا إلى بيت الوزير والدفتردار واستغاثوا وبكوا فرفعوا عنهم الطلب وألزموا بها المياسير.

وفيه قلدوا محمد أغا تابع قاسم بك موسقو الإبراهيمى وجعلوه واليا عوضا عن على أغا الشعراوى.

وفى ثامن عشرينه الموافق لثالث مسرى القبطى كان وفا النيل* المبارك، وركب محمد باشا المعروف بأبى مرق المرشح لولاية مصر فى صبحها إلى قنطرة السد وكسروا جسر الخليج بحضرته وفرق العوايد وخلع الخلع ونثر الذهب والفضة.

* احتفال وفاء النيل فى ٣ مسرى ١٥١٧ق.

وفيه عزل الوزير القاضى وهو قاضى العرضى* الذى كان ولاه الوزير قاضى العسكر بمصر نايبا عمن يول إليه القضا بإسلامبول، فلما تولى ذلك حصل منه تعنت فى الأحكام وطمع فاحش وضيق على نواب القضا بالمحاكم ومنعهم من سماع الدعاوى، ولم يجرهم على عوايدهم وأراد أن يفتح بابا فى الأملاك والعقار بقول: إنها [مصر] صارت كلها ملكا للسلطان لأن مصر قد ملكها الحربيون وبفتحها صارت ملكا للسلطان، فيحتاج أن أربابها يشترونها من الميرى ثانيا ووقع بينه وبين الفقها المصرية مباحثات ومناقشات وفتاوى وظهروا عليه، ثم تحامل عليه بعض أهل الدولة وشكوه إلى الوزير فعزله وقلد مكانه قدسى أفندى نقيب الأشراف بحلب سابقا، ونقل المعزول متاعه من المحكمة فكانت مدة ولايته خمسة عشر يوما.

* القاضى العثمانى يدعى أن مصر فتحت عنوة بالحرب على يد العثمانية وعلى أهلها أن يشتروها من السلطان.

وفى ذلك اليوم أيضًا خلع* الوزير على الأمير محمد بك الألفى فروة سمور وقلده إمارة الصعيد ليرسل المال والغلال، ويضبط مواريث من مات بالصعيد بالطاعون فبرز خيامه من يومه إلى ناحية الآثار وأسكن داره بالأزبكية ريس أفندى.

* الوزير يخلع على الأمير محمد بك الألفى ولاية الصعيد.

وفى يوم الجمعة حضر الوزير إلى الجامع المؤيد وصلى به الجمعة.

وفيه قبضوا على عرفة بن المسيرى وحبس ببيت الوزير بسبب أخيه إبراهيم كان شيخ مرجوش، وتقيد بقبض فردة الفرنسيس ثم ذهب إلى المحلة وتوفى بها، فغمزوا على أخيه عرفة المذكور وقبضوا عليه وحبسوه، وأرسلوا فرمانا إلى المحلة بضبط ماله وما يتعلق به وبأخيه عند شركاهما ثم نهبوا بيت المذكور.

وفى يوم الثلاثا رابع عشرينه طلبت ابنة* الشيخ البكرى وكانت ممن تبرج مع الفرنسيس بمعينين من طرف الوزير فحضروا إلى دار أمها بالجودرية بعد المغرب وأحضروها ووالدها فسألوها عما كانت تفعله، فقالت إنى تبت من ذلك فقالوا لوالدها ما تقول أنت؟ أقول إنى برى منها، فكسروا رقبتها، وكذلك المرأة التى تسمى هوى التى كانت تزوجت نقولا القبطان ثم أقامت بالقلعة وهربت بمتاعها وطلبها الفرنساوية وفتش عليها عبد العال وهجم بسببها عدة أماكن كما تقدم ذكر ذلك، فلما دخل المسلمون وحضر زوجها مع من حضر وهو إسماعيل كاشف المعروف بالشامى أمنها وطمنها*، وأقامت معه أياما فاستأذن الوزير فى قتلها فأذنه فخنقها فى ذلك اليوم أيضاً ومعها جاريتها البيضا أم ولده، وقتلوا أيضاً امرأتين من أشباههن.

* العثمانية تكسر رقبة بنت الشيخ البكرى بسبب تداخلها مع الفرنساوية وكذلك المرأة التى تسمى «هوى». (انظر كذلك ص ٦٦٠ لتتبع قصة البكرى، وص ٦١٧ لتتبع قصة المرأة «هوى»).

* لعله فعل ذلك من اجل استصفاء مالها أولاً ثم يقتلها.

وفى يوم الأربعا أرسلوا طايفة معينين من طرف محمد باشا أبى مرق إلى أخى الشواربى شيخ قليوب فأحضروه على غير صورة ماشيا مكتوفا مسحوبا مضروبا من قليوب إلى

مصر فحبسوه ببيت الوزير، ثم حضر أخوه وصالح عليه بعشرة أكياس قام بدفعها وأطلق، قيل: إن السبب فى ذلك أن جماعة من أتباع محمد باشا ذهبوا إلى قليوب وطلبوا تبناً فطردهم وشتمهم وردهم من غير شى، وقيل إن ذلك بإغرا ابن المحروقى لضغين بينه وبينه قديم.

وفى آخره تحرر ديوان العشور فكان المتحصل ستة عشر ألف كيس.

وفيه تشاجر طايفة من الينكجرية مع طايفة من الإنكليز بالجيزة وقتل بينهما أشخاص فنودى على الينكجرية ومنعوا من التعدى إلى بر الجيزة.

وفيه كثر اشتغال طايفة العسكر بالبيع* والشرا فى أصناف المأكولات وتسلطوا على الناس بطلب الكلف ورتبوا على السوقة وأرباب الحوانيت دراهم يأخذونها منهم فى كل يوم، ويأخذون من الخابز الخبز من غير ثمن، وكذلك يشربون القهوة من القهاوى ويحتكرون ما يريدون من الأصناف ويبيعونها بأغلى الأثمان،ولا يسرى عليهم حكم المحتسب.

* احتكار العسكر العثملى للبيع والشرا بأغلى الاسعار وأذية الناس واحتلال بيوتهم بالقوة وذلك بالرغم من أن احتلال هؤلاء العسكر لمصر تم بدون حرب حقيقية فالفرنساوية سلمت لهم البلد بموجب معاهدة، فاعطى من لاحق له (الفرنساوية) مصر لمن لا يستحقها (العثمليه) فتعاملوا مع مصر بالسلب والنهب باعتبارها غنيمة لهم.

وكذلك تسلطوا على الناس بالأذية بأدنى سبب ، وتعرضوا للسكان في منازلهم فتأتى منهم الطايفة ويدخلون الدار ويأمرون أهلها بالخروج منها ليسكنوها فإن لاطفهم الساكن وأعطاهم دراهم ذهبوا عنه وتركوه، وإن عاند سبوه وضربوه ولو عظيما، وإن شكا إلى كبيرهم قوبل بالتبكيت، ويقال له ألا تفسحون لأخوانكم المجاهدين الذين حاربوا عنكم وأنقذوكم من الكفار الذين كانوا يسومونكم سو العذاب

ويأخذون أموالكم ويفجرون بنساكم وينهبون بيوتكم وهم ضيوفكم أياما قليلة ، فما يسع المسكين إلا أن يكلفهم بما قدر عليه وإن أسعفته العناية وانصرفوا عنه بأى وجه فيأتى إليه خلافهم، وإن سكنوا دار أخربوها.

* أضطهاد القلقات والينكجرية العثملية للنصارى.

وأما القلقات والينكجرية الذين تقيدوا بحارات النصارى* فإنهم كلفوهم أضعاف ما كلفوا به المسلمين، ويطلبون منهم بعد كلف المآكل واللوازم مصروف الجيب وأجرة الحمام وغير ذلك، وتسلطت عليهم المسلمون بالدعاوى والشكاوى على أيدى أوليك القلقات فيخلصون منهم ما لزمهم بأدنى شبهة ولا يعطون المدعى إلا القليل من ذلك، والمدعي يكتفي بما حصل له من التشفى والظفر بعدوه، وإذا تداعى شخص على شخص أو امرأة مع زوجها ذهب معهم أتباع القلق إلى المحكمة إن كانت الدعوى شرعية فإذا تمت الدعوى أخذ القاضى محصوله ويأخذ مثله أتباع القلق على قدر تحمل الدعوى.

---

## واستهل شهر ربيع الثانى بيوم الثلاثا سنة ١٢١٦

فيه أفرج عن عرفة بن المسيرى وصولح عليه بخمسة عشر كيسا، وكتب له فرمان برد منهوباته وعدم التعرض لتعلقاته بالمحلة.

وفى يوم الأربعا ثانيه أمر الوزير الوجاقلية بلبس القواويق على عادتهم القديمة، فأخبروا إبراهيم بك فقال الأمر عام لنا

ولكم أو لكم فقط؟ فقالوا لا ندرى فسأل إبراهيم بك الوزير المشار إليه، فقال له بل ذلك عام، فلما كان يوم الجمعة حادى عشره لبس الوجاقلية والأمرا المصرية زيهم من القواويق المختلفة الأشكال على عادتهم القديمة حسب الأمر بذلك. وكذلك الأمرا الصناجق وحضروا في يوم الجمعة بديوان الوزير ونظر إليهم وأعجب بهيئاتهم واستحسن زيهم ودعا لهم وأثنى عليهم وأمرهم أن يستمروا على هيئتهم ، وذلك على ما هم فيه من التفليس وغالبهم لا يملك عشا ليلته فضلا عن كونه يقتنى حصانا وشنشاراً وخدما ولوازم لابد منها ولا غنى للمظهر عنها.

وفيه حضر* جماعة من عسكر القبط الذين كانوا ذهبوا بصحبة الفرنساوية فتخلفوا عنهم ورجعوا إلى مصر.

* عودة القبط الذين ذهبوا مع الفرنساوية.

وفيه أرسلوا تنابيه للملتزمين بطلب بواقى مال سنة ثلاث عشرة وأربع عشرة، فاعتذروا بأنهم ممنوعون من التصرف، فمن أين يدفعون البواقى.

وفي يوم الخميس نبهوا على العساكر المتداخلة فى الينكجرية وغيرهم بالسفر.

وفيه كتبت فرمانات باللغة العربية بترصيف صاحبنا العلامة السيد إسماعيل الوهبى المعروف بالخشاب* وأرسلت إلى البلاد الشرقية والمنوفية والغربية مضمونها الكف عن أذية النصارى واليهود أهل الذمة وعدم التعرض لهم وفى ضمنه آيات قرآنية وأحاديث نبوية، والاعتذار عنهم بأن الحامل لهم على تداخلهم مع الفرنساوية صيانة أعراضهم وأموالهم.

* من المعروف ان الخشاب كان يقوم بنفس هذا العمل فى الديوان الذى اقامه الفرنساوية.

وفى يوم الجمعة أحضروا رمة* زوجة إبرهيم بك وعملوا لها قبراً بجانب أخيها محمد بك أبى الدهب بمدرسته المقابلة للجامع الأزهر ودفنوها به.

* دفن رمة زوجة إبراهيم بك بجوار أخيها محمد بك أبو الدهب.

وفى يوم السبت خامسه ورد الخبر بوفاة أحمد بك حسن أحد الأمرا * الذين توجهوا صحبة خسين باشا القبطان والفرنساوية، وكان القبطان وجهه إلى عرب الهنادى الذين يحملون الميرة إلى الفرنسيس المحصورين بإسكندرية وضم إليه عدة من العسكر، فحاربهم وقاتلهم عدة مرار فأصابته رصاصة دخلت فى جوفه فرجع إلى مخيمه ومات من ليلته، وكان يضاهى سيده فى الشجاعة والفروسية.

* وفاة أحمد بك حسن عقب معركة له مع عرب الهنادى أثناء نقلهم معونات لعسكر الفرنساوية المحصورين باسكندرية.

وفيه أطلقوا للملتزمين التصرف فى سنة خمس عشرة ليقضوا ما لهم وما عليهم من البواقى ومال الميرى والمضاف ويدفعوا جميع ذلك إلى الخزينة بأوراق مختومة من إبراهيم بك وعثمان بك والقصد من ذلك اطمينانهم بالجبابة والرجا بالتصرف فى المستقبل ، ووعدهم بذلك سنة تاريخه بعد دفعهم الحلوان، مع أن الفرنساوية لما استقر أمرهم بمصر ونظروا فى الأموال الميرية والخراج فوجدوا ولاة الأمور يقبضون سنة معجلة* ونظروا فى الدفاتر القديمة واطلعوا على العوايد السالفة ورأوا أن ذلك كان يقبض أثلاثا مع المراعاة فى رى الأراضى وعدمه فاختاروا الأصلح فى أسباب العمار، وقالوا ليس من الإنصاف المطالبة بالخراج قبل الزراعة بسنة وأهملوا وتركوا سنة خمس عشرة فلم يطالبوا الملتزمين بالأموال الميرية ولاالفلاحين بالخراج، فتنفست الفلاحون وراج حالهم وتراجعت أرواحهم مع عدم تكليفهم كثرة المغارم والكلف وحق طرق المعينين ونحو ذلك.

* الجبرتى يقارن بين عسف العثمليه فى جمع الأموال الميرى وما كان يفعله الفرنساوية من الانصاف فى المطالبة بهذه الاموال.

وفى يوم الثلاثا ثامنه وصلت قافلة شامية وبها بضايع وصابون ودخان وحضر السيد بدر الدين المقدسى والحاج سعودى الحناوى وآخرون وتراجع سعر الصابون والقناديل الخليلى والدخان.

* خروج الفرنساوية من أبو قير إلى بلادهم مع بقاء الفرنساوية بحصون الاسكندرية ورشيد.

وفيه ورد الخبر بسفر* الفرنساوية ونزولهم المراكب من ساحل أبى قير.

وفى يوم الأحد حبس حسن أغا محرم المنفصل عن الحسبة وطولب بمايتى كيس، وذلك معتاد الحسبة فى الثلاث سنوات التى تولاها أيام الفرنساوية فإنه لما تقلد أمر الحسبة فى أيامهم منعوه من أخذ العوايد والمشاهرات من السوقة وجعلوا له مرتبا فى كل يوم يأخذه من الأموال الديوانية نظير خدمته، وكذلك أتباعه وطالبوه أيضا بأربعة آلاف غرش كان أعطاها له نزله أمين عند حضورهم فى العام الماضى لمشتروات الذخيرة، ثم نقض الصلح عقيب ذلك وخرجوا من مصر وبقيت بذمته، فأخبر أن الفرنساوية علموا بها وأخذوها منه وأعطوه ورقة بوصول ذلك إليهم، فلم يقبلوا منه ذلك وبقى معتقلا وادعوا عليه أيضا بتركة الأغا الذى كان نزيله ومات عنده واحتوى على موجوده، فأخبر أيضاً أن الفرنسيس أخذوا منه ذلك أيضاً وأعطوه سندا فلم يقبلوا منه ذلك واستمر محبوسا.

* منع العسكر العثمانية من مصاهرة أهل البلد بعد اكتشاف أن معظم هذه الزيجات كانت من المومسات اللائى تحجبن وتنقبن لتروج بضاعتهن.

وفى يوم الاثنين رابع عشره نودى على أن أهل البلدة لا يصاهرون* العساكر العثمانية ولا يزوجونهم النسا وكان هذا الأمر كثر بينهم وبين أهل البلد وأكثرهم النسا اللاتى درن مع الفرنساوية، ولما حضر العثمانية تحجبن وتنقبن وتوسط لهن أشباههن من الرجال والنسا وحسنوهن للطلاب

ورغبوا فيهن الخطاب، فأمهروهن المهور الغالية وأنزلوهن المناصب العالية، وفي ذلك اليوم أيضا نودى على أهل الذمة بالأمن والأمان، وأن المطلوب منهم جزية أربع سنوات.

وفيه قبض على جربجي موسى الجيزاوى وعمل عليه عشرون كيسا.

وفيه قبض محمد باشا أبو مرق على مقدمه مصطفى الطاراتي وضربه علقة وحبسه وألزمه بمبلغ دراهم.

وفيه سافر الإنكليزية الذين بالجيزة والروضة إلى جهة الإسكندرية وأشيع أن الحرب* قايم بين العساكر والفرنسيس الإسكندرانية من يوم الاثنين سابعه فطلبوا المراكب حتى شح وجودها وضاق الحال بالمسافرين واستمر طلبهم ونزولهم عدة أيام وكذلك نبهوا عليّ الكثير من العساكر الإسلامية بالسفر.

* اندلاع المعارك بين الإنجليز والعسكر الفرنساوية في الإسكندرية.

وفي يوم الخميس نقضت الأوامر بتصرف الملتزمين في البلاد وقيدت صيارف من نصارى القبط بالنزول إلى البلاد لقبض الأموال في غير أوانها لطرف الدولة.

وفي يوم الجمعة ثامن عشره لبس الأمرا الكبار القواويق على روسهم.

وفيه قبض من مصطفى الطاراتي المعتقل المتقدم ذكره خمسة عشر ألف ريال ولم يزل معتقلا، وقيل إنه غمز عليه فوجد له في مكان صندوقان ضمنهما ذهب نقد عين، ومصطفى هذا كان كلارجيا عند قايد [نار] أغا حين كان



* قلعة الاسكندرية وآثارها القديمة من جهة اليابسة..

بمصر، فلما خرج الأمرا تقيد مقدما عند بونابارته ثم عند كليبر، فلما وقعت الفتنة السابقة وظهر يعقوب القبطى وتولى أمر الفردة وجمع المال تقيد بخدمته وتولى أمر اعتقال المسلمين وحبسهم وعقوبتهم وضربهم، فكان يجلس على الكرسي وقت القايلة ويأمر أعوانه بإحضار أفراد المحبوسين من التجار وأولاد الناس فيمثل بين يديه ويطالبه بإحضار ما فرض عليه مما لا طاقة له به ولا قدرة له على تحصيله فيعتذر بخلو يده ويترجى إمهاله فيزجره ويسبه ويأمر بضربه فيبطحونه ويضرب بين يديه ويرده إلى السجن بعد أن يأمر أحد أعوانه أن يذهب إلى داره وصحبته الجماعة من عسكر الفرنسيس ويهجمون على حريمه وأمثال ذلك.

وفى يوم الأحد وردت أخبار من إسكندرية بتملك العساكر الإسلامية والإنجليزية متاريس الفرنساوية وأخذهم المتاريس التى جهة العجمي وباب رشيد وجانبا من إسكندرية القديمة وتخطت المراكب وعبرت إلى المينة وأن الفرنساوية انحصروا داخل الأبراج وأخذ منهم نحو الماية وسبعين أسيرا وقتل منهم عدة وافرة ووقعت بين الفريقين مقتلة عظيمة لم يقع نظيرها، وقتل الكثير من عسكر قبطان باشا وكذلك من الإنجليز ثم انجلت الحرب عما ذكر، فلما ورد الخبر بذلك ضربوا عدة مدافع وسر الناس بذلك.

* وصول سليمان أغا صالح بك ومعه المحمل وحريمات الأمرا وجثة سيده صالح بك.

وفيه ورد الخبر * بوصول سليمان [أغا] صالح بك إلى بلبيس وصحبته المحمل والحريمات وأحضر معه رمة سيده

صالح بك ليدفنها بمصر بالقرافة، فخرج أناس لملاقاتهم وأخذوا معهم حمير مكارية لكراوى النسا وهدية.

وفى يوم الاثنين وصل سليمان أغا إلى بركة الحاج وصحبته المحمل ونسا الأمرا القادمين من الشام ومعه أيضا رمة صالح بك ليدفنها بقرافة مصر، فخرج الناس لملاقاتهم وأخذوا معهم حمير مكارية لركوب النسا وهديات ونودى فى عصريته بعمل موكب من الغد وطاف ألاى جاويش بزيه المعتاد وخلفه القابجية وهم ينادون باللغة التركية بقولهم «يارن ألاى»*، فلما أصبح يوم الثلاثا ثانى عشرينه عمل الموكب وانجر الألاى ودخل المحمل من باب النصر وشقوا به من الشارع الأعظم.

* يارن ألاى: (يارين بكسر الراء معناها الغد) والمراد هنا: غداً موكب.

وصادف ذلك اليوم يوم مولد المشهد الحسينى والأسواق مزينة وعلى الحوانيت الشقق الحرير والزردخان والتفاصيل وتعاليق القناديل، ومشى فى الموكب رسوم الوجاقلية والأوده باشية وأكثر الأمرا والمشايخ والعلما ونقيب الأشراف، ونبه على جميع الأشراف تلك الليلة بالحضور فى صبح ذلك اليوم للمشى فى ذلك الموكب، فمشى كل من كان له عمامة خضرا يكبرون ويهللون فكانوا عددا كثيراً.

وكل من وجدوه بالطريق وعلى رأسه خضار جذبوه وسحبوه قهراً وأمروه بالمشى وإن أبى ضربوه وسبوه وبكتوه بقولهم ألست من المسلمين، وكذلك تجمع أرباب الأشاير

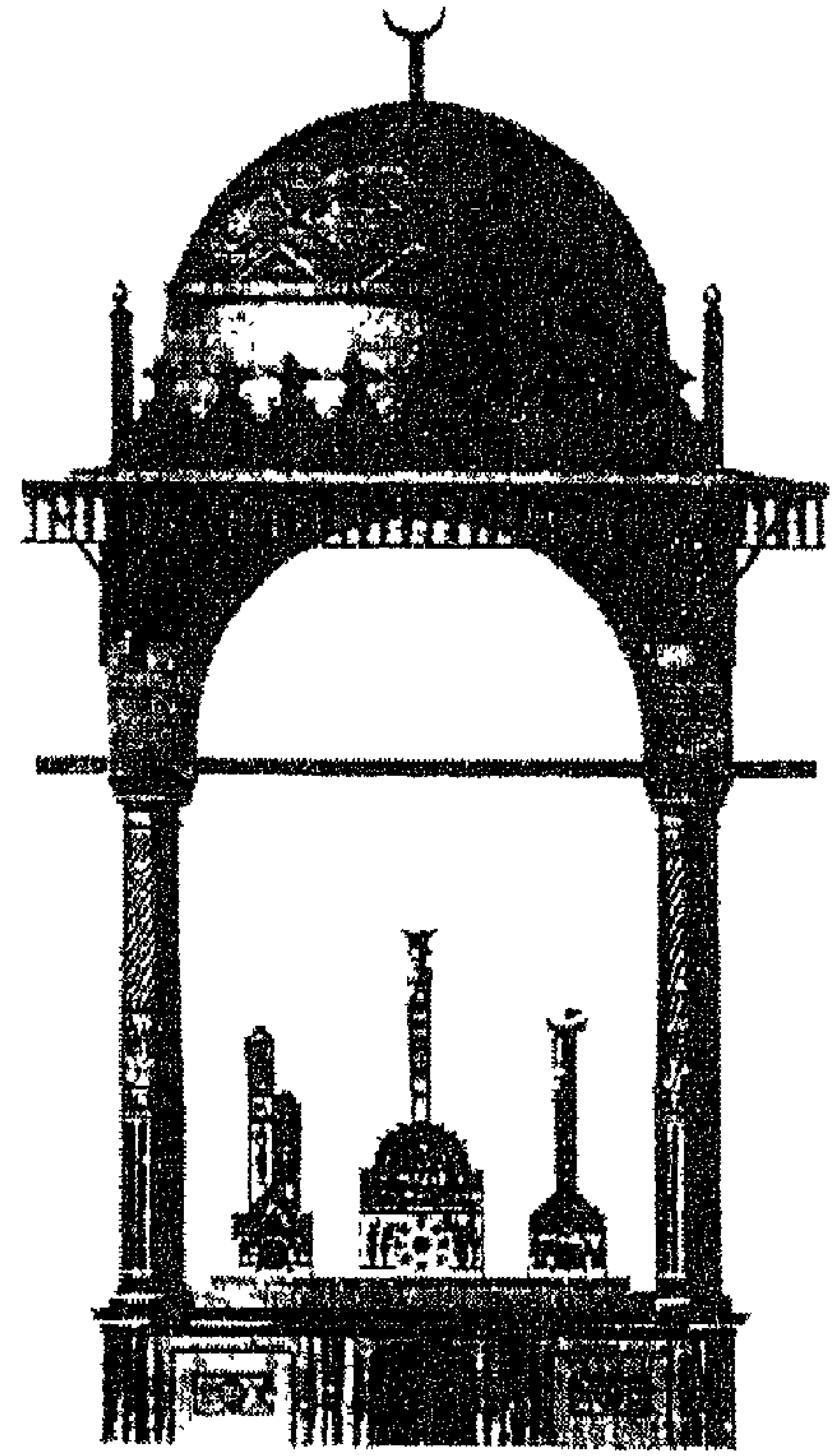


* الاحتفال بمولد الحسين.

ومشوا على عادتهم بطبولهم وزمورهم وخباطهم وخرقهم وخورهم وصياحهم.

فلم يزالوا حتى وصلوا إلى قراميدان، وتسلم المحمل محمد باشا أبو مرق من سليمان أغا الذى وصل به ولكونه عوضا عن سيده أمير الحاج صالح بك ثم صعدوا به إلى القلعة وأودعوه هناك وعملت وقدة وشنك تلك الليلة.

وفى ذلك اليوم شرعوا فى فتح باب الفتوح، وكان القصد إدخال المحمل منه لضيق باب الاستثنا الثانى الذى جدده الفرنساوية عند باب النصر، فلم يتأت ذلك لمتانة البنا واستمروا ثلاثة أيام يهدمون فى البنا الذى على الباب من داخل فلم يمكن.



ودفنوا صالح بك بتربة أعدت له بقرافة المجاورين، والعجب أن الناس من القديم يتمنون أن يقبروا بالأرض المقدسة لكونها عش الأنبيا والصديقين، وهؤلا الثلاثة* بالعكس فما هو إلا لتطهيرها منهم.

* هؤلاء الثلاثة يعنى جثة صالح بك، ومن معه. والجبرتى هنا لم يفهم معنى أن يدفن الإنسان فى وطنه.

وفيه ورد خبر بإسكندرية بانقضا الحرب وطلب الفرنسيس الصلح بعد وقوع الغلبة عليهم وهزيمتهم وأخذ منهم عدة أسرى وانحصروا فى الأبراج فأمنوهم وأجلوهم خمسة أيام آخرها يوم الخميس سابع عشرينه.

وفيه ألزموا حسن أغا المحتسب بالنقلة من داره وهو فى الحبس فأرسل إلى حريمه وأتباعه فانتقلوا إلى مكان آخر.

وفيه ورد الخبر أيضاً بورود عثمان كتخدا الدولة الذى كان بمصر فى العام السابق، وباشر الحروب بمصر وصحبته آخر يقال له شريف أفندى.

وفى سادس عشرينه قدم محمد أفندى المعروف بشريف أفندى الدفتردار وقدم بصحبته عثمان كتخدا الدولة وسكن شريف أفندى بدرب الجماميز وسكن الكتخدا بمنزل حسن أغا المحتسب سابقا بسويقة اللالا.

وفى غايته عمل شنك ومدافع كثيرة وذلك لوصول خبر بتسليم الإسكندرية وسبب تأخرهم إلى هذه المدة بعد وقوع الصلح انتظار الأمر بالانتقال [الجلاء] من بونابارته، وذلك أنه لما وقع الصلح المتقدم أرسل سارى عسكر منو تطريدة إلى فرنسا بالخبر إلى بونابارته، وانتظر الجواب فورد عليه الأمر بالانتقال [الجلاء] والحضور، فعند ذلك أنزلوا متاعهم إلى المراكب وسافروا إلى بلادهم.



## ملحق رقم (٢٢)

## معاهدة الجلاء عن الأسكندرية

«شروط التسليم المعروضة يوم ٣٠ أغسطس سنة ١٨٠١ من عبد الله جاك فرنسوا منو القائد العام للجيش الفرنسي بالإسكندرية على قواد القوات البرية والبحرية التابعة لصاحب الجلالة البريطانية وللباب العالي.

الشرط ١

ابتداء من اليوم لغاية ٣٠ فركتيدور (١٧ سبتمبر سنة ١٨٠١) تمتد الهدنة بين الجيش الفرنسي والجيوش الإنجليزية والتركية بالشروط المتبعة الآن وتحدد خطوط المخافر الأمامية بين الجيشين تحديداً جديداً بمقتضى اتفاق ودى يبرم بين قواد الجانبين منعاً لوقوع أى تصادم بين الجنود.

الجواب مرفوض (من الحلفاء).

الشرط ٢

إذا لم يصل المدد الكافي للجيش الفرنسي قبل الميعاد المحدد في المادة السابقة ينسحب من الإسكندرية وقلاعها واستحكاماتها بالشروط الآتية.

الجواب مرفوض.

الشرط ٣

ترتد الجنود الفرنسية يوم ١٨ سبتمبر إلى داخل الإسكندرية والقلاع المجاورة لها، وتسلمُ إلى الحلفاء المعاقل والاستحكامات الواقعة أمام سور المدينة وكذلك قلعتى لتورك ودفيفييه وما فيها من المدافع والذخائر.

الجواب: تسلم جميع الاستحكامات وقلعتا لتورك ودفيفييه إلى قوات الحلفاء بعد التوقيع على معاهدة التسليم بثمان وأربعين ساعة أى ظهر يوم ٢ سبتمبر وكذلك يسلم ما بها من المدافع والذخائر وينسحب الجنود الفرنسيون من الإسكندرية وباقى قلاعها وملحقاتها بعد التوقيع على المعاهدة بعشرة أيام بحيث ينزل الجنود الفرنسيون فى هذا الموعد إلى السفن المعدة لرحيلهم.

الشرط ٤

كل فرد من أفراد الجيش الفرنسى أو الملحقين به من العسكريين والمدنيين وكذلك أفراد الجنود على اختلاف أجناسهم وبلدانهم وأديانهم ممن كانوا بمصر قبل مجيء الحملة الفرنسية يستبقون ممتلكاتهم وأمتعتهم وأوراقهم بحيث لا يسوغ فحصها وتفتيشها.

الجواب: مقبول، بشرط ألا يأخذوا شيئاً من أملاك حكومة الجمهورية الفرنسية عدا المنقولات والأمتعة والأشياء الأخرى ملك الفرنسيين والتابعين لهم ممن اشتغلوا فى خدمة الجيش الفرنسى مدة ستة أشهر وكذلك الأشخاص الملحقون بخدمة الجيش الفرنسى فى الوظائف المدنية والعسكرية على اختلاف أجناسهم وبلدانهم وأديانهم.

الشرط ٥

تنزل القوات الفرنسية ومن يتبعها من الأشخاص المشار إليهم فى البند السابق إلى السفن فى ثغر الإسكندرية بين ٥و١٠ من شهر فاندمبير من السنة العاشرة للجمهورية (من٢٧ سبتمبر إلى ٢ أكتوبر سنة ١٨٠١) على الأكثر بأسلحتهم وذخائرهم وأمتعتهم ومنقولاتهم وجميع ما يمتلكونه من الأوراق الرسمية والودائع، ويلحق بكل طابور وسرية مدفع من مدافع الميدان

وذخيرته، وتقلع السفن بكل ذلك إلى ميناء فرنسية بالبحر المتوسط يعينها قائد الجيش الفرنسي.

الجواب: ينزل الجنود الفرنسيون ومن يتبعهم من الجنود والأشخاص المشار إليهم فى البند الرابع إلى السفن من ثغر الإسكندرية إلا إذا تم الاتفاق الودى على إقلاع جزء منهم من أبو قير، ويكون نزولهم إلى السفن عقب إعداد السفن لهم، وتتعهد دول الحلفاء بنقل الجنود فى عشرة أيام بعد التوقيع على معاهدة التسليم إذا أمكن ذلك، ويؤدى إلى الجيش الفرنسى الاحترام العسكرى، ويأخذ معه أسلحته وأمتعته ولا يعتبر أفراده أسرى حرب، ويأخذ معه كذلك عشرة مدافع من عيار ٤ بوصات ومن الذخيرة ثمانى طلقات أو عشر لكل مدفع إلى أحد الثغور الفرنسية بالبحر المتوسط.

الشرط ٦

تقلع السفن الحربية الفرنسية كاملة الأسلحة مع الجيش الفرنسى وكذلك السفن التجارية مهما اختلفت جنسية أصحابها ولو كانوا من رعايا الدول المعادية للحلفاء أو كانوا من التجار أو البحارة التابعين لدول الحلفاء قبل مجىء الحملة الفرنسية بحيث تعاد السفن الحربية إلى الحكومة الفرنسية وتعاد السفن التجارية لأصحابها.

الجواب: مرفوض وتسلم جميع السفن إلى الحلفاء بالحالة التى هى عليها.

الشرط ٧

كل سفينة فرنسية تصل الإسكندرية ابتداء من اليوم لغاية ٣٠ فركتيدور (١٧ سبتمبر) قادمة من ثغور فرنسا أو حلفائها تسرى عليها أحكام هذه المعاهدة، والسفن الحربية أو التجارية التابعة لفرنسا أو حلفائها التى تصل فى مدة العشرين يوماً التالية للجلاء عن المدينة لا تعتبر غنيمة حربية بل يطلق سراحها هى وركبها وحمولتها وتعطى جواز مرور من الحلفاء.

الجواب مرفوض.

الشرط ٨

الجنود الفرنسيون والموظفون العسكريون والمدنيون التابعون للجيش وجميع الأشخاص المنوه عنهم فى البنود السابقة يبحرون على ظهر السفن الفرنسية الراسية فى ثغر الإسكندرية إذا كانت صالحة للسفر أو على السفن الإنجليزية أو التركية المحددة بالبند الخامس.

الجواب : يختار الأميرال الإنجليزى ما يشاء من هذه السفن.

الشرط ٩

يعين مندوبون من الجانبين لوضع نظام النقل من جهة عدد السفن اللازمة، ومقدار حمولتها من الرجال وبالجملة تسوية كل ما يمكن أن ينشأ من الصعوبات فى تنفيذ هذه المعاهدة ويعهد إلى هؤلاء المندوبين تحديد مواقع السفن الموجودة فى الميناء والسفن التى يقدمها الحلفاء بحيث تكون الوسائل التى تتبع كافية لمنع وقوع أى نزاع بين البحارة المختلفة أجناسهم.

الجواب: كل هذه التفاصيل تعهد تسويتها إلى الأميرال الإنجليزى وإلى ضابط بحرى فرنسى. يختاره القائد العام للجيش الفرنسى.

الشرط ١٠

التجار وأصحاب السفن على اختلاف أجناسهم وأديانهم وكل من يرغب من سكان مصر أو من رعايا البلاد المقيمين الآن فى الاسكندرية كالسوريين والاقباط والعرب واليهود إلخ فى مصاحبة الجيش الفرنسى فى رحيله يركبون السفن مع الجنود الفرنسية وتسرى عليهم المزايا المقررة للجيش الفرنسى ولهم الحق فى أن يأخذوا معهم ما شاءوا من أموالهم من أى نوع كانت وأن يوكلوا من شاءوا فى التصرف فيما لا يستطيعون نقله وتحترم تصرفاتهم ومعاملاتهم والعقود الصادرة منهم بشأن ممتلكاتهم ويضمن قوات الحلفاء نفاذها، والذين يفضلون منهم البقاء فى مصر فترة من الزمن لتسوية معاملاتهم يسمح لهم بذلك ويكونون مشمولين بحماية الحلفاء، أما الذين يؤثرون الإقامة فى مصر إلى ما شاء الله فيتمتعون بكافة الحقوق والمزايا التى كانت لهم قبل الحملة الفرنسية.

الجواب: جميع المتاجر التى توجد فى الإسكندرية أو على ظهر السفن الراسية فى الميناء تسلم مؤقتاً إلى الحلفاء إلى أن يبت فى شأنها طبقاً للقواعد المرعية ولأحكام القوانين المتبعة بين الدول ولمن يشاء من الأفراد أن يصحبوا الجيش الفرنسى أو يبقوا فى مصر فى أمن وطمأنينة.

الشرط ١١

لا يضارّ من سكان مصر أو من رعايا أمة أخرى مهما كان مذهبه بسبب مسلكه مدة الاحتلال الفرنسى وخاصة لمحاربته فى صفوفهم أو استخدامهم إياه.

الجواب : مقبول.

الشرط ١٢

مؤونة الجنود والملحقين به فى البحر لغاية الوصول إلى فرنسا تكون على نفقة الحلفاء وطبقاً للوائح البحرية الفرنسية وعلى الحلفاء أن يقدموا كل ما يلزم لتسهيل النزول إلى السفن.

الجواب : مؤونة الجنود ومن يركب السفن معهم تكون على حساب الحلفاء لغاية بلوغهم فرنسا وتتبع فى ذلك القواعد المرعية فى البحرية البريطانية.

الشرط ١٣

القناصل والممثلون للدول المتحالفة مع فرنسا وكذلك الموظفون القنصليون التابعون لتلك الدول يستمر تمتعهم بالمزايا والحقوق المخولة لموظفى السلك السياسى طبقاً للقواعد المتبعة بين الدول المتمدنة وتكون أملاكهم ومنقولاتهم وأوراقهم موضع الرعاية والاحترام فى كفالة دول الحلفاء ولهم الحرية فى أن يرحلوا أو يبقوا فى البلاد كما يشاءون.

الجواب: للقناصل ولباقى الموظفين القنصلين التابعين لحلفاء الجمهورية أن يرحلوا أو يبقوا فى البلاد حسبما يرغبون وتحفظ لهم أملاكهم ومنقولاتهم على اختلاف أنواعها ، وكذلك أوراقهم ماداموا يسيرون سيرة صادقة ويتبعون القواعد المقررة فى القانون الدولى.

الشرط ١٤

المرضى الذين تقرر اللجان الصحية للجيش أن فى استطاعتهم السفر يركبون السفن مع باقى الجنود، وتخصص لهم سفن مستشفيات تتوافر فيها الأدوية الكافية والأغذية وكل ما يلزم للمرضى

ويتبعهم صيدليون فرنسيون، أما المرضى الذين لا تسمح حالتهم بالسفر فيبقون فى رعاية دول الحلفاء، وعنايتهم ويبقى معهم بعض الأطباء الفرنسيين، وتخصص لهم رسائل العناية الكافية وتكون نفقاتهم على حساب دول الحلفاء، وعلى هذه الدول أن تبعث بهم إلى فرنسا عندما تسمح لهم صحتهم بالسفر، ولهم أن يأخذوا معهم كل ما يملكون من المنقولات طبقاً للقاعدة المتبعة بالنسبة لباقى الجنود.

الجواب : مقبول وتعد بعض السفن لتكون مستشفيات ينتقل إليها الجنود الذين يطرأ عليهم المرض فى مدة السفر وعلى اللجان الصحية لجيوش الطرفين أن تتفق على الوسائل الواجب اتخاذها بالنسبة للمرضى المصابين بأمراض معدية بحيث يمنع اتصالهم بباقى الجنود.

الشرط ١٥

تخصص بعض سفن النقل لحمل الخيول بحيث تسع كل سفينة ستين جواداً والعلف الكافى لهذه الجياد مدة السفر.

الجواب: مقبول.

الشرط ١٦

يحق لأعضاء المجمع العلمى المصرى ولجنة العلوم والفنون أن يأخذوا معهم جميع الأوراق والرسوم والمذكرات ومجاميع التاريخ الطبيعى وجميع آثار الفنون والعاديات القديمة التى جمعوها فى مصر.

الجواب : أعضاء المجمع لهم أن يأخذوا معهم جميع الآلات الفنية والعلمية التى جاءوا بها من فرنسا، ولكن المخطوطات العربية والتماثيل وباقى المجاميع التى جمعت للجمهورية الفرنسية تعتبر من الأملاك العامة ومن ثم تسلم لقواد الحلفاء.

(وقد اعترض الجنرال منو على هذا التعديل ولكن الجنرال هوب صرح أنه لا يمكن العدول عنه واتفق القائدان على عرض الأمر على القائد العام للجيش الإنجليزى).

الشرط ١٧

مراكب النقل التى ستخصص لنقل الجيش الفرنسى ومن يتبعه تسير بحراسة السفن الحربية التابعة للحلفاء وتتعهد هذه الدول أن لا تضار هذه المراكب مدة سفرها، أما المراكب التى قد تنفصل عن عمارة النقل بفعل العواصف أو لأى حادثة ما فعلى قواد الحلفاء أن يضمنوا سلامتها، وعلى المراكب التى تنقل الجيش الفرنسى ألا ترسوا بأى شاطىء غير شواطىء فرنسا ما لم تقض بذلك الضرورة القصوى.

الجواب: مقبول، وعلى القائد العام للجيش الفرنسى أن يتعهد من ناحيته أن لا تضارّ أى سفينة من سفن الحلفاء أثناء إقامتها فى فرنسا أو فى عودتها وأن تتزود فى فرنسا بكل ما يلزمها طبقاً للعرف التجارى بين الدول الأوروبية.

الشرط ١٨

عندما تسلم القلاع والاستحكامات طبقاً لنص الشرط الثالث يصير إطلاق سراح الأسرى من الجانبين.

الجواب : مقبول.

الشرط ١٩

يعين مندبون لتسلم المواقع الموجودة فى المدينة والقلاع وكذلك الذخائر والمخازن والمدافع والأشياء

الأخرى التى تترك للحلفاء وتحرر قوائم بكل ذلك يوقع عليها مندوبون من الطرفين كما يجرى تسليم القلاع والمخازن للحلفاء.

الجواب: مقبول ، وعلى الفرنسيون تسليم الخرط المحتوية على تخطيط مواقع الإسكندرية وقلاعها وتخطيط مدن القطر المصرى إلى المندوبين الإنجليز، وتسلم البطاريات والثكنات والمبانى العامة الأخرى بالحالة التى هى عليها الآن.

الشرط ٢٠

يعطى جواز سفر لسفينة حربية فرنسية تبحر إلى طولون بعد تسليم المدينة وقلاعها تقل الضباط الذين يعهد إليهم القائد العام للجيش الفرنسى إبلاغ نبأ هذه المعاهدة إلى الحكومة الفرنسية.

الجواب : مقبول ولكن إذا كانت السفينة فرنسية فلا تكون مسلحة.

الشرط ٢١

عند تسليم القلاع والاستحكامات المنوه عنها فى المواد السابقة يجرى تبادل الرهائن من الجانبين لضمان تنفيذ هذه المعاهدة ويختارون من بين ضباط الجيش من مرتبة واحدة بحيث يكون عددهم أربعة من ضباط الجيش الفرنسى واثنين من ضباط الجيش الإنجليزى واثنين من الجيش التركى وينزل الضباط الإنجلير والترك بإحدى السفن المقلة للقائد العام أو نواب القائد العام للجيش الفرنسى، ويجرى تبادل أولئك الضباط عند وصولهم إلى فرنسا.

الجواب: يسلم القائد العام للجيش الفرنسى أربعة ضباط كرهائن أحدهم من ضباط البحرية الإنجليزية والثانى من الجيش الإنجليزى والثالث والرابع من الجيش التركى وعلى القائد العام للجيش الفرنسى أن يسلم قائد الجيش الإنجليزى أربعة ضباط من مرتبة الضباط المذكورين وتسلم الرهائن وقت نزول الجنود إلى السفن.

الشرط ٢٢

إذا قام أى خلاف أثناء تنفيذ هذه المعاهدة فيحسم بالطرق الودية على يد مندوبين من الطرفين.

الجواب: مقبول.

**توقيعات: هلي هتشنسون لفتننت جنرال قائد عام، حسين قبطان باشا، عبدا جاك فرنسوا منو القائد العام للجيش الفرنسي، جمس كمت Kempt لفتننت كولونل وسكرتير.**

* * *



# ملحق رقم (٢٣)
# الجبرتى والفرنسيس

فوجىء الجبرتى، مثل سكان مصر على اختلاف طوائفهم، بقدوم الحملة الفرنسية الفرنسى. فلم يكن لدى أحد منهم صورة واضحة عن الأحوال السياسية والحضارية السائدة فى أوربا فى ذلك الوقت، ولم يختلف أمراء المماليك فى ذلك عن عامة الناس، برغم أن شئون الحكم كانت تقتضى منهم التعرف على أحوال العالم الخارجى . ولا أدل على ذلك من التعليق الذى صرح به مراد بك عند سماعه بنزول الفرنسيين الى الاسكندرية ، فقال ما معناه: «لا ينبغى أن نخاف شيئا وسنطأ الفرنسيين بسنابك الخيل» . كذلك يمكن استنتاج تلك الصورة المشوشة عن الفرنسيين من طريقة تعريف الشيخ عبد الله الشرقاوى بهم، حيث يقول : «وحقيقة حال الفرنساوية الذين حضروا الى مصر أنهم من الفلاسفة الاباحية الطبائعية، يقال لهم نصارى قاثولقية يتبعون عيسى عليه السلام ظاهرا وينكرون البعث والدار الاخرة» .

وقد يتساءل المرء كيف انعدمت معرفة المصريين بالأوربيين فى حين أن التجار الأجانب كانوا نشيطين فى القاهرة، لدرجة أن الحجة التى كان يرددها بونابرت فى منشوراته لتبرير الحملة، استندت إلى أنها جاءت لانقاذ التجار الفرنسيين من ظلم المماليك لهم. والواقع أن التجار الأوروبيين فضلا عن قلة عددهم - عاشوا بمعزل عن المجتمع الاسلامى، بل كانوا يتزيون بزى الاتراك.

كما أن اختلاف الدين كان يقف حينئذ حاجزا فى سبيل الاختلاط الاجتماعى أو الثقافى.

ولا شك أن المجهول يثير دائما الشعور بالخوف، ولهذا فقد ذعر أهل القاهرة ذعرا شديدا حينما علموا بأن القاهرة ستستباح، كما كانت تستباح المدن فى الماضى وعلى يد العثملية، وأن الناس سوف يؤخذون أسرى أو أرقاء. ويبدو أن المنشور الذى وزعه بونابرت لم يحدث الأثر المرجو منه. وهو طمأنينة الناس، أما بسبب انتشار الأمية، أو لأن أسلوبه كان غامضا لاختلاف المفاهيم المتداولة، أو لأن الناس لم يقتنعوا بأن الفرنسيين (يحبون المسلمين) . وسيعبر الجبرتى أصدق تعبير عن هذا التشكك فى الوعود والأفكار التى تضمنها المنشور. ولم يختلف مؤرخنا عن عامة الناس فى الشعور بهذا الذعر، فغادر مع الذين غادروا القاهرة، وذهب هو الى مزرعته فى ابيار قرب كفر الشيخ ، ولم يلبث أن عاد مع معظم السكان، عندما تبينوا أن الفرنسيين لم يصيبوا الناس فى أرواحهم أو أموالهم. وعلى العكس، يسجل الجبرتى أعمال السلب والنهب التى تعرض لها النازحون من القاهرة، ويصف كيف استغل العرب هذه الفرصة ليسطوا على كل ما وقع فى أيديهم، حتى فى مواقع قريبة من المدينة، وقد كان الأمن الذى أحس به المصريون فرصة للانفتاح على الوافدين الجدد، والاحتكاك بهم ، لولا أن ثورة القاهرة التى هبت بعد أقل من ثلاثة أشهر جعلت كل فريق يتحفظ من الآخر ويتشكك فى نواياه.

ورغم ذلك، فان الجبرتى لم ينقطع طوال مكوث الفرنسيين فى مصر عن تسجيل أعمالهم، بل لعله كان من أكثر علماء الأزهر دقة فى ملاحظته لعادات الفرنسيين وطرائفهم فى الحياة اليومية.

وفى رأينا أن تصويره للجانب الاجتماعى من الحملة الفرنسية يفضل كثيرا فهمه للجوانب السياسية، وخاصة اذا كانت تتعلق بالعالم الخارجى، كما أن الملاحظات الاجتماعية تشكل أكثر الموضوعات طرافة فى كتابى «عجايب الآثار» و «مظهر التقديس» ، نظرا إلى أن مؤرخى العصر لم يهتموا بتسجيل هذه النواحى ، لذا رأينا أن نقسم بحثنا إلى قسمين : الأول : يدور حول مواقف الجبرتى من الأحداث السياسية التى اقترنت بالحملة الفرنسية. ويختص القسم الثانى: بملاحظته عن الحياة الاجتماعية ومدى فهمه لها، والأسباب التى حالت دون احتكاك ثقافى أكثر عمقا بين الفرنسيين وسكان مصر.

أن أول موقف يمكن تسجيله للجبرتى من الحملة ، يتضح من تعليقاته على المنشور الذى وزعه بونابرت على نطاق واسع محاولا أن يقنع بواسطته المصريين أن الفرنسيين أتوا لتخليص البلاد من حكم المماليك الجائر، وفى الوقت نفسه تظاهر المنشور بصداقة الفرنسيين للسلطان العثمانى، وأنهم يعملون على تحقيق العدل والمساواة بين السكان. ولعل أكثر الموضوعات التى أثارت تشكك الجبرتى فى الفرنسيين، هى ادعاؤهم بأنهم مسلمون أو محبون للاسلام، وقد كانت حجة المنشور فى ذلك، هى أن الفرنسيين قبل مجيئهم الى مصر شنوا حملة على مملكة البابا فى روما، تلك المملكة التى كثيرا ما حثت الدول الأوروبية - وفرسان مالطة على وجه الخصوص - لشن الحرب على المسلمين وحملهم أسرى الى الجزيرة وقد أطلق الفرنسيون هؤلاء الأسرى عند نزولهم فى مالطة فى الطريق الى مصر.

وهذه الوقائع صحيحة كما هو معروف، وهى ترجع الى أن أثر الفكر العلمانى الذى خلفته الثورة الفرنسية كان لا يزال قويا، ولذلك لم تصطبغ الحملة الفرنسية بصبغة دينية، بخلاف ما سيحدث عند غزو الجزائر فى ١٨٣٠ ، حينما يعتبر نجاح الحملة فى ذلك الوقت انتصارا للمسيحية على الاسلام، نظرا للطابع الكاثوليكى الذى ساد حكومة شارل العاشر. وتمشيا مع هذه الروح العلمانية، لم تصطحب حملة بونابرت معها رجال دين.

ولكن ذلك كله لم يكن ليؤثر فى المصريين، لأن القضية ليست مجرد موقف دينى، بل أن الاختلاف التام فى التراث الحضارى والعادات والتقاليد، جعل من المستحيل على المصريين أن يثقوا أن الفرنسيين مسلمون.

وقد تعجب الجبرتى من تضمن المنشور لعبارة «لا اله الا الله لاولد له» لأنه يعلم أن الفرنسيين يدينون بالمسيحية، وان المسيحيين يقولون ببنوة المسيح. ولم ينخدع صاحبنا بادعاء التحالف مع الدولة العثمانية أيضا. فانتهز أول فرصة - وذلك عند خلع الفرنسيين لقاضى القضاة التركى -ليثبت كيف أن هؤلاء هم خصوم الدولة العثمانية. وأكثر من ذلك فانه لا يتقبل فكرة التسوية التى تحدث عنها المنشور، يقول وأن الله قد خلق الناس بعضهم فوق بعض درجات ، ومضى فى التعليق على المنشور بقوله : «باسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك فى ملكه»

فى ذكر هذه الجمل الثلاث اشارة الى انهم موافقون الى الملل الثلاث، ومخالفون لهم بل

وبجميع الملل، موافقون للمسلمين في ذكر التسمية ، ونفي الولد والشريك، ومخالفون لهم في عدم الاتيان بالشهادتين وصحة الرسالة ، ورفض الأقوال والأفعال الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة. وموافقون للنصارى في غالب أقوالهم وأفعالهم، ومخالفون لهم في القول بالتثليث وجحد الرسالة أيضا ورفض ديانتهم وقتل القسوس، وهدم الكنائس ، وموافقون لليهود في التوحيد، فان التوحيد لا يقوله اليهود بالتثليث، وانما هم مجسمه مخالفون لهم في ديانتهم ، والذى تحرر من عقايدهم انهم لا يتفقون على دين، ولا يتفقون على ملة، فكل واحد منهم ينحو دينا، يخترعه بتحسين عقله ومنهم الباقى على نصرانيته المتكتم لها، وفيهم فرق اليهود الحقيقيين، ولكن كل ذى دين فهو سائر مصر عليه، موافق للجمهور في ضلالهم المصريين عليه.

يلاحظ اذن أن الحوار في الشئون الدينية يشغل اهتمام صاحبنا أكثر من أى شيء آخر، علما بأن المنشور تضمن كثيرا من الأفكار التى كانت تستحق المناقشة، فالمؤلف لا يدافع عن المماليك - كما سيفعل عندما يتناول عصر محمد على - والأرجح أن معلومات الجبرتى عن بابوية روما وفرسان مالطة، تكاد تكون منعدمة، ولهذا السبب نفسه لم يقدم للحملة الفرنسية بذكر شيء عن خط سيرها، أو معلومات عن البلاد التى خرجت منها، وهو يختلف في ذلك عن كاتب آخر معاصر هو نقولا الترك، اذ قدم مذكراته عن الحملة (انظر هذه المذكرات في ملاحق آخر الكتاب) الفرنساوية بلمحة سريعة عن التطورات التى حدثت في فرنسا من الثورة الى قيام الحملة. وغلبة الفكر الدينى ظاهرة عامة لا ينفرد بها الجبرتى، وهى تبرز مرة أخرى عندما يعلق مؤرخنا على نهاية حوادث سنة ١٢١٣، فيذكر أن من أشنع ما حدث في ذلك العام هو انقطاع الحج، فهو أخطر في نظره من احتلال مصر. وقد عرف الفرنسيون سيطرة الفكر الدينى على الناس، ولذلك حرصوا على أن يضمنوا المناشير - التى كانوا يوزعونها في كل مناسبة بقصد اقرار الأمن - آيات قرآنية وعبارات دينية أخرى تحض على الاستسلام للقضاء والقدر.

ولا يقتصر هذا الاسلوب المحافظ في معالجة القضايا المحلية، بل نرى صاحبنا حين يتحدث عن احتفال الفرنسيس بذكرى قيام الجمهورية - يستنكر عليهم قتل سلطانهم ، فيقول : « وسبب هذا العيد أنهم لما قتلوا سلطانهم وظهرت بدعتهم التى ابتكروها وخرجوا بها عن الطرايق والملل جعلوا ذلك اليوم عيداً وتاريخا».

**كيف واجه الجبرتى مشروع اقامة ديوان في مصر؟** من المعروف أن الديوان كان ينقسم الى قسمين: الديوان الخصوصي ويتألف من بعض كبار المشايخ، والديوان العمومي ويتألف من أصحاب الحرف والتجار، وتمثل فيه الطوائف الدينية غير الإسلامية. وكان من المفترض أن يرحب الجبرتى باشراك العلماء في السلطة، غير أنه توجس خيفة من أن يكون الهدف هو اصدار التشريع حسب العقل البشرى، ولكنه يضيف ان استشارة العلماء كانت بها رحمة بالمصريين. أما وجه الاعتراض الثانى على الديوان، فهو أن السوقة لا تهاب هذه الطبقة. فبعد أن تحدث عن دعوة الفرنسيين للمشايخ لتكوين الديوان ، روى كيف أن هؤلاء

عرفوا الفرنسيين «ان سوقة مصر لا يخافون الا من الآتراك [المماليك] ولا يحكمهم سواهم وهؤلاء المذكرون من بقايا البيوت القديمة».

ولا نكاد نلمس في كتابات الجبرتي صورة لنشاط ديوان المشايخ، وربما يرجع ذلك الى أنه كان مجرد ديوان استشارى، وليس هيئة نيابية أو حتى نواة لهذه الهيئة ، كما صور ذلك بعض الكتاب المحدثين، وربما يرجع السبب أيضا الى أن هذا الديوان قد توقف بعد ثورة القاهرة الأولى. وعلى العكس نجد صاحبنا يسجل الاجراءات الإدارية والقضائية والقضايا التجارية ومسألة الضرائب، وهى أمور كان يختص بها الديوان الثانى، وفى اعتقادنا أن الجبرتى وقف موقفا عدائيا من كل هذه الاجراءات ، لأنه بحكم تكوينه الثقافى وانتمائه الاجتماعى الى طبقة الملتزمين، كان يبغض تدخل الادارة فى حياة الناس اليومية عامة والاقتصادية بصفة خاصة، وهذا ما يجعله معاديا لأية ادارة عصرية، كما يتضح ذلك من موقفه ازاء اجراءات محمد علي.

على أنه يجب الاعتراف من جهة أخرى، بأن قيادة الحملة أخذت ترهق الأهالى بالضرائب والغرامات، منذ أن تحطم الأسطول الفرنسى فى أبو قير وانقطعت الصلة بفرنسا، فاعتمدت الحملة على موارد محلية، ومن ثم فقد نشأت أسباب فعلية للسخط.

ومهما قيل عن اعجاب الجبرتى بالفرنسيين فى بعض المجالات، فانه ظل من الناحية السياسية يسلم بشرعية الحكم العثمانى المملوكى، فهو يستخدم أحيانا وصف المسلمين للدلالة على الجيوش العثمانية التى قدمت من الشام، أو التى نزلت فى أبو قير. كما يعبر عما أصاب المصريين من حزن كلما سمعوا عن انتصارات الفرنسيس ابان مسيرة بونابرت نحو الشام. ثم اشتد حزنهم حينما رأوا الأسرى العثمانيين الذين أخذوا فى موقعة أبى قير البرية وطوف بهم فى شوارع القاهرة. ولعل هذا من بين الأسباب التى جعلت صاحبنا يغفل دور الانجليز فى فك حصار عكا. وان كنا لا نستطيع الجزم بهذا الرأى، فمن المحتمل جدا أن تكون قلة الدراية بالشئون الخارجية هى سبب هذا الاغفال.

ومما ساعد على ضعف هذه الدراية، أن الفرنسيين أنفسهم حرصوا على تكتم جميع الأخبار التى تشير الى هزائمهم فى الخارج، الا أنه كان من الصعب اخفاء هزيمة بونابرت أمام عكا، لذلك لم يكن بوسع المصريين سوى اظهار السرور عند رؤية الجيش الفرنسى يرتد الى مصر مدحورا، وكثر الحديث فى هذا الشأن بين العامة، فوزع الفرنسيون منشورات تحذر المصريين من الخوض فى هذا الموضوع وإلا تعرضوا لأشد العقوبات.

ومما يؤكد تسليم الجبرتى بشرعية الحكم العثمانى، أنه شارك فى استنكار تولية بونابرته للشيخ أحمد العريشى فى منصب قاضى قضاة مصر . ولم يقتنع بحجة بونابرت بأنه من الأفضل اختيار أحد الوطنيين العارفين باللغة العربية، وأدرك بحصافته كيف أن القضية لا تعنى تمصير الوظائف بقدر ما ترمز الى تأكيد السيادة الفرنسية، اذ تمسك بونابرت بأن يصدر بنفسه قرار تعيين العريشى فى المنصب الجديد. وفى ذلك يقول «فلما انفسحت له - يعنى بونابرت - المدة وخفت عنه الشدة وعدم المعارضة وصار جواد فساده بأرض مصر راكضا أظهر العداوة للدولة العلية أبقاها الله بعد كتمانها» وكان ذلك تعليقا على قول بونابرت

«وكذلك مرادى أن حضرة الشيخ العريشى الذى اخترتموه جميعا أن يكون لابسا من عندى وجالسا من عندى».

ولا يتناقض هذا الموقف فى رأينا مع الحكم السيىء الذى اشتهر به الجبرتى ازاء الذين قاموا بثورتى القاهرة ضد الفرنسيين، فالذى يأخذه هو عدم الاستعداد وافتقاده القيادة واندساس جماعات السلب والنهب بينهم، وهو يرى أن من يريد أن يتصدى بالثورة، فعليه أن يكون مثل التاجر الذى لا يخاطر بالمعركة الا اذا تأكد من الكسب.

لم يقتنع الشيخ عبد الرحمن بتظاهر بونابرت بالاسلام، ولكن يبدو أنه كان أقل بغضا له منه لخلفه كليبر، فقد ذكر عن هذا الأخير أنه أقل بشاشة فى وجوه المصريين. ولما حل مينو فى قيادة الحملة وفتح الباب على مصراعيه لاحتكاك أقوى بين المصريين والفرنسيين، وأمام أجهزة الحكم الوطنى، سار الجبرتى فى هذا التيار، واختير عضوا فى الديوان الجديد، مع صديقه الشيخ اسماعيل الخشاب الذى عين كاتبا أو سكرتيرا للديوان. ولاشك أن بروز مؤرخنا الى مسرح القيادة العليا قد أتاح له فرصة للتعرف على أحوال الفرنسيين بصورة أدق، ولذا سنجده يتطرق الى بعض الأحداث الدولية التى وقعت أثناء عضويته فى الديوان، بخلاف الفترة السابقة. الا أنه قبل أن نصل الى هذه النقطة، ينبغى أن نتساءل : لماذا اختار الفرنسيون الجبرتى كأحد الأعضاء التسعة الذين كونوا الديوان، هل كان ذلك لما عرفوه عنه من انتقاد للقائمين بالفتنة فى القاهرة؟ أم لأنه كانت له صلات شخصية ببعض قادة الفرنسيين؟.

يلاحظ أن الجبرتى لم يسجل فى أى من كتابيه وقائع تدلل على أنه اتصل بشخصيات فرنسية، وهو يختلف فى ذلك مثلا عن الشيخ حسن العطار، الذى تغزل فى بعض أشعاره بأصدقائه من الفرنسيين، ويسجل الجبرتى على العكس من ذلك أن بونابرت ،وكليبر كانا يترددان على بيوت الشرقاوى والسادات «والتعشى عندهم»، ونجده على العكس يتحاشى أى ذكر لصلات نشأت بينه وبين الفرنسيين، حتى انه حين عدد أسماء أعضاء الديوان لم يذكر اسمه نصا، بل قال : «وكاتبه»، مما يوحى بنوع من الاحساس بالحرج، كما أنه تجنب الاشارة الى أى موقف اتخذه فى المناقشات التى دارت فى الديوان والتى روى طرفا منها.

ولذا فنحن نرجح أن يكون الفرنسيون قد اختاروه بعد أن عرفوا رأيه فى استنكار الفتن. والواقع أن الجبرتى لم يكن منفردا بين شيوخ الأزهر بهذا الموقف، فالكثيرون كانوا مقتنعين بأن المداراة هى خير أسلوب يتبع من الغزاة الذين لا قبل للمسلمين بمحاربتهم. وكان بونابرت يعرف عن معظمهم هذه الحقيقة، ولذلك فانه عند مغادرته مصر قال فى تعليماته : «واستوصوا بالمشايخ خيرا فانهم أناس متعصبون لكنهم هيابون».

ومن هذا المنطلق أيضا، يمكن معرفة السبب الذى وجهت من أجله رسالة هامة الى بونابرت ، بمناسبة توليه القنصلية ، وقد بعث بها أعضاء الديوان – وكان الجبرتى أحد الموقعين عليها – فيغتنم الأعضاء هذه الفرصة ليؤكدوا ولاءهم، واستعدادهم لربط مصر مع فرنسا بشكل ما من أنواع الارتباط، دون أن يدركوا بطبيعة الحال المفاهيم التى نعرفها الآن عن النظم الاتحادية. لذا

قد يكون من المفيد نقل بعض فقرات هذه الرسالة على علاتها:

« ونحن اذا قلنا ان المصريين يؤلفون مع الفرنسيون أمة واحدة لأصبنا فى هذا القول كبد الحقيقة ويرجع الفضل فى توثيق عرى هذا لاتحاد يوما بعد يوم الى ما أبداه من عناية فائقة بأمر هذا التآلف صديقنا عبدالله منو صاحب الصيت الذائع والمقام الرفيع الذى حباه المولى بالحكم وسداد الرأى. رعاه الله بعين عنايته وأثابه خيرا على ما يفيض به من رأفة وحنان». وشكر العلماء المولى سبحانه وتعالى الذى ألهم بونابرت اختيار عبد الله منو حاكما على مصر، ثم قالوا فى ختام رسالتهم : «ونحن انما نطلب اليكم ألا تغفلوا أمر مصر فيسدل النسيان عليها حجابا ذلك أن مصر هى بلادكم ولا شك فى أن شرف عاصمتها هو شرفكم وأما أهلها فهم يكنون لكم كل محبة وتقدير ويترقبون عودتكم اليهم بفارغ الصبر، ان الدين الاسلامى الذى ظفر بتقديركم ليدعوكم الى المجىء الى هذه البلاد مرة أخرى ولقد وعدتم أنتم بذلك فلا تخلفوا وعدكم ولن يطول الأمر على تمام الاتحاد بين الأمتين فلا مناص عن حدوث ذلك فى يوم قريب وأن هذا اليوم آت لا ريب فيه لأن المولى عز وجل قد أدرك ذلك ولا مناص عن تنفيذ إرادته».

ورد نص هذه الرسالة فى الصحيفة التى كانت تصدرها قيادة الحملة باسم بريد مصر. ورغم أن الجبرتى اشترك فى توقيعها كما ذكرنا فاننا لا نجد للرسالة أثرا فى حولياته. وعلى العكس، يسجل بعض المناقشات التى دارت فى الديوان بعد ذلك، ويتضح منها كيف أن مشايخ الأزهر صاروا أكثر تقبلا للاجراءات الفرنسية عن ذى قبل، ولعل ذلك من أثر طول المعايشة. فمثلا، حينما طلب الى أعضاء الديوان تخصيص سجل للوفيات، اقترحوا اضافة سجل للمواليد والزيجات أيضا، لأن ذلك يساعد على ضبط المواريث والعدة للمطلقات، مما يتمشى مع عادات البلاد وتقاليدها التى تأبى ترك النساء الأرامل بدون زواج جديد.

وفى الحقبة الأخيرة من وجود الفرنسيين بمصر، ونتيجة لتحرج مركزهم ، صاروا يعرضون على الديوان تطور الأحداث فى أوروبا ، فبمناسبة إطلاق بعض المدافع فى القاهرة سأل الأعضاء عن السبب، فقيل لهم: إن ذلك احتفال بمناسبة انتصار فرنسا على النمسا، وعقد الصلح مع الملوك باستثناء الانجليز.

ويبدو أن فوربيه وكيل الديوان الذى أبلغ الأعضاء بذلك - انما كان يشير الى صلح لونوفيل مع النمسا، والذى أعقب معركة مارنجو. ولكن الى أى مدى كانت لدى المشايخ تصورات واضحة عن هذه الأمور ؟ أن الجبرتى فى رواية هذه الحادثة، يعترف بأنه قد استغلق عليه فهمها، ويعزو ذلك الى ضعف المترجم، فهو يقول: «لكن يسركم أن جمهور المنصور غلب فى أقاليم الروم جميع أعداه وبعون الله تعالى هادى كل شى سيغلب كذلك العدا فى مصر واعتمدوا بأكثر الاعتماد على الستويان جيرار هذا الذى وضعناه قربكم».

ولاشك أن صاحبنا قد وجد صعوبة - مثلا - فى فهم كلمة الستويان (أى المواطن، فهى كلمة ترتبط بحق المواطنة والمواطن فى الدولة الديموقراطية الحديثة التى ظهرت بشكل واضح مع الثورة الفرنسية وهى ضد كلمة (الرعية)التى تعتبر مرادفة لكلمة (العبيد) فى السلطنة العثمانية، التى

كانت تعتبر رعاياها عبيد احسانات سلطانها)، كما تعذر على المترجم ايجاد مرادف لها بالعربية.

ولما زاد موقف الفرنسين حرجا، أخذوا يوضحون أمام أعضاء الديوان لماذا تصر دول أوربا على محاربة فرنسا، فقالوا: ان السبب هو أن تلك الدول ترفض مبادىء الحرية والمساواة، وذكروا كيف أن فرنسا تقيم موازين العدل فى مصر، وذلك بجعل المشايخ «وسائط» أو ممثلين عن الشعب، فاذا زال الحكم الفرنسى فعلى المشايخ أن يواصلوا مهمتهم «من اللازم أنكم تعرفو جميع ما صدر لكم من الخيرات بواسطة حكم الفرنساوية وفى عشمى أنهم لم ينسوه ابدا.. والقرانات فى بلاد الغرب خافوا أن رعيتهم يقبلون حكم التسوية والحرية».

وكنوع من الدفاع عن النفس أخذ الفرنسيون يوعزون الى المصريين بأن وقف الأحوال راجع الى حصار الانجليز للطرق البحرية، لأنهم يريدون أن يستأثروا بالتجارة، فى حين أن الفرنساوية تعمل على «تسليك البحر».

ولكن الأوان قد فات، فقد جاءت أخبار نزول الانجليز بالاسكندرية وحصارهم لها، وترتب على ذلك أن قرر بليار حاكم القاهرة اعتقال أربعة من أبرز أعضاء الديوان فى القلعة على سبيل التحفظ. ومما هو جدير بالملاحظة، أن الجبرتى لم يكن من بين الأربعة المعتقلين، مما يجعلنا نتساءل: هل كان ولاؤه للفرنسيين موثوقا به أكثر من غيره؟.

واذا كان لنا أن نقيم مواقف الشيخ عبد الرحمن السياسية، فلابد وأن نأخذ فى الاعتبار أنه كاتب حوليات، وفى مثل هذه الظروف لابد وأن تتبدل مواقف الكاتب من سنة الى أخرى، بخلاف من يضع كتابا متكاملا دفعة واحدة، فيكون أكثر التزاما بموقف محدد، ومن هنا تأرجحت مواقف مؤرخنا بين المداراة والاعجاب ببعض النظم. ولكن مما لا شك فيه أن العاطفة الدينية تغلب عليه فى معظم الأحيان، ولذلك فهو يرحب بمقدم العثمانيين وخروج الفرنسيس، حتى اذا أخذ العهد يتباعد بهؤلاء، يعود الجبرتى فيتذكرهم بالخير، لأن أسباب الجفوة زالت. وهو ينقل على لسان الفلاحين تذكرهم بالأسف أيام الفرنسيين، خاصة إذا قارونها بكثرة المظالم العثمانية.

وفى حين نجد الجبرتى يعبر عن أسفه حين يذكر مغادرة الأسطول الانجليزى للاسكندرية قبيل وصول الحملة، اذا به يقلب الآية عند رواية الأحداث المتعلقة بحملة فريزر سنة ١٨٠٧، فبهذه المناسبة ينقل حوارا عن المشايخ يتضمن مفاضلة بين الفرنسيين والانجليز، ويخلص الى تفضيل الفريق الأول، ولا غرو فقد صار الفرنسيون فى هذه الحقبة حلفاء للعثمانيين. ويبدو أن الانجليز كانوا قد تظاهروا هم أيضا بالدفاع عن المصريين بالاتفاق مع بعض المماليك، فرد الجبرتى بقوله: «لا تصدقوا أقوالهم فى ذلك واذا تملكوا البلاد لا يبقون على أحد من المسلمين وحالهم ليس كحال الفرنساوية فان الفرنساوية لا يتدينون بدين ويقولون بالحرية والتسوية أما هؤلاء الانكليز فانهم نصارى على دينهم ولا تخفى عداوة الأديان ولا يصح الالتجاء اليهم.

هكذا لم تنقطع اهتمامات الجبرتى بالفرنسيين بعد خروجهم من مصر. وكانت تصله أخبار متقطعة عن حروب نابليون، فيسجلها أحياناً كما وصلت اليه، حتى أنه اشار الى اعتقاله فى جزيرة

البا الا أن هذه الأخبار المتقطعة لا تنطوى على أية دلالة بخلاف فترة الحملة.

## المواقف الاجتماعية والاحتكاك الثقافى

تتفاوت مواقف الجبرتى فى المجالات الاجتماعية والثقافية، بحيث تتراوح بين الاعجاب ببعض مظاهر السلوك، ولا سيما حب المعرفة، الى مواقف الانبهار بأشياء على ما لاحظه من تحرر فى العلاقات النسائية.

كذلك فان الصلات التى نشأت بين الفرنسيين وبين السكان تفاوتت حسب الانتماءات الدينية والطبقات الاجتماعية، وكانت أوثق هذه الصلات هى التى ربطت ما بين الفرنسيين من جهة، والمسيحيين الوافدين من الشام والجالية اليونانية من جهة أخرى، وهى الجالية التى يسميها الشيخ عبد الرحمن بالافرنج البلدين. ولا شك أن معرفة الكثيرين من هؤلاء باللغة الفرنسية سهل عملية الاتصال. واستخدمت الحملة أبناء هذه الطوائف للأعمال الادارية وأعمال الشرطة، بحيث صاروا حلقة اتصال بين الحملة وبين سكان الأصليين. ومع أن الأقباط تعاونوا أيضا مع الفرنسيين ، إلا أن صلاتهم الاجتماعية واحتكاكهم الثقافى كان أقل من الطائفتين الأوليين.

وفى رأينا أن رجال الأدب كانوا أقل تزمتا من علماء الأزهر، ولذلك خالطوا الفرنسيين دون تحفظ، كما يستنتج من حديث حسن العطار عن التقائه هو وصديقه اسماعيل الخشاب مع أصدقاء لهم من الفرنسيين، وخاصة المستعربين، وقد اعتادوا أن يعقدوا جلسات معا فى حى وجه البركة، ويبدو أن من الوسائل التى اتبعها الفرنسيون لاسترضاء المشايخ، تشجيع الموالد بل والتبرع لها، ولكن ذلك لايثير أى رد فعل حسن فى نفس صاحبنا لأنه سلفى النزعة، وسيبدى اعجابه فيما بعد بالحركة الوهابية، فى حين يستنكر الموالد وما يصحبها من بدع وأعمال المجون.

ويبدو أن الفرنسيين لم يتنبهوا الى أن علماء الأزهر ليسوا وحدهم أصحاب الزعامة الدينية، بل كان هناك رجال الطرق الصوفية أصحاب النفوذ الأقوى لدى جماهير الشعب، ولذلك لم يبذلوا أى مسعى للاقتراب من هذه الفئة.

وعندما يتاح لهم وقت أطول فى احتلال شمال افريقيا سيتجهون الى اجتذاب ود هذا الفريق من رجال الدين الاسلامى.

وعلى عكس تحفظ علماء الأزهر، أقبل أصحاب الحرف البسيطة يقدمون خدماتهم لجيش الاحتلال الذى كان يدفع نقدا ثمن ما يقدم له من خدمات أو بضائع ، ويندهش صاحبنا لنزاهة الفرنسيين فى المعاملات، كما يتعجب لانفاقهم بسخاء على وسائل التسلية، فيعطون الحمارين أجورا مجزية مقابل الطواف بهم بمدينة القاهرة لمشاهدة معالمها، ويعتبر الاقبال على أكل الفاكهة نوعا من الكماليات المترفة، مما يشير الى ما كان يعانيه الشعب من الحرمان.

ويدل وصفه للمطاعم التى أقيمت فى أثر مجىء الحملة الفرنسية على أن مجتمع القاهرة لم يكن يعرف شيئا عن نظام المطاعم الحديثة «فإذا مرت طائفة بذلك المكان تريد الأكل دخلوا الى ذلك المكان وهو يشتمل على عدة مجالس دون

وأعلى وعلى كل مجلس علامته ومقدار الدراهم التى يدفعها الداخل فيه فيدخلون الى ما يريدون من المجالس وفى وسطه دكة من الخشب وهى الخوان التى يوضع عليها الطعام وحولها كراسى فيجلسون عليها ويأتيهم الفراشون بالطعام على قوانينهم فيأكلون ويشربون على نسق لا يتعدونه وبعد فراغ حاجتهم يدفعون ما وجب عليهم من غير نقص ولا زيادة ويذهبون لحالهم».

وفى أكثر من مناسبة يقارن مؤرخنا بين دقة الفرنسيين ونزاهتم فى مجال المعاملات اليومية، وبين سلوك أصحاب الحرف والتجار من المصريين الذين انتهزوا فرصة وجود جيش احتلال اجنبى وحاولوا أن يحققوا من وراء ذلك أكبر مكسب ممكن، وهذا سلوك شائع فى كل المجتمعات، غير أن الجبرتى نظر إلى هذه القضية بموضوعية تامة، ولم يسقط ملاحظاته حتى فى كتاب مظهر التقديس المعادى للفرنسيس. «وطلب باعة القمح الزيادة فى السعر فجمع الفرنسيس كل من له مداخله فى تجارة الغلال وزجروهم وخوفوهم وقالوا لهم : هذه الغلة الموجودة الآن انما هى زراعة العام الماضى وأما هذا النيل فلا تخرج زراعته الا فى العام المقبل فانزعجوا وباعوا بالسعر الحاضر وقد كاد يقع البلاء العظيم لولا ألطاف الله حفت ونعم العميم الشاملة حصلت».

لقد كان تصادم العادات والتقاليد من أعمق الأسباب التى أوجدت هوة بين الوافدين والمصريين، فلم تفهم عامة الشعب مغزى كثير من الاجراءات فى مناسبات عدة دون أن يعلق عليها بالانتقاد أو بالتقدير لها. وان كان من المعروف أن التطعيم أثار سخط علماء الأزهر. وللمرة الأولى أقيم حجر صحى فى جزيرة بولاق «حي الزمالك حاليا» وطلب الى الناس عدم دفن الموتى قريبا من المنازل، كما دقق الفرنسيون فى تطبيق الاجراءات تدخلا فى خصوص حياتهم اليومية. ولكن الفرنسيين كانوا مضطرين اليها لكثرة ما أهلكت الأمراض من الجند. ويصف الجبرتى كيف كان الفرنسيون يصابون بالذعر كلما سمعوا عن ظهور الطاعون فى مكان ما، فيسارعون بارسال الأطباء لعيادة المرضى. على أن أشد ما يثير استنكار الجبرتى هو ما شاهده من تحرر فى الاختلاط بين الرجال والنساء، وهو يعلق على هذا الموضوع فى أكثر من مناسبة، ولذا نجد من الضرورى أن نتساءل عن نوعيات هؤلاء النساء اللائى يتحدث عنهن الشيخ عبد الرحمن.

فقد كان من بينهم زوجات الضباط الفرنسيين ، اذ كان من المألوف اصطحاب الضباط بصفة خاصة لأسرهم حينما يخرجون فى حملات بعيدة يدل على ذلك افتتاح مدرسة لتعليم أطفال الفرنسيين فى حى الأزبكية. ولكن وجد بجانب هاتيك الزوجات عدد كبير أيضا من بائعات الهوى من الفرنسيات سمح لهن بالنزول فى المراكب لمصاحبة الحملة على شكل كتائب للترفيه.

ويبدو أن ذلك كله لم يكف جنود الحملة ، ولذلك عمد الكثيرون منهم اعتناق الاسلام ليتيسر لهم الزواج من نساء مصريات .

ويعترف الجبرتي بحسن معاملة الفرنسيين للمرأة، مما جعل كثيرا من الآباء يقبلون تزويج بناتهم من الوافدين ، وهذا لا يثير سخط صاحبنا، وانما الذى يستنكره بشدة ، وهو الظهور برفقة النساء فى الأماكن العامة، وفى الأعياد والحفلات ، والتنزه فى مراكب مختلطة بالنيل.

وفى بعض الأحيان كان الفرنسيون يلجأون الى اغراء الجوارى لمصاحبة الجند، أو استخدام بعض وسائل الضغط ، كما حدث عند الاستعداد لحملة الشام، فقد جهزت الحملة بكل ما يحتاج اليه الجندى بما فى ذلك «محفات النساء والجوارى البيض والسود والحبوش الذين أخذوهم من بيوت الأمراء الذين قتلوا أو هربوا وتزيا أكثرهن بزى النساء الافرنجيات وغير ذلك».

ويجب أن نتحقق هنا من موقع المرأة الشرقية فى ذهنية الرجل الشرقى والمجتمع الشرقى بالتالى، فنظراً لأن المرأة هى متاع وعوان (أمة) عند الرجل - حتى أن المرأة كان يطلق عليها لفظ (أمة) - فإن ذهنية المرأة من خلال هذه النظرة كانت تنصرف إلى جسدها الذى يحق للرجل - أى رجل - أن يأسره بماله أو بالعنف دون أخذ رغبتها فى الاعتبار فسقط عن ذهنها قيمة العفة وقدسية الطهارة. ولا يجب أن ننسى فى هذا السياق أن معظم نسوة المجتمع الشرقى كنّ من السرارى والعبيد والاماء.

واقبال الفرنسيين على اصطحاب النساء دون التمييز بين ألوانهم، هو الذى جعل صاحبنا يصف هؤلاء بأنهم يرغبون فى مطلق الأنثى وهو لا يخفى أن بعض الرقيق الأسود من النساء كان يسعى بنفسه للحاق بالجنود الفرنسيين، حتى ولو أدى ذلك الى قفز الجدران للوصول اليهم. وفى مجتمع يأخذ بنظام الرق لابد أن يكون ادراك المرأة المسترقة لقيمة العفة ضعيفا.

اذا كان التلاقى بين المصريين والفرنسيين صعبا فى العادات والتقاليد، فقد كان الاحتكاك الثقافى أشد صعوبة، نعم أقبل بعض الفرنسيين على تعلم العربية ، وشجعت قيادة الحملة الدارسين للنفاذ الى صميم المجتمع المصرى، لكن الحملة استاعنت فى معظم الأحيان بأسرى مغاربة أخذوا من جزيرة مالطة، أو بسكان مالطة نفسها، وبعض الشوام للقيام بأعمال الترجمة من الفرنسية واليها.

ومن الواضح أن هؤلاء المترجمين الذين استخدموا على سبيل الصدفة لم يكونوا على درجة من الكفاءة تساعد على سهولة نقل الأفكار، أضف الى ذلك أن اللغة العربية لم تكن قد طوعت فى ذلك الوقت للأفكار الحديثة، ولا شك أن كثيرا من الكلمات التى كانت متداولة بين الفرنسيين لم تدخل الى قاموس الجبرتى ، مثل كلمة: وطنية ومواطن أو استقلال، هذا فضلا عن التعبيرات الخاصة بالفنون والآداب . ولا أدل على أهمية هذه المشكلة من شكوى صاحبنا مرارا من أنه أثناء عضويته للديوان لم يستطع أن يفهم «سقيم كلام المترجم». وعلى سبيل المثال فقد أراد فورييه وكيل الديوان أن يشرح للأعضاء كيف أنه يمثل السلطة التنفيذية وأنه لا يمتلك اختصاص التشريع، الا أن العبارات التى استخدمها لا يمكن أن تدل على هذا المعنى، أو أن توضحه لأعضاء الديوان الذين كانوا يجهلون مثل هذه

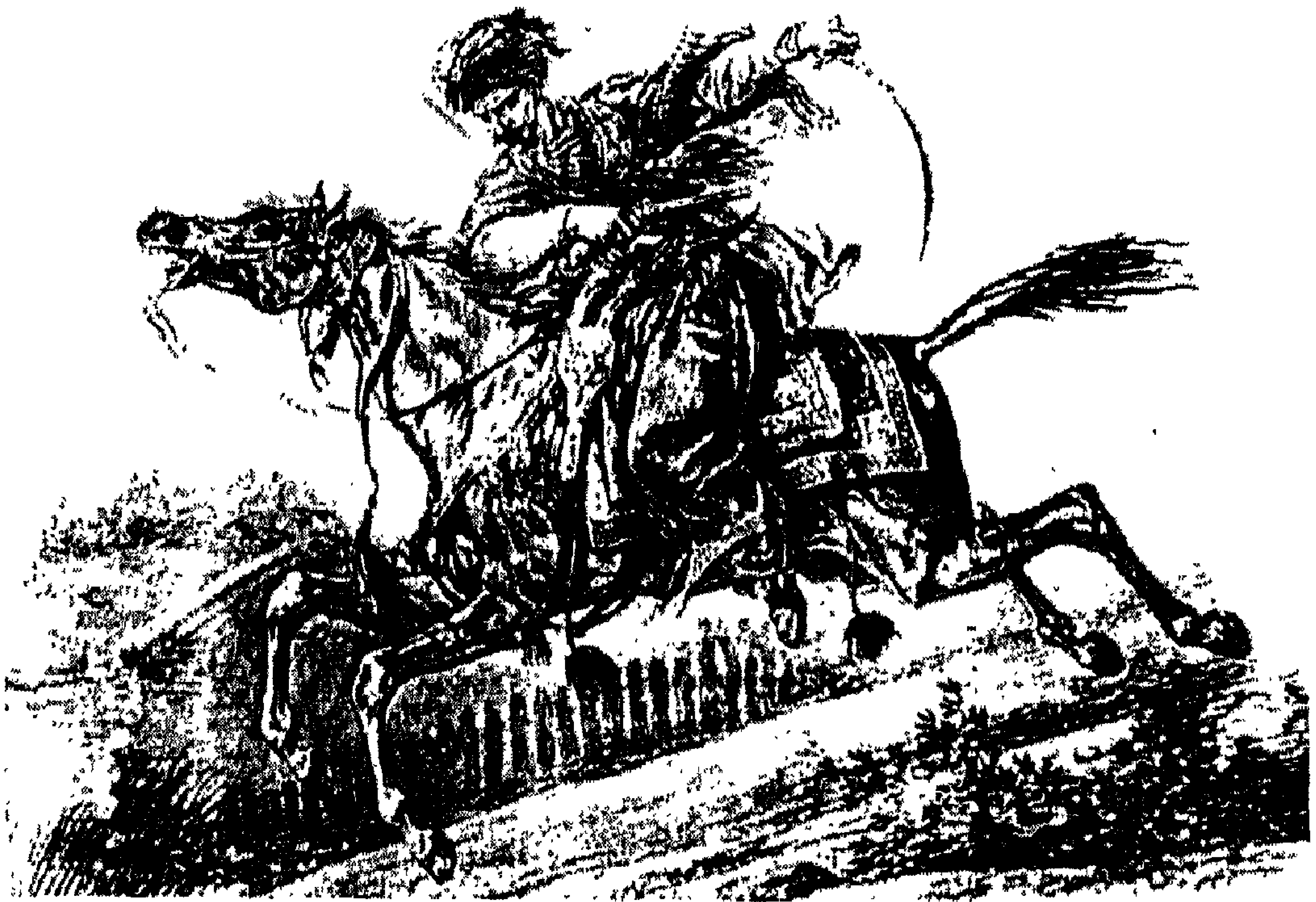
المصطلحات القانونية إلى جانب نقص المصطلحات التجارية والسياسية فى اللغة العربية وضعفها عن استيعاب ذلك.

ولم يبذل علماء الأزهر من جانبهم أى جهد للالتقاء – ولو فى منتصف الطريق – مع الحضارة الوافدة، وذلك بتعلم اللغة الفرنسية. ولم يكلف الجبرتى نفسه عناء ضبط الكلمات الفرنسية، فالكرنتينة أو الحجر الصحى هى الكورنتيلا، و «فرسان مالطة» ، Chevaliers de Malte هم القارولية، وهكذا.

كذلك لم يدفع حب الفضول صاحبنا الى أن يشاهد الكوميديا بعد اقامة المسرح على عهد مينو، واكتفى بالوصف الخارجى للمسرح وكيفية حجز التذاكر ، الى اخره.

وخلاصة القول أن الجبرتى – كمعظم الرجال الذين يقفون موقفا وسطا من التقاء حضارتين ، يتعرض لنقد الفريقين، فقد انتقده الفرنسيون ووصفوه بالتعصب، فى حين عاب عليه المصريون اتصاله بالفرنسيس واتهموه بالتعاون والولاء لهم. والحق أن الجبرتى كان فى مجال السياسة أميل الى مداراة الغزاة، لأنهم أشد قوة، فى حين رفض الاستفادة من حضارتهم فى المجالين الثقافى والحضارى. وربما كان الموقف الأمثل فى نظر المواطن المعاصر هو اتباع مواقف معاكسة، أى الاستفادة من الحضارة والثقافة الفرنسية، ورفض التعاون فى المجال السياسى.

* * *



(١) انظر: عبد الرحمان الجبرتى. أ. د. صلاح العقاد. الهيئة المصرية العامة للكتاب من ص ٣١١ إلى ص ٣٢٤.

## ملحق رقم (٢٤)

## الجماهير المصرية فى مواجهة الغزو الفرنسى

قيمة مؤلفات الجبرتى عجايب الآثار ومظهر التقديس تكمن فى أنها شاهد على التحولات التى طرأت على مصر إثر مجىء الفرنسيين، ثم خروجهم ومجىء محمد على إلى الحكم. فالعصر الذى عاش فيه المؤلف «هو عصر الثورة المصرية، الثورة الكبرى التى انتقلت بها مصر من طور من أطوار تاريخها الطويل المفعم بعبر الدهر إلى الطور الذى امتد إلى الزمن الذى نعيش فيه...». ومن أبرز ما يميز هذه الحقبة ظهور الجماهير المصرية إلى حيِّز الساحة الوطنية كقوة فاعلة، سواء فى مقاومتها للغزو الأجنبى، أو مشاركتها العملية فى اختيار سلطتها الوطنية. فقد كان الجبرتى معاصراً لأحداث الحملة الفرنسية على مصر، وعن هذه الأحداث وضع مخطوطته «مدة الفرنسيس فى مصر» عام ١٧٩٨. ثم كتابه «مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس» (١٢١٦هـ/١٨٠١م.) بناءً على تكليف الصدر الأعظم يوسف باشا[(١)]. وإن كان مظهر التقديس يشكل التتمة التاريخية لمخطوطته «مدة الفرنسيس»، فإن التعديل الذى أدخله فيما بعد على مظهر التقديس شكَّل الجزء الثالث (الجزء الرابع من تحقيقنا هنا) من كتابه الكبير عجايب الآثار مع إضافة أحداث السنوات ما بين ١٢١٦ - ١٢٢٠هـ.

وإن كان هذا الكتاب يهم المؤرخين لما حواه من منشورات وبيانات ومكاتبات رسمية صادرة عن سلطات الاحتلال الفرنسى فى ذلك الحين، فإن الباحث الاجتماعى يجد فى طريقة تسجيل الجبرتى للوقائع اليومية، على شكل مذكرات حية شاهدها المؤرِّخ أو نقلها من أفوّاه معاصريه بلغتهم وأسلوبهم فى التعبير، باباً واسعاً لدراسة مجرى الحياة الاجتماعية فى أوساط جمهرة الناس؛ فقد كان الجبرتى حريصاً على تدوين اصطلاحات أصحاب الحرف والصناعات مشدوداً إلى تصوير مظهر الجهل والفقر وغلبة الشائعات، وهو ما نراه أكثر اكتمالاً فى كتابه عجايب الآثار على شكل وثائق وروايات مسجلة بنصوصها ومصريتها وأعجميتها، مما يكاد يجعل هذا الكتاب ينفرد بخاصة تأريخه للحياة الاجتماعية فى عصره، لا سيما تصوير شعور مفكرى المجتمع الإسلامى الشرقى، بعاداته وتقاليده، إزاء الأجنبى الغربى الغازى لهذا المجتمع، والعادات التى أدخلها، كالاختلاط العلنى بين الرجل والمرأة، والتى عدَّها من باب الخلاعة، وموقفه من المسارح التى يؤمُّها الناس ليشاهدوا «الملاعيب التى يلعبها جماعة منهم بقصد التسلى»، وانبهار مثقفيه بأعاجيب التجارب العلمية وأجهزتها. أما الجزء الخامس من عجايب الآثار، فهو خاص بحكم محمد على التى تولَّى فيها الحكم بتأييد جماهيرى قادته طبقة العلماء والأعيان ولمع فيها إسم عمر مكرم.

### ١ - التحركات الجماهيرية المصرية فى مقاومة الغزو الفرنسى:

غزت فرنسا مصر فى نهاية القرن الثامن عشر، أى فى الحقبة التى استكملت فيها التجربة المملوكية والعثمانية كامل أبعادها وأثبتت فشلها،

وهى تجربة أرستوقراطية فوقية فى التعامل الاجتماعى والسياسى؛ وهذه القيادة السياسية والاجتماعية كانت قيادة نخبوية لا يدخل فى حسابها الجمهور إلاّ من زاوية قدرة هذا الجمهور على تلبية حاجات الطبقة الأرستوقراطية، وكان استخدام الظلم والاضطهاد والجور من قبل الحكام على اختلاف مراتبهم هو السبيل الوحيد لتأمين متطلبات الفئات الحاكمة المتزايدة باستمرار، مما جعل الفئات الجماهيرية. لا سيما الفلاحية منها تتردى فى حمأة الشقاء والبؤس، وتتضافر عليها أوزار الفقر والجوع والمرض، وكان الالتزام هو النظام السائد فى تحصيل الضرائب، تعطيه الدولة لمن تأنس فيه القوة والنفوذ من المماليك والأتراك وأعيان البلاد من المصريين، الذين حوّلوا الفلاحين إلى رقيق للأرض.

وإن كانت طبقة العلماء هى موئل تقبُّل ظلامات الفلاحين وشكاويهم، فإن هذه الطبقة كثيراً ما خيَّبت فى وساطاتها آمال جموع الشعب، بحكم الارتباط المصلحى بين أفراد هذه الطبقة وطبقة الحكام الذين كانوا يتملقون الشيوخ ويخطبون ودهم لامتصاص النقمة الشعبية التى كانت قد بلغت أوجها قبيل مجىء الفرنسيين. ولم تكن النقمة مقصورة على جماهير الفلاحين فى الريف الذين هجروا العمل فى الأرض، بل تجاوزتهم لتطال المشتغلين بالتجارة والصناعات المحلية، وهى تجارات وصناعات باتت عرضة للنهب المملوكى العثمانى بعد ضمور المنتوج الزراعى.

والفرنسيون، فى قضائهم على السلطة المملوكية العثمانية، خففوا عن كاهل تلك الجماهير واحدة من تلك القوى التى كانت الجماهير ترزح تحت سلطتها، ووضعوا الشعب أو الجماهير تحت قيادة الشيوخ أى الطبقة التى أرادوا أن تحتفظ بمركزها كوسيط بينهم وبين الجماهير الشعبية، وفى سبيل كسب ودِّ هذه الجماهير المظلومة وقيادتها من طبقة العلماء، كانت مناشير نابليون تكثر من الحديث عن العدالة فى الإسلام، وكان بعد استقراره فى مصر شديد الاهتمام بالمناسبات الدينية والاحتفال بها. والمنشور الأول الذى أذاعه نابليون فى الإسكندرية عام ١٧٩٨، يؤكد أن الفرنسيين لم ينزلوا فى مصر لإزالة الإسلام، بل لتخليص المصريين من يد الظالمين المماليك، وفتح الباب أمامهم لاكتساب المناصب والمراتب العالية. ولما كانت فرنسا تنوى أن تجعل من مصر ركيزة لإمبراطورية فرنسية فى الشرق، فإنها دعمت غزوها العسكرى بغزو ثقافى حرص نابليون أن يكون مشتملاً على مختلف أنواع العلوم والفنون، والمدة القصيرة التى قضاها الفرنسيون فى مصر وهى ثلاث سنين وثلاثة أشهر أيقظت المصريين على أمرين أساسين: التشبث بالاستقلال الوطنى ومقاومة الغزو العسكرى الفرنسى من ناحية، والحفاظ على آثار الغزو الثقافى من ناحية أخرى، وكانت الجماهير المصرية هى القوة الراسخة فى تحقيق هذين الهدفين. فوجود الفرنسيين فى مصر كان عامل يقظة وطنية ويقظة ثقافية على مستوى النخبة فى بادىء الأمر، ثم على مستوى الجماهير التى بدَّلت إبّان وجود الفرنسيين ولاءاتها لقيادتها السياسية والاجتماعية .

وكان الترابط بين الوعى الثقافى والوعى الوطنى يقوى باطراد مع تفاعل الأحداث التى عرفتها الساحة المصرية. فالوجود الفرنسى أيقظ التفكير الجماهيرى من ركوده، إذ هزّ أول ما هزّ علوم الأزهر الدينية التى كانت تدور على الفقه والتوحيد،وأخذت الخرافات والخزعبلات التى كانت العامة فريستها تنسحب ولو ببطء شديد لتعطى مكاناً لمفاهيم جديدة من الثقافة الاجتماعية.

فعلى المستوى السياسى والإدارى فتحت الدواوين التى أقامها الفرنسيون فى القاهرة ومدن الأقاليم الأعين على نمط جديد من التعامل السياسى بين الحكام والمحكومين ، وكانت إسهاماً حقيقياً فى إشراك المصريين فى عضويتها، وتعويد الجماهير على تقبُّل ما كان يصدر عن هذه الدواوين من قرارات، وفتح أعينهم على نمط جديد من تنفيذ الأوامر الصادرة عن السلطة.

ولم تكن أعمال المجمع العلمى، على ما تميزت به من تقنية تخصصية وأقل أثراً من أعمال الدواوين، فاللجان العشر التى توزعت أعمال المجمع(٢)، كانت بحوثها تنزل إلى ميدان التطبيق العملى، فيفيد الجمهور من نتائج ممارساتها على الأرض، ناهيك عن الاصلاحات المدنية كإنارة الشوارع وتنظيفها، والسهر على سلامة الصحة العامة، وإنشاء المسارح والمكتبات العامة، وغيرها من الأعمال التى أوصلت المصريين بحضارة الغرب ومدنيته، وكان فى طليعة ما أفاد منه المجتمع المصرى تلك النظرة الجديدة إلى المرأة التى رآها تتمتع عند الفرنسيين بحرية لا عهد للمرأة المصرية بها من قبل ؛ فاحترام الفرنسيين لنسائهم وعطفهم عليهن استرعى نظر الرجال والنساء؛ وغبطت المرأة المصرية الفرنسيات وودّت تقليدهن، وأخذ الرجال المصريون يدخلون تجربة الحرية مع نسائهم.

ومظهر التقديس الذى عبّر فيه الجبرتى عن فرحة المصريين بخروج الفرنسيين ودخول الأتراك المسلمين من جديد إلى مصر لإعادة النظام، يعكس إحساساً جماهيرياً بادى التناقض؛ فالذين خالطوا الفرنسيين كانوا يدركون أن حكمهم كان أخف وطأة وأكثر رحمة ورأفة من حكامهم الأولين، وكانوا مقدرين لما كان عليه الفرنسيون من علم وحضارة؛ ولكن هذا لم يكن ليخفف من شعور المصريين بأنهم خاضعون لحكم أجنبى، فثاروا ضد الفرنسيين إلى أن أخرجوهم كفاتحين، وأبقوا على ما لمسوه عندهم من جوانب إيجابية من حضارتهم. وكان تعظيم الوطن، تعظيم مصر فى طليعة هذه الإيجابيات على الصعيدين الثقافى والاجتماعى.

والجبرتى يعكس إحساساً وطنياً جماهيرياً مصرياً واضحاً فى تحميله المماليك مغبّة الغزو الفرنسى؛ فالمماليك أضاعوا ما ورثوه من مجد مصر؛ ففى أيامهم «تطرّق الخلل لهذا القطر العظيم من كل جهة، وأضحت وجوه محاسنه بما ابتدعوه مشوّهة فأصبح الغنىّ بالمصادرات فقيراً، وعزّ بالتقرب إليهم من سفلة السعاة كل حقير، ورغبوا عن الفضايل فدرست، ومالوا إلى سفاسف الأمور فراج سوقها وربحت ، فقلّت الفضلاء،

وكثرت الجهال، وارتفع مقدار كل غبي على كل حال؛ ولقد كانت مصر مجمع الفضلا ومركز النبلا، وقطب دائرة الفصحا، ومنشأ لبلغا الكُتّاب والشعرا، جمعت ما تفرّق فى غيرها من المحاسن، وورد أهلها من موارد اللذات شراباً غير آسن بما تخترع الصنايع البديعة، وتستنبط فيها كل نادرة رفيعة، فلما دهمت الفرنسيس ثغرها الخالى، ووقفت منه على طلل بالى، سهل عليهم الحال فاقتحموه، ودخلوا من باب الإقليم بدون أن يفتحوه، وتقاعدت العساكر المصرية عن التسارع لاستنقاذ الثغر، فعظم البلا وأخذ العدو يطوى بساط الأرض، حتى إذا التقى الجمعان لم يسع القوم إلاّ الفرار فى الفلاة، فكم تركوا من جنات وعيون وزروع، وأصبحوا مشتتين فى أقطار الأرض لا يقرُّ لهم لب، ولا روع، وأناخت دولة الكفار بكلكلها على هذا القطر العظيم وانتشروا فى أرجاه انتشار السم فى الجسد السليم...»(٣).

ولا شك أن هذا المقطع الذى أشرنا إليه يحمل الكثير من انعكاسات مناشير نابليون الأولى فى تعظيم مصر وتاريخها، كما يعكس صورة لما خلفه علما الحملة من دراسات وضعوها فى كتابهم الفذ وصف مصر. الجبرتى فى تعليله لأسباب الفتح يضع يده على جانب من الحقيقة، وهو ما تعلق بصعيد الانهيار الاجتماعى والاقتصادى الداخلى، ولكن الرؤية السليمة لهذا الانهيار ما كان لها أن ترى بوضوح إلاّ على ضوء العامل الخارجى وهو الاحتكاك بالفرنسيين؛ فهم الذين خلخلوا قوة المماليك العسكرية، وفتحوا الباب واسعاً للجماهير المصرية لتسلم مقاليد حكمها بيدها. والجبرتى فى هذا المقطع بالذات يعكس إحساساً وطنياً قومياً أسهمت فيه إلى حد بعيد تلك التجربة التوحيدية للقطر المصرى فى ظل الفرنسيين.

## ٢ - المقاومة الأهلية فى الأسكندرية

وإذا ما عدنا إلى مقاومة المصريين للغزو الفرنسى وجدنا هذه المقاومة تتخذ صفة جماهيرية، وهذا ما لم تكن تتوقعه الدوائر السياسية الفرنسية، التى كانت تعتقد أن القضاء على المماليك يلقى ترحيباً من جماهير الشعب المصرى، وليس ثمة خوف من انتفاضات أهلية فى وجه الغزو، ولكن المقاومة كانت شعبية شاملة، يقول فيها عبدالرحمن الرافعى أن ليس لها شبيه فى خلال المائة سنة الأخيرة سوى الحركة العامة التى ظهرت سنة ١٩١٩ عقب إنتهاء الحرب العالمية الأولى(٤).

فصدمة الغزو الفرنسى للمجتمع المصرى وضعته لأول مرة فى عصره الحديث أمام عدو واحد محدد انتشر - أثناء مطاردته للماليك والعربان - فى مجمل أراضى مصر شمالاً وجنوباً مما أدى إلى ثوران الشعور الوطنى عند المصريين وتوحد وجدانهم ضد هذا العدو المحدد. ذلك أن العدو القديم - العثملى - لم يكن واضح المعالم بسبب ثوبه الدينى بالإضافة إلى عدم تمثله فى جنس واحد أو مستبد محدد، فقد كان هناك الاتراك الاروام والشركس والارناؤط والألبان والدلاه والعرب والقرمنليه والكردلية والمورليه واللاونديه والمغاربه إلخ .. ما جعل تحديد العدو فى وجدان الشعب المصرى بالغ الصعوبة. حقيقى انه كان

هناك كره عام ضد العثملى، ولكن أى هؤلاء العدو بالتحديد؟ خاصة وإن هذه الاشتات العثمليه كانت تدخل أحياناً كثيرة فى تحالفات مضادة لبعضها من أجل اكتسابِ السلطة، فكان الشعب المصرى لا يتمكن ـ بالإضافة إلى أسباب أخرى ـ إلى الانحياز لأى طرف من أطراف الصراع ويكتفى بالفرجة عملاً بالحكمة المأثورة: «ياداخل بين البصلة وقشرتها ما ينوبك غير صنتها».

أما فى حالة الغزوة الفرنسية فإن العدو كان قد تحدد وغطى على كل الأعداء الآخرين الذين انشغلوا بالهرب من الفرنسيس إلى أطراف البلاد لتصبح المواجهة بين الشعب المصرى المتشبث بأرضه ـ رغم ما يعانيه بسببها ـ والغزاة الفرنسيس حادة ومحددة. ولعل ثورتى القاهرة الأولى والثانية ضد الفرنسيس تمثلان قمة الشعور الوطنى بعد انصهاره فى بوتقة واحدة.

بدأت المقاومة الجماهيرية المصرية للغزو منذ أن وطئت أقدام الفرنسيين أرض الأسكندرية ليلة ٢ يولية سنة ١٧٩٨، لا بل إن سكان الإسكندرية كانوا يستعدون لهذه المقاومة قبل نزول الفرنسيين إثر إشاعات وصلت إلى الثغر بأن الإفرنج عازمون على احتلال مصر، إذ يذكر الكولونيل سلكوسكى أحد ضباط الحملة الفرنسية فى مدوناته أنه: «وصلت منذ شهرين عن طريق الأستانة أنباء الحملة فأخذ أمراء المماليك يستعدون، ولا نعلم إلى أى حد بلغ استعدادهم، ولكن الخبر الذى أزعجنا هو قدوم الأسطول الإنكليزى إلى الإسكندرية ومغادرته إياها قبل وصولنا، وقد انزعجت له البلاد وظنه الناس أسطول الفرنسيين الذين يتوقعون حضورهم منذ مدة ومن يومئذ أخذ جميع الأهالى يعدُون العدة للمقاومة، فحملوا السلاح وتحصنوا بالأسوار، بينما كان أربعماية من الفرسان يجوبون الضواحى استعداداً للقتال...»(٥). ويثبت فيفان دينون Vivant De-non فى كتابه «رحلة فى الوجه البحرى ومصر العليا أثناءحروب الجنرال بونابرت» حديث القنصل الفرنسي فى مصر الذى جاء لمقابلة بونابرت عشية رسو الأسطول الفرنسى فى ميناء الإسكندرية فيقول: «قدم إلينا قنصلنا بصحبة ترجمانه وقد خالطه الرعب بعد أن نجا من القتل ومن هياج الشعب، وإخبرنا أن أسطولاً إنكليزياً مؤلفاً من أربع عشرة بارجة حربية كان بالثغر ولم يغادره إلاّ عشية الأمس الأول، وأن الإنكليز صرحوا بأنهم قادمون للتفتيش عنا ومحاربتنا وقد ظنهم الأهالى فرنسيين، فانفجر بركان الهياج فى البلاد كلها لشعورهم باقترابنا، وكانوا يتوقعون ذلك من يوم علموا باحتلالنا لمالطة، وقد استعدوا للمقاومة فأخذوا يحصنون القلاع ويزيدون عدد الجنود المتطوعين للقتال ويجمعون جيشًا من العرب، وأن حاكم الإسكندرية السيد محمد كريم لم يأذن للقنصل بمقابلتنا إلاّ مصحوباً بجماعة من نوتية الإسكندرية وعهدوا إليهم إرجاعه إلى الثغر»(٦).

كانت الإسكندرية عند قدوم بونابرت مدينة صغيرة معظم سكانها من الفقراء يتراوح تعدادهم بين ٨ آلاف و ١٣ ألف نسمة بعد أن كانت فى عهد البطالسة عروس المدائن ومركز تجارة العالم يسكنها ستماية ألف نسمة، واقتصرت تجارتها بعد

تحول طريق التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على واردات أفريقيا وجزيرة العرب وثغور السلطنة العثمانية والنزر اليسير من واردات الهند، ولم يكن باقيًا فيها فى أواخر القرن الثامن عشر من الإسكندرية القديمة سوى الاسم؛ فهى من هذه الناحية إذن تشكل عينة لسكنى الجماهير الشعبية الأصيلة فى مصريتها، ولم يكن فيها من الجنود سوى الأهلين الذين انتظموا فى سلك الفرق العسكرية المنشأة من عهد الفتح العثمانى وكان حاكمها محمد كُرَيِّم فى عهد الحملة نائبًا من صميم الشعب المصرى.

ذكر الجبرتى فى منشئه «أنه كان فى أول أمره قبانيًا يزن البضائع فى حانوت بالثغر، وعنده خفة فى الحركة، وتودد فى المعاشرة فلم يزل يتقرب إلى الناس بحسن الود ويستجلب خواطر حواشى، الدولة وغيرهم من تجار المسلمين والنصارى ومن له وجاهة وشهرة من أبناء جنسه حتى أحبه الناس، واشتهر ذكره فى ثغر إسكندرية ورشيد ومصر...»[٧] . و هذا الرجل هو الذى قاد المقاومة الوطنية فى الإسكندرية، وبذل الإسكندريون تحت لوائه مقدورهم فى الدفاع عن المدينة وفدحوا الجنود الفرنسيين بالخسائر، وكادوا يقضون على بونابرت نفسه كما يروى بوريين Bourienne سكرتير بونابرت الخاص فى مذكراته، فقد «دخل بونابرت المدينة من حارة لا تكاد لضيقها تسع اثنين يمران جنبًا لجنب وكنت أرافقه فى سيره فأوقفتنا طلقات رصاص صوّبها علينا رجل وامرأة من احدى النوافذ، واستمرا يطلقان الرصاص فتقدم جنود الحرس وهاجموا المنزل برصاص بنادقهم وقتلوا الرجل والمرأة»[٨] . وضراوة المقاومة فى هذه المدينة أفسدت على بونابرت مخططه فى أن يدخل مصر تحت شعار محاربة المماليك، فأمر جنوده بالكفِّ عن القتال خشية وقوع المذابح، ووسَّط أدريس بك قومندان السفينة العثمانية الراسية بالثغر فى إقناع أهل المدينة بالكفّ عن القتال فأذعنوا بسبب نفاذ الذخيرة، وظل السيد محمد كُرَيِّم يدافع بعد دخول الفرنسيين فى طابية قايتباى ومعه فريق من المقاتلة إلى أن كلَّت قواه، ورأى المقاومة عبثًا لا يجدى.

كتب الجنرال برتييه، رئيس أركان حرب الحملة رسالة إلى وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ ٦ يولية عام ١٧٩٨ يصف احتلال الفرنسيين للإسكندرية جاء فيها: «أن الأهالى دافعوا عن أسوار المدينة دفاع المستميت، وقد أصيب فى هذه الموقعة الجنرال كليبر بعيار نارى فى جبهته، فجرح جرحًا بليغًا، وأصيب الجنرال منو بضربة حجر أسقطته من أعلى السور فنالته رضوض شديدة، وأصيب الأدجوان جنرال إسكال Escale بجرح بليغ فى ذراعه من عيار نارى، وقُتل اللواءماس Mass وخمسة ضباط آخرين»[٩] . وكتب الجنرال منو إلى بونابرت يقول: «إن الجنود يستحقون الثناء العظيم على ما بذلوه من الإقدام والهمة والذكاء وسط المخاطر العظيمة التى كانت تحيط بهم لأن الأعداء (الأهالى) قد دافعوا عن المدينة بشجاعة كبيرة وثبات عظيم»[١٠]. وكانت حصيلة الاستيلاء على الإسكندرية وفقًا لتقديرات بونابرت فى مذكراته ثلاثماية من الفرنسيين بين قتيل وجريح مقابل سبعماية من الإسكندريين.

ولم يكن منتظراً من الجبرتى فى كتابه مظهر التقديس أن يصل إلى تسجيل معلوماته بالدقة عينها التى لحظناها فى مراسلات الفرنسيين وتقاريرهم ، ولكن تسجيلاته تكتسب أهميتها من حيث إنها وجهة نظر مصرية للأحداث، فهو يشير فى بداية الفصل الأول من مظهر التقديس إلى هذا النزاع الفرنسى الإنكليزى للإستيلاء على مصر، ومحاولة الإنكليز دخول الإسكندرية بحجة أن أهل الثغر عاجزون بقوتهم الذاتية عن مقاومة الفرنسيين ورفض محمد كُرَيِّم هذا الطرح وإجابتهم بكلام غليظ أن هذه بلاد السلطان وليس للفرنسيين وغيرهم عليها سبيل فاذهبوا عنا (١١) .

وقراءة نصوص الجبرتى فى خبر نزول الجيش الفرنسى فى الإسكندرية تضعنا أمام ثلاثة مستويات من المقاومة: ١- أهل الإسكندرية المعنيون بشكل مباشر، فى الدفاع عن مدينتهم؛ ٢- مقاومة أهل البحيرة من العربان الذين جهزّهم كاشف البحيرة ولم يستميتوا فى القتال وانسحبوا من المعركة إثر اشتداد لهيب الحرب؛ ٣- وثالثًا الأمراء الذين لم يهتموا بشئ من ذلك كما يقول الجبرتى، ولم يكترثوا لزعمهم أن جميع الإفرنج لا يقفون فى مقابلتهم. والجبرتى الصادق فى روايته يضعنا أمام فرز واضح للإحساس الجماهيرى السائد آنذاك، وهوإحساس وإنْ لم يكن قد بلغ بعد مستوى المقاومة الوطنية الشاملة فإنه إحساس كان يحمل بذور الوطنية التى بلغت مستوىً رفيعًا خلال السنوات الثلاث من مقاومة الغزو الفرنسى.فالحملة الفرنسية استثارت الروح القومية عند المصريين ونفضت عنهم غبار الركود، ودفعتهم إلى الإحساس بأن لهم كيانًا مدعوين إلى المحافظة عليه، وكان هذا الشعور عفويًا طبيعيًا فى بادئ الأمر، ثم أخذ يكتسب صفة التنظيم من خلال الممارسة، وكان من نتائجه فقدان الثقة بالمماليك كحماه يعتمد عليهم فى مقاومة الغزو. والجبرتى وهو يروى لنا قصة اللقاء الأول بالفرنسيين، يضعنا أمام هذا التطور للإحساس الوطنى والذى بدأ دفاعًا عن مدينة وانتهى إلا دفاعًا عن وطن بكامله. يقول الجبرتى: «... وفى الليل تحولت مراكب جهة العجمى، وأنزلوا آلات الحرب والعساكر، فلم يشعر أهل الثغر فى وقت الصباح، إلا والعساكر كالجراد المنتشر حول البلد، فعندما خرج أهل الثغر ومن انضم إليهم من كاشف البحيرة والعربان المجتمعين معه، فلم يستطيعوا مدافعتهم،ولا أمكنتهم ممانعتهم،فانهزم كاشف البحيرة ومن معه من العربان، ورجع أهل الثغر إلى التترُّس فى البيوت والحيطان، ودخلت الفرنج البلد وانبثَّ فيها الكثير من ذلك العدد، كل ذلك وأهل البلد لهم بالمرمى بالبنادق يدافعون، وعن أنفسهم وأهليهم يقاتلون ويمانعون، فلما أعياهم الحال، وعلموا أنهم مأخوذون بكل حال، وليس ثمّ عند أهل البلد للقتال استعداد، وأخلوا الأبراج من آلات الحرب والبارود،وكثرة العدو وغلبته طلب أهل الثغر الأمان فأمنوهم ورفعوا عنهم القتال، ومن حصونهم أنزلوهم...»(١٢).

إن رواية الجبرتى فى أمر طلب أهل الثغر للأمان لا تتفق مع نصوص المراسلات والوثائق

الفرنسية التى تشير فى معظمها إلى أن بونابرت هو الذى طلب وساطة قائد الباخرة العثمانية الراسية فى الثغر، وتوقف القتال كان نتيجة لهذه الوساطة، ليس لأن بونابرت كان عاجزاً عن تدمير المدينة بقواته الرفيعة التدريب، بل لأن تحويل أول مدينة نزل فيها إلى مذبحة مدمرة كان من شأنه أن يسئ إلى سمعة فرنسا، وإلى سمعته كقائد سياسى إلى جانب كونه قائداً عسكريًا تحدوه الأمال فى جعل مصر دولة شرقية تابعة للجمهورية الفرنسية، فكانت سياسة بونابرت تقوم على اجتذاب قلوب المصريين واكتساب ثقتهم بتخليصهم من حكامهم الظلمة أمراء المماليك، لا سيما وأن المعلومات التى كانت قد تجمعت لدى وزارة الخارجية الفرنسية كانت تشير إلى «أن أهالى مصر قاطبة يكرهون حكامهم المماليك الذين يسومونهم الظلم والاضطهاد، وهم عُزّل لا سلاح معهم، وإذا أعطاهم المماليك سلاحًا بحجة الدفاع عن البلاد من الغارة الأجنبية فإنهم لا شك سيحاربون به طائفة المماليك أنفسهم، فليس ثمة خوف من مقاومة أو وثبة من الأهالى».(١٣)

ولكن الثابت أن الأهالى أذعنوا للأمر الواقع ليتولى أهل الحل والعقد تدبير الشأن السياسى والإدارى، وهكذا كانت المقاومة الأهلية متقدمة على قياداتها من الشيوخ والأعيان الذين وقعوا مع بونابرت الوثيقة الأولى التى لا نرى إشارة لها فيما كتبه الجبرتى فى مظهر التقديس عجايب الآثار الخاص بأخبار الحملة. وهذه الوثيقة أو هذا الإتفاق المؤرخ فى ٢٠ محرم عام ١٢١٣ هـ. الموافق ٤ يولية عام ١٧٩٨ م. وقع عليه إبراهيم اليزجى مفتى الحنفية وسليمان الكلاف مفتى المالكية، ومحمد المسيرى وأحمد عبدالله الشافعى، حسن كانيد وعباس القويضى ومصطفى محمد من الأعيان، وهو ينص على أن يستمر الأعيان على العمل بقوانينهم والقيام بشعائرهم الدينية، وفض المنازعات وإقامة العدل، مع التعهد بعدم خيانة الجيش الفرنسى أو القيام بعمل يضر مصالحه(١٤).

كان الحكم الفرنسى الجديد حريصًا على تقوية أواصر الصلة بالشيوخ وأعيان البلد، وهذا ما أوصى به بونابرت الجنرال كليبر عند مغادرته الإسكندرية «لاستبقاء العلاقات الحسنة مع الأهالى وإبداء كل أنواع الاحترام للمفتين ورؤساء المشايخ فى المدينة». ولكن بونابرت كان يرغب أيضاً فى توطيد صلته مع محمد كريم الذى كان يمثل القيادة الجماهيرية فأبقاه محافظاً للمدينة، وخوّله حق مراسلة القائد العام رأسًا إذا شاء . ولكن النقمة الجماهيرية كانت تتزايد بإطراد بسبب الغرامة الباهظة التى فرضت على الأهالى، (ستة آلاف جنيه). وانتشار الضيق والفقر نتيجة لتعطيل التجارة فى الميناء إثر الحصار الانجليزى المضروب حول الاسكندرية، وتجاوزات الجنود الفرنسيين وعدم تجاوبهم مع نداءات قائدهم كليبر، واتخذت هذه المقاومة أشكالاً مختلفة منها الاعتداءات الفردية على الجنود الفرنسيين والهجوم على الدوريات العسكرية خارج الإسكندرية، والامتناع عن تقديم أى عون مدنى لقوات الاحتلال ، فالجنرال ديموى Dumwy يذكر فى تقرير له عن رحلته

الإستكشافية فى جهات مديرية البحيرة للإطمئنان على سلامة مواصلات الجيش الفرنسى أنه: «على بعد نصف فرسخ من الكريون (مركز كفر الدوار) هاجم الكتيبة عدد من العرب. وكان هذا العدد يزداد كلما تقدمنا فى السير، وقد شتتنا هذه الجموع بالرصاص ولم نفقد سوى قتيل واحد وجريح، وقد داخلنى الشك من الإتفاق بين هجوم هذا الجمع علينا ومغادرتنا للإسكندرية، وخيّل إلىّ أن هناك اتصالاً بينهم وبين أهالى الإسكندرية، وتابعت الكتيبة سيرها ووصلت إلى دمنهور، وكنا فى خلال هذه المسافة محرومين من الماء حرماناً تامًا،وكان من المستحيل علينا ونحن فى الإسكندرية أن نحصل على جمل واحد أو قربة واحدة لحمل الماء رغم أوامر الجنرال كليبر، وبلغت بنا الحال أنه فى يوم تحرك الفرقة اختفت الجمال من الإسكندرية ثم عادت إلى الظهور فى شوارع المدينة غداة مسيرنا، مما يدل على أن هناك تواطؤا بين الأهالى وأصحاب الإبل»(١٥).

كانت الإسكندرية وما جاورها من إقليم البحيرة مركزًا لمقاومة جماهيرية لم تكن قياداتها من بين الأعيان والشيوخ الذين وقعوا اتفاق يوليه عام ١٧٩٨ فى الإسكندرية والمدن التى مرت بها فرقته وتوجهت أنظاره إلى محمد كريِّم الذى أمر كليبر بإعتقاله عشية عودة فرقة ديموى من طوافها فى البحيرة منهوكة القوى مُثخنة الجراح، وكان كُريِّم قد رفض السلفة الإجبارية التى فرضتها قوات الاحتلال على تجاز الثغر، وتلكأ فى مساعدة السلطة الفرنسية فى تحصيلها وكان اعتقال محمد كريم رمز المقاومة الجماهيرية منعطفا جديدًا فى مسار المقاومة، ولم يحدث هذا الاعتقال ضجة فى صفوف مجلس الشيوخ والأعيان. وعندما عرض عليهم كليبر اختيار بديل عنه بسبب الريبة فى إخلاصه للجمهورية الفرنسية، وقع اختيارهم على محمد الشوربجى الفريانى ووعدوا بمعاونته فى تأدية وظيفته، وقبل الشوربجى وظيفة المحافظ يعاونه فى عمله محمد المسيرى كبير علماء المدينة وقبل المجلس السلفة الإجبارية التى رفضها كرِيم بعد أن أنقص منها مبلغ ١٥٠٠٠ فرنك لتحصل من واردات الجمارك.

وبعد اعتقال كريِّم توقفت الأعمال العدائية ضد الفرنسيين فى المدينة، وتأكد بونابرت فى القاهرة من قيادة كريِّم للمقاومة الوطنية ومراسلته لمراد بك وغيره من الأمراء المماليك وعرب البحيرة وأصدر أمره فى ٥ سبتمبر عام ١٧٩٨ بإعدامه رميا بالرصاص أومصادرة أملاكه أو أن يفتدى نفسه بغرامة ٣٠ ألف ريال، ونفذ فيه حكم الإعدام فى ميدان الرميلة فى ٨ سبتمبر عام ١٧٩٨ ، احتفل كليبر بموت كريِّم لأنه اعتقد أن إعدامه سينهى حركة التمرد الوطنية، إلا أن موقعة أبى قير التى ألحقت الهزيمة بالأسطول الفرنسى أضعفت الثقة بقوة الفرنسيين وجددت أمل الوطنيين بالقدرة على النصر،

إن الذين كتبوا عن محمد كريِّم من علماء الحملة الفرنسية أبرزوا شخصيته كقائد وطنى؛ ولا عجب فهؤلاء كانوا ينظرون إلى زعماء المقاومة بتوجهات أفكار الثورة الفرنسية،ولذا احتل كريِّم

عندهم مكانة كبيرة ووجدوا فى إعدامه قسوة لا مبرر لها؛ أما الجبرتى فيقدم هذا الزعيم فى صورة مشوّهة وغير منصفة، صورة المُصادر لأملاك التجار وخصوصًا الإفرنج، وأن الفرنسيين قبضوا عليه لاسترداد ما جمعه من أموال المصادرات «فلما حضرالفرنسيس قبضوا على السيد محمد المذكور، وطالبوه بالمال وضيّقوا عليه وحبسوه فى مركب، ولما حضروا لمصر وطلعوا لقصر مراد بك وجدوا فيها مطالعته بأخبارهم وبالحثّ والاجتهاد فى حربهم، وتهوين أمرهم فاشتد غيظهم عليه،وأرسلوا احضروه لمصر، وحبسوه فتشفع فيه أرباب الديوان عدة مرات فلم يمكن، إلى أن كانت ليلة الخميس حضر إليه «مجلون» الملعون وقال له: المطلوب منك كذا وكذا من المال، قدر يعجز عنه، وأجّله إثنتى عشرة ساعة والاّ يقتل بعد مُضيّها إن لم يدفع، فلما أصبح أرسل إلى المشايخ وإلى السيد أحمدالمحروقى فحضر إليه بعضهم، وترجاهم وتدخّل عليهم واستغاث بهم، وصار يقول اشترونى يا مسلمين وليس بيدهم ما يفتدونه به وكل إنسان مشغول بنفسه ومتوقع لشئ يصيبه... إلخ» (١٦).

## ٣- المقاومة الأهلية فى الأقاليم والقاهرة:

كانت المقاومة الأهلية فى الإسكندرية جماهيرية بشعبيتها وقيادتها،ولم تكن الحال نفسها فى بقية الإقليم فى البحيرة وشبراخيت والقاهرة. فمعركة شبراخيت١٣ يوليو عام ١٧٩٨، كانت فى الواقع معركة المماليك ضد الجيش الفرنسى، وإنْ كان الفلاحون يشكلون نسبة كبيرة فى جيش مراد بك ووقع على عاتقهم الجزء الأكبر من أوزار المعارك. والجبرتى فى تسجيله لهذه الواقعة يعلى مقاومة الأهالى ويظهر ضعف استعداد المماليك بقوله: «وفى يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر محرم التقى العسكر المصرى مع الفرنسيس فلم تكن إلاّ ساعة، وانهزم مراد بك ومن معه، ولم يقع قتال صحيح وإنما هى مناوشة من طلائع العسكريين، بحيث لم يقتل إلاّ القليل جداً من الفريقين، واحترقت مراكب مراد بك بما فيها من الجبخانة والآلات الحربية واحترق بها رئيس الطوبجية خليل الجردلى وكان قد قاتل فى البحر قتالاً عجيباً هو ومن انضم إليه من القليونجية وأقدم إقدام الأسد فقدَّر الله أن علقت نار بالقلع فنزل البعض منها إلى البارود، الذى فى المراكب فاحترقت فمات هو ومن بالمراكب من المحاربين، فلما عاين ذلك مراد بك ولى منهزماً وترك الأثقال والمدافع...»(١٧)

انتهت معركة شبراخيت بانتصار الفرنسيين مما أوقع الذعر فى القاهرة، واشتد فيها انزعاج الناس لسماعهم بنبأ قدوم الجيش الفرنسى، وسماعهم بأخبار اعتداءات هذا الجيش على القرى التى مرّ بها،لا سيما وأن القاهرة كانت كمعظم مدن الإقليم خالية من الاستعدادات الدفاعية الحديثة، ولم يكن موقف المماليك موحداً فيما بينهم،وكان المماليك يتبادلون الشكوك مع العثمانيين ويتهمونهم بأنهم كانوا على علم مسبق بالحملة الفرنسية التى جاءت لإبادتهم، ولكن الرأى استقر على أن يبعث الوالى العثمانى برسالة إلى الباب

العالى «ليأتيه بالترياق من العراق» كما يتهكم الجبرتى.

والجبرتى يسجل أعمال الأمراء المماليك فى كثير من النقد، ويظهر ضعف خبرتهم العسكرية وتخلفهم؛ فهو يسخر من طرائق تحصينهم وسذاجة تدبيرهم فى حديثه عن تلك السلسلة من الحديد فى غاية الثخن والطول التى وضعت فى بوغاز رشيد لتمنع مركب الفرنسيين من عبور النيل، ظنًا منهم أن الفرنج لا يقدرون على مقابلتهم فى البر، وينقد طريقة اهتمامهم بسلامة أثاث بيوتهم وهم فى أشد حالات الحرج، فمنذ أن جاءهم خبر نزول الفرنسيين فى الاسكندرية وهم منشغلون بنقل أمتعتهم وتوزيعها عند معارفهم وثقاتهم وفى بيوت الصغار التى لا يعرفها أحد، وحذا حذوهم أغنياء القاهرة، ولولا أن الأمراء منعوهم من ذلك لما بقى من الأغنياء من له قدرة على الهروب إلا هرب، ويخلص من ذلك كله إلى هذا الحكم العام على المماليك بأنهم «متنافرة قلوبهم، منحلة عزائمهم، مختلفة آراؤهم،حريصون على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم، مختالون فى ريشهم، مغترون بجمعهم، محتقرون شأن عدوهم، مرتبكون فى رؤيتهم، مخمورون فى غفلتهم. وهذا كله من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم»(١٨).

وإنْ كان الجبرتى صريحًا قاسيًا فى نقده للماليك، فإنه يكتفى بالتلميح فى نقده لسلوك الجماهير إزاء الخطر المدلهم بالقاهرة: نقد العلماء والفرق الصوفية، أو هو على الأقل وضع القارئ فى الصورة التى كانت عليها الفئات الجماهيرية مثال قوله: «وقد كانت العلماء عند توجه مراد بك للقتال تجتمع فى الأزهر كل يوم لقراء البخارى وغيره من الأذكار والدعوات. وكذا مشايخ فقراء الأحمدية والسعدية والرفاعية وغيرهم من مشايخ الفقراءوأرباب الأشاير (رجال الطرق) كل يوم يذهبون إلى الأزهر فيجلسون للأذكار والدعاء،وتجتمع أطفال الكتاتيب للدعاء وتلاوة اسمه تعالى، وكل هذا حصل بسببه النفع العظيم، فهو إن لم يدفع دخول الفرنسيس مصر لكونه أمراً مقضيًا محتمًا لا يرد بالدعاء، ولكن وقع اللطف الجزيل بسبب هذه الدعوات واجتماع القلوب بمجالس الذكر والاستغفار، وآثار اللطف التى حصلت مشاهدة لا تنكر ولله الحمد»(١٩).

وفرار المماليك من القاهرة بعد معركة أنبابه، وضع الجماهير القاهرية فى مواجهة الغزو وأحدث تحولاً فى المواجهة الوطنية. وإنْ كان انهزام المماليك أصاب الأهالى بالذعر فلاذ معظمهم إلى الفرار، فإن قيادات جماهيرية جديدة برزت إلى الساحة وفى طليعتها طبقة الصناع والتجار؛ فهذه الطبقة كانت أكثر الفئات تنظيماً. يقول فيهم الجبرتى: «وفى يوم الثلاثا نادوا بالنفير العام وخروج الناس للمتاريس، وصاروا يكررون المناداة كل يوم فأغلق الناس الدكاكين والأسواق وخرج الجميع لبر بولاق فكانت كل طائفة من الطوائف من أهل الصنعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون خيمًا أو يجلسون فى مكان خرب أو مسجد، ويرتبون له قيِّمًا يصرف عليهم ما يحتاجون له من الدراهم التى جمعُوها من

بعضهم، وبعض الناس يتطوع بالإنفاق على البعض الآخر، ومنهم من يجهز جماعة من المغاربة والشوام بالسلاح والأكل وغير ذلك بحيث إن جميع الناس بذلوا ما فى وسعهم وفعلوا ما فى قوتهم وطاقتهم، وسمحت نفوسهم بذلك أموالهم، فلم يشحّ فى ذلك الوقت أحد بشئ يملكه ولكن لم يساعدهم الدهر[٢٠].

إن فئة التجار والصناع ظلت شديدة الالتصاق بالجماهير تنظمها وتموّلها وتؤهلها للمقاومة، وليس ذلك بمستغرب على فئات كانت تنتظم فى نقابات مهنية ولها تطلعات مستقبلية مرتبطة بالنفع العام.

وإلى جانب هذه الفئة من التجار والصناع، كانت الطبقات الشعبية التى درجت على السير تحت لواءالمتعممين، وهؤلاء كان منهم من وقف موقفًا وسطًا بين تطلعات الجماهير ومصالحها الذاتية، وكانت مواقعها تستجيب لنداء الرأى العام الذى يطلب الهدوء والطمأنينة، فيما آثر فريق آخر الاستمرار فى رفض الوجود الأجنبى والإبتعاد عن التعامل معه، وهذا الفريق يتمثّل فى عمر مكرم نقيب الأشراف.وهذه الفئة كان ينقصها التنظيم، يصفها الجبرتى بقوله: «وخرجت الفقراء وأرباب الأشاير بالطبول والأعلام والكاسات وهم يضجون ويصيحون ويذكرون بأذكار مختلفة. وصعد نقيب الأشراف السيد عمر للقلعة فأنزل منها بيرقًا كبيرًا سمّته العامة البيرق النبوى، فنشره من القلعة إلى أن وصل به إلى بولاق، وهو راكب ومعه ألوف من العامة بالنبابيت والعصى يهلّلون ويكبرون ويكثرون من الصياح وبصحبته طبول وزمور وغير ذلك».

أما الأرياف التى لم يلحق بها التنظيم الاجتماعى فقد وقعت فى الفوضى، وكان همها النهب والإعتداء على الممتلكات.وكان العرب من البدو فى طليعة من أسهم فى أعمال الإعتداء بحجة التفتيش عن السلاح فى محلات التجار الأجانب وبيوت النصارى، وهو ما يشير إليه الجبرتى بقوله: «وأما بلاد الأرياف فإنها قامت على ساق، يقتل بعضهم وينهب بعضهم بعضاً وكذلك العرب تغير على الأطراف والنواحى، وصار قطر مصر من أوله إلى آخره فى قتل ونهب وإخافة طريقة، وقيام شر، وإغارة على أموال وفساد مزارع وغير ذلك من أنواع الفساد التى لا تحصى.. وطلب أمراءمصر الإفرنج الذين هم تجار بمصر فحُبس بعضهم فى القلعة، وبعضهم بأماكن الأمراء، وصاروا يفتشون بمحلاّت الأفرنج على الأسلحة وغيرها، وكذلك يفتشون بيوت النصارى والشوام والأقباط والأروام، والكنائس والأديرة على الأسلحة، والعامة لا ترضى إلاّ أن يقتلوا النصارى واليهود، فيمنعهم الحكام عنهم ولولا ذلك المنع لقتلهم العامة فى وقت الفتنة»[٢١].

والجبرتى يعطى صورة مقيتة لجموع العرب، إذ إنهم كانوا لا يستقرون على حال من التنقل بين الأطراف، همّهم السلب والنهب؛ فيما كان أهالى القاهرة وقد تملكهم الخوف والفزع وترقُّب الهلاك يهجرون مدينتهم إلى مكان آخر يستقرون فيه، لا يدرون أى طريق يسلكون ولا أى جهة يذهبون، كان العرب يتصدون لهم لأخذ متاعهم ولباسهم وأحمالهم لايفرقون بين غنى وفقير: «فلما خرجوا من أبواب البلد وتوسطوا الفلاة، تلقاهم العربان

والفلاحون فأخذوا متاعهم ولباسهم وأحمالهم بحيث لم يتركوا لمن صادفوه ما يستر عورته ويسدّ جوعه، فكان ما أخذته العرب شيئًا كثيرًا، يفوق عن الحصر، بحيث إن الأموال والذخائر التى تخرجت من مصر فى تلك الليلة أضعاف ما بقى بها بلا شك،لأن معظم الأموال عند الأمر اء والأعيان وحريمهم، وقد أخذوه صحبتهم،وغالب مساتير الناس وأصحاب المقدرة خرجوا أيضًا بما عندهم والذى أقعده العجز وكان عنده ما يعزّ عليه من مال أو مصاغ أعطاه لجاره أو صديقه الراحل، ومثل ذلك أمانات وودائع للحجاج من المغاربة والمسافرين فذهب ذلك جميعه، وربما قتلوا من قدروا عليه ودافع عن نفسه ومتاعه، وعرّوا ثياب النساء وفضحوهن وهتكوهن، وفيهم الخوندات والأعيان.. وكانت ليلة وصباحها فى غاية الشناعة جرى فيها ما لم يتّفق مثله بمصر، ولا سمعنا بما يشابه بعضه فى تاريخ المتقدمين، وما راءٍ كمن سمع» (٢٢).

والجبرتى يكثر الحديث عن لصوصية أولئك العرب وخيانتهم ، إذ كانوا لا يتورعون عن نهب قوافل الحجاج. ففى أخباره عن أحداث العشرين من شهر محرّم من عام ١٢١٣هـ. يذكر كيف خان الأعراب من وثقوا بهم من أهل القاهرة وهم فى طريقهم إلى الحج، ونهبوا حمولتهم وتقاسموا متاعهم وعرّوهم من ثيابهم وفيهم كبير التجار محمد المحروقى، واضطر المحروقى إلى الإستعانة بالفرنسيين لإستعادة المسروقات وهى كثيرة (٢٣)، وإبان قتال المماليك للفرنسيين مال من كان فى عسكر إبراهيم بك من العربان إلى الفرنسيين فترك إبراهيم بك القتال ولحق بالعرب وأجلاهم عن دياره التى عملوا فيها السلب، وقتل منهم عدداًمن الأشخاص، وكانوا إبان قتالهم للفرنسيين مساقين فقط بحبهم للحصول على الغنائم كما فعلوا مع إبراهيم آغا قبطان السويس، الذى كان يعبر الطريق تحت العلم الفرنسى (٢٤)، ولذا، فإن هجوم الفرنسيين على مناطق البدو كان له صفة تأديبية لاسترجاع مسروقات الناس (٢٥)، ولم يركن إلى أولئك الأعراب حتى فى الحملات الجهاديةالتى كان جنودها يخوضون معاركهم ضد الفرنسيين تحت لواء الإسلام، لأنهم سرعان ما كانوا ينهزمون كما فعلوا فى الحملة التى أعدّها الشيخ الكيلانى الذى كان مجاوراً بمكة والمدينة والطائف، وصار يعظ الناس ويدعوهم للجهاد ويحرضهم على نصرة الدين والحق، فاستجاب لندائه كثيرون من الناس ممن بذلوا أموالهم، «واجتمع نحو ستماية من المجاهدين وركبوا البحر مع من انضم إليهم من أهل ينبع، فورد الخبر فى أواخره- «شهر محرم»- أنه انضم إليهم جملة من أهل الصعيد وبعض أتراك ومغاربة ممن كان خرج - مع غُز مصر عند واقعة أنبابه وركب الغز معهم أيضًا وحاربوا الفرنسيس، فلم يثبت الغز كعادتهم وانهزموا وتبعهم هوارة الصعيد والمجمّعة من القرى، وثبت الحجازيون، ثم انكفوا لقتلهم بناحية جرجا، وهرب الغز والمماليك إلى ناحية اسنا» (٢٦).

وعندما كان أولئك الأعراب يغيرون على الفرنسيين كانوا يقتلون الفرنسيين وغيرهم وينهبون البلاد والمزروعات (٢٧)، ولذا، فإن تأديب الفرنسيين لهم كان يستقبل بكثير من الترحاب

لدى جمهرة الفلاحين وأهل المدن، فكان الفرنسيون يسرفون، فى قتل أولئك البدو وينهبون ما يلقونه عندهم من الأموال والودائع المتجمعة عندهم من أعمال الإغارة والسطو، ولقيت هذه الحملات التأديبية ثناء شريف مكة لأنها أمنت طريق الحج والتجارة مع الحجاز(٢٨)، وربط الفرنسيون بين أعمال أولئك العربان وأمراء المماليك الذين كانوا يعتمدون عليهم، فكانت مناشيرهم تجمع بين المماليك والأعراب فى حديثها عن هلاك الرعية والملة الإسلامية(٢٩)، وكان الفلاحون كثيراً ما يبلغون الفرنسيين بتنقلات أولئك البدو والمماليك، ومن ذلك ما ذكره الجبرتى فى أخبار اليوم الخامس من شهر صفر عام ١٢١٤ هـ. عن المماليك الذين كانوا لاحقين بمراد بك بالبحيرة «فآووا إلى قبة يستظلون بها وتركوا خيولهم مع السايس فنزلت عليهم طائفة من العرب، فأخذت الخيول، فمروا مشاة، فدل الفلاحون عليهم عسكر الفرنسيس فمسكوهم..»(٣٠) فاقتادهم الفرنسيون أسرى إلى القاهرة وأصعدوهم إلى القلعة وقتلوهم.

والبدو أو العرب الذين ظلوا بعيدين عن اللحاق بركب التطور الاجتماعى بسبب عدم وجود السلطة المركزية القادرة على بسط الاستقرار، أما المماليك فكان همهم منحصراً فى منع أولئك العرب من الإغارة على أملاك الملتزمين فى الريف فى أوقات السلم، وفيما عدا ذلك فلقد كان العرب عُدّة الأمراء المماليك فى مشاحناتهم الداخلية يستعينون بهم، فينقسم العرب فى تحالفات الأمراء، ويغيّرون فى التبعية لهذا الأمير أو ذاك وفقًا لأهوائهم ومصالحهم، وقويت شرورهم إبان الحملة الفرنسية وتركيزها على ملاحقة المماليك، فكانوا يغدرون بأولئك الأمرا كلما ازداد شعورهم بعجزهم عن مقاومة الفاتح ، وهذا ما قوّى عنصر ابتعاد أولئك العرب عن أسيادهم المماليك وإيغالهم فى العبث بممتلكات الناس فى الريف وأطراف المدن، وشكلت العرب المترحلة خطراً داهمًا على الأرياف وسكان المدن وقوافل التجار والحجاج. «وكانت هجمات العرب على الريف تشكل عنصر اضطراب فيه،ورغم أن بعضهم كان قد تحول إلى الفلاحة، غير أنهم لم يعدلوا عن عاداتهم القديمة، فهم يستحوذون عنوة على أجود الأطيان، ويحوّلون مياه الرى ويقطعون الجسور فى الوقت الملائم لهم غير عابئين بمصالح جيرانهم إذا أنسوا منهم العجز عن مقاومتهم ، ويدعون على الفلاحين نوعًا من السيادة فيجبرونهم على أداء الخراج بدلاً منهم، كما يسلبون حاصلات القرى المجاورة لهم، فكانت تلك القرى تشترى أمنها بمبلغ من المال تدفعه لهم على شكل إتاوى سنوية. أما العرب فقد كثرت غاراتهم على القرى، يقتلون الفلاحين ويسرقون مواشيهم وكان الجبرتى يعد هؤلاء خطراً داهمًا ورصد الكثير من تجاوزاتهم.

أما الفلاحون الذين كانوا على الرغم من معاناتهم الاقتصادية الكبيرة عنصر استقرار فى الريف لما كان يربطهم ببعضهم من الأصول الحضارية الواحدة والعادات والتقاليد الموروثة، فإن هذا الإستقرار كان قد تعرض فى أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر لهزات عنيفة إثر هروب الفلاحين من الأرض والهجرة إلى

المدينة نتيجة للقحط وإنتشار المجاعات وهجمات العرب،لا بل إن الجبرتي يشير إلى مشاركة الفلاحين الهاربين جيرانهم البدو في الإغارة على المدن. ولم تكن قرى الريف موصولة بالمدينة، وكانت القرية لا تتأثر بالأحداث التي تقع خارج حدودها إلا بالقدر الذي يمسُّ سكان القرية بشكل مباشر، وفيما عدا ذلك كانت القرية تدار ذاتياً وفق تقاليد معينة اللّهم إلاّ إذا جدّ من الأمور ما يدعو عمال الملتزم. أو رجال السلطة إلى التدخل في شؤونها. أما الفلاح في القرية فكان عبدا لسيده الملتزم. وقد استرعت أوضاع الفلاحين المصريين أنظار الفرنسيين، وكان في نيتهم إلغاء نظام الإلتزام وتحسين ظروف الفلاح، ولكن الظروف التي كانت تواجهها الحملة عدلت بالفرنسيين عن تنفيذ ما فكروا به وهذا ما يشير إليه الجبرتي في قوله: «وتملك الفرنسوية الديار المصرية فلم يتعرضوا لشيء من ذلك» (٣١)؛ وقول الجبرتي هذا لا يتعارض مع ما عرضه هارولدج. كرستوف(٣٢) من أن بونابرت كان يود إعادة النظر في قوانين الملكية والمواريث والضرائب. وفي عهد «مينو» تشكلت لجنة لمسح الأراضي الزراعية، وكان مشروعه، إلغاء نظام الإلتزام، وجعل الأراضي الأوسية ملكًا للملتزمين وأرض الفلاحة ملكًا للفلاحين، وتوحيد الضريبة، وإعطاء ملاك الأراضي من الفلاحين مطلق الحرية في زراعة أطيانهم كما يشاءون (٣٣).

وهذا ما نجد صداه فيما ذكره الجبرتي في حوادث رجب عام ١٢١٥ هـ. أن بعض الملتزمين حضروا «يستغيثون بأهل الديوان ويقولون إنه بلغنا أن جمهور الفرنسوية يريدون وضع أيديهم على جميع الإلتزام... وأنهم يستغيثون بأهل الديوان عند سارى عسكر أن يبقى لهم التزاماتهم... ، وقد دارت بين الملتزمين وبين أحد الضباط الفرنسيين مجادلات ذكر فيها الملتزمون «أن لديهم الفرمانات والتمسكات من سلفكم بونابرته ومن السلاطين السابقين، وأنهم ورثوا ذلك عن آبائهم وأسلافهم وأسيادهم، وإذا أخذ منهم الالتزام اضطروا إلى الخروج من البلد والهجاج وخراب دورهم ويصبحون صعاليك ولا يأتمنهم الناس» (٣٤)

ويشير الجبرتي في حوادث شعبان عام ١٢١٥ هـ. أنه «قد أجيب الملتزمون بإبقاء التزامهم عليهم وأنكروا ما قيل من رفع أيديهم (عن التصرف بإلتزاماتهم)، وعوتب من صدق هذه الأكذوبة، وإن كانت قد صدرت عن الخزندار فإنما كانت على سبيل الهذر ويكون التحريف من الترجمان...» (٣٥)

كان الفلاحون المصريون عشية الغزو الفرنسي مصدراً مهمًا من مصادر الاقتصاد ولكنهم كانوا موضع ابتزاز شاركت فيه فئات الملتزمين وأتباعهم المماليك والمتعممون من علماء الأزهر وشيوخ القرى «والمباشرون» ومن يعاونهم من الكتبة والصيارفة، وحتى «الشاهد» الذى كان فلاحو القرية يختارونه بموافقة الملتزم ليرعى مصالحهم، فلم يكن يمثل الفلاحين إلاّ في الاسم فقط؛ إذ كان على نحو ما يشير الجبرتي «شريكًا للشيوخ والصراف في ظلم الفلاح» (٣٦)، ناهيك عن «المشد» و «الخفير» اللذين يقومان بمهمات تنفيذية أقرب ما تكون إلى مهمات رجال الشرطة الذين لهم هم الأخرون نصيبهم من كدِّ الفلاح وعرق

جبينه. والجبرتى يشير فى كثير من مواضع كتابه عجايب الآثار إلى الكثير من أخبار المجاعات وهجر الفلاحين للقرى، كما يشير إلى رأفة الفرنسيين بالفلاحين، فقد انتظم أمر الضرائب فى أيامهم، وأبطل الفرنسيون تحصيل الخراج لمدة عام، مُقَدَّمًا، وهو ما كان شائعًا من قبل، فلم يُطالب الفلاحون ولا الملتزمون بالخراج لعام ١٨٠٠، «فتنفَّس الفلاحون وراج حالهم، وتراجعت أرواحهم مع عدم تكليفهم كثرة المغارم والكلف، وحق طريق المعنيين»(٣٧)

ولا شك أن الفلاحين لم يكونوا ناقمين على الفرنسيين نقمة العامة من أهل القاهرة، ولكنهم أخذوا يشعرون بالحنين إليهم بعد ذهابهم وعودة العثمانيين. والجبرتى ينقل على لسان الفلاحين تذكرهم بالأسف أيام الفرنسيين خاصة إذا قارنوها بكثرة المظالم العثمانية(٣٨)، ذلك لأن العثمانيين طالبوا الملتزمين والفلاحين بسداد الخراج عن سنوات الاحتلال الفرنسى، وكلفوا الصيارفة الأقباط بالنزول إلى البلاد لقبض الأموال فى غير أوانها لطرف الدولة (٣٩)، وكان الجنود العثمانيون يلفِّقون الفرامانات «ويقبضون على مشايخ القرى ويلزمونهم بالكلف الفاحشة ويخطفون الأغنام ويهجمون على النساء»(٤٠).

أما القاهرة فقد كانت تشكل مجتمعًا متعدد الجماهير متنوع الاتجاهات، وهذه الإتجاهات ارتبطت نظراتها السياسية والوطنية بما درجت عليه من تكوين دينى؛ فهنالك الأقباط والمعتدلون من السنة والمسلمون المتطرفون، وإنْ كانت هذه الجماهير لا سيما المسلمة منها قد ذعرت لأنباء إنكسار المماليك فى أنبابه، وخرجت من القاهرة بإتجاه الأرياف القريبة من المدينة فإنها عادت بعد إطمئنانها لمناشير بونابرت وتأكيده على عدم المسّ باستقرار الأهالى والتقاء بونابرت بالعلماء والأعيان وتكريسهم كقيادات جديدة بدلاً عن المماليك، يقول الجبرتى: «ولما أصبح يوم الأحد المذكور ٨ من صفر عام ١٢١٣، والمقيمون لا يدرون ما يفعل بهم ومتوقعون حلول الفرنسيس ووقوع المكروه...فاجتمع فى الأزهر بعض العلماء والمشايخ وتشاوروا، فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مراسلة إلى الإفرنج، وينتظروا ما يكون من جوابهم، ففعلوا ذلك وأرسلوها صحبة شخص مغربى يعرف لغتهم وآخر صحبته فغابا وعادا فأخبرا أنهما قابلا كبير القوم وأعطياه الرسالة فقراها عليه ترجمانه، ومضمونها الإستفهام عن قصدهم، فقال على لسان الترجمان، وأين عظماكم ومشايخكم؟ لم تأخروا عن الحضور إلينا لنرتب لهم ما يكون فيه الراحة؟ وطمّنهم وبش فى وجوههم فقالوا نريد أمانًا منكم، فقال قد أرسلنا لكم سابقًا، يعنون الكتاب المذكور، فقالوا وأيضًا لأجل إطمئنان الناس، فكتبوا لهم ورقة أخرى مضمونها: من معسكر الجيزة خطابًا لأهل مصر، إننا أرسلنا لكم فى السابق كتابًا فيه الكفاية، وذكرنا لكم أننا ما حضرنا إلاّ بقصد إزالة المماليك الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والإحتقار، وأخذوا مال التجار ومال السلطان، ولما حضرنا إلى البر الغربى خرجوا إلينا فقابلناهم بما يستحقون وقتلنا بعضهم وأسرنا بعضهم عندنا، وهرب بعضهم، ونحن فى طلبهم حتى لم يبق منهم أحد

بالقطر المصرى، وأما المشايخ والعلماء ، وأصحاب المرتبات والرعية فيكونوا مطمئنين، وفى مساكنهم متاجرين ومرتاحين، إلى آخر ما ذكرنا. ثم قال لهم لازم أن المشايخ والشورباجية يأتون إلينا لنرتّب منهم ديوانًا ننتخبه من سبعة أشخاص عقلاً يدبرون الأمر،ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس وركب الشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى وآخرون إلى الجيزة. فتلقاهم وضحك لهم وقال أنتم المشايخ الكبار، فاعلموه أن المشايخ الكبار خافوا وهربوا، فقال لأى شىء يهربون؟ اكتبوا لهم بالحضور، ونعمل لكم ديوانًا لأجل راحتكم وراحة الرعية وإجراء الشريعة.، فكتبوا منه عدة مكاتيب بالحضور والأمان، ثم انفصلوا من معسكرهم بعد العشاءوبقى الناس فى وجل وخوف على غيابهم، وأصبحوا فأرسلوا الأمان إلى المشايخ فحضر الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى ومن انضم إليهما من الناس الفارين من ناحية المطرية، وأما عمر أفندى نقيب الأشراف، فإنه لم يطمين، ولم يحضر كذلك الروزنمجى والأفندية» (٤١).

كان هذا اللقاء بالمشايخ بدايةً لعهد جديد استمر ما يقارب السنتين تكوَّن فيها، فى القاهرة ، رأى عام أو ما يشبه الرأى العام. فغياب القيادات القديمة، المماليك والعثمانيين أحدث فى بادئ الأمر ما نسميه ظاهرة الحراك الفزعى الذى يستولى على العامة من الجمهور، إبان الغياب المفاجئ للقيادة الجماهيرية، والجماهير تعتمد إعتماداً مطلقًا على قادتها فى أوقات الأزمات، وكثيراً ما تضيف لهذا القائد صفات ليست عنده، ولكنها تعكس أمانى الجماهير فى تحقيق أهدافها. وجماهير القاهرة التى أنْبئت بهرب قادتها فقدت روحها المعنوية بغلبة مشاعر السلبية على الإيجابى منها، وفى هذه الحال يستحيل تكوين رأى عام فى مواجهة المواقف والأزمات العصيبة، والفرد المذعور لا يأبه سوى بمصيره، كذلك تتعرض العلاقات البنائيةفى الجماعة للإنفصام، كما ينتشر الذعر بسرعة عن طريق العدوى، وهو ما عبَّر عنه الجبرتى فى وصفه المعبِّر لهروب أهالى القاهرة بعد أن فرَّ منها المماليك والمشايخ«فلما عاين العامة و الرعية ذلك، اشتد ضجرهم وخوفهم، وتحركت عزايمهم للهروب واللحاق بهم. والحال أن الجميع لا يدرون أىّ طريق يسلكون وإلى أىّ جهة يذهبون، وأى محل يستقرون، فتلاحقوا وتسابقوا وخرجوا من كل حدب ينسلون، وبيع الحمار الأعرج والبغل الضعيف بأضعاف ثمنه، وخرج أكثرهم ماشيًا أو حاملاً متاعه على رأسه، وزوجته حاملة طفلها، ومن قدر على مركوب أركب زوجته وابنته، ومشى هو على قدميه، وخرجت غالب النساء ماشيات حاسرات، وأطفالهن على أكتافهن يبكين فى ظلمة الليل...»(٤٢)

دخل بونابرت القاهرة فى ٢٤ يوليه عام ١٧٩٨ كما تقول الوثائق الفرنسية الرسمية، وهذا ما يتفق مع رواية الجبرتى فى أن بونابرت عدى القاهرة يوم الثلاثاء١٠ صفر عام ١٢١٣ وان كان احمد حافظ عوض فى كتابه (فتح مصر الحديث) ص ١٥١ أن دخول بونابرت للقاهرة كان يوم الاربعاء ٢٥ يوليو ١١ صفر ١٢١٣هـ.، «وفى ذلك اليوم اجتمعت الجعيدية وأوباش الناس، ونهبوا إبراهيم بك ومراد بك بقيسون، وأحرقوه ونهبوا

أيضًا عدّة بيوت من بيوت الأمرا وأخذوا ما فيها من فرش ونحاس وغير ذلك وباعوه بأبخس الأثمان وسكن بونابرته بيت محمد بك الألفى بالأزبكية بخُط الساكت، وكان عُمره محمد بك المذكور سنة تاريخه ، وزخرفه وصرف عليه أموالاً عظيمة، وفرشه بالفرش الفاخر، وعند تمامه وسكناه فيه حصلت هذه الحادثة، فأخلوه وتركوه بما فيه، فكأنه إنما كان يبنيه لأمير الفرنسيس، وكذلك حصل فى بيت حسن كاشف جركس بالناصرية... وفى هذا اليوم (الخميس) اجتمع أرباب الديوان عند رئيسه فذكر لهم ما وقع من نهب البيوت فقالوا له هذا فعل الجعيدية وأوباش الناس، فقال: لأى شىء يفعلون ذلك وقد أوصيناكم بحفظ البيوت والختم على متاع المماليك؟، فقالوا هذا الأمر لا قدرة لنا على منعه وإنما ذلك من وظيفة الحكام، فأمروا الوالى والأغا بأن ينادوا بالأمان وفتح الدكاكين والمنع من النهب، فلم يستمعوا ولم ينتهوا واستمرت الدكاكين مغلقة والأسواق على حالها مقفرة، والناس غير مطمئنين وقلوبهم مرجوفة مرجفه، وصدورهم ضيقة، والتفت جماعة الفرنسيس إلى فتح البيوت التى للأمرا فصاروا يفتحون الدار، ويدخلونها ويأخذون منها ما يليق بخاطرهم ويخرجون، ويتركون الأبواب مفتحة، فيدخل بعدهم طائفة الجعيدية ويستأصلون الباقى واستمروا على ذلك عدة أيام،ثم إنهم تتبعوا بيوت الأمرا وأتباعهم وختموا على بعضها، وسكنوا بعضها، فكان الذى يخاف على داره من جماعة الوجاقلية أو من أهل البلد يعلق له بيرقًا على داره فى الباب أو يأخذ له ورقة من الفرنسيس، لا يعرف ما فيها ويلصقها على بابه....»[٤٣].

تلك هى صورة حية لأعمال الزمر من العامة يوم دخول الفرنسيين إلى القاهرة، آثرنا نقلها بصوت صاحبها لما فيها من جمال التصوير وصدق اللهجة والألم الذى ينتاب الفئة الصامتة من الجمهور.. وفى هذا النص الكثير مما يذكرك بما عرضه لوبون من انفلات الغرائز لدى الزمر فى غياب الضوابط الإدارية والاجتماعية والأخلاقية، ولكن هذه جميعها تعجز عن أن تعطينا الجواب فى غياب الواقع المعاشى الذى كانت تعيشه هذه الزمر ثم الحقد الكامل فى نفوسها على حكام الأمس وهو حقد المجرد عندها على الأهلين من التجار على وجه الخصوص، وهذه الزمر من الغوغاء انفلتت غرائزها المكبوتة وقد تكون تلك هى صفة الزمر التى رافقت الثورات الفاقدة للمدرسة الإيديولوچية..

والجبرتى شديد الإهتمام بهذه الجمهرة من عوام الناس، وهو بحكم موقعه الطبقى والفكرى يقف منها موقف الناقد لتصرفاتها وهى تصرفات سلبية إذا ما أفلتت من قيادة العلماء ، وإذا علمنا أن القيادات الدينية التقليدية فضلت فى معظمها التعاون مع الفرنسيين لتفادى الخطر الداهم، وعجز المصريين عن التصدّى للغازى بقوة السلاح، علمنا دوافع خروج العامة فى كثير من الأحيان عن طاعة أولئك العلماء المتعاونين مع الأجنبى، لا بل إن هذه العامة انحازت إلى طبقة رجال الصوفية الذين لم يحسب الفرنسيون لهم حسابًا فى تعاملهم مع رجال الدين كوسيط بينهم وبين

الشعب، ولقى العلماء من هذه العامة عنتا شديداً، كان يصل إلى حد الهجوم على بيوت العلماء واتهامهم بالخيانة. وهذه العامة فى نظر الجبرتى تعيش فى الأوهام البعيدة عن الواقع سريعة التصديق لكل إشاعة، وهذه الإشاعات نادراً ما تستند إلى أساس من الواقع أو أن يكون لها توجُّه إيجابى، بل هى فى الأعم الأغلبى من النوع السلبى. وإن كانت الإشاعات لدى العامة وفقًا للتحليلات النفسية تعبر عن أمانى الجمهور وآماله، فإنها فى الوقت ذاته تحمل التطير من الأذى فتتلبّس صفة سوداوية وهذه الأخيرة هى أكثر أنواع الإشاعات سرياناً فى أوقات الأزمات «وغالبًا ما تصحبها اتهامات موجهة إلى كبش فداء ... فهذه الإتهامات تلعب دوراً مزدوجًا، فهى تساعد من ناحية على تحديد موضع الداء ، وأحيانًا تنفس عن المكبوت من الإنفعالات المخزونة». ومن يلاحق أخبار هذه العامة فيما كتبه الجبرتى لا يعوزه فى كثير من الأحيان اكتشاف مواطن التحيز لدى المؤرخ ولكنه لا يستطيع إلاّ أن يقر بصدق أخباره وواقعيتها.وهذه الإشاعات إذا ما عرضها الباحث على محك النقد لا بدَّ أن نلمح فيها نوازع الصراع الطبقى، ودور القادة والزعماء فى توجيه الرأى العام وفقًا لأهداف أولئك الزعماء .وكثيراً ما تتداخل الإشاعات بالوشايات فيذهب ضحيتها البرئ بالجانى وتختلط الحقائق.

ومن الإشاعات ما كان يرتبط بنوازع وآمال وطنية المنحى تعبّر عن الرغبة فى ظهور مخلص ينجّى البلاد من كابوس الفرنسيين وهذا المخلص تراءى لجمهرة العامة عند دخول الإنكليز الذين أغرقوا الأسطول الفرنسى فى ميناء أبى قير. ففى يوم الجمعة الخامس من شهر ربيع الأول عام ١٢١٣، وفيما كان الفرنسيون يدعون إلى الإحتفال بوفاء النيل ويقيمون الإحتفال بهذا العيد الوطنى لم يخرج أحد من الناس فى تلك الليلة للتنزه فى المراكب على جرى العادة سوى النصارى الشوام والقبط والإفرنج ونسائهم «وقليل من البطالين حضروا فى صبحها بقلوب منكسرة ونفوس ضعيفة،وفيه تواترت الأخبار بحضور عدة مراكب من الإنكليز إلى ثغر اسكندرية وحاربوا مراكب الفرنسيين بالميناء، وكانت أشيعت هذه الأخبار من مدة أيام،وتحادث بها الناس فصعب ذلك على الإفرنج وشق عليهم واتفق أن بعض النصارى نقل عن رجل شريف يقال له أحمد الزرو، من تجار وكالة الصابون أنه تحدث بذلك فأمروا بإحضاره، وذكروا له ذلك فأنكر، وقال إننى سمعت ذلك من فلان النصرانى فأحضروه أيضًا وأمروا بقطع لسان الإثنين أو يدفع كل واحد ماية ريال فرانسه فتشفع المشايخ فلم يقبلوا، فقال بعضهم أطلقوهم ونحن نأتيكم بالدراهم فلم يمكن، فأرسل الشيخ مصطفى الصاوى وأحضر مائتى ريال فرانسه ودفعهم فى الحضرة فلما قبضها الوكيل ردها إليه وقال فرقوها على الفقراء، فأظهر أنه فرقها كما أشار وردها إلى أصحابها، فانكف الناس على التكلم فى شأن ذلك...»(٤٤)

وقد يكون من المآخذ علينا الإكثار من إيراد النصوص للجبرتى، ولكننى أعترف بأن تلخيص هذه النصوص يفقدها إيحاءتها المتعددة الأبعاد؛

فكل فقرة منها إذا ما توقَّفت أمام نصها الحرفى وجدت أنك تنزع عن المؤلف أبعاد معانيه الكامنة وراء النص؛ فالجبرتى مؤرخ صاحب يوميات أى صاحب مذكرات وهو فى ذلك أديب مفعهم بالوجدانى من المشاعر، وليست هذه الوجدانيات لغواً، بل تحمل فى إختيار ألفاظها وطبيعة تراكيبها ما يجمع بين الشاعرية الإيحائية والمذهب الواقعى فى القص والكتابة النثرية، ولابدَّ لى قبل التعليق على هذا النص من الإعتراف أن قلة من قصاصينا المحدثين من تؤاتيهم القدرة على تمثيل الفكرة العميقة فى قليل من اللفظ كالجبرتى؛ ومن هنا كانت يومياته داخلة فى المباحث الاجتماعية دون أن يكون عالمًا اجتماعيًا بالمعنى المتعارف عليه فى أيامنا، وقد لا يكون فى المستوى نفسه عندما يتناول شؤون السياسة البحتة وإنْ كان نادراً ما تناول السياسة مُعرّاة من مضامينها الاجتماعية.

لقد درج الفرنسيون فى الإحتفاء بأعياد المصريين دينية كانت هذه الأعياد أم وطنية. وكانت غايتهم من ذلك جذب العامة إليهم بإدخال المسرات فى نفوسهم والتقرب إلى الجمهور من أبواب الترفيه العابر. ولكن الجمهور المصرى، وهو المعروف بحبه للهو، كان عارقًا بما فرضه الفرنسيون على العامة من الغرامات، التى يستخدم لها الجبرتى لفظة الفِرْدَه، وحشهم فى طلبها، ونهبهم البيوت فى حال تأخر تسديدها،وإزعاج النساء والجوارى وغيرهن وحبسهن لإجراء المصالحات على تسويتها فى حال العجز عن تسديدها كاملة وغيرها من الأمور «الخارجة عن الحد»؛ ولذا كان حضور العامة من المسلمين منعدماً إلا «القليل من الناس البطالين حضروا فى صبحها بقلوب منكسرة ونفوس ضعيفة». ثم إن الفرنسيين أزعجتهم الشائعة لأنهم متصلة بحقيقة مؤلمة ذات مردود سياسى على استقرارهم فى مصر، ولذا تشددوا فى ملاحقة مصدرها وقطع لسان مطلقيها وكان ناقلها الأصلى نصرانيًا ولم يكن فى هذا النقل ما له صلة بالتشفى، ومن المحتمل جداً أن يكون مصدرها الخشية على سلامة الفرنسيين، ولم تكن كذلك بالنسبة للسيد أحمد الزور التاجر فى وكالة الصابون بخط الجمالة؛ والعامة هكذا تتناقل الإشاعة الواحدة فى أغراض مختلفة. أما العقلاء الذين يمثلهم الشيخ مصطفى الصاوى عندما تدخلوا لإفتداء الرجلين النصرانى والمسلم على السواء كانوا يصدرون فى ذلك عن خلفية لها عمقها الثابت فى الرأى العام؛ ولذا فإن المسؤول الفرنسى ردّ المال للشيخ الصاوى قائلاً فرقوهم على الفقراء. وكان الشيخ بما له من رصيد لدى النخبة قد استدان المبلغ فلما أعيد رده لأصحابه.

وهكذا ترك الجبرتى ظلالاً بعيدة العمق على توجهات العامة، وفى الوقت نفسه على توجهات الرأى العام الذى مثّله الشيخ من الزاوية الدينية وما يتصل بهذه الزاوية من نزعة أخلاقية. وقد أفاد عامة الجند من ضعف روح النقد لدى عامة المصريين فاستغلوا سذاجتهم؛ إذ كثيراً ما تزيلوا بثياب الجند العثمانيين «عسكر المتولى» حاملين أوامر السلطان بجمع الأموال والكلف فيمتثل الفلاحون للأوامر، ودون إحساس عميق بالتذمر.

كانت العامة هى مستقر الحقد على الفرنسيين، ولم تكن تلك حال بقية فئات الشعب الذين كانوا يحاكمون الأمور فى روية؛ ولذا كانت العامة تفرح بانكسارات الفرنسيين فكثرت الأوامر والمناشير التى استكتبها الفرنسيون للشيوخ لدعوة العامة إلى «ترك الفضول والكلام فى أمور الدولة، وإذا مرّ عليهم جماعة من العسكر مجروحين أو منهزمين لا يصرخون بهم ولا يصفقون عليهم كما هى عادتهم» (٤٥). كانت العامة تبطن الخذلان لأهل الكفر وتنشرح وتستبشر بنصر أهل الدين،وأهل الدين باتوا بالنسبة للعامة بعد دخول الفرنسيين هم العثمانيون وكل من يؤازرهم لا سيما أمراء بلاد الشام؛ فكانوا يدعون بالنصر للجزار. فلما جاءت مناشير الفرنسيين لتخبر بسقوط العريش ويافا وتحقق أهل القاهرة من صحة الخبر «نزل بهم من الكآبة والحزن والهم ما لا يوصف.فإنهم كانوا يظنون بل يتيقنون استحالة ذلك خصوصاً فى المدة القليلة، ولكن المقضى كائن...» (٤٦). أما الفرنسيون فإنهم كعادتهم كانوا يتشددون فى العقوبة على الإشاعات التى تناقض بياناتهم ومناشيرهم؛ وكان الشيوخ المعتدلون يحرصون على تنفيذ أوامر الفرنسيين خشية من إنزال العقوبة بالعامة، وينهون الناس عن التلفظ بحق الفرنسيين وعدم الوقوع فى الفتنة لكثرة المتجسسين فلا ينتهون؛ أما الفرنسيون فكانوا، لمزيد من تأكيد هيبتهم يحتفلون بإنتصاراتهم وكثيراً ما أوهموا الناس بمثل هذه الإنتصارات. ولم تكن بياناتهم التى يلصقونها على الجدران عن انتصاراتهم فى بلاد الشام وغيرها مطابقة للحقيقة؛ إذ إبّان حصارهم لعكا ادعت هذه المناشير المستهلة بالبسملة وشكر الله على نعمه أن قلعة عكا فى حكم الساقطة «... أما بقية أقاليم الشام، وما يلى عكا من البلاد فإنهم لنا طائعون، وبالإعتناء ومزيد المحبة فينا راغبون، يأتوننا بكل خير عظيم، ويحضرون لنا أفواجاً أفواجاً بالهدايا الكثيرة والحب الجسيم من القلب السليم، وهذا من فضل الله علينا، ومن شدة بغضهم للجزار باشا، ونخبركم أيضاً أن الجنرال يونوت انتصر على أربعة آلاف مقاتل حضروا من الشام خيالة ومشاة فقابلهم بثلاثماية عسكرى مشاة من عساكرنا فكسروا التجريدة المذكورة، وأوقع منهم نحو ستماية واحد ما بين مقتول ومجروح، وأخذ منهم خمسة بيارق، وهذا أمر عجيب لم يقع نظيره فى الحروب أن ثلاثماية نفس تهزم نحو أربعة آلاف نفس، فعلمنا أن النصرة من عند الله لا بالقلة ولا بالكثرة»(٤٧).

فمناشير الفرنسيين بما كانت تحمله من تضخيم كانت تبغى التأثير على العامة لا بل إن ظاهر النصوص الذى كان مشبعاً بالروح الدينية الإسلامية وروح التوكل كان جزءاً من استراتجية الدعاوة الفرنسية، ولا نعتقد أن هذا النهج الدينى كانت أهدافه وتلفيقاته خافية على العامة، وكان التضخيم عاملاً من عوامل بعد العامة عن تصديق هذه المناشير وانتشار الإشاعات المضادة لمضامينها.وكانت الفضيحة الكبرى فى مناشير بونابرت عن عكا التى سرعان ما تبين زيفها.

ورافق عودة بونابرت من عكا إلى مصر سيل من الإشاعات تتركز جميعها على عودة العسكر

العثملى، لا بل إن الإشاعات كانت قد روجت أخبار مقتل بونابرت فى عكا بدليل ما جاء فى المنشور الذى وزعته السلطات الفرنسية فى الخامس عشر من شهر محرم عام ١٢١٤ بأن بونابرت دخل إلى مصر من باب النصر فى موكب عظيم «وصحبته العلماء والأوجاقات السلطانية وأرباب الأقلام الديوانية وأعيان التجار المصرية... فوجوده هو الأمير الأول بذاته وصفاته وظهر أن الناس يكذبون عليه،شرح الله صدره للإ سلام، والذى أشاع عنه الأخبار الكاذبة العربان الفاجرة والغز الهاربة، ومرادهم بهذه الإشاعة هلاك الرعية وتدمير أهل الملة الإسلامية وتعطيل الأموال الديوانية...»(٤٨) . وهذا المنشور نفسه يكذب ما شاع من قدوم العساكر العثمانية وينسب مصدر هذه الإشاعات إلى المماليك الذين يرسلون الفرمانات ويدعون أنها من طرف السلطان.

كان شعار الفرنسيين إبان غزوهم وإقامتهم فى مصر أنهم جاءوا فقط لقتال المماليك، وكانوا يتجنبون كل ما من شأنه أن يظهر العداء للدولة العلية لما كانوا يعرفونه من رصيد الدولة العثمانية فى أوساط الناس. وعندما قبض الفرنسيون بأمر من بونابرت على ملا زاده ابن قاضى العسكر وهو عثمانى لانحياز والده إلى المماليك ليولوا القضاء بدلاً عنه شيخًا من العلماء يكون من أهل مصر، تدخل أعضاء الديوان من الشيوخ والأعيان للإفراج عنه، وخاطب الشيخ السادات رئيس الديوان بقوله: «إنكم تقولون دائماً إن الفرنساوية أحباب العثملية، وهذا ابن القاضى من طرف العثملى فهذا الفعل مما يسىء الظن بالفرنسوية ويكذب قولهم عند العامة، فأجاب الوكيل بعد ما ترجم له الترجمان بقوله لا بأس بالشفاعة ولكن بعد تنفيذ أمر صارى عسكر فى اختيار قاض خلافه، فامتثلوا وعملوا القرعة فطلعت الأكثرية باسم الشيخ أحمد العريشى الحنفى...»(٤٩) . وبعد أن قلده أعضاء الديوان الفرنسى الفروة المثمنة نزلوا جميعاً إلى دار السيد أحمد المحروقى وأفرجوا عن ملازاده ومشوا معه فى وسط المدينة ليراه الناس ويبطل القال والقيل؛ لا بل إن بونابرت فى خطابه للسادات يتبرأ من عزل القاضى العسكرى العثمانى؛ فهذا القاضى هو الذى هرب من إقليم مصر وخان صحبة الفرنسوية وإحسانهم ولكى لايبقى مركز قاضي العسكر شاغراً، كان لا بدّ من اختيار البديل الذى يحكم بين الناس، «فاستحسنت أن يجتمعوا علماء المسلمين ويختاروا باتفاقهم قاضياً شرعياً من علماء مصر وعقلائهم لأجل موافقة القرآن العظيم باتباع سبيل المؤمنين، وكذلك مرادى أن حضرة الشيخ العريشى الذى اخترتوه جميعاً أن يكون لابسًا من عندى وجالساً فى المحكمة وهكذا كان فعل الخلفاء فى العصر الأول باختيار جميع المؤمنين...»(٥٠).

كان الجبرتى شديد القسوة على الفرنسيين فى مظهر التقديس، وهو فى ذلك يعكس إحساساً جماهيرياً مصرياً صادقاً؛ وكان فى كتابه عجايب الآثار جـ ٤ وهو نسخة معدَّلة لمظهر التقديس، أكثر رأفة بهم، وذلك لأن الجبرتى بعد أن شهد الصراع التركى المملوكى المتمثل بالوجود الإنجليزى بعد خروج الفرنسيين بات «أدق وأكثر نقداً لسير الحوادث ورجالها مما كان عليه قبل الحملة»(٥١) ، وقد أحصى الدكتور محمد محمود السروجى المفارقات بين مظهر التقديس والجزء

الرابع من عجائب الآثار(٥٢) فوجدها فى واحد وثلاثين فقرة فمنها اثنتان وعشرون فيها تراجع عن سبّ الفرنسيين. وقد كان الجبرتى فى ذلك مدفوعاً بخيبة الأمل التى أصابته بعد عودة العثمانيين وانتشار الفوضى والاضطراب، مما جعله يدرك أن الحكم الفرنسى لمصر لم يكن شرّاً كله بل رأى فيه وهو الأجنبى بتقاليده وثقافته وحضارته ما يفضل الحكم العثمانى رغم الاشتراك فى المنابع الموحدة بين المصريين والعثمانيين، وقد استرعى انتباهه مفهوم العدالة عند الفرنسيين التى تجلت فى محاكمة سليمان الحلبى قاتل الجنرال كليبر بخلاف مارآه بعد عودة الجنود العثمانيين من صنوف التعديات على حرمات الناس «من أفعال أوباش العساكر الذين يدعون الإسلام يزعمون أنهم يجاهدون وقتلهم الأنفس وتجاريهم على هدم البنية الإنسانية بمجرد شهواتهم الحيوانية مما سيتلى عليك بعضه بعد»(٥٣).

كان دخول الفرنسيين حدثاً جديداً فى حياة المصريين على اختلاف طبقاتهم وطوائفهم، ولم يكن لهذا الغزو ما يربطه بما وعاه المصريون من أخبار الغزو الصليبى؛ فارتباطهم بالمسيحية لايعدو كونه ارتباطاً قسرياً، أو كما يقول فيهم الشيخ عبدالله الشرقاوى كبير أرباب الديوان الذى أسسه نابوليون فى مصر: «وحقيقة حالة الفرنساوية الذين حضروا إلى مصر أنهم من الفلاسفة الإباحية الطبائعية، يقال لهم نصارى قاثولقية يتبعون عيسى عليه السلام ظاهراً وينكرون البعث والدار الآخرة»(٥٤)، ويصفهم الجبرتى بالإلحاد: «فهؤلاء الأقوام خالفوا النصارى والمسلمين، ولم يتمسكوا من الأديان بدين، فتراهم دهرية معطلين، وللمعاد والحشر منكرون، وللنبوة والرسالة جاحدون...»(٥٥). وقد كانت قوتهم العسكرية فوق ما توقعته العامة والخاصة، وسيطر على أذهان القاهريين الذين سمعوا بفتح الإسكندرية وفرار المماليك فى أنبابه أن الغازى الجديدلابدّ مستبيح مدينتهم، فخرجوا منها هلعين ثم ساورهم الاطمئنان إثر اتصال الشيوخ ببونابرت وتأكيد هذا القائد أنه لم يأت لقتال المسلمين بل استئصال شأفة المماليك الذين زرعوا الخراب فى إقليم مصر واساءوا معاملة التجار الفرنسيين.

وإن كان القاهريون وقياداتهم الدينية لم يصدقوا أكذوبة بيانات بونابرت فى ادعائه بأن القادمين مسلمون وشككوا فى حب الفرنسيين للإسلام وصداقتهم للباب العالى، فإنهم بدافع من طلب الحماية والاستقرار انفتحوا على الفاتح الجديد رغم الاختلاف التام فى اللغة والتراث الحضارى والعادات والتقاليد. وقد تكون الحملة العلمية التى رافقت الحملة العسكرية من العوامل الكبيرة فى التمهيد لهذا اللقاء بين الحضارتين، وكان الديوان الخصوصى المؤلف من بعض كبار المشايخ والديوان العمومى المؤلف من أصحاب الحرف والتجارب بداية لنوع من الحكم الأهلى الذى يستشار فيه أهل العقد والحل رغم خشية الشيوخ ميل الفرنسيين إلى إصدار تشاريعهم وفقاً لمعطيات العقل البشرى.

ولكن هذا الانفتاح عطله عاملان يرتبط الواحد منهما بالآخر: انكسار الأسطول الفرنسى تحت ضربات الأسطول الإنجليزى وحصار الإنجليز لميناء الإسكندرية، ومنع الجيوش الفرنسية فى مصر من الاتصال بفرنسا للتزود بما تحتاج إليه من زاد

ومال وعتاد، وهذا ما اضطر القيادة الفرنسية فى مصر إلى المبالغة فى فرض الضرائب المحلية على الأهالى والتعسف فى سبل تحصيلها، ثم إن انقطاع المدد جعل الجيوش الفرنسية تتمرد فى كثير من الأحيان على الانضباط العام وتسىء لممتلكات المصريين فى حياتهم. وهذا ما جعل نقمة الجماهير المصرية تتجاوز حدود قدرة الشيوخ على ضبط الأوضاع وفقاً لرغبة القيادة الفرنسية، هذه النقمة التى بلغت أوجها فى ثورتى القاهرة وعجز الشيوخ عن الحؤول دونها ووصفها الجبرتى بالفتنة.

وعلى الرغم من أن علاقة الشيوخ بالفرنسيين تراوحت بين المداراة والإعجاب بعلوم الفرنسيين ونظمهم الإدارية، فإن هؤلاء الشيوخ كانوا يتوجسون خيفة من الأقليات الدينية من الأقباط والأروام والشوام الذين عظمت مكانتهم إثر استخدام الفرنسيين لهم فى الشرطة والأعمال الإدارية وتمردوا على القيود الاجتماعية التى درجوا على الالتزام بها من حيث اللباس والركوب والامتناع عن كل ما من شأنه أن يشكل تحدياً للمكانة الاجتماعية للمشايخ المسلمين ثم عاد الفرنسيون إلى إلزامهم بها اجتذاباً لمشاعر الجماهير المسلمة لاسيما الطبقة المثقفة من العلماء التى سعى الفرنسيون إلى امتصاصها فى أجهزة الإدارة الجديدة بعد أن أزالوا النبالة التركية، فرجع النصارى الشوام «إلى عاداتهم فى لبس العمايم السود والزرق، وتركوا لبس العمايم البيض والشالات الكشمير الملونة والمشجرات، وذلك بمنع الفرنسيس لهم من ذلك ونبهوا أيضاً بالمناداة فى أوائل رمضان بأن نصارى البلد يمشون على عادتهم مع المسلمين أولاً، ولا يتجاهرون بالأكل والشرب فى الأسواق، ولا يشربون الدخان فى الأسواق ولا شيئًا من ذلك بالمرة، كل ذلك استجلاباً لخواطر الرعية»(٥٦).

كان أهل الذمة يشكلون قطاعًا واسعاً من الجمهور المصرى، ولكنه قطاع فرضت عليه التقاليد الدينية والدنيوية أن يحتلوا المرتبة الثانية بعد المسلمين فى سلسلة التراتب الاجتماعى الطبقى، وهو تراتب تجلى فى مظاهر السلوك العام مثل إجبارهم لبس العمائم السوداء والزرقاء تمييزاً لهم من المسلمين الذين يلبسون العمامة البيضاء، والسير فى الطرقات على الجانب الأيمن، وحرِّم عليهم المرور أمام المساجد وهم يركبون دابة وغير ذلك من القيود المرتبطة بالحرية الإنسانية (انظر فى ذلك عهد عمر)؛ ولا شك أن وضعاً كهذا كان لابدَّ أن يشكل حالة من الكبت النفسى تفجَّر عند العامة مع مجىء الفرنسيين، وكانت هذه الأعمال فى نظر المسلمين الذين استقر فى وجدانهم أن أهل الذمة يشغلون مرتبة اجتماعية دون مرتبتهم، تشكل خرقًا لحرمات دينية؛ وهذا ما دفع بالجبرتى إلى أن يرصد سلوكهم فى كثير من الغيظ؛ فذكر الجبرتى من بين مصائب العام الأول للحملة الفرنسية «ترفع أسافل النصارى من القبط والشوام والأروام واليهود وركوبهم الخيول وتقلدهم بالسيوف بسبب خدمتهم للفرنسيس ومشيهم الخيلاء، وتجاهرهم بفاحش القول واستذلالهم المسلمين»(٥٧).

وكان من المرات القليلة التى أثني فيها الجبرتى على الباشا عندما منع الأقباط من الخروج عن الحد وتمني لهذا النهى أن يدوم(٥٨). ولاشك أن هذه

النزعة كانت طبقية استعلائية تلبّست ثوب المحافظة على الكرامات الدينية، لأن الجبرتى يكتفى بالإيماءات إلى بعض المسلمين، وخاصة الجنود العثمانيين ـ الذين لم يكونوا يلتزمون بأى قيود دينية فيجهرون بالإفطار في رمضان «فضلاً عن تحللهم الجنسى ومظالمهم الأخرى، لدرجة أن أحد الجنود زنا بامرأة فى أحد المساجد فى ظهر يوم من رمضان»(٥٩).

ولكن مهما قيل فى أمر هذا الصراع الطائفى الذى كان الفرنسيون حريصين على ألاّ يستفحل برد أهل الذمة إلى سابق ما كانوا عليه من العادات قبل مجيئهم حريصين على الظهور بمظهر احترام التقاليد والاحتفال بالأعياد الدينية والقومية، فإن وجود الفرنسيين أحدث خللاً فى تركيبة المجتمع القاهرى القديم، كما أسهم فى بروز تشكيلية منوّعة فى الرأي العام تراوح بين المحافظة والاستسلام؛ إذا انقسم الناس بين مشايع للفرنسيين ومتردد فى هذا المشايعة، وبين ثورى مصمم على قتالهم دون هوادة، ونفعى يربط الأمور بما تدرّ عليه من مكانة ومال، لا بل بلغت ممالأة جمهرة من المسلمين للفرنسيين حد الارتداد عن الدين الإسلامى وكانت وسائل الدعاية الفرنسية عنصراً مهماً فى تشكيل هذا الرأي العام الجديد وكانت هذه الدعاية على أنواع كجذب الفئات المثقفة إلى مكتبات الفرنسيين ودور التجارب العلمية وحضور الحفلات العامة فى المناسبات الرسمية والتأثير على العامة بواسطة المنشورات أو «الطومارات» التى كثرت مناسبات تعليقها فى الأسواق، ومقاطع الطرق والمنعطفات وأبواب المساجد.

## ثورات القاهرة وتبدل الولاءات السياسية لدى الجماهير المصرية

### ١ـ الجماهير القاهرية وتوزعها الاجتماعى والطبقى وموقفها من الغزو:

#### أـ الأرستوقراطية المصرية من المماليك:

كانت القاهرة عند قدوم الحملة الفرنسية تعيش امتداد حياتها القروسطية؛ «مدينة شرقية أنشأتها عوامل الضعف والخمول والتدهور التى ألمت بمصر خلال حكم المماليك والبكوات والولاة العثمانيين... بعد أن كانت قاعدة لسلطة مملوكية ازدهرت خلالها بالعمائر الدينية والمدنية والقصور والدور...»(٦٠). واثر ثلاثة قرون من ازدواجية الحكم العثمانى المملوكى والمشاحنات بين أمراء المماليك هجرت دور كثيرة لأمراء الدولة المملوكية وحكامها، وباتت مساكن يلجأ إليها فقراء الناس وبينهم عدد كبير ممن يسميهم الجبرتى المشعوذين والزعر والجعيدية. وكان تتابع الفتن وتوالى المحن سببًا فى تزايد أفراد هذه الطبقة، رغم أن عدد سكان القاهرة كان قد انخفض فى أواخر القرن الثامن عشر إلى قرابة ٢٦٠ ألف نسمة حسب تقدير العالم الفرنسى جومار، الذى اشتملت القاهرة فى أيامه على مساحات فسيحة من الأرض الفضاء والأرض المزروعة والخرائب التى انتشرت فى وسطها الأحواش أو المساكن الفقيرة، أما الطبقة الارستوقراطية الجديدة فكانت موزعة على ثلاث مناطق سكنية تفصلها عن بعضها الخرائب والمزارع؛ هى القاهرة الفاطمية وضاحية بولاق ومصر القديمة. وفى وسط القاهرة تجمعت غالب صناعات الحرف، والنشاطات التجارية، وتجارة

المنسوجات، والوكالات والخانات والمصنوعات النحاسية التى تجذب بدقة صناعتها جماعات المشترين من عرب وأفارقة وأوروبيين، فيما انسحبت الصناعات التى تسبب إزعاجاً للسكان كمعاصر الزيوت ومخازن الفَحْم وخشب الوقود إلى تخوم المدينة. «أما عن توزيع الأحياء السكنية بوجه عام، فنلاحظ أن أسرات الشيوخ الأغنياء والتجار الميسورين، كانوا يفضلون سكنى القاهرة الفاطمية على مشارف الأحياء التجارية وبالقرب من الأزهر.. وكذلك بركة الأزبكية التى كانت فى أيام الجبرتى وقبله المركز المفضل للاصطياف كشواطىء الخليج المصرى. وكان أبناء الطبقة الحاكمة من البكوات وضباط الوجاقات ينتقلون تدريجاً من مساكنهم حول القلعة إلى بركة الفيل، وفى النهاية إلى الأحياء الجديدة وراء الخليج، مع تفضيل لضواحى بركة الأزبكية التى كانت تتطور لتصبح قرابة عام ١٧٩٨م. الحى الأرستوقراطى المفضل. وكانت الأحياء الشعبية أو الفقيرة إلى حد ما تتناثر فى المنطقة المتاخمة غرب باب اللوق وجنوب وشمال المدينة...»(٦١).

وهكذا أخذت المناطق الأكثر احتفالاً بالماء منذ أواسط القرن الثامن عشر تجذب إليها الطبقة الأرستوقراطية الجديدة من أمراء المماليك وتجار وشيوخ، وتحولت منطقة بركة الفيل من ملكية جماعية إلى ملكيات خاصة، ومن منطقة زراعية واسعة يستثمرها الفلاحون فى زراعاتهم الشتوية إلى بقاع سكنية، ولم يبق من أراضى هذه البركة بغير بناء فى ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م. كما يذكر الجبرتى، إلا قطعة أقيم عليها فيما بعد قصر حلمى الأول والى مصر الذى عرف بسراى الحلمية وحديقته الكبيرة. والأمر نفسه يقال عن بركة الأزبكية التى جذبت إليها فى أواخر القرن الثامن عشر أبناء الطبقات البورجوازية الذين كانوا يقيمون فيها بأعداد كبيرة وبينهم عدد من الشيوخ من أمثال عبدالله الشبراوى، ومحمد الجزايرلى، وأحمد الحموى، وازدحم الشط الشمالى الشرقى للبركة بأرستوقراطية القبط، فيما اتجهت الأرستوقراطية المسلمة من الأمرا والأعيان نحو رصيف الخشاب غرب الأزبكية حيث شيِّد على بك الكبير حوالى عام ١٧٧٠م. قصره التاريخى لسكنى زوجته الست نفيسة الذائعة الصيت فى تاريخ القرن الثامن عشر وتاريخ الحملة الفرنسية، وشيد محمد بك الألفى عام ١٧٩٧ قصره المهيب، ليصبح إثر خروج المماليك من القاهرة سكنًا لبونابارت وللجنرال كليبر من بعده. وهكذا «ومنذ أواسط القرن الثامن عشر بدأ البكوات يتركزون حول كل من بركة الفيل وبركة الأزبكية وهما أكثر «برك» القاهرة وأكثرها امتلاءً بالماء ـ مصدر انتعاشهم ـ فى معظم أوقات السنة، إذ بلغت نسبتهم هناك ٥٣٪ فيما بين عام ١٧٥٥ وعام ١٧٩٨ وارتفعت إلى ٥٨٪ عام ١٧٩٨، وعند نهاية القرن، كان كل واحد من البكوات الذين كانت لهم حرية واسعة فى الاختيار بين عدة بيوت ـ يمتلك على الأقل داراً فى ضواحى بركة الفيل، وعادة فى حى قوصون، وأخرى فى الأزبكية. وعلى سبيل المثال، كان لعلى بك الكبير ثلاثة بيوت، ولمحمد بك أبوالدهب اثنان، ولإسماعيل بك اثنان، أما مراد بك فكان له ستة بيوت، وكان لمحمد بك الألفى العدد نفسه، ولمرزوق بك أربعة، ولإبراهيم بك الكبير خمسة»(٦٢).

وهكذا، ففى نهاية القرن الثامن عشر باتت هنالك مناطق منفصلة لسكنى الأرستوقراطية المصرية، وكانت بركة الفيل هى حيهم المفضل، وقد خصها الجبرتى بجزء كبير من كتابه عجايب الآثار، تليها بركة الأزبكية التى كانت دورها حافلة بالمشربيات والشبابيك الخرط، وكانت على الحافة الشرقية للبركة دور الشّرايبى والتى يقول فيها الجبرتى(٦٣) إنها إحدى دور المجد، ألحقت بها مكتبة قيمة حفلت بكتب العلم، وسمح لمن أراد الإطلاع عليها أن يطالع ما شاء من المكتبة أو يستعيره خارجها. وكانت الناصرية حياً للكُشّاف، وكان قاسم بك أبوسيف الذى أراد أن يجعل من حى الناصرية حياً حديثًا قد بنى فيها قصراً عرف باسمه «يشغل مساحة كبيرة من أراضى البركة الناصرية، وكان يفتح قصره للناس، وكانت تحيط بالقصر وتَشُقُّ أرجاءه قنوات المياه التى تصل إلى البركة أيام فيضان النيل، وأحْكَمَ جريان الماء فى قنوات مرتفعة، وغرس فيها الزهور والفواكه والأشجار والنخيل ونسق بها جلسات مفروشة لخاصته ظللها بالزهور»(٦٤).

كانت الأرستوقراطية المملوكية مولعة ببناء القصور والدور الفخمة فى تلك الأحياء الجديدة التى جعلتها مقراً لسكناها، متنافسة فى إتقان صنعتها وتأثيثها بالعجيب من صنوف الرياش. وهذا المنافسة فى مظاهر البناء السكنى انخرط فيها الشيوخ؛ فكان للشيخ حسن الجبرتى والد عبدالرحمن ثلاثة منازل فى القاهرة أحدها بالابزارية على شاطيء النيل، والثانى تجاه جامع مرزه جوربجى ببولاق والثالث فى خطة الصنادقية شمال غرب الجامع الأزهر، وبعد وفاة الشيخ حسن رأي وريثه الشيخ عبدالرحمن عام ١١٩١هـ./١٧٧٧م. أن يهدم بيت والده فى الصنادقية ويبنيه من جديد على غير الطراز الذى كان عليه فى أيام أبيه تجد وصفًا مفصلاً له فيما رواه خليل شيبوب(٦٥) عن تقسيم حجراته بعضها لسكنى الخدم والعبيد وبعضها للضيوف والاستراحة وواحدة منها بالغة الاتساع للطلبة وانعقاد حلقات التدريس، وزيّن سماءها وجدرانها بالخشب المفحور والمنحور وأنواع القاشانى الملون، وكسا أرضها بالسجاجيد ناشراً عليها الطراريح الحريرية، وحشد فيها التحف المنشورة فى الزوايا والمعلقة على الجدران، وأضاءها بأنواع الثريات المغصّنة بالبلور والشّماعد الوهّاجة، وكسا جميع زواياها والأركان والرحاب بصنوف الرياش الغالى والأثاث الثمين، تلك الدار التى وصفها الشيخ مصطفى أحمد الصاوى بأنها بنيت على التقوى فى قصيدته التى طرزها الجبرتى على قطعة من الحرير علقها بصدر المجلس ومنها قول الصاوى:

مكان على التقوى تأسس مجده
ومن سُور التوفيق والهَدْى سوره

وفى هذه الدار كان عبدالرحمن الجبرتى يلتقى أستاذه مرتضى الزبيدى، وإخوانه الأشياخ والمجاورين، وينظم حلقات التدريس إلى جانب تلك التى كانت تنعقد له فى الأزهر. وتلك الظاهرة فى ابتناء المشايخ للدور هى ظاهرة تاريخية فى مصر منذ عهد الفاطميين، ولم يكن الشيوخ يرون فى أرستوقراطية بنائهم ما يخالف تعاليم دينهم أو ما يباعد بينهم وبين الرعية؛ فالشيخ عبدالله الشرقاوى وهو من أعاظم علماء عصره والذى تولى مشيخة

الأزهر لمدة طويلة كانت له دار عظيمة فى الأزبكية أنفق عليها أموالاً كثيرة، وجمع فيها التحف النفيسة والكتب النادرة التى عنى بتجليدها. ومثلها دار الشيخ محمد المهدى بناحية الموسكى على الخليج، والتى كانت بها قاعات فسيحة، كسيت جدرانها وأرضها بالرخام الملوّن والقيشانى، واشترى فى آخر عمره داراً له فى الكحكيين، وأخذ فى توسيعها وتجديدها، وكانت إلى جوارها زاوية قديمة بها مدافن فهدّمها وأدخلها فى داره.

إن الحديث عن تلك الدور يشكل جانبًا من حياة أرستوقراطية متنعمة قوامها النخبة من الأمراء المماليك والوجاقلية العثمانية وكبار التجار المصريين والطبقة العليا من شيوخ الأوقاف وأصحاب الالتزامات الكبيرة؛ فقصور المماليك كانت أكثر صلوحًا لإقامة القيادات العسكرية الفرنسية ورجالات البعثة العلمية من مراكزها الأصلية فى فرنسا؛ فاتسع قصر محمد بك الألفى لأن يكون مسكنًا لبونابرت ومقراً لقيادته، كما اتسع دار إبراهيم كتخدا السنارى، أحد أعيان القاهرة، لأن يصبح مركزاً لمصورى الحملة الفرنسية وعلمائها؛ وفى هذا الدار عملت البحوث والرسوم التى نشرت فى كتاب وصف مصر؛ وفى قصر حسن كاشف جركس أقام الفلكيون والمديرون والمهندسون وأهل الحكمة، وفيه عقد المجمع العلمى المصرى الذى أنشأه الفرنسيون أولى جلساته، وسجل «جوفروا سان هيلنز» انطباعاته عن هذا القصر فى واحدة من رسائله المنشورة فى كتابه «رسائل من مصر» بقوله: «عدت من المجمع العلمى بالقاهرة وهو يتألف من قصرين من قصور البكوات حسن كاشف وقاسم بك وبيتين من بيوت الأغنياء، وهذه الدور المتجاورة التى يسكنها العلماء ورجال الفن، فيها من الراحة ما لا يقل عن قصر اللوفر، أما قاعة جلسات المجمع فإنها مزدانة بأجمل ما فى قصور المماليك من الأثاث. وكان قصر مراد بك بالجيزة مرشحاً من قبل بونابرت لأن يكون مستشفي عسكرياً، ثم عدل عن هذه الفكرة ونقل المستشفى إلى قصر إبراهيم بك (القصر العينى تجاه الروضة)، ثم اتخذ بونابرت قصر مراد بك معسكراً له. وفى دار عثمان بك الأشقر أنشئت مطبعة جيش الشرق التى عهد بإدارتها إلى المستشرق «مارسيل»، وفى بيت كاشف أقام فيه بداية الأمر الجنرال «كافاريللى» وزميله الجنرال «ديتروى» ثم غادراه إلى بيت رحب كان يمتلكه الأمير رضوان، له ردهات رحبة وإيوانات واسعة ونافورات جميلة وأحواض من المرمر البديع، وكان الكيماوى «برتوليه» فى بيت كاشف الكبير بحى عابدين. ومن هذا العرض يتبين كيف اتسعت دور أسست فى الأصل للسكن لأن تستوعب إدارات الدولة لحملة فرنسية هى الأكبر عدداً فى تاريخ الغزو الاستعمارى، وكانت هذه الدور لشهرتها موضوعاً لوصف الجغرافيين والفنانيين الفرنسيين واستأثرت باهتمام أولئك الذين اطلعوا على كتاب «وصف مصر» من المفكرين والرحالة الأوروبين.

### ب. طبقة الشيوخ والجماهير:

وقد يكون من التجاوز بمكان أن نعتبر هذه الأرستوقراطية المملوكية والعثمانية، التى تميزت بمستوى اقتصادى مرتفع وأسلوب فى المعاش والتفكير تدل عليه قصورهم وأزياؤهم وحاشيتهم،

طبقة منفصلة عن سائر طبقات المجتمع القاهرى. فهذه الطبقة كانت موصولة، سواء بحكم مصالحها، أو أساليب عيشها، بالطبقة التى تجاورها فى الترتيب الهرمى الهابط، وكان الجبرتى على حق عندما كان يسمى أمراء المماليك بالأمراء المصريين لفرط التداخل القائم بين طبقة هؤلاء وطبقة كبار المشايخ والتجار. والتقسيم الذى وضعه المقريزى لأهل مصر فى عصره فى كتابه «إغاثة الأمة» ظل يحتفظ بصورته دون كبير تغيير فى نهاية القرن الثامن عشر مع مجىء الفرنسيين، هذا إذا استثنينا طبقة الحاكم من المماليك الذين فروا إثر مجىء بونابرت ولم يحتفظوا لدى جمهورة الناس إلا بالوجود المعنوى الضعيل؛ فالمقريزى قسم طوائف المجتمع المصرى لعهده إلى: «أهل الدولة من المماليك، وأهل اليسار من التجار، ومتوسطو الحال من الباعة، والسوقة وأهل الفلح، والفقهاء ويشملون طلاب العلم، وأرباب البضائع وذوو الحاجة، كما يشمل الأعراب وأهل الذمة والأقليات الأجنبية».

وقد عدّلت الدكتورة حكمت أبوزيد هذه الصورة بالاستناد إلى عرض الجبرتى لمواقف الطبقات والطوائف المختلفة فى عصره ورأت أنه «لابد من إخراج طائفة الأعراب والفلاحين، وطبقة الحكام من المماليك والعثمانيين؛ أما طائفة الأعراب فيعود إخراجها إلى أن مجالها المكانى خارج إطار القاهرة الجغرافى، على الرغم من أن القاهرة لم تخل على عهد الجبرتى من فئة منهم يهددون سكانها وينهبون ويسلبون... مثل عرب الجعيدية الذين أذلوا القاهريين فضجّوا منهم بالشكوى، واضطر الفرنسيون لقتل زعيمهم غداة استقرارهم بالعاصمة، وأما أهل الفلح أو الفلاحون فهم أيضاً خارج إطار المدينة الاجتماعى والجغرافى، حتى أولئك الذين يتعاملون مع أهل العاصمة بصفة دائمة. أما الفئة الثالثة وهى طبقة الحكام من المماليك والعثمانيين، فلم يعد لهم وجود مادى أيام الحملة الفرنسية وإن لم ينته وجودهم المعنوى، فلقد آثر بعضهم البقاء فى القاهرة بعد أن صالح الفرنسيين على بعض المال وإن أقصاهم الفرنسيون تدريجياً عن مراكز الحكم المهمة، واستعانوا بالمصريين فى كل مكان خلا منهم»(٦٦).

وهكذا، فإن البناء الهرمي الجديد بعد دخول الفرنسيين واستقرارهم فى القاهرة والذى يتمثل فى المصريين تتربع فيه الفئة المثقفة من الشيوخ مكان الصدارة، فهذه الفئة كانت قبل مجىء بونابرت تتسنم مراكز قيادية سواء فى المؤسسات الدينية ذات الصفة الإدارية، كالإفتاء والقضاء ونقابة الأشراف وإدارة الأوقاف وغيرها، ناهيك عن موقعها المعنوى كجماعة الحل والربط التى أوكلت إليها المحافظة على تطبيق الشريعة ليس بين العامة وحسب، بل فى وجه الحكام إذا اقتضى الأمر وحدث تذمر عميق لدى جمهرة الناس يدفع بأولئك الشيوخ إلى الوساطة، وإلى هذه الفئة كان ينتسب عدد من طائفة التجار الموسرين، وكانت رياسة طائفة الحرفيين والصناع، مرتبطة بهم بهذا الشكل أو ذاك، فيما كانت طبقة العوام أشد

ارتباطاً بزعماء الفرق الصوفية كالأحمدية والرفاعية وغيرها، وكان بين هذه الطرق من استغل زعماؤها الدين سبيلا للارتزاق، وكان لأولئك الزعماء جماهيرهم التي كانت تنخدع بشعوذتهم، وبلغ طغيان نفوذ أولئك الزعماء حداً مكنهم من اتخاذ أعياد كانت وقفاً عليهم وعلى أتباعهم وتؤمها جماهير من الطبقات الأخرى مثال ما ابتدعه السيد البدوى القبانى لمولد الحسين الذى دام أكثر من عشر سنين، والقبانى هذا كما يصفه الجبرتى «كان قد اعتراه مرض الحب الإفرنجى فنذر على نفسه هذا المولد إن شفاه الله تعالى، فحصلت له بعض إفاقة فابتدأ به وأوقد فى القبة والمسجد قناديل وبعض الشموع ورتب، فقهاء يقرأون القرآن بالنهار ومدارسته واخرين بالمسجد يقرأون بالليل ودلائل الخيرات للجزولى، ثم زاد الحال وانضم إليهم كثير من أهل البدع كجماعة العفيفى والسمان العربى والعيساوية، فمنهم من يذكر الجلالة ويحرفها وينشدوا لهم قصائد ومواليات، ومنهم من يقول أبياتاً من بردة البوصيرى يجاوبهم آخرون مقابلون لهم بصيغة صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم...»(٦٧).

وعلى الجملة، كانت القيادة الجماهيرية فى مصرفى أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر موزعة بين أولئك الشيوخ على مختلف مستوياتهم الاجتماعية والثقافية؛ فمصر كانت بمن توافر إليها من الطوائف الدينية الإسلامية على اختلافها مركز تجمع دينى لا يضاهيه مركز فى مختلف أقطار العالم الإسلامى، وكما تمثل فى هذه الطوائف، النشاط العلمى، تمثل فيه من جانب آخر كل ما تساقط إلى الدين من خرافات؛ فمصر كانت هى موطن الهجرات الشامية والعراقية إثر غزو التتار لهذه الأقطار، وقريبا من هذا الزمن تعرض مسلمو الأندلس لمحنة الأسبان والبرتغاليين فولوا أنظارهم باتجاه القاهرة، وهكذا تفاعلت على أرض مصر تيارات إسلامية متعددة المشارب من مماليك وعثمانيين وشأميين ومغاربة وأفارقة من السودان وغيرها، كانت مصر ملاذا لهذه الهجرات، وعلى أرض مصر جرى تفاعل تاريخى طويل الأمد بين الهجرات الهاربة من مواطنها الأصلية وبين الجماهير المصرية التى استيقظت فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر على مطالبها الاجتماعية والاقتصادية إثر ما حل بها من استغلال المماليك وما أحدثته منازعاتهم فيما بينهم من صنوف الخراب وبوار الزراعة، وكان الشيوخ هم الفئة التى يلجأ إليها جمهور الفلاحين وصغار العمال والتجار لإزالة الحيف اللاحق بهم، وكانت هذه الشكاوى قد بلغت حدا فى كثافتها فى نهاية القرن الثامن عشر، وأخذت الثقة الجماهيرية بوسطائها من الشيوخ يتسرب إليها الاهتزاز؛ إذ كثيراً ما اتخذ التعبير عن السخط الجماهيرى شكل انتفاضات يضطر معها الأمراء المماليك إلى طلب مساعدة الشيوخ فى تهدئة هذه الانتفاضات، ومع مجىء الفرنسيين وقضائهم على سلطة المماليك بات الشيوخ هم الممثلون الفعليون لإرادة هذه الجماهير التى شاركت فى الدفاع عن البلاد وشعرت بوزن مكانتها الاجتماعية بعد تخلى المماليك عن واجبهم فى الدفاع عن مصر وفروا هاربين من وجه الفرنسيين.

## ٢ – اتساع رقعة التناقضات الطبقية فى المجتمع المصرى بعد دخول الفرنسيين، ولجوء الجماهير إلى قيادات تحمل لواء الثورة

### أ – الجماهير الشعبية ومبدأ الرفض للغزو:

أحدث الغزو الفرنسى يقظة اجتماعية لم تنج منها طبقة من طبقات المجتمع المصرى، فالمصريون الذين عاشوا ثلاثة قرون فى ظل الحكم المملوكى والعثمانى بعيدين عن أية مشاركة سياسية فى أى قرار على مستوى السلطة وجدوه أنفسهم عشية الغزو فى موقع ملء الفراغ الذى خلفه غياب المماليك والعثمانيين، لاسيما وأن الجماهير المصرية كانت قد أسهمت فى صد الغزو عن بلادها وتطلعت الى نماذج من الاستبسال الوطنى فى وقائع الإسكندرية ورشيد وأنبابه والوجهين القبلى والبحرى، وكانت تلك الوقائع التى شدت إليها عناصر من المقاتلين الذين توافدوا من الأقاليم المتباعدة لنجدة إخوانهم، نوعاً جديداً من التضامن القومى لم تعرفه مصر من قبل، وكانت الانكسارات العسكرية المتلاحقة التى منيت بها الجماهير المصرية عامل يقظة على جوانب الضعف الإدارى والعسكرى لحكام مصر الأولين، وبان لتلك الجماهير أن أولئك الحكام لم يكونوا أقوياء إلا فى ظلمهم للرعية، وكان الاهتمام الشعبى يتسقط أخبار المعارك الوطنية نافذة لتسقط ما يجرى فى أطراف القطر لاسيما فى الإسكندرية من الاقتتال الدائر بين الفرنسيين والإنكليز وما يجرى فى الوجه القبلى والبحرى من معارك وحشية بين الاهالى والفرنساوية، كما كانوا يتسقطون أنباء المعارك الدائرة فى بلاد الشام بين بونابرت وأمراء تلك الممالك، وليس أدل على اهتمام الجمهور المصرى بهذه المعارك وفرة المنشورات التى كانت القيادة الفرنسية تدبجها عن انتصارات الجيش الفرنسى وملاحقتها للشائعات المضادة التى كانت تسرى بين الناس منزلة بمروجيها أشد أنواع العقاب.

وإن كانت الجماهير المصرية أبدت ارتياحها لخلاصها من استعلائية المماليك وعبثهم بمصالح الناس (والذين كانوا بدورهم: انسوا المصريين ظلم العثملى بما قارفوه من استبداد واستغلال)، فإن هذا الارتياح كان مشوبا بشىء من الحزن والكثير من عدم الاطمئنان؛ أما الحزن الممزوج بالألم فهو نتيجة لما تقتضيه طبيعة الحنين الذى كان تحمله الجماهير المحافظة بطبيعتها، لماض ألفته ودرجت عليه فى معاملاتها وسلوكها اليومى؛ وأما عدم الاطمئنان، فلأن الغزاة هم من الكفرة لم يكن يربطهم بتاريخ الأمة رابط من اللغة أو العادات أو الدين، وإن كان الفريق المنور من الجمهور استطاع أن يدرك إدراكاً مشوشا مبهما أن أولئك الكفرة الجدد لا يدينون بالمسيحية كما لا يدينون بالإسلام «وأنهم يتبعون عيسى عليه السلام ظاهراً وينكرون البعث والدار الآخرة» كما يقول الشيخ عبدالله الشرقاوى (٦٨). فإن هذا المجهول ظل يثير لدى عامة الناس شعورا بالخوف لم تبدده مناشير بونابرت الزاعمة بأن ديانة الفاتحين الجدد هى الإسلام فى جوهر تعاليمه، وظل الشعور الدينى لدى العامة ـ ضمن عوامل أخرى ـ يمثل حاجزا دون اختلاطها الاجتماعى والثقافى بالفرنسيين، لاسيما وأن الحقبة القصيرة التى قضاها الفرنسيون فى مصر لم يتح لها من الاستقرار مـا يكفـى

لحدوث مثل هذا الاختلاط الهادىء والانفتاح على الوافدين الجدد، وكانت سيطرة الأمية على العامة عاملاً آخر من عوامل التحفظ، تحفظ الفرنسيين إزاء العامة لسرعة انقيادها إلى التطرف الديني في مفهومه السياسي، وتحفظ العامة الذين ظلوا متشككين بهذا الوافد الدخيل ونواياه، ولم يرشحها تقرب الشيوخ الأعلين من هذا الوافد إلا لمزيد من الابتعاد عنه، ومزيد من الريبة في سلوك الشيوخ أنفسهم.

**ب - الضرائب تؤجج نار الثورة:**

وموقف الرفض الجماهيرى هذا كانت تغذيه النقمة الكبرى على نظام الضرائب، والطريقة التى تمت بها مصادرات الفرنسيين لأموال المماليك وطالت فى خبثها مصادرات أرزاق التجار كبارا وصغارا، وبلغت فى مداها حد ابتزاز أموال السوقة من الناس، فالفرنسيون الذين وقعوا أسرى الحصار الإنكليزى لموانىء مصر البحرية لجأوا إلى تمويل حملتهم عن طريق الضرائب المحلية يجبونها من الأقاليم التى دخلت فى حكمهم، فما أن دخلوا القاهرة حتى فرضوا على سكانها ضريبة فادحة فى شكل سلفة إجبارية لم يستطع ديوان القاهرة إلغاءها، فمما يذكره الجبرتى فى أخبار يوم السبت ١٤ صفر عام ١٢١٣هـ./٢٨ يوليه عام ١٧٩٨م. أنه عقب تأسيس الديوان بأيام معدودة اجتمع أعضاؤه «وطلبوا سلفة خمسماية ألف ريال (ماية ألف جنيه) من التجار المسلمين والنصارى والقبط والشوام وتجار الإفرنج أيضاً، فسألوا (أعضاء الديوان) التخفيف فلم يجابوا فأخذوا فى تحصيلها...»(٦٩).

كانت الضرائب المتلاحقة عاملاً كبيراً من عوامل تخمير الثورة فى النفوس، وكان التجار عموما، والتجار الصغار على وجه الخصوص، هم فريستها، وأصيب برذاذها حتى السقائين، فى وقت كانت تجارة البلاد قد تعطلت نتيجة للحصار البحرى الإنجليزى، وزاد فى عوامل النقمة تلك الغرامات التى عدها القاهريون نوعا من أنواع «البلص». وبإسم مصادرة السلاح كان الجند الفرنسيون يكسرون أبواب البيوت ويستولون على ما فى داخلها من الأمتعة والخبايا والودائع، وكثيراً ما فرضوا على أهل الحرف الأتاوى الكبيرة على سبيل القرض، وحددوا لها المهل التى يعجز الحرفيون خلالها من تأديتها، ووصل بالفرنسيين الأمر حد قطع رواتب الأوقاف الخيرية على مستحقيها من الفقراء، وتحت غطاء التذرع بوضع نظام إثبات الملكيات وتسجيل سندات التمليك للأهالي وضعوا الضرائب على تلك التسجيلات، وكانت هذه الضرائب الفادحة التى شملت الأغنياء والفقراء سبباً كبيراً من أسباب الثورة، فأصحاب الدكاكين وجدوا فى الضرائب العقارية الجديدة مخالفة لأحكام الشرع ووجدوا فيها ظلماً لم يألفوه من قبل فى ظل المماليك والعثمانيين؛ أما الأغنياء فكانت الغرائم على أملاكهم كبيرة، ولم يجدهم فتيلا لواذهم بكبار المشايخ فى الأزهر والمشهد الحسينى طلباً للشفاعة، فجمعتهم بالعامة، على مراتب، مأساة المحنة فتحالفوا ضد الفرنسيين الذين أملوا المصريين فى منشوراتهم بعهود الخلاص من ظلم المماليك.

ج - التحدى المتلاحق للحس الشعبى وأثره فى اندلاع الثورة:

كانت الضرائب -كما هى الحال فى الثورات الكبرى فى التاريخ - دافعا أساسيا لتحرك الجماهير القاهرية باتجاه الثورة، وحول هذا الدافع المحورى تجمعت بقية الدوافع الاجتماعية على اختلافها لتخلق المناخ الثورى الذى ما لبث أن تحول إلى ثورات حقيقية ترفدها الجماهير بالمقاتلين وتؤمن لها الدعم المعنوى والمادى، فالضرائب كواحدة من أبرز الظواهر الاقتصادية، تزامنت مع تبدل ديموغرافى فرضه الفرنسيون على سكنى الناس وسبل معاشهم وحركتهم اليومية. فشعور الفرنسيين بمظاهر التذمر والنقمة الشعبية دفعهم إلى إقامة التحصينات العسكرية، وتداخلت مشاريعهم العسكرية بمشاريع أخرى مدنية غايتها تحويل القاهرة إلى مدينة عصرية، وكانت المشاعر الشعبية شديدة التعلق بمظاهر عمرانها القديم وتراثها التاريخى فى بناء الدور وتخطيط الشوارع وتوزع النشاط الاقتصادى، فلم يلق التخطيط الجديد ارتياحاً لدى جمهرة الناس لا سيما وأن هذا التخطيط تم على يد أناس غرباء، واختلطت غاياته المدنية بالغايات العسكرية، وأدى إلى هدم الكثير من معالم القاهرة فى عهودها الفاطمية والأيوبية والمملوكية العثمانية؛ ومما يذكره الجبرتى فى هذا الصدد فى أخبار ربيع الثانى عام ١٢١٣هـ، «وفيه أمروا سكان القلعة بالخروج من منازلهم والنزول بالمدينة ليسكنوا بها فنزلوا وأصعدوا إلى القلعة مدافع ركزوها بعدة مواضع وهدموا بها أبنية كثيرة، وشرعوا فى بناء حيطان وكرانك وأسوار، وهدموا أبنية عالية، وأعلوا أماكن منخفضة وبنوا على بدنات باب العزب بالرميلة، وغيروا معالمها وأبدلوا محاسنها ومحوا ما كان بها من معالم السلاطين وآثار الحكماء والعظماء، وما كان بالأبواب العظام من الأسلحة والدرق والبلط والحوادث والحرب الهندية وأكر الفداوية، وهدموا قصر يوسف صلاح الدين ومحاسن الملوك والسلاطين ذوات الأركان الشاهقة والأعمدة الباسقة...» . وفى هذا النص وغيره من نصوص الحديث عن عمارات القاهرة، يضعك الجبرتى أمام تعلق الجماهير بما ألفته من قديم عمرانها وشدة محافظتها عليه وتضايقها من تغيير معالمه.

وإن كانت منطقة القلعة قد عرفت بسكنى الأرستوقراطية المصرية فى ذلك الحين، فإن تعلق الجماهير الشعبية بمواطن سكناها، على رغم كل ما كان يعترى هذه الأماكن من الشروط المخالفة للسكن الصحى، اتخذ طابعاً قوميا وبات الدفاع عن تلك الأماكن دفاعا عن وجود حياتى، فالحارات الشعبية كانت مبنية على شكل معين من التحصين تحول بواباتها، التى تغلق ليلا، دون وصول اللصوص إليها، وكان هلع الناس كبيراً إثر إقدام الفرنسيين على هدم هذه البوابات تسهيلا لدخول العساكر الفرنساوية إلى تلك الحارات فى حالات الفتنة. وكانت العامة تضيق ذرعاً بهذه التدابير وكثيراً ما عبرت عن تضايقها باحتجاج الذين لجأوا إلى إقفال دكاكينهم تعبيراً عن سخطهم، ولكنهم ما لبثوا أن أذعنوا للأمر الواقع إثر تغاضى أعضاء الديوان من الشيوخ والأعيان عن مساندتهم، وتشير يوميات الجنرال لوجييه

Laugier إلى أنه «كان لكل شارع أو حارة باب كبير يقفل عليها ويمكن استخدامه كمتاريس للثورة، لذلك أمر القائد العام بنزع هذه الأبواب، وقد تذمر الأهالي وجعلوا يصيحون ويسخطون، ولكنهم بعد ذلك أذعنوا وأخلدوا للسكينة، وبعد أن أقفل التجار دكاكينهم احتجاجاً على هذا العمل عادوا وفتحوها»(٧٠).

وعلى هذا النحو كانت تتباعد الشقة بين الفرنسيين وطبقات الجماهير من العامة، فكل ما يصنعه الفرنسيون هو فى نظر هذه العامة شر، ليس فقط فى الجانب العمرانى الذى لم يكن كله داخلا فى التخطيط العسكرى، بل فى الجانب الصحى؛ فلم تع عامة الشعب مغزى كثير من الإجراءات الصحية التى كانت تتوخى حماية الأهلين من الأمراض الفتاكة كالطاعون ومن جملتهم الجند الفرنسيون الذين أصيبوا به وأدى إلى وفاة الكثيرين منهم، فقد وقف الأهالى ومعهم فريق من متعممى الأزهر ضد التلقيح الإجبارى ضد الطاعون، ورفضوا أوامر الفرنسيين فى دفن الموتى فى مقابر بعيدة عن مناطق السكن واعتبروا هذه الأوامر تدخلا فى خصوص حياتهم اليومية، وهذا ما أثبته الجبرتى ناقداً سلوك الجمهور نقداً ضمنيا حيناً وصريحاً حيناً آخر.

إن وصف الجبرتى لتطرف العامة يعكس موقف الطبقة العليا من الشيوخ، وهى الطبقة التى كانت بحكم مكانتها الاجتماعية ومستوى ثقافتها مدركة لمعنى اللقاء الحضارى الجديد بين الفرنسيين والمصريين واتخذوا موقفاً وسطاً من هذا اللقاء، فلم يرض موقفهم جمهور العامة كما لم يرض الفرنسيين. كانت هذه الفئة مدركة لما يجلبه التعصب الجماهيرى لهذا الدخيل أو ذاك من خطر على السلامة الوطنية العامة، ولكن العامة لم تكن تخطط لأفعالها وهى تنساق لعضوية مشاعرها، خاضعة فى هذه العفوية لموروث تاريخى فيه الكثير من خلل الرؤية؛ فعامة المسلمين ظنت خطأ أن وجودها مرتبط بنفوذ العثمانيين فى مصر، وضعف هذا النفوذ كان يعنى قوة للفرنسيين وقوة للقبط؛ أما عامة القبط، فقد ظنت خطأ أن الوجود الفرنسى يحررها من موروث الكبت الذى خضعت له طوال عصور، وهكذا ربطت كل من العامتين كيانها بوجود خارجى، وقد وظف الدخيل هذه العفوية الجماهيرية فى خدمة مصالحه.

### د. الشيوخ الأذنون يتصدرون قيادة الثورة:

كان دخول الفرنسيين إلى البلاد المصرية عام ١٧٩٨، وسيطرتهم على كامل أقاليمها بسرعة غير متوقعة، واستقرارهم فى القاهرة عاصمة بلاد الكنانة منذ أيام الفاطميين، حدثا تاريخياً تلقّته الجماهير المصرية على اختلاف طبقاتها بالذهول.

وإن كان هذا الغزو قد أفقد هذه الجماهير قياداتها السياسية المتمثلة فى المماليك، فإنه أفقدها، ولو لأمد قصير، قياداتها الدينية التى كانت الوسيط التاريخى بينها وبين القيادة المملوكية؛ إذ خشيت هذه القيادات بطش الفاتح الجديد لكونها الشريكة التاريخية للمماليك فى حكم البلاد، ولم يبق لهذه الجماهير سوى أمل الركون إلى الله ينقذها من هذا البلاء الذى نزل بها على حين غرة؛ ويصف

الجبرتى هذه الحال بقوله: «كانت العلماء عند توجه مراد بك تجتمع بالأزهر كل يوم ويقرأون البخارى وغيره من الدعوات، وكذلك مشايخ وقراء الأحمدية والرفاعية والبراهمة والقادرية والسعدية، وغيرهم من الطوائف وأرباب الأشاير، ويعملون لهم مجالس بالأزهر...».

وإزاء هذا الوضع الجديد، وانكشاف ما كانت عليه القيادة المملوكية من الضعف والتفكك وسذاجة التسليح، كان المخرج الوحيد لهذه الجماهير طلب الأمان، وهذا ما استقر عليه رأى صغار العلماء والمشايخ فى غياب أهل الحل والعقد من الشيوخ الفارين، والذين عادوا إثر مشاورات متلاحقة تمت بين بونابرت ورجالات الصف الثالث ثم الصف الثانى من الشيوخ؛ إذ لما حضر إليه الشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سلمان الفيومى وآخرون تلقاهم بالبشر والترحاب وهو يظن أنهم كبار المشايخ، فلما أخبروه بأن كبار المشايخ قد هربوا سأل: «ولأى شيء يهربون؟ اكتبوا لهم بالحضور ونعمل لكم ديوانًا لأجل راحتكم وراحة الرعية وإجراء الشريعة». ولما استشعر بعض كبار المشايخ الأمان حضر الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى وبقية المشايخ باستثناء السيد عمر مكرم. ومن هؤلاء الكبار وبقية الأعيان وكبار التجار شكّل بونابرت ديوانه المعروف فى القاهرة.

كانت سياسة بونابرت، وهى التى عرفت فى المصطلح التاريخى بسياسة بونابرت الإسلامية، تقوم على حكم مصر بواسطة كبار العلماء من أصحاب المكانة الاجتماعية وذوى الثراء، وكان يظن، كما دوّن ذلك فى مذكراته، أن هؤلاء هم زعماء الشعب المصري الحقيقيون وأنهم يتمتعون بثقة جميع سكان مصر ومودتهم، وأن الخطأ الأكبر للمماليك والعثمانيين كان فى إقصاء هؤلاء العلماء عن المشاركة فى تصريف الشئون العامة وهذا ما سيسعى هو إلى تداركه فى نهجه السياسى. ويبرر بونابرت هذا النهج السياسى الذى اختطه لإدارة مصر بقوله: «وقد فضلت المشايخ وعلماء الشريعة لأنهم هم مفسرو القرآن، وأن أكثر العقبات التى واجهتنا، وسوف تواجهنا أيضاً، إنما تنبثق عن الأفكار الدينية، لأن هؤلاء العلماء ذوو طباع هادئة ويحبون العدالة وعلى درجة من الثراء، وأصحاب مبادىء خلقية عالية، وهم بدون منازع أكثر الناس أمانة فى مصر، ولا يركبون الخيل ولا يمارسون أعمالاً عسكرية، ولا ينتظر منهم تزعم حركة مسلحة».

فبونابرت الذى كان مدركًا لاستحالة ممارسة الفرنسيين نفوذهم المباشر على المصريين، أرسى قواعد سياسته على أسس الثقافة الإسلامية فى الفكر والسلوك الاجتماعى فى إطاره الأخلاقى العام، ولكن وفقاً لطبيعة وعى المصريين لهذه الثقافة، وهو وعى مرتبط بالحفاظ على الوطن، وهؤلاء العلماء المحبون للعدالة والذين هم على درجة من الثراء ولا ينتظر منهم تزعُم حركة مسلحة يؤمن جانبهم ولا خوف من إيكال المناصب الكبرى إليهم. ومن هنا، كان ميل بونابرت إلى تمصير المناصب العليا على اختلاف

درجاتها. وكان أول عمل قام به عقب عودته من بلاد الشام هو خلعه لقاضى القضاة التركى فى مصر، وإسناد هذا المنصب للعالم الأزهرى الشيخ أحمد العريشى. وقال فى منشوره الذى وجّهه بتاريخ ٣٠ ـ ٦ ـ ١٧٦٦ إلى حكام الأقاليم يعلمهم بضرورة التقيد بهذا الانتخاب، وتلقى قضاة الأقاليم تقليد القضاء من قاضى القضاة المصرى: «إن علماء القاهرة هم بلامنازع أعلم علماء الإسلام».

كان الشيوخ الأعلون موضع ثقة بونابرت، يتودد إليهم ويستشيرهم فى أمور الإدارة وتفاسير آيات القرآن؛ وكان هؤلاء موضع احترام القيادة العامة للجيش الفرنسى، فكانوا إبّان ترددهم على مركز القيادة فى الأزبكية يُستقبلون بالتحية العسكرية، وكانت المنشورات التى يوجهها بونابرت إلى المصريين توقع باسمهم. أما الشيوخ فكانوا يبررون تعاونهم مع الفرنسيين بأنهم ينشدون تخفيف ويلات الاحتلال ودفع شروره عن المصريين. ومن ثم، فإن أولئك الفرنسيين ليسوا كفرة، وإنهم إذ أنكروا البعث، فإنهم «يقولون بأن الله واحد، لكن بطريق التعليل، ويحكمون العقل، ويجعلون منهم مديرين يديرون الأحكام يضعونها بعقولهم ويسمونها شرائع، ويزعمون أن الرسل محمداً وعيسى وموسى كانوا جماعة عقلاء، وأن الشرائع المنسوبة إليهم كناية عن قوانين صنعوها بعقولهم تناسب أهل زمانهم». وأخيراً، إن هؤلاء الفرنسيس لا يعادون الدولة العثمانية؛ فالخطبة والسِّكُّ مازالا باسم السلطان، وشعائر الإسلام تقام بحرية والقرآن محترم والحجاج مكرَّمون؛ ولذا كان لابدَّ من أن يخلد المصريون إلى السكينة والإنصراف إلى أعمالهم، والكفّ عن مقاومة الفرنسيين؛ فأمير جيوش الفرنسيس بونابرت «رجل كامل العقل، عنده رحمة وشفقة على المسلمين ومحبة إلى الفقراء والمساكين، ولولاه لكانت العساكر أحرقت جميع المدينة، ونهبت جميع الأموال، وقتلوا كامل أهل مصر، فعليكم ألاّ تحرّكوا الفتن، ولا تطيعوا أمر المفسدين، ولا تسمعوا كلام المنافقين ولا تتبعوا الأشرار ولا تكونوا من الخاسرين،... ونصيحتنا لكم: ألاّ تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، واشتغلوا بأسباب معاشكم وأمور دينكم، وادفعوا الخراج الذى عليكم، والدين النصيحة والسلام»(٧١)!.

تلك هى الأسس التى قام عليها التعاون بين كبار الشيوخ من علماء الأزهر والحملة الفرنسية كما حملتها المناشير التى كان الشيوخ يخاطبون بها الجماهير المصرية أو التى كان يكتبها الفرنسيون وتنشر باسم الشيوخ كما يفاد من أحاديث الجبرتى عن تلك المناشير، وجميعها تدعو إلى التسليم بحكم الله والامتثال للغزو الذى هو بحكم القضاء والقدر. ولا شك أن تلك المناشير، سواء كانت من وضع الشيوخ أم من وضع الفرنسيين، أساءت إلى مكانة أولئك الشيوخ فى نظر الجمهور المتطرف، ولم تقنعه الحجة القائلة إن سلوك الشيوخ كان خاضعاً لرقابة مستمرة دقيقة من رجال المخابرات الفرنسية، أو إن هذا السلوك كان نتيجة لوعى وتبصُّر بعواقب الأمور. وكان

الشيوخ أنفسهم مدركين لحراجة موقفهم بالنسبة للعامة وللفرنسيين سواء بسواء، فقبلوا من الفرنسيين ما أمكنهم قبوله، ورفضوا ما له مساس كبير بحق أمتهم، فلم يستجيبوا لمطالب الفرنسيين جميعها وقاوموا تلك المطالب داخل حدود الإمكان. فالشيخ الشرقاوى رفض ارتداء الطيلسان الذى يحمل شعار الثورة الفرنسية ورمى به فى أرض الديوان مما أثار غضب بونابرت فقال عن الشيخ إنه لايصلح للرياسة، وعندما قال المترجم إن نابوليون أراد بهذا الطيلسان تعظيمكم وتميُّزكم أجابه المشايخ: «ولكن قدرنا يضيع عندالله وعند إخواننا من المسلمين». وعندما أراد بونابرت أن يستصدر فتوى من الأزهر توجب الناس بطاعة بونابرت كخليفة للنبى، أجابه الشيوخ بعد وجوم «اعتنق الإسلام إذن».

كان الشيوخ الأعلون يمثلون طبقة المتمولين وكبار الملاك من الأعيان، وكان بونابرت، وهو يخطب ودّهم، يتوجه إليهم ليس كقادة دينيين، بل كقادة سياسيين يجمعون بين المكانة الدينية والمكانة الاجتماعية فى قيادتهم للجماهير، وكان بونابرت يعتقد أن تلك المكانة تستطيع أن تجذب الجماهير الدنيا من المجتمع المصرى وأن تكون الطبقة القاعدة على غرار ما كانت عليه الطبقة البورجوازية فى فرنسا، ولم يأخذ بعين الاعتبار واقع الاحتلال، وأن التفاعلات الداخلية فى ظل الاحتلال تضع التحرر فى المرتبة العليا من توجهاتها السياسية. وكانت مصر السبّاقة فى ثورتها التحررية. وفى الوقت الذى كانت فيه طبقة كبار الشيوخ تهادن المحتلين، كانت المقاومة الوطنية تنضج بقيادة صغار الشيوخ الذين رعوا تنظيم الحركات السرية التى ظهرت إلى العلن فى أهم ثورتين مبكرتين عرفهما الشرق فى تاريخه الحديث، وهما فى جوهر توجهاتهما ثورتان تحرريتان ذات طابع شعبى شبيهتان، مع اختلاف الظروف المكانية والزمانية والتاريخية، بثورات التحرر الوطنى التى عرفتها شعوب القارة الأوروبية التى غزاها بونابرت بعد خروجه من مصر.

كانت ثورات القاهرة شعبية فى توجهاتها ومطالبها وشعاراتها. وكان مركزها الأزهر الذى أبعدت عنه الوجوه التى عرفت بتعاونها الوطيد مع الفرنسيين وتصدرته الزعامات القديمة التى رفضت التعاون مع الغازى من قريب أو بعيد، فاقتحمت الجماهير الثائرة منزل الشيخ خليل البكرى نقيب الأشراف ونهبت محتوياته وقادته مع حريمه وأولاده حافى القدمين عارى الرأس فى شوارع القاهرة إلى مقر قيادة الثورة فى الجمالية، فيما توجهت الأنظار بعلامات الإكبار إلى السيد عمر مكرم وعلت الأصوات تناديه وتهتف باسمه وتدعوه للانضمام إلى الثورة. يصف نقولا الترك مشاهده الحية عن التنظيم السرى لتلك الثورة بقوله: «فى ذات نهار الأحد فى العاشر من ربيع آخر نزل أحد المشايخ الصغار، وكان من مشايخ الأزهر وبدأ ينادى فى المدينة أن كل مؤمن موحد بالله عليه بجامع الأزهر، لأن اليوم ينبغى أن نُضارى الكفار، وكان أغلب أهل البلد معهم «الاس» بذلك. أما الفرنساوية فكانوا متغفلين عن

ذلك وكلمة «الأس» تعنى فى الإصطلاح الشعبى المصرى الأمر المتفق عليه والمكتوم... وقد طلب بونابرت من المشايخ أن يدلوه «عمن تسبب من المتعممين فى إثارة العوام» فلم يحققوا له هذا المطلب فغالطوه عن تلك المقاصد».

وهكذا، وجد الفرنسيون أنفسهم أمام قيادات جديدة من الشيوخ الأدنين، وكانت هذه القيادات أكثر تحسساً بآلام جماهير الناس وأقدر على التعبير عن حاجاتهم والإفصاح عن رغباتهم؛ إذ لم تكن تملك من المال والجاه ما يدفعها إلى المداراة. وهذه القيادة هى التى أشار إليها لاجنكيير فى الجزء الثالث من كتاب حملة مصر، بأنها استخدمت الدين لغايات اجتماعية، وكانت مطالبها الاجتماعية تختلط بمطالبها الدينية فيدعو إلى الله والثورة من على رؤوس المآذن، وبلغ تهييجهم للنفوس أشده حتى لتكفى حادثة واحدة أن تضرم بركان الهياج القومى، ولقد كان فرض الضرائب على المنازل سبباً كافياً استغلّه دعاة الثورة لإثارة الهياج فى نفوس من لم تستفزّهم الدعاية الدينية.

كان التداخل بين المشاعر الدينية والحاجات المطلبية والاجتماعية من الأمور الطبيعية عند جمهور غير مسيس فى ذلك الحين؛ وقد سبق لبونابرت، وهو يعلم بالأمور السياسية، أن جمع بين هذين الإحساسين فى تقرير سياسته التى رسمها لحكم مصر؛ وقد أفاد الثوار من إدارة بونابرت وتنظيماته، فانتقلت إلى الأزهر هيكلية الديوان الاستشارى وكانت شعون الثورة تدار ديموقراطياً فى بداية الأمر، ولاتتخذ القرارات الملزمة إلا بعد مناقشات جادة. فيروى بونابرت فى مذكراته أن الشعب انتخب ديواناً للثورة، وأن عضوية هذا الديوان لم تكن قاصرة على الشيوخ، وكانت هنالك لجنة لتدبير الشئون الإعلامية تعمل على إثارة الكراهية فى نفوس الناقمين. وبلغ عدد من استطاعت قيادة الثورة، بتنظيمها الدقيق، من حشدهم فى انتظار إعطاء الإشارة خمسة عشر ألف ثائر وفقاً لتقدير رجال المخابرات العسكرية الفرنسية. ففى الأزهر كانت تدار ندوات الثورة، ومنه كانت تنطلق شعارات التذمر وتنطلق الحشود إلى الشوارع فى شكل تغلب فيه الحميّة الدينية فتطغى على كل شيء. وقد وصف الجبرتى تلك الحشود الجماهيرية الهائجة مستنكراً بُعْدَ قياداتها عن التروى بقوله: «ووافقهم على ذلك بعض المتعممين الذى لم ينظر فى عاقبة الأمور ولم يتفكر أنه فى القبضة مأسور». ونقمة الجبرتى على هذه الثورة تعكس نقمة الطبقة العليا من الشيوخ الذين ارتبطت مصالحهم تاريخياً بمصالح السلطة الحاكمة، وكانت لها الكلمة النافذة فى الأزهر، وكانت تدير شعونه وفقاً لمصالحها. وكانت ثورة القاهرة الأولى عام ١٧٩٨، ثم الثورة الثانية مارس عام ١٨٠٠، بداية تحوُّل جديد فى حياة الأزهر، ودعمه للمطالب التحررية ضد السلطات الأجنبية والمتعاونين معها من أهل البلاد، وهو تحوُّل لاعهد له به من قبل.

كانت هاتان الثورتان نقلة نوعية فى حياة الجماهير التى كانت فيما مضى تلزم موقف المراقب لما يجرى فى بلادها من الأحداث

السياسية. وكانت إثارتهما للشكوك فى سلوك أعضاء الديوان واتهامهم بممالأة الفرنسيين تعبيراً صادقاً عن مشاعر جماهيرية تضعضعت ثقتها بقادتها، ولم يكن فى أية حال تعبيراً عن حقد فئة من الشيوخ على أولئك الذين رقّاهم الفرنسيون وأكسبوهم وجاهة أثارت الحسد فى قلوب بقية الشيوخ الذين استُثنوا من هذه الوجاهة. فهذه الثورة، بدأت شعبية لاصقة بالطبقات الدنيا من فئات المجتمع ثم أخذت تتساقط إليها قطاعات كانت من قبل مخلدة للسكينة، وهى قطاعات طبقة الملاك والتجار وأصحاب الصناعات، وهى القطاعات التى أخذت تتأذى بالتدريج من تنظيمات الفرنسيين وطرقهم فى ابتزاز المال، وبانضمام هذه الفئات الأكثر وعياً، ارتفع المستوى التنظيمى للثورة، ورفدت القيادات الدينية بعناصر مدنية لها خبرتها فى مجال الحياة الاجتماعية لاتركن إلى عفوية الجماهير وشعاراتها المثيرة للخواطر. وكان الاجتماع الذى عقد الأحد ٢٠ أكتوبر عام ١٧٩٨ نقطة بارزة فى هذا التحول، حيث تشكّلت لجنة للثورة مؤلفة من ثلاثين شخصاً أو كل إليها التنظيم الجماهيرى الذى كان من قبل يعتمد على الإثارة العاطفية، وكان أول عمل قامت به تعبيراً عن الاحتجاج الشعبى هو الدعوة إلى الإضراب العام وإقفال الدكاكين والمحلات التجارية والمؤسسات الحرفية والصناعية وتشكيل الوفود لرفع الاحتجاج إلى مركز القيادة العامة للفرنسيين، وكان الاحتجاج مركَّزاً على الضرائب التى تفاقمت وأرهقت كامل هذه المؤسسات على اختلاف مستوياتها الاقتصادية والاجتماعية نحو تحقيقها. وعلى هذه الأهداف «كان الناس يتلاقون على غير تعارف فيتبادلون ويتعاهدون على المقاومة، وأخذت سمات الغضب تبدو على الشعب الهادىء الوديع، وظهرت الأسلحة فى أيدى المتجمهرين فى الشوارع بعدما كانت محجوبة عن الأنظار، وأقبل الفلاحون وأهل الضواحى إلى القاهرة فاشتركوا فى هذا التجمهر، وأخذت صيحات السخط واللعنات تنصب على الضرائب الجديدة وعلى الفرنسيين»(٧٢). ولم يعد هنالك أى شك فى أن الثورة قد اندلعت كما يقول ريبو.

كانت القاهرة هى المدينة القائدة، والثورات الاجتماعية فى التاريخ كانت مراكزها المدن لأنها هى مركز التجمعات والفعاليات الاقتصادية، والأرياف إنما تتحرك بقوة جذب المدينة كمركز.

والمدن هى المكان الصالح لتكوين الرأى العام، وإن كان التطرف هو خاصية من لايملكون شيئاً، ولا يقيمون حسابًا إلاّ لما يظنونه هو الصواب وتصل ثورتهم إلى حد تهين الحياة فى نظرهم إلى درجة الاستشهاد، فإن الطبقات المالكة على اختلاف مستوياتها تقف من الثورات ونتائجها من خلال منظور الربح والخسارة لهذه الطبقة أو تلك. والجماهير القاهرية التى خضعت لتنظير قادتها فى بادىء الأمر، باتت بعيدة عن أى حوار عندما شعرت بقوتها خلال تجمعاتها الحاشدة. فمما

يذكره الجبرتى أن هذه الجماهير انطلقت إلى بيت القاضى التركى جمشى زاده طالبة منه الركوب معهم إلى بونابرت، فقبل ثم عاد واعتذر عند مشاهدته لهذه الحشود فى عنفها وضخامة عددها، ولما لم يقبل مصاحبتهم انهالوا عليه وعلى رجاله بالعصى والحجارة ونهبوا منزله، ولما اشتدت المعارك بين الثوار والفرنسيين وقبل المشايخ دعوة بونابرت لتقرير هدنة أو صلح ويرفع الضرب عن الأزهر والدور المحيطة به، تجمعت عليهم الجماهير الغاضبة «وقاموا عليهم وسبوهم وشتموهم، وضربوا الشرقاوى والسرسى ورموا عمائمهم وأسمعوهم قبيح الكلام وصاروا يقولون هؤلاء المشايخ ارتدوا عملوا فرنسيس ومرادهم خذلان المسلمين وأنهم أخذوا دراهم من الفرنسيس، وقد فسروا طلب الفرنسيس الصلح بأنهم صاروا ضعافا ولولا أن الكفرة الملاعين تبين لهم الغلب والعجز ما طلبوا المصالحة والموادعة وأن بارودهم وذخيرتهم فرغت»(٧٣).

لقد كانت القيادة الفرنسية قاسية فى ردها على الثورة بعد مقتل الجنرال ديبوى Dupuy حاكم القاهرة، بسهم نفذت إلى صدره، وبعد مهاجمة الثوار لمخافر الفرنسيين بما فى ذلك الحى الذى كان فيه مركز القيادة العسكرية، فضرب الفرنسيون القاهرة بالمدافع، ودحر المشاة الفرنسيون الثوار فى معظم أحياء المدينة وحصروهم فى حى الجامع الأزهر الذى كان عرضة للقنابل المنهالة عليه من المواقع الحصينة فى ربى المقطم حتى كاد الجامع الأزهر يتداعى من شدة الضرب ودفنت تحت أنقاض البيوت المدمّرة حول الأزهر ألوف من الآمنين، وانتهت هذه الثورة باستسلام الثوار للفرنسيين الذين دخلوا الأزهر بعد مجزرة هى الأفظع فى تاريخ مصر؛ إذ زاد عدد ضحاياها على الأربعة آلاف قتيل بين شهيد مدافع وقتيل لقى حتفه تحت أنقاض الدور المتهدمة والمنازل المحترقة فى مقابل مايتين من جند الفرنساوية.

والمؤرخون مجمعون على أن هذه الثورة أصبحت فى مرحلتها الأخيرة تحت السيطرة الكاملة لجماهير الشارع بعد أن فقدت قياداتها التقليدية التى كانت ترفض العنف، وقياداتها الثورية التى استطاع بونابرت الاهتداء إليها وإعدامها. وهكذا انطلقت الجماهير فى غياب تلك القيادات إلى المراكز الفرنسية دون تمييز بين ما هو مدنى وما هو عسكرى من مهمات الحملة الفرنسية، وكانت أعمال الهندسة فى جملة ما أصيب بالنقمة، فقتل الثوار عدداً من أعضاء البعثة وأتلفوا ما كان فى الدار من الآلات الفكلية، وكانت هذه الأعمال مثار نقد الطبقة الوسطى والعليا من طبقات المجتمع المصرى. ويسجل الجبرتى فى غير موضع من كتابه عجايب الآثار نقده الظاهر لتهور الجماهير، ولا يتورع عن وصفها بأبشع النعوت؛ وترى ذلك فى حديثه عن مهاجمة الثوار لبيت الجنرال كافاريللى رئيس فرقة الهندسة الذى كان يسكن فى بيت مصطفى كاشف، بالدرب الأحمر، وقتلهم لاثنين من مهندسى القناطر تيفينو Thevenot ودفال Duval. وكذلك قتلهم

لـ«تستفيود Testeviude كبير المهندسين الجغرافيين الذى كان يشتغل بخريطة مصر، والرسام دوبرى Duperrès ، والجراحيّن روسل Roussel ، ومانجان Manguan ، ويرثي ما حلّ بدار العلوم التى كان يتردد إليها معجبًا بطريقة عمل الفرنسيين فيها حيث يقول: «وكان بتلك الدار شيء كثير من آلات الصنائع والنظارات الغريبة والآلات الفلكية والهندسية والعلوم الرياضية وغير ذلك مما هو معدوم النظير، كل آلة لاقيمة لها عند من لايعرف صنعتها ومنفعتها، فبدّدت العامة كل ذلك وكسرّوه قطعًا وصعب ذلك على الفرنسيس جداً، وقاموا مدة طويلة يفحصون عن تلك الآلات، ويجعلون لمن يأتيهم بها عظيم الجعالات».

وموقف الجبرتى هذا من العنف الجماهيرى هو موقف طبقته من الشيوخ الذين تعاطفوا مع الفرنسيين. فهؤلاء الشيوخ كانوا فى مستوى ثقافى سمح لهم بتقدير ما وجدوه عند الفرنسيين من تنظيم إدارى وحب للمعرفة والتقدم العلمى، مما هيّأ لهم سبل الاتصال بحضارة أرقى من حضارتهم، ولعل هذا ما جعل هذا اللفيف من الشيوخ أشدّ ميلاً لمداراة الغزاة، ولم تكن لديهم القدرة على الفصل بين مجالات التعاون الثقافى والحضارى ومجالات التعاون السياسى؛ لابل إن مثل هذا الفصل كان مستحيلاً فى ظروف مصر التاريخية وطبيعة الحملة التى قادها بونابرت إلى مصر، وهى حملة عسكرية علمية فى آن. أما الجماهير التى كانت على حظ ضئيل من العلم والوعى الثقافى، فكانت على النقيض، رافضة الوجود الفرنسى برمته. فالفرنسيون فى نظر الطبقة المنوّرة «قد أتوا إلى مصر بآلات حربية حديثة ومخترعات علمية عجيبة، فاكتسحوا بها البلاد المصرية. ولم تقوَ الآلات القديمة على الوقوف أمامها، فملك الفرنسيون مصر، ومكثوا فيها ثلاث سنين أظهرت للمصريين من آثار العلم الحديث ما أظهرت، فرأوا المطبعة التى نقلوها معهم لطبع الجرائد والمنشورات، ورأوا ما قاموا به من تجارب الطيّارات، ورأوا غير ذلك من آثار العلم الحديث الذى كان له الفضل فى انتصارهم...»(٧٤).

إن مشاعر الإعجاب بهذا التقدم العلمى أنسى الفئة المنوّرة من المصريين، عهد الأتراك والمماليك، وكانت هذه الفئة تقابل بين علوم الفرنسيين وكتبهم وما عندها من كتب الفقه والأوراد ودواوين الشعر ومجموعات النوادر وكتب الطوالع فتزداد ثقة بهم ويضعف إزاء هذه الثقة العداء السياسى. وإن كانت هذه المنجزات لم تحرك ساكنًا عند جمهرة المعممين ولم توقظ غافلا منهم، فإن الفئة المنوّرة رأت من واجبها أن تأخذ بالأسباب التى أوصلت الفرنسيين إلى هذه القوة الهائلة، وأخذت تتفحص مواطن الضعف فى علومها وثقافتها وسلوكها، وكان لابدّ من التفكير فى أن تنفض عنها غبار القديم، لتأخذ بما جدّ فى العلوم من ابتكارات وتدرس ما حدث فيها من زيادات. أما على الصعيد الإدارى، فإن الشيوخ وإن راودتهم الشكوك فى أهداف الغزاة، فإنهم وجدوا فى الدواوين التى أنشأها بونابرت أول تجربة فى حكم المصريين لأنفسهم، تجربة تمثيل أعيان البلاد وذوى الشأن فيها على مستوى القطر المصرى كله. وهذا

الشعور تلمحه بأوضح بيان فيما سجله الجبرتى عن أخبار الحملة الفرنسية، لابل إننا نرى عالماً كالشيخ حسن بن محمد العطار الذى اتصل بالفرنسيين عن طريق تعليم أحدهم اللغة العربية يفيد من فنون الفرنسيين ويخرج عن الجمود العلمى الأزهرى بتدريسه المواد الممنوعة وكان صاحب البادرة فى إعادة تفسير القرآن وهى البادرة التى استكملت بعد ما يقارب القرن على يد محمد عبده، وكان محمد عياد الطنطاوى يدرس الأدب فى الأزهر على طريقة جديدة بإيحاء من العطار وتحت إشرافه.

وهكذا فيما كانت العامّة عاجزة عن التمييز بين الوجه المظلم والمضىء من الوجود الفرنسى، مستقبحة كل ما يصدر عنهم، كانت الفئات المستنيرة من الطبقة العليا والوسطي حريصة على الإفادة من حضارتهم وتتصل بهم فى غير حرج وتؤانسهم فى أوقات الشدة، فترى السيد ريبو فى الجزء الثالث من كتاب التاريخ العلمى والحربى للحملة الفرنسية يثنى على المروءة الكبيرة التى أبدتها الطبقة المصرية المتوسطة فى حمايتها للفرنسيين العزل إبان ثورات القاهرة «فجميع الفرنسيين الذين التجأوا إلى بيوت الطبقة المتوسطة قد اطمأنوا فيها على حياتهم وألفوا بها النجدة والمروءة». والشهادة نفسها عند المسيو فيفان دينون vivant Denon الشاهد العيان لأحداث ثورة القاهرة حيث يقول فى كتابه «رحلة فى الوجه البحرى ومصر العليا»: «لئن كانت العامة وبعض الكبراء والأتقياء قد ظهروا قساة فى ثورة القاهرة، فإن الطبقة المتوسطة من سكان القاهرة برهنت على أسمى عواطف الإنسانية والمروءة، رغم فوارق العادات والأخلاق والدين واللغة التى كانت تفصل بيننا. فبينما كانت صيحات التحريض على القتل تُسمع من المآذن، وبينما كان شبح الموت والدم يتنقّل فى الشوارع، فإن أصحاب المنازل التى يسكنها الفرنسيون قد آووهم وأظلوهم بحمايتهم وأمدوهم بما يحتاجون..».

ومهما قيل فى تجاوزات هذه الثورة، فإن أحدا لا يستطيع أن ينكر عليها جماهيريتها وشعبيتها. فعدد المشاركين فيها شكّل نسبة مرتفعة من الأهلين، أما أهدافها فى طرد الغزاة والتخلُّص من ضرائبهم وتجاوزات جنودهم كانت تلقى تجاوباً عارماً دلَّ عليه دعم هذه الثورة معنوياً ومادياً. ثم إن هذه الثورة تجاوزت حدود القاهرة إلى الأقاليم لتأخذ طابعاً وطنياً، فكانت أحداث القاهرة قدوة لما وقع فى الوجه البحرى فى شهرى سبتمبر وأكتوبر من عام ١٨٧٩، ولقى الوجه البحرى نصيبه من قصاص الفرنسيين بعد إخماد ثورة القاهرة، وسيق عدد من أعيان هذا الإقليم إلى القاهرة، فأعدم بعضهم وسجن البعض الآخر بتهمة تحريض أهالى البلاد المجاورة للقاهرة على الانضمام للثوار؛ فيذكر الجبرتى أن الفرنسيين قتلوا الشيخ سليمان الشواربى شيخ قليوب ومعه ثلاثة من عرب الشرقية، وقطعوا رؤوس عدد من الشيوخ فى الرميلة. وكانت تلك الشدة التى خرج بها الفرنسيون عن حدود الحكمة فى التصرف شاهداً على شمولية الثورة وعنفها ليس فقط فى مواجهة المشاة الفرنسيين بل فى الاعتداء على سفنهم المرابضة فى الموانىء البحرية؛ إذ كانت هذه

السفن عرضة للهجوم مما دفع بالقيادة الفرنسية إلى إنذار الأهالى بأن أى اعتداء يقع على إحدى السفن يعرِّض القرى المجاورة إلى أن تحرق بالنار. وما ذكره الجبرتى عن أحداث الوجه البحرى ينجرد على المحلة الكبرى وطنطا وعشما والدقهلية ودمياط والمنصورة.

كانت هذه الثورة مفاجأة كبرى للفرنسيين الذين ركنوا إلى قدرة وسطائهم من كبار الشيوخ على ضبط الأمن وإدارة شئون البلاد فى اطمئنان وهدوء؛ وإزاء هذه المفاجأة التى لم يتحسب لها الفرنسيون كان الرد الفرنسى صاعقاً عنيفاً، لا بل إن الأعمال التى قام بها الفرنسيون بعد إخماد الثورة لم تكن من المقتضيات التى تفرضها الحروب بل كانت داخلة فى صميم ضروب التنكيل والانتقام؛ فجنودهم الذين دخلوا الأزهر على ظهور خيولهم بعد استسلام الثوار ظلوا مرابطين فيه ليلة وبعض الليلة ونهبوا محتوياته، وأتوا على ما وجدوه داخلة من مقتنيات الناس التى أودعوها فيه ظنًا منهم أن الأزهر يظل فى منجاة من المحنة. وبحجة التفتيش عن السلاح، نهب هؤلاء الجند البيوت الآمنة، وفتّشوا المارة وسلبوهم ما يملكون فى جيوبهم من المال، واستسلموا للوشايات فتعددت مظالمهم وامتلأت السجون بالأبرياء دون محاكمة، وأصبح برطلمى الرومى الذى عيّنه الفرنسيون وكيل المحافظة ـ وهو كما يصفه الجبرتى، من أسفل الأروام العسكريين القاطنين فى مصر ـ هو السيد المطاع، بثّ أعوانه فى الجهات يصادرون الناس على الشبهة، ويرمونهم فى السجون، ويستخدمون معهم ضروب الوان التعذيب ليقرّوا بأعمال لم يرتكبوها. ولم تكن تلك الأعمال صادرة عن رعاع الجند، بل كانت من وحى تعليمات رسمية صريحة وأخرى ضمنية من قبل القيادات العسكرية الفرنسية لاجتثاث رؤوس القيادات الثائرة من زعماء الأهالى ولجان الثورة وأعضائها، وكان من أفظع أعمال هذه القيادة إصدارها أحكام الإعدام بثمانين من لجان الثورة وتنفيذ هذه الأحكام فور صدورها عن المجلس العسكرى يوم ٢٤ أكتوبر عام ١٨٩٨، وكان بين من طالتهم العقوبات المتلاحقة عدد من النساء نايهك عن عدد كبير من الشيوخ أعدموا بتاريخ ٣ نوفمبر من السنة نفسها بدون محاكمة، وكان ذلك كله على أيدى أولئك الذين أمّلت مناشيرهم الناس بنشر العدالة والمساواة والإخاء فى ربوع مصر، وتمكين المصريين من أن يكونوا سادة أنفسهم بعد إخراج المماليك.

## هـ ـ جماهير الثورة فى ميزان التطرف الوطنى والهوس الانفعالى:

كان الاصطدام المباشر بالفرنسيين تجربة جديدة لم يألفها الجمهور المصرى فى تاريخه من قبل. وإن كان هذا الجمهور قد ألفَ مشاهدة التنازع على السلطة بين أمراء المماليك فيما بينهم وبين هؤلاء مجتمعين فى صراعهم مع العثمانيين، فإن دوره فى هذا الصراع لم يتعدّ دور المشاهد لأحداث لا تعنيه؛ إذ لم يكن فى هذا النزاع فريق كان يحمل فى صراعه مشروع بناء دولة تمس هذه الجماهير ومصالحها من قريب أو بعيد. فالأمراء فى صراعهم كانوا ينشدون مغانم شخصية، وتحزُّب طوائف من المصريين لهذا الأمير أو ذاك كانت تدور فى حلقة

هذه المغانم، وهو تشيُّع أقرب ما يكون من تحالف قَبَلي تحدده المصالح الذاتية داخل منطقة أو إقليم. ولم يكن تعيين الولاة وعزلهم يخرج عن هذا الإطار الضيق من التحالفات وتقريب هذا الفريق وإبعاد ذاك، ولم تكن الحملة الفرنسية على مصر شيئاً من هذا القبيل، ولم يكن فى النزاع الاستعمارى الفرنسى الإنجليزى الذى شاهده المصريون عن كثب ما يمكن أن نجد له مقاربة من النزاعات المحلية التى استفحلت فى مصر فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر، فالحملة الفرنسية أيقظت، حتى فى نظر أشد أعدائها من الثوار، أذهان المصريين على مدى تخلف سلطاتها المحلية عن مواكبة ركب الحضارة العالمية سواء فى ميدان تقدم الآلة العسكرية عند فريق أو التقدم العام فى التقنية العسكرية وميدان العلوم المدنية والإدارية عند القلة من الثوار، ولكن انهارت أمام أعين هؤلاء جميعاً أسطورة عظمة المماليك الذين تهاوت بسالة فرسانهم فى وجه القوة الجديدة العاتية، فكانوا ينظرون إلى سرعة انهيار المقاومة العثمانية المملوكية فى شيء من السخرية الممزوجة بالألم، وبان لهم الفرق بين السلطة المتماسكة التى تشدها قيم وطنية رفيعة كتلك التى رأوها عند الفرنسيين، والسلطة الفردية الغرقة فى أنانيتها ومتطلباتها الذاتية، والتى خضعوا لها طوال قرون متباعدة فأصيبوا بعدواها وخضعوا لأحكام قيمها الاجتماعية فى التعامل.

كانت الجماهير تدرك ذلك إدراكاً مبهمًا، ولكنها لم تكن قادرة على إدراك سرِّ هذه القوة فى مقابل ضعف قادتها، وكان يستحيل عليها ربط هذه القوة بزوال النظام الإقطاعى فى فرنسا وما ترتب على زواله من ظهور مناهج العلم الحديثة وطرق التنظيم التنظيم السياسى والاقتصادى الجديدة، وكان عجزها أشد فى فهم أبعاد الفتح الفرنسى الذى كانت الحملة العلمية جزءاً أساسياً فيه، وأن هذه الحملة العلمية كان فى رأس غاياتها تنمية موارد البلاد وتنظيم الريّ وضبط مياه النيل، وغير ذلك من المشاريع التى حققتها حكومة محمد على فيما بعد. هذه الأمور جميعها كان يستحيل على الجماهير إدراكها وتصور أبعادها فى تحقيق كثير من الحاجات التى كانت هذه الجماهير تتمناها فى أعماق لا وعيها الاجتماعى والسياسى من القضاء على سلطات المشايخ والعمد واستبدالها بحكم قائم على الشورى فى تنظيم المناطق يتيح للطبقة الدنيا المشاركة فى رسم حاضرها ومستقبلها. إن شيئًا من ذلك لم يخطر لهم على بال عندما انجرفوا فى الثورة مؤمنين بحقيقة ما تصوروه من خطر هذا الغازى على عوائد ألفوها وقيم مارسوها وركنوا إليها، وكانوا على حق عندما اعتقدوا أن غازياً يأتيهم من أطراف المعمورة لايمكن أن يتكبّد تلك المشاقّ رغبة فى إعلاء كلمة المصريين وتخليصهم ممن استبدوا بهم من المماليك، وفكرة التحرر من هذا الغازى هى الفكرة التى استبدت بعقول جماهير الثوار

وضمائرهم. ورأوا الدولة العثمانية غاضبة على هذا الغزو، محاولة صدّه، راغبة فى استرداد مصر، والدولة العثمانية هى الحامية لدين الإسلام فلا مجال للموازنة بين وجود إسلامى ووجود كافر. وكان الإنجليز فى ظاهر سياستهم داعمين للعثمانيين، داعمين فى الوقت نفسه أمراء المماليك، ولقيت هذه السياسة هوىً فى نفوس الناس وشعروا بالقوة، وعبثاً حاول الفرنسيون إقناع الجماهير الشعبية والتقرب إليها عن طريق تكذيب المزاعم حول خلافهم مع الباب العالى «وأنهم أحباب مولانا السلطان فاتحون بنصرته، وأصدقاء له، ملازمون لمودته وعشرته، يحبون من والاه ويبغضون من عاداه...»، كما كانت تزعم مناشيرهم التى أرسلوها باسم الشيوخ إلى البلاد وألصقوا نسخًا منها بالأسواق والشوارع. كما عجزوا فى إقناع سكان الأرياف من العربان والفلاحين بأن مقاومة المماليك للغزو هو ضرب من ضروب الفتنة المفضية إلى تخريب البلاد وإهلاك الرعية.

وجماهير القاهرة انقادت للثورة فى هذه الظروف التاريخية الخارجية منها والداخلية، فتحت وطأة الحصار الإنجليزى اضطر الفرنسيون إلى تمويل حملتهم محلياً ولجأوا إلى الإكثار من الضرائب فى وقت تعطلت فيه تجارة مصر الخارجية نتيجة هذا الحصار كما تعطلت تجارتها الداخلية نتيجة للبلبلة التى أعقبت الغزو.

وكانت الجماهير عرضة لقبول الأخبار المضخمة، وكثيراً ما تحوّل الوهم فى أذهان الجماهير حقائق ثابتة، وتصرفت الجماهير وفقاً لما تقتضيه طبيعة الدفاع عن الذات؛ فعندما بدأ الفرنسيون بتحصين مواقعهم ويحتلون البيوت المشرفة على المدينة سرت إشاعة مفادها أن الفرنسيين عازمون على قتل الناس وهم فى صلاة الجمعة، وهى إشاعة تقبلتها العامة، فيما عدّتها الطبقات المتوسطة والعليا من النكات المضحكة. يقول الجبرتى فى ذلك: «... فلما حصلت هاتان النكتتان انكمش الناس وارتجفت قلوبهم...». وكان ما يقوّى قبول مثل هذه الإشاعات فتك الفرنسيين بعدد من القيادات الشعبية، وغالبًا ما كانت الفئات الشعبية تتصرف بردود انفعالية فاقدة الغاية والهدف، لا بل كان هذا السلوك هو الصفة البارزة لتلك الجماهير التى فقدت قياداتها؛ ومن هنا، كان الحكم القاسى الذى أصدره الجبرتى بحقها: «... ووافقهم على ذلك بعض المتعممين الذى لم ينظر فى عاقبة الأمور، ولم يتفكر أنه فى القبضة مأسور، فتجمع الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم، ولا قائد يقودهم، وأصبحوا يوم الأحد متحزبين وعلى الجهاد عازمين، وأبرزوا ما كان أخفوه من السلاح وآلات الحرب والكفاح، وحضر السيد بدر، وصحبته حشرات الحسينية وزعر الحارات البرانية ولهم صياح عظيم وهول جسيم، ويقولون بصياح فى الكلام نصر الله دين الإسلام...»(٧٥).

وما يقوله الجبرتى يبقى صحيحاً فى جملته؛ وقد لاحق الجبرتى هذه الجماهير متسقطًا ما

ارتكبته من فظيع التجاوزات، ولكنه ظل عاجزاً عن تفسير ظاهرة المدّ الشعبى بعد أن تخلّت عنه قيادات الطبقة العليا ثم الوسطى من الشيوخ؛ فهذه الجموع القاهرية كان عددها يزداد إثر تحقيق الانتصارات على الفرنسيين؛ فبعد مقتل الجنرال «ديبوى» انحازت الجموع، التى سبق أن آثرت الصمت، إلى صفوف الثوار واستولت بإمكاناتها المحدودة على معظم المواقع المحيطة بالقاهرة كباب الفتوح وباب النصر، وهدم هؤلاء الثائرون، بشهادة الجبرتى، «مصاطب الحوانيت وجعلوا أحجارها متاريس للكرنكة لتعوق هجوم العدو فى وقت المعركة، ووقف دون كل متراس جمع عظيم من الناس». إن هذا المدّ لايمكن تفسيره إلاّ بما كانت تضج به النفوس من الحرمان المكبوت والتوق إلى عدالة إجتماعية كان من المستحيل تحقيقها إلا فى ظلال وطن.

فهذه الثورة، على كل ما كان فيها من معانى التضحية، كان ينقصها المشروع السياسى والرؤية المستقبلية الواضحة المعالم للأبعاد الوطنية، فلم تكن انتصاراتها العسكرية سوى مراحل سريعة الزوال، وما أن لاحقت بوادر انحسارها العسكرى حتى تسرب الخلل إلى غاياتها النضالية فانحرفت عن غاياتها النبيلة إلى ما هو الرجف أو الزلزال كما يقول الجبرتى، فتراه يصف هذا التحول الخطير فى مجرى الثورة بقوله: «ثم زاد الحال وكثر الرجف والزلزال، وخرجت العامة عن الجد، وبالغوا فى القضية بالعكس والطرد، وامتدت أيديهم إلى النهب والخطف والسلب، فهجموا على حارة الجوانية ونهبوا دور النصارى والشوام والأروام، وما جاورهم من بيوت المسلمين على التمام، وأخذوا الودائع والأمانات، وسبوا النساء والبنات، وكذلك نهبوا خان الملايات وما به من الأمتعة والموجودات، وأكثروا من المعايب ولم يفكروا فى العواقب، وباتوا تلك الليلة سهرانين وعلى هذه الحال مستمرين..».

وهذا الانحراف أسقط التأييد الوطنى للثورة لدى الطبقات الوسطى، ووجدت فيه الطبقات العليا تأييداً لتنبؤاتها السابقة، وانكفأت الطبقات الدنيا متحسرة على آمال انقضت كالأحلام، وحمل الفرنسيون الثوار مسئولية ما حدث ولقى منطقهم تصديقاً لدى معظم الفئات بما فى ذلك تبريرهم لما أحدثوه فى الأزهر نفسه من ضروب المنكرات. وخرج المعارضون للثورة عن صمتهم، وإبّان تأزم الوضع العسكرى وتكاثف نيران المدافع على البنايات والحارات تعالت الأصوات المنادية بوساطة كبار الشيوخ لدى الفرنسيين لوضع حدّ لهذه الحرب المدمّرة، وفى ظل ازدياد الخطب وعظم الكرب ركب المشايخ كما يذكر الجبرتى قاصدين بونابرت «ليرفع عنهم هذا النازل، ويكفّهم كما انكفّ المسلمين عن القتال والحرب خدعة وسجال، فلما ذهبوا إليه عاتبهم فى التأخير واتهمهم فى التقصير، فاعتذروا إليه فقبل عذرهم وأمر برفع الرمى عنهم».

وهكذا وجدت معاودة ممثلى الطبقة العليا الاتصال بالفرنسيين التغطية الكافية من جموع المتضررين من الثورة إلاّ ما كان من الأحياء الشعبية من أهل الحسينية والعطوف والبرانية، «فإنهم مازالوا مستمرين وعلى الرمى والقتال ملازمين، ولكن خانهم المقصود، وفرغ منهم البارود، والإفرنج أثخنوهم بالرمى المتتابع والقنابر والمدافع

إلى أن مضى من الليل نحو ثلاث ساعات وفرغت من عندهم الأدوات...» . وعن مشايخ هذه الحارات رفض الفرنسيون قبول وساطة الشيوخ فى العفو عن جرائمهم وانتهى الأمر بالشيخ الجوسقى شيخ طائفة العميان، والشيخ عبدالوهاب الشبرواى، والشيخ يوسف المصيلحى، والشيخ إسماعيل البراوى إلى القتل دون محاكمة وألقيت جثثهم من السور خلف القلعة.

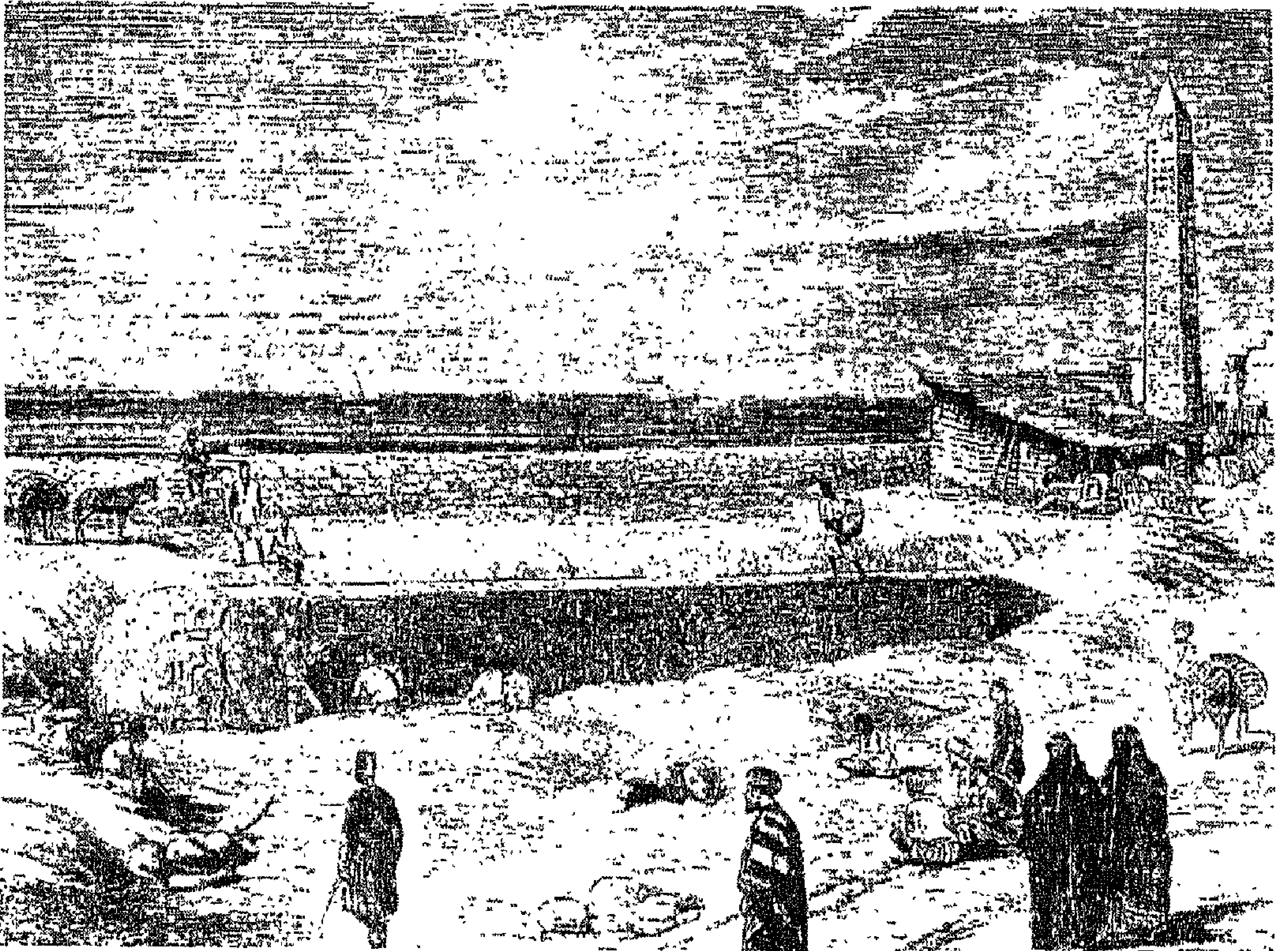
وإن كنا نرى الجبرتى يرمى الفرنسيين بأسوأ النعوت ويصفهم بالكفرة إثر ما رآه من تنكيلهم بالشيوخ وبعض العامة، فإننا نراه يشتد حماساً وغيظًا على أولئك الذين أشعلوا نار الفتنة بين المسلمين والنصارى لاسيما بعد أن اتخذ الهجوم على النصارى طابعاً رسمياً بعد قدوم نصوح باشا ممثل الباب العالى إلى مصر فى نهاية الثورة الثانية فى القاهرة: «قال نصوح باشا عند ذلك للعامة اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم، فعندما سمعوا منه ذلك صاحوا وهاجوا ورفعوا أصواتهم ومروا مسرعين يقتلون من يصادفونه من نصارى القبط والشوام وغيرهم، فذهبت طائفة إلى حارات النصارى وبيوتهم التى بين الصورين وباب الشعرية وجهة الموسكى فصاروا يقتلون من يصادفونه حتى اتصل ذلك بالمسلمين المجاورين لهم، فتحزبت النصارى واحترسوا وجمع كل منهم ما قدر عليه من العسكر الفرنساوى والأروام وكانوا قبل ذلك محترسين وعندهم الأسلحة والبارود»(٧٦).

كان الجبرتى شديد النقمة على تلك الفتنة الطائفية التى كانت من ذيول الثورة فوصف موقديها بالأوباش والحشرات والزعر وغير ذلك من شتات النعوت؛ وساءه أن يستغل العثمانيون التزمت الإسلامى لدى العامة للفتك بإخوانهم العُزّل من المواطنين المصريين، وتلمس فى موقف الجبرتى مفهوماً واضحًا للمواطنية ومفهومًا رحبًا لعدالة الإسلام وتسامحه ظل خفيًا على العثمانيين الغرباء لاسيما وأن الفتنة التى أثارها العثمانيون اعتمدت على المال فى التغرير بصغار النفوس من العامة، إذ كان «كل من يقبض على نصرانى أو يهودى أو فرنساوى أخذه وذهب به إلى الجمالية حيث عثمان كتخدا ويأخذ عليه البقشيش، فيحبس البعض حتى يظهر أمره، ويقتل البعض ظلماً، وربما قتل العامة من قتلوه وأتوا برأسه من أجل البقشيش». والجبرتى وهو يلاحق هذه التجاوزات الصادرة عن العامة، يرى أنها كانت نتيجة للفتنة، لأن العامة لم تكن قادرة فى ظروف الفتنة على التمييز بين الفرنسيين وهؤلاء النصارى من أهل البلد، ويؤكد أن ما أصاب المسلمين على أيدى أولئك الزّعر لايقل عما أصاب النصارى.

لم تكن ثورة القاهرة وهى الأولى فى ثورات الشرق، تحمل مشروعًا سياسيًا فتلاعبت بأحداثها ظروف الصراع الدولى. ولم يكن الحكم العسكرى الفرنسى فى ظل هذه الظروف قادراً على القيام بالتحولات الاجتماعية التى رسمها لمصر قبل الغزو، لابل إن مدة إقامة الفرنسيين فى مصر والتعرُّف على أحوالها، اقنعت الكثيرين منهم بخطأ التصورات التى كانوا يحملونها من قبل، وكانوا يتمنون العودة إلى بلادهم التى أخذت تتعرّض لغزوات الدولة الأوروبية المجاورة. وكان الإنجليز على علم بما يجول فى خواطر الجنود

الفرنسيين في مصر وما يجول في خاطر حكومة الديركتوار، وثورة القاهرة الثانية كان من الممكن تفاديها لولا تراجع الإنجليز عن الاتفاقية التى سعوا إلى عقدها بين العثمانيين والفرنسيين والتى تقضي بتسهيل عودة الفرنسيين إلى بلادهم دون التعرُّض لهم، ولكن هذه الاتفاقية ما لبثت أن نُقضت بعد حلول اللورد إيلجين محل سبنسر سميث كوزير مفوض لبلاده في الآستانة؛ فإيلجين كان يرى من الخطأ عودة الجنود الفرنسيين إلى بلادهم لتستخدمهم فرنسا في معاركها ضد بريطانيا. ولم تكن الثورة المصرية منتصرة على الصعيد العسكرى لأن الإنجليز أعادوا أمراء المماليك إلى حكم البلاد بعد أن ظن العثمانيون أنهم سيستأثرون لوحدهم بحكم مصر. ووقَعَت البلاد مجدداً في فوضى ازدواجية الحكم.

* مسلتى الاسكندرية على عهد الجبرتى.



# الهوامش:

(١) وكتاب مظهر التقديس حوى هجومًا قاسياً على الفرنسيين عاد فعدَّله بعد خروج العثمانيين من مصر. ومن المؤرخين من رأى في هذا الهجوم منجاة من اتهامه بالتعاون مع الفرنسيين في مصر. فيما يرى فريق آخر أن هذا التعديل في الموقف مردّه إلى مقارنة موضوعية لما شاهده المؤرخ خلال العهدين الفرنسي والعثماني.

(٢) لجنة التشريع والعادات والتقاليد، لجنة الآثار القديمة، لجنة التجارة والصناعة، لجنة الزراعة لجنة نظام الشرطة، لجنة التاريخ ونظام الحكم، لجنة النيل، لجنة الادارة.

(٣) مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس، تحقيق وشرح حسن محمد جوهر وعمر الدسوقي، ط١ ,١٣٨٩هـ /١٩٦٩م. ص٦

(٤) تاريخ الحركة القومية، ج١، ص١٥٦.

(٥) نقلاً عن الرافعي: ج١، ص ١٦٩.

(٦) نقلاً عن الرافعي: ج١، ص ١٠٨.

(٧) مظهر التقديس، ص ص ٥٧ – ٥٨.

(٨) نقلاً عن الرافعي: ج١، ص ١٧١.

(٩) نقلاً عن الرافعي: ج١، ص ١٧٢.

(١٠) نقلاً عن الرافعي: ج١، ص ١٧٢.

(١١) مظهر التقديس: ص ٢٤.

(١٢) مظهر التقديس: ص ص ٢٥ – ٢٦.

(١٣) من تقرير «تاليران» وزير الخارجية الفرنسية إلى حكومة الديركتوار في ١٤ فبراير سنة ١٧٨٧ عن مشروع الحملة. نقلاً عن الرافعي: ج١، ص ٦٥، ١٥٥.

(١٤) نقلاً عن الرافعي: ج١، ص١٧٦ ـ ونص هذا الاتفاق غير موجود في المراجع العربية؛ فالجبرتي يشير في مظهر التقديس، ص٢٦، فقط إلى أن أعيان الثغر حضروا إلى نابوليون فألزمهم بجمع السلاح ووضع الجوكارد أي شارة العلم الفرنسي فوق ملبوسهم.

(١٥) نقلاً عن الرافعي: ص١٨١.

(١٦) مظهر التقديس، ص٥٨.

(١٧) مظهر التقديس، ص٣٥.

(١٨) مظهر التقديس، ص٣٩.

(١٩) مظهر التقديس، ص٣٦.

(٢٠) مظهر التقديس، ص٣٧.

(٢١) مظهر التقديس، ص ص٣٨ ـ ٣٩.

(٢٢) مظهر التقديس، ص ص ٤٣ ـ ٤٤.

(٢٣) مظهر التقديس، ص٥٢.

(٢٤) مظهر التقديس، ص٦٥.

(٢٥) مظهر التقديس، ص١٠٧.

(٢٦) مظهر التقديس، ص١١٣.

(٢٧) مظهر التقديس، ص١٣٩.

(٢٨) مظهر التقديس، ص١٤٥.

(٢٩) مظهر التقديس، ص١٥٦.

(٣٠) مظهر التقديس، ص ص١٦٨ ـ ١٦٩.

(٣١) عجايب الآثار.

(٣٢) «بونابرت في مصر»، تعريب فؤاد أندراوس في الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧، ص٢٤٦.

(٣٣) أحمد الحتة: تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر، ص٤٤.

(٣٤) عجايب الآثار.

(٣٥) عجايب الآثار.

(٣٦) عجايب الآثار.

(٣٧) عجايب الآثار.

(٣٨) عجايب الآثار.

(٣٩) عجايب الآثار.

(٤٠) عجايب الآثار.

(٤١) مظهر التقديس، ص٤٥.

(٤٢) مظهر التقديس، ص٤٣.

(٤٣) مظهر التقديس، ص٤٧.

(٤٤) مظهر التقديس، ص ص٥٣ ـ ٥٤.

(٤٥) مظهر التقديس، ص٦٧.

(٤٦) مظهر التقديس، ص١٥٧.

(٤٧) مظهر التقديس، ص١٣٧.

(٤٨) مظهر التقديس، ص١٥٦.

(٤٩) مظهر التقديس، ص١٦٠.

(٥٠) مظهر التقديس، ص١٦٣.

(٥١) أحمد عزت عبدالكريم: تاريخ التعليم في مصر في عصر محمد علي، ص٢٤.

(٥٢) عبدالرحمن الجبرتي: دراسات وبحوث، ص.س.، ص٢٢٧.

(٥٣) الجبرتي: عجايب الآثار.

(٥٤) تحفة الناظرين، ص٢٤٥ .
(٥٥) مظهر التقديس، ص٣٤ .
(٥٦) عجايب الآثار.
(٥٧) عجايب الآثار.
(٥٨) عجايب الآثار.
(٥٩) صلاح عيسى: منهج عبد الرحمن الجبرتي. عبد الرحمن الجبرتي دراسات وبحوث.
(٦٠) عبدالرحمن الجبرتي: دراسات وبحوث، خطط القاهرة في أيام الجبرتي للدكتور عبدالرحمن زكي.
(٦١) المرجع السابق، ص٤٨٠ .
(٦٢) المرجع السابق نفسه.
(٦٣) عجايب الآثار.
(٦٤) عبدالرحمن الجبرتي: دراسات وبحوث، ص٤٨٣ .
(٦٥) خليل شيبوب: «عبدالرحمن الجبرتي»، سلسلة اقرأ، رقم ٧٠، ص٤٣ .
(٦٦) عبدالرحمن الجبرتي: دراسات وبحوث، ص٣٤٥ .
(٦٧) مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس، ص١٠٣ .
(٦٨) تحفة الناظرين، ص ٢٤٥ .
(٦٩) الجبرتي: عجايب الآثار.
(٧٠) نقلا عن تاريخ الحركة القومية للرافع.، ج١، ص ٢٧٢ .
(٧١) منشور ١٠-١١-١٧٩٨ . الجبرتي: عجايب الآثار
(٧٢) الرافعي: تاريخ الحركة القومية، ج١، ص ٢٧٧ .
(٧٣) الجبرتي: عجايب الآثار ج٤ .
(٧٤) د. سعيد إسماعيل علي: كتاب الهلال، العدد ٤٣١، نوفمبر ١٩٨٦، ودور الأزهر في السياسة المصرية، ص ١١٣ .
(٧٥) الجبرتي: عجايب الآثار، ج٤ ،
(٧٦) الجبرتي: عجايب الآثار ج ٤ ،

## المراجع:

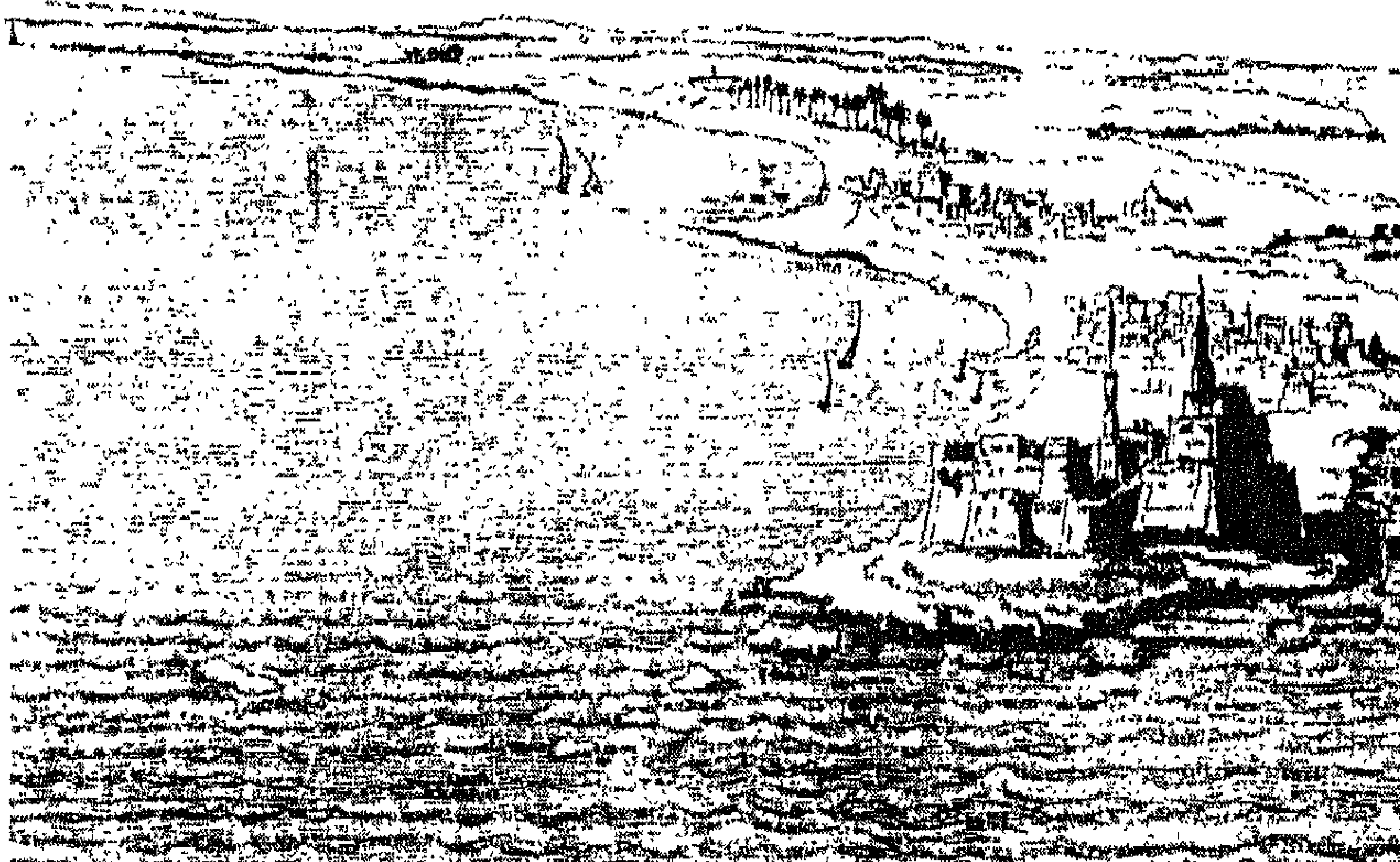

مظهر التقديس: تحقيق: حسن محمد جوهر وعمر الدسوقي. القاهرة/ ١٩٦٩

تاريخ الحركة القومية. جـ١ : عبد الرحمن الرافعي. ط١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. ١٩٤٧ .

بونابرت في مصر: ترجمة: فؤاد اندراوس. دار الكاتب العربي. القاهرة ١٩٦٧ .

تاريخ مصر الاقتصادي في القرن ١٩ : أحمد الحته.

تاريخ التعليم في مصر في عصر محمد علي: أحمد عزت عبدالكريم

## ملحق رقم (٢٥)

نصوص مختارة من مخطوطة «درر نحور الحور العين بسيرة الامام المنصور علي ورجال دولته الميامين، ١١٨٩، ١٢٢٤ هـ/ ١٧٧٥، ١٨٠٩ م. تأليف: لطف الله بن أحمد جحاف. المحفوظة بمكتبة جامع صنعاء الكبير. نشر وتحقيق. د. سيد مصطفي سالم. القاهرة ١٩٧٥.

[١]

### استيلاء الفرنسيين على مصر وسبب ذلك

**سنة ١٢١٢هـ(١).**

وفيها وردت الأخبار بدخول الفرانسه، جعل الله ديارهم دارسه، وغيرهم من الأفرنج الأبالسه، ديار مصر طهرها الله من الدنس فاستولوا عليها، ومدوا أيدى الكفر إليها، وأظهروا بها الفساد، وعانوا وتسلطوا على من بها من المسلمين، ولاثوا كل ذلك بضرب من الخداع، والمكر والحيل والأطماع. وقد أتينا على تفاصيل الأخبار، وما نقل إلينا فى ذلك من صنع الكفار، فى كتابنا «قرة العين بالرحلة إلى الحرمين»، ولا بأس بالإشارة إلى ذلك على جهة الاختصار، فنقول:

قد كان تقدم إلى مصر أحد كفار الفرنساوية من أولاد ملوكهم(٢).

لما رغب فى التجارة وسفر البحر، فمازال ينزل على مصر مرة بعد أخرى، حتى تمول منها أموالا واستطابها مسكنا وحالا، فعرف متوليها رغوبه فيها، فطالبه بشيء من نفايس أهداها له، وهى(٣) مما جلبه آخر عام سبع ومئتين فأبى ذلك، فأفصح عليه بأن أمواله إنما نمت ببركاته، مع الإذن له بها فى بيوعاته ومشترياته. وكان إذ ذاك بمصر فحبسه وأرسل من يستخرج مطلوبه من مراكبه فوقع على ما يريد وأطلقه فى قيد الذل مهانًا، فراح عنها ووصل إلى سلطان دياره بونابارته(٤). بضم الموحدة، فواو ساكنة فنون فألف فموحدة فألف فراء مهملة ساكنة فمثناه فوقية مضمومة فهاء ساكنة، وكان فى نفسه فى مصر لما يسمع من خيراتها، فعبأ أثقاله، وطلب رجاله، وأصلح أحواله، وهيأ خيوله وجماله، وسار فى مراكبه يخوض لجج البحار، وقدم فحول أصحابه الفجار، فوصلوا إلى سلطان الإسلام سليم بن مصطفى خان، فقدموا بين يدى نجواه هدايا وتحف، وسألوه الاذن لهم بالخروج إلى الاسكندرية، ليعبروا منها إلى بحر السويس لحاجات لهم بالهند فأبى ذلك، ولم يسعفهم إلى ما هنالك، فتخللوا أخباره، وتفقدوا آثاره، فوجدوه منهمكا فى لذاته، شغفاً بطيباته، ورأوا أمه تحل الأمور وتعقد، وتصلح ماشاء وتفسد، فقدموا إليها مالا واسعا، وسألوها طلبتهم، فأسعفت أمينتهم، فجعلوا إليها صكا فى الاذن بالعبور من الاسكندرية، فوضعت خاتم السلطان على ذلك، فراحوا عن ديار الروم وقد تبلجت لهم المسالك، فمروا بجزيرة مالطة من أعمال الغرب وهى تحت حوزة الانجليز(٥)، فرأوها حاكمة على بحر الروم فبغتوها خوفاً من أن يفجأهم أمر من بعد، فلا يجدون بدا من المرور بحوالى الجزيرة، وكانت بينهما العداوة التى أخبر الله عنها فى كتابه فاستولوا عليها واستباحوا مافيها، وهدموا قلاعها وحصونها، وعاثوا تجارتها، وقتلوا كبراءها. وخلص الانجليز عنها وهو السلطان قنصل(٦). بقاف مضمومة فنون ساكن فصاد مضمومة فلام، وقصد سلطان الإسلام يشكو ما صنع به بونابارته، وجاءت الأخبار بأنه قد فاجأ الإسكندرية، وغلب

عليها، فعجب السلطان من ذلك وبقى بحضرته قنصل شهوراً يستغيث به، ويسأله الإعانة على الأفرنصيص، فأجابه بعد اللتياواللتى(٧) وأذن له بالخروج عليه وقصده إلى مصر، وجعل له مرسوما(٨) ينهج له السبل، فخرج فى جيش جرار وركب البحر، ووصل إلى حذا دمشق، فخرج من عكا جماعة يستفصحون خبره ومراده، فأطلعهم على مرسوم السلطان، فانهوه إلى أحمد الجزار، فاستنزله فنزل عليه وأخبره بما توجه إليه، فاستوقفه وأخبره أن الفرنساوية قاصدة له، وأنه مستعين به، وواصل سببه بسببه، فكانت القتلة العظمى، والداهية الدهياء بعكة، وقد ذكرنا وصف خروج الفرنسيس على أحمد الجزار، ومادار بينهم وبينه، وكيف أوقع بهم، وذكر أسماء الخارجين عليه من أمرائهم وعظمائهم وقتلته لهم، وأتينا على أخبار دخولهم الإسكندرية وما الذى أعملوه من المكر والخداع، وفصلنا ذلك فى كتابنا «قرة العين» فلا نطول بالاعادة، ففيه مطلوب المتطلع وزيادة،وسنثبت الكتب التى وردت من الشريف(٩) غالب فى هذا الحادث العظيم، والخطب الجسيم، عام ثلاث عشرة ومائتين وألف، إذ فيه كان وصولها، وننقل الكتاب الذى بعثه عتاه الفرنساوية إلى بونابارته تحضه على إعمال النظر الدقيق، واستعمال الخداع بذلك الفريق، وإنزال الضر بجماعة المسلمين، والمكر بهم وبمن أعانهم من سائر الكافرين.

[٢]

## الصدام البحرى بين انجلترا وفرنسا بالقرب من عدن بعد استيلاء الفرنسيين على مصر

سنة ١٢١٢هـ.

وفى ربيع الآخر: اتفق مركب للفرنساوية ومركبان للانجليزية باب عدن(١٠)، فكانت بينهم ملحمة بعد بلوغ الأخبار فى البحار بدخول الكفار ديار مصر، وكانت الدائرة على الفرنساوى.

[٣]

## تعاون سلطان مسقط مع الانجليز ضد الفرنسيين

وكان صاحب مسكات(١١) قد شحذ همم من بالجزائر هناك على مصاولة الفرنصيص لأسباب منها أخذ جماعة من الفرنصيص داوا(١٢) وكانت به أموال جمة، وأخذ عليهم بعدها ثلاثة غرابات(١٣). وكان الافرنصيص قد أخذ ثلاثة مراكب من حوزة محمد على خان صاحب الهند(١٤)، وبها جماعة من الانجليز، ومركب للشلبى، فمازالت المراكب تمر من بحر الهند آمنة إلا ما كانت من مراكب الفرنساوى فانها لا تمر إذ ذاك من عدن إلا على مخافة.

[٤]

## حروب متطوعى الحجاز مع الفرنسيين بصعيد مصر

ودخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف:

وفيها قام فى البلدة الحرام، بوظيفة الدعاء إلى إقامة شعار سنام الإسلام، محمد المغربى الجيلانى(١٥) الهاشمى لما وردت الإعلام، بما صنعه الكفرة اللئام، من الهجوم على ساحات مصر، وتصدر بالحرم الشريف فالتف عليه خلايق، واستمعوا إرشاده إلى أنهج الطرايق، وفعل دعاه بالقلوب مافعل، وتسامع الناس بأخباره فوردوا إليه،

وبذلوا نفوسهم وأموالهم بين يديه، وكانت النساء تأتى فتستمع مايمليه من أحاديث الحض على الجهاد، فيلقين إلى الحلقة فتخاتهن(١٦) وعقودهن وملبوسهن، ويقلن ذلك الذى علينا، فاجتمعت عنده أموالا واسعة، ووردت إليه المتطوعة من البلاد الشاسعة، فسار بهم لمناجزة أعداء الله الفرانسة، فكان من خبره ماقصصناه فى كتابنا «الرحلة إلى الحرمين»، غير أنا لانخل بهذا الكتاب من فائدة زائدة.

كان السيد محمد الجيلانى قد دعا العباد بالحرمين إلى فريضة الجهاد، فممن أعانه بالحرمين محمد باصلاح الحضرمى، فإنه تصدق فى سبيل الله بخمسماية بندق صغار مغربية، ومايتى حربة من حراب الشام، ومايتى سيف، وأربع ماية كيس حبوب الرز، وألفى نعل ينتعلها فقرا المجاهدين، ومنهم الشيخ عبدالرحمن العسيرى بمهمات جهز ثلاث سواعى(١٧) يركبها المجاهدون وملاها لهم ميره، ومنهم الشيخ أحمد فاس جهز داوين [مركبين] فى سبيل الله، ومنهم الشريف غالب بن مساعد، جهز خمس سواعى فى سبيل الله شاحنة، ومن أهل ينبع محمد أبوالعسل جهز داوا من داواته وثلاث سواعى أخرات من أهل ينبع، فسيّر السيد محمد الجيلانى جماعة المطوعة من جدة فى تلك الداوات فكانوا نحواً من أربعة آلاف مقاتلا ثم سار ناحيا نحو المدينة المنورة فمر بأهل رابغ(١٨) والخليص(١٩) فدعاهم فأجابوه، وبذلوا له أموالا واسعة، وسار إلى بدر فأنالوه وخرج منهم جماعة متطوعة، وكان له وكلاء يجمعون الأموال معه، ثم نزل بالصفر(٢٠)!

فدرس بها ودعا إلى الجهاد. فجاءوه بأموال واسعة، فقال له بعض العوام أنهم زيدية، فقال قد زادهم الله عليكم فضلا، فإنى وجدتهم يدفعون أموالهم فى سبيل الله وقبضها منهم. وسار إلى المدينة، فتسلم من أهلها أموالا جزيلة، وخرج منهم ثلاث ماية متطوعة، فنزل بالجميع إلى ينبع، وجاءه الخبر بأن المطوعة من ديار مكة قد مرت مراكبهم فحمد الله، وسار بمن معه، وكان السابقون من مكة قد خرجوا من ريف مصر وعليهم السيد حسن الجيلانى ابن أخت السيد محمد، والسيد طاهر أخو السيد محمد فنزلوا بقنا(٢١)، فقيل لهم أن النصارى بمدينة سمهود(٢٢) قريباً منكم، فخرجوا نحو النصارى فاقتتلوا فكانت الدائرة ذلك اليوم على المسلمين، ففروا إلى قنا، فحصرتهم النصارى بها فخرجوا عنها إلى بئر عنبر من أعمال الريف، وسار بعضهم إلى اللقيطة(٢٣) وعادت النصارى إلى سمهود، وورد على المسلمين الخبر بنزول الجيلانى من البحر، فالتقاه جماعة منهم فطلبهم جميعًا وسار بهم حتى إذا حاذى مدينة أبنود(٢٤)، كتب إلى النصارى كتاباً يدعوهم إلى الإيمان بالله ورسوله، فإن أطاعوا وإلا فهو مقاتل لهم، فأجابوه إلى القتال، وأنشالت جموعهم براً وبحراً، فخرجت إلى مرسى أبنود اثنى عشر مركباً، فقصدها من المسلمين فانتهبوها، وغرقوا كثيراً من أهلها وملكوها، ووجدوا بأحدها ثمانين ألف ريال. ووصلت بعد ثلاث ليال جموع لاتعد من النصارى فتوجهت فى البر على أبنود، فقام المسلمون وجابهوهم، فاقتتلوا من آذان الظهر إلى أن تضيفت

الشمس للغروب، وكان الدائيرة بعد على المسلمين فإنهم بعد ذلك تفرقوا فرقًا، وذهب كل منهم قبل وجهة بعد أن قتل من الطايفتين خلق لاتحصى. وعاد السيد الجيلانى فى أربعين نفراً من أهل اليمن(٢٥)، وطلع قلعة أبنود فتبعته النصارى بجمع لايحصى، فأحرقوا مدينة أبنود، وتوجهوا على القلعة فأحرقوا بابها، غير أن السيد ومن حضرته أحربوا حربًا حارًا ذلك اليوم، ومازالوا كذلك ثلاثة أيام حتى نفد مابها من الماء والزاد، فخرج بمن معه ليلا وسار بهم إلى بئر عنبر، فلقى بها جماعة من المسلمين، فسألهم عن إخوانهم، فأخبروه بتشتتهم، فسار عنهم تلك الليلة إلى محله يقال لها حجازة(٢٦) فى نفر خفيف وأبقى ببئر عنبر السيد حسن الجيلانى، وكان بها من الصناجق(٢٧) حسن بيه الجداوى(٢٨) الخارج أيام أبى الدهب إلى الحرمين، وكذلك عثمان بيه حسن(٢٩) صنجق آخر، قد التف جمعهما العظيم مع متطوعة المسلمين، وراح الجيلانى من هنالك وقد أدرك عله، فاستقر بحجازة ثلاثة أيام وأدركه الأجل. وجاءت الرسائل إلى من بأبنود وبئر عنبر مخبرة بوفاته رحمه الله، وطالبة من المسلمين الوصول للاطلاع على الوصية، فانثال إلى حجازة جمع من المسلمين للنظر فيما أوصى به، فوجدوه قد أوصاهم بتقوى الله، والجهاد فى سبيل الله، والصبر على ملاقاة الأعداء، غير أنه تبدد النظام، وكثر الكلام، وأجمع رأى المسلمين على النزول إلى ديار النصارى، فساروا إلى قبايل هلة وجهينة من أهل مصر، فالتقوا مع النصارى، فاقتتلوا قتالا شديداً فنى فيه خلق. ثم ساروا بعد ذلك فنزل المسلمون على برارى جرجة فتلقاهم هنالك الشيخ عبدالمنعم الهوارى وأخبرهم بأن النصارى بالقرب من محله فنزل المسلمون عليه فلم يشعروا إلا بطلايع النصارى قد أقبلت عليهم، فخرجوا فكانت ملحمة عظمى فنى بها من الفريقين خلق، واحتز عبدالمنعم رؤوساً من قتلى النصارى. وانفصم بها عقد نظام المتطوعة، وذهب الناس إرسالا لا أمير لهم، منهم الذاهب إلى مصر، والذاهب إلى الشام، والعايد إلى الحرمين.

وسنقص عليك بعض ما كان عام أربع عشرة، وسنذكر إن شاء الله تعالى ما كان من مصالحة الشريف غالب لسلطان النصارى بونابارته وتفصيله.

[٥]

## خطاب الشريف غالب بن مساعد إلى الإمام المنصور على بأخبار الحملة وبالاستعداد لحماية سواحله

سنة ١٢١٣هـ

وفى شهر رجب من هذا العام ديسمبر ١٧٩٨/ يناير ١٧٩٩، وصل إلى الإمام(٣٠) من الشريف غالب بن مساعد كتاب مخبر بثورة الفتنة العظمى، ووثبة الطايفة الشقية الصماء، طايفة الفرانسة الأفرنجية، على الإسكندرية، وبلوغها بالخداع والمماكرة، إلى ديار مصر القاهرة، وأرسل باطنه فرمان سلطان الإسلام سليم بن مصطفى خان.

قال الشريف: «الحمد لله الذى كل يوم هو فى شأن، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، وعلى آله الطاهرين، وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين، ثم نهدى مزيد سلام نشأ من خالص الوداد، وأعرب عن صدق المحبة والاتحاد، مع تحيات طاب نشرها من المآثر العظام، وبيت الله وزمزم والمقام، إلى الحضرة الباهرة المنصورية، والفتوة الزاهرة الهاشمية، والسدة العلية العلوية، ناصر الخلافة اليمنية، وواسطة نظام السادة الحسنية، الجناب العالى الكريم، والمآب الغالى الوسيم، أخينا الأكرم، وعالى الهمم، الإمام بن الإمام بن الإمام، المنصور، وفقه الله لاصلاح الجمهور، ولازالت العناية الربانية له ملاحظة، والكلاءة الصمدانية له حافظة، آمين بجاه جده سيد المرسلين.

وبعد إهداه شريف السلام، وإسداه واجب التحية والاكرام، فالسؤال عن حالكم كثير، لموجب مالكم عندنا من جميل الود الوفير، فإن سألتم عنا فنحمده سبحانه على جزيل فضله، وعظيم امتنانه، طيبين بخير وعافية، ونعمة من المولى الكريم وافية. والذى نبديه إلى مسامعكم العلية، وأفهامكم الذكية، من الأحوال الحادثة فى الوجود، وجريان أحكام الملك المعبود لموجب اجتناح أهل الإسلام، إلى الترفهات عن نهج المهام، وترك حزم الأمور، وغفلتهم عن حفظ الثغور، حتى صار ما صار، من شر ذمة أهل البغى والإنكار، من التهجم على بلاد اسكندرية مصر القاهرة، بجنود من البحر على سفاين متواترة، وهم طايفة من جمهور الفرانسة، والملة الباغية، التى بفضل الله أعلامهم ناكسة، لمشاهدتهم فى أحوال المسلمين، ترك ثغورهم عن التحصين، فهجموا على تلك البلاد، فلم يجدوا لجامحهم مدافع ولاحصن راد، فأفسدوا كافة من بجوارها من العربان بأنواع السياسة الموهمة بأنهم من طارفة السلطان، وأبرزوا للبوادى كتبا مزورة، [منشور بونابرت إلى المصريين] بألفاظ عربية بتعظيم الله ورسوله مسطرة، حتى انقادوا لهم بالطاعة، ظناً بأنهم من جنود الدولة المطاعة، وليس يخفى عليكم حال البوادى الطغام، الذين لايعقلون إن هم إلا كالأنعام، فسلكوا بهم الطريق، وصاروا للمشركين أعظم مساعد وأعز رفيق، فجرى قدر ربنا سبحانه، باستدراج جند الشيطان أرباب الخيانة، بتملكهم للقاهرة، ودخولهم إلى مصر بحكمته الباهرة، فلا راد لقضاه، ولا محيص عما ارتضاه، فهو الملك المختار وله المشيئة فيما يختار، فحينئذ بلغ الخبر حضرة سلطان الإسلام، أدحض الله بصوارم سطوته جنود اللئام، فجهز عليهم من أبطال الأجناد، ما يعجز عن حصرها جميع الأعداد، وسير عليهم من جنود الإسلام وزراه العظام، وجعل مقدمهم الوزير الشهير الجزار أحمد باشا، بلغه الله من الخير ماشاء، فاجتمعت عليه طوايف العربان، وتحشدت تحت رايته كافة أهل الإيمان، وهرع إلى جهادهم المسلمون من كل مكان، حتى أقطارنا الحرمية ظهرت منها للجهات سبعة آلاف، يردون فى طاعة الله موارد الموت والاتلاف، ونرجو الله العظيم، من فضله الصميم، أن يؤيد بالنصر أجناد الموحدين، ويبدد بالقهر شمل الكفرة الملحدين. والحمد لله قد وردت إلينا الأخبار، بتضايق حال المشركين من الحصار،

لتزاحف جنود أهل الإسلام، وإحاطتهم بجميع المنافذ المصرية والشام، فانتظم أمر التجهيز، وانتدب لنصر الدين كل ذليل وعزيز، ﴿ولينصُرنَّ اللهُ من ينصُرُه إن اللهَ لقويٌّ عزيزٌ﴾.

وفى هذا الأوان، ورد إلينا هذا الفرمان، الصادر إليكم منه صورتان، المعلن بدواعى الفلاح، والمحرض لكافة المسلمين على ما يرجى منه النجاح، من استعداد القوة للمصادمة والكفاح، كما هو متحتم على أهل الإسلام، خصوصاً فى مثل هذه الأيام، ومن أعظم الشيم والمروة امتثال قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استَطعْتم من قوة﴾ فبذل غاية المجهود، فى محافظة الثغور وتحصين الحدود، والمرابطة فى بلدان السواحل، والذب عن الأديان بسهم المرامي وبيض الصواقل أمر محتوم على كافة الإسلام وساير القبايل، فواصلكم صورة الأمر الشريف والخطاب المنيف، وما المقصد من إرساله إلا تنبيهكم لحفظ البلاد، والتحذير من أرباب الكفر والعناد، كما هو مصرح فى الفرمان السلطانى من ذكر مكايد الكفرة فى جميع المعانى. ولا يغرب عن فهمكم الثاقب، أن ملوك الروم أمس بما تبنى الكفرة أمورهم من المعاطب، فحثوا على المرابطة جميع المسلمين، وقووا ثغور بلدانكم بالتحصين الرصين من البنيان، وشيدوا بروج المناطق بذوى البأس من الفتيان، فإن بحر الهند تجرى فيه سفاينهم، وقد ظهرت فيه بأخذ الموسم[٣١] ضرايرهم فيجب من عزيز جنابكم كمال التحرى لدفع مفاسدهم، والاستعانة بالله تعالى فى إدحاض مكايدهم، ومن أكبر اللوازم نشر هذه الفرمانين فى كافة أقطار أوامركم، وأقصى ما يحادد بلدانكم ومحاكمكم.

هذا ما عن لنا به الأخبار، لا زلتم فى كلاة الملك الستار، وإن شا الله عن قريب نفيدكم بمسرة نصر الإسلام.

والمرجو من جنابكم، عدم إخراجنا من الضمير المنير بأسرار صحة أخباركم ومسوق آثاركم، ولا سيما تفيدوا بما جد وحدث، وبلغكم من الإسلام والأخبار، ودمتم سالمين، وبعين عناية الله ملحوظين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

[٦]

## الفرمان السلطانى إلى الشريف غالب والمرسل صورته إلى الإمام

فهذا كتاب غالب، وهذه صورة ما نقله الشريف من الفرمان السلطانى: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ① لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ② وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ③﴾ وبعد فهذا مرسومنا المبجل الشريف، وخطابنا المعظم المنيف، لازال نافذاً بعون الله تعالى فى سائر الأرجاء والأقطار، مادام الفلك الدوار، صدرناه على نظيم فرائد التحية والتسليم، منطوياً على قلائد التبجيل والتكريم، محتوياً مبيناً عن أحكام قواعد صيانة الدين، ومؤيداً لمعاقد حماية سنن سيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، صدرناه إلى عالى جناب الأمير الأمجد، المبجل الأجل الأوحد، المقتفى آثار أسلافه

الأشراف، من آبايه الغر صناديد آل عبدمناف، وأجداده السعيدى السير الجميل الأوصاف، فرع الشجرة الزكية النبوية، طراز العصابة العلوية المصطفوية، زيادة آل الرسول، غرة بنى الزهراء البتول، المحفوف بصنوف عواطف الملك الماجد، حالا شريف مكة المشرفة الشريف غالب بن مساعد، لازالت العناية الربانية له ملاحظة، والكلاة الصمدانية عليه حافظة، والي قدوة العلما، وعمدة الفضلا نايب مكة المكرمة، وكافة السادات الأشراف، الأجلاء الميامين، ومفاتى المذاهب الأربعة والعلماء والأيمة المحترمين، ووجوه كافة المسلمين، من ساكن بلد الله الأمين، من حاضر وباد، وفقهم الله إلى سبيل الرشاد.

يحوطون علما أن طايفة كفار الفرانسة، جعل الله ديارهم دارسة، وأعلامهم ناكسة، قد نقضوا العهود، وخانوا مواثيق المعبود، وخرجوا من أطوار الحدود وهجموا على بلدان مصر وسكانها، وعلى حين غفلة من أهلها، فملكوا البلاد، وأفشوا الكفر والفساد، وخاضوا بحار الضلال والطغيان، وتحشروا تحت راية الشيطان وتمكن البغى فى أحشاهم، وأن الشياطين ليوحون إلى أولياهم، لا حاكم يردعهم، ولا دين واعتقاد يجمعهم، يعدون النهبة غنيمة، والنميمة أكبر شيمة فقد اتفقت اراهم، وارتبطت أشوارهم على الهجوم على ساير بلدان المسلمين، وأقطار عباد الله الموحدين، بأن أهل الإسلام قويين، ولهم مزيد الصلابة فى الدين، فإذا وصلنا أقطارهم، وحللنا بديارهم، فالضعيف منهم نباشره بالحرب والضرب، والقتل والنهب، والقوى منهم تنصب له شرايك المكر والحيل حتى تطمين خواطرهم وتأمن ضمايرهم، إلى أن يقعوا فى أشراكنا ونعمل فيهم ماشئنا من مقاصدنا ونلقى بين ساير المسلمين المكايد الخفية بالفساد، لإيقاع العداوة المباينة للاتحاد، فى أحوالهم وأديانهم، ولم يعلموا لعنهم الله أن الإسلام مغروس فى قلوبنا، والإيمان ممزوج بلحمنا ودمنا، أكفر بعد إيمان؟ أضلال بعد هدى؟ كلا ورب الأرض والسماء ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾. خصوصاً فى طوايف العرب لنبلغ فيهم أقصى مرام وأعز مطلب، ونبذل الجهد فى تخريج الرعاية من الإسلام، عن طاعة من ولى عليهم من الأحكام، حتى تكون لنا الصولة العظمى، ويصيرون الجميع لنا مغنما، فينقطع بذلك سلك نظامهم، وينفصم عقد انتظامهم، فنملك حينئذ رقابهم وأموالهم، فإن العرب أسرع ما يستولى على ديارهم، لتفرقهم فى أوديتهم من أقطارهم، وغفلتهم عن حزم أحوالهم، فإن أعظم ما يشتت جموع الإسلام ويفل حد سنانهم عن الانتظام، هدم قبلتهم، وحرق مساجدهم، وإذا ظفرنا بأقطارهم، وهدمت كعبتهم، ومسجد نبيهم، وبيت مقدسهم، انقطع أملهم، وتفرق شملهم، وملكنا ديارهم، فإن الأمور لايدركها إلا اتفاق الجمهور، فنقتل جميع رجالهم، ومن يعقل من صبيانهم، فحينئذ تقتسم ديارهم وأموالهم وأملاكهم ويحول بقية الناس إلى أصولنا وقواعدنا ولساننا وديننا، فينمحى الإسلام وقواعده وشرايعه، وتتدرس رسومه وآثاره من وجه الأرض من شرقها وغربها، وجنوبها وشمالها وعربها وعجمها. فهذا ما اتفق رأى الفرنسيس اللعين، من سو المقاصد فى المسلمين جعل الله دايرة السو

عليهم، فلايستطيعون صرفاً ولانصراً، ونرجو الله أن يعاملهم بعدله في قوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾، فهذا حال الفرانسة في اتحادهم وحيلهم وعنادهم، وما اقتضاه فاسد اجتهادهم: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾، فكيف لايكون فرضاً على كل أحد من مسلم وموحد، أن يشمر عن ساعد الجد، ويبذل نفسه وماله في مرضاة الواحد الفرد، ويمتثل قول أصدق القايلين: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، ويكون رابحًا في بيعه عن الخسران مستبشراً بإبذال نفسه في سبيل الرحمن، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾، إلى غير ذلك من الآيات البينات، والأحاديث الصحيحة المروية عن الثقات، مما يحث على نصرة الدين، ويلم شعث الموحدين، فالآن أنتم ياشريف مكة، وسادات الأشراف، قرنات العرب وحماة الدين، وكمات المسلمين، وغزاة الموحدين، وأبطال الحروب الماحين بصوارم عزمهم عن الدين ظلام الكروب، يارجال الغارات، ويا أركان الشريعة والعبادات، وياحفظة الدين والأمانات، يا باذلين النفوس عند انتهاك الحرمات، وياكافة إخواننا في الدين، والذين هم لشريعة نبيهم ناصرين، البدار البدار، إلى طاعة الملك الغفار، لمحافظة قبلتكم، ومحتد نبيكم، منشأ الإسلام، ومسجد نبيكم عليه السلام وموطن مضاعفة عباداتكم من ساحة بيت الله الحرام، فالغيرة الغيرة، والحمية الحمية، من صولة أعداء الدين، الذين هم عن كل ملة مارقين، وبكتب الله ورسوله مكذبين، فشدوا عزايمكم للقاهم، واحفظوا جهاتكم وسواحلكم ومنافذ بلدانكم، وسارعوا إلى الرباط إلى حدود الكفرة اللیام، ببندر جده وينبع وما والاهما مما فيه صيانة المسلمين، وحفظ أعراض الموحدين، وكونوا عبادالله إخواناً، ولاتنازعوا فتفشلوا، وفي سبيل الله اتفقوا وتحملوا، وكونوا كلمتكم واحدة، وأيديكم متناصرة متعاهدة، ولتكن سيوفكم بالغة، وسهامك راشقة، وألسنتكم في الطعن متلاحقة ومدافعكم صاعقة، ونبالكم إلى أفئدتهم متسابقة، ولتقصدون بذلك إعلاء كلمة الله، والذب عن بيت الله، ومسجد رسول الله ﷺ، ونرجو الله أنكم مؤيدون بنصر الله، محفوظون بروحانية رسول الله، ولا يكون لكم تخلف عن ذلك، ولاتراخي في حفظ تلك المسالك، ونحن في طرف السلطنة السنية، نشرنا رآياتنا العلية وبحول الله وقوته وباهر عظمته، تملكهم عساكرنا المنصورة، وتقطعهم سيوفنا المشهورة، وقد سيرنا عليهم شجعان لايبالون بالموت لإعلاء كلمة الله، وغزاة يقحمون على النار محبة في دين الله، فنتعقب بقدرة الله أدبارهم، لعل الله تعالى يرزقنا بهلاكهم ودمارهم، فنجعلهم إن شاء الله هباء منثوراً، كأنهم لم يكونوا شياً مذكوراً. فبادروا أيها المسلمون إلى الرباط بجده وينبع، ومن تخلف فقد عصى الله وخالف أمرنا فإن أمرنا إليكم، وحتمنا عليكم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، واستجلبوا صالح الدعوات من عجازكم، وصالحيكم وأفاضلكم عند البيت الحرام،

وقد قال تعالى: ﴿انفرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ وقال عليه السلام: «المؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضًا»، وهذا يوم ينفع الصادقون صدقهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ (١٠٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (١٠٩) كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢)﴾. فالبدار البدار إلى ما أمرناكم من الرباط، والحذر ثم الحذر من خلاف ذلك، هذا ما انتهى أمرنا إليكم، ولازلتم موفقين بعون الملك المعين، وصلي الله علي محمد وآله وصحبه الميامين، آمين، آمين.

[٧]

## ترجمة خطاب حكومة الإدارة بفرنسا إلى بونابرت عند قيامه بالحملة على مصر والمرسلة من السلطان إلى الشريف ومنه إلى الامام

انتهى لفظ كتاب السلطان لم ينحرف منه حرف واحد، وطيه كتاب الفرنسيس في مخادعته للإسلام، ولفظه:

هذا صورة ما وقع من الاتفاق بين طايفة الفرانسة الفراعنة الأبالسة والأمر الذى دبروه، والمجلس الذى قرروه وحرروه، وإجماعهم فى ذلك على أخذ إقليم مصر وغيرها، بأنواع الحيل ومكرها، وأبواب الحرب والقتال، والطعن والجدال وتعيينهم لذلك بونابارته سر عسكر إلى الجهة المذكورة، وخطابهم له فى الأمور المزبورة، نقلت هذه الصورة عنهم بيد بعض عيون المسلمين بالتركية، فعربت بالعبارة العربية، الواصلة إلينا من نفس الدولة العالية لفظها، قالوا:

إن إقليم مصر من الأقاليم العظيمة، التى خيراتها جسيمة، إيراد أموالها كثيرة، ومنافعها غزيرة، وفوائدها لاتحصى، وعوايدها لاتستقصى،

وأمر ذلك مفهوم، عند ذوى الفهم. وقد استولوا عليها وعلى خيراتها الضخم، السناجق والمماليك الظلمة، وظلمهم زاد فى النهاية، ووصل إلى الغاية، مما لايخفى على ساير الناس، المحفوظين الحراس، والطايفة الفرنساوية، لهم همم عليّة، كل شى أرادوه وتوجهوا إليه، أخذوه واستولوا عليه، فالمطلوب والواجب نزع هذا الإقليم العظيم من أيدى تلك الظلمة الذين ظلمهم عظيم، وتحوزه الطايفة الفرنساوية، وتختص به دون البرية، وقد آن لنا وقت أخذه والاستيلاء عليه، ونظفر بعدها بما حواليها. ومن المعلوم لدينا أن دولة الانجليز علينا عدو كبير، فتحتاج الفرنساوية أن تفعل مع أعداهم من الانجليز وغيرهم أموراً تنكد عليهم الأحوال، وتخيب فيهم الآمال، فهذا لازم لابد منه، ولا محيد عنه، مقدم على ساير الأمور، عند جميع الجمهور، فإذا ملكتم أيها الفرانسة إقليم مصر المذكورة يهون عليكم ضبط الهند والبحر المحيط المبحور، من جهة السويس المعلوم، فتنقطع تجار الانجليز كما هو مفهوم، ويسهل عليكم أيضاً أخذ الأماكن الهندية، التى فى تصرف أعدايكم الانجليز، وتبلغوا الأمنية وتخلطوا البحر السويسى ببحر النيل، كما كان عزم مصر على ذلك من تقدم قبلكم من الجيل، فقد كان أعيانكم السابقون، قصدهم خلط هذين البحرين لما فى ذلك من عظيم الشئون، فلم يتيسر لهم ذلك، وما سلكت بهم مسالك، فإذا أنتم فعلتم ذلك، تكونوا ظفرتم بما لم تظفر به الأوايل، وحصلتم على مطلوب عزمهم الكامل، فإذا حصل المقصود الشامل، سهل عليكم أخذ بلاد العرب التى فى حكم بنى عثمان، وكذا البلاد التى فى سواحل البحر المحيط إلى الهند، ويمتد أمركم إلى باقى البسيط، فإذا فعلتم هذه الأحوال انفردتم بالقوة والظهور فى ساير الأنحاء، وكامل القرانات، ولم يكن لكم نظير فى ساير الجهات، ولا يوجد لكم مثيل فى ساير الدول، وأرباب الحسم والحول، بل ربما تفوقوا اسكندر ذو القرنين، وساير أهل القوة فى المشرقين والمغربين، ويصير لكم شأن واشتهار بين العالمين، فى ساير الأمصار والأعصار، يابونه بارته أنت صاحب قوة واقتدار، ورفعة ومقدار، فى هذه الأمور المذكورة، والأفعال المسطورة، لأنك شاويش عاقل، ومدبر كامل، ولم يكن من مضاهيك فى القوة والعقل والتدبير، والرحيل والمسير فلهذا حيث كنت كذلك، وانفردت من بين أوليك، فوضنا هذا الأمر إليك، وقلدناه فى عنقك، وعولنا فيه عليك، وخرج من عهدتنا إلى عهدة عزمك، والرأى لديك، وهذا الحال الذى ذكرناه إليك، من أخذ إقليم مصر وبقية الأقاليم، على ماقررناه لك يافهيم، تحمله فى مدة قليلة، على حالة جميلة، ولا شك عندنا فيه، ولا وهم يعتريه، ويؤيد ذلك أن الظلمة المسيولين على الأقاليم، حالهم وخيم، لأن عقولهم خفيفة، وقلوبهم ضعيفة، وليس عندهم رأى ولا تدبير، والطمع أعماهم وأورثهم التدمير، فاتصفوا بكامل الحماقة والغرور، وتزايدوا فى الفسق والفجور، ولم يوجد فيهم صغير ولاكبير، عنده فهم أو تدبير، ولا نظر فى العواقب للأمور، ولا خشية من الجمهور، فالغفلة والبلادة استولت عليهم أجمعين، وكذلك من يكون لهم من التابعين، فهم على هذه الحالة

الشنيعة، والأفعال الفظيعة، ليس لهم همة إلا جمع الأموال بساير طرق الوبال من التغلب والظلم وأضرار العباد، وتخريب البلاد، كلما رأوا جهة نفع مالوا إليها، واستأصلوها واحتالوا عليها، فنفرت منهم قلوب الرعية، وبغضتهم ساير البرية، فأنتم يافرنساوية، إذا أخذتم إقليم مصر بالسوية، تحتاجون أن تفعلوا مع الناس مكراً وحيلا بالإيناس، من حيث يرغبون إليكم، ويكونون لكم لا عليكم، ويصيرون معكم شيًا واحداً، ويداً وساعداً، بأن توعدوهم بمواعيد الخير المعروف، وتخادعوهم بأنواع الخداع المألوف، وتكرروا عليهم أمثال ذلك، حتى تتمكنوا هنالك، وتتملكوا أوليك، فبعد ذلك تفعلون ما بدا لكم فعله، ويتفرق جمع كل منهم وشمله، وهذا الأمر محقق عندنا، ومعلوم لنا، فإنكم إذا سلكتم هذه الطريقة المذكورة، ملكتم بها القلوب المغرورة، وانتصرتم على المماليك الظالمين، وبقية من يعاندكم من المقدمين، فأنتم إذا توجهتم إلى تلك البلاد، وحللتم بذلك الواد، مخيرون بين أمرين، لابد من أحدهما بغيرِ مَيّن، إما خداع ومكر وحيل، وإما حرب قوى يزلزل الجبل، فالذى يقتضيه الحال فاسلكوه ومالا احتياج لكم إليه فاتركوه.

وقد بينا لكم ما يلزمكم فى سفركم، وما تحتاجون إليه من نفركم، فأول الأمور المراكب التى عندنا فى بلاد طولون عدتها كثيرة، وفيها عساكر وافرة غزيرة، وأهل استعداد متين، وتدبير مبين، وفيهم من يعرف التركية والعربية، وغيرهما من اللغات النصرانية، وفيهم أرباب الصنائع المحتاج إليها فى الحروب لفتح البلاد، وقمع أهل العناد، فهؤلاء تصحبوهم معكم جميعاً، وتتوجهون بقوة سريعا، إلى ثغر اسكندرية، وترسلون أخباراً إلى أمرا مصر البهية، وتعرفونهم بطريق المكر والخديعة، إننا مقصدنا يا أمرا مصر وأعيانها، أن نعمل معكم كل خير، ونبعد عنكم على ضير، ونجعلكم مستقلين ومنفردين بأحكامكم فى ساير اقليمكم، ولا نجعل لأحد عليكم سبيلا، وتكونوا أقوى قبيلا، ونخرجكم من تحت يد من يحكمكم من الانام، من كل خاص وعام، بحيث لاتكون عليكم يد من أحد ونكون وإياكم حالة واحدة إلى الأبد، وإذا أخذنا بلاداً أخرى من غير بلادكم، جعلناها لكم، فأنتم أولى بها وأحرى، ونفوض أمر البلاد إليكم، ونعتمد فى أمورنا عليكم، فإذا كنتم أيها الأمرا على هذا المنوال، حصل لنا ولكم المقصود الأعظم وامتنع الاختلال، ومعلوم عندنا أن فيكم قوة لذلك، واستعداداً لما هنالك، بل همتكم أعلى، ورأيكم أجلى، لأنكم موصوفون بالقوة والشجاعة، معروفون بالمهابة والبراعة فبناء على ذلك أردنا أن نكون معكم أيها الأمرا على هذا المجال، ومعينين لكم فى ساير الأحوال.

ثم إنكم أيها الفرنساوية، أهل العصابة القوية، تدخلون على أهل مصر من أمرا وغيرهم بهذه المداخل، وتوزعون عليهم أنواع الحيل والمشاكل فمهما ظهر لكم مما يناسب حالكم، فافعلوا ما بدا لكم، فلاتهملوه، فانكم بهذه الطرق لابد أنكم حبل قوتهم تحلوه، وتأخذوا مصر وتملكوها، وتحوزوها وتسلكوها، فإذا حصل لكم ذلك،

ووصلت عساكرنا هنالك، وتمكنتم من البلاد، فلا تغفلوا عن أحوال البلاد، ولاتسكتوا عن المماليك، أهل الظلم الصعاليك، ولا تطولوا مدة شاسعة، بل بعد شهرين أو أربعة، تعملوا عظيم الهمة، بقوة وعزمة، وتقطعوا روس السناجق والأمرا ومن معهم من جنسهم، أو من يتبعهم، وتجتهدوا الاجتهاد الزايد فى حصول ذلك، ولا تهملوا هذه المسالك.

ومما يؤيد هذا الرأى السديد، الذى آخره لنا حميد. إنه سابقًا لما أرادت الدولة الروسية أخذ القرم من الدولة العثمانية، حصل بينهم وبين متوليه شاهينكير أى(٣٢) مراسلة، وموافقة ومواصلة، وخادعوه بالأموال، وأوعدوه بالآمال، على أن يسلمهم بلاد القرم المذكور، فاستولى عليه الغرور، بسبب وعودهم الكبيرة، وأطماعه الغزيرة، حتى مكنهم من ذلك، وسلمهم تلك الممالك، فأخذوا القرم وضبطوه، واستأصلوا ما فيه وربطوه، ثم بعد ذلك أخرجوا شاهينكير أى من بلاده، وأذاقوه طعم الكيد وعناده، حتى آل أمره إلى قتله، وتمزق حاله من أصله، لكنما خرج بعد نحو ثلاث سنين، وفيها كان يفعل من الروسية كل مبين، ويستحملونه لأجل مقصودهم، وحصول مأمولهم، فلو كان بالقتل والإخراج، لما حصل لهم تعب ولا انزعاج، فالأولى لطايفة الفرنساوية أن لايطولوا مدة الأمراء المذكورين، بل يبادروا بهلاكهم أجمعين، حكم ما أشرنا إليكم، لئلا يحدث منهم أمر يوجب التعب عليكم، فاراحة الطريق منهم أمر لازم، وهو من المصالح التى حالها حازم، وإن هرب أحد منهم إلى جهة من الجهات، فلابد أن تتبعوه حتى تقتلوه على أى حال من الحالات، ولاتبقوا منهم فى مصر ولا فى غيرها أحداً، بل استأصلوه إنهم أعداء، وإذا رأيتم فى مصر وغيرها من تكون له كلمة أو شوكة أو رأي أو انفراد، بادروا بقتله يحصل لكم المراد، وسواء كان من الأعاجم أو العرب، ممن بعد وقرب. ومما يعينكم بالظفر على الأمرا، أنكم تخادعون غيرهم سرآ، وتقولون لهم نحن قاصدون لكم خيراً، بأن نرفع عنكم الظلم والمشقات، من هولا الظلمة أهل الظلمات، وتكونوا أنتم أرباب الحل والعقد والمناصب كلها بأيديكم، والأحكام مفوضة إليكم، ولايكون لأحد عليكم صولة، ولاتكلم ولاجولة، فإذا خادعتموهم على هذا الحال، بلغتم أعظم الآمال، فى الإعانة على هلاك المصريين، ووقعت الفتن بينهم أجمعين، واختلفوا بيقين، فيكون ذلك أقوى عدة لنا، ومن مصالح أمورنا، ومتى ظفرتم بذلك، تبادروا حالا هنالك، بضبط أموال الأمرا والتجار، قبل أن يخفوا منها شيًا أو يحصل لهم فرار، لأن هذا أمر لازم، ومتحتم من اللوازم.

والأمر الثانى من الأمور التى اتفق عليها الجمهور الفرنساوية، أنه إذا تعسر عليكم أخذ مصر، وقهر أهلها من الأمرا وغيرهم، بالحيل والمكر بهم، فانكم ولابد تحاربوهم بأنواع المحاربات القوية، بالهمة العليّة، ولا تقطعوا إهمالا فى هذه القضية، والابتدا يكون من الاسكندرية، فإذا حضرتم إليها، وحصلتم عليها، فإن أمكنكم أخذها بالحيل والخداع، فبها ونعمة بلا نزاع، وإلا فحاربوهم وأحرقوهم وأخربوا ديارهم، وأهتكوا أعراضهم، ولاتخشوا من أحد فيها، فإنه ثابت عندنا، ومحقق لدينا، بأن قلاعها خراب، وأسوارها

متهدمة بلا ارتياب، وليس بها أسلحة ولا آلات حرب تردكم، ولاشجعان مثلكم، ولا بها من يصدكم، فلا تهملوا أمرها، ولا تعتبروا أهلها، فإن أردتم السير فى النيل، فقد أعددنا لكمماية مركب صغير، صالحة لكم فى المسير، فتدخلوا بها إلى مصر وتحاصروها، وتقطعوا طائفة المماليك الذين فيها، هذا أول أشغالكم، وآخر أعمالكم، فالذى ترونه مسعفًا لكم فى أخذ البلاد، أما تدبير الحيل والخداع، أو الحرب والقتل والدفاع، تفعلوا ما بدا لكم، وما يقتضيه رأيكم، ثم بعد أخذكم البلاد، تجتهدوا غاية الاجتهاد، فتقطعوا كافة من فيها من المسلمين، ولاتبقوا أحد من هؤلاء العالمين، لأن البلاد لاتصفوا لنا معاشر الفرنساوية، إلا بقطعهم بالكلية، وحاصل الكلام، فى هذا المقام، أنه إذا أمكنكم أيها الفرنساوية أخذ مصر بالمكر والتحيلات الخفية كما قلنا، وفعلتم مثلما أشرنا، كان ذلك فعلا حسنًا، وشيئًا مناسبًا بينًا، وإن لم يمكنكم أخذها إلا بأنواع الحروب وأصناف القتال والضروب، كان أحسن وأجمل وأولى وأجل، وأنتم فى ذلك بلغتم النهاية إلى الغاية، وفى العقل والتدبير، ليس لكم نظير، فإذا تم لكم الاستيلا على مصر وكامل أعمالها، حصل لكم مع القوة مزيد كمالها واشتهرتم بين الأقران، واستمر ذكركم فى ساير الأزمان، وفيكم الكفاية لما قلناه، بل أبلغ مما ذكرناه، فلا يقع منكم إهمال، ولايحصل بينكم امهال.

هكذا آخر الصورة التى خاطبت بها الفرنساوية، ريس عساكرهم إلى مصر المحمية، وأهلكهم رب البرية، واسم ريس العساكر الملعون بونابارته. وهذه الصورة وصلتنا من حضرة السلطان، فنقلناها بعينها لكم، لتحيطون بذلك علمًا وتقيدوها عندكم، فإنها من المناكر الغريبة، وليست من مثلهم غريبة، والله الناصر عليهم.

[٨]

## اتصال الشريف غالب بونابارت فى مصر ليأمن جانبه

ولما بلغ هذا المرسوم إلى الشريف غالب، خاف على الحرمين الشريفين، فبعث كتابًا إلى بونابارته يسالمه ويصالحه، وأهدى له سبع سواعى نواخيذها [بحارتها] جواسيس وشحنها من البن والملابيس، واستعطفه على بلاده، رسأله فرمانًا يسأله فيه أن يضع خاتمه عليه ليكون به آمنًا ممن جاء إليه، فاستحسن ذلك، ورأى شريف مكة عاقلا، فوضع له مرسومًا يذكر فيه أن له عنده جلالة وقدرًا، وأن له فى قومه خطرًا وذكرا، وأنه محمى الجانب، مصان من النوايب، مقبول الكلمة، لاينال بلاده أحد من الجبابرة الظلمة، وليثق بالأمر الدافع عن بلاده الأهوال، ويقر عينًا بأن لاينال دياره أحد من الأبطال. ولما ورد عليه هذا الجواب أنس به، وأرسل من يستفصل له أخبار الكفار بمصر، فجاءته أخبار مضطربة، فكتب هذا المرسوم الأول الذى عرب كتابًا آخر إلى المنصور لفظه.

## الكتاب الثانى من الشريف غالب إلى الإمام المنصور

«الحمد لله تعالى شأنه، نهدى سلامًا أعبق الكون شذاه، وأخجل البدر لحسن طلعته ورئاه،

وتحيات مكية الأرج، مدنية المدد تحمل النصر والفرج، إلى جانب معدن الخلافة العلوية، ومنبع الكمالات الحسنية، وطراز عصابة الهواشم، وصفوة القادة الفواطم، من دانت له رقاب الفراعنة فى أقطاره، وخضعت له روس الأكبار فى جميع أمصاره، ذى الأخلاق المرضية، والشمايل الرضية، المنظور بعين عناية الله المتين، والمنصور بسلطانه فى كل حين، أخينا وعزيزنا الإمام بن الامام بن الامام أمير المؤمنين، أدام الله له الإقبال، وبلغه بجاه جده خير الآمال. وبعد، فباعث تحريره، وموجب تنميقه وتسطيره، حمدالله سبحانه وتعالى على نعمه وآلائه، ومننه ونعمائه، والسؤال عن جنابكم، والفحص عن أخباركم، باعلان الدعا وتبيان صدق الوفا. وثانياً غير خاف جنابكم أنه «من» قبل، صدر منا إليكم كتاب بأخبار حوادث المشركين بمصر، وصورة جميع ماورد إلينا من الخطاب المعلن ينصح مضمونه نهج الصواب، وله الحمد سبحانه على جزيل فضله، وعظيم امتنانه، الذب (كذا) إعانه على الحق وأعوانه، بنصرة عباده المسلمين وتمام إحسانه، والذى نبديه إلى مسامعكم الزكية، أنه ورد إلينا يوم تاريخه نجاب، من جانب مصر ببشاير النصر وأهنأ الخطاب، وذلك أن أمير الجمهور الفرنساوى اللعين، جمع كافة أعيان رعاية مصر المسلمين، وضبط عليهم جميع البيوت والحارات، وحط على كل بيت من المسلمين شى من المبالغ والبلغات[الغرامات)، بحيث لا طاقة لأهل الإسلام تسليم ما افترض عليهم من الجور العام، وقد (حدد) عليهم جمع تلك الأموال في نهارين، وأوعد من لم ينجز وعده بالهلاك والشين، فخرج من عنده المسلمون فى حيرة، واجتمعوا فى أماكنهم لأجل التشاور والبصيرة، فألهم الله قلوبهم الإسلامية، ووفق حميداً آراءهم الإيمانية، بالهجوم من كل جانب علي المشركين، وأبذلوا نفوسهم لمرضات رب العالمين، فخرجت كافة رعايا الإسلام من منازلهم وهجمت على المشركين فى أماكنها، وصار الجهاد خلال بيوتهم، والقتال فى مجامع المشركين ودورهم، وابتهجت مصابيح وجوه الإسلام، وبسطت صوارم سيوفهم فى أعناق الكفرة الليام، وأيد الله جنود الرعايا المسلمين بعظمته الباهرة، وأهلك بسيوفهم كافة المشركين بالقاهرة، وكان ذلك يوم حادى عشر جمادى الأولى(٣٣) ، وله الحمد فى الآخرة والأولى، فأرسلت الرعايا المنصورين، نجاجيب الرعية لأمرا مصر المحترمين، وكان أقربهم لمسيرة يوم عن البلاد، حضرة محبنا الأمير مراد (٣٤)، ففزع بكافة من حوله من العشاير والأجناد، ودخل بلاد مصر يوم ثانى عشر شهر جماد، وظفر بقتل ما بقى من الكفار، وانتظم شمل المسلمين بصفاء الدار، فلله مزيد الحمد والثناء، على تلك المسرة والهناء، فبقصد مسرتكم حررنا على الفور هذا الرقيم، بحصول المخبرة على نصرة الدين القويم، هذا ما عن لنا به إخباركم لازلتم فى حفظ مولاكم ودمتم سالمين، ومهما جد عرفناكم، وما حدث تعرفونا به وتكون الأخبار بيننا غير منقطعة هذا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

حرر فى شهر جمادى أول سنة ثلاث عشرة ومايتين وألف سنة.

ولا يخفاكم عن حال داواتنا المتعودة بالوفود إلى مراسى بنادركم، لا تزال دايمًا متأخرة فى شحنتها عن سفن التجار فى ناديكم، فالآمال وفودها فى كل عام أربعة أجواش [سفن] بشحنتها إلى بندر جدة، ونرجو الله بهمتكم نستدرك الآمال، وتنتظم مراجينا فى كل حال، فالمرجو من حميد توجيهات همتكم العليّة، بروز أمركم لكافة من كان بالبنادر البحرية من أمرائكم، بأن تكون داواتنا مقدمة فى الشحين قبل كل داو وغراب، وتكون جارية تلك القاعدة بهمتكم، فى جميع مراسيمكم، كما هو المأمول من جنابكم، والمسئول من مزايا أخلاقكم، ونرجو الله تعالى أن رجانا غير مردود، وفضل الله غير محدود، هذا ما عن لنا به التماس، ودمتم سالمين، انتهى.

## رد الإمام المنصور على كتابي الشريف غالب

فأجاب الإمام المنصور، على ذلك المسطور:

الحمد لله ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز﴾، سلام تنضح أردان الأمصار بنوافح نشره، وتتعطر أكوان الأعصار بروايح بشره، وتتضاحك ثغور الأزهار لشميم شذاه، وتتمايل قدود الأبكار لنسيم رئاه، وتطلع أنوار بدوره فى سماء المعاهد الشريفة المعظمة، وتسطع أشعة شموسه فى فلك المشاهد المنيفة المفخّمة، يخُص حضرة جناب سليل الهواشم، ويحل بساحة نبيل الدوحة المطهرة من أبناء الفواطم، ويلم بمقام جليل السادة القادة الأكارم الخضارم، رئيس حرم الله، أمير مهابط وحى الله، مقيم شعار الجهاد، هادم أركان الفساد والعناد، أخينا الأكرم، حبيبنا الطاهر الشيم، أمير الشرفا، شريف الأمرا، كبير العظماء، عظيم الكبرا، الشريف الأوحد، غالب بن مساعد، أدام الله إسعاده، وثبت فى ملكه أطنابه وأوتاده. وكثر أعداده وأجناده، وأباد حساده وأضداده، وتولى بعين عنايته إصداره وإيراده، وبعد حمد واجب الوجود، وشكر مفيض الكرم والجود، والصلاة والسلام على حامل لوا شرايع الإسلام، القايم بأعباء الرسالة أنهض قيام، وعلى آله الناشرين لأعلام الدين، التابعين بسطواتهم روس العايدين، وعلى أصحابه القاصمين حبايل الكفران، القاصمين عقد الشرك والطغيان، فإنه وصل من جنابكم العظيم، ومقامكم الفخيم، كتاب كريم، يحكى ما صنعته أيدى الكفر، بمصر صانها الله عن كل نكر، فياله من حادث يبلبل الألباب، ويجب من الأحزان ما لم يكن فى حساب، وواها له من خطب يصك مسامع الإسلام، ويخدد الخدود بفيض مدامع الأيام، ولعمر الله لقد أبكى وأنكى، وروع وفجع وأوجع، وأقام وأقعد، وشتت شمل كل أنس وبدد، لا سيما وتلك ديار مطهرة عن أدناس الكفران، مقدسة عن أرجاس الطغيان، معمورة بالإيمان، وعبادة الملك الديان، على مرور الأزمان، منذ افتتحها سيوف حزب الله، ومحت أدران كفرها صوارم صحابة رسول الله، فلقد أظلم الخطب، وأدلهم الكرب، وضاقت الصدور، وغلت من الأحزان قدور، ورغب فى النفير إلى سبيل الله الصغير والكبير وتشوق إلى جهاد أعدا الله كل جليل خطير، وكيف لا وهذه نازلة قد نزلت بالإسلام والمسلمين، وفادحة

قد عمت المؤمنين أجمعين، لأنها فى الدين، ومن بعدت عنه ديارها، فقد أحرقت قلبه وقالبه نيرانها، ولقد كنا على عزم بعث الغارة، وإرسال طايفة من جنودنا المختارة، ليكونوا من الفايزين، بجهاد الكافرين، والظافرين بثواب هذه الطاعة التى هى سنام الدين، كما صح عن سيد المرسلين. وأما الثغور فى جهاتنا فهى بحمد الله محفوظة، وبعين العناية الربانية إن شاء الله تعالى ملحوظة، فقد وكلنا بحفظها من الأجناد من يقوم بهم الكفاية فى الإصدار والإيراد، وعند ذلك العزم المكين.

وأما كتابكم الآخر المبشر بالفتح المبين، الحاكى لاستئصال شأفة الكافرين أجمعين، فأنشدنا لسان حال السرور، وحدا بنا حادى الحبور، الذى عم الجمهور:

ثناء محا ذاك الأسى المتقدما

فما عبس المحزون حتى تبسما

فلقد انجابت ظلمات الهموم، وتقشعت غيوم العموم، وابتلجت الخواطر، وقرت النواظر، وعند بلوغ تلك الأخبار، أشعرنا هذه المسارات الكبار، بما شاع فى جميع الأقطار، وذاع بين أهل البوادى والحضار، فيالها من مسرات شدت عضد الدين، وفتت سواعد الملاحدين، وقصمت ظهور الكافرين، وقلقلت معاقل المعاندين، اللهم إنا نحمدك حمداً لا يحيط به الحصر، ونشكرك على ما منحت أمة نبيك من هذا الفتح والنصر.

وما لمحت إليه أيها الجناب الفخيم، والأخ العظيم الكريم، من أمر الداوات، فما زالت أوامرنا إلى نوابنا فى الجهات، برفع الظلامات، والأعمال بالنيات، وغير خاف على فهمكم السليم، وفكركم الراجح القويم، أن من العدل الذى قامت به الأرض والسموات، أن يستوى القوى والضعيف، والوضيع الشريف، فى أنواع المكاسب والتجارات (٣٥)، كما حكم بذلك بارى البريات، ولا زلتم فى حفظ الله محوطين بعين كلائه ورعايته وحمايته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

## زحف بونابارت إلى الشام وحصار عكا

وفى شوال من هذا العام، تعدت الكفرة اللئام، إلى أطراف الشام، فخرجوا فى خمسين ألفًا وقصدوا عكا بلدة أحمد الجزار، فحاصروه أربعة وستين يوماً، واشتد الكرب على المسلمين، وجهز السلطان ثمانية عشر مركبًا حربية، وخرج الجزار فكانت ملحمة هلك فيها من الكفار أكثر من ستة عشر ألفًا (٣٦)، وتبدد جمع الكفرة، وقد أتينا على تفصيل الخبر، وما كان من أمر الجزار، وتعلله بالمرض فى أيام الحصار، واستدعاه لكبار الفجار، ودخولهم إليه، ومثولهم بين يديه، واستدعاه لكبير الإنقليز قنصل «صاحب مالطة» وتحكيمه له فى أوليك بأن يمضى سيفه فيهم ويستأصل. وذكرنا الأمراء وما كان من أبى خشبة ابن كليون الملعون [كفاريللى] وذكرنا حيلة الجزار فى إيقاد النار على الكفار بقلعة عكا فى كتابنا «قرة العين بالرحلة إلى الحرمين» فأغنانا عن الإعادة.

## إتصال الإنجليز بالإمام لإقامة قاعدة لهم عند باب المندب ورفضه لذلك

ودخلت سنة أربع عشرة ومايتين وألف.

وفى مفتتحها يوم الأحد عشرين شهر محرم [يوافق ٢٤ يوليه ١٧٩٩م] وصل القبطان [القبطان] ولسان [37] رسول ملك الإنقليز إلى الإمام فاحتفل لوصوله، ونصب له بدار الصافية [38] خيمة عظمى، وأحضر عساكر الباب، وجمع الخيول وألبسها فاخر الثياب، وجعلها صفين، فدخل من خارج بئر العزب[39] مترجلاً، يقدمه عشرون نفراً بالسلاح، ويحفه عشرة من الخدم، وبيد رجلين منهم مذبات ثخينة، يذبون بها عنه فى الطرق الغبار، ولما رأى الإمام على سريره، خلع عن رأسه قلنسوته وألقاها وأقام ترجمانه بين يديه، يعبر عن سبب وصوله إليه، فأجمل الأمر فى ذلك الموقف، وأنزله الإمام بالقرب من داره. والسبب الحاصل فى وصوله، أنها لما دخلت الفرانسة ديار مصر، وكان الإنقليز معينًا لسلطان الإسلام، فطعموا فى تملك السواحل اليمنية، وراموا أن يعمروا بباب المندب (٤٠)، فخرجوا إليه، ونزلوا عليه، وهموا به العمارة، فمنعوا من ذلك، وأرسل إليهم أهل عدن، يخبرونهم بأنه لا يسعهم ذلك، إلا أن يأخذوا إذنًا من الإمام. فتماروا فى ذلك، وباطنهم مضمر للشر، فاضطروا إلى بعث ولسان، وهو من دهات الإنكليز، فطلع وأفصح عن مطلوبه، فلم يجبه الإمام، إلى ذلك المرام، فرجع خايبًا، وكان خبر هذا الإنكليزى، وما هم به قد طار كل مطار، فلم يسعه المقام هنالك، فسيره الإمام، وأصحبه جماعة من جنده يحفظونه من رعاياه، فخرج من بئر العزب يوم الجمعة ثانى شهر صفر، منكسراً خايباً، و كان بصنعا قد اشتد الأمر عليه، لما وصل رسول الإنكليز إليه من باب المندب فى يوم الثلاثاء تاسع وعشرين شهر المحرم [يوافق الثالث من يونيو عام ١٧٩٩م] بكتاب ظهرت عليه به الكآبة، فأفهم أن السلطان قد بعث بجنود جرارة، وأنه قد شارف على الظفر بديار مصر.

## الشريف غالب يحرض الإمام على عدم السماح للإنجليز بإقامة قاعدة لهم بباب المندب

وتعقب مسيرة وصول كتاب من غالب بن مساعد أمير مكة المشرفة يذكر فيه بعد الترجمة أنه ورد إلينا كتب من جانب كبار الإنكليز من الكفار، بقصد بناء قلعة فى باب المندب، الذى عليه طريق كل داو ومركب، وهذا أمر يتفاقم خطبه، ويعز بعد وقوعه معاناته وطلبه، ويشمل كافة المسلمين، ثم قال بعد كلمات يسيرة فى الشكوى: ثم إنه أمر لم يقع فيما قبله مثله، ولا فى قديم الزمان فعله، ولا جرى فى سابق الزمان، ولا جرى فى دولة آبايكم ولا كان ، وداؤه يسرى فى جسد الإسلام سريان العلل والأسقام، ويعيى داؤه الأساة والأطبا ، وتحار أفكار العقلا فيه والألبا ، فتداركوا الأمر قبل تحكمه، وأبذلوا الجهد فى إطفا هذا الشر قبل تضرمه:

وإن الشر أوله شرارة
ويوشك أن يكون له اضطرام

وهناك يقع الندم حيث لا ينفع، ويتحكم الداء الذى يعسر أن يدفع، والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق، وهو المرجو للهداية إلى أقوم طريق، فابذلوا

همتكم الهاشمية، ولا تمكنوا أعدا الله من هذه الحيل.

هذا محصل تحريضه نقلناه من كتابه.

## الإمام يطمئن الشريف غالب على موقفه من طلب الإنجليز

وبعد، فإنه وصل من جنابكم الشامخ، ووفد من مقامكم السامي الباذخ، كتاب طابت فوايد معانيه، فطالت قواعد مبانيه، يحكي ما اتصل لمسامعكم من الأخبار، المترجمة عن احتفال طايفة الكفار، ببنا المعاقل في أطراف هذه الديار، وأنهم قد انتدبوا إلى باب المندب. وراموا رفع أساس الأبنية، وذب من عنه ذب، وذكرتم ما يترتب على ذلك من المفاسد، التي يشمخ بها أنف كل جاحد، فلا جرم قد أرشدتم إلى منهج الرشاد، ونظرتم إلى نوايب العواقب بعين الانتقاد، بيد أن ذلك الخبر غير مطابق للواقع، ومن دون صحته خطوب زعازع، ومعارك سواطع، وصواعق صواقع، ووقايع روايع، ودوافع ، وموانع، وهيهات هيهات، فبينهم وبين إدراك هذه الطلبات قلاقل وزلازل، وقساطل [صوت الجمال]وصواهل، وذوابل [بنادق] ومكاحل [مدافع]،وصوارم ولهاذم ومخازم [سيوف]وملاحم، انتهى.

## تحقيق اسم قائد الجيوش العثمانية التى زحفت إلى مصر لإخراج الفرنسيين منها

قلت: اشتهر أنه خرج من جند السلطان شيخ العربان، متجهزاً على حزب الشيطان، الباشا أحمد طباطبا، فى الإثنى وعشر ألف مقاتل الرجالة وثلاثة آلاف فرساناً، (يحمل) زاده واثقاله وخيامة عشرين ألف جمل وسمعنا بهذا أحمد طباطبا عن بعض الناس من أهل اليمن، قال أنه رأى فى كتاب ورد أن اسم الخارج أحمد طباطبا، والذى سمعناه بمكة وتلقيناه من المتطوعة مع السيد الجيلانى أن اسم الرجل أحمد جرار، بجيم ومهملتين، وهو الذى خرج عن أحمد الجزار صاحب عكا، وهو بجيم بعدها زاى معجمة فألف فراء مهملة، وهذا تجهيز أول ولا يباين ما فى كتاب غالب.

## خطاب يوسف باشا وإلى المدينة المنورة العثمانى إلى الإمام

وفيها وصل من الباشا يوسف صاحب المدينة(٤١) إلى الإمام جواب أجاب به على الامام، وكتاب من وزير الختام يوسف مدبر حضرة السلطان، فيه أن وزير الختام، سينهض بنفسه لذلك المرام، ولم يكن من الإمام كتاب إلى يوسف باشا صاحب المدينة، ولا إلى السلطان، فلعله افتعله بعض المفتعلين.

ولفظ كتاب الباشا يوسف صاحب المدينة إلى الامام:

الحمد لله حمداً لا نحصى ثناء عليه جل وعلا، وكم وكفى أنا مؤمنون، والصلاة والسلام على سيدنا وسيدنا رسول الله ، نحن فى جواره، من جاهد فى الله حتى أتاه اليقين، وعلى آله وصحبه الذين بذلوا نفوسهم ابتغا مرضاة الله رضوان الله عليهم أجمعين، وبعد:

نبدى ذلك ونهديه إلى المحب فى الله والصديق لنا وإلينا، خالصاً مخلصاً لوجه الله، الأجل الأمثل الأبر المؤتمن العظيم، إمام الزمن فى أقطار اليمن، كان محروسًا ومطهراً من كل ألم ودرن، بحرمة النبى الأمين.

بعد السلام عليكم ورحمة الله، الذى نعلمكم به، وهو كل خير لما بيننا من المحبة السابقة، والأخوة الإسلامية، يا حبذا هى الرابطة القوية، تقدمت إلينا من طرفكم، كتب مفصحة لنا، واستعلام وقايع الطايفة المنحوسة الفرانسة، دمرهم الله وخذلهم بجاه محمد خير البرية، وطلبتم منا إيضاح المبهم وأحوال طوايف الإنكليزية وأن المؤمنين لبعضهم معينون فى نصرة الدين، ولما أوعد الله مترقبين، كما قال فى محكم التبيين: ﴿وكان حقًا علمنا نصر المؤمنين﴾، ولإمداد الدولة العلية منتظرين، فلما أن علمنا منكم ذلك، أعدنا الجواب إليكم سريعًا وأعلمناكم بها هنالك، هو أن طايفة الفرانسة، جعل الله ديارهم دارسة، وأعلامهم ناكسة، قد اختلفوا ونقضوا العهد القديم والميثاق، وتعدوا بقهر مصر والآفاق، وطوايف الإنكليز بيننا وبينهم رابطة قوية، وصحب للإسلام، فمن أتاكم من طوايف الفرنساوية الليام، أجرعوه وجرّعوه كؤوس الحمام، ولا تبلغوه مرام، وأصدقانا الإنكليز أعطوه ما يهوى من مطاعمهم الشهوى، والمشارب الحلوى. هذا وحين ما ورد كتابكم، أرسلت من خواص أتباعى إلى الدولة العلية وشرحنا لهم شأن صلابتكم فى الدين، وشجاعتكم فى الميادين، وإقدامكم معنا أيها المؤمنين، وإنكم متيقظون لستم بغافلين، كما صدق من نطق فيما به الله عليكم قد تفضل وأمتن: «إن الإيمان يمان». فبعد أن علموا (كذا) الدولة العلية أحوالكم وأوصافكم، وما أنتم عليه شكروا صنيعكم على قولكم، وأرسلوا إليكم جواب كتابكم من صاحب الدولة العلية العثمانية، وهو وزير الختام الآن، مدبر الجمهور الصدر الأعظم، «ضياء الحاج يوسف باشا» (٤٢)، و ها هو مرسل إليكم صحبة كتابنا هذا على يد تابعينا الحاج إسماعيل أغا والحاج يحيى أغا. فمع سلامة الله تعالى إذا وصلا إليكم وقرأتموهما(٤٣) وعلمتم وأعلمتموهما للحاضر والباد، فيلزم لكم بعد الآن أتم الجهاد والاجتهاد فى ذلك الناد، لأن الفرنسيس عدو الدين، ربما يفر أحد منهم من طرف القصير(٤٤) ويأتى من نواحيكم، فأذيقوه حربًا حارًا، ليتوصل به إلى آية الهاوية بئس القرار، ولا تهابوه فإن قلبه طار، وقصده النجاة لا بلغه الله الأوطار، فلا تغفلوا واحذروا مكر الفجار، وكونوا على قلب واحد أيها المؤمنون، فالله معنا والنبى المختار، فلأنه سابقًا فى أوسط شوال قد تعدوا الكفرة اللئام، إلى أطراف الشام، وحاصروا عكا بلدة الجزار، بعسكر ينوف على خمسين ألفا من الكفار، وتم الحصار بتلك النواحى أربعة وستين يومًا، واشتد الكرب على المسلمين، فوفدت نجدة من الدولة العلية ثمانية عشر مركبًا، مدافعها وبارودها، ومن يعطى حقها رجالها، فقابلوا الكافر، وقتلوا ما ينوف على ستة وعشرين ألفًا من الكفار، أهوى بهم إلى بئس القرار، واستشهد من المسلمين مقدار، فبعد إذ عاين عدو الله القتلى، والآية الكبرى، انهزم وولى الأدبار، وإلى أطراف مصر

طالبًا الفرار. وإلى يوم تاريخ كتابنا نرجوه سبحانه، عم نواله، إنهم وصلوا وبلغوا المنى، وإن شاء الله عما قريب نسمعكم بشراها، ونحمد عقبى مسراها،بحق ﴿بسم الله مجراها ومرساها﴾.

هذا ونبشركم بما جرى سابقًا ولاحقًا، وأن يلقب مليكنا ويتلى له على المنابر غازيًا صادقًا، هو أنه لما بلغ الدولة العلية خبر قهر مصر جهزوا على ساقية عدو الدين، وذلك إقليم الونديك التى فيها الضرب للمستخص العتيك التى هى من حوز حكومة الفرنسيس، وتحت تصرفه برًا بحرًا، وضبطوا ذلك الإقليم جميعه وتلك النواحى ، وما فى ذلك الإقليم فى البر ثمان بلدان بقلاع من أحسن ما تسمع، ومقر سلطنتهم بلدة أوصف وأوسع، وغير ذلك قلاع صغار ما تعد، وقرى لا تعد (٤٥) ، فقتلوا من صد، وأسروا أسرًا لا يوصف بحد ، ما ذكرناه فى البر وفى البحر، أربع جزائر منيعات حصينات، صارت الجميع فى قبضة الإسلام ومحى منها شرك الظلام، وجاءت مفاتيحها إلى مليك زماننا، وصارت فيها من طرف الإسلام، وزراءعظام، وأمراء كرام، بحمد الله الملك العلام، وبعدما قطعوا ساقية عدو الدين، وجهت الدولة العلية وجه وجهتها إلى أخذ الثأر إلى مصر برًا وبحرًا، وهذا الخبر ورد إلينا مع تابعينا السابع عشر من صفر الخير بتحريرات من الدولة العلية العثمانية موضحة لنا ما شرحناه لكم من فتوحات إقليم الونديك والتوجه إلى أخذ الثار، وقمع أولئك الفجار، وها حضرة صاحب الختام، أقبل بعساكره والصافنات الجياد برًا، والسفن السايرات بحرًا، قاصدين مصر وتخليصها من لوث الشرك والكفر، نرجو. مولانا سامع دعانا أن يدمر الأعدا حيث ما دانوا، ويعلى ويعمر كلمة الإيمان أينما كانوا بحق من أنزل عليه ﴿نصر من الله وفتح قريب﴾ إنه سميع مجيب.وكما شرحنا إليكم ربما أن بعض الكفرة الفرنسيس اللئام يفرون من القصير إلى نحوكم فإن رأيتم أحدًا منهم اقتلوه، وأسروه حيثما ثقفتموه، وأتباعينا المرسلين إليكم سهلوهما إلينا، بجواب كتاب صاحب الدولة العلية وجودة (كذا) كتابنا، وأخبار تلك الأقطار أفصحوه إلينا سريعًا إنه جل المرام، والسلام ختام.

المحتاج إلى عفو الله الحاج يوسف باشا والى جده ومحافظ المدينة المنورة.

## خطاب الصدر الأعظم إلى الامام المبلغ مع خطاب والى المدينة المنورة

هذا لفظه، ولفظ وزير السلطان بن عثمان فى كتابه إلى الامام: سلام يعطر ريا رياض الوداد، وثنا يفيض بسلساله حياض السداد، إلى حضرة من حف بالأبطال الإلهية، والعترة المحمدية، وأنواع المنن، إمام صنعا اليمن، وبعد:

فالذى ننهى إليكم، ونهديه لديكم، أن الطوايف الفرنساوية، دمرهم الله بنواير صواعقه القوية، نقضوا عهود الصلح والميثاق، وسعوا فى الأرض الفساد والشقاق، وخانوا الملة الأحمدية البيضاء، وقاموا على الأمة المحمدية السمحاء . حيث هجموا بغتة على بلاد الإسلام، وما راعوا قوانين الدولة فى الأخبار والإعلام، وأبدعوا من الدسايس والحيل والخدع، ما لم يرتكبه أحد من

أهل الغى والبغى والبدع، فاستولوا فجأة على الاسكندرية، ومصر القاهرة، وتحكموا على علمايها وفضلايها وساداتها الفاخرة، وسبوا صبيانها، وهتكوا أعراض نسوانها الطاهرة، ففرضت علينا فرض العين إقامة الغزو والجهاد، والمحاربة معهم فى كل ناحية وناد، لازالت جمعيتهم طعمة لسيوف الموحدين ، وجملتهم متشتتة لسطوة صفوف المؤمنين، فانعقدت بيننا وبين الدولة الإنجليزية والروسية على محاربتهم روابط الإنفاق والاتحاد، وظهرت من هاتين الدولتين آثار الإقدام والأحجام لأوليك الفساد، حيث ترافقت سفن الروسية مع سفاين سلطاننا الأعظم، وخاقننا الأفخم، لازالت روضة سلطنته منظرة بنسيم النصر والنجاح، وشمس شوكته مشرفة فى سماء الفوز والفلاح، وهجموا على قلعة قُورْفة(٤٦) التى كانت أخذتها تلك الطائفة الباغية من أيدى الونديك (بحراً) جبراً، وحاصر جيش من جيوشنا المنصورة المرسلة براً، فنزعوها منهم، فاستؤصل منهم الأكثرون، واسترق الباقون، فجاءت مفاتيحها (كذا) إلى يد سلطاننا سلطان الأنام، ودخلت الباقون، بحمد الله فى حوزة ممالك الإسلام، فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فتصبح من شرذمتهم السائرة بعضهم جريحًا طريحًا وبعضهم قتيلاً: ﴿ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا﴾.

وسفاين الإنكليز أيضًا مع سفايننا السايرة صدوا سبيل المسئولين على مصر القاهرة، من أوليك الكفرة، الفجرة، وقصدوا إلى محاربتهم بالغيرة الكاشرة، فأخذوا من سفاينهم المخذولة بعضًا وأغرقوا بعضًا. ونهضت عليهم عساكرنا المنصورة من طرق البر، فتضيق عليهم بعون الله الأرض بما رحبت طولاً وعرضاً.

وهذا المحب الودود بعون الله المعبود ناهض بالذات عليهم، بترتيبات مهمات السفر، وتداركات أسباب الظفر، بجنود لا قبل لهم بها من الأتراك والأعجام واللزكية والأكراد، وغيرهم ممن لهم فى الحرب صولة واعتياد، ففى ما صدر من أوليك المخذولين الخاسرين، عليهم لعنة الله والملايكة والناس أجمعين، من الخيانة والخبائث والفساد، والعلو والعتو والعناد ، يفرض على كل مومن فرض العين، أن يعين الدين، ويهين الكافرين، ويعامل من كان بيننا وبينهم الإتفاق والاتحاد، معاملة الحب الوداد، فالمأمول من غيرتكم الدينية، وحميتكم العربية، أن تكونوا منتبهين ومتيقظين، وأن تراعوا مع طايفة الإنكليز والروسية مراسيم الوداد والوفاق، وتخابروا دايمًا مع الوزير المكرم والى جده ومحافظ المدينة المنورة الضياء يوسف باشا دام فى حفظ الله الخلاق، وتكونوا على رأيه وتدبيره، ومقتضى تفهيمه وتحريره، ودمتم سالمين، بجاه محمد الأمين، آمين.

حرر فى أواسط شهر ذى القعدة الشريفة لسنة ثلاث عشرة ومائتين وألف يوافق: ٢١ أبريل سنة ١٧٩٩ ميلادية.. المستمد من البر الأكرم الحاج يوسف ضياء الوزير الأعظم، انتهى.

قلت: ووصل هذا إلى الامام فى ربيع الأول من عام أربع عشر ومائتين وألف. [يوافق: أغسطس/ سبتمبر ١٧٩٩ م] وفى ألفاظهم وتسجيعاتهم هذه ركة ظاهرة، وتنافر فى نظم الكلام، غير أنه مفهوم المراد.

## الهوامش:

(١) يلاحظ أن أحداث الحملة وقعت في عام ١٢١٣ هـ. وليس في عام ١٢١٢ هـ وكانت بداية هذه الأحداث في شهر محرم من العام المذكور.

(٢) يرجح أن المؤلف يشير بذلك إلى «شارل مجالون»، أحد التجار الفرنسيين الذين أقاموا في مصر مدة طويلة قبل مجيء الحملة الفرنسية إليها، وفي خلال هذه المدة توثقت علاقته بحكامها وخاصة بمراد بك. كذلك اعتمدت عليه حكومته فعينته مشرفًا على المصالح الفرنسية في القاهرة عندما نقلت قنصليتها إلى الأسكندرية ثم أصبح القنصل العام الفرنسي في مصر بعد قيام الثورة الفرنسية. وكانت شكاوى مجالون إلى حكومته من سوء معاملة المماليك التجار الفرنسيين، وتقاريره عن أحوال مصر الداخلية ومدى ضعفها، من الأمور التي أغرت فرنسا على غزو مصر.

(٣) إشارة إلى حادثة فرض الغرامات المالية الكبيرة على التجار الأوربيين عمومًا بواسطة إبراهيم بك، ثم محاولة بعض التجار الفرنسيين مغادرة القاهرة فقبض عليهم مراد بك وسجنهم ثم أطلق سراحهم بعد بضعة أشهر.

(٤) يلاحظ أن نابليون بونابرت لم يكن «سلطان بلاده» حينذاك، بل كان فقط أحد قادة فرنسا الكبار في ذلك الوقت، وعين قائدًا عامًا للحملة الفرنسية على مصر لنجاحه الساحق في حملته على إيطاليا، أما حكومة فرنسا وقتئذ فهي التي اشتهرت باسم «حكومة الإدارة». وحرص المؤلف على ضبط الإسم يدل على ميله إلى الدقة.

(٥) لم تكن جزيرة مالطة «تحت حوزة الإنكليز» حتى ذلك الوقت، بل كانت تحت سيطرة وحكم فرسان القديس يوحنا منذ انتقالهم إليها عقب هزيمتهم في جزيرة رودس أمام السلطان سليمان القانوني واستيلاء العثمانيين على الأخيرة في عام ١٥٢٢م.

(٦) المقصود هنا هو قنصل انجلترا في مالطة، ولكن المؤلف استعمل اللقب القنصلي كاسم فقال: السلطان قنصل، ويبدو أن ذلك يرجع إلى عدم إنتشار التعبيرات القنصلية والدبلوماسية في ذلك الوقت. ومن المعروف أن الفرنسيين قبضوا على القنصل الإنجليزي والقنصل الروسي ونفوهما إلى روما بعد إستيلائهم على جزيرة مالطة. ومن الطريف أن المؤلف استعمل هذا الاسم الوهمي للتعبير عن النشاط الدبلوماسي الإنجليزي لدى السلطان العثماني الذي قام به في الواقع السفير الإنجليزي في استانبول السير سبنسر سميث، وأخيه السير سيدني سميث الذي أوسلته حكومته إلى هناك بعد مجيء الحملة إلى مصر لحث الإمبراطورية العثمانية على إعلان الحرب على فرنسا.

(٧) تعبير عامي ما زال مستعملاً في اليمن بمعنى الأخذ والرد، ويقصد به هنا: بعد طول المفاوضات.

(٨) المقصود بهذا المرسوم هي المعاهدة الإنجليزية العثمانية التي أبرمت في يناير ١٧٩٩م.

(٩) هو الشريف غالب بن مساعد بن سعيد الحسني المتوفى عام ١٢٣١ هـ (١٨١٦م)، من أشراف مكة وتولى حكمها بعد وفاة أخيه الشريف سرور في ١٢٠٢ هـ (١٧٨٧م). وفي بداية حكمه، نازعه بن أخيه عبدالله بن سرور ولكنه تغلب عليه واستقرت له الأمور مدة من الزمن. وعندما اشتد ساعد سعود بن عبدالعزيز بنجد، وهاجمت جيوشه الحجاز، تصدى لها الشريف غالب ولكنه هزم وتقهقر إلى جدة، ثم دخل في طاعة السيطرة السعودية وحكم مكة مرة أخرى باسمهم. وقد استمر في منصبه بعض الوقت حتى بعد أن زحفت جيوش محمد على باشا إلى الجزيرة العربية بناءعلى أمر السلطنة العثمانية، إذ حول الشريف ولاءه إلى محمد على. ولكن قوات الأخير قبضت عليه بعد مدة،وأرسل إلى القاهرة، عام ١٢٢٨ هـ، فبقي بها شهرًا، ثم أرسل إلى الآستانة، فنفته السلطنة إلى سالونيك حيث توفي بها. وهو من أشهر أشراف مكة في القرن التاسع عشر، عرف عنه المكر والدهاء والسياسة المرنة والقدرة على المناورة، وقد اهتم به كثير من مؤرخي عصره مثل مؤرخنا لطف الله حجاف والجبرتي وابن غنام وابن بشر وغيرهم (الزركلي: الإعلام، جـ ٥، ص ٣٠٤).

(١٠) المقصود هو مدخل ميناءعدن لأنه محاط بالجبال العالية.

(١١) وهي مسقط المعروفة على ساحل شبه جزيرة العرب الجنوبي، وما زال أهالي المناطق اليمنية الجنوبية ينطقونها كما وردت عند المؤلف: مِسكات بكسر الميم.

(١٢) الداو: سفينة النقل التجارية.

(١٣) مفردها غراب، وهى سفينة النقل الكبيرة التى تمخر أعالى البحار، وربما ترجع هذه التسمية إلى أن غوارب الماء تعنى أعالى الموجه، أى السفينة التى تسير فى البحار ذات الأمواج العالية.

(١٤) هو أحد القادة الهنود فى جهات البنغال، الذى استطاع أن يصل إلى حكم إحدى المقاطعات الهندية، وأن يحول هذا الحكم إلى عرش ورائى، عن طريق الإرتماء فى أحضان شركة الهند الشرقية (الإنجليزية) والحصول منها على القروض الضخمة، وذلك مقابل السماح لها بالتدخل فى شئون البلاد (البنغال) الداخلية، ومقابل الحصول على منح وامتيازات فى هذه المناطق. وقد ترتب على هذا كله التعاون الوثيق فى الشئون التجارية بين الطرفين، وخاصة أن انجلترا كانت تسيطر على التجارة وعلى البحار حينذاك بصورة كبيرة.

(١٥) ذكره الجبرتى باسم الكيلانى أى بالكاف وليس بالجيم، ويلاحظ أن الجبرتى ولطف الله جحاف لم يذكرا له ترجمة خاصة بل اكتفيا بتتبع أحداثه حتى استشهاده.

(١٦) الفتخة والفتخة خاتم يكون فى اليد أو الرجل بفص وبغير فص، وقيل هى الخاتم أيًا كان، وقيل هى حلقة تلبس فى الأصبع كالخاتم، وكانت نساء الجاهلية يتخذنها فى عشرهن، والجمع فتخ وفتوخ وفتخات، وذكر فى الجمع أيضًا فتاخ. وقيل الفتخة حلقة من فضة لا فص فيها فإذا كان فيها فص فهى الخاتم، وقيل أيضًا أنها كل خلخال لا يجرس.

(١٧) مفردها ساعى، وهى السفينة الصغيرة الخاصة بنقل البضائع بين الموانئ المتقاربة. وقيل إنها ما زالت مستعملة إلى الآن بهذا الإسم فى الموانئ الحجازية مع استعمال الآلات لتحريكها بدلاً من الشراع.

(١٨) اسم لواد يقطعه الحجاج ويقع بين مكة والمدينة، وهو يحمل هذا الإسم إلى الآن، وهو كذلك للميناء الصغير الذى يقع بين جدة وينبع على ساحل البحر الأحمر، وهو بذلك اسم للواد والمدينة معًا.

(١٩) هو اسم لواد فيه قرى ونخل بين مكة والمدينة، وكان قديمًا يعرف باسم: الخليص، إلا أن المتأخرين ينطقونه بدون (الـ)، أى خليص وهو يقع على طريق السيارات الآن.

(٢٠) وهى الصفراء، اسم لجهة من جهات المدينة المنورة، وهى زاخرة بالأودية والقرى، تقع بين المدينة المنورة وميناها ينبع، كما أن مياهها تنحدر إلى ينبع، ويحدها من الغرب جبل رضوى المعروف، كما يطلق هذا الإسم على احدى قرى هذه الجهة، وقد وردت كثيراً فى كتب الرحلات لأنها تقع على طريق الحجاج القادمين من مصر والمتجهين إلى المدينة المنورة، كما فى هذه الجهة يكثر إنتاج عسل النحل وهى ما زالت معروفة بهذا الإسم إلى الآن.

(٢١) قنا: هى مدينة قديمة يرجع تاريخها إلى العهد الفرعونى، وكانت تسمى حينذاك شابت (Chabt).
فى العصر القبطى عرفت باسم قونى Kouni وبعد الغزو الإسلامى تحول إلى قونة، كذلك تذكر باسم: قناة، أما سكانها فيطلقون عليها اسم: قنا.

(٢٢) سمهود: اسم لقرية مصرية تقع جنوب الصعيد بالقرب من قوص وقنا، وهى تحمل اسم فرعون قديم ينقسم إلى شقين بمعنى: اتحاد العرش، واختصرت فى العهد القبطى إلى سمهود Semhout وظلت فى العهد العربى تحمل هذا الإسم إلى الآن. وهى تقع على شاطئ النيل الغربى.

(٢٣) عنبر واللقيطة: قريتين صغيرتين بالقرب من مدينة قنا.

(٢٤) أبنود: مدينة تقع بالقرب من مدينة قفط المعروفة، وهى تتبع قوص إداريًا. وهى مدينة قديمة ترجع إلى العهد الفرعونى، وكانت تعرف باسم: بنوت ثم وردت فى معجم البلدان لياقوت الحموى باسم: أبنود.

(٢٥) يرجح أن المقصود بأهل اليمن جنوب الحجاز، إذ لم يرد بالنص ما يدل على وجود متطوعين يمنيين بين صفوف جيش السيد الجيلانى.

(٢٦) إحدى القرى التابعة لمركز قوص، وقد قسمت فترة من الزمن إلى: حجازة بحرى وحجازة قبلى، ولكنهما ضمنًا الآن.

(٢٧) ومفردها صنجق، وتكتب أيضًا بالسين أى سنجق وسناجق، وسنجق فى الأصل بمعنى العلم والراية، ثم استعملت للدلالة على الأقسام الإدارية الكبيرة للبلاد مثل المحافظة والمديرية واللواء، وأصبحت لقبًا لمن يتولى إدارة هذه الأقسام، كذلك ما يعادل هذه الوظيفة العامة من الوظائف الأخرى الكبيرة مثل مدير الجمارك، أو المسئولين عن الثغور أو غير ذلك، ولقب السنجق أيضًا يعادل لقب أمير وبيك وهى ألقاب عسكرية فى الأصل، ورتبة السنجق هى السنجقية والصنجقية.

(٢٨) هو الأمير حسن بيك الجداوى مملوك على بيك الكبير، مات بغزة بالطاعون فى عام ١٥١٥ هـ (١٧٩٩ / ١٨٠٠م) وقد عرف بالشجاعة والإقدام، ولما انفرد على بيك الكبير بحكم مصر، ولى حسن بيك حكم جده مدة من الزمن، وأظهر فيها كثيراً من أعمال البطولة، ولذلك اشتهر منذ ذلك الوقت باسم الجداوى. وقد شارك مثل غيره فى المنازعات المملوكية العديدة التى عرف بها العهد العثمانى- المملوكى، حتى انتهى به الأمر إلى أن عينه إبراهيم بك والياً لإمارة جدة مرة أخرى وذلك لإبعاده عن مصر، وبعد إقلاع سفينته من السويس أمر ربان السفينة أن يذهب به إلى القصير وهدده بالقتل، وعندما وصل إلى هناك، توجه إلى إسنا بالصعيد واستقر بها فالتف حوله مماليكه، وظل هناك أكثر من عشر سنوات: وقد عاد إلى القاهرة وعاش بها مدة عندما انتصر حزبه وسيطر إسماعيل بك على مقاليد الحكم فى القاهرة. وبعد قليل اضطر ثانية إلى مغادرتها والاستقرار فى الصعيد حتى جاء الفرنسيون إلى مصر، أى بعد حوالى سبع سنوات من استقراره هناك وهنا شارك غيره من المماليك فى محاربة الفرنسيين فى مختلف جهات مصر، حتى انتهى به الأمر إلى أن دخل القاهرة ثانية عقب وصول الصدر الأعظم إليها، ومحاربته للفرنسيين. وفى هذه الفترة، شهد بشجاعته كل من المصريين والعثمانيين والفرنسيين.

(٢٩) من أتباع حسن بك الجداوى سالف الذكر، وقد صاحبه فى كل تحركاته حتى خروج الفرنسيين من مصر، غير أنه طال به العمر حتى أنه عاصر بداية عصر محمد على باشا، وقد اشترك عثمان بك فى المصادمات التى وقعت بين المماليك وبين محمد على حتى انتصر عليهم الأخير، وتمكن من تصفيتهم، ولم يحدد الجبرتى تاريخ وفاته، ولم يكتب له ترجمة منفصلة، ذلك لأنه مات بعيداً عنه مطارداً، إذ كان عثمان بك من بين المماليك الذين طاردهم محمد على فى الصعيد حتى أخرجهم منه إلى السودان، فأقاموا هناك فى «دنقلة» فى حالة يرثى لها يقتاتون ما يزرعونه من الدخن كما ذكر الجبرتى: وقد طال عليهم الأمد ومات أكثرهم ومعظم رؤسائهم مثل عثمان بك حسن وسليم أغا وأحمد أغا.. وغيرهم ممن لا علم لنا بخبره لبعد المسافة حتى على أهل منازلهم، وبقى ممن لم يمت منهم إبراهيم بك الكبير... (حاكم مصر قبيل الحملة). وقد ذكر الجبرتى أخبار بقايا المماليك فى السودان بمناسبة وصول رسول من قبلهم إلى محمد على باشا يطلب الأمان لهم، والسماح لهم بالعودة إلى مصر للإقامة بإحدى الجهات التى يحددها محمد على باشا لهم وبالشروط التى يرتضيها.

(٣٠) هو الإمام المنصور على الذى عاصر أحداث الحملة الفرنسية على مصر، والذى وضع له مؤرخنا اليمنى لطف الله جحاف، السيرة المعروفة بعنوان «درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور على ورجال دولته الميامين»، التى استخرجنا منها هذه النصوص. وهو الإمام المنصور على ابن الإمام المهدى العباس ابن الإمام على المنصور على ابن الإمام المهدى العباس ابن الإمام المنصور الحسين ابن الإمام المتوكل القاسم بن الحسين ابن الإمام المهدى أحمد ابن الحسين ابن الإمام القاسم بن محمد مؤسس الدولة القاسمية فى اليمن. ولد بصنعاء فى عام ١١٥١ هـ (٣٨/ ١٧٣٩م) ونشأ بها وأخذ العلم عن علمائها، ثم فوضه والده لحكم صنعاء وقيادة الجند مدة طويلة حتى بويع بالإمامة بعد وفاة والده فى عام ١١٨٩ هـ (٧٥ / ١٧٧٦م). وقد طال حكمه حتى وصل خمس وثلاثين عاماً، أى حتى عام ١٢٢٤هـ (٩/ ١٨١٠م) وقيل عنه: «آخر الخلفاء الأجواد، وخاتم الملوك الذين قابلهم الدهر باليمن والإسعاد، كريم الكف، كثير المن، أيامه غرة فى جبين الزمن، كانت خلافته فى آل الإمام القاسم، كخلافة الرشيد فى الزمن القادم». ورغم ذلك فقد بدأ فى عهده ضعف حكم الأسرة القاسمية وتفتت اليمن، فقد خرجت تهامة من تحت حكم صنعاء، كذلك تعددت الثورات فى المناطق الجبلية ضد حكم الإمام، وفى أواخر أيامه خرج عليه ابنه نتيجة سيطرة وزراء أبيه على مقاليد الأمور، وانتشار الفساد حينذاك، فقبض على مظاهر السلطة جميعها، وعزل وزراء أبيه، وأن أبقى عليه فى منصبه حتى توفى بعد ذلك بقليل.

(٣١) المقصود هنا هو موسم التجارة، فالسفن حينذاك كانت تعتمد على مواسم الرياح لأنها كانت جميعها سفناً شراعية، و «أخذ الموسم» يعنى افساده نتيجة التعرض للسفن التجارية فى عرض البحار واستعمال لفظ «الموسم» بهذا المعنى كان منتشرا فى المخطوطات العربية القديمة

(٣٢) هو أحد سلاطين التتار المتأخرين، وكانت بقايا التتار من القبيلة الذهبية تخضع خضوعاً اسمياً للسلطان العثماني منذ أن فرض العثمانيون سيطرتهم على شبه جزيرة القرم في ١٤٧٥ م. وكان هؤلاء التتار يقومون بالغارات المتعددة على الدولة الروسية الناشئة في موسكو، وعندما اشتد ساعدها أرادت اخضاعهم لها، وتمكنت قيصرة روسيا الشهيرة كاترين من أن تجبر الإمبراطورية العثمانية- في معاهدة كوبك قينارجه عام ١٧٧٤ - على الإعتراف بإستقلال شبه جزيرة القرم، حتى يسهل التهامها فيما بعد، وهذا ما فعلته بعد سنوات قليلة، إذ أعلنت ضم الإقليم إلى ممتلكاتها في عام ١٧٨٣ .

Encyclopaedia Britannica: Vol. 6, p. 762.

(٣٣) عام ١٢١٣ هـ، وهو يوافق ٢١ أكتوبر ١٧٩٨ م.

(٣٤) كان مراد بك قد فر إلى الصعيد عقب هزيمته في معركة امبابة أمام بونابرت، واستمر في حروبه ضدهم رغم محاولة بونابرت الصلح معه وتوليته أمر الصعيد تحت السيادة الفرنسية، وقد ظل مراد بك على اتصال بالقاهريين ليوقد غضبهم على الفرنسيين وكانت رسله ومراسلاته إليهم من أسباب قيام ثورة القاهرة الأولى، ولكن لم يثبت تاريخياً أنه دخل القاهرة حينذاك كما يشير المؤلف.

(٣٥) في هذه العبارات اعتذار عن تلبية رغبة الشريف غالب في تفضيل تجارته في الموانئ اليمنية وسرعة شحنها بالبضائع قبل غيرها، كما سبق أن طلب في خطابه السابق.

(٣٦) في هذه العبارة، وفي عبارة «فخرجوا في خمسين ألفاً» دليل على المبالغة التي كان يقع فيها المؤرخون القدماء عند التحدث بالأرقام، إذ من المعروف أن عدد أفراد الحملة من مشاة وبحارة وعلماء وفنيين لم يتجاوز الأربعين ألفاً.

(٣٧) ليس هذا هو الاسم الحقيقي للرسول الإنجليزي إلى الإمام، وربما لجأ مؤرخنا إلى استخدام هذا الاسم لجهله باسم الرسول ولسهولة نطقه ولميله إلى السجع. ويدعى الرسول الدكتور برنجل Pringle، وكان يعمل في وظيفة مساعد جراح في وكالة بومباى الإنجليزية. وقد ذهب برنجل إلى البحر الأحمر في صحبة القائد الإنجليزي مورای Murray الذي كلفته شركة الهند الشرقية بإحتلال جزيرة بريم لمنع تسرب السفن الفرنسية إلى المحيط الهندى بعد احتلال الفرنسيين لمصر وعند وصول الجنرال بيرد Baird إلى المخا وجد «برنجل» هناك، فسلمه خطابات وهدايا وكلفه بمهمة مقابلة الامام في صنعاء، هذا مع العلم بأن هذا الجنرال هو الذى كان يقود الحملة الإنجليزية من الهند إلى القصير ليشارك في إخراج الفرنسيين من مصر، ولقد قيل أن مهمة برنجل إلى الامام كانت لشئون تجارية بحتة، ذلك على عكس ما ذهب إليه مؤرخنا في هذا النص، نظراً لضعف التجارة الإنجليزية في الهند مع جهات البحر الأحمر في ذلك الوقت. وقد استجاب الامام لمطالب انجلترا- وتدور جميعها حول تقديم تسهيلات تجارية في الموانئ اليمنية- كما استقبل برنجل بحفاوة كبيرة، وتحققت أغراض المهمة التي جاء من أجلها إلى صنعاء.

(٣٨)، (٣٩) حيان من أحياء صنعاء حالياً، وكانا بمثابة ضاحيتان من ضواحيها في زمن المؤرخ ثم امتد إليهما العمران بل وتجاوزهما. وتقع الصافية إلى الجنوب من مدينة صنعاء الأصلية المسورة، أما بئر العزب فيقع إلى الغرب منها، وضمه إلى صنعاء سور يحيط به وبقاع (بحى) اليهود الذى يقع إلى الغرب من بئر العزب (والقاع في لغة صنعاء هو الأرض السهلية المنبسطة أو الوادى) وذلك مع بقاء السور والباب الذى يفصل بين صنعاء القديمة وبئر العزب. وقد تميزتا الصافية وبئر العزب بكثرة بساتينهما المثمرة للفاكهة وغيرها، وبقلة دورهما، فكانتا بمثابة متنزه لصنعاء الأصلية المكتظة بالمنازل والسكان، وكان يجرى بهما غيل (نهر صغير) يمتلئ بالمياه بعد سقوط الأمطار.

(٤٠) من المعروف أن انجلترا احتلت جزيرة بريم لعدة أشهر خلال عام ١٧٩٩ لغلق البحر الأحمر أمام تسرب السفن الفرنسية إلى الهند، وذلك عقب مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر.

(٤١) هو أحد قادة العثمانيين الكبار وحارب كثيراً في جهات أوروبا، وأخذ يترقى المناصب حتى وصل إلى منصب الصدر الأعظم، وظل به مدة أربعة أعوام. وقد عرف عنه الرغبة في الإصلاح بعد أن دب الفساد في جسم الدولة، فيقال أنه أعدم بعض الوزراء عقب توليه منصب الصدر الأعظم لفساد أمورهم. ويبدو أنه في آخر رياسته قد أصابه اليأس والتعب ومال إلى التصوف، فطلب من

السلطان أن يعينه والياً لجده حتى يكون قريبًا من الحرم المكي والنبوى، فلبى السلطان طلبه. وقد شهد الحجاز في عهده الأمن والاستقرار بعد أن قضى على المتمردين والمفسدين به. (الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، جـ ٢، ص ص٣٥٧ - ٣٥٨).

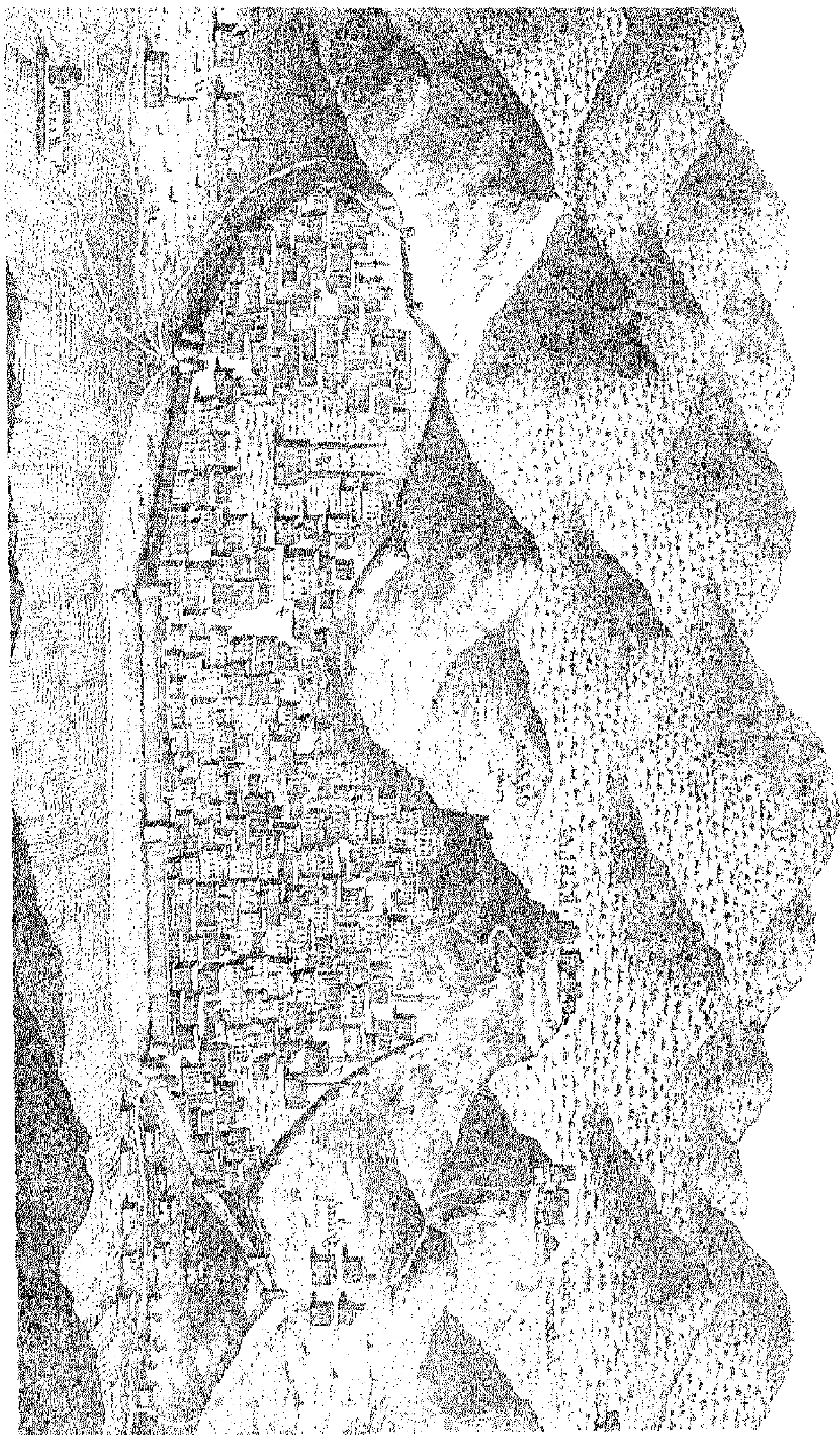
(٤٢) يلاحظ أنه هو الذى قاد الحملة العثمانية التى أخرجت الحملة الفرنسية من مصر بالتعاون مع القوات الإنجليزية.

(٤٣) هكذا وردت، ويرجح أن الضمير المثنى هنا يشير إلى خطاب الصدر الأعظم وإلى خطاب يوسف باشا والى جدة ومحافظ المدينة سابق الذكر.

(٤٤) من أهم الموانئ المصرية على البحر الأحمر منذ أقدم العصور، وكانت تسمى قديماً: تاعو Tae'ou وهى تقع تجاه مدينة قوص - قصبة الصعيد على مر العصور- وكان بينها وبين بلدان البحر الأحمر تجارة واسعة نشطه، والقصير الحالية تقع إلى الجنوب قليلاً من القصير القديمة التى اندثرت تقريباً.

(٤٥) المقصود هنا- من وراء هذه الفقرة جميعها- هو مجموعة جزر الأيونيان (المتناثرة أمام الشاطئ الغربى لجنوب شبه جزيرة البلقان، وأهمها جزر: كورفو، زانتى، سيفالونيا) التى كانت تتبع جمهورية البندقية ثم استولى عليها بونابرت أثناء حملته الناجحة على إيطاليا قبل قدومه إلى مصر. وعقب عقد التحالف الثلاثى العثمانى - الروسى- الإنجليزى، تعاون الأسطول العثمانى والأسطول الروسى فى الإستيلاء على هذه الجزر، وكانت الإمبراطورية العثمانية تخشى انتشار مبادئ الثورة الفرنسية فى الممتلكات العثمانية فى البلقان لقرب المسافة بينهما، وخاصة لأن أهالى هذه الممتلكات فى حالة تذمر على الحكم العثمانى حينذاك. وكان من أهم شروط الصلح- فيما بعد بين فرنسا والإمبراطورية العثمانية - الذى تم فى ١٨٠٢ م- أن تكون هذه الجزر مع البندقية جمهورية مستقلة، وكانت فرنسا لا تجد غضاضة فى ذلك حتى تحرم روسيا من موضع قدم لها فى البحر المتوسط.

(٤٦) صحتها: كورفو، إحدى جزر الأيونيان التى كانت من ممتلكات البندقية ثم استولى عليها الفرنسيون عند اجتياحهم إيطاليا.



* مدينة تعز اليمنية على عهد الجبرتي.

## ملحق (٢٦)

## مخطوطة من تأليف الجبرتى في ليدن دراسة مقارنة بينها وبين «عجايب الآثار» و«مظهر التقديس»

الدراسة المقارنة بين نصوص مختلفة لمؤرخين مختلفين لها طبيعتها الخاصة، حيث يتجه جهد الباحث فيها إلى التعرف على منهج كل مؤرخ على حدة ثم ابراز مظاهر الاختلاف والاشتراك بين كل منهم والعوامل التى أدت إلى، ذلك، سوا أكانت اجتماعية أم سياسية، وما إلى ذلك من العوامل التى تؤثر فى المؤرخ.

أما الدراسة المقارنة بين نصين مختلفين أو أكثر لمؤرخ واحد لفترة زمنية واحدة فلها منهج آخر، حيث يتجه جهد الباحث إلى دراسة الظروف والملابسات السياسية التى دفعت المؤرخ لكتابة هذه الأعمال المتباينة، ثم الإشارة إلى مواطن الاختلاف فى كل منها.

وعلى هذا المنهج الأخير سوف تكون دراستنا لقطعة أو كراسة مخطوطة من يوميات الجبرتى الخاصة عن فترة من عهد الحملة الفرنسية، دراسة مقارنة بينها وبين كتابيه: «عجايب الآثار» و«مظهر التقديس».

دون الجبرتى أحداث الحملة الفرنسية بادىء ذى بدء فى يوميات خاصة بخط يده، وقد عثرنا على قطعة منها محفوظة بمكتبة جامعة ليدن بهولندا، وقد أشار إليها المستشرق (موريه Moreh) فى مقال كتبه عن مجموعة من مخطوطات الجبرتى الأصلية فى مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية.

وهذه القطعة من ناحية الشكل تقع فى إحدى وخمسين صفحة، تؤرخ لسبعة أشهر من أوائل المحرم (١٠ من المحرم) ١٢١٣هـ حتى نهاية رجب من السنة نفسها، وهى مكتوبة بخط الرقعة الجميل، وعدد الأسطر فى كل صفحة يتراوح بين ٣٢،٢٥ سطرا فى كل سطر ما بين ١٠ ، ٢٠ كلمة، وتوجد بها بعض الإضافات الهامشية لبعض الأحداث التى يكون قد نسيها الجبرتى، أو لم تكن فى متناول يده ابان كتابتها، فاستدركها بعدئذ وسجلها بالهامش بالخط ذاته، ويوجد على صفحة العنوان الكتابة الآتية:

هذا تاريخ مدة الفرنسيس بمصر من سنة ١٢١٣هـ إلى سنة ١٢١٦هـ تأليف العلامة عبد الرحمن الجبرتى المصرى بخطه رحمه الله

ومكتوب على الصفحة ذاتها فى الركن الأيسر فوق العنوان؛ تمليك باسم الشيخ محمد الأمير الحنفى الرشيدى بتاريخ ٦ ج (جمادى الأولى) سنة ٨١ (١٢٨١هـ) ومدون عليها ثمنها وقتذاك وهو ٩ قروش.

ويتبين لنا من صفحة العنوان الحقائق التالية:

أولا: التنويه بأنها مخطوطة بخط الجبرتى، مما يجعل لها أهمية خاصة، وقد رجح المستشرق (موريه Moreh) أنها بخط الجبرتى؛ لأن خطها يتفق مع مخطوطة أخرى لمظهر التقديس مودعة بمكتبة جامعة كمبردج مكتوب عليها أنها بخط

الجبرتى، ويتفق أيضا مع مخطوطة ثالثة للجزء الثالث من عجايب الآثار فى مكتبة جامعة كمبردج أيضا، مدون فى نهايتها أنها بخط الجبرتى.

ثانيا: أن هذه المخطوطة انتقلت إلى حوزة الشيخ الرشيدى عن طريق الشراء بعد وفاة عبد الرحمن الجبرتى بحوالى أربعين سنة هجرية.

ثالثا: أن هذه المخطوطة من تأليف المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى وحده وهى بذلك تختلف عن كتاب مظهر التقديس الذى اشترك فى تأليفه مع الجبرتى صديقه الشيخ حسن العطار، فهى بذلك تحمل طابعه فى الكتابة وحده، وأسلوبه ومنهجه.

رابعاً: يستفاد من عنوان المخطوطة أن الجبرتى كان قد دون «تاريخ مدة الفرنسيس» كاملا فى مؤلف خاص به إبان حوادث الحملة [١]، وقد ضاعت بقية هذا المؤلف، ولم يبق منه سوى قطعة تؤرخ لمدة السبعة الأشهر التى تضمنتها هذه المخطوطة[٢].

وعلى ذلك لم يكن الجبرتى فى حاجة إلى أن يعدل فى كتابه «مظهر التقديس» ويخرج منه الجزء الثالث (الرابع من تحقيقنا هذا) من كتابه «عجايب الآثار» كما ذهب إلى ذلك بعض المؤرخين، لأن الجبرتى كان لديه مؤلف خاص لتاريخ مدة الفرنسيس بمصر، اعتمد عليه فى إخراج الجزء الثالث من عجايب الآثار بعد ما أضاف إليه تاريخ مصر من سنة ١٢١٦هـ إلى سنة ١٢٢٠هـ، مع إضافات بسيطة من أشعار صديقه الشيخ حسن العطار التى كان يشير إليها بقوله: «كما قال صاحبنا الشيخ حسن العطار».

## الظروف والملابسات السياسية التى كتب فيها الجبرتى هذه المخطوطة

كانت مظالم المماليك بزعامة إبراهيم بك ومراد بك قد عمت آفاق القطر المصرى فى أواخر القرن الثامن عشر، وأصبحت الحياة فى مصر لا تطاق، وفجأة هبطت الحملة الفرنسية أرض مصر فى صيف عام ١٧٩٨م وسرعان ما ظهر فشل مؤسسة المماليك العسكرية فى الدفاع عن البلاد، وزحف الجيش الفرنسى على القاهرة بعد اجتياح الاسكندرية بلا مقاومة تذكر، واكتسح امامه قوات المماليك المنهارة وسقطت عاصمة البلاد فى يد الفرنسيين، ووجد الشعب نفسه أعزل أمام قوات أجنبية لأول مرة فى تاريخه الحديث.

وقد سجل لنا الجبرتى فى هذه المخطوطة صورا حية من أحاسيس الشعب المصرى؛ يروى فيها وقوع الصدمة بصدق وأمانة وواقعية.

وبدراسة هذه المخطوطة نرى أن الجبرتى قد سلك فيها منهجا معتدلا، فالحقائق والأحداث التاريخية وإن كانت بها ثابتة، وتتفق مع ما جاء فى كتابيه: «مظهر التقديس» و«عجايب الآثار»؛ إلا أن تفسير الجبرتى لهذه الأحداث وتعليقه عليها هو الذى يختلف.

وجه الجبرتى نقده إلى جميع الأطراف (العثمانيين والمماليك والفرنسيين وحتى العلماء) وأصدر أحكامه عليهم غير هياب ولا وجل، ولم تؤثر فيه عوامل المعاصرة التى تؤثر فى المؤرخ: كالرغبة والرهبة التى ظهرت إلى حد كبير فى كتابه (مظهر التقديس)، والى حد ما فى كتابه «عجايب الآثار»، لأن نظام الحكم الذى ان قائما قد تحطم، وأصبح فى مأمن من عسف الحاكم فى ظل احتلال لم يستقر بعد.

وعلى سبيل المثال نراه ينتقد الموقف العثمانى المملوكى برمته، لتقصير العثمانيين والمماليك فى الدفاع عن البلاد وحمايتها من الغزو الفرنسى عقب سماعهم بنزول الحملة بالاسكندرية، وذلك عندما علق على الاجتماع الذى عقد بقصر العينى بالقاهرة؛ ودارت فيه مناقشة حامية بين العلماء وأمراء المماليك، فيقول: «فركب إبراهيم بيك إلى قصر العينى وحضر عنده مراد بيك والأمراء والقاضى والمشايخ وتكلموا فى شأن ذلك، فقال بعض المشايخ كل هذا من تغافل أمر الثغور واهمال الأمور حتى تمكن العدو وملك ثغر الإسلام، فقال مراد بيك وايش نعمل واذا قصدنا تعمير ذلك وتحصينه تقولوا مرادهم العصيان على السلطان فهذا هو المانع لنا من ذلك»، ثم علق الجبرتى على كلام مراد بك بأنه: «أوهى من بيت العنكبوت لأن الثغر من أيام على بيك لم يلتفتوا له جملة كاملة بل أخذوا ما كان به من آلات القتال والمدافع ومنعوا عنه المرتبات التى كان للمرابطين والعسكر المتقيدين وأكلوا علوفاتهم وقطعوا عوايدهم ولم يبق به شى من آلات الحرب إلا بعض مدافع مكسرين لا تنفع ولاتدفع حتى انهم احتاجوا مرة لضرب مدفع العيد بارود فلم يجدوا التعميرة بل اشتروها من عند العطار بعد أن كانت اسكندرية وأبراجها فى غاية العمارة والتحصين وحولها السور المتقن الذى اعتنت به الأوايل وبه ثلثماية وستين برجا على عدد أيام السنة كل برج بجبخانته وعدده ورجاله، فأهمل ذلك جميعه حتى لم يبق منه شى وتهدم السور وما به من أبراج وساوت حيطانه من بعض الجهات الأرض إلى غير ذلك».

وعندما صدرت توصية من المجتمعين فى قصر العينى بكتابة عرضحال إلى الدولة العثمانية بخبر الحملة وارساله إليها، علق الجبرتى على ذلك متهكما بأسلوب لاذع: «ظنوا أن الموجوع أو المريض الملسوع يستمر بحاله حتى يأتيه الترياق من العراق».

ويلاحظ أن هذه المناقشة وما أعقبها من تعليق لم يسجلها الجبرتى فى «مظهر التقديس» وانما قال: «وأما ما كان من حال الأمراء فان إبراهيم بيك ركب لقصر العينى، وحضر عنده مراد بيك من الجيزة لأنه كان مقيما بها وحضروا بقية الأمراء والقاضى والعلماء وتكلموا فى شأن هذا الأمر الذى دهم المسلمين فاتفق الرأى على أنهم يرسلون مكاتبة للدولة العلية بخبر هذه الحادثة فأرسلها باشا مصر إذ ذاك وهو بكر باشا على يد قاصد من جهة البر».

وعندما التقى مراد بك الجيش الفرنسى عند شبراخيت وانهزم، قال: «التقى العسكر المصرى

مع الفرنج فلم تكن إلا ساعة وانهزم مراد بيك ومن معه ولم يثبتوا لحربهم.. واحترقت ذهبية مراد بيك بما فيها من الجبخانة والعدد.. فلما عاين ذلك مراد بيك ولى منهزما وترك أثقاله وجملة من المدافع وتبعه عساكره وكان فى عدد وافرة».

وتحدث الجبرتى عن العوامل التى تسببت فى خذلان المماليك أمام الفرنسيين، وقارنها بما للجيش الفرنسى من صفات، وأثنى على نظامهم العسكرى المحكم فى الضبط والربط واطاعة الأوامر، وخضوعهم للحياة العسكرية، وغير ذلك من الأشياء التى هى من سمات الجيوش المنظمة، فيقول:

«وهذا بخلاف الطايفة الأخرى الفرنساوية فانهم بالعكس فى جميع ما ذكر كأنهم مقتفين لآثار الأمة فى صدر الإسلام ويرون أنفسهم مجاهدين ولا يستنكرون عدد عدوهم ولا يبالون بمن قتل منهم، ويرون أن من ولى منهم كفر وخرج من دينه وطريقتهم ينقادون لأمر أميرهم ويمتثلون طاعة كبيرهم، مظلة أحدهم شبقته التى على رأسه ومركبه قدميه، وطعامه وشرابه بلغة وجرعة معلقان تحت ابطه، ومتاعه وما يغيره من ملبوسه معلق خلف ظهره كالوسادة، فإذا نام اضطجع عليها كالعادة ولهم علامات واشارات فيما بينهم يقفون عندها ولا يتعدون حدها».

ولم يذكر الجبرتى هذا الوصف المنصف لنظام الفرنسيين العسكرى فى كتابيه: مظهر التقديس، وعجايب الآثار، وحذفه مخافة أن يتهم بأنه يمالىء الجيش الفرنسى.

ولم يكن الجبرتى راضيا عن قيادة المماليك، وانتقد فى مذكراته سوء تدبير المماليك لملاقات الجيش الفرنسى، فبينما كان مراد بك عند امبابة لعدم تمكنهم من عبور النيل، فلم يكن لهذه الجموع الغفيرة أى دور إيجابى فى المعركة، لأن بونابرت قد حسم الموقف بانتصار خاطف فى ثلاثة أرباع الساعة، فقال الجبرتى يصف تجمع الناس بالبر الشرقى وصياحهم غير المجدى:

«هذا وبر بولاق يغلى بكثرة الناس من العامة والخاصة وخلافهم وهم واقفون زمرا ويعضون أكفهم حسرة وأسفا لتخلفهم عن الوصول لعدم المعادى، فلم يكن فى قدرتهم إلا رفع أصواتهم وقولهم يالطيف وحسبنا الله ونعم الوكيل، وغير ذلك وصار لهم جلبة وغاغة عظيمة وكأنهم يقاتلون بضجيجهم وصياحهم».

ويستطرد الجبرتى فى انتقاد موقف إبراهيم بك لفراره عندما عاين هزيمة جيش مراد بمعركة امبابة، فيقول:

«ولما رأى إبراهيم بك والباشا ومن معهم فى المتاريس وقوع الكسرة على أهل البر الغربى لم يثبتوا بل ركبوا وتركوا المتاريس والخيام وذهبوا إلى جهة العادلية فى الطريق إلى الشام.. فلما رأى الناس هروب إبراهيم بيك ومن معه وتراسل الضرب فهاجوا وانهزموا بأنفسهم إلى داخل بولاق وجهة المدينة وانزعجوا انزعاجا شديدا وولوا الأدبار كأمواج البحار وصار الشاطر فيهم هو الذى يسبق رفيقه».

ولقد كان لموقف المماليك المخزى وقعه المؤلم فى نفسية الشعب، وقد عبر الجبرتى عن خيبة أمل

الجماهير فى جيش المماليك لفشلهم فى الدفاع عن البلاد فقال:

«وخابت فى عسكر مصر الظنون أولا وثانيا وولوا الأدبار وجمعوا بين النار والعار والحكم لله الواحد القهار».

وبطبيعة الحال لم يتعرض الجبرتىّ لنقد الموقف العسكرى المملوكى بمثل هذا الوضوح فى مظهر التقديس وعجايب الآثار، بل أنه حذف أغلب هذا النقد وخاصة تلك الفقرة الأخيرة.

## موقف العلماء:

أوضحت لنا هذه المخطوطة بعض الحقائق الغامضة عن موقف العلماء ابان فترة الحملة الفرنسية، وخاصة بالنسبة لخروج بعضهم من القاهرة غداة معركة امبابة، وسلوكهم بالقاهرة تجاه المحتلين بعد هروب المماليك.

وقد أعطتنا بعض التفصيلات الدقيقة بالنسبة لخروج العلماء من القاهرة غداة معركة امبابة، ففى حين يورد الجبرتى الخبر موجزا فى «مظهر التقديس» و«عجايب الآثار» على النحو التالى.

«وخرج أعيان الناس أفندية الأوجاقات وأكابرهم ونقيب الأشراف وبعض المشايخ القادرين».

يقول فى يومياته الخاصة (مخطوطة ليدن): «بعد هجمة من الليل (ليلة الأحد ٨ صفر ١٢١٣ هـ ٢٢ يوليو ١٧٩٨م) أشار بعض أصحاب الشيخ عبد الله الشرقاوى عليه بالرحيل فان الفرنج وصلوا إلى باب الحديد[٣] وحرقوه وعبروا منه وهم الآن ينهبون ويقتلون فى أهل تلك الناحية ويفسقون فى نسائهم وإن مكثنا أو توانينا بعد ساعتين يصلوا إلينا فأرسل الشيخ عبد الله (الشرقاوى) إلى الشيخ السادات من أزعجه وأقلقه استحثه فى سرعة الركوب، فحمل ما خف وما يلزم وركب وخرج بصحبته من باب البرقية[٤] وكذلك ركب السيد عمر (مكرم) النقيب، الشيخ (محمد) الأمير والشيخ خليل البكرى».

ثم تتبع الجبرتى أخبار من خرجوا من العلماء، فذكر أن بعضهم لم يتمكن من اللحاق بجيش إبراهيم بك لأن العربان تعرضوا لهم ونهبوا متاعهم، وهم: «الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى فانهم لما رأوا هذا الحال، وأخذ العرب من الشيخ الشرقاوى جملين بما عليهم انحازوا إلى المطرية وأرسلوا إلى أبو طويلة فحضر إليهم ودفع عنهم العربان الذين كانوا محتاطين بهم واستمر محافظا عليهم».

ولم يتمكن من اللحق بجيش إبراهيم بك سوى: «السيد عمر مكرم» النقيب والشيخ (محمد) الأمير والشيخ سالم مسعود شيخ رواق المغاربة ذهبوا إلى عرضى إبراهيم بيك بعد أخذ متاع الشيخ سالم ومتاع حريمه وودايع كانت تصحبهم».

وقد كشف لنا هذه المخطوطة عن معلومات جديدة بشأن تتبع الجبرتى لأخبار من خرجوا من القاهرة، فقد كان السائد قبل ذلك أن الشيخ محمد الأمير قد بقى بالقاهرةولم يخرج منها، وأبى أن يشترك بالديوان الذى أنشأه بونابرت بيد

أن الجبرتى يقطع فى هذه المخطوطة بأن الشيخ الأمير خرج مع عمر مكرم إلى الشام ولم يحضر على الرغم من إرسال بونابرت إلى العلماء بالأمان فيقول: «فحضر الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى من المطرية وكذلك البكرى من محل ما كان فى يوم الثلاثاء، وأما النقيب (عمر مكرم) فلم يطمئن للرسالة وذهب مع إبراهيم بك وكذلك الشيخ سالم (بن مسعود شيخ رواق المغاربة).. وكذلك الشيخ الأمير لم يحضر».

وبذلك انهت لنا هذه المخطوطة الجدل القائم حول عدم اشتراك الشيخ الأمير بديوان بونابرت على الرغم من تكليفه فى مشروع تشكيل الديوان، ويبدو أنه لم يعد إلى القاهرة إلا بعد أن أحتل الفرنسيس يافا، فعاد مع عمرمكرم، على الرغم من أن الجبرتى لم يفصح لنا بعد ذلك عن أمر عودته من يافا مع عمر مكرم، فى مظهر التقديس أو عجايب الآثار.

وقد أوضحت هذه المخطوطة كثيرا من مواطن الغموض والتعمية التى لجأ إليهما الجبرتى فى كتابيه «مظهر التقديس» و «عجايب الآثار» ، فكثيرا ما لجأ الجبرتى إلى التعمية مستعملا بعض التعبيرات التى تلتبس على القارىء فعلى سبيل المثال: فى الجلسة الأولى لديوان القاهرة (١٢ صفر ١٢١٣هـ) أشار العلماء بتعيين بعض أمراء المماليك للمحافظة على الأمن بالقاهرة، غير أنه أورد الخبر فى عجايب الآثار على الوجه التالى.

«وقلدوا محمد أغا المسلمانى أغات مستحفظان وعلى أغا الشعراوى والى الشرطة وحسن أغا محرم أمين احتساب وذلك بإشارة أرباب الديوان، فانهم كانوا ممتنعين من تقليد المناصب لجنس مملوك فعرفوهم أن سوقة مصر لا يخافون إلا من الأتراك ولا يحكمهم سواهم» وتتفق رواية مظهر التقديس مع النص السابق.

ونظراً لهذا الغموض الذى أحاط بعبارة الجبرتى، فقد اختلفت التفسيرات حول من أشار بتعيين هؤلاء، هل هم العلماء؟ أم أن الفرنسيين هم الذين أشاروا بذلك،وقد قطعت مخطوطة ليدن الشك باليقين، فقد ورد فيها صراحة أن المشايخ هم الذين أشاروا بهذا التعيين، قال الجبرتى:

«وعملوا محمد أغا المسلمانى كتخدا (٥) مستحفظان والوالى على أغا الشعراوى والمحتسب حسن أغا محرم وذلك بعد علاج، وقولهم لا يتولى المناصب جنس مملوك وقول المشايخ أن سوقة مصر لا يخافون إلا من جنس المملوك».

ومن الأمور التى لجأ فيها الجبرتى إلى استعمال الغموض، موضوع قيام الشيخ محمد المهدى سكرتير ديوان القاهرة بصياغة منشورات بونابرت باللغة العربية.

فقد كان الشيخ محمد المهدى هو الذى يتولى صياغة منشورات بونابرت باللغة العربية بعد أن تكتب بالفرنسية ثم تقوم بترجمتها إلى العربية أجهزة الترجمة الملحقة بالحملة، وقد ذكر الجبرتى ذلك صراحة فى مخطوطة ليدن، فقال فى نهاية المنشور الذى كتبه الفرنسيون على لسان المشايخ إلى أقاليم مصر، بعد قمع ثورة القاهرة الأولى:

«وذلك إنشاء كاتب الديوان الشيخ محمد المهدى».

ثم عاد الجبرتى فحذف اسم الشيخ المهدى عندما أخرج كتابيه: «مظهر التقديس» و«عجايب الآثار» واكتفى بالإشارة الغامضة إلى الشيخ المهدى، إشارة يفهمها معاصروه، فذكر عن المنشور الذى أذاعه بونابرت على لسان أعضاء الديوان عقب عودته من الحملة على سوريا أنه «من ترصيف وتنميق بعض الفصحاء» وهو يقصد الشيخ المهدى. وتتفق المراجع الفرنسية مع مخطوطة ليدن فى أن الشيخ المهدى هو الواضع لمنشورات بونابرت في قالبها العربى، فقد ثبت فى رسالة بعث بها بونابرت من يافا إلى «بوسليج» مدير الشئون المالية بالقاهرة أثناء الحملة على سوريا يقول ما ترجمته:

«عليكم أن تأمروا بطبع كل المنشورات التى يبعث بها فانتور إلى الديوان وأن تضيفوا إليها المحسنات والتنميقات التى يرى الشيخ المهدى إدخالها وأن تنشروها فى انحاء مصر».

ومن الأمور التى أوضحتها هذه المخطوطة أيضا، أن الشيخ السادات هو الذى تدخل لحل الموقف المتأزم بين مشايخ الديوان وبين بونابرت بسبب الخلاف على وضع بعض الشارات الفرنسية، وقد شعر بونابرت بنوع من الإهانة من شيخ الأزهر الشيخ عبد الله الشرقاوى رئيس ديوان القاهرة عندما رمى بالشارة الفرنسية على الأرض بعد أن وضعها له بونابرت، وأبى أن يزين بها كتفه.

فقد حدث أن استدعى بونابرت إليه الشيخ الشرقاوى ومعه جماعة من العلماء، فلما استقر بهم المجلس نهض بونابرت وأتى بشارة الجمهورية الفرنسية، والتى يسميها الجبرتى «الطيلسان» المثلث الألوان، ووضعه على كتف شيخ الأزهر تكريما له، ولكن شيخ الأزهر« رمى به إلى الأرض وامتقع لونه واحتد طبعه»، كما تغير وجه بونابرت لهذه الإهانة وتميز غضبا، فتدخل الترجمان وقال للعلماء «يامشايخ أنتم صرتم أحبابا لصارى عسكر وهو يقصد تعظيمكم وتشريفكم بزيه وعلامته فان تميزتم بذلك عظمتكم العساكر والناس وصار لكم منزلة فى قلوبهم» فرد عليه المشايخ قائلين: لكن قدرنا يضيع عند الله وعند إخواننا من المسلمين» فاغتاظ بونابرت من ذلك، وطلب بقية العلماء من بونابرت اعفاءهم من لبسها، فأذعن بونابرت لطلبهم فى أمر هذه الطيالس، ولكنه أصر على أن يضعوا فى صدورهم الشارة المثلثة الألوان (الجوكار) فطلب العلماء منه مهلة أثنى عشر يوما.

بيد أن بونابرت أرسل فى اليوم ذاته إلى الشيخ محمد السادات فحضر إليه،وصادف أعضاء الديوان منصرفين، ولما استقر به المجلس تملقه بونابرت وأخذ يتحدث إليه بلطيف القول الذى يعربه الترجمان ويضاحكه «ويقبل يده تارة وركبته أخرى» وأظهر بونابرت للسادات المحبة والصداقة، وأهدى إليه خاتما من الماس، وطلب منه الحضور فى اليوم التالى، وعند حضوره وضع بونابرت له الجوكار على كتفه، فسكت السادات وسايره، وهذا مجمل ما ذكره الجبرتى فى مظهر التقديس وعجايب الآثار.

غير أن الجديد في مخطوطة «ليدن» أن الجبرتي يذكر أن الشيخ السادات تدخل في اليوم ذاته لحل الموقف المتأزم بين مشايخ الديوان وبين بونابرت، فقال للمشايخ في الجلسة نفسها: «أجبروا أنتم الآخرين خاطر صارى عسكر ولا تخالفوه في وضع الوردة وإذا قمتم من مجلسه ارفعوها فسكتوا ونهض (بونابرت) فرشق لكل واحد واحدة وهم مظهرين البشاشة وهو مسرور بذلك» أى أنه أشار عليهم بأن يجعلوهم جواز مرور.

ويبدو أن الجبرتي لم يشر إلى هذا الموقف الأخير المتعلق بتوسط السادات بين بونابرت والمشايخ في مظهر التقديس وعجايب الآثار، مخافة أن يتهم العثمانيون السادات بالتعاون مع جيش الاحتلال الفرنسي، كما كان للشيخ السادات نفوذ شعبي جارف يخشى جانبه، وكان الجبرتي على علاقة وثيقة به.

وعلى الرغم من أن الشيخ السادات لم يقبل عضوية ديوان القاهرة أو الاشتراك في أى نشاط سياسى آخر مع الفرنسيين، إلا أنه كان دائم الاتصال ببونابرت كما يبدو من مخطوطة ليدن، فقد سجل بها الجبرتي أن الشيخ السادات أقام حفل عشاء بمناسبة الاحتفال بمولد السيدة زينب في أوائل رجب ١٢١٣هـ. ودعا إليه بونابرت وجماعة من خواصه، ويقول في ذلك.

«في ثالثه (أى في الثالث من رجب) عمل الشيخ السادات مولد السيدة زينب بقناطر السباع ودعى صارى عسكر بونابرته فحضر في عصريتها في البيت الذى سكن به الشيخ وهو بيت أيوب جاوى وتعشى هناك هو وخواصه ثم ركب وعاد إلى داره».

ولم يشر الجبرتي إلى هذه الواقعة مطلقا في كتابه مظهر التقديس، مراعاة لجانب السادات وحفاظا على سمعته لدى العثمانيين بعد عودتهم، ثم عاد فأشار إليها بصفة عامة بعد وفاة السادات عندما ترجم في عجايب الآثار فقال:

«ولما قدمت الفرنساوية إلى الديار المصرى في أوائل سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف لم يتعرضوا له في شيء وراعوا جانبه وأفرجوا عن تعلقاته، وقبلوا شفاعته وتردد إليه كبيرهم وأعاظمهم وعمل لهم ولائم».

ومن الإضافات الجديدةالتى أبرزتها هذه المخطوطة. مطالبة علماء الأزهر بمرتباتهم التى كان يتقاضونها قبل مجيء الحملة، وقطعت عنهم بسبب ظروف الاحتلال الفرنسى، فطالبوا بها مرارا وتكرارا، بيد أن الفرنسيين ما طلوهم ولم يدفعوا لهم شيئا، وقال الجبرتي في حوادث شهر ربيع الأول ١٢١٣هـ.

«فيه طلب المشايخ رواتبهم في الضربخانة وكانوا سألوا في ذلك عدة مرار وهم يواعدوهم وبعد ذلك قال لهم الترجمان اكتبوا قايمة بعلم الذى يخصكم فكتبوا بذلك قايمة فكان الذى يخصهم ويخص بعض أفراد نحو ألف فضة في كل يوم فلما اطلعوا على ذلك وواعدوهم بامضاه عدة مرار، قالوا لهم في هذه المرة نعطيكم عوضه التزام فقالوا وايش نعمل بالالتزام، وهذا شيء متفرق الجزئيات، فينا من له خمسين فضة ومن له

ثلاثين ومن له عشرين، فقالوا يتولى ذلك أحدكم ويجمعه ويفرقه على إخوانه فى كل سنة فلم يرتضوا ذلك ثم أعرضوا عن ذلك لتحققهم شحة نفوسهم به».

ثم أورد مقدار ما كان يتقاضاه العلماء فى كل يوم قبل مجيء الحملة فقال:

«وكانت المرتبات قبل مجيئهم نيفا واثنين وثلاثين ألف فضة فى كل يوم» وقد حذف الجبرتى هذا الموضوع ولم يشر إليه مطلقا فى كتابيه مظهر التقديس وعجايب الآثار مخافة أن يتهم العلماء بالتعامل مع الفرنسيين وحرصا على أن تظل صفحتهم مضيئة أمام العثمانين.

ومن المعلومات الطريفة التى سجلها الجبرتى فى هذه المخطوطة، ذلك التفسير المعقول للصراع الإنجليزى الفرنسي والعوامل التى دفعت الفرنسيين لاحتلال مصر، قال فى حوادث ربيع الأول ١٢١٣هـ أثناء تعرضه لرواية معركة أبى قير البحرية (٦ ربيع الأول ١٢١٣هـ ـ ١٨ أغسطس ١٧٩٨م):

«وخبر هولا (هؤلاء) الإنجليز أنهم معادين لطايفة الفرنسيس وأن الفرنسيسى (بونابرت) لما أغار على البنادقة والونديك والجورنه وغيرهم قصد الاغارة على الإنجليز أيضا فلم يتمكن للعبور إليهم من طريق البر فحاربهم فى البحر فلم يطيقوهم لأن الإنجليز موصوفون فى الشدة وقوة البأس فى محاربة المراكب فى البحر والفرنسيسى بالعكس فعلم الفرنسيسى أنه لا يتمكن من غرضه معهم إلا من جهة البر ولا طريق له إلا من الهند، ولا طريق للهند إلا من بحر القلزوم والإنجليز يعلم فلما وجده ملك الإسكندرية وعبر الممالك المصرية علم أنه يصل إليهم بعد ذلك من هذه الجهة ولابد من تتابع الإمداد والعساكر فحضر على أثرهم بعدة مراكب مشحونة بالمقاتلين إلى الاسكندرية وحاربوا المراكب التى وجدوها خارج المينة وبوقير فنالوا منهم... واستمروا بمراكبهم قبالة الإسكندرية يذهبون ويجيئون ويشرقون ويغربون وينتظرون ما يأتى للفرنسيس من المدد أو يرسلونه إلى بلادهم فيقطعون عليهم الطريق ويقفون لهم فى كل مضيق.

ولم يتعرض الجبرتى لهذا الموضوع بمثل هذه الإضافة فى كتابيه مظهر التقديس وعجايب الآثار، وكل ما ذكره أنه أورد خبر معركة أبى قير فى صورة موجزة، تكاد تتفق فى كلا المؤلفين، فقال:

«وفيه تواترت الأخبار بحضور عدة مراكب من الإنجليز إلى ثغر اسكندرية، وحاربوا مراكب الفرنسيس بالميناء وكان أشيعت هذه الأخبار من مدة أيام وتتحادث بها الناس فصعب ذلك على الافرنج وشق عليهم».

ولذا نرى أن الجبرتى أدرك تطورات الصراع الإنجليزى الفرنسى ، ولسنا نعرف ما هى الدوافع التى جعلته يحذف هذه المعلومات عندما أعاد كتابتها فى مظهر التقديس وعجايب الآثار.

ومما يلحظ على هذه المخطوطة بوجه عام تلك الأمانة المتناهية فى المحافظة على الوثائق التاريخية التى وقعت فى يد الجبرتى وسجلها فى يومياته ولم

يغير فى صيغتها أو يصحح ما بها من أخطاء لغوية.

ويظهر هذا الأمر جليا فى منشور بونابرت الأول الذى أعلنه على الشعب المصرى، فقد سجله الجبرتى كما وصله بما فيه من أخطاء صارخة صححت غالبيتها فى «مظهر التقديس» و«عجايب الآثار» عند طبعهما، وكان فى استطاعته تصحيح تلك الأخطاء، ولكن أمانته فى المحافظة على النص وصلت إلى درجة متناهية أملت عليه أن يسجله كما هو، ثم أشار إلى هذه الأخطاء وعقب عليها تحت عنوان:

«تفسير ما أودعه هذا المكتوب من الكلمات المفككة والتراكيب الملعبكة» ولم يكن الهدف من هذا التعليق هو اعراب المنشور اعرابا نحويا فحسب، بل كان الهدف الأكبر هو دحض إدعاءات بونابرت التى أوردها بهذا المنشور، بطريقة الإعراب التهكمى، وعلى سبيل المثال قوله: فى اعراب «واحترم نبيه» «قوله واحترم نبيه معطوف على ما قبله عطف الكذب على الكذب لأنه لو احترمه لآمن به وصدقه واحترم أمته» وقوله فى اعراب «مسلمين» من جملة «أن الفرنساوية هم أيضا مسلمين» «مسلمين صوابه الرفع ونكتة العدول إلى النصب إشارة إلى أن إسلامهم نصب» وغير ذلك من الأخطاء التى أشار إليها وأوضح ما اشتملت عليه من مزاعم ظاهرة البطلان.

ولعل هذه الأمانة فى المحافظة على النص عند الجبرتى تعطى لنا مثالا لأسلوب الجبرتى بوجه عام، فهو يستعمل اللغة الشعبية الدارجة فى رواية الحوادث احتراما لنص الرواية التاريخية كما نقلها الرواة إليه، فهو بذلك ينقل لنا صورا حية عن أحداث العصر، فيضع يد القارىء على نبض الحياة المصرية فيجعله يحس أنه يعيش فى الجو الحقيقى لمصر فى عصر الجبرتى (٦).

كما يلحظ أخيرا، أن مخطوطة ليدن ليس لها مقدمة، ولا تحتوى على البسملة، وبدأه الجبرتى مباشرة بذكر اسم سلطان الدولة العثمانية «السلطان سليم بن مصطفى العثمانى»، وأسماء حكام مصر والشام وعكا، وأسماء أمراء مصر من المماليك وأتباعهم، وليس لها خاتمة، وانما أنهاها بقوله: «والحكم لله الواحد القهار» ويبدو من بدايتها أن عبد الرحمن الجبرتى كان يعتبرها من مقتنياته الخاصة وليست للتداول، نظرا لما تحتوى عليه من آراء لا يرضى عنها أهل عصره، ولو كانت معدة للتداول لالتزم فيها القواعد السائدة فى التأليف فى عصره، وهى البداية بالبسملة ووضع مقدمة وخاتمة.

غير أنه مما لا شك فيه أنه اعتمد عليها فيما بعد فى إخراج كتابيه: مظهر التقديس وعجايب الآثار، بعد أن حذف منها تلك الآراء الصريحة والأخبار التى تسىء إلى سمعة بعض الأشخاص، والواقع أن الجبرتى قد تغيرت آراؤه بتغيير الظروف والملابسات السياسية عندما أعاد كتابة فترة الحملة الفرنسية التى غيرت آراء الجبرتى، وهذا ما سوف نحاول التعرف عليه فيما يلى:

عقب جلاء الفرنسيين عن القاهرة فى صفر ١٢١٦هـ (يوليو ١٨٠١م) دخلت القوات

العثمانية مدينة القاهرة بقيادة الصدر الأعظم يوسف باشا ضيا، وعادت البلاد بذلك إلى حظيرة الدولة العثمانية مرة ثانية، بعد احتلال دام أكثر من ثلاث سنوات.

بدأ الجبرتى فى تصنيف كتاب «مظهر التقديس» على أثر خروج الفرنسيس من القاهرة فى أواخر صفر من عام ١٢١٦هـ، وانتهى منه كما يقول فى سلخ شعبان (آخره) من السنة نفسها، أى أنه استغرق فى ذلك حوالى ستة أشهر، وأهداه إلى الصدر الأعظم، فقال فى خاتمته: «ثم فى الختم به إيماءة إلى أن من ألف الكتاب باسمه وحليت ديباجته برسمه، وهو مولانا الوزير دام علاه وتحلت الأيام بوجودها فيه وبقاه.. ثم لسدته التى هى ملثم شفاه الإقبال، ومحط رحال أفاضل الرجال أهدى كاسد هذا التصنيف وخامل هذا الترصيف، فان لاحظه بعين القبول، وذلك هو المبتغى والمأمول، راج فى معالم الأدب سوقه وبطابع السعود لاح شروقه».

ويبدو من هذا الاهداء أن الكتاب ألف بإشارة من الصدر الأعظم، فأخذ بذلك طابعه الرسمى.

والكتاب من حيث اشتراك العطار فى تأليف يختلف بعض الشيء عما سجله الجبرتى فى يومياته الخاصة (مخطوطة ليدن)، فهو يحمل بذلك طابعا مزدوجا لمنهج المؤلفين (الجبرتى والعطار)، حيث نرى فيه اهتماما بالمحسنات اللفظية فى كثير من المواطن، وتضمن كثيرا من القطع الأدبية والشعرية، لأن العطار أديب وشاعر يأسره الأسلوب الأدبى، ويعبر عن الحوادث بشعر أخاذ، وعلى سبيل المثال، قال فى قصيدته التى أهداها إلى الصدر الأعظم:

لا رعى الله ما مضى من زمان
فيه سارت أسافل الأوغاد
واستبدت بملك مصر الفرنسيس
وعاثوا فيها بكل فساد
حل فيها منهم شياطين أنس
هم بقايا الهلاك من قوم عاد
شوهوا حسنها بأسود كفر
حين جاءوا بجيشهم كالجراد
واستباحوا الأموال والدم والـ
عرض وجاءوا بالخسر والإلحاد
ثم زالوا عنها سريعا وبادوا
وعليهم خزى المخاوف بادى
بقدوم الوزير دام علاه
مقدم الغيث حل محل البلاد
فاكتست مصر بهجة وسناء
وأماطت عنها ثياب الحداد

والكتاب من حيث تأليفه (برسم) الصدر الأعظم يعد بمثابة التاريخ الرسمى للحملة، فاشتمل على مقدمة ضافية حمل فيها الجبرتى المماليك وحدهم مسئولية وقوع البلاد تحت وطأة الاحتلال الفرنسى، وأرجع ذلك إلى تطرق الخلل إلى دولتهم بسبب ما ابتدعوه من المصادرات التى أفقرت البلاد، وإهمالهم تحصين الثغور حتى داهمها الفرنسيون. وأثنى على حكومة الدولة العثمانية

بقيادة سلطانها (الغازى سليم) التى «توجهت انتصارا للإسلام عزيمته وتسامت لاستنقاذ مصرمن أيدى أولئك الأشرار همته فوجه إليها بوجوه دولته وعساكر حمايته من كل رئيس بصير بأمور العواقب»، ورحب بعودة الجيش العثمانى بقيادة الصدر الأعظم «لأنه أزال دولة الكفار وجدد دولة الأخيار وعادت به بهجة مصر بعد انمحاقها وأشرقت شمس طلعته على آفاقها فانصلح بعد الفساد حالها».

ومن ثم كان طابع الكتاب الظاهر هو الإشادة بالدولة العثمانية، بالثناء عليها والحط من قدر المماليك الذين انحدرت جماعتهم، وأهملوا أمر الدفاع عن البلاد، ثم الحملة الشديدة على فترة الحكم الفرنسى الأجنبى للبلاد، وإظهار الفرج بزوالهم. وحذف كثيرامن المواقف التى ظن أنها تسىء إلى سمعة العلما أو تضعف من مركزهم أمام السلطات العثمانية العائدة.

والكتاب من ناحية ثالثة، يمثل تسجيلا أمينا لشعور المصريين وابتهاجهم لجلاء الفرنسيين عن البلاد، وتعليقات الجبرتى فيه تدل على كراهية ظاهرة لهذا الاحتلال، ومرد هذه الكراهية ما رآه من استيلاء دولة أجنبية لوطنه تختلف فى دينها وعاداتها وتقاليدها عن المصريين..

وتأصلت كراهية الفرنسيين فى نفسية الجبرتى بسبب فظائعهم التى ارتكبوها فى البلاد بسبب مقاومة الشعب لهم، وخاصة أنهم استهدفوا الأزهر بسخطهم، وانزلوا بأهله أشد ضروب الانتقام، وكانت أشد الفعال وقعا فى نفسية الجبرتى، هى دخول الفرنسيين الجامع الأزهر بخيولهم بعد قمع ثورة القاهرة الأولى (فى ليلة الثلاثاء ١٣ جمادى الأولى ١٢١٣هـ - ١٣ أكتوبر ١٧٩٨م)، يقول الجبرتى فى وصف هذا المشهد.

«ثم دخلوا أولئك الوعول إلى الجامع الأزهروهم راكبون الخيول.. وداس فيه المشاة بالنعالات، وهم حاملون السلاح والبندقيات وتفرقوا بصحنه ومقصورته وربطوا خيولهم بقبلته وعاثوا بالأروقة والحارات وكسروا القناديل والسهارات.. وشققوا الكتب والمصاحف وعلى الأرض طرحوها وبأرجلهم ونعالهم داسوها، وأحدثوا بالمسجد وبالوا وتغوطوا وشربوا الشراب وكسروا أوانيه وألقوها بصحنه ونواحيه، وكل من صادفوه به عروه ومن ثيابه أخرجوه».

ونلاحظ أن الجبرتى فى كتابه «مظهرالتقديس» يشير إلى الفرنسيين فى كثير من المواطن بقوله: «الكفار» يقول: «وان من أعظم الدلائل على ما رميت به مصر وحل به لأهلها تنوع البؤس والاصر بحلول كفرة الفرنسيس» وقوله عن الصدر الأعظم «أنه أزل دولة الكفر» و«عصابة الكفار» وقوله عنهم أيضا: «خسرة الكفار» ولا يذكر اسما لقائد من قوادهم الا مصحوبا بوصف مهين كقوله: «اللعين دبوى» و«التعس بونابرته» وغير ذلك من الأوصاف التى يلحظها من يتصفح الكتاب.

بيد أن الجبرتى عندما أعاد كتابة فترة الحملة الفرنسية مرة ثالثة فى كتابه الأخير «عجايب الآثار فى التراجم والأخبار» غير آراءه هذه، وحمل على الدولة العثمانية فى أحكامه واعتبرها مسئولة عن

الشقاء الذى عانى منه المصريون، ثم أثنى على الفرنسيين فى عدة مواضع، وكانت هناك ظروف وملابسات جعلت الجبرتى ينهج هذا المنهج الجديد، وهذا ما نحاول أن نوضحه فى النقطة الأخيرة من هذا البحث.

عقب جلاء الفرنسيين رزحت البلاد تحت وطأة عهد من الفوضى السياسية امتد من سنة ١٨٠١ ـ ١٨٠٥ ، فقد عاد الأتراك إلى مصر والفكرة المسيطرة على أذهانهم هى أنهم نظروا إليها على أنها فتح جديد، ولهم بفضل هذا الفتح أن ينهبوا ويسلبوا أرزاق المصريين ويسيئوا معاملة الشعب أبلغ إساءة، وانعكست هذه الفكرة على معظم تصرفاتهم فى البلاد عقب عودتهم، فقد عزلوا قاضى القضاة المصرى الشيخ أحمد العريشى الذى عينه الفرنسيون، وعينوا تركيا مكانه.

وطلب القاضى العثمانى الجديد من أرباب العقارات والأملاك أن يشتروها مرة ثانية من الدولة العثمانية، لأنها «صارت ملكا للسلطان لأن مصر قد ملكها الحربيون وبفتحها صارت ملكا للسلطان فيحتاج أن أربابها يشترونها من الميرى ثانيا» وعاد الفساد إلى القضاء مرة أخرى، وتدخل العساكر العثمانيون فى الدعاوى فكانوا يأخذون ضريبة لهم على الدعاوى الشرعية، وقال الجبرتى فى ذلك:

«وإذا تداعى شخص على شخص أو امرأة على زوجها ذهب معهم أتباع القلق إلى المحكمة ان كانت الدعوى شرعية فإذا تمت الدعوى أخذ القاضى محصوله ويأخذ مثله أتباع القلق على قدر تحمل الدعوى.

وتمادى العثمانيون فى سياستهم، فامتدت أيديهم إلى أموال الشعب، فراحوا ينهبون أرزاقه ويسيئون معاملته أبلغ اساءة.

وفى غضون ذلك بلغ التذمر الشعبى مداه بسبب خيبة الأمل التى منى بها الشعب، فقد كان ينتظر العدل والانصاف من العثمانيين المسلمين بعد جلاء الفرنسيين المسيحيين. وأعلن العلماء رفضهم للظلم أيا كان مصدره، سواء أكان مصدره الفرنسيون (أعداء الدين)، أم كان مصدره العثمانيون حماة الدين كما يدعون.

وبلغت موجة العداء للعثمانيين فى هذه الأثناء درجة كبيرة، جعلت علماء الأزهر يرحبون بمبعوث فرنسا (المسيو سباستيانى) (Sebastiani) الذى وصل القاهرة فى ٢٦ من اكتوبر ١٨٠٢م،وصارحوه بأنهم يتمنون عودة الحكم الفرنسى لمصر مرة أخرى.

فقد بادر المبعوث الفرنسى بعد وصوله إلى القاهرة بزيارة الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الأزهر فى بيته فى ٢٧ من أكتوبر، وعقد معه اجتماعا حضره عدد كبير من كبار العلماء، ودار الحديث حول اهتمام بونابرت بمصر، وأظهر العلماء فى كلامهم مقدار ما يكنونه لشخص بونابرت من محبة وود، وعلق سباستيانى على هذا الاجتماع فى تقريره إلى حكومته بقوله: «انه دهش مما أبداه المشايخ من شجاعة فى إعلان رغبتهم فى أن يصبحوا مرة أخرى رعايا القنصل الأول».

ويبدو من تقارير المسيو سباستيانى أن علماء الأزهر بدأوا يعيدون تقييمهم لفترة الحكم الفرنسى

لمصر، وبدأوا يقرون أن العدل يمكن أن يتأتى من الحاكم غير المسلم، وأن الحكام المسلمين ليسوا فى كثير من الأحيان عادلين

وقد ترجم الجبرتى عن هذا التغيير الجديد عندما أعاد كتابة تاريخ الحملة الفرنسية مرة ثالثة، وأخرج عنها الجزء الرابع من كتابه الضخم: «عجايب الآثار فى التراجم والأخبار» بعد أن أضاف إليها حوادث ما بين ١٢١٦هـ وسنة ١٢٢٠هـ (١٨٠١ ـ ١٨٠٥م)، ففى هذه الصياغة الأخيرة تظهر آراء الجبرتى المعتدلة، فقد أشاد ببعض أعمال الفرنسيين، وأبدى اعجابه ببعض نظمهم الحضارية؛ فى عدة مواضع من كتاب عجايب الآثار، وكان قد أغفل الإشارة إليها فى كتابه مظهر التقديس.

مثال ذلك اعجابه بتفوق الفرنسيين العلمي،وكان قد سجله فى مخطوطة ليدن «تاريخ مدة الفرنسيس بمصر ثم أشار إليه إشارة سريعة فى مظهر التقديس، ثم توسع فيه أخيرا فى عجايب الآثار.

وقد سجل الجبرتى منشور بونابرت الأول الذى أعلنه على الشعب المصرى فى يومياته الخاصة «تاريخ مدة الفرنسيس بمصر»، وفى «مظهر التقديس»، وعلق عليه بالنقد والتجريح لجميع ما فيه من أخطاء ومزاعم،وذلك تحت عنوان: «تفسير بعض ما أودعه هذا المكتوب من الكلمات المفككة والتراكيب الملعبكة». وهى التعليقات التى سبق أن أشرنا إليها، أما فى «عجايب الآثار» فقد حذف هذا النقد برمته.

ثم أثنى على تنظيمهم للديوان، واعطائهم مرتبات مجزية لأعضائه تغنيهم عن الارتشاء، فيقول فى ذلك «ورتبوا لكل شخص من مشايخ الديوان التسعة أربعة عشر ألف فضه فى كل شهر عن كل يوم أربعمائة نصف فضة وللقاضى والمقيد والكاتب العربى والمترجمين وباقى الخدم مقادير متفاوته تكفيهم وتغنيهم عن الارتشاء».

ولعل أوضح صورة لهذه المقارنة تظهر عندما نقارن ما كتبه الجبرتى عن حادثة مقتل كليبر ومحاكمة قاتليه ـ فى كلا المؤلفين: ففى (مظهر التقديس يورد خبرالحادثة موجزا، ولا يسجل محاضر التحقيق ولا محاضر جلسات المحاكمة التى نشرها الفرنسيون فى حينها.

أما فى (عجايب الآثار) فيورد هذه المحاضر بنصها العربى كما نشرت ويعلق عليها تعليقا يدل على اعجابه الظاهر بنظامهم القضائى وضبطهم الأحكام؛ فيقولك «وقد كنت أعرضت عن ذكرها (يعنى محاضر التحقيق) لطولها وركاكة تركيبها لقصورهم فى اللغة، ثم رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه إلى الإطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة (محكمة) ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين وكيف وقد تجرى على كبيرهم ويعسوبهم رجل آفاقى أهوج وغدره وقبضوا عليه وقرروه ولم يعجلوا بقتله وقتل من أخبر عنهم بمجرد الإقرار بعد أن عثروا عليه، ووجدوا معه آلة القتل مضمخة بدم سارى عسكرهم وأميرهم بل رتبوا حكومة ومحاكمة وأحضروا القاتل وكرروا عليه السؤال والاستفهام

مرة بالقول ومرة بالعقوبة ثم أحضروا من أخبر عنهم وسألوهم على انفراد ومجتمعين ثم نفذوا الحكومة (الحكم) فيهم بما اقتضاه التحكيم.. بخلاف ما رأيناه بعد ذلك من أفعال أوباش العساكر الذين يدعون الإسلام ويزعمون انهم مجاهدون وقتلهم الأنفس وتجاريهم على هدم البنية الإنسانية بمجرد شهواتهم الحيوانية مما سيتلى عليك بعضه بعد».

ويؤخذ من قول الجبرتي الأخير «مما سيتلى عليك بعضه بعد» أنه قد وضع لنفسه منهجا جديدا لبيان مفاسد النظام العثماني والمقارنة بينه وبين الحكم الفرنسي، وهذا ما أوضحه في تلك الصياغة الأخيرة لأحداث الحملة في كتابه «عجايب الآثار».

ويتضح من هذا العرض السريع؛ أن الجبرتي سجل أحداث الحملة الفرنسية بادى ذى بدء فى يوميات خاصة (مخطوطة ليدن) كان يحتفظ بها لنفسه، وكان فى هذا التسجيل الأول مؤرخا أمينا، يوجه النقد إلى جميع الأطراف بموضوعية ونزاهة، ولم تؤثر فيه عوامل المعاصرة كالرغبة فى التقرب إلى الحكام والرهبة منهم، أو التحرج من بعض الأشخاص ذوى النفوذ، أو من له بهم صلة، وهى الأمور التى ظهرت إلى حد كبير فى كتابه مظهر التقديس، وإلى حد ما فى «عجايب الآثار».



انظر: عبد الرحمن الجبرتي/ دراسات وبحوث. ص ٢٣٣ دراسة للدكتور مصطفى محمد رمضان. الهيئة العامة للكتاب. القاهرة١٩٧٦.

## هوامش الملحق ( ٢٦ )

(١) أشار الجبرتي إلى هذا المؤلف في مقدمة مظهر التقديس بقوله: «ولقد كنت سطرت ما وقع وحصل من الوقائع من ابتداء تملك الفرنسيس لأرض مصر إلى أن دخلها مولانا الوزير في أوراق منظومة في سلك الاجتماع والاتفاق وكثيرا ما كان يخطر ببالي وإن لم يكن ذلك من شأن أمثالي أن أجمع افتراقها ولبسها بالترصيف اتساقها ليكون ذلك تاريخا مطلعا للبيب على عجايب الأخبار وغرايب الآثار وتذكرة بعدنا لكل جيل». ويبدو من هذه الإشارة أن هذا المؤلف كان قطعاً في كراريس تشتمل كل قطعة منها على عدة أشهر، ولهذا فضلنا تسمية هذه المخطوطة التي نعرضها الآن باسم قطعة من يوميات الجبرتي.

انظر: «مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس» طبعة لجنة البيان العربي في مجلد واحد، تحقيق حسن جوهر وعمر الدسوقي، القاهرة ١٩٦٩ ص ١٤.

(٢) بذلك يكون الجزء الضائع هو غالبية تلك المخطوطة (من بداية شعبان ١٢١٣هـ حتى أواخر صفر ١٢١٦هـ) لأن هذه المدة هي التي حددها الجبرتي في كتابه «عجايب الآثار» فهو يقول: «فكانت مدة الفرنساوية وتحكمهم الديار المصرية ثلاث سنوات واحدى وعشرين يوما فانهم ملكوا برامبابة والجيزة وكسروا الأمراء المصرية يوم السبت تاسع عشر صفر سنة ثلاثة عشرة ومائتين وألف وكان انتقالهم ونزولهم من القلاع وخلو المدينة منهم وانخلاعهم عن التصرف والتحكم ليلة الجمعة الحادي والعشرين من شهر صفر سنة ست عشرة ومائتين وألف» وبذلك تكون المدة التي اعتبرها الجبرتي هي مدة إقامتهم بالقاهرة وضواحيها فقط، أما المدة من بداية احتلالهم الاسكندرية حتى جلائهم عنها فهي من ١٩ محرم ١٢١٣هـ إلى نهاية ربيع الثاني ١٢١٦هـ (٢ يوليو ١٧٩٨م - ٨ سبتمبر ١٨٠١).

(٣) باب الحديد: من أبواب سور القاهرة الصلاحية الشمالي التي شيدت في عصر السلطان صلاح الدين الأيوبي، وكان يعرف أيضا بباب المقس لوقوعه في قرية المقس التي كان يقال لها المقسم أو باب البحر لأنه كان يشرف على النيل، ثم عرف باسم باب الحديد لأنه كان مركبا عليه بوابة من الحديد، ونسب إليه ميدان باب الحديد (ميدان رمسيس الحالي) ، وإن هذا الباب يقع عند مدخل شارع فم البحر من جهة الميدان المذكور وقد هدم حوالي عام ١٨٤٧م.

(٤) باب البرقية: من أبواب سور القاهرة الصلاحية، ونسب إلى جنود برقة في الجيش الفاطمي، وقد عرف أيضا بباب الغريب، ولا يزال هذا الباب موجودا بأكمله، ومحتفظا بشكله الأصلي من الأساس إلى الشرفات.

(٥) الأصح أغا مستحفظان (يعني رئيسا لقوات حفظ الأمن بالقاهرة) أما منصب كتخدا (وكيل أول نائب) مستحفظان فقد عين به برتلمي اليوناني كما ذكر الجبرتي بنفس الصفحة.

(٦) يغير الجبرتي في أسلوبه عندما يترجم لأحد الأعلام؛ فنراه يتخير الألفاظ الجزلة ويلتزم السجع، فتبدو في كتابته الصنعة والمحافظة عن طابع الكتابة الذي كان سائدا في عصره.

كذلك كان حالة في أول كتابه عجايب الآثار عندما كان يعالج أحداث تاريخ مصر في عجالة مضغوطة.

## ملحق (٢٧)

يمكن أن نضع توزيعا جغرافيا للقبائل العربية فى أنحاء مصر تبعا لما ورد فى كتاب وصف مصر.. والوثائق والمصادر المعنية بالمنطقة.

### توزيع قبائل العربان

**الشرقية:**

الهنادى، النقيعات، أولاد موسى، البياضين، أولاد سليمان، العقايلة، بنى غازى، القطاوية، جهينة، بلى، الطميلات، وائل، بنو عطية.

بلبيس: العايد، الطحاوية ، البياضين، الحويطات، المعازة، العيايدة، مطير.

**البحيرة:**

أولاد على، الجمعيات، سمالو، الجوابيص، هوارة، الجوازى، الحرابى، الجويلى، غزالة، عرب الطارة.

**المنوفية:**

العيايدة، البراعصة، الجوابيص، الهنادى، الحويطات، النجمة ، طرهونة.

**القليوبية:**

العيايدة، الهنادى، المعازة، النجمة، الصوالح، الطرابين، الحويطات، بلى، العليقات، جهينة، الحبابية.

**الغربية:**

بنى عون، الضعفا، أولاد سليمان، الصهب، الحرابى، الفرجان.

**الجيزة:**

الطرابين، العيايدة، الصهب، الضعفا، النجمة، بنى حرام، بلى.

**الفيوم:**

الحويطات، سمالو، خويلد، الهنادى، البراعصة، الضعفا، الفرجان، الفوايد، هيثم.

**البهنسا:**

عرب خويلد، النجمة،عربان ابن وافى.

**بني سويف**

طرهونة، الطميلات، المعازة، الضعفا، الجوابيص، الهنادى، الجمعيات، الفوايد، المحارب، بنى واصل، العزايزى.

**أسيوط:**

هيثم، طرهونة، الجوازى، الجليلات، الجهمة، العمايم، عرب عايد، هوارة.

**المنيا:**

الفوايد، الجوازى، الفرجان ، الجليلات، المعازة، مطير، خويلد، الهوارة، بنى رايل، أبو كريم.

**قنا:**

الهوارة، المعازة، العيايدة، العوازم، الجعافرة، الصعب.

**أسوان:**

العيايدة، الجعافرة، العليقات.

**جرجا:**

العطيات، بلى، الصهب، العوازم، بنى واصل.

**منفلوط:**

عربان ابن وافى، عرب العطيات

**النطرون:**

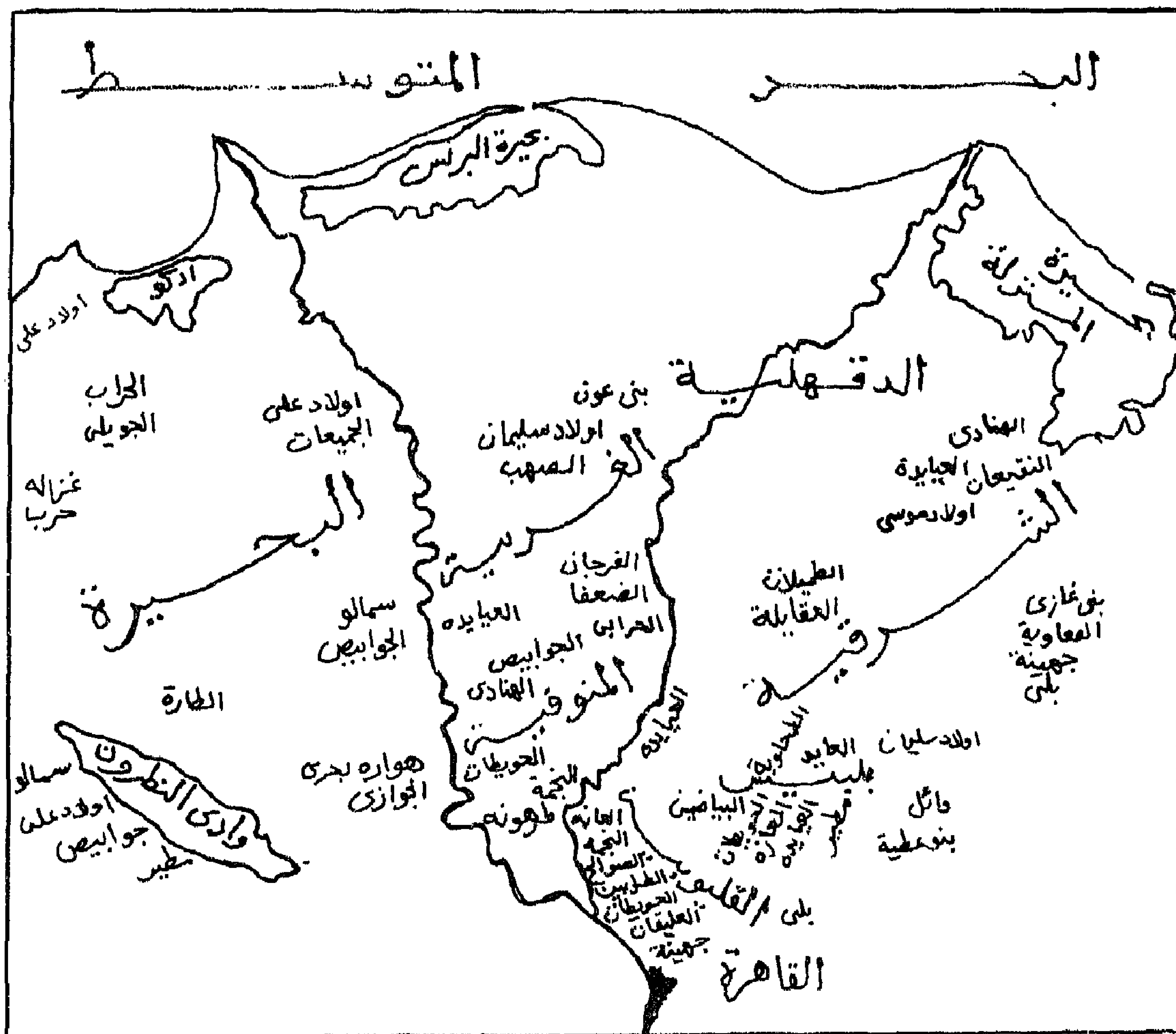
عرب السمالو، مطير، أولاد على، جوابيص.

**مرسى مطروح (الساحل الشمالى):**

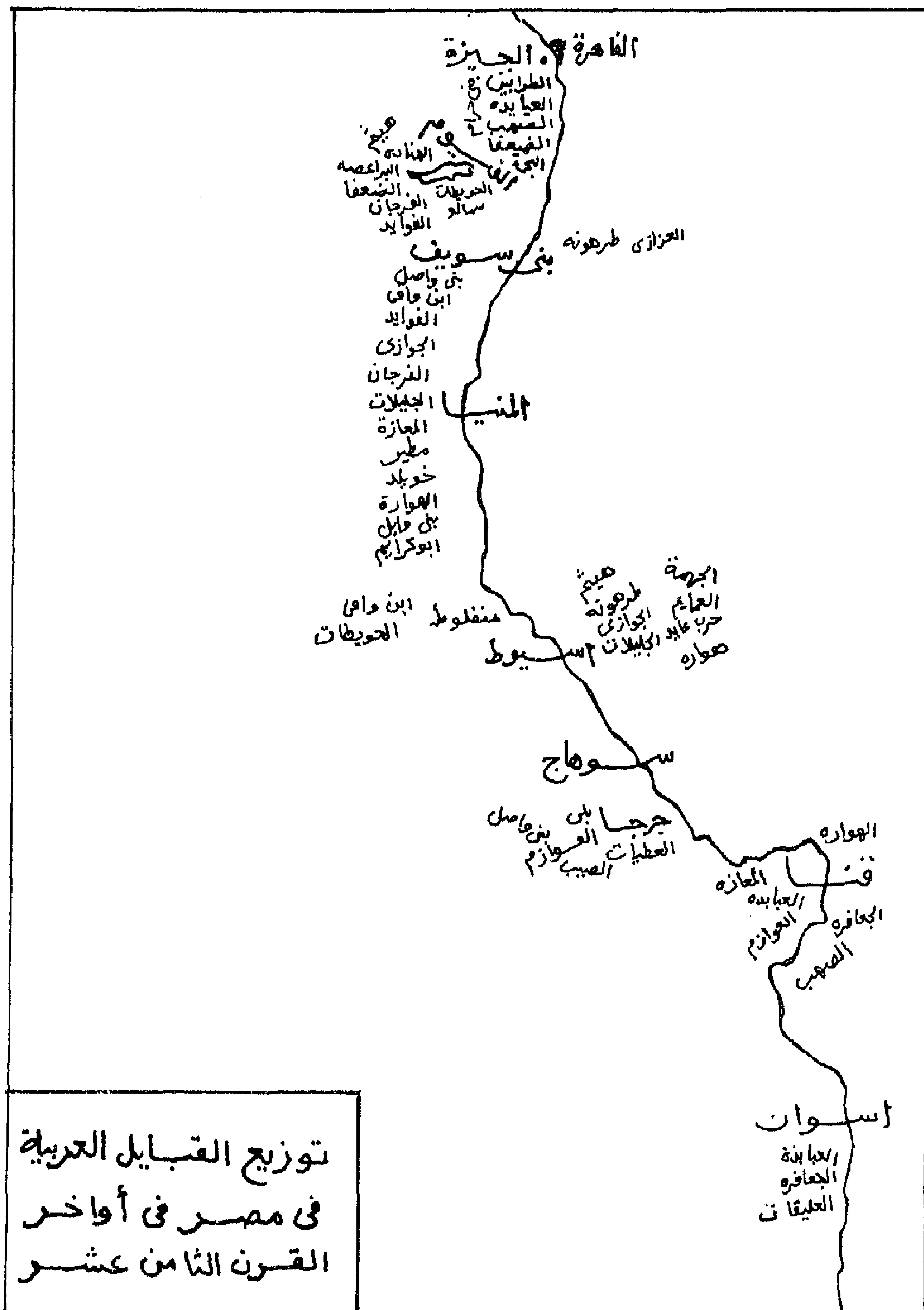
أولاد على، أولاد خروف، جمعيات ، جوابيص.

**طور سيناء:**

الجوازى، حويطات، صوالحة، عبابدة، طرابين.



الجبرتى/ ملحق (٢٧)


القاهرة
الجيزة
الطرابين
العبايده
الصهبب
الضعفا
الهنادى
البراعصه
الضعفا
الفرجان
الفوايد
الحويطات
سالم
العزازى
طرهونه
بنى سويف
بنى واصل
ابن وافى
الفوايد
الجوازى
الفرجان
الجبيلات
المنيا
المعازة
مطير
خويلد
الهوارة
بنى وايل
ابوكرايم
ابن وافى
الحويطات
منفلوط
هيثم
طرهونه
الجوازى
الجبيلات
الجهينة
العمايم
حرب
هواره
أسيوط
سوهاج
جرجا
بلى
بنى واصل
العوازم
العطيات
الصبيب
الهواره
قنا
المعازه
العبابده
العوازم
الجعافره
الصهبب
أسوان
العبابدة
الجعافره
العليقات
توزيع القبايل العربية في مصر في أواخر القرن الثامن عشر

# ملحق رقم (٢٨)

## نص رسالة مراد بك إلى الجنرال منو

صور ..............................................

جواب من حضرة أمير اللواء مراد بك أمير الحاج سابقا خطاباً إلى حضرة سارى عسكر عبد الله منو أمير الجيوش الفرنساوية مضمونه إن سألتم عننا فإنا طيبين بخير ولم نسأل إلا عنكم وغير ذلك أن حضر لنا جوابكم وعرفتونا بما حصل إلى حضرة محبنا العزيز صارى عسكر كليبر وهذا أمر الله تعالى لم أحداً بيده حيلة وأمر الله تعالى لابد عن نفاذه والذى سلط على قتله مثل واحد كبير زى ده لم هو شأن... ويبقا خاين وقليل المروة ولكن من قديم الزمان الخوانة لهم وكل احدا جزانه على الله تعالى وذكرتوا لنا فى جوابكم أن الجمهور سلموا لكم كامل الأمر والحكم وحصل لنا غايت الفرح والسرور لأن سابق بلغنا عنكم الأخبار الطيبة وشكرانية عن حضرتكم والناس جميعا يمدحوكم بكل خير وإحنا الآخرين حصل لنا فرح بذالك وزاد حبنا لطرفكم وإنشا الله تعالى يكون راحتنا على الله تعالى وعلى حضرتكم السعيدة وإننا على المحبة والشروط على ما هو عليه حكم الأول وإنشا الله تعالى تزيد المحبة والتوفيق وقبل تاريخه أرسلنا لكم جواب بصحبة الأمير إبراهيم كتخدا تابعنا وعرفنا الأمير إبراهيم كتخدا يعرف حضرتكم عن راحتنا وحضرتكم تتحملونا وتقبلوا عذرنا فى سنة تاريخه لأن حاصل لنا تعب من قبل المعايش والأمر إلى الله تعالى وإلى حضرتكم السعيدة وترسلوا لنا كامل أخباركم لأجل الطمأنينية عليكم والله تعالى يحفظكم.

فى ١٥ شهر صفر الخير سنة ١٢١٥

## ملحق رقم ( ٢٩ )

نص عريضة زعماء الأقباط إلى الجنرال منو

حضرة صارى عسكر العام

إن جنابكم من قبل ما فيكم من العدل والحلم والفطنة أرسلتم تسألونا بأن نوضح لكم ما نحن به من القهر فنحن قبل الآن لم نقصد كشف جراحنا التى كانت فى كل يوم تتسع شيا فشيا أولا تسليما للمقادير وعشما بكون كل واحدا منا يرجع لذاته ويحاسب نفسه تانيا خوفا من أن يقال عنا إننا نحب السجس [الظلم] ونواخد (نؤاخذ) بذلك من الحكام ثالث ليلا (لئلا) يتضح كأننا أخصام لأخواتنا وقاصدين الشكوى عليهم ولكن من حيث جنابكم أبو الجميع وطبيب الرعايا وقد زاد علينا الحال حتى ظهرنا من جملة العصاه على أوامركم وقد قاصصتمونا لذلك فاقتضى الحال أن نستغيث بكرسيكم تعيّنوابأمركم أناسا من أهل الفطنة خاليين الغرض ممن ترونهم أنتم يقعدوا فى ما بيننا ويتبصروا فى حال حسابنا وفى النهاية بعد أن يردوا الجواب لجنابكم لكم التبصر فى ما تأمرون به ومع ذلك فنرجوكم بأن لا تظنوا بكوننا قاصدين بعرضحالنا الشكوى على أحدٍ ام قصاصه بل قصاصنا نحن بوجه خاص إنكان (إن كان) يظهر كلامنا هذا بخلاف الواقع ثم إن هذا أمر يدركه أيضا خادمكم الخاص حضرة الجنارال يعقوب ومع ذلك لأجل طبعه الوديع محتار كيف يتصرف فى مثل هذه الدعوة والله تعالى يحفظكم.

من عند توابعكم المباشرين

ملطى وأنطون*

(*) كان ملطى من أكبر زعماء الأقباط أيام الحملة الفرنسية. وقد تولى فى عهد بونابرت رئاسة «محكمة القضايا» بالقاهرة، وهى تجمع بين اختصاصات المحكمة المدنية التجارية وإدارة الشهر العقارى وتتكون من اثنى عشر عضوا. وكذلك كان أنطون من كبار الأقباط وأكثرهم غنى وكان يعرف باسم «أبو طاقية».

# ملحق رقم ( ٣٠)

## الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر في سنة ١٨٠١

تأليف : محمد شفيق غربال

مطبعة المعارف/ ١٩٣٢/القاهرة.

فى الأيام الأولى من شهر يوليه سنة ١٧٩٨ نزل بأرض مصر جيش فرنسى يقوده نابليون بونابرت. ولم تكن هذه أول أغارة لهم عليها. ففى القرنين الثانى عشر والثالث عشر حاولوا امتلاكها، وتلاقت صفوة فرسانهم بمماليك مصر فى أكثر من موقعة.

وكان الفرنسيون فى تلك الأيام الغابرة ـ كما كان أهل الغرب عامة ـ أقل حضارة وإتقانا لفن الحرب كما مارسته العصور الوسطى، وكان الفارس من الفرنجة صورة سقيمة من المملوك الشرقى، فكانت عاقبة تلك الاغارات الفشل.

ومضت خمسة قرون تحول فيها فارس العصور الوسطى كما عرفه سان لويس وبيبرس إلى الرجل الغربى الذى سيعرفه مراد والألفى والبرديسى فى ١٧٩٨. خمسة قرون زال فيها النظام الإقطاعى وما ترتب عليه من طرق الحكم والحرب وعلاقات طبقات الأمة بعضها ببعض، خمسة قرون رأت انفصام وحدة الغرب الدينية والسياسية وظهور مناهج العلم الحديثة وطرق التنظيم السياسى والاقتصادى الجديدة. أما مماليك مصر فكانوا فى ١٧٩٨ كما كانوا فى ١٢٥٠ فى الحرب والتفكير أو كانوا على حال أسوأ بفقدان استقلالهم ودولتهم وما كانوا يجبونه من مكوس مفروضة على تجارة الشرق المارة فى أرضهم. كذلك أهل مصر لم يصلهم عن انقلابات الغرب إلا أضعف الأنباء وظلوا فى كل مقومات الحياة الوطنية حيث كانوا أباؤهم.

اصطدم المماليك فى صيف ١٧٩٨ بغرب غير الغرب الذى عرفوه أيام الحروب الصليبية. وسرعان ما رأوا أن لا أساس لما زعموه «من أنه إذا جاءت جميع الأفرنج لا يقفون فى مقابلتهم وأنهم يدوسونهم بخيولهم» (١) وتمكن الفرنسيون من احتلال مصر وحكم الفرنسيون مصر مدة تزيد قليلاً على ثلاثة أعوام. وقد تخللت هذه المدة محاولة من جانبهم لفتح الولايات السورية. وضيق عليهم أثناءها حصار بحرى انجليزى. وقام المصريون على حكمهم كلما أمكن ذلك. وأباد منهم الطاعون وغيره من الأمراض الوبائية عدداً لا يستهان به. وظل مراد ومماليكه ومن انضم إليه من عرب مصر والجزيرة العربية شهوراً عديدة ينازعونهم دارفور وسنار وفزان وبرقة وغيرهما من بلاد المغرب. ولم تطب للفرنسيين الإقامة بمصر فقد وجدوها دون ما توقعوا وشق عليهم البعد عن وطنهم وبخاصة بعد ما بلغهم من تألب الدول الأوربية من جديد ضد فرنسا وارغامها على التخلى عن فتوحها فى إيطاليا وغيرها. وحتى مصر نفسها، عرفوا معرفة أكيدة أن السلطان قد اعتزم الأ يتخلى عنها، وأرسل نحوها من ناحيتى البحر والشام جموعاً من جنده قد لا تكون قيمتها الحربية مما يأبه له الغربيون ولكنها، ولا بد، لها مع الزمن أثر.

لا بد من تذكر هذه الظروف عند الحكم على الاحتلال الفرنسى. ولابد إذن من الفصل بين أمرين مختلفين تماماً: الحكم الفرنسى كما كان والحكم الفرنسى كما يمكن أن يكون لو خلص مما انتابه من ظروف الحرب والفتن واتسع له الزمن ليجرى على أسس الاستعمار الحديث.

ولا يمكن الشك فى أن الفرنسيين لو خلص لهم ملك مصر لحكموها كما ينتظر من حكومة جمهورية قائمة على قواعد الثورة الفرنسية أتيح لها فى عصر بدأ فيه الانقلاب الاقتصادى الكبير أن تحكم قطراً زراعيًا خصبًا ذا مركز جغرافى فذ كوادى النيل وأمة ذات تاريخ مفعم بعبير الدهر كالأمة المصرية. لو خلص لهم حكم مصر لبذلوا جهداً صادقاً فى تنمية الموارد بتنظيم الرى وضبط النيل. وقد كتب بونابرت فى مذكراته فصلاً رائعا عن ضبط النيل بإنشاء سدين على فرعيه عند رأس الدلتا. ولو دامت مدتهم فى مصر لعملوا كل ما يستطيعون للاستفادة من مركز مصر الجغرافى، ولوصلوا بين البحرين الأبيض والأحمر - وكتاب وصف مصر يشتمل على الدراسات العلمية الأولى لهذا المشروع الخطير. واستعمار مصر كان لابد له أن يؤدى إلى اتساع النفوذ الفرنسى على ساحل البحر الأحمر وإلى ما وراء سيناء من ناحية فلسطين والشام. وأن يؤدى أيضًا للتقدم نحو منابع النيل وجعل مصر المدخل والمخرج لتلك الأرجاء الأفريقية الواسعة وحل اللغز الجغرافى القديم. وقد سجل تاريخ القرن التاسع عشر تحقيق الكثير من هذا على يد محمد على. مما يدل على أن خطط الحكومات ليست مما يستنبط من بطون الكتب ولا مما تجود به القرائح إنما هى مما يمليه الواقع الجغرافى ويكرره التاريخ فى أدواره المتباينة.

ولو دام الاحتلال الفرنسى لسلك نحو المصريين مسلكا يكون من أثره تحسين كثير من أحوالهم ثم يعمد بعد هذا التحسين إلى أبطال النمو - أو إلى أبطاله فى بعض النواحى وتوجيهه فى الاتجاه الذى يريد. ولم يكن بد من اهتمام الفرنسيين بهذا التحسين الأبتر بحكم الإنسانية المشتركة وبحكم منفعتهم: يُقَاوم الأوبئة بإنشاء المستشفيات وما تستلزمه من مدارس الطب والمحاجر الصحية حفظًا للقوى العاملة فى الإنتاج الزراعى الذى يغذى الخزانة العامة ويمون التجارة، ومنعاً لانتقال المرض إلى الفرنسيين. يصلح الأداة الحكومية وينوع الإدارات صيانة للأمن وضبطًا للأموال العامة. ويستلزم هذا إصلاح نظام الجباية ونظام الضرائب. ويتبعه إلغاء الالتزام واستقرار ملكية الفلاح للأرض. يفتح الأبواب لرؤوس الأموال الفرنسية ولنظم التجارة والمعاملات الغربية. ويؤدى هذا لتنظيم القضاء على أساس غربى ولدخول التجارة والمعاملات الغربية. ويؤدى هذا لتنظيم القضاء على أساس غربى ولدخول القوانين الغربية: ويعنى بإعداد طائفة من أبناء البلاد تسد حاجة الإدارة من صغار الموظفين. ولو دام الاحتلال الفرنسى لاعتمد بعض الاعتماد فى الدفاع عن البلاد على جيش وطنى من أبنائها.

ولو دام الاحتلال الفرنسى لاحتاط أشد الحيطة فى كل ماله علاقة بالتفكير الدينى من المسائل

الاجتماعية وموضوعات البحث العلمى. فالحاكم الغربى يحب أن تكون قواعد الإنتاج الاقتصادى غربية صرفة لأن هذه القواعد تزيد الإنتاج والزيادة مما يهمه. ولكنه يكره من المحكومين الشرقيين الانقلاب الاجتماعى والبحث العلمى الحر. وذلك لأسباب: منها حرصه على أن لا يظهر للعامة فى مظهر الهادم للعادات المشجع على التحرر من قواعد الدين ومنها ظنه أن تلك الانقلابات لابد وأن تؤدى فى النهاية إلى الرغبة فى الاستقلال. ومنها الميل إلى المحافظة على المظاهر الشرقية من قبيل الاحتفاظ باللطائف والتحف.

والمتأمل فى أحوال الأمم الإسلامية فى الوقت الحاضر يتحقق صدق ما ذهبنا إليه. فانه يجد أن أشد هذه الأمم تطرفاً فى الهدم والتغيير الأمة التركية العثمانية والأمة الفارسية وهما الأمتان اللتان تخلصتا تخلصاً تامًا من حكم الغرب السياسى.

أما عن نظام الحكم فالمنتظر من الاحتلال الفرنسى لو أن أيامه دامت أن يبقى حكم القرى على ما عرفته مصر فى عصورها المختلفة فى أيدى العمد والمشايخ، وأن يعهد للفرنسيين فى إدارة الأقاليم وأن تسود المركزية الشديدة. وأن يبقى الفرنسيون على الدواوين التى أنشأها فعلاً بونابرت ولم يرم بها إلى خلق النظام البرلمانى كما توهم البعض فبونابرت لم يكن مما يعجبون به أو يرتضيه لفرنسا دع عنك مصر. بل رمى بها إلى إنشاء وسائل تمكنه من الاتصال بالزعماء المصريين وتفهم ما يجرى فى نفوسهم وتفهيمهم حقيقة مشروعاته ونواياه حتى لا يبقى مجال لدس الدساسين ولا لسوء الفهم.

هذا بعض ما نتصوره عن تطور الحكم الفرنسى فى مصر لو استقام للفرنسيين أمرها. وليس هذا التصور مما يخلو من الفائدة التاريخية أو مما لا يقوم على أساس من الواقع. فأكثره مستمد مما كتبه بونابرت وغيره من نواياهم ومما شرعوا فى تحقيقه فعلاً ومما رأيناه من طرق الحكم الفرنسى فى غير مصر لكن الزمن لم يتسع لتحقيق ما صورناه. ووجد القواد الثلاثة الذين تعاقبوا على حكم مصر - بونابرت وكليبر ومينو - أنفسهم مضطرين لتوجيه كل جهدهم للتغلب على الأخطار الداخلية والخارجية المحدقة بجيشهم وحكمهم. ولم يكن ما قام به أولهم بونابرت وثالثهم مينو من التجارب الإدارية الأداة الحقيقية لحكم البلاد ولم تتغير فى أيامهم كلها طرق الجباية ولا الضرائب ولا العمال. بل ظلت كما كانت أيام المماليك ولذلك لم تكن الأعوام الثلاثة التى قضاها الفرنسيون فى حكم مصر عهداً سعيداً لسكانها. حقيقة أن المصريين اعتادوا قبل قدومهم الانقلابات السياسية: اعتادها أهل الريف وأهل الحواضر، وعرفها بصفة خاصة أهل القاهرة. وكانت الانقلابات التى عرفوها مما يصحبه الشيء الكثير من اختلال الأمن وضروب العنف والتعسف وأعادة الطلب عليهم فيما أدوه من الضرائب والمغارم. إلا أن هذه الانقلابات كلها كانت على نمط واحد. لا يأتى واحد منها بجديد ولا يصطدم بمألوف لديهم: فمثلاً يتغلب علىّ بك الكبير على خصومه ويحكم البلاد كما حكمها

خصومه؛ ثم يتغلب عليه أبو الذهب ويحكم كما حكم عليّ وهكذا دواليك.

ولم يكن للمصريين من نصيب فى هذه الانقلابات إلا عمال الإدارة المالية من الأقباط ورؤساء القبائل العربية والشيوخ من العلماء: فالفريق الأول بحكم اضطرار الأمراء جميعاً لاستخدامه، يعمل للمنتصرين كما عمل للمنهزمين. ورؤساء العربان بسبب قوتهم الحربية قد يرجحون كفة طائفة من الأمراء على كفة خصومها. والشيوخ العلماء بحكم تصدرهم ونفوذهم فى الناس وتحليهم بصفات الفضل والاعتدال. يلجأ إليهم الناس للوساطة فى رفع الحيف إذا ضاقوا به ذرعًا. وقد يحتكم إليهم المتخاصمون من الأمراء. وكان تدخل الشيوخ عادة لرفع الضيم واحلال الوئام محل الخصام أو للتخفيف من عنف الانقلابات.

أما الحكم الفرنسى فكان انقلاباً من نوع لم يعرفه المصريون. إذا لما زال حكم مراد وإبراهيم حل محلهما بونابرت ولم يكن مسلماً ولا مملوكا. ومهما قيل فى قلة تدين الفرنسيين فى تلك الأيام فهم غير مسلمين قد تصل بهم الضرورة الحربية أو ما ظنوه الضرورة الحربية إلى انتهاك الحرمات الإسلامية.

كذلك ترك الوالى العثمانى مصر عند الاغارة الفرنسية وزال بغيابه مظهر التبعية للسلطان العثمانى خليفة المسلمين وسمع المصريون عن تبعية بلادهم لدولة غربية فرنجية سمّى لهم نظامها السياسى بأسماء شتى لا تدلهم تجاربهم السياسية على معانيها فنشر عليهم منشور «من طرف الفرنساوية المبنى على أساس الحرية والتسوية»[٢] وأرّخت لهم الحوادث بشهور غريبة من سنين تبدأ «من انتشار الجمهور الفرنساوى»[٣].

وكانت للفرنسيين طرقهم فى مخالطة النساء. وكانت هذه الطرق مما تكرهه الخاصة كرهاً شديداً. وأدى انتشار العسكر فى أنحاء المدن والأقاليم، وتشتت شمل أسرات الأمراء وانطلاق جواريهم عقب تركهم القاهرة، إلى ضروب غير مألوفة من الفساد والرذيلة.

جاء فى الجبرتى فى حوادث ربيع الأول سنة ١٢١٤ «وفى يوم الاثنين رابع وعشرينه كان وفاء النيل المبارك..... ووقع فى تلك الليلة بالبحر وساحله من الفواحش والتجاهر بالمعاصى والفسوق ما لا يكيف ولا يوصف وسلك بعض غوغاء العامة وأسافل العالم ورعاعهم مسالك تسفل الخلاعة ورزالة الرقاعة بدون أن ينكر أحد على أحد من الحكام أو غيرهم بل كل إنسان يفعل ما تشتهيه نفسه وما يخطر بباله وإن لم يكن من أمثاله.

إذا كان رب الدار بالدف ضارباً

فشيمة أهل الدار كلهم الرقص

وجاء فيه أيضاً فى ختام حوادث سنة ١٢١٥: «ومنها تبرج النساء وخروج غالبهن عن الحشمة والحياء وهو أنه لما حضر الفرنسيس إلى مصر ومع البعض منهم نساؤهم كانوا يمشون فى الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه .... ويركبن الخيول والحمير ويسوقونها سوقاً عنيفاً مع الضحك

والقهقهة ومداعبة المكارية معهم وحرافيش العامة فمالت إليهم نفوس أهل الأهواء من النساء الأسافل والفواحش فتداخلن معهم لخضوعهم [أى الفرنسيين] للنساء وبذل الأموال لهن وكان ذلك التداخل أولاً مع بعض حشمة وخشية عار ومبالغة في إخفائه. فلما وقعت الفتنة الأخيرة وحاربت الفرنسيس بولاق وفتكوا فى أهلها وغنموا أموالها وأخذوا ما استحسنوه من النساء والبنات صرن مأسورات عندهم فزيوهن بزى نسائهم وأجروهن على طريقتهن فى كامل الأحوال فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالمرة وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من النساء الفواجر. ولما حل بأهل البلد من الذل والهوان وسلب الأموال واجتماع الخيرات فى حوز الفرنسيس ومن والاهم وشدة رغبتهم فى النساء وخضوعهم لهن وموافقة مرادهن وعدم مخالفة هواهن ولو شتمته أو ضربته بتاسومتها فطرحن الحشمة... واستملن نظراءهن (لمخالطة الفرنسيين)... وخطب الكثير منهم بنات الأعيان.. فيظهر حالة العقد الإسلام... لأنه ليس له عقيدة يخشى فسادها وصار مع حكام الأخطاط منهم النساء المسلمات متزييات بزيهم ومشوا معهم فى الأخطاط للنظر فى أمور الرعية... وتمشى المرأة بنفسها أو معها بعض أترابها على مثل شكلها وامامها القواسة والخدم وبأيديهم العصى يفرقون لهن الناس مثل ما يمر الحاكم ويأمرن وينهين فى الأحكام... ولما أوفى النيل أذرعه ودخل الماء إلى الخليج وجرت فيه السفن وقع عند ذلك من تبرج النساء واختلاطهن بالفرنسيس ومصاحبتهم لهن فى المراكب والرقص والغناء والشرب فى النهار والليل فى الفوانيس والشموع الموقدة وعليهن الملابس الفاخرة والحلى والجواهر وصحبتهم آلات الطرب وملاحو السفن يكثرون من المجون والهزل. وخصوصا إذا دبت الحشيشة فى رؤوسهم وتحكمت فى عقولهم فيصرخون... ويتجاوبون بمحاكاة ألفاظ الفرنساوية فى غنائهم وتقليد كلامهم الشيء الكثير. وأما الجوارى السود فانهن لما علمن برغبة القوم فى مطلق الأنثى ذهبوا إليهم أفواجا فرادى وأزواجا فنططن الحيطان وتسلقن إليهم الطيقان ودلوهم على مخبآت أسيادهم وخبايا أموالهم ومتاعهم وغير ذلك».

وفى أيام الاحتلال الفرنسى حَرَّر غيرُ المسلمين من وطنيين وأجانب أنفسهم من قيود مختلفة من المذلة كان المسلمون يعدونها إذ ذاك شرطًا من شروط بقاء الإسلام. وقد عرف بونابرت ما فى هذا التحرر من إساءة للشعور الإسلامى وبَيَّن فى مذكراته تقديره أهمية هذا الأمر بيانًا واضحاً فقال: «لا فائدة فى إظهارنا الاحترام العميق للدين الإسلامى إذا كنا نسمح للأقباط والروم والمسيحيين الغربيين بقدر من التحرر يغير من منزلتهم الماضية. وقد أردت أن يكونوا أكثر خضوعاً وأكثر احتراماً لكل ما يتعلق بالإسلام وبالمسلمين مما كانوا فى الماضى». نجد فى الجبرتى تأييداً لصدق هذه الرغبة. فيذكر فى حوادث رمضان سنة ١٢١٣ «رجوع نصارى الشوام إلى لبس العمائم السود والزرق والى ترك لبس العمائم البيض والشيلان الكشميرى الملونة والمشجرات وذلك بمنع الفرنسيس لهم من ذلك ونبهوا (أى الفرنسيون) أيضًا بالمناداة فى أول رمضان بأن نصارى البلد

يمشون على عادتهم مع المسلمين أولاً ولا يتجاهرون بالأكل والشرب فى الأسواق ولا يشربون الدخان.....»

لم تستمر الحالة على ذلك. ولم يكن استمرارها مما يمكن فى ظل حكم غربى جمهورى شعاره المساواة والحرية الدينية. وما كانت الاعتبارات السياسية لتستطيع محو هذا الشعار تمامًا. هذا إلى حاجة الاحتلال الفرنسى لغير المسلمين: لأموالهم ودرايتهم بأحوال البلاد ونظمها وعادات أهلها ولا مكان الوثوق بهم يفضل اتفاق المنافع.

فعاد غير المسلمين إلى ما عبر عنه الجبرتى بقوله: (ومن الحوادث) ترفع أسافل النصارى من القبط والشوام والأروام واليهود وركوبهم الخيول وتقلدهم بالسيوف بسبب خدمتهم للفرنسيس ومشيهم الخيلاء وتجاهرهم بفاحش القول واستذلالهم المسلمين....(٤)».

ولم يكن للحكم الفرنسى فى مدته القصيرة، وفى ظروف الحرب والفتن الملابسة له، من المآثر ما يحمل الخاصة والعامةمن أهل مصر على الاغضاء عما صحبه من الانقلاب الاجتماعى. فقد كان حكمًا عسكريًا شديدًاعنيفًا. ولم يكن الإصلاح الذى فكر فيه الفرنسيون، وما استحدثوه من الدواوين وغيرها، والبحث العلمى الذى شرعوا فى إقامة قواعده مما يجتذب إليهم المحكومين إلا بعد زمن طويل. ذلك لأن النظم الحكومية التى اعتادها المصريون وغيرهم من أهل الشرق فى آخر القرن الثامن عشر كانت ترمى لأغراض ثلاثة أساسية: جمع الأموال المفروضة، والأيدى العاملة اللازمة للأعمال العامة، واستتباب الأمن. وفيما عدا هذه الأمور الثلاثة لا تتدخل الحكومة فى أحوال الرعية؛ بل تدع كل ما لا يتعلق من هذه الأحوال بأغراضها تنظمه الجماعات أو لا تنظمه كما جرت به العادات. وإذا شئنا اجمال وصف ما اختص به نظام الحكم المملوكى، قلنا أنه يمتاز بقلة التدخل الحكومى كما نفهمه الآن وبالعنف والتعسف. ويجب ألا يحملنا ما نراه من جنوح الحكام لهذا العنف والتعسف إلى تصور نظم الحكم على غير ما صورناها من ترك الرعية وشأنها فى ما لم يتعلق بأغراض الحكومة الأساسية. ويجب كذلك ألا يحملنا ما نسمع عنه من الظلم على الظن بأنه لم تكن أمام المحكومين وسائل مختلفة لتجنبه أو لتخفيفه. فان ارتباك الإدارة الذى نجم عن الانقلابات المتتابعة، وسوء ذمة العمال، وفوضى السجلات، وما إلى ذلك فتح للرعية أبواب الخلاص من الفرض المختلفة سواء منها الشرعية وغير الشرعية.

لا ننتظر إذن أن يرحب المصريون فى ١٧٩٨ بالتدخل الحكومى وبما يصحبه من النظم الدقيقة. ولا أن يعدوها ـ كما نعدها الآن ـ ضمانًا لحقوقهم. لأنهم على العكس كرهوا ضبط الدفاتر، واعتبروه اشتطاطًا فى الطلب، ولم يروا فيما اتخذته الحكومة من الوسائل لمنع الأمراض، كتخطيط المدن من جديد، ومنع الدفن فيها حيثما اتفق، وكنس الطرقات، وعزل المرضى عن الأصحاء إلا استبدادًا لا يطاق وفضولاً لا يفهم.

كره المصريون الحكم الفرنسي وقاوموه. ثار أهل القاهرة ثورتين عنيفتين، وقام الفلاحون فى الأقاليم كلما أتيحت لهم فرصة. وقد ذكرنا من الأسباب ما يكفى لتفسير هذا الكره دون أن نلجأ إلى تعليله بانتحال تعبيرات من تاريخ الغرب فى القرن التاسع عشر. والتاريخ الصحيح لا يجد فى الفتن الشعبية بالقاهرة والأقاليم إلا باعثًا إيجابيًا واحدًا، هوالرغبة فى العودة لما ألفه الناس. ولا يمكن تسمية ما ألفوه استقلالاً. إنما اسمه الوحيد حكم المماليك تحت السيادة العثمانية.

وصفنا الفتن بأنها كانت شعبية. كرهها كبار العلماء دون أن يحبوا الحكم الفرنسي وحاولوا أن يقوا الناس أذى بطش الفرنسيين جهد استطاعتهم. فكان موقفهم فى أيام الاحتلال الفرنسي هو نفس موقفهم فى الانقلابات الماضية إلاَّ أن منهم ومن كبار الخاصة من عمل على التخلص من الحكم الفرنسى وإعادة الحالة التى سبقته. يذكر التاريخ مثلاً السيد عمر مكرم الذى ترك مصر عند الاحتلال الفرنسي واشترك فى ثورة القاهرة الثانية عند قدوم الجيش العثمانى لتسلم البلاد من الفرنسيين بحسب اتفاق العريش. وكان للسيد عمر فيما بعد نصيب فى قيام العامة على خورشيد باشا الوالى العثمانى وتنصيب محمد على واليًا على مصر. وجرى له أثناء هذه الحوادث حديث مع مندوب خورشيد باشا ينص على حق الرعية فى مقاومة الظلم(٥) . ولكن لا يمكن وصف جهود السيد عمر لإخراج الفرنسيين من مصر وتسليمها للسلطان سعياً لاستقلال مصر. والظاهر أن السيد عمر كان على جانب من علو الهمة وقوة الشخصية بعثه على العمل للنفوذ السياسى. وقد رأى عاقبة أطماعه لما حاول أن يتحكم فى محمد على كما تحكم فى خورشيد من قبل. فذاق النفى عن القاهرة وانتهاء حياته السياسية(٦).

وكان السيد أحمد المحروقى ممن ظهر أيضًا فى فتنة القاهرة الثانية. ولكنه لم يتصف بصفات الزعامة التى ظهرت فى السيد عمر مكرم مثلاً. بل كان رجلاً من رجال المال من نمط فوكيه ومن يماثله فى أيام الملكية الفرنسية. وأصدق وصف له قول البرديسى له «مثلك من يخدم الملوك»(٧).

وظهر فى هذه الفتنة أيضا السيد السادات. وكان من أكثر العلماء نفورًا من الفرنسيين وما أحدثوه، ومن أشدهم سعياً لاعادة الحكم العثمانى. ثم تبين له خطؤه عند فرار الجيش العثمانى بعد هزيمته فى واقعة المرج أو هليوبوليس وترك رجال الدولة العثمانية أهل القاهرة وشأنهم مع الفرنسيين بعد أن أثاروهم وحمسوهم. فكتب لعثمان كتخدا الدولة كتاباً جاء فيه: «ألزمتهم الغنى والفقير والكبير والصغير إطعام عسكركم الذى أوقع بالمؤمنين الذل وبلغ فى النهب غاية الغايات فكان جهادكم فى أماكن الموبقات والملاهى... أخفتم أهل البلد بعد أمنها وأشعلتهم نار الفتنة ثم فررتم فرار الفيران من السنور(٨).

وتبين لأهل القاهرة بعد هذه الفتنة كما سيتبين لهم بعد جلاء الجيش الفرنسى أنهم كانوا مخدوعين فى قيامهم على الحكم الفرنسى من أجل العثمانيين. وأنهم كانوا فى فتنتهم ضحية

«الدجاجلة» كما سماهم الجبرتى الذى اختص منهم رجلاً مغربياً لا ناقة له فيها ولا جمل. يدعو للجهاد ويحرص على الابتعاد عن مواطن القتال، يهدد من يتكلم فى الصلح برمى العنق ولا يأكل إلا الدجاج[٩].

وإذن فلا يرى التاريخ الصحيح فى موقف العامة وزعمائها وأهل الرأى فيها أثراً لفكرة الاستقلال الوطنى. ولا يسجل إلا لمصرى واحد من أهل هذا العصر فضل اعتبار الاحتلال الفرنسى لا فترة نحس يُرْجى زوالها وعود ما سبقها. بل بدء حياة جديدة لمصر والمصريين مهدت لها الحملة الفرنسية بقطع التبعية العثمانية وهدم قوة المماليك. ذلك المصرى هو المعلم يعقوب حنا[١٠] : موضوع هذه الرسالة.

لا أحب أن أغلو فأزعم أن يعقوب فَهِم تمامًا كل الاحتمالات التى انطوى عليها هدم النظم القائمة فى مصر وحكم أمة غربية لها أو أنه تحول فى هذه الأشهر القليلة التى قضاها مخالطًا للفرنسيين من جابٍ من جباة الأموال نشأ ودرج فى بيت من بيوت الأمراء المماليك فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر إلى داعٍ من دعاة الحركات الوطنية التى يعرفها الغرب فى القرن التاسع عشر. بل أجد يعقوب يحتفظ حتى بعد مخالطة الفرنسيين ببعض صفات الجباة وعمال الإدارة المالية من أبناء طائفته فى ذلك الوقت[١١]. ولكنه رغم ذلك تأثر تأثراً بيناً باتصاله بالفرنسيين وبالغرب وكوّن رأياً خاصًا عن حكمهم لمصر وما يمكن أن يؤدى إليه ولا يشاركه فى هذا الرأى الزعماء من أبناء طائفته (وقد خدموا الاحتلال الفرنسى كما خدموا الانقلابات السابقة) ولا أهل الرأى من مواطنيه المسلمين (وقد شرحنا موقفهم من الحكم الفرنسى).

يرد ذكر يعقوب فى تاريخ الجبرتى فى أكثر من موضع. ويرد ذكره فى كل هذه المواضع مقروناً بأعمال تمنع القارىء من أن يظن به خيراً وتمثله فى صورة المتفانى فى خدمة الاحتلال الفرنسى.

يذكر الجبرتى عنه تأييده الحكم الفرنسى أثناء ثورة القاهرة الثانية بينما الرويسا الأقباط الآخرون بما فيهم أكبرهم جميعاً جرجس جوهرى يدارون الثوار ويمدونهم بالمال واللوازم صيانة لأرواحهم لا عطفاً على حركتهم. «أما يعقوب ـ كما سجل الجبرتى فى حوادث شوال سنة ١٢١٤ ـ فانه كرنك فى داره بالدرب الواسع جهة الرويعى واستعد استعداداً كبيراً بالعسكر والسلاح وتحصن بقلعته التى كان شيدها بعد الواقعة الأولى (أى ثورة القاهرة الأولى أيام بونابرت) فكان معظم حرب حسن بك الجداوى معه».

ويرد ذكره أيضًا فى وصف ما حاق بأهل القاهرة من الشدة فى جمع الغرامة المالية التى ضربها عليهم كليبر بعد اخماده الفتنة فيقول الجبرتى فى حوادث ذى الحجة سنة ١٢١٤ : «وكل كليبر يعقوب يفعل فى المسلمين ما يشاء».

زاد نفوذ يعقوب فى الأيام التالية لفشل الثورة فى القاهرة. والسابقة لقتل كليبر. ـ زهو الأقباط وخيلاؤهم ـ أو على الأقل زهو من كان يعمل للحكومة الفرنسية منهم. وترى امتعاض المسلمين ظاهراً فى الجبرتى فى أكثر من موضع: «منعوا

المسلمين من ركوب البغال سوى خمسة أنفار وهم الشرقاوى والمهدى والفيومى والأمير وابن محرم، والنصارى المترجمين وخلافهم لا حرج عليهم وفى كل وقت[١٢]». وأيضاً، «وتطاولت النصارى من القبط والشوام على المسلمين بالسب والضرب ونالوا منهم أغراضهم وأظهروا حقدهم ولم يبقوا للصلح مكاناً وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين»[١٣]. وبيّن الجبرتى أن تعسف الفرنسيين فى الطلب كان بارشاد القبطة.. «لأنهم هم الذين تقلدوا المناصب الجليلة وتقاسموا الأقاليم والتزموا لهم بجمع الأموال ونزل كل كبير منهم إلى إقليم وأقام بسرة الإقليم مثل الأمير الكبير ومعه عدة من العساكر الفرنسية وهو فى أبهة عظيمة وصحبته الكتبة والصيارف والأتباع والأجناد من الغز (أى المماليك) البطالة وغيرهم، والخيام والخدم والفراشون والطباخون والحجاب وتقاد بين يديه الجنائب والبغال والرهوانات والخيول المسمومة والقواسة والمقدمون وبأيديهم الحراب المفضضة والمذهبة والأسلحة الكاملة والجمال الحاملة ويرسل إلى ولايات الإقليم من جهة المستوفين من القبط أيضاً بمنزلة الكشاف ومعهم العسكر من الفرنسية والطوائف والجاويشية، والصرافين والمقدمين على الشرح المذكور فينزلون على البلاد والقرى ويطلبون المال والكلف الشاقة بالعسف ويؤجلونهم بالساعات فإذا مضت ولم يوفوهم المطلوب حل بهم ما حل من الحرق والنهب والسلب وخصوصاً إذا فر مشايخ البلدة من خوفهم وعدم قدرتهم وإلاّ قبضوا عليهم وضربوهم بالمقارع والكسارات على مفاصلهم وركبهم وسحبوهم معهم فى الحبال وأذاقوهم أنواع النكال، وخاف من بقى فصانعوهم وأتباعهم بالبراطيل بما يستميلون قلوبهم به وما يستجلبونه لهم من المنافع والمظالم، وأجهدوا أنفسهم فى التشفى من بعضهم وما يوحيه الحقد والتحاسد الكامن فى قلوبهم إلى غير ذلك مما يتعذر ضبطه وما كنا بمهلكى القرى إلاّ وأهلها ظالمون[١٤]».

ويصف الجبرتى اهتمام يعقوب بتحصين القاهرة عند اقتراب العثمانيين منها للمرة الثانية، فى الأيام الأخيرة من العهد الفرنسى. فيقول فى حوادث المحرم سنة ١٢١٦: «فى عشرينه توكل رجل قبطى يدعى عبد الله من طرف يعقوب يجمع طائفة الناس للعمل فى المتاريس فتعدى على بعض الأعيان وأنزلهم من على دوابهم، وسب وضرب بعض الناس على وجهه حتى أسال دمه، فتشكى الناس من ذلك القبطى وأنهوا شكواهم إلى بليار قايمقام فأمر بالقبض على ذلك القبطى وحبسه بالقلعة. ثم فردوا «كذا» على كل حارة رجلين يأتى بهما شيخ الحارة، وتدفع لهما أجرة من شيخ الحارة».

«ولم يكتف بكل هذا. بل نظم جيشًا من الأقباط يخدم فى صفوف الفرنسيين. وكان هذا التنظيم على نفقته الخاصة فقد كان يعقوب صاحب مال لأنه لم ينس أن يجمع لنفسه عندما جمع للفرنسيين. وقلده كليبر قيادة هذا الجيش ملقبًا إياه بلقب أغا. وفى عهد قيادة مينو رُقى يعقوب جنرالاً ومنح براءة هذا اللقب». وقد وصف الجبرتى هذا الجيش الوطنى ـ نلاحظ أنه أول جيش

كوَّن من أبناء البلاد بعد زوال الفراعنة ـ فى كلامه عن حوادث المحرم سنة ١٢١٥ ـ «وفيه طلبوا عسكراً من القبط فجمعوا منهم طائفة وزيوهم بزيهم وقيدوا بهم من يعلمهم كيفية حربهم ويدربهم على ذلك وأرسلوا إلى الصعيد فجمعوا من شبانهم نحو الألفين وأحضروهم إلى مصر وأضافوهم إلى العسكر». ثم قال فى كلام عام عن السنة كلها: «ومن حوادث هذه السنة أن يعقوب لما تظاهر مع الفرنساوية وجعلوه سارى عسكر القبط جمع شبان القبط وحلق لحاهم (وان احتفظ هو بلحيته) وزياهم بزى مشابه لعسكر الفرنساوية مميزين عنهم بقبع يلبسونه على رؤوسهم مشابه لشكل البرنيطة وعليها قطعة فروة سوداء من جلد الغنم فى غاية البشاعة على ما يضاف إليها من قبح صورهم وسواد أجسامهم وزفارة أبدانهم وصَيَّرهم عسكره وعزوته وجمعهم من أقصى الصعيد وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصارى التى هو ساكن فيها خلف الجامع الأحمر وبنى له قلعة وسورها بسور عظيم وأبراج وباب كبير يحيط به بدنات عظام وكذلك بنى أبراجاً فى ظاهر الحارة جهة بركة الأزبكية وفى جميع السور المحيط والأبراج طيقانًا للمدافع وبنادق الرصاص على هيئة سور مصر الذى رممه الفرنساوية ورتب على باب القلعة الخارج والداخل عدة من العسكر الملازمين للوقوف ليلاً ونهاراً وبأيديهم البنادق على طريقة الفرنساوية».

يرد ذكر يعقوب فى كل هذه المواضع فلا يمكن لقارىء الجبرتى أن يتصوره إلا كأحد أولئك المارقين الذين يظهرون فى عصور الحكم الأجنبى ويكونون خلالها حربًا على أمهم. ولكن القارىء لا يجد فى الجبرتى ولا فى غيره أن يعقوب فى سنة ١٨٠١ لما انتهى الاحتلال الفرنسى هاجر وتبع الجيش الفرنسى إلى فرنسا لتحقيق مشروع خطير هو الحصول على اعتراف الدول باستقلال مصر.

عثرت على الأوراق الخاصة بهذا فى سجلات وزارتى الخارجية الإنجليزية والفرنسية بعد أن كدت أطرح الأمل فى العثور على تفكير مصرى أو غير مصرى فى حل المسألة المصرية بالاعتراف باستقلال مصر(١٥). وقد أشرت إلى هذه الأوراق فيما نشرت فى تاريخ هذا العهد من تاريخنا(١٦). ونشر المسيو دُوَن ترجمة وثيقة ونص أخرى من هذه الوثائق فى كتاب ضمن المجموعة التاريخية التى تنشرها الجمعية الجغرافية الملكية بفضل حضرة صاحب الجلالة الملك. وقد مهد المسيو دون للوثيقتين بمقدمة تحليلية لهما(١٧). وبدأت بعد العثور على هذه الأوراق فى تكوين رأى آخر فى يعقوب وفى طبيعة علاقاته بالفرنسيين.

«خدمات يعقوب للحكم الفرنسى من نوعين: خدمات من نوع ما كان يقوم به للفرنسيين جرجس جوهرى وملطى وأبو طاقية وغيرهم من كبارالأقباط أساسها السعى للنفع الشخصى من جهة والخلاص مما كانوا فيه من امتهان لا يرفعهم من حضيضه ما ملكوه من مال وجاه ولا يفارقهم مهما زادت حاجة الحكام إليهم. وخدمات من نوع آخر أساسها التمهيد لمستقبل البلاد السياسى بالتعضيد المؤقت للحكم الغربى».

ومن حقق النظر فى أحوال الشعوب الشرقية الخاضعة لحكم السلطان العثمانى أثناء القرن التاسع عشر يجد أن الطوائف الغير الإسلامية منها نظرت فى أول الأمر للتدخل الغربى فى شئونها بالعين التى نظر بها إليه يعقوب فى آخر القرن الثامن عشر.

«أول ما فى تأييد يعقوب للتدخل الغربى تخليص وطنه من حكم لا هو عثمانى ولا هو مملوكى وإنما هو مزيج من مساوىء الفوضى والعنف والإسراف ولا خير فيه للمحكومين ولا للحاكمين إذا اعتبرناهم دولة قائمة مستمرة». «فرأى يعقوب أن أى نوع من أنواع الحكم لا يمكن أن يكون أسوأ مما خضعت له مصر قبل قدوم بونابرت.

وثانى ما فى تأييده للاحتلال الفرنسى أنه أتاح فرصة الاتصال بالغرب والتعلم منه» ولا يقل عن هذا شأناً ـ فى نظره ـ ما أتاحه هذا الاحتلال من إنشاء قوة حربية مصرية (قبطية فى ذلك العهد) مدربة على النظم العسكرية الغربية. «ونحن نسلم بأن هذه القوة كانت أداة من أدوات تثبيت الاحتلال. وبأنه لولا هذا ما سمحت السلطات الفرنسية بانشائها وتسليحها وتدريبها. غير أنه يلزمنا أن نذكر أيضاً أن الدلائل كلها كانت تدل على أن هذا الاحتلال لن يدوم»، وأن القائد كليبر نفسه الذى أذن بانشاء القوة القبطية كان لا يرى البقاء فى مصر وأنه لهذا حاول ـ كما نعلم ـ الجلاء عنها بعقد اتفاق العريش فى يناير ١٨٠٠ ذلك الاتفاق الذى كان له بعض العذر فى نقضه. وسنبين فى موضع آخر من هذه الرسالة أن بعض أصدقاء يعقوب من الفرنسيين اهتموا بمستقبل القوة الحربية القبطية أكثر مما اهتموا بحاضرها وأنهم كانوا يحبون أن يروها على حال من البأس تجعلها العنصر المرجح فى مستقبل مصر بعد جلاء الفرنسيين عنها.

كان وجود الفرقة القبطية إذن أول شرط أساسى يمكن رجلاً من أفراد الأمة المصرية يتبعه جند من أهل الفلاحة والصناعة من أن يكون له أثر من أحوال هذه الأمة إذا تركها الفرنسيون وعادت للعثمانيين والمماليك يتنازعونها ويعيثون فيها فساداً. على الرغم من أنه لا ينتمى لأهل السيف من المماليك والعثمانيين، وبغيرهذه القوة يبقى المصريون حيثما كانوا بالأمس: الصبر على مضض أو الالتجاء لوساطة المشايخ أوالهياج الشعبى الذى لا يؤدى لتغيير جوهرى، والذى يدفعون هم ثمنه دون سواهم، وهنا الفرق الأكبر بين يعقوب وعمر مكرم. يعقوب يرمى إلى الاعتماد على القوة المدربة والسيد عمر يعتمد على الهياج الشعبى الذى تسهل إثارته ولا يسهل كبح جماحه والذى قد يصل سريعاً لتحقيق أغراض حاسمة ولكنه لا يصلح قاعدة للعمل السياسى الدائم المثمر. فكما أن العامة سريعة الهياج فى أوقات الخلل واضطراب الحكم فهى أيضاً سريعة القنوط خصوصاً إذا اصطدمت بجند مسلحين حتى لو كان أولئك الجند من نوع ما كان فى مصر فى أوائل القرن التاسع عشر من ترك وألبانيين ومن ماثلهم.

وقد رأينا ما كان من أمر السيد عمر لما وجد أمامه محمد على لا خورشيد. هذا الفرق بين الأداة

التى اختارها يعقوب وتلك التى اختارها السيد عمر، ليس فى الواقع إلاّ مظهراً لفروق أعمق. إذ ما حاجة هذا السيد نقيب الأشراف إلى جيش، والرجل لا يتصور مصر إلا خاضعة لحكم المماليك تحت سيادة السلطان ولا يرمى إلى أبعد من أن يملى إرادته على القائمين بالأمر فيها مدافعاً عن أفراد الرعية كلما زاد الفساد؟ وهو لهذا يكفيه قيام أهل القاهرة واجتماع كلمة العلماء. «أما يعقوب فله شأن آخر. إذ أنه لا يريد عودة المماليك والعثمانيين وإنما يعمل على أن تكون لفئة من المصريين يد فى تقرير مصير البلاد بدلاً من أن يبقى حظهم كما كان فى الحوادث الماضية مقصوراً على التفرج أو الاشتراك فى نهب المهزومين».

ذكر الجبرتى حوادث المحرم سنة ١٢١٨ فى كلامه عن اشتباك الألبانيين بأتراك الوالى العثمانى خسرو ـ ذلك الاشتباك الذى انتهى آخر الأمر بولاية محمد على، ذكر أن الألبانيين كانوا يقولوا للعامة من أهل القاهرة: «نحن مع بعضنا وأنتم رعية فلا علاقة لكم بنا». أنتم رعية. تخضعون لمن ينتصر منا. هذا كل ما لكم!

أراد يعقوب أن يكون الأمر غير ذلك. وعول على أن تكون القوة الحربية المصرية الجديدة مدربة على النظم الغربية. فكان سباقًا إلى تفهم الدرس الذى ألقاه انتصار الفرنسيين على المماليك. أو قل إلى إدراك ما أدركه محمد على بعد قليل من أن سر انتصار الغربيين فى جودة نظمهم وبخاصة نظمهم العسكرية. فسرق البرق من الآلهة وكان له ما كان.

كيف كان للاتصال بالفرنسيين هذا الأثر كله فى نفس فرد واحد من أفراد الأمة فى آخر القرن الثامن عشر؟ ذلك لأن يعقوب كان على استعداد لتعلم دروس الحملة الفرنسية. وقد ثبت من القليل الذى وصل إلى علمنا من أخباره قبل ١٧٩٨ أن يعقوب لم يكن كغيره من المبرزين من أبناء طائفته فى ذلك العهد وأن معاصريه منهم أحسوا باختلافه عنهم، وأثبتوا عليه شذوذه عن مألوفهم، ورواه عنهم المعمرون لصاحب تاريخ الأمة القبطية يعقوب بك نخله رفيلة المولود فى غضون سنة ١٨٤٧ والمتوفى فى أبريل ١٩٠٥.

قال صاحب هذا التاريخ: «يظهر أن يعقوب لم يحترف بحرفة الكتاب فى الدواوين مثل باقى عظماء أبناء أمته، بل كان من أصحاب الأملاك والتجارة[١٨]» وأنه سار فى مسلكه أزاء الحكم الفرنسى «فى خطة تخالف ما كان عليه أبناء جنسه من حيث الهدوء والسكينة والصبر والاحتمال وفداء أرواحهم وأعراضهم فى بعض الأحوال ببذل المال والعطايا فانه فضلاً عن مخالفته لهم فى الزى والحركات اتخذ له امرأة من غير جنسه بطريقة غير شرعية[١٩] على أن رجال الدين ولا سيما البطريرك لم يكونوا راضين عن تصرفاته وأحواله» وقد سمع صاحب التاريخ من بعض شيوخ الأقباط المسنين أن البطريرك «نصحه المرات العديدة بالعدول عن هذه الخطة وأن يعيش كسائر إخوانه فلم يقبل وعاوده بالنصيحة مرة أخرى فجاوبه جوابًا عنيفاً فسخط عليه. وسمع أيضًا ما كان من تجرىء يعقوب على الدخول فى

الكنيسة مرة راكباً جواده ورافعاً سلاحه وطلبه أن يناول السر المقدس وهو على ظهر جواده معتذراً عن هذه الجسارة بأن من كان جندياً مثله يلزم أن يكون على الدوام فى أهبة واستعداد».

«رفض يعقوب إذن أن يلتزم الهدوء والصبر والاحتمال وفداء النفس والعرض ببذل المال وأحب أن يكون رجل حرب». وقد ثبت للتاريخ ميله أيام شبابه لأعمال القتال والفروسية على طريقة المماليك واشترك أيام أن كان يدبر التزام سليمان بك الأغا فى الصعيد فى بعض حروب المماليك ضد جنود القبطان باشا حسن الذى نزل بمصر فى ١٧٨٦ لتثبيت الحكم العثمانى. واهتم بدراسة بعض تلك الحروب وأتقن أساليب المماليك فى ركوب الخيل واستعمال السيف.

ثم جاء الفرنسيون وعُين لمرافقة الجنرال ديزيه فى فتح الصعيد وهنا أيضاً رفض يعقوب أن يقصر همه على ما عُيِّن له من تدبير المال والغذاء ونقل الرسائل بل راقب سير الحرب، وحارب مرة من المرات تحت عين ديزيه نفسه على رأس طائفة من الفرسان الفرنسيين جماعة من المماليك وأبلى بلاءً حسناً حمل قائده على تقليده سيفًا ولم يكن المعلمون الأقباط يقلدون السيوف بل يكسون الفراء أو ينفحون بالمال.

وتعلق يعقوب بديزيه ـ السلطان العادل كما سماه أهل الصعيد ـ تعلقًا خالصًا وكان لهذا الاتصال أثر كبير فى تكوين يعقوب جديد. قال بليار ـ وكان من ضباط ديزيه فى حملة الصعيد ـ يصف فترة من الفترات التى انتهزها القائد لا راحة عسكره: «أقمنا فى سيوط وكنا نجتمع كل مساء فى منزل ديزيه، وكانت أحاديثنا تدور حول موضوعات شتى. وكان كل منا يدلى برأى أو آراء فى السلم والحرب وفى النظم والتواريخ».

ولابد أن يعقوب استمع لكل ما كان يدور وفهم القدر الذى استطاع أن يفهمه ولابد أن ما استطاع أن يسمع أو يفهم أثار شتى الأفكار فى نفسه وكشف له عن عالم من المعانى غير الذى نشأ فيه وعرفه. ويعجز يعقوب عن الإفصاح عما يجول فى خاطره ويقيض الله له رجلاً من أغرب أهل عصره يتولى عنه التعبير. ذلك الرجل هو الفارس ثيودور لاسكاريس دى فنتميل.

رددت ذكر لاسكاريس هذا كتب الرحلات. وأذاع أمره لامارتين فى قصة «فتح الله الصغير بين بدو الصحراء». واقترن اسمه أثناء إقامته بلبنان باسم سيدة انجليزية نبيلة لا تقل عنه غرابة أطوار وهى ليدى هستر ستانهوب حفيدة الوزير الكبير شاتهام وربة بيت خالها وليم بت مدة وزارته. تركت انجلترة وقضت باقى أيامها فى لبنان. ولا يعرف التاريخ لِمَ كان ذلك. أكانت هجرة نفس أبية إلى حيث الحرية التامة؟ أم كان ذلك لمس ظهر فيها شذوذًا وتجلى فى جدها وخالها عظمةً وزعامة؟ ومهما يكن من الأمر فقد تركها التاريخ حتى الآن لأهل القصص.

وكاد يترك لاسكاريس أيضًا للمصير نفسه. وقد تمنى باريس لوتولى بيير بنوا كتابة سيرته كما يكتب بنوا السير. ولكن أنقذه للتاريخ محقق فاضل هو المسيو أوريان فكتب فصلاً ممتعاً تتبع فيه

هذه الحياة الضالة فى البر والبحر،فى الغرب والشرق. وليس هذا بالأمر اليسير.

ثيودور لاسكاريس من بيت إيطالى نبيل يتصل قديمًا بقياصرة بيزنطة. دخل هو وأخوه فى سلك فرسان القديس يوحنا الذين كانوا يحكمون جزر مالطة إلى أن انتزعها بونابرت منهم فى طريقه إلى مصر ١٧٩٨. درس فى صباه الموسيقى وفنون العمارة وقرأ كل ما استطاع أن يقرأ وغذى بهذه القراءات خيالاً قوياً. وكان ذا نفس أبية تواقة للعلا يريد أن يخلد اسمًا خليقاً بسليل القياصرة. ولكن حظه كان الخمول والفقر والتنقل من مكان لآخر. وانتهى به المطاف إلى مصر يكسب قوته بتعليم الفرنسيه لإسماعيل ابن محمد على فاتح السودان ثم الموت فى القاهرة فى سنة ١٨١٧ فى ظروف مريبة، وقدر له أن يموت كما بدأ وكما وصف نفسه. «صاحب مشروعات».

تحقيق الكثير من هذه المشروعات فيما بعد على أيدى أفراد وحكومات. ولكنها فى أيام صاحبها كانت سابقة لأوانها. وكان شذوذ لاسكاريس فى أطواره ـ شذوذ ظهر فى أخيه جنونًا ـوتعدد المشروعات وتنوعها مما لا يبعث على الثقة فيه. ومما يعزينا أنه وجد بعض السلوى أو السعادة فى الخلو إلى نفسه وإلى مشروعاته. وقد جاء فى كلام له: «كل إنسان فى هذا العالم يسلك الطريق الذى هيأه له القدر. واحد من الناس يفتح الممالك ويدوخ البلدان، وآخر يصنع النعال. وبعض الناس ينشئون الدول ويشرعون لها الشرائع، والبعض منتهى جهدهم أن يكونوا أباء أطفال .. أما أنا فأحسن صنع المشروبات. أخرج نفسى من عالم الحس وأعمل فى مشروعاتى وأترك لخيالى التغلب على ما يعترضها من العقبات. ما أجمل الخيال! أجد فيه ما أظنه السعادة».

رجل هذا حاله تضيق به مالطة ويضيق ذرعاً بالفرسان. تركها وتبع بونابرت إلى مصر. حيث تقلد بعض المناصب الإدارية. تعلم العربية وتزوج من قوقازية من جوارى أحد الأمراء وأطلق لخياله العنان فى هذا الوادى التاريخى الرحيب.

وفى مصر فكر وكتب فى طرق حكمها. ودرس فكرة إقامة قناطر حاجزة عند تفرع النيل فى رأس الدلتا. وعندها يقيم عاصمة البلاد تحت اسم مينو پوليس إجلالاً للجنرال مينو، يحميها الماء من جوانب ثلاثة وتجتذب إليها خيرات الوادى من منابع النيل. هذا الاجتذاب والتقدم نحو منابع النيل من مشروعات لاسكاريس العزيزة. ألا يمكن أن نجد مغزًى خاصاً فى أن إسماعيل فاتح السودان كان تلميذاً للاسكاريس قبيل الفتح؟ وقد ثبت أن المعلم صرف فى بث هذه الأفكار وما يماثلها فى تلميذه أكثر مما صرف فى تعليمه تصريف الأفعال.

ورأى لاسكاريس أن مصر يجب أن تستقل وأنها خليقة بالاستقلال بحكم موقعها وتاريخها ومواردها. ورأى أن الحكومة الفرنسية يجب أن تعمل على تحقيق استقلال مصر إذا ما قررت الجلاء عنها بأن تقوى الفرقة المصرية تحت قيادة يعقوب وأن تعدها بحيث تكون العنصر المرجح فى تقاتل العثمانيين والمماليك على تملك هذه البلاد. وأشار أيضاً بأن يترك الفرنسيون إذاما اضطروا

للجلاء ذخيرة حربية وقوة فرنسية يظهرون أنها عاصية ترفض الانسحاب مع بقية الجيش ويدعونها تنسحب نحو الأقاليم النوبية تفتحها وتهبط منها على مصر عند اللزوم.

وقد اجتذب لاسكاريس إلى مشروعه هذا فرنسيين آخرين سجل التاريخ من أسمائهم ما رسل المستشرق والضابط ديبا حاكم القلعة. واتصل بالمصرى يعقوب وجعل فرقته القبطية قاعدة الاستقلال. وحاول أن يقنع مينو بكل هذا ولكنه لم يقتنع. إذ حالت دون اقتناعه قلة ثقته بالفارس وبالأقباط عامة ويعقوب خاصة وسمح لنفسه فى أكثر من مرة بمداعبة لاسكاريس والسخر منه.

كتب له: «هل تذكر أيها المواطن قصة ابن كريبيون؟ أراد الابن أن ينشيء ديناً جديداً. فرفع الأب صليباً وقال انظر يا بنى ماذا فعلوا به».

ولكن مينو مضى فى الاستفادة من لاسكاريس ويعقوب: الأول لاتصاله بالمصريين والثانى لمهارته المالية وجنده القبطى.

وجاء وقت الجلاء وسلمت الحامية الفرنسية المرابطة فى القاهرة تحت قيادة الجنرال بليار المدينة للإنجليز والعثمانيين. وكان من شروط التسليم أن يكون لأى مصرى أراد حق الخروج مع الجيش الفرنسى دون أن يتعرض أحد ممن خدم السلطات الفرنسية وآثر أن يبقى فى مصر بعد زوال أمرها.

وأرسل إبراهيم بك أماناً للأقباط الذين ينطبق عليهم هذا الشرط الثانى فخرجوا إليه وسلموا وعادوا إلى دورهم. أما يعقوب فقد صمم على الرحيل مع الفرنسيين والظاهر أنه حاول أن يستصحب عدداً كبيراً من شبان القبط الذين كانوا تحت قيادته. فقد جاء فى الجبرتى فى وقائع صفر ١٢١٦: «أما يعقوب فانه خرج بمتاعه وعازقه (كذا) وعدى إلى الروضة وكذلك جمع إليه عسكر القبط وهرب الكثير منهم واختفى واجتمعت نساؤهم وأهلهم وذهبوا إلى قائمقام (أى بليار) وبكوا وولولا وراجعوه فى إبقائهم عند عيالهم وأولادهم فانهم فقراء وأصحاب مصانع ما بين نجار وبناء وصائغ وغير ذلك فوعدهم بأنه يرسل إلى يعقوب أن لا يقهر منهم من لا يريد الذهاب والسفر معه». «ولم يخرج معه إلا أهله، زوجته مريم نعمة الله وبنته مريم وأخوه حنين وابنا أخته ولقبهما سيداروس. وكان فى الخارجين بعض الأقباط وجماعة من المترجمين وبعض مسلمين ممن خاف على نفسه كعبد العال الأغا الذى طلق زوجته وباع متاعه وفراشه وما ثقل عليه حملة. وخرج أيضاً كثير من نصارى الشوام والأروام مثل ينى وبرطلمى (فرط الرمان) وغيرهما.

لم يبق يعقوب بمصر يعمل فى تقرير مصيرها كما حسب. وليس أمامنا إلا أن نعلل ذلك بأسباب لا بأس بها. أولها ما رآه من تشتت الجند القبطى وعزم بنائيهم ونجاريهم على ترك الجندية والعودة لعيالهم. ثانيها أن القيادة الفرنسية لم تَعد شيئًا ما لمستقبل الفرقة القبطية، ولا لمستقبَل النفوذ الفرنسى فى مصر. بل كان كل همها الانسحاب وتنظيم هذا الانسحاب. وربما كان سبب هذا الإهمال ما حدث من تقسيم الجيش الفرنسى إلى

قسمين. قسم يدافع عن القاهرة تحت قيادة بليار وآخر عن الاسكندرية تحت القائد العام مينو. ثم أصبح الاتصال بين القسمين صعباً. وسلم بليار القاهرة فى اتفاق عقده مع الأعداء. وأعقبه تسليم منيو. أما ثالث الأسباب فهو الهجرة لتحقيق مشروع خطير: السعى لدى الحكومات الأوربية لتحقيق استقلال مصر. ولا أظن أن خروج يعقوب كان للخلاص بنفسه فمثله ممن يمكنهم تصفية الحساب الماضى مع العثمانيين المنتصرين. وقد حاول القبطان باشا حسين أن يغريه بالبقاء فى مصر ووعده ومناه ولكنه رفض وآثر الرحيل للعمل فى ميدان جديد.

ركب يعقوب السفينة الحربية الإنجليزية پلاس وربانها أدموندس. وكان على ظهرها أيضاً الفارس لاسكاريس. وقد عرف أدموندس قدر يعقوب وأنه زعيم فى عشيرته وأن الفرنسيين لقبوه «جنرالاً» حرصاً على نيل تأييده فأحسن لقاءه مما دعا يعقوب للتحدث معه فى شئون مصر وقال له أنه يعتقد أن حكومة العثمانيين فى مصر أسوأ أنواع الحكم وأنه لم يؤيد الاحتلال الفرنسى إلا لتقليل ما حاق بمواطنيه من أذى وأنه صدق ما أدعاه الفرنسيون من أن دولتهم أقوى الدول الأوربية ولم يكن يدرك إذ ذاك مدى القوة البحرية الإنجليزية. ثم قال أنه يرجو أن يسعى لدى الحكومات الأوربية لتحقيق استقلال بلاده وأن هجرته لأوربا قد تنفع فى هذا السبيل، على أنه يعلم أن ادراك الغاية مستحيل بلا موافقة الحكومة الإنجليزية.

هذا مجمل ما قرره يعقوب لأدموندس وزاد عليه لاسكاريس وكان يترجم بين الرجلين أن يعقوب على رأس وفد مصرى اختاره أعيانها ليفاوض الحكومات فى أمر الاستقلال.

بعد هذا الحديث اشتد المرض على يعقوب وتوفى فى السادس عشر من أغسطس سنة ١٨٠١ والسفينة على مقربة من سواحل الأناضول الجنوبية الغربية وقد راعى أدموندس مقامه ورجاء أهله فلم يلق جثته فى البحر بل وضعها فى دن من «الروم» حفظها حتى مرسيليا حيث دفنت. وفى إحدى مقابرها يرقد الآن الجنرال يعقوب فى قبر معروف».

ولم يكن موته نهاية الأمر. فقد قرر لاسكاريس أن الوفد باق رغم موت رئيسه وأعد مذكرة مفصلة بالموضوعات التى تحدث فيها يعقوب مع أدموندس وسلمها فى مرسيليا لذلك الإنجليزى لتبليغها لحكومته. فتعهد أدموندس بذلك وبالمحافظة على سر هذه الأحاديث عن نفسه وعن حكومته.

ما رأى أدموندس فى كل هذا؟ قال أولاً أنه لا يملك تحديد مدى التفويض الذى تكلم عنه لاسكاريس وثانياً أنه لا يدرى إن كان عضواً فى الوفد أو سكرتيراً مترجماً له. وأنه على كل حال لم يستطع أن يصفه إلا بأنه رجل «خيالى».

قام أدموندس بما وعد به فأرسل لحكومته مذكرة استقلال مصر التى أعدها لاسكاريس.

بدأ الكاتب بإهداء التحية للورد الأول للبحرية الإنجليزية (الموجه إليه الخطاب) وتذكيره بأن اهتمامه بما تضمنته المذكرة فيه نفع دولته وأن ما قد يقوم به لتحقيق استقلال مصر أجمل ما يجدر بلورد إنجليزى أن يسعى له. ثم أطنب فى وصف

عظم هذا المشروع ـ تحقيق استقلال مصر. وأن هذا الاستقلال يبدد سحب الجهل التى تكاثفت على هذا الوادى الذائع الصيت حيث مهد الحضارة، فيه تعلم الإغريق وعن الإغريق ورثت أروبا علومها وفنونها واستنارة أهلها. ألا يثير ذلك فى نفوس الغربيين شيئًا من عرفان الجميل فيردوا لمصر الاستقلال الذى به تستعيد ما كان لها؟

ثم بين لاسكاريس أن مصر المستقلة لن تضر أحداً. وأن استقلالها وقد أصبحت موضوع أطماع الدول خير حل للمسألة المصرية. تلك المسألة التى أثارتها الحملة الفرنسية والتى يحتم انهيار بناء الدولة العثمانية مواجهتها. وذكر أن مراد بك قبيل موته أدرك مدى هذا التطور الأخير فى تاريخ بلاده وعبرعنه فى قوله «أن مصر قد عرفها كفار الغرب فلن ينفكوا عن السعى للاستيلاء عليها».

وتناول أيضاً فى مذكرته بحث ما تصيبه الدولة الإنجليزية من نفع فى تحقيق هذا المشروع فأكد صداقة المصريين للأمة الإنجليزية بعد أن عرفوا جنودها وبعد أن خبروا الحكم الفرنسى وأن سيدة البحار لابد وأن تسيطر بنفوذها على مصر وتكون أكبر من يستفيد من موقعها الجغرافى.

ولم يغفل لاسكاريس الكلام عن أمرين جوهريين. وقد جاء كلامه عنهما أضعف ما فى مذكراته: الأول نوع الحكومة المصرية المستقلة، الثانى ما تتخذه هذه الحكومة للدفاع عن كيانها. أما عن نوع الحكومة فاكتفى بعد مراوغة كلامية بالقول بأنها ستكون وطنية عادلة حازمة وانها بذلك تنال احترام الأمة وطاعته وحبها كما أحب أهل الصعيد فى الماضى القريب حكم العربى همام وكان عادلاً حازماً.

«أما عن وسائل الدفاع فنجده يقرر أن الحكومة الوطنية لن تقوى على صد إعتداء أروبى إلا بعد مضى زمن طويل ولكنها تستطيع أن تصد الترك وتسحق المماليك بجيشها الوطنى تشد أزره قوة حربية أروبية ويبذل المال لرجال الباب العالى».

وتؤكد المذكرة فى النهاية أن الفكرة الاستقلالية لها أنصار فى مصر وأن هؤلاء الأنصار يخفونها حذر الموت، ويطلب صاحب المذكرة حمايتهم من اضطهاد العثمانيين إذا ما رفضت الدول إنشاء دولة مصرية مستقلة.

«أما عن خطة «الوفد المصرى» فى القريب فانها ستكون السعى لدى الحكومة الفرنسية لاقناعها بقبول قاعدة الاستقلال فى مفاوضاتها مع الحكومة الإنجليزية على مصر. ويرجو لاسكاريس أن لا يكون مصدر الاقتراح الفرنسى مما يحمل الحكومة الإنجليزية على رفضه حذر دسيسة سياسية فرنسية. ويطلب فى النهاية أن تكون مخابرات انجلترا مع الوفد شفوية وعن طريق الكونت أنطون كاسيس المقيم فى تريستا[٢٠].

ونجد لاسكاريس فعلا يقدم للقنصل الأول بونابرت مذكرة موقعًا عليها من «نمر أفندى» بالنيابة عن الوفد المصرى وهذه المذكرة خالية طبعاً من التعريض بالحكم الفرنسى ومن تفضيل المصريين للإنجليز ذلك التفضيل الوارد فى المذكرة لانجلترا على أنه تتفق معها فى الغاية الاستقلالية

وتطلب تحقيقها باسم التاريخ والإنسانية ومجد بونابرت».

وأردف هذه المذكرة بأخرى لوزير خارجية فرنسا ـ تاليران ـ يقرر فيها الغرض الأسمى ويعتذر عن الإجمال تاركًا التفصيل إلى أن يستقبلهم الوزير فى باريس إذ العرب يجيدون الكلام أكثر مما يجيدون الكتابة وطلب من الوزير أن يستقبلهم بزيهم الشرقى إذ أن المسلمين منهم يعز عليهم إبدال غيره به، فضلاً عن أن هذا الزى يثير فى نفس بونابرت ذكرى فتوحه ويعرف من لم يرى مصر من الفرنسيين بالشرق وأهله.

* * *

لا اللورد الأول للبحرية الإنجليزية ولا القنصل الأول ولا وزير الخارجية الفرنسية اهتم بما فى هذه المذكرات بل أودعوها سجلات الحكومة.

وفى «مقدمات الصلح» بين فرنسا وانجلترة اتفق على إعادة مصر للدولة العثمانية. وأدمج هذا الاتفاق فى معاهدة الصلح النهائية: معاهدة أميان. وفى سياسة الحكومتين قبل أميان وبعدها لم يتعد اهتمامهما بأحوال مصر ونوع حكومتها ما تعلق منها بعلاقة الدولة العثمانية بالمماليك. وحتى فى هذا لم يكن الاهتمام بها إلا من حيث تأثيرها فى تسهيل ـ أو منع ـ وقوع مصر فى حكم انجلترة أو فى حكم فرنسا لا من حيث تأثيرها فى رفاهية أو سعادة الشعب المصرى.

لم يكن إذن لهذه المذكرات أى أثر واقعى. ولا نجد فى الأوراق ما يدل على وجود تفويض لوفد مصرى. وعلى فرض وجوده فمن الثابت أنه لم يشترك فى منحه أى شيخ من العلماء وإلا لوجدنا فى الجبرتى ما يدل عليه. وليس هناك أيضًا ما يدل على حصول يعقوب على تفويض من عظماء الأقباط فقط. إذ أن سيرتهم لا تحملنا على الاعتقاد بأن الفكرة الاستقلالية جالت فى أذهانهم. وإنما التفويض الوحيد الثابت حصول يعقوب عليه كان لمطالبة الحكومة الفرنسية برد مبلغ من المال أقرضه هو وجرجس جوهرى وآخرون للجنرال مينو[٢١].

يحق لنا بعد أن هذا أن نقرر أن كلمة الوفد المصرى والأدلة التاريخية والفلسفية من أفكار لاسكاريس. وأن يعقوب لم يقرر إلاّ الفكرة الاستقلالية.

رغم هذا لا تخلو هذه المذكرات من شبه لما قرره المصريون وما أعلنوه فى أيام أقرب إلينا من سنة ١٨٠١: فى اتباع طريق المفاوضة للحصول على الاستقلال وفى توطيده بالاعتراف الدولى، وفى تبرير طلب الاستقلال بالتنويه بمجد مصر، وبأن عظمة الماضى تبعث على الأمل فى عظمة المستقبل، وبأن مصر بها من الموارد فى المال والرجال ما يكفل قيام الدولة المستقلة، وأخيرًا بأن موقعها الجغرافى يجعلها موضع التنافس وأن الدولة التى تسيطر عليها تصبح من القوة بحيث تتحكم فى مصالح الدول الأخرى الحيوية وخير الجميع فى استقلالها.

* * *

كان نصيب مشروع ١٨٠١ الإهمال. وكذلك كان حظ أصحابه.

وقد عرفنا مآل يعقوب، أما أصحابه فقد عاد نفر منهم لوطنهم بعد قليل. وظل منهم فى أوروبا

آخرون قامت بينهم القضايا والدعاوى ووقع أكثرهم فى الفقر والفاقة فأجرت عليهم الحكومة الفرنسية معاشًا مدة طويلة وانتهى أمرهم بالاندماج فى الفرنسيين. ولم يكن من أثر ثابت لأحد منهم إلا للويس بقطر صاحب القاموس الفرنسى العربى»[٢٢].

وظل لاسكارى يضرب فى بلاد الشرق سنين، يجود ذهنه بالمشروع تلو المشروع أحياناً لإصلاح الزراعة فى بلاد القوقاز ولبنان وأحياناً لتدبير مستقبل (جبل لبنان) الجبل السياسى أو لتسوية مشكلة الوهابية. وهو أينما حل يحوطه جو من الظنون والارتياب من جانب الرجال الرسميين وحظه الحزن والفاقة.، إلى أن هبط مصر يرتزق من تعليم الفرنسيا لإسماعيل بن محمد على وبقى كذلك إلى أن مات فى ١٨١٧. وانتهى كما بدأ «صاحب مشروعات» إلا أنه على الرغم من ذلك يحق علينا أن نحيى ذكرى من عرف كيف يجيد الكلام فى استقلال مصر وكيف يبنيه على مبرر الاستقلال الحقيقى: الكرامة الإنسانية. فكان بذلك معبراً بلغة العصر الحاضر عما جاش فى نفس المصرى يعقوب.

كذلك كانت بداية الفكرة الاستقلالية، أما تاريخها فهو تاريخ مصر من أيام محمد على حتى اليوم.



* على اليمين الفارس لاسكارى وعلى اليسار الجنرال يعقوب المصرى.

## الهوامش

(١) الجبرتي: حوادث المحرم ١٢١٣.

(٢) الجبرتي. حوادث المحرم ١٢١٣.

(٣) انظر مثلا الجبرتي: حوادث المحرم ١٢١٥.

(٤) الجبرتي: في حوادث شعبان ١٢١٣.

(٥) الجبرتي: في حوادث صفر ١٢٢٠.

(٦) الجبرتي: في حوادث جمادى الأولى والثانية سنة ١٢٢٤.

(٧) ترجمة المحروقي في الجبرتي جزء خامس سنة ١٢١٩هـ.

(٨) الجبرتي: حوادث شوال وذى القعدة ١٢١٤.

(٩) الجبرتي: حوادث شوال وذى القعدة ١٢١٤.

(١٠) هناك ترجمة ليعقوب في كاب مشاهير الأقباط تأليف رمزى تادرس (جزء ثالث ص ١٠ ـ ١٦). وفيها أغلاط. أهمها ما جاء عن موته ومحل دفنه. وليس في هذه الترجمة تقدير حقيقي لسياسة يعقوب وآرائه وموقفه عند الجلاء الفرنسي ـ وهناك أيضًا ترجمة أخرى في كتاب تاريخ الأمة القبطية تأليف يعقوب بك نخلة رفيله (ص ص ٣٨٩ ـ ٣٩١) وهذه الترجمة أهم من السابقة إذ سجل فيها المؤلف ما سمعه عن يعقوب من المعمرين من الأقباط. وأخيرًا نشر في سنة ١٩٢١ المسيو Gaston Homsy وهو فرنسي يتصل نسبة بيعقوب مؤلفا باللغة الفرنسية اسمه "Le gén´ral Jacob et l'expédition de Bonaparte en Egypte وهذا الكتاب رغم عيوب خطيرة في ترتيبه واستنتاجاته لا يخلو من فوائد. إذ جمع فيه المؤلف الكثير مما جاء عن يعقوب في مؤلفات أهل الحملة ونقل عن السجلات الرسمية في مرسيليا وثائق مختلفة خاصة بأسرة الجنرال. ومن النقط الهامة التي حققها المسيو حمصى تاريخ موت يعقوب وموضع قبره في مرسيليا والسيف الذى قلده إياه الجنرال Desaix. وعن كتاب المسيو Homsy نقل أعضاء لجنة التاريخ القبطي في «تاريخ الأمة القبطية» (ص ١٦٩ ـ ١٧١) ما كتبوه عن يعقوب ولا حاجة بنا للقول أن المسيو حمصى لا يعرف شيئًا عن الوثائق السياسية الخاصة بمشروع استقلال مصر في سنة ١٨٠١.

أما عن اسم يعقوب فقد اكتفى مؤلفو الحملة الفرنسية المعاصرون بذكر اسمه الأول فقط ولكنه يرد يعقوب حنا "Jacob Anna" في الوثائق التي استخرجها حمصى من سجلات مرسيليا ـ راجع شهادة وفاة في حمصى ص ١٤٠ ـ ١٤١.

(١١) تجد إشارات «لمناورات مالية» من جانب يعقوب في خطاب من لاسكاريس للجنرال مينو نشره مسيو أوريان في رسالته عن لاسكاريس في مجلة "Mercure de France" بتاريخ ١٥ يونيه ١٩٢٤ ص ٥٨٧.

(١٢) الجبرتي في حوادث ذى الحجة سنة ١٢١٤

(١٣) الجبرتي في حوادث ذى الحجة سنة ١٢١٤.

(١٤) الجبرتي في حوادث ذى الحجة سنة ١٢١٤.

(١٥) هذه الوثائق أربعة. الأولى كتاب بالإنجليزية من القبطان أدموندس للورد الأول للبحرية الإنجليزية مؤرخ عن جزيرة منورقه في ٤ أكتوبر ١٨٠١ يتضمن أحاديثه مع يعقوب في الطريق إلى فرنسا ـ الثانية مذكرة مشروع استقلال مصر مكتوبة بالفرنسية وملحقة بالكتاب المذكور بقلم الفارس لاسكاريس. والوثيقتان في أوراق وزارة الخارجية الإنجليزية في المراسلات الخاصة بالدولة العثمانية تحت الرقم الآتي.

F.O. 78. Turkey 33 (September - December 1801)

والوثيقة الثالثة كتاب من لاسكاريس موقع عليه بتوقيع نمر أفندى للقنصل الأول بتاريخ أول فنديميير من السنة العاشرة (الموافقة ٢٣ سبتمبر ١٨٠١) و١٨ صفر ١٢١٦ (وصحة هذا ١٥ جمادى الأولى) والرابعة بنفس التوقيع والتاريخ لتليران وزير الخارجية والوثيقتان الثالثة والرابعة فى سجل المراسلات الخاصة بالدولة العثمانية فى أوراق وزارة الخارجية الفرنسية فى المجلد رقم ٢٠٣ وقد نقلهما المسيو أوريان فى مقالة عن لاسكاريس فى مجلة Mercure de France بتاريخ ١٥ يونيه ١٩٢٤ ص ٥٩٣ ـ ٥٩٥ وقد حرف المسيو أوريان اسم الموقع إلى "Hemir" .

(١٦) S. Ghorbal: "The Beginnings of the Egyptian Question", P. 210.

(١٧) G.Douin: "L'Egypte Independante". Le Caire, 1924.

(١٨) الثابت غير هذا. وهو أنه عمل فى تدبير التزام سليمان بك الأغا فى الوجه القبلى راجع:

Homsy: Le général Jacob, P17.

(١٩) تزوج يعقوب مرتين. كانت زوجته الأولى قريبة له اسمها مختارة الطويل وبعد موتها تزوج من مريم بنت نعمة الله وأصلها من حلب وكان هذا فى سنة ١٧٨٢ ـ والظاهر أن هذا الزواج لم تتم إجراءاته الدينية إلا فى سنة ١٧٩١ على يد البطريرك ـ وقد مات يعقوب عن زوجته هذه وبنت ولدت له فى ١٧٩٣ ـ والظاهر أن الأرملة لم تملك وثيقة بزواجها فحصلت فى سنة ١٨١٨ على وثيقة من مسجلى القنصلية بمرسيليا به. راجع.

Homsy: Le général Jacob, PP. 30 - 32.

(٢٠) تحت الاسم ولقب النبيل الغربيين يستتر مصرى قبطى اسمه أنطون قسيس. عمل فى إدارة الجمارك فى الاسكندرية أيام المماليك. ولما أرادت حكومة الأمبراطورية الرومانية المقدسة (دولة النمسا) أن تفتح طريق مصر لتجارة الهند لمصلحتها اجتذبت لتحقيق ذلك أنطون قسيس هذا فمنحته حمايتها وأنعم عليه الأمبراطور يوسف الثانى بلقبى بارون وكونت فى الأمبراطورية. ولما فشل هذا المشروع النمساوى وعلا نفوذ أعدائه غادر الكونت كأسيس مصر واتخذ تريستا موطنًا له وكان هذا فى ١٧٨٤.

(٢١) اشترك فى هذا القرض يعقوب وجرجس جوهرى وأنطون أبو طاقية فلتاوس وملطى وقبيل رحيل يعقوب خوله شركاؤه مفاوضة الحكومة الفرنسية فى فرنسا فى رد مالهم وحال موت يعقوب دون ذلك. ثم قام حفيد لأنطون أبى طاقية بالمطالبة وذهب بنفسه إلى باريس وكان ذلك أيام نابليون الثالث. ورفضت حكومة الامبراطورية أن تعترف بصحة الدين وسوت المسألة بأن صرفت لحفيد أبى طاقية ما تكلفه من نفقة فى المطالبة (٤٥٠٠ ليرة فرنسية) ومنحته التبعية الفرنسية (رمزى تادرس: الأقباط فى القرن العشرين جزء رابع صفحة ٩٦).

(٢٢) تجد عريضة استجداء من المهاجرين المصريين فى أوراق وزارة الخارجية الفرنسية فى السجل الخاص بالدولة العثمانية تحت هذا الرقم Turquie, "Supplements", Vol. 203 . تجد مثالا من تقاضيهم فى النزاع بين أرملة يعقوب وأخيه حنين على تركة الجنرال فى Homsy,

Op. cit. P. 70 . وصل خبر هذا النزاع إلى مصر. (الجبرتى فى حوادث رجب سنة ١٢١٨) أما عن المعاش الذى أجرته الحكومة الفرنسية على المهاجرين المصريين فالظاهر أنه استمر يجرى على ورثتهم. من ذلك نجد جبريل إبراهيم وهو حفيد أخت يعقوب يتمتع بمعاشه حتى موته فى (Homsy, Op. cit. p.67).

ومما يصح ذكره أيضاً عن المهاجرين المصريين أن الرحالة الهندى المسلم الفارسى الثقافة ميرزا أبا طالب خان أثناء سفره من باريس إلى مرسيليا فى عودته من انجلترا إلى وطنه من طريق القسطنطينية والعراق التقى فى عربة السفر بحسناء مصرية مسيحية ذاهبة إلى مرسيليا وأعجب بشجاعتها فانه لما حاول بعض المسافرين مداعبتها رغماً عنها أوسعتهم سبًا بالعربية. وحال أبو طالب بينهم وبينها ولما قابلته فى مرسيليا سهلت عليه صعاب سفره وكان هذا فى ١٨٠٢ (انظر Mirza Abu Talib Khan: Voyage en Europe etc. Traduction fran çaise, Paris 1831. t II. 69 - 70.

أما عن لويس بقطر فكانت سنة وقت نزول الفرنسيين نحو الخامسة عشرة. والظاهر أنه ابتدأ دراسة الفرنسية إذ ذاك وعمل فى الترجمة أثناء الاحتلال الفرنسى. ثم هاجر من مصر عند نهاية الاحتلال الفرنسي وليس هناك ما يثبت أنه ابن أخت يعقوب. وأقام بقطر فى مرسيليا حتى سنة ١٨١٢ مشتغلا بدراسة الفرنسية وفى تلك السنة استقدمه وزير الحربية لباريس واشتغل أول الأمر بترجمة بعض الوثائق العربية الخاصة بالحملة إلى اللغة الفرنسية وعاون فى تحقيق الأسماء العربية اللازمة للخرط الجغرافية المنشورة فى كتاب وصف مصر. وكان أثناء ذلك يعد قاموسه الفرنسى العربى. وفى سنة ١٨٢١ عين لتدريس العربية العامية فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس ومات فى نفس السنة وهو فى السابعة والثلاثين وقد تمكن من تجهيز القاموس. ووقف على طبعه خلفه فى تدريس العربية المستشرق Caussin de Perceval وقدم له بترجمة لبقطر منها استخلصنا الحقائق السابقة.

وقد طبع هذا القاموس أيضًا فى القاهرة فى مجلدين فى سنة ١٨٧١ وقام على طبعه عبيد غلاب خريج مدرس الألسن. وفى كتب الأمير إبراهيم حلمى بمكتبة الجامعة المصرية توجد هذه الطبعة من القاموس كما توجد أيضًا طبعة باريس الرابعة فى مجلد واحد وتاريخها ١٨٦٩ وقد وافق على هذه الطبعة الرابعة Armand Peièrre Caussin de Perceval ابن المستشرف السابق الذكر.

# ملحق رقم ( ٣١ )

رسالة من القبطان جوزيف إدموندس قائد الفرقاطة پالاس إلى فخامة الإيرل سانت فنسنت وزير البحرية البريطانية.

على ظهر الفرقاطة پالاس

جزيرة مينورقا فى ٤ من أكتوبر ١٨٠١

سيدى اللورد

استبحت لنفسى أن أرفع إليكم مباشرة المذكرات المرفقة بكتابى هذا، اعتقادا منى بأنه قد يكون من المفيد لحكومة بلادى أن تعلم أن بعض الأشخاص الذين يطلقون على أنفسهم «الوفد المصرى» موجودون الآن فى باريس.

لقد كان ممن استقل السفينة پالاس التى اتولى قيادتها من مصررجل قبطى ذو سمعة طيبة، وهو من زعماء طائفته وله بينها نفوذ كبير. وقد نصبه الفرنسيون قائدا على فيلق برتبة جنرال لكى يعاونهم.

أوليت هذا المنفى العاثر الحظ بعض الرعاية فأخذ يحدثنى فى شئون وطنه. وقد أعرب لى عن اعتقاده بأن أى نوع من الحكم لبلاده أفضل من حكم الترك (العثمانيين) لها، وأنه انضم إلى الفرنسيين بدافع وطنى حتى يمكنه أن يخفف عن مواطنيه ما عانوه، ولكن الفرنسيين خدعوهم فأصبح المصريون الآن يحتقرونهم كما كانوا يحتقرون الترك، وأنه ما يزال يأمل فى خدمة بلاده عن طريق الحكومات الأوربية، ويرى أن ارتحاله إلى فرنسا قد يمكنه من ذلك. وقال إن الفرنسيين جعلوه يعتقد أن دولتهم أقوى دول أوربا، وأنه لم يكن يعرف إلا قليلا عن القوة البحرية الهائلة لبريطانيا، ولكنه مع ذلك كان على يقين من أنه بغير موافقة بريطانيا فإن رغبته فى أن تتمتع بلاده بحكومة مستقلة لن يقدر لها أن تتحقق. وقد أبلغنى صديقه لاسكاريس الذى كان يترجم أقواله لى أن الجنرال المعلم يعقوب يرأس وفدا فوضه أعيان مصر لمفاوضة الدول الأوربية فى أمر استقلالها. وفى أثناء الرحلة مات الجنرال وقام ترجمانه بتحرير المذكرة المرفقة بكتابى هذا وهى مكونة من أجزاء تتضمن خلاصة لما دار بيننا من أحاديث، إذ كان الجنرال قبل وفاته قد أعرب عن رغبته فى أن أبلغ فحوى هذه الأحاديث إلى القائد العام كى يبلغه بدوره إلى الحكومة البريطانية. وقد أكد لى السيد لاسكاريس أن الوفد ما زال قائما وأن أعضاءه مسافرون معنا على ظهر السفينة ولم أستطع أن أتبين هل لاسكاريس نفسه عضو فى هذا الوفد أو أنه لم يكن سوى سكرتير مترجم له. غير أنى اعتقد أنه رجل مغرق فى الخيال، وأظن أن أصله يرجع إلى إقليم بيدمونت وأنه من فرسان جزيرة مالطة الذين تركوا الجزيرة مع جيش بونابرت. وقد تعهدت للمعلم يعقوب بألا أستعمل أو تستعمل الحكومة البريطانية مضمون أحاديثه فى أى وقت من الأوقات بها، فقد رأيت من الضرورى إبلاغكم رأسا بهذه المذكرات والمعلومات، إذ قد يمضى بعض الوقت قبل أن تتاح لى فرصة إبلاغها أولا إلى قائدى العام اللورد كيث. وأرجو أن تتفضلوا فتقروا مسلكى هذا.

ولى عظيم الشرف ياسيدى اللورد.

## ملحق رقم (٣٢)

مذكرات مرفوعة للقبطان جوزيف إدموندس لتذكيره مستقبلا بالنقاط الرئيسية لأحاديثنا السياسية على ظهر سفينته.

- ١ -

إن الكتاب المرفقة به هذه المذكرات موجه إلى فخامة اللورد [كيث] وهو يبدو للوهلة الأولى مجرد التماس بسيط يرجوه أن يهتم بنا نحن المصريين التعساء. ولكن من الضرورى فى الحقيقة أن ينظر إليه على أنه ملخص للأحاديث السياسية التى دارت بيننا على ظهر السفينة. ولما كان من عدم التبصر فى الوقت الحاضر عرض خطتنا بشكل أكثر تفصيلا، فإن هذه المذكرات الموجزة المكتوبة على عجل يمكن أن تكون كافية لتذكيرك بأهم نقاط أحاديثنا. وعندما يحين الوقت الملائم لرفعك إياها مباشرة إلى حكومتك أو لإبلاغها لفخامة اللورد، فإن المصريين، لوثوقهم فى سجاياك الكريمة، يتركون لحسن فطنتك أن تثير اهتمام فخامة اللورد بقضيتهم، حتى يمكن أن يكون لنا سندا، سواء بما سوف يكتبه إلى مجلس الوزراء البريطانى، أو بما سوف يقوم به عندعودته إلى إنجلترا. وإننا لنؤكد أن فخامة اللورد سوف ينتصر بذلك لقضية فيها نفع لبلاده، وليس هناك ما يمكن أن يكون أسمى غاية لسعى لورد نبيل مثله.

- ٢ -

إذا افترضنا أن ما سوف يعرضه «الوفد المصرى لدى الحكومات الأوربية»، باسم المصريين الذين فوضوه، يبدو قليل الأهمية فى نظر تلك الحكومات، فإنكم ياسيادة القبطان توافقوننا على الأقل على أن الدول الأوربية لن تفعل أمجد أو أكرم من أن تبدد بقرا ر سياسى بسيط ظلمات الجهل والهمجية التى تخيم على هذه البلاد الذائعة الصيت. لقد كانت هذه البلاد مهدا لاستنارتنا ولعلومنا وفنوننا. ومجمل القول أنها كانت المركز الأول للحضارة التى نقلها عنها اليونان ومنها وصلت إلينا. وإذا كانت مصربماضيها المزدهر العظيم لا تستطيع أن تثير فى دول أوربا شعور العرفان بصنيعها وما لها من فضل، فهى تستطيع على الأقل أن تثير فيها شعور العطف عليها. فإذا ما تحقق ذلك وردوا إليها أمرها أمكنها أن ترضى كل الدول الطامعة فيها، دون أن تهدد واحدة منها فى مصالحها.

- ٣ -

لن يمضى وقت طويل حتى تؤيد بريطانيا حل القضية المصرية على هذه الأسس ... وفى هذه الأثناء قد تتقدم الحكومة الفرنسية نفسها باقتراح ذلك، وعندئذ ينبغى ألا تنسى الحكومة الإنجليزية أن ما يقترح إنما هو نتيجة جهود الوفد المصرى فى باريس، ومن ثم فليس هناك ما يدعو إلى أن تنظر الحكومة الإنجليزية إلى ذلك بشى من الريبة. وإذا ما تقدمت فرنسا بمثل هذا المشروع السياسى، فإنه سوف تفعل ذلك على سبيل المجاملة، لأن مصلحتها فى نجاح المشروع أقل من مصلحة بريطانيا. والذى لا شك فيه أن حكمة الجمهورية الفرنسية لا تزال راغبة فى امتلاك مصر مرة أخرى.

- ٤ -

توشك الإمبراطورية العثمانية على الانهيار. ولذا فيهمّ الإنجليز قبل أن تقع الواقعة أن يلتمسوا لأنفسهم من الوسائل المؤكدة ما يكفل لهم الإفادة من ذلك الحدث عند وقوعه فيحققوا مصالحهم السياسية. وإذا كان من المستحيل عليهم أن يستعمروا مصر - كما استحال ذلك من قبل على فرنسا - فيكفى أن تخضع مصر المستقلة لنفوذ بريطانيا صاحبة التفوق فى البحار المحيطة بها. ولا شك فى أن استقلال مصر سوف يحقق لها رخاءها، ولكنها لن تكون إلا دولة زراعية غنية بحاصلاتها الوفيرة التى تنتجها تربتها الخصبة وبتجارتها التى تتفرد بها مع أفريقيا الوسطى

وهذه المزايا سوف تعود بالفائدة على بريطانيا التى يهمها - بحكم مركزها فى الهند - أن تتاجر مع مصر وما حولها.

- ٥ -

لقد كان مراد بك يقول - وربما كان على حق - إن كفار الغرب (هكذا كان يسمى الدول الأوربية) أصبحوا يعرفون مصر معرفة تامة، وأن الكل يسعى للاستيلاء عليها، مما سيجعل منها موضوعا دائما للخلاف فيما بينهم. وقد يقال إن بريطانيا لا حاجة بها إلى الاستيلاء على مصر إذ أن لها من سيادتها البحرية ما يجعلها تستأثر بتجارة مصر الخارجية ويضمن لها بالتالى أن يكون لها ما تريد من نفوذ فيها. ولكن ماذا سيكون من أمر هذا النفوذ إذا ما عادت فرنسا من جديد الحليفة الطبيعية للباب العالى، وإذا ما عمل الباب العالى من ناحيته على إرضاء فرنسا أكثر من بريطانيا؟ وكيف يكون الوضع إذا ما مضت الدولة العثمانية فى إجراءاتها فأغلقت مرافئها فى وجه الإنجليز؟ ثم أليس من المحتمل كذلك أن يضغط الفرنسيون على حلفائهم ليتخذوا - برا - تدابير عدائية أكثر مع الإنجليز، يمكن أن تقضى على تجارتهم فى بلاد الشام وفى البحر الأحمر؟

- ٦ -

إن مشاعر المصريين نحو الفرنسيين ترجع إلى أساليب هؤلاء فى الحكم فى أثناء احتلالهم لمصر، ولست فى حاجة إلى إعادة الكلام فى هذا الموضوع ، إذ أعتقد أنكم يمكن أن تستعيدوا بسهولة ما دار بيننا من حديث حوله. وعلى هذا فإن كل شيء، بما فى ذلك مشاعر المصريين تجاه الفرنسيين وما يمكن أن يشعروا به تجاه الإنجليز كلما ازدادت معرفتهم لهم، يثبت أن مصر المستقلة لن تكن إلا موالية لبريطانيا. ومن ثم فعلى بريطانيا أن تعمل على استقلال مصر. أو على الأقل أن تؤيد هذا الاستقلال بعد حدوثه. وذلك على ضوء ما هو متوقع من تطورات فى مستقبل الأيام.

- ٧ -

إذا فرضنا أن حكومات الدول الأوربية سمحت باستقلال مصر، فكيف يحكم المصريون أنفسهم؟ وكيف يدافعون عن استقلالهم؟

أولا: لا يسمح المجال فى هذه المذكرات المحررة على عجل بالدخول فى تفصيلات مشروع الوفد المصرى لحكم البلاد. ويكفى الآن أن نلاحظ أن

قيام حكم الاستقلال لن يكون نتيجة انقلاب مبعثه وعى أمة اصطرعت فيها مختلف الآراء الفلسفية، ولكنه سيكون نتيجة تغيير جبرى تفرضه القوة القاهرة على قوم مسالمين جهلاء يكادون لا يعرفون سوى عاطفتين تحركان سلوكهم، هما المصلحة والخوف. فإذا استطاعت الحكومة الجديدة أن تسبغ على حياة الناس شيئا من الرخاء وأن تعمل على زيادة دخولهم، وهو أمر ليس بالعسير، فمن المؤكد أنها ستنال تأييدهم بحماس. وكيف لا يكون الأمر كذلك وأى حكومة فى العالم أفضل من الاستبداد التركى. فلتكن الحكومة الجديدة إذًا عادلة وحازمة ووطنية كما كانت حكومة شيخ العرب همام فى الصعيد التى رويت لك قصتها. ولا شك أنها عندئذ سوف تكون موضع الاحترام والطاعة والحب.

ثانيا: كيف يدافع المصريون عن استقلالهم؟ وهل سيكون هذا الدفاع ضد دولة أوربية؟إن من غير المتوقع حدوث ذلك إلا بعد وقت طويل يكون قد تم فى خلاله تنظيم جيش وطنى قادر على رد الاعتداء. أما إذا كان الاعتداء من جانب الترك أو المماليك فنعتقد أن الدول الأوربية لن تسمح بحدوث ذلك. ومن جهة أخرى فإن المصريين يمكنهم أن يعتمدوا على قوات أجنبية تعمل لحسابهم يتراوح عددها بين ١٢٠٠٠ و ١٥٠٠٠ جندى يكفون تماما لصد الترك عند الصحراء ولسحق المماليك داخل مصر، وتكون هذه القوات فى الوقت نفسه نواة الجيش الوطنى. ولما كان العثمانيون يفعلون أى شىء من أجل المال فمن الممكن بذله لهم لردهم عن مصر. ولقد كان المماليك يستعملون هذا السلاح كلما رأوا سحب السياسة تتلبد ضدهم فى القسطنطينية.

وينبغى ألا يفوتنا أن نذكر فى هذا الصدد أن المصريين منقسمون إلى عدة طوائف، وأن هذا الأنقسام من شأنه أن يساعد على دفع هذه الطوائف بعضها ببعض من أجل حفظ التوازن بينها. وللوفد المصرى صلات بهذه الطوائف جميعا دون انحياز لواحدة منها على الأخرى. وهذه الصلات قائمة فى الخفاء وستظل خافية تماما عن الحكومة التركية فى مصر. وهذه الحيطة أمر لابد منه تجاه حكم مستبد متربص بالناس، ولن يتوانى عن البطش بالأخوة دعاة الاستقلال والفتك بهم عن آخرهم إذا استطاع أن يكشفهم. ولقد استطاع الذين هجروا مصر من هؤلاء الأخوة مع الجيش الفرنسى أن يتحدوا طغيان الترك، ولكن الأمر ليس كذلك بالنسبة للأخوة الذين بقوا فى مصر، فهؤلاء يعيشون تحت السيف والعصا، ولا يملكون إلا إخفاء حقيقتهم والظهور بمظهر عبيد السلطان المخلصين.

ـ ٨ ـ

إن المصريين كافة، والوفد المصرى لدى الدول الأوربية بوجه خاص، سيبذلون كل ما فى وسعهم من جهد ليحرروا أنفسهم بطريقة ما من النير الذى يثقل كاهل بلادهم التعسة. ولكن إذا خاب سعيهم وجاءت اتفاقيات الصلح العام بعكس ما يرغبون،وشاء القدر أن يعود الترك إلى امتلاك هذه الأقاليم الجميلة الشهيرة وتعريضها بذلك لتجدد العدوان عليها، فأقل ما يلتمسه المهاجرون

المصريون من الدول المتعاقدة أن تكفل لهم من الضمانات ما يدرأ عنهم شر انتقام الترك إذا ما عادوا لوطنهم.

– ٩ –

بالرغم من أن الوفد المصرى لا يعمل إلا من أجل تحقيق مشروع سياسى فيه نفع لجميع الحكومات بما فى ذلك الحكومة التركية (وبالرغم مما يبدو من غرابة هذا القول فيمكننا البرهنة على صحته)، فقد تعرض ظروف لابد فيها من المحافظة على أسرار المفاوضات. ولذلك فإننا نرفق بهذا «شفرة» يمكن استعمالها فى مراسلاتنا إذا اقتضى الأمر ذلك.

– ١٠ –

يرى الوفد المصرى حرصا منه على نجاح المفاوضات المزمعة ضرورة كتمان أمر ما فاتحناكم فيه من مقدمات لها، وكذلك ما يمكن أن تبلغوه لفخامة اللورد، عن فرنسا وعن أى طرف يستطيع عرقلتها. إن خطة الوفد أن يعمل فى أوروبا على أن تكون فرنسا هى التى تبدأ بعرض المقترحات الأولى على بريطانيا، وتكون بريطانيا عندئذ قد اقتنعت بما فى مشروع الاستقلال المقترح من مزايا فتؤيده. وبهذه الطريقة فان الوفد المصرى لن يتعرض لأن يرى الحكومة الإنجليزية ترفض المشروع بمجرد علمها به بسبب العداء التقليدى بين الأمتين الإنجليزية والفرنسية، أو شكا منها فى وجود دسيسة ما من دسائس فرنسا.

– ١١ –

لكى تسهل مراسلتنا من فرنسا أو من غيرها يمكنك ياسيدى القبطان أن ترسل ما تريد إلى السنيور الكونت انطون كاسيس (قسيس) المقيم فى تريستا، وهو يقوم بتحويلها إلى حيث يقيم الوفد، على أن يوضح ذلك بوضع اسمى تحت اسمه على كل رسالة. أما الرسائل التى قد توجه إلينا من إنجلترا، فان وصولنا إلى باريس سوف يشيع أمره فتتيسر عندئذ معرفة أين نقيم، وبهذا يمكن أن أتسلم رسائل حكومتكم بسهولة. ولكن تلزم الحيطة التامة فيما يتصل بهذه النقطة الأخيرة حتى لا تتسرب أية شكوك إلى الحكومة الفرنسية.

ظهرالسفينة پلاس فى ٢١ سبتمبر ١٨٠١.



# ملحق رقم ( ٣٣ )

من [لطفي] نمر أفندى نيابة عن الوفد المصرى إلى القنصل الأول بونابرت.

إلى القنصل الأول للجمهورية الفرنسية من الوفد المصرى الذى يكن له أعظم التقدير.

المحجر الصحى بمارسيليا فى أول فنديمييرمن السنة العاشرة للجمهورية (٢٣ سبتمبر ١٨٠١) ١٨ صفر ١٢١٦(*).

فى قديم الزمان، إبان تلك العصور الموغلة فى القدم، عندما كانت فرنسا فى حالة الفطرة تكسوها الثلوج والغابات، كانت مصر متحضرة مزدهرة ينهل مشرعو الإغريق من معين علمها ومعرفتها. ثم دار الزمان دورته وشاء القدر أن يفد مصريو العصر الحاضر أحفاد رواد الحضارة فى الماضى إلى فرنسا وهى تنعم بحكمك الرشيد، ليتعرفوا على نظم أمة يحبونها وليقفوا على ما استحدثته من وسائل لم تسبقها إليها أمة أخرى، مكنتها ـ وهى الجمهورية الناشئة ـ من المحافظة على مكاسبها الحربية بما سنته من نظم سياسية جديدة ....... وكما أن سولون (Solon) عند عودته لبلاده من مصر شرع للإغريق ما اقتبسه من النظم المصرية، فإن الوفد المصرى الذى فوضه المصريون الباقون على ولائهم لك سيشرع لمصر ما ترضاه لها من نظم عندما يعود إليها من فرنسا.

إن هذا سوف يحدث يافخامة القنصل الأول إذا تفضلت ـ من أجل مجدك ومن أجل المصلحة السياسية للجمهورية الفرنسية ـ فمددت يد المساعدة للمصريين التعساء الذين وضعت عنهم من قبل أغلالهم التى عادوا ينوءون بها من جديد، وتكرمت فأحسنت استقبال وكلائهم فى باريس. إننا نأمل أن يكون استقبالنا فى العاصمة الفرنسية بمثابة اجتماع شرقى يجدد لك ذكرى الفتح العظيم الذى افاء الله به عليك ثم ضاع منك. ولابد أنك ـ ياسيدى القنصل الأول ـ شديد الإحساس بألم ما فقدت، ولكنك إذا عملت فى معاهدات الصلح على أن تكون مصر مستقلة فسوف تعوض خسارتك فيها مائة مرة. إن هذه هى أمانينا التى أخذنا على أنفسنا عهدا بالسعى إلى تحقيقها.

عن الوفد المصرى

وكيله

نمر أفندى

حاشية: أغا الانكشارية [عبد العال الانكشارية] وعضو الوفد الذى سبق أن عرفه فخامة القنصل الأول فى القاهرة يرجونى أن أذكرك بأنه لن ينسى ما غمرته به من عطف حينذاك.

(*) كذا فى الأصل. و ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٠١م توافق ١٥ جماد أول ١٢١٦.

# ملحق رقم (٣٤)

من نمر أفندى إلى وزير الخارجية الفرنسية (تاليران)

(تاريخ الملحق السابق نفسه)

سيهبط إلى موانىء الجمهورية الفرنسية عدد كبير من المهاجرين الشرقيين الذين غادروا بلادهم مع قوات جيش الشرق التى تم جلاؤها عن مصر. والوفد المصرى، بالرغم من أنه فقد رئيسه الجنرال يعقوب الذى قضى نحبه فى أثناء السفر، يعلن كل ما يشعر به من ولاء وتقدير للجمهورية الفرنسية، ويرى من الضرورى أن يلجأ إليك ياسعادة الوزير لتتفضل وتضعه هو وأولئك المهاجرين تحت رعايتك وتشملهم بكرمك وعنايتك.

لقد كان لويس الرابع عشر يعمل فى الظاهر على ضم كنيسة إثيوبيا إلى الكنيسة الرومانية (الكاثولكية)، ولكنه كان يسعى فى الحقيقة لمد نفوذه السياسى نحو أقاليم وسط أفريقيا الجذابة الغامضة. ومن ثم بذل عدة جهود لم يقدر لها النجاح لكى يتعلم فى فرنسا عدد من شباب القبط المصريين، لأن بطريرك الأقباط هو نفسه رأس الكنيسة الإثيوبية. وإذا كان الملك قد أخفق فى مسعاه، فإن الجمهورية الفرنسية اليوم فى ظل حكم القنصل الأول استطاعت أن تحقق ما عجزت عن تحقيقه الملكية المطلقة الاستبدادية

وإن الوفد المصرى الذى ينوب عن الأمة المصرية ليجسد وحده كل ما يختلج فى نفوس الذين أنابوه عنهم من شعور بالمصلحة المشتركة، وما يحتشد فى قلوبهم من أمان وما يملكون من فطنة وما يتمتعون به من نفوذ وثروة. وهو يعبر عما أجمعوا عليه مما يتمثل فى رغبتين: الأولى هى القضاء على القوة الغشوم التى عادت تستبد بهم من جديد، والثانية هى وضع ثقتهم فى فرنسا ليقينهم أن مصلحة الجمهورية الفرنسية ذاتها تقتضى ألا تخيب أملهم. وبناء على ذلك فنحن نتقدم إلى سعادة الوزير باقتراح: لقد تكبدت فرنسا فى الشرق خسارة جسيمة، فلم لا تتخذ من هذا الوفد وسيلة لتعويض ما خسرته؟ إنك إذا تفضلت فدعوت الوفد إلى لقائك فى باريس قبل توقيع الاتفاق التمهيدى مع بريطانيا، فإننا نستطيع أن نؤكد لك أن فرنسا سوف تحتفظ بنفوذها السياسى فى الشرق وتحميه مما قد يفقدها إياه زمنا طويلا نتيجة للجلاء عن مصر وما تطور إليه أمرها الآن، ونتيجة لمؤامرات الدول التى تخشى بحق زيادة نفوذ فرنسا. بل نستطيع أكثر من ذلك أن نتأكد أن فرنسا ـ إذا أرادت ـ يمكنها عن طريق الأمة المصرية التى ستكون موالية لها مد نفوذها نحو أواسط افريقيا. وهكذا يتحول ترككم مصر للإنجليز من نكبة إلى سبب لمجد القنصل الأول ومصدر رفاهية للأقاليم الفرنسية فى الجنوب.

ولايرى الوفد المصرى فى الوقت الحالى داعيا للإطالة. فهو يستطيع فى جلسة واحدة فى باريس أن يوضح مقاصده بما لا يستطيع فى عشرين مذكرة مكتوبة. ونحن المصريون نقدر فى الحديث على التعبير عما نريد، وإن كنا فى الكتابة قد لا

نستطيع أن نبلغ الغاية فى يسر. وبالإضافة إلى هذا فنحن مدركون لما تفرضه علينا كثرة مشاغلك السياسية من ضرورة الإيجاز فى الرسائل. إننا نرجو التفضل بالرد على كتابنا هذا، وأن تسمح لنا إذا تكرمت باستقبالنا فى باريس أن نقابلك بزينا الشرقى، فالمسلمون منا بالذات ليس من اليسير عليهم تغيير زيهمّ، ثم إن هذه الأزياء الشرقية قد تذكر فخامة القنصل الأول بفتوحه السابقة وترضى حب الاستطلاع لدى من لم يتبعوه للشرق.

إن الوفد المصرى يعلم تماما أن وقت القنصل الأول، الذى يّدبر بنفسه شئون الحكم حتى فى أدق جزئياتها وتنعم الدولة برعايته، أثمن من أن ينفقه فى التندر بقراءة ما يرد إليه من الرسائل الخاصة. ولكننا نرجوه أن يقدر أن وفدنا ينفرد بطبيعة خاصة، وأنه يصل إلى فرنسا فى ظروف معينة، وأن كتابنا له المرفق بهذا* له أهمية، فيتفضل بتسلمه وينعم النظر فيه بحكمته العميقة.



* يقصد بهذا الكتاب الملحق رقم (٣٣)

## شهر جمادى الأولى استهل بيوم الخميس سنة ١٢١٦

فيه قريت فرمانات صحبة عثمان كتخدا، وفيها التنويه بذكر أعيان الكتبة الأقباط والوصية بهم، مثل جرجس الجوهرى وواصف وملطى ومقدمهم فى تحرير الأموال الميرية.

وفيه انفصل مولانا السيد محمد المعروف بقدسى أفندى عن القضا وسافر ذلك اليوم، وذلك بمراده واستعفايه وطلبه، وتقلد القضا عوضه عبد الله أفندى قاضى الميرى وكاتب الجمرك، وحضر فى ذلك اليوم إلى المحكمة.

وفى يوم الخميس ثالثه أفرج عن حسن أغا المحتسب بشفاعة عثمان كتخدا وحسن أغا وكيل قبطان باشا من غير شى وتوجه إلى داره بجوار داره.

وفيه تجمع النسا والفلاحون والملتزمون والوجاقلية ببيت الوزير بسبب الالتزام والمنع من التصرف وحضور الفلاحين للضيق عليهم بطلب المال إلى ملتزميهم ومطالبتهم إياهم بما قبضوه منهم، فلما اجتمعوا وصرخوا سأل الوزير عن ذلك، فأخبروه فأمر بكتابة فرمان بالإطلاق والإذن للملتزمين بالتصرف ووجهوا الأمر إلى الدفتردار فكتب عليه ثم إلى الروزنامجى كذلك، ثم توجهوا به إلى دفتردار الدولة فتوقف، وبقى الأمر رجاجا أياما وذلك أن القوم يريدون أمورا مبطونة فى نفوسهم وأطماعا مركوزة فى طباعهم.

وفى يوم الاثنين نودى بالزينة ثلاثة أيام أولها: الأربعا وآخرها الجمعة تاسعه سرورا بتسليم الإسكندرية، فزينت المدينة

وعملت الوقدات بالأسواق والمغانى للفرجة ليلا ونهاراً، وكل ليلة يعمل شنك نفوط وسواريخ وبارود ببركة الغرابين المطل عليها بيت الوزير.

وفيه حضر نحو ستة أنفار من أعيان الإنكليز وصحبتهم جماعة من العثمانية يفرجونهم على مواطن مزارت المسلمين فدخلوا إلى المشهد الحسينى وغيره بمداساتهم فتفرجوا وخرجوا.

وفيه تحاسب السيد أحمد المحروقى مع السيد أحمد الزرو على شركة بينهما فتأخر على الزرو أحدوعشرون كيسا فألزمه بإحضارها وحبسه بسجن قواس باشا وأمره بالتضييق عليه.

ولما أصبح يوم السبت لغط الناس باستمرار الزينة سبعة أيام وانتظروا الإذن فى رفع التعاليق فلم يؤذن لهم بشى، فاستمروا طول النهار فى اختلاف وحل وربط، ثم أذن لهم قبيل الغروب برفعها بعد ما عمروا القناديل، وكان النسا يبتن سهارى بالحوانيت والقلقات يطوفون بالأسواق فمن وجدوه نايما نبهوه بإزعاج.

وفى يوم الاثنين ثانى عشره وقع من طوايف العسكر عربدة بالأسواق وتخطفوا أمتعة الناس ومن باعة المآكل كالشوا والفطير والبطيخ والبلح فانزعجت الناس ورفعوا متاعهم من الحوانيت وأخلوا منها وأغلقوها فحضر إليهم بعض أكابرهم وراطنهم فانكفوا، وراق الحال، وتبين أن السبب فى ذلك تأخير علايفهم، وذلك أن من عادتهم القبيحة أنه إذا

تأخرت عنهم علايفهم فعلوا مثل ذلك بالرعية وأثاروا الشرور، فعند ذلك يطيبون خواطرهم ويوعدونهم أو يدفعون لهم.

وفيه ورد الخبر بتولية محمد باشا خسرو* على مصر وهو كتخدا حسين باشا القبودان فألبس الوزير وكيله خلعة عوضا عنه، وأشيع عزل محمد باشا أبو مرق وسفره إلى بلاده، وحضر السفار أيضًا من جهة رشيد وإسكندرية، وأخبروا بأن الفرنساوية لم يزالوا بإسكندرية وبنديراتهم على الأبراج، وأن القبطان ومن معه لم يدخلوها وإنما يدخلها معهم الإنكليزية وأنهم ينتظرون إلى الآن الجواب والإذن من مشيختهم وما أشيع قبل ذلك فلا أصل له، وأما الطايفة الأخرى التي سافرت من مصر فإنهم نزلوا وسافروا على وفق الشرط من أبى قير كما تقدم.

[١٣٧] تولية محمد خسروا على مصر وعزل محمد باشا أبو مرق. هو كتخدا حسين باشا القبودان أحد قادة الحملة العثمانية البريطانية، كان أول باشا عثمانى على مصر بعد هزيمة الحملة الفرنسية وذلك بعد استلام الوزير يوسف باشا القاهرة وكان ينافسه فى ذلك محمد باشا أبو مرق أحد قواد الحملة العثمانية البريطانية. ولكن مدته لم تكن كبيرة، فقد تعين فى ١٢ جمادى الأول ١٢١٦هـ = سبتمبر ١٨٠١م وعزل فى ٢٠ ربيع الأول ١٢١٨هـ = يونيو ١٨٠٣م وأرسل الباب العالى بدلاً منه على باشا الطرابلسى. ولكن مشايخ الأزهر والسيد عمر مكرم قاموا بدورهم فى عزله وتولية محمد على باشا فيما بعد فى ١٢٢٠هـ = نوفمبر ١٨٠٦.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه وردت مكاتبة من قبطان باشا بطلب عثمان بك المرادى وعثمان بك البرديسى وإبراهيم كتخدا السنارى والحاج سلامة تابعه وآخرين، فسافروا فى يوم السبت رابع عشرينه.

وفى ليلة السبت المذكور قتلوا شخصا يسمى مصطفى الصيرفى من خط الصاغة قطعوا رأسه تحت داره عندحانوته، وسبب ذلك أنه كان يتداخل فى نصارى القبط والذين يتعاطون الفرد ويوزعونها، وتولى فردة أهل الصاغة وسوق السلاح وتجاهر بأمور نقمت عليه، وأضر أشخاصاً وأغرى به فحبس أياما، ثم قتل بأمر الوزير وترك مرميا ثلاث ليال ثم دفن ، وفى صبيحة قتله طاف المشاعلى بالخطة



ودوايرها مثل الجمالية والضبيبة والنحاسين وباب الزهومة وخان الخليلى فجبى من أرباب الحوانيت دراهم ما بين خمسة أنصاف فضة وعشرة، وعند شيله جبى القلقات أيضًا ما يزيد على المائة قرش وذلك من جملة عوايدهم القبيحة.

وفيه هرب السيد أحمد الزرو فلم يعلم له خبر وذلك بعد ما أطلق بضمانة السيد أسعد وابن محرم فكتب الوزير عدة فرمانات وأرسلها صحبة هجانة إلى جهة الشام وختموا على دوره، ولم يعلم هروبه إلا بعد أربعة أيام لما داخله من الخوف بقتل الصيرفى المذكور.

وفى يوم الخميس تاسع عشرينه عقد* إبراهيم بك الكبير عقد ابنته عديلة هانم التى كانت تحت إبراهيم بك الصغير المعروف بالوالى الذى غرق بواقعة الفرنسيس بإنبابة على الأمير سليمان كاشف مملوك زوجها الأول على صداق ألفين ريال وحضر العقد الشيخ السادات والسيد عمر [مكرم] النقيب والفيومى وبعض الأعيان.

* إبراهيم بك يعقد لابنته عديلة بعد وفاة زوجها على الأمير سليمان كاشف.



وفى يوم الجمعة غايته قتل شخص أيضًا بسوق السلاح وهو من ناحية المنصورة وجبى المشاعلية والقلقات دراهم من أرباب الحوانيت مثل ذلك المذكور فيما تقدم.

وانقضى هذا الشهر وحوادثه التى منها الارتباك* فى أمر حصص الالتزام والمزاد فى المحلول وعدم الراحة والاستقرار على شى يرتاح الناس عليه، ومثل ذلك الرزق الأحباسية والأوقاف.

* اضطراب الأحوال بسبب جبى الفرد والأموال.

وحضر شخص تولى النظر والتفتيش على جميع الأوقاف المصرية السلطانية وغيرها وبيده دفاتر ذلك، فجمع المباشرين واستملاهم، وكذلك كاتب المحاسبة وبث المعينين لإحضار النظار بين يديه وحسابهم على الإيراد والمصرف وأظهر أنه يريد بذلك تعمير المساجد الكاينة بالقرى المصرية وانضمت إليه الأغوات وطلب كل من كان له أدنى علاقة بذلك، واستمروا على ذلك بطول السنة، ثم انكشف الأمر وظهر أن المراد من ذلك ليس إلا تحصيل الدراهم فقط، وأخذ المصالحات والرشوات بقدر الإمكان بعد التعنت فى التحرير والتعلل بإثبات المدعى فى الإيراد والمصرف خصوصا إذا كان الشخص ضعيفا وليس من أرباب الوجاهة والمتوجهين [الوجهاء] أو بينه وبين الكتبة حزازة باطنية، ثم يحررون دفترا ويحررون الفايظ، ثم يطلبون منه إيراد ثلاث سنوات أو أربعة ولم يزل حتى يصالح على نفسه بما أمكنه، ثم يختمون له ذلك الدفتر ويتركونه وما يدين إن شاء عمر، وإن شاء آخر، فإن انتهت إليهم بعد ذلك شكوى فى ناظر وقف سبقت له مصالحة لا تسمع شكوى الشاكى ولا يلتفت إليها ويفعلون هذا الفعل فى كل سنة.

* زيادة النيل زيادة مفرطة تغرق جزيرة الروضة ومنازل الجيزة ومصر القديمة.

ومنها زيادة* النيل الزيادة المفرطة عن المعتاد وعن العام الماضى أيضا حتى غطى الذراع الذى زاده الفرنساوية على عامود المقياس، فإن الفرنساوية لما غيروا معالم المقياس رفعوا الخشبة المركبة على العامود وزادوا فوق العامود قطعة رخام مربعة مهندمة وجعلوا ارتفاعها مقدار ذراع مقسوم بأربعة وعشرين قيراطا، وركبوا عليها الخشبة فسترها الماء أيضا ودخل الماء بيوت الجيزة ومصر القديمة وغرقت الروضة،

ولم يقع فى هذا النيل حظوظ ولا نزهة للناس كعادتهم فى البرك والخلجان والمراكب، وذلك لاشتغال الناس بالهموم المتوالية وخصوصا الخوف من أذى العسكر وانحراف طباعهم وأوضاعهم وعدم المراكب وتخريب الفرنسيس أماكن النزاهة وقطع الأشجاروتلف المقاصف التى كانت تجلس بها أولاد البلد مثل دهليز الملك والجسر والرصيف وغير ذلك، مثل الكازرونى والمغربى وناحية قنطرة السد وقصر العينى والقصور.

ومنها أن محمد بك المعروف بالمنفوخ المرادى حصل عنده وحشة من قبطان باشا فحضر إلى ناحية الأهرام بالجيزة وطلب الحضور عند الوزير يستجير به، فذهب إليه خشداشه عثمان بك البرديسي وحادثه وأشار عليه بالرجوع إلى جهة القبطان فأقام أياما ثم رجع إلى ناحية إسكندرية، والسبب فى ذلك ما حصل فى الوقعة التى قتل بها أحمد بك الحسينى قيل إن ذلك بنفاقه عليه، واتضح ذلك للقبطان، وأحضرت العرب مراسلته إليهم بذلك فانحرف عليه القبطان، فلم علم ذلك داخله الخوف ثم أرسل إليه الأمرا والقبطان أمانا فرجع بعد أيام.

ومنها حضور الجمع الكثير من أهالى الصعيد هروبا* من الألفى وما أوقعه بهم من الجور والمظالم والتقارير والضرايب والغرايم، وحضر أيضا الشيخ عبد المنعم الجرجاوى والشيخ العارف وخلافهم يتشكون مما أنزله على بلادهم، وطلب متروكات الأموات وأحضر ورثتهم وأولادهم وأطفالهم ومن توسط أو ضبط أو تعاطى شيا من القضاة والفقها وحبسهم

* هروب أهالى الصعيد من جور الألفى.

وعاقبهم وطالبهم وطلب استئصال ما بأيديهم ونحو ذلك، كل ذلك بأمر من الدولة وغير ذلك معين، فحضروا فصالحوا على تركة سليم كاشف باثنين وعشرين ألف ريال، بعد أن ختموا على دوره وبعد أن أزعجوا حريمه وعياله ونطوا من الحيطان، ثم حضروا إلى مصر وأمثال ذلك.

* تعدى العسكر العثمانية على الرعية ونهبهم للقرى والمدن، حتى تمنى الناس حكم الفرنساوية.

ومنها كثرة تعدى* العسكر بالأذية للعامة وأرباب الحرف فيأتي الشخص منهم ويجلس على بعض الحوانيت، ثم يقوم فيدعى ضياع كيسه أو سقوط شي منه، وإن أمكنه اختلاس شي فعل أو يبدلون الدنانير الزيوف الناقصة النقص الفاحش بالدراهم الفضة قهراً، أو يلاقشون النسا في مجامع الأسواق من غير احتشام ولا حيا، وإذا صرفوا دراهم أو أبدلوها اختلسوا منها، وانتشروا في القرى والبلدان ففعلوا كل قبيح، فتذهب الجماعة منهم إلى القرية وبيدهم ورقة مكتوبة باللغة التركية ويوهمونهم أنهم حضروا إليهم بأوامر إما [بطلب عوايد] رفع المظالم أو ما يتدعونه من الكلام المزور، ويطلبون حق طريقهم مبلغا عظيما ويقبضون على مشايخ القرية ويلزمونهم بالكلف الفاحشة ويخطفون الأغنام ويهجمون على النسا وغير ذلك مما لا يحيط به العلم، فطفشت الفلاحون وحضر أكثرهم إلى المدينة حتى امتلأت الطرق والأزقة منهم أو يركب العسكرى حمار المكارى قهرا ويخرج به إلى جهة الخلا فيقتل المكارى ويذهب بالحمار فيبيعه بساحة الحمير، وإذا انفردوا بشخص أو بشخصين خارج المدينة أخذوا دراهمهم أو شلحوهم ثيابهم أو قتلوهم بعد ذلك، وتسلطوا على الناس بالسب

والشتم ويجعلونهم كفرة وفرنسيس وغير ذلك، وتمنى أكثر الناس وخصوصا الفلاحين أحكام الفرنساوية.

ومنها أن أكثرهم تسبب [احترف] في المبيعات وساير أصناف المأكولات والخضارات ويبيعونها بما أحبوا من الأسعار ولا يسرى عليهم حكم المحتسب ولا غيره، وكذلك من تولى منهم رياسة حرفة من الحرف كالمعمارجية أو غيرهم قبض من أهل الحرفة معلوم أربع سنوات وتركهم وما يدينون، فيسعرون كل صنف بمرادهم وليس له هو التفات لشي سوى ما يأخذه من دراهم الشكاوى، فغلا بسبب ذلك الجبس والجير وأجر الفعلة والبناين خصوصا وقد احتاج الناس لبنا ما هدمه الفرنسيس وما تخرب في الحروب بمصر وبولاق وجهات خارج البلد، حتى وصل الإردب الجبس إلى ماية وعشرين نصف فضة، والجير بخمسين نصف فضة، وأجرة البنا أربعين فضة، والفاعل عشرين، وأما الغلة فرخيصة، وكذلك باقي الحبوب بكثرتها مع أن الرغيف ثلاثة أواق بنصف لما ذكر من عدم الالتفات إلى الأحكام والتسعيرات.

* العسكر العثماني يحتكر التجارة في السلع بأسعار باهظة دون تدخل المحتسب، أو منعه لهم.

---

## واستهل جمادى الثانية
## بيوم السبت سنة ١٢١٦

فيه تفكك* الجسر الكبير المنصوب من الروضة إلى الجيزة وذلك من شدة الماء وقوته فتحللت رباطاته وانتزعت مراسيه وانتشرت أخشابه وتفرقت سفنه وانحدرت إلى بحرى.

* تفكك الجسر الكبير عند الروضة بسبب فيضان النيل.

* حادث الزلزال.

وفى ليلة الأحد ثانيه حصلت زلزلة* فى ثالث ساعة من الليل.

وفى يوم الاثنين ثالثه قطعوا رأس مصطفى المقدم المعروف بالطاراتى بين المفارق بباب الشعرية، وذلك بعد حبسه أياما عديدة وضربه وعقابه حتى تورمت قدماه وطاف مع المعينين عدة أيام يتداين بواقى ما قرر عليه ودخل دارًا نافذة وأجلس الملازمين له ببابها وهم لا يعلمون بنفوذها، وأوهم أنه يريد التداين من صاحب الدار ونفذ من الجهة الأخرى واختفى فى بعض الزوايا فاستعوقه الجماعة ودخلوا إلى الدار فلم يجدوه وعلموا بنفوذها فقبضوا على خدمة الدار وضربوهم فلم يجدوا عندهم علما منه فأطلقوهم وأوقعوا عليه الفحص والتفتيش فرآه شخص ممن صادره فى أيام الفردة فصادفه فى صبحها خارج باب القرافة فقبض عليه وأحضره بين يدى جماعة القلق فدل عليه، فقبضوا عليه وقتلوه بعد القبض عليه بثلاثة أيام وتركوه مرميا تحت الأرجل وسط الطريق وكثرة الأزدحام ثلاث ليال وفعلوا عادتهم فى جبى الدراهم من تلك الخطة.

وفيه ورد فرمان من محمد باشا [خسروا] والى مصر بأن يتأهبوا لموكبه على القانون القديم فكتبوا تنابيه للوجاقلية والأجناد بالتهي للموكب.

وفى يوم الثلاثا وصل شمس الدين بك أميراخور كبير ومرجان أغا دار السعادة* فأرسلوا تنابيه إلى الوجاقلية والأمرا والمشايخ ومحمد باشا وإبراهيم باشا فاجتمعوا ببيت الوزير وحضر المذكوران بعد الظهر فخرج الوزير ولاقاهما

* أغا دار السعادة يصل بخطاب من السلطان بتهنئة الجيش العثمانى المجاهد الذى أخرج الفرنسيس.

من المجلس الخارج فسلماه كيسا بداخله خط شريف، فأخذه وقبله وأحضرا له بقجة بداخلها خلعة سمور عظيمة فلبسها وسيفاتقلد به وشلنج جوهر وضعه على رأسه ودخل صحبتهما إلى القاعة حيث الجمع، ففتح الكيس وأخرج منه الفرمان ففتحه وأخرج منه ورقة صغيرة فسلمها للريس أفندى فقراها باللغة التركية والقوم قيام على أقدامهم مضمونها الخطاب لحضرة الوزير الحاج يوسف باشا وحسين باشا القبطان والباشات والأمرا والعساكر المجاهدين والثنا عليهم والشكر لصنيعهم وما فتحه الله على يديهم وإخراجهم الفرنسيس ونحو ذلك، ثم وعظ بعض الأفندية بكلمات معتادة ودعوا للسلطان والوزير والعساكر الإسلامية، وتقدم إبراهيم باشا ومحمد باشا وطاهر باشا وباقى الأمرا فقبلوا ذيل الخلعة وانصرفوا، وضربوا مدافع كثيرة من القلعة فى ذلك الوقت وفى ذلك اليوم ألبس الوزير الأمرا والباشات فراوى وخلعا وشلنجات ذهب على روسهم.

وفيه حضرت أطواخ بولاية جدة لمحمد باشا توسون أغات الجبجية وهو إنسان لا بأس به.

وفيه حضر القاضى الجديد من الروم ووصل إلى بولاق وهو صاحب المنصب فأقام ثلاثة أيام وصحبته عياله وحريمه، فلما كان يوم السبت ثامنه حضر بموكبه إلى المحكمة وذهب إليه الأعيان فى صبحها وسلموا عليه وله مسيس بالعلم.



* النيل عند بولاق وشبرا.

* محمد باشا خسرو يقبض على إبراهيم بك الكبير ويسعى للقبض على الألفي في الصعيد.

وفي يوم الثلاثا حادى عشره عمل الوزير* الديوان وحضر عنده الأمرا فقبض على إبراهيم بك الكبير وباقي الأمرا الصناجق وحبسهم، وأرسل طاهر باشا بطايفة من العسكر الأرنؤد إلى محمد بك الألفي بالصعيد، وكان أشيع هروبه إلى جهة الواحات.

وذهبت طايفة إلى سليم بك أبى دياب وكان مقيما بالمنيل، فلما أخذ الخبر طلب الهرب وترك حملته، فلما حضرت العسكر إليه فلم يجدوه، فنهبوا القرية وأخذوا جماله وهي نحو السبعين وهجنه وهي نيف وثلاثون هجينا. وذهبت إليه طايفة بناحية طرا فقاتلهم ووقع بينهم بعض قتلى ومجاريح، ثم هرب إلى جهة قبلي من على الحاجر ووقفت طايفة العسكر والأرنؤد بالأخطاط والجهات وخارج البلد يقبضون على من يصادفونه من المماليك والأجناد.

ونودى في ذلك اليوم بالأمن والأمان على الرعية والوجاقلية، وأطلق الوزير مرزوق بك ورضوان كتخدا إبراهيم بك وسليمان أغا كتخداه المسمى بالحنفي.

وأحاطت العسكر بالأمرا المعتقلين واختفى باقيهم ونودى عليهم وبالتوعد لمن أخفاهم أو آواهم، وباتوا بليلة كانت أسوأ عليهم من ليلة كسرتهم وهزيمتهم من الفرنسيس، وخاب أملهم وضاع تعبهم وطمعهم وكان في ظنهم أن العثملي يرجع إلى بلاده ويترك لهم مصر ويعودون إلى حالتهم الأولى يتصرفون في الأقاليم كيفما شاءوا فاستمروا في الحبس.

ثم تبين أن سليم بك أبا دياب ذهب إلى عند الإنكليز والتجا إليهم بالجيزة وألبس الوزير سليمان أغا تابع صالح أغا زِىّ العثمانيين، وجعله سلخور [سردار]، وأمره أن يتهيأ ليسافر إلى إسلامبول فى عرض الدولة.

وفى يوم الاثنين سابع عشره سافر إسماعيل أفندى قبون كاتب حوالة إلى رشيد باستدعاء من الباشا والى مصر.

* وصول كسوة للكعبة من السلطان.

وورد الخبر بوصول* كسوة للكعبة من حضرة السلطان، فلما كان يوم الأربعا حضر واحد أفندى وآخرون وصحبتهم الكسوة فنادوا بمرورها فى صبحها يوم الخميس فلما أصبح يوم الخميس المذكور ركب الأعيان والمشايخ والأشاير وعثمان كتخدا المنوه بذكره لإمارة الحج وجمع من الجاويشية والعساكر والقاضى ونقيب الأشراف وأعيان الفقها وذهبوا إلى بولاق وأحضروها وهم أمامها وفردوا قطع الحزام المصنوع من المخيش ثلاث قطع والخمسة مطوية وكذلك البرقع ومقام الخليل، كل ذلك مصنوع بالمخيش العال والكتابة غليظة مجوفة متقنة وباقى الكسوة فى سحاحير على الجمال وعليها أغطية جوخ أخضر ففرح الناس بذلك وكان يوماً مشهوداً.

وأخبر من حضر أنه عندما وصل الخبر بفتح مصر أمر حضرة السلطان بعملها فصنعت فى ثلاثين يوماً، وعند فراغها أمرهم بالسير ليلا وكان الريح مخالفا فعندما حلوا المراسى اعتدل الريح بمشيئة الله تعالى، وحضروا إلى سكندرية فى أحد عشر يوما.



وفيه وردت الأخبار بأن حسين باشا القبطان لم يزل يتحيل وينصب الفخاخ* للأمرا الذين عنده وهم محترزون منه وخايفون من الوقوع فى حباله، فكانوا لا يأتون إليه إلا وهم متسلحون ومتحرزون وهو يلاطفهم ويبش فى وجوههم إلى أن كان اليوم الموعود به عزم عليهم فى الغليون الكبير الذى يقال له أزج عنبرلى، فلما طلعوا إلى الغليون وجلسوا فلم يجدوا القبودان فأحسوا بالشر، وقيل إنه كان بصحبتهم فحضر إليه رسول وأخبره أنه حضر معه ثلاثة من السعاة بمكاتبة، فقام ليرى تلك المراسلة فما هو إلا أن حضر إليهم بعض الأمرا وأعلمهم أنه ورد خط شريف باستدعاهم إلى حضرة مولانا السلطان وأمرهم بنزع السلاح فأبوا، ونهض محمد بك المنفوخ وسل سيفه وضرب ذلك الكبير فقتله،

* حسن باشا القبطان يعد مؤامرة للتخلص من الأمرا المماليك، ويقتل بعضهم ويفر الباقى إلى الإنجليز.

فما وسع البقية إلا أنهم فعلوا كفعله وقاتلوا من بالغليون من العساكر وقصدوا الفرار فقتل عثمان بك [الطنبورجى] المرادى الكبير* وعثمان بك الأشقر* ومراد بك الصغير* وعلى بك أيوب ومحمد بك المنفوخ ومحمد بك الحسينى الذى تأمر عوضا عن أحمد بك الحسينى وإبراهيم كتخدا السنارى* وقبض على الكثير منهم وأنزلوهم المراكب وفر البقية مجروحين إلى عند الإنكليز وكانوا واقعين عليهم من ابتدا الأمر فاغتاظ الإنكليز وانحازوا إلى إسكندرية، وطردوا من بها من العثمانيين وأغلقوا أبواب الأبراج، وحضر منهم عدة وافرة وهم طوابير بالسلاح والمدافع واحتاطوا بقبطان باشا من البر والبحر فتهيا عساكره لحربهم فمنعهم، فطلب الإنجليز بروزه بعساكره لحربهم فقال لم يكن بيننا وبينكم حرب، واستمر جالسا فى صيوانه فحضر إليه كبير الإنكليز وتكلم معه كثيرا وصمم على أخذ بقية الأمرا المسجونين فأطلقهم له فتسلمهم وأخذ أيضا المقتولين ونقل عرضى الأمرا من محطتهم إلى جهة الإسكندرية، وعملوا مشهدا للقتلى مشى به عساكر الإنجليز على طريقتهم فى موتى عظماهم، ووصل الخبر إلى من بالجيزة من الإنكليز وذلك ثانى يوم من قبض الوزير على الأمرا ففعلوا كفعلهم وأخذوا حذرهم وضربوا بعض مدافع ليلا وشرعوا فى ترتيب آلة الحرب.

وفى ذلك اليوم طلع محمد باشا طوسون والى جدة الساكن ببيت طرا إلى القلعة وصعد معه جملة من العسكر وشرعوا فى نقل قمح ودقيق وقومانية وملوا الصهاريج، وشاع ذلك

* عثمان بك المرادى: هو عثمان بيك الجوخدار المعروف بالطنبورجى المرادى. وهو من مماليك مراد بيك، تولى بعده إمارة أتباعه بإشارة خشداشه محمد بيك الألفى وانضم للقوات التركية البريطانية التى زحفت على مصر لمحاربة جنود الحملة الفرنسية ولكن بعد انتصار العثمانيين واستلامهم مصر انقلبوا عليه وقتلوه فى هذه المؤامرة. ومن المعروف عنه أنه كان أعاد عمارة مشهد السيدة زينب فى هذا الوقت. كان يحب العزف على الطنبور ومن هنا جاء اسمه. انظر ترجمته رقم ٦٣٠.

* عثمان بك الأشقر: هو عثمان بيك الأشقر الإبراهيمى، وهو من مماليك إبراهيم بيك الكبير. عرف بالأشقر لشقرته، خرج هاربا إلى الوجه القبلى فى أعقاب انتصار الحملة الفرنسية على المماليك، ثم لحق بسيده ببر الشام ورجع معه ضمن قوات الحملة التركية البريطانية وخدم ضمن قواتها لصالح العثمانيين ولكنهم غدروابه وقتلوه فى هذه المؤامرة. انظر ترجمته رقم ٦٢٩.

* مراد بيك الصغير: وهو من مماليك محمد بيك أبى الدهب، وكان يعرف بمراد الكاشف. انضم إلى قوات الحملة العثمانية البريطانية على مصر ولكن العثمانيين غدروا به وقتلوه فى هذه المؤامرة.

* كتخدا السنارى الأسود: وأصله من دنقلة، وكان بوابا فى مدينة المنصورة أشتهر بكتابة الأحجبة وضرب الرمل، ثم ذهب إلى الصعيد وأنضم إلى أتباع مصطفى بيك الكبير وتعلم اللغة التركية فاستعمله فى مراسلاته، ثم

أنضم إلى مراد بيك فاشتهر أمره وأشترى المماليك والجوارى، ثم هرب مع سيده وعاد للقاهرة بعد خروج الفرنسيين وانضم للقوات العثمانية التى غدرت به وقتلته فى هذه المؤامرة. انظر ترجمته رقم ٦٣٣.

بين الناس فارتاعوا وداخلهم الوسواس من ذلك، واستمروا ينقلون إلى القلعة مدافع وبارودا وآلات حرب.

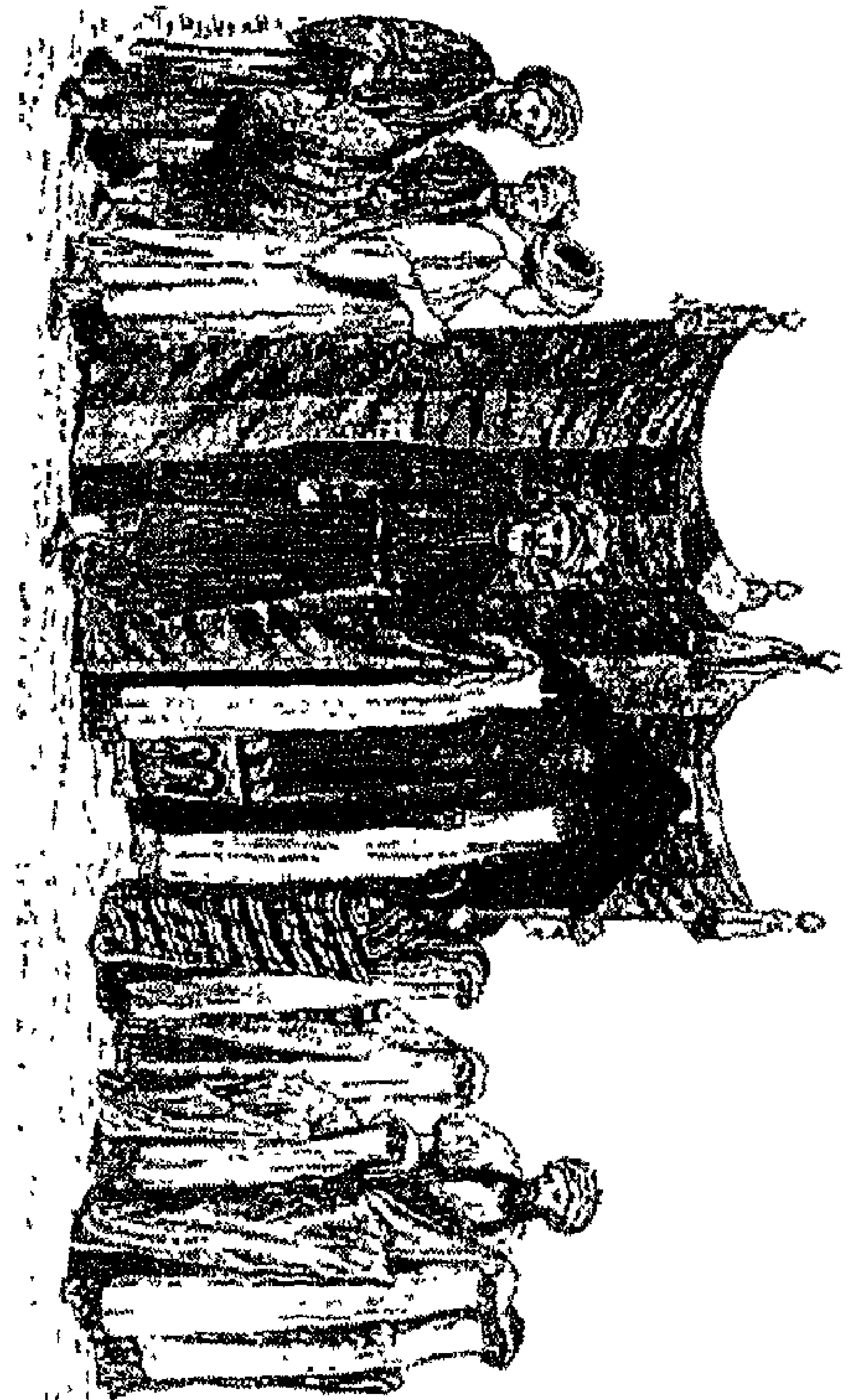
وفى يوم الاثنين رابع عشرينه حضر كبير الإنجليز الذى بالجيزة فألبسه الوزير فروة وشلنجا.

وفى ذلك اليوم خلع الوزير على عثمان أغا المعروف بقبى كتخدا وقلده على إمارة الحج.

* معارك المغاربة والانكشارية داخل القاهرة.

وفى ذلك اليوم وقع بين عسكر المغاربة والانكشارية فتنة* ووقفوا قبالة بعضهم ما بين الغورية والفحامين وأغلقت الناس حوانيتهم بسوق الغورية والعقادين والصاغة والنحاسين، ولم يزالوا على ذلك حتى حضر أغات الانكشارية وسكنت الفتنة بين الفريقين.

* زفة العروس



وفى يوم الخميس سابع عشرينه مروا بزفة عروس بسوق النحاسين وبها بعض الانكشارية فحصلت فيهم ضجة ووقع فيهم فشل، فخطفوا ما على العروس وبعض النسا من المصاغ المزينات به، وفى أثنا ذلك مَرّ شخص مغربى فضربه عسكرى رومى ببارودة فسقط ميتا عند الأشرفية، فبلغ ذلك عسكر المغاربة فأخذوا سلاحهم وسلوا سيوفهم وهاجت حماقتهم وطلعوا يرمحون من كل جهة وهم يضربون البندق ويصرخون فأغلقت الناس الحوانيت وهرب قلق الأشرفية بجماعته وكذلك قلق الصنادقية، وفزعت الناس ولم يزالوا على ذلك من وقت الظهر إلى الغروب، ثم حال بينهم الليل وقتل من المغاربة أربعة أشخاص وأصبحوا

محترسين من بعضهم، فحضر أغات الانكشارية على تخوف وجلس بسبيل الغورية وحضر الكثير من عقلا الانكشارية وأقاموا بالغورية وحوالى جهة الكعكيين والشوايين حيث سكن المغاربة واستمر السوق مغلوقا ذلك اليوم، ورجعت القلقات إلى مراكزها وبردت القضية وكأنهم اصطلحوا وراحت على من راح.

---

وانقضى هذا الشهر بحوادثه التى منها استمرار نقل الأدوات إلى القلعة وكذلك مراكز باقى القلاع مع أنهم خربوا أكثرها.

ومنها زيادة تعدى العسكر على السوقة والمحترفين والنسا وأخذ ثياب من ينفردون به من الناس فى أيام قليلة.

ومنها استمرار مكث النيل على الأرض وعدم هبوطه حتى دخل شهر هاتور وفات أوان الزراعة وعدم تصرف الملتزمين وهجاج الفلاحين من الأرياف لما نزل بهم من جور العسكر وعسفهم فى البلاد، حتى امتلأت المدينة من الفلاحين ونودى عليهم عدة مرار بذهابهم إلى بلادهم.

ومنها أن الوزير* أمر المصرلية بتغيير زيهم وأن يلبسوا زى العثمانية فلبس أرباب الأقلام والأفندية والقلقات القواويق الخضر والعنتريات وضيقوا أكمامهم ولبس مصطفى أغا وكيل دار السعادة سابقا وسليمان أغا تابع صالح أغا وخلافهما.

* الباشا يأمر المماليك بلبس الزى العثمانى.

## واستهل شهر رجب الفرد سنة ١٢١٦

فكان أوله يوم الأحد فى ثانيه سافر سليمان أغا تابع صالح أغا إلى إسلامبول وفيه أمر الوزير الأمرا المحبوسين بأن يكتبوا كتابا إلى الإنكليز* بأنهم أتباع السلطان وتحت طاعته وأمره إن شاء أبقاهم فى إمارتهم، وإن شاء قلدهم مناصب فى ولايات أخرى، وإن شا طلبهم يذهبون إليه، فلا دخل لكم بيننا وبينه وكلام فى معنى ذلك، فأرسلوا [أى الإنجليز] يقولون إن هذا الكلام لا عبرة به فإنهم مسجونون وتحت أمركم ومكتوب المقهور المكره لا يعمل به، فإن كان ولابد فأرسلوهم إلينا لنخاطبهم ونعلم ضميرهم وحقيقة حالهم.

* تدخل الإنجليز للأفراج عن الأمرا المماليك.

فلما كان ليلة الاثنين تاسعه أحضر الوزير إبراهيم بك والأمرا وأعلمهم أن قصده إرسالهم إلى بر الجيزة عند الإنجليز ليتفسحوا ذلك اليوم ويخبروهم أنهم مطيعون للسلطان وتحت أوامره، وأن المراسلة التى أرسلوها عن طيب قلب منهم وليسوا مكروهين فى ذلك، فأظهر إبراهيم بك التمنع عن الذهاب وأنه لا غرض له فى الذهاب إلى مخالفى الدين فجزم عليه ووعده خيراً وعاهدهم وحلفهم.

فنزلوا وركبوا من عنده فى الصباح وما صدقوا بالخلاص، وعدوا إلى الجيزة وذهبوا إلى عند الإنجليز فتبعهم أتباعهم ومماليكهم يرمحون إليهم ويلحقون بهم فأقاموا هناك ولم يرجعوا فانتظر الوزير رجوعهم خمسة أيام وأرسل إليهم يدعوهم إلى الرجوع حكم عهدهم، فامتنع إبراهيم بك وتكلم بما فى ضميره من قهره من الوزير وخيانته له.

وفي يوم السبت عملوا جمعية ببيت الشيخ السادات واجتمع المشايخ والوجاقلية وذلك بأمر من الوزير، وأرسل إليهم مكاتبة وفي ضمنها النصيحة والرجوع إلى الطاعة فأرسلوا في جواب الرسالة يقولون إنهم ليسوا مخالفين ولا عاصين وأنهم مطيعون لأمر الدولة وإنما تأخرهم بسبب خوفهم وخصوصاً ما وقع لإخوانهم بإسكندرية وأنهم لم يذهبوا إلى عند الإنجليز إلا لعلمهم أنهم عسكر السلطان ومن المساعدين له على أعدايه ومتى ظهر لهم أمر يرتاحون فيه رجعوا إلى الطاعة ونحو ذلك من الكلام.

وفي يوم الجمعة سابع عشرينه حضر عابدى بك نسيب مولانا الوزير فخرج إليه غالب أعيان العثمانية والجاويشية وطاهر باشا وعسكر الأرنؤد وتلقوه ودخل بحموله في موكب جليل، وكان حضرة الوزير حاصلا عنده توعك وغالب أوقاته محتجب عن ملاقاة الناس.

وفيه ورد الخبر بسفر قبطان باشا من ساحل أبى قير إلى الديار الرومية في منتصف الشهر، وأما محمد باشا [خسروا] الوالي على مصر فإنه لم يزل مقيما بأبي قير وحضر خازنداره وسكن ببيت البكرى بالأزبكية.

---

## واستهل شهر شعبان بيوم الثلاثا سنة ١٢١٦

فيه حضر يوسف أفندى وبيده مرسوم بولايته على نقابة الأشراف* فبات ببولاق وأرسل ناسا يعلمون بحضوره فلم يخرج لملاقاته أحد، ثم إن بعض الناس أحضر إليه فرسا فركبه في ثاني يوم وحضر إلى مصر، وأشاع أنه متولى نقابة الإشراف ومشيخة المدرسة الحبانية.

* قصة التركى الذى حاول أن يكون نقيبا للأشراف في مصر.

وخبر ذلك الإنسان أنه كان يبيع الخردة واليميش بحانوت بخان الخليلى، وهو من متصوفة الأتراك الذين يتعاطون الوعظ والإقرا باللغة التركية، فمات شيخ رواق الأروام بالأزهر، فاشتاقت نفسه للمشيخة على الرواق المذكور فتولاها بمعونة بعض سفهاهم، فنقم عليه الطايفة أمورًا واختلاسات من الوقف فتعصبوا عليه وعزلوه وولوا مكانه السيد حسين أفندى المولى الآن، فحنق من ذلك وداخله قهر عظيم وحقد على حسين أفندى المذكور وأضمر له فى نفسه المكروه فدعاه يوما إلى داره ودس له سما فى شرابه فنجاه الله من ذلك، شربت ابنة يوسف أفندى الداعى تلك الكاسة المسمومة غلطا وماتت وشاع ذلك وتواترت حكايته بين الناس ورجع كيده عليه وذاق وبال أمره كما قيل:

ومن يحتفر بيرا ليوقع غيره
سيوقع بالبير الذى هو حافر

ثم إنه سافر إلى إسلامبول وأقام هناك مدة إقامة الفرنسيس بمصر، ولم يزل يتحيل ويتداخل فى بعض حواشى الدولة، وأعرض بطلب النقابة ومشيخة الحبانية* فأعطوه ذلك لعدم علمهم بشأنه وظنهم أنه أهل لذلك بقوله لهم إنه كان شيخا على الأزهر ومعرفته بالعلم.

فلما حصل بمصر وظهر أمره تجمعت أعيان الأشراف وقالوا لا يكون هذا حاكما ولا نقيبا علينا أبدا، وتنوقل خبره وظهر حاله لأكابر الدولة وحضرة الصدر الأعظم فلم يصغوا إليه ولم يسعفوه وأهمل أمره، وهكذا شأن ريسا الدولة أدام الله بقاهم، إذا تبين لهم الصواب فى قضية لا يعدلون إلى خلافه.

* هى فى الاساس تكية اقامها السلطان محمود ابن السلطان مصطفى سنة ١١٦٤ للدراويش الاتراك تحتوى على غرف لهم ومطبخ ومكتبة.
وبخصوص هذه الواقعة فإنه بعد أن أهمل أمر يوسف أفندى عاد الباشا وعينه فى ذات المنصب. انظر وقائع يوم الأربعاء ٢٩ رمضان.
وهكذا كان مدح الجبرتى فى الفقرة التالية فى غير محله.

وفيه من الحوادث أنه تقيد بأبواب القاهرة بعض من نصارى القبط ومعهم بعض من العسكر فصاروا يأخذون دراهم من كل من وجدوا معهم شيًا سوا كان داخلا أو خارجا بحسب اجتهادهم وكذلك ما يجلب من الأرياف وزاد تعديهم فعم الضرر وعظم الخطب وغلت الأسعار وكل من ورد بشى يبيعه يشتط فى ثمنه ويحتج بأنه دفع عليه كذا وكذا من دراهم المكس فلا يسع المشترى إلا التسليم لقوله والتصديق له وقبول عذره.

والسبب فى ذلك أن الذين تقيدوا بديوان العشور بساحل بولاق دس عليهم بعض المتقيدين معهم من الأقباط أن كثيرا من المتاجر التى يؤخذ عليها العشور يذهب بها أربابها من طريق البر ويدخلون بها فى أوقات الغفلة تحاشيا عن دفع ما عليها، وبذلك لا يجتمع المال المقرر بالديوان من ذلك، فأذن كبرا الديوان بذلك فانفتح لهم بذلك الباب فولجوه ولم يحسبوا للعاقبة من حساب وزادوا فى الجور والفضايح وأظهروا ما فى نفوسهم من القبايح، فساءت الظنون واستغاث المستغيثون، وأكثر سخاف الأحلام بما لا طايل تحته من الكلام كما قيل فى هذا المعنى.

وكنا نستطب إذا مرضنا
فصار الداء من قبل الطبيب

إلى أن زاد التشكى وأنهى الأمر إلى الوزير فأمر بإبطال ذلك وانجلت تلك الغمة.

وفيه أيضا أعرض طايفة القبانية وتشكوا مما رتب عليهم من الجمرك السنوى فأطلق لهم الأمر برفعه عنهم.

وفيه قبضوا على رجل من المفسدين بإقليم المنوفية يقال له راضى النجار وأحضروه إلى مصر ,قطعت رأسه بالرميلة.

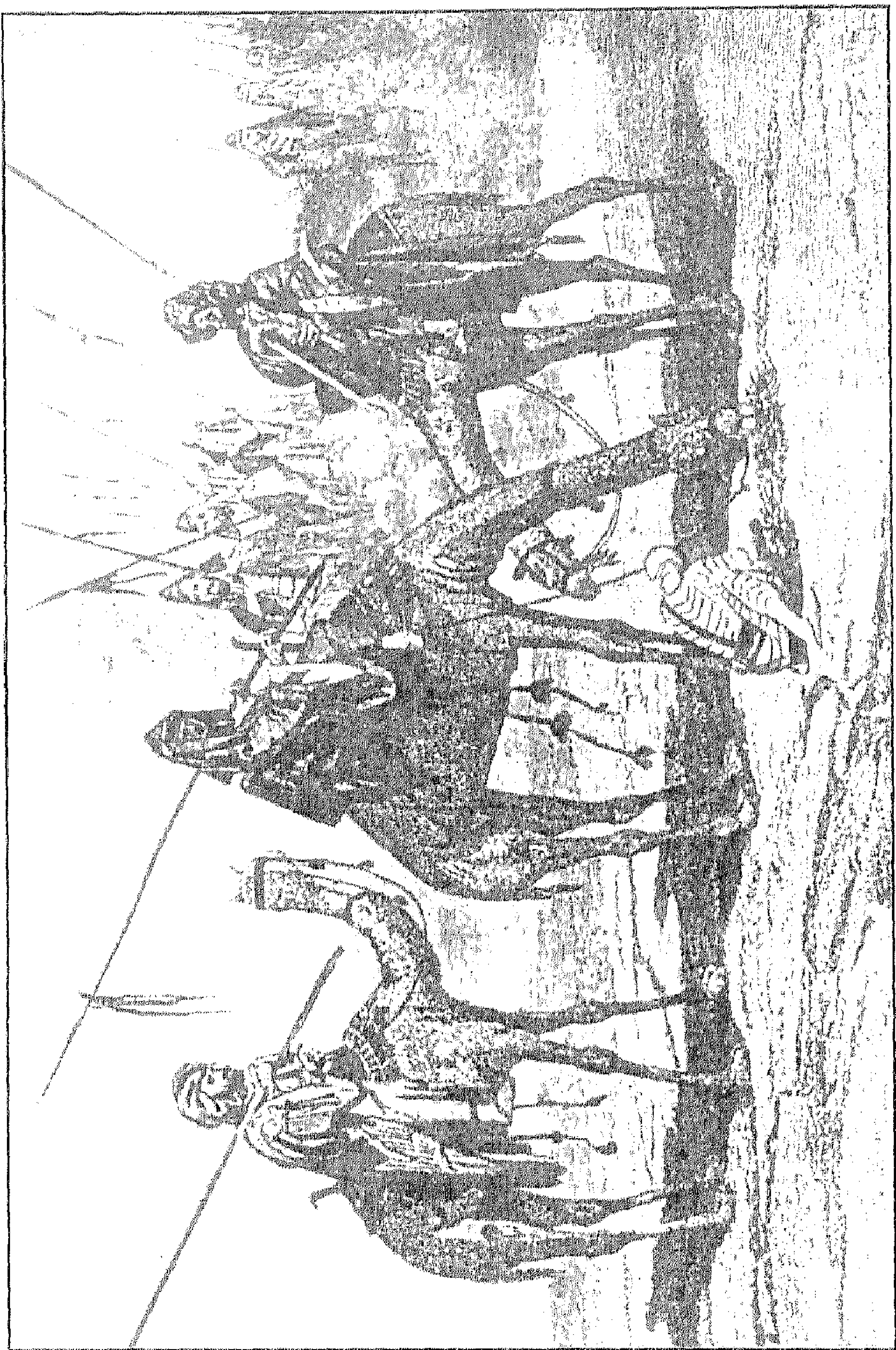
وفيه كتب فرمان* إلى ناحية البحرية وصورته:

* فرمان سلطانى إلى البدو العرب فى مصر.

صدر الفرمان العالى السلطانى وأمرنا الجليل الخاقانى إلى قدوة النواب المتشرعين نايب البحيرة زيد علمه وإلى كامل المشايخ من عربان الهنادى والافراد والجمعيات والبهجة وبنى عونة عموما زيد فى عشيرتهم، بعد وصول التوقيع الرفيع الهمايونى الحكمى، تحيطون علما أنكم أنهيتم إلى ديواننا الهمايونى أنكم من قديم الزمان منازلكم أبا عن جد فى فيافى البحيرة وفدافدها* وأنكم تحت قدم الطاعة والمحافظة للرعايا والطرقات الواقعة بناحية البحيرة، والتمستم من عواطف مراحم سلطنتنا السنية ودولتنا الخاقانية استقراركم فى منازلكم القديمة كما كنتم حكم السنين الخوالى فحيث أنه جرت العادة أن قبايل العربان فى الديار المصرية كل قبيلة لها منزلة مخصوصة بهم لا ينازعهم فيها غيرهم. ومنزلة البحيرة من قديم الزمان منزلكم فبحسب التماسكم من مراحم دولتنا العلية قد أقررناكم فى منازلكم المزبورة* كما كنتم قديما نازلين بها من غير منازع لكم بالشروط التى تعهدتهم بها وقبلتموها فى حضور صدرنا الأعظم، وكتبتم بها سندا عليكم، وهى أن توفوا بعدم التعدى وإيصال الرزية والمضرة ولو مقدار ذرة إلى الرعايا وديعة خالق البرايا والمحافظة على الطرقات وعدم إتلاف شى من مزروعات أهل البلاد وإضاعة مواشيهم.

* فدافدها: مفردها فَدْفَد: الفلاة.

* المزبورة: المبنية بالحجارة.



وأن لا تسكنوا عندكم شقيا من اللصوص وقطاع الطريق ونهب أموالى الناس وقتل النفوس بغير حق شرعى.

وقد نذرتم على أنفسكم أنه متى اختل شرط من هذه الشروط المذكورة تقومون بدفع مايتى ألف قرش إلى خزينة مصر.

فبنا على ذلك أصدرنا فرماننا الشريف وأمرنا العالى المنيف ليكون معلومكم أنه من قاعدة الديار المصرية كل قبيلة من العربان لها منزلة تنزلها مخصوصة بها.

وقد أقررناكم فى منازلكم القديمة فى فيافى البحيرة وفدافدها بالشروط السابقة الذكر التى التزمتموها، والنذور التى قبلتموها وتعهدتم بها وكتبتم على أنفسكم سندا أنه متى اختل شرط من الشروط المذكورة بعد بيان دفعكم المايتى ألف قرش يكون إخراجكم من البحيرة وبلادها وفيافيها والطلوع من حقكم.

فاعلموا بموجب مضمون أمرنا الشريف كما هو مشروح وتجنبوا خلاف ما هو مسطور وموضوح اعلموه واعتمدوه غاية الاعتماد والحذر ثم الحذر من المخالفة.

وكتب بمضمونه حجة وأمضى عليها قاضى العسكر وقيدت بالسجل. وهى من إنشا صاحبنا اللبيب الأديب النظام الناثر جامع فضايل المآثر السيد إسماعيل الشهير بالخشاب ونصه:

لما ورد الفرمان الشريف الواجب القبول والإجلال والإعظام والتشاريف اليانعة أزاهر رياض فصاحته، المحلاة بعقود

البلاغة أجياد معانى عبارته، المشتمل على فصول من الترغيب والترهيب التى يعجز كل بليغ لبيب عن سلوك أسلوبها العجيب.

من حضرة مولانا الصدر الأعظم والمشير المفخم عضد الدولة العلية ولسانها وحسامها الماضى وسنانها، من المجلى عنا ظلام الشرك بصباح غرته السنية، وأشرق ضيا حسن سيرته المرضية، مولانا الوزير يوسف باشا بلغه الله من المرادات ماشا.

خطابا إلى ساير الحكام والمتشرعين والنواب وسكان إقليم البحيرة من قبايل الأعراب، ومن التحق بهم من الأبنا والذرارى والعشاير المنجمعين معهم فى تلك الفدافد والبرارى، وماتضمنه من تأمينهم فى منازلهم وأوطانهم وعشيرتهم وجيرانهم، والنظر إليهم بعين الإحسان والرعاية وإدخالهم سرادق الحفظ والوقاية بشرط أن يكونوا على قدم الطاعة، وأن يسلكوا سبيل السنة والجماعة، وأن يتجنبوا الخلاف ويعاملوا من يمر بهم بالإكرام والإعزاز والإنصاف واردين مشرب الوفاق بالاتفاق غير مثيرين للفتن والنزاع والشقاق، وأن لا يتجمعوا على الضلال ويتحزبوا ولا يقطعوا الطريق على من يمر بهم ويتعصبوا «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا».

وأقطع حضرة مولانا الصدر الأعظم المشار إليه خلد الله جزيل نعمه وفضله عليه كل قبيلة منهم منازلهم المخصوصة بهم المعهودة وأظلهم بظلال زمانه الظليلة الممدودة حين

التمسوا ذلك من مراحم دولته وعوارف عواطف رأفته، بعد التزامهم بما سلف من الشروط على الوجه المشروح المحرر المضبوط، وعلى أنهم إن عصوا أمره وخالفوه ونسوا ما تلى عليهم أو نسخوه أو قطعوا الطريق ونهبوا الأموال أو آووا شقيا ممن يفعل ذلك بحال من الأحوال أخذتهم صاعقة العذاب الهون وحل بهم من العذاب ما لا يطيقون ، ووقعوا من غضب هذه الدولة العلية عليهم فى العذاب الشديد، ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد، بعد أن تسلب أموالهم ويتلاشى حالهم حتى يصيروا لاعين ولا أثر، ولا مخبر ولا خبر، ولا معالم ولا معاهد، ولامشارع ولا موارد، جزا بما أسلفوا، وعقابا على ما اقترفوا إذا خالفوا. وعاهد ريساهم حضرة مولانا الصدر الأعظم المشار إليه على ما تقدم ذكره، وكتب لهم بذلك التوقيع السلطانى والأمر الخاقانى المتضمن لما تقدم من المعانى، المتوج بالعلامة الشريفة والطرة السلطانية المنيفة المبدا بذكره، المؤرخ بتاريخه، وحضر به إلى حضرة مولانا شيخ الإسلام المومى إليه أعلاه كل من فلان وفلان، وهم مشايخ عربان البحيرة المرقومون.

ولما تأمل فيه فأحاط علمه الكريم ببديع معانيه ونزه طرفه فى رياض فصوله ورآه جاريا على قواعد الشرع وأصوله، والتمس منه الجماعة المذكورون كتابة حجة متضمنة لفحواه، مؤكدة له مقوية لمعناه، أمر بكتابة هذا المرسوم على الوجه المشروح المرقوم، وقيد ذلك بالسجل المحفوظ ليراجع عند الاحتياج إليه والاحتجاج به، انتهى.

وفى خامسه نزل محمد باشا توسون* والى جدة من القلعة فى موكب وتوجه إلى العادلية قاصدا السفر إلى جدة.

* توفى توسون بجدة فى ١٣ محرم ١٢١٧هـ.

وفى يوم الأربعا تاسعه قبضوا على ثلاثة من النصارى الأروام المتزيين بزى العساكر الانكشارية ويعملون القبايح بالرعية، فرموا رقابهم أحدهم بالدرب الأحمر والثانى بسوق السلاح عند الرفاعى والثالث بالرميلة.

وفى يوم الخميس عاشره، أيضا قطعوا راس على جلبى تابع حسين أغاشنن بباب الخرق بين المفارق بأمر من الوزير، والسبب فى ذلك أن المرحوم يوسف باشا المذكور الكبير المتوفى بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام كان أودع عنده حسين أغا شنن وديعة فلما ملك الفرنسيس مصر وجرى ما جرى من ورود العرضى والصلح ونقضه، فاعتقد قصار العقول أن الأمر انتهى للفرنسيس، فتجاوزوا الحد وأغروابعضهم وتتبعوا العورات، وكشفوا عن المستورات، ودلوا الفرنسيس على المخبآت، وتقربوا إليهم بكل ما وصلت إليه همتهم، وراجت به سلعتهم والمسكين المقتول مد يده إلى بعض ودايع سيده فاختلس منها وتوسع فى نفسه وركب الخيول واتخذ له خدما وتداخل مع الفرنسيس وحواشيهم، فاستخفوا عقله واستفسروا منه فأخبرهم بالودايع والخبايا فاستخرجوها ونقلوها، وكانت شيا كثيرا جدا وأظهر أن ذلك لم يكن بواسطته ليوارى ما اختلسه لنفسه، ليكون له عذر فى ذلك، فلما حضر له سيده صحبة العرضى ذهب إليه وتملق وربط فى رقبته منديلا، فأهمل أمره إلى هذا الوقت حتى اطمأن خاطره، ثم

إنه أخبر بقصته الوزير لعلمه أنه سيطالب بوديعة يوسف باشا، فأمره بأن يرفع قصته إلى القاضي ويثبت تلك الدعوى لتبرأ ساحته عند الدولة ففعل، ثم أمر الوزير بقتل على جلبي المذكور فقتل وترك مرميا ثلاثة أيام بلياليها.

---

## شهر رمضان المعظم سنة ١٢١٦

* رؤية هلال رمضان.

استهل بيوم الأربعا ولم يعمل فيه شنك الرؤيا* على العادة خوفا من عربدة العساكر، والمحتسب كان غايبا، فركب كتخداه بدلا عنه بموكبه فقط، ولم يركب معه مشايخ الحرف فذهب إلى المحكمة وثبت الهلال تلك الليلة ونودى بالصوم من الغد.

وفيه أمر الوزير محمد باشا العربى بالسفر إلى البلاد الشامية فبرز خيامة إلى خارج باب النصر، وخرج هو فى ثالثه وسافر وأشيع سفر الوزير أيضا، وذلك بعد أن حضرت أجوبة من الباب الأعلى.

وفى ثالثه : ارتحل محمد باشا المذكور.

وفى خامسه انتقل ريس أفندى من بيت الألفى وسكن فى بيت إسماعيل بك وشرعوا فى تعميره وإصلاحه لسكن والى مصر.

وفى ثانى عشره وصل محمد باشا [خسرو] والى مصر إلى شلقان.

وفى ثالث عشره ضربت عدة مدافع من الجيزة صباحا ومسا، فقيل إنه حضر ستة قناصل [انجليز] إلى الجيزة.

وفى خامس عشره حضر القناصل المذكورون إلى بيت الوزير وقابلوه فخلع عليهم خلعا ورجعوا إلى أماكنهم بالجيزة.

وفى ذلك اليوم وصل محمد باشا [خسرو] والى مصر إلى جهة بولاق ونصب وطاقه بالقرب من المكان المعروف بالحلى، ثم انتقل إلى جهة قبة النصر فلما كان يوم الجمعة سابع عشره وصل إلى المدينة من باب النصر فى موكبه وطوايفه على غير الهيئة المعتادة، ولم يلبس الطلخان تأدبا مع الوزير لحصوله بمصر، فتوجه إلى بيت الوزير وأفطر معه.

وفى تلك الليلة عزل خليل أفندى الرجائى من دفتردارية الدولة وقلد عوضه حسن أفندى باش محاسب، وسببه أن الوزير طلب خلعا ليخلعها على والى مصر وقناصل الإنكليز فتأخر حضورها فحنق، وسأل عن سبب تأخير المطلوب فقال الرسول إن الخازندار قال حتى استأذن الدفتردار، فحنق الوزير وأمر بحبس الخازندار وعزل الدفتردار وهرب السفير الذى كان بينهما.

وفيه انتقل الأمرا المصرلية المرادية من الجيزة إلى جزيرة الذهب ونصبوا وطاقهم بها، وأرسلوا ما كان عندهم من الحريم إلى دورهم بمصر، واستمر إبراهيم بك وعثمان بك الحسينى ومحمد بك المبدول وقاسم بك أبو سيف بالجيزة ولم يعلم حقيقةحالهم، ثم فى ثانى يوم لحق إبراهيم بك وباقى الجماعة بالآخرين، وخرج إليهم طلبهم ومتاعهم وأغراضهم.

فلما كان ليلة الاثنين تاسع عشره ركبوا ليلا بأجمعهم إلى الصعيد من الجهة الغربية وتخلف عنهم قاسم بك أبو سيف لمرضه، وكذلك تخلف عنهم محمد أغا أغات المتفرقة وآخرون.

وفى عشرينه نودى بالأمان على الممالك وأتباعهم ومن تخلف عنهم أو انقطع منهم وكذلك فى ثانى يوم، وفيه قلد محمد باشا والى مصر حسن أغا وألبسه على جرجا.

وفى ثامن عشرينه عزل الباشا محمد أغا المعروف بالزربة من الكتخدايه وهو من المصرلية وولاه كشوفية الغربية وتقلد عوضه فى الكتخدايه يوسف أغا أمين الضربخانة سابقا وتقلد كشوفية المنوفية وتقلد كشوفية القليوبية.

وفى ليلة الأربعا تاسع عشرينه ذهب يوسف أفندى* إلى عند والى مصر فقلده نقابة الأشراف وألبسه فروة بعد أن كان أهمل أمره.

وفيه عزل أغات الانكشارية وتولى آخر عوضه من العثمانية، ونزل المعزول إلى بولاق ليسافر إلى جهة الصعيد.

* كان اشراف مصر قد رفضوه نقيباً عليهم ولكن خسرو باشا اعاده نقيباً عليهم رغم أنفهم. انظر وقائع أول شعبان ولكن سخط الاشراف عليه أدى فى النهاية إلى عزله بعد شهرين ونصف فى ١٥ ذى الحجة وتولى بدله السيد عمر مكرم.

## شهر شوال سنة ١٢١٦

استهل بيوم الخميس فى ثالثه يوم السبت خرج جاليش الوزير إلى قبة النصر ونودى بخروج العساكر ويكون آخر خروجهم يوم الاثنين، فشرعوا فى الخروج بأجمالهم ودوابهم، فلما كان يوم الاثنين خامسه خرج الوزير على حين غفلة إلى قبة النصر، وتتابع خروج الأثقال والأحمال والعساكر وحصل منهم فى الناس عربدة وأذية.

وأخذ بعضهم من عطارين [بين] القصرين ثلاثة أرطال بن ثمنها ماية وعشرون نصفا فرمى له عشرين نصفا، فصرخ الرجل وقال اعطنى حقى فضربه وقتله، فأغلق الناس الحوانيت وانكفوا فى دورهم فاستمرت جميع حوانيت البلدة مغلوقة حتى سافرت العساكر وانتقلت من قبة النصر.

ولازم حضرة محمد باشا والى مصر وطاهر باشا على المرور والطواف بالشوارع بالتبديل وثياب التخفيف ليلا ونهاراً، ولولا ذلك لحصل من العسكر ما لا خير فيه.

وفيه كتبت فرمانات وألصقت بالشوارع ومفارق الطرق مضمونها بأن: لا أحد يتعرض بالأذية لغيره، وكل من كان له دعوة أو شكية فليرفع قصته إلى الباشا.

وكل إنسان يمشى فى زيه وقانونه القديم.

ويلازموا على الصلوات بالجماعة فى المساجد ويوقدون قناديل ليلا على البيوت والمساجد والوكايل والخانات التى بالشوارع.

ولا يمر أحد من العسكر من بعد الغروب والذى يمشى بعد الغروب من أهل البلد يكون معه فانوس أو سراج.

ويبيعون ويشترون بالحظ والمصلحة، ولا أحد يخفى عنده أحدا من عسكر العرضى، والذى يبقى منهم بعد سفر الوزير من غير ورقة بيده يعاقبْ.

وإن القهاوى المحدثة جميعها تغلق ولا يفتح إلا القهاوى القديمة الكبار، ولا يبيت أحد من العسكر فى قهوة ولا

يبيعون المسكرات ولا يشترونها إلاالكفرة سراً وأمثال ذلك، فانسرت القلوب بتلك الفرمانات واستبشروا بالعدل.

وفيه خرجت عساكر وسافرت إلى جهة قبلى وعدتهم ستة الاف، وذلك بسبب الأمرا المصرلية الهربانين، وقرر لهم بأن من أتى برأس صنجق فله ألف دينار، أو كاشف فله ثلثماية، أو جندى أو مملوك فله ماية.

وفى يوم السبت ركب الوزير من قبة النصر وارتحل العرضى إلى الخانكة وعند ركوبه حضر إليه السيّد عمر أفندى [مكرم] النقيب وبعض المتعممين لوداعه، فأعطاهم صررا وقروا له الفاتحة.

وركب وخرج أيضاً فى ذلك اليوم بقية المشايخ وذهبوا إلى الخانكة أيضاً وودعوه ورجعوا.

وفى يوم الاثنين ثانى عشره أحضر الباشا محمد أغا الوالى وسليم أغا [أرنؤد] المحتسب وأمر برمى رقابهما فقطعوا رأس الوالى تحت بيت الباشا على الجسر والمحتسب عند باب الهوا وختم على دورهما فى تلك الساعة، وشاع الخبر فى البلد فارتاع الناس لذلك واستعظموه، وداخل الخوف أهل الحرف مثل الجزارين والخبازين وغيرهم، وعلقوا اللحم الكثير بحوانيتهم، وباعوه بتسعة أنصاف بعد أن كانوا يبيعونه بأحد عشر مع قلته واحتكاره، وكانوا نبهوا عليهم قبل ذلك فلم يستمعوا.

وفى صبحها يوم الثلاثا قلد على أغا الشعراوى الزعامة عوضا عن محمد أغا المقتول، وزين الفقار كتخدا أمين احتساب عوضا عن سليم أغا أرنؤد المقتول أيضاً.

واجتمعوا ببيت القاضى وحضر أرباب الحرف وعملوا قايمة تسعيرة* لجميع المبيعات من المأكولات وغيرها فعملوا اللحم الضانى بثمانية أنصاف، والماعز بسبعة، والجاموس بستة، وأن لا يباع فيه شى من السقط مثل الكبدة والقلب وغير ذلك، والسمن المسلى بماية وثمانين نصفا العشرة أرطال، بعد أن كانت بثلثماية وأربعين، والزبد العشرة بماية وستين بعد أن كانت بمايتين وأربعين، وجميع الخضراوات تباع بالرطل حتى الفجل والليمون والجبن الذى بخيره بثلاثة أنصاف بعد عشرة، والخبز رطل بنصف فضة وكذلك جميع الأشيا العطرية والأقمشة العشرة أحد عشر والراوية الما بعشرة أنصاف بعد عشرين وغير ذلك.

* تسعيرة جديدة (بالنصف فضة)
ـ اللحم الضانى / ٨
ـ الماعز/ ٧
ـ الجامس/ ٦
ـ السمن المسلى / ١٨٠ لكل عشرة أرطال.
ـ الزبد / ١٦٠ لكل عشرة أرطال
ـ الجبن / ٣ للرطل
ـ الخبز/ ٠,٥ للرطل.

ورسموا بأن الرطل فى الأوزان مطلقا يكون قبانى* اثنى عشر وقية وأبطلوا الرطل الزياتى* الذى يوزن به الأدهان والأجبان والخضراوات وهو أربعة عشر وقية فلم يستمر من هذه الأوامر بعد ذلك سوى نقص الأرطال.

* وكلمة قبانى معناها وبصفة خاصة الشخص الذى يستخدم الميزان (الرومانى). والرطل القبانى يزن ١٤٤ درهمًا يستخدم بصفة خاصة للسلع الصغيرة الوزن والحجم، وكان ميزانه غالبا يمسك باليد أو يعلق بحبل.

* أما الزياتى فلعله تحريفا لكلمة الزياداتى أى الرطل المزيد حيث يساوى ١٦٨ درهما ويعتبر الفرق بينه وبين القبانى (٢٤ درهما) فرق وزن أو (طبة ميزان) من أجل تعويض حساب الأجولة أو الآنية والأغفلة التى توضع بها السلعة الموزونة . وهو يستخدم فى حالة السلع الكبيرة الوزن أو الحجم.

ولما برزت هذه الرسوم هرع الناس لشرا اللحم والمأكولات حتى فرغ الخبز من الأفران وشق المحتسب فقبض على جماعة من الخبازين وخزم آنافهم وعلق فيها الخبز كذلك الجزارون خزمهم وعلق فى آنافهم اللحم، وأكثر حضرة الباشا وعظما أتباعه من التجسس وتبديل الشكل والملبوس والمرور والمشى فى الأزقة والأسواق حتى أخافوا الناس وانكف العسكر عن الأذية ولزموا الأدب، ومشى كل أحد فى طريقته وأدبه ومشت النسا كعادتهن فى الأسواق لقضا

أشغالهن فلم يتعرض لهن أحد من العسكر كما كانوا يفعلون.

وفي يوم الخميس خامس عشره ارتحل الوزير من بلبيس.

وفي يوم السبت سابع عشره سافر خليل أفندى الرجائى الدفتردار المعزول فى البحر من طريق دمياط وانتقل شريف أفندى الدفتردار إلى الدار التى كان بها الأول وهى دار البارودى بباب الخرق.

وفي يوم الاثنين تاسع عشره كان موكب أمير الحاج عثمان بك وصحبته المحمل على العادة وخرج فى أبهة ورونق وانسرت القلوب فى ذلك اليوم إلى لقاه ولجزله جميع اللوازم مثل الصرة وعوايد العربان وغير ذلك، وكان المتقيد بتشهيل ذلك وبجميع اللوازم حضرة شريف محمد أفندى الدفتردار.

وفي يوم الثلاثا سابع عشرينه شنقوا* ثلاثة أنفار فى جهات مختلفة تزيوا بزى العسكر يقال إنهم من الفرنسيس افتقدوهم من العسكر المتوجه إلى الحج.

وفي ذلك اليوم عمل حضرة الباشا ديوانا وأرسل الجاويشية إلى جميع المشايخ والعلما وخلع عليهم خلعا سنية زيادة على العادة أكثر من سبعين خلعة، وكذلك على الوجاقلية والأفندية وجبر خاطر الجميع، وكانت العادة فى هذا التلبيس أن يكون عند قدومه، والسبب فى تأخيره لهذا الوقت تعويق حضور المراكب التى بها تلك الخلع.

* يلاحظ هنا أن الاعدام يتم بالشنق وليس بقطع الرقبة كما كانت العادة سابقا، اما بخصوص الفرنساوية الذين عملوا لدى الأمراء المماليك والجيش العثمانى فتذكر مجلة الهلال الصادرة فى أول نوفمبر عام ١٩٣٣ أن شارل جليار مؤسس متحف بونابرت بالقاهرة ـ والذى نقل بعد ذلك إلى فرنسا ـ أطلعها على وثائق تفيد ـ «أنه كثر فرار الجنود الفرنسيين من الجيش على أثر نزول الانجليز فى أبى قير فى ١٧ سبتمبر سنة ١٨٠١، وارسل القائد الفرنسى «مينو» إلى القائد الانجليزى

وفيه يوم الخميس تاسع عشرينه انتقل أمير الحاج بالركب من الحصوة إلى البركة.

وفيه ركب حضرة محمد باشا إلى الإمام الشافعي فزاره وأنعم على الخدمة [الخدم] بستين ألف فضة، وألبسهم خلعا وفرق دنانير ودراهم كثير في غير محلها. وكذلك يوم الجمعة ركب وتوجه إلى المشهد الحسيني فصلى الجمعة، وخلّع على الإمام الراتب والخطيب وكبير الخدمة فراوى وفرق دراهم كثيرة في طريقة، ورجع من ناحية الجمالية وكان في موكب جليل على الغاية.

وفيه أمر المشار إليه بنصب عدة مشانق عند أبواب المدينة برسم الباعة والمتسببين والخبازين وغيرهم، وأكثر أرباب الدرك من المرور والتجسس والتخويف وعلقوا عدة أناس من الباعة على حوانيتهم وخزموهم من آنافهم، فرخص السعر وكثرت البضايع والمأكولات.

وحصل الأمن في الطرق وانكفت العربان وقطاع الطريق فحضرت الفلاحون من البلاد وكثر السمن والجبن والأغنام وكبر العيش وكثر وجوده، وانحط سعر السمن عن التسعيرة عشرين نصفا لكثرته، ولله الحمد.

وهاب الناس هذا الباشا وخافوه وصاروا يترنمون به في البلاد والأرياف ويغنون بذكره حتى الصبيان في الأسواق، ويقولون سيدى يامحمد باشا ياصاحب الذهب الأصفر وغير ذلك، وكان في مبتدأ أمره يظنه الظمآن ما.

يطلب منه تسليم أولئك الفارين، لكن القائد الانجليزى سهل لهم الفرار إلى المماليك. وبعد رحيل القوات الفرنسية وقعت الحادثة المذكورة هنا للفرنسيين الثلاثة، وكان بعض رفاقهم عازمين علي اللحاق بالمحمل للخروج من مصر لكن ما حل باخوانهم الثلاثة جعلهم يخافون على حياتهم فأختبأوا في القاهرة وعلم الحاكم التركى محمد باشا بأن فريقا منهم موجود بالقاهرة فطلبهم وكلفهم بتدريب فرقة من السودانيين (التكرور) ، اطلق عليها محمد باشا اسم «النظام الجديد».

وفي اثناء الصراع بين محمد باشا ومحمد على باشا فرّ محمد باشا بعد أن أنقذ حياته جنده من الفرنسيين وكان على رأسهم الكاتبن «كومب» «Combes» وهو المعروف باليوزباشي «سليم». ومن أغرب الحوادث التى وقعت لليوزباشي سليم انه هاجم حامية طرابلسية بجند النظام الجديد وأسر قائدها الذى اكتشف انه كان زميلاً له في الجيش الفرنسى فرّ إلى طرابلس الغرب بعد موقعة أبى قير وتسمى باسم «زيد عبد الله الطولونى».

وقد تقرب «سليم» إلى محمد على باشا عن طريق زميل له يدعى «دورو» كان من الهاربين كذلك من الجيش الفرنسي وتسمى باسم «عبد الله الدورى». وإلى جانب هؤلاء كان هناك حوالى العشرين فارساً من الفرنسيين ضمن قوات المماليك يحكى أن محمد على أنقذ حياتهم عندما قضى على المماليك في مذبحته المشهورة وضمهم إلى جنوده.

## شهر القعدة سنة ١٢١٦

استهل بيوم السبت فيه نهبت العربان قافلة التجارة الواصلة من السويس.

* قصة التاجر أحمد الزرو وقتل الباشا له بعد أن أعطاه الأمان طمعاً فى أمواله.

وفى ثانيه حضر السيد أحمد الزرو الخليلى التاجر* بوكالة الصابون بديوان الباشا وتداعى على جماعة من التجار وثبت له عليهم عشرة آلاف ريال فأمر الباشا بسجنهم.

وفى رابعه يوم الثلاثا حضر السيد أحمد المذكور إلى بيت الباشا فأمر بقتله فقبض عليه جماعة من العسكر وقطعوا رأسه عند المشنقة حيث قنطرة المغربى على قارعة الطريق، وختموا على موجوده، وأخذ الباشا ما ثبت له على المحبوسين، والسبب فى ذلك أن بعضهم أوشى إلى الباشا أنه كان يحب الفرنسيس ويميل إليهم ويسالمهم وعند خروجهم هرب إلى الطور خوفا من العثمانية ثم حضر بأمان من الوزير.

وفى يوم الجمعة حضر المشار إليه إلى الجامع الأزهر بالموكب فصلى به الجمعة وخلع على الخطيب فروة سمور وفرق ونثر دراهم ودنانير على الناس فى ذهابه وإيابه وتقيد قبى كتخداه إسماعيل أفندى شقبون بتوزيع دراهم على الطلبة والمجاورين بالأروقة والعميان والفقرا ففرقوا فيهم نحو خمسة أكياس.

* وليمة الشيخ الشرقاوى بمناسبة زواج ابنه.

وفيه عمل الشيخ عبد الله الشرقاوى وليمة* لزواج ابنه ودعا حضرة المشار إليه فحضر فى يوم الأحد ثانيه وحضر أيضاً شريف أفندى وعثمان كتخدا الدولة فتغدوا عنده،

وأنعم على ولد الشيخ بخمسة أكياس رومية وألبسه فروة سمور وفرق على الخدم والفراشين والقراء دنانير ودراهم بكثرة، وكذلك دفع عثمان كتخدا وشريف أفندى كل واحد منهم كيسا وانصرفوا.

وفى يوم الأربعا خامسه أحضر الباشا محمد أغا المعروف بالوسيع أغاة المغاربة وأمر بقتله فقطعوا راسه على الجسر ببركة الأزبكية قبالة بيت الباشا لأمور نقمها عليه وكتبت فى ورقة وضعت عند راسه.

وفى يوم الخميس سادسه توفى قاسم بك أبو سيف على فراشه.

وفى منتصفه وردت الأخبار من الجهة البحرية بضياع نحو الخمسين مركبا* حلت مراسيها من ثغر إسكندرية مشحونة بمتاجر وبضايع وكانت معوقة بكرنتيلة الإنكليز فلما أذنوا لهم بالسّراح فما صدقوا بذلك فصادفتهم فرتونة خرجت عليهم فضاعوا بأجمعهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

* عاصفة بحرية تغرق نحو الخمسين مركبا بثغر الاسكندرية.

وفيه طلب الباشا المشايخ وتكلم معهم فى شأن الشيخ خليل البكرى وعزله* عن وظيفته وسأل رأيهم فى ذلك، فقالوا له الرأى لحضرتكم، فقال إن الشيخ خليل لا يصلح لسجادة الصديق وأريد عزله عنها من غير ضرر عليه بل أعطيه أقطاعا لنفقته، والقصد أن تروا رأيكم فيمن يصلح لذلك ومن يستحق، فطلبوا المهلة إلى غد وانحط الرأى بعد اختلاف كثير على تقليد ذلك لمحمد سعد من أولاد جلال

* الباشا يعزل الشيخ البكرى بموافقة المشايخ ويعين بدلاً منه محمد سعد. على السجادة البكرية.

الدين، فلما حضروا فى اليوم الثانى أخبروه بذلك وأنه يستحقها إلا أنه فقير، فقال إن الفقر ليس بعيب، فأحضروه وألبسه فروة سمور وأركبه فرسا بعباءة مزركشة وأنعم عليه بثمانى ألف درهم، وكان من الفقرا المحتاجين للدرهم الفرد، ولما ذهب للسلام على الشيخ السادات خلع أيضًا فروة سمور عليه.

* وفاة الشيخ مصطفى الصاوى الشافعى. انظر ترجمته رقم ٦٢٨.

وفى يوم الاثنين رابع عشرينه توفى* إلى رحمة الله الشيخ مصطفى الصاوى الشافعى، وكان عالما نجيبا وشاعرا لبيبا وقد ناهز الستين.

وفيه جهزت عدة من العسكر إلى قبلى.

* خراج الفدان ماية وعشرون نصفا بعد أن كان أربعة آلاف نصف فضة.

وفيه نودى بأن خراج الفدان ماية وعشرون نصفا، وكذلك نودى برفع عوايد القاضى والأفندى التى كانت تؤخذ على إثبات الجامكية والجراية والرفق بعوايد تقاسيط الالتزام والأقطاع، وكتبوا بذلك أوراقا وألصقت بالأسواق وفى آخرها لا ظلم اليوم، أى مما تقرر إلا قبل اليوم.

فإن الفدان بلغ فى بعض القرى بمصاريفه ومغارمه أربعة آلاف نصف فضة، وأما بدعة القاضى وعوايد التقاسيط فزادت عن أيام الوزير وزاد على ذلك إهمال الأوراق ببيت الباشا لأجل العلامة شهرين وأربعة حتى يسأم صاحبها وتحفى أقدامه من كثرة الذهاب والمجى ومقاسات الذل من الخدم والأتباع ودفع البقشيش والرشوة على التعجيل أو يتركها وربما ضاعت بعد طول المدة فيحتاج إلى استيناف العمل.

## شهر ذى الحجة الحرام سنة ١٢١٦

استهل بيوم الأحد فى رابعه حضر خمسة أشخاص من الكشاف القبالى من أتباع إبراهيم بك الوالى إلى مصر بأمان فقابلوا حضرة والى مصر وأنعم عليهم وألبسهم خلعا.

وفيه أنعم على خدامهم.

وفيه عمل الإنكليز كرنتيلة بالجيزة ومنعوا من يدخلها ومن يخرج منها، وذلك لتوهم وقوع الطاعون وورود الأخبار بكثرته فى جهة قبلى وبعض البلاد البحرية، وأما المدينة ففيها بعض تنقير*.

* تنقير: يقصد الجبرتى بالتنقير هنا انتشار محدود للطاعون.

وفى يوم الاثنين تاسعه كان يوم الوقوف بعرفة وعملوا فى ذلك اليوم شنكا ومدافع وحضرت أغنام وعجول كثيرة للأضحية حتى امتلت منها الطرقات وازدحمت الناس وأفراد العسكر على الشرا.

وغيمت السما فى ذلك اليوم وأمطرت مطرا كثيرا حتى توحلت الأزقة.

ونودى بفتح الحوانيت والقهاوى والمزينين ليلا وإظهار الفرح والسرو وإظهار بهجة العيد واستمر ضرب المدافع فى الأوقات الخمسة ونودى أيضًا بالمواظبة على الاجتماع للصلوات فى المساجد وحضور الجمعة من قبل الصلاة بنصف ساعة.

وأن يسقوا العطاش من الأسبلة ولا يبيعون ماها.

وأشيع سفر الإنكليز وسفر عثمان كتخدا الدولة وتشهيل الخزينة.

وفي خامس عشره حضر قاصد من الديار الرومية بمكاتبات وتقرير نقابة الأشراف للسيد [عمر أفندى مكرم] وعزل* يوسف أفندى، فلما كان في صبحها يوم الأحد ركب السيد عمر المذكور وتوجه إلى عند الباشا فألبسه خلعة سمور ثم حضر إلى عند الدفتردار كذلك، وكانت مدة ولاية يوسف أفندى المعزول شهرين ونصفا.

* انظر تطور احداث نقابة الاشراف والصراع عليها بين التركي يوسف افندى وبين الاشراف فى وقائع أول شعبان ووقائع ٢٩ رمضان من هذه السنة (١٢١٦).

وفي يوم الأربعا ثامن عشره خرج أحمد أغا خورشيد أمير الإسكندرية إلى بولاق قاصدا السفر إلى منصبه وركب الباشا لوداعه في عصريته، وضربوا عدة مدافع من بولاق وبر إنبابة.

ونودى في ذلك اليوم بأن لا أحدا يوارى أحدا من الإنكليز أو يخبيه وكل من فعل ذلك عوقب.

وفي خامس عشرينه قبضوا على امرأة سرقت أمتعة من حمام وشنقوها عند باب زويلة.

---

## (موجز أحداث هذا العام)

وانقضت هذه السنة وما تجدد بها من الحوادث التي من جملتها أن شريف أفندى الدفتردار أحدث على الرزق الأحباسية* المرصدة على الخيرات والمساجد وغيرها مال: حماية على كل فدان عشرة أنصاف فضة وأقل وأكثر في جميع الأراضي المصرية القبلية والبحرية، وحرروا بذلك

* فرض أموال على الرزق الأحباسية وزيادة جمع الأموال عن الاعتمادات الرسمية.

دفاتر فكل من كان تحت يده شي من ذلك قل أو كثر يكتب له عرضحال ويذهب به إلى ديوان الدفتردار فيعلم عليه علامته، وهي قوله «قيد» بمعنى أنه يطلب قيوده من محله التى تثبت دعواه ثم يذهب بذلك العرضحال* إلى كاتب الرزق فيكشف عليها فى الدفاتر المختصة بالإقليم الذى فيه الإرصاد بموجب الإذن بتلك العلامة، فيكتب له ذلك تحتها بعد أن يأخذ منه دراهم ويطيب خاطره بحسب كثرة الطين وقلته وحال الطالب، ويكتب تحته علامته فيرجع به إلى الدفتردار فيكتب تحته علامة غير الأولى فيذهب به إلى كاتب الميرى فيطالبه حينئذ بسنداته وحجج تصرفه ومن أين وصل إليه ذلك.

* الجبرتى يتتبع سلوك البيروقراطية فى ظل الاستبداد ويكشف عن فسادها.

فإن سهلت عليه الدنيا ودفع له ما أرضاه كتب له تحت ذلك عبارة بالتركى لثبوت ذلك وإلا تعنت على الطالب بضروب من العلل وكلفه بثبوت كل دقيقة يراها فى سنداته وعطل شغله فما يسع ذلك الشخص إلا بذل همته فى تتميم غرضه بأى وجه كان، إما أن يستدين أو ببيع ثيابه ويدفع ما لزمه.

فإن ترك ذلك وأهمله بعد اطلاعهم عليه حلوه عنه ورفعوه وكتبوه لمن يدفع حلوانه ثلاث سنوات أو أكثر وكتبوا له سندا جديدا يكون هو المعول عليه بعد. ويقيد بالدفاتر ويبطل اسم الأول وما بيده من الوقفيات والحجج والإفراجات القديمة، ولو كانت عن أسلافه.

ثم يرجع كذلك إلى الدفتردار فيكتب له علامة لكتابة الأعلام، فيذهب به إلى الإعلامجى فيكتب له عبارة أيضا

فى معنى ما تقدم، ويختم تحتها بختم كبير فيه اسم الدفتردار ويأخذ على ذلك دراهم أيضاً.

وبعد ذلك يرجع إلى الدفتردار فيقرر ما يقرره عليها من المال الذى يقال له «مال الحماية» ثم يذهب بها إلى بيت الباشا ليصحح عليها بعلامته.

ويطول عند ذلك انتظاره لذلك ويتفق إهمالها الشهرين والثلاثة عند الفرمانجى وصاحبها يغدو ويروح فى كل يوم حتى تحفى قدماه ولا يسهل به تركها بعد ما قاساه من التعب وصرفه من الدراهم.

فإذا تمت علامتها دفع أيضا المعتاد الذى على ذلك، ورجع بها إلى بيت الدفتردار فعند ذلك يطلبون منه ما تقرر عليها فدفعه عن تلك السنة.

ثم يكتبون له سندا جديداً ويطالب بمصروفه أيضًا، وهو شى له صرة [نقود] أيضًا فلا يجد بداً من دفعه ولا يزال كذلك يغدو ويروح مدة أيام حتى يتم له المراد.

* ومنها المعروف بالجامكية ومرتبات الغلال بالأنبار، وذلك أن من جملة الأسباب فى رواج حال أهل مصر المتوسطين* وغناهم ومدارحال معاشهم وإيرادهم فى السابق هذان الشيئان وهما الجامكية والغلال التى يقال لها الجرايات رتبها الملوك السالفة من الأموال الميرية للعساكر المنتسبة للوجاقات والمرابطين بالقلاع الكاينة حوالى الإقليم.

* أهل مصر المتوسطين وأحوالهم تعتمد على الجامكية والغلال (الجرايات).

ومنها ما هو للأيتام والمشايخ والمتقاعدين ونحوهم وكانت من أروج الإيراد لأهل مصر وخصوصاً أهل الطبقة الذين ليس له إقطاع ولا زراعات ولا تجارات كأهل العلم ومساتير أولاد البلد والأرامل ونحوهم، وثبت وتقرر إيرادها وصرفها فى كل ثلاثة أشهر من أول القرن العاشر إلى أواخر الثانى عشر بحيث تقرر فى الذهان عدم اختلالها أصلا.

ولما صارت بهذه المثابة تناقلوها بالبيع والشرا والفراغ وتغالوا فى أثمانها ورغبوا فيها وخصوصاً لسلامتها من عوارض الهدم والبنا كما فى العقار وأوقفوها وأرصدوها ورتبوها على جهات الخيرات والصهاريج والمكاتب ومصالح المساجد ونفقات أهل الحرمين وبيت أهل المقدس.

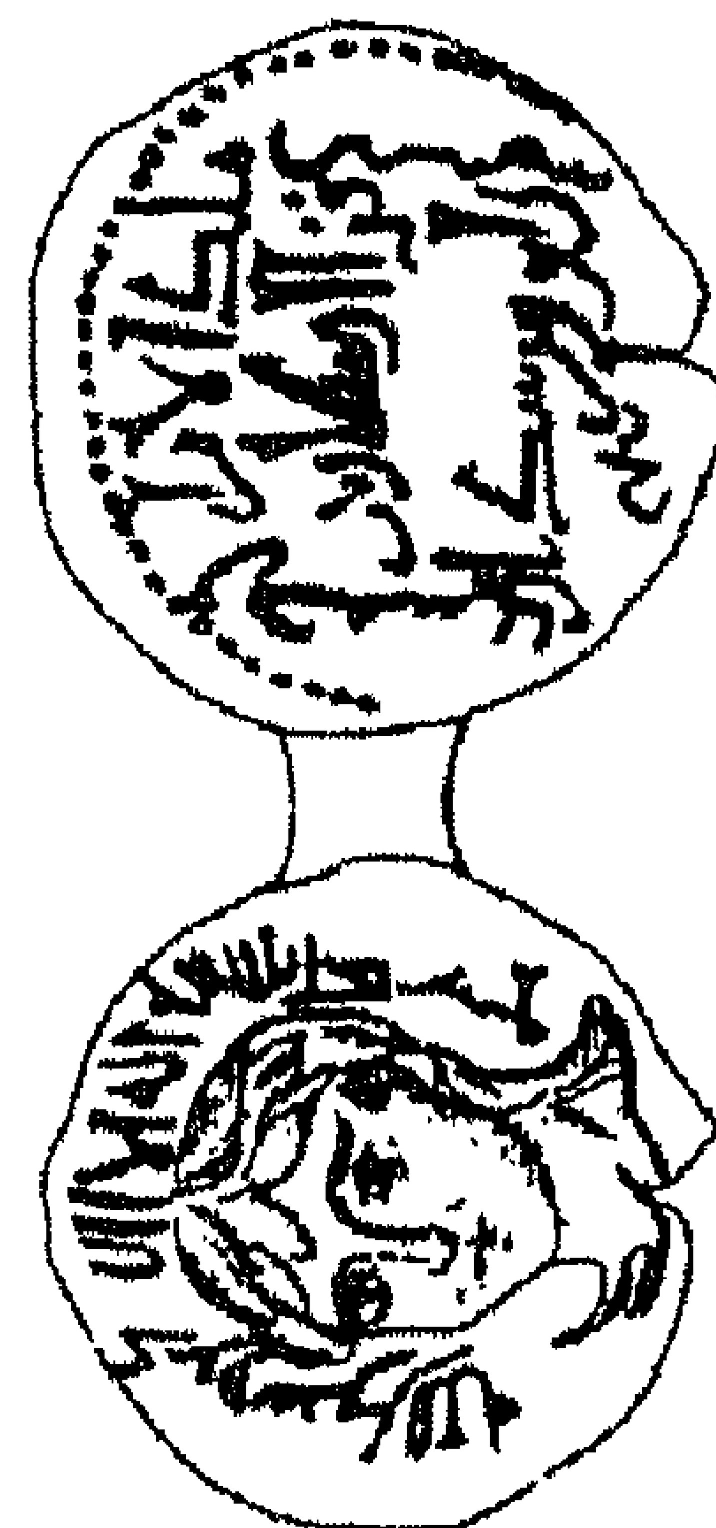
وأفتى العلما بصحة وقفها لعلة عدم تطرق الخلل، فلما اختلت الأحوال وحدثت الفتن وطمع الحكام والولاة فى الأموال الميرية ضعف شأنها ورخص سعرها وانحط قدرها وافتقر أربابها، ولم تزل فى الانحطاط والتسفل حتى بيع الأصل والإيراد بالغبن الفاحش جداً وتعطل بسبب ذلك متعلقاتها.

ولم يزل حالها فى اضطراب إلى أن وصل هولا القادمون وجلس شريف أفندى الدفتردار المذكور، ورأى الناس فيه مخايل الخير لما شاهدوه فيه من البشاشة وإظهار الرفق والمكارم عرض الناس عليه شأن العلوفة المذكورة والغلال فلم يمانع فى ذلك.

وكتب الإذن على الأوراق كعادته وذهب بها إلى أربابها إلى ديوان الكتبة وكبيرهم يسمى حسن أفندى باش محاسب وهو من العثمانيين عارض فى حسابها، وقال إن العثمانى اسم لواحد الأقجة* وصرفه عندنا بالروم كل ثلاث أقجات بنصف فضة وما فى دفاتركم يزيد فى الحساب الثلث، فعورض وقيل له إن الأقجة المصرى كل اثنين بنصف بخلاف اصطلاح الروم وهذا أمر تداولنا عليه من قديم، ولم يزل حتى فقد ذلك المشروع ومشوا على فقد الثلاث ورضى الناس بذلك لظنهم رواج الباقى.

* التلاعب بأسعار العملة. (انظر مقدمة الجزء الأول).

وعند استقرار الأمر بذلك أخذوا يتعنتون على الناس فى الثبوت وقد كان الناس اصطلحوا فى أكثرها عند فراغها على عدم تغيير الأسما التى رقمت بها وخصوصا بعد ضعفها فيبيعها البايع ويأخذها المشترى بتمسك البيع فقط، ويترك سند الأصل بما فيه من الاسم القديم عنده أو تكون باسم الشخص ويموت وتبقى عند أولاده، فجعلوا معظمها بهذه الصورة وأخذوه لأنفسهم وأعطوا منهم لأغراضهم بعد رفع الثلث الأصل وثلث الإيراد، وضاعت على أربابها مع كونهم فقرا.



* عملات من عهد الجبرتى.



وكذلك فعلوا فى أوراق الغلال وجعلها بدراهم عن كل أردب خمسون نصفاً غلا أو رخص، وزادوا فى القيود التى تكتب على العرضحالات المصطلحين عليها بأن يكتب عليها أيضا قاضى العسكر بعد حسابهم مقدار العلوفة والغلال، ويأخذ على كل عثمانى نصفين أو أقل أو أكثر وعلى كل أردب قرشا روميا.

وكل ذلك حيلة على أخذ المال بطريق شيطانى وحرروا ما حرروه ودفعوا للناس ما دفعوه مقسطا على الجمع والشهور، ورضوا بذلك وفرحوا به لظنهم دوامه، واستعوضوا الله فيما ذهب لهم وختموا الدفتر على مقدار ما عرض عليهم، وما ظهر بعد ذلك لا يعمل به ويذهب فى المحلول.

ولما انقضت هذه السنة الأخرى وافتتح الناس الطلب قيل لهم إن الذى أخذتموه هو عن السنة القابلة وقد قبضتموها معجلة*، وعزل شريف أفندى الدفتردار فى إثرها، ووصل خليل أفندى الرجائى، واضطربت الأحوال ولم ينفع القيل والقال كما يأتى.

* وهكذا يكشف الجبرتى السبب فى كل الحيل البيروقراطيه السابقة الذكر والهدف منها.

## وأما من مات فى هذه السنة

٦٢٨/ مصطفى الصاوى.

* فمات الشيخ العمدة الإمام خاتمة العلما الأعلام، ومسك ختام الجهابذة ذوى الأفهام، ومن افتخر به عصره على الأعصار [العصور] وصاح بلبل فصاحته فى الأمصار، يتيمة الدهر وشامة وجه أهل العصر، العالم المحقق والتحرير المدقق بديع الزمان والتاج المرصع على روس الأقران الناظم الناثر الفصيح الباهر الشيخ مصطفى بن أحمد المعروف بالصاوى، والده كان من أعيان التجار بمصر، وأصل مرباهم بالسويس بساحل القلزم، وصاوى نسبة إلى بلدة بشرقية بلبيس تسمى الصوة *وهى على غير القياس، وهى بلدة والده ثم انتقل منها إلى السويس وكان يبيع بها الما، وولد له بها المترجم فارتحل به إلى مصر وسكن بحارة الحسينية مدة، وأتى بولده المترجم إلى الجامع الأزهر واشتغل بالقراءة فحفظ القرآن والمتون واشتغل بالعلم وحضر دروس

* كان اسمها القديم سوق الشتا. وكانت تابعه لمركز الزقازيق فلما أنشىء مركز أبو حماد فى ١٩٤٠ ألحقت به.

الأشياخ، ولازم الشيخ عيسى البراوى وتخرج به ومهر، وأنجب وأقرا الدروس وختم الختوم وشهد له الفضلا، وكان لطيف الذات مليح الصفات رقيق حواشى الطبع مشارا إليه فى الأفراد والجمع مهذب الأخلاق جميل الأعراق، اللطف حشو إهابه، والفضل لا يلبس غير جلبابه.

لو مثل اللطف جسما
لكان للطف روحا

إذا نزل بنادٍ ارتحلت الهموم، وارتضع من أخلاف أخلاقه بنت الكروم، تقاريره عذبة رايقة، وتحاريره فايقة، ذهنه وقادة ونظمه مستجاد (فمن نظمه قوله):

أقبل الأنس يجتلى بسرور
وتولى الحزن الذى نحن فيه
وتناءت همومنا بعد قرب
وتناهت لذات ما نرتجيه
واجتمعنا بليلة هى تَزْرى
بالضحى إذ صحا وما قد يليه
ودت الشمس أن يكون لها
مثل ضيا حسنها فما ترتضيه
واجتلونا المدام أشهى مُدام
مع نديم ياحسن ما نجتليه
حيث كانت أكوابنا كنجوم
كلما قد شربتها قلت إيه*
واحتسينا كاساتها فطربنا
بشذاها وراق ما نحتسيه

* إيه : اسم فعل أمر بمعنى زدنى.

واجتنينا من نظم دُر حبيب
نثره رايق كخمرة فِيه
فراعى الله ليلة قد تقضت
بالهنا والمُنا وعِزٍّ وتيه
وسقى الله عهدنا قَطر سُحب
رايقات تجلو المرابع تيه
مذ صفا ودنا برغم حسود
مع كيد العذول ذى التشويه
يالها ليلة حكت جنة الخلد
وفيها ما نفسنا تشتهيه
ليلة الأنس هل تعودى لصب
صبة الوجد دايما تعتريه
تجمعى شمله بأحمد من قد
حمد الله فعل ما يصطفيه
هاك تجلى إليك خود عروس
ثوبها العز والبها ترتديه
وهى تتلو عليك يا خير مولى
ليس مهرى سوى الرضا فاعطنيه

وله:

نزلنا بهذا القصر والنيل تحته
فلله قصر قد تعاظم بالمد
مع العالم النحرير أكرم ماجد
إمام همام جامع علم فرد
فأين ابن هانى من فصاحة نطقه
وأين أويس لا يضاهيه فى الزهد

تأمل فما أكثر كعين مشاهد
وأبصر فما قرب لديه كما البعد
وما هى إلا البحر لكنه حلا
وما هو إلا البر بالدين والعهد
وأعنى به شيخى البراوى من به
تحلى زمان العز فى الجيد بالعقد
أقول لمن رام الوصول لقدره
تمنيت أمرا مستحيلا بلا حد
فهذا مقام ليس يعطى لغيره
وحاشاه أن يحصى بسرد ولا عد
فيا أيها الملتاذ إن رمت علمه
تحدث عن البحر المحيط عن الجهد
ومن لى وقد قصرت فى مدح سيدى
ومعظم إسنادى وذى الحل والعقد
كذلك مولانا الشريف محمد
هو العلوى الأصل قد فاز بالسعد
وينسب للمختار أشرف مرسل
عليه صلاة الله طابت كما الند

وله :

لحاظك تزرى بالحسام المهند
وريقك لا يرويه غير المبرد
وطرفك ذا السفاك قد سفك الدما
وقَدُّك ذا السفاح فى الصب معتدى
فيا وجهه كم قد هديت لحسنه
ويا شعره كم قد أضليت مهتدى

ومالى لا أصبو بضوء جبينه
وثغر شهى باللآلى منضد
ولام عذاريه تدور بخده
كتمام آس مع بنفسجه الندى
وخضرة ريحان بعارضه الذى
يعارض قلبى فى هواه وأكبدى
يريك ربيعا بالبها بنانه
على ورد خديه الزهى المورد
أروم حياة وهو يطلب قتلتى
بسيف معد للقتال ومرصد
فيا حسن لولاك ما كان محسن
فأحسن لمضنى ساهرا الجفن مسهد
يبيت يعانى أعظم السقم دايما
سلوا ليلة واستشهدوا الشهب تشهد
ويسند إرسال السحاب لدمعه
مسلسل أحزان بوجد مجدد
يقول العذول ارجع فإنى ناصح
ورأيى لا يروى سوى عن مسدد
فقلت له دعنى فرأيك فاسد
وقولك بهتان بزور مفند

ولـــه :

من لمضنى أحشاه تتلاهب
ما لغضا مثلها ولا يتقارب

جفنه ساهر وحزن جفا
مستمر ودمعه يتساكب
ياخليليه من حوادث دهر
حاربته فصار يدعى المحارب
لو رآه المتيمون لصاحوا
ما لهذا الصد ودود يعاقب
فرعاه الإله من مستهام
ما أراد الوصال إلا يراقب
وحبيب ممنع ذو جمال
وطبيب لمهجة الصب ما طب
حسن محسن بذات وفعل
كل حسن لذاته يتناسب
حيثما وجهه له حسنات
إن جنى الذنب فهو ليس يحاسب
يا غزالا رفقا بصب كئيب
قد نآه الزمان ممن يحابب
وخف الله في محبيك وارحم
من تلظى وغير شكلك ما حب

ولما عمر الفقير [الجبرتى] جامع هذه الشوارد داره التى بالصنادقية بالقرب من الأزهر فى سنة إحدى وتسعين وماية وألف عمل المترجم أبياتا وتاريخا رقمت بطراز مجلس العقد الداخل وهى:

خليلى هذا الروض فاحت زهوره
ولاح على الأكوان حقا ظهوره

وزاد ثنا عبق الجو طيبه
فمنه عبير المسك طاب عبوره
سما في سما الكون فانتهج العلا
برفعته وازداد سرا سروره
ألم تر أجسام الوجود تراقصت
وجاء التهاني باسمات ثغوره
مكان على التقوى تأسس مجده
ومن سور التوفيق وأهدى سوره
وفردوس عدن فاح فوح نسيمه
وحفته ولدان النعيم وحوره
ومجلس أنس كل ما فيه مشرق
ومقعد صدق قد تسامى حبوره
بنا يروق العين حسن جماله
ورونقه يشفي الصدور صدوره
ومن مجد بانيه تزايد بهجة
وقلد من در المعالي نحوره
عزيز بنى بيت المكارم فانثنت
تغنى به حمدا ومدحا طيوره
وأحيا رسوم المجد والفخر والتقى
وزانت بأعلام الكمال سطوره
فلا زال فيه الفضل تسمو شموسه
وتنمو على كل البدور بدوره
ودام به سعد السعود مؤرخا
حمى العز بالمولى الجبرتي نوره*

* جمع هذا البيت سنة ٩٢ وليس سنة ٩١ كما ذكر الجبرتي قبل القصيدة.

الجبرتي/ سنة ١٢١٦م.

(وله فى صيوان)

وصيوان حوى عزا وفخرا
عليه من البها حسن متمم
كروض الأنس فيه الوُرْق* غنت
و بلبال السرور لها ترنم
على الإيوان يزهو بارتفاع
ويهزو بالخيام وبالمخيم
فتحسبه وذا الإشراق فيه
سما الجود قد ظلت مكرم
يقول السعد فى تاريخه بى
على مجد الوزير العز خَيَّم

* الورق = الحمامة.

ومن نثره ما كتبه تقريظا على المولف الذى ألفه العلامة الشيخ محمد عبد اللطيف الطحلاوى الذى ضاها به عنوان الشرف للعلامة السيوطى قوله:

حمد المولى يضيق نطاق المنطق عن شكره، ويعجز لسان اللسن عن الإفصاح بذكره، يدنى لب الموحد إلى فهم مقامات التوحيد، ويعرفه سبل التهجد والتحميد، ويسعده بنهاية الوصول إلى مقاصد فقه الأصول، وصلاة وسلاما على المحمود بأكمل ثنا الممدوح بأجمل ضيا وسنا، وعلى آله وصحبه وأتباعه وأحبابه ما ألف كتاب وكللت تيجان الربى بلآلىء السحاب.

أما بعد قد سرحت طرفى فى رياض هذا التأليف الرايق، وفرحت بصرى بالمشاهدة لمحاسن هذا التصنيف الفايق،

واقتطفت بيدى ثمرات أوراقه واستضأت بأنوار إشراقه ، وحليت سمعى بدرر فوايده،وفكرى بغرر عوايده، وعرضت على فهمي لآلى جواهره، فلاحت لعينى بدور زواهره، فإذا هو عقد نظم من درر العلوم وتحلت به غوانى الفهوم، رشيق الألفاظ والمعانى، رقيق التراكيب والمبانى، لم ينسج ناسج على منواله، ولم يأت بليغ بمثاله، قد أفحم فصحا الرجال وألقت له البلغا العصى والحبال، وأعجز الفصحا كبير ا وصغير فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، يفوق بحسنه كل مولف ويروق برونقه على كل مصنف، جمع فيه من العلوم أشرفها وأشرقها، ومن المعارف أرقها وأروقها، فهو مجموع جامع مانع، وروض يافع يانع، فلا شك أنه صنعة قادر وصبغة لبيب ماهر، وكيف لا وهو العلامة الإمام الفهامة الهمام المحقق الفاضل المدقق الكامل، جامع شمل المعارف حايز أنواع اللطايف، وحيد الكمالات اللدنية ومزيد المحسن الخلقية والخلقية مولانا الشيخ محمد عبد اللطيف الطحلاوى قابل الله صنيعه بحسن القبول، وبلغه من خير الدارين كل مأمول، وأدام الكريم النفع بوجوده، وأقام لديه جزيل إحسانه وجوده، ماكرت الليالى ومرت الأيام وقطر غيث الغمام، والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده.

ومن نثره أيضاً هذه المراسلة:

بسم الله الرحمن الرحيم نحمدك يا من أجريت المقادير على وفق الإرادة، وجعلت المطالب سببا للإفادة والاستفادة ونشكرك على ما أوليتنا من سوابغ الإحسان ومنحتنا من

سوابق الفضل والامتنان، ونصلي ونسلم على نبيك سيد ولد عدنان، إلى آخره.

وأيضا أن أحلى ما تحلت به تيجان الرسايل وأعلى ما تجلت به مظاهر المقاصد والوسايل، وأبهى ما رقمه البنان من بديع المعانى والبيان وأشهر ما فاهت به الأقلام وفاحت به نوافح مسك الختام، إهداء تسليم تفوح فوايح المسك من طيب نشره، وتلوح لوايح الإقبال من وجوه بشره، وتبتسم ثغور الأمانى من شمايل شموله، وتتنسم نسمات التهانى من إقباله وقبوله، وإسداء تحيات يعبق شذاها ويشرق نورها وضياها، تفوق الشموس نورا وتروق الخواطر منها سرورا، نقدم ذلك ونهديه ونظهره ونبديه، لحضرة ذوى المهابة والفخار والعلو والاقتدار، الجامعين بين المتاجر والمفاخر، الحايزين لجمال الأول والآخر، القاطنين بخير البلاد القايمين بمصالح العباد، مصابيح الدنيا وبهجتها، وكواكب البلاد وتحفتها حماة حرم يجبى إليه الثمرات، وزينة محل تقضى به الحاجات، عين أعيان المكاسب والتجارة، وزين أبنا المطالب والإشارة، نعنى بذلك فلانا وفلانا أسبغ الله عليهم سوابغ الإنعام، وأسبل عليهم حلل الجود والإكرام، وأصلح لهم الأحوال،وبلغهم الأمانى والآمال، وبسط لهم الأرزاق، وحباهم بلطفه الخلاق.

أما بعد بسط كف الرجا، ومد سواعد القصد والالتجا بدعوات مقرونة بالإنابة، ليس لها حاجب عن أبواب الإجابة، فمما يعرض عليكم وينهى بعد السلام إليكم، أنه قد وصل إلينا رقيمكم المكنون، المحتوى على الدر المصون،

فَشَمَمْنا منه نفحات مكية حرمية، ونسيمات سحرية بهية.
فتعطرنا بطيب مسكها الأذفر، وتطيبنا بعبير عنبرها الأزهر،
ذكرتم أنكم بذلتم المجهود فى طلب المقصود، إلى آخره.

وله غير ذلك كثير، وحاله وفضله شهير، ولم يزل يملى ويفيد، ويقرر ويعيد، حتى قطفت يد الأجل نواره، وأطفأت رياح المنية أنواره، وذلك يوم الاثنين رابع عشرين شهر القعدة من السنة.

ورثاه الشيخ إسماعيل الزرقانى بقوله:

تداولت الأيام بالعسر واليسر
وتلك شئون الحق فى مطلق الدهر
فكيف أرى قلبى على فقد إلفه
حزينا ودمع العين من فيضه يجرى
فقال لنا فى سيد الخلق أسوة
فقد دمعت عيناه حزنا كما تدرى
وهذا الذى أمسى حليف ضريحه
إلى فضله تصبو الأنام مدى العمر
إمام له فضل الرواية والحجا
فمن نقله يملى ومن عقله يقرى
قوى فهمه صارت بنور معيدها
ترى من مبادى الحال عاقبة الأمر
عتبت على الأيام فى نثر عقدها
وقد غاب من أثنائه معدن الدر
فقالت ومالى ذاك حبر موفق
أحب لقا الله أسرع للأجر

تـلـقـتـه أمـلاك الـنـعـيـم تحـفـه
وتـنـقـلـه مـن ورد نـهـر إلـى قـصـر
إلـى أن يـرى وجـه الـعـزيـز مـكـانـه
ويبقى حميدا فى الترقى مع البشر
بـمـقـعـد صـدق صـار عـنـد مـلـيـكـه
فـيـا مـصـطـفـاه فـزت مـرتـفـع الـقـدر

٦٢٩/ عثمان بك الأشقر.

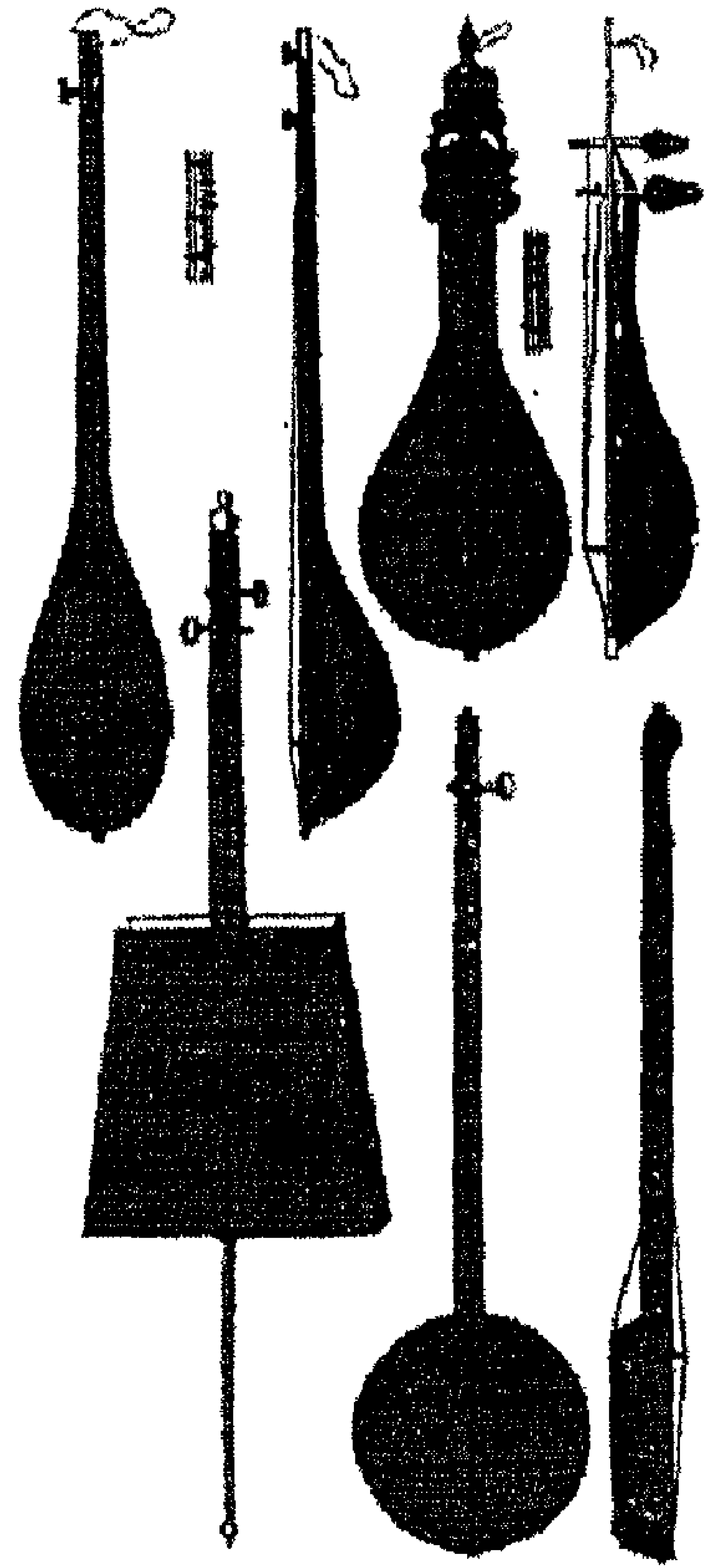
[ومات*] الأمير عثمان بك الأشقر الإبراهيمى، وهو من مماليك إبراهيم بك الكبير الموجود الآن، اشتراه ورباه وأعتقه وجعله خازنداره مدة، ثم قلده الإمارة والصنجقية فى سنة اثنتين وتسعين وماية وألف، وعرف بالأشقر لشقرته.

ولما انتقل أستاذه إلى بيت سيده ومحمد بك بعطفة قوصون سكن مكانه بدرب الجماميز، وصار له مماليك وأتباع، وانتظم فى عداد الأمرا.

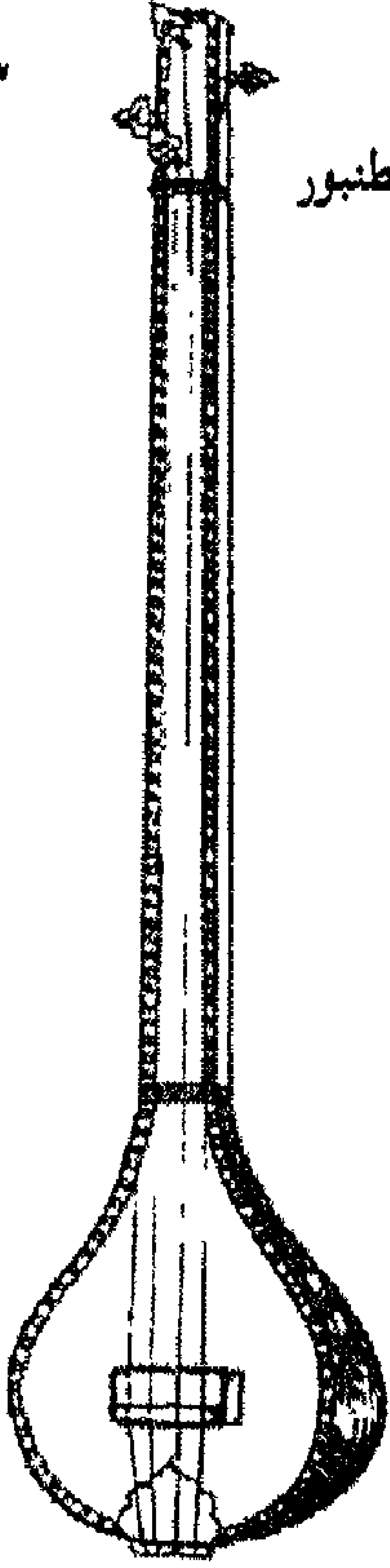
وخرج مع سيده فى الحوادث وتغرب معه فى البلاد القبلية، وطلع أمير بالحج فى سنة عشر ومايتين وألف، وعاد فى أمن وأمان.

ولما حصلت حادثة الفرنسيس كان هو مع من كان بالبر الغربى وذهب إلى الصعيد، ثم مر من خلف الجبل ولحق بأستاذه ببر الشام، ولم يزل حتى رجع مع أستاذه والأمرا بصحبة عرضى الوزير فى المرة الثانية.

ثم سافر مع حسين باشا القبودان فقتل مع من قتل بأبى قير، ودفن بالإسكندرية، وكان ذا حشمة وسكون وحسن عشرة مع ما فيه من الشح.



* آلات وترية.



*آلة الطنبور



٦٣٠/ عثمان بك الجوخدار [الطنبورجى].

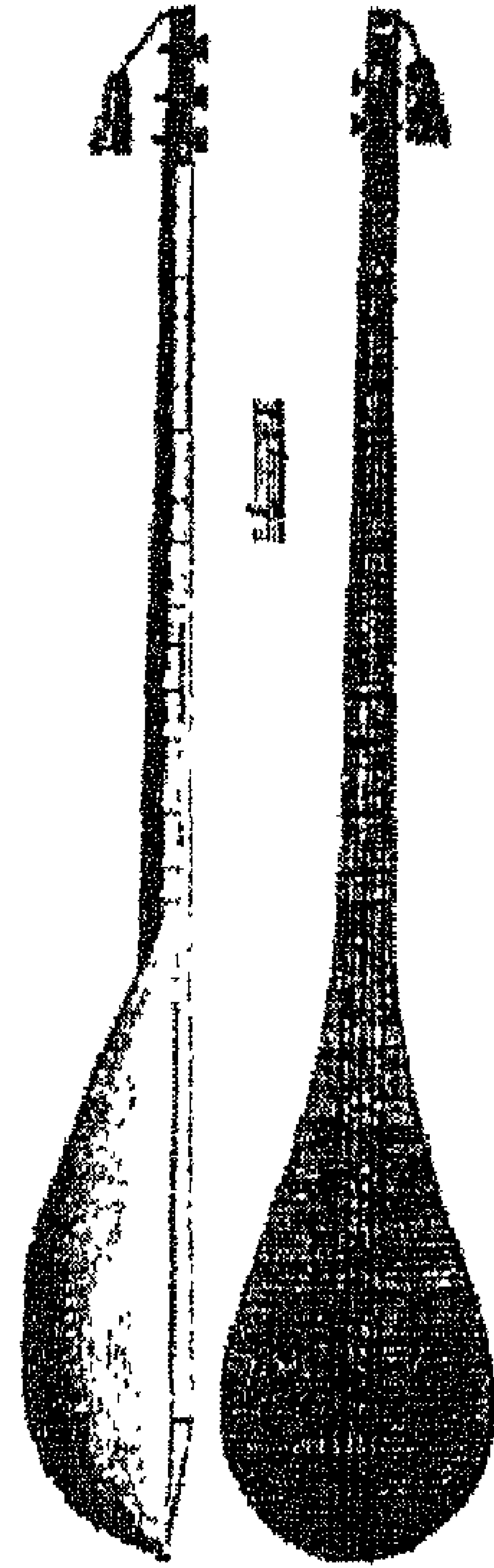
[ومات*] الأميرعثمان بك الجوخدار المعروف بالطنبرجى المرادى، وهو من مماليك مراد بك، اشتراه ورباه ورقاه وقلده الإمارة والصنجقية فى سنة سبع وتسعين وماية وألف.

ولما وصل حسن باشا الجزايرلى إلى مصر وخرج مع سيده وباقى الأمرا من مصر على الصورة المتقدمة، ووقع بينهم ما وقع من الحروب والمهادنة، حضر هو وحسين بك المعروف بشفت [اليهودى] وعبد الرحمن بك الإبراهيمى إلى مصر رهاين.



* آلة الطنبور كما ظهرت على جدران احد المقابر المصرية.

ولما سافر حسن باشا إلى الروم أخذهم صحبته بإغرا إسماعيل بك فأقاموا هناك، ثم نفوهم إلى ليميا فاستمروا بها، ومات بها حسين بك خشداشه المذكور.



ثم رجع المترجم وعبد الرحمن بك بعد وقوع الطاعون وموت إسماعيل بك وأتباعهما إلى مصر، فلم يزالوا حتى حصل ما حصل من ورود الفرنسيس وموت مراد بك في أخريات أيامهم، فوقع اختيار المرادية على تأميره عوضا عن سيده بإشارة خشداشه محمد بك الألفي، وانتقل بعشيرته إلى الجهة البحرية وانضموا إلى عرضي الوزير ووصلوا إلى مصر.

فكان هو وإبراهيم بك الألفي ثاني اثنين يركبان معا وينزلان معا ولم يزل حتى سافر القبودان بعد ما مكر مكره مع الوزير سرا على خيانة المصريين، فأرسل يستدعيه هو وعثمان بك البرديسي، فسافرا امتثالا للأمر فأوقع بهما ما تقدم، وقتل المترجم ونجى البرديسي ودفن بالإسكندرية.

وكان أميرا لا بأس به وجيه الشكل عظيم اللحية ساكن الجأش فيه تؤدة وعقل، وسبب تلقبه بالطنبرجي أنه كان في عنفوان أمره مولعا بسماع الآلات وضرب الطنبور، وربما باشر ضربه بيديه مع الإتقان لذلك، فغلبت عليه الشهر بذلك.

٦٣١/ مراد بك الصغير.

* [ومات] الأمير مراد بك المعروف بالصغير، وهو من مماليك محمد بك أبي الدهب وانتمى إلى سليمان بك الأغا، واستمر ملازما له ومنسوبا إليه مدة أعوام، وكان يعرف بمراد كاشف وله إيراد واسع ومماليك.

تقلد الإمارة والصنجقية في سنة ست ومايتين وألف، فزادت وجاهته، ولم يزل كذلك حتى سافر مع عثمان بك الأشقر وأحمد بك الحسني مع القبودان وقتل كذلك بأبي قير ودفن بالإسكندرية.

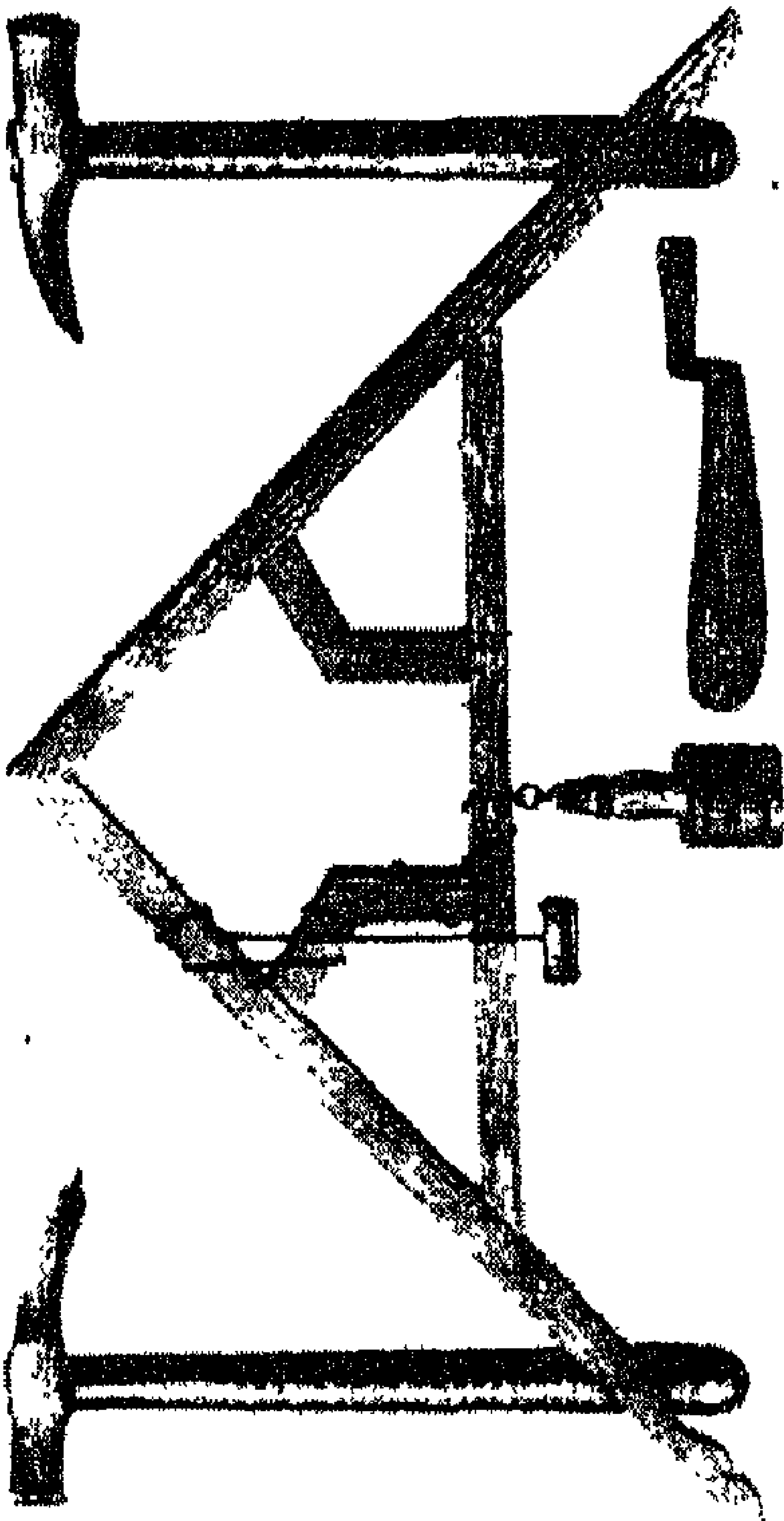
٦٣٣ / قاسم بك أبو سيف.
أشهر من اسس الحدايق العامة بالقاهرة

*[ومات] الأمير قاسم بك أبو سيف وهو مملوك عثمان بك أبى سيف، الذى سافر بالخزينة، ومات بالروم وذلك سنة ثمانين ومااية وألف ، وهى آخر خزينة رأيناها سافرت إلى إسلامبول على الوضع القديم.

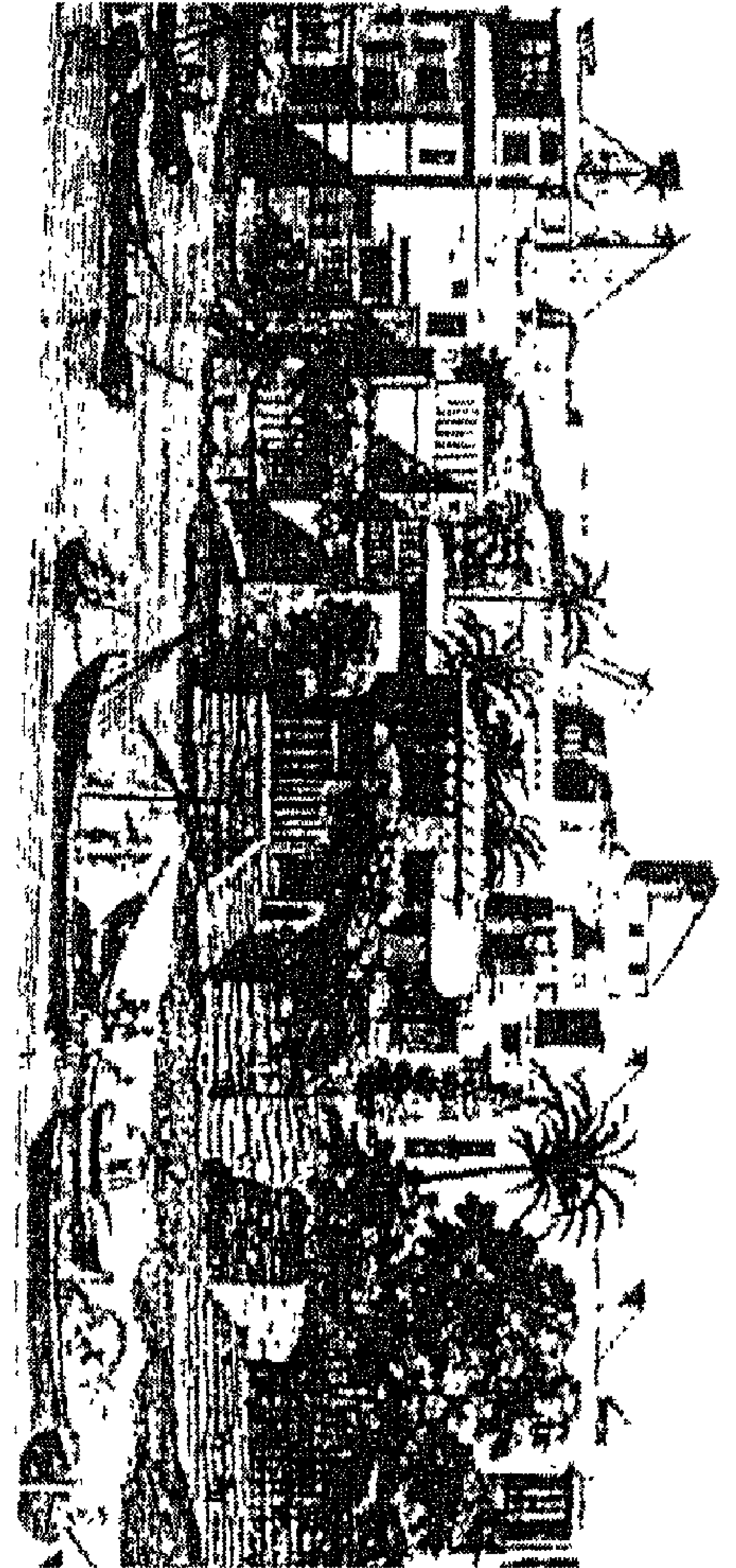
وعثمان بك هذا مملوك عثمان بك أبى سيف الذى كان من جملة القاتلين لعلى بك الدمياطى وخليل بك قطامش ومحمد بك قطامش فى ولاية راغب باشا كما تقدم، وخدم المترجم مراد بك وكان يعرف بقاسم كاشف أبى سيف.

وكان له أقطاع والتزام وإيراد، واشتهر ذكره فى أيام مراد بك،وبنى داره التى بالناصرية وأنفق عليها أموالا جمة.

* أدوات المعمار وهندسة البناء.



وكان له ملكة وفكرة فى هندسة البنا، واستأجر قطعة عظيمة من أراضى البركة الناصرية تجاه داره من وقف المولوية، وسورها بالبنا وبنى فى داخلها قصراً مزخرفا برحبة متسعة، وقسم تلك الأرض بتقاسيم المزارع وحولها طرق ممهدة مستطيلة ومجارى للمياه التى تصل إليها أيام النيل ومجار أخرى عالية مبنية بالمون والخافقى من داخلها تجرى فيها المياه من السواقى، ويحيط بذلك جميعه أشجار الصفصاف المتدانية القطاف، وبداخل تلك البركة المنقسمة النخيل والأشجار ومزارع المقاثى والبرسيم والغلة وغيرها يسرح فيها النظر من ساير جهاتها، وتنشرح النفوس فى أرجاها ومساحاتها، وجعل السواقى فى ناحية تجتمع مياهها فى حوض وبأسفله أنابيب تتدفق منها المياه إلى حوض أسفل منه.


* استخدام الكراسي للجلوس.

وعنده مجلس ومساطب للجلوس وتجرى منه المياه إلى المجارى المخفقة المرتفعة، ومنها تنصب من مصبات من حجر إلى أحواض أسفل منها صغار، وتجرى إلى مساقى المزارع وعند كل مصب منها محل للجلوس وعليه أشجار تظله وبوسطه أيضاً ساقية بفوهتين تجرى منها المياه أيضاً، والقصر يشرف على ذلك كله وحول رحبة القصر وطرق المشاة كروم العنب والتكاعيب.

وأباح للناس الدخول إليها والتنزه في رياضها والتفسح فى غياضها والسروح فى خلالها والتفيوء فى ظلالها، وسماها «حديقة الصفصاف والآس لمن يريد الحظ والايناس» ، ونقش ذلك فى لوح من الرخام وسمّره فى أصل شجرة يقراها الداخلون إليها، فأقبل الناس على الذهاب إليها للنزهة ووردوا عليها من كل جهة وعملوا فيها قهاوى ومساقى ومفارش وأنخاخا يفرشها القهوجية للعامة وقللا وأباريق.

واجتمع بها الخاص والعام وصار بها مغان وآلات وغوانى ومطربات، والكل يرى بعضهم بعضا وجعل بها كراسى للجلوس* وكنيفات لقضا الحاجة، وجعل للقصر فرشا ومساند ولوازم ومخادع لنفسه، ولمن يأتى إليه بقصد النزاهة من أعيان الأمرا والأكابر فيبيتون به الليالى ولا يحتاجون لسوى الطعام، فيأتى إليهم من دورهم.

وزاد بها الحال حتى امتنع من الدخول إليها أهل الحيا والحشمة. وأنشا تجاهها أيضاً على يسار السالك إلى طريق الخلا بستانا آخرعلى خلاف وضعها. وأخبرنى المترجم أيضاً من لفظه أنه أنشا بستانا بناحية قبلى أعجب وأغرب من ذلك.

ولما حضر حسن باشا الجزايرلى إلى مصر وخرج منها أمراها تخلف المترجم عن مخدومه واستقر بمصر فقلدوه الإمارة والصنجقية فى سنة إحدى ومايتين وألف فعظمت إمرته وزادت شهرته، وتقلد إمارة الحج مرتين.

ولما أوقع العثمانية بالأمرا المصرلية ما أوقعوه وانفصلوا من حبس الوزير وانضموا إلى الإنكليز بالجيزة، ثم انتقلوا إلى جزيرة الدهب وارتحلوا منها إلى قبلى تخلف عنهم المترجم لمرض اعتراه. وحضر إلى مصر ولازم الفراش ولم يزل حتى مات فى يوم الخميس سادس القعدة من السنة، وكان يخضب لحيته بالسواد مدة سنين رحمه الله.

*[ومات] إبراهيم كتخدا السنارى الأسود وأصله من برابرة دنقلة، وكان بوابا فى مدينة المنصورة وفيه نباهة فتداخل فى الغز القاطنين هناك مثل الشابورى وغيره بكتابة الرقى وضرب الرمل ونحو ذلك، ولبس ثيابا بيضا، ثم تعاشر مع بعضهم وركب فرسا وانتقل إلى الصعيد مع من اختلط بهم، وتداخل فى أتباع مصطفى بك الكبير. ٦٣٣/ إبراهيم كتخدا السنارى.

ولم يزل حتى اعتشر بالأمير المذكور وتعلم اللغة التركية، فاستعمله فى مراسلاته وقضاياه فنقل فتنة ونميمة بين الأمرا، فأراد مراد بك قتله فالتجا إلى حسين بك وخدمه مدة، ثم تحيل والتجا إلى مراد بك وعاشره وأحبه ولازمه فى الغربة والأسفار.

واشتهر ذكره وكثر ماله وصار له التزام وإيراد، وبنى داره التى بالناصرية وصرف عليها أموالا، واشترى المماليك

الحسان والسرارى البيض وتداخل فى القضايا والمهمات العظيمة والأمور الجسيمة، وصار من أعظم الأعيان المشار إليهم بمصر، ونما ذكره وعظم شانه وباشر بنفسه الأمور من غير مشورة الأمرا، فكان يحل ما يعقده الأمر الكبار.

ولما تحجب مخدومه بقصر الجيزة كان المترجم لسان حاله فى الأمر والنهى، وبيده مقاليد الأشيا الكلية والجزئية ولا يحجب عن ملاقاة مخدومه فى أى وقت شا، فينهى إليه ما يريد تنفيذه بحسب غرضه، واتخذ له أتباعا وخدما يقضون القضايا ويسعون فى المهمات، ويتوسطون لأرباب الحاجات ويصانعهم الناس حتى الأكابر ويسعون إلى دورهم وصاروا من أرباب الوجاهات والثروات.

ولم يزل ظاهر الأمر نامى الذكر حتى وقعت الحوادث وسافر الفرنساوية ودخل العثمانية ورجع قبودان باشا إلى أبى قير، فأرسل يطلبه فى جملة من استدعاهم إليه وقتل مع من قتل ودفن بالإسكندرية.



* وجوه مصرية من النوبة

## ملحق رقم (٣٥)
## اخبار الفرنساوية وما حدث من الوقايع فى الديار المصرية لنقولا الترك

بسم الله الحيّ القيوم، الابدىّ الازلىّ، الدايم السرمدىّ، الواحد الاحد، الفرد الصمد. الذى لا ربّ غيره، وسواه لا يُعبد. من خلق السماوات وزيّنها بالكواكب السايرة والنجوم الساهرة، وبسط الارض واتقنها بحكمته الباهرة وقدرته القادرة. وصنع الانسان وولاّه على ساير ما ابدع فى دنياه، وجمّله فى العقل الفايق والذهن الرايق، وامره بالسير على الحقّ وحفظ السنن، وخلوص الودّ وترك الفتن. نحمده سبحانه وجلّ شانه حمداً يليق بعزتّه ذات الجلالة، ما بزغ بدر واشرقت غزالة [الشمس].

امّا بعد، فيقول العبد الضعيف صاحب هذا التاليف انه، اذ قد جرت عادة الاوايل بتاليف الكتب والرسايل، وذكر ما يمّر عليهم من الحادثات الكونية والحركات الكليّة، كقيام دولة على دولة، وانتشار الحروب المهولة، وما يتعلق بها من المواقع المريعة والامور الفظيعة، فحقّ لنا ان نؤرخ فى هذا الكتاب، لانتفاع الطلاّب، ما حدث من التغيير والانقلاب ممّا اجرته يد الاقدار فى هذه الامصار، وممّا اذنت به العزة الالهية بظهور المشيخة [الجمهورية] الفرنساوية، وما تكوّن بسببها من الفتن فى البلاد الافرنجيّة وديار الروميّة وقتل سلطانهم وخراب بلدانهم وانتشار شانهم، وربحهم من بعد خسرانهم، وذلك بظهور فرد افرادهم وقايد اجنادهم، الليث الشديد والبطل الصنديد، امير الجيوش الامير بونابرته. وذكر الحروب التى ثارت بتلك الممالك، وحدوث الشرور والمهالك، وقهر البلاد التى اتصلوا اليها، والانتصارات العظيمة التى حصلوا عليها، وانتقالهم الغريب من الغرب إلى الشرق، ومرورهم العجيب اسرع من البرق، ونزولهم على جزيرة مالطة كالصواعق الهابطة، وفتوحهم ثغر الاسكندرية واستيلائهم على الاقطار المصرية، وذكر ماتمّ لهم من التمليك فى حروبهم مع جملة الغزّ والمماليك، ومسيرهم على الاقطار الشاميّة، ومحاصرتهم لمدينة عكّا القويّة، مسكن ذاك الوزير الجبّار المعروف باحمد باشا الجزّار، ورجوعهم الى ارض مصر وما تمّ لهم فى ذلك العصر، وكفاحهم مع الدولتين العظيمتين الدولة العثمانية والدولة الانكليزيّة، ومصادمتهم للعساكر البرّيّة والبحريّة، وخروجهم من مصر القاهرة بتسليم من بعد حروب وافرة وهول عظيم، وذلك فى مدّة ثلثة اعوام فى التمام، وابتداءها شهر محرّم الحرام افتتاح عام الف ومايتين وثلثة عشر هجرية [١]، وآخرها شهر ربيع الثانى عام الف ومايتين وستّة عشر بالهجرة الاسلامية يبدأ شهر ربيع الثاني عام ١٢١٦ هـ بتاريخ ١١ أغسطس عام ١٨٠١م. ثم يتلوه ذكر تملّك الدولة العثمانية والدولة الانكليزية من بعد خروج الدولة الفرنساوية. وذكر ما تمّ لهم مع زمرة الغزّ والمماليك المحمّدية [ نسبة لمحمد بك أبو الدهب] من بعد فتوحهم مصر الكنانة، وبالله القوّة والاعانة.

* نشر، محققا ضمن كتاب «لبنان فى عصر الامراء الشهابيين للأمير حيدر أحمد الشهابى د. اسد رستم وفؤاد افرام البستانى [القسم الثانى] بيروت ١٩٣٣. كما حققه العميد الركن الدكتور ياسين سويد، دار الفارابى - بيروت/ ١٩٩٠.

## [ ذكر الثورة الفرنسية] (٢)

انه فى سنة ١٧٩٣ مسيحية الموافقة لسنة ١٢٠٧ هجرية، حدث فى مدينة باريز بلبلة عظيمة، إذ هاج شعب هذه المملكة هياجاً عظيماً، وتظاهر ظهوراً جسيما ضدّ السلطان(٣) والامرا والاشراف، فى يوم كان شديد الارتجاف، وابرزوا الكمين منذ اعوام وسنين، وطلبوا نظامات جديدة وترتيبات حديثة، وادّعوا أن وجود السلطان بصوت منفرد [مستبد] احدث خراباً عظيماً فى المملكة، وان اشرافها يتنعّمون فى خيراتها وباقى شعوبها يكابدون اتعابها ومشقّاتها. فلاجل ذلك نهضوا جميعهم سوية، تلك الشعوب الفرنساوية، ودخلوا إلى سراية الملك فخاف منهم خوفاً عظيماً مع ارباب دولته، وسألهم عن مرامهم والسبب الداعى إلي قيامهم، فاعلموه انه، من الآن وصاعداً، لا يبرز الملك امراً ويبثّ رأياً من تلقا[ء] ذاته، بل يكون بثّ الاحكام والترتيب والنظام بموجب ديوان عظيم ومحفل جسيم [برلمان] ، ويكون الملك له الصوت الأوّل، ثم من بعده مشايخ الشعب الذين عليهم المعوّل، فبذلك يهون الصعب ويرتفع الظلم عن الشعب.

فلمّا فهم الملك لويس [السادس عشر] قيام هذا الشعب المذكور وما ابدوه من تلك الامور اجابهم: وايضاً انا اودّ عمار هذه المملكة وخيرها، واطيع لما تروه مناسباً لرفع ضرّها وضيّرها. فقالوا له : ان كنت كما زعمت ، اختم لنا الشروط التى تلائم اصطلاح هذه المملكة وقيام المشيخة. فقبل ذلك خوفاً من الشعب، وختم لهم الشروط التى قدموها.

ثم بعد أيّام جهز الملك نفسه للهرب، وخرج ليلاً من مدينة باريز وصحبته اخوه وبعض اصحابه، قاصداً الامبراطور ملك النمسا لأنه كان نسيبه، شقيق زوجته. وعند ما بلغ مشايخ الشعب خروج هذا الملك جدّوا فى طلبه، فوجدوه فى إحدى اللوسطاريات [فندق] التى فى الطريق، فقبضوا عليه ورجعوا به إلى المدينة، ووضعوه فى السجن مع امرأته وولده، وامّا اخوه فإنه نجى منهم وسار إلى بلاد النمسا. وبدأ جميع الشعب يصيح صارخاً: فليقتل الملك بموجب ا لشريعة، لانه نكث فى عهده مع شعبه، وقد هرب لكى يلتجى إلى ملك النمسا الذى هو اخو زوجته التى قد تسبّب لنا هذا الخراب بسببها. ثم ان بعد ما سجنوا الملك اربعة اشهر احضروه امام الشعب فى يوم الاثنين فى الحادى والعشرين من كانون الثانى [يناير]، وقد ابرزوا عليه الحكم بالموت، فطلب الملك لويس ان يخاطب عيلته والمتوكلون عليه احضروا له امراته وبنته وشقيقته واستمروا معه فى المكان الذى كان ياكل فيه نحو ساعتين ونصف. وخاطب ابنته مريم انطونينا (٤) قائلاً لها: تعلمى من مصايب والدك ولا تجزعى من موتى. وطلبت عيلته منه أن ينظروه عند الصباح فلم يجبهم الى ذلك الصباح. وفى الصباح اعلموا المتوكلون عليه ان الجمهور قد حكم عليه بالموت، فطلب الملك لويس دقيقة لكى يتكلم مع معلّم اعترافه فاذنوا له بذلك، ثم اعرض مغلفاً على احد المتوكّلين وتوسّل اليه أن يرسله إلى مجمع الجمهور، فاجابه: اننى لا استطيع هذا الامر لكونى متفوض ان ارافقك إلى منقع الدم ثم اعطى ذلك المغلف إلى شخص آخر واوعده انه يوصله إلى الجمعية [الوطنية] وكان المغلف وصيته.

[ وهذه هى و صيته]

باسم الثالوث الاقدس الاب والابن والروح القُدس. انا لويس السادس عشر، باسم ملك فرنسا، فى اليوم الذى هو الخامس والعشرون من ديسمبر فى سنة ١٧٩٣، اذا كان لى اربعة اشهر مسجوناً فى الحصن المسمّى طَمْبل[٥] فى باريز، ففعل هؤلاء الذين كانوا خاضعين لى، [وكنت] ممنوعاً عن كلّ اشتراك حتى مع عيلتى نفسها منذ أحد عشر من هذا الشهر، ومشتغلاً فى فحص لا يمكن يُعرف نهايته بسبب الألام البشرية التى لا يوجد لها اعتذار ولا مثال فى شريعة من الشرايع.

واذ لم يكن شاهد آخرَ لافكارى ولا من التجى إليه سوا الله تعالى وحده، فاوضح لدى حضرته الالهية إرادتى الأخير، وانى تارك نفسى لله سيدّى وخالقى، واتوسل بان يقبلها برحمته ولا يحاسبها حسب استحقاقها سيدّى يسوع المسيح، الذى قدّم ذاته لابيه السماوى لاجل خلاص كلّ البشر الذى انا اوّلهم، ولو كنت غير مستحق لذلك[٦] ، بل اننى اموت بالاتّحاد مع الكنيسة الكاتوليكية الرسولية الرومانية، التى اقتبلت سلطانتها بتسلسُل متّصل من القدس بطرس الرسول مستودعة له من السيِّد المسيح نفسه. واننى اؤمن ايماناً ثابتاً، واعترف بكلمّا هو متضمّن فى قانون الايمان، وفى وصايا الله وكنيسته، وفى الاسرار كما تعلمه الكنيسة الجامعة واننى قد علمت دايماً بانى لم ادّع اصلاً فى اننى اقيم ذاتى قاضياً فى انواع تفسير الاعتقادات المختلفة التى تمزق كنيسة السيّد المسيح، بل انى قد تصرفت وساتصرّف دايماً، إن منحنى الله الحيوة، مسلّماً للتحذيرات التى تُعطى لى من رؤساء الكنايس المتّحدين مع الكنيسة الجامعة المقدسّة الرسولية، والمتّفقين معها من اتيان سيّدنا يسوع المسيح. وانى اندب، من كلّ قلبى، اوليك الذين يوجدون فى الضلال، انما لا ادينهم بل احبهم سويةً بسيدى يسوع المسيح كما ترشدنى المحبة المسيحية، واتوسّل لله تعالى أن يغفر لى كل خطاياى، لأننى قد اجتهدت بالفحص المدقق عنها لكى اعرفها وامقتها، واتضرّع امام عزّته تعالى بأن، اذ لم يمكنّى احصل على كاهن كاتوليكى، فاسأل الله ان يقبل اعترافى وندامتى الخالصة، لكونى وضعت اسمى (وكان ضدّ إرادتى) فى بعض قضايا مضاداً الاعتقاد بالكنيسة الكاتوليكية وتهزيبها، وانما قد استمريت دايماً متّحداً معها بخلاصة قلبى. واتوسّل لله تعالى أن يقبل قصدى الثابت ان استخدم كاهناً كاتوليكياً، حال ما يمكنّى، ان منحنى الحيوة لكى اعترف بكل خطاياى واقبل من يده سر التوبة. واننى اتضرّع لكل اولئك الذين قد امكن أن أكون اغضبتهم، بعد الانتباه، لم يبكّتنى ضميرى اننى سببت لاحد ادنى اهانة. والذين قد امكن ان اكون قد اعطيتهم مثلاً ردياً أو شكوكاً، فاتوسّل إليهم ان يسامحونى بالبشرّ الذى يظنّون اننى سببّته لهم. واننى ايضاً اتوسّل لكلّ اوليك المحبيّن ان يصنعوا تضرّعاتهم مع تضرعاتى لكى انال من الله مغفرة اثامى، واننى اغفر من كلّ قلبى لاوليك الذين قد اعلنوا ذواتهم اعداء لى من دون ان يسبق لهم منّى ادنى سبب يوجب ذلك، واسأل الله ان يسامحهم ويغفر لهم ولاوليك الذين قد صنعوا معى شراً عظيماً، أمّا من قبل غيره كاذبة ام من قبل جهل.

واننى استودع لله امرأتى وبنّى وشقيقتى واخوتى وعماتى، وكلّ اوليك المرتبطين معى

بارتباط الدم أو بنوع آخر. واتوسل لله أن ينعطف برحمته نحوهم، وأن يقويّهم بنعمته، على افتراض فقدهم ايّاى كلّ الزمان الذى يستمرونه فى هذا وادى الدموع.

واننى استودع بنّى لامراتى ولا ارتاب اصلاً بحنوها الشفوق نحوهم . واوصيّها بالخصوص أن تهذّبهم تهذيب المسيحيين الكاملين، وأن تصيّرهم بان يعتبروا عظمة هذا العالم كخيرات خطرة قابلة الفقد والانقلاب. وأن يرفعوا الحاظهم نحو المجد الثابت الحقيقى. واننى اتضرّع إلى شقيقتى ان تستمّر ملاحظة بنى بحنوها المعتاد، وأن تقوم مقام والدتهم ان حصلوا على فقدها من قبل التعس. واننى اسأل امراتى بان تسامحنى بكلّ الشرور التى احتملتها بسببى، وبكلّ غيظ قد يمكن ان اكون سببّته لها فى مدة اقتراننا، وليكن محققاً عندها اننى لست بواجد عليها شيئاً من الأشياء.

واننى اوصّى بنيّ بكل حرارة انهم، من بعد أن يتقواالله، اذ كان تعالى واجب أن يتقدّم اكرامه علي كلّ شىء، ويكونوا متفقين دايماً مع بعضهما بعض، وخاضعين لوالدتهما وحافظين نحوها كلّ معروف، وان يعتبروا شقيقتى كوالدة ثانية. واننى اوصىّ ابنى، على افتراض انه اذا ما حصل على التعس، اى اضحى سلطاناً، ان يفتكر بانه يلتزم أن يوجّه كلّ اهتمامه نحو سعادة اهل بلاده، وانه يلتزم أن ينسى كلّ بغض وضرر خاصةً لاوليك الذى سببّوا إلىّ ما انا محتمله الان، وانه لا يستطيع ان يصيّر الشعوب سعداء ان لم يحكم حسب الشرايع.

واننى اوصىّ ولدى ان يهتّم بكلّ اوليك الاشخاص الذين كانوا متعلّقين بى. وان يفتكر بانى قد حصلت على التزام مقدّس نحو اولاد واقرباء اوليك الذين ماتوا لاجلى، والذين قد حصلوا على التعاسة بسببى. وانى عالم انه كان يوجد اشخاص كثيرون من كانوا متعلّقين بى ولم يسلكوا معي بحسب التزامهم، بل اظهروا عدم المعروف معى، فانا اسامحهم من كلّ قلبى، واسأل ولدى انه اذا تقدّمت له الفرصة لا يفتكر سوا بسعادتهم والخير لهم.

واننى اودّ أن اظهر معروفى نحو اوليك الذين قد حفظوا تعلقاً حقيقاً نحوى من دون نفعهم الخاصّ. كما اننى قد شعرت بالم من قلبى [بسبب] رداوة بعض اشخاص لم يظهر منى نحوهم ونحو اولادهم واصداقائهم الاّ كلّ جودة وخير. وهكذا قد شعرت بتعزية بنظرى ما قد ظهر من تعلّق حقيقى من كثيرين نحوى. ثم اسألهم ان يقبلوا شكرى لافضالهم، اذ كنت فى هذه الحال لا استطيع ان ابدو فى المعروف نحوهم ، انما اوصىّ ولدى ان يستقصى الفرصة الملايمة إلى مكافاتهم. واننى اظنّ انى قللت اعتبارى للطايفة الفرنساوية ان كنت لا اوصىّ صريحاً ولدى باوليك الذين انعطافهم الخاصّ نحوى قد جذبهم لينحبسوا معى ويطوّحوا ذواتهم بخطر الموت لاجلى.

واوصّى ولدى بكلرى(٧) الذى ليس لى سبيل عادل ان لا امدح اهتمامه وخدمته نحوى منذ وجد معى، ولم يزل مستمراً الان والى النهاية. واسأل اسياد الجمهور أن يسلموه كتبى وساعتى وكيس خرجيتى والاشياء المختصّة بى التى هى مودوعة عند مجمع الجمهور.

واننى اسامح اوليك الذين كانوا يحرسونى، واصفح عن مقتلاتهم الردية والمضايقات التى

ضايقوني بها. وقد وجد بعض انفس شفوقة فليتمتع هولاء بالراحة التي تحصل لهم [٨]، وان يقبلوا شكري لافضالهم ورغبتي بالمعروف نحو كلّ سعيهم ومهماتهم التي فعلوها لاجلي.

وانني انهي وصيتي موضحاً امام الله، اذا كنت قريباً امثل بازآء حضرته الالهية، ان ضميري لا يبكتني على ذنب من الذنوب المنسوبة لي.

وقد حرّرت هذه الوصية نسختين في حصن الطَمْبل في خامس عشر كانون الاوّل سنة ١٧٩٣

المحرر اسمه لويس السادس عشر

من ملوك فرنسا

الشاهد به بياد

احد اصحاب الوظايف.

وفي الساعتين ونصف بعد منتصف الليل صعد القايد العامّ نحو الملك لويس وعرّفه انه يزمع ان يذهب الى الموت، فاجابه الملك. انني مستعد لذلك، واذ خرج من مكانه وصعد الى الكرسي حيث كان معلّم اعترافه، قد اصطفت العساكر في التبيعة حيث كان مكان الموت، وقد كان صمت كلي. واما الملك لويس، بعد ما قرأ صلوة المنازعين، تعرّا من ثيابه بشجاعة فريدة وقلب غير مرتجف، وصرخ بصوت عال: ايّها الفرنساويّون انني اموت بريًا واغفر لكل اعدائي وارغب ان موتي يكون مفيدا للشعب. ثم امر القايد العامّ إلى الجلاّد ان يتمّم وظيفته. وفي الحال قطع راسه، وكان حزناً عظيماً عند الذين كانوا من حزب الملك، وأما الشعب فكان عنده سرور عظيم، وصنعوا في مثل ذلك اليوم عيداً في كل سنة تذكاراً لقتل الملك وانتصار الشعب، وكان ذلك في مبادي شهر سبتمبر في سنة ١٧٩ وجعلوه بدو سنتهم. ولقّبوه تاريخاً للمشيخة [٩] وغيروا الاشهر النصرانية ورتبوها اشهر [اً] جديدة وسمّوها اسامي مختلفة وابقوها ثلثين يوماً على خلاف عدتها الاولى وفي ذلك الوقت رفضوا الديانة واقفلوا الكنايس والاديرة الرهبانية، وقتلوا الرهبان والراهبات وعدّة من الاساقفة، ورموا الايقونات وكسروا الصلبان. وكان خر[ا]ب عظيم في تلك المملكة، واهوال متلفة مهلكة. وحدث عدّة مواقع بينهم وبين حزب السلطان [الملك]. ولا زالت تزداد وتنمو الاحقاد، وتتجنّد الاجناد،وتهلك العباد، حتّي ضعف حزب السلطان، وقويت شوكة المشيخة قوةً عظيمة. وبعد ان اعتدل ميزانها، ووطدت اركانها، وأهلكوا اخصامها، فانفذوا كتابات لساير الملوك يعرّفونهم عن تأييد مشيختهم وهذا ما تضمنته كتاباتهم:

ان كلّ من يقرّ بمشيختنا فهو حبيب لنا ومن لم يقرّ بمشيختنا فهو عدوّ لنا ويستعدّ إلى محاربتنا لاننا قد استعدينا ان نحارب المسكونة باسرها. ثم كتبوا مثل ذلك الى الدولة العثمانية، وقد كانت هذه الدولة المذكورة من قيامها متّحدة مع الدولة الفرنساوية دايماً. فقبلت كتابتهم وقرّت بمشيختهم. وامّا الملوك الافرنجية، حين وصلتهم كتابة الفرنساوية، نهضوا جميعاً باتّفاق على قدم وساق،وعزموا على حرب ذلك الشعب الخارج عن الاسلوب، ليّلاً تتشبّه به بقية الشعوب. فاوّل من اشهر عليهم الحروب ملك النمسا الانبراطور، لانهم قد قتلوا شقيقته زوجة ملكهم ثم نهضت ضدّهم دولة الانكليز، ثم سلطان اسبانيا، ثم سلطان

ايطاليا، ثم البابا سلطان مدينة رومية العظيمة وباقى سلاطين بلاد أوروبا. ولكون أن شعب هذه المملكة وهو اوفر عدداً من ساير الشعوب، فاعتصبوا جميعهم عصبة واحدة، واستعدّوا لحرب جميع مضادّيهم ، وخرجوا من مدينة باريز إلى قتال اعداهم الواردين عليهم من كل ناحية ، وابتدوا يحاصروا مدينة بعد مدينة ومملكة بعد مملكة، وهم فى عساكر كالبحار الزاخرة بالات الحرب الوافرة والقوّات القادرة، الى ان اشتهر بأسهم واقتدارهم، وانتشر تملكّهم وانتصارهم، وتملكّوا حصوناً وقلع وبلدان وضيع، واستولوا على ممالك بلاد ايطاليا وكانت تحكم احد عشر سلطاناً، وامتلكوا عدة قلع من بلاد النمسا. وكان ذلك الانتصار والتمّلك عن يد ذلك الليث الظاهر والاسد الكاسر، الفرد الفريد والبطل الصنديد، امير الجيوش بونابارته. وكان هذا من بعض كبار المشيخة الفرنساوية. وكان قصير القامة رقيق الجسم اصفر اللون، باعه اليمين اطول من اليسار، مملواً من الحكمة مشمولاً بالسعد والنعمة، يبلغ من العمر ثمانية وعشرين سنة، وهو اطليانى الاصل من جزيرة كورسيكا – وتربيته فى مدينة باريز كرسّى دولة الفرنساوية. وعند ما اقتربت تلك الجيوش الفرنساوية كرسى [فينا] مملكة الانبراطور اى ملك النمسا، عقد امير الجيوش بونابارته صلحاً مع الملك الانبراطور على شروط مكتومة غير ظاهرة، ونهض من هناك سايراً إلى مملكة البندقية ودخل دخولاً عجيباً، لأن مدينة البندقية هى بكر الابكار لكون انها من حين ما بنيت وقامت مشيختها،قطّ مادخلها دال ولا سطا عليها عدّو. واستولى على جميع مدنها وجزايرها، وتملك على كنوزها وذخايرها. ثم انّه سلّم مدينة البندقة إلى ملك النمسا، وابقى جزيرة كورفو[١٠] له، ووضع بها ستة الاف صلدات [جندى]، ومن هناك سار بالجيوش إلى مدينة رومية العُظما، وبعد حروب شديدة وآيام عديدة مع عساكر البابا، تملك رومية وهزم الباب، واستولى على كنوزه وذخايره، وسلب اموال اهل الجزيرة، وخرب نظام تلك المدينة الجليلة، واهان طغمة الاكلركلين والرهبان، وازدرى بالذخاير والصلبان، وكان اضطهاد عظيم على المسيحيين. وكثير من اهل رومية تبعوا رأى الفرنساوية. ومكث مدّة فى رومية واتى إلى مدينة باريز. وكان مدة حروبهم فى البلاد الافرنجية ستّة سنوات، وطاعتهم غالب البلاد المذكورة. وقد كانت الفرنساوية جهّزت عمارة [اسطول] عظيمة فى طولون، وكان عدتها اربعماية وخمسين مركباً، وعدة عساكرها ستّين الفاً ورؤساء العساكر ستّة وعشرون رجلا معروفين بالشجاعة والقوة والبراعة، وعّدة الصلد الحربية ستّة وثلثون الفاً،وباقى العساكر فيسالية [١١]واصحاب صنايع ونوتية. وحين تمت العمارة ركب بها وصار طالباً جزيرة مالطة، وعندما وصل اليها حاصرها مدة قليلة، وافتتحها فى شهر مايو[١٢] المطابق إلى شهر ذى القعدة سنة ١٢١٢ هجرية، بعد قيام تلك المشيخة بخمسة سنين. وقيل أن ذلك كان بولس الكوليريه[١٣] الفرنساوين الذين كانوا موجودين بها.

وبعد توليّتهم على مدينة مالطة، رفعوا منها الحكام الكوليريه الذين كانوا من قبل ساير الملوك الافرنجية، واطلقوا المأسورين بها من الاسلام وارسلوهم الى بلدانهم بالسلام، واوعدوهم بان ما

عاد يسير استئسار على الاسلام من المالطية على الدوام، ثم امرهم ان يبشّروا بذلك فى جميع بلدان المسلمين ويشكروا بذلك فضل الفرنساوية، وبعد ذلك وضع فى مدينة مالطة ستّة الاف مقاتل من الفرنساويين، واخذ عوضها من المالطيين، وصار فى تلك النية قاصداً مدينة الاسكندرية.

## ذكر مسير بونابرت إلى مصر

هذا ما كان من امير الجيوش بونابارته، وامّا الانكليز لمّا بلغهم خروج هذه العمارة العظيمة، وظنّوا انهم قاصدون بلدانهم، فحصنّوا ثغورهم ومكاناتهم. ولما حقّقوا انهم قصدوا الديار المصرية، جهزوا اربعة عشر مركباً بكلك[١٤] كبار وصاروا إلى محاربتهم، لانه كان بين الانكليز والفرنساوية عداوة عظيمة وحقود قديمة، وقد تسلّموا بعض بلدان فى الهند كانت للفرنساويين. وبهذا السبب كان مسير الفرنساويين إلى الديار المصرية، مؤملين انه، بعد تملكّم الامصار المصرية، يستسيرون فى بحر السويس إلى بلاد الهند، لان المسافة قريبة. وحين دخلت مراكب الانكليز ثغر الاسكندرية، ارسلوا قارباً يطلبون حاكم المدينة، فتوجّه إلى مقابلتهم كمركجى الاسكندرية،السيّد محمد كريم الذى كان متروّسا [ريسا] من قبل الامير مراد بيك وبعد وصوله للمراكب سألهم عن سبب قدومهم فاخبروه انهم طالبون عمارة الفرنساوية لكى يصدّوها عن الدخول إلى ثغر الاسكندرية. فارتاب السيّد محمد كريم وقال فى نفسه: ما هذا الاّ خداع عظيم، واجابهم: ان الفرنساوية غير ممكن انهم يحضروا لبلادنا، ولا لهم فى ارضنا شغل، ولا بيننا وبينهم عداوة، ولا جلبنا عليهم رداوة. وهذا كلام غير ممكن أن نصدّقه، وان حضروا كما تزعمون فنصدّهم عن الدخول وليس لهم الينا وصول. وامّا انتم فليس لكم الاقامة بهذه الديار وانما اذا جئتم تاخذون شياً من الماء والماكل فلكم الاختيار. فاجابوه الانكليز: انتم لستم فى هذا الحين كفوا لصدّ الفرنساويين،و لكن سوف تندمون على عدم قبلوكم ايّانا وعلى ما يحّل بكم تتحسّرون. وفى الحال اقلعوا من مقابل الاسكندرية وكان ذلك فى ثلثة عشر من شهر محّرم افتتاح سنة ١٢٢٣[١٥] . فرجع السّيد محمد كريم وهو حاير من ذلك البلاء العظيم. وفى الحال اعرض ذلك الأمر إلى مراد بيك والى مصر. وفى ثالث الايّام من بعد قيام مراكب الانكليز من ثغر الاسكندرية عند العصر، نفذ مركب عظيم فى البحر، ولمّا قرب إلى البوغاظ ارسل قارباً إلى اسكلة [ميناء] الاسكندرية يطلب قنصل الفرنساوية. ولمّا بلغ اهل المدينة خافوا خوفاً عظيماً وعقدوا ديوانا، واتّفق رأيهم على عدم توجّه القنصل. وكان يوميذٍ مركب الريالة[١٦] فى البوغاظ وقبطانه فى المدينة، فامرهم ان يطلقوا القنصل وقال لهم: وان حصل سؤال عن ذلك فعلىّ الجواب. وسار فى القارب إلى المركب. ثم ما اغربت الشمس الاّ واقبلت العمارة العظيمة التى ليس لها عدد، فسقط على اهل الاسكندرية خوفٌ عظيم وهم جسيم حين نظروا وجه البحر تغّطى من المركب، وحرر السيد محمد كريم يعلّم مراد بيك عن قدوم تلك العمارة فى هذه الالفاظ:

سيّدى ان العمارة التى حضرت مراكب عديدة ما لها اوّل يعرف ولا آخر يوصف . لله ورسوله داركونا [ادركونا] بالرجال. وفى تلك الليلة ارسل ثلثة عشر ساعياً بلا خلاف، وقد ايقنوا بالموت والتلاف.

واما الفرنساوية بقوا تلك الليلة ينقلون العساكر من المراكب الى البرّ بالقوارب إلى مكان يقال له العجمى[١٧] بعيداً عن مدينة الاسكندرية مسافة ساعتين. وعند الصبح نظرت اهالى البلد الى العساكر فى البرّ ليس لهم عدد ولا لهم على حربهم جلد. فتأهّبت الاسلام الى الحصار ومحاربة تلك الكفّار، واطلقوا المناداة: اليوم يوم المغازاة. ولكن اذ كانت المدينة غير مأمنة من تلك الحوادث وغير مستعدة لمثل هذه النواكس، فما وجد فى قلع هذه المدينة الا قليل من البارود واكثره كالتراب من طولة الآيام، وعند طلوع الشمس هجمت عليهم تلك العساكر كالبحار الزواخر والاسود الكواسر. فما مضى نحو ساعتين من النهار حتّى تملكّت الافرنج الاسوار، ودخلت المدينة قوّةً واقتداراً. وكان ذلك فى ١٥ محرّم سنة ١٢١٣ الموافق لشهر يونيو سنة ١٧٩٨. وطلبت الامان الرعية من العساكر الفرنساوية، فاعطاهم امير الجيوش الامان وعدم المعارضة والعدوان. وكان قد قُتل فى ذلك النهار من المسلمين ماية قتيل ومن الفرنساوية شيء قليل. وانجرح جرحاً كبيراً الجنرال كلبير [كليبر].

ثم حضرت قدّام امير الجيوش اعيان البلد، فتوسّلوا اليه فترحّب بهم وامّنهم، واختار منهم سبعة انفار من الاعيان الكبار وهم: الاستاذ الفاضل والحاذق العاقل الشيخ محمد المسيرى العالم العلامة والمشهور بالفضل والمكرمة، ثم السيّد محمد كريم عين الاعيان ورئيس الديوان، ومعهم خمسة انفار من اهالى الاسكندرية الاخيار، وقلّدهم زمام الاحكام وما يحتاج اليه البلد من النظام، وان كلّ يوم يعملوا ديوان مشهور - ويحكموا بما بينهم من الامور، وقال لهم انه على مقتضى الحرية يجب ان تتقلد الاحكام عقلاء الرعية، لأن الخلق عند الله كلّ بالسوية، وليس يتفضل أحد على الآخر إلا بالعقل والنيّة. وبعد ذلك امرّ باحضار المطابع التى احضرها معه من مدينة رومية، وكانت تطبع فى اللغة الفرنساوية ولغة اللاتينية واليونانية والسريانية والعربية، وكتب فرمانات وطبعها فى العربية، ووزّعها على الديار المصرية، وهذه صورتها حرفاً فحرفاً:

بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلاّ الله لا ولد له ولا شريك بملكه

من طرف الجمهور الفرنساوى المبنى على اساس الحرّية، والسر عسكر الكبير بونابارته امير الجيوش الفرنساوية، نعرّف اهالى مصر جميعهم ان من زمان مديد السناجق الذين يتسلطون فى البلاد المصرية يعاملون بالذلّ والاحتقار فى حقّ الملة الفرنساوية، ويظلمون تجّارهم بانواع البلص والتعدّى، فحضرت الآن ساعة عقوبتهم، وحسرت[١٨] من مدّة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من جبال الاباذا، والكرجستان[١٩] يُفسدوا فى الاقاليم الاحسن ما يوجد مثله فى كرّة الارض كلها. فاما ربّ العالمين القادر على كلّ شيء قد حتم فى انقضاء دولتهم. يا آيها المصريون، قد يقولوا لكم اننى ما نزلت فى هذا الطرف الا بقصد إزالة دينكم، وذلك كذب صريح فلا تصدّقوه، وقولوا للمفترّين اننى ما

قدمت اليكم الاّ لكيما اخلص حقكم من يد الظالمين. وانني، اكثر من المماليك، اعبد الله سبحانه وتعالى واحترم نبيّه محمد والقرآن العظيم.

وقولوا لهم ايضاً ان جميع الناس متساوين عند الله ، وان الشيء الذى يفرقهم عن بعضهم بعض فهو العقل والفضايل والعلوم فقط. وبين المماليك والعقل والفضل والمعرفة تضارب، فماذا تميزهم عن الآخرين، وتستوجب ان يتملكوا وحدهم كلما تحلو به حيوة الدنيا، حيثما يوجد ارض مخصبة فهى للماليك، والجوار[ى] الجمال والحلل الحسان والمساكن الاشهى(٢٠) ، فهذه كلها لهم خاصة. فان كانت الارض المصرية التزام للمماليك فليوردوا الحجّة التى كتبها لهم الله ربّ العالمين، هو رأوف وعادل على البشر . بعونه تعالى من اليوم وصاعداً لا يُستثنى [أحد] من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية، وعن اكتساب المراتب العالية. فالعقلاء والفضلاء والعلماء بينهم سيدبّروا الامور، وبذلك يصلح حال الامّة كلها. سابقاً فى الديار المصرية كانت المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر، وما زال ذلك الاّ لطمع وظلم المماليك.

ايّها القضاة والمشايخ والائيمة، ويا ايّها الشورباجية واعيان البلد، قولوا لأمّتكم ان الفرنساوية ايضاً مسلمين خالصين. واثباتاً لذلك قد نزلوا فى رومية الكبرى، وخرّبوا بها كرسى البابا الذى كان دايماً يحثّ النصارى على محاربة الاسلام. ثم قصدوا جزيرة مالطة [وطردوا] منها الكولريه [فرسان مالطة] الذين كانوا يزعمون ان الله يطلب منهم مقاتلة المسلمين. ومع ذلك الفرنساوية فى كلّ وقت كانوا محبّين مخلصين لحضرة السلطان العثمانى وأعدا أعداه ومع ذلك إن المماليك غير ممتثلين الى امره، فما طاعوا اصلاً الاّ لطمع نفوسهم.

طوبى ثم الطوبى إلى اهل مصر الذين يتّفقون معنا بلا تاخير، وينصلح حالهم وتعلا مراتبهم طوبى ايضاً للذين يقعدون فى مساكنهم غير مبالين لاحد من الفريقين المحاربين، ان يعرفونا بالاكثر يسرعون الينا بكلّ قلب. لكن الويل ثم الويل للذين يتّحدوا مع اوليك المماليك ويساعدوهم فى الحرب علينا فما يجدوا طريق الخلاص ولا يبقى لهم اثار.

المادة الأولى :جميع القرى القريبة ثلث(٢١) ساعات عن المواضع التى يمرّ بها العسكر الفرنساوى، ترسل للسارى عسكر بعض وكلاء لكيما يعرّفوا المشار اليه انهم اطاعوا ونصبوا السنجق الفرنساوى الذى هو ابيض وكحلى واحمر.

المادة الثانية : كلّ قرية تقوم على العسكر الفرنساوى تُحرق بالنار.

المادة الثالثة : كلّ قرية تطيع الفرنساوى الواجب عليهم نصب السنجق الفرنساوى وايضاً نصب سنجق السلطان العثمانى محبّنا ادام الله بقاه.

المادّة الرابعة : المشايخ فى كلّ بلد يختموا حالاً جميع الارزاق والبيوت والاملاك متاع المماليك وعليهم الاجتهاد الزايد لكى لا يضيع ادنى شيء منها.

المادة الخامسة : الواجب على المشايخ والقضاة والايمة ان يلازموا وظايفهم، وعلى كلّ من اهل

البلدان يبقى فى مسكنه مطمأناً. وكذلك تكون الصلوة قائمة فى الجامع عل العادة. والمصريون باجمعهم يشكروا فضل الله سبحانه وتعالى لانقراض دولة المماليك، قائلين بصوت عال: ادام الله تعالى اجلال السلطان العثماني. ادام الله اجلال العسّكر الفرنساوى. لعن الله المماليك، واصلح الله حال الامّة المصرية.

تحريراً فى معسكر اسكندرية، فى ثلثه عشر من شهر مسيدور(٢٢) سنة ستّ من اقامة الجمهور الفرنساوى اعنى اواخر شهر محرّم سنة ١٢١٣ هجرية.

ثم انه توجهت تلك الفرمانات الى الديار المصرية. وفى ثانى الايّام ارسل امير الجيوش بونابارته العساكر من الاسكندرية الى دمنهور وبندر رشيد. وعندما بلغ اهالى رشيد قدوم الفرنساوية خرج الى لقاهم علماء واعيان البلد. فسلموهم البندر خوفاً من الضرر، وتسلّم بندر رشيد الجنرال منو حاكماً به وهذا الجنرال كان بطلاً من الابطال الكبار.

## ذكر الحرب بين بونابرت والمصريين واحتلال بونابرت لمصر

وكنّا ذكرنا ان السيّد محمد كريم قد اخبر مراد بيك بذلك البلاء العظيم والخطاب الجسيم. ولمّا وصلت النجابة الى مصر واخبروا مراد بيك بقدوم الفرنساوية الى مدينة الاسكندرية ، طرح الكتاب من يده وصاح على عساكره وجنده ، واحمرت عيناه واضطرمت النار فى احشائه، وامر باحضار الخيل للركوب، وسار الى منزل ابراهيم بيك على ذلك الاسلوب. وشاع الخبر واضطربت البشر، وهاجت تلك الأمم على ساق وقدم، وحلّ فى القوم الاسف والندم، واجتمعت الكشاف والامرا والاشراف لقصر ابراهيم بيك بلا خلاف، وحضر باكير باشا من القلعة السلطانية المعنية، وحضروا جميع السناجق والاعيان مثل: ابراهيم بيك الكبير ومراد بيك الكبير ومصطفى بيك الكبير وايوب بيك الكبير وابراهيم بيك الكبير ومراد بيك الصغير وسليمان ابو دياب وعثمان بيك الشرقاوى ومحمد بيك الالفى ومحمد بيك المنوفى وعثمان بيك البرديسى وعثمان بيك الطبجى وقاسم بيك المسكوبى وقاسم بيك ابو سيف وقاسم بيك امين البحر والامير مرزوق ابن ابراهيم بيك الكبير وعثمان بيك الطويل وشروان بيك. وحضر من العلماء : الشيخ محمد السادة [السادات] والشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ سليمان الفيومى والشيخ مصطفى الصاوى والشيخ محمد المهدى والشيخ خليل محمد الجوهرى وامّا العلماء الصغار فلا نقدر نعدهم لكثرتهم فهؤلاء السناجق المذكورين مع العلماء المشهورين، والوزير السلطانى باكير باشا العثمانى، عقدوا الديوان وحضرت السبع اوجاقات وعدّة من الاغوات وجملة من العوام ارباب الصوت والكلام.

وبدوا يتداولون بامر الفرنساوية ودخولهم الى الاسكندرية، ويستغربون من هذا الخطب المهول والامر المجهول. فامير اللواء مراد بيك بما انه عارف ان خاطر الدولة العلية متغيّر عليه، فالتفت الى الوزير وقال له: ان هؤلاء الفرنساوية ما دخلوا على هذه الديار الاّ باذن الدولة العثمانية، ولا بدّ الوزير عنده علم بتلك النيّة، لكن القدرة تساعدنا عليكم وعليهم. فاجابه الوزير : لا يجب عليك أيّها الامير

أن تتكلم بهذا الكلام العظيم ، ولا يمكن ان دولة بنى عثمان تسمح بدخول الفرنساوية على بلاد الاسلامية، فدعوا عنكم ذلك المقال وانهضوا نهوض الابطال واستعدّوا للحرب والقتال. ثم اتفق رأيهم أن يسجنوا القناصل والتجّار الموجودين من الفرنساوية فى مصر القاهرة، خوفا من الخون والمخامرة ، وسجنوهم جميعاً فى قلعة الجبل. وبعد ذلك اتفق الجميع، الكبير منهم والوضيع، على القتال والصدام. وان مراد بيك يسير فى العساكر المصرية لملاقاة الفرنساوية عند دمنهور، وابراهيم بيك الكبير وباكير باشا الوزير مع بقية العساكر والقواد والدساكر يقيمون فى المدينة.

وكان قد هاج اكثر العلماء والاعيان وقالوا: لا بد نقتل بالسيف جميع النصارى قبل ان نخرج [الى] حرب الكفّار. وقال الوزير وشيخ البلد ابراهيم بيك: غير ممكن اننا نُسلم الى هذا الغرم والرأى، لان هولاء رعيّة مولانا السلطان صاحب النصر والشان. وامّا النصارى فوقع عليهم وهم عظيم وخوف جسيم، وبدوا الاسلام يتهدّدوهم بالقتل والسلب ويقولوا لهم اليوم يومكم، قد حلّ قتلكم ونهبكم وسلبكم. وكانت مدّة مهولة مرعبه، ونار ثايرة ملهبة. ولكن بالمراحم المولى عزّ شانه. اذ انه قد عطف وحنّن عليهم قلب الوزير وشيخ البلد، وكانوا فى كّل يوم يرسلوا اليهم سليم اغا، اغة الانشكارية، حالاً يطمّنوهم على ارواحهم واموالهم، ويطلق المناداة فى كل البلد على حفظ الرعايا وعدم المعارضة لهم.

فلنرجع الى ما كنّا فى صدده، وهو ان مراد بيك جمع الفرسان والغزّ والعربان واهل تلك الاطراف، ما ينوف عن عشرين الف مقاتل من كل فارس وراجل، وسار فى العساكر كالبحور الزواخر، نهار الجمعة، الى ارض الرحمانية، وهى بلاد بالقرب من رشيد. وكان قد ارسل الجبخانات والذخاير مع عسكر كريد [كريت] فى بحر النيل، وكان صحبتهم علىّ باشا الجزام الذى كان مطروداً من جزاير الغرب(٢٣) ومقيمًا فى مدينة مصر، وناصيف باشا ابن سعد الدين باشا العظم مطروداً من الدولة. فهولاء كانوا ملتجيين الى مراد بيك فى ذلك الوقت، فارسلهم مع الذخاير والجبخانات، وسار مراد بيك مع العساكر على شاطى النيل امامهم. وعندما وصلوا الى اراضى الرحمانية، فقابلوا الجيوش الفرنساوية قادمين كالسيل القاطر، وكانت غلايطهم(٢٤) سايرة تجاههم بحراً. وعندما نظروا الغلايط الى تلك المراكب التى بها الذخيرة فتجاروا اليهم، ووقع الكون [القتال] بينهم، وارموا بعضهم بالمدافع والقنابر، فسقطت احدى القنابر على المركب الذى كانت به الجبخانة، فطار البارود واحترق المركب والذى بقربه من المراكب، وكانت الناس تتطاير بالجوّ كالطيور، ووصلت الى الجبخانة التى على البرّ فشعلت فيها، وانوعرت [ذعرت] العساكر لما شاهدت تلك النار، واستفولوا [تشاءموا] من الانكسار، وايقنوا بالعدم والدمار. وفى ذلك الوقت دهمتهم العساكر الفرنساوية وانزلت بهم البلية، فولّت العساكر المصرية مُدْبرين، والى النجاة طالبين، ولا زالوا راجعين وفى مسيرهم مُجدّين، الى ان وصلوا الى محلّ يقال له الجسر الاسود [بالجيزة]، واقاموا هناك فى غاية الذلّ والنكد. فهذا ما كان من مراد بيك. وذلك التدبير وما اصابه عسكره من النزلّ [الذل] والتدمير.

وامّا ما كان من باكير باشا وابراهيم بيك الكبير فانهم، بعد مسير مراد بيك، نزلوا الى بولاق ونصبوا الخيام والوطاق، وابتدوا يبنوا المتاريس على شاطى النيل. وعندما اتتهم الاخبار بما قد حصل بعساكر مراد بيك من الدمار والانكسار من الاعداء الكفّار الفرنساوية الاشرار، فتقطعت ظهورهم وحاروا فى امورهم. ووصلت الاخبار الى مصر فكان يوماً مهولاً، وقامت اهالى البلد بالسلاح والعدد، وتهدّدوا النصارى وصاحوا: اليوم قد حلّ قتلكم يا ملاعين، وصرتم غنيمةً للمسلمين. ثم ارسل ابراهيم بيك الى مراد بيك ان يحضر الى إمبابة تجاه بولاق، ويبنوا المتاريس على شاطى البحر [النيل] ويضعوا المدافع، ويبقى ابراهيم بيك وعسكره فى بولاق ومراد بيك وعسكره فى إمبابة تجاه بعضهما، والبحر بين الجهتين، احتساباً بان الفرنساوية اذا اتوا بحراً يتلقّاهم ابراهيم بيك: واذا اتوا براً يتلقّاهم مراد بيك. وفى نهار الجمعة سادس عشر يوم من شهر صفر [٣٠ يوليو ١٧٩٨]، صعدت علماء مصر وعامة الناس الى القلعة السلطانية، واحضروا البيرق[٢٥] النبوى بضجيج عظيم واحتفال جسيم، واتوا به الى مدينة بولاق وهم يموجون كالبحر الدفاق، وجميع تلك الاقاليم فى الوجل العظيم، ويضجون بالدعا المستديم الى الربّ الكريم، وقد صعدوا الى المنابر وفتحوا المصاحف وهم فى غاية المخاوف. ونهار السبت سابع عشر صفر [٣١ يوليو ١٧٩٨]، اقبلت الجيوش الفرنساوية برّاً وبحراً، وتقدّمت العساكر المصرية، واستعدّوا لحرب الفرنساوية، وقرعوا طبول الحرب، ووطدوا نفوسهم على الطعن والضرب. وتقدّم الى المحاربة الجبّار العنيد والمُعدّ فى الحرب بالف صنديد، الجنرال دُبوى[٢٦]، فتلاطما العسكران وتصادما الجيشان وتهاجمت الشجعان، وفرّ الجبان وبان القوى من الجبان وجاءت العربان، وتقدّموا الى الضرب والطعان، وتجارت الفرسان الى حومة الميدان، وعجّت بالمناداة: اليوم يوم المغازاة. ثم انقضّت السناجق كانقضاض البواشق، بالسيوق البوارق والرماح الخوارق والخيول السوابق، واطلقوا المدافع كصواعق. وثار العجاج وزاد الهياج. وقد هجم فى ذلك الوقت البطل المغوار والاسد الهدّار ايوب بيك الدفتردار، وقحم بحصانه وسط الغبار، وصاح فى الاعداء: ويلكم يا لئام، ساقكم الغرور لفتح هذه الثغور. اليوم نملى منكم القبور، ونجعله عليكم يوماً مشهور. وفى مثل هذا الاوان، تبان الشجعان، وتبلغ المنازل العالية الفرسان، وتكسب الحمد والثناء فمن مات منّا احتوى بالجنان، ومن عاش ربح من دون خسران، وكان بدنياه سعيد ومن مات راح بالله شهيد

ولما طال الحرب واشتد البلا والكرب، ودام الطعن والضرب، فعند ذلك الوقت قرعت الفرنساوية الطبول النحاسية، وهجم ذلك البطل الذى ذكره تقدّم، الجنرال دبوى المعظّم، ولا زالوا يلتقون الكلل فى صدورهم، ويدوسون مجروحهم ومقتولوهم، حتّى ملكوا المتاريس وكان ذلك على الغزّ انكيس. وبدوا يطلقون المدافع على الاسلام ويُورثوهم مواريث الاعدام. وجادت الافرنج فى القتال لما ملك دبوى المتاريس. وكانت الافرنج ثلاثين الف مقاتل ما بين فارس وراجل، وكان كلّ من هولاء الصلدات فى كلّ دقيقة يطلق الرصاص سبع دفعات. فعند ذلك صاحت الغز: الفرار الفرار من حرب هولاء الكفّار. وولّت العربان وانهزمت

الشجعان. واذ ضاق عليهم ذلك السبيل القوا ارواحهم فى بحر النيل، فما سلم منهم الاّ القليل. وكان قد سقط قتيل وداسته الخيل ذلك الجبّار والاسد المغوار ايوب بيك الدفتردار، ولم يبان له علائم ولا اثار، بعد ان قتل جمعاً غفير وثبت قدّام تلك الجماهير.

وامّا مراد بيك [فقد] فرّ فى رجاله وابطاله [و] طالب النجاة لنفسه العزيزة ودخل الى الجيزة. وقد احرق مركبه الكبير الذى كان انشاه، خوفاً ليلاً تكسبه اعدائه، ثم سار نحو الصعيد.

وكان باكير باشا وابراهيم بيك، [قد] انهزموا من بولاق وقلوبهم بنار الاحتراق، ودمعهم ينحدر من الاماق، وقلوبهم مغترمات بالحسرات، وهم يتأسّفون على ما فات. ثم اخدوا عيالهم ورجالهم، وخرجوا من المدينة من باب النصر قاصدين البرّية والديار الشامية. وبقيت بقية اهل القاهرة تلك الليلة بمخاوف وافرة.

وعند الصباح اجتمع القاضى والاعيان وقالوا: ان الحكام ولّت واحوالهم إضمحلّت، فالتسليم لنا اصلح وحقن دماء الاسلام اوفق واربح. وقد كنّا ذكرنا ان القنصل والتجّار الفرنساوية تحت اليَسَق فى قلعة الجبل، فاحضروهم وطلبوا منهم ان يسيروا معهم الى بولاق وياخذوا لهم الامان. فاشار عليهم القنصل ان يتوجّه اثنان من التجّار ومحمد كتخدا ابراهيم بيك، وساروا إلى برامبابة وفى وصولهم تقدموا إلى مقابلة الجنرال دبوى وترحب بهم وسألهم عن احوال [الـ] مدينة وما هو مراد اهلها. فقالوا له: ان الحكّام ولّت والرعيّة ذلّت، وقد اتينا من قبل علماء البلد والاعيان نطلب لهم الامان. فاجابهم الجنرال دبوى: من القى سلاحه حُرِم قتاله، فلهم منى الامان ومن امير الجيوش ومن كلّ من فى هذا المكان. وانما يلزمكم فى هذه الليلة ترسلوا المعادى والقوارب لننقل بهم العساكر، لان مرادى فى هذه الليلة ادخل البلد. ثم رجعوا محمد كتخدا والتجّار واعلموا العلماء بتلك الاخبار، فامرت العلماء والحكّام البلد حالاً بمسير القوارب والمعادى الى بّر إمبابة، ونزل الجنرال دبوى بماية وخمسين صلدات الى بولاق حيث كانت العلماء بذلك الاتفاق وحين تقابلوا اعطاهم الامان، وساروا قدّامه بالمشاعيل الى ان دخلوا المدينة والمنادية تنادى امامه بالامان على الرعيّة والاعيان.

وجلس الجنرال دبوى فى منزل ابراهيم بيك الصغير، وارسل بعض الصلدات تسلّمت قلعة السلطان. واتقدت تلك الليلة النار بمنزل مراد بيك، وكان ذلك من الذين ينهبون وهم من اولاد البلد، فنهض الجنرال دبوى واطفا تلك النار. وعند الصباح، فى تاسع [٢٧] صفر نهار الاثنين، ابتدأت تنتقل العساكر من بَر الجيزة وامبابة الى مصر، فعندها قدم امير الجيوش بونابارته، فخرجت العلماء والاعيان والنصارى والاسلام لملتقاه، وكان يترحّب بهم ويلتقيهم بالبشاشة والاكرام، ويوعدهم بالخير والنظام. ثم امر ان يفرشوا له منزل بقرب النيل، ففرشوا له منزل محمد بيك الالفى الكاين على شاطى بركة اليزبكية، ونزل كبير الاقباط المتسلّمين الاقاليم المصرية، وهو جرجس الجوهرى، وباشر بفرش المنزل. وفى يوم الثلاثة دخل امير الجيوش ونزل بذلك المنزل، ودخلت جميع تلك العساكر التى ليس لها اوّل من آخر. وامر امير الجيوش ان جميع اهالى مصر يضعوا على رؤسهم او صدورهم

علامة المشيخة، وهذا النشان هو من الحرير الابيض والكحلي والاحمر قدر زهرة الورد. وقد وضعتها جميع الناس من الرجال والنساء، واطلق المنادة ان كلمن دخل من دون علامة يجب له القصاص. وحين دخلت العساكر الفرنساوية كانوا ينهبون من بيوت الغزّ والمماليك، فامر امير الجيوش برفع النهب. وكانت الغزّ قد دفنت اموالها تحت الارض ولم يبق سوا الفرش والامتعة، وقد نهبت اهالي المدينة منهم شيء كثير. وفي ١٢(٢٨) ارتفع النهب واطمأنت الناس في اماكنها فهذا ما كان من دخول الفرنساوية.

وامّا ابراهيم بيك وباكير باشا فانهم، بعد خروجهم من مصر، ساروا الى مدينة بلبيس وهم في الذل والتعكيس. وامّا مراد بيك فسار الى اراضي الصعيد. وفارقت الغزّ الكنانة وبليوا بالذل والاهانة. وقد وقعوا بالشتات والخبال. وانتهت اموالهم وسُبيت اعيالهم، وناحوا على فراق مصر وتفرقهم في كل قطر. وارموا من رؤوسهم القواوين(٢٩) الصفرآء، ولم يبق للقووق الاصفر في مملكة مصر اثار. وداقوا من الغربة امرّ كاس وبقوا كعامة الناس.

وكان امير الجيوش بونابارته، بعد دخوله الى ارض مصر، احضر تجّار ديوان البهار المعروف بديوان البنّ الوارد من الاقطار، وطلب منهم الف وستّماية كيس. وطلب من الاقباط المباشرين الدواوين الف وستّماية كيس. ومن تجّار النصارى ثمان ماية كيس. وتسلّم تلك الاربعة الاف كيس في ستة ايام، واوعدهم بوفائها عندما يروق الحال ويتسع المجال وبعد ذلك ابتدأ في النظامات في مدينة مصر كما ياتي ذكره، فاحضر اولاً خمسة انفار من العلماء الكبار وهم: الشيخ عبدالله الشرقاوى والشيخ خليل البكرى والشيخ مصطفى الصاوى والشيخ محمد المهدى والشيخ سليمان الفيومي، واحضر معهم اثنين من الاوجاقات وواحد من التجّار وهم: على كتخدا باشي ويوسف شاوش باشي والسيّد احمد المحروقى، وافرز إلى هولاء محلا معينا، وعين لهم علايف [رواتب] شهرية واقامهم رؤساء في ديوان خصوصى وكانوا فى كلّ يوم يجتمعون. واقام معهم رجلاً فرنساوياً مترجماً من اللغة الفرنساوية الى اللغة العربية. ثم ان امير الجيوش بونابارته رتّب ديواناً ثانياً سبعة انفار من التجّار، ومعهم رجلاً فرنساوياً مترجماً، وذلك ليكون ديوان البحر، وافرز لهم محلاّت معلومة لاستماع دعاوى التجّار والمتسبّبين.

واحضر امير الجيوش محمد كتخدا المسلمانى، فهذا كان اصله ارمنياً واسلم، وترقى فى زمان المماليك الى ان صار كتخدا ابراهيم بيك الصغير الذى غرق فى النيل يوم الحرب، فجعل هذا الرجل اغا وجعله واليًا على البلد.

ثم امر امير الجيوش بان تُفرز محلات معيّنة لاجل المطابع التى احضرها معه من رومية، وهى تطبع بجميع اللغات كما قدّمنا ذكره. وجعل لذلك محلاّت على شاطى اليزبكية [الازبكية].

ثم ان امير الجيوش قسم البلد خطوطاً وجعل لكل خطّ حاكماً فرنساوياً. وكانت الوُلاة من الفرنساوية واقفين على باب المدينة ليلاً ونهاراً وخارجاً الى حدود بولاق والى حدود الجيزة. وانقطعت جنس اللصوص والخطافين والعربان والسرّاقين. وكانت حكّام الخطوط فى كلّ سبة

[يوم سبت] يطلقون المنادات على الرعايا بكناسة الطرقات والشوارع ورش الماء لاجل النضافة ونظام الطرقات، ورسموا ان على كلّ باب بيت او باب وكالة يكون قنديلاً شاعلاً كلّ الليل. وكانت حكّام الخطوط تدور في الليل، فكلّ باب لم يجدوا عليه قنديلاً فكانوا يضربون عليه مسماراً، وفي الغد يقع على صاحبه القصاص، وكانت المدينة تضئ في الليل كالنهار.

ثم أن امير الجيوش احضر مصطفى اغا كتخدا باكير باشا وآمنه والبسه فرواً، وجعله امير الحاجّ. وامره ان يباشر لوازم الحاجّ وما يحتاج اليه. وقال: لماذا الوزير فرّ هارباً مع المماليك، ألم يعلم اننا متحّدين مع الدولة العثمانية، ونحن ما حضرنا الى هذه الامصار الا بالاذن من السلطان سليم والاختيار [أي موافقته]. ثم امر الى مصطفى اغا ان يحرّر الى باكير باشا ان يرجع الى القلعة كما كان وله الكرامة والامان. ورجع مصطفى اغا من امامه وهو منشرح الصدر مستغرباً هذا الامر.

ثم ان امير الجيوش شغل الضر بخانة في القلعة كما كانت، وامر ان يضع اسم السلطان سليم حسب العادة. وامر ايضاً امير الجيوش ان يفرزوا محلات للمرضى والمجروحين المعروف بالاسبستار وافرزوا لذلك قصر المعنى [العيني] الذى على شاطى النيل بين القاهرة ومصر القديمة. فجعلوا اماكن لاجل صنع الادوية. واقام هناك ريساً للاطبّاء وريساً للجرايحية.

وبعد ذلك امر امير الجيوش بونابارته بتفريق الجنراليات على الاقاليم المصرية. فاقام الجنرال ديزه(٣٠) على اقليم بلاد الصعيد، وكان هذا الجنرال برج مشيد وبطل عنيد. ثم اقام الجنرال مورا،(٣١) وكان من الابطال الشداد، وقلّده احكام اقليم القلوبية [القليوبيه]، وكان شابًا بالسن بديعاً بالحسن. ثم اقام الجنرال لانوس(٣٢)، الرجل الوديع المانوس، وكان خبيراً بالحروب ومقداما على الشدايد والخطوب وقلّده اقليم المنوفية من الجهة الغربية. ثم احضر الجنرال دُكا، الحسن السورة صاحب الوقايع المشهورة، وقلّده احكام المنصورة، وهى بلد مشهورة، واقليمها واسع وبرّها شاسع. ثم احضر الجنرال ويال(٣٣) وكان حميد الخصال وبطل من الابطال، وارسله الى مدينة دمياط وصحبته ثلثماية نفر صلدات، وسار بسرعة ونشاط الى ان دخل البلد، فالتقوه العلماء والاعيان واعطاهم الامان، ثم نظم اقليم دمياط أحسان ممّا كان. امّا ذاك البطل العنيد والليث الصنديد، صاحب العزّ والنصر المشيد، الذى كان بين تلك الجيوش فريد، الجنرال دبوى، فان امير الجيوش اقامه شيخ البلد مكاناً ابراهيم بيك، لان ذاك الانتصار وفتح تلك الامصار كان عن يد هذا الجبّار.

ثم ان امير الجيوش احضر احد الكوميسارية الكبار المسمّى بوسلنج [بوسليج]، وقلّده مُعاطاة الاقلام الميرية وضبط مداخل الاقاليم المصرية، واقامه في بيت الشيخ البكرى الكاين في بركة اليزبكية، وكان المصريون يدعونه الوزير اى وزير المشيخة الفرنساوية. وارتقى هذا الى رتبة عليه، وكان عالماً بعلم الحسابات كاملاً بجميع الصفات. ولفظة كوميسارية هم الذين لا يتعلّقون بامور الحرب بل في مُعاطاة الكتابة والحسابات والصنايع وما ماثل ذلك. ثم ان بونابارته اقام خزندار الى المشيخة احد الكوميسارية المدعو استيفو، وهو كان عالماً بعلم الحسابات وجميع الامور تصل اليه.

ثم امر امير الجيوش ان العلماء الفرنساويين والفلاسفة يسكنون فى البيوت التى الى قاسم بيك وحسن بيك وما حولهم من بيوت الكشّاف التى هى فى باب الناصرية النافذة الى مصر العتيقة. ثم ان امير الجيوش بونابارته امر ان يفرزوا محلاّت معيّنة خارجاً من المدينة بحفظ الكرنتينا، كذلك فى مدينة الاسكندرية، ثم فى مدينة رشيد، ثم لمدينة مصر تكون الكرنتينا فى بولاق، ثم لمدينة دمياط فتبنى الكرنتينا فى المدينة القريبة. وشرعوا فى بناية المحلاّت المعلومة وذلك لمنع ريحة الطعون المسمومة كما جرت العادة فى بلادهم.

ثم ان امير الجيوش، من بعد ما رتّب الترتيب المقدمّ ذكره، اخذ جانب من العساكر وسار بهم قاصد مدينة بلبيس لمحاربة الوزير باكير باشا وابراهيم بيك وخرج فى شهر سفر. وحين قارب مدينة بلبيس بلغه ان الباشا وابراهيم بيك هربوا الى الصالحية فتبع اثرهم، وهناك التقت بهم خيالة الافرنج وهجمت عليهم فى تلك المرج. وابتدأ الحرب واشتد البلاء والكرب. واذا كانت الفرنساوية على الخيل لايستطعيون مقاومة الغز المصريين، فرجعوا عنهم مكسورين، فمات منهم جملة مقتولين. ولما وصل الخبر الى امير الجيوش فسار فى الحال، وحين بلغ الغز قدومه فولوا منهزمين، ولم يزالوا سارين الى ان وصلوا لمدينة غزة، ورجعت العساكر الفرنساوية الى مصر وهم مأيدين بالسعد والنصر. وبعد ذلك ابتدأ ابراهيم بيك يحرّر الى الآقاليم المصرية ويحثّهم على القيام على الفرنساوية، ويستخرج لهم البيورلديات من الجزّار وباكير باشا.

وكان جميع الغزّ يهيجون العربان والفلاّحين على العصاوة والقيام ضدّ الفرنساوية، فاحضر امير الجيوش بونابارته امراء الديوان وهم المقدّم ذكرهم، وشرح لهم السبب الداعى الى حضورهم لتلك الديار – وان ذلك باتفاق مع الدولة العثمانية. وان الدولة الفرنساوية مساعدة الى الدولة العثمانية على قهر الدولة المسكوبية وصدّها عن مطلوبها المبين، واسترجاع ما تولوا عليه بالتغلب من بلاد المسلمين. وكتب لهم صورة كتابات ان يطبعوها بالعربية ويرسلوها الى الاقاليم المصرية. ففعلوا ما امرهم به من المأمورية. وهذه صورة كتابات من العلماء والاعيان الى الاقاليم والى البلدان:

نخبّركم يا اهل المداين والامصار، وسكّان الرياف والعربان، كباراً وصغاراً، ان ابراهيم بيك ومراد بيك وبقية دولة المماليك، ارسلوا عدّة مكاتبات ومخاطبات الى ساير الاقاليم المصرية، لاجل تحريك الفتن بين المخلوقات. ويدّعوا انها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه. وذلك كله كذب وبهتان. وسبب ذلك ان حصل لهم شدّة الغمّ والكرب والهم، واغتاظوا غيظاً شديداً من علماء مصر ورعاياهم، حيث ما وافقوهم على الخروج معهم وترك أعيالهم واواطانهم، وارادوا ان يُوقعوا الفتن والشر بين الرعية والفرنساوية لاجل خراب البلاد وهلاك كلّ الرعية والعباد، وذلك لشدّة ما حصل لهم من الكرب الزايد بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر المحمية. ولو كانوا فى هذه الاوراق صادقين، وانها من حضرة سلطان السلاطين، لكان ارسلها جهاراً مع اغاوات من طرفه معيّنين. ونخبّركم ان الطايفة الفرنساوية، بالخصوص عن بقية الطوايف الافرنجية، دايماً

يحبّون المسلمين وملّتهم، ويبغضون المشركين وطبيعتهم. وهم احباب لمولانا السلطان، قائمين بنصرته، واصدقاء له ملازمين لمودّته ومعونته، ويحبّون من ولاه ويبغضون من عاده. وكذلك بين الفرنساوية والمسكوب غاية العداوة الشديدة، لاجل عداوة المسكوب للاسلام واهل الموحّدين. واعلمهم ان المسكوب يتمنّى الاخذ لاسلامبول المحروسة، ويعمل انواع الحيل والدسايس المعكوسة فى اخذ ساير الممالك العثمانية الاسلامية، لكنّه لا يحصل على ذلك بسبب اتّحاد الفرنساوية وحبهم واعانتهم إلى الدولة العلية. ويريدون يستولون على اياصوفية وبقية المساجد الاسلامية، ويقلّبوها كنايس للعبادة الفاسدة والديانة القبيحة الردية. والطايفه الفرنساوية يُعينون حضرة مولانا السلطان على اخذ بلادهم ان شاء الله، ولا يبقون منهم بقية. وننصحكم يا ايّها سكّان الاقاليم المصرية انكم لاتحرّكوا الفتن ولا الشرّ بين البريّة. وايّاكم [أن] تعارضوا العساكر الفرنساوية بشىء من انواع الاذية، فيحصل لكم الضرر والبلية. فاذاً، لا تسمعوا كلام المفسدين، ولا تطيعوا كلام المصرفين [المسرفين] بالفساد فى الارض الغير مصلحين، فتصبحون على ما فعلتم نادمين. وانما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكلّ الملتزمين، لتكونوا فى اوطانكم سالمين وعلى اعيالكم واموالكم آمنين. لان حضرة السر عسكر الكبير امير الجيوش بونابارته اتفق معنا انه: لا ينزاع احداً على دين الاسلام، ولا يعارضنا فيما شرع من الاحكام، ويرفع عن ساير الرعية الظلم، ويقتصر عن اخذ الخراج، ويزيل ما ابدعته الظلمه من المغارم. ولا تعلقوا امالكم بابراهيم ومراد، وارجعوا الى مالك الممالك وخالق العباد، فقد قال نبيّه ورسوله الاكرم: الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها بين الأمم عليه افضل الصلوة والسلام.

الداعى لكم الفقير

**السيد خليل البكرى**

نقيب الاشراف عفى عنه

الداعى لكم الفقير

**مصطفى الصاوى**

عفى عنه

الداعى لكم الفقير

**محمد الامير مفتى المالكى**

عفى عنه

الداعى لكم الفقير

**سليمان الفيومى المالكى**

عفى عنه

الداعى لكم الفقير

**موسى السرسى الشافعى**

عفى عنه

الداعى لكم الفقير

**عبدالله الشرقاوى**

عفى عنه

الداعى لكم الفقير

**محمد المهدى الحفناوى**

الشافعى عفى عنه

الداعى لكم الفقير

**احمد العريشى**

عفى عنه

الداعى لكم الفقير

**محمد الدواخلى الشافعى**

عفى عنه

الداعي لكم السيد

**مصطفى الدمنهورى**

عفى الله عنه

ثم ان امير الجيوش، بعد طرد ابراهيم بيك وباكير باشا فى شهر سفر [١٢١٣]، ورجع الى مصر، احضر القنصل كارلو(٣٤) وامره ان يتوجه الى مراد بيك فى الصعيد، ويتكلم معه ان يُقدم الطاعة الى امير الجيوش، ويكون عضواً من اعضاء المشيخة، ويتقلد احكام مدينة جرجة واعمال الصعيد، ويكتسب راحته وراحة البلاد والعباد، ويكون له الامان. فسار القنصل الى مراد بيك بذلك الخطاب، وفى وصوله ترحّب به مراد بيك غاية الترحيب، وقابله مقابلة الحبيب، لان كان هذا القنصل له مدة مستطيلة فى مصر، وكان محبوباً من ساير السناجق، ولا سيما من مراد بيك، وكان له عنده مبلغ من المال. ثم ان مراد بيك سأله مستخبراً عن احوال مصر، فاخبره القنصل بكلما دبّره امير الجيوش، ثم قال له: ان بونابرته ارسلنى اليك لاجل الاعتماد على اجراء الحبّ والوداد، وان تحقن دماء العبادِ، وتكتسب راحة البلاد. فقال مراد بيك إلى القنصل: ارجع وقل له يجمع عساكره ويرجع الى الاسكندرية، ويأخذ منا مصروف عسكره عشرة آلاف كيس، ويكسب دما اجناده، ويُريحنا من كفاحه وجلاده. فرجع القنصل الى مصر، واخبر بونابرته بما سمعه من مراد بيك، فغضب امير الجيوش من ذلك، وفى الحال أمر الجنرال ديزه، المعّين على اقليم الصعيد، بان يسير بالعساكر الى حروب مراد بيك، فاخذ الجنرال اربعة الاف مقاتل وسار بها الى الصعيد.

فنرجع ان امير الجيوش بونابرته، فى ابتداء قدومه، اخرج العساكر من المراكب الى البريّة فى ثغر الاسكندرية، وامر الى سر عسكر البحر انه يبقى مقيماً فى البوغاظ لحماية الحصون، لانه قد احتسب ان لم يتوفق له فتوح مصر فيحتاجوا الى العمارة. واوصاه ان لايلقى مراسية فى المينا [ء]، بل دايماً يطوف امام اسكندرية وهو مُشرّع القلوع.

ثم، بعد ان امير الجيوش فتح مصر، ارسل الى السر عسكر نجاباً يامره بالقيام، وقيل ان ذلك النجاب مات فى الطريق. ثم ارسال له نجاباً ثانيا فلم يصله من العربان. وكان السر عسكر ارمى مراسيه فى مينة بوقير واطمأن، وكانت مراكبه الكبار الحربية ثلثة وعشرين مركباً، ومنهم مركب عظيم وهو المدعو بنصف الدنيا. وكان محموله ماية وثمانون مدفعاً وفيه الف من العساكر. وكان فيه اموال جزيلة وذخاير ثمينة أسلبوها من تلك الممالك التى تملكوها كما قدمنا ذكرها.

وعندما كانت تلك العمارة رابطة فى البوغاظ، وغافلة عن الايقاظ، فدهمتهم مراكب الانكليز على بغته، وبدوا يطلقون عليهم القنابر والمدافع، واشتدّ عليهم الحرب يوماً وليلةً فاحترق من تلك العمارة العظيمة اربع مراكب كبار، ومن هم تلك السفينة العظيمة والقلعة الجسيمة المسمّاة بنصف الدنيا. واستمرّت تتقد فى البحر اربعة ايام. ومات من فيها من العسكر وسر عسكرها الذى بسوء تدبيره قد هلك واهلك معه نفوساً كثيرة واحتوت الانكليز على اكثر تلك المراكب، واستأسرت من فيها العساكر، واكثرهم هلكوا من ضرب المدافع والقنابر. ولما وصل ذلك الخبر المريع والخطب الشنيع الى امير الجيوش، فصار كالمدهوش، وصفق بكفّه ودب برجليه واحمرّت مُقلتاه، وتسخط على ذلك الجنرال لعدم اطاعته والامتثال، وقال: جزاه ما حلّ به من الوبال. وصاحت الفرنساوية: يا لها من بلية، لقد خابت الامال وهلكت الرجال، وذهب الحال والمال. لقد امتنع عنّا الامداد، وحرمت علينا البلاد، وشمتت بنا الاعداء والحساد، وطمعت بنا الاسلام وزاد عليه الخصام، وكان ذلك بدو الانكيس واوّل التعكيس.

وقد ايقنت الفرنساوية بالتهلكة بعد كسب المملكة، لحجز الامداد عنهم ونفور الاسلام منهم. لان الفرنساوية قد استعملت احتيالات كثيرة، وسلكوا مسالك غزيرة لاجل الضرورة، كاشتهارهم بالاسلامية ونكرانهم النصرانية، واظهارهم للحرّية واقرارهم بالاتّحاد مع الدولة العثمانية. وانهم باذنهم دخلوا الديار المصرية، وانهم مع الاسلام على اخلص طويه واصلح نية، ويرغبون راحتهم ويحبّون ديانتهم.

وكان الفرنساوية مؤانستهم غريبة وطول اناتهم عجيبة. وكانوا احسن سلوكاً من ساير الجنوس. واشهروا بالامن وطولة البال وطيبة النفوس. ونشروا العدل وحسن الاحكام. وقد احتووا الشرايع الحقيقية على التمام. ومع كل ذلك قلوب الاسلام غير آمنة والاحقاد فى ضمايرهم كامنة. ويشتهون لهم المهالك والوقوع فى اضيق المسالك. فهذا ما الجاء امير الجيوش إلى المخافة، فبدأ الاحتيال بحسن الرقّة واللطافة، لجذب القلوب وتحصيل المطلوب. وكان هذا الامير المشتهر اسد من الاسود، ونادراً فى الوجود. رهط من الارهاط العظام، حكيماً عليماً بمكايد الايام.

## ذكر ما صنعه امير الجيوش فى جريان النيل

انه، من بعد دخول الفرنساوية الى القاهرة بمدة قليلة، جبر(٣٥) النيل السعيد، فاحضر امير الجيوش علماء الديوان، وسألهم عن العوايد فى جريان النيل والقوانين وحرّرها عنده. ثم امر باخراج العساكر من المدينة الى خارج البلد، وان يصطفّوا صفوفاً فى مراتبها. واحضر لديه اعيان المدينة وعلماءها والحكام والتجار من النصارى والاسلام. وركب من منزله الكاين على البركة اليزبكية، وركبوا جميعهم معه، وخرجت اهالى مدينة القاهرة من ساير المِلَل، وكان موكباً عظيماً ومحفلاً يُذكر جيلاً فجيلاً، وفرق مالاً غزيراً. وضُربت فى ذلك النهار مدافع كثيرة من ساير الاماكن ومن القلعة الكبيرة. وصنعت الفرنساوية فى تلك الليلة حراقات عظيمة لم تكن صارت فى المدن القديمة. وكان [الامان] شاملاً لكلّ النّاس.

وتخرج النساء والرجال من دون باس. وصنع امير الجيوش وليمةً عظيمةً لساير الاعيان والعلماء، واهل الديوان والجنرالية والفيسالية، وحكّام الخطوط المصرية. وقد اعجبت اهل القاهرة تلك الاحوال الباهرة والامور الصايرة.

## ذكر ما صنعه امير الجيوش فى مولد النبى الواقع فى ١٢ ربيع اول سنة ١٢١٣ [ ٢٤ اغسطس ١٧٩٨ ].

ان امير الجيوش، بعد تملكه القاهرة، فى اثنى عشر ربيع اوّل كان مولد النبى محمد. فصنع، فى ذلك الاوان، مولداً عظيماً على بركة اليزبكية كعادة اهل القاهرة. وكانت ليلة عظيمة، لانه صف جميع العساكر الموجودة داخل القاهرة صفوفاً، بطبولهم والآلات الموسيقية، وامر بحراقات عظيمة، وضرب المدافع كثيرة. وكان احتفالاً عظيماً ومولداً فخيماً وحضر فى الوليمة بمنزل الشيخ خليل البكرى، لان هذا المولد مختص بالسادات البكرية، وذلك مع كامل الجنرالات والفيسالية والعلماء والاعيان واصحاب الديوان. ثم اولى الشيخ خليل البكرى منصب النقابة عوضاً عن السيد عمر مكرّم نقيب الاشراف، لانه قد كان هرب مع الغز الى الشام. وقد كان الشيخ خليل البكرى محباً لجمهور الفرنساوية، فلاجل ذلك بغضته الاسلام المصرية.

## ذكر العيد الذى صنعه امير الجيوش للمشيخة فى ربيع ثانى سنة ١٢١٣ سبتمبر ١٧٩٨

انه، حين دخل شهر ربيع الثانى، صنعت الفرنساوية عيداً عظيماً للمشيخة فى البركة اليزبكية، وذلك انهم اصطنعوا عاموداً طويلاً مرصّعاً وغرسوه فى البركة اليزبكية، وصوّروا عليه صورة سلطانهم وصورة زوجته اللذين قتلوهما فى مدينة باريز. ثم جعلوا من العامود الى البر اخشاب مثلثة الالوان، وصوروا عليهم صورة الموقعات التى حدثت في بر امبابة وفتوح القاهرة، وصورة الاشخاص المحاربين من الفريقين، وصورة ايوب بيك المقتول فى هذه المعركة، ومن مات من الغز وانهزامهم، وكلما تمّ فى هذه المعركة. وكانوا يقولون ان هذه شجرة الحرية. واما اهالى مصر كانوا يقولون ان هذه اشارة الخازق الذى ادخلوه فينا واستيلاهم على مملكتنا. واستمرّ هذا العامود نحو عشرة اشهر. وحينما رفعوه استبشرت اهل مصر وابتهجت بالفرح. وكانت الفرنساوية تصنع هذا العيد اينما وجدوا بفرح عظيم فى كل سنة.

## ذكر امير الحج لما خرج قبل دخول الفرنساوية

انه فى سنة ١٢١٢ خرج الحجّ الشريف من مدينة مصر. وكان صالح بيك امير الحجّ. وبعد رجوعه من الزيارة الشريفة فى الطريق، وصلت له الاخبار عن دخول الفرنساوية الى الديار المصرية وخروج الغزّ. فبكا صالح بيك على خراب اوطانه وتفرق خلانه، وذهاب ماله وسبى اعياله. وغاص فى بحر الافكار وخاف من رجوعه الى تلك الديار. وصار حايراً من تلك المصايب وفرقة الحبايب. وقطع رجاه والامل ولم يعرف كيف العمل. واخذ بالمشورة مع اصحابه وخلانه. فثبت رأيه ان يتوجّه الى القدس الشريف صحبته المحمل المنيف. ولم يزل سايراً بعزم ضعيف الى ان وصل الى القدس الشريف. فحينما شاهدوه اهالى المدينة بدوا

يشتمون ويقولون: لعنكم الله يا ملاعين، ويا اظلم الظالمين، سلمتم مدينة الاسلام الى الفرنساوية اللئام، وهربتم من وجه الكفّار، وابتديتم تخربوا هذه الديار. فلما سمع صالح بك تلك الشتايم المغمة والالفاظ المسمة، فاتقدت بقلبه النيران وغاص في البحران. ونزل في منزله وهو مثل النشوان، ومرض جملة ايام من قهره ثم توارى في قبره. وهكذا جرا الى ابراهيم بيك ولمن معه لما حضروا الى اراضى الشام، فكانوا يسمعون من الناس غليظ الكلام. وقد ذاقوا المشقة والاتعاب وقضوا الاهانة والعذاب، في البراري والقفار من الذل والاضرار. وكانوا اهالي الشام يعيرونهم في الكلام، ويلومونهم وهم لايستحقون الملام. وما كانوا يدرون ما قاست الغز في الحرب والصدام من الكفر الليئام. وكانوا يظنون ان الغز هربت من تلك البلدان من دون حرب ولا طعان، ولم يدروا ما جرى عليهم من اوليك الشجعان. فهذا ما كان من الغز بارض الشام.

واما ما كان من امير الجيوش فان، بعد قيام الفرنساوية بمدة طويلة في مصر، علموا ان عدواتهم في سراير الاسلام مستكنة. فلذلك لم تكن قلوبهم مطمأنة. وكانوا يخشون تسليم كتاباتهم للسعاة من اهل تلك البلاد. فامر امير الجيوش بابطال السعاة من مصر الى البنادر، وكانوا يرسلون المكاتيب في المراكب. وكانوا يضعون فيها عدة من الصلدات، لان المراكب كانت لاهل تلك البلاد، والنوتية منهم. ومن كون ان اهل تلك البلاد عازمين على ضرر الفرنساوية، ومهمين على تلك النية، فكانوا يضعون كثيراً من الصلدات مع الذين يسافرون الى البنادر. فالتزم امير الجيوش ان يبطل ذلك، ورجع السعاة من اهل البلاد كالمعتاد.

وقد كنا ذكرنا ان امير الجيوش، حينما تسلّم مدينة الاسكندرية، قلد السيد محمد كريم لتدبير امور البلد كعادته في ايام مراد بيك. ففي ذلك الزمان وقع منه مكاتبة الى مراد بيك [في يد الفرنساوية] يحثه على الحضور الى الاسكندرية لكي يسلمه البلد. فلما وصلت تلك المكاتب الى امير الجيوش وفهم ما فيهم. وفي الحال ارسل الى الجنرال الحاكم في الاسكندرية بان يقبض على السيد محمد كريم ويرسله له. وحين حضر السيد محمد كريم قدام امير الجيوش سأله عن تلك الكتابات فانكر ذلك، فاخرج له اياهم وحين نظر كتاباته صار مذهولاً ولم يعلم ماذا يقول. فامر امير الجيوش بارسله الى شيخ البلد. وقد اتت العلماء والاعيان يترجّونه باطلاقه، فاجابهم ان قد عرض امره على الشريعة وحكمت عليه بالموت. ودفعوا عنه خمسين كيس فلم يقبل ذلك، وقال لهم: «ان شريعتنا لاتقبل الرشوة، ولا يقدر احد ان ينقذه من الموت، حتى ولا امير الجيوش. لان الشريعة اذا حكمت على احَد بالموت فلاً بّد له من ذلك». ثم اعرض عليهم تلك الكتابات، واحضر السيد محمد كريم وقال له: هذا خطك [؟] قال: نعم. ثم رجّعه الى السجن الى ان انصرفت العلماء، وامر بان يمضوا بالسيد محمد كريم الى ساحة الرملة [ميدان الرميله] ويطلقوا عليه الرصاصة. وكان [أى محمد كريم] وهو ساير ينادى: يا امة محمد اليوم بى وغدا بكم. وحين قتل كان حزن عظيم عند المصريين، ومن ذلك الوقت تنافرت قلوبهم بالزيادة.

وقد كانت الانكليز، بعد تملكهم عمارة الفرنساوية، قد ربطت عليهم البواغيظ وحاصرتهم في الديار المصرية. فارسل سر عسكرهم واعلم ملكهم بذلك الاقتدار، فهاجت المملكة واستبشرت بالانتصار، وهيجوا معهم الدوَل الافرنجية، واستنهضوا لمحاربة الفرنساوية. ومن حيث ان الجمهور الفرنساوى قد قهر ساير الممالك الافرنجية، وظفر بهم وسلب اموالهم، وتملك منهم مُدُناً وقِلاعاً حصينةً، وذلك ببطش مقدّمهم وناشر اعلامهم، الفرد الظاهر والليث الظافر، امير جيوشهم بونابرته. وقد ترك في ساير الاقاليم الافرنجية مخافة قلبية، سيما بعد اطلاعهم على التملك في الديار المصرية. ولكن حين بلغهم ما فعلت بهم الانكليز، وان قدّ ربطت عليهم البواغيظ، فقويت قلوبهم واملوا بنيل مطلوبهم. فصمموا النية على طرد العساكر الفرنساوية التى قد كان تركها في الاقاليم الافرنجية. واشهر الحرب ملك النمسا، واستنهض معه ملك بروسا، ونهضت ممالك ايطاليا مع رومية الكبرى.

هذا ما كان وسياتى الكلام عنه في غير مكان. وقد ذكرنا ان الفرنساوية، حين تملكوا مالطة، ابقوا بها سنة الاف من العسكر واصحبوا عوضها. وفي هذا الايّام توجّهت الانكليز الى تلك البواغيظ، وحاصرت مدينة مالطه اشد حصار، الى ان اضرّ بهم الجوع وايقنوا بالفجوع فتسلموا الانكليز المدينة بالامان، وقويت شوكة الانكليز، فاشتد باسهم في تملك مالطه، لانها بالقرب من الاسكندرية.

## ذكر ما تم في ممالك الدولة العثمانية

انه عندما شاعت الاخبار بان الفرنساوية تملك الديار المصرية، هاجت جميع ممالك الاسلام لمحاربة الفرنساوية الليئام، وصاحوا يا غيرة الدين وحماية المؤمنين. واستنهضت الدولة العلية والسدة الملوكية لاستخلاص الديار المصرية. وابرزت الاوامر والاحكام وساير الباشاوات والحكام تستنهضهم للمغازاة عن دين الاسلام. وقد حضرت الاوامر الشريفة الى احمد باشا الجزار بالمغازاة على هولاء الكفار ويكون سردار العسكر.

وكان امير الجيوش بونابرته، حين بلغه استنهاض الاسلام الى تلك الديار، فاستدرك الامر بكتابات الى الجزار، واستدعا باحد الكوميسارية وارسله الى دمياط لكى يسير في مركب الى عكا، وكتب كتاباً الى الجزار على هذه الصورة بعد الترجمة:

انه من المعلوم عندكم اتحاد الدولة الفرنساوية مع الدولة العثمانية بالحب والصدوقية مُنْذ اعوام عديدة. ثم لاخفاكم عداوتنا مع دولة الانكليز، وسطاها على بلداننا التى في اراضى الهند. فاضطرنا إلى الحضور الى هذه الاقطار المصرية، وذلك باذن الدولة العثمانية وبارادتها الكلية، أولاً: لقطع شجرة المماليك العُصاة على الدولة العلية. ثانياً: لكى، بعد قطع هولاء الظالمين وتمهيد المملكة وخلاصها من يد القوم الفاجرين، فنسير الى الاقطار الهندية لتخليص بلادنا وارضنا من الدولة الانكليزية. وها نحن مباشرين في قرض المماليك العصاة على السلطان. وما اتينا الا اننا

نحامي عن المسلمين ونرفع شرايع الدين، ونسير محمل الحج الشريف الى المقام المنيف، ونبقى السكة والخطبة باسم حضرة محبنا السلطان سليم دام بالعز والتنعيم. فبنا [ء] على ذلك اصدرنا لكم هذا الكتاب، لتعلموا منا حقيقة السبب الداعى لهذا الاياب، وتكونوا من قبلنا فى حيز الامان وغاية الاطماءن، وتفتحوا البنادر وتسيروا المتاجر لعمار البلاد وراحة العباد، والسلام.

ثم توجه ذلك الكوميسارية المدعو باظان (٣٦) من مصر الى دمياط، ومن هناك توجه في مركب احمد باشا الجزار الذى كان رابطاً في الميناء، واصحب معه ترجماناً واثنين من التجار. ولما وصل الى اسكلة عكا، فكتب الكوميسارية باظان الى الجزار يعلمه عن قدومه من طرف امير الجيوش بونابرته. ونزل القبطان الى عكا، وحينما دخل امام الجزار فسأله عن مصر وعن احوالها، وعن سبب خلاصه من مدينة دمياط، فاجابه القبطان: ان الفرنساوية اطلقوا سبيلى، وحضر معى كوميسارية من طرف سر عسكرهم بكتابة، وهو الان معى فى المركب، ثم اعطاه كتاب الكوميسارية باظان. فلما فهم الجزار ذلك الخطاب اشتد به الغيظ والغضب، وقال للقبطان: وجّه هذا الكافر ودعه يسافر. وان لم يرجع فى الحال من هذه الديار احرقته بالنار. ثم سأله من الذى اتى معه، فقال له القبطان: ليس معه سوى ترجمانه واثنين من التجّار، وهم نصارى من ابناء العرب. فقال الجزار: اخرج التجّار بارزاقهم الى البلد، ودع الكافر حالاً يسافر. ورجع القبطان الى المركب واعلم الكوميسارية بما سمع من الجزّار. وفى الحال احضر له مركباً صغيراً ورجع الى دمياط من غير تأخير، وقبض الجزار على تلك التجّار.

وكان بين الجزار وبين الفرنساوية عداوة قديمة وبغضة جسيمة من طرد قناصلهم من بلاده، فلهذا السبب ما كان يود منهم اماناً. ثم ان الجزار ابتدا يحرر الى ساير الاقاليم المصرية، ويستنهضهم على القيام على الفرنساوية. وكانوا الغز الذين حضروا الى بر الشام تهيج الفلاحين والعربان لذلك المرام، ويكتبوا لهم على النهوض والقيام. وقد تظاهرت المصريون فى العصاوة والاسية على الطايفة الفرنساوية. وقامت الاربع اقاليم المصرية القبلية والبحرية والغربية والشرقية. وكان فى كل وقت يقع الخصام بينهم وبين الجنرالية من الاربع الجهات المصرية، وتُحرق البلاد وتهلك العباد، الى ان هلك عربان كثيرة العدد ومن فلاحين البلد. واما ذلك الكوميسارية الذى رجع من عند الجزار، فانه وصل الى دمياط، وفى الغد سار الى مصر واخبر امير الجيوش بما تم له من الجزار، فاشتد بالغضب من ذلك السبب، وبدأ من ذلك الحين يباشر بتجهيز السفر وما يحتاج اليه من الاستحضار.

وقد كنا ذكرنا ان فى المنصورة اقام من الفرنساوية ما ينيف عن ماية وثلاثين صلدات، وفى ذلك الوقت بدت اهالى البلد يتشاورون على قتلهم، واذ كانت هذه البلدة بعيدة عن مدينة مصر، وبرها مُتّسع وعربانها كثيرة. وقد كان فى كل جمعة، نهار الخميس، يصير السوق، ويجتمع فيه كثير من الناس لاجل البيع والشرا احد الايام قامت اهالى المدينة وكبسوا اوليك الصلدات الفرنساوية وانتشب الحرب بينهم. واذ تضايقت الفرنساوية وكاد يخلص ما عندهم من البارود،

فخرجوا الى البر ونزلوا فى احدى المراكب، فتكاثرت عليهم اوليك العوالم المجتمعة فى يوم الخمس، وقد كان ذلك الوقت ايّام جبر النيل فلم تسير معهم المراكب، والتزموا بالرجوع الى البر وقصدوا يسيروا برّاً الي مصر فلم تمكنهم اوليك الامم، واورثوهم مواريث العدم. ولم يزالو يكافحون وعن ارواحهم يدافعون الى ان قُتلوا عن اخرهم، ولم يبق بقية من اوليك الصلدات الفرنساوية. وحين وصلت الاخبار فاشتد باميرالجيوش الغيظ والغضب وامر الجنرال دوكا بان يتوجه الى المنصورة ويحرقها ويقتل كل من بها. فسار الجنرال بثلثة الاف صلدات، وحينما بلغ اهالى المنصورة قدومه فهربوا منه ولم يبق الا القليل. وحين وصوله رأى البلد خرباً، وتقدّم اليه اوليك الباقون وابتدوا يعتذرون له بقوله: ان اهالى المدينة ليس لهم ذنب بذلك الصنيع، وانما صدر ذلك من الفلاحين والعربان لكثرتهم فى ذلك الميعاد من كلّ البلاد. وان اهل المدينة، حيث تحققوا ان ليس لهم اقتدار عن منع اوليك الاقدار، فروّا هاربين خوفاً من الفرنساويين. فلمّا سمع الجنرال دوكا صنع ديواناً وقال لهم: اننى مامور من امير الجيوش بان أحرق هذه المدينة واقتل كل من وجد بها، ولكننى قد قبلت عذركم وصفحت عن ذنبكم. ولكن من حيث ان قبل ما تقع هذه الشرور ما اعرضتم عنما انتم مطّلعين عليه من حقائق الامور، مع انكم تعرفون رداوة اهل البلاد وما هي عليه من العناد، فيلزمكم ان تدفعوا جريمة قصاصكم اربعة الاف كيس فداً دماكم. فقبلت الرعية ذلك المقال، وفى مدّة قليلة اوردوه المال. وبعد ذلك ارسل الجنرال دوكا وعرض على امير الجيوش ما تدبّر، فرجع له الجواب بان يامر اهل تلك الاقاليم ان يرفعوا بيراق الفرنساوية على رؤس المؤاذن وكلّ بلد لاترفع ذاك السنجاق حالاً تُحرق.

وقد كنّا ذكرنا انه، حين دخل امير الجيوش الى القاهرة ورتّب امورها. وقلّد الجنرالية الاحكام فى الديار المصرية، وارسل الجنرال ويال الى مدينة دمياط. فهذا الجنرال كان ذا مكر واحتيال، وبطل من الابطال. فلّما استقرّ فى مدينة دمياط، احضر اليه سبعة انفار من التّجار الكبار، واقامهم لتدبير البلد وتلك الديار. ثم رتّب اغا انكشارية، واقام والياً للبلد ومحتسباً للديوان، ورتب الترتيب القديم. واحضر شيخ قرية الشعرا وهى بالقرب من مدينة دمياط، والبسه فروا وقلده سيفا، واحضر لديه شيخ اقليم المنزلة المعروف بالشيخ حسن طوبار، وقلّده سيفاً مذهباً. وهذا الشيخ المذكور كانت اهالى تلك الأقاليم تمتثل رأيه وتقتدى به. وبعد ما تقلّد ذلك الالتزام، اتت اليه الكتابات من احمد باشا الجزار ومن ابراهيم بيك، وبها يحثوه ان لا يقبل الفرنساويين فى ارضهم، وان يستنهض اهالى الاقاليم ضدّهم، ويكون مجاهداً فى حربهم. وكانوا فى كتاباتهم له يوعدوه بسرعة وصولهم اليه بالعساكر الوافرة. ومن ذلك السبب تشاهر هذا الشيخ المذكور فى خبث النية ضد الفرنساوية، وقد استنهض اهل تلك القرايا الذين حوله. وعمدوا رأيهم ان يجتمعوا فى قرية الشعرا، بالقرب من دمياط، يكبسوا الفرنساوية ليلاً. واوصلوا العلم مع اهالى دمياط، واتفقوا جميعاً على ذلك الرباط. وفى شهر ربيع الثانى [سبتمبر ١٧٩٨] كبست الرجال البلد ليلاً، وقد كان مسكن الفرنساوية فى الوكايل التى على البحر. وهجموا بضجيج عظيم

وعجيج جسيم، وهم ينادون: اليوم يوم المغازاة من هولاء الكفار ومن يتبعهم من النصارى اليوم ننصر الدين ونقتل هؤلاء الملاعين. فانتبهت الفرنساوية من المنام، واستعدّوا للحرب والصدام. والتقوا فى تلك الأمم، واورثوهم مورث العدم. واصطفوا صفوف وضربوهم بالرصاص والسيوف، ومنعوهم عن الدخول. وكانت ليلة مرعبة ونار ملهبة. فلله درّهم من الرجال، ما اشدّهم بالحرب والقتال. لان كانت تلك الامم قدرهم اضعاف، فكسروهم بلا خلاف واوردوهم موارد التلاف. وقبل ان يطلع النهار اخرجوهم من البلد قوّةً واقتدارا الى البرّ والقفار. ورجعوا الى قرية الشعرا خاسرين وفى امورهم حايرين.

وكان قد وصلت الاخبار عند طلوع الشمس الى اهالى العزبة وهى القرية صغيرة عند بوغاظ البحر المالح، ان المسلمين كبست دمياط وقتلوا اوليك الكفار، ولم يبقوا منهم اثار. وقتلوا جميع نصارى البلد ولم يبقوا منهم احد. وكان فى قرية [العزبة] خمسة انفار من الافرنج، فهجموا عليهم وقتلوهم وقدم مركب فيه ثلثة انفار فقتلوهم. ثم هجموا على قلعة [العزبة] وكان بها عشرين من الفرنساويين، فاغلقوا الابواب وارموهم بالرصاص فرجعوا عنهم خاسرين.

وعند نصف النهار، تحققت الاخبار بان الرجال المسلمين رجعوا منكسرين، والفرنساوية فى دمياط مقيمين. فندم اهل العزبة على تلك الفعال وخافوا على الحريم والعيال وفى ساعة الحال جمعوا اموالهم واخذوا عيالهم فى المراكب هاربين. والى نواحى عكا قاصدين. ووصل الخبر الى دمياط بما صار فى العزبة من الاختباط، فركب الجنرال ويال الى العزبة فلم يجد بها احداً، فنهبوا ما وجدوه واحرقوها بالنار، ورجع الى دمياط، وابتدات الافرنج تبنى فى العزبة حصوناً للعساكر.

ثم، بعد رجوع الجنرال ويال الى دمياط، بلغه ان لم تزل اهل تلك البلاد مجتمعين، وفى قرية الشعرا مقيمين. فعزم الجنرال ويال على المسير اليهم والقدوم عليهم، وامر بان المجاريح والمرضى من الافرنج ينزلوا الى المراكب خوفاً من مسلمين البلد ومما يتجدّد. وحين شاهدت النصارى ان الفرنساوية عازمين على تخليه البندر، فساروا الى ذلك السر عسكر وقالوا له: ما يحل لك ايّها الجنرال ان تذهب وتلقينا بايدى هؤلاء الاشرار، لاننا قد سمعنا منهم امراراً قايلين: اقتلوا النصارى قبل الفرنساوية لأنهم متّحدين معهم سوية.

فلمّا نظر الجنرال ويال ما حل بالنصارى من الخوف والوبال، انثنى عزمه عن القتال، وكتب الى الجنرال دوكا حاكم مدينة المنصورة يطلب منه الاسعاف، فوجّه له ماية وخمسين صلدات. وحين حضروا سار بهم الى قرية الشعرا بعد ما ترك اجناده فى دمياط. وحين وصل الى الشعرا انهزمت منه تلك الجموع، فاحرق البلد، وقتل من وجد بها ورجع الى دمياط بقوة ونشاط. وصنع شنلك عظيم، ونشر البيارق علامة الانتصار، ونكس البيراق العثمانى الذى كان ناشره سابقا، حيث كان قد امر امير الجيوش ان فى كلّ مكان توجد الفرنساوية فلينشروا سنجاق الدولة العثمانية.

وبعد ايّام يسيرة حضر الجنرال دوكا الى دمياط، وعقد المشورة مع الجنرال ويال على اخذ الجيزة وبلد المنزلة.

ثم رجع الجنرال دوكا الى المنصورة، ومن هناك سار بالعساكر الى البحر الصغير (٣٧) قاصداً اقليم المنزلة، فخرجت له عربان ذلك البّر فى محلّة يقال لها الجملة. وَالتقى فى جماعة وفيّة وفرسان قويّة. فصادمهم هذا الشجاع والقرم [الفحل] المنّاع، وشتّت عسكر هم وافنى اكثرهم، واحرق تلك البلدة، ثم سار الى المنزلة. فحين بلغ الشيخ حسن [طوبار] قدوم ذلك الاسد المغوار، فارتج رجةً عظيمة وطلب الهزيمة، وفرّ من ساعته الى الاقطار الشامية. وعندما وصل الجنرال دوكا الى بلدة المنزلة، التقته اهلها وقدّموا له الطاعة، واخبروه بانهزام الشيخ حسن طوبار، فاعطاهم الامان، واحضر اخا الشيخ حسن طوبار، واقامه شيخاً على تلك الديار، وضبط القوارب التى كانوا يسيرون بها من المنزلة الى دمياط فى البحيرة المالحة [المنزلة]، وارسل تلك القوارب الى دمياط، وكانت كثيرة فى العدد تنوف عن خمسة الاف.

وقد امنت الافرنج فى دمياط من نواحى اقليم المنزلة، لان قد كان حسن طوبار منتظراً قدوم عساكر الجزار ليركب بتلك القوارب وياتى بها الى مدينة دمياط.

وبعد ايّام يسيرة، رَجع الجنرال دوكا الى المنصورة، من بعد ما حارب فى طريقه عرباناً كثيرة، الذين كانوا يقصدون حربه ويقفون فى دربه، واستمر اقليم المنزلة وبرّ دمياط طايعاً للفرنساوية، والعداوة فى ضمايرهم مخفية.

وقدمنا الشرح فى تحكم الجنرالات الفرنساوية فى الاقاليم المصرية، فكان الجنرال ميراد [مورا] قد قلّده امير الجيوش احكام اقليم القليوبية، وكان هذا الجنرال ذا شجاعة فى القتال قوىّ البطش فى الحرب والجدال. وحين سار فى العساكر القوية الى اقليم القليوبية، وكان هذا اقليم اصعب الاقاليم، لكثرة عربانه العُتاة وقومه العُصاة، وبراريه الواسعة ووديانه الشاسعة. فهذا البطل الشجاع اطاعته آل تلك البقاع والاصقاع، من بعد ما اذاقهم حروب شديدة واحرق بلدان واهلك عربان. وبحروب كثيرة افني قبايل غزيرة. وكان شيخ هذا الاقليم يدعى الشيخ الشواربى، وكان يجمع خلقاً وافراً وبلده كان بعيد يوماً عن القاهرة. وكان من القوم الجبابرة وعربان اقليمه فاجرة فالتزم ان ينكس هاماً ويطيع قهراً وارغاماً.

ثم ان هذا الجنرال، من بعد ما تملّك هذا الاقليم، جمع الاموال الميرية والترتيبات السلطانية، ورجع الى مدينة مصر بكلّ عزّ ونصر.

واما الجنرال لانوس [لانس] حاكم الاقليم المنوفية والجهات الغربية، فهذا الجنرال سار الى مدينة منوف ومكث بها، وجمع الاموال منها ومن القُرى والجبال، وفرّق عساكره على بلدانها، واطاعته جميع سكّانها. وهذا الاقليم كان الين الاقاليم واهونها، واجملها واحسنها. ولم يحتاج هذا الجنرال النبيل الا لحرب قليل. لان كان اغلب اهالى الارض المصرية هابت شجاعة الفرنساوية، ورجفت قلوبهم من شدة حروبهم.

لان الفرنساوية، من بعد دخولهم الى الديار المصرية، وحريق عمارتهم على بوغاظ الاسكندرية، انقطع امالهم من الامداد، مع ما شاهدوه من الكره من اهالى البلاد، وما لهم من قلوبهم من البغض والاحقاد. فكانوا يتنفّسون الصُعداء من

صميم الفواد، ويهجمون ولا يهابون كثرة العدد، ويحاربون بامور حكمية وفنون علمية وقلوب صخرية، غير هايبين الموت ولا خاشيين الفوت [الخسارة].

ومكث هذا الجنرال في اقليم المنوفية مدة وفية، وجمع الاموال الميرية، ومهد البلاد وطمّن العباد، ورجع الى مدينة مصر بعز ونصر. وقد ترك في مدينة منوف وكيلاً عوضاً عنه.

وقد ذكرنا ايضاً ان الجنرال ديزه تقلد من امير الجيوش بونابرته اقليم الصعيد، وقد تعيّن بالعساكر لحرب مراد بيك. وبعد ما فر مراد بيك الى الصعيد، وقد ذكرنا عن توجه القنصل لعنده من امير الجيوش في الخطاب، وما كان من الجواب. فامر امير الجيوش الجنرال ديزه بالمسير بالعساكر اليه، وكانت اربعة الاف مقاتل. وكان مراد بيك قد تجمع عنده الجيوش من الهوارا والفلاحين والعربان الى المنية، وكانت مسافة ثلاثة ايام عن القاهرة. واجتمع اليه ما ينيف عن عشرين الفاً. وكان في بر الصعيد عدة من المماليك الهاربين، فحضروا لعنده. وحضر ايضاً: حسن بيك الجداوى وعثمان بيك مماليك على بيك الكبير، وهولا كانوا مطرودين من الغز. وعندما تقابلوا مع مراد بيك تصافحوا، واخلصوا الوداد وتركوا الاحقاط، وغفروا السيئات وصفحوا عنما فات، وقراوا الفواتح على المغازاة في سبيل الله، وصاحو: يا غيرة الدين ونصرة المسلمين الله اكبر على هولاء الكفارين. واستعدوا غاية الاستعداد لملاقاة الاعداء والاضداد. وكانت الغزا افرس الفرسان في ركوب الخيل والحرب والطعان. وكان الجنرال ديزه ساير اليهم في العساكر وهو غير فاكر، الى ان وصل اليهم وكشف عليهم، فوجدهم جيوش كثيرة وطموش غزيرة فصف عسكره صفوف بالترتيب الموصوف، وقرع الطبول النحاسية، وتقدم بالعساكر الفرنساوية، واطلق مدفعاً واحداً للتنبيه، ثم امر باطلاق ثانية، فنهضت الغز والعربان نهوض الاسود والشجعان، بالسيوف الهندية والرماح السمهرية، على ظهور الخيل العربية وانقضت انقضاض الغربان الى حومة الميدان، وصرخوا: اليوم يوم المغازاة وترك النفوس والمعادة. وحملت العربان والغز والفرسان، واندفقت على الفرنساوية اندفاق البحور العرمرمية، وتساقطت من الجبال سقوط الصواعق العلوية، حتى خيل للناظرين ان الجبال تزعزعت، والتلال تمزقت. انتشب الحرب والقتال، وابتداء ذلك الجنرال يروغ روغ المحتال، حتى تملك في المجال، ودهمهم بالقنابر والكلل والرصاص الغير المحتمل، وبدأ يريهم فنون الحرب وانواع الاهوال العجيبة، التى لم تدركها العربان، ولا تعرفها الغز والفرسان. وصاح بهم صيحة الاسد الغضبان في تلك الجبال والوديان، حتى لم يعدوا يقدروا على الثبوت تجاه ذلك البهموت [الشيطان]. وزحمتهم اوليك الاسود حتّي ملكوا متاريسهم، واشهروا تنكيسهم وشتاتهم في الجبال والتلال، بشدة الحرب والقتال، وملكوا مدافعهم واعلامهم ومضاربهم وخيامهم، وكسروا تلك الجماهير بقوة العزيز القدير.

وذهب مراد بيك مع عزوته الى اعلا الصعيد، وهو متحيّر من صلابة هولا الصناديد، وقوّة قلبهم الشديد، وفنونهم العجيبة وشجاعتهم الغريبة.

ودخل الجنرال ديزه الى مدينة المنية، واقام بها وحصن قلاعها وابراجها، وبدأ يسير ورا مراد بيك

مرحلة بعد مرحلة، الى محل يقال له اللاهون [بالفيوم]، وهناك حدثت بينهم وقعة عظيمة. وكان قد تجمع مع مراد بيك جموع كثيرة وطموش غزيرة، فشتتهم ذلك الجنرال فى البرارى والقفار. ولم يزل ذلك الجنرال يقاتل فى اقليم الصعيد، حتى اطاعه الشيخ والوليد، وهابته الاسياد والعبيد. وهرب منه مراد بيك الى مدينة اصوان، ثم الى بريم. ومن هناك رجع الجنرال ديزه الى الصعيد، ودبّر الاقليم المذكور برأيه السديد، وأمر فى بنيان الحصون الرفيعة فى جميع تلك المدن المنيعة. ثم انه جبى الاموال الميرية والمعاليم السلطانية. ورتّب الصعيد ومهّد ذلك الاقليم غاية التمهيد. وكل مراد بيك من حروب الفرنساويين، من بعد حروب عديدة واهوال شديدة.

## حركة الشيخ محمد الجيلانى

وكان حينما بلغ اهالى الحجاز دخول الفرنساوية الى الديار المصرية، فارتجت سكّان تلك الارض وماجت، واضطربت وهاجت، فتحرك من الاشراف السيد محمد الجيلانى، وقد جمع سبعة الاف اماجيد ، وحضر بهم الى الصعيد، واجتمع اليه العربان من اهل تلك البلدان، عشرة الاف من غير خلاف، وظهر امره واشتهر خبره. فبلغ الجنرال ديزه قدوم ذلك العسكر، فما هابه ولا تفكر، بل انه كبس عليهم بالليل بكل قوة وشدة وحيل، فما سلم منهم غير القليل، والذى سلم تشتت فى البرارى والقفار، وبليوا بالذل والدمار. ومات فى تلك الوقعة السيد محمد الجيلانى، اذ كان هو على نفسه جانى، لانه كان يزعم انه يحدف الرمال والغبار فى وجوه الكفّار، ويُعمى منهم الابصار، ويقبض عليهم باليد، فخاب منه الكد والجد.

ثم بعد مدّة تجمّع الذين سلموا ورجعوا يُفسدون فى البلاد ويستنهضون بالعباد، فارسل عليهم الجنرال ديزه شر ذمة من العسكر، فهزموهم فى البر الاقفر. وبعد ذلك راق الصعيد من محاربين الفرنساوية، واطمأن حال الرعية واحبّوا الجنرال ديزه محبة عظيمة، لاجل سلوكه واحكامه المستقيمة. وكان يحب العماير الملاح، كريم بالعطاء والسّماح. وكان رهطاً من الارهاط العظام، ونظم اقليم الصعيد احسن نظام.

وقد كان عنده من الاقباط المباشرين: يعقوب الصعيدى وهو رجل شديد البطش، مشهوراً بالفروسية والهمة القوية، وهو الذى عند سليمان بيك. وكان الذين خدموا من النصارى اوّلهم الرجل السافرلى المدعو باترو، وهذا الذى كان يدعونه اهل مصر فريد الزمان، لما عنده من العلوم والفصاحة والقوة والشجاعة. وكان يعرف فى جميع اللغات، وفاق بالحسن عن حد الصفات. وكان قد خدم عند الفرنساوية، وانقاد اليه جماعة من الغزّ المماليك واحتموا به. ثم الرجل الرومى المدعو نقولا قبودان، فهذا المذكور كان خادماً عند مراد بيك، ومتروّساً على عدّة عساكر ومراكب فى بلدة الجيزة، وكان شاباً موصوفاً بالشجاعة. وهذا المذكور كان متسلّم المتاريس فى عسكر الاروام حين دخلت الفرنساوية الى برّ امبابة وامتلكوا القاهرة. ولمّا امتلكت الافرنج المتاريس القى نفسه فى بحر النيل وطلع الى مصر، ثم خدم المشيخة واما الذين خدموا الفرنساوية من الاسلام فهم كثيرون فى العدد كالمقدّمين والقواصة والمترجّمين.

## ذكر ما حدث بمصر
## [ثورة القاهرة الاولى]

انه، من بعد ان مكث الفرنساوية فى المملكة المصرية مقدار ثلاثة اشهر، فكان المسلمون يظنّون ان تورد لهم الاوامر من الدولة العثمانية بتقريرهم على المملكة، حسبما كانوا يشيعون انهم حضروا الى مصر بارادة السلطان سليم، وكانوا يوعدونهم فى وزير الى القلعة السلطانية من طرف الدولة العثمانية. وقد كان يخبّر امير الجيوش بقدوم عبدالله باشا العظم من الشام الى مصر، واعد له منزلاً لينزل به، وامر بتدبيره وفرشه. واذ مضت المدة المعيّنة ولم يحضر احد، فتسبّب من قبل ذلك اسباب كثيرة للنفور وابداع الفتن والشرور، من قتل السيد محمد كريم لانه كان احد الاشراف، ومن ورود المكاتيب من الامرا المصريين بالاستنهاض الى اهل تلك الاقاليم، وكتابات احمد باشا الجزار الى البلدان المصرية. واستنهاضهم على الفرنساوية، وان قادم عليهم العساكر العثمانية. ثم قيام اهالى بّر دمياط والحوادث التى بدتها العرب والفلاحين، وعفو الفرنساوية عنهم وعدم القصاص لهم وقد كان الفرنساوية يُخرجون النساء والبنات المسلمات مكشوفات الوجوه فى الطرقات. ثم اشتهار شرب الخمر وبيعه الى العسكر. ثم هدم جوامع ومنارات فى بركة اليزبكية لاجل توسيع الطرقات لمشى العربات.

وكان المسلمون يتنفسون الصُعداء من صميم القلوب ويستعظمون هذه الخطوب، وصاحوا: لقد آن اوان القيام على هولا الليام، فهذا وقت الانتصار الى الاسلام. فشعر امير الجيوش بما فى ضمايرهم وما اكتموه فى سرايرهم، فابرز امراً لساير حكّام الخطوط بان كلاً منهم يامر بخلع الابواب المركّبة فى الشوارع. وفى يوم واحد خلُعت تلك الابواب العظام، وبعضها أحرقت بالنيران. فركب امير الجيوش واخذ معه المهندسين، ومنهم الجنرال كفرال [كفاريللى] الملقب ابو خشبة، لان كانت رجله الواحدة مقطوعة من ساقه ومصطنع له رجل من خشب، فهذا الجنرال كان اعظم المهندسين فى مملكة الفرنساوية. وبدأ امير الجيوش يجول بهذا الجنرال على ساير الاماكن التى حول دايرة مصر، وغرس على راس كل مكان بيرقاً اشارة لبناية القلع شاهدت الاسلام هذا الاهتمام تحركّت للقيام، وبدوا ينادون متبادرين إلى الجامع الاكبر المعروف بجامع الأزهر. وهناك عقدوا المشهورة [المشورة] وابرزوا ما بالضماير المضمرة، وارسلوا احد الفقهاء فى شوارع مصر ينبّه المسلمين بالمبادرة الى الجامع الازهر حيث اجتمع العسكر. وبدأ ذلك الشيخ المذكور يدور وينادى بالجمهور: كل من كان موحّداً ياتى لجامع الازهر، لان اليوم اليوم المغازاة بالكفار، ونزيل عنا هذا العار، وناخذ منهم الثار. فبادر المسلمون، واقفلت الحوانيت والوكايل لما سمعت صوت القايل.

ووصلت الاخبار الى دبوى الجنرال بان قامت اهالى البلد من الشيخ الى الولد. وكان ذلك فى عشرة جماد الأول نهار الاحد(٣٨). فنهض الجنرال المومى اليه والشرار تتطاير من عينيه، ظاناً ان هذا القيام عليه، وان هذا القتال لاجل ما طلب منهم من المال. وسار بثمانية انفار ليطمّن اهل تلك الديار. ويفرق تلك الجماهير، ويسكن روع الكبير والصغير. ولم يعرف ان ليس ذلك علة المال فقط،

بل هى علل كثيرة الشطط وغزيرة النمط، واحقاد كامنة فى جوارح القلوب، وعداوة لايدركها سوى ربّ الغيوب.

وفيما هو ساير فى سوق النحّاسينً فبرز اليه احد الاتراك وضربه بخشبة على خاصرته، فسقط عن ظهر جواده مغشياً، فحملوه اصحابه ورجعوا به الى جنينة الافرنج القديمة، وفى وصوله مات هناك، وشرب كاس الهلاك. وكانت العساكر الفرنساوية متفرقين فى المدينة، ولعدم معرفتهم باللغة العربية، ما يكونوا يدرون ما هى الحادثة فى المدينة. فهجمت عليهم تلك الجماهير من كل ناحية، وكانوا يقتلون كل من وجدوه فى طرقهم من الافرنج الفرنساوية والملة النصرانية، من المعلمين والرعية. وكان يوماً مهولاً عظيماً وخطباً جسيماً.

ثم هجمت جماهير الاسلام على طور سينا [دير الطين] فقتلوا البعض من الرجال، ونهبوا بيوت النصارى، واخذوا ما احبوا من الحاجات، وضعوا النساء والبنات، واحتموا بقوة الرجال داخل دير الطور. وكان يوماً مشهور [أ]، وكان اوليك الامم هايجين هيجات وحشية، فتهاربت الفرنساوية الى البركة اليزبكية.

وكان فى ذلك الوقت امير الجيوش فى مدينة الجيزة، فحضر لما بلغه تلك الهيجة. وفى دخوله التقى مع ذلك الجمهور فولوا من امامه، ووصل الى بركة اليزبكية وفرق العساكر حول البلد، وامر ان تضرب من القلعة المدافع والقنابر. وكانت جماهير الاسلام فى باب النصر والنحاسية وخان الخليل وخط الازهر والغورية والفحامين وخط المغاربة، وهذه المحلات داخل البلد. وكانت الاسلام قد بنت متاريس فى تلك الاماكن المذكورة، فسقط خوف عظيم على الفرنساوية وذعرهم هذا القيام، وداخلتهم الاوهام لمعرفتهم بكثرة الخلايق التى فى مصر لانها كانت تجمع مليوناً من الناس، ولا لكثرتهم قياس. وضربت الفرنساوية اوليك الجيوش الكثار بالقنابر والمدافع الكبار، فتضايقت الاسلام من كثرة الكلل والقنابر والرصاص المتكاثر. واستقام الحرب ثلاثة ايام، وفى اليوم الرابع كبست الفرنساوية على جامع الازهر، وسلبوا ما كان فيه من الودايع والذخاير. وابتدوا بعد ذلك يمتلكون مكاناً بعد مكان، الى ان تملكوا اكثر المدينة. واختفت الاسلام فى المنازل والجدران، والقوا سلاحهم وصاحوا الامان. وكانت الفرنساوية كل من يرونه بلا سلاح لا يعارضوه، والذى يكون متسلحاً يقتلوه.

وحينما نظرت علماء الاسلام ان جيوشهم انكسرت والفرنساوية انتصرت، فساروا الى امير الجيوش بعقل مدهوش وقلب مرعوش، واخذوا يترامو عليه بقيام العسكر من الجامع ورفع الحرب من كل مكان والمواضع. فبكتهم امير الجيوش بذلك الفعل الذميم والخطب العظيم، وكانوا يقسمون له بالله ان ليس عندهم من ذلك اثار، ولا علم ولا اخبار. بل علة الحال طلب المال، وما قام إلا اوباش الرجال. فابى امير الجيوش تصديقهم وانكرا تحقيقهم، ولم يسمح لهم بتخلية الجامع من العساكر، واحرف وجهه عنهم وهو متعكر الخاطر. فانصرفوا من امامه وهم باكين وعلى احوالهم نايحين، وتأسفوا على جامع الكنانة [الازهر] وخراب الديانة.

ثم في ذلك النهار ارسلوا له الشيخ محمد الجوهري، وكان في كل حياته ما كان يقابل احداً من الحكام، ولا يعترض الى امور العوام. وفي دخوله قال له: ما قابلت حاكماً عادلاً كان ام ظالماً، والان قد اتيت متوسلاً اليك ان تامر باخراج العسكر من الجامع الازهر، وتغفر ذنب هولا القوم الفجر، واتخذ في مدا العمر داعياً لك ناشراً فضلك. فانشرح امير الجيوش من ذلك الخطاب وانعطف، و[أ] جاب، قائلاً: إنني عفوت وصفحت عن احبابك لاجل خطابك. ثم امر امير الجيوش برفع العسكر من الجوامع، واطلق المناداة في المدينة بالامان. وعقد الفحص عن الذين كانوا مجتمعين في المشورة على قيام تلك الامور المفكرة، فقبض على شيخ العميان الشيخ سعيد(*)، والشيخ الذى نادى في المدينة بجميع ذلك الجيش العديد، وعدة فقهاء واناس فلتيه. واخذوهم الى القلعة واذا قوهم كأوس المنية.

وقد كان مات بهذه الوقعة الفين صلدات، ومن اهالي المدينة ما ينيف عن خمسة الاف.

وقد خسرت الاسلام ولم تربح، بهذا القيام، سوا الذل والاهانة وافتضاح جامع الديانة [الازهر].

وكان عندما استعدت اهالي مصر على القيام ضد الفرنساوية، كتبوا الى الشيخ الشواربي شيخ الصعيد يستنجدوه الى اعانتهم، وعينوا له زماناً ليحضر به بعشاير العربان. وقد اتى في الميعاد، اذ كانت الفرنساوية محيطة بالقاهرة. وحين نظروا العربان مقبلة ضربوهم بالمدافع والرصاص، فولّوا منهزمين، لان الفلاحين والعربان لم يكونوا يستطيعوا على مقابلة النيران وحرب اوليك الشجعان، ورجعوا بالذل والخسران. وحين سكنت تلك الفتن سار الجنرال ميراد الى بلدة قيلوب [قليوب] وقبض على ذلك الشيخ، وحرق البلد، ثم ارسله الى امير الجيوش فقتله وولى اخاه مكانه.

ثم اننا قد ذكرنا عن الجنرال المهندس [كفاريللي] لاجل بناية القلع، وبعد ما سكنت تلك المفاسد من اهل مصر، امر امير الجيوش في بناية اربع قلعات بالقاهرة على اربع جهات: فالواحدة في كوم العقارب فوق الناصرية، وواحدة في كوم الليمون فوق اليزبكية، وواحدة في كوم الغريب فوق خط الازهر، وواحدة فوق جامع ابي برص خارجاً من باب النصر. وفي ايام قليلة تمت الاربع قلع، ونقل اليها جبخانة والمدافع والقنابر، وحصنّها بالعساكر.

وبنى في القلعة الكبيرة [قلعة الجبل] ابراجاً، ونقل اليها مدافع كثيرة. وارسل اليها الزيت والمشاقة (٣٩) ليرى اهالي مصر ان اذا نهضوا مرةً ثانية يُتلف المدينة بالحراقة. وهكذا خبّر علماءهم ان يُخبروا الرعيّة.

ثم عيّن، في بلد الجيزة من الفرنساوية، اصحاب الحرف والذين يسكبون المدافع والكلل، وابنى في امبابة افراناً لاجل البقسماط، وعمّر طواحين في الهوا في الجيزة وفوق كوم الليمون، وكانوا يطحنون ما يكفيهم كل يوم. وامر بعمل البارود في مصر، مع ان قد كان معه الجبخانة تكفيهم عشر سنوات اذا كانوا يحاربون كل يوم.

ثم ان، بعد نهاية تلك الحركات التى قد حدثت وقتل الجنرال دبوى شيخ البلد، احضر امير الجيوش الجنرال دوسطين. [دستنج] وولآة شيخ البلد على مصر مكان الجنرال دبوى. وكان هذا عاقلاً فاضلاً. وفرحت اهل البلد بموت الجنرال دبوى، لانه كان صعب الاخلاق وبطل لايُطاق.

وكان حينما قامت الاسلام على الفرنساوية، هوب محمد اغة الانكشارية. وكان ذلك الرجل جباناً، وهذه الرتبة لا يوافقها ذلك، لانه يلزم ان يكون اغة الانكشارية بطلا شديداً فى الحرب والقراع، صاحب مكر وخداع، لان عليه ضبط البلد الليل والنهار، ولا يسأل عمّا يفعل. وبعد هذه الفتنة امر أمير الجيوش بعزلة، واقام عوضه مصطفى اغا جُربجى، وهو من مماليك عبد الرحمان اغا الذى كان قديما اغات الانكشارية فى زمان على بيك. وحين دخلَ مصطفى اغا على امير الجيوش، لبسه فروا فاخراً وقلده سيفاً، وولاّه منصب الاغاوية على الانكشارية، وقال له: قد بلغنى عن سيدك انه كان رئيساً فى الاحكام، خبيراً بالايّام، متدبّراً بالنظام، ومُتقناً وظيفته على التمام، فأودَ ان تكون مثله وتقتفى اثره. فقبّل يده وانصرف من قدّامه مسروراً.

وبالحقيقة ان هذا المذكور اخلف سيّده فى احواله وافعاله، وكان صادقاً فى خدمته شديداً فى همتّه، وقيل انه قتل مماليك كثيرة كما كان يفعل سيّده فى حكمه. وكان ذلك الرجل يكره الممالك وزمرتهم كونهم قتلوا سيده. وكان حينما وجد مملوكاً مستخفياً فى المدينة يقتله سراً، لانه كثيرا [ما] كانت تدخل المماليك الى مصر مستخفين.

وبعد تلك الحوادث استكنت مصر وكلت أهلها من الحروب مع الفرنساوية، وطاعتهم الطاعة الرغمية، لما كبدوا من شدّة باسهم وقوّة مراسهم. وقد كان الفرنساويون قد جذبوا اكثر الناس بحسن احكامهم العادلة، وعدم ميلهم للمشاكلة، وحسن سياستهم وعدم خيانتهم، وحبّهم المفرط للمسلمين ورفع المظالم عن الفلاحين، وضبط عساكرهم وتواضع اكابرهم، وصدق كلامهم حسن زمامهم، وانطلاق الحرية لساير الرعيّة، واعطا الامان فى كل مكان، والتفاتهم العجيب لنظم البلاد، وودّهم الغريب لراحة العباد. وقد قطعوا اثار اللصوص والنهّابين والعربان الخطّافين، واتقنوا الاحكام باحسن نظام، وتظاهروا بالكرم السخا ورخص القوت والرخا.

## (ذكر الحملة على بلاد الشام)

وبدأ امير الجيوش يجهّز الركبة [الحملة] على الاقطار الشامية، وارسل القومانية [الذخيرة] والمدافع والجبخانات الى مدينة بلبيس والصالحية، وتبه على العساكر بتحضير ما يحتاجون من الات الاسفار. وقد شاعت الاخبار بقدوم ذلك الجيش الجرّار الى اراضى عكّا وتلك الديار. فاسرع احمد باشا الجزار بتدبير ما يحتاج اليه فى الحصار، خشيةً من هجوم الكفّار واستيلاهم على تلك الاقطار. وحصّن مدينة عكّا بالابرجه والاسوار، ووضع عليها القنابر والمدافع الكبار. وحصّن ايضاً مدينة حيفا، وارسل الى يافا العساكر وحصنّها بالمدافع والقنابر. وامتدّ الى مدينة غزّة بعساكره وعشايره، ووصلت جيوشه الى قلعة العريش واقاموا بها. واتّصل الايراد الى ساير البلاد. وتنبهت الغز للجهاد.

وفى شهر شعبان سنة ١٢١٣ (٤٠) خرجت العساكر الفرنساوية الى مدينة بلبيس والصالحية، وكتب الى الجنرال كليبر ان يتوجّه من دمياط فى البرّ على طريق قطية، ويكون قايد العساكر الفرنساوية.

ثم ان امير الجيوش بونابارته، من بعد ما سيّر العساكر، احضر علماء الديوان، ومصطفى كتخدا الذى جعله امير الحجّ، والاغا والوالى والمحتسب، وقال لهم:

ان الغز المماليك، الهاربين من سيفى فى الاقطار قد التجوا الى احمد باشا الجزار، المتولى بتلك الديار. فجمع لهم العساكر، وحضروا الى العريش، وعازمين على الحضور الى الديار المصرية، لاجل خراب البلاد وقتل العباد وهلاك الرعية. فلذلك اخذتنى الغيرة، واستخرت الله وهو نعم الخيرة. وعزمت اننى اسير اليهم بالعساكر، واخرجهم من قلعة العريش بقوة سيفى الباتر. وابذرهم بتلك البرارى والقفار، واجعلهم عبرةً للناظر واقطع اثارهم من تلك الديار، بعون الواحد القهار، واريح منهم مصر وتلك الديار. وها قد وليّت نايباً عنى وقايمقام فى المدينة الجنرال دوكا، فكونوا له طايعين، والى كلامه سامعين وشيخ البلد عليكم الجنرال ضوصطين [دوستين]، فعليكم ايها الحكام والأعيان والتجّار، ان تنبّهوا على اهل هذه الديار برفع الاذاية والاضرار. وان تكون الرعيا مطمأنين وفى منازلهم آمنين. وان كان يبدأ، فى غيابنا، ادنى حركة من الحركات ضدّ العساكر والصلدات، فقد امرت القايمقام وشيخ البلد وحاكم القلعة ان يهدموا البلد بالمدافع والقنابل، ويقتلوا اهلها بحدّ السيف الباتر، فكونوا على حذر من القضاء والقدر.

فاجابوه اننا ضامنين وكافلين هدو الجمهور وعدم حدوث امر من الأمور. ثم امر إلى مصطفى كتخدا وعلماء الديوان أن يأخذوا الأهبة للمسير معه إلى العريش، فاجابوه بالسمع الطاعة.

وفى خامس يوم من شهر رمضان (٤١) ركب امير الجيوش بونابارته فى العساكر، وصحبته مصطفى كتخدا والعلماء، قاصدا مدينة بلبيس بالابطال الجبابرة والعساكر الوافرة.

وحين وصل الى الصالحية، هرب امير الحاجّ محمد كتخدا (الذى كان سابقا) الى مدينة غزّة. ومن هناك سار الى عكّا وحين دخل على الجزّار قال له: انت الذى كنت اغة الانكشارية [؟] قال: نعم، ولكننى هربت منهم واتيت اليك. فقال له الجزار: ما انت الاّ جاسوس. ثم امر بقتله. وكان العلما بعد وصولهم الى الصالحية اعرضوا الى امير الجيوش انهم لا يقدرون على الاسفار فى البرارى والقفار، فاذن لهم بالرجوع، وسار امير الجيوش بتلك الجموع.

وكان قد امر امير الجيوش كبار الديوان، الشيخ عبدالله الشرقاوى والشيخ محمد المهدى، الباقيين فى مدينة مصر، ان يرسلوا مكاتيب لساير الاقاليم، ويعرّفوهم عن مسيره الى الديار الشامية، فكتبوا كما امرهم، وطبعوها فى المطبعة، ووزّعوها على ساير الاقاليم وهذه هى صورتها:

## ( صورة الكتابة)

من محل ديوان مصر الخصوصى، الى جميع الاقاليم المصرية: نخبّركم ان امس، تاريخه خامس

شهر رمضان المعظّم، توجه حضرة الدستور المكّرم سر عسكر الكبير بونابارته، امير الجيوش الفرنساوية، مسافراً يغيب مقدار ثلثين يوماً، لاجل محاربة ابراهيم بيك الكبير وبقية المماليك المصرية، حتّى يحصل الراحة الكلّية للاقاليم المصرية من هولا الاعداء الظالمين، الذين لا راحة فيهم ولا رحمة فى دولتهم على احد من رعيتهم. وقد وصل الان مقدّمة الجيوش الفرنساوية الى العريش. وعن قريب ياتيكم خبر قطيعة ابراهيم بيك ومن معه من المماليك، نظير ما وقع قطيعة اخيه مراد بيك ومن معه فى اقليم الصعيد. فيقطع دابرهم من بّر الشام كما انقطع دابرهم من اقليم الصعيد بالتمام. ويبطل القيل والقال، وتذهب الكذابة التى تسمعونها من اوباش الرجال.

ونخبركم ان حضرة السر عسكر المشار اليه يتجدد له كل يوم نية الخير والرحمة، ويحدث فى تصميم الشفقة والرفاة. هذه هى نيته لكم فى كل الأقطار المصرية. ويحصل لهم النجاح والصلاح، ويكمل فى ساير اقطارها السرور والاصلاح. وتفرح اقاليمها على يد سلطانها بونابرته، بمشية الله الذى مكنه فيها، ونصره على من ظلم فيها من المماليك المفسدين. ولا يتم خلاصهم بالكلية وتتطهر من دولة الممالك الردية، الا ببذل همته ورأيه السديد فى تكميل نظامها بغنايمهم لسيوفه الباتره، وتكمل زروعها الفاخرة وانواع تجارتها الباهرة. ويحدث فيها برأيه وحسن تدبيره التحف من انواع الحرف والصنايع النفيسه. ويجدّد فيها ما اندثر من صنايع الحكما الاوّلين. ويرتاح فى دولته كل الفقرا والمساكين. فالتزموا يا اهل الارياف والفلاحين بحسن المعاملة والادب، واجتنبوا فى غيبته انواع الكذب والقبايح، حتى يراكم، حين يقرب بعد هذا الشهر، قد احسنتم المعاملة ومشيتم على الاستقامة. وينشرح صدره منكم ويرضى عليكم، وينظر اليكم بعين الشفقة. وان حصل منكم فى غيابه ادنى خلل ومخالفة، حل بكم الوبال والدمار، ولا ينفعكم الندم، ولا يقر لكم قرار. واعلموا ان اذهاب. دولة المماليك بقضاء الله وقدرته. ونصرة سلطانكم امير الجيوش عليهم بتقدير الله وامره. والعاقل يمتثل الى احكام الله ويرضى بمن ولاه. والله يوتى بملكه من يشاء والسلام عليكم ورحمة الله.

**الداعى لكم الفقير عبد الله الشرقاوى رئيس الديوان الخصوصى عفى الله عنه**

**الداعى لكم الفقير السيد محمد المهدى الحنفاوى كاتم السر وباش كاتب الديوان عفى الله عنه.**

## [ذكر حصار قلعة العريش واحتلالها]

وقد كنّا ذكرنا ان امير الجيوش ارسل الى الجنرال كليبر انه يسير بالعسكر الذى عنده فى دمياط. ولما وصله ذلك الامر سار من مدينة دمياط على طريق قطية. ومن هناك صار طالباً قلعة العريش، فتاه فى الطريق وسار ثلثة ايام من غير زاد. والجاهم الجوع حتى اكلوا لحم الخيل والجمال. ثم اهتدوا على الطريق. وعند وصولهم للعريش كانت بعض عساكر الجزار واردين بقومانية وذخيرة الى القلعة فعندما نظروا الفرنساوية مقبلين تركوا القومانية وهربوا. ووصلت الفرنساوية وقد فرحت بتلك الذخيرة واكتفوا بها ثلثة أيام.

ثم حضر امير الجيوش وباقي العساكر ونصب الوطاق امام القلعة. وكان فى قلعة العريش ثمانماية مقاتل، وكان بينهم احمد كاشف الكبير تابع عثمان بيك الاشقر، وابراهيم بيك كاشف الحبشي. وفي ثاني الايام، ارسل اليهم امير الجيوش ان يسلموا القلعة، فلم يرضوا بذلك.

فامر بضرب المدافع. وبقى الحصار على القلعة ثمانية ايّام. ثم فرغت مونتهم وبارودهم، فارسلوا يطلبون الامان. فاعطاهم الامان. وان يخرجوا من القلعة بغير سلاح، ويحصل الصلاح ويفوزوا بالنجاح، فلم يرضوا بذلك.

وبعد يومين حضر قاسم بيك المسكوبى بجملة عسكر وجبخانة، وبقى بعيد عن القلعة.

وكان قصده ان فى الليل يدخل بغتةً فبلغ امير الجيوش وصوله، وربطوا عليه الطريق، وكبسوه ليلاً وذبحوا عساكره، ولم يسلم منهم غير القليل. وقتل قاسم بيك وعدة من الكشاف والمماليك. واخذوا كل ما كان معهم.

وحينما بلغ ذلك الذين فى القلعة حاروا فى امرهم، وارسلوا يطلبون الامان بحيث يخرجون بسلاحهم. فامر لهم امير الجيوش بذلك، وخرجوا الى قدّامه فاطلق سبيلهم، وكل واحد منهم ذهب الى بلاده.

واحمد كاشف وابراهيم كاشف وجماعتهما طلبوا من امير الجيوش التوجه الى مصر الى منازلهم واعيالهم فاذن لهم بذلك، وارسلهم مع بعض من الصلدات لاجل حمايتهم فى الطريق. وساروا الى القاهرة وادخلوهم على قايمقام الجنرال دوكا وشاعت اخبارهم فى مصر، وحضرت خلايق كثيرة لاجل الفرجة عليهم. ودخلوا الى دار الكنانة بكل ذل واهانة، راكبين الحمير بملابس رثّة. ومن بعد مقابلة القايمقام وشيخ البلد توجّهوا الى بيوتهم. وبعد ثلاثة ايام مات احمد كاشف من قهره وتوارى فى قبره.

واما امير الجيوش، بعد تسلمه قلعة العريش، وضع بها جانب من العسكر. وقد ارسلوا الى علماء الديوان بان يوزعوا الكتابات كما جرت لهم العادة.

## صورة كتابة علماء الديوان للديار المصرية

لا اله الا الله المالك الحق المبين، ومحمد رسول الله الصادق الواعد واليقين. نعرّف آل مصر وساير الاقاليم ان توجّهت الفرنساوية الى الديار الشامية، وحاصروا قلعة العريش من عشرة فى رمضان الى سبع عشر [سنة ١٢١٣هـ. أى من ١٥ إلى ٢٢ فبراير ١٧٩٩م]، ووقعت مقاتلة عظيمة خارج القلعة وكان فى القلعة نحو الف وخمسمائة نفر غير من قتل خارجها. فلما طال عليهم الحصار، وتهدمت اسوار القلعة من ضرب الفرنساوية بالمدافع عليها وتيقنوا بالهلاك، طلبوا الامان من حضرة السر عسكر الكبير، فاعطاهم الامان الكافى. وسافر منهم نحو ثمانماية من ناحية الشول(٤٢) الى بغداد. وانعم عليهم حضرة السر عسكر بالحيوة بعد ان تيقنوا بالهالك. وهكذا اصحاب المروّات هولا أعتقهم واطلق سبيلهم.

وبعض الكشاف والمماليك الذين كانوا فى القلعة، نحو ستة وثلاثين جندياً، طلبوا من حضرة السر عسكر ان ينعم عليهم برجوعهم الى مصر

الى عيالهم وبيوتهم، فاحسن اليهم وارسلهم الينا والى وكيله، ودخلوا عليه يوم الاحد فى ستة وعشرين رمضان معزوزين مكرومين وارسل السر عسكر ان يوتى باكرامهم ان داموا على عهدهم الذى حفلوا به بالعريش. وان خانوا وهانوا فيحصل لهم من يده الانتقام.

وامر فى الفرمان ان الجنرال دوكا يامر التجّار بالقوافل الى برّ الشام، لينتفعوا بالمكاسب اصحاب التجارة، وينتفع سكّان برّ الشام ببضايع مصر حسب العادة السابقة، ليحصل الامان بحلوله فى تلك الاراضى.

وكتب الى حضرة وزيره الجنرال اسكندر برتية(٤٣) فرمان يخبّرنا ويخبّر حضرة الوكيل بالحالة التى وقعت الى عساكر ابراهيم بيك وبعض من عسكر الجزّار المساعدين له. وان الفرنساوية وجدوا فى قلعة العريش مخازن رزّ وبقسماط وشعير، وثلثماية رأس من الخيل الجياد، وحمير كثيرة، وجمال غزيرة اكتسبته جميعة الفرنساوية. ومع ذلك عندهم الصفح عن خلاصهم عند قدرتهم عليهم. وهذا من صفات اصحاب المروّة من الرجال الابطال. فيا اخواننا لاتعارضوا الملك المتعال. واتركوا انفسكم من القيل والقال. واشتغلوا فى اصلاح دينكم والسعى فى معاش دنياكم. وارجعوا الى الله الذى خلقكم وسواكم. والسلام عليكم ختام.

**الفقير عبد الله الشرقاوى ريس الديوان حالاً عفى الله عنه**

**الفقير محمد المهدى كاتم سرّ الديوان حالاً عفى الله عنه**

**الفقير السيد خليل البكرى نقيب السادات الاشراف عفى الله عنه**

## [ذكر الحرب بين بونابرت والجزار واحتلال غزة ويافا]

واما امير الجيوش فى تسعة عشر رمضان (٤٤) نهض بالعساكر من قلعة العريش الى خان يونس. وفى الغد صارت مقدمات العساكر على مدينة غزّة بنفوس معتزّة. واوّلهم الجنرال كليبر سر عسكر الجيش، والجنرال ميراد. وكانت عساكر الجزّار وعساكر الغزّ فى مدينة غزّة. فعندما شاهدوا عساكر الفرنساوية مقبلين ولوا منهزمين. فدهمهم الجنرال ميراد بالرجال الشداد على الخيول الجياد. واطلق عليهم الرصاص. فما مكثوا امامه برهةً يسيرةً حتى ولّوا منهزمين، والى النجاة طالبين.

ولما كان الجنرال ميراد يحاربهم، دخل الجنرال كليبر الى البلد من غير قتال. وبات تلك الليلة فى غزة. وفى الغدّ سيّر العساكر على مدينة يافا.

وكانوا وجدوا فى غزّة حواصل ذخيرة من بقسماط وشعير، واربعماية قنطار بارود، واثنى عشر مدفعاً، وحاصلا كبيراً من الخيام، وكلل وقنابر عظام، فحازوا على الجميع.

ولم يزالوا سايرين حتّى وصلوا الى يافا، وبنوا المتاريس امام البلد ووضعوا المدافع عليها. ومن بعد اربعة ايام من وصولهم، وصل امير الجيوش واستخبر: كم فى البلد من العساكر [؟]، فقالوا له: نحو ثمانية الاف. فكتب لهم وزيره اسكندر ينصحهم ان يسلّموا البلد لسلامة انفسهم فلم يرضوا بالتسليم، بل قبضوا على الرسول فتركوه مقتول. فبلغ امير الجيوش ذلك فاغتاظ غيظاً

شديداً، وامر بضرب المدافع والقنابر على المدينة. وابتدا الحرب من اول النهار الى الساعة التاسعة، من ناحية حارة النصارى.

ثم امر امير الجيوش بان يهجموا على البلد هجمةً واحدة، ويشنوا الغارة الجامدة، ويظهر ما عندهم من المكافحة والمجالدة. فغارت اوليك الشجعان، وكان ليلة عيد رمضان، فيالها من ساعة كانت من ساعات القيامة، وتبألها من ليلة لم يكن بها سلامة. وهجمت الفرنساوية هجم الاسود، واذ شاهدتهم عساكر الاسلام ايقنوا بالموت والعدم والخلود، وبقوا نادمين وفي امرهم حايرين. واذ لم يجدوا لهم سبيلاً للانهزام ولا منقذاً ينقذهم الى برّ السلام، فسلموا الى قضاء الله والأحكام، وطرحوا سلاحهم وسلّموا ارواحهم.

فبدت الفرنساوية يزجرونهم زجر الغنم. ولم يزل هول الحرب في امداد، والكرب في اشتداد، وتتناثر الرؤس وتهلك النفوس، وتنهتك الاحرار وتنكشف الاسرار والاستار، وتقتل الرجال والنساء والاطفال. وفاق صوت البكاء والعويل على صوت البارود الجزيل. وكنت تنظر واحد يقتل [و] واحد جديل، واخر دمه يسيل، والاخر بالأسر ذليل، ولا من يقبل ولا من يزيل.

ولم يزل الجيش الفرنساوى فى قتل وفتك وسبى وهتك، ورنّ سلاح وهزّ صفاح واخذ ارواح، من اوّل الليل الى اخر الصباح.

وكان يوماً اليماً وحرباً عظيماً. وسلبوا كلما فى المدينة من المال والامتعة الغوال. ولم يزل يعمل الصارم البتار الى اخر النهار. وكان ذلك نهار العيد والخلق في حزن شديد. وحلّ الانكيس فى نهار ذلك الخميس.

وفي ذلك الحين مات من العساكر ما ينيف عن الخمسة الاف، ومن اهال البلد الفين وقد هجمت الفرنساوية على المراكب التى فى المينا، واخذوا منها بضاعة ثمينة. واصبحت مدينة يافا لم يجد بها أحد معافاً (٤٥) ولا بها مستتر. وهى عبرة لمن اعتبر.

وفي ثانى الايام، احضر امير الجيوش الاسارى، واطلق سبيل من كان من الاقطار الشامية، وميز المصريين واكرمهم غاية الاكرام. وكان منهم السيّد عمر مكرمٌ نقيب الاشراف الذى كان هارباً واعطاه الامان، وامره ان يرجع الى الاوطان.

واما الهواره والارناوط امر بقتلهم جميعاً، لان كان البعض منهم فى قلعة العريش، وحين اطلقهم امرهم ان يذهبوا الى بلادهم سالمين، فاتوا الى مدينة يافا وحاصروا بها. فقتلهم جميعاً من دون بعض انفار من الاغاوات الكبار، وارسلهم اسرى مع هجانة الى قايمقام يعرّفه بالاخبار عن هذا الانتصار. وان يوزّع من الديوان الكتابات كما جرت لهم عادات. ويخبر المصريين فى انتصار الفرنساويين على مدينة يافا.

## صورة الكتابات من علماء الديوان بمصر يعلموا الاقاليم بأخذ يافا.

بسم الله الرحمن الرحيم. سبحان مالك الملك يفعل فى ملكه ما يريد. سبحان الحاكم العادل الفاعل المختار ذو البطش الشديد. هذه صورة تمليك الله سبحانه وتعالى جمهور الفرنساوية لبندر يافا من الاقطار الشامية.

نعرف اهالى مصر واقاليمها من ساير البرية، ان العساكر الفرنساوية انتقلوا من غزّة ثالث

وعشرين(٤٦) شهر رمضان، ووصلوا الى الرملة فى خامس وعشرين منه فى امان واطمئنان. فشاهدوا عسكر باشا الجزار هاربين بسرعة قايلين: الفرار الفرار. ثم ان الفرنساوية وجدوا فى الرملة ومدينة اللُدّ مقدار كبير من مخازن البقسماط والشعير، ورأوا فيها الف وخمسماية قربة مجهّزة، قد جهزها الجزار ليسير بها الى اقليم مصر مسكن الفقراء والمساكين، ومراده يتوجّه اليها باشرار العربان من سفح الجبل. ولكن تقادير الله تُفسد الحِيَل قاصداً سفك دماء الناس مثل عوايده السابقة. وتجبّره وظلمهم، لانه من تربية المماليك الظلمة المصرية. ولم يعلم، من خسافة عقله وسوء تدبيره ان الامر لله وكل شيء بقضايه وتدبيره.

وفى سادس وعشرين من شهر رمضان، وصلت مقدّمات الفرنساوية الى بندر يافا من الاراضى الشامية، واحاطوا بها وحاصرها من الجهة الشرقية والغربية. وارسلوا الى حاكمها وكيل الجزار ان يسلمهم القلعة، قبل ان يحل بهم وبعسكرهم الدمار. فمن خساسة رأية وسوء تدبيره سعى فى هلاكه وتدميره، ولم يرد لهم جواب، وخالف قانون الحرب والصواب، وقتل الرسول النجاب.

وفى آخر ذلك اليوم السادس والعشرين، تكاملت العساكر الفرنساوية على محاصرة يافا، وصاروا كلهم مجتمعين. وانقسموا ثلثة طوابير: الطابور الأول توجه على طريق عكا بعيد [أ] عن يافا اربع ساعات.

وفى السابع والعشرين من الشهر المذكور امر حضرة السر عسكر الكبير بحفر خنادق حول السور، لا جل ان يعملوا متاريس امينة وحصارات مُتقَنة حصينة. لانه وجد سور يافا ملاناً بالمدافع الكبيرة، ومشحونة بعساكر الجزار الغزيرة.

وفي تاسع وعشرين من الشهر المذكور، لما قرب حفر الخندق الى السور مقدار ماية وخمسين خطوة، أمر حضرة السر عسكر المشار إليه أن تنصب المدافع علي المتاريس، وأن يضعوا الهاون الكبير بأحكام وتأسيس، وأمر بنصب مدفع صيانة لعساكره الصاعدين والمشتغلين بخرق السور، وأمر بنصب مدفع آخر بجانب البحر يمنع الخارجين إليه من مراكب المينا، لأنه وجد فى المينا بعض مراكب أعدوهم عساكر الجزار إلى الهروب، ولا ينفع الهرب من المقدر المكتوب.

ولما رأت عساكر الجزار الكاينين بالقلعة ان عساكر الفرنساوية قلايل، فيرا [فيرى] الفين للناظرين لسبب اخفاء الفرنساوية فى الخنادق وخلف المتاريس، فغرهم الطمع وفتحوا مجالهم من القلعة مسرعين مهرولين، وظنوا أنهم يغلبوا الفرنساوى، فهجمت عليهم الفرنساوية وقتلوا منهم جملة كثيرة فى الوقعة، والزموهم والجوهم [الجأوهم] للدخول ثانياً إلى القلعة.

وفى يوم الخميس غاية شهر رمضان، حصلت عند السر عسكر شفقة قلبية على الرعية، وخاف على أهل يافا من عسكره إذا دخلوها بالقهر والإكراه، فأرسل إليهم مكتوباً مع رسول مضمونه:

**لا إله إلا الله وحده لا شريك له**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

من حضرة سر عسكر اسكندر كتخدا العسكر الفرنساوى، إلى حضرة حاكم يافا، نخبرك أن

حضرة سر عسكر الكبير بونابارته أمرنا نعرفك، فى هذا الكتاب، ان سبب حضوره إلى هذا الطرف إخراج عسكر الجزار فقط من هذا البلد، لأنه تعدى بإرسال عسكره للعريش ومرابطته فيها، والحال أنها من اقليم مصر التى أنعم الله بها علينا، فلا يناسبه بالإقامة بالعريش لأنها ليست من أراضيه، فقد تعدى على ملك غيره.

ونعرفكم يا أهل يافا ان بندركم حاصرناه من جميع أطرافه وجهاته، وربطناه بأنواع الحرب [والآلات] والمدافع الكثيرة والكلل والقنابر الغزيرة وفى مقدار ساعتين [يقلب] سوركم وتبطل الاتكم وحروبكم ثم نخبركم ان حضرة السر عسكر المشار اليه بونابارته، لمزيد رحمته وغزير شفقته خصوصاً بالضعفاء من الرعية، خاف عليكم من سطوة عسكره المحاربين، وإذا دخلوا إليكم بالقهر فأهلوكم أجمعين، فأمرنا أن نرسل إليكم هذا الخطاب أماناً كافياً لأهل البلد والأغراب، ولأجل ذلك أخر ضرب المدافع والقنابر ساعة واحدة. وإننى لكم من الناصحين القلبية، والحال أنهم جعلوا الجواب قتل الرسول مخالفين للقوانين الحربية والشريعة المطهرة المحمدية.

وحالاً، فى الوقت والساعة، هاج السر عسكر واشتد غضبه على الجماعة، وأمر بابتدا ضرب المدافع والقنابر الموجبة التدمير، وبعد مضى زمان يسير، تعطلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس، وانقلب عسكر الجزار فى وبال وتنكيس.

وفى الظهر من هذا اليوم، انخرق سور يافا وارتج له القوم، ونقب من الجهة التى ضرب فيها المدافع من شدة النار، ولا مرد لقضاء الله ولا مدافع، وفى الحال أمر حضرة السر عسكر بالهجوم عليهم، وفى أقل من ساعة ملكت الفرنساوية البندر والأبراج، ودار السيف فى المحاربين، واشتد بحر الحرب وهاج، وحصل النهب فيها تلك الليلة.

وفى ثانى يوم الجمعة غرة (٤٧) شوال، وقع الصفح الجميل من حضرة السر عسكر الجليل، ورق قلبه على أهل مصر من غنى وفقير ومتجبر وحقير، الذين كانوا فى يافا، وأعطاهم الأمان، وأمرهم بالرجوع إلى الأوطان مكرومين وكذلك أمر أهل دمشق برجوعهم إلى أوطانهم سالمين، لاجل [ان] يعرفوا مقدار شفقته ومزيد رأفته ورحمته، ويعفو عند المقدرة ويصفح وقت المعذرة، لكثرة تمكنه ومزيد اتقانه وتحصنه.

وقتل أكثر من أربعة آلاف من عسكر الجزار فى السيف والبندق، لما وقع منهم من الانحراف، وأما الفرنساوية لم يقتل منهم إلا القليل، والمجاريح منهم ليس بكثير، وسبب ذلك سلوكهم للقلعة من طريق أمينة خافية عن العيون، وأخذوا ذخاير كثيرة وأموال غزيرة، ومسكوا المراكب التى فى الميناء، واكتسبوا أمتعة غالية ثمينة، ووجدوا فى القلعة أكثر من ثمانين مدفع، ولم يعلموا [انه]، مع مقادير الله، الة الحرب لا تنفع، فاستقيموا يا عباد الله وارضوا بقضاء الله، ولا تتعارضوا على احكام الله، وعليكم بتقوى الله، واعلموا ان الملك لله يؤتيه لمن يشاء والسلام عليكم ورحمه الله.

**الفقير السيد خليل البكرى**

نقيب الأشراف بمصر حالاً

عفا الله عنه

**الفقير عبدالله الشرقاوى**

رئيس الديوان بمصر حالاً

عفا الله عنه

**الفقير محمد المهدى**

كاتم سر الديوان بمصر حالاً

عفا الله عنه

طبع فى مطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة

## [ذكر حصار عكا]

ثم ان أمير الجيوش سار بالعسكر قاصداً مدينة عكا على طريق الجبال، ولما وصلوا إلى أراضى قاقون، فكانت عساكر الجزار والنوابلسية مكمنين فى الوادى الذى هناك، وحينما بلغهم قدوم الفرنساوية أخرجوا منهم من فم الوادى خمسماية مقاتل، وبدوا يرمحون تجاه العسكر، وكان قصدهم أن يجروهم إلى ذلك الوادى.

فلما علم أمير الجيوش مرادهم، قسم عساكره ثلثة أقسام: فالقسم الأول سيره إلى فم الوادى، والقسمان اطلعهما إلى الجبل، وحين اقتربوا إلى الوادى ضربوا المدافع وأطلقوا الرصاص، فانحدرت إليهم الفرنساوية من أعلى الجبل، وانتشب بينهم القتال، وكثر القيل والقال، وقد قتل من عسكر الإسلام أربعمائة قتيل على التمام، وولى الباقون منهزمين، وإلى النجاة طالبين. ومن هناك صارت الفرنساوية مطمانين فى تلك الديار، وباتوا تلك الليلة على العيون الصغار، وفى الغد ساروا إلى أن وصلوا إلى وادى الملوك، وقد كان بلغ الجزار قدوم وقرب الفرنساوية إلى تلك الديار، فأرسل إلى حيفا أحضر الجبخانة والعسكر.

وعندما وصلت الفرنساوية الى اتجاه مدينة حيفا، خرجت اهالى البلد إلى مقابلتهم، وسلموا امير الجيوش مفاتيح البلد والقلعة، فأكرمهم وأعطاهم الأمان، ودخلت الفرنساوية مدينة حيفا، فوجدوا بها قارباً صغيرا فيه جماعة من مراكب الانكليز فأخذوهم أسارى.

وبعد ذلك أمير الجيوش انتقل بالعساكر الى اتجاه مدينة عكا، ونصبوا المضارب والخيام فى محل يقال له أبو عتبة، وبنو المتاريس الحصينة، ووضعوا فوقها المدافع المتينة، وشاعت الأخبار فى تلك الأقطار بقدوم البطل المغوار، فى ذلك العسكر الجرار الذى هو كالبحر الزخار، فخافت تلك الديار، وعزموا جميعهم بالتصميم على الطاعة والتسليم لذلك البطل العظيم، لما بلغهم من عظم سطوته وعلو همته وشدة صولته، وبقوا ينتظرون بما يحل بأحمد باشا الجزار، بعد ذلك الضيق والحصار، من الهلاك والبوار، وقالت المسلمين أجمعين: انا لله وإنا إليه راجعون من شر هؤلاء الملاعين.

وكان أمير الجيوش كتب إلى ساير مشايخ البلد ليحضروا إلى مقابلته، ويحصلوا علي أمانه ورحمته، وبدت تأتى إليه أهل تلك البلاد ويأخذون منه الأمان، وسار الجنرال كليبر والجنرال منوا إلى مدينة الناصرة، وأرسل كومندا حاكما على شفا عمر.

ومن عند اتمام بناية المتاريس ابتدا فى الحرب على عكا خامس يوم من شهر شوال سنة

١٢١٣(٤٨)، وقامت الحرب أربعا وعشرين ساعة، وكان حربا شديدا مهولا لم يكن مثلها قط لأن كانت الفرنساوية تضرب المدافع والقنابر، وفى المدينة كذلك، المدافع والقنابر من الأبراج والقلاع والحصون والأسوار، وكانت المراكب العثمانية والمراكب الانكليزية تضرب كذلك المدافع والقنابر، حتى خيل للناظرين والسامعين ان مدينة عكا لم يبق منها حجر على حجر واقفين.

وارتج الجزار من ذلك رجة عظيمة، وكاد أن يخلو المدينة، وأحضر مراكبه للسفر والركوب، وهيا نفسه للذهاب والهروب، فمنعه الجنرال سر عسكر الانكليز(٤٩) الذى كان مقيما فى عساكره على البواغيظ وطمنه قايلا: اننى قد قطعت عزم اعدايك الفرنساوية، اذ قد اسرت منهم ثلثة مراكب جبخانية ومدافع قوية، فشجع فؤادك على محاربتهم، لاننى قد أضعفت قوتهم.

وكان الأمر كما ذكر، لأن أمير الجيوش، إذ كان لم يقدر على نقل الجبخانة والمدافع الكبار فى البر، فأمر أن يوسقوهم فى ثلثة مراكب ويرسلوها من دمياط، وحينما خرجت المراكب المذكورة اصطادتها مراكب الانكليز.

وكان سر عسكر الانجليز المسمى سند [سدنى] سميث لم يزل يطوف فى مراكبه على البواغيظ ليمنع الامداد على الفرنساوية، وحين وقع الحصار على مدينة عكا، حضر بمراكبه وأخرج منهم طبجية إلى القلع والأسوار.

ثم من بعد ذلك الحرب الشديد، قلت جبخانة الفرنساوية، وبلغ أمير الجيوش ان الانكليز استأسروا الثلاث مراكب التى اتت من دمياط فى الجبخانة، فاشتعل فيه الغضب، وأرسل احضر ما كان فى يافا من الجبخانة.

ثم حضر إلى الجزار مركبين من اسلامبول بهم الجبخانة، ولما أقبلوا إلى أسكلة (ميناء) يافا وشاهدوهم الفرنساوية الذين كانوا بقوا هناك، رفعوا لهم البيراق العثمانى، ودخلوا إلى الميناء بكل أمان، ناشرين الاعلام لظنهم ان المدينة بيد الإسلام، وبعد ما القوا المراسى، نزلت القباطين الى البلد، فقبضوا عليهم الفرنساوية، وضبطوا المراكب بكل ما فيها من المدافع والقنابر والجبخانة، وكان ستة وثلثين الف دينار مرسلة اسعافا للجزار فصار ذلك اسعافاً للفرنساوية.

## [ذكر معارك بونابرت فى بلاد الشام]

وكنا قد ذكرنا أن أمير الجيوش ، بعد حضوره الى اتجاه عكا، أرسل كتب إلى مشايخ البلد الذين بالقرب منه، فحضر إليه الشيخ عباس بن ضاهر العمر، وأعرض لديه أحواله، فترحب به وأعطاه السلاح والكسوة وعشرة أكياس، وكتب له أن يكون متوليا بلاد أبيه.

وحضر أيضا مشايخ بنى متوال(٥٠) فأعطاهم حكم بلادهم وصاروا من عند أمير الجيوش إلى مدينة صور وقدموا له الذخاير من البلاد وتسلموا القلعة التى كانت لابائهم.

ثم حضر أيضاً رجل من جبل شيخا(٥١) اسمه مصطفى بشير فأكرمه أمير الجيوش، ولما بلغ أهل البلد قدومه، طردوا عسكر الجزار وسلموه البلد، وكان ذلك الرجل أصله من صفد.

وقد ذكرنا عن توجه الجنرال كليبر والجنرال منوا إلى الناصرة ، وكان قد اجتمع من الشام عساكر الإسلام، من مغاربة وهوارا وعربان، والغز الذين حضروا مع إبراهيم بيك، إلى أن بلغ جمعهم ثلثين الف مقاتل ما بين راكب وراجل، وخرجت هذه العساكر العديدة بقوة شديدة، ووصلت إلى مرج ابن عامر، فلما بلغ كليبر قدوم ذلك العسكر، فسار إليهم بألف وخمسماية مقاتل، وحينما وصلوا وشاهدتهم تلك الجموع، انهزموا من قدامهم مكيدة منهم، ولم يزل الفرنساوية في أثرهم إلى أن وصلوا إلى أطراف المرج، ومن هناك أحاطوا في الفرنساوية من كل جانب، ولما نظرهم الجنرال كليبر قد أحاطوا بالعسكر، فقسم رجاله أربعة أقسام، مع كل قسمة منهم مدفع، واتصل الحرب بينهم.

فعندما شاهدت أهالي الناصرة كثرة جيوش الشام، وان الفرنساويين قليلون جداً، فبادروا حالاً وأخبروا أمير الجيوش، فأحضر حالاً الجنرال تركو[٥٢] وأمره بتحضير ثلثة آلاف صلدات، ومن بعد ساعة واحدة جهز العسكر المذكور، وأخذوا معهم أربعة مدافع، وأمر الجنرال بونابارته أن يسيروا على وادى عبلين[٥٣] ومن بعد مسيرهم بثلاث ساعات، ركب أمير الجيوش وسار طالباً أثرهم، وفي نصف الليل وصل بالعساكر إلى بير البدوية، وأرسل إلى بلدة قريبة منهم اسمها سافورا[٥٤] وطلب ما احتاجه من الذخيرة تلك الليلة.

وعند الصباح سار بالعسكر إلى أن نفذ الى مرج ابن عامر، وصعد الى تل عال فكشف ارض المرج. ونظر الى الجنرال كليبر في وسط البيدا وعساكر الاسلام محتاطة به، والهجمة من كل ناحية، وليس لهم عليه استطاعة.

ثم نظر الى جبل بعيد وعليه المضارب والخيام، وكان هذا اوردى [معسكر] الغز، فنزل امير الجيوش وأفرز خمسماية مقاتل وأمرهم أن يسيروا على الجبل ويكبسوا على الأوردى، وقسم العسكر الذى بقى معه ثلثة أقسام: قسمان منهم ألف، والقسم الثالث خمسماية، فأخذ منهم قسما واحداً ومدفعاً واحداً وتوجه بذاته، والقسم الثاني تبعه من بعيد، والقسم الثالث الخمسماية، ومعهم مدفعان، أمرهم أن يسيروا إلى الحرب من الطرف الثاني، إلى أن تصير العساكر المحاربين في وسطهم محتاطين بهم.

وحينما وصل أمير الجيوش إلى عندهم ضرب مدفعا واحدا، ثم ضرب القسم الثاني ثم الثالث، وحينما سمعوا العساكر المحاربين المدافع، ونظروا قدوم النجدة، وعلموا أنهم صاروا في وسطهم فولوا منهزمين وللنجاة طالبين، وصاروا يتراكضون في الجبال وكانت الفرنساوية يضحكون عليهم.

وعندما انقطع أثرهم اتى امير الجيوش الى عند الجنرال كليبر وتصافحا مع بعضهما البعض، وتعانقا وفرحا بانهزام الأعداء، وحينما كانا واقفين، وإذ بالخمسماية صلدات الذين صاروا إلى الجبل راجعة بالغنايم الوافرة، لأنهم كبسوا على أوردى الغز، وكان فيه مقدارماية مملوك فقط.

وأما باقي الغز فكانت تحارب في ارض المرج بعيد عن أورديهم مقدار ساعتين، فعندما نظرت المماليك ان الفرنساوية مقبلين عليهم، تركوا الأوردى وولوا منهزمين، فكبسوا عليه الخمسماية

صلدات واغتنموه. وكان فيه خيرات كثيرة، وأخذوا الخيل والجمال والخيام والأمتعة والأسلحة والملبوس، وبات أمير الجيوش تلك الليلة فى أرض المرج، وحينما أصبح الصباح، ارسل خمسماية صلدات الى قرية جنين وأمرهم أن ينهبوها ويحرقوها، ففعلوا كما أمرهم.

ثم ان امير الجيوش احرق تلك القرايا التى فى جبل نابلوس، لأنهم ما طلبوا منه الأمان، ثم رجع الى الناصرة، وبعده حضر بالعسكر الى اتجاه عكا.

وقد كنا ذكرنا ان أمير الجيوش كان قد أرسل مصطفى بشير الصفدى الى صفد وملك قلعتها وصاروا الذين كانوا من قبل الجزار الى الشام، وجمع ابن عقيل عسكرا وحضر الى صفد فنهبوها وحاصروا القلعة ، ولعلمهم بقلة الرجال بها هجموا بقوة شديدة، وكانوا الذين فى القلعة يضربون عليهم بالرصاص، فهلك منهم عدة رجال، ثم ان رجلاً من القلعة سقط من شباك وهجم ورا عسكر الشام وضرب البيرقدار برصاص فقتله، وأخذ البيرق ورجع الى القلعة.

وحين بلغ امير الجيوش قدوم عسكر الشام الى صفد، أمر الجنرال ميراد أن يسير بخمسماية راكب، ولما بلغ عسكر الشام قدومه رحلوا الى جسر بنات يعقوب.

وحين دخل الجنرال ميراد صفد بلغه هروب عسكر الشام فتبعهم، ولما وصل الى الجسر فما وجد واحدا واعلموه انهم ساروا الى الشام.

واما مصطفى بشير حضر الى عند امير الجيوش فترحب به واكرمه، وقد أخبروه عن فعل ذلك الرجل فأعطاه ماية وخمسين غرش، وأمر مصطفى بشير أن يعين عسكراً من الفلاحين، ولكل انسان ثلثين فضة كل يوم، فتوجه المذكور وعين جماعة وسار بهم الى جسر بنات يعقوب لعند الجنرال ميراد، فتركهم الجنرال على الجسر محافظين ورجع الى عكا.

واما الجنرال منو كان لم يزل مع الجنرال كليبر فى الناصرة فبلغه ان فى مدينة طبرية عسكر الجزار، فأخذ ثلثماية راكب من الفرنساوية، والشيخ صالح والشيخ عباس أولاد ضاهر العمر(٥٥)، ولما قربوا من طبرية خرج عسكر الجزار إلى ملاقاتهم، وكانوا نحو ألفى مقاتل، وحين تقابلا العسكران وانتشبت بينهما الحرب، انكسر عسكر الجزار وولوا منهزمين وللنجاة طالبين.

ولحق هذا الشجاع رجل من العسكر وضربه بحسامه وارماه شطرين، وقتل منهم أوفر من مايتين، ورجع الجنرال ميراد الى طبرية، فوجد بها حواصل حنطة وشعير ودرا [ذرة] ما ينوف عن الفين غرارة فأرسل اعلم بها امير الجيوش، فرجع الجواب أن يطحنهم ويرسلهم الى العسكر.

وفى شهر شوال الموافق لشهر آذار [مارس] تباين الطاعون فى العساكر الفرنساوية، وكانت عليهم أعظم بلية، ومات منهم خلق وافر.

وكانت الحروب قايمة على مدينة عكا الليل والنهار، وهم يهجمون على الأسوار، والكلل والقنابر عليهم مثل سيل الأمطار وقد اهلكوا من العساكر الإسلامية والانكليزية خلقاً لا يحصى لما كانوا يخرجون إلى محاربتهم، وقد هدموا ابراج وأسوار عكا من ضرب المدافع والقنابر وهيجان العسكر.

ولما نظر الجزار هدم البروج والأسوار، فبدا يقيم حيطانها من الأزقة والشوارع، وخرق البيوت والمنازل الى بعضها بعض وجعل لها منافذ خوفاً من هجوم الفرنساوية، لما شاهد من جسارتهم القوية، وكانت الفرنساوية لم تكل عن الهجمات على الأسوار والوصول الى الجدار، ولم يبالوا بذلك العمار، ولا يخشو قصر الأعمار وهلاكهم فى هذه الديار، بل هامين الى العز والانتصار، وقهر احمد باشا الجزار، وتملكهم على هذه الأقطار.

وإذ كان أعداؤهم الانكليز، الذين قد اهلكوا عمارتهم على البواغيظ، واسعف عليهم ذلك العزيز، والقاهم فى تيار التغلب والتعجيز، فلذلك اظهرت الفرنساوية انواع العجايب، فى هذه المعامع والمواقع، التى تذكر جيلا بعد جيل، اذ لم يكن لها مثيل.

وقد مات فى هذه المواقع الجنرال كفريل [كفريللى] المهندس الكبير والعالم الخبير والشهم الشهير، لأن هذا البطل المهول قد تقرر عنه القول أنه كان برجل واحدة، والأخرى كان ملبسها خشب، وكانت أهل مصر تدعيه الجنرال أبو خشبة، فهذا المذكور اصابته كلة فى كتفه، وأخذت الجرايحية يداونه فسألهم: هل الجرح يطول ليبرأ؟ فأجابوه: انه يحتاج إلى مدة طويلة، وأما إذا قطعت اليد من الكتف فبرؤه قريب، فأجابهم: اقطعوا يدى ودعونى أنهض الى تكميل خدمة المشيخة ثم قطعوا يده من كتفه، وإذا كان هذا الجنرال لا يمكنه الكنون والسكون حتى يختم جرحه، طفق يدور على المتاريس ليدبر الطبجية، ويدلهم على الأماكن التى تضرب عليها المدافع والقنابر، فمن الشمس والهوا ورم عليه جرحه ومات وعدمت المشيخة مهندسا عظيما ومدبرا عليما.

وفى هذه المواقع مات الجنرال بون فهذا البطل تعلق على السور وحدف البرنيطة الى داخل البلد، وكان من الشجعان الشداد، وقد ارتعشت عساكر عكا ذلك النهار من فعل ذلك البطل المغوار، وبقوا يضعون اللحف بالزيت والقطران ويحدفوها على الأسوار والرصاص عليهم مثل سيل الأمطار، ويرموهم أيضاً من الأسطحة بالحجارة الكبار، وهذا الجنرال اصابته حجر فى رأسه وهو متعلق على السور، فسقط وحملوه العسكر ومات، وشرب شراب الآفات.

## [ذكر تخلى بونابرت عن حصار عكا وعودته الى مصر]

ثم بعد هجمات كثيرة وحروب خطيرة، وتعب شديد وهول مكيد، عزم امير الجيوش على القيام عن مدينة عكا العسيرة، لعلة خطيرة وأسباب كثيرة، وهو أنه :

أولاً: أن ورد مركب صغير من بلاد خرسان[٥٦] الى الاسكندرية ، وفيه رجل من مدينة باريس، ومعه مكاتيب إلى بونابرته من بعض رؤساء المشيخة المحبين له، يخبرونه ان رؤساء المشيخة ارفاقه الكبار مخامرين عليه، وقد منعوا عنه الإمداد ليهلك فى هذه البلاد، وأيضاً ان الانكليز قد أخذت منهم كلما اكتسبوه من الأقاليم، وهيجوا ملوك الافرنج عليهم، وان لم يحضر إليهم سريع والا يذهب تعبهم ويضيع، فهذه المكاتيب التى حضرت من بعض رؤساء المشيخة.

وأيضاً اتتهم الأخبار ان العمارة العثمانية العظيمة قد تجهزت، وقريباً تصل الى الديار المصرية، وسر عسكرها مصطفى باشا كوسا.

وأيضاً اتتهم الأخبار ان العمارة المسكوبية حاصرت جزيرة كورفو من اعمال البندقية، وقد أخرجت منها الفرنساوية.

ولما علم أمير الجيوش بتلك الأخبار، وان العالم كله نهض ضده، وأنه صار مضطرا أن يحارب جميع المسكونة بهذا الجيش القليل، وقلب ذلك البطل الشديد أقوى من الحديد. فما أراعته الأهوال ولا اعتراه الاندهال، ولا تغيرت منه الأحوال، ولا التوى عنانه ولا تزعزع جنانه، بل أخفى الكمد واظهر الجلد، ثم أرسل احضر الجنرال كليبر من الناصرة، وأمره أن يهجم الهجمة الآخرة، فعند ذلك نهض هذا البطل المذكور، وأظهر حربه المشهور، وقرع طبول الحرب، وتقدم الى الكون والضرب، وكان يوماً أعظم الأيام، وحرب يشيب منه رأس الغلام، وهاج ذلك الجنرال هيجان الأسد الأذرع [الأشجع]، الذى لا يهاب الموت ولا منه يفزع، واندفقت عليهم الكلل والقنابر، براً وبحراً على هؤلاء العساكر، اندفاق البحور الزواخر، واتقدت عليهم النيران، واظلم الجو من الدخان ، واستدت المسامع من صوت المدافع، واشتدت المعامع، وقفزت الفرنساوية الأسوار ودخلوا إلى الجامع ، وكانت ساعة من ساعات القيامة وحرباً لم يكن فيه سلامة، ويوم غريب الأحوال شديد الأهوال عظيم الوبال، تشيب من هوله الأطفال، وترتعب من ذكره صناديد الرجال، وتبادرت العساكر فى المدينة، والمراكب التى فى الميناء، بالحراقة والنيران، بالزيت والقطران، وجادوا بالكلل والرصاص والقنابر والقواص، وبالضجيج العظيم والصراخ الذميم، وارتدت الفرنساوية بحمية عن ذلك الشر والنكد، بعد ما كانوا دخلوا البلد الحمية، وخطفوا طاسات النحاس الأصفر فى سبيل الجامع المشتهر [جامع عكا]، وخرجوا من المدينة كاسبين، وبقى منهم فى الجامع ماية وعشرين، وكانوا قد انشغلوا فى القتال إلى أن حالت عليهم الرجال، وبدأوا يحاربون عن أرواحهم يدافعون، فتراكمت عليهم العساكر كالبحور الزواخر، وقد أيقنوا بالموت والاقتناص، وفرغ بارودهم والرصاص.

وعند ذلك بادر اليهم الكومنضا سميت سارى عسكر الانكليز، وطفق يكلمهم بالفرنساوية كلام حريز، وأن المشيخة ما أرسلوا رئيسكم الى هذه المماليك إلا ليرموه فى بحر المهالك ، وها نحن رابطين عليكم البواغيط، ولاندع أن يجيكم لا كثير ولا وجيز، وقد بقيتم مسجونين فى هذه البلاد، وانقطع عنكم الإسعاف والامداد، وجميع الممالك ضدكم مجاهدين على عدمكم. فكفاكم تهلكون نفوسهم، وتطيعون هوى رئيسكم، فاطلبوا الإقالة من هذه الحروب ، والخلاص من هذه المصايب والخطوب، ونحن نضمن لكم الوصول بالسلام والأمان إلى أرضكم والأوطان، ولما سمعوا ذلك الكلام سلموا له وأخذهم بأمان.

واما امير الجيوش حين نظر ان ليس فى ذلك الحرب محصول، والدخول الى عكا بعيد الوصل. وقد فهم ان الصلدات صاروا ينفرون من الهجوم والمصادرة، ويطلبون الرجوع الى القاهرة. وان قد مات ثلاثة الاف وخمسماية صلدات على اسوار عكا. ومات فى الطاعون وعلى الطرقات ما ينيف

عن الف صلدات. ومع ذلك المخاوف التى قضوها والبلايا التى ذاقوها. هم لم يزالوا فى طاعة غريبة ومحبة عجيبة الى امير الجيوش. اذا كان عندهم كألاه يخضعون الى امره، ويصبرون على مره وحره. ملازمين على حمده وشكره.

وفى احد عشر يوم من ذى الحجة سنة ١٢١٣ (٥٧) امر امير الجيوش بالقيام بجميع المضارب والخيام، وانتقل الى مدينة حيفا، وكان فيها عدة حواصل قطن الجزار، فامر بحرق الجميع. ومن هناك ساروا الى مدينة يافا، فاخذوا ما كان لهم من الامتعة والمدافع الكبار ودفنوها فى الارمال.

وقد كان اخذين من العساكر العثمانية اربعة الاف بندقية، فارموها فى البحر واحرقوا المراكب التى كانوا اخذوها من الاسلام. واخذوا الذين فيها اسارى، وكانوا نحو ثلثماية نفر. فامر امير الجيوش ان يصنعوا اخشاباً كالنعوش، ويضعوا عليها المجرّحين والمشوشين. وكل اربع انفار من هولاء الماسورين يحملوا على اكتافهم خشبة ويمشوا امام العسكر.

وقبضوا على السيد يحيى مفتى مدينة يافا، واربعة انفار من التجار، واخذهم صحبته. ونهض من مدينة يافا الى غزة، وكان الجنرال القايم بها قبض على خمسة انفار من التجار فى البلد، وطلب منهم جانب من المال.

ثم سار امير الجيوش الى قلعة العريش، وهناك وضع المشوشين والمجروحين. وامر الجنرال كليبر ان يسرى على قطية بعساكره الى مدينة دمياط. وسار امير الجيوش بباقى العسكر الى مدينة القاهرة، وامامه اوليك الاسرى ماشيين.

ووصل الى العادله [العادلية] بالقرب من مدينة بلبيس، وارسل اخبر القيمقام الجنرال دوكان بقدومه، فخرج المشار اليه مع شيخ البلد وساير الجنرالية، والعساكر وعلماء البلد والحكام والاعيان وارباب الديوان والاوجاقات، واقبلوا عليه وهنوه بقدومه.

وبعد الجلوس قال لهم: لقد بلغنى ان بعض المفسدين والاعداء الكاذبين قد اشاعوا عنى الاخبار انني قد مت فى تلك الديار، فامعنوا النظر بى لتتحققوا الخبر. وانظروا هل ان بونابرته مات ام بعده فى الحياة، وقولوا للمفسدين [أن] لايتأملون بهذا الامل. [فإن] بونابرته قد جاء سالماً غانماً باذن المالك العزيز، ولم يمت حتى يدوس جميع المماليك. فاجابوه: لا باس على امير الجيوش. لقد كذب كل من قال [ذلك] اطال الله لنا بقاك، ولا شمت بك اعداءك، وجعلنا من الدنيا فداك. وبالحقيقة كانت شاعت عنه تلك الاخبار، وفرحت اهل تلك الديار.

ثم دخل مصر بموكب شهير، ورآه الكبير والصغير. ومشت امامه جميع العساكر الفرنساوية، وحكام واعيان وعلماء واغاوات مدينة مصر المحمية. ودخل من باب النصر، بالعزّ والنصر، نهار الجمعة عاشر يوم من شهر محرم الحرام افتتاح سنة ١٢١٤ (٥٨). وكان يوما عظيما، وموكباً جسيما.

وحينما ولج بمنزله الكاين على بركة اليزبكية، كتب فرماناً باللغة الفرنساوية، وارسله الى ديوان العلماء، وامرهم ان يترجموه الى اللغة العربية، خطاباً من علماء الديوان الى ساير الاقاليم المصرية. ويطبعوه فى اللغة العربية، ويعلقوه على

شوارع القاهرة، ويفرقوه على جميع الاقاليم العامرة.

**وهذه هي صورة ذلك الفرمان**

**من محفل الديوان الخصوصى بمصر المحروسة، خطابا الى اقاليم مصر الشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والجيزة والبحرية.**

النصيحة من الايمان، قال الله تعالى فى محكم القرآن. فلا تتبعوا خطوات الشيطان.

وقال تعالى: لا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون فعلى العاقل ان يدبر الامور قبل وقوع المحذور.

نخبركم، يا معشر المؤمنين، انكم لاتسمعوا كلام الكذابين، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين. وقد حضر الى محروسة مصر المحمية، امير الجيوش الفرنساوية، حضرة بونابرته محب الملة المحمدية. ونزل بعسكره فى العادلية، سليماً من العطب والاسقام، شاكراً لله موحداً للملك العلام. ودخل الى مصر، من باب النصر، يوم الجمعة عاشر محرم سنة ١٢١٤ من هجرته عليه السلام، فى موكب كبير عظيم، بشنك جليل فخيم، وعسكر كثير جسيم، وصحبته العلما الازهرية، والسادات البكرية والعنانية، والدمرداشية والخضوية والاحمدية والرفاعية والقادرية، والاوجاقات السبعة السلطانية، وارباب الاقلام الديوانية، واعيان التجار المصرية.

وكان يوماً مشهوراً عظيماً لم يقع نظيره فى المواكب السابقة قديماً.

وخرجت سكان مصر جميعاً لملاقاته، فوجدوه هو الامير الاول بونابرته بذاته وصفاته. واظهر لهم ان الناس يكذبون عليه. وشرح الله صدره للاسلام ونظر الله بعين لطفه اليه. والذين اشاعوا عنه هذه الاخبار الكاذبة، العربان الفاجرة والغز الهاربة، ومرادهم بهذه الاشاعة هلاك الرعيّة، وتدمير أهل الملة الاسلامية، وتعطيل الامول الديوانية، ولا يحبون راحة العباد. قد ازال الله دولتهم من شدة ظلمهم.

وقد بلغنا ان الالفى توجه الى الشرقية مع بعض المجرمين من العربان والقبايل الفجرة المفسدين، يسعون فى الارض بالفساد وينهبون اموال المسلمين، ان ربك بالمرصاد. ويزوررون على الفلاحين مكاتيب كاذبة. ويدعون ان عساكر السلطان حاضرة. والحال ليس لها تحضير، فلا اصل لهذا الخبر، ولا صحة له ولا اثر. وانما مرادهم وقوع الناس فى الهلاك والضرر. مثلما كان يفعل ابراهيم بيك فى غزة، حين كان يرسل فرمانات بالكذب والبهتان، ويدعى انها من طرف السلطان. ويصدّقوه اهل الارياف خُسَفاء العقول، ولا يعتبرون بالعواقب فيقعون فى المصايب.

واهل الصعيد طردوا الغز من بلادهم خوفاً على انفسهم وهلاك اعيالهم واولادهم. فان المجرم يوخذ من الجيران. وقد غضب الله على الظلمة ونعوذ بالله من غضب الديان.

فكانوا اهل الصعيد احسن عقولاً من اهل البحرى، بسبب هذا الرأى السديد. ونخبركم ان احمد باشا الجزار سموه هذا الاسم لكثرة قتله الانفس، ولا يفرق بين الاخيار والاشرار. وقد جمع

طموش كثيرة من عساكر العثمانية، ومن الغز والعرب واسافل العريش. وكان مراده الاستيلاء على مصر واقليمها، واحبوا اجتماعهم عليه لاخذ اموالها وهتك حريمها. لكن لم تساعده الاقدار، والله يفعل ما يشاء ويختار. والطافه خفية والكلام على صفو النية.

وقد كان ارسل بعض هذه العساكر الى قلعة العريش، ومراده يصل الى قطية. فتوجه سارى عسكر امير الجيوش الفرنساوية بونابرته، وكسر عساكر الجزار الذين كانوا فى العريش، ونادوا الفرار الفرار، بعد ما حل باكثرهم القتل والدمار. وكانوا نحو ثلثين الف. وملك قلعة العريش، واخذوا ما فيها من ذخاير الجزار بلا خلاف.

ثم توجه السر عسكر الى غزة فهرب من كان فيها من عسكر الجزار، وفروا منه كما يفر من الهرة العصفور. ولما دخل قلعة غزة نادى فى رعيتها بالامان، وامر باقامة الشعائر الاسلامية، واكرام العلماء والتجار والاعيان.

ثم انتقل الى الرملة ، واخذ ما فيها من ذخاير الجزار من بقسماط ورز وشعير وقُرب، اكثر من الفين قربة عظام كبار، كان جهزها الجزار لذهابه الى مصر ولكن لم تساعده الاقدار.

ثم توجه الى يافا وحاصرها ثلثة ايام، ثم اخذها واخذ ما فيها من ذخاير الجزار بالتمام. ولنحوسه اهلها انهم لم يرضوا بامانه، ولم يدخلوا تحت طاعته وسلطانه وشموله احسانه فدور فيهم ضرب السيف من شدة غيظة وقوة سلطانه، وقتل منهم نحو اربعة الاف ويزيد بعد ماهدم سورها بفعل الله الذى يقول للشيء كن فيكون.

واكرم من كان فيها من اهالى مصر واطعمهم وكساهم، وانزلهم من المراكب، وغفرهم بعساكر خوفاً من العربان. واجزل عطاياه وكان فى يافا نحو خمسة الاف من عسكر الجزار فهلكوا جميعاً وبعضهم ما غاطاهم الا الفرار.

ثم توجه من يافا الى جبل نابلوس، فكسر من كان فيه من العساكر بمكان يقال له قاقون وحرق خمس قرايا من بلادها، وما قدره سبحانه فيكون. ثم اخرب سور عكا، وهدم قلعة الجزار التى كانت حصينة، ولم يبق فيها حجر على حجر. حتى انه كان قد بنا حصاراتها وشيد اسوارها فى نحو عشرين سنة، وظلم فى بنايها عباد الله، وكذا عاقبة الظالمين.

ولما توجهت اليه اهل بلاد الجزار من كل ناحية، كسرهم كسرة شنيعة، فهل ترى لهم من باقية. ونزل عليهم صاعقة من السماء، فان قال اهل الشام كما قلنا.

ثم توجه راجعا الى مصر المحروسة لاجل سببين:

الأول: انه اوعدنا برجوعه الينا باربعة اشهر والوعد عند الحر دين.

والسبب الثانى: انه بلغه ان بعض المفسدين من الغز والعربان يحركون فى غيابه الفتن والشرور فى بعض الاقاليم والبلدان.

فلما حضر سكنت الفتنة وزالت الشرور مثل زوال الغيم عند شروق الشمس وسط النهار. فان همته العلية واخلاقه المرضية متوجه، فى البكرة والعشية، لازالت [لإزالة] الفجور والشرور من

الرعيـة. [أ] وجد لمصر واقليمها شى عجيب، ورغبته فى الخير لاهلها ونيلها بفكره وتدبيره العجيب. يحب الخير لاهل الخير والطاعة، ويرغب ان يجعل فيها احسن التحف والصناعة.

ولما حضر من الشام احضر معه جملة اسارى من خاص وعام، وجملة مدافع وبيارق اغتنمها فى الحروب من الاعداء الاخصام.

فالويل ثم الويل لمن عاداه، والخير ثم الخير لمن والاه. فسلموا يا عباد الله لقضاء الله، وارضوا بتقدير الله، فان الارض لله. واقتبلوا احكام الله فان الملك لله يوتيه لمن يشاء من عباده. هذا هو الايمان بالله. ولا تسعوا فى سفك دماكم وهتك اعيالكم، ولا تسببوا فى قتل اولادكم ونهب اموالكم. ولا تقولوا ان الفتنة اعلا [ء] كلمة حاشا الله لم يكن فيها الا الخذلان وقتل الانفس وذل امة النبى عليه السلام. والغز والعربان يطغوكم ويغروكم لاجل ان ينهبوكم، اذا كانوا فى بلد وقدمت عليها الفرنساوية ففروا هاربين منهم كانهم جنود ابليس.

ولما حضر السارى عسكر الى مصر، أخبر اهل الديوان من خاص وعام انه يحب دين الاسلام، ويعظم النبى عليه السلام، ويحترم القرآن ويقرا به كل يوم باتقان. وامر باقامة شعاير المساجد الاسلامية، واجراء خيرات الاوقاف السلطانية، وسلم عوايد الا وجاقية، وسعى فى حصول اقوات الرعية. فانظروا هذه الالطاف والمزية، ببركة نبينا اشرف البراية. واوعدنا بامرين عظيمين فى الاسلام: انه يبنى لنا مسجداً عظيماً بمصر لا نظير له فى الاقطار، وانه يدخل فى دين النبى المختار عليه افضل الصلوة والسلام ختام.

السيد **خليل الكبرى** نقيب السادة الاشراف بمصر

الفقير **عبد الله الشرقاوى** ريس الديوان بمصر

الفقير **محمد المهدى** كاتم سر الديوان بمصر

الفقير **مصطفى الصاوى** خادم العلم بمصر

الفقير **سليمان الفيوى** خادم العلم بمصر

الفقير كتخدا باشا اختيار [مستحفظان] بمصر

**يوسف باشا جاويش** تفكجيان بمصر

السيد **احمد المحروقى**.

طبعت بمطبعة - الفرنساوية العربية. بمصر المحروسة.

وقد طبع هذا الفرمان ووزعه على الاقاليم المصرية. وكان ما ذكر فى هذا الفرمان عسنه قصده لتهذيب اخلافهم، وتليين اعناقهم، وترقيد الفتن والمشاجرات وعدم المناكرات. اذ كان عارفاً ما يورد عليهم من الحادثات. وانه مضطر الى الرحيل لما قد بلغه عن قيام الممالك. وانه سيترك الفرنساوية بمصر بكل ضيق وحصر. فلذلك كان يود المسلمين ويظهر لهم الحب اليقين، ويشهد لهم بحسن الدين، وانه واياهم على الحق المبين. وهم كانوا لهذا الكلام غير محققين. وان كل ذلك خداع ونفاق وابتداع، فكانوا غير مطمأنين.

هذه وهو غير فاتر عن مسالمتهم، وجذب قلوبهم ومؤانستهم. وكان يباحثهم بامور الدين، ويريهم انهم على الحق اليقين.

وكان مملوءاً من الحكمة والعلوم. وقيل انه كان يعلم بامور القلم الفلكى، اذ انه كان يتفوه بامور تحدث فى ميقاتها قبل اوقاتها. ويقول هو المنصوص على ظهوره فلا ينتظروا احداً بعده. وهو الذى يملا الارض عدلاً وقد حدّق كثيرون منهم أنه هو المهدى. ولم تتغير عليه سوى الملابس الافرنجية، فلو جاء بالفرجية لامنت به الرعية.

وقد كنا ذكرنا كلما جرى للفرنساوية فى ابتداء دخولهم إلى الديار المصرية فى نصف شهر محرم افتتاح سنة ١٢١٤، وما قضوا من المكافحات والجهاد والشرور والفساد. وقد مات منهم جمع غفير، وكابدوا تعبا كثيراً. واعداءهم الانكليز رابطين عليهم البواغيظ. ونفور البلاد وعدم ميلهم عليهم، ووصول الاذية اليهم. لان اهالى البلاد قتلوا منهم اناسا كثيرين بالانفراد، وكانوا يدخولنهم الى منازلهم بالامان ويقتلونهم ويخفونهم. وكانت الفرنساوية قلوبهم مطمأنة من قبل الاسلام، ولا ينقلون السلاح الا فى وقت الحرب والكفاح. وكانت نساء مصر وخوارجها كثيرة، فكانوا ياخذون الفرنساوية الى منازلهم الزاماً، ويقتلونهم ويرمونهم فى الابيار، ويخفون منهم الاثار. وقد فقد منهم كثيرون بهذه الوسايط والانكاد، ووقع كثرة منهم فى علة الجذام من ذلك الفساد. وذلك المرض وجوده كثيرة فى تلك البلاد.

وقد مات من الفرنساوية، من ابتدا دخولهم الى الديار المصرية، الى حين رجوعهم من الديار الشامية، ما ينوف عن خمسة عشر الفاً. وقل عددهم ولكن لم يضعف جلدهم. وكانوا، مع كل تلك الاحوال والبلاء والنكال، ما ازدادوا إلا قوة وباس وصعوبة ومراس، وحسن الشيم والعطا والكرم.

وكثر فى زمانهم، فى تلك الاقاليم، الرخص والخير العميم، وعدم الظلم والعدوان، واظهار العدل والايمان.

وكان، بعد رجوع امير الجيوش الى مصر، قد هرب القاضى [التركى] وترك اعياله فى البلد، فامر ان يرفعوا ولده الى القلعة، ويختموا على جميع ارزاقه. فاجتمعت العلماء وارباب الديوان، وكتبوا عرض حال يترجوا امير الجيوش بذلك الحال، وطلق ولده من القلعة، ورفع الضبط عن المال والعيال، فقبل سؤالهم وارثى لحالهم، واطلق الولد بشرط ان لا يقيم البلد، وصرفه فى ماله واعياله. ثم انه احضر شيخ العريش [الشيخ العريشى]، والبسه فرواً فاخراً ثميناً، واقامه قاضياً اميناً.

وفى شهر محرم الحرام افتتاح سنة ١٢١٤(٥٩)، ظهر فى اراضى البحرية [البحيرة]، عند دمنهور، رجل مغربى، وقيل انه سلطان الغرب [المغرب] فجمع من المغاربة والهواره والعربان والفلاحين جمعاً غزيراً، وقطع الطرقات فبلغ خبره الى حاكم الاسكندرية، فارسل اليه شرذمة من عسكر الفرنساوية وكبسوا عليه. وانتشر بينهم القتال، فانهزم ذلك المغربى بعسكره فى البرارى والتلال، ولم تزل الفرنساوية فى اثارهم حتى اهلكوا اكثرهم. وكان هذا الرجل يدعى النبوة، ويقول إنه حينما يلقى نظره على الكفار فيتلاشون

كالغبار. فكان الأمر [بضدّ] ذلك الاقرار. وقد جرّعوه كؤوس المهالك. وتشتت تلك الجموع، ورجعت الفرنساوية بالسكون والهجوع.

## [ ذكر الحرب بين بونابرت والعساكر العثمانية]

وفى اثنى عشر صفر ١٢١٤ هجرية(٦٠)، حضر هجان من الاسكندرية بكتابة الى امير الجيوش يخبره ان العمارة العثمانية ظهرت فى ثغر الاسكندرية، وعدتها ثمانون مركباً كباراً وصغاراً. وانهم لم يقدروا ان يستقبلوا البوغاظ من الكلل والقنابر الكثير فتعمّدوا [ذهبوا] الى قلعة ابو قير.

وكان وصول الهجان عند الغروب، وهو على صفرة الماكول والمشروب. فنهض بالحال كالمرعوب، وامر بحضور الخيل للركوب، وفرق الاوامر على الجنرالية، وامرهم ان يتبعوه بالعساكر الى الرحمانية.

وكتب الى الجنرال كليبر ان يحضر من دمياط على طريق البر، ثم ركب من ذلك المحضر بعسكره الخاص الذى يلبس الجوخ الاخضر، وسار على تلك النية حتى وصل الى اراضى الرحمانية. فاتاه الخبر من الاسكندرية ان المراكب العثمانية ملكت قلعة ابو قير وهربت منها الفرنساوية.

وان العساكر جميعاً خرجت الى البريّة، وبنوا بمساعدة الانكليز متاريس عظيمة فى تلك الاقطار، ووضعوا فوقها المدافع الكبار، وفرقوا البيورلديات على جميع تلك الديار. واستنهضوا للقيام الفلاحين والعربان واهل تلك البلدان، ولبسوا من مصطفى باشا الاكراك(٦١)، وابتهجت الاسلام بورد عسكر الاتراك.

وخشى امير الجيوش من قيام العامة من مصر وغيرهم من البلدان، فكتب فرمان الى علماء مصر وارباب الديوان يخبرهم بورود المراكب وخروج عساكرها الى البر، وانهم مراكب النصارى، ولكن ربما معهم بعض مسلمين.

وتعريفه بذلك استنادا على الفرمان الذى ورد من الدولة العثمانية الى الجزار والاقطار الشامية، حيث يقول: قريباً تحضر لكم الضونمما(٦٢) الهمايونية، مع ضونمما دولة المسكوبية المتحدة مع دولتنا بالحب الصدوقية. ويحضر لكم ايضاً عشرين الفاً مقاتل فى البر من الدولة القوية، غير العساكر البحرية، لاجل طرد الملة الفرنساوية.

وهذا الفرمان قد حضرت صورته الى امير الجيوش، واطلع عليه العلماء والاعيان واهل تلك البلدان،

ولاجل ذلك حرر امير الجيوش لهم ذلك الفرمان، لاجل ترقيد الفتن والهرج، وان تلك المراكب من النصارى الافرنج.

## وهذه صورة الفرمان نقلا عن المطبعة

من حضرة سارى عسكر امير الجيوش الكبير بونابرته، خطاباً الى ديوان مصر المحروسة. اوّله: لا اله الا الله محمد رسول الله. نخبر علماء الديوان بمصر، المنتخب من احسنهم واكملهم فى العقل والتدبير، عليهم سلام الله ورحمته وبركاته. بعد مزيد السلام عليكم وكثرة الاشواق اليكم، نخبركم، يا اهل الديوان المكرمين، اننا وضعنا جماعة من عسكرنا بجبل الطونا [الطرانه] وبعد ذلك سرنا الى اقليم بحيرية، لاجل ما نرد راحة

الرعاية المساكين، واقاصص اعداءنا المحاربين. وقد وصلنا فى السلام الى الرحمانية، وعفونا عفواً عمومياً عن كل اهل البحرية. حتى صار اهل الاقاليم فى راحة تامة ونعمة عامة. وسكنت الفتنة واطمأنت. ثم نخبركم انه وصل ثمانون مركباً، صغاراً وكباراً، حتى ظهروا بثغر الاسكندرية، وقصدوا ان يدخولها فلم يمكنهم الدخول لكثرة كلل والمدافع النازلة عليهم. فرحلوا عنها وتوجهوا إلى ناحية ابوقير وابدتوا ينزلوا فى بر ابو قير. وانا الان تركتهم وقصدى انهم يتكاملوا الجميع فى البر، وانزل عليهم واقتل من لا يطيع، واخلى فى الحيوة الطايعين، اتيكم بهم محبوسين، لاجل ان يكون فى ذلك شان عظيم فى مدينة مصر. والسبب فى مجى هذه العمارة الى هذا الطرف، العشم بالاجتماع على المماليك والعربان لاجل نهب البلاد وخراب الاقليم المصرى. وفى هذه العمارة خلق كثيرة من الموسكوب الافرنج الذين كراهتهم ظاهرة لكل من كان موحد الله، وعداوتهم واضحة لمن كان يؤمن برسول الله. يكرهون الاسلام ولا يحترمون القرآن. وهم، نظراً الى كفرهم فى معتقدهم، يجعلون الالهة ثلثة، وان الله ثالث تلك الثلاثة، تعالى الله عن الشرك. ولكن عن قريب يظهر لهم ان الثلثة لاتعطى القوة، وان كثرة الالهة لا تنفع لانها باطلة. بل ان الله الواحد هو الذى يعطى النصرة لمن يوحده، وهو الرحمن الرحيم المساعد الامين المعين، المقوى للعادلين الموحدين، المبعث الماحق رأى الفاسدين المشركين. وقد سبق، فى عمله القديم وقضاءه العظيم وتقديره المستقيم، انه اعطانى هذا الاقليم العظيم. وقدر وحكم بحضورى الى مصر لاجل تغيير الامور الفاسدة وانوع الظلم، وتبديل ذلك بالعدل والرحمة مع صلاح الحكم. وبرهان قدرته العظيمة، ووحدانيته المستقيمة، انه لم يقدر الذين يعتقدون ان الله ثلثة قوة مثل قوتنا، لانهم ما قدروا ان يعملوا الذى عملناه. ونحن المعتقدون بوحدانية الله، ونعرف انه العزيز القادر القوى القاهر المدبر الكاينات، المحيط علمه بالسماويات والارضيات، والقيام بامور المخلوقات. هذا ما فى الايات وبالكتب المنزلات. ونخبركم بالمسلمين إن كانوا صحبتهم يكونا من المغضوبين لمخالفتهم لوصية النبى عليه افضل السلام، بسبب اتفاقهم مع الخارجين الكفرة اللئام. لان اعداء الاسلام لا ينصرون الاسلام. ويا ويل لمن كانت نصرته فى اعداء الله يكون المنتصر كافر[اً] أو يكون مسلم [مسلما]، فهولاء ساقهم [سوء] التقدير الى الهلاك والتدمير، وكيف المسلم ان ينزل فى مركب تحت بيراق راية الصليب، ويسمع فى حق الله الواحد الاحد الفرد الصمد، من الكفار كل يوم، كلام تجديف واحتقار. ولا شك ان هذا المسلم فى هذا الحال اقبح من الكافر الاصلى فى الضلال.

منكم [عليكم] يا اهل الديوان ان تخبروا بهذا الخبر جميع القرايا والبلدان، لا جل ان يمتنع اهل الفساد من الفتنة بين الرعية، فى ساير الاقاليم المصرية. لان البلد الذى يحصل فيها الشر يحصل لهم الضرر والقصاص. وانصحوهم بحفظ انفسهم من الهلاك، خوفاً عليهم ان نفعل فيهم مثلما فعلنا فى اهل دمنهور وغيره من البلاء والشرور، بسبب سلوكهم مسالك القبيحة قاصصناهم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

**تحريرا فى رحمانية يوم الاحد فى ١٥ صفر سنة ١٢١٤[٦٣] طبع بمطبعة الفرنساوية العربية.**

ثم ان امير الجيوش، بعد ان تكامل عنده جيش الفرنساوية، سار من الرحمانية طالب قلعة ابو قير، وحرب ذلك الجمع الغفير والجيش الكثير. وحين فهم ان متاريسهم منيعة عالية، اخذ يدبر كيفية تملكها بحسن فطنته السامية. فاحضر الجنرال ميراد الذى كان من القوم الشداد وسارى عسكر الخيالة الجياد، وامره ان يهجم اولاً بالخيل، حتى اذا اطلقت الاعداء مدافعها فتصيب الخيل وتسلم الرجال، ثم تهجم طوابير المشاة، من اليمين واليسار، على المتاريس، ويملكوها فى الحال.

ثم اصطف الصفوف ودقت البوقات والطبول للحرب، [واستعد] الفريقان للطعن والضرب وبرز الجنرال ميراد بالخيل الشداد، وهجم على تلك العساكر بالفرسان الجواسر والليوث الكواسر. فضربت عليهم المدافع من متاريس الاتراك، فصابت الخيل وتساقطت من على ظهرها الرجال، واكثرهم بلى بالموت والنكال. والذى سلم ما خطر له الموت على بال، بل تقدم للحرب والقتال. وهجمت العساكر المشاة من اليمين والشمال. وعظمت الاهوال وكثر النكال. وذاقت الاسلام حرب لم يخطر لهم على بال. واخذهم الخوف والانذهال وايقنوا بالذل والوبال. وتملكت الفرنساوية المتاريس وابلوهم بالموت والتعكيس. وحاطوا بالاسلام من كل مكان، وابهتوهم بالضرب والطعان، والقطيعة والخذلان.

وحين رأت الاسلام ان ليس [لهم] نجاة، وايسوا من الحيوة، القوا السلاح طمعاً بسلام الارواح. وطلبوا الامان واختاروا الاسر والهوان. وصارت الفرنساوية تقبض عليهم باليد وهم فى عنا [ء] وكد. ولم يخلص من تلك القبايل لا فارس ولا راجل. بل اخذتهم الفرنساوية عن اخرهم. فمنهم قتل ومنهم أسر، ومنهم مثخن بالجراح. وكثير اجساد بلا ارواح. والذى منهم كان هارب لم يقدر يصل الى المراكب.

وهجم احد الصلدات على صيوان الوزير مصطفى كوسا باشا وقبض عليه، واراد قتله، فعرفه بنفسه، بعد ان كان ضربه بالسيف وجرحه بيده، فعفى عنه، واحضره الى قدام امير الجيوش، فترحب به، واخرج من جيبه منديل ثمين، وربط يد مصطفى باشا فيه، واجلسه بالقرب منه واكرمه غاية الاكرام.

ثم قبضوا ايضاً على عثمان خواجا، [و] هذا كان متسلم بزمان الغز على مدينة رشيد، ولما حضروا الفرنساوية هرب الى القسطنطينية، وحضر صحبة مصطفى باشا وحين حضر الى قدام امير الجيوش وفهم امره امر بحفظه.

وكان دخلت شرذمة من عسكر العثمانى الى قلعة ابو قير، ومعهم ابن مصطفى باشا، فامر امير الجيوش ان يضربوا عليه الكلل والقنابر. وبعد اربعة ايام سلموا بالامان، وقبضوا على ابن مصطفى باشا واحضروه قدام امير الجيوش، فامر ان ياخذوه الى خيمة ابوه بكل اكرام.

وكان امر امير الجيوش الى المجروحين من تلك العساكر ان ينزلوا بثلاث مراكب ويسافروا الى بلادهم، ويخبروا بحالهم وما جرى عليهم وما نالهم. وابقى الاسارى السالمين تحت الاسر المهين.

وغنمت الفرنساوية بهولا العساكر. اذ لم يخلص منهم احد سوى الذين سافروا مجروحين في المراكب. وكانت هذه الوقعة في اربعة وعشرين شهر صفر سنة ١٢١٤(٦٤)، وجمعوا اوليك الاسرى، وكانوا نحو ثلثة آلاف عدا عن تلك المجاريح الذين منّ عليهم امير الجيوش بخلاصهم، وسيرهم الى اعيالهم. وباقي تلك العساكر افنتهم الفرنساوية بالسيف الباتر والرصاص المتواتر.

وكان قد انجرح ميراد [Murat] جرحاً بليغاً بحنكه من رصاص اصابه، فاغتاظ لاجله امير الجيوش غيظاً عظيماً. وقُتل الجنرال تركو [Leturcl] مع مقدار ثلثماية صلدات.

وحين وقعت النصر على الاسلام، ارسل امير الجيوش يخبر القيمقام في الذى صار وما وقع من الانتصار، فعمل في مصر فرحة عظيمة ثلثة ايام، وكتب الى علماء الديوان يخبرهم بهذه البشارة الجليلة الشان.

صورة مكتوب الجنرال دوكا [Dugua] قيمقام امير الجيوش.

من حضر سارى عسكر الجنرال دوكا، قيمقام امير الجيوش بمصر حالاً، الى الاسلام وكافة ارباب الديوان.

بعد السلام عليكم وكثرة الاشواق اليكم، لا يخفاكم انه وصلني خبر صحيح بان العساكر الفرنساوية ملكت قلعة ابو قير في ١٥ شهر ترميدور الموافق الى ٢٤ شهر صفر سنة ١٢١٤(٦٥)، وأنهم استاسروا فيها ثلثة الاف نفر، ومن الجملة مصطفى باشا. وغاية ما وقع ان العمارة التي نزلت في ابو قير كانت بها عساكر خمسة عشر الف لم يخلص منهم احد، بل الكل تلاشوا وهلكوا. ثم اخبركم، عن لسان حضرة السارى عسكر الكبير بونابرته، انكم، في الحال، تُظهرون هذا الخبر بين الخاص والعام، وتشهروه في الاقاليم المصرية. فانه خبر فيه سرور وفرح. والزمكم انكم تعرفوني، في الحال، عن اشهار هذا الخبر الفاخر المعتبر. واخبركم ان حضرة السارى عسكر الكبير بونابرته يحضر اليكم عن قريب. والله تعالى يحفظكم. والسلام ختام.

**تحريرا في ٢٢ شهر ترميدور سنة السابعة لمشيخة الفرنساوية الموافقة إلى ٢ ربيع الاول سنة ١٢١٤(٦٦) طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر حالا.**

وامّا امير الجيوش بونابرته، [فقد] نهض بالجيوش من اراضي ابو قير الى الرحمانية، وارسل عثمان خوجا الى بندر رشيد، وامر بقتله هناك.

وحين تواردت الاخبار الى القاهرة بما جرى على العساكر العثمانية، فنزل على مسلمين مصر البلية، وخابت منهم تلك الاملية. وحزنوا حزناً عظيماً، [إذ] كان في املهم ان تملك الاسلام تلك الاقاليم.

وفي خامس شهر ربيع اول(٦٧) حضر امير الجيوش الى مصر، ودخل بالعز والنصر. وبليت اعداؤه بالذل والقهر. وصحبته مصطفى باشا وولده ماسورين مع جملة الاسارى.

وفي ثاني يوم من وصوله، حضرت لعنده جميع الحكام والعلماء والاعيان وارباب الديوان، وهنوه بقدومه وانتصاره فنظر اليهم بعين فراسته واعتباره، وقد وجدهم في حزن عظيم.

وقد بلغه الهرج الذى حدث بغيابه، وعزمهم عليه فى انقلابه، والكتابات التى اتت اليهم من مصطفى باشا وعثمان خوجا حين حضروا الى ابوقير، فقال لهم: قد اخذنى منكم العجب ايها العلماء والسادات، اذ اننى اراكم تغتمون وتحزنون من انتصارى. حتى الان ما عرفتم مقدارى. وقد خاطبتكم مراراً عديدة، واخبرتكم باقوال باننى انا مسلم موحد، واعظم النبى محمد واود المسلمين. وانتم الى الان غير مصدقين. وقد ظننتم ان خطابى هذا اليكم خشية منكم، مع انكم شاهدتم باعينكم وسمعتم باذنكم قوة بطشى واقتدارى، وحققتم فتوحاتى وانتصارى. فقولى لكم انى احب النبى محمد وذلك لانه بطل مثلى، وظهوره مثل ظهورى، بل وانا اعظم منه، اذ اننى غزوت اكثر منه. واما لى باقى غزوات غزيرة وانتصارات كثيرة، سوف تسمعونها باذانكم وتشاهدونها باعيانكم فلو كنتم عرفتمونى لكنتم عبدتمونى. وسوف ياتيكم زمان به تزلون، وعلى ما فعلتم تندمون، وعلى ايامنا تتحسرون وتبكون. فانا قد بغضت النصارى ولاشيت ديانتهم، وهدمت معابدهم وقتلت كهنتهم، وكسرت صلبانهم ورفضت ايمانهم. ومع ذلك اراهم يفرحون لفرحى ويحزنون لحزنى. فهل تريدون ان ارجع نصرانياً ثانياً [؟] فاذا رجعت فلا ترون فى رجوعى فايدة. فدعوا عنكم هذه الاحوال، واقتبلوا لامر الله المتعال، وكونوا فارحين مطمأنين ليحصل لكم النجاح والصلاح. وقد نبهتكم مراراً عديدة، ونصحتكم نصايح مفيدة. فان كنتم تعرفوها وتذكروها فتربحوا وتنجحوا، وان كنتم رفضتوها تخسرون وتندمون.

ثم انصرفت العلماء وهم منذهلين من هذا الخطاب، ومتعجبين كل الاعجاب. ولم يقدر أحد [أن] يرد له جواب. واسكن مصطفى باشا وولده وبعض اتباعه فى مسكن عظيم، وعين لهم المصاريف التى تلزم اليهم.

وابتدا يكاتب الدولة العثمانية عن يد مصطفى باشا، ويذكرهم صداقة الفرنساويين القديمة، واتحادهم مع الدولة العثمانية من اعوام عديدة وايام مديدة. ويحرصهم من باقى الدول الافرنجية، وان الاوفق لهم اقامة الفرنساوية فى مصر، وانه انسب من الغز، ويعاهدوا ان يكونوا طايعين والى اوامر الدولة سامعين، وتبقى الخطبة والسكة كما هى باسم الدولة العثمانية، ويمشى الحج كعادته القديمة، ويدفعوا الاموال المعتادة للخزينة.

وارسل مصطفى باشا هذا الخطاب مع احد اتباعه.

وابتدا امير الجيوش يدبر له امر النفوذ الى مدينة باريز، لان التهب فواده من تملك الانكليز.

وقد ذكرنا ان امير الجيوش بونابرته قد ارسل عثمان خوجا الى مدينة رشيد، وعندما وصل القوة فى السجن، وارسل الجنرال الموجود فى رشيد احضر عدة شهود اسلام، واستشهدهم قدام الديوان الخصوصى. فشهدوا له قدام القاضى والمفتى ان عثمان خوجا [كردلى] فى ايام مراد بيك، كان رجل ظالم، وهو الان مستوجب الموت. واخرج فتوى من جميع الاعيان، وامر ان يطوفوا به المدينة ويقتلوه. وارسل الفتوى الى جميع الاقاليم المصرية ليعلمهم بقتله.

**وهذه هى صورة الفتوى، حكم الشرع الشريف، الذى صدر من محكمة رشيد، دام جلالها، على عثمان خوجا. خطاباً الى حضرة الجنرال الحاكم فى البلد المذكورة، مؤرخ باربعة وعشرين من شهر ترميدور. سنة السبعة من اقامة الجمهور الفرنساوية، يعنى فى الثامن من ربيع الأول سنة ١٢١٤(٦٨).**

وصلنا مكاتيبكم بالامر اننا نستخبر ونكشف عن جميع الاعمال التى حدثت من طرف عثمان خوجا كردلى، وننظر إن كان حصل منه الشر اكثر من الخير. وبموجب هذا الامر، بحضور حضرة سيدنا شيخ الاسلام العالم المتورع الشريف احمد الخضارى مفتى حنفى، ونقيب الاشراف المكرم المحترم الشريف بدوى، وقدوة الاعيان الحاج احمد اغا السلحدار، والمكرم على شاوش كتخدا، وقدوة التجار احمد شحال، والمكرم سليم اغا، والمكرم ابراهيم الجمال، والشريف على الجمانى، والشيخ مصطفى ظاهر، والشريف ابراهيم سعيد، والمكرم محمد الخادم، والحاجى باشى سليمان، وبحضور جماعة المسلمين خلاف المذكورين اعلاه. ثم حضر رمضان حمودى، ومصطفى الجيار، واحمد شاوش، وعبدالله والحاج حسن ابو جوده، والحاج بدوى المقرالى، وعلى ابو زرازى، وبدوى دياب، وحسن عزب. وثبت من اقرارهم ومن شهاداتهم، ان عثمان الخوجا المذكور كان ظلمهم ظلماً شديداً بالضرب والحبس من دون حق، ونهب املاكهم. وخلاف ذلك سئل، من جماعة المسلمين الحاضرين فى المجلس، إن كان حصل من طرف عثمان خوجا الشر اكثر من الخير، فكلهم قالوا بلسان واحد: ان حصل من طرف عثمان خوجا الشر اكثر من الخير.

وبسبب ذلك انقطع راس عثمان خوجا حاكم رشيد سابقاً. مطابق لاصله ومعناه باسم حاكم رشيد الان.

**طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة**

## [ ذكر مغادرة بونابرت مصر خلسة الى باريس ]

ومن بعد حضور امير الجيوش الى مصر فى ١٢ ربيع الاول(٦٩) صنع مولد النبى حسب السنة الماضية، وعمل محفلاً عظيماً، واحضر مصطفى باشا وجميع العلماء والاعيان، وصنع وليمة عظيمة لها قدر وقيمة. واحضر الات الطرب والموسيقة.

ثم، بعد اربعة ايام، ركب بعسكره الخاص، واظهر انه يريد [ان] يدور على الاقاليم المصرية، لاجل تطمين الرعية. واخذ معه الجنرال اسكندر، وثلثماية من العسكر، والجنرال ميراد. وقصد مدينة منوف. ومن هناك انتقل الى الاسكندرية.

وبعد ايام وجيزة، دبر امر السفر، وهيا له ثلثة مراكب. وارسل لهم ليلاً عدة صناديق مملوة بالجواهر الثمينة والاسلحة العظيمة، والامتعة والقماش، والامور التى كان اكتسبها، وعدة من المماليك الصغار كان استخدمهم عنده، وزخرف اطواقهم وكساءهم.

وبعد ذلك التدبير، صنع وليمة عظيمة الى الجنرال سميث سر عسكر الانكليز. وكان، حين ارتفع الحصار عن الجزار، توجه بمراكبه الى تجاه الاسكندرية. ومن عادة الافرنج ان، فى الايام التى لم يكن فيها حروب، فليس فيه امتناع عن بعضهم بعض.

وحين حضر الجنرال سميث سارى عسكر الانكليز، وقدم له امير الجيوش غاية الاكرام، واعطاه هدايا جزيلة الثمن، ثم طلب بان ياذن له ان يرسل ثلثة مراكب صغار الى بلاد فرنسا، فاذن له بذلك.

وبعد رجوع سارى عسكر الانكليز الى مراكبه فى تلك الليلة، نزل بونابرته فى تلك المراكب بمن معه من الرجال، وخرج من البوغاظ بريح عاصف.

وفى ثانى الايام بلغ خبر مسيره الى الجنرال سميث، فعظم عليه ذلك الامر، واقلع بمراكبه فى طلبه، فلم يجد له خبر ولا رأى له اثر. ونجى منهم بحسن خبرته ومزيد فطنته وسمو حكمته. وقد استغنم الفرص وفر منهم كما يفر العصفور من القفص. وبقوة المولى العزيز نجى من أعداه الانكليز، ووصل الى مدينة باريز وخلص حاله بتدبير ذلك الامر. وكان نفوذه من عجايب الدهر. واستغرب اهل ذلك العصر. وقالت الناس ما ذلك إلا من غرايب الامور، ودليل على سعده المقدور. وكانت اقامته فى الديار المصرية اربعة عشر شهرا.

## [ ذكر تكليف الجنرال كليبر قيادة الجيش الفرنسى بمصر]

وكان، قبل نزوله فى المراكب، كتب الى الجنرال كليبر يعلمه بذلك التدبير، ويوعده ان يرسل له الاسعاف والامداد بعد وصله لتلك البلاد. وانه يكون قايم عوضه امير الجيوش. وكان وقتيذ فى مدينة دمياط.

وكتب ايضاً الى الجنرال دوكا القيمقام انه يكون كما كان من ذلك الاهتمام. وان يعلم اهل الديوان ليوزعوا الاعلام على الرعية بكل البلدان، ويكونوا كما كانوا بامان واطميان.

وكتب ايضاً الى جميع الجنرالية يعرفهم بذهابه، وكيف يتدبرون بعد غيابه. ويوصيهم بحفظ البلاد والسلوك مع العباد، ويوعدهم بالاسعاف والامداد، وانه قريباً يرجع اليهم بالعساكر الشداد والابطال الجياد. وجعل لهم الى رجوعه ميعاد، وهى اربعة اشهر تمام. واذا ابطئ عليهم بعد تلك الايّام، فلهم الاذن ان يسلّموا المملكة للاسلام بالصلح، ويجعلوا الاتفاق عن يد الانكليز، ويذهبوا الى مدينة باريز.

وعندما شاعت الاخبار فى تلك الديار والاقطار المصرية عن ذهاب امير الجيوش، فرحت اهل مصر، فحزنت الفرنساوية [وامر] الجنرال دوكا اصحاب الديوان ان يكتبوا الى ساير البلدان ويخبروهم بذلك الشان.

## صور الكتابات.

من محفل الديوان الخصوصى، خطاباً الى ساير الاقطار المصرية، من الاقاليم جهة القبلية والبحرية، وكامل الرعايا وفقهم الله.

نخبركم انه حضر الى الديوان مكتوب من حضرة الجنرال دوكا القيمقام، بان سارى عسكر بونابرته الكبير، امير الجيوش الفرنساوية، توجه الى البلاد الفرنساوية، لاجل حصول الراحة الكاملة الى الاقطار المصرية. وانه كان حضر له استعجال من الجمهور فى بلاده لطول غيابة واخبرنا السارى عسكر دوكا بان السر عسكر الكبير، قبل غيابه، اقام عوضه رجلاً كاملاً عاقلاً، فيه شفقة ورحمة عامة على الرعية، جعله اميراً على الجيوش

الفرنساوية. واخبرنا القيمقام اننا نكون فى غاية الامان والاطمئنان على ديننا ومتاجرنا واموالنا واسباب معاشنا، كما كنا فى زمان حضرة السر عسكر الكبير بونابرته. فننصحكم يا ايها الرعايا لا تطيعوا اهل الفساد، واتركوا الفتن والعناد، وامتثلوا امر خالق العباد. والسلام عليكم ختام.

الفقير السيد **خليل البكرى** نقيب الاشراف

الفقير **عبد الله الشرقاوى** رئيس الديوان

الفقير **محمد المهدى** كاتم سر الديوان

الفقير **مصطفى الصاوى** الشافعى

الفقير **سليمان الفيومى** المالكى

الفقير السيد **احمد المحروقى**

الفقير **على كتخدا مجرلى** باش اختيار

الفقير **يوسف باش شاوش** تفنكجيان

الفقير **لطف الله المصرى**

الفقير **يوسف فرحات**

الفقير **جبران سكروج**

الفقير **لومار**

الفقير **بودوف**

الفقير **ذو الفقار** كتخدار كوميسار الاسلام

نظر وعلم وكيل الفرنساوية **جلوتيه**

طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة.

ثم حضر الجنرال كليبر من دمياط الى بولاق، والتقاه القيمقام الجنرال دوكا وشيخ البلد الجنرال دوسطين. ودخل الى مصر بالعز والنصر. ونزل الى منزل امير الجيوش (هو بيت محمد بيك الالفى الكاين على بركة اليزبكية.

وفى ثانى الايام حضر اليه ساير الجنرالية والحاكم الفرنساوية والكوميسارية والفسيالية وهنوه بقدومه وامرته. وحضر علماء الديوان والاغاوات والوالى والمحتسب والتجار والاعيان وهنوه بقدومه، فالتقاهم بوجه باش، وامنهم وطمنهم وامرهم يطمنوا الرعية. فشملهم الاندهاش من هيبته والانذهال من صولته، اذ كان هذا المقدم اسداً درغام، ذا قوام واعتدال، مهاباً بالرجال، حسناً بالجمال، له صورة ترعش الكبود. وترعب الاسود. فنزلوا من امامه وهم فى خشية من كلامه.

وبعد ذلك حضر مصطفى باشا وولده وهنّوه بقدومه، فالتقاهم واكرمهم وجلس امير الجيوش كليبر على تخت القاهرة. وكان من القوم الجبابرة. وفحص الكتابات التى ابقاها له بونابارته، واطلع على جميع الارتشاد الذى ارشده به، وفهم الكتابات التى توجهت الى الدولة العثمانية على يد مصطفى باشا. فابتدا امير الجيوش كليبر يتداول مع مصطفى باشا بامر الصلح.

وكان قد انتشر الخبر فى خروج صدر الاعظم يوسف باشا ضيا المعدنى من مدينة قسطنطينية، بالعساكر الهمايونية، لاستخلاص المملكة المصرية من يد الفرنساوية. فوصلت الكتابات للامير كليبر من الصدر الاعظم عن يد مصطفى باشا كوسا، وكان خروج وزير الختام [الصدر الاعظم] من القسطنطينية فى شهر ربيع الاول سنة ١٢١٤(٧٠). وقد استكنت حركة مملكة مصر فى تمليك هذا الامير، وكان هو يحب الهدو والسكون، وعدم مقاتلة الناس. وميل الى التنعم

والتعظم وكانت الات الموسيقة تضرب امامه بكرة ومساءً. وكان جولانه قليلاً، وسقطت رعبته فى قلوب المملكة. وابقى هذا الامير جميع ما كان نظمه بونابارته فى الديار المصرية، من دون تغيير ولا تبديل.

وفى ايام جبر النيل، خرج امير الجيوش بمحفل عظيم مع ساير الجنود وقطان [سكان] القاهرة. وكانت ايام ظاهرة وافراح وافرة ومواكب فاخرة وامن عظيم وانس جسيم. وضرب فى تلك الوقت مدافع ليس لها عدد.

وبعد حضور الامير كليبر من دمياط اقام مقامه حاكماً، الجنرال. ورديه [فردييه] ففى هذه المدة، حضر نحو خمسين مركب من مراكب الدولة العثمانية الى ثغر دمياط مشحونة بالعساكر. وبعض مراكب من مراكب الانكليز المقيمين على البواغيظ. وكانت هذه المراكب المذكورة هى التى اتت الى بوغاظ الاسكندرية صحبة مصطفى باشا كوسا وعساكره. ولما طلعت العساكر الى بر ابو قير وحصل لهم ذلك الانكسار والتدمير، فاقلعت المراكب فى البحر، ورجعت جهزت جانب من العسكر، وحضرت الى بوغاظ دمياط. وعند وصولهم، اخرجوا العساكر من المراكب ليلاً الى العزبة.

فبلغ الجنرال ورديه [فردييه] بان عساكر المسلمين خرجت على البر وبنوا المتاريس، فنهض الجنرال المذكور وصار الى العزبة بخمساية صلدات. وقبل شروق الشمس اقبل عليهم، وقسم عساكره ثلثة اقسام، وهجم على عساكر الاسلام، وثارت نيران الحرب والقتال، وازدحمت الرجال والابطال، وحمى الضرب والطعان. وما مكثوا الا برهة من الزمان، حتى ذاقوا الموت اشكالا والوان. فارموا سلاحهم وطلبوا الامان. واكثرهم القوا انفسهم فى البحر، خوفاً من الموت والقهر والذل والأسر. فمنهم من صعد الى المراكب، ومنهم من مات غريق. وكانوا ثلثة الاف، فأسروا منهم ثمانماية بلا خلاف. ورجع اعظم افتخار. وكان قد قبضوا على مقدم ذلك العسكر وهو الدرناجى باشى، وكان مجروحاً جرحاً بليغاً. واحضر له الجنرال ورديه الحكماء وامرهم بمداواته.

واخبر امير الجيوش الامير كليبر بذلك الانتصار على ذلك العسكر، فلامه على عجلته عليهم بسرعة القدوم اليهم، وانه كان واجب امهال الى حين تخرج الجميع من المراكب، ويليهم بالهلاك والمعاطب.

ثم من بعد اربعة ايام، مات الدرناجى باشى من ذلك الجرح الاليم والقهر العظيم، فامر الجنرال ورديه ان يصنعوا له ميتماً عظيماً واحتفالاً فخيما كعادة رؤساء العساكر. واحضر علماء المدينة وساير الاعيان، وقواد العساكر وارباب الديوان، وامرهم يمشون قدّام نعشه وبندقهم منكسة. والبس الخيل الحلل السود، ودفنه باكبر الجوامع وافخر المواضع.

وفى آخر شهر ربيع الاول سنة ١٢١٤[٧١]، قدم الوزير الاعظم والدستور الافخم الى اراضى الشام بالعز والانعام، بالعساكر الكثير والجيوش الغزيرة. وارتجت لقدومه الاقطار، وخشيت سطوته الكبار والصغار. وكان وزيرا عادلاً عاقلاً فاضلاً، وعن امور الشريعة مناضلاً. يبغض الظلم

والعدوان، ويحب العدل والامان فامتلأت الارض من العساكر والعشاير، والجيوش والدساكر. وبادرت الى حكمته الامراء والحكام، والخاص والعام، واصحاب المقاطعات والاقاليم بالتحية والتسليم. وقدموا له الهدايا الفخيمة والذخاير العظيمة. ثم انتقل الى غزة بالاكرام والعزة، وصحبته الجيوش العظام، والباشاوات الفخام، والغز المصريين الذين كانوا من الافرنج هاربين، وعن ديارهم مطرودين. ونشر العدل والامان فى جميع القرايا والبلدان. وطمن الرعية وان يكونوا فى غاية الحمية، حسب الخطوط الشريفة العثمانية والهبات السلطانية. وكان قد طلب الجزار الى المسير اليه بعساكره القوية، فاعتذر عن الحضور، وتباين بالعصاوة والنفور. وامتنع عن تقديم الذخاير وارسال العساكر، وخالف الامر الشريف الفاخر. وبعد وصول الصدر الاعظم الى غزة، ابتدأت المراسلات من امير الجيوش الفرنساوية بالصلح والاتفاق، ورفع الشر والنفاق. وكان متعاطى تلك الامور مصطفى باشا كوسا، الماسور الذى ذكره تقدم وسبق، وسنذكر ان شاء الله كلما تم واتفق.

## [ ذكر المفاوضات لجلاء الفرنسيين عن مصر]

وكنا قد شرحنا ان امير الجيوش الامير كليبر قد تدبر، حسب ارشاد سالفه بونابارته، بالمراسلات عن يد مصطفى باشا، باقامة الفرنساوية بمصر حسبما قدمنا. وابت الدولة العثمانية ذلك، وقدم الوزير الاعظم عقد الصلح بشروط حقيقية وعهودات ملوكية، وان يسلم مملكة مصر المحمية، ويخرج بالعساكر الفرنساوية على حمية [بحماية].

وحين تحقق امير الجيوش عدم قبول الدولة العثمانية الى اقامتهم بالديار المصرية، اجاب الى اذهابهم بشروط امينة وعهود متينة. وارسل احضر الجنرال ديزه من الصعيد، وكان هذا سامياً فى المقام، صاحب عقل وتدبير، ومقام خطر. واحضر غيره من الجنرالات الكبار. وعقد ديوان وقص لهم الخبر، فنظر ان الاكثر لهم ميل الى السفر، لعدم الامداد وكثرة الاخصام والاضطهاد.

وقد خلص [أ] لميعاد الذى وعد به بونابارته. وحضر [ت] كتابات من الوزير، تهديد وتوعيد بالوبال والدمار، ان لم يخرجوا من تلك الديار. ويدهمهم بالرجال والابطال كالرمال، والسيل اذا سال، بفرسان جبابرة وسيوف باترة. وان يسلموا البلاد ويربحوا دماهم ودما العباد. وان لم يسمعوا نصيحته ولا يخشوا سطوته، فيحل بهم العدم، ويندموا حيث لا ينفع الندم.

فردّ عليه الامير كليبر الجواب: امّا قولك ان عساكرك مثل نجوم السماء فهذا حقيق معلوم، الا انها بعيدة عن طاعتك كبعد الارض عن النجوم. واما قولك انها كالرمال هذا ليس فيه محال، فهم كثيرون فى العدد قليلون على الصبر والجلد. وقلوبهم اصغر من حبة الرمل، وقوتهم اضعف من قوة النمل. واما عساكرنا الشداد، فهى قليلة التعداد، ولكنها قوية البطش فى الجلاد، قريبة الينا ودايما طوّع لدينا. فان دفعناها الى الموت تندفع، وان أردنا رجوعها ترجع، وان منعناها تمتنع. ونحن فى كل دقيقة من الزمان، مستعدين للحرب والطعان، وقهر الفرسان والشجعان، وقبول ما يقدر علينا العزيز الرحمان.

واستمرت الامور على هذا المنوال، والخوف منقسم بين الفريقين على كل حال. فلهذا جعل كل من الفريقين وسايط إلى الصلح والاصطلاح، وعدم النزاع والكفاح، وحقن دم العباد وعدم خراب البلاد. وكان وسيط بذلك مصطفى باشا كوسا، ما بين الامير كليبر وبين الوزير. ثم تقدم الى التوسط الجنرال سميث سر عسكر الانكليز القايم فى البحر ورابط البواغيظ.

وانعقد الاتفاق على ارسال شخصين من طرف الوزير الاعظم، وشخصين من طرف الامير كليبر، ان يتقابلا فى حدود العريش. وهناك تتواقع المفاوضات والمداولات، وتوضح الفرنساوية شروطاتها وربوطاتها [الشروط]. ثم توجه من طرف الوزير الاعظم مصطفى افندى الدفتردار ومصطفى افندى رئيس الديوان. وتوجه من طرف امير الجيوش الأمير كليبر الجنرال ديزه والكوميسار بوسلنج [Poussielgue]. وتقابلا الفريقان باراضى العريش، وابتدأت المداولة بين هولا الاربعة اشخاص، وقدمت الفرنساوية شروطها، وقدمت العثمانلى ربوطها. وكل من الفريقين يكتب ما يتوقع الى والى امره ويستنظر الجواب. والوزير فى ارض غزة.

## [ ذكر عملية قلعة العريش ]

وكان حينما تم ذلك الايراد، وشاعت اخبار الصلح بين العباد، تقدمت بعض عساكر الاسلام الى اراضى العريش، ونصبوا الوطاق قريب من القلعة. واما عساكر الفرنساوية الذين فى القلعة كانوا ثلثماية صلدات، وسر عسكر الجنرال غزال [جزال Gazal]. وبقى البعض من العساكر يتقدّمون إلى القلعة، ويخاطبون العساكر الصلدات ويعرفوهم فى الصلح الذى توقع فيما بينهم، وصارت الصلدات الفرنساوية تنزل من القلعة ويختلطون فى عساكر الاسلام. ووقع الوداد بين الجنرال غزال وبين مصطفى باشا ارناووط، فدعا الجنرال المذكور مصطفى باشا الى القلعة وصنع له وليمة عظيمة.

وحضر الباشا الى القلعة باناس قليلين العدد، وارشد عساكره ان، بعد دخوله الى القلعة، يهجمون هجمة واحدة على الباب، ويملكون القلعة ويقتلون من بها.

وكان داير القلعة خندق، واما الباب فجسر من خشب. وكانوا الفرنساوية يرفعوه ويضعوه فى الحبال.

وكان، من بعد دخول مصطفى باشا من باب القلعة هجمت اوليك العساكر بضجيج عظيم على الباب، فلم يعد يمكن الفرنساوية ان يرفعوا الجسر عن الخندق، ودخلت العساكر الى القلعة، ودار السيف بينهم. وعندما نظرت الفرنساوية هذه الخيانة، سارع احد الصلدات الى جبخانة البرود والقى فيها النار، وطلعت الجبخانة والناس متزاحمة، وطارت تلك العوالم. ويا لها من ساعة كانت مهولة اذ قد احترق بها خلق ما له عدد من العساكر العثمانية والصلدات الفرنساوية. وسقط حيط القلعة الى ناحية الباب. ومات مصطفى باشا حريقاً بالنار. ولم يبق من الفرنساوية سوى نحو ماية نفر، فتراكمت العساكر وقبضوا عليهم.

وحضرت الاخبار الى امير الجيوش كليبر فيما جرى على الفرنساوية الذين فى قلعة العريش.

فاخذه العجب واشتد به الغضب، ونبه على العسكر باخذ الاهبة للسفر. واحضر مصطفى باشا كوسا، واخبره بما جرى وتدبّر على عسكره من الموت والضرر. وشرح له غدر الاسلام وخيانتهم وعدم امانتهم. فتصاعب الامر عليه وكبر ذلك لديه، وقال له: على موجب هذا الاسلوب كيف تامن منا القلوب.

فبدا مصطفى باشا يقدم له الاعتذار ويطرد من قلبه النار، ويدعى جهل عساكرهم وعدم طاعتهم الى اكابرهم. ويلطف له الحادثة، ويتمناه ان لا يجعل الامور ناكثة. وكان امير الجيوش لم يزل مصراً على الركوب ومستعداً للحروب

وفى مبادى شهر شعبان سنة ١٢١٤ (٧٢) ركب من مدينة مصر الى مدينة بلبيس بالصالحية بعدة عساكر قوية.

وقبل خروجه من الكنانة احضر العلماء وارباب الديوان وباقى الحكام والاعيان، واوصاهم على الصيانة وعدم الخيانة، ورفع البلابل والقلاقل، وحفظ الديار من القوم الاشرار، ويوعدهم بالدمار والدثار إن كانوا يذكرون عوايدهم السابقة، ويتبعون الرأيات المنافقة والمشاقة. فتضمنت له العلماء والاعيان بهدؤ الرعايا وعدم الافتتان.

وسار من مدينة القاهرة وشرار الغضب فى فواده ظاهرة، وتنفسات الصعداء من احشائه طايرة.

## [ تقاعس العسكر الفرنسى عن المحاربة ]

وعندما وصل الى ارض الصالحية، بدأ يختبر العساكر [الفرنساويه] بفطنته الذكية، فوجد قلوبهم منقسمة ووجوهم غير مبتسمة. ونفوسهم قلقانة ومن النفور ملانة. وقلوبهم الى السفر ظمأنة. ومتحسرين من نفور اهل الكنانة وخاشين من الخيانة.

وقد كان اخبره حاكم مدينة بلبيس انه طلب الصلدات الى المسير فامتنعوا.

ثم اخبروه ايضا ان الجنرال ڤرديه، حاكم مدينة دمياط، انه دقّ طبول المسير الى اراضى قطية حسب امر امير الجيوش، فامتنعت الصلدات وأبدت التنكير وابت عن المسير.

فقلق الجنرال قلقاً عظيماً، اذ كان ذلك ضد عوايد العساكر الفرنساوية.

ثم بلغه ايضاً، من حاكم مدينة الاسكندرية، ان الصلدات الفرنساوية نهضوا على بعض الكوميسارية المسافرين بامر امير الجيوش الى البلاد الافرنجية، ومنعوهم عن السفر بالكلية. وقالوا لهم: نحن نظيركم بالسوية وبالحرية، ومن المحال ان ندعكم تسيروا بهذه الاموال، ونحن نقاسى الوبال والنكال. إما اننا نسير سوية، وإما نمكث سوية.

وبلغه ايضاً ان احد الجنرالية، وهو جايز فى اراضى طنطه، مقام السيد البدوى عليه اشرف السلام المشهور فى اراضى مصر، خرجت عليه شرذمة من العربان والفلاحين، وكان صحبته ثلثة الاف صدات، فلم يرضوا يحاربوهم.

وحينما تواردت الاخبار الى امير الجيوش بذلك الديوان، وعلم ذلك الشان، واتضح لديه بان قلوب الفرنساوية غير مستوية، فكتم ذلك بسره، وعمل على الصلح والتسليم.

هذا ما كان من الفرنساوية. واما ما كان من صدر الدولة العثمانية، انه كان باذل جهده باخراج الفرنساوية من المملكة المصرية، من غير حرب ولا قتال، احتساباً مما يعلمه من بطشهم فى الجدال، وقوة باسهم وشدة مراسهم وعدم اكتراثهم.

ومخافة على خراب البلاد وهلاك العباد وتلاف الاجناد. فلذلك ما سوه اخذ قلعة العريش بالسيف، ولما حل بعسكره من الحيف، بذلك الحريق الفظيع والامر المريع. فكان يُريهم الحرب والمصادمة، ويتهددهم بالاوامر الصارمة. واما قصده ومرامه بان يخرجوا بالسلام، وتستخلص دار الكنانة. وكان هذا هو الصواب، لان الفرنساوية من اصعب القوم الصعاب، وحربهم مر العذاب. وكانوا قد تمكنوا القلع المكينة والحصون المتينة والاقاليم والمدينة. ويعلم بان حروبهم كثيرة ومقاومتهم خطيرة. فلذلك كان يرغب امر الصلح.

وقد كان كل من الفريقين مقصوده الامن والنجاح، والتقريب والايلاف. وتدبير الامور من غير خلاف. ورفع الخصام وبلوغ المرام. فولجت الوسايط بعقد الرباط، ورجعوا على ما كانوا عليه من الارتباط، وتوفيق الشروط وتمكين العقد المربوط.

وما زالوا يثبتوا اشياء وينكروا اشياء، ويقبلوا اشياء ويرفضوا اشياء، حتى تمّت الموادّ وحصل المراد. واتّفقت الامور على خروج العسكر الفرنساوى من مملكة مصر بالصلح والامان، وتسليم الديار المصرية لدولة آل عثمان، على شروط وثيقة وعقود حقيقية. وامضى عليها الامير كليبر ووزيره الجنرال داماس، ثم الجنرال ديزه، ثم بوسلنج مدبر الحدود. وامضى عليها الوزير الاعظم، والدفتردار رشيد، ومصطفى افندى رئيس الكتاب. وكل من الفريقين اخذ نسخة الشروط. وارسل الوزير الصورة إلى الدولة العلية، وارسل ايضاً الامير كليبر الصورة الى مدينة باريز الى المشيخة الفرنساوية. وهذه الصورة:

## [ذكر شروط الصلح بين فرنسا والباب العالى]

ان الجيش الفرنساوى بمصر عندما قصد ان يوضح ما فى نفسه من الشوق لحقن الدما ورأى نهاية الخصام المضر الذى حصل ما بين المشيخة الفرنساوية والباب الاعلى، ارتضى ان يسلم الاقليم المصرى بحسب هذه الشروط الاتى ذكرها، بامل ان فى هذا التسليم يمكن ان يتجدد ذلك الصلح العام فى بلاد الغرب قاطبة:

### الشرط الاول

ان الجيش الفرنساوى يلزمه ان يتنحى بالاسلحة والعزال والامتعة إلى الاسكندرية ورشيد وابوقير لاجل انه يتوجه وينتقل بالمراكب الى فرانسا ان كان ذلك فى مراكبهم الخاص أم فى تلك المراكب التى يقتضى للباب العالى ان يقدمها لهم قدر الكفاية ولاجل تجهيز المراكب المذكورة باقرب نوال وقد وقع الاتفاق ان من بعد مضى شهر واحد من تقرير هذه الشروط يتوجه الى قلعة الاسكندرية واحد من الباب العالى وصحبته خمسون نفراً.

### الشرط الثانى

لابد عن المهلة وتوقيف الحرب بمدة ثلثة اشهر بالاقاليم المصرية، وذلك من عهد امضاء شروط هذا الاتفاق. وإذا صادف الامر ان هذه المهلة قد تمت من قبل ان المراكب الواجب تجهيزها من قبل الباب العالى تحضر مجهزة فى المهلة المذكورة، فيقضى مطاولتها إلى ان ينجز الرحيل على التمام والكمال. ولمن الواضح انه لا بد عن اصراف الوسايط الممكنة من قبل الفريقين، لكيلا يحصل

ما يمكن وقوعه من السجس. اذ كان ذلك الى الجيش ام لاهل البلاد، اذا كانت هذه المهلة قد حصل الاتفاق بها لاجل الراحة.

## الشرط الثالث

فرحيل الجيش الفرنساوى يقتضى تدبيره بيد الوكلاء المنقامين لهذه الغاية من الباب الاعلى وسارى عسكر كليبر. واذا حصل خصام ما بين الوكلاء المذكورين بوقت الرحيل، بهذا الصدد ينتخب من قبل حضرة سميث، سارى عسكر الانكليز، رجل ينهى المخاصمات المذكورة بحسب قواعد السياسة الحربية السالكون عليها ببلاد الانكليز.

## الشرط الرابع

فقطية والصالحية فلا بد عن خلوصهما من جيش الفرنساوية فى ثامن يوم، واعظم ما يكون فى عاشر يوم، من امضا الشروط والاتفاق. ومدينة المنصورة يكون خلوها من بعد خمسة عشر يوم. واما دمياط وبلبيس من بعد عشرين يوم. واما السويس فيكون خلوها بستة ايام قبل مدينة مصر. واما المحلة الكاينة فى الجهة الشرقية من بحر النيل فيكون خلوها فى اليوم العاشر. والضليطة [الدلتا] اى اقليم البحرية فيكون خلوها بخمسة عشر يوم بعد خلو مصر. والجهة الغربية [من النيل] لا بدّ انها تستمر بيد الفرنساوية الى ان يكون انحدر العسكر من جهة الصعيد فلهذا السبب جهة الغربية وتعلقاتها، كما ذكر، لا يتيسر خلوها الا من بعد انقضاء وقت المهلة المعينة، ان لم يمكن قبل الميعاد. والمحلات التى تترك من الجيش تسلم الى الباب الاعلى كما هى حالها الان.

## الشرط الخامس

ان مدينة مصر، ان امكن ذلك، يكون خلوها باربعين يوماً، واكثر ما يكون مدة خمسة واربعين يوما من امضاء الشروط المذكورة.

## الشرط السادس

انه لقد وقع الاتفاق صريحاً على ان الباب الاعلى يصرف كل اعتناه فى ان الجيش الفرنساوى الموجود فى الجهة الغربية من بحر النيل، عندما يقصد الذهاب بكامل ما له من السلاح والعزال نحو معسكرهم، لا تصير عليه مشقة ولا احداً يشوش عليه. ان كان ذلك مما يتعلق [بشخص] كل واحد منهم ام بامتعته أم باكرامه [كرامته]، وذلك إما من قبل اهل البلاد ام من جهة العسكر السلطانى العثمانى.

## الشرط السابع

وحفظا لاتمام الشرط المذكور اعلاه، وملاحظة لمنع ما يمكن وقوعه من الخصام والمعاداة. فلا بد من استعمال الوسايط فى ان عسكر الاسلام يكون دايماً مبتعداً عن عسكر الفرنساوية.

## الشرط الثامن

من بعد تقرير وامضاء هذه الشروط، فكلمن كان من الاسلام ام من باقى الطوايف، من رعايا الباب الاعلى بدون تمييز الاشخاص، اوليك الواقع عليهم الضبط ام الذين واقع عليهم الترسيم، فى بلاد فرانسا ام تحت امر الفرنساوية بمصر، يعطى لهم الاطلاق والعتق. وبمثل ذلك كل الفرنساويين فى كامل البلدان والاساكل

من مملكة العثمانية، وكل كامل اوليك الاشخاص من اى طايفة كانت. اوليك الذين كانوا فى تعلق خدمة المراسلات والقناصل الفرنساوية لا بد عن انعتاقهم.

## الشرط التاسع

فترجع الاموال والاملاك المتعلقة بسكان البلاد والرعايا من الفريقين، ام مبلغ اثمانها، لاصحابها. فيكون الشرع به حالاً من بعد خلوص مصر. والتدبير فى ذلك يكون بيد الوكلاء فى اسلامبول، المقيمين من الفريقين لهذا القصد.

## الشرط العاشر

فلا يحصل التشويش [لاحد] من سكان الاقاليم المصرية من اى ملة كانت، وذلك فى اشخاصهم ولا فى اموالهم. نظراً الى ما يمكن ما يكون قد حصل من الاتحاد ما بينهم وبين الفرنساوية بزمان اقامتهم بمصر.

## الشرط الحادى عشر

لابد انه يُعطى للجيش الفرنساوى، ان كان من قبل الباب الاعلى او من قبل المملكتين المرتبطتين معه، اعنى به مملكة الانكليز والمملكة المسكوبية، فرمانات الاذن واوراق المحافظة بالطريق. وبمثل ذلك السفن اللازمة لرجوع الجيش المذكور بالامن والامان الى بلاد فرانسا.

## الشرط الثانى عشر

عند نزول الجيش الفرنساوى الكاين بمصر الان، ان الباب الاعلى وباقى الممالك المتحدة معه، يعاهدون باجمعهم انه: من وقت ينزلون بالمراكب الى حين وصولهم الى اراضى فرانسا. لا يحصل عليهم شىء قط من الضرر. فحضرة الجنرال كليبر سارى عسكر العام يعاهد من قبله، وصحبته الجيش الفرانساوى الكاين بمصر بانه لا يصدر منهم ما يأول الى المعاداة على الاطلاق، ما دامت المدة المذكورة، وذلك لا ضد العمارة ولا ضد بلدة من بلدان الباب الاعلى وباقى الممالك المرتبطة معه. وكذلك ان السفن التى يسافر بها الجيش المشار اليه ليس لها ان ترسى فى حد من الحدود الا بتلك التى تختص باراضى فرانسا، اذا لم يكن ذلك فى حادث ضرورى.

## الشرط الثالث عشر

ونتيجة ما توقع عليه من [الاعمال] المشروط اعلاه، بما يلاحظ خلو الاقاليم المصرية، والجهة التى وقع عليها هذا الاشتراط. فقد اتفق على انه، اذا حضر، فى بحر هذه المدة المذكورة، مركب من بلاد فرانسا بدون معرفة غلايين الممالك المتحدة، ودخل بميناء الاسكندرية. فلازم عن سفر حالاً، وذلك بعد ان يكون تحوج بالماء والزوادة اللازمة، ويرجع الى فرانسا وذلك بسندات واوراق الاذن من قبل الممالك المتحدة. واذا صادف الامر ان مركباً من هذه المراكب يحتاج الى الترقيع فهذا لاغير يباح له بالاقامة الى ان ينتهى اصلاحه وفى الحال من ثم يتوجه الى بلاد فرانسا، نظير الذين قد تقدم القول عنهم، عند اول ريح يوافقه.

## الشرط الرابع عشر

وقد يستطيع حضرة الجنرال كليبر سر عسكر العام ان يرسل خبر الى ارباب الحكام الفرنساوية فى الحال. ومن يصحب هذا الخبر لا بد ان [يعطى] له اوراق الاذن بالانطلاق. كما يعتنى

ليسهل بهذه الواسطة وصول الخبر الى الحاكم بفرانسا.

## الشرط الخامس عشر

واذ قد اتضح ان الجيش الفرنساوى يحتاج الى المعاش اليومى، ما دامت الثلثة اشهر المعينة نحو الاقليم المصرى، وكذلك لمعاش الثلثة الاشهر الاخيرة التى يكون مبتداها من اول نزولهم بالمراكب. فقد وقع الاتفاق على انه يقدم له مقدار ما يلزم من القمح واللحم والرز والشعير والتبن، وذلك بموجب القايمة التى تقدمت الان من وكلاء الجمهور الفرنساوى، ان كان ذلك مما يخص اقامتهم او ما يلاحظ سفرهم. والذى يكون قد اخذه الجيش المذكور مقدار ما كان، وذلك من بعد امضاء الشروط، فينحسم مما قد الزم ذاته بتقدمه الباب الاعلى.

## الشرط السادس عشر

ثم ان الجيش الفرنساوى، منذ ابتداء وقوع امضاء هذه الشروط المذكورة، ليس له ان يفرض على البلاد فرضا [ضريبة] من الفرايض قطعاً بالاقاليم المصرية وبالعكس فانه يخلى للباب الاعلى كامل فرض المال وغيره، مما يكن [قد] قبضه، وذلك الى حين سفرهم. ومثل ذلك الجمال والهجن والجبخانة والمدافع، وغير ذلك مما يتعلق بهم ولا يريدوا ان يحملوه معهم. ونظير ذلك شون الغلال الواردة لهم من تحت المرى [مال الميرى]. واخيراً مخازن الخرج فهذه كلها لابد عن الفحص عنها وتسعيرها من، وكلاء موجهين من قبل الباب الاعلى لهذه الغاية، ومن الجنرال الانكليز، وايضاً من الوكلاء المتصرفين بأمر الجنرال كليبر سارى عسكر. وهذه الامتعة لابد عن قبولها من وكلاء المتقدم ذكرهم، بموجب ما وقع عليه الشرط، الى حد قدر مبلغ ثلاث الاف كيس التى تقتضى الى الجيش الفرنساوى المذكور، لسهولة انتقاله عاجلاً ونزوله بالمراكب. وان كانت الاسعار فى هذه الامتعة المذكورة لاتوازن المبلغ المرقوم اعلاه، [فان] الخسس والنقص فى ذلك لابد عن دفعه فى التمام من قبل الباب الاعلى على جهة السالفة التى يلتزم بوفايها ارباب الاحكام الفرنساوية باوراق التمسكات المدفوعة من الوكلاء المعينين من الجنرال كليبر سر عسكر العام لقبض واستيلاء المبلغ المذكور.

## الشرط السابع عشر

ثم انه، اذ كان تقتضى الجيوش الفرنساوى ببعض المصاريف لخلوهم مصر، فلا بد ان يقبض ذلك، من بعد تقرير مسك الشروط المذكورة، القدر المحدود اعلاه بوجه الذى نذكره، اعنى: من بعد مضى خمسة عشر يوم خمسماية كيس. وفى غلاقة ثلثين يوم خمسماية كيس اخرى. وتمام الاربعين يوم ثلاثماية كيس اخرى. وعند كمال الخمسين يوم ثلاثماية كيس اخرى. وفى الستين ثلاثماية كيس اخرى. وفى السبعين يوم ثلاثماية كيس اخرى. وفى الثمانين يوم ثلاثماية كيس اخرى. وعند غلاقة التسعين يوم خمسماية كيس اخرى. وهذه كل الاكياس المذكورة هى عن كل كيس خمسماية قرش عثملى. ويكون قبضها من يد الوكلاء المعينين لهذه الغاية من قبل الباب الاعلى. ولكى يسهل اجراء العمل بما وقع الاعتماد، فالباب الاعلى، من بعد وضع الامضاء

بالنسختين من الفريقين، يوجه حالا: الوكلاء الى مدينة مصر وفى بقية البلاد المستمرة بها الجيوش.

## الشرط الثامن عشر

ثم ان فرض المال الذى يكون قد قبضته الفرنساوية، من بعد تاريخ تحرير الشروط المذكورة، وقبل ان يكون قد اشتهر هذا الاتفاق فى الجهات المختلفة بالاقاليم المصرية، فقد تنحسم [تخصم] من قدر الثلاثة الاف كيس المقدم القول عنها.

## الشرط التاسع عشر

ثم، لكى يسهل خلو المحلات سريعا، فالنزول للمراكب الفرنساوية المختصة بالحمولة الموجودة فى المين [المواني] والاقاليم المصرية مباح به ما دامت الثلاثة اشهر المذكورة المعينة للمهلة، وذلك من دمياط ورشيد حتى الى الاسكندرية، ومن الاسكندرية حتى الى رشيد ودمياط.

## الشرط العشرون

فمن حيث انه للاطمينان الكلى فى جهة البلاد الغربية [اوربا]، يقتضى الاحتراس الكلى لمنع الوبا والطاعون عن انه يتصل هناك فلا يباح ولا لشخص من المرضى، او من اوليك الذين مشكوك بهم ريحة من هذا الداء الطاعونى، ان ينزل بالمراكب. بل ان المرضى بعلة الطاعون او بعلة اخرى اينما كانت، التى بسببها لا يقتضى ان يسمح بصرفه بمدة خلو الاقاليم المصرية الواقع عليها الاتفاق، يستمرون فى بيمارستانات المرضى، حيث هم تحت امان جناب الوزير الاعظم. ويعالجونهم الاطباء من الفرنساويين، اوليك الذين يجاورونهم بالقرب منهم، الى ان يتم شفاهم، يسمح لهم بالرحيل. الشى الذى لابد منه اقتضا الاستعجال به باسرع ما يمكن. ويحصل لهم ويبدو نحوهم بما ذكر فى الشرطين الحادى عشر والثانى عشر فى هذا الاتفاق نظير ما يجرى على باقى الجيش. ثم أن أمير الجيوش الفرنساوى يبذل جهده فى إبراز الأوامر بأشد [صرامة] لرؤساء العساكر النازلة بالمراكب. بان لهم من رؤساء الاطباء. تلك المين التى يتيسر لهم بها ان يقضوا ايام الكارنتينا باوفر سهولة، من حيث انها من مجرا العادة ولا بد عنها.

## الشرط الحادى والعشرون

وكلما يمكن حدوثه من المشاكل التى تكون مجهولة ولم يمكن الاطلاع عليها فى هذه الشروط، فلا بد عن انجازها بوجه الاستحباب ما بين الوكلاء المعينين لهذا القصد، من قبل جناب الوزير الاعظم وحضرة الجنرال كليبر سارى عسكر العام، بوجه يسهل ويحصل الاسراع بالخلو.

## الشرط الثانى والعشرون

وهذه الشروط لاتعد صحيحة الا من بعد اقرار الفريقين وتبديل [تبادل] النسخ، وذلك ثمانية ايام. ومن بعد حصول هذا الاقرار، لابد من حفظ هذه الشروط وحفظ اليقين من الفريقين كليهما.

تم صح وتقرر بختوماتنا الخاصية بنا بالمعسكر، حيث وقعت المداولة بحد العريش، فى شهر بلوبوز سنة الثامنة من اقامة المشيخة الفرنساوية، وفى رابع وعشرين شهر يناير سنة ١٨٠٠ المسيحية الواقع فى ثمانية وعشرين من شهر شعبان هلالى سنة ١٢١٤ للهجرة.

## وهذه اسماء الوكلاء الممضين

مصطفى افندى ريس الكتاب

بوسلنج مدبر الحدود

الجنرال داماس

جناب مصطفى رشيد افندى دفتردار

ممضى الجنرال كليبر

صحح وجرى بمحل المعسكر العام بالصالحية.

## [ ذكر ما جرى بعد ذلك بين الانكليز والفرنسيين والعثمانيين ]

ثم ان الجنرال كليبر، من بعدما امضى على الشروط المقدم ذكرها، نهض من ارض الصالحية ورجع الى القاهرة، وارسل صورة الشروط الى المطبعة الفرنساوية وطبعها فى العربية، وارسلها الى الديوان الخصوصى بمصر، وهو ديوان العلماء. وشاع خبرها فى ساير الاقاليم المصرية، وصار فرح عظيم عند الملة الاسلامية باستنقاذ مصر من يد الفرنساوية ورجوعها الى الدولة العثمانية. وبدا الامير كليبر امير الجيوش يجمع العساكر من الاقاليم ويرسلها الى بندر رشيد والى الاسكندرية.

وفى هذه الفترة، عزم على السفر الجنرال ديزه وبوسلنج مدبر الحدود. وسافر ايضاً عدة جنرالية وكوميسارية، والجنرال دوكا والجنرال ويال وغيرهم. وهولا جميعهم اتفقوا يبيعوا خيولهم واثقالهم، ويستحضرون لما يلزمهم فى الطريق.

واما ما كان من الوزير الاعظم، فانه، من بعد ما مضى الشروط المقدم ذكرها، ارسل فرمان الى مصطفى باشا كوسا انه يكون قيمقامه فى القاهرة الى ان يحل ركابه السعيد.

ثم ارسل فرماناً للتاجر المعروف بمصر باحمد المحروقى، وانه يكون مباشر مع مصطفى باشا امور مدينة مصر واقطارها.

ثم ارسل صورة الشروط الى الباب الاعلى، وطلب مراكب لسفر الفرنساوية من الاسكندرية حكم الشروط المحررة. وصار فى مدينة القسطنطينية فرحاً عظيماً، وامر السلطان سليم بزينة عظيمة، وضربت المدافع الكثيرة، وبدت تتجهز المراكب وتوسق البضايع من القسطنطينية وغيرها لمصر والى الاسكندرية، وسياتى عنها النص.

وشاع اخبار هذا الصلح فى ساير الاقطار وكامل الامصار، وكان فرح عظيم وسرور جسيم وانتشرت الاعلام فى اراضى الشام، وكان عند الاسلام الفرح التام.

وبدا الوزير الاعظم يتقدم بالجيوش والعساكر، وكلما اخلت الفرنساوية محلاً من البلاد يرسل له العساكر والاجناد.

ومازال الوزير يتسلم من الفرنساوية القلع والحصون والبلدان العامرة، الى ان صار بالقرب من القاهرة وحضر اليه الامير مراد بيك الذى كان مقيم فى اراضى الصعيد ومعه جملة من السناجق والكشاف، واكرمه الوزير واعطاه ولمن معه، وكان قد تضايق من طول الغربة. وترادفت العساكر العثمانية والجيوش السلطانية، وامتدوا الى مدينة بلبيس والى العادلية، وبقوا مسافة ثلاث ساعات عن القاهرة بالجيوش الوافرة والعساكر المتكاثرة. واجتمعت عليه العربان وسكان تلك البلدان. وبقت العساكر تنوف عن ماية الف. وخرجت

أعيان مصر والعلماء والحكام وتجار وعوام الى مقابلة وزير الختام [الصدر الاعظم]. واندهش السمع والبصر من رويا ذلك العسكر والجيش المفتخر. وكادت القلوب ان تذوب من الفرح والسرور، من تغيير تلك الامور، وخلاص بلاد المسلمين من يد الكافرين.

وفي افضل الشهور [رمضان] واحسن السنين، تنكست اعلام الفرنساويين. وسافر اكثرهم الى الاسكندرية، وخليت منهم غالب اراضى المصرية. وجعل الوزير الاعظم يرسل الى مصطفى باشا ان يعلم السارى عسكر الامير كليبر انه يعجل بالخروج من مصر، ولو انه قبل الميعاد، ويقيم فى بلدة الجيزة، وهناك تكمل عدة الايام المعلومة.

واخبر مصطفى باشا الامير كليبر بذلك، فاغتاظ من ذلك وأجابه: إن الوزير أسرع بقدومه إلى أرض مصر، ولم يسر على حكم ما تقرر فى الشروط. لاجل ذلك، نخشى وقوع الخلل بين العساكر. اذ اننى ارى عساكركم مختلطين مع عساكرنا، وهذا ضد الشروط التى امضينا عليها. حتى الى الان لم أرى الذخاير تحضرت ولا المراكب تجهزت، وانا فلا يمكننى الخروج الى الجيزة قبل تمام الميعاد، وتتميم المدة المعينة الى الخروج دقيقة. واعرض مصطفى باشا على الوزير جواب الامير كليبر.

فلم يقنع الوزير من ذلك السبب، ولم يكل من الطلب من هرج الجماهير والغضب، وميل العساكر لبلوغ الارب. اذ كان عجبهم من عجب ولا يسلم العجب من العطب. فكانوا يلجون الى الكنانة بقلوب من الاحقاد ملانة، وفى نفوسهم الغدر والخيانة. وهذا وعسكر الفرنساوية لم تزل على حال واحد مستوية، سايرين على ما بينهم، مأمنين من مكرهم.

وفى بعض الايام، جاز احد الصلدات فى احد الشوارع، فنهضوا عليه خمسة من الانكشارية، وضربه احدهم بالياتغان (٧٣) فقتله. وتراكضت الصلدات الفرنساوية واخبرت امير الجيوش، فامر العساكر ان تتجهز وتستعد للمصافقة. وصارت رجة عظيمة فى المدينة. فبلغ مصطفى باشا كوسا، فركب حالاً من منزله وحضر الى بيت السارى عسكر، فوجده فى حالة الغضب، مستعد للافتراس والعطب. وبدا يعاتب مصطفى باشا ويلوم الوزير على سرعة انتقاله وعدم ضبط رجاله. ويذكره ما تقرر فى الشروط من عدم اختلاط العساكر، خشية من مثل هذه المشاكل والمخاطر. فاخذ مصطفى باشا يبرر ذاته ويروق عكاره. ويوعده بمنع العساكر عن الدخول. وبقتل القاتلين الخمسة دية المقتل. ولم يزل يرطبه بلين الخطاب حتى نزع ما بقلبه من الاضطراب وانعم له واجاب. ثم نهض مصطفى باشا فى الحال، واعرض على الوزير ما حدث من التكدير، وانذره غاية التنذير. وحذره غاية التحذير، انه يكون على حذق بصير، ويُنبه على الكبير والصغير، ويمنع عن الدخول الى مصر القليل والكثير. ولا يترك احد يدخل الى مدينة القاهرة، خشية من وقوع المخاصمة والمشاجرة. فلما فهم الوزير الاعظم ما اعرضه مصطفى باشا، غضب غضباً شديداً ما عليه مزيد. وامر بامتناع العساكر عن الدخول الى القاهرة، وبقتل الخمسة انفار عوضاً عن المقتول. وقبض على الخمسة المذكورين، وارسل خَنَقَهم قدام بيت السارى عسكر فى بركة اليزبكية: ورقدت الفتنة واستكنت الفرنساوية. هذا

والوزير الاعظم لم يزل يطلب الدخول الى القاهرة قبل تمام الميعاد المعين فى الشروط، من تقمقم العساكر عليه. وامير الجيوش لم يمكنه من ذلك حتى تتم الوعدة وتنقضى المدة. وكان الامير كليبر يجمع الجبخانة والعساكر من القلع والحصون ولم يبق سوى القلعة الكبيرة [قلعة الجبل] فقط.

ولما انتهى الميعاد الى التمام وفاض عليه خمسة ايام، ارسل الامير كليبر سر عسكر العام الى مصطفى باشا ان يتسلم القلعة الكبيرة، وكان ذلك نهار الاربعة الواقع فى ثمانية من شهر شوال ذى المعامع والاهوال. فابى مصطفى باشا ان يتسلم القلعة نهار الاربعة، وذلك لما يعتقدون به من النحوسات والتنكيس، وترك التسليم الى الخميس، وكان به الخطا والتعكيس. وقد كان رحل اكثر الفرنساوية الى بر الجيزة، ولم يبق منهم سوى القليل، والسارى عسكر وشرذمة وجيزة.

وفى تلك ليلة الخميس الذى كان بدو التعكيس، اذ كانوا عزموا عند الصباح يتسلم مصطفى باشا القلعة الكبيرة، فحضر كتابةالى الامير كليبر من الجنرال سند سميت سارى عسكر الانكليز، وبه يقول: انه لقد حضرت لى كتابة جديدة من مملكة انكليتر، كرسى الدولة الانكليزية، اننى لا اسمح لكم بالخروج من مملكة مصر الا اسرا بيدنا، من بعدما تسلمونا جميع اموالكم وكامل سلاحكم، وتسيرون معنا الى مملكة انكليترا كرسى دولتنا واما عهودكم وشروطكم مع الدولة العثمانية على التسليم والذهاب الى مملكة باريز، كرسى المشيخة الفرنساوية، فهى صارت فاسدة وعلى غير قاعدة.

واذ كنا نحن الوسيطين بذلك سابقاً وواضعين شهادتنا بها، فلزم اننا ننبه عليكم الان بانتقاضها من بروز الاوامر الجديدة. وذلك حكم القوانين الملوكية الدارجة بين الممالك الافرنجية. لكيلا يعود على دولتنا الغدر والخيانة فاعتمدوا تنبيهنا عليكم قبل تسليم الكنانة.

فلما وصل ذلك الكتاب الى امير الجيوش الفرنساوية، واطلع على تلك الالفاظ المنكية، فاتقدت به النار، وانشب من انفه الشرار. واحضر حالاً كامل الجنرالية وباقى رؤساء العساكر وساير الفيسالية، وعقد ديواناً فى منزله على شاطى بركة اليزبكية، وقرأ عليهم كتاب الجنرال سميت سر عسكر الانكليزية. فشملهم حزن عظيم وغم جسيم، وتحركت الاحقاد فى القلوب، وكادت ان تذوب منهم الكبود، وعظم عليهم ما فى ذلك المكتوب. ونادوا جميعهم بصوت واحد وقلب جامد: الدمار بهذه الديار، ولا الوقوع بهذا الاستتسار. فطفق امير الجيوش يعج عجيج الدهوش بصوت افظ من صوت الوحش. [ويذكرهم بافعالهم] وتغيير احوالهم، وعدم امتثالهم. وحنيتهم الى الاوطان، وترك الحرب والطعان. وانه لم يقبل الى هذا الصلح والتسليم، الا من بعد ان شاهد قلقهم العظيم ومللهم الجسيم. فاجابوه الجميع: اننا لا نخرج الا على موجب الشروط والوثاق المربوط. وبدون ذلك لا تتهيأ لنا المسالك. فنبّه على وزير الختام ان يرجع الى اراضى الشام، ويثبت لنا [شروطه] ويؤيد لنا خطوطه بكتابة من دولة الانكليز ويمضى عليها ملكهم لا من المقيم على البواغيظ باذهابنا الى مملكة باريز بامن حريز. وان كان لم يرتجع عن دربه فيلزمنا ان نتصدر لحربه

وتكون عهوده معنا غير صادقة، وقصده اخراجنا بالمخاتلة والمنافقة. ليُلقينا في يد اعدائنا، ويكونوا الجميع مترابطين على سفك دمانا.

فعندما نظر امير الجيوش تمكن قلوبهم، فاجابهم الى مطلوبهم، واوعدهم بصدهم وردّهم الى ان يبلغوا مرغوبهم.

وانتهى الديوان، وانصرف اوليك الاعيان. وبدا امير الجيوش يفرق الاعلام على العساكر، ويعرفهم بابطال السفر. وشاع الخبر وانتشر. وبدت العساكر ترجع الى منازلها. اذ كان خرج اكثرها الى بر الجيزة، ولم يبق منها الا شرذمة وجيزة. واحضر حالاً مصطفى باشا واخبره بالكتاب الذى ورد من الجنرال سميت، وان يخبر الوزير الاعظم ان يرجع بعساكره الى حدود العريش ويقيم هناك، بينما يخاطب دولة الانكليز ويستاذنهم باخراج الجمهور الفرنساوى من مملكة مصر، واذهابهم الى بلادهم والاوطان، حكم الاتفاق المقرر في الشروط على موجب العقد المربوط. فغاص مصطفى باشا في تيار من الافكار ليس له قرار، وقال: لعمرى ان هذا الخطب خطير وامر عسير، فلا حول ولا قوة الا بالله العزيز القدير. لانه كان ذايقاً تلك الروعة وشارباً كاس اللوعة. فنزل من امام السر عسكر كليبر وهو في هم وغم كثير، وصار الى منزله واعرض على الوزير ما سمعه من الجنرال كليبر، فاغتاظ الوزير غيظاً عظيماً وغضب غضباً جسيماً، وابتدوا يتداولون كيف انهم يحتالون على اخراج الفرنساوية من المدينة بطريقة امينة، وان لم يرتضوا يخرجوهم بقوة متينة.

وكتب الوزير الى السر عسكر كليبر يقول له: انه لقد بلغنا فحوى الكتاب الذى ورد اليكم من الجنرال سميت سارى عسكر الانكليز، وانه قد توعد لكم بالاستيئسار بعد خروجكم من هذه الديار. فكونوا امينين مطمأنين، ومن هذا القبيل غير خاشين. فالسارى عسكر المذكور لا يستطيع ان يتعرض لكم من بعد اشهار خاطر الدولة العلية عليكم. ونحن ان شاء الله نهيئ لكم كلما يأول الى راحتكم، ولا ندع الانكليز يعارضكم. وتسيروا في مراكبنا الى ارضكم ومواطنكم بكل امان واطمينان، بدون ثقلة ولا هوان: وحاشا ان بعد الشفقة تبدا نحوكم القساوة. فالمراد ان تسلموا المدينة، واذهبوا الى بلدة الجيزة، و[أ] قيموا هناك بكرامة عزيزة، لبينما تتجهز لكم الذخاير والمراكب، وتسيروا على حسب الشروط المقررة والعهود المحررة. فقد تم وانتهى ميعاد اقامتكم في مدينة مصر، ولم نعد نسمح لكم بالاقامة بها ولا يوماً واحداً. لاننا بالحصر وعساكرنا وافرة وجيوشنا متكاثرة، وفرساننا جبابرة، ولم نكن قادرين على حجزهم عن الهجوم على القاهرة. ونخشى عليكم من التلاف والعدم، وتندمون حيث لا ينفعكم الندم. فقد نبّهنا عليكم بالخروج والسلام.

وارسل ذلك الفرمان ليد مصطفى باشا، واوصله المذكور إلى امير الجيوش الامير كليبر.

ولما وصل اليه كتاب الوزير الاعظم غضب وتقمقم، وردّ جواب الى الوزير وهو أن الشروط التى تعاهدنا عليها قد انتقضت وفسدت، لان سارى عسكر الانكليز ، من بعد اقراره بسفرنا إلى مملكة باريز، نكث بعهده وخفض بوعده، وقصد لحجزنا وتيهاً لأسرنا، امتثالاً لاوامر دولته وتكميل

وظيفته. وقد نبّه علينا بذلك واعلمنا بساير المسالك . وما مهيّا لنا من المهالك حسب عوايد الممالك . فلاجل ذلك من المستحيل اننا نخرج من هذه المملكة على شروط مشركة، أو نسير بطريق غير مسلكة ونلقى نفوسنا بهذه المهلكة. فينبغي ان ترجعوا بعساكركم اقلّما يكون الى مدينة بلبيس، وتقيموا هناك لحينما تُخرجوا لنا اوامر جديدة من دولة الانكليز، بسفرنا الى مملكة باريز، حكم الشروط والعقد المربوط . وهذا جوابنا والسلام.

ولما وصل ذلك الجواب الى وزير الختام اعتراه الهمّ والاغتمام، واخذه الاضطرام من ذلك الكلام، وتراكمت عليه الاوهام،، وصعب عليه القيام بهذا الجيش الملتأم. وقامت ضجة عظيمة بذلك العسكر، وصاحت الاسلام الله اكبر. وطلبوا الهجوم على مصر والمضاربة. وكانت امورهم غير صايبة. واما الوزير الاعظم كان من اعقل وزراء الدولة العثمانية، مشهوراً بالفطنة الذكية والاخلاق المرضية. وهو من الارهاط المستوية. فبقى حايراً فى هذه الامور الردية، وحدوث تلك الحركة القوية . وتاه فكره ما بين امرين مذهلين، ومشكلتين عظيمتين وخطرين جسيمين. وعظم الامر عليه كيف يرجع الى الوراء بعد ان كان عزم على دخول القاهرة بالمواكب واللواء الفاخرة. وهو الوالى على البلاد، وتحت امره جميع العباد. وجيشه كثير الاعداد وقريب المراد. وممالك مصر الحقيقة كانوا ينوفوا عن عشر ملايين خليقة. فلم يسعه ان يرجع على هذا المنوال، وبقى قلبه خايف من الحرب والقتال، خشيةً من الفشل وخيبة الامل. لما يعلم فى الفرنساوية من كامل الفروسية فى حربهم الشديد، وما عندهم من المراس وقوة الباس، وتملكهم للقلع والحصون، وانصبابهم على الموت والمنون.

ولكن غلبت عليه قوة النفس، وما امكنه يجاوب الا كجواب امس. وفرّق الاعلام على القبايل والعشاير، وبدا يضمّ لعنده الجيوش والعساكر.

وحينما وصل الجواب الثاني الى امير الجيوش الامير كليبر ووجد النصّ كالاوّل، وان الوزير عن ابواب مصر لا يتحوّل. فجاوب هوايضاً بعدم الذهاب والخروج، وبدا يحصن القلع والبروج. وكتب الى ساير العساكر الفرنساوية، التى كانت سايرة الى رشيد واسكندرية، ان يرجعوا الى مصر. وبدا يضعهم خارجاً عند باب النصر. ونصب المضارب والخيام على باب البلد من الجبل الجيوشى الى البحر. وتكامل عسكره على ثمانية آلاف مقاتل، من كل ليث مجادل وقرم مخاتل. واجتمعت العساكر العثمانية مع الطموش المصرية، على نحو ماية وستيّن الف، وامتلأت منهم تلك البوادى، من كل وادى ونادى، والمخاطبات كالمجاوبات على نص واحد، وزعم جامد، وقلب متباعد. وكل منهم بعيد التدانى، ولا يلين احدهما الى الثانى. واستقامت تلك المحاولات والمخاطبات على ذلك المرام سبعة ايّام، ثم طلب الوزير الاعظم واحد من المتقدّمين عند الامير كليبر لاجل المفاوضة بذلك الامر العسير، فارسل له الجنرال بوضوط [بودو] مع ترجمانه الخاصّ، فساروا الى العسكر العثمانى، وعند دخولهم على الوزير تحرّك بالغضب عليهما، ولعنهما وشتمهما، وامر بالقبض

على الجنرال بوضوط وطرد الترجمان. وقال له: اذهب الى مولاك الكافر وقل له: ان لم فى الغد يسافر والا دهمته بهذه العساكر، واطلقت فيكم النار ولا اعفى على كافر من هولا الكفار. ورجع الترجمان وهو مرعوب فزعان، ودمعه هتّان على ما حلّ بصاحبه من الذلّ والهوان. واخبر الامير كليبر بما سمع من الوزير. وكيف اسر الجنرال بوضوط وتركه فى القيود مربوط. وما توعّد به من الدمار والدثار ان لم يخرجوا من تلك الديار.

فلما سمع امير الجيوش ذلك الخبر طارت من عينيه الشرار، وكاد قلبه ينفطر، وقام وقعد وارغا وازبد. وفى الحال امر بخروج المدافع والجبخانة، واحضر مصطفى باشا كوسا الذى كان فى مصر مقيم عليه الترسيم [الحجز]. واحضر القنصل النمساوى وقبض عليه لان كان ملكه متحّد مع الدولة العثمانية. وفى تلك البلاد يحارب الفرنساوية. وسجن الاثنين فى منزله الكاين فى بركة اليزبكية. وكان ذلك نهار الخميس الواقع فى ستة وعشرين شوّال(٧٤) الذى به حال الارتحال، وبان تغيير الاحوال، ولاحت علامات الاهوال. وبات السارى عسكر تلك الليلة على نية الحرب والقتال ومصادمة الابطال. وارسل الاخبار الى رؤساء العساكر ان يكونوا على غاية الحذر. وان المسير قبل طلوع النهار، سبحان الله القهّار، القاهر الجبابرة الكبار وهو العزيز الجبّار ذو الجلالة والاقتدار.

## [ ذكر الحرب بين الفرنسيين والعثمانيين ]

ولما كان نصف ذلك الليل، ركب امير الجيوش بالخيل، وسارت قدّامه تلك الابطال والفرسان، كانهم الجانّ أو عفاريت سيدنا سليمان. لا يهابون الموت ولا يخشون الفوت. فليس لهم عن الحرب عايق، ولا يخشون حلول البوايق. بهمّة اقوى من الجبال، وقلوب قد تعوّدت على لقاء الاهوال. وكان قد ترك فى منزله الجنرال درانطون [ديرناتو] مع ستّين نفر صلدات، لاجل حفظ المنزل من الافات. وفى القلاع قليل من الرجال، وعندهم المرضى والمشوّشين، من الحروب معطّلين، والكتّاب والنساء والذين لا يدخلون الحروب تركهم فى الجيزة. وطلب بذلك الجميع الغفير قتال عسكر الوزير، ويكبس على عسكر الاسلام فى حِنْدِس الظلام، والناس نيام، ويبلغ منهم المرام.

ومن قبل أن يصل اليهم ويهجم عليهم، اطلق مدفع التنبيه، ثم اطلق ثانية، فانتبهت عساكر الغزّ المصريين لانهم من ذلك معوّدين، وذاقوا حرب الفرنساويين. وركب مراد بيك جواده وقد ارتعد فواده، وارسل الى ناصيف باشا ابن الوزير الاعظم يقول له: الفرنسيس اقتربوا الينا والظاهر انهم كابسين علينا، فانهض بالعساكر ولا تكن غير فاكر. فاجابه ناصيف باشا بقلب فاتر: ان الفرنسيس الكافر لا يستطيع الهجوم على هولا العساكر

وفى تلك الساعة، اطلق امير الجيوش المدفع الثالث الكبير، وهو مجدّ بالمسير. فتحقّق ناصيف باشا قدوم الكفّار، وبقى فى رعب وافتكار، وايقن بالذلّ والاحتقار. وكان هو اوّل عسكر فى الانكشارية مع الغزّ المصرية.

وانتبهت عساكر الاسلام واستعدّوا للحرب والصدام، ومشوا بضجّة وهرج طالبين ملاقاة

الافرنج. هذا والفرنساويون قادمون عليهم بقلب غير هايم، وضرب البارود الدايم. ولما تقاربا الفريقان، وهجمت الاسلام بضجيج ارتعدت من الجبال، ولكن بقلوب مرتاعة من لقاء الاهوال.

فرجعت الى خلف الفرنساوية بمخاتلة ومكيدة، حتّي طمعت بهم تلك الجماهير المتشدّدة. فانقسمت الفرنساوية قسمين، اطلقوا عليهم مدفعين، ثم اطلقوا عليهم نار البارود، ودهمتهم تلك العساكر والجنود. فيا لها من سرعة يكلّ عن وصفها اللسان، وترتعد من ذكرها الابدان، وترتعب من سماعها الانس والجانّ. وتصادمت تلك الجيشان العظام تحت غسق الظلام. وماجت جيوش الاسلام، واكثرهم طلب الهرب والانهزام. وصدمتهم الافرنج اى الصدام، واورثتهم مواريث الاعدام وبدلت فيهم الحُسام تحت ستور الظلام، والتطمت العساكر كالبحور الزواخر. وارمت الفرنساوية عليهم الكلل والقنابر، كالسيل القاطر، وجادوا عليهم بضرب السيوف البواتر. وكثر الصياح وزاد النواح. وزهقت الارواح من ضرب السلاح. وطلبت الاسلام الهرب والرواح فى تلك البوادى والبطاح. وصاحوا: الفرار الفرار من وقوع الاقدار. وقد بليوا بالعدم والدمار والذلّ والانكسار. وتشتّتت تلك الجيوش فى البرارى والقفار. وهم يتعوّذون بالله الجبّار من شدّة باس الكفّار، الذين لم يكن لهم بالموت افتكار. وولّا الوزير ومن معه هاربين وللنجاة طالبين. ولم يزالوا الفرنساوية فى اثرهم سايرين.

وما طلع الصباح واشرقت الشمس على تلك الارض، الاّ وبقت القتلا مطروحين فى طولها والعرض. هذا وذلك الاسد المغوار والليث الهدّار كلييبر الجنرال امير الجيوش يعّج عجيج الجمال ويحرّض ابطاله على الحرب والقتال، ويقول لهم: اجعلوها وقعة الانفصال، ولا تبقوا على احد من هولا الانذال. ولم يزالوا يرموهم بالبارود والنار والقتلا تتساقط مثل اوراق الاشجار، والسارى عسكر بجواده باوّل العسكر، كالاسد الكاسر والعُقاب الجاذر. الى ان دخلوا القوم مدينة بلبيس. ودخل الوزير الى المدينة بنفس حزينة، ووصلت الفرنساوية بذلك الاقتدار، ويتقدّمهم الاسد المغوار والليث الهدار، واحاطوا بالاسوار. وارسل الى الوزير ان يترك البلد ويخرج منها والاّ يحرقها بمن بها.

فردّ له جواب ان مدينة مصر قد امتلكوها ناصيف باشا والغزّ المصريون. وانتم الآن صرتم منها مطرودين. فاترك الحرب وارجع عن الطعن، ودعنا نعود لما كنّا عليه من الشروط والعهود. فقال الامير كلييبر للرسول: ارجع الى صاحبك الوزير وقل له ان يخرج من هذه البلد، والاّ احرقها بالنار، ولا اتركه يقيم ساعةً من النهار. وان كان قصده يتّفق معنا اتفاقاً جديداً، فيذهب الى قلعة العريش، ومن هناك يخاطبنى بما يريد، وانا قد خاطبته امراراً ان يرجع الى بلبيس ويجاوبنى بما يقتضى، فما كان يقنع ولا يرتضى. واما الان لا يكمن اطاوعه على ذلك، بعدما سقيت عساكره كؤوس المهالك.

وبعد جملة المراسلات، تحقّق الوزير ان لا يمكن يرجع عنه الان وهو فى ذلك المكان، فخرج من مدينة بلبيس وسار الى الصالحية والى قطية، ومن قطية الى العريش. ولم يزل سايراً الى مدينة غزّة.، وامير الجيوش ساير فى اثرهم على مهله الى ارض الصالحية. وقد تفرّقت تلك الجيوش فى البرارى والقفار، وحلّ بهم الموت والدمار، ومات

كثير على الطرقات من التعب والعطش والجوع والحرّ بتلك الفلوات. وكسبت الفرنساوية تلك الاموال والخيل والجمال، والعُدد الغوال، والمدافع والجبخانات.

وحينما وصل امير الجيوش الى الصالحية، ارسل الجنرال بليار(٧٥) على طريق البرّ الى حدّ دمياط، ووضع جانباً من الصلدات فى قلعة قطية، وقلاع بلبيس والصالحية. ولما وصل الجنرال بليار الى دمياط، فخرجت عليه اهلها والاتراك الذين بها. والقاهم ذلك الجنرال بالرجال والابطال قدّام المدينة، واطلق عليهم المدافع المتينة. فرجعوا من امامه مهزومين وللنجاة طالبين. واحتموا فى منازلهم والبيوت من شرّ ذلك البَهَموت. وخرجت العلما والاعيان وطلبوا منه الامان، ووضعوا المحارم فى اعناقهم اشارةَ الذلّ والهوان. ودخل الى المدينة وتسلّم الحصون المتينة، ورجع فى الحال الى مصر بكلّ عزّ ونصر.

واما ما كان امير الجيوش كليبر ذلك البطل الحضير فانه، حين كسر عسكر الاسلام، وفرقهم فى تلك الروابى والآكام، وهمّ فى مسيرة فى طلب الوزير، الى ان اشرف على مدينة بلبيس. فبعدما ابعد فى تلك الاراضى، تجمع البعض من عساكر [الاسلام] عند ضحا النهار، فمنهم الغزّ وناصيف باشا العظيم، والبعض من الانكشارية والمصريين الذين فى تلك الاراضى خبيرين. واتوا الى مصر ودخلوا من باب النصر. وكتب ناصيف باشا الى الوزير يعرّفه انه قد دخل القاهرة بعساكر وافرة، وملكوا الكنانة ، لأنه لم يكن بها احد من الفرنساوية. وارسل الكتاب مع هجّان، ولم يدر ما حلّ ببقية عسكر الوزير من الذلّ. وحين دخل ناصيف باشا والغزّ الى مصر استبشرت اهلها بالعز والنصر، وكانوا قد خافوا من الفرنساوية لترجع اليهم، وتبذل سيوفها فيهم. فاستنهضوا مع الغزّ فى الحال، وعللوا ارواحهم بالمُحال. وهجموا على حارة الافرنج التجّار، فنهبوا الاموال وقتلوا الرجال، وسبوا الحريم وقتلوا الاطفال. وبدوا يتعصبّون عصباً ويهجمون على دور النصارى، فينهبون ويسبون ويصنعون القساوة والفساد. شى ما له تعداد. وهجموا على حارة الاقباط فقفلوا فى وجوههم الابواب. وكان بها ذلك القبطى [يعقوب] الذى كان مع الجنرال ديزه فى الصعيد، فردهم مع اصحابه فى الحرب العنيد والرصاص ا لشديد. واتت الغزّ الى حارة اليزبكية، وهجموا على بيت السارى عسكر. فضربتهم الصلدات بالرصاص والنار، ومنعوهم عن دخول الدار، وكان لهم يوم يذكر جيلاً بعد جيل، لما به من الهول الجزيل، والخوف العظيم والهمّ الجسيم، والعذاب الاليم. وقد تيقّنت النصارى بالهلاك والدمار، وهتك الحريم وخراب الديار.

وقام [أقام] عثمان بيك كتخدا الدولة العلية فى [وكالة] ذو الفقار، ومعه الامرا المصرية. واتت اليه المشايخ والعلما الاسلامية، وجميع التجّار مع التاجر المشهور السيّد احمد المحروقى، المعلوم عند الوزير بالمعرفة والتدبير، وناصيف باشا نزل عند بركة اليزبكية بالانكشارية. واما مراد بيك لم يدخل البلد احتساباً مما يتجدد، وبقى يجول فى برّ الجيزة فى شرذمة وجيزة، بفطنته الحريزة.

وكان عثمان بيك كتخدا الدولة العلية ذو نفس عتية واخلاق مرضية، وفطنة ذكية. فاخذته الشفقة والرحمة على الرعية، واطلق المناداة برفع

الاذاة عن النصارى والرعية. ومنع الاسلام المنع التمام عن النهب والحرام، وقال لهم : لا يجوز فى ساير الاديان الاذاة على رعية السلطان. وغضب من ذلك الشان، وامر اجناده ان تدور بالحارات، وكل من بدا منه فساد يقطعوه بالسيوف الحُداد.

ولم تزل النار تثور والشرّ يفور. والخلايق قايمة والهيجات دايمة على حارات الاقباط وبيت السارى عسكر وكان به [الستين من الصلدات]، ذلك النهار بتمامه، والليل بظلامه. والخلايق تجتمع والجماهير تندفع، وهم يهيجون هيج الجمال، ويهجمون هجم الرجال، ويرجعون خايبين الامال. وقد اندهشت الابصار وحارت الافكار، وتاه العقل وطار، وحار القايل ما يقول، وخشى الناقل تكذيب المنقول، فى صلابة أوليك الستّين صلدات الابطال، وثبات قلوبهم على حمل هذه الاهوال. اذ كنت تهجّم عليهم الخلايق افواج كالبحر العجاج، وتهجم عليهم الجيوش هجمات الوحوش، الوف الوف، تفرق العدد والصفوف، ما لها مدد، وهذا الجنرال الصنديد يتلقاهم بعزم شديد. وذلك الثبات بستين صلدات. واستمروا على ذلك الشان يومان عظيمان. وهذه العوالم تندفع دفعة بعد دفعة، وهى على بيت السارى عسكر مجتمعة وعن حربهم غير مرتجعة، ولا زالوا يهجمون ويرجعون بلا منفعة، حتّى ولى ذلك النهار والقهّار.

وكان اوليك الصلدات تتلقى تلك الجموعات الهاجمة من كل الجهات. اذ كان كل منهم يصادم الوفاً، ويرغم انوفاً، ويهزم صفوفاً. فاجتمع رأيهم [العثمانية] ان يتركوهم ويذهبوا الى الجيزة . وما كانوا يعلمون ما تمّ الى العساكر الفرنساوية مع العساكر العثمانية، فى تلك البرية.

وحين رأوا اكثر تلك العساكر التى دخلت الى مصر، استبشروا بالعزّ والنصر، وبينما هم سايرين الى الجيزة، فالتقاهم رجل راكب من عسكر العثمانية، على جواد متين عليه هيْئة السفر، فسألوه ما الخبر، فاعلمهم ان جيش الوزير انكسر، وامير الجيوش انتصر. فانقطعت ظهورهم وحاروا فى امورهم. وانثنوا على اوليك الصلدات. وزاد الحرب، كثر البلا والكرب، واظهر ذلك الجنرال درناطون غرايب الفنون. وكان هذا الجنرال راسه ممسوح من الشعر لكبر سنه، فكانت اهل مصر تدعوه الاقرع والليث الادرع.

واشتدّ الحصار، وهاجمت اهل المدينة، واظهروا الاحقاد الكمينة. وهجموا على منزل مصطفى اغا واتوا به الى قدّام ناصيف باشا، وقدّموا عليه شهودات بانه كان يؤذى المسلمين ويودّ الفرنساوية. فامر الباشا بقتله ونهب منزله. وقبض ايضاً على اناس كثيرين من المسلمين الذين كانوا يخدمون الفرنساويين، وأذاقوهم الموت المهين، واوردوهم موارد التلاف.

وقبضوا على الشيخ خليل البكرى نقيب الاشراف، واتوا به حافيا عرياناً ذليلاً مهاناً، وقدّموه الى عثمان بيك. فامر باطلاقه بعدما قدموا عليه جملة شهادات، وكان فى اكثر الاوقات شرب فى منزله مع الفرنساوية المنكرات، هذا وتلك الهجمة متّصلة على تلك الصلدات من جميع الجهات، وعلى حارة الاقباط التى بها يعقوب الصعيدى، وقد كافح هذا الرجل كفاحاً عظيما وعارك عراكاً جسيماً. وفى سادس يوم من تلك الاسباب والامور الصعاب، هجمت الاسلام على حارة الاقباط،

ونهبوا البيوت، وايقنوا النصارى فى الهلاك والارتباط. فهذا ما كان من احوال مصر وذلك الاتفاق.

واما ما كان من مدينة بولاق، فانهم حينما بلغهم دخول ناصيف باشا والغزّ الى مصر بالعزّ والنصر، فظنّوا ان عسكر الاسلام انتصر وجيش الفرنساوية انكسر. فقاموا على النصارى الرعية فنهبوا اموالهم وسبوا اعيالهم. وعصوا اهل بولاق عصاوة شديدة، وبنوا متاريس جديدة.

وبعد ثمانية ايّام وصل امير الجيوش الى دار الكنانة، فوجدها من الاخصام ملآنة. وقد اشهروا العدواة وأظهروا العصاوة. وحدّثهم عقلهم الزميم فى الجهل العميم على عدم التسليم. واحتاط امير الجيوش بعساكره الوافرة حول دايرة القاهرة، وصلبت أعناقهم على المحاصرة. ومنع الداخل والخارج ، وسدّوا المسالك والمدارج، ونشب القتال بينهم، نهارهم وليلهم . فطلبت خلوّ المدينة العساكر والحكّام، فما مكّنتهم من ذلك العوام. [وتصدّت] الاعيان ذوى البيوت، وحثهم على الاقامة والثبوت. ومنهم ذلك البهوت السيد أحمد المحروقى، فهو يتصدر للجدال وصرف الأموال ، [وحرّض] الرجال على الحرب والقتال. ولم يزالوا المصريون مصرّين على غرورهم المتين فى محاربة الفرنساويين. وكان امير الجيوش قد تمكّن بعساكره من القلع والاسوار، بالكلل وقوّة النار، وكتب الى مدينة الاسكندرية يسترجع الجبخانة والمدافع التى كان ارسلها حين عزم على التسليم. وارسل الى الجيزة احضر مصطفى باشا كوسا وارسله الى دمياط.

وقد بلغ امير الجيوش ما ابدوه اهالى بولاق من العصاوة والنفاق، فارسل اليهم ذلك الاسد الهدّار والليث المغوار الجنرال بليار، وامره ان يهجم عليهم بالنار، ويهدم الحصون ويخرب الديار. فهجم عليهم ذلك البهموت، فما قدروا على الثبوت. وتركوا المتاريس والتجوا للبيوت. فهجمت عليهم تلك العساكر بالرصاص المتكاثر، والسيوف البواتر. واحرقوا المنازل. واشتدت الاهوال وهربت الرجال. وبكت النسوان والاطفال. وصاحت الكبار والصغار: الامان الامان ياجنرال بليار. فلما سمع بكاهم حنّ الى شكواهم، وامر الصلدات بحفظ الحياة ومنع الممات. وعفى عن قتل الرجال، وبدوا ينهبون النساء والبنات ويهتكون الحراير المخدّرات.

واستمر هذا البلاء العامّ ثلاثة أيام. ففى تلك المدينة هدمت المنازل المتينة، واحترقت البضايع الثمينة، وراح على التجّار من المال والبضايع عدّة خزاين وافرة. اذ كانت بولاق اسكلة [ميناء] القاهرة، فتجتمع بها البضايع والاموال، وهى محل للاستقبال والارتحال لقربها الى البحر. [النيل] وكانت خزينة مصر. ودثرت هذه المدينة فى تلك الفتوح المهول، عن سوء تدبير اهلها المخذول.

ومن بعد هذا الخطب العظيم والخراب الجسيم امر امير الجيوش ان يوخذ من اهلها اربعة الاف كيس تمام الانكيس وكانت عساكر الفرنساوية مقيمين حول دايرة القاهرة، نهاراً وليلا على المحاصرة والمجادلة والمشاجرة . وعساكر المدينة لم تمتنع من الهجمات وراء المتاريس المتينة، فى ساير شوارع المدينة، فى كل الجهات. وقد عزّ القوت وهدمت البيوت. وكانت ايّام شديدة الاهوال

غريبة الاحوال، تتزعزع من ذكرها الجبال، وتشيب من اهوالها الاطفال.

وقد شدّت الفرنساوية الحصار، وصارت العساكر تهجم الليل والنهار، وترمى على المدينة النفط والنار، والكلل والقنابر الكبار. وبقت اهل البلد بضجيج وعجيج، والخلايق فى [ا]ضطراب ورجيج. والولولة من النساء والصياح، والبكا والعويل والنواح. وكانت الرجال والنسا والاولاد يختبون تحت العقودات، من تساقط الكلل والقنبار من القلعات.

ولم يكن فى تلك الايّام رقاد، ولا مكان مؤتمن. بل حرب مستطيل، وكرب دايم جزيل، ونوح وعويل. فيالها من ليلة ما امرّها، واشدّها واحرّها. ليلة فتحت بها ميازيب السماء، وهطلت وغمّ وجه الارض بالمياه. فاستنهزت الفرنساوية الفرصة وهجموا فى تلك الحصّة. واثاروا حروب عظيمة لم يكن مثلها فى الوقايع القديمة. واتّقدت النيران فى اربع جهات القاهرة. واحترقت بيوت كثيرة فى تلك الليلة الماطرة، مع الحرب المتّصل والضرب غير المنفصل. وماتت خلايق لا تحصى من الفريقين. وزعق عليهم غراب البين. وكانت الكلل تتساقط عليهم من القلع كالبرد على وجه البقاع.

واذ كانت الناس مستترة فى البيوت الذين على رصيف الخشب الكاين فى اليزبكية، فاوقدت بهم النار الفرنساوية. فكانت ساعة لا تُعد بالساعات، من تلك البلايا النازلات. وهجمت الفرنساوية [وطردوهم] من تلك الحارات. واحرقوا منازل كثيرة بتلك الجهات.

واذ شاهدت العساكر المحاصرة داخل القاهرة تلك النيران الوافرة، وعدم النجاح بهذه المصادرة. فضجوا وقالوا: كفانا هذه المخاطرة. وكانت الفرنساوية قد احرقوا حارات متسعة، كحارة الخروبى العدوى لحدّ باب الشعرية، ورصيف الخشب [الخشاب] وما يليه من المنازل العلية، فاجتمع رأيهم ان يطلبوا الامان، وعقدوا فى بيت ناصيف باشا ديواناً.

وقد اجتمعت السناجق والكشاف، وعثمان بيك كتخدا الدولة، والعلما والاشراف. واخذوا يتفاوضون فى امر التسليم، والخلاص من هذا البلا العظيم. وفيما هم فى الاجتماع ، واذ قد سقطت عليهم بومبة من القنابر ففرّق جميعهم، وايقنوا بالموت والنزاع، وقالوا هذه هى الأخيرة، وقد استخرنا الله وهو نعم الخيرة. فالتسليم أسلم لنا عاقبة من هذه المجادلة والمعافية. وانتخبوا اثنين من المشايخ وهم عبدالله الشرقاوى وسليمان الفيومى، واثنين من السناجق: عثمان بيك البرديسى وعثمان بيك الاشقر. واخذوا بيراق ابيض معهم اشارة الامان، وساروا مشاة الى البركة اليزبكية. ولما قربوا من ذلك المكان، ونظر اليهم أمر الجيوش من بعيد، وعرف الإشارة، فأمر برفع ضرب البارود، وأرسل إليهم وزيره داماس ومعه ترجمانه الخاصّ. فلما تقابلوا قال لهم الجنرال داماس: ما مرامكم؟ فقالوا له: تسليم المدينة، وخروج العساكر بطريقة امينة. وسفرهم الى اراضى الشام من القاهرة، من دون مشقة ومخاطرة. وفرمان الامان الى الرعايا والاعيان. فرجع الجنرال واخبر امير الجيوش بذلك، فردّ الجواب: ان الباشا وكتخدا الدولة، مع الغزّ والسناجق وكامل العسكر، لهم الامان. واصدر لهم

فرمان [بان] ينقلوا الى قاطع الخليج ويقوموا هناك ثلاثة ايام. بينما يتجهّز لهم ما يحتاجون من لوازم الطريق لارض الشام. ويخرجون بساير خيلهم واثقالهم. وعند السفر يسير معهم الجنرال رانيه باربعة الاف صلدات الى الصالحية، ليلا [لئلا] يصير لهم معارضة فى الطريق من اهل البلاد، ويكون سبيلاً للفساد. وجميع ما يتركون من المجاريح وذوى الامراض فيكون لهم الامان وعدم الاعتراض. ولاجل عدم وقوع الخلل منهم بعد اصدار هذا الامان لهم، يكون عندنا منهم اثنان رهينة لحينما يخرجون من المدينة، ويصلون الى ارض غزّة، ويرجع الجنرال رانيه الى مصر بسلام، فنطلق سبيل الرهاين بكل اكرام. وقد اصدرنا لهم هذا الامر الكافى والامان الوافى.

واما اهل المدينة فلا نمنحهم الامان، وليس لهم ان يسألوا عنهم الان. لانّهم رعاياى وتدبيرهم مختصّ بى. فرجعوا السنجقان والشيخان واعرضوا القول على الغزّ والباشا وكتخدا الدولة، فامتثلوا القول، وعقدوا الرأى على إرسال سنجقين رهينة وهما: عثمان بيك البرديسى وعثمان بيك الاشقر، وحضروا لعند امير الجيوش ونبّهوا حالاً على العساكر بالانتقال الى الجهة الثانية من الخليج.

ودخلت العساكر الفرنساوية واخذوا الجهة الواحدة من الخليج، وتملكوا المتاريس.

ونصبت الغزّ والعساكر العثمانية اوطاقها خارجاً عن باب النصر، وشرعوا يتأهبون لأجل السفر من مدينة مصر. ونصب الجنرال رانيه مضاربه امامهم.

وكان حزناً عظيماً عند المصريين، وسقط عليهم خوف جسيم، وبدوا بالنوح والعويل، والبكا والتعداد المستطيل، فى جميع منازل الاسلام الخاصّ والعامّ. وبدوا يسبّون الغزّ ويشتمونهم وهم خارجين، ويقولون لهم: قد احرقتمونا بناركم من بغيكم وضلالكم، واسيئتم الينا وطرحتم شرّكم علينا، وقتلتم رجالنا ويتّمتم اطفالنا.

وفى الثلاثة ايّام، خرجت العساكر من مصر بالتمام. وخرجت معهم عدّة من العوالم وساروا قاصدين غزّة والأراضى الشامية. والجنرال رانيه ساير فى اثرهم بمن معه من الفرنساوية. الى ان اوصلهم للصالحية. واستراحوا يومين واخذوا ما يحتاجون، وتوجّهوا لقطية.

وقد ساعدهم الجنرال بما يحتاجون اليه من الماكل ومن الخيل والجمال. وتعجّبت الاسلام من امان هولاء الانام، وحفظهم للذمام. اذ كانوا خاشين من خيانتهم بالطريق وغدرهم فى تلك البريّة. ثم رجع الجنرال عنهم الى القاهرة بعزّة وافرة.

واما امير الجيوش، فانه بعد ما سارت العساكر، امر بان يعملوا فرحة عظيمة، وحضرت اليه الاعيان والحكّام والعلما وارباب الديوان. واقعد عن يمينه السنجقين بكل اكرام. ورجعوا الفرنساوية الى محلاتهم فى المدينة.

وبعد ثلاثة ايّام، عمل امير الجيوش ديواناً ودعا اليه العلما والاعيان وقال لهم: انّى كنت اظنّكم ايّها علماء الديوان انكم من الناس العقلا ذوى الاذهان. الان قد استبان لى ان عقولكم اخفّ من عقول الصبيان، واجهل من النسوان. لان بعد معرفتكم انى قد قهرت وزير السلطان، وشتتّت جيشه فى البرارى والوديان، فقبلتم شرذمة يسيرة

وفرقة حقيرة، هاربين من سيفي الباتر وقوّة بطشي القاهر. وادخلتموهم القاهرة، واخذتم تحاربوني بعيون فاجرة. مع انكم تعلمون لا تربحون الاّ الذلّ والاهانة، وخراب وطنكم الكنانة . وهلاك الرجال وذهاب الاموال. وقد كنتم قادرين على طرد هولاء القوم الهاربين، وعدم تمكّنهم غير الامين. واني قد كنت قادراً بعد حضوري ان احرق المدينة في الحال، ولكن اخذتني الشفقة على النسا والاطفال الذين لا رضا لهم بهذا الوبال والنكال.

والان قد صفحت عن خطأكم، ولكن يلزمكم ان تدفعوا مليونين من الريال، مبلغها ستّة عشر الف كيس ثمن دماكم، وعشرين الف بندقية، وخمسة عشر الف جوز طبنجات، وعشرة الاف سيف، واربعماية بغل، وماية حصان. وهذه يكون منها على السيّد احمد المحروقي ماية وخمسين الف ريال، وعلى شيخ مصطفى الصاوي خمسين الف ريال، والشيخ العناني ثلاثين الف ريال، وبقية المال على اهالي البلد جميعها. واما النصارى فليس لهم ان يساعدوكم بدرهم واحد، فكفاهم ما جرا عليهم منكم من الوبال، والهتيكة وسلب المال. وما تكبّدوه من الاضرار وسفك الدماء منكم يا اشرار. مع اننا افهمناكم امرار عديدة اننا نحن لسنا من النصارى، بل نودّ الاسلام ونحترم القرآن بكل احترام، وما سمحنا لهم بحمل السلاح الاّ ليحموا انفسهم منكم يا قباح. اذ نظرنا هجومكم عليهم . ثم نهض من قدامهم وهو مملوء من الغضب ولم يلتفت اليهم.

ثم استدعى يعقوب القبطي الذى ذكرنا انهم حاصروه في حارة الاقباط، وامره ان يسترد منهم في الحال ما طلبه من المال. وارسل قبض على السيد احمد المحروقي، وضبط منزله وارسله للقلعة. وسجن ايضاً امرأته فكان امر عظيم عند المصريين، وغمّ لا يوصف عند المسلمين، وارتجّت تلك الديار من سطوة هذا الاسد المغوار. وخافت منه الصغار والكبار. وقطعت الاسلام الامال من التغيير والابتدال.

وخرجوا النسا خروجاً شنيعاً مع الفرنساويين. وبقت مدينة مصر مثل باريز في شرب الخمر والمسكرات والاشياء التى لا ترضى ربّ السماوات،. ورجعت الوُلاة والحكّام لما كانوا عليه اولاً من الاحكام.

واحضر امير الجيوش السيد خليل البكرى الذى قد كانوا الاسلام نهبوا بيته، وانعم عليه بما كان راح له، وارجعه الى الديوان كما كان. واحضر رجلا ونصبه عوض مصطفى اغا الذى قتلوه، واقامه على الانكشارية.

ثم يعقوب القبطي انعم عليه بالجنرالية، ووضع على كتفه شراشيب الذهب كعادة هذه المنصبية وان يجمع عسكراً من الاقباط. ودعى من ذلك الحين الجنرال يعقوب. وكان ذلك مكافأة له لما ظهر منه من الشجاعة والفروسية مع الصلدات الفرنساوية. وجمع ثمانماية راجل من الاقباط ولبّسهم لبس الصلدات. وكانت الفرنساوية تعلّمهم فنون حرب الافرنجية، في كل يوم بكره وعشية.

ثم احضر نقولا قبطان الروم واكرمه غاية الاكرام، واعطاه الوظيفة الجنرالية، ووضع على كتفه الشراشيب الذهبية، وذلك لما ظهر منه من

الشجاعة والرجولية، واقامه جنرال على العسكر الرومية، والبس عسكره الملابس الافرنجية. واحضر ايضاً بارتليمى الساقزلى [فرط الرمان] وانعم عليه الجنرالية. وبلغ عسكر الاروام ثلاثماية صلدات من الشجعان.

## [ ذكر الاتفاق بين كليبر ومراد بك ]

ثم ان امير الجيوش ابتدأ ببناية ابراج جديدة حول مصر، خشيةً من قيام اهاليها وعصاوتها على الفرنساوية، ان وردت الاخصام لمحاربتهم من البلاد العثمانية، لأنهم كانوا يخشون قيام اهالى المدينة اكثر من القادمين عليهم من البريّة.

وهذه مرّة ثانية التى قامت بها اهالى مصر على الفرنساوية. وهذه المرتين اهلكوا من العسكر الفرنساوية ما يفوق عن الثلاثة آلاف، ما عدا الذين اهلكوا خفية فى المنازل. فشرعوا اولاً فى بناية القلعة التى فى كوم الزيت بين القلعة الكبيرة وقلعة كوم الغريب. ثم شرعوا ايضاً فى بناية قلعتين فوق الكومين الخارجين من باب النصر. ثم شرعوا ايضاً فى بناية القلعة فوق باب النصر، وقلعة ثانية فوق باب الفتوح،وقلعة فوق باب العدوة، ، وقلعة فوق باب الحديد.

وشرعوا ايضاً فى بناية قلعة فوق باب الريش الخارج عن المدينة ما بين العدوة والحسنية. وهذا الكوم كانت العساكر العثمانية تحارب عليه الفرنساوية فى مدّة الحصار، واخذته منهم الفرنساوية قوّةً واقتداراً ليلة تلك الامطار. ثم شرعوا ايضاً فى بناية قلعة فوق كوم الذى بين اليزبكية وبولاق. وفى بناية قلعة فى بولاق من جهة البحر فوق كوم السبتية. ووجدوا سورا قديماً كايناً من باب النصر الى باب الحديد قد تغطى من العمارات على مدى الزمان، فأمر المهندسون بكشفه، وهذه القلعة بنوها مع السور المذكور.

ثم شرع ايضاً يعقوب القبطى الجنرال بعمل سور وابراج حول دور النصارى والأقباط، لما قاساه فى مدّة الحصار الذى قد كان آيلاً لهتك الاستار وفضح الاحرار، وقطع العمار والدمار والدثار. فهذا الزم يعقوب الجنرال لهذه العمار، ولكن لم يكّمل عماره الاّ فى زمان الامير منو كما سيأتى ذكره فيما بعد.

قد قلنا سابقاً ان مراد لم يرد يدخل القاهرة مع ناصيف باشا وعثمان بيك كتخدا الدولة وباقى الغزّ المصريين، بل بقى خارجاً عنها، جايلاً فى برّ الجيزة مدّة اربعة وثلاثين يوماً، بشرذمة وجيزة. وكانت نفسه فى مسافة هذه المدّة المذكورة تتوق إلى الصلح مع الفرنساوية، لما شاف من ضعف العساكر العثمانية وقوّة بطش الفرنساوية.

وقد كان امير الجيوش يودّ انتظامه ويؤثر التيامه، فوجّه له برطولمى الساقزلى الجنرال، وهذا كان يتكلم باربعة ألسن: العربية والتركية والرومية والطليانية. وكان متربيّاً فى مدينة مصر، وله الدالة [الخطوة] فى بيوت السناجق ، والكشاف. فسار هذا لعند مراد بيك واخبره ان امير الجيوش يروم اتحاده لا ابعاده، ورغب وداده لا جلاده. ويرفع احقاده ويبطّل جلاده. ويأخذ من الصعيد بلاده ويريح فواده. ويكسب نفسه واجناده. فلما فهم مراد بيك هذا الخطاب انشرح صدره واجاب: إلى الصلح والاصطلاح، وابطال الحرب والكفاح، صيانةً للاجساد والارواح، ليلاً يفتح العزيز الفتّاح باباً غير هذا الباب للفرح والنجاح.

وقد كان عند مراد بيك رجلاً من خدّامه قايماً بتدبير امر المدافع يُدعى حسين اغا الزانطلى، وهو من مدينة زانطة[٧٦] ، واسلم فى مصر مع اخوته الاثنين، وكانوا جميعهم فى خدمة مراد بيك قايمين. وهذا المذكور ايضاً كان يتكلّم باربعة السن، فارسله مراد بيك الى الامير كليبر لاجل اتمام الصلاح بينهما. وبواسطة هذين الشخصين تمّ الاتفاق وارتفع الانشقاق، وانعقدت المشورة على ان مراد بيك يصنع وليمة للامير كليبر فى جزيرة الذهب القريبة من الجيزة، ويدعوه اليها.

وهناك يكون الاتفاق. فركب امير الجيوش الى الجيزة ومعه عثمان بيك البرديسى وعثمان بيك الاشقر، وسار بنفر قليل الى مقابلة مراد بيك. فحين وصلا وتقابلا، تلاقاه مراد بيك بكل بشاشة، وتصافحا مصافحة الاخوان، وجلسا فى ذلك الديوان بالسرور والامان، وجلس معهما داماس الوزير ودميانوس الترجمان، ووقفت جميع السناجق والكشّاف. ثم بعد المخاطبة والكلام بالترحيب والكرام، امر مراد بيك الى الواقفين بالخروج، وهناك عاهد امير الجيوش مراد بيك العهد التام، وانه يقيم فى بلاد الصعيد بعيش رغيد، مع ساير من يروم اقامته من الغزّ والمماليك هناك. وصرّفه بجميع ما له من الاملاك، ويكون حاكماً على مدينة جرجة، ويدفع للمشيخة مال ميريها المترتب عليها. وانه يرسل الى ابراهيم بيك وبقية الغز ان يكون لهم الامان.

ثم عاهده ايضاً انه اذا اخلت الفرنساوية الديار المصرية، فلا يكون تسليم هذه المملكية الاّ له دون غيره من الدول . فانشرح مراد بيك بهذا الامل.

وبعد اتمام الكلام وبلوغ المرام، أهدى مراد بيك لامير الجيوش سيفاً ثميناً وخنجراً عظيماً، والى الوزير داماس سيفاً من الهندوان، والى الترجمان خاتماً ثميناً من الماس. وبعد ذلك قدّم له صفرة الطعام وانية المُدام، كلها من الكواكيل الفاخرة بالروايح العاطرة. فاكلوا وشربوا ولذوا وطربوا. وطالت لهم الاوقات بالحبّ والمسرّات. واتصل بينهم الوداد وتركوا البغضة والعناد.

ثم ان مراد بيك طلب من امير الجيوش حضور العساكر الفرنساوية من المشاه والخيا[لة] ليلعبوا امامه، ويتفرّج على ما يعملون فى حربهم من الصناعة والفنون. فامر امير الجيوش باحضار خمسماية صلدات من الجيزة. فحضروا بمدّة وجيزة ، وطفقوا يلعبون ويظهرون ما عندهم من الحرب والفنون، صناعة تأخذ العقول وتدهش العيون. فانشرح مراد بيك من تلك الفرجة واخذه الفرح والبهجة. ثم ركبت الغزّ المماليك ، وبدوا يلعبون على الخيل ملاعيب الحرب القوية. فانشرح امير الجيوش وشهد لهم فى الثبات والفروسية، وقال لمراد بيك: ان فوارسكم اصنع فى الطعن واثبت فى الحرب على الخيل بالميدان.

وبعد انقضاء النهار، نهض امير الجيوش على اقدامه وقام مراد بيك لقيامه. وودْعوا بعضهم بعض بالانس والسرور والغبطة والحبور. وخرج امير الجيوش من ذلك المكان وبدا يرمي الذهب الكبير على ساير الانام. ولم يزل على ذلك الشان الى ان صار خارج الديوان. فقدّم له مراد بيك جوادا، والى وزيره جواداً، من الخيول الجياد بالعُدَد الكاملة. وسار امير الجيوش الى الجيزة، ومن هناك ارسل الى مراد بيك فرمان التصريف مع حسين اغا

الزانطلي، واعطى للمذكور وظيفة سنجاقية، واقام كتخدا مراد بيك. وتوجّه مراد بيك للصعيد، وكان معه عثمان البرديسي، وعثمان بيك الاشقر، وسليمان بيك، واحمد بيك الكورجي، وعثمان بيك الطوبجي.. و[أ]قام في الصعيد بعيش رغيد، واجتمع عليه من السناجق والكشاف من تلك الاطراف والارياف.

وقد تقدّم القول أن الوزير الاعظم، بعد امضاء الشروط، ارسل صورة الاتّفاق الى الدول العلية والمملكة العثمانية. وصار فرح عظيم بمدينة القسطنطينية، وبساير الاقطار الاسلامية. واشحنت التجار اصناف البضايع في السفن البحرية السايرة الى الاسكندرية، لعلمهم ان الاقطار المصرية تسلّمتها الدولة العثمانية. وما توفقّ وصولهم الا بعد فساد الصلح والنية.

وعندما اقبلوا على الاسكندرية ونظرت اليهم الفرنساوية، فرفعوا لهم السناجق العثمانية. فدخلت تلك المراكب الى البواغيظ من غير خوف ولا تحريز. وارموا المراسي والحبال وهم باغضاء بال. ونزلت رؤساء المراكب الى البرّ وهم مأمنين فقبضت عليهم الفرنساوية، وارسلوا ضبطوا المراكب بما فيهم، وكانوا نحو ثلاثين مركباً صغاراً وكباراً، وبهم من البضايع ما يحيّر الانظار. وارسلوا اعلموا امير الجيوش بتلك الاخبار، وذكروا له ان البحرية اكثرهم اروام. وما فيهم الا قليل اسلام. فامر امير الجيوش ان تباع البضايع على التجار. وامر الى نقولا الجنرال ان يتوجه للاسكندرية، ويعين عنده الأروام النوتية. فسار المذكور كما امر الجيوش، وعيّن عنده الاروام، والبسهم لبس الصلدات الفرنساوية.

واما وزير الختام، بعد كسره ورجوعه الى غزة بالذل بعد العزة. وقد تفرقت تلك الجيوش والامم في الصحارى والاكام، وخرجت الغز من القاهرة بالقهر، وشاعت اخبار هذا الانكسار في ساير النواحي والاقطار. لانه من غرايب الامور، وعجايب ما يحدث في العصور، والازمنة والدهور، ان فئة يسيرة تشتت عدّة غزيرة، وتقوى وتقتدر وتظفر وتعلو وتنتصر. فهذا يحير الافكار، ويدهش الاسماع والابصار، فالعزة لله القويّ الجبّار. وقد ارتجت ممالك الاسلام رجة قويةً، ووقع عليهم الخبال من تلك الاحوال. وابتدات اصحاب العقول في الافتكار، وتدبير ما يزيل عنهم هذا العار، ويبدّد هولاء الكفّار.

## [ ذكر مقتل أمير الجيوش الجنرال كليبر ]

وقد كان في مدينة القدس المحمية احد اغوات الانكجارية، اسمه احمد اغا، من مدينة حلب القوية. فهذا يجول بافكاره على شخص مغوار، او مغازي يغار، اومحتال غدّار، او خبيث مكّار، يحتال بالفطنة والاختيار، على قتل ذلك الرهط الجبّار والبطل القهار، سلطان اوليك الكفّار، ويسقيه كاس الدمار. وقد اجتهد في ذلك التدبير، والأمر الصعب العسير. الذى لا يقدم عليه الا كل ليث خطير، أو شجاع مغير، يطلب المناداة، والموت في المغازاة. او طمعاً في المكاسب وعلوّ المراتب. وبينما هو في ذلك الاهتمام لبلوغ المرام، واذ تقدم عليه شابّ قوى الجنان، مملو من الجهل اسمه سليمان. وهو من مدينة حلب الشهبا(٧٧) ، قد هزّه جنون [الصبا] ، واوعده بقتل ذلك السلطان حبّا بالدين والايمان. فاخذ يجسره ذلك الاغا المذكور، ويحثه

على قضاء هذا الامر المأثور. ويوعده بما يناله من النعامات الوفية من الدولة العلية، وما يحصل له من السرور ومن الاسم المشهور مدّ الاعوام والدهور.

وكان ذلك الشاب ما بلغ من العمر اكثر من اربعة وعشرين سنة، الا انه اسد درغام وليث هجّام. فسار من القدس على هذا المرام، ودخل الى غزّة بنفس مُعْتَزَّة. وهناك اجتمع باحد من اغوات الانكشارية اسمه ياسين اغا، من الرجال الحلبية. فحدثه الشابّ بما فى ضميره من النية من قتل السلطان الفرنساوية، فجسره ياسين اغا على تلك النية، واعطاه اربعين غرش اسدية. وسار المذكور الى مدينة مصر الكنانة، وفى قلبه الغدر والخيانة. ودخلها فى شهر ذى الحجة، ونفسه غير مرتجة وقطن فى جامع الأزهر. وهناك اجتمع باربعة انفار من المجتورين [بالازهر] واخبرهم بما فى باطنه من الكمين. وطفق يتبع امير الجيوش من مكان الى مكان، ويترقب له فرصة من الزمان، ليبلغ بها المرام. وحين آن الاوان، وسمح العزيز الرحمان، ودنت الاجال واتسع المجال.

ركب امير الجيوش ذات مرة يوم من الجيزة الى القاهرة ، وكان ذلك نهار الاثنين الواقع فى ٢١ محرم سنة ١٢١٥. فمن بعد ما لبّس [شيخ العريشى] على القضاوية، جال ذلك النهار فى مصر مع عساكره القوية، ورجع الى منزله فى موكب عظيم ومحفل جسيم. ودارت المناداة فى شوارع القاهرة تنادى حسبما رسم السلطان كليبر، سلطان مملكة مصر القاهرة، وصاحب الجيوش الظافرة، وكان قط لم ينادوا فى شوارع مصر جهاراً باسم السلطان إلا لذلك البطل القهار، ثم بعد رجوعه الى منزله، قصد المسير لعند وزيره داماس، إذ كان منفردا عن الناس، وقد قدمنا الإيراد انه كان يحب الانفراد، وعند آخر النهار، خرج مع شيخ المهندسين، وقد [جرتّه] الاقدار الى شرب كاس البوار. وبينما هو منفرد فى الجنينة الكاينة بين منزله وبين منزل وزيره داماس، فدخل عليه ذلك الشاب سليمان، وكانت عليه ثياب باليات. ومدّ يده اليه ليستعطى منه صدقة، واعطاه من يده ورقة. فاخذها كليبر من يده، وبينما هو يمعن فى [قراءتها]، فانقض عليه ذلك الشاب وضربه بسكين كان محتفظاً عليه تحت ثيابه، فجاءت الضربة بخاصرته، فسقط فى الأرض وصرخ صوتاً عظيماً. وضربه ثانياً وثالثاً ورابعاً.

وقد سمع صوته كل من كان بالقرب منه، فبادر اليه المهندس [بروتاين] وبيده [عصا] فضرب القاتل بها على هامه فجرحه، فهجم سليمان على المهندس وضربه بتلك السكين، فجرحه جرحاً بليغاً، ووقع على الأرض بين ميت وحيّ، وفرّ القاتل هارباً.

وعندما سمع داماس الوزير صوت امير الجيوش بادر مسرعا، فنظر امير الجيوش ملقى على الارض طريحاً، فحار وصرخ: من فعل بك يا مليح هذا القبيح [؟] ، فرفع يده واومى [الى] القاتل الهارب. وحضرت الصلدات وداروا حول الجنينة، وطفقوا يفتشون. واى من وجدوه عليه يقبضون ، واذ بامراة من شباك دلّت على القاتل، وكان مختفياً فى بعض الدهاليز. فقبضوا عليه، ونظروا الى ثيابه عليها اثار الدماء والسكين معه. واتوا به فرفعوا جسد امير الجيوش الى منزله. واجتمعت الجنرالية والكوميسارية والاوفيسيالية والجرايحية،

وبدوا يضعون الادوية على جراحاته فما مكث غير برهة يسيرة ومات. وصار حزن لا يوصف عند ساير الجيوش الفرنساوية، وبكوا بكاء مراً، وعضوا البنان تحسراً وقهراً. واخذوا يقدحون شرراً، وينظرون [شزراً] ليخرجوا الاحكام بتدوير الحسام فى النصارى والاسلام، ويقتلوهم على التمام. ولولا تعطف الملك العلاّم، وظهور ذلك الغلام ويتضح النور من الظلام. لكان حل باهالى مصر الويل والاهدام. فى هولا القوم اللِيام الذين لا يعرفون الحلال من الحرام، ولا يخشون رب الانام.

وأما أهالى القاهرة، فشملهم خوف عظيم من هولا الجبابرة. واختفت الناس فى المنازل والبيوت، وأخذتهم [البهتة] والسكوت. وبقى كل منهم مبهوت فى قتل ذلك البهموت. وخافوا ان يكون ذلك الفعل الذميم من سكان تلك الاقاليم. وان هذا القاتل الشنيع يرمى الناس فى هذا المهلك الفظيع والخطب المريع.

وأما الفرنساوية، حين وقعوا فى هذه البلية، احضروا القاتل سليمان وعذبوه العذاب الشنيع، فقر واعترف بما صنع وأتلف. ومن هو الذى أرسله لهذا الطرف وكيف مشا وتصرف. وقر عن أوليك الاربعة أنفار المجاورين، الذين عندهم حقيقة الخبر باليقين. فسارت الصلدات الفرنساوية اليهم بالخفية ليلا يعلموا ويهربوا، فدخلوا الجامع وقبضوا على الثلاثة وهرب الرابع. وأحضروهم وبدوا يعذبوهم ويقررونهم ان معهم خبر هذا القاتل سليمان، وما هو معوّل عليه من الحرام، وقد نصحوه فلم يسمع كلام. فحكم عليهم الشرع بالموت [لعدم] تخبيرهم وتحذيرهم.

وبرز من الشريعة الفرنساوية ان سليمان القاتل تُحرق يده أولاً بالنار، ثم يرفعوه على خازوق عال أمام النظر ثم يقطعوا رأس الثلاثة أنفار، ويرفعوهم على مزاريق حول الخازوق.

ثم ان فى ثانى الايّام، عند الصباح، صنعوا الفرنساوية ديواناً عمومياً، واختاروا كبير الجنرالية المدعّو الجنرال منو، وأقاموه امير الجيوش عوضا عن المقتول.

وبعد ذلك صنعوا ميتما عظيماً ومحفلاً جسيماً، وصنعوا له تابوتاً من الرصاص ووضعوه فيه، بعدما جوفوا جسده وحنّطوه. وأخذ داماس الوزير قلب الامير كليبر، ووضعه فى زجاجة، وكب عليه ارواحاً لحفظه من البلاء والفساد، وقد حزن هذا الوزير حزناً مفرطاً مع البكاء والتعداد.

ثم أمر منو أمير الجيوش بنقل جسد سلفه، وحضرت كافة الجنرالية وباقى حكام الفرنساوية، وجميع العلماء والاعيان، وجمّ غفير من كل الملل والديان. واحضروا خيل الامير كليبر ثم البسوهم الحلل السواد، ووضعوا التابوت فوق عرباته، وغطوه بحلة سوداء، ومشت جميع العساكر أمام التابوت وهى منكسة البندق وركب امير الجيوش منو مع سوارى العساكر، وسار من بركة اليزبكية الى قصر المعنية [القصر العينى]، وجميع العساكر والعلماء والاعيان، والحكام وارباب الديوان، ماشين قدام التابوت. والفرنساويون فى بكا شديد بحزن مفرط ما عليه من مزيد.

وسحبوا القاتل ورفقاءه حفاة عراة مكتوفين قدام التابوت. وحينما وصلوا أمام القصر، اصعدوا القاتل ورفقاءه الى اعلا الكوم. وحذفوا روس

اوليك الثلاثة انفار، ووضعوهم على ثلاثة مزاريق، واحرقوا يد سليمان القاتل وهو بالحياة، ثم رفعوه على خازوق عال، وركزوا الثلاثة مزاريق حوله.

ثم اوقدوا ناراً شديدة واحرقوا بها اجساد اوليك الثلاثة انفار.

ثم ادخلوا التابوت الى وسط القصر[العينى] وعملوا له مصطبة عالية ووضعوه فوقها وغرسوا حولها اغصانا خضرا. وصعد امير الجيوش الى مكان عالٍ، واخذ يعظ موعظة عظيمة تجعل القلوب كليمة،والدموع سحيمة، تتضمن مراثى محزنة والشاهيات [التعديدات] الموهنة، على مثل هذا البطل الهمام والاسد الباسل الدرغام، الذى قد نشر الاعلام وقهر الانام، وظفر فى عسكر الاسلام وطرد وزير الختام، وبدد ذلك الجيش الملتزم، وخلد ذكره مدى الدهور والايّام. ومن بعد اتمام تلك المراثى الموجعة والتعديدات المتنوعة ، اطلقوا البندق الكثيرة حول التابوت، وبكوا بكاءً مراً على هذا البهموت، ثم اقاموا [صلدات] محافظاً ليلاً ونهارا، وفى كل ثلاث ساعات يتغيّر احد الصلدات وياتى غيره، اكراما له واجلالاً لقدره.

وبعد ذلك رجع امير الجيوش الى منزله ببركة اليزبكية، وتفرقت لمنازلها عساكر الفرنساوية. وكل منهم ملتهب بنيران مهولة، بانهدام هذا الركن العظيم ذى الصولة. واستحوذ الحزن والاكتياب على المختصين به من الاحزاب، وتفرقت من ذلك الوقت منهم القلوب باذن عالم الغيوب.

## [ذكر أمير الجيوش الجنرال عبدالله منو]

وأما امير الجيوش منو، فهذا كان من المتقدمين فى بلاط ملك باريز السلطان لويس [السادس عشر]، وحين قتله المشيخة تبع هذا رأيهم. وحين حضروا للديار المصرية وحصلوا على ذلك التأييد، أقامه بونابارته حاكماً على رشيد. فمكث هناك مدةً وتزوّج بامرأة مسلمة شريفة، وادّعى بالاسلام، وسما ذاته عبدالله . وكان متقدماً بالعمر ذا احتيال ومكر.

ومن بعد تقدّمه على العساكر الفرنساوية، وارتضوه الجميع وشرع يغير فى الاحكام والوظايف، وضمّ اليه حزبا من الفرنساوية، واضعف احزاب سالفه القوية، واتكل على تدبيره وقوة بطشه. فتغيرت قلوبهم من ذلك الوقت، ووقع الاختلاف بين الفرنساوية، وابتدا ذلك الامير فى التبديل والتغير. وامر اولاً فى قفل جامع الازهر، وعقد لذلك ديوانا، وادعى ان هذا المكان ليس هو محلاً للدرس والتعليم للفرايض والسنن، بل هو محلّ للعقد والمشورة وايقاظ الفتن. فامر بطرد المجاورين وقفل ابوابه اجمعين.

ثم امر بتكميل بناء البراج التى كان شرع فى بنايها سلفه الامير كليبر. ثم امر بتوسيع الطرقات التى داخل القاهرة، وهدم عدّة بيوت، وشرع بكشف السور الذى كانوا وجدوه من باب النصر لباب الحديد، وهدموا من امامه ومن ورايه بيوتاً عديدة. واكمل بناء هذا السور، وجعل من فوقه ثلاثة ابراج.

وهدم جامع الحاكم بامر الله ، المشهور فى مصر، القريب من باب النصر، وجعله برجا عظيماً. ثم حصن اوليك البروج والاسوار، بالمدافع والقنابر الكبار.

وامر الجنرال يعقوب بتكميل السور الذى كان شرع فى بناية بايّام كليبر.

وامر على النصارى الشوام ان يدفعوا ثلاثماية كيس بالتمام. واحدث على النصارى خراج ثقيلاً لم يمر بالازمنة خراجاً اثقل منه وافرض ايضاً على الاسلام واليهود كذلك. وكان كرباً عظيماً وظلماً عميقاً، وذلك على الرعايا من جميع الملل. ولولا الرخاء العظيم، لكانت خربت من الظلم تلك الاقاليم.

هذا والفرنساوية لم تكل من تعمير الحصون بمدينة القاهرة وفى الاسكندرية، واصرفوا على ذلك خزاين عظيمة: اذ كانوا ناظرين قلة عددهم وعدم امدادهم وكثرة اضدادهم. فحصنوا تلك الحصون المنيعة. وامر امير الجيوش باطلاق السيد احمد [المحروقى] ، المسجون من سلفة الامير كليبر.

وقد كنّا ذكرنا ان حين قبض وزير الختام على الجنرال بوضوط قبض امير الجيوش على مصطفى باشا وارسله الى دمياط، واقام هناك تحت الترسم يكابد الهم العظيم. فمرض من قهره وتوارى فى قبره. وصنعوا له الفرنساوية بدمياط ميتماً عظيماً، ومحفلا جسيماً، حسب عادة روساء العساكر. فهذا ما كان من الفرنساوية فى الديار المصرية.

## [عودة إلى ذكر امير الجيوش بونابرت]

واما ما كان من امير الجيوش بونابارته، فانه جاز البحار وداس الاخطار، ووصل بالامن الحريز الى مدينة باريز، وصنع اموراً غريبة واحتيالات عجيبة. ودخل على رؤساء المشيخة فارتجوا لدخوله، واهتزوا لحلوله، وتعجبّوا غاية العجب من خلاصة من بلاد مصر. ونهضوا بوجهه نهضة الغضب، وعزموا على هلاكه والعطب.

فنشر لهم اساطير اللوم والعتب. وطفق يبكتهم على فعلهم الذميم، وسيرهم غير المستقيم. وخيانتهم الشنيعة وتخطيهم حقيق الشريعة. وتركهم الخواص رجال المملكة الفرنساوية فى ممالك البربرية من دون عون ولا اسعاف. ورميهم في الهلاك والتلاف. فنهض اليه بعض رؤساء المشيخة فبدا يبث له الغدر، فما قبل عذره وجرزه. فلما جرزه [سبه] ضربه بالشيش على هامه. فحين حسّ بونابارته بالألم وثب على ذلك الشيخ وثب الاسد الضيغم، واطلق فى صدره الرصاص فالقاه قتيل، وفى دمّه جديل. وهجم على بقية ارباب الديوان مع اصحابه بالسيف والنيران، فقتل منهم اثنين، وهما اللذان كانا له مبغضين، وعلى هلاكه بالديار المصرية متفقين، وانتبهت اصحاب بونابارته وطفقوا يصيحون: فليعش رئيس شعبنا الامير الشهير، الليث الخطير، بونابارته النحرير. وحينما سمع شعب مدينة باريز اسم هذا العزيز، طفقوا يتهللون وبالندا يعلّون: فليعش بونابارته مخلصنا وعظيم مشيختنا.

ثم ان بعد انقضاء الهياج وهدوء ذلك العجاج، عقد بونابارته ديواناً مع عظما الجمهور، وذوى التدبير فى الامور. واوعظهم ان يختاروا ريساً على الشعب يكون خبيراً وبأمور الدهر عليماً، فاجابوه جميعهم بصوت واحد: لا ريس لمشيختنا سواك، ولا لنا مدبّر الاّ إياك. ودعوه القنصل الاول فى الجمهور الفرنساويين، كما كانت هذه العادة عند الرومانيين.

وابتداء من ذلك الوقت والحين، بتجهيز العساكر الكثيرة والجيوش الغزيرة. وفتح مدارس

التعليم. وارسل الجيوش الى ممالك ايطاليا. واخفض المقامات السامية. ومهد الجبال العلية. وداس تلك الرقاع والبقاع واسترجع المدن والبقاع، وملك الاقاليم والبلاد. وخضعت له تلك العباد. ودحض عساكر الامبراطور. واخلا منهم الدور. وانقادت له الملوك وسالوه الصلح فلم يأبه بل سلك معهم غاية السلوك. وقررهم على الرضى والاتفاق، مع العهود الوثاق. ورجع بالجيوش الى مدينة باريز بنصر عزيز. وارتجت جميع الممالك الافرنجية من سطوته القوية.

ومن بعد هذه الانتصارات الجزيلة التى تمت بأيام قليلة، كتب القنصل الاول بونابارته الى البابا سلطان رومية كتابا بالصلح والسلام، ويرده لكرسيه بالعز والاكرام. وفتح الكنايس جميعها فى ساير بلاد فرنسا. واشهر ايمانه بالمسيح، واعترف جهاراً امام كل الشعوب بهذا الدين الصحيح. وانتشر ذلك فى كامل البلاد الافرنجية. وابتدا يجاهد ويفرغ جهده لكى يعين زمرة الفرنساويين الذين بمصر مقيمين. فلم يمكن عدوّه الانكليز من ذلك. وقد سدّد عليه جميع الطرقات والمسالك. وكان قبض على مقدار ألف اسير من المسكوبين فى حرب[النمسا]، وارسل اعلم بهم دولة الانكليز، وطلب منهم ان يستفدى بهم ما عنده من اسير الفرنساوية فابى الانكليز ذلك.

وحين تحقق بونابارته انه لا يقبل ذلك الاتفاق، فاحضر تلك الاسارى المسكوبين، ومن عليهم بالاطلاق اجمعين، وكساهم كسوة جديدة،وصنع لهم وليمة عظيمة . وحباً بهم ، امر فى زينة جسيمة، وارسلهم الى كرسى دولتهم مع احد الجنرالية من قبله. وحرر الى سلطان باولو(٧٨) انه: قد كتبت الى سلطان الانكليز، صديقكم، ان يستفدى بالاسارى المسكوبين بما عنده من [اسرى] الفرنساويين ، فأبى ذلك ولم يرض.

وحين وصلت الاسارى، اعلموا السلطان باولو بما فعل بونابارته من الاكرام، بعد الاسر والاعدام. ففرح فرحاً شديداً ماعليه مزيد، وامر بزينة حبّا بالمشيخة الفرنساوية واجرا الصلح بينه وبين القنصل الاول بونابارته، على حرب الانكليز والدولة العثمانية، بواسطة اقتدارها وانتشار قوتها.

واستعّد الملك باولو المشار اليه على مضادّة الانكليز والعثمانى، وكتب السلطان [باولو] للسلطان سليم ان يمنع الحرب عن الفرنساوية المتملكين الديار المصرية لبينما يدبّر امراً إلى الصلح. وان لم يمتنع عن حرب الفرنساويين بينما اجري صلحهم مع الانكليز، والا يقتضى الأمر أن ينادى فى الحرب. فحين وقف على هذا السلطان سليم، فخرج حالا الأمر من الدولة العثمانية برفع الحرب عن الفرنساوية الذين هم بالديار المصرية. فهذا ما كان من القنصل الأول بونابارته.

وأما ما كان من الانكليز، فانهم لم يرتضوا بان يمتنعوا عن محاربة الفرنساويين، فاخذوا يدّبرون مكايد لهلاك السلطان باولو سلطان المسكويين ، وبدوا يجمعون العساكر ليسيرهم الى مصر. فبلغ بونابارته ذلك، ففى الحال ارسل مركباً صغيراً الى مدينة الاسكندرية، واخبر امير الجيوش ان حاضرة لمحاربتهم عساكر الانكليزية بعشرين الف مقاتل واخبره بموت الجنرال ديزه فى حرب النمسا، فكان حزن عظيم عند الفرنساوية، واخبرهم ان يصنعوا ميتما على رؤساء العساكر. وان يتشدّدوا للحرب والجلاد. واوعدهم بالاسعاف والامداد. واوصاهم بحفظ البلاد، بقوة الحرب والجهاد.

وحين دخل ذلك المركب للاسكندرية، واوصل الكتابات الى عبدالله منو من بونابارته القنصل الاول، فعقد ديواناً فى مصر، وحضرت رؤساء العساكر والاوفيسيالية، وفرحوا فرحاً عظيماً

لانتصاره، والصلح مع الملوك، وهدوء المملكة وسكون حركاتها. وتأملوا بالامداد، وانسروا بصلح البابا وركون البلاد. وحزنوا لفقد الجنرال ديزه وصنعوا له ميتماً، واجتمعت الفرنساوية الى بركة اليزبكية، مع العلماء والحكّام وارباب الديوان. وصنعوا له تابوت، وخرجوا به من باب النصر وهم منكسين البندق، وساروا الى ارض القبة، وهناك عملوا المراثي والمناحة، واوردوا شجاعته وفروسيته، والانتصارات التى صارت عن يده. ثم اطلقوا البندق حول التابوت، وبكوا على فقد ذلك البهموت، ورجعوا الى القاهرة بحسرة وافرة.

## [ذكر ما جرى للوزير الأعظم]

ثم نرجع لما كنّا [بايراده عن] الوزير الأعظم فانه بعد رجوعه الى ارض فلسطين، بعد تلاشى عسكره ذلك المتين. ابتدا يفرق الفرمانات على ساير الاقاليم والبلاد، بطلب العساكر للجهاد. وابتدت تتوارد عليه العساكر من ساير الاماكن، [فجرّد] عسكرا عظيماً.

وقد حدث بفلسطين وتلك الاقطار غلا جسيم، ومات من القحط اكثر اهل الديار، من كثرة تلك العساكر المتبادرة، والجيوش المتقاطرة، وتضايقت تلك العساكر من عدم المآكل، وماتت البهايم والدواب. ثم اعقب الغلا الطاعون المريع والموت الفجيع، فمات منه الشريف والوضيع، وحاق التلاف بكل الاطراف، بلا شك ولا خلاف وحل بهم الوبال والنكال، وماتت منهم خواص الرجال. ولم يبق من تلك العساكر الا الوجيز. ومات كل رهط وعزيز.

وقد مات من السناجق احسنهم وافرسهم واجملهم ، وعدة وافرة من المماليك الجبارة ، وهم: مصطفى بيك الكبير، وايوب بيك الكبير، وعثمان بيك الشرقاوى، وعثمان بيك الطاويل[الطويل] ، وحسن بيك الجرداوى[الجداوى] ، وقاسم بيك ابو سيف، وقاسم بيك امين البحر، والامير شروان. وذلك من غير الكشاف والسناجق الصغار.

وتقمقمت [تذمرت] عساكر الاسلام على ربّ الانام، اذا كانوا يقولون : ما يحل من الله العليّ العلاّم، ان الكفار يتنعموا في خيرات مملكة الاسلام بتلك الديار، ونحن نهلك بالبرارى والقفار، ونلتقى الجوع وبرد الليل وحرّ النهار.

وقد كان بلغ الوزير الاعظم الاتفاق الذى وقع بين مراد بيك والأمير كليبر، وانه وعده اذا رحلت الفرنساوية يسلّمه الديار المصرية.

ثم بلغه ما حلّ بالامير كليبر من المنية ففرح فرحاً شديد[اً] ما عليه من مزيد ، وتامل بتملّك تلك الاقطار ، بعد زوال ذلك الاسد المغوار. فدعا ابراهيم بيك، وامره يكتب الى مراد بيك، ان يطالب عبدالله منو امير الجيوس بوعد سلفه كليبر. وان لا بد لهم من الخروج [عن] هذه المملكة لكون لا قدرة لهم على الثبات، حيث لا اسعاف لهم ولا امداد . وقد بقوا قليلين العدد وكثيرين الاضداد، واخصامهم فى ساير البلاد. ومن المستحيل ان يقتدروا على هذا الجلاد، ومحاربة جميع العباد، والعساكر العثمانية والمراكب الانكليزية قايمة عليهم من كل الجهات. فخروجهم الان بالصلح والسلام، اوفق لهم من خروجهم بالقهر والرغام. واوعد الوزير لابراهيم بيك ان متى عولوا على الامتثال، وخرجوا على هذا المنوال، يسلّم المملكة إلى الغز المصريين، كما وعدهم كليبر، ويرتحل هو للقسطنطينية بالعساكر الهمايونية. ويرسل وزيراً يكون بالقلعة السلطانية، وذلك حكم الايام السالفة، بدون مناقضة ولا مخالفة.

فكتب ابراهيم بيك ما امره الوزير ، وكتب ايضاً الوزير فرمانا الى مراد بيك بهذا الشأن.

ولما وصلت الى مراد بيك هذه الكتابات رآها، وفى الحال كتب الى أمير الجيوش يعرفه بتلك الاسباب. وارسل بها عثمان بيك البرديسي، وامره ان يشرح الى امير الجيوش عبدالله منو ما ذكره الوزير الاعظم، ويعرض عليه ذلك الفرمان الذى اتاه.

فتوجه عثمان بيك إلى مصر وأخبر أمير الجيوش فى تلك الكتابات،وأعرض عليه الفرمان، فتغيرت منه الاحوال واجابه: اننا نحن لسنا عازمين الان على الخروج من هذه المملكة، فمتى عزمنا واردنا ان نتركها نبقى فى ذلك الوقت نقيم بوعدنا مع مراد بيك. ومع ذلك مراد بيك قاطن بمملكة مصر براحة كلية، وقد صار عضواً من أعضاء المشيخة الفرنساوية، ولا يكن مهتماً الا بذاته. فاجابه عثمان بيك البرديسي: ان مولاى مراد بيك ارسلنى للتخبير لك بالصورة الواقعة والمكاتبة، لا على صورة السؤال والمطالبة. ولابد رفع الريب والشكوك عنه، لان لابد كان يبلغ حضرتك رسالة الوزير الاعظم لمولاى، فيحصل الشكوك والريب. وأقام عثمان بيك بمصر، بعد هذا الكلام، مدة ايام بالعز والاكرام. وقد كان جاب جانبا من الاموال الميرية المستوجبة على مراد بيك للمشيخة الفرنساوية. وبعد ذلك اخبر مراد بيك بجواب امير الجيوش، فكتب لابراهيم بيك عن جواب الفرنساوية.

وقد كان مراد بيك غير مطمان من طرف الدولة العثمانية. فلذلك لم يبال بذلك الجواب، وبالنفور الذى ابداه امير الجيوش على الوزير، لانه كان قايماً فى صعيد [مصر] بعيش رغيد.

واما ابراهيم بيك ومن معه من الغز المصريين، الذين كانوا مع الوزير متحدين. كانت قلوبهم ايضاً غير امينة، والخشية فى قلوبهم كمينه، وهم خايفين من غدر الدولة ونياتها المدغولة.. فاجتمعوا فى بعضهم، ودبروا امرهم. وانهم يلتجوا الى الانكليز، فقبلهم السر عسكر سميت، وامنهم بميثاق شديد. واعرض امرهم الى باب الدولة العثمانية، واستخرج لهم الخطوط الشريفة من الدولة المنيفة، بالامانات الوثيقة والعهود الحقيقية. فاطمأنوا الغز المماليك، وامنوا من المهالك. فاشتهر امرهم وبان سرهم بانهم قد صاروا فى حماية الانكليز، بكل امن حريز.

## [ذكر نزول العساكر الانكليزية والعثمانية فى ابوقير]

وكانت فى ذلك الوقت الحركة فى مصر من شهر صفر سنة ١٢١٥ الى شهر شوال كمالة(٧٩) الثمانية اشهر. وفى شهر رمضان ثمانية ايام منه (٨٠)، ظهرت الشمس والقمر معاً فى وسط النهار. وكان بالقرب من القمر نجوم تشعشع جدّاً كالنار، وكان النيّران اى الشمس والقمر ظاهران. وقد تم ما قيل إذا ظهر [النيّران] بميقات واحد يلطف باهل الكنانة.

وفى هذا الشهر المذكور، اقبلت على البواغيظ الاسكندرية ماية وخمسون مركباً انكليزية مشحونة بالرجال والابطال. فارتجت لقدومهم اسكندرية

وتلك الاطلال. وكتب الجنرال فوريه الحاكم بالاسكندرية، يعلم امير الجيوش بمصر بقدوم تلك المراكب ويستنجده.

ولما وصل الكتاب، حالاً جهّز العساكر وارسلهم عن طريق رشيد. وثالث يوم حضر له كتاب ثانى من الجنرال المذكور، بان المراكب، اذ لم تستطع الوقوف تجاه الاسكندرية من المدافع، فرجعت بطريقها مولية. فكتب امير الجيوش للعسكر المرسول ان يرجعوا، واطمان قلبه ظاناً ان اعداه الانكليز هربت منه.

وكان الامر ضدّ ذلك، لان المراكب المذكورة، اذ لم تستطع المقابلة بوجه الاسكندرية لكثرة حصونها، فرجعت إلى أبوقير، وخرجت العساكر من المراكب إلى البر، وبنت المتاريس المتينة. وكانوا عشرين الف مقاتل، وهولا الذين اخبر عنهم بونابارته من باريز وحذرهم من ذلك صد التحريز.

وقد بلغ الخبر إلى الجنرال فوريه أن تلك العمارة أخرجت عساكرها إلى أبو قير. فبالحال سار اليهم بثمانماية مقاتل، وانتشب فيما بينهم القتال. وقد كانت واقعة من الاهوال، وانكسرت الفرنساوية ورجعت للاسكندرية.

وأرسل الجنرال المذكور واخبر امير الجيوش بتحصين الانكليز فى ابو قير، وقدوم عمارة العثمانية. فارتجت الفرنساوية رجةً قويةً. وجهز امير الجيوش العساكر وارسلهم على طريق رشيد. وقد خافت باقى الفرنساوية الذين بقوا بمصر، وبان عليهم اشارات الغلبة. وبدوا يخلون المنازل القاطنين بها، ويتحصّنون فى القلعة الكبيرة وفى الجيزة.

وسقطت عليهم الاوهام، وتنكست منهم الاعلام. وتيقنوا بالزوال وعدم الدوام، من كثرة الاخصام، ومبادرة الاعادى من كل فج ووادى.

وكانت العساكر الانكليزية والعثمانية ينوفون عن الخمسة وثلاثون الف جنكية[مقاتل]. وذلك ما عدا عساكر الوزير الاعظم الوارد من الشام، وعسكر وارد من ارض الهند الشرقى على طريق القُصَير، خلا عن سكّان الاقاليم المصرية القايمة على قدم وساق، مع العساكر القادمين بالاتّفاق.

ومن هذا القبيل قد ارتجّت قلوب الفرنساوية. وكانت قلوبهم منقسمة وغير محتزمة، كرهاً منهم فى امير الجيوش، لانه فرق قلوبهم. لان فى جلوسه على تخت القاهرة كره رجال سلفه كليبر.

وبالاختصار نقول: ان الامير عبدالله منو، بعد ثلاثة ايّام، سار بباقى العساكر على طريق رشيد، وولى مكانه الجنرال بليار قيمقام. وهذا الجنرال من رجال الجنرال ديزه حاكم الصعيد سابقاً، وكان رئيساً فى الاحكام، شديد الباس فى الحرب والصدام.

وكان الفرنساوية بدت تخلى الاقاليم والبلاد، ويتجمّعون فى مدينة مصر. ثم قد اخلوا قطية وبلبيس والصالحية، وجميع الوجه الشرقى، وارض الصعيد ودمياط والمنصورة. وقد انحصروا فى القاهرة والرحمانية، وفى رشيد امام العساكر العثمانية والانكليزية. وكانت عدة المحاربين من الفرنساوية ثلاثة عشر الف مقاتل فقط. ما عدا ارباب الصنايع والنساء والاولاد فكانوا مقدار سبعة

الاف. والبقية ماتوا بالحروب والجلاد، والبعض توجهوا للبلاد [فرنسا]. فهؤلاء جميعهم انحصروا فى القاهرة والرحمانية ورشيد والاسكندرية، وبقى فى بوغاظ دمياط المعروف بالعزبة مايتان صلدات.

ومن بعد حضور حسين قبطان باشا، سارى عسكر العمارة العثمانية مع عمارة الانكليزية، وطلوعهم لابوقير، هجموا على رشيد. واذ لم يستطع الجنرال حاكم رشيد والعساكر الفرنساوية لمصادمة هؤلاء الجيوش، فسلم المدينة وخرج. وبنت العساكر الفرنساوية متاريسها فى الرحمانية. وانتشب الحرب بين العسكرين. وكان ذلك فى ابتداء شهر ذى القعدة الى ثمانية ذى الحجة ختام سنة ١٢١٥(٨١).

## [ذكر الطاعون الذى حدث فى مصر]

وكان فى تلك الايام حدث طاعون عظيم فى مدينة مصر واقطارها ومات فى الصعيد الامير الشهير، صاحب الكوكب المنير، الامير مراد بيك. وكان حزناً عظيماً عند الغز المصريين، لانه طفى سراج زمرة المماليك الشجعين. ومات سليمان بيك وعدّة من الكشاف والمماليك.

وعند موت مراد بيك جمع مماليكه واقام عليهم مملوكه عثمان بيك الطوبجى [الطنبرجى]. وسلم الخزنة الى مملوكه عثمان بيك البرديسى. واوصاهم بان يكونوا فى طاعة ابراهيم بيك الكبير، ويكونوا متحدين مع بعضهم بعض. ومات هذا الامير المذكور فى ختام سنة ١٢١٥(٨٢). ومات فى مدينة مصر عدّة من الفرنساوية. وكذلك من الرعية.

## [ذكر الحرب بين الفرنسيين وبين الانكليز والعثمانيين]

وفى هذا الشهر المذكور، نهض الوزير الاعظم يوسف باشا من اراضى غزّة بالجيوش العثمانية، قاصداً الديار المصرية. وكان بطياً فى مسيرة خشيةً من انقلاب الوقت وتغييره. لانه قد كان جرب حرب الفرنساوية، واختبر جسارة قلبهم المتين.

وقد عظمت الاهوال على الفرنساوية، واحطات بهم الاعدا من كل ناحية. وشرع الجنرال بليار يحصّن القاهرة. وحفر خندقاً عميقاً، من باب الحديد الذى بالقرب من اليزبكية، الى شاطى بحر النيل ببولاق. وغرس حافات الخندق اصول النخل. وصنع من وراه ابراجاً من النخل والرمل بمتاريس عظيمة، ووضع عليهم المدافع الكبار. وحصن مدينة الجيزة والقلعة الكبيرة، واشحنها بالجبخانات العظيمة. وادخل المشاق والزيت استعداداً للحريق.

هذا والحرب مشتدّاً بين العساكر الفرنساوية والجيوش العثمانية والانكليزية. وذلك فى اراضى الرحمانية.

ومات من الفريقين جمع عديد بهذه الحرب الشديدة. ومات اربع سوارى عسكر من الانكليزية، وعدة جنرالية من الفرنساوية. وانجرح الجنرال لانوس جرحاً بليغاً ومات منه. وقبل وفاته دخل عليه امير الجيوش عبدالله منو وبكى عليه وقال له: سلامتك ايها البطل من الهلاك، ولا تشمت بك اعداك. فيتنفس الجنرال لانوس الصعدا من فواد

مجروح من سهام الاعدا، واجابه قايلاً: قد القيتنا ايها الجنرال ببحر الهلاك من فساد رأيك وكبرياك. فلا يسوغ للذى نظيرك ان يكون امير الجيوش الفرنساوية. ومدبر حروبها القوية. بل يجب ان يكون مدبراً فى مطبخ المشيخة. لانك لو كنت تركت العساكر سايرة فى طريقها، لما كانت اعدانا الانكليز قدرت تملك منا البر، وتتمكن هذا التمكين. فكان ذلك من جبروتك وعنادك المبين. ومات هذا الجنرال، وحزنت عليه الفرنساوية حزناً عظيماً.

وقد كانت هذه الوقعة الاخيرة التى انجرح بها لانوس ومات، غلبت الفرنساوية وانتصرت على العثمانية والانكليزية.

وعزمت عساكر الانكليز ان تسلم ارواحها الى الاسر. وقد كان مقدّم الحرب فى تلك الوقعة لانوس البطل المشهور الليث الجسور. وهذا المذكور كان فى ذلك اليوم اظهر فى الحرب عجايب وفنون الغرايب. وجاهد فى الكفاح، الى ان غُلبت الاعدا وارموا السلاح. وعند ما اصابه ذلك الجراح، حضر إلى معونته امير الجيوش، وحمل على الاخصام. وامر [رؤوس] العساكر، والجنرال داماس، وهم المكروهين منه، ان يتقدّما لمساعدة لانوس. فتخلّفا وابيا عن التقدّم.

وقرعت طبول الكسرة والرجوع الى ورا نكايةً فى امير الجيوش. وارتدّت العساكر الفرنساوية، وتظاهرت عليهم العساكر الانكليزية، لما علموا من الانفساخ الذى ظهر فيما بينهم. فانتصروا عليهم نصرةً عظيمة، من بعد ما كانوا ايسوا من السلامة والغنيمة. وارتدّت الفرنساوية الى متاريسها. وظهر فى هذه المعركة الجنرال نقولا الرومى وعارك عراكاً شديداً.

فعندما نظر امير الجيوش انقسام قلوب العساكر، اجمع رايه ان يترك جانباً، بالمتاريس بارض الرحمانية، نحو ثلاثة الاف. وسار بباقى العسكر الى الاسكندرية، وبدا يبنى المتاريس فى خارج المدينة. و[أ] قفل ابواب البلد.

فجاءت الانكليزية وقطعت السرى [الجسر] الذى بين بحر المالح [البحر المتوسط] وبين خليج النيل المودّى الى الاسكندرية. وكان قصد الانكليز قطع الطريق ما بين اسكندرية والقاهرة لاجل شدة المحاصرة.

وكان ابراهيم باشا قد احرق قطية وتسلّم مدينة دمياط. واما العساكر التى كان ابقاها امير الجيوش فى المتاريس بالرحمانية، فانهم عملوا حرباً عظيماً، وتركوا المتاريس ليلاً، وتوجّهوا الى مصر.

وصارت العساكر الفرنساوية قسمان: قسم بالاسكندرية مع امير الجيوش ، وقسم القاهرة مع الجنرال بليار أعظم الجبابرة.

وتقدمت عساكر الوزير للحصار من كل فج وديار، وداروا حول مصر شرقاً وغرباً وبراً وبحراً. ونهضت الغزّ المصريون عزوة مراد بيك من اراضى الصعيد، واتوا الى مدينة رشيد، وقابلوا حسين باشا قبوطان. واختلطت العساكر العثمانية مع المصرية والانكليزية، حول مصر [الغربية] وقدم الوزير الاعظم بعساكره من الجهة الشرقية، وابطى ايابه ابطاءً زايداً. وكان السبب انه حضرت له اوامر من الباب العالى، والى حسين باشا قبوطان، ان يتوقفا فى الحرب عن الفرنساوية المقيمين فى مصر كما

ذكرنا سببه سابقاً، وان المكاتب ارسلها السلطان باولو ملك روسيا.

وفى غضون ذلك، جدّت الاعلام من الباب العالى بوفاة المشار اليه السلطان باولو، الذى كان مع الفرنساوية ضد الانكليزية. فعند حقيقة تلك الاخبار، رجعوا لما كانوا عليه من الحصار، واخراج الفرنساوية من الديار المصرية. وكان ذلك فى شهر محرم سنة ١٢١٦ (٨٣).

هذا والجنرال بليار لم يكن عنده افتتاح اخبار. وكل ذلك من القطاع الطرق والمسالك. فارسل ماية هجان على طريق البرية الى مدينة الاسكندرية، لينظر الاخبار من تلك الديار، وما جد من الامور من طرف الجمهور. وسارت الماية هجان وغابوا مدة طويلة، نحو اربعين يوماً، وما خبر منهم بان. وكان الجنرال بليار فى اضطراب عظيم [ووسواس] جسيم، من عدم ايابهم وطول غيابهم.

وبعد المدة المذكورة، حضروا الهجانة عن طريق الجبل، وجازوا ليلاً على معسكر الانكليز المقيم أمام الجيزة غربى الكنانة. ولم [يحسوا] بهم حين مروّا عليهم ودخلوا الجيزة. وحضروا لدى الجنرال بليار واطلعوه على صحة الاخبار.

واتى له جواب من امير الجيوش يعلمه انه حضر مركب صغير من مدينة باريز، وصحبته كتابات من القنصل الكبير يعلّم بها ان السلطان باولو سلطان المسكوبية اتحد معه على حرب الانكليز، وارسل إلى الدولة العثمانية برفع الحرب عن الفرنساوية الذين بالديار المصرية. ولم يكن دارياً بوفاة السلطان باولو الذى كان قد اوقف الحرب.

وحضر كتاب الى الجنرال يعقوب القبطى يمدحه على شجاعته وفروسيته، ويوعده بسمو مرتبته، ويشدده على الحرب والجلاد ومصادمة الأضداد. وأن لابد له من الإسعاف من المشيخة والأمداد.

وعندما تحقق الجنرال بليار تلك الاخبار، اخذ الفين مقاتل وسار بهم ليلاً الى معسكر الوزير. وكانت قد وصلت طلايع الوزير الاعظم الى بلبيس، مسافة يوم عن القاهرة. وهناك تلاطمت العساكر العثمانية مع عساكر الفرنساوية. ومات عدّة من الارناوط ومن الغزّ.

وحين نظر الجنرال بليار ان جيوش الترك كثيرة، وهم قاصدون الجلاد والغزو والجهاد. وليس الامر، كما زعم امير الجيوش، بان الحرب متوقف. فرجع الى مصر فى حمية. وتمكّن داخل الحصارات القوية.

وابتدت العساكر تتوارد، الى شهر صفر سنة ١٢١٦ (٨٤)، حتى بلغوا بالقرب من القاهرة. وكان الوزير الاعظم قادماً من الشرق، وحسين باشا من الغرب مع عسكر الانكليز. وضرب الوزير الرستاق [المعسكر] فى ارض، شيرة [شبرا] والمكاس [المقس] فى القرب من الكنانة. وحسين باشا ضرب الرستاق مع عسكر الانكليزية امام مدينة الجيزة غربى مصر. وتكاثرت جيوشهم، واجتمع عليهم طموش غفيرة وعربان كثيرة.

هذا وذلك الجبّار والاسد المغوار، الجنرال بليار، قايماً فى الكنانة امام ذلك الجمّ. وقلبه اشدّ من الصخر الاصم. ووقعت هيبة. عند ذلك الجمع الملتئم، لان قد شاع ذكر هولا الشجعان فى ساير البلدان، واشتهرت طوتهم وانتشرت سطولتهم. وقد كانوا هولا العتاة لا يعرفون الموت من الحياة. فلذلك اجتهدت الدولة العثمانية باخراجهم من مملكة مصر بالسلامة والطمأنينة.

وقد خافوا ايضاً اذا ضايقوهم يطلقون النار فى البلد ويحرقوها. وكانوا، قادرين على ذلك لما عندهم من الاستعداد، وقوة الجلد والجهاد. فلذلك استقامت تلك العساكر والممالك [المماليك] يتداولون فى كيف يحتالون، وكيف يخرجونهم بالسلام والسكون.

## [ذكر المفاوضات بين الفريقين المتحاربين]

وفى نصف صفر، ارسل السر عسكر الانكليز رسولا يطلب من الجنرال بليار ان يرسل احداً من طرفه لاجل المفاوضة بامر الصلح. فارسل له احد الكوميسارية. ولما وصل الى مقابلته، أخبره أولا بموت السلطان باولو. وكان قصده بهذا الخبر لاجل قطع امالهم من اعانة المسكوب وانقطاع رجاهم. ثم بدا يتفاوض معه بأمر الصلح وتسلم المملكة الى أصحابها. وذهابهم الى أوطانهم بالامان. ويريه انقطاعهم فى هذه البلاد وعدم اسعافهم والامداد. وان الخروج لابدّ منه. وكلّ محصور مأخوذ.

وبعد ذلك سيّره [على] ان يردّ عليه الجواب. فرجع الكوميسار الى عند بليار واعلمه بهذه الاخبار. وعن وفاة السلطان باولو وكلام سر عسكر الانكليز. فلما سمع الجنرال بليار هذه الاخبار صنع ديواناً، وجمع ساير الجنرالية ورؤساء العساكر الفرنساوية، واخبرهم بمخاطبة سر عسكر الانكليز، وطلبه الصلح والتسليم. ثم استشارهم كيف يكون الجواب، وما يقتضى رأيهم من الصواب. فمكثوا برهةً يتداولون ويتشاورون. ثم انه اجتمع رأيهم ان التسليم اوفق، وعدم الحرب ارفق. بحيث ان الخروج يكون سليم العاقبة على شروط مناسبة. وعلى ذلك عقدوا الرأى، وبدوا يسطرون شروطاً وعهوداً لتسليم مملكة مصر.

ومن بعد ان حرّروا الشروط، قدّموها الى الجنرال بليار، وارسلها إلى سر عسكر الانكليز مع الكوميسار.

ثم نصبوا خيمة فى برّ الجيزة بين العسكرين، وهناك تصير المفاوضة بين الفريقين. فالذين انقاموا وكلا لامر الصلح من طرف الفرنساوية: الكوميسار، ويوسف الترزى الارمنى. ومن طرف الانكليز. الجنرال سميت سارى عسكر، واحد الكوميسارية. ومن طرف الوزير الاعظم. عثمان بيك. ومن طرف حسين باشا قبطان. اسحق بيك.

واستمرت المداولات بامر الصلح اربعة ايّام. فحينما تمت تسجلت المواثيق والعهود، وانعقد الرأى تسليم مصر [واعطائها] الى الدولة العثمانية، وخروج العساكر وجميع الفرنساوية منها على موجب الشروط الاتى ذكرها، عن يد سيدنه سميت سر عسكر الدولة الانكليزية.

ثم حتمت الفرنساوية بان يكون التسليم عن يد حسين باشا قبطان، [بواسطة] الانكليز. وسببه كان هذا المشار اليه يميل لطرف الفرنساوية ميلاً عظيماً، وذلك قبل دخولهم واخذهم الاقطار المصرية. وقد [اتّهمه] الوزير الاعظم ان دخولهم كان باطّلاعه.

وتقمقمت الفرنساوية على الوزير لدخوله في الجمعية، وقالوا: نحن لانعقد معه شروطاً ولا نقبل منه خطوطاً، لانه قد كان خان عهوداً مع امير جيوشنا الامير كليبر. واذ لم يقدر على التغلب عليه ارسل قتله خفية. ثم ثبت التسليم عن يد حسين باشا وسر عسكر الانكليز. وتسطرت اسطر الشروط وانختمت من الثلاث دول.

وهذه صورة الشروط:

## [ذكر شروط الصلح بين الفريقين المتحاربين]

### الشرط الأول

ان بلوكات العساكر الفرنساوية، برّية وبحرية، وبلوكات العساكر المساعدة (٨٥) المتحدة معهم، الذين [أمرهم] الجنرال بليار، يسلموا مدينة مصر والقلعة الكبيرة، وكامل القلع الصغار ببولاق والجيزة، وكامل اطراف مصر الموجودة بها الفرنساوية.

### الشرط الثانى

كامل بلوكات العساكر الفرنساوية والعساكر المتحدة معهم، يتوجّهوا براً الى بندر رشيد من طرف شمالى النيل، بسلاحهم وعزالهم ومدافع البر وصناديق الجبخانة. لاجل يوسقوهم من رشيد ويتوجهوا الى اساكل بلاد فرنسا الموجودة فى بحر المتوسط. وكامل مصاريف ما ذكر تقوم بها الدولة العلية المصالحة. وسفر العساكر المذكورين والمتّحدين معهم، ونزولهم فى المراكب، يكون باسرع وقت. وغاية ما يكون من العاقة خمسين يوماً أوّلها من تاريخ هذه الشروط المحرّرة. ومن غير شك ان عساكر المذكورين يوخذوا بالمراكب الى اى اسكلة كانت، الى الطريق الاعدل والاقرب لفرنسا.

### الشرط الثالث

من ابتدا هذه الشروط، تكون العداوة مرفوعة من الطرفين بالكلية. ويتسلّم الى الدولتين المتحدين قلعة الظاهر [قلعة سولكويسكى] وباب مدينة الجيزة المسمّى الباب الهرامات. وعلى الوكلاء المشار اليهم ان يضبطوا الحدود، وعدم التخطّى والاحتراز من وقوع الخلل.

### الشرط الرابع

بعد اثنا عشر يوماً من هذا التاريخ، مدينة مصر وقلاعها، والقلعة الكبيرة والباقية، ومدينة بولاق، يخلون من العساكر الفرنساوية ومن المتحدين معهم. ويتوجّهون الى قصر العينى والروضة واتباعها، والجيزة واطرافها. ومن هناك يسافرون، فى غاية جدهم الى مسافة خمسة ايّام، لكى يتوجّهوا الى محل المراكب التى يسافرون بها. وكامل حكّام الانكليز والعثمانية يلتزمون يقدّمون مراكب، ويقيمون بمصارفهم ولزومهم فى بحر النيل، لاجل وسق عزالهم ومونتهم لحدّ البحر المالح. وجميع هذه المراكب تكون محضرّة بغاية السرعة والاهتمام، ويسلموهم إلى عساكر الفرنساوية بالجيزة.

## الشرط الخامس

مشى العساكر ومحطاتها يكون معين لها جنرالية واهل مراتب من الطرفين. وكذا الايام المعينة للمشي من الواجب يكون المدبر فيها الجنرالية الانكليزية والعثمانية. وكذلك العساكر الفرنساوية المذكورون، والذين متحدون معهم، يكونوا مصطحبين بطريقهم من كوميسارية الانكليزية والعثمانية. فهم الذين يقومون بالمعاش الضرورى فى مسافة الطريق ومحطاتهم.

## الشرط السادس

كامل العزال والجبخانات الذين يوسقونهم فى مراكب بحر النيل، يكونوا مغفرين مع بعض عساكر فرنساوية ومراكب حربية، من طرف الدولتين المتّحدتين.

## الشرط السابع

فيكون محضّراً الى العساكر الفرنساوية والمتحّدين معهم، واتباعهم والذين صحبتهم، المونة المرتبة حسب قانونهم. من يوم سفرهم من الجيزة، الى يوم نزولهم فى المراكب. ومن ذلك اليوم تكون المونة مرتبة حسب قانون الانكليز الى يوم طلوعهم لبلاد فرنسا.

## الشرط الثامن

يحضر من طرف حكام الانكليزية وحكام العثمانية، فى بر وبحر، المراكب الضروية الطيبة لاجل سفر العساكر الفرنساوية، وكامل ما يلوذ بهم، لاجل وصولهم الى اى اسكلة كانت من بلاد فرنسا الموجودة فى بحر المتوسط. ولاجل اتمام ذلك، يجب ان يحضروا كوميسارية من قبل حضرة الجنرال بليار، ومن قبل رؤساء عساكر الدولتين المتّحدتين براً أم بحراً. ومن بعد تاريخه، يجب ان الكوميسارية المتعيّنين من الطرفين يتوجّهون الى رشيد وابو قير، لاجل تحضير المراكب وكامل المطلوبات للسفر.

## الشرط التاسع

ان الدولتين المتحدين يجب أن يحضرون اربع مراكب ام اكثر، ان امكن، لاجل نقل الخيول واللوازم لهم لحين نزولهم.

## الشرط العاشر

يجب ان يتقدم الى العساكر الفرنساوية وكل المتحدين معهم، من الدولتين المتحدتين، مراكب حربية كفاية لاجل تغفيرهم ووصولهم سالمين الى فرنسا. والدولتين المتحدتين يضمنوا عدم وقوع الخلل والعداوة من طرف عساكرهم، الى حين وصول عساكر الفرنساوية والذين معهم الى فرنسا سالمين. وكذلك الجنرال بليار يوعد ويتعاهد، مع جميع العساكر التى تحت امره، ان لا يحصل منهم ادنى خلل للعمارة ولا لبلاد حضرة الدولة الانكليزية فى هذه المسافة.

وكذا لا يحصل ادنى تعرض وخلل ببلاد الباب العالى، ولا ببلاد الدول المتحدة معهما. فما لهم ان يتوقفوا فى اسكلة من الاساكل فى مسيرهم، بل انهم يقصدون بلاد فرنسا، ما عدا الامر الضرورى. ثم روسا عساكر فرنسا والانكليز والعثمانى يكون معهوداً عندهم جميع ما ذكر اعلاه ومحفوظا، طالما عساكر الفرنساوية موجودة بمصر، ومن هذا التاريخ الى دخولهم للمراكب.

وان حضرة الجنرال بليار حاكم العساكر الفرنساوية والمتحدين معهم، يتعاهد عن حكّام دولة فرنسا، ان جميع المراكب الموسوقة التى مسافرون بها، فبعد وصولهم يخرّجونهم جميعاً،

وترجع جميعاً، ولا ينعاق منها ولا مركب. وان القباطين بالمراكب المذكورة يشترون بمالهم مونتهم الضرورية الى رجعتهم. والجنرال بليار يتضمن رجوع هذه المراكب الى مواضعها بحيث انها لم تتداخلوا بامور حرب بالكلية.

### الشرط الحادى عشر

جميع حكام السياسة المدنيين وارباب الحرف والصنايع وجميع الاشخاص المتعلقة بالفرنساوية ويحصل لهم سويةً للعساكر الحربية. وان حكّام السياسة وارباب العلوم والصنايع، يصحبون ويأخذون معهم جميع الاوراق والكتب ليس التى تخصّهم فقط، بل كلما يروه نافعاً لهم.

### الشرط الثانى عشر

جميع سكّان مصر من اى طايفة كانت، من اراد منهم يتبع العساكر الفرنساوية، مسموح لهم ذلك. ومن بعد سفرهم لا يحصل لعيلته ولاله اذية.

### الشرط الثالث عشر

جميع سكّان مصر من اى مذهب كانوا، لا يحصل لاحد منهم أذية، لا فى مالهم ولا فى اعيالهم ولا فى انفسهم، بسبب رفقهم للفرنساوية (٨٦).

### الشرط الرابع عشر

جميع المرضى الذين ليس لهم طاقة على السفر، يستقيمون فى مصر فى بيمارستان، ويبقى عندهم حكماء وخدّام يداورونهم لحين شفاهم، ثم يُرَسلوا لفرنسا بالحفظ والصون. وان حكّام الدولتين يتعهّدون تحضير امر هولا المرضى من كامل النظام.

### الشرط الخامس عشر

فى وقت فروغ مدة تسليم المدن والقلع كما ذكر قبله، فيحضروا الكوميسارية يتسلّموا المدافع والجبخانات والحواصل، وقوايم واوراق ومحلات وغير اشيا عمومية التى للفرنساوية، الى الدولتين المتّحدتين.

### الشرط السادس عشر

حاكم البحر لازم يحضرٌ، قبل بساعة، مركب يسافر الى فرنسا، وياخذ واحد فسيال وكوميسار الى طولون، وياخذ لهم صورة هذه الشروط الى المشيخة الفرنساوية (٨٧).

### الشرط السابع عشر

الذين يخالفون هذه الشروطات يحصل قصاصهم عن يد الكوميسارية وكذلك اذا وقع اختلاف فى الامور يكون نظامه واصلاحه بيد الكوميسارية.

### الشرط الثامن عشر

بحال اتمام هذه الشروط جميع اسرا الحرب من الانكليز والعثمانى الموجودين عند الفرنساوية يحصل لهم الاطلاق والحرّية وكذلك حكّام عساكر الدولتين المتّحدتين يُعتقون كامل اسرا الفرنساوية الموجودين فى عرضيهم.

### الشرط التاسع عشر

واحد من اكابر عسكر الانكليز، وواحد من اكابر عسكر الوزير الاعظم، وواحد من قبطان باشا، يكونوا موجودين عند الفرنساوية رهينة. ويعطى بدلهم ثلاثة من مقامهم من الفرنساوية ولما ينتهى وصول الفرنساوية الى بلادهم يرجعون الرهاين المذكورين، ويروحون الذين كانوا بدلهم، وكل منهم الى محله.

### الشرط العشرون

هذه الشروط ترسل مع واحد فسيال الى الجنرال منو للاسكندرية، وله مهلة عشرة ايّام من بعد وصولها ليده، ان كان يرضى على هذا الاتّفاق بذاته وعساكر الفرنساوية. ويحرّر قبوله ورضاه بخطّ يده الى سر عسكر الانكليز الذى مقيم قدّام الاسكندرية، لغاية عشرة ايّام بعد تاريخ وصول هذه الشروط ليده.

### الشرط الحادى والعشرون

صورة هذه الشروط يعلّم عليها سوارى عسكر العامّ من طرف الثلاثة دول، ويرجع بعد أربعة وعشرين ساعة، وينتهى كل ذلك.

وقد تحرّر اربعة نسخ مختومة فى محلّ المسافة ما بين العرضين فى تاريخ مسيّدور سنة التاسعة للمشيخة فى نصف النهار الواقع فى ٢٧ يونيو سنة ١٨٠١ مسيحية الموافق ١٦ صفر سنة ١٢١٦.

وهذه هى الامضاوات(٨٨)

**دونزلو** [جنرال دى برجا].

**موران** [جنرال دي برجا].

**تاربير** [جنرال دى برجا].

**جون هوب** [جنرال دى برجا – انجليزى].

**اسحاق بك** [كتخدا قبطان باشى].

**عثمان بك** [كتخدا يوسف باشا].

قد أثبت ذلك:

**جان هلى هتشنسون** [سارى عسكر عام].

**جيمس ستيفنسون** [سارى عسكر بحرى انجليزى].

نحن قد اثبتنا جميع الشروط الواقعة فى هذا الاتفاق لاجل خلو مصر وتسليمها للباب العالى باب همايون المشيد: الصدر الاعظم يوسف باشا. حسين قبودان باشا.

لقد ثبت وتحقق هذه الشروط فى مسيدور [يونيو] سنة ٩ للمشيخة الفرنساوية الجنرال دى فازيون بليار.

طبعت فى مطبعة مصر الفرنساوية.

## [ذكر جلاء الفرنسيين عن مصر]

ومن بعد تمام تلك الشروط، شرع الجنرال بليار بتخلية مدينة مصر القاهرة وخروج العساكر منها الى قصر العينى والى الجيزة. وتهيّا للخروج

معه الجنرال برتولى[٨٩] كومندان بنى الروم مع عساكر الاروام، والكومندان يوسف الحموى واتباعه المعينون من شفا عمر وارض عكا، وعبد العال اغاة الانكشارية. وجميعهم [يخشون] الاقامة فى الديار المصرية بعد خروج الفرنساوية. وتهيّا معهم عدّة انفار من عامّ الناس، ونساء كثيرات من الاسلام كُنّ متزوّجات للفرنساوية، واستعدوا للسفر معهم. وقبل خروجهم، الجنرال بليار، أقام جسد كليبر من المحل الموضوع به بتابوت رصاص، فامر بنقل التابوت للجيزة باحتفال عظيم ومحفل جسيم، وضربوا مدافع كثيرة، وامر بتنزيل جثة سليمان القاتل مع الثلاثة رؤس ارفاقه، لانهم كانوا محنطين ومصبّرين، فانزلوهم بحقارة للجيزة لاخذهم لفرنسا. ثم ان بعد الاثنى عشر يوماً المعيّنة لخروجهم من مصر الى الجيزة، بعد تجهيز كامل ما يلزم للجمهور الفرنساوى، نهض بليار فى العساكر الفرنساوية من القاهرة الى الجيزة فى ٢٨ صفر سنة ١٢١٦[٩٠].

وخليت مصر من الفرنساوية، ودخلت عساكر الوزير للمدينة. وكان فرح لايوصف عند الاسلام، وغمّ عظيم عند من كان من طرف الفرنساوية خاصّ وعامّ.

وتخبّت النصارى واليهود فى منازلهم، وكانت العساكر الاسلامية اى من وجدوه يعيروه بعد ما يهينّوه.

وعندما بلغ الصدر الاعظم احوال العساكر، ارسل اغاة الانكشارية اطلق التنبيه بالمدينة، على الامان وعدم معارضة الرعية، ورفع الظلم والعدوان. وفرّق الظابتان على جميع الحارات وفى الشوارع والمحلات.

هذا والعسكر الفرنساوى لم يزل مقيم فى برّ الجيزة، لحينما تتجهزّ لهم المراكب لحمل اثقالهم لابوقير.

ومن بعد اربعة ايّام من دخولهم الى الجيزة، تحضّرت لهم المراكب، فاشحنوا بها من الاثقال والمتعة والنساء والاولاد وجميع الذين لا يقدرون على المسير فى البر، وساروا برّاً وبحراً. وسارت امامهم عساكر الانكليز، ومن وراهم حسين باشا بعساكره، وهم فى وسط الفريقين. وساروا اربعة عشر يوماً من الجيزة الى قرب رشيد، ومكثوا هناك بينما تتجهزّ لهم الذخاير والمراكب، فتجهزّت، وسافروا من ابو قير فى غاية ربيع الأوّل سنة ١٢١٦ [٩١] طالبين فرنسا .

وكانت الانكليز، حينما خرجت الفرنساوية من مدينة الجيزة، تسلّموها وجعلوها محلاً لعساكرهم. ومن بعد سفر الفرنساوية بثمانية ايّام، مرض الجنرال يعقوب القبطى ومات.

فهذا ما كان من بليار.

وامّا امير الجيوش منو والفرنساوية الذين بمدينة الاسكندرية، فابوا الصلح والتسليم. وانهم لا يخرجون منها إلاّ بعد حرب عظيم.

وكان، بعد خروج الفرنساوية من مصر [القاهرة] ودخول عساكر الاسلام، دخل وزير الختام، وحسين باشا قبطان، بمحافل عظيمة.

ودخل صحبتهم ابراهيم باشا المحصّل والى حلب، وابراهيم باشا والى ديار بكر، ومحمد باشا ابو مرق، وطاهر باشا ارناوط، واغوات الانكشارية ورجال من الدولة العلية.

ومن امراء مصر ابراهيم بيك الكبير، وولده مرزوق بيك، وعثمان بيك الطنبورى، وعثمان بيك البرديسى، والالفى، ومحمد بيك المنفوخ، ومراد بيك الصغير، وعثمان بيك الأشقر، وسليم بيك ابو دياب، وعلى بيك، وايوب بيك، وعدّة كشّاف وكان يوماً عظيماً.

وخرجت لمقابلتهم علماء مصر واعيانها وكافة عوامها وسكّانها، وانتشرت الاعلام وانسرّت الانام، وفرحت الاسلام بخروج الافرنج الليام.

وصاحت المسلمون ما هذا الأ نصر من الله وفتح. وهاجوا هياجا عظيماً على النصارى، وقدّموا عروضات الى الوزير فى قتلهم ونهبهم وسلبهم، لم يصغ ذلك العادل لبغيهم ووشيهم. ولم يلتفت لفسادهم ومكرهم. واصدر فرمانا خطيًا لساير الحكّام والقضاة، بان لا يقبلوا دواعى التى حدثت بايّام الفرنساوية فى الايالة المصرية، جزئية كانت ام كلّية. ولم يرتض هذا الصدرُ النبيل ان يلتفت الى هذا القال والقيل، بل سلك مع الرعايا سلوك الملوك العادلين والسلاطين الاقدمين، وترك الانتقام لله الملك العلاّم. وكان [يوسفاً] ثانياً بالامانة الى مصر الكنانة. وابتهجت مصر بزمانه من شيمه وعزيز امانه. وكثر البيع والشرا، وعمرت المدن والقرا، وربحت التجّار وتواردت من ساير الاقطار. وفرحت الخلق طُراً. ونارت به مصر وانشدت بذلك شعراً. وهو هذا:

اتى صدر الصدور لارض مصر
بنصر اشرقت فيه الديانة
بعام قد كساه النور ارّخ
به فتحت بيوسفها الكنانة

٧+ ٨٨٨+ ١٦٤ + ١٥٧=١٢١٦هـ.

واما حسين باشا قبطان، بعد ما بات ليلة فى مصر [القاهرة]، خرج الى الجيزة وسار مع الفرنساوية كما ذكرنا.

وبعد ما مهدّ الوزير مصر، اعطا ولايتها الى محمد باشا ابو مرق الذى كان عنده وكيل خرج. وهذا كان اصله من مدينة غزّة من عامة الناس، فاسعدته الاقدار باذن القهّار، حتّى ارتقى الى هذه المنازل العالية عند الصدر الاعظم بالتفاته اليه، والقى نظره عليه. فتقمقمت الوزرا الباقون، كونه ابن عرب قدّمه على الاخرين. ومن المعلوم ابن العرب عند ابن الترك مقاماتهم مخفوضة وراياتهم منقوصة.

وقد كان الوزير الأعظم، قبل تملك القاهرة أوعد لطاهر باشا الارناوط بولاية مصر ان فتحوها بالسيف. فحيث التفت الامور وخرج بالصلح الجمهور، فبطّل الوعد لطاهر باشا، وكذلك لارضاء رجال الدولة به. فلاجل ذلك عدل عن تولىّ طاهر

باشا وولى محمد باشا ابو مرق. فارسل لدمياط احمد باشا مير مران(٩٢) وامره باخراج الفرنساوية من العزبة بامن. فارسل احمد باشا طمّن الفرنساوية، فلم يامنوا، بل تركوا القلعة وساروا لرشيد ليلاً، وسلّموا انفسهم للانكليز.

فهذا ما كان من الوزير وما دبّر بالديار المصرية.

واما ما كان من الاسكندرية، فان امير الجيوش عبدالله منو، حين حصلت له تلك الشروط، فاعتمد على المحاربة، وبدا فى بناء الحصون والمتاريس خارج البلاد، وكان منتظراً الامداد من بونابارته بما سبق من الاوعاد.

وبعد سفر بليار ومن معه العساكر، سارت العساكر الانكليزية والعثمانية الى الاسكندرية، ودارت بها براً وبحراً. وانتشب بينهم الحرب والقتال، بالمدافع والقنابر الثقال. ولم تزل القنابر والمدافع تتساقط وتزداد، وهم صابون من تلك الحرب والجلاد، الى ان قل ما عندهم من الزاد، وصار قحط مريع وجوع فزيع، ومات كثير منهم من الجوع وبليوا بالويل والفجوع. وكانوا يطحنون الرز وياكلونه، فيكون به اداء دون الغداء.

وانقهر امير الجيوش من مخامرة الجنرالين رانيه ودامس، فعقد ديواناً وشرع يبرهن خيانة الجنرالين المذكورين، والضرر الذى حدث منهما ضد العسكر. فاثبتت الشريعة عليهما الحقوق، وامر امير الجيوش بالترسيم عليهما فى منازلهما، وخلع الجنرالية عنهما، وضبط اموالهم وتعلقاتهما. هذا والحروب قايمة والنيّران دايمة، والهجمات على متاريس الفرنساوية متّصلة، وملاحمة غير منفصلة.

وفى تلك الايّام، حضر من بلاد الفرنساوية ستّة الاف صلدات فى المراكب، وقصدوا اسكلة درنة. وهذه بلد على شطّ البحر المالح فى برّ الاسكندرية. فبلغوا الانكليز قدومهم، فساروا اليهم مجدّين. وحين شعروا بهم ولّوا منهزمين. وحضروا أيضاً مراكب انكليز الى قُصير، وبهم عساكر من بلاد الهند ورؤساهم انكليز. ورجال الهند بلون السودان، وهم مختلفون الاديان، فمنهم يعبدون النيران، ومنهم يعبدون الاوثان. ولهم مذاهب متفرقة ولغات متنوْعة. ولا يلبسون سوى القمصان فقط فهولا القوم قد خرجوا من مراكبهم الى القصير، واتوا الى مدينة الجيزة حيث كان المعسكر هناك . ونصبوا المضارب والخيام، واستقرّوا بها ايّام. وقيل انه جاز فى ذات يوم احد العساكر المصريين فى وطاق هولاء الهندين واخذ ناراً، فوثبوا عليه وكادوا يقتلونه وقدّموه الى سارى عسكرهم ليقضى عليه بالموت. وادّعوا انه لمس إلاههم، فخاف الرجل خوفاً عظيماً وقال: انى لست اعلم ما ذنبى. فرحمه السر عسكر اذ هو من الانكليز، وامر لذلك المصرى ان يدفع لهم ثمن الطعام الذى نجسه لما لمس النار.

وبعد ما استقرّوا ايّاماً وجيزة فى مدينة الجيزة، ساروا الى مدينة الاسكندرية لاجل محاربة الفرنساوية. وكان فى ذلك الوقت مشتدّ القتال والجدال، وازداد الحصار فى البرارى والبحار، وزادت النار وقصرت الاعمار، وكلّ من الحرب كل قرم جبّار.

وبعد مضايقة كلية ومحاصرة قوية، ملت العساكر الفرنساوية، وعزمت على [تسليم] الاسكندرية، ومسيرهم في الامان الى منازلهم والأوطان. فارتضت معهم الاسلام بان يخرجوا بالسلام، ويتركوا جبخاناتهم واسبابهم، ويمضوا بسلاحهم وذهابهم فقط. وخرجوا من الاسكندرية على هذا النمط.

وبعد وقوع الصلح والاتّفاق، صنع امير الجيوش عبدالله منو وليمة عظيمة للسر عسكر الانكليز، والى رجال الدولة العثمانية. وقدّم لهم الطعام، وهو من لحوم الخيل والفار والقطاط والكلاب الوخام [الردئ]. واذ تفرّسوا بها سالوه عن تلك اللحوم، ولم ينكر عنهم واجابهم: انه ليس يوجد عنده غير ذلك، ولم يوجد عند الفرنساوية ما يسدّوا به رمق [الفؤاد] لما سلموكم البلاد. فرفعوا اياديهم عن الطعام وهم متعجّبون من تلك الكلام.

وخرجوا الفرنساوية من الاسكندرية. وتقاسما الدولتان الانكليزية والعثمانية جميع ما تركوه الفرنساوية، لانهم خرجوا بسلاحهم فقط، وساروا في مراكب الانكليز الى بلاد باريز وخلوا مدافع وجبخانات وامتعة وذخاير وخيرات ودخل سارى عسكر الانكليز، وتسلم مدينة الاسكندرية.

وكان تسليم الجنرال بليار وخروجه اصلح شان من تسليم منو في الذل والهوان ولكن قد افتخر الجنرال منو على بليار انه ما وقع التسليم الأ بعد الحرب العظيم والجوع الجسيم. فهذا على مقتضى شرايع مشيختهم واحكام دولتهم.

وكانت مدّة حصار الاسكندرية ستين يوماً، وكان خروجهم في اواخر ربيع الثاني سنة ١٢١٦ (٩٣). وحضرت البشاير للصدر الاعظم، فامر بشنلك عظيم، وفرح فرحاً جسيم، وضربت مدافع كثيرة وحراقات غزيرة. وابتهجت الاسلام ورفعت الاعلام، وحمدوا ربّ الانام، وقالوا الحمد لله على تاييد الدين. وهذا نصر من الله وفتح مبين امين.

## [خاتمة]

**وقد تمت اخبار الفرنساوية، وما حدث من الوقايع في الديار المصرية. وكانت اقامتهم بتسعة وثلاثين شهراً، وكانوا، من دخولهم الى خروجهم، ما استكنوا من الحرب والقتال والمنازعة والجدال. وقد مات منهم خلق كثير، واهلكوا من الاسلام عالم لايرام.**

**والحمد لله على الدوام امين.**



## هوامش

(١) يبدأ شهر المحرم عام ١٣١٣ هـ بتاريخ ١٥ يونيو عام ١٧٩٨م. وقد وصل الجيش الفرنسي إلى الاسكندرية في السابع عشر من هذا الشهر من العام المذكور، الموافق للأول من يوليو عام ١٩٧٨م.

(٢) تسهيلاً للقارىء، رأينا ان نضيف على الكتاب عناوين لم تكن موجودة في النسخة الاصلية التي حققناها، وذلك بعد وضع هذه العناوين بين اشارتين [ ].

(٣) السلطان: الملك، ويقصد ملك فرنسا لويس السادس عشر الذى قامت فى عهده الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ونفذ فيه حكم الاعدام على المقصلة بباريس، بتاريخ ٢١ يناير١٧٩٣.

(٤) هكذا وردت فى الأصل، والصواب: مارى تيريز، لأن زوجته الملكة «مارى انطوانيت» اعدمت بدورها على المقصلة، بباريس، بتاريخ ١٦ اكتوبر١٧٩٣.

(٥) حصن مشهور بباريس، شيد عام ١١٢١٢، وكان، في الأساس، مركزاً رئيساً لاقامة الهيكليين Les Templiers، هدم عام ١٨٤٨ وأقيم مكانه سوق تجارى.

(٦) ورد فى أصل الوصية بالفرنسية ما تعريبه: «لاجلنا نحن البشر الآخرين. مهما كنّا غير مستحقين، وانا أولهم» ولكن المؤلف غيّر فى العبارة فأتت على الوجه التالي: «لاجل خلاص كل البشر الذى انا اولهم ولو كنت غير مستحق لذلك» مما غيّر فى جوهر المعنى. (راجع نص الوصية بالفرنسية فى كتاب: Desjranjes Aine, Histoire de Lexpediin des francais en Ejypte PP. (6-11) وهو ترجمة لكتاب «نقولا الترك» الذى نحن بصدد تحقيقه. واهمية هذه الترجمة أن صاحبها «ديغرانج اينيه» هو سكرتير الملك لويس فيليب ومترجمه الخاص، وقد صدرت هذه الترجمة، باذن من الملك نفسه، عن المطبعة الملكية بباريس عام ١٨٣٩). ويشير (اينيه) إلي أن هناك اخطاء عديدة فى النص العربى للوصية، والذى اثبته الترك فى الكتاب الذى بين ايدينا.
(Aine, Ibid, PP, 277-278, Nite 2)

(٧) كليرى Clery هو من حاشية الملك.

(٨) ورد فى اصل الوصية بالفرنسية ما تعريبه: «ارجو السادة مالرب وترونشيه M, Malesherbes,Trinchet et de Seze ودى سيز أن يقبلوا شكرى...» وهو ما لم يذكره المؤلف.

(٩) استخدمت الثورة الفرنسية، منذ انتصارها عام ١٧٩٣ «الروزنامة الجمهورية» وقد قسمت السنة، حسب هذه الروزنامة، إلى ١٢ شهرا بالتساوى، عدد ايام كل منها ٣٠ يوما، يضاف اليها ٥ ايام نسىء (مكملة). وكانت الشهور مقسمة الى عشرة الايام وليس الى اسابيع فكان اليوم العاشر هو عطلتهم. وكان بدء السنة الجمهورية فى ٢٢ سبتمبر ١٧٩٣، وهذه الشهور هى:

١ – فنديميير( Vendemiaire ) أو شهر القطاف (لعنب)، وبدؤه فى ٢٢ سبتمبر.
٢ – بريمير ( Brumaire) أو شهر الضباب، وبدؤه فى ٢٢ اكتوبر.
٣ – فريمير ( Frimaie ) أو شهر الصقيع، وبدؤه فى ٢١ نوفمبر.
٤ – نيفوزيه ( Nivose ) أو شهر الثلوج، وبدؤه فى ٢١ ديسمبر.
٥ – بليفيوز ( Pluviose ) أو شهر الامطار، وبدؤه فى ٢٠ يناير.
٦ – فانتوز ( Vantose ) أو شهر الرياح، وبدؤه فى ١٩ فبراير.
٧ – جرمينال ( Germinal ) أو شهر البذار، وبدؤه فى ٢١ مارس.
٨ – فلوريال ( Floreal ) أو شهر الزهور، وبدؤه فى ٢٠ ابريل.
٩ – بريريال ( Prairial) أو شهر المروج، وبدؤه فى ٢٠ مايو.
١٠ – ميسيدور ( Messidor) أو شهر الحصاد، وبدؤه فى ١٩ يونيو.
١١ – ترميدور ( Themidor) أو شهر الحرارة، وبدؤه فى ١٩ يوليو.
١٢ – فريكتيودر ( Fructidor ) أو شهر الثمار، وبدؤه فى ١٨ اغسطس.

وقد الغيت هذه الروزنامة فى فرنسا عام ١٨٠٦.

(١٠) جزيرة كورفو Corfou : فى البحر الايونى Mer Ionienne على الساحل اليونانى وعلى مدخل بحر الادرياتيك Mer Adriatique الموصل الى البندقية.

(١١) فيساليه: من Vassal بالفرنسية، وهو «التابع» (لقب اطلق فى عهود الاقطاع على الاشخاص المرتبطين بالسيد أو الاقطاعى)، وهم، هنا: خدم المركب. أو من Officiers اى: ضباط. وهكذا فهمها: ديغرانج اينيه فى الترجمة التى وضعها لهذا الكتاب، Voir: Aine, Histoire, P) ١٦) الا اننا نرجح الرأى الاول.

(١٢) ينتهى شهر ذى القعدة عام ١٢١٢هـ. بتاريخ ١٦ مايو عام١٧٩٨م.

(١٣) ولس: دسيسة أو خديعة، والكوليرية: من Chevaliers بالفرنسية، أى الفرسان والمقصود هنا فرسان القديس يوحنا.

(١٤) بيلك، أو بكلك: مركب حربى حكومى أو سلطانى. وكان الجبرتى يكتبها «بليك».

(١٥) الموافق لـ٢٧ يونيو/ ١٧٩٨.

(١٦) الريالة: اسم لمركب عثماني يحمل قائده رتبة امير البحر (Contre - amiral).

(١٧) العجمي: مكان يبعد ستة اميال بحرية عن الاسكندرية غربا، مقابل جزيرة صغيرة حيث يوجد برج يعرفه باسم «برج العرب» وفي هذا المكان نزل الجيش الفرنسي في شهر يونيو عام ١٧٩٨.

(١٨) حسرت: جلت وانكشفت. هكذا فهمها «ديغرانج اينيه P. 21» . اما «الجبرتي» في كتابه «عجائب الآثار في التراجم والاخبار» ج٤ :» فقد اوردهما: «واخرنا» من مدة عصور طويلة ..» . والفرق بين المعنيين كبير، فبينما يرى «اينيه» ان هذه الزمرة من المماليك «جلت» من مدة عصور طويلة ..من عصور طويلة من جبال الاباذا الخ..» يرى الجبرتي أن ماورد في المنشور، وهو بالعربية هو «وأخرنا، من مدة عصور طويلة هذه الزمرة من المماليك المجلوبين من بلاد الاباذا الخ..» . ونحن نرجح ما ورد عند الجبرتي. (أي أخرنا عقوبتهم).

(١٩) جبال الاباذا: جبال القفقاس. وجبال الكرجستان: ترجمها «اينيه»: «جورجيا Ceorjie» ، ( p. 21) اما «الجبرتي» فورد في النص عنده «بلاد الاباذة والجراكسة» . ونحن نرجح ما ورد عند الجبرتي، مع العلم ان جورجيا هي الجزء الجنوبي من القفقاس، وبلاد الجراكسة هي الجزء الشمالي منها، وتقع بلاد الكرج (كرجستان) الى الشرق من جبال القفقاس.

(٢٠) وردت في الأصل: «والجوار الجمال والحلل الحسان والمساكن الأشهي» ووردت عند الجبرتي «الجواري الحسان والخيل العتاق والمساكن المفرحة» . وقد وجدنا فرقا شاسعا في النص المنقول للمنشور بين كل من الجبرتي والترك ، فقارن.

(٢١) درج المؤلف على كتابة (ثلاثة) و(ثلاث) بالشكل الوارد في النص (ثلثة، ثلث، ثلثين) ، فاقتضى التنويه دون التصحيح، لأنها تدرك من سياق المعنى.

(٢٢) ١٣ مسيدور أي الشهر العاشر من سنة الجمهورية الفرنسية وفي السنة السادسة من قيامها. ويقع في شهر يوليو ١٧٩٨.

(٢٣) أي من الجزائر.

(٢٤) غلايط: جمع عن الفرنسية (Galiote) غليون صغير، وهو مركب شراعي صغير.

(٢٥) البيرق، ويذكر الجبرتي انه، في يوم الثلاثاء (ليس الجمعة كما ذكر المؤلف) «صعد السيد عمر افندي نقيب الاشراف الى القلعة فأنزل منها بيرقا كبيرا سمته العامة البيرق النبوي، فنشره بين يديه من القلعة الى بولاق».

(٢٦) الجنرال دومينيك دبوي Dominique Dupuy (١٧٦٧ - ١٧٩٨) ولد في «تولوز» ، وتميز ببطولاته في اثناء حملة بونابرت على ايطاليا ومصر. عين حاكما على القاهرة، حيث قتل فيها خلال احد اعمال التمرد الشعبي على الاحتلال الفرنسي في ثورة القاهرة الأولى.

(٢٧) يذكر الجبرتي ان ذلك كان يوم الثلاثاء «صفر وصحته الاربعاء ١١ صفر = ٢٥ يوليو ١٧٩٨م. واما ما ذكره نقولا الترك هنا فهو خطأ وقد حاول د. ياسين سويد في تحقيقه لهذه المخطوطه ان يصحح تاريخ نقولا الترك فذكر انه ١٩ صفر وهو خطأ واضح كذلك.

(٢٨) ورد رقم ١٢ هكذا في الاصل دون اي توضيح. ويستكمل بانه كان في صفر ١٢١٣ هـ. والجبرتي يذكر انه كان يوم الخميس ١٣ صفر وهو خطأ وصحته الخميس ١٢ صفر ١٢١٣هـ.

(٢٩) القاووق: من ملابس الرأس.

(٣٠) الجنرال ديزيه Desaix واسمه Louis Desaix de veygoux (١٧٦٨ - ١٨٠٠)، كان قائد المقدمة في حملة مصر، وقد لقب من قبل المصريين بالسلطان العادل، أسر من قبل الانكليز اثناء عودته من مصر، ثم اطلق سراحه والتحق ببونابرت في ايطاليا حيث قتل في معركة مارنجو.

(٣١) الجنرال مورا Murat (١٧٦٧ - ١٨١٥) كان قائدا مهما في خيالة بونابرت، (١٨٠٠) واصبح مارشال فرنسا في اوائل العهد الامبراطوري، حيث نصب دوقا اكبر على برج Berg ثم ملكا على نابولي (١٨٠٨) باسم يواكيم الاول. وفي عام ١٨١٤ اتفق مع الحلفاء ضد نابوليون للحافظ على ملكه، الا انه عاد فانضم اليه قبل واترلو، وكان من نتيجة ذلك انه طرد من ملكه بعد هذه المعركة، وقد حاول استرداد ملكة فأسر واعدم في بيتزو Pitzo عام ١٨١٥.

(٣٢) الجنرال لانس Jean Lannes (١٧٦٩ - ١٨٠٩) دوق مونتبيلو Due de Montebello ، ومارشال فرنسا. تطوع كجندي في الجيش عام ١٧٩٢ حيث اصبح جنرالا بعد اربع سنوات (عام ١٧٩٦) . وقد تميز ببطولاته في حملتي ايطاليا ومصر.

(٣٣) الجنرال فيال Vial

(٣٤) القنصل كارلو (او القنصل شارل Charles) هو القنصل «شارل روزيتي Charles: Rosetti» القنصل العام للنمسا وروسيا، في ذلك الحين، وقد لعب دورا سياسيا مهما في تاريخ مصر في تلك الحقبة وكان من المشايعين لفرنسا.

(٣٥) جبر النيل: يستخدم المصريون كلمة جبر للمعنى المضاد وهو كسر الجسر الذي يحجز ماء الفيضان وذلك من باب

التفاؤل.

(٣٦) بوفوازان، وقد وردت فى النسخة المطبوعة من تاريخ الامير حيدر الشهابى: «لم ان توجه ذلك الجنتار [الجنرال] الفيسالى المدعو باظان».

(٣٧) البحر الصغير: يصل ما بين المنصورة وبحيرة المنزلة.

(٣٨) سنة ١٢١٣هـ. الموافق ليوم ٢٠ اكتوبر ١٧٩٨م. الا ان هذا اليوم يوافق، وفقا لتقويم التواريخ الهجرية (للواء محمد مختار باشا)، يوم السبت، وليس يوم الاحد، اما إذا كانت الحادثة قد جرت يوم الاحد، كما ذكر المؤلف تاريخها ١١ جمادى الاولى الموافق لـ ٢١ اكتوبر.

(*) يذكره الجبرتى باسم الشيخ سليمان الجوسقى وهو الأصح.

(٣٩) المشاقة هى الشياب الرثة، والمقصود هنا فتايل اشعال المدافع.

(٤٠) يبدأ شهر شعبان عام ١٢١٣هـ. بتاريخ ٨ يناير ١٧٩٩.

(٤١) عام ١٢١٣هـ. الموافق لليوم العاشر من فبراير، عام ١٧٩٩م. (يبدأ شهر رمضان ١٢١٣هـ. بتاريخ ٦ فبراير ١٧٩٩م).

(٤٢) الشّول: الصحراء المقفرة.

(٤٣) المارشال لويس الكسندر برتييه (١٧٥٣ - ١٨١٥)، ولد فى فرساى، وتطوع فى الجيش الملكى، وحصل على رتبة عقيد خلال الثورة الاميركية، ثم اصبح جنرالا وعين قائدا للحرس الوطنى، حيث امن حماية العائلة المالكة فى فرساى عام ١٧٨٩. وبعدها انضم الى بونابرت واصبح رئيسا لهيئة اركان جيش ايطاليا عام ١٧٩٦، ثم وزير للحربية الفرنسية (١٨٠٠ - ١٨٠٧) فمساعدا لقائد الجيش الكبير الامبراطور نابوليون الأول (١٨٠٥ - ١٨١٤) حصل على لقب مارشال فرنسا عام ١٨٠٤. وقد وقع على وثيقة استسلام نابوليون (عام ١٨١٤) وبعدها مباشرة انضم الى لويس الثامن عشر. وبعد عودة الامبراطور من منفاه (عودة المئة يوم - آذار ١٨١٥)، لجأ هو الى مدينة بامبرغ فى بافاريا حيث توفى، فى العام نفسه، وفى ظروف غامضة.

(٤٤) الموافق ليوم ٢٤ فبراير ١٧٩٩.

(٤٥) من المعروف ان بونابرت ذبح آهالى يافا بعد ان اعطاهم الأمان.

(٤٦) سنة ١٢١٣هـ. الموافق للاول من مارس عام ١٧٩٩. (باعتبار ان شهر فبراير ٢٩ يوما، وان بدء رمضان هو فى ٦ فبراير).

(٤٧) سنة ١٢١٣هـ الموافق ليوم ٨ آذار/ مارس ١٧٩٩م.

(٤٨) الموافق ليوم ١٢ مارس ١٧٩٩.

(٤٩) هو الأميرال البريطانى السير وليم سيدنى سميث Sier William S. Smith (١٧٦٤ - ١٨٤٠) لعب دورا هاما فى الدفاع عن عكا عام ١٧٩٩ ضد بونابرت والى جانب الجزار، وقد كان قائدا للبحرية البريطانية فى شرق البحر المتوسط فى ذلك الحين، فأحبط الحصار الفرنسى لعكا وذلك بأن استولى على مدفعية الحصار الفرنسية فى عرض البحر وساند الجزار وقدم إليه المشورة.

(٥٠) أى مشايخ جبل عامل.

(٥١) وردت (جبل شيحا) فى نسخة الشهابى (ص ٢٩٣) وقد ورد فى (معجم البلدان) اسم (جبل شيخان) وهو جبل مشرف على جميع الجبال التى حول القدس، وأغلب الظن أنه هو الجبل المعنى.

(٥٢) الجنرال لوتيرك Leture.

(٥٣) وادى عبلين: واد يقع شمال بلدة، شفا عمر فى فلسطين، وتقوم بمحاذاته بلدة تسمى باسمه.

(٥٤) صفورية، وهى بلدة فى فلسطين تقع جنوب شرقى شفا عمر، على الطريق بين الناصرة وعكا.

(٥٥) تسلم الشيخ ضاهر العمر ولاية عكا طيلة ربع قرن (١٧٥٠ - ١٧٧٥)، وكان قد بدأ طموحه السياسى بجيش صغير من الصفديين (أهالى صفد التى حكمها فى بدء حياته السياسية خلفا لوالده الشيخ عمر الزيدانى) ثم صار جيشه يكبر ورقعة حكمه تتسع شيئا فشيئا، فأخذ طبريا (عام ١٧٣٧)، ثم ضم إليه عكا (عام ١٧٥٠) حيث أصبح واليا عليها، وتحالف مع على بك الكبير حاكم مصر ومع العاملين، وحارب العثمانيين فى صيدا (عام ١٧٧١) وظل حاكما لولاية عكا حتى وفاته ١٧٧٥، حيث خلفه عليها أحمد باشا الجزار الذى اضطهد أولاد ضاهر العمر بعد وفاة والدهم، فتحالفوا مع بونابرت ضده.

(٥٦) يذهب اينيه، فى ترجمته إلى أن «خرسان» هى جزيرة «كورسيكا» (Ainé, op cit. pp. 284 - 285) ونحن نذهب مذهبه، حيث أغلب الظن أن حامل البريد قد أتى من باريس الى كورسيكا فالاسكندرية، خاصة وأنه لا علاقة (لخراسان) بموضوع البحث اطلاقا.

(٥٧) الموافقة ليوم ١٦ مايو ١٧٩٩ (بدء شهر ذى الحجة عام ١٢١٣ هـ. يوم ٦ مايو ١٧٩٩).

(٥٨) الموافق ليوم ١٤ يونيو ١٧٩٩.

(٥٩) الموافق لشهر / يونيو ١٧٩٩م.

(٦٠) الموافق ليوم ١٦ يوليو ١٧٩٩م.

(٦١) الاكراك: مفردها كرك، وهى، لغة اللون الاحمر. ترجمها اينيه بخلعة الشرف (Pélisses d'hommeur, Ainé, op. cit. P. 135). وغالب الظن ان المؤلف يقصد خلعة الامارة او الولاية التى يخلعها الباشا على من يوليهم الحكم من اتباعه. وربما تكون تلك الخلعة رداء مزركشا باللون

الاحمر علامة التباهي والغطرسة.

(٦٢) الدونئما، او الدونمانمة، او الطونانماة: كلمة تركية تعني: الاسطول. وقد عرف الاسطول المصرى في عهد محمد على وكل من الخديوى عباس وسعيد واسماعيل، باسم «الدونئمة المصرية». وكما عرف الاسطول العثمانى باسم «الدونئمة الهمايونية» و«الدونئمة السلطانية».

(٦٣) الموافق ليوم ١٩ يوليو ١٧٩٩م.

(٦٤) الموافق ليوم ٢٨ يوليو ١٧٩٩. الا ان الجبرتى يذكر ان وقعة ابى قير جرت ليلة الاربعاء فى ٢٠ صفر ١٢١٤ هـ. (الموافق لـ ٢٤ يوليو ١٧٩٩). ونحن نرجح ما ذكره الجبرتى.

(٦٥) يذكر الجبرتى ان الفرنسيين استولوا على قلعة ابى قير ليلة الاربعاء فى ٢٠ صفر، اى ليلة الوقعة نفسها.

(٦٦) الموافق ليوم ٤ اغسطس ١٧٩٩م.

(٦٧) سنة ١٢١٤هـ الموافق ليوم ٧ اغسطس ١٧٩٩م. (يبدأ شهر ربيع الاول عام ١٢١٤ هـ. يوم السبت الواقع فى ٣ اغسطس ١٧٩٩م).

(٦٨) الموافق ليوم ١٠ اغسطس ١٧٩٩م.

(٦٩) سنة ١٢١٤هـ. الموافق ليوم ١٤ اغسطس ١٧٩٩م.

(٧٠) الموافق لشهر اغسطس ١٧٩٩م.

(٧١) الموافق للاول من سبتمبر ١٧٩٩م.

(٧٢) يبدأ شهر شعبان عام ١٢١٤ هـ. بتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٧٩٩م.

(٧٣) الياتغان او اليطقان: سيف محدب عند الاتراك والعرب.

(٧٤) شهر شوال عام ١٢١٤ هـ. الموافق لشهر مارس عام ١٨٠٠.

(٧٥) الجنرال بليار Augustin Daniel, Comte Belliard (١٧٦٩-١٨٣٢) رقى الى رتبة جنرال فى معركة آركول Arcole. وقد شارك فى حروب الثورة والامبراطورية، وعين سفيرا لبلاده فى بلجيكا من عام ١٨٣١ حتى وفاته، (فى عهد لويس فيليب).

(٧٦) مدينة زانتيو: تقع فى جزيرة زانتيو وهى جزيرة من الجزر الايونية.

(٧٧) هو سليمان الحلبى الذى قتل الجنرال كليبر طعنا بالخنجر.

(٧٨) بول الاول امبراطور روسيا (١٧٩٦-١٨٠١).

(٧٩) يبدأ شهر صفر عام ١٢١٥ هـ. بتاريخ ٢٤ يونيو ١٨٠٠م. وينتهى شهر شوال من العام الهجرى نفسه بتاريخ ١٥ مارس ١٨٠١م. وكمالة = تمام.

(٨٠) الموافق ليوم ٢٣ يناير ١٨٠١ (يبدأ شهر رمضان ١٢١٥هـ. بتاريخ ١٦ يناير ١٨٠١م).

(٨١) يبدأ شهر ذى القعد عام ١٢١٥هـ. بتاريخ ١٦ مارس ١٨٠١م. ويقع ٨ ذو الحجة من العام نفسه بتاريخ ٢٢ ابريل ١٨٠١م.

(٨٢) اى فى منتصف مايو ١٨٠١م..

(٨٣) يبدأ شهر المحرم عام ١٢١٦هـ. بتاريخ ١٤ مايو ١٨٠١م.

(٨٤) يبدأ شهر صفر عام ١٢١٦هـ. بتاريخ ١٣ يونيو ١٨٠١م.

(٨٥) العساكر المساعدة، او الجيوش المساعدة هى وحدات عسكرية غير فرنسية، تتكون عادة من مواطنى المستعمرات. وهى هنا تتكون من الاقباط والاروام (المسيحيين) وبعض البدو والمرتزقة والانكشاريين اوالمغاربة والهوارة الهاربين من سلطة الدولة العثمانية.

(٨٦) ورد النص الفرنسى بما تعريبه، كاملا: «ان اى مواطن مصرى، الى اية طائفة انتمى، يجب ان لا يؤذى، لا بشخصه ولا بأمواله، بسبب اتصاله بالفرنسيين فى اثناء احتلالهم لمصر، على ان يتقيد، من الآن وصاعدا، بقوانين بلاده» ونرى ان الفرق شاسع بين النص الاصلى بالفرنسية وبين ما اورده الترك.

(٨٧) وردت فى النص الفرنسى بما تعريبه: «يجب على قائد الجيوش البحرية للقوى المتحالفة ان يجهز، وبالسرعة الممكنة، سفينة حربية تحمل الى طولون ضابطا ومفوّض حرب، مهمتهما تسليم الحكومة الفرنسية هذه الاتفاقية».

(٨٨) جنرال : عميد (Céneral de Brligade).

- الجنرال دونزلو .Donzelot
- الجنرال موران Moran.
- الجنرال تاريير Tarayére.
- الجنرال جون هوب John Hope.
- هلى هتشنسون J. Hély Hutchinson (جنرال).
- اللورد كيث Lord Keith.
- القبطان (جيمس ستيفنسون Captain of Royal Navy, James Stivesnson (وقد وقع الاتفاق نيابة عن اللورد كيث).

(٨٩) هو نفسه الجنرال بارتليمى Barthélemy الذى سبق ذكره، وهو من جزيرة «سيو» اليونانية.

(٩٠) الموافق للعاشر من يوليو ١٨٠١م.

(٩١) آخر ربيع الاول عام ١٢١٦هـ. الموافق للعاشر من اغسطس ١٨٠١م.

(٩٢) الميرميران: لقب يعطى للباشا بتوغ (Toug) ذى رتبتين.

(٩٣) الموافق لاوائل سبتمبر ١٨٠١م.

## ملحق رقم (٣٦)

## الشعب المصرى بين الاستعمار الفرنسى والاستعمار العثمانى

- ١ -

جابهت الجيش الفرنسى حين نزوله فى الاسكندرية مقاومة عفوية وقوية.

«فلم يشعر اهل الثغر وقت الصباح الا وهم كالجراد المنتشر حول البلد. فعندما خرج اهل الثغر وما انضم إليهم من العربان المجتمعة وكاشف البحيرة فلم يستطيعوا مدافعتهم ولا امكنهم ممانعتهم ولم يثبتوا لحربهم. وانهزم الكاشف ومن معه من العربان. ورجع اهل الثغر الى التترس فى البيوت والحيطان، ودخل الافرنج البلد وانبث فيها الكثير من ذلك العدد، كل ذلك واهل البلد لهم بالرمى مدافعون وعن انفسهم وأهليهم يقاتلون ويمانعون».

وثمة بداية تفسير او تأويل «لوقائع» الهزيمة:

«وليس ثم عندهم للقتال استعداد لخلو الابراج من آلات الحرب والبارود».

حيث يوضح «المؤرخ» عدم الاستعداد والعجز عن الاستشراف والتشوف الذى يسم الادارة المحلية والادارة المركزية. ذلك ان الجبرتى يبدى رأيه صراحة بالمبادرات التى اتخذتها سلطات القاهرة، فى اجتماع الرؤساء العسكريين المماليك:

«فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مكاتبة بخبر الى اسلامبول، و(...) انفض المجلس على ذلك وكتبوا المكاتبة وأرسلها بكر باشا على طريق البر ليأتيه بالترياق من العراق».

فلا جواب على المقاومة العفوية الا من سلطة هى اول من ولى الادبار تاركة الشعب أعزل. فالدعم الذى كانوا يرتجونه من السلطة المركزية انما يرتكز الى حسابات فاسدة: فهذه السلطة بعيدة جدا، كما ان الريبة فى قدرتها على الدفاع عن نفسها قد باتت تتزايد. واذن فمنذ اللحظة التى يندلع فيها التناقض الذى سيحكم الحقبة الأولى التى ستواجه ما بين مصر (وسنرى اية مصر هى) وبين الغازى الاجنبى، فان تناقضا آخر، فعالا وان غير معلن ولا نام، كان يواجه ما بين الاهالى وبين السلطة وادارتها. وقد استند الفرنسيون حين انزالهم على الاعيان الذين جمعوهم:

«ونادى الفرنسيس بالامان فى البلد ورفع بنديراته عليها وطلب اعيان الثغر فحضروا بين يديه فألزمهم بجمع السلاح واحضاره اليه».

وستتداخل علاقات المحتل بالاهالى طوال الاحتلال، بعلاقة هذا المحتل بالاعيان على كافة انواعهم – باستثناء البيروقراطية العسكرية غير المنضوية اليه من جهة، ثم علاقات الاعيان بالاهالى. وعلى اى حال فان اول اعلان لبونابرت سوف يدور حول هذه العلاقات المتناقضة المعقدة، وسيورد الجبرتى هذا الاعلان بكامله.

والاعلان البونابرتى فعل ادارى ولكنه ينقل ايديولوجية بالغة الدقة والوضوح، ويزيد من دلالتها أنها يمكن اعتبارها «كطرف الخيط» بالنسبة لمختلف مبادرات ادارة الاحتلال. فهى تفترض ان اضعف حلقات السلسلة هى العلاقات بين البيروقراطية العسكرية المستولية على السلطة وبين بقية الاهالى. كما تفترض ان الاسلام، أى الايديولوجية الدينية، هى اللحمة التى تمنع التناقض من الانفجار. فهدف الاعلان، او «المرسوم الذى طبعوه» كما

يسميه الجبرتي، هو التشديد على تعارض المصالح وتحييد العامل الايديولوجي:

«من مدة عصور طويلة هذه الزمرة من المماليك المجلوبين من بلاد الابازة والجراكسة يفسدون فى الاقليم الحسن الاحسن الذى لا يوجد فى كرة الارض، كلها.. يا ايها المصريون، قد قيل لكم اننى ما نزلت بهذا الطرف الا بقصد ازالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه، وقولوا للمفترين اننى ما قدمت اليكم الا لاخلص حقكم من يد الظالمين واننى اكثر من المماليك اعبد الله سبحانه وتعالى واحترم نبيه والقرآن العظيم».

ثم ان الاعلان الذى يحمل معه ايديولوجية الثورة الفرنسية، يشدد على عدم - التسوية فى الثروات واختصاص المماليك، بكل شىء احسن فيها من الجوارى الحسان والارزاق. ثم يمضى الاعلان الى أبعد من ذلك فى ما حمل واستورده من الايديولوجية. فهو لم يكن يضرب حتى الان الا على وتر اخلاقى ومعنوى غائم غامض، لكنه ها هو الآن يكشف وضع الفرق والطرائف والشيع التى تكبل المجتمع المصرى وتنال منه:

«ولكن بعونه تعالى من الان فصاعداً لاييأس احد من اهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية، فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم سيدبرون الامور وبذلك يصلح حال الامة كلها».

ان الاعلان يخاطب المصريين. بعد ان يخرج المماليك من عدادهم، عبر ممثليهم الاهليين الذين يغلب بينهم اولئك الذين يشغلون وظائف ذات تبعية دينية: «المشايخ والقضاة والائمة والجربجية واعيان البلد». ثم يخاطب هؤلاء الممثلين انفسهم عبر اماناتهم للسلطة العثمانية، وهى امانة يشفعها الرباط الدينى والادارى. واذ يتماثل هؤلاء الممثلون ويتماهون مع وظائفهم الايديولوجية والادارية فانهم يتصلون بعنصرين مختلفين: فهم يمارسون وظائفهم داخل الادارة المحلية المتصلة بالمجتمع الذى ينتمون اليه. ومن جهة اخرى فانهم يتبعون السلطة العثمانية التى تمثل مصدر الشرعية وتتماهى مع «بلاد الاسلام». ولا تفعل القرارات التى تلى فاتحة الاعلان سوى ان تؤكد هذا التحليل: فمعارضة الشعب سوف تقمع بالحديد والنار.

«المادة الثانية: كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوية تحرق بالنار» وبازاء ذلك فان الفرنسيين يعترفون «بالشرعية» العثمانية:

«المادة الثالثة: كل قرية تطيع العسكر الفرنساوية ايضا تنصب صنجاق السلطان العثمانى محبنا دام بقاؤه».

فاما الموظفون: «الايديولوجيون» وموظفو الجهاز القضائى وكذلك ممثلو الجماعات القروية الذين يمثلون اولا وقبل كل شىء السلطة داخل هذه الجماعات فانهم:

«المادة الرابعة: الواجب على المشايخ والعلماء والقضاة والائمة انهم يلازمون وظائفهم..

«المادة الخامسة: المشايخ فى كل بلد مختمون حالا جميع الارزاق والبيوت التى تتبع المماليك».

وبعد ان يورد الجبرتى الاعلان بدون ان يعلق عليه فانه ينتقل الى ردة فعل العاصمة. وحينها لايكتفى باظهار الوحدة التى رسخها التدخل:

«... فكانت كل طائفة من طوائف اهل الصناعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خياما او يجلسون فى مكان خراب او مسجد ويرتبون لهم فيما يصرف عليهم ما يحتاجون اليه من الدراهم التى جمعوها من بعضهم وبعض الناس يتطوع بالانفاق على البعض الآخر ومنهم من يجهز جماعة من المغاربة والشوام بالسلاح والاكل وغير ذلك».

بل انه يقول ذلك ويشدد عليه:

«بحيث ان جميع الناس بذلوا ما فى وسعهم وفعلوا ما فى قوتهم وطاقتهم».

ولكن ذلك لا يؤدى به الى اغفال الشقاقات الداخلية التى سبق اظهارها لدى المقاومة:

«ومع ذلك فان قلوب الامراء لم تطمئن بذلك، فانهم من حين وصول الخبر لهم من الاسكندرية شرعوا فى نقل امتعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة الى البيوت الصغار التى لا يعرفها احد واستمروا طوال الليالى ينقلون الامتعة ويوزعونها عند معارفهم وثقاتهم وارسلوا البعض منها لبلاد الارياف، واخذوا ايضا فى تشهيل الاحمال واستحضار دواب للشيل وادوات الارتحال فلما رأى اهل البلدة منهم ذلك داخلهم الخوف الكثير والفزع واستعد الاغنياء واولو المقدرة للهروب ولولا ان الامراء منعوهم من ذلك وزجروهم وهددوا من اراد النقلة، لما بقى بمصر منهم احد». [وقائع صفر ١٢١٣].

كاشف البحيرة واهل الثغر (الاسكندرية)، الاغنياء والفقراء.. انه اذا كانت الكافة تشارك فى الاستعدادات الحربية، الا ان الحرب لا تطال كافة من يشاركون فيها بكيفية واحدة. ومع ان الجبرتى يضع القيادة السياسية والعسكرية خاصة موضع المقاضاة الا انه يعود بعد ان يشدد على اجماع الواجهة والتفسخات والشقاقات التى تنخر الجانب المصرى، فيلجأ فى تفسيره لهذه السلسلة الاولى من الوقائع الى مقالة سبق لسبينوزا ان وصف فيها اصحابها بالاهوائيين:

«.. ولكن لم يسعف (المصريين) الدهر».

ان الشرح او التعليق الغامض العابر والعلاقة الواضحة المحددة الناشئة عن الواقعات والتى تزيح الحقيقة المعروضة عن التعليق. مضيفة الى وضع المعلق تحديدا جديدا، ان هذه كلها ليست المعالم الوحيدة او العلامات الوحيدة على منزلة راوى الوقائع المزدوجة. فهناك كذلك تساوق وتكامل الواقعات فى تسلسل. فبعد ان يصف الجبرتى تدفق سكان القاهرة على بولاق حيث خط الدفاع. وبعد ان يصف الحرية التى تمتع بها اللصوص وقراءة الادعية و«غلاء» سعر البارود والرصاص. فانه يكتب يقول:

«وفى كل يوم يتزايد ويعظم الهول ويضيق الحال بالفقراء الذين يحصلون اقواتهم يوما فيوما لتعطيل الاسباب واجتماع الناس كلهم فى صعيد واحد، وانقطعت الطرق وتعدى الناس بعضهم على بعض لعدم التفات الحكام واشتغالهم بما دهمهم» [وقائع صفر ١٢١٣].

ان «الدهر» الذى يحمله المنطوق الايديولوجى فى الاستشهاد أعلاه وزر ما كان، لا يضعه الجبرتى فى مقابلة التناقضات التى تواجه ما بين مختلف العناصر فى المجتمع وحسب، بل يضعه كذلك فى

مقابلة ادانة صريحة لسلطة يعتبرها هو - اى الجبرتى - مسؤولة عن الهزيمة. ومرد هذه الهزيمة ليس قصورها وعدم كفاءاتها البينة وحسب بل وموقفها الذى سمح بكافة التفسخات المشار اليها:

«ثم فى كل يوم تكثر الاشاعة بقرب الفرنسيين الى مصر وتختلف الناس فى الجهة التى يقصدون المجىء منها فمنهم من يقول انهم واصلون من البر الغربى ومنهم من الجهتين، هذا وليس لأحد من أمراء العساكر همة أن يبعث جاسوسا او طليعة تناوشهم القتال قبل دخولهم وقربهم ووصولهم الى فناء مصر، بل كل من ابراهيم بك ومراد بك جمع عسكره ومكث مكانه لاينتقل عنه...» [وقائع صفر ١٢١٣].

وبالاضافة الى التناقضات التى سبقت الاشارة اليها (الادارة والاهالى - ثم الاغنياء والفقراء) فان هناك تناقضا جديدا داخل السلطة وملازما فى واقع الامر لبنيتها. هذا التناقض - كما سيظهر الجبرتى ذلك فيما بعد - هو تكون عصبيات منفصلة ومتناحرة يشكل حاصل جمعها الحسابى: السلطة. فأما هذه الاخيرة - اى السلطة - فانها مشلولة نتيجة الشقاق والتناحرات بحيث انها عاجزة عن اجماع امرها وتنظيم الدفاع عن البلاد. ولذا فان تعبئة الاهالى كانت تعبئة لا طائل فيها. فقد أركنوا الى سلطة جعلت تتخبط امام التدخل الاجنبى فى عجز سياسى وعسكرى، تامين كاملين. والجزاء العسكرى ساطع الوضوح فى هذا المجال: «ففى حين ركب جماعة من العساكر التى بالبر الغربى وتقدموا الى ناحية بشتيل (بلد مجاورة لانبابه) فتلاقوا مع مقدمة الفرنسيس فكروا عليهم الخيول فضربهم الفرنسيس ببنادقهم المتتابعة وأبلى الفريقان». فان عسكر البر الشرقى:

«فلما عاين وسمع عسكر البر الشرقى والقتال. ضج العامة والغوغاء من الرعية واخلاط الناس بالصياح ورفع الاصوات بقولهم يارب يا لطيف ويا رجال الله ونحو ذلك. وكأنهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم وجلبتهم».

وما يصفه الجبرتى ليس مواجهة عسكرية تقنية، حتى ولو كانت التقنية المضمرة فيه تلعب فى هذه المواجهة دورا غير يسير، بحيث ان صاحب الوقائع يشدد عليه حين يتكلم من موقف يتماهى مع وجهة النظر «المصرلية» عن مناورة الالتفاف التى قام بها الجيش الفرنسى:

حين «انقسم على كيفية معلومة عندهم فى الحرب وتقارب من المتاريس بحيث صار محيطا بالعسكر من خلفه ومن امامه» .

وهو يعالج المعركة العسكرية عمليا «كميزان» للقوى، فهى تحل التناقض آنيا وذلك باعدام الخصم. فاما هذا الاخير فان صاحب الوقائع يصفه حتى إبان المعركة، بكثرة تعييناته التى يحكمها التعين السياسى: القيادة المفككة، فقدان الخطة فى المعركة، والمؤخرة المتروكة للنهب، ومضافرة هذه العناصر ليست نقلا للواقع العينى إلى النص وإنما هى نتيجة عملية بناء للواقع عينه من قبل نقولا الترك، اى وفق مقالات تقيم علاقات اخرى مختلفة بالواقع فان هذا الواقع لا يعود هو نفسه.

«... وهو ان امير اللواء مراد بك مع عساكره فما زال ساير حتى وصل الى الرحمانية وهنالك قابل الفرنساوية قادمين كالبحر الزاخر والسيل القاطر.. ثم رموا الغلايط بمبه واحدة فجات فى

الذهبية الذى فيها الجبخانة فاحترقت واحرقت باقى الذهبيات من حولها وصعد النار من الذهبية الذى فى البحر ووقعت فى الجبخانة التى على البر فشالت فيها النار.. فحين نظرت عساكر البر هذه الحالة فنهضت وارتجعت الى ورى فداهمتهم الفرنساوى بالكلل والرصاص .. ودقت طبول الحرب وتقدم الى المحاربة والمضاربة احد الجنرالية دبوى البطل العظيم المعد فى الحرب بألف صنديد وهجم على عساكر الغز.. لان الغز ما اطلقت مدافعها سوى مرة واحدة وكانوا نحو ثمانين مدفعا لان الفرنساوية كانت الكلل تنزل عليهم وهم هاجمين على المتاريس الى ان ملكوها ودوروا مدافعها على عسكر الغز. فصارت الغز اعداهم امام وجوههم ومن البحر...».

يظهر وصف نقولا الترك الآنف قوام عمل التحويل والبناء لدى الجبرتي: فليس موضوع وقائعه ذاتا بمعنى الذات العارفة والقادرة كما جرى التعارف عليها فى الفلسفة الكلاسيكية او فى اللاهوت التاريخي، ولو كان ماديا. ونحن لا نقصد بهذا ان نؤكد على انه لم يوجه بنظره خلال المعركة أو خلال المرحلة التحضيرية لها، الى هذا المملوكي او ذاك الفرنسي وحسب، فهذا امر بين جدا، من جهة، كما انه ليس حاسما حقا، من الجهة الثانية. ثم ان القول بأنه ليس من ذات فى وقائع الجبرتي انما هو تأكيد على واقعة رئيسية مفادها انه ليس ثمة اى عنصر بسيط دقيق منتظم متجانس. فكافة العناصر التى تدخل فى التحليل هى عناصر معقدة ومتناقضة. وما يجمع هذه العناصر بعضها الى بعض انما هو العلاقات الداخلية التى تتدخل، وتحدد درجة الفعالية والتدخل. وهذا الامر هو ما جعل الوقائع حين كلامها عن الاستعدادات للمعركة ثم حين كلامهم عن المعركة نفسها، تلم بالمقاومة الاولى المهزومة وبالمضاربة على الأسعار وبالسرقة وبالمنافسة بين العصبيات المملوكية وبالصلوات.. اى بكافة ما لا تستطيع وقائع مكتوبة من وجهة نظر «ذات» قادرة تتماهى وتتماثل مع مسيرة التاريخ، ان تتكلم عنه فتغفله.

وبعد ان قطع الفرنسيون دابر «قمم» السلطة ورؤوسها لم يديروا البلاد مباشرة. بل استدعوا اولئك الذين توجه إليهم المنشور الأول «المشايخ والقضاة والائمة.. »لان نابوليون طلب ان يتفاوض معهم. وكان اول من التقاه شيخان ثانويان. اما اول ديوان فقد تم تشكيله من عشرة مشايخ اختيروا خلال جمعية ضمت كافة «المشايخ والوجاقلية» واما دور هذا الديوان فان المؤرخ يورده عبر مختلف مداخلاته ومساعيه. فالفرنسيون يعارضون «تقليد المناصب بجنس المماليك» فى حين ان المشايخ كانوا يلحون فى ذلك:

«فعرفوهم ان سوقة مصر لا يخافون الا من الاتراك ولا يحكمهم سواهم...»

كان العلماء يدافعون لدى الفرنسيين عن جهاز السلطة الذى طالما كانوا متعاضدين ومتضامنين معه. فكانوا «يتشفعون» لدى الفرنسيين فى «اسرى المماليك فيقبلون شفاعتهم ويطلقونهم». وبمقابل هذه المهاودات فان المحتل طلب الى الديوان ان يتوسط بينه وبين الاهالى ليعتصرهم. فقد طلبوا:

«دراهم سلفة وهى مقدار خمسمائة الف ريال من التجار المسلمين والنصارى القبط والشوام وتجار الافرنج ايضا فسألوا التخفيف فلم يجابوا فأخذوا فى تحصيلها».

وكذلك فان جيش الاحتلال جعل يستخدم هذا التضامن وهذا التعاضد بحيث يقوم المشايخ بنقل مطالبه هو لاسيما المالية منها، الى الوجهة المقابلة. وهكذا يتضح بالتدريج الدور الذى تلعبه هذه الشريحة فى مجتمع مصر لتلك الحقبة. فعندما فرض الفرنسيون على رؤساء «اهل الحرف» والتجار فرائض، فان هؤلاء لجأوا بدورهم الى نفس الوسطاء بغية حمل الفرنسيين على خفض غراماتهم:

و«تشفعوا بالمشايخ فتكلموا لهم ولطفوها الى نصف المطلوب ووسعوا لهم فى المهلة».

لكن ما ان يخرج الجنود الفرنسيون من القاهرة حتى يكون عليهم مواجهة عداء الشعب المصرى. ففى ابو زعبل رفض اهالى القرية تموين الجيش:

وتنتشر اشاعات عن وصول الاسطول الانجليزى الى الاسكندرية فيضطر الفرنسيون الى الرد على هذه الصيغة الماكرة من المقاومة. فكثرت مداهماتهم بقصد التفتيش عن مخابئ الاسلحة. وعندما اراد بونابرت «ان يعظم ويشرف اعضاء الديوان بزيه وعلامته» و«وضع طيلسانا ذا ثلاثة عروض ابيض واحمر وكحلى على كتف الشيخ الشرقاوى فرمى به الى الأرض واستغنى وتغير مزاجه وانتقع لونه واحتد طبعه».

[وقائع ربيع اول ١٢١٣].

و«عندما نادى جماعة القلقات على الناس بوضع العلامات المذكورة المعروفة بالوردة (الجوكار) وهى اشارة الطاعة والمحبة «فأنف غالب الناس من وضعها» وفشلت امام عناد الشعب ورفضه لاية صورة من صور الالحاق الرمزى وعندما مر «صارى عسكر» الجيش الفرنسى امام الناس الذين «وافق ان حضر آغا رومى وكان معوقا الاسكندرية فمر بالشارع... تشاهده الناس فاستغربوا هيئته وفرحوا برؤيته وقالوا هذا رسول الحى حضر عند السلطان بجواب للفرنسيس يأمرهم بالخروج من مصر.. فعندما مر بعسكره وطوافيه من باب المشهد[الحسينى] والناس قد كثر ازدحامهم.. وهم يلغطون ويخلطون.. داخله امر من ذلك فصاحوا بأجمعهم وقالوا بصوت عالى: الفاتحة فشخص اليهم وصار يسأل من معه من ازدحامهم فلطفوا له القول وقالوا له انهم يدعون لك» [وقائع ربيع ثان ١٢١٣].

وتحتل الاستلابات المباشرة فى هذه المرحلة من الاحتلال، مرتبة متقدمة على اية ادارة. فحدّ من دور الديوان وهو الذى كان يتجاوز فى غالب الاحيان. وذلك ان اثره فى عرقلة مقاومة الشعب او فى عرقلة مقاومة بعض المماليك الذين لا يزالون يمسكون بحصون وقلاع فى الريف بصعيد مصر. كان صفرا. يقول الجبرتى:

«وفيه اهمل امر الديوان الذى يحضره المشايخ ببيت قايد آغا فاستمروا اياما يذهبون فلم يأتهم احد فتركوا الذهاب فلم يطلبوا».

ثم ان الغاء الديوان يستجيب الى حاجة أخرى. فالاعلانات التى يطلقها جيش الاحتلال هى اعلانات مشربة بالايديولوجية البرجوازية الناشئة. وكان هذا الجيش ينتوى اعادة تنظيم الشرع الذى ينظم العلاقات الاجتماعية على المستوى القانونى. وبعد ان طلبوا «من أصحاب الاملاك ان يأتوا بحججهم وتمسكاتهم الشاهدة لهم بالتمليك» فانهم «شرعوا فى تركيب ديوان آخر وسموه حكمة القضايا وكتبوا فيه طومارا وشرطوا فيه شروطا ورتبوا فيه ستة انفار من النصارى القبط وستة انفار من التجار المسلمين وجعله قاضيه الكبير ملطى القبطى». فأما ما تتصدى له هذه المؤسسة الجديدة فانه ليس اقل من المبادئ التى تنظم حق الملكية كما هو ممارس فى السلطنة العثمانية. ويقدم الجبرتى تحليلا فقهيا مفصلا لذلك (وقائع ربيع الثانى ١٢١٣هـ) ثم يدينه بشدة:

«وشرطوا فى ذلك شروطاً وفى ضمن تلك الشروط شروطا اخرى بتعبيرات سخيفة يفهم منها المراد بعد التأمل الكثير لعدم معرفتهم بقوانين التراكيب العربية، محصلة التحليل على أخذ الاموال..».

وبعد أن يظهر الطابع التعسفى الجائر «للطومار» الذى ينظم الملكية فى مجتمع تحصل فيه حيازة الملكية «بالشراء» أو «بالأيلولة» فتستقل بدون تجديد، يستعرض الجبرتى كافة الاستيفاءات فى الرسوم او المقررات كما يسميها فيبدو له ذلك كله من «البدع السيئة». وهو يتعرف فى الطومار الجديد على طابع «غريب» (بدعة) يتبينه فى «التعبيرات السخيفة.. وعدم معرفتهم بالتراكيب العربية» كمايتبينه فى المباينة القائمة بين الوثائق المطلوبة (القيد بالسجل فالثبوت فالاشهاد) وبين الممارسات المحلية. ولن تتأخر كثرة المقررات وتنوعها مضافة الى الاقتطاعات التى لم تلغ، فى أن تثير استياءه وانكاره. ثم ان المحكمة التى تم ترتيبها تغصب من المؤسسة العدلية المحلية والتحكيم العرفى. غير ان الديوان الجديد سيشتمل عند تشكيله، بالاضافة الى المشايخ، شيوخ المدن والقرى والتجار وادخال عناصر فيه تنتمى الى القطاع «الاستثمارى الرأسمالى» الى سياسة كانت فى طور بدايتها فى تلك الاثناء وتنزع الى تصحيح خطأ اقامة المحكمة التجارية والمدنية، فتقرر الابقاء على المحاكم التى تطبق الشريعة الاسلامية (محاكم البلاد) والتى كانت لاتزال تعمل حتى ذاك.

الا انهم قرروا فى الحين ذاته استيفاء «مقررات عن الاملاك والعقار ... والوكائل والخانات، والمعاصر والسيارج والحوانيت». وبعد ان هاجمت ادارة الاحتلال المماليك على الصعيد العسكرى ثم على الصعيد الاقتصادى بأن صادرات ارزاقهم، انثنت تهاجم التجار والصناع واصحاب الريوع.. ان ادخال ممثلى هذه الشرائح الى الديوان انما يكرر الدور الذى يسنده الفرنسيون الى «الممثلين». الا أنه كان من شأن الاجراء المتخذ ان ادى الى التحام كافة الانتهاكات التى نالت الادارة الفرنسية بها من كافة شرائح الشعب القاهرى:

«ولما اشيع ذلك في الناس كثر لغطهم واستعظموا ذلك والبعض استسلم للقضاء فانتبذ جماعة من العامة وتناجوا في ذلك ووافقهم على ذلك بعض المتعممين الذى لم ينظر في عاقبة الامور ولم يتفكر انه في القبضة مأسور، فتجمع الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم ولا قائد يقودهم واصبحوا يوم الاحد متحزبين وعلى الجهاد عازمين وابرزوا ما كانوا اخفوه من السلاح وآلات الحرب والكفاح، وحضر السيد بدر وصحبته الحسينية وزعر الحارات البرانية ولهم صياح عظيم وهول جسيم، ويقولون بصياح في الكلام نصر الله دين الاسلام. فذهبوا الى بيت قاضى العسكر وتجمعوا وتبعهم ممن على شاكلتهم نحو الالف والاكثر فخاف القاضى العاقبة واغلق ابوابه واوقف حجابه فرجموه بالحجارة والطوب وطلب الهرب فلم يمكنه الهروب، وكذلك اجتمع بالازهر العالم الاكبر وفى ذلك الوقت حضر دبوى بطائفة من فرسانه وعساكره وشجعانه فمر بشارع الغورية وعطف على خط الصنادقية وذهب الى بيت القاضى فوجد ذلك الزحام فخاف وخرج من بين القصرين وباب الزهومة وتلك الاخطاط بالخلائق مزحومة، فبادروا اليه وضربوه واثخنوا جراحاته وقتل الكثير من فرسانه وابطاله وشجعانه، فعند ذلك اخذ المسلمون حذرهم وخروا يهرعون ومن كل حدب ينسلون ومسكوا الاطراف الدائرة بمعظم أخطاط القاهرة كباب الفتوح وباب النصر والبرقية الى باب زويلة وباب الشعرية وجهة البندقانيين وما حاذاها، ولم يتعدوا جهة سواها وهدموا مساطب الحوانيت وجعلوا احجارها، متاريس للكرنكة لتعوّق هجوم العدو فى وقت المعركة، ووقف دون كل متراس جمع عظيم من الناس. واما الجهات البرانية والنواحى الفوقانية فلم يفزع منهم فازع ولم يتحرك منهم احد ولم يسارع، وكذلك شذ عن الوفاق مصر العتيقة وبولاق وعذرهم الاكبر قربهم من مساكن العسكر...» [وقائع عاشر جماد الاول ١٢١٣].

ان سرد الجبرتى ليجعل الحركة اقرب الى المدارك فى تفاصيلها. فانتهاك العرف يصيب فى نقطة حاسمة:

– فالسلطة الاجنبية التى لم تفتأ تلاقى مقاومة عنيفة منذ نزولها مصر، وهى لم تكن قد تمكنت من اجتثاث كافة الشرائح المملوكية (ما دام مراد بك لايزال وسيظل سيد الجيزة). وهى مضطرة للرد على العنف بعنف اعتى منه واشد اذا كانت تريد الاستمرار فى السيطرة على البلاد.

– وبالاضافة الى هذا، فان السلطة الاجنبية بدات تظهر كعبء مالى هام. وهى تحاول ان تقسم انصبة كلفتها «بالقسطاس المستقيم» الامر الذى يكرهها على استثارة احتجاجات كافة الفئات الاجتماعية المرغمة على الاسهام والمشاركة فى الجهد اللازم لتعهد هذه السلطة.

– لا بل إن السلطة الاجنبية نفسها مرغمة على التصدى للاحكام التى تضمن الملكية والانتفاع ونمط انتقالهما واستمرارهما. وحتى عندما يكون بعض هذه الاحكام (كتلك المتعلقة بالمكوس والضرائب مثلا) عاجزا عن الانتساب الى اوامر ونواهى دينية، فإن تساوقها مع العرف وتتامها به يهبها شرعية يعزز من شأنها (على الصعيد الايديولوجى) ارتباطها بتوزع المصالح والمراتب فى

داخل المجتمع. والحال هو ان هذه الاحكام ليست الضامن لمصالح الفئات التى طالتها اجراءات السلطة الاجنبية وحسب، بل ان ببقائها وباستحالتها وفقا لقواعد دقيقة واضحة ترتهن وظيفة ذلك الجسم المعقد من العلماء، ووظيفة المؤسسة التى توجه وتقود عملية اعدادهم عنينا الازهر. وهذه الوظيفة (اذا ما تتبعنا سياق الاخبار التى يسوقها الجبرتى) هى وظيفة مزدوجة: فما دامت القواعد او الاحكام القضائية مكرسة، بموجب قانون، فان الوظيفة القضائية لاتنفصل عن الوظيفة الايديولوجية التى هى فى اساسها:

«فهو بمنحاه فى تجنيد تلامذته واساتذته، وبحظوته لدى الجمهور، وباشعاعه فى كافة العالم الاسلامى، وبتآلفه مع الشخصية المصرية ان وفق نمط الشعر العامى وان وفق نمط فقه اللغة وفقه الشرع. فانه (اى الازهر، يتكفل بالنظام الريفى ثم يتوجه ثقافة شمولية».

واذ يوسع الاقتطاع الضريبى من قاعدته الاجتماعية فانه يعبئ ضده موارد سياسية هامة. وفى تضام العناصر واتحادها هذا، يرهص عامل يتفوق على بقية العوامل لانه العامل الذى يوحدها جميعا. وهذا العامل هو ما تشير اليه «العجايب» تلميحا: اذ يبدو الشيوخ، او المتعممون كما تسميهم، من الذين انضموا الى الحركة الشعبية، انهم يبدون بالنسبة اليها «كمن لم ينظر فى عاقبة الامور ولم يتفكر فى انه فى القبضة مأسور». وانما الأمر الملحوظ هنا هو «عدم التفكر» هذا مضافا الى نتيجته ومفاعيله. فعندما يؤكد الجبرتى على «عدم التفكر» فى اللحظة التى تجتاح الموجة الشعبية العلماء فيها، فان اسباب «عدم التفكر» تظهر جهارا: فالوظيفة الموقوفة فى «الأحوال العادية» على الادارة، التقنية والطقسية، تطرح فى ابان الازمات فى العلاقات التى تنظم وحدة التشكيلة الاجتماعية، هذه التشكيلة التى تعمل السياسة، بداخلها كتقنية او كأيديولوجية محضة (وهذان امران لا يتنافيان بل يتكاملان وجوبا. فالايديولوجية تغطى التقنية و«تساميها» الى حد محوها). وتبعا لذلك فان لحكم صاحب الوقايع، مدلولا، يتجاوز هامشيته فى النص. اذ يبدو سلوك اولئك المشايخ (المتعممين) سلوكا مغايرا للماهية التى تعطيه طابعه الدائم عند ذاك «يفسر» الانحراف الملاحظ «بالاحوال»: فغياب «رئيس يسوس وقائد يقود، التجمع الكثير من «الغوغاء» يستدعى قيادة وفق مقالات نظام كمقالات الكاتب نفسه. واذ يملأ تدخل العلماء، الذين كان عليهم الا يتدخلوا، هذا الغياب، فانه يعيد النظام ثم ينتهكه فى نقطة اخرى هى تلك المتعلقة بوضعهم كعلماء. «فعدم التفكير» يعمل بسلبية مطلقة وينقذ ما يبدو مهددا. ويظهر تفسير الجبرتى فى المقالات عوج المقالات: فعندما يتتبع تركيب هذه المقالات التناقض ومركباته الكثيرة فان المنطوقات «الاجمعية» تغطى التركيب بمعنى هو «حقيقة» التركيب). ثم ينحو هذا المعنى منحى تفكيك التركيب واطراحه فى اللامعنى التام. ومناص هذا الاخير الوحيد هو ان يقلد ايماءات المعنى الذى ينقل فحواه ومؤداه من حال التوكيد الى حال انمحاء علاماته الفارقة. على ان اعمق علامة فارقة هو الاسلام نفسه: بمؤسساته واوامره ونواهيه و«بحجبته وقطبيته». ثم ان التناقض يخترق – وهو يربط الخيوط المتبعثرة – كل عنصر من العناصر:

ففي نفس المشهد الذى يتصدر فيه المتعممون التظاهرة، ويتلقى فيه الازهر «العالم الاكبر... بصياحه العظيم وهوله الجسيم» فان القاضى يولي الادبار دفعا لكل مسؤولية قد تنسب اليه فى التمرد. واذا كان ثمة فى المشهد هرب القاضى فان ثمة فى نص الجبرتى المعنى الذى يفرض نفسه على التركيب.

وكذلك فان الجواب على التمرد متعدد هو الآخر: فدائرة القمع تتسع حتى ان بيانا يصدر عن جيش الاحتلال يتباهى بها.

«ونخبركم ان كل من تسبب فى تحريك هذه الفتنة قتلوا عن آخرهم واراح الله منهم البلاد والعباد».

«وفى مدة هذه الايام.. اخذوا فى الاهتمام فى تحصين النواحى والجهات» ونصبوا مدافع فباتت القاهرة فى متناول مرماهم، واستوفيت المقررات. الا ان الجواب ظل سياسيا اساسا. ويستعيد الاداة التى سبق استخدامها، عنينا تمثيل الاعيان والعلماء. انما فى ديوان موسع هذه المرة، اذ عينوا له ستين نفرا منهم اربعة عشر يقال لهم خصوص وهم الذين يحضرون دائما ويقال لهم الديوان الخصوصى والديوان الديمومى. فكان اهم فريق فى هذا الديوان هم العلماء اذ انهم شغلوا فيه خمسة مقاعد وكذلك فقد تدعم فيه تمثيل الاجانب من شوام واوروبيين.

«فاما الديوان العمومى فاكثره مشايخ حرف» لكن هذه (لا يستثير ) الجبرتى عليه.. فهو لا يعلق على ذلك بما يفهم منه تقييم او حكم أو تقدير. وعلى العكس من ذلك فان طومار دعوة اعضاء الديوان العمومى. الذى يتصدره صدد «مقول على لسان بونابارته كبير الفرنسيين» تستثير منه التعليق التالى:

«وانما اوردت ذلك وان كان فيه بعض طول للاطلاع على ما فيه من التمويهات على العقول والتسلق على دعوى الخواص من البشر بفاسد التخيلات التى تنادى على بطلانها بديهة العقل. فضلا عن النظر...».

ذلك ان هذه الرسالة / التصدير ليست سوى فلذة ايديولوجيا من ألفها الى يائها. وهى تقف بالكلية فى ارض العلماء وميدانهم وتنازعهم عليه.

«والعاقل يعرف ان ما فعلناه بتقدير الله تعالى وارادته وقضاه، ومن يشك فى ذلك فهو احمق واعمى البصيرة.. ولا يشك العاقل ان هذا كله بتقدير الله وارادته وقضاه» [وقائع رجب ١٢١٣].

فكلام بونابرت يقلب مقالات العلماء عليهم بعد ان «يملأها» بصورة مختلفة. وما هو مقتطع منه انما هو توظيفه وطريقة عمله وطابعه التبريرى الذى يؤهله «لترجمة» اى نظام ما دام يتخذ الاسلام ظهيرا . «فالتمويهات» و«التسلق على دعوى الخواص من البشر» و«فاسد التخيلات» ليست صفة لسيكولوجية المحتل بقدر ما هى معالجة للمقالات وتدبر لها. وثمة عنصر رئيسى يتغيب فى معالجة المقالات: انه التعاضد والتضامن فيما بين الموضع المعين صوريا وبين من يحتله. ويبدو الفصل والتفريق فى نص بونابرت نتيجة لان، من يزكى نفسه كأداة للإرادة الإلهية، لايضطلع بهذه التزكية غايتها - الأمر الذى يدل على اجنبيته. فيبدو

الموضع فارغا شاغرا وبالتالى قابلا لان يشغله اى مدع واى متقدم. وفى ذاك ما ينكره منطق النظام.

ولا تقتصر محاولة قلب الايديولوجية على حملتها واصحاب البراءة فيها، بصعيد المقالات. بل انها تتقلد المؤسسات. فاذا كان الازهر يعد الشراح والمعلمين والأئمة والقضاة.. الا انه ليس المؤسسة الوحيدة التى تدور وتتواكب مع الايديولوجيا ومرجعها الاسلامى:

«وانما يجد الاسلام الصراطية، اسلام العلماء، نده ومراجحه فى التصوف الشعبى. فلقد نشأت منذ عدة قرون خلت، جماعات باطنية تشاغلت بها اوروبا..»

الا ان التصوف الشعبى يتفلت من الصراطية الطقوسية السائد ويأبق منها دون حاجة منه الى باطنية. فهو يجند مريديه من اوساط لايغفل الجبرتى عن الاشارة اليها حين يقول:

«وغالبهم السوقة واهل الحرف السافلة، ومن لايملك قوت ليلته فتجد احدهم يجتهد بقوة سعيه ويبيع متاعه او يستدين الجملة من الدراهم ويصرفها فى وقود القناديل واجرة الطبالة والزمارة، وكل يجتمع عليه ما هو من امثاله من الحرافيش ثم يقطع ليلته تلك سهرانا ويصبح دايخا كسلانا ويظن انه بات يتعبد ويذكر ويتهجد».

ثم يشفع هذا الحكم الاجتماعى الطبقى بتدبيج مذهبى وطقوسى لهم:

«ثم زاد الحال وانضم اليهم كثير من اهل البدع كجماعة العفيفى والسمان والعربى والعيسوية.. هذا مع ما ينضم الى ذلك من جمع العوام وتحلقهم بالمسجد للحديث والهذيان وكثرة اللغط والحكايات والاضاحيك والتلفت الى حسان الغلمان الذين يحضرون للتفرج والسعى خلفهم والافتتان بهم، ورمى قشور اللب والمكسرات والمأكولات فى المسجد، وطواف الباعة بالمأكولات على الناس فيه وسقاية الماء، فيصير المسجد بما اجتمع فيه من هذه القاذورات والعفوش ملتحقا بالأسواق المتهنة».

وعلى هذا النحو وفى مثل هذه الوضعية كان يحتفل بمولد الامام الحسين، قبل ان يهجر فى بضع السنين التى سبقت الغزوة الفرنسية، غير ان الادارة الفرنسية عادت، بعد انشاء الديوان فأمرت باعادة الاحتفال بالعيد من جديد:

«و (...) نادى القبطان الفرنساوى الساكن بالمشهد الحسينى على اهل تلك الخطة وما جاورها بفتح الحوانيت والاسواق لاجل مولد الحسين، وشدد فى ذلك ووعد من اغلق حانوته بتسميره وتغريمه عشرة ريال فرانسة مكافاة له على ذلك..» [وقائع شهر شعبان ١٢١٣].

وكان رد فعل المحتل على التماسك الذى بدا فى التمرد انه اكد التمايزات الأيديولوجية التى ترتبط بالتمايزات الاجتماعية. ومن هنا ان وضع الصراطية الدينية موضع مقاضاة ومدافعة قد كان أبلغ تأثيرا وفعالية مما لو جاءتها الهجمة من الخارج.

ومن اللافت للنظر ان نرى الجبرتى عندما يتكلم عن قرب رحيل الفرنسيس ويذكر «عقد الصلح» بكامله، يلتزم السكوت التام حول رحيلهم عنها ولا يعتب عليه بأية صورة من الصور. فهذا

الحدث الذى املاه ظرف دولى يفوت صاحب الوقايع الذى يدرجه كمعطية واقعية شأن ادراجه لوفاء النيل او للجفاف. ولئن فات الجبرتى ضبط واحكام الصلح وعلاقات القوى التى املته فلعله فات كذلك المثقفين المصريين اضرابه ممن شبوا وتكونوا داخل عالم مقفل سياسيا وتاريخيا لكن دلالة النص كانت واضحة للناس اجمعين: «وورد الخبر بذلك (أى اتمام عقد الصلح على الثنين وعشرين شرطا رسمت وطبعت فى طومار كبير) والى مصر وفرح الناس بذلك فرحا شديدا... » [وقائع ٢٢ شعبان ١٢١٣]

وهنا، كما فى طول الوقائع وعرضها، يتماهى المؤرخ مع وجهة نظر «أهل مصر» بشغراتها وظلالها كذلك بتعقيداتها. ولقد ادى رحيل الفرنسيين الى مواجهة دامية، فقمع العصيان الشعبى مرة اخرى قمعا دمويا. واذ يروى الجبرتى رواية العصيان فانه يرد على التناقض كافة وجوهه. ففرح الناس لم يكتف بالاعراب عن نفسه «بذهنوية مجردة».

«وأما الرعايا وهمج الناس من اهل مصر فانهم استولى عليهم سلطان الغفلة ونظروا للفرنسيس بعين الاحتقار وانزلوهم عن درجة الاعتبار وكشفوا نقاب الحياء معهم بالكلية وتطاولوا عليهم بالسب واللعن والسخرية ولم يتركوا للصلح معهم مكانا...» [وقائع رمضان ١٢١٤].

وأما من الجهة الاخرى، فان الاتراك الذين باشروا الدخول الى مصر، كانوا ذوى «طرائق قبيحة». واما رؤوس المماليك فان دخولهم البلاد كان دخول الطبقة الحاكمة القديمة التى تستعد لانهاض نظام حكمها:

«واخرجت لهم الخيام والتراتيب والنظام وهيأت نساء الامراء والاجناد احتياجاتهم وترتيباتهم وجروا على عادتهم فى التغالى، ولازمت الخدم والفراشون الغدو والرواح الى خيم ساداتهم وهم راكبون البغال والرهونات والحمير الفارهة، وفى حجورهم تعابى الثياب والبقج المزركشة بالذهب والفضة» [وقائع رمضان ١٢١٤].

فهم اذ عادوا بعد طرد الفرنسيين لهم، فانهم اطلقوا لمكامن نفوسهم العنان. وقد حافظ الفرنسيون بصمت توجس الجبرتى منه الانفجار: «ويتجاوبون بكلام وسخريات ولعن للنصارى البلدية والفرنسيس بمرأى منهم وسمع، الى غير ذلك مما يثير الحفاظ ويوغر الصدور».

ثم تدخلت العلاقات الخارجية فيما بين الدول العظمى: فقد «تعرض الانجليز للجماعة التى نزلت البحر من الفرنساوية الذين يريدون السفر الى بلادهم» فى الاسكندرية. فاما الفرنسيون فانهم قلقوا من ذلك ثم «تأهبوا للمقاومة والمحاربة وردوا آلاتهم الى القلاع» [وقائع شوال ١٢١٤].

فالتحالف بين الانجليز والاتراك هو من الظهور، بحيث ان الجيش الذى يعتزم الجلاء عن بلد يعاديه ولا يرغب فيه، سيحاول الدفاع عن نفسه. وقد فعل ذلك بان هاجم الاتراك. واما اهالى القاهرة فقد كانوا لا يزالون على تنصبهم لجيش الاحتلال ومعارضتهم له: «فهاجوا وماجوا ورمحوا الى اطراف البلد وقتلوا اشخاصا من الفرنساوية صادفوهم». ثم نظموا دفاعهم الذاتى بان احتلوا «التلول خارج

باب النصر» يقودهم نقيب الاشراف عمر مكرم وشاه بندر التجار احمد المحروقي. وبرغم ان قيادة الحركة كانت قيادة ذات اعتبار من وجهة نظر الجبرتي، ومن جهة انتمائها الاجتماعي، الا ان صاحب الوقايع يعتبر الحركة بمجملها حركة شوهاء مريبة:

«تحزب فيها كثير من طوايف العامة والاوباش والحشرات وجعلوا يطوفون بالازقة واطارف البلد ولهم صياح وضجيج وتجاوب بكلمات يقفونها من اختراعاتهم وخرافاتهم».

واما الوالي التركي فقد فاقم من الانشقاقات التي تكونت في كنف الاحتلال و«قال للعامة اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم». الامر الذى حدا بهؤلاء للدفاع عن انفسهم:

«فتحزبت النصارى واحترسوا وجمع كل منهم ما قدر عليه من العسكر الفرنساوى والاروام وقد كانوا قبل ذلك محترسين وعندهم الاسلحة والبارود والمقاتلون لظنهم وقوع هذا الامر...».

لقد اجتمعت كافة العناصر من اجل مواجهته. والجبرتي يرتب الاحداث. بدون ان يغيب عنها سياقها، ثم ينظمها تنظيما يجعلها سريعة الى الافهام ينبث منها تماسك لاورود له في اى موضع آخر وان كان حاضرا، عاملا على سبيل الاضمار. وما ان فتح احد رؤساء العساكر الاتراك النار على الجنود الفرنسيين حتى اشتعلت الحرب وجعلت تزيد من اقترابها حتى شملت المعسكرين:

«وفي هذا اليوم وضع اهل مصر والعسكر متاريس بالاطراف كلها وبجهة الازبكية وشرعوا في بناء بعض جهات السور واجتهدوا في تحسين البلد بقدر الطاقة وبات الناس في هذه الليلة خلف المتاريس. فلما اظلم الليل اطلق الفرنساوية المدافع والبنب على البلد من القلاع ووالوا الضرب».

غير ان الوحدة التي تجمع الاتراك والمصريين، وتشد ما بين مختلف الفئات والشرائح من المصريين فيما بينهم دون تمييز ظاهر قد عاودت الانفصام من جديد. والمصطلحات والتعابير يستخدمها الجبرتي لا تترك مجالا لشك حول ثاقب نظرته التي تعكس المدى الناشئ عن المقالات التاريخية:

«فلما عاين ذلك الجميع رأى الكبراء والرؤساء على الخروج من البلد في تلك الليلة.. وتسامع الناس بذلك فتجهز المعظم (معظمهم) للخروج، وغصت خطة الجمالة وما والاها من الاخطاط بازدحام الناس الذين يريدون الخروج من المدينة وركب بعضهم بعضا.. وتسامع اهل خان الخليل من الالداشات وبعض مغاربة الفحامين والغورية ذلك، فجاؤوا للجمالية وشنعوا على من يريد الخروج (...) وعمدوا الى خيول الامراء فحبسوها (...) واغلقوا باب النصر» [وقائع شوال ١٢١٤].

وعندما يصف الجبرتي طريقتين في السلوك داخل ظروف واحوال واحدة فانه يعين سبب التباين ويعزوه ويماثل بينه وبين المواضع التي يشغلها اصحاب كل من السلوكين: الذين يستطيعون الهرب ولديهم وسائله ويردعهم عن ذلك اى وازع سياسي او ايديولوجي، والذين «استولى عليهم سلطان الغفلة» ممن اعرقوا بأصولهم في المدينة، وكذلك من اشتدت حميته الدينية وتضامنه الديني (مغاربة الفحامين)... ثم ان تناقضات المدينة المحاصرة امتدت الى خارجها:

فالوزير التركي ولى بجيشه. ورؤساء المماليك الذين هاجمهم الفرنسيون تخلوا عن المعركة والتحق ضباطهم بالوزير العثمانى الهارب. كما لحق به بعض رؤساء العصيان يطالبونه بالنجدة. لكن الوزير بات عاجزاً بعد هربه عن ان يحمل جنوده على القتال. و«اما مراد بك فانه بمجرد ما عاين هجوم الفرنسيس .. ركب ومن معه ومر من سفح الجبل، وذهب الى ناحية دير الطين ينتظر ما يحصل من الامور واقام مطمينا على نفسه واعتزل الفريقين». واما العامة فقد استمروا فى المقاومة. «وقامت بولاق على ساق واحدة». وبرغم «انهم احاطوا بالمدينة احاطة السوار بالمعصم واكثروا من الرمي المتتابع بالمدافع والمكاحل.. وواصلوا وقع القنابر والبنبات من اعالى التلول والقلعات وخصوصا البنبات الكبار آناء الليل وأطراف النهار ... وعدمت الاقوات وغلت اسعار المبيعات وعزت المأكولات.. وارتفع وجود الخبز من الاسواق (...)». الا ان ذلك لم يقض على العصيان. وعندما تفاوض وفد من المشايخ مع قائد الجيش الفرنسى حول شروط اجلاء الجيش التركى والصلح فان ردة فعل «الغوغاء» كانت غاية فى العنف.

«فلما رجع المشايخ بهذا الكلام وسمعه الانكشارية والناس قاموا عليهم وسبوهم وشتموهم وضربوا الشرقاوى والسرسى ورموا عمايمهم واسمعوهم قبيح الكلام (..) وصاروا يقولون: هؤلاء المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس (...) وتكلم السفلة والغوغاء من امثال هذه الفضول (...)».

بعد ان قدم كافة عناصر الظرف القائم والذى يبدو كوحدة لمناقضات عديدة: الحرفيون وصغار التجار والفعله / ضد الفرنسيين، والملاكون والوكلاء والتجار/ ضد الفرنسيين، والعلماء/ ضد الفرنسيين، والاتراك والمماليك / ضد الفرنسيين، ثم الرؤساء والاغنياء والعثمانية/ ضد الشعب، والعلماء/ ضد الشعب، الا ان الغالب على المتناقضات والتضادات هى تلك التى تواجه ما بين المحتل الاجنبى وبين مجمل الطبقات والشرائح الاهلية («البلدية») التى توثق فيما بينها ايديولوجية سائرة فى طريق التمايز - نقول انه بعد ان وصف الجبرتى كافة هذه المعطيات فى تراتبها فانه جعل يفسر الموقف وهو يرى ان مرد الفتنة هو من يطلق عليه اسم «الرجل المغربى» الذى هاجم شروط الصلح التى تفاوض عليها العلماء ونادى (الصلح منقوض وعليكم بالجهاد).

والجديد هنا انه عندما يرغب المشايخ فى التفاوض بشأن المصريين فإن كليبر يرفض ذلك رغبة منه فى التعامل مع المصريين بأسلوبه الخاص المدعوم بأشد أشكال التنكيل فهو هنا يدرك من هو عدوه الحقيقى.

غير ان تناقضاً آخر يزيح التناقض الذى يواجه ما بين الشعب المصرى والمحتل الفرنسى ويحل محله مع دخول المماليك والاتراك. وتنفتح حقبة جديدة. وتثور علاقات جديدة يفهم من امرها تراكب السيطرة الفرنسية مع البيروقراطية القديمة. فقد اصدر الوزير التركى - حتى قبل ان يصل القاهرة فرمانين اثنين: ينص اولهما «على تعيين» آغات للجمارك اى للمكوس بمصر وبولاق ومصر القديمة، وفيه التحكير على جميع الواردات من

اصناف الاقوات فيشتريها بالثمن الذى يسعره هو بمعرفة المحتسب ويودعه المخازن واما الفرمان الثانى فمضمونه:

«ان السيد احمد المحروقي شاه بندر التجار ملزوما ومقيداً بتحصيل الثلاثة آلاف كيس المعينة لترحيل الفرنساوية .. ودهى الناس من اول احكامها بهاتين الداهيتين. وكان اول قادم منهم امير المكوسات ومحكر الاقوات واول مطلوبهم مصادرة الناس واخذ المال منهم وتغريمهم» [وقائع اول رمضان ١٢١٤].

وبعد عصيان القاهرة واغتيال كليبر، تعرض الاهالى لقمع شرس واعتصار اقتصادى فظيع. فقد فرض عليهم غرامة اولى فور سحق العصيان. واثر اغتيال كليبر بعد ذلك بقليل:

«قرروا فردة اخرى وقدرها اربعة ملايين، وقدر المليون مائة وستة وثمانون الف فرانسه واشتد امر المطالبة بالمال وعين لذلك رجل نصرانى قبطى يسمى شكر الله فنزل منه بالناس ما لا يوصف فكان يدخل الى دار اى شخص كان لطلب المال وصحبته العسكر من الفرنساوية والفعله وبأيديهم القزم فيأمرهم بهدم الدار ان لم يدفعوا له المقرر وقت تاريخه».

واصبح نهب الخانات «والوكايل والحواصل» عادة جارية:

«فهدم للناس من الاملاك والعقار ما لا يقدر قدره وذلك مع مطالبتهم بما قرر على املاكهم ودورهم من الفردة والمطالبة فى آن واحد وبعد ان يدفع ما على داره او عقاره وما صدق انه غلق ما عليه الا وقد دهموه بالهدم فيستغيث فلا يغاث فترى الناس سكارى وحيارى ثم بعد ذلك كله يطالب بالمنكسر من الفرده».

ثم امتدت الفردة الى شيوخ القرى فكانوا يديرونها بالطبع على فلاحى القرية ويجبونها منهم. مضافة الى الضريبة العقارية التقليدية. ثم اصدروا:

«اوامر ايضا بتقرير مليون على الصنايع والحرف يقومون بدفعه كل سنة.. ويكون، الدفع على ثلاث مرات ... فدهى الناس وتحيرت افكارهم واختلطت اذهانهم وزادت وساوسهم.. واجتمع التجار وتشاوروا فيما بينهم فى شأن ذلك فرأوا أن هذا شى.. لا طاقة للناس به من وجوه الاول وقف الحال وكساد البضايع وانقطاع الاسفار وقلة ذات اليد وذهاب البقية التى كانت فى ايدى الناس فى الفرد والدواهى المتتابعة. الثانى ان الموكلين بالفردة السابقة وزعوا على التجار والمتسببين وكل من كان له اسم فى الدفتر من مدة سنين ثم ذهب ما فى يده وافتقر حاله وخلا حانوته وكيسه فأرموه بشقص من ذلك وكلفوه به وكتب اسمه فى دفتر الدافعين ويلزمه ما يلزمهم وليس ذلك فى الامكان. الثالث ان الحرفة التى دفعت مثلا ثلاثين الفا يلزمها ثلاثة آلاف فى السنة على الرأى الاول وعلى الثانى اثنا عشر الفا وقد قل عددهم وغلقت اكثر حوانيتهم لفقرهم وهجاجهم وخصوصا اذا الزموا بذلك المليون فيفر الباقى ويبقى من لا يمكنه الفرار» [وقائع رجب ١٢١٥].

وخلال الحقبة ذاتها، اعيد تنظيم الديوان. فكان هذا التنظيم هو التنظيم الثالث. وبات هذا الديوان الجديد يتألف من تسعة اعضاء فقط كلهم

من المشايخ. فكان يقطع فى المسائل التى تدخل فى نطاق العدالة فاما ما يتعلق بالامتيازات مثلا فلم يكن من صلاحياته بل من صلاحية صارى العسكر الكبير. فتم بذلك فصل واضح بين ماهو قضائى من جهة وبين ما هو سياسي او اقتصادى من جهة ثانية وذلك بمقدار ما يكون للشأن الاقتصادى من انعكاس مباشر على السياسة. غير انه بمجرد ما ان قام الانجليز بانزال جيوشهم حتى اخذ اعضاء الديوان رهائن. ولم تتراخ قبضة الجيش الفرنسى الا مع قدوم الطاعون الذى جعل ينتشر فى البلاد وفى صفوف الجيش نفسه، وعلى اثر هزائمه المتتالية امام التدخل الانجليزى.

وخلال هذه الظروف تمت إعادة السلطة المملوكية تحت الوصاية العثمانية وكان البلد قد استنزف وامتص دمه عن آخره. والمواصلات فوضى والادارة مبتورة. وليس من قوة مسلحة خارج القاهرة الا قوة العربان. واما الفرنسيون فانهم لا اشراف لهم الا على مواصلاتهم مع الاسكندرية وفى بعض الاحيان مع غزة والعريش. واما السلطة القديمة فقد كانت اصلا فى وضع مهيض. ثم جاءت الازمة فزلزلتها وعمقت من تقسم وتوزع عصبياتها حدت من امكان تفوق عصبية منها على الاخريات. وأما السلطة العثمانية فانها اضافة إلى ازمتها الداخلية الخاصة التى فتحت ابوابها للتدخل الانجليزى، او ما سيعرف بعد ذلك باسم «المسألة الشرقية»، فقد خرجت من مصر ضعيفة، فاقدة الاعتبار. فالعامل الرئيسى الذى سوف يغلب على هذه الحقبة الثانية هو الامتحان العسير الذى تعرضت له السلطة التقليدية التى تكونت تحت حكم المماليك، فتشكيل جبهة عريضة معادية للفرنسيين، أبان سنوات احتلال الثلاثة، يقودها زعماء من ابناء البلاد المستقلين عن المماليك والاتراك، وان متحالفين معهم، ان هذه الجبهة اضافة الى التجاء الشعب للانتفاضة مناضلة منه لدخول سلطة اجنبية عنه قوميا ودينيا، كل ذلك اطلق قوة سياسية، كانت دائمة الخضوع للسلطة القائمة. فاما العلماء المؤتمرون بأمر السلطة «الشرعية»، فانهم وجدوا انفسهم برغم تلجلجاتهم يمسكون بقيادة الفئات الاجتماعية التى الفادت ايديولوجيتها ونهلتها من الاخوانيات والطقوس والممارسات التى لم تعتد المؤسسة الازهرية ان تتكفلها. وهكذا فقد وجد العلماء (من معلمين وشراح وقضاة ومديرى وقفيات.. الخ) انفسهم ممثلين للنصاب الذى ينم عن الفارق الجذرى الاكبر الفاصل بين المحتل والبلاد. كماوجدوا انفسهم قيمين (موظفين) على العامل الذى يوثق العلاقات المشروعة بين مختلف فئات المجتمع المصرى. وذلك فى غياب القيادة «الشرعية»، على نقاط التماس والمواجهة مع المحتل. فاستندوا الى الجماهير التى، وان كانت غير متجانسة وذات مصالح متباينة ومتناقضة، الا ان ثمة ما يوثق فيما بينها الا وهو معارضتها للاجنبى، وكذلك للفئات العليا من أصحاب الامتيازات والملاكين العقاريين والتجار الذين تجد القيادة الجديدة نفسها اقرب ما تكون اليهم. ثم تحتل هذه القيادة، مذ ذاك، الموقع الراجح الغالب على سائر المواقع الاخرى وذلك حتى مجىء محمد على.

■ ٢ ■

كانت السلطة الراجعة شتاتا متنافرا. فالجيش العثمانى الذى استعاد مصر كان جيشا يتألف من

اتراك وارنؤوط وانكشارية والبان وذلك بدون ان نذكر المماليك البالغة عددا مبلغ العصبيات التى تتنازع مصر «بفردات» ضرائبها واراضيها. ولم يكن يبدو أن لواحدة من هذا الشتات الموارد الكافية بحيث تستطيع التغلب على الاخريات، وان تفرض حدودا آمرة على تصرفاته.

وما أن دخل الانكشارية (بلوكات الينكرجية) المدينة حتى وضعوا راياتهم واسلحتهم (نشاناتهم ورنكهم) على المقاهى والحوانيت والحمامات «فامتعض أهل الاسواق من ذلك وكثر الخبز واللحم والسمن والشيرج بالاسواق وتواجد البضائع... وتعاطى بيع غالبها الاتراك والارنؤد، فكانوا يتلقون من يجلبها من الفلاحين بالبحر والبر ويشترونها منهم بالأسعار الرخيصة ويبيعونها على أهل المدينة وبولاق باغلى الاثمان... وطلب اولئك القلقات من أهل الاخطاط الماكل والمشارب والقهوات والزموهم بذلك» و«يطلبون منهم بعد كلف الماكل واللوازم مصروف الجيب واجرة الحمام وغير ذلك» وأرسلت الادارة:

«تنابيه للملتزمين بطلب بواقى مال سنة ثلاث عشرة ورابع عشرة (سنوات الاحتلال الفرنسى) فاعتذروا بانهم ممنوعون من التصرف فمن اين يدفعون البواقى» [وقائع ربيع آخر ١٢١٦].

«نقضت الاوامر بتصرف الملتزمين فى البلاد وقيدت صيارف بالنزول إلى البلاد لقبض الأموال فى غير أوانها لطرف الدولة» ويلاحظ الجبرتى أن تراكم هذه الواقعات هو تراكم عجيب خارق فيسهب فى الحديث عنه ويفصل فيه القول ويظهر امتداداته: وهو يشدد على التواتر غير المألوف بالمزايدة فى بيع الالتزامات بسبب حالة «فقد الامن» الناجمة عن الاجراءات المذكورة. وكذلك فقد اخضعت:

«الرزق الاحباسية والاوقاف إلى شخص تولى النظر والتفتيش على جميع الاوقاف المصرية السلطانية وغيرها، ثم انكشف الامر وظهر أن المراد من ذلك ليس الا تحصيل الدراهم فقط واخذ المصالحات والرشوات بقدر الامكان...»

[وقائع نهاية جماد أول ١٢١٦]

ثم أن «ضرايب وغرائم ومظالم وتقارير» وقعت بصعيد مصر الذى كان يحكمه مملوك كبير هو الالفى. فبعض الناس افتقر وبعضهم «طفش» حتى امتلأت «الطرق والازقة منهم» بالمدينة. أما الجنود فقد:

«كان منهم من يتولى رياسة حرفة من الحرف كالمعمارجية أو غيرهم، قبض من أهل الحرفة معلوم أربع سنوات وتركهم وما يدينون فيسعرون كل صنف بمرادهم: وليس له هو التفات لشىء سوى ما يأخذه من دراهم الشكاوى فغلا بسبب ذلك الجبس والجير واجر الفعلة والبنائين خصوصا... وأما الغلة فرخيصة وكذلك باقى الحبوب بكثرتها مع أن الرغيف ثلاثة آواق بنصف، لما ذكر من عدم الالتفات إلى الأحكام والتسعيرات».

وأما الريف فقد كان بلا وازع ولا أشراف،

«.. وهجاج الفلاحين من الأرياف لما نزل بهم من جور العسكر وعسفهم حتى امتلأت المدينة من الفلاحين ونودى عليهم عدة مرار بذهابهم إلى بلادهم» [وقائع جماد ثان ١٢١٦].

بهذا يرتسم منحى عام ولو أنه غير جديد، فيشى عبر التأكيد على بعض المميزات والخصائص

القائمة بالعلاقات المحددة للتشكيلة الاجتماعية.

فتسيس أو ترشح للتسييس كافة العناصر الاجتماعية الاقتصادية ابتداء بأدنى المواد التموينية وانتهاء بنظام الفرد (الضرائب) والامتيازات. اذ أن القرارات السياسية أو المبادرات، التى اتخذتها السلطة هى التى عينت وحددت وضع هذا العامل الاقتصادى أو ذاك، وذاك العامل الاجتماعى أو هذا. فبهذه القرارات ترتهن مصائر الاسعار، والعلاقات بداخل الجمعيات الحرفية، مثلما ترتهن بها علاقات المدينة بالريف، وهجرة جزء من الفعلة الذين يعيشون على الاراضى الممنوحة، على سبيل الامتياز، واحترام أو عدم احترام قانون الميراث. فممارسة السلطة، وأن تكن بالغة التفتت والانتثار، هى الشرط الذى ترتهن به ظاهريا كافة العلاقات الاخرى. وليس هذا بواقعة تذكر بالنسبة للحقبة السالفة. فالسلطة فى هذه، خلافا لحالها فى تلك، لم تعد تمارس انطلاقا من مركز وحيد له مصالحه التى تفرض مشروعية ما فى الازمنة العادية. بل إن مرد توكيد هذا التسييس المفرط هو واقعة كون ارتهان الفقهى والقضائى للسياسى وغياب استقلالية المؤسسات يعود بالسياسى إلى تعبيره العادى، أى: القوة المسلحة. فالواقع أن هذا ليس سوى منحى: فحتى عندما يبدو أن القوة تمارس بعيدا عن أى منطق إجمالى، وبالتالى سياسى، فانها تخضع لعلاقة تصلها بصعيد تتواجه فيه عدة قوى، مما يعيدها إلى الصعيد السياسى. وفى الظرف المعنى الذى نتعرض له بالتحليل، فان التحديد والتعيين جاريان على مختلف الكتل العسكرية، اذا المسألة ليست مسألة تجمع خالص ولا تجميع خالص. فهى إما تحديدات قومية (الارنؤوط والالبان والاتراك) وأما تحديدات ادارية (كالانكشارية) وأما تحديدات كتلوية (كمختلف العصبيات المملوكية). وبداخل كل كيان من كيانات هذه العصبيات، فان الرابط الاشد الذى يضاعف من الرباط القومى أو الكتلوى الخ، انما هو الرباط الذى يؤمن ممارسة السلطة على أى مستوى كان ـ كشرط لاحتراز حصته من الارزاق. فالسمة المميزة، لهذه الحقبة الثانية، انما هى الصراع المستميت من أجل السلطة بين هذه الشرائح المقابلة للشعب الذى بدأ ينقل صراعه نحو عدو جديد.

وكان الامر فى ابتدائه أمر مشاورات ومخاصمات فردية سريعا ما كانت تفضى إلى مجابهات جماعية بين فئات وفرقاء. فقد قتل أحد الانكشارية ضابطه لانه أمره يدفع بثمن ما شربه من عرقسوس ثم هرب «ودخل إلى دار وامتنع بها».

«ومر شخصان من الارنؤد بتلك الخطة فقتلهما الانكشارية لكون الغريم ارنؤد من جنسهما» فى آخر ربيع الاول لسنة ١٢١٦ من الهجرة:

«تشاجرت طائفة من الينكرجية مع طائفة من الانجليز بالجيزة وقتل بينهما اشخاص فنودى على الينكرجية ومنعوا من التعدى إلى بر الجيزة» [وقائع ربيع أول].

الا أن هذه المشادات والمشاجرات لم تكن الا أعراضا لنزاعات أشد اتساعا وتطال مصالح أعظم أهمية منها. فقد كان العثمانيون المدعومون بالوجود الانجليزى يحاولون استعادة سيطرتهم على مصر، مواجهين سلطة مملوكية خرجت من المعركة مع الاحتلال الفرنسى ضعيفة خائرة.

«وفى يوم الثلاثاء حادى عشر (جمادى الثانى سنة ١٢١٦) عمل الوزير الديوان وحضر عنده الامراء، فقبض على ابراهيم بك الكبير، وباقى الامراء الصناجق وحبسهم وأرسل طاهر باشا بطائفة من العسكر الارنؤد إلى محمد بك الالفى بالصعيد، وكان أشيع هروبه إلى جهة الواحات، وذهبت طائفة إلى سليم بك أبى دياب، وكان مقيما بالمنيل، فلما أخذ الخبر طلب الهرب، وترك حملته،فلما حضر العسكر اليه، فلم يجدوه فنهبوا القرية..».

ويصل الجبرتى ما بين واقعتين هما: الهزيمة أمام الفرنسيين والملاحقات الحالية:

«... وباتوا بليلة أسوأ عليهم من ليلة كسرتهم وهزيمتهم من الفرنسيس وخاب أملهم وضاع تعبهم وطمعهم، وكان فى ظنهم أن العثملى يرجع إلى بلاده ويترك لهم مصر ويعودون إلى حالتهم الاولى يتصرفون فى الاقاليم كيفما شاؤوا...».

وكان أن جعل النزاع بين المماليك والعثملى، التدخل الانجليزى أمرا ممكنا: فقد عرض قائد الاسطول الانجليزى على المماليك ملجأ لا يؤتى اليه فى الجيزة. لكنهم كانوا يفضلون على ذلك اقامة مستقلة سبق لها أن أثبتت فعاليتها أيام الاحتلال الفرنسى، أى الاعتصام فى الصعيد، حيث أمكن لمراد بك أن يقاوم طوال سنين ثلاث جيشا يتمتع بما لا يتمتع به الانكشارية والارنؤد من الوسائل.

ثم أن هجوم والى مصر الجديد وحاكمها لم يقتصر على تدمير الجهاز العسكرى المملوكى ولا على أسر رؤسائهم وحسب. بل أنه قام بجهد كبير على صعيد الادارة الاقتصادية. فقد جرى، وعلى جناح السرعة، ابعاد الجيش الذى رافق الوزير العثمانى وتسبب فى الاغلاق العام للسوق. ثم منع الجنود من التجوال فى المدينة بعد الغروب ثم توالت عدة اجراءات لم تؤلف من وال وتنم عن «رحابة خارقة» وصاحبتها مراقبة شديدة للاسعار:

«... فانسرت القلوب بتلك الفرمانات واستبشروا بالعدل... وأكثر حضرة الباشا وكبار أتباعه من التجسس وتبديل الشكل والملبوس والمرور والمشى فى الازقة حتى أخافوا الناس وانكف العسكر عن الاذية ولزموا الادب... وهاب الناس هذا الباشا وخافوه وصاروا يترنمون به فى البلاد والارياف ويغنون بذكره حتى الصبيان فى الاسواق...» [وقائع شهر شوال ١٢١٦].

كان هدف كافة هذه الاجراءات هو نقل الصلة بين مختلف الفئات الاجتماعية من الشعب المصرى والاتراك من جهة والمماليك من جهة أخرى. ذلك أن تثبيت العلاقات بين الفلاحين والمدينة وبين الفلاحين والعربان (البدو) وأخضاعها لاشراف ما من قبل الادارة، كان يتيح للسلطة التركية الامل فى القضاء على الخصم المملوكى بدون أن يكون عليها أن تخشى مختلف المعارضات المدنية والريفية. والفرمان الذى يمنع العسكر من الخروج ليلا وينص على أن:

«القهاوى المحدثة جميعها تغلق ولا يفتح الا القهاوى القديمة الكبار».

إنما هو قرار بحماية المصالح القائمة القديمة. ويقول الجبرتى: أن هذا الفرمان اتبع بفرمان آخر «فى نفس الشهر» ينص على خروج عساكر:

«إلى جهة قبلي وعدتهم ستة آلاف بسبب الامراء المصرلية الهربانين وقرر لهم أن من يأتي براس صنجق فله الف دينار أو كاشف فله ثلثماية أو جندى أو مملوك فله مية»

لكن هذه الجهود كبتت واخفقت فى مسالة الارض. فقد أحدث: «على الرزق الاحباسية المرصدة على الخيرات والمساجد وغيرها، مال حماية... فى جميع الاراضى المصرية القبلية والبحرية وحرروا بذلك دفاتر» [وقائع خاتمة ذى الحجة ١٢١٦]

وكان فرمان الحماية هذا ذريعة يتذرع بها من أجل مراجعة السجلات و«التثبت» من حجج التصرف، والسندات. فكان لدى بيروقراطية الدولة ابتداء «بالدفتردار» وانتهاء «بكاتب الرزق» و«كاتب الميرى» الامكانية والوسائل لاجراء عملية اعادة توزيع للتصرف (بالعقارات) وحيازتها ولاقتطاع مبالغ ضخمة من المال كثمن لتثبيت الحيازة والتصرف.

«فما يسع ذلك الشخص الا بذل همته فى تتميم غرضه بأى وجه كان. أما أن يستدين أو يبيع ثيابه ويدفع ما يلزمه، فان ترك ذلك وأهمله بعد إطلاعهم عليه حلوه عنه ورفعوه وكتبوه لمن يدفع حلوانه ثلاث سنوات أو اكثر».

وأما «الجرايات ومرتبات الغلال التى كانت من جملة الاسباب فى رواج حال أهل مصر المتوسطين وغناهم...» فقد انخفضت قيمتها بمقدار الثلث نتيجة لمساعرة الدينار المصرى بالدينار العثمانى (الذى لم يكن يساويه) ثم زاد من مفاقمة هذا الاجراء ما سبق ذكره من اعادة تنظيم السجلات (الدفتردار) حتى أن الموظفين انتهوا بالاستيلاء على السندات لانفسهم ومحاسيبهم.

فأما ما سوف يغلب على الصراعات السياسية لفترة من الزمان فهو العلاقات فيما بين العثمانيين والمماليك بحيث ينتهى ذلك إلى تأجيج معارضة الاهالى لكلا الفريقين.

ففى مطلع عام ١٢١٧ للهجرة(*) (الموافق لشهر ايار من سنة ١٨٠٢) يتواجه الجيش العثمانى مع المماليك ـ الذين يسميهم الجبرتى المصرلية فى أرمنت «وكانت الغلبة على العثمانية وقتل منهم الكثير»

فأدت الهزيمة المدوية بالباشا إلى اعادة تنظيم جيشه جزئيا مع استمرار وصول الامدادات اليه، ثم اتخذ عسكرا من طائفة التكرور (السودانيين) الذين يأتون مصر بقصد الحج... وجمع الباشا ايضا العبيد السود وجعلهم طائفة مستقلة وأخذهم من أسيادهم بالقهر وألبسهم شبه ما تقدم.. وكذلك طلب المماليك وغصب ما وجده منهم من اسيادهم واختص بهم والبسهم شبه لبس المماليك المصرلية».

ثم أسلم جميع هؤلاء إلى كبير من الفرنسيس «يعلمهم الكر والفر والرمى بالبنادق.. وسموا ذلك كله بالنظام الجديد». وخلال ذلك تقدم المماليك من الصعيد باتجاه اسيوط «وتجمع عليهم الكثير من غوغاء الحوف والهوارة والعربان... فخافتهم العساكر العثمانية وداخلهم الرعب». وانكمشوا ولم يجرؤوا على الهجوم. وزاد من عزلتهم عداء الاهالى لهم:

(*) انظر الجزء الخامس وكذلك النصوص التالية.

«.. مع ما هم عليه من الظلم والفجور والفسق بأهل الريف والعسف بهم وطلبهم الكلف الشاقة والقتل والحرق وذلك هو السبب الداعي لنفور أهل الريف منهم...» [وقائع جماد أول ١٢١٧].

غير أن المصاعب التى كانت تواجه الخزينة العثمانية دفعت الادارة العثمانية فى مصر إلى إجراء اقتطاعات أشد عبئا. كما أن الشكنات التى أنشأها الباشا الجديد من «أجل العساكر» المختصة به» قد جرى تمويلها من «فردة على البلاد... مع ما الفلاحون فيه من الظلم والجور من العساكر والمباشرين وحق الطرق وفرد الانجليز» ثم فرضت السخرة على ارباب الحرف طوال شهر كامل. وقد أدى هذا كله إلى أن الامراء لم يلاقوا فى مسيرتهم باتجاه الشمال ـ كأسيوط مثلا ـ أية مقاومة برغم أن معاملتهم للاهالي لم تكن مختلفة عن معاملة السلطات (العثمانية) القائمة. فعندما وصلوا إلى بنى عدى مثلا:

«نهبوا غلالها ومواشيها وقبضوا أموالها وأعطوهم وصولا» [وقائع ٢٣ جماد ثاني ١٢١٧].

وأمام هذه الاستعادة الجديدة وازاء معاودة الاستيلاء هذه على مصر بدأ الوالى بالمفاوضة: فعرض العفو الشامل على الامراء وذهاب «الاربعة الامراء»إلى أستامبول. لكن المماليك رفضوا العرض ثم عرضوا بالمقابل أن يتولوا الريف اقطاعا من «اسيوط إلى آخر الصعيد والقيام بدفع خراجه». ولم يفض هذا بطبيعة الحال إلى شيء. الا أنه لم يمنعهم من جباية الاموال من بلاد الفيوم التى كانوا فيها.

أما فى المعسكر العثمانى فان الانهيار المعنوى بلغ إلى الحد الذى رفض فيه أحد كبار الموظفين أمر الباشا له بترؤس حملة ضد المتمردين ثم أن حالة انعدام الامن استمرت بالتفاقم: فالبدو (من عربان وغز) استمروا فى النهب والتحريق، والمماليك، الذين كانوا لا يزالون فى الفيوم يتصرفون هناك كما لو كانوا فى بلد محتل فيجبون الضرائب ويستولون على الحبوب والحيوانات ويقتلون الفلاحين. ثم اجتازوا المقاطعات الشمالية حتى وصلوا إلى الجيزة «وطلبوا منها الكلف حتى وصلوا إلى ورادن». ثم نشبت معركة جديدة فى شهر رجب «وقتل من العساكر العثمانية مقتلة عظيمة وكانت الغلبة للمصريين وانتصروا على العثمانيين» واستولوا على المراكب التى تنقل غلال الميرى وأصبحوا يسيطرون جزئيا على طرق تموين القاهرة.

وغادر جزء من قواتهم جهة البحيرة إلى الجنوب وبعد ان أجتازوا الجيزة «حصل منهم ومن العساكر العثمانية الضرر الكثير فى مرورهم على البلاد من التغاريم والكلف ورعى الزرع وقطع الطرق برا وبحرا» ثم اجتاحوا الفيوم مجددا وخربوها، اما السلطة فكانت عاجزة عن الدفاع حتى عن القاهرة بحيث أن العربان قطعوا طريق بولاق مرارا. وأما أمرا الجيزة فإنهم كانوا يدخلون القرى ويجبون ما لها ويحاصرون المدينة التى تقاومهم ويشعلون النار فيها ويقتلون من يجدونه من الاهالى والجنود كما حصل فى المنيا.

ولم يلبث خروج الاقاليم من سيطرة السلطة المركزية تباعا وبصورة متزايدة الاتساع يوما بعد

يوم. وهكذا فان السلطة طلبت سلفة اجبارية من التجار وارباب الحرف وأوكلت إلى شاه بندر التجار الذى كانت عينته قبل ذلك أمين الضربخانه «سك النقود» أن يوزعها عليهم. وبعد ذلك بشهر عادت ففرضت سلفة جديدة تبلغ خمسة أضعاف السلفة السابقة ثم وزعتها على التجار والملتزمين. وكانت ردود الفعل لدى شريحة من التجار ذات دلالة:

«... فانزعج الناس وأغلق أهل الغورية حوانيتهم وكذا خلافهم وهرب أهل وكالة الصابون إلى الشام على الهجن واختفى أكثر الناس مثل السكرية وأهل مرجوش وخلافهم فطلبهم المعنيون ولزموا بيوتهم وسمروا مطابخ السكر...» [وقائع ٢٢ ذى القعدة ١٢١٧].

ولم يعفوا عن القرى، فقد:

«عملوا فردة على البلاد اعلى واوسط وادنى» وأمام عجزها عن تنظيم وارداتها وازاء نقصان مواردها، فان السلطة وعلى أثر نقص الموارد وزيادة النفقات بنتيجة الحرب مع الماليك فان الباشا «قطع (على العسكر) رواتبهم وخرجهم لقلة الايراد وكثرة المطلوب» فبدأت تلوح تباشير عصيان، وعمد العساكر الى الاهالى نهبا وتشليحا وخطفا وتقتيلا.

ومن جهة ثانية فقد تفككت العدالة. فكانت الدعاوى تقبل بدون ادنى تحقق واصبح استصدار الحكم يتطلب كلفة باهظة، خاصة اذا كان المتهم فلاحا. ويصف الجبرتى رد الفعل على هذه الاجراءات فيقول:

«فضاق ذرع الناس من هذه الحال وكرهوا هذه الاوضاع. وربما قتل الفلاحون المعينين وهربوا من بلادهم وجلوا عن أوطانهم خوف الغائلة...».

ثم يقدم صورة عامة للموقف:

«ولم يزل هذا دأبهم حتى نفرت منهم القلوب وكرهتهم النفوس وتمنوا لهم الغوائل وعصت أهل النواحي وعربدت العربان وقطعوا الطرق. وعلموا خيانتهم فخانوهم ومكالبتهم فكالبوهم وانتهى عربان الجهة القبلية الى الامراء المصرلية وساعدوهم عليهم. ولما انحدر الامراء إلى جهة بحرى انضمت اليهم جميع قبائل الجهة الغربية والهنادى وعرب البحيرة وخلافهم...» [موجز احداث عام ١٢١٧].

والجبرتى لا يغفل التشديد على المرحلة التى بلغها تداخل النزاعات وتشابكها. فالسلطة المركزية التى حسبت أنها ستستطيع الافادة من الضعف الفعلى الذى حل بالمماليك، تبالغ فى تقدير قوتها. ذلك أن سلطتها ترتكز إلى جيش لا أمل فيه، وباهظ الكلفة، بحيث أنها لا تستطيع أن تدفع له خراجه ومرتباته فيعمد إلى نهب البلاد، وهى لعجزها عن محاربة العصبيات العسكرية التى تسعى لازاحتها، فانها تغوص فى حرب صعبة وسط سكان معادين لها. وتمرد العساكر هو جواب على إلغاء جزء من أعطياتهم. ولهذا كله فان التناقض المزدوج الذى يواجه ما بين الشعب المصرى والسلطة، ثم ما بين هذا الشعب والمماليك، انما يتصوره التناقض الاول: تتراكب على بنية سابقة عليها وتسعى إلى إزالتها بوسائل

ليست مختلفة عن وسائل المماليك بل أنها تبدو وكأنها تضاعف من عنف المماليك، لاجبارها لهم على الدفاع عن انفسهم. ومن جهة أخرى فان السلطة المركزية، لاسباب اسلفنا الاشارة اليها، ليست متجانسة وقد زعزعتها الصعوبات التى تتخبط فيها. فالهيئة العليا منها ـ أى تلك التى عينتها استامبول ـ فى حال تمزق. وهى تبدو كهدف لكافة القوى الوالجة فى هذه النزاعات المتعددة. ومن هنا بالذات كان انفراط العقد. ففى مطلع ١٢١٨= ابريل ١٨٠٣ ثارت العسكر وطلبوا بأن تدفع أعطياتهم فورا فكان جواب الباشا أن ضربهم بالمدافع. فعمدوا، انكشارية وارنودا، الى نهب الخزينة واحتلال المدينة وانتزاع مفاتيح القلعة وقصف بيت الباشا واحراقه. ثم هجموا على أكبر تاجرين: المحروقى والجوهرى. لكنهم لم يعتدوا على الاهالى ابان هذا الانفجار بل جعلوا يراعون جانبهم ويجاملونهم. وفى هذا الظرف بدأ محمد على الذى سيستولى على السلطة فيما بعد، بالخروج من الظل. فقد توجه الاهالى اليه ليحميهم بجنوده. أما الباشا فانه لاذ امام هذا التحالف الناشىء بالفرار. فشغرت تبعا لذلك السلطة الرسمية المركزية، فتغيب بذلك احد طرفى التناقض تغيبا مؤقتا. أما الجبرتى فانه يقدم هنا، كما فعل بالنسبة لقيام القاهرة على الفرنسيين، حصيلة عامة بحيث أن الموازنة بين هاتين الحصيلتين تصير موازنة كاملة. فثمة دائما شخصية تحمل وزرها. والشخصية هناك، الشخص المغربى، وهنا الباشا المبعد:

«فكانت مدة ولاية هذا الباشا على مصر سنة وثلاثة أشهر وواحدا وعشرين يوما وكان سيىء التدبير ولا يحسن التصرف ويحب سفك الدماء ولا يتروى فى ذلك ويتكرم على من لا يستحق ويبخل على من يستحق... وطاوع قرناء السوء المحدقين به والتفت إلى المظالم والفرد على الناس وأهل القرى...» [وقائع محرم ١٢١٨].

ولا تصبح العناصر المبعثرة التى يشتملها وضعاً من الاوضاع ذات دلالة واهلا للتدبر والتفكر الا حين «تسلك» فى أمثولة تلقى نفسها متجسدة فى عنصر أو وجه فردى يمكن للمعايير الخلقية أن تنصرف اليه. ثم أنه لابد لهذا الوجه، كيما يقوم بسلسلة الشرور الموصوفة بكاملها، من أن لا يرد إلى عنصر آخر غير نفسه. وعليه أن ينطوى على كينونته والا يتعلق بغيرها ويعتزل ما سواها. ولذا فانها تتجوهر فى التو، وتصير نسيجا متجانسا من الاوصاف السلبية. وهى «تمتص» مادية الوقائع وتعقيدها وكثرتها، لكن ـ على صعيد ـ الايديولوجيا وحده أى صعيد المنطوق دون سواه.

وعقد التحالف الذى ازاح الباشا اجتماعا كان بين الحاضرين فيه: قائد الانكشارية وضباط (وجاقات) مختلف العصبيات وموفدو المماليك والعلماء والقاضى فاختاروا كقائمقام الوالى زعيما عسكريا ثم قرروا إرسال «عرضحال» بصورة ما وقع إلى الباب العالى وطلبوا من القائمقام الجديد أن يلغى كافة المظالم. ويظهر هذا الاجراء شقا هاما. فقد تم استيلاء الجيش على السلطة كجواب على عجز السلطة عن دفع متأخر

أعطياته. ولكنه تم كذلك بتواطؤ من قبل الاهالى الرازحين تحت وطأة المظالم والفرد التى كانت تجبى - فى جزء منها على الاقل - من أجل تلبية حاجات هذا الجيش. والهدنة التى حصلت بين الاهالى والجيش ابان العصيان اظهرت وكأن ثمة مصالح مشتركة بين الفريقين. فبمجرد أن أزيح العدو المشترك حتى عادت التناقضات التى تغيب للحظة، الى الظهور متبدلة المواضع.

وكان الرجل الذى أختير كقائمقام هو طاهر باشا رئيس الارنؤد. فاما فى داخل التحالف المتنافر الذى يشتمل على الانكشارية والارنؤد والمماليك والعلماء، فان أكثر العناصر قربا من الوالى المطرود هو الانكشارية. وهؤلاء عنصر مسلح مقرة القاهرة ويخضع للسلطنة العثمانية من حيث المبدأ فهو يشكل لهذه الاسباب مجتمعة خطرا داهما على من سيباشر الامساك بمقاليد السلطة. ولذا فان طاهر باشا - القائمقام - تصدى له مباشرة. فقد أرسل غداة تعيينه جنوده فأوقفوا رؤوس الانكشارية (وآغاتهم) وكبار الموظفين العثمانيين الذين يديرون الخزانة والدفتردار وسك العملة التى يشرف عليها شاه بندر التجار المصرى أحمد المحروقى. وقد قطعت رؤوس البعض منهم وأطلق البعض الآخر مقابل فدية من المال. لكن النزاع لم ينشب برغم ذاك. بل نشب النزاع بصدد الاعطيات (الجامكيات) اذا فى حين «صار طاهر باشا يدفع إلى طائفة الارنؤد أعطياتهم المتأخرة أو يحولهم بأوراق على المصادرين»، فانه جعل يقول للانكشارية كلما طلبوا شيئا من أعطياتهم: «ليس لكم عندى شىء ولا أعطيكم ألا من وقت ولايتى». لهذا فان جماعة منهم «بيتت امرها» مع موظف عثمانى آخر هو والى المدينة واغتالت طاهر باشا. واذا ذاك تواجهت كافة العناصر المسلحة فى حرب عنيفة قاتلة: فكان هناك الانكشارية بالطبع والدلاة والسجمان، فى مواجهة الارنؤد الذين تحالفوا ظرفيا مع المماليك، الذين جعلوا يقتربون من القاهرة. وقد حاول والى المدينة أن يمثل السلطة الشرعية فجمع العلماء وطلب اليهم الذهاب إلى محمد على، رئيس الارنؤد وخصم الاتراك، وأن «يخاطبوه بان يذعن للطاعة». غير أن النهب الذى قام به الانكشارية ورفض العلماء لان يضمنوا سلطة متأرجحة، مضافا إلى سيطرة الارنؤد على القلعة الكبيرة المحصنة التى تتحكم بالقاهرة وتشرف عليها، كل ذلك ادى إلى تلاشى ادعاءات والى المدينة:

«اخذ أمره فى الانحلال وتفرق عنه غالب الانكشارية البلدية» [وقائع يوم الاثنين ٩ صفر ١٢١٨].

والتجأ أعيان العثمانية إلى محمد على «فأظهر لهم البشر والقبول». عند ذاك جرت المناداة بالامان وفتح الاسواق «حسب ما رسم ابراهيم بك (الزعيم المملوكى) وأفندينا محمد على» (رئيس الارنؤد)، أى باسم الحليفين الباقيين من بعد أزاحة السلطة العثمانية. ثم أن التصفية الجسدية للطاقم التركى كانت تسير بموازاة أسقاط الانكشارية سياسيا وتجريدهم من سلاحهم والاحاطة بهم وارسالهم إلى سورية. وابان هذه الفترة وطد الارنؤد من

تحالفهم مع المماليك الذين قابلوهم فى الجيزة. ثم تقدم هؤلاء الاخيرون مع احلافهم من «العربان الكثيرة» باتجاه ابواب القاهرة و«على اكتافهم البنادق وبالقرابين وخلفهم المماليك والعربان».

ثم استعادوا عددا من كبريات الوظائف «فقلد أمين خزنة مراد بك والى الشرطة»... ثم أن الرئيس المملوكى ابراهيم بك جمع الاعيان، تقربا من الاهالى والملتزمين و «ابرز لهم فرمانات وجدوها عند الدفتردار المقتول ومضمونها تقريرات مظالم»، منها مظالم ومنها على صادرات الغلال «وتقريرات على الرؤوس والدور والعقار والاملاك ومنها أن الحلوان عن المحلول ثلاث سنوات ومنها أنه يحسب المضاف والبرانى إلى ميرى القرى وغير ذلك [وقائع ١١ صفر ١٢١٨].

وفى نهاية هذه المرحلة الثانية من الحقبة الثانية كانت السلطة العثمانية، والممثلة بالوالى وكبار آغاة الادارة والعنصر العسكرى، قد صفيت نهائيا.

أما فى التجمع الذى خلفها فكان هناك قوتان حليفتان تتواجهان. هم الالبان الارنؤد. والمماليك، وبيد كل منها عناصر مسلحة منظمة وذلك فى الحين الذى وقفت فيه قوة ثالثة من طبيعة أخرى هى العلماء تترقب وتترصد.

وتكتمل هذه المرحلة الثانية باقتسام ظاهر للسلطة:

«عزم الامراء على التوجه إلى جهة بحرى فقصد البرديسى وصحبته محمد بك... جهة دمياط ومعهم محمد على بيك أيوب وغيرهم وصحبتهم الجم الكثير من العساكر والعربان ولم يتخلف الا ابراهيم بك واتباعه والحكام وسافر سليمان كاشف البواب الى جهة رشيد وصحبته عساكر أيضا».

أما المرحلة الثالثة التى تبدأ فى هذه الحقبة الثانية فانها توزع الممثلين (عينهم) بصورة مختلفة. فهؤلاء الممثلون لم يعودوا ذات الممثلين، طالما أن النسبة المحددة من القوى أى النسبة التى تحدهم وتعرفهم قد تغيرت بعد أزاحة الوالى والآغاة العثمانيين. فقد عقد المملوك ابراهيم بك الذى يحكم القاهرة ديوانا حضره القاضى والعلماء وتعين قائما مقام الوالى. أما الوالى الجديد الذى عينته استامبول فلا سند ولا ظهير له فى مصر نفسها بحيث أن أوامره وعروضه ردت عليه بدون مواربة. وأما العلماء فانهم وقفوا الى جانب المماليك الذين بدوا العنصر الرئيسى فى التحالف الذى يضمهم مع الجنود الارنؤد المؤتمرين بأمر محمد على. وفى الديوان الذى عقد لسماع ومناقشة الجواب الذى سوف يرسلونه إلى الوالى الجديد حضر المشايخ:

«وتكلموا (أى المشايخ) فى ظلم العثمانيين وما احدثوه من المظالم والمكوس» [وقائع ٢٢ ربيع أول ١٢١٨].

وأمام العداء الاجماعى الذى قوبل به الوالى الجديد، وازاء العرض الوحيد الذى قدم له والذى يجعله تابعا لسلطة المماليك «على الشرط والقانون القديم»، فإن الباشا الجديد تقصد وسائل الانتاج

الرئيسية فى مصر: أى السدود التى تقى الارض من المياه المالحة، والسدود التى تحفظ ماء الرى. وحماية هذه السدود بالنسبة للجبرتى هى مرادف للنظام والعقل. فهو يكتب عن السد الذى ناحية أبى قير الحاجز على البحر المالح ويقول:

«وتتفقده الدول على مر الايام بالمرمة والعمارة اذا حصل به أدنى خلل. فلما اختلت الاحوال واهمل غالب الامور واسباب العمارات.. فلم يتدارك امره.. فسالت المياه المالحة... وخربت القرى والبلاد وتلفت المزارع....»

[وقائع ١ جماد أول ١٢١٨].

وقد أزرت هذه البادرة بما كان تبقى للسلطة العثمانية من اعتبار وأزهقته نهائيًا، فباتت مرادفة مع الجور. غير أن إزاحة الباشا السابق وطرد الإنكشارية والتشكيلات- العسكرية التركية الأخرى أحالت الحزب العثمانى إلى قوة ثانوية. فأما التحالف الذى كسب المعركة فإن التآلف يسود ظاهريًا بين صفوفه. لكن مسألة الجباية عادت تطرح نفسها بنفس الحدة. بحيث أن الناس «انزعجوا لما أشيع عن عزمهم عمل فرده».

وتلافيًا للمواجهة بينها وبين جزء كبير من الأهالى فإن الإدارة المملوكية قصرت مطالبها على القبط ومال للجهات. ومع أن ذلك لم يف بالمطلوب إلا أن هذه الإدارة تجنبت سكان القاهرة وعمدت إلى الفلاحين والقرى:

«حتى خرب الكثير من القرى والبلاد وجلا أهلها عنها».

«وقائع ٨ جماد أول ١٢١٨].

ثم تلت ذلك مجاعة فاقم من أمرها سلوك الأمراء الذين:

«صاروا يأخذون الغلال القادمة بمراكبها قهراً عن أصحابها».

فعز وجود الغلة وقل الخبز!

«وداخل الناس وهم عظيم».

لقد بات المماليك هم الذين يحتلون الآن مقدمة المسرح ويمسكون بمقاليد السلطة فيفرضون ويجبون. وهكذا انتقل الصراع نحو هذه العلاقة التى لم تعد تقنع بالصراعات الداخلية فيما بين شرائح السلطة. فاجتمع العلماء للتشاور. وهم إذ جعلوا أنفسهم الناطقين باسم الشعب المصرى فى وجه العثمانيين وجورهم الذى ظهر «فيما أحدثوه من مظالم ومكوس» كما ذكروا ذلك فى الديوان فإنهم باتوا ملزمين بالتحكيم فى الخلاف الذى يواجه ما بين الممسكين بمقاليد السلطة الجدد وبين الشعب، فلاحيه وأقباطه ومزارعيه كلا وجميعاً. وكان موضوع تشاورهم هو «توفر شروط صلاة الاستسقاء». وقد وجدوا هذه الشروط غير متوافرة. فنصوا إلى إبراهيم بك يقولون له:

«وأين الشروط التى من جملتها رفع المظالم وردها والتوبة والإقلاع عن الذنوب وغير ذلك».

[وقائع منتصف جماد أول ١٢١٨].

غير أن مشكلة أعطيات الجنود و «جامكيتهم» المزمنة عادت لتطرح نفسها مجدداً. ولجوء العساكر إلى التمرد والعصيان ليس أمراً مستبعداً.

وتوزع رؤوس العصبيات على أنفسهم وعلى «الأمراء والكشاف والأجناد كل منهم على قدر حاله في الإيراد» لم يكن يكفى الكسورات المتبقية. وهكذا فإنهم اتخذوا قراراً فى مثل خطورة قرار الوالى بكسر السد الذى ناحية أبى قير. فقد طلبوا «قدراً كبيراً» من المال من جمرك البهار وفتحوا الحواصل و «أخرجوا منها متاع الناس وباعوه بالبخس» و «أخذوا بن الحضارمة والينبعاوية».

[وقائع ٩ جماد ثان عام ١٢١٨] وبعد الضربة التى سددها الوالى إلى الإنشاءات المائية الكبرى هاجم المماليك بدورهم العنصر الثانى من عناصر التشكيلة الاجتماعية المصرية: عنينا التجارة البعيدة.

ومع هذا فإن القاهرة لم تسلم: فقد أنزلوا فردة وزعوها على التجار وأرباب الحرف. أما البيروقراطية فإنها أفادت من الأشراف الذى تمارسه على توزيع الغلال: فقد احتلت جزءاً منها لصالحها الخاص وتقاضت رشاوى وتاجرت بالقمح الموجود فى حيازتها:

«فضج الناس وشح الخبز من الأسواق... والأمر فى شدة وتسلط العسكر والمماليك على خطف ما يصادفونه... وإن حضرت مركب بها أغلال وسمن وغنم من قبلى أو بحرى أخذوها ونهبوا ما فيها جملة فكان ذلك من أعظم أسباب القحط والبلاء».

وأمام عبث العسكر وعربدتهم فى الناس لجأ الناس إلى العلماء، فتشفعوا وتوسطوا مرة أخرى لدى الممسكين بمقاليد السلطة فكان هؤلاء يحاولون طمأنتهم «بالكلام الفارغ»:

وإلى هذا النزاع المتفاقم، أضيفت نزاعات أخرى أقل حسماً إلا أنها أسهمت فى تأجيج النزاع الأول الذى أصبح رئيسيًا. فقد جعل الأرنؤد يطالبون بجامكيتهم بإلحاح يؤدى إلى حافة المواجهة المسلحة. ثم تم اتفاق مؤقت بخروج العساكر الأرنؤدية من المدينة. وقد أمكن تجميد هذا النزاع الصغير فى تلك الآونة. إلا أن نزاعًا أهم وأخطر سوف يندلع بين صفوف الأمراء المصرلية. فقد عاد إلى مصر أحد كبرائهم (الألفى) من انجلترا حيث كان لاجئًا هربًا من الفرنسيين. فأما المماليك، ولا سيما أولئك الذين تمكنوا من السيطرة على الطبقات الأخرى كالبرديسى فإنهم:

«أظهروا البشر والفرح... وأضمروا فى نفوسهم السوء له ولجماعته، المتأمرين حسدا لرياسته عليهم وخمولهم بحضوره»

[وقائع الخامس من ذى القعدة ١٢١٨].

وبدأت استعدادات عسكرية ضخمة لقطع طريق السلطة على القادم الجديد. وحين طلب العساكر إلى ذلك فإنهم طالبوا بجماكيهم ويسجل الجبرتى أن مطالب العساكر المستمرة وتهرب الأمراء المتواصل قد انتهى إلى أن فعل فعله.

وبرغم أن محمد على «حولهم على القبط» وعلى المماليك. فإن العساكر ظلوا يقومون ببعض «القلقات» والتمردات. وحاول بعض منهم

الاستيلاء على القلعة التى لا سيطرة ولا تحكم بالقاهرة بدونها. وأمام هذا كله لم يبق للسلطات من خيار فشرعت فى «عمل فردة أجرة سنة» نصفها على المماليك والنصف الآخر على المستأجر وذلك لدفع المستحقات الجديدة وبدأ «تصقيع» (أى تسجيلها) الأملاك وكتابتها فى قوائم «فضج الفقراء والعامة والنساء وخرجوا طوائف يصرخون»، والنساء «يندبن وينعين ويقلن كلامًا على الأمراءمثل ايش تأخد من تفليسى يا برديسى»، وصبغن أيديهن بالنيلة وأغلقت الدكاكين وذهب الجمع الكثير إلى الجامع الأزهر وذهبوا إلى المشايخ فركبوا معهم إلى الأمراء حيث أبلغوهم مطالب الناس. وقد كان للعنف الذى اتصفت به ردة الفعل الجماهيرية مفاعيل ملحوظة: فأما العساكر الذين كانوا منتشرين فى الأسواق فإنهم «داخلهم الخوف وصاروا يقولون لهم نحن معكم سوا سوا».». وأما محمد على الذى سرعان ما أدرك نسب القوى المتواجدة فإنه أرسل مساعدة (كتخداه) إلى الأزهر. وهدأت الناس ولكن:

«انحرفت طباعهم عن الأمراء ومالوا إلى العسكر».

ويشدد تعليق الجبرتى على نهاية المرحلة الثالثة وهى نهاية لا تزال فى بداياتها.ولسوف تكون طويلة ومعقدة. إلا أن حبكتها قد حبكت. وهنا تتدخل الأيديولوچية فى تركيب الكتابة: فهى تموضع نهاية مرحلة من المراحل بتكثيف سماتها وقسماتها فى وجه أحد الأطراف- وبالتحديد ذاك الذى يعتبره صاحب الوقايع الطرف الأساسى.

ويستعيد، بمناسبة ذلك، عبر هذا الطرف مختلف التعرجات التى تحل بالسلسلة المتلاحقة من الأحداث. ونقول عبر هذا الطرف لأنه الصيغة التى تستخدمها الأيديولوچية فى إعادة تدوين الظواهر بما هى ظواهر. وعلى هذا فإن وجه محمد على هو الوجه الغالب على ملتقى الحقبتين الثانية والثالثة. فيسترجع الجبرتى كافة ما حدث بعد رحيل الفرنسيين ويجعله حصيلة «دسائس» الزعيم الألبانى (الارنؤدى).

«وكانت هذه الفعلة من جملة الدسائس الشيطانية. فإن محمد على لما حرش العساكر على محمد باشا خسروا وأزال دولته وأوقع به ما تقدم ذكره بمعاونة طاهر باشا والأرنؤد ثم بالأتراك عليه حتى أوقع به أيضًا... وكل ذلك و هو يظهر المصافاة والمصادقة للمصريين وخصوصًا البرديسى... واغتر به البرديسى وراج سوقه عليه وصدقه وتعضد به وقص جناحه بيده... فعند ذلك استقلوهم فى أعينهم وزالت هيبتهم من قلوبهم (أى الأرنؤد) وعلموا خيانتهم وسفهوا رأيهم..»

[وقائع ٢٥ ذى القعدة ١٢١٨].

ويظهر المؤرخ بدقة كاملة المسلك الملتوى المتعرج الذى سلكته التناقضات وهو يعزو أسباب التمزقات التى تجعل السلطة الممارسة على التشكيلة الاجتماعية المصرية فريسة التفكك لا مخرج له ولا منه وترمى بها فى متاهات نزاعات متزايدة الحدة مع مختلف فئات وطبقات الشعب المصرى فيعزو هذه الأسباب إلى الأزمة المزمنة التى تعانى منها الخزينة والجباية. ومع هذا فإن نص

الجبرتى هو الذى يسوق وصفًا لما فعله «كشاف الأقاليم فى القرى القبلية والبحرية من المظالم والمغارم وأنواع الفرد والتساويف» ويجعله صدى وتتمة لحكمه العام على تلك الحقبة فيقول:

«إنه شئ لاتدركه الأفهام ولا تحيط به الأقلام» ونص الجبرتى نفسه أيضًا هو الذى يورد مداخلة شيخ الأزهر العتيد إذ تكلم فى أحد المجالس التى عقدها الأمراء:

«فذكر بعض كلمات ونصائح فى إتباع العدل وترك الظلم وما يترتب عليه من الدمار».

[وقائع ٢٠ شوال ١٢١٨].

ولكن عندما يتبدى التاريخ للناظر فى ظروف من الصراعات «التى لا تدركها الإفهام»، فإنه يجرى تفكره عبر «الدسائس الشيطانية».

أما المرحلة الرابعة فمفتتحها فردة البرديسى التى وضعت المماليك فى وضع صراع مع الأهالى وفيها ستتراكم المناقضات وتتشابك، ففى المعسكر المملوكى هناك الصراع ضد الألفى الذى سوف يستفرغ جهود سائر العصبيات ويستنفدها. كما كان على المماليك أن يواجهوا الأرنؤد الذين يقودهم محمد على. ثم أن تركيا التى لم تزهد بعد فى مصر ولم تتخل عنها ظلت ترسل الولاة الذين يوحدون للحظة كافة المناقضات والمعارضات ضدهم. وقد هب الإنجليز لنجدة حليفهم التركى المهدد فكان عليهم مواجهة الفلاحين. ولكن الصراع الرئيسى الذى يتقدم كافة النزاعات ويغلب عليها، كما يشير الجبرتى، هو صراع الشعب المصرى ضد المماليك والأتراك. وإنما أفلح الرئيس الألبانى فى الإستيلاء على السلطة لفهمه هذه الحقيقة.

ولكى يكسب الأهالى إلى جانبه ويعزل المماليك فإن محمد على ألغى الفردة الجديدة. أما البرديسى فإنه أجاب بتقرير الفردة عن ثلاث سنوات سلفًا وبمهاجمة الأرنؤد. ثم حاول أن يجمع المماليك المنتشرين فى سائر أنحاء مصر ليواجه الموقف الجديد. لكن الهجوم الأرنؤدى المضاد كان غاية فى السرعة: فقد حاصروا بيوت زعماء المماليك وفرقوا أتباعهم ثم احتلوا - ويا لدهشة الجبرتى- القلعة. ولكنهم ظلوا إلى ذلك يراعون الشرعية. فعلى الرغم مما سلف من عزل عدة ولاة، إلا أن الرئيس الأرنؤدى، أبلغ القاضى فرمانًا بتعيين والى الأسكندرية واليًا على مصر. وطالما أنه لم يظهر بعد أى منفذ للوضع القائم فانه جعل من نفسه المدافع عن وضع مصر فى علاقتها بالسلطة العثمانية.

ونقول انه لم يظهر المخرج النهائى بعد لان الامراء المطرودين لايزالون يتمتعون بما يكفى من القوى لتهديد القاهرة وقطع موارد التموين عنها وتعبئة العربان وجباية القسم الاكبر من الضريبة وقطع الطرق التجارية أو ابتزاز القوافل. وفى مثل هذا الموقف فان استيلاءه على السلطة يصبح بمثابة استباق لعزل نفسه. أما المماليك فانهم ركزوا بهذا على أنفسهم الردود المتضافرة من قبل الاتراك والارنود والفلاحين ـ بدون أن ننسى التباعد الحاصل داخل صفوفهم.

واذن فقد أصبحت مقاليد السلطة المركزية رسميا بيد العثمانيين، وتستند إلى قوتين عسكريتين: قوة السلطنة (أى الانكشارية والولاة...) وقوة الالبانيين الخاضعة من حيث المبدأ للقوة الاولى والمستقلة فعليا. وقد بدأ الوالى الجديد بأن:

«طلب مال الميرى من السنة القابلة لضرورة النفقة».

غير أن الصعوبات التي يتخبط فيها الملتزمون، ودمار القرى، وسيطرة المماليك على الريف المصرى، وتضافر هذه العوامل جعل جباية الضريبة المذكورة أمرا مستحيلا .لذلك فقد انحطوا بها إلى النصف. لكن هذا الاجراء اتخذ فى ظرف ارتفعت فيه الاسعار على عادتها فى كل مرة لا تكون الأرياف والاقاليم فيها خاضعة للسيطرة المركزية. فظلت مع ذلك شديدة الوطأة.

اما المصرلية المتحالفون مع العربان فقد انتشروا فى وادى الجيزة حتى انبابه فنهبوا البلدة وشردوا السكان، ثم عبروا الى ضفة النيل اليسرى (البر الغربى) حيث تعسكر الجيوش التركية والجيش الذى يقوده محمد على. وكانت المواجهة قرب امبابه دموية شرسة. فقد هاجم الجيش المملوكى المتاريس ولكنه خسر الكثير من رجاله فتراجع. لكن الحرب المتحركة هذه هى حرب لا يمكن كسبها حتى عبر انتصارات متوالية. فبعد هزيمتهم انكفأ الأمراء الى الضاحية الجنوبية للعاصمة حلوان. فكان من نتيجة ذهابهم الى هناك وفود سيل من اللاجئين الهاربين من الارهاب جاءوا يطلبون المأوى والملاذ فى العاصمة. لكن القاهرة بدون دفاع مهيضة الجناح. وقد وصل قسم من «المتمردين» الى أبواب القاهرة نفسها فتسللوا الى الأحياء المحاذية فنهبوا البيوت وسلبوا النساء. وعندما كان بعض الضباط يقاومونهم ويصمدون للحصار، كما حصل مع كاشف اقليم الشرقية فى بلبيس، فانهم كانوا يبقون معزولين ويقاومون بدون نجدة، ثم ينتهون بأن يهزموا ويقتلوا. فبقدر ما كان مدى حركة المماليك يمتد، بقدر ما كانت ترتبط القاهرة لجهة تموينها وأسعارها بمشيئتهم.

أما «الإدارة» المملوكية فقد تحولت إلى نهب غير منظم: فقد أوكلت جباية الفردات الى العربان فجعلوا يقتطعون منها أنصبة عالية يدفعها الفلاحون. كما يصادرون الغلال.. أما الباشا فانه «أرسل تنابيه الى أرباب الحرف والصناعات» دعما للمجهود الحربى، فاعتبرها هؤلاء فوق الطاقة فتراجع عن قراره فى ضريبة الميرى عن هذه السنة الى نصفها. وفى المدينة بدأ الاحتجاج الاقتصادى يعلو قبل أن يفضى الى مساعى صلح. فقد اجتمع الكثير من «غوغاء العامة» بالجامع الأزهر الذى صار أكثر فأكثر انفتاحا على مثل هذا النوع من المظاهرات. و«تحلقوا بمقصورة الجامع يدعون ويتضرعون ويقولون يالطيف». وأغلقت الحوانيت واقفرت الأسواق. فأرسل الباشا فى بادرة تهدئة من جانبه. قاصدا الى عمر مكرم، الذى التف حوله الذين طالتهم اجراءات الفردة، يقول له: «انا رفعنا عن الفقراء»، فأجابه نقيب الاشراف: «ان هؤلاء الناس وأرباب الحرف والصنائع كلهم فقراء». ويشير «أخذ الموقف» هذا إلى اتساع حركة المعارضة التى كانت تقتصر فى تعبيرها حتى ذاك على التجار، لتشمل «جناحا راديكاليا» يطلق عليه الجبرتى اسم «الغوغاء»، ثم فشلت أثر ذلك محاولة فتح الأسواق بالقوة. فواجهت المركزية فشلا خطيرا: فهى تتراجع للمرة الثانية على

التوالي وبصدد نفس المسألة. ثم انتهت الهزائم العسكرية التى حصدتها هذه السلطة فى الحرب على أرض لا دراية للجيش التركى بها، وطرقها صعبة الحماية، انتهت هذه الهزائم بأن أضعفت تلك السلطة التى كاثرت من ارتكاب الأخطاء..

ويقول الجبرتى فى حصاد شهر صفر لعام (١٢١٩) الموافق فيكتب قائلا:

«وانقضى هذا الشهر والحال على ماهو عليه من استمرار الحروب والمحاصرات بين الفريقين وانقطاع الطرق برا وبحرا وتسلط العربان واستغنامهم تفاشل الحكام وانفكاك الأحكام.. وجهل القائمين المتأمرين بطرائق سياسة الاقليم.. وتمادى قبايح العسكر بما لا تحيط به الأوراق والدفاتر.. وتعطل أسباب المعايش وغلو الأسعار فى كل شى وقلة المجلوب ومنع السبل.

وتبين أن الامدادات التى أرسلتها السلطنة للوالى بدون فاعلية. فالخمسة أو عشرة آلاف جندى من «النظام الجديد» ممن جرى اعدادهم وتدريبهم على النمط الأوروبى ليسوا أهلا لكسب المعارك وأما محمد على فانه برغم تعيينه واليا على جدة، وبرغم أن الأمراء جعلوا يحاولون محاصرة المدينة بخلق شبكة من المتواطئين معهم، فان محمد على ظل يمسك بالمبادرة السياسية والعسكرية. فقد استدرج المماليك الى معركة فى طرا فى التاسع من شهر ربيع الثانى لعام (١٢١٩)حيث فاجأهم ليلا وهزمهم شر هزيمة. وهكذا فقد بدا الوالى وجنوده ازاء مآثر وانتصارات الألبانيين كالوجوه الشاحبة. وعندما جمع الوالى محاولا أن يورطهم فى مساومة مع الأمراء الذين كانوا يطالبون بأن «يعطيهم» الصعيد فى حين قبل الوالى باعطائهم جهة اسنا ومقبلا، فان العلماء «ابوا» القيام بأية وساطة وقالوا: «نحن لا نكتب شيئا اكتبوا لهم مثلما تعرفون».

ثم حدثت حادثة تتصل بسلك العلماء ومصالحهم فوترت العلاقات بين المشايخ والوالى. فقد تورط كاشف كبير فى جريمة قتل أحد المشايخ بدون أن تتخذ بحقه الاجراءات الشرعية اللازمة. الأمر الذى أثار سخط المشايخ بحيث امتنعوا عن الحضور للأزهر والتدريس فيه. وفشلت المساعى لصرفهم عن ذلك. وفى تضاعيف ذلك تعرضت السلطة لسدنة ضريح سيدى أحمد البدوى وقبضت على نسائهم ونبشت أرض دارهم بحثا عن مال. وشفع المشايخ امتناعهم عن التدريس بالامتناع عن الافتاء. فأدى الشلل الذى أصاب القضاء الى رضوخ السلطة. وكان من الظاهر أن السلطة تتخبط فى صعوبات لا سبيل لتذليلها، أو أن قدرتها على ذلك كانت فى تناقص مستمر. كما أن عجزها وعدم فاعليتها ازاء مناوشات عصابات المماليك المسلحة المتآلبين مع البدو كان واضحا. فكثرت محاصرة العساكر القادمين من الأقاليم لأحياء القاهرة. وأصبح تعهد الجيش أمرا باهظ الكلفة، سيما وأن أعباءه ملقاة على عاتق اناس محاصرين ويتفاقم عوزهم ويعانون الجوع نتيجة لاشراف الأمراء على الريف. غير أن قدرة الوالى العسكرية ظلت على حالها، لا بل أنها توشك أن تتدعم وتقوى بالولاة القادمين الى

القاهرة. وفى هذه اللحظة بالذات تدخل محمد علي. فشرعية السلطة الرسمية لم تعد معترفا بها ابتداء بكفلتها الأيديولوجيين أى العلماء، والأهالي يرزحون تحت عبء ساحق هو عبء تعهد الادارة والجيش ويعانون من حصار القاهرة. والمماليك أعجز من أن يشكلوا خيارا (يركن اليه) بسبب انقسامهم وادارتهم المفجعة. أما الرئيس الأنؤدى فلا تزال تكلل جبينه انتصاراته التى حققها على المماليك فى صراعه معهم حتى ولو كانت انتصارات جزئية. كما أن معارضته للبرديسى حين فرض فردة على الأهالى جعلته يظهر بمظهر البطل المدافع عن «الفقراء» بالمعنى الذى يذهب اليه عمر مكرم. وهكذا فقد عاد الى القاهرة مصحوبا بجيشه الذى أدخله معه الى المدينة خلسة دون أن يسأل الباشا عن ذلك. أما العلماء، فان نهب المدينة من قبل جيش الباشا المفكك نتيجة لفقدان هذا الأخير أية سلطة عليه (فكتب خطابا فرمانا للدلاتية يأمرهم بالخروج من الدور وتركها لأصحابها فلم يمتثلوا ولم يسمعوا»، نقول أن العلماء قرروا حينذاك اللجوء الى أكثر أسلحتهم فعالية: «فتركوا قراءة الدروس» واسمعوا رسول الباشا اليهم كلاما «وأوهموه ثم قام وانصرف» [وقائع صفر ١٢٢٠].

أما السلطة العثمانية فانها كانت تريد أبعاد محمد على والافادة من كفاءته العسكرية والسياسية فى آن معا فعينته واليا على جدة حيث كان الوهابيون وفق ما نقلته ركبان الحجيج، يحاربون السلطة العثمانية.

وشاع فى المدينة أن الباشا «عازم على عمل فردة على أهل البلد وطلب اجرة الاملاك بموجب قوائم الفرنساوية» وهى الفردة التى أثارت فى حينها معارضة شديدة من قبل العلماء. شكل العلماء بالفعل قيادة الحركة الشعبية:

«والمشايخ تاركين الحضور الى الأزهر وغالب الأسواق والدكاكين مغلوقة وبطل طلوع المشايخ والوجاقلية ومبيتهم بالقلعة فحضر الأغا الى نواحى الأزهر ونادى بالأمان وفتح الدكاكين فى العصر فقال الناس وأى شيء حصل من الأمان وهو يريد سلب الفقراء ويأخذ أجر مساكنهم... وركب المشايخ الى بيت القاضى واجتمع به الكثير. من المعممين والعامة والأطفال حتى امتلأ الحوش والمقعد بالناس وصرخوا بقولهم شرع الله بيننا وبين هذا الباشا الظالم وطلبوا من القاضى أن يرسل باحضار المتكلمين فى الدولة لمجلس الشرع... فحضر الجميع واتفقوا على كتابة عرضحال بالمطلوبات وذكروا فيه تعدى طوائف العسكر والايذاء منهم للناس واخراجهم من مساكنهم والمظالم والفرد وقبض مال الميرى المعجل وحق طرق المباشرين ومصادرة الناس بالدعاوى الكاذبة» [وقائع ١٣ صفر ١٢٢٠].

فعمد عمر مكرم نقيب الاشراف والشيخ الشرقاوى شيخ الأزهر، أى ممثلا أهم سلطتين ايديولوجيتين، الى تنصيب محمد على واليا بحضور القاضى الأكبر ممثل الجهاز القضائى ثم أرسلا الخبر بذلك الى الباشا. وهكذا تبدل التناقض الذى يواجه مابين الشعب المصرى وما بين السلطة

العثمانية والمماليك لصالح الطرف الأول: وحين أرسل الوالي تذكرة الى القاضي ينكر فيها شرعية عزله والصفة التمثيلية للجمعية (الديوان) التي أصدرت هذا العزل فان القاضي يجيبه:

«انه حضر... نحو الأربعين الف نفس بالمحكمة وطالبون نزولكم أو محاربتكم فلا يمكننا دفع قيام هذا الجمهور» [وقائع صفر ١٢٢٠].

واذا كان الاستشهاد اللفظي بالجمهور ورأيه وقيامه ليست أمرا جديدا. الا انها تأخذ في هذا السياق قيمة مختلفة تماما. اذ أن التدخل جاء من حركة وهي حركة مدينية صرفة. أما الريف فانه يقاوم وحيدا وبتشتت. وهي تستمد وحدتها من معارضتها للسلطة العثمانية وادارتها. وقد تلقت ايديولوجية قيادتها تحولا هاما. فموضوع النقاش الذي كان دائرا هو موضوع كلاسيكي في الاسلام فهو يدور على شرعية معارضة «أولي الأمر منكم» أي السلطة القائمة. وقد سبق أن أطلقت صفة الظلم مرتين (انظر اعلاه). وهذا هو ما يجعل المعارضة مشروعة. وعندما يقول موظف من كبار الموظفين لعمر مكرم:

«كيف تعزلون من ولاه السلطان عليكم وقد قال الله تعالى: «اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» فيجيبه مكرم:

«أولو الأمر العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل وهذا رجل ظالم وجرت العادة من قديم الزمان أن أهل البلد يعزلون الولاة (...) هذا والأمر مستمر من اجتماع الناس وسهرهم وطوافهم بالليل واتخاذهم الأسلحة والنبابيت حتى أن الفقير من العامة كان يبيع ملبوسه أو يستدين ويشترى به سلاحا...» [وقائع ٢٥ صفر ١٢٢٠].

ان عمر مكرم والشيخ السادات والقاضي، ليدّعون الأمر والسلطة للعلماء ويطلبونها فيهم. ويرون أنهم هم حملتُها والأمناء عليها وقولهم هو الفصل في عدالتها وأنهم ضمان مطابقتها للأصول والمعايير. وهم يقفون على نفس الأرضية الأيديولوجية التي يقف عليها من ينكرون عليهم السلطة وينازعونهم عليها. وهم يقرعونهم باسم القواعد القائمة المشتركة التي تعمل لصالح السلطة وتقيم تبعية العلماء لهذه السلطة ذاتها. وثمة مرجع في المقالة التي أدلى بها مكرم، فمكرم (شأن الجبرتي في مقدمة العجايب) يعتقد أنه يتكلم باسم الشريعة التي هو مبلغها ووارثها بنسبه كشريف. ولكن ما يحسب مكرم انه يتكلم باسمه لا يعين العبور الى الفعل ولا يحتميه. أنه يتكلم على خلفية من صراعات وأعمال عنف. تستبعد مقالته في الحافها على سرد شروط امكانها هي كمقال. وبين حدى التناقض (الذى لا يتعين بالمناقضة فيما بين الشعب القاهرى والسلطة العثمانية وحسب بل بها وبالصراعات فيما بين العثمانيين والأرنؤد وبين المماليك والعثمانيين والفلاحين والمماليك...) يضاعف العلماء السلطة القائمة بادخال التباين بين ممارستها وأصولها ومعاييرها، بعد قصره على امكانية تدخل خارجي

فى دائرة السلطة. وتبعا لذلك فانهم يضعون أنفسهم بجانب الأصول. فالتقويم، أو بتعبير أدق اعادة الحال الى أصولها وطبيعتها، حين يتذرع ويتعلل بالحركة الشعبية فانه يزعم فى الحين ذاته استنفاذ معناها فى توافق السلطة مع الأحكام التى ينص عليها حملة الشريعة. وما هذا الا استعادة لعلاقة «الروحى - السياسى» «بالتنوع» المعين. وقيادة الحركة «تعيد ادراج» هذه العلاقة فى نصابها هى الذى توليه اياها التشكيلة الاجتماعية وتحيلها الى مجرد مطالبة بالأصول داخل علاقات السلطة.

أما المرحلة الخامسة التى تفتتح بتعيين جمعية المشايخ لمحمد على فتسمها تناقضات ادعاء الأمر والسلطة ذاك: فالشعب الذى لعب الدور الرئيسى فى تصفية السلطة التركية لا يشغل المركز الرئيسى لا هو ولا الناطقون باسمه. اذ ان ما أنهى الوالى هو تدخل شعبى من مصاف وارومة ذلك التدخل الذى عرفته مصر تحت الاحتلال الفرنسى. فقد شرع العسكر بالمطالبة باعطياتهم «فقال لهم محمد على ليس لكم عندى علوفة حتى ينزل أحمد باشا من القلعة ونحاسبه فتأخذوا علايفكم فلم يمتثلوا وتركوا المتاريس فذهب جماعة من الرعية وتترسوا فى مواضعهم».

وهاجمت طائفة من العسكر المتاريس لتفكيك الحصار عن القلعة وأجلوا من بها وجلسوا فيها:

«فتسامع أهل الرميله فاجتمعوا وحضروا اليهم وكبيرهم حجاج الخضرى واسماعيل جودة وهجموا عليهم وقتلوا منهم أنفارا...»

[وقائع ٨ ربيع اول ١٢٢٠]

ولم تعد المواجهات بين الأهالى والعناصر المسلحة خلال هذه المرحلة تسوى بالشكاوى والسلبية. بل باتت «قبايح العسكر» تلاقى المقاومة: «وصارت العامة تقابل القبايح بالقاء القبض على فاعليها وقتلهم».

وثمة طائفة من الارنؤد التحقت بالباشا وجعلت تواصل الهجوم على الأهالى. وقد تقدمت طائفة منهم واستوليت على سبيل ماء كما حضرت طائفة ثانية منهم الى بيت عمر مكرم ودخل البعض منهم البيت فحجزوا فيه. فكان لهذا الهجوم على زعيم الحركة الشعبية غير المنازع انعكاسات مباشرة:

«ووقع فى الناس هوزعات وكرشات ثم حضر حسن أغا نجاتى المحتسب وأمر الأفندى بالمناداة فمر وأمامه المنادى يقول حسبما رسم السيد عمر الأفندى والعلماء لجميع الرعايا بأن يأخذوا حذرهم وأسلحتهم ويحترسوا فى أماكنهم وأخطاطهم واذا تعرض لهم عسكرى بأذية قابلوه بمثلها والا فلا يتعرضوا له وأخذ الناس يعملون متاريس فى رؤوس الأخطاط... وحضر أيضا شخص من طرف محمد على ونادى بمثل ذلك ومعه أيضا شخص ينادى بالتركى بمعنى ذلك». [وقائع ١٠ ربيع أول ١٢٢٠].

والواقع هو أن المناداة لا تضيف جديدا بل تكرس حالة واقعة. فالعامة المسلحون كانوا قد

أخذوا حذرهم فعلا وباتوا يقابلون اذية العسكر بعنف مماثل بحيث أن المجابهات كانت يومية: فحين دخلت جماعة من العسكر حى العقادين وتترست جماعة منهم بجامع الفكهانى، فان أهالى الحى خرجوا عليهم وحاصروهم به وقبضوا على عشرة أنفار منهم. وحين ذهبت جماعة من العسكر يطلبون بعض رفاقهم أخذ أهل الحى سلاحهم وحبسوهم. وحين حضرت طائفة أخرى تطلبهم، لم يسلموهم وحاربوهم وهزموهم، وحين يدبر الوالى المحاصر «مكيدة» لتنسيق عمله مع بعض العناصر التركية فى المدينة فان يقظة «رجال المتاريس تحبط المكيدة» اذ أنهم ما أن «رأوا الجمال التى تحمل الذخيرة حتى أوقفوا الخدم والعساكر الذين يرافقوها وأخذوا منهم تلك الجمال».

[وقائع يوم السبت ١٧ ربيع اول ١٢٢٠]

وكذلك فان «أهل البلد» هم الذين أشعلوا النار بباب القلعة ومن ردوا على نار المحاصرين وهم من أوقفوا عساكر الباشا «القلعاوية» عن تسلق أسوار القلعة على سلالم بحثا عن مؤن. كما أن من يقود حصار القلعة هو رجل من أرباب الصناعات سبق أن أوردنا اسمه: حجاج الخضرى.

ثم ان الظاهرة لم تظل وقفا على القاهرة. ففى بولاق تنشب مناوشة بين الأهالى وبين العسكر «بسبب نقب البيوت وقتل بينهم أنفار واستظهر عليهم أهل بولاق» خرج منها الأهالى منتصرين

وكذلك فان الزعيم المملوكى الألفى الكبير الذى يتمتع بأكبر قوة بين الزعماء المماليك يصل الى دمنهور البحيرة «فتمتنع عليه». «فيرتحل عنها ولم ينل منها غرضه» وقد حاصرها ثلاث مرات خلال سنة واحدة. فكانت تدافع عن نفسها بدون أية معونة خارجية ولم يتمكن الألفى من دخولها وفى قرى برطس وأم دينار ومنية عقبة طلب أجناد الألفى هذا كلفا فامتنعوا عليهم وحاربوهم.

وعلى نفس هذا المسار تقع مناضلة رشيد للانجليز بعد ذلك بقريب سنة. فعندما علم محمد على «بحصول» الانجليز فى الاسكندرية فانه انفعل ذلك وداخله وهم كبير وأرسل الى المماليك المشايخ وخلافهم يطلبهم للصلح».

أما جواب شعب رشيد فكان مختلفا بالكلية. اذ ما أن وصل الانجليز الى داخل البلدة «ضربوا عليهم (أى الأهالى) من كل ناحية فألقوا ما بأيديهم من الأسلحة. فقد «كان أهل البلده ومن معهم من العساكر منتبهين بالأزقة والعطف وطيقان البيوت».

ويصف الجبرتى انتصار الشعب المصرى باسلوبه اذ يقول عن الأهالى:

«وكذلك أهل البلاد قويت هممهم وتأهبوا للبروز والمحاربة واشتروا الأسلحة ونادوا على بعضهم بالجهاد وكثر المتطوعون ونصبوا لهم بيارق واعلاما وجمعوا من بعضهم دراهم وصرفوا على من انضم اليهم من الفقراء وخرجوا فى مواكب وطبول وزمور فلما وصلوا الى متاريس الانجليز دهموهم من كل ناحية على غير قوانين حروبهم وترتيبهم وصدقوا فى الحملة عليهم وألقوا أنفسهم

فى النيران ولم يبالوا برميهم وهجموا عليهم واختلطوا بهم وأدهشوهم بالتكبير والصياح حتى أبطلوا رميهم ونيرانهم فلقوا سلاحهم وطلبوا الأمان...» [وقائع صفر ١٢٢٢].

غير أن ثمة تعليقا للجبرتى ينساب عبر ثنايا الوصف فينير أمامنا السمة الرئيسية للأيديولوجية الغالبة: انها شرعيته أو حقوقيته السياسية و «الوهم المعيارى» فيه. فهو لا يتمثل الواقعة الماثلة أى المقاومة الشعبية.الوطنية المندرجة ضمن ظرف عام من تفكك السيطرة السياسية الشرعية وانعتاق القوى المقموعة ـ فى نسبها الى مرجعها اى الى السلطة المستقلة التى تشكل هذه الواقعة حلقة من حلقاتها، بل انه يعود بها الى «الترتيب والقوانين» التى يجب أن تسود الحرب. وعاقبة هذه «اللاشرعية» ـ أى النصر ـ ليست حاسمة بالنسبة للجبرتى: بل انه يتوجس فيها الكارثة شأنها شأن كل ما يخالف القانون.

فهذا التفريق الفيصل بين ماهو مشروع وبين ماهو غير مشروع هو العنصر الغالب فى أيديولوجية الجبرتى وأيديولوجية زمانه. فكان من المدهش ان لا تتصدع الايديولوجية الرسمية فى هذه الحقبة من القطيعة والأزمة الشاملة. فموقف مكرم هو ذو صلة بتسلح الشعب ورفضه الانصياع للجنود والمماليك والانجليز حيثما وجد القدرة على ذلك.

والواقع أن العصيان والهيجان الشعبى الذى أوردنا بعضا من واقعاته قد انتهى الى اخافة قيادته الرسمية ـ التى كانت فى الواقع القيادة الوحيدة الممكنة لحركة لا تزال فى بداية تفتحها.

فعلى أثر مبادرة الأهالى، وعلى رأسهم حجاج الخضرى، الى الدفاع عن المتاريس المحيطة بالقلعة، اجتمع الشيخ الشرقاوى والشيخ محمد الأمير وغالب المتعممين «وقالوا أيش هذا الحال وما تداخلنا فى هذا الأمر والفتن واتفقوا انهم يتباعدون عن الفتنة وينادون بالأمان... وكذلك يفتحون أبواب الجامع الأزهر ويتقيدون بقراءة الدروس وحضور الطلبة [وقائع ١٢ ربيع ثان ١٢٢٠].

وبالتالى فانهم دعوا أولئك الذين يقاتلون مع حجاج الخضرى الى «عدم المقارشة فى عزل الوالى» المحاصر وان يتركوا محمد على ـ الوالى المعترف به ـ يتصرف بما لديه من وسائل السلطة. ثم أبلغوا محمد على بذلك فأجابهم الى طلبهم.

غير أن محمد على لم يكن يريد ـ كما ولم يكن يستطيع ـ أن يضطلع وحده (ليس بمفرده بطبيعة الحال) بسلطة مجزأة ومفتته عمليا. لذا فانه طلب ان يفصل هو فى «ما يقع من العسكر من قباحة» على أن يفصل مكرم فيما يقع من المدنيين. بعد أن يترك هؤلاء الأخيرون «حمل السلاح بالنهار واذا دخل الليل حملوا الأسلحة». غير أن «ثنائية السلطة» هذه لم تكن الا وهما. ذلك أنه لم يعترف «بالسلطة» المدنية الا كرديف تابع للسلطة التى تقود العنصر العسكرى والبيروقراطية ودفتردارها والتى تجبى الفرد.

غير أن النزع النهارى للسلاح لم يخدع الشعب:

«فلما سمع الناس ذلك أنكروه وقالوا ايش هذا الكلام. حينئذ نصير طعمه للعسكر بالنهار وغفراء بالليل»

وحين يمر الأغا (والى القاهرة) ويوقف العامة المسلحين بالنهار فان الهيجان يعود من جديد. وعندما تطلب العامة من عمر مكرم الذى تعتبره ممثلها أن يتخذ موقفا فانه «يعتذر ويخبرهم بان هذا الأمر على خلاف مراده». اذ يظل مكرم أسير رفضه السلبى ولا يملك أية رؤية أو أى كشوف كان. وبينما عاد مشايخ السلطة والنظام الى دروسهم فى الأزهر مثبطين الناس، نازعين منهم سلاحهم السياسى والحربى، فان عمر مكرم القائد الأكثر جذرية فى ميوله وتعاطفاته كان يجيب الناس الذين ضجوا وأغلقوا دكاكينهم وكثرت شكاويهم «بأن يقول لهم اذهبوا الى الشيخين الشرقاوى والأمير فهما اللذان أمرا الناس برمى السلاح». ذلك انه لم يكن بامكان المثقفين الأعيان تخيل شرعية أخرى غير شرعية السلطة القائمة. ولهذا فانا سنلقى الحجر نفسه بعد الانتصار الشعبى فى رشيد. وعندما وصل خبر الانتصار الى القاهرة أمر عمر مكرم الناس بحمل السلاح والتأهب للجهاد فى الانجليز ولم يستثن من ذلك، كما يقول الجبرتى، حتى مجاورى الأزهر. فقد أمرهم بترك حضور الدروس وكذلك أمر المشايخ المدرسين بترك القاء الدروس. غير أن هذه الدعوات ـ أو التنبيهات كما يسميها بترك القاء الدروس ـ لن تستطيع برغم التجاوب الذى تلاقيه والتعبئة التى تليها، أن تتجاوز الحدود التى ترسمها السلطة. اذ ما أن يعود الباشا الجديد ـ ونقول الجديد لان الباب العالى كان قد اقر محمد على حينذاك واليا على مصر ـ حتى يستبعد الامكانية أو البعد المتضمن فى استجابة الشعب لدعوة نقيب الأشراف التى تريد أن تنقل مقاومة رشيد المظفرة والفعالة الى القاهرة. ولهذا فانه حين عرض الجميع عليه أن: «نخرج جميعا للجهاد مع الرعية والعسكر»... قال «ليس على رعية البلد خروج وانما عليهم المساعدة بالمال لعلايق العسكر» [وقائع أول صفر ١٢٢٢].

وجواب الباشا الجديد الذى وصل الى السلطة بفضل تحالفه مع عمر مكرم. هو نفس جواب ـ الموظفين ـ كما سيقول ذلك الجبرتى بوضوح. فعندما يجتمع المشايخ (انظر أعلاه) ويقررون العودة الى الدروس والدعوة الى وضع السلاح وفتح الأسواق وترك الأمر لمحمد على يتصرف فيه كما يشاء، فانهم انما يصدعون بما تقوله السلطة.. غير أن الأيديولوجيا لاتنى تقول دائما لماذا لا ينبغى للشعب أن يحارب، وهذا ما يقوله الجبرتى حول رشيد: أنه جهل أهل البلاد فى جوهرهم ذاته «بقوانين وترتيب الحروب». فهذه المعرفة حكر على جنوده السلطة ووقف عليها. فأما اذا ظفر الشعب الجاهل، فان مرد ذلك يكون صياحهم وتكبيرهم وجهلهم الذى يبطل قوانين الحرب ويجعل الهزيمة ادهاشا أو زيفا ومكيدة..فان دعوة الشعب الى التسلح تنتهك الحدود المرسومة للدوائر التى تستبعد «غير النظامين» من نطاق القوة المنظمة التى تحتكرها السلطة. فالسلطة تقبل بأن يدافع

الصناع وأصحاب الحوانيت والفلاحون المهجرون من قراهم المنهوبة عن المتاريس، ولكن فى ظرف محدد تسيطر عليه هى، أى عندما تكون القوى الشعبية قليلة العدد، وذات طابع دفاعى وتعوزها القيادة المستقلة. أما اعداد البلاد كلها لمقاومة الانجليز فمشروع ذو مدى مختلف يوشك أن يسرع بالتمهيد لنشوء قوى مستقلة ربما أعجزت الجيش «النظامى» فيما بعد. وهذا الاحتمال هو ما ترفضه السلطة رفضا قاطعا. وهو ما تفترضه تلك الشريحة من المثقفين المرتبطين عمليا بالحركة الشعبية ممن يلحق بأيديولوجيتهم أى تحول أو تغيير ـ تقول هذا الاحتمال ذاته هو ما تصدر عنه هذه الشريحة من المثقفين بدون أن تتمكن من تجسيده. وبعد رشيد ستبدأ عملية تدعيم السلطة بمراس وأحكام : وستمضى هذه العملية جنبا الى جنب ازالة الاحتمالات الجانحة نحو الاستقلال والمتجهة نحو ايجاد قيادة ممكنة لهذا الاستقلال.

وسيتمكن محمد على من استيعاب «حياد» العلماء و«سلبية» عمر مكرم بسهولة كاملة. بحيث أن كافة الفرد والضرائب سوف تجبى الآن عبر المشايخ وعبر نقيب الاشراف. فاذا ما شاعت بين الناس ـ شائعة حول «عمل دفتر فردة على البلاد التى بقى فيها بعض الرمق» فان المشايخ هم الذين سيتكلفون بتسكين خواطر الأهالى. وهكذا فان الفردة ـ هاجس الشعب واللازمة الرتيبة التى لاتنى تتردد فى طول نص الجبرتى وعرضه ـ سوف تقتطع «بموافقة المشايخ» ولكن بعد أن يأخذوا من محمد على فرمانا يلتزم فيه بعدم عود ذلك ثانيا ويذكر فيه «لعن الله من يفعلها مرة ثانية». وعندما يحضر أهل رشيد يتشكون الى نقيب الاشراف مكرم والمشايخ من الضريبة التى فرضها عليهم الوالى الجديد فان هؤلاء «يترجون عند محمد على فتستقر غرامتهم على النصف» [وقائع جماد ثان ١٢٢٠].

فيسافر أهل رشيد على ذلك ويأخذون فى تحصيلها. بل أن المشايخ سيلعبون دور الضامن لشرعية سلطة محمد على حتى فى مواجهة السلطان العثمانى. فقد كان السلطان قد بدأ يشعر بالقلق من هيمنة الوالى الجديد ومن تدعيمه لمواقعه فنقله الى سالونيك. فتولى المشايخ المسؤولية الفقهية والشرعية الناجمة عن رفض الوالى الانصياع لأوامر السلطنة وكتبوا عرضحال الى السلطان يبررون فيه «الفرض والسلف التى حصل منها المشقة للأهالى من طرف محمد على باشا فانه اضطر اليها لاجل اغراء العساكر وتقويتهم على دفع الأشقياء والمفسدين والطغاة المتمردين امتثالا لأوامر الدولة العلية فى طردهم...». فأما السلف والفرد «فان المحصل لها والقاضى فيها فى غالب الأحيان السيد عمر أفندى نقيب الاشراف». وكان محمد على يعى قوة النقيب لذا فانه «لما قوى عزمه على السفر.. أشار على السيد عمر أفندى، النقيب بأن ينوب عنه ويكون قائمقامه فى الأحكام مدة غيابه فلم يقبل السيد عمر ذلك وامتنع [وقائع صفر ١٢٢١].

ومن جهة ثانية فان الصراعات التى كانت جارية بين العلماء أحدثت شقوقا فى صفوفهم. اذ

«وقع بين أهل الأزهر منافسات بسبب أمور وأغراض نفسية وتحزبوا حزبين: حزب مع الشيخ عبدالله الشرقاوى وحزب مع الشيخ محمد الأمير وهم الأكثر وجعلوا الشيخ الأمير ناظرا على الجامع» [وقائع أول ذى الحجة ١٢٢٨].

وأمام هذا كله: وازاء قيادة هى أسيرة لايديولوجيتها التى تلحقها بالسلطة وتقطع المنافذ على امكانية سلطة أخرى فعلية، وان كانت جزئية. وأمام اندراج الحركة فى مشروع السلطة، وازاء المنافسات التى تعطى السلطة ذريعة للتدخل واللعب بهذه الشريحة ضد تلك الأخرى ـ ازاء هذا كله يصبح بامكان الجهاز الحكومى القديم أن يؤمن البديل بدون أن يخشى شيئا.

وتسلطوا (أى العسكر) على تزوج النساء قسرا اللاتى مات أزواجهن من الأمراء المصرلية... وتزيوا بزى المصريين فى ملابسهم وركبوا الخيول المسومة بالسروج المذهبة والقلاعيات والرخوت المكلفة وأحدق بهم الخدم والأتباع والقواسة والسواس والمقدمون ووصل كل صعلوك منهم لما لا يخطر له على بال أو يتوهمه أو يتخيله ولا فى عالم الرؤيا» [وقائع أول رمضان ١٢٢٠].

وبعد أن حوصر وقصف وعزل، انتهى الوالى القديم الى الاستسلام. وفى تضاعيف ذلك كانت السلطنة العثمانية قد أصبحت مقتنعة بعدم جدوى معارضتها لمحمد على لأنه يستطيع مقاومتها فقررت استخدام الحيلة معه مؤقتا وعينته واليا. وزاد من اضطرارها الى ذلك خروج الحركة الوهابية بالحجاز من سيطرتها واقلاقها لها فى اللحظة التى اندلعت الحرب فيها بين الروسيا وانجلترا (ويروى الجبرتى عبور الاسطول الانجليزى للبوغاز ودخوله ميناء استامبول وبقائه يوما كاملا بدون أن يلقى مقاومة). ثم أن اللعب بلعبة المماليك ـ ضد ـ الوالى المزعج، لم تفلح وتوقفت حين تبين أنها عديمة الأثر: اذ ظهر للموفد التركى ـ الذى جاء ينفذ أوامر استامبول وينهض تحالفا مع الأمراء المصرلية ـ فساد التحالف مع عصبيات تنخرها خلافاتها المزمنة، وأفقدها اعتبارها السلب والنهب المنظم الذى كان يفاقم من شأنه تحالفها مع العربان الذين يرادف اسمهم اسم الخراب [وقائع جماد آخر ١٢٢١].

وبعد خلع الوالى المحاصر بسنة كانت المعارك مع المماليك ولاسيما مع الألفى لا تزال على أشدها.

ولهذا فان شوكة المماليك الظاهرة وانتصاراتهم فى أقاليم بعيدة عن القاهرة وممتنعة عليها وتخرج عن أشرافها، لم يكن ليخدع محمد على. وعندما تنطفىء أنفاس كبيرهم، الألفى الكبير، فان قوتهم الظاهرة تنطفىء معه فينسحبون الى الصعيد، ويبدأ الباشا باللعب على خلافاتهم. وفى أسيوط يهزمهم عدة مرات متتالية ويضعفهم ويدمر معنوياتهم. واذ يجدون قواهم خائرة منهوكة ازاء سلطة يتعاظم اتساعها يوما بعد يوم، وتتزيد مواردها تبعا لاتساع اشرافها على الأقاليم فانهم يتحالفون فيما بينهم على أمل التوصل الى عقد سلام مشرف يحفظ لهم مصالحهم. وبهذا الانضواء الأخير يصبح

محمد على صاحب السلطان المطلق فى مصر: فقد طرد الأتراك وكان هو الذى فرض ولايته على استامبول بمعونة العلماء له، واستغل الحركة الشعبية فى تصفية ادعاء العثمانيين باسترجاع مصر وعزل المماليك. وأما هؤلاء الأخيرون فانهم غرقوا فى أزمة الخراج التى فاقم من حدتها اتساع منافساتهم وعصبياتهم وأما المثقفون الذين بدأوا أقوياء فى بعض اللحظات بالدعم الشعبى لهم فقد اتبعتهم ايديولوجيتهم ووظيفتهم بالسلطة. كما تمكنت المقاومة الشعبية من ايقاف التقدم الانجليزى الذى كان هامشيا فى تلك الفترة.

لقد أزيلت كافة العناصر بعضا أثر بعض دون أن يخلو ذلك من التداخل والتكرار. وهكذا فان المرحلة الثانية ـ التى كان قوامها صراعات مختلف الشرائح الحاكمة وتدخل الشعب ضد هذه الشرائح واحدة أثر الأخرى ـ قد انتهت. فأما المرحلة الثالثة فانها تنفتح باستيلاء محمد على على السلطة وازالة المماليك وتقليص الحركة الشعبية وقيادتها. وهكذا فان بناء الدولة المستقلة التى تستند الى جهاز عسكرى أهلى هام يمول من تدعيم وتوحيد اقتطاع الفائض الزراعى وبناء صناعة تابعة للحاجات العسكرية ـ ان بناء هذه الدولة يبدأ بمقدمتين هما الاستقلال وتوحيد السلطة.

ـ ٣ ـ

والمرحلة الثالثة معروفة بصورة أفضل من سابقيها ذلك أنها تقترن بعهد محمد على الذى ستتجاوز آثاره من الآن فصاعدا حدود مصر. أما فى داخل الحدود المصرية نفسها فان بناء بعض المشاريع واستئناف سنة قديمة من أشغال الرى الكبرى، وانهاض جهاز دولة قوى يغطى مصر كلها فى كامل ترابها الوطنى ـ ان ذلك يتيح لنا ترسم معالم النظام المقام بصورة أكثر يسرا وسهولة (فى تنظيم انحرافه أو تباعده على الأنماط الأوربية).

أن وقائع الجبرتى تعيد الى سياق البناء تكثره وتناقضاته واختلاف وتأثر الخطط التى يتضمنها (السياسية والعسكرية والاقتصادية...). ونحن لن نستخدم من المادة الوفيرة التى تقدمها الوقائع الا ما كان له علاقة بموقف المثقفين وبالصياغة الايديولوجية.

كان لدى الجبرتى انطباع بأنه يشاهد «القيامة» [وقائع ذى الحجة ١٢٢٠] مايو من عام [١٨٠٦] جعل صاحب الوقايع يؤكد وهو يروى مصادرة القمح والفول والشعير ان هذا الاجراء هو «ثالث فرضة ابتدعت على البلاد فى هذه الدولة». وفى الشهر التالى قرر الباشا «فرضته على البلاد دراهم وغلال... وطلب سلفه دراهم من الملتزمين والتجار وغيرهم». ووعد بحسمها من الضرائب والربوع التى تستحق فى السنة التالية. هذا بالاضافة الى الشروع فيما سوف يصبح فى المستقبل سنة قائمة طوال حاكمية محمد على: أى التسعير الاكراهى للعملة، بما يجعل السلطة التى سوف تحتكر التجارة تدريجيا ـ تربح الفارق القائم بين سعرى العملة الداخلى والخارجى.

كما ستبدأ فى هذه الحقبة ذاتها سنة أخرى هى السلف الاكراهية التى لن يجرى سدادها مطلقا. وابتداء من هذه الحقبة ستكلف السلطة العساكر بجباية الضرائب، الأمر الذى سيكون بمثابة بداية أشراف مباشر من قبل الادارة. «فضيقوا على الملتزمين» وأبطلت الاعفاءات (أو المسموح) التى كان مشايخ القرى يتمتعون بها، «فضيقت عليهم معايشتهم ومضايفهم». وأخضعت لهذه السياسة طوائف أرباب الحرف ابتداء بأغنياء التجار وانتهاء بصغار الحرفيين: القبانية والحطابة وباعة السمك القديد المعروف بالفسيخ. كما أن أهل القرى النازلة بهم المغارم والمظالم والذين كانوا «يتنقلون الى القرية المحمية لشيخ من الأشياخ»، لم يستطيعوا الافلات لأن الحماية أيضا كانت «بطلت حينئذ». أما المشايخ فقد طالتهم الفرصة بدورهم: فقد «وزع على المشايخ الملتزمين جانب (من مبلغ ألفى كيس) نظير مسموحهم فى فرض حصصهم التى أكلوها... وزعت على القراريط على كل قيراط ثلاثة آلاف نصف فضة على سبيل القرض لأجل أن ترد أو تحسب لهم فى الكشوفات من رفع المظالم ومال الجهات يأخذونها من فلاحيهم». وهنا ايضا لم يعد لاحتجاج صغار الحرفيين تأثيره «فقد التجأوا الى الجامع الازهر واقاموا به ليالى واياما فلم ينفعهم ذلك» وفقا لتعقيب الجبرتى، وهو يشير إلى التحول الحاصل فى موقف السلطة. وكذلك فان الخطيطة التى قبلت بها الدوله بناء على ضغط العلماء من السنة السالفة (١٨٠٦) قد عادت فاستوفتها. أما القرى الخراب أو التى سجلها الروزنامجى على أنها خراب من البلدان «التى بها بعض الرمق لتخلص من الفرضه» فقد أمر الباشا بتوزيعها «على أولاده وحاشيته واغراضه». وارتفعت عن اصحابها. لا بل أن ذلك جرى لاقليم بكامله هو اقليم البحيرة «لما عمها الخراب وتعطل خراجها وطلبوا الميرى من الملتزمين فتظلموا واعتذروا بعموم الخراب فرفعوها عنهم وفرقها الباشا على اتباعه واستولوا عليها وطلبوا الفلاحين الشاردة والمنسحبة من البلاد الاخر وامروهم بسكناها...».

وسيذهب هذا النهب الضريبى الضخم كله الى الجيش والى اشغال الرى الضخمة واستصلاح الاراضى وبناء المشاغل. وكان محمد على قد أوكل سد ترعة الفرعونية فى بداية ولايته إلى شاه بندر التجار محمد المحروقى الذى خلف والده [أحمد] فى هذا المركز. اما الآن فان الوسائل التى باتت تتمتع بها الدولة قد اصبحت تتيح حاجات أوسع. وهكذا فقد شرع محمد على ببناء سواقى من شبرا على ضفة النيل «واخذ فى الاستيلاء على ما يحاذى ذلك من القرى والاطيان والرزق والاقطاعات من ساحل شبرا إلى جهة بركة الحاج عرضا». ومن أجل مد هذه المشاريع بالحجارة والصخور، راحوا يشقون الجبل بالغام البارود «مثل عمل الافرنج». ونودى على ارباب الاشغال فى العمائر من البنائين والحجارين والفعلة بأن لا يشتغلوا فى عمارة أحد من الناس كائنا من كان وأن يجتمع الجميع فى عماره الباشا بناحية الجبل. ومن أجل بناء اسطول فى البحر الاحمر (بحر القلزم) فان الباشا ارسل «المعنيين لقطع اشجار

التوت والنبق من القطر المصرى البحرى والقبلي وجعل بساحل بولاق ترسخانه وورشات» تقل الصناع وتحمل اخشابا على الجمال الى السويس «يركبها الصناع بالسويس سفينة» وكان الغرض من هذه السفن نقل العساكر والمواد. وانشأ كذلك معملا للصابون ومشغلا لصناعة المواعين والسخانات النحاسية الكبيرة. وتوسعت صناعة البارود. وبدأ مسبك المدافع والكلل بالعمل...

غير أن الوسائل الضريبية وحدها لم تعد كافية لتغذية هذه المشاريع فضلا عن الكلفة الساحقة لجيش شرع يغلب الطابع الاهلي عليه بمعنى أن عساكره اصبحوا يجندون من بين المصريين وليس من بين المرتزقة الاجانب. لهذا فان الباشا عمد الى اعادة تنظيم سياسة الاقتصاد مقوضا لذلك أسس العصبيات الملوكية وأسس نظام الملتزمين والمؤاكرة. فاحتكر النشوق: «ونادوا على جميع صناع النشوق وجمعوهم بذلك الخان ومنعوهم من جلوسهم بالاسواق والخطط المتفرقة»، وجعلوا عليهم «ناظرا وقيما» من نصارى الاروام. أصبح القيم «يشترى الدخان المعد لذلك من تجاره بثمن معلوم حدده لا يزيد على ذلك» ولا يشتريه سواه وهو يبيعه على صناع النشوق بثمن حدده ولا ينقص عنه. وعينوا معينين لجميع القرى والبلدان القبلية والبحرية.«ويعطونهم قدرا موزونا ويلزمونهم بالثمن المعين بالمرسوم». وكذلك النطرون «فقد فرقوه وفرضوه على القرى محتجين أيضا باحتياج الحياكة والقزازين اليه...» ثم أن الدولة فى طلبها لزيادة دخل خزينتها لا تتورع حتى عن صنع وحكر المسكرات: ثم صودرت القهوة من الخانات واعاد المعينون بيعها بسعر محدود. ثم حجزت جميع الغلال «وحجز عليها لطرف الباشا» الذى كان يعمد إلى تتجيرها ببيعها خارج مصر إلى الافرنج بسعر اعلى من السعر المحلى. ثم استعمل الباشا «رجلا نصرانيا من جبل الدروز» بدار الضرب لانه «يوفر عليه كثيرا من المصاريف». ذلك أن بدار الضرب نحو «الخمسماية صانع وهو يقوم بالعمل بأربعين شخصا لا غير»، ويصنع آلات وعددا لضرب القروش وغيرها ولا تحتاج إلى وقود نيران ولا كثير من العمل. غير أن الباشا لن يقف عند حد التسويق ويعممه على «جميع الغلال» التى يمكن نقلها بالمراكب عبر النهر. بل منازع» واستولى على «جميع حصص الالتزام فلم يبق لاربابها شىء الا ما ندر (...) واحتج فى ذلك باستيلاء الامراء المصريين عليها (...) واستولى على جميع مزارع الارز (...) ورتب لهم مباشرين وكتابا يصرفون من الكلف والتقاوى والبهائم ويؤخذ ذلك جميعه من حساب الفرض التى قرروها على النواحي ويسعرونها بما يريدونه ويستوفون المصاريف ثم يعطون ما يبقى للمزارعين» الذى أمسوا عمالا زراعيين. وامتدت حقوق «ديوان المكس الذى يعبرون عنه بالكمرك» لتشمل كافة السلع بدون استثناء، الامر الذى سيزيد من سعر التزام الجمارك فقد ظل يتزايد فيه المزايدون حتى وصلوا خمسين ضعفا. ثم نشأ الباشا فى القاهرة مصانع لنسيج القطانى «وابطل دواليب الصناع» لذلك ومعلميهم واقامهم يشتغلون فى المساسج التى احدثها ، بالأجرة.

وهذا السياق المعقد الذى يركز بين يدى الدولة المركزية الموحدة الجزء الأعظم من وسائل الانتاج، ان بحيازتها أو بالابقاء على نظام الالتزام بحيث يتجه الوجهة التى ترسمها له سياسة الدولة - ان هذا السياق المعقد هو سياق سياسى اساسا. ويقدمه الجبرتى بصفته سياقا سياسيا.فكافة الاجراءات المتخذة انما تستند الى علاقات قوى جديدة بين مختلف الفئات الاجتماعية. وبهذا تتحول الدولة الى قوة اقتصادية انطلاقا من السطوة السياسية والعسكرية. فالفرضات أو الاقتطاعات المباشرة تؤكد، فى مختلف اللحظات التى تقع فيها، حالة العلاقة أو نسبة القوى السياسية بين الباشا المتوطد وبين من يفرض عليهم هذه الفرضة أو تلك. والجبرتى يقول بوضوح ان احتجاج أهل الحرف وهيئاتهم «لم ينفعهم» بشىء، كما لم ينفعهم التجاؤهم الى الجامع الازهر. وكما رأينا فى نهاية المرحلة الخامسة من الحقبة الثانية، فان شرط فرض الفرضات الكثيرة هو اندراج الجسم الذى قام بدور قيادة الحركة الشعبية، كعنصر تابع لسياسة الباشا. ولكى تتمكن الدولة من القيام بكافة الاجراءات التى قامت بها، من مختلف المصادرات الى الغاء مختلف السموحات التى جرت السنن عليه (كالحبوسات واراضى شيوخ القرى واراضى المشايخ واراضى الرزق...) الى فرض السخرة على مستوى واسع، الى تدمير الحرف الخاصة، الى الغاء بعض الهيئات الحرفية، ان هذه الاجراءات تتصدى لاشكال وصيغ من تنظيم العلاقات الاجتماعية ولمواقف فئات المؤسسات، وان تفك قيادات القوى المناوئة لها - من المماليك بطبيعة الحال - ومن الحركة الشعبية ايضا. وهو أمر كان قد سلف شروعه نتيجة للتبعية الايديولوجية.

وتنفتح المرحل الاولى من الحقبة الثالثة - والتى تمتد حتى نفى عمر مكرم الى دمياط - على ظاهرة بالغة الدلالة بحيث ان الجبرتى ببصيرته المدهشة يضعها وبالضبط قبل هزائم القيادة الشعبية «الرسمية» النهائية، وفى اللحظة التى يصبح فيها التراجع ملحوظا بحيث ان محمد على لم يعد يلجأ الى المشايخ لينيط بهم تحصيل المال. وهذه الظاهرة هى تفشى نفوذ شيخ فى بنها العسل كان حتى ذلك يقيم «فى عشة بالغيط واعتقد فيه الناس الولاية والسلوك والجذب فاجتمع اليه الكثير من اهل القرى واكثرهم من الاحداث ونصبوا له خيمة وكثر جمعه واقبلت عليه اهالى القرى بالنذور والهدايا...» [وقائع جماد ثان ١٢٢٢].

وانما يتبدى تدخل الشيخ سليمان البنهاوى على خلفية من المجاعة والادقاع والفرض المتتالية الثقيلة. ذلك ان هذا الشيخ واعظ حتى فى خرسه وحتى ولو كان تدخله عبر وسائط من الناس:

«وصار الذين حوله ينادون فى تلك النواحى بقولهم لا ظلم اليوم ولا تعطوا الظلمة شيئا من المظالم التى يطلبونها منكم ومن اتاكم فاقتلوه [وقائع ١٦ جماد ثان ١٢٢٢].

ويشير توضيح الوقائع الى ان الولى كان يعلن ما يعلنه بتوسط الذين حوله. أنه واعظ اخرس، وأية اسقاط وتنزيل: «يقول» وضع الريف المصرى في تلك الحقبة. وبالفعل فان الفلاحين الذين استنهضتهم هذه الدعوات: «كل من وردهم من العسكر المعنيين الى تلك النواحى يطلب الكلف أو الفرض التى يفرضونها فزعوا عليه وطردوه وان عاند قتلوه».

ثم ان الجبرتى يتكلف التشديد على ان «المردان» المجتمعين على الشيخ «غالبهم اولاد مشايخ البلاد». اى انهم ينتمون الى شريحة وسيطة ساء وضعها الاقتصادى والسياسى بعد اشراف الدولة المباشر على الريف وتصفية المماليك الذين كانوا يتركون لمفاصل النظام هؤلاء استقلالية واسعة فى سيطرتهم على الفلاحين. والجبرتى يقيم تأثير الشيخ بمصطلحات سلطوية. وسريعا ما تكهنت سلطة الباشا بان الشيخ الصامت هو خطر حقيقى، متوضع. وعندما جيء به من قريته الى القاهرة قتله الجنود وقتلوا مرافقيه[وقائع اواخر جماد ثان ١٢٢٢].

وهكذا فان فشل الحركة الشعبية تحت قيادة العلماء الرسمين الملتحقين بسياسة الباشا وخدمة متطلباتهم الضريبية، مضافا الى عدم مقاومة مشايخ القرى لسياسة الاقتطاع المباشر، كل ذلك ادى الى انتقال متميز: هو نهوض الممارسات الدينية الشعبية لتتكفل عبر الصمت، ادى عبر ارجاع كلام الفلاحين، عما لا يستطيع جسم العلماء المؤسسى او لا يريد، بالنظر الى المكانة التى يحتلها، ان يتكفل به: عنينا المقاومة المسلحة لقهر الدولة السائرة فى طريق المركزة. غير ان السبيل مقفل بحيث ان الانضواء لا يفعل سوى ان يبرز عجز القيادة الرسمية الملتحقة.

والجبرتى يقيم بوضوح العلاقة فيما بين وصول محمد على الى السلطة وبين دعم العلماء ومكرم والحركة الشعبية له:

«وانتصر محمد على بالسيد عمر مكرم النقيب والمشايخ والقاضى واهل البلدة، والرعايا وهاجت الحروب بين الباشا واهل البلدة(...) ومحمد على يداهن السيد عمر سرا (...) وانه لا يفعل امرا الا بمشورته ومشورة المشايخ وانه متى خالف الشروط عزلوه واخرجوه. وهم قادرون على ذلك كما يفعلون الآن» [وقائع ١٢٢١ ترجمة الالفى الكبير].

ومن جهة اخرى فان الجبرتى يقيم بما لا يقل وضوحا عما سبق العلاقة فيما بين تدعيم سلطة الباشا والتحاق العلماء بسلطته:

«ولما استقر الباشا واطمأن خاطره وخلص له الاقليم المصرى وثغر الاسكندرية... فأول ما بدأ به أنه ابطل مسموح المشايخ والفقهاء معا فى البلاد التى التزموا بها» [وقائع شعبان ١٢٢٢].

وكان الباشا قبل ذلك« قد ابتدع المغارم والشهريات والفرض التى فرضها على القرى» وجعل ذلك «عاما على جميع الالتزامات

والحصص التى بأيدى الناس بدون استثناء» وفق ما يلاحظه الوقائع. وكان الاستثناء الوحيد حتى فى ذلك الحين «هو البلاد والحصص التى للمشايخ (...) ومن ينتسب لهم أو يحتمى فيهم» . فكان الامتياز الحاصل لهم عن ذلك مزدوجا: فقد كانوا يأخذون الجعالات والهدايا من اصحابها ومن فلاحيهم «تحت حمايتها ونظير صيانتها» . وقد استمر ذلك طالما كان الوالى الجديد منازعا فى هيمنته». ثم ان التملص والتخلص من الحركة الشعبية ربما كان هو الآخر باملاء ايديولوجية العلماء. وباملائها هى خاصة. وذلك دون ان ننسى ان هذه الايديولوجية لا تعطى المواقف السياسية والعملية بالكامل. والباعث الايديولوجى يتقاطع ويتدعم بباعث اجتماعى طبقى - هو اندماج جسم الموظفين الايديولوجيين والجهاز الفقهى بالسلطة وامتيازاتها ومصالحها. وهنا ايضا يظل الجبرتى غاية فى الوضوح:

«وافتروا بذلك «اى الامتيازات» واعتقدوا دوامة واكثروا من شراء الحصص من اصحابها المنجاحين (المحتاجين؟) بدون القيمة وافتتنوا بالدنيا وهجروا مذاكرة المسائل ومدارسة العلم الا بمقدار ما يحفظ الناموس... وانقلب الوضع فيهم بضده» [وقائع شعبان ١٢٢٢].

ثم ان العلماء - جزء لا يتجزأ من السلطة وموظفيها ودعائمها - لم يعودوا يستطيعون الاعتماد على ازدواجية السلطة التى انشأتها الحركة الشعبية فى مقاومتها للاحتلال الاجنبى ونهب السلطنة الضريبى . فاصبحوا عزال من كل سلاح ازاء الممسك بالسلطة السياسية والعسكرية. وزاد طينتهم بلة ان الباشا - كما اكدنا على ذلك - قد تصدى لقاعدة الحركة الشعبية: الحرف وصغريات الصنائع والتجار الصغار والفلاحين... ثم تبين ان لجوء كافة هذه الشرائح الى الازهر والى العلماء. هو امر لا جدوى ولا طائلة فيه. وما الازدهار النسبى الذى عرفه «اولياء» القرى والنواحى الا قصاص لفشل العلماء.

وفى هذه اللحظة اختار محمد على أن يقوم بالهجوم. ففى مطلع سنة (١٢٢٣هـ. ابريل ١٨٠٨م) كان قد بدأ من «هيفان الزرع» أن حصاد القمح سيكون غير كاف. «فانزعجت الخلائق». واجتمع المشايخ عند الباشا الذى قال لهم «اعملوا استسقاء»... غير أن شيخ الجامع الازهر. الشرقاوى، اعتبر أن واجب الباشا هو أن «يرفق بالناس ويرفع الظلم» وهذه المقالة هى صدى رقيق للنقاش الذى جرى حول الاستداد، مرة أولى، لدى طرد الملوك ابراهيم بك من القاهرة ومرة ثانية لدى عزل الباشا التركى. وقد اشار الباشا فى جوابه الى المصلحة المشتركة التى تربط العلماء بالسلطة وتأبى عليهم أدعاءهم الدفاع عن مصالح الشعب:

«انا لست بظالم وحدى وانتم اظلم منى فانى رفعت عن حصتكم الفرض والمغارم أكراما لكم وانتم تأخذونها من الفلاحين»

[وقائع جماد ثان ١٢٢٣].

وبالرغم من «حرمهم» فان المشايخ بقوا ملاذ الاهالى العزل ازاء السلطة. فادارة الباشا ـ كما سبق ولاحظنا ذلك ـ كانت تمد بفرضها على فئات من الناس ومن الاراضى، كالرزق، والرزق الاحباسية كانت الى ذلك الحين معفاة من الفرض ولا سيما بالنسبة للفقراء. و«فيه» يقول الجبرتى (أى فى يوم الخميس خامس عشر جمادى الاول ١٢٢٤هـ ـ مطلع ـ يونيو ١٨٠٩) فرضت «دمغة» أو «ختمية» على الاقمشة والاحذية «فزاد الضجيج واللغط فى الناس». وفى هذه الفترة ذاتها القى بشيخ فى السجن بدون نظر إلى وظيفته ولا إلى شفاعة العلماء فيه. وفى اليوم التالى بصراخهم واجبروا المشايخ على الاجتماع والتشاور وقد ارسل هؤلاء إلى عمر مكرم ليحضر مجلسهم ويشاور معهم. وقد اقتضى مضى يومين من المناقشات ـ بسبب التذبذبات والخلافات أو الشقوق الداخلية المستحكمة، لكى يصل المجتمعون إلى اتفاق تترجم بارسال «عرضحال» إلى الباشا للمطالبة بالغاء الاجراءات الاخيرة. ثم أن معاودة الاتصال فيما بين الاهالى والعلماء فى ظرف من السخط الشعبى اخاف الباشا. فاسرع بارسال موظف قريب منه (ديوان افندى)، لاستباق الاحتجاج. وقد دعا الموظف المنتدب العلماء للذهاب إلى الباشا «وتخاطبوه مشافهة بما تريدون». والموضوع هنا هو موضوع عدم المساس بتراتب المنزلات وما تتجلى عبره من طقوس. والحال هو أن هذا بالذات هو ما شرع العلماء برفضه بتحريض من الجناح الجذرى (الراديكالى) المتمثل بعمر مكرم والشيخ الشرقاوى وبعض آخرين. أما محمد على فانه تنازل فى النقطة الاقل اهمية حين افرج عن الشيخ السجين. ثم راح يلعب على الخلافات ـ التى كان يعلم أنها حقيقية ـ بين جناحى العلماء. ولم يسحب اجراءاته الا بشرط شكلى هو زيارة وفد من العلماء له. وقد كان عمر مكرم هو المرمى الذى يصوب اليه محمد على لانه لم ينس:

«أن الرعية والعامة تحت أمره (أى امر عمر مكرم) أن شاء جمعهم وأن شاء فرقهم وهو الذى قام بنصره وساعده وأعانه وجمع الخاصة والعامة حتى ملكه الاقليم ويرى أنه أن شاء فعل بنقيض ذلك»

[وقائع جماد اول ١٢٢٤].

غير أن قسما من المشايخ تخلى عن كل اعتراض «بالطلوع» إلى القلعة، أى على تقديم الولاء. أما مكرم فقد ظل ثابتا لا يتزحزح. ولكنه بقى كذلك وحيدا مكبلا. وسرعان ما احاطت السلطة به وزادت من عزلته ودفعت بقسم كبير من العلماء الى التسليم. واعتبارا من ذلك اليوم رفض مكرم أن يضمن سلطة الباشا ورفض أن يبرر ازاء قلق استامبول، الفرضات الثقيلة. ثم طالب الباشا بان يزوره ليتفاهما: وهكذا فانه أى مكرم يرد على «الطقوسية»، التى ليست سوى عنصر فى سياسة الخصم، بطقوسية مضادة تستنفد سياسة مكرم ومقوماتها كلها. ذلك أنه ليس لمكرم ـ بخلاف الرفض ـ اية سياسة. وعندما لاحظت

السلطة شلله فانها عمدت الى الهجوم: فعزلت النقيب من مركزه وعينت احد رجالاتها ـ الشيخ السادات ـ مكانه، ثم راحت تنشر شائعات حول نزاهته. ثم نفته. ثم «نمق مشايخ الوقت عرضحال في حقه» أملى عليهم ويتهمون النقيب فيه بالاختلاس و «مكاتبة الامراء المصريين» و«بايقاع الفتن فى العساكر» ثم ارسل هذا العرضحال الى استامبول. وكان عدد الذين رفضوا وضع اختامهم عليه قليلا وبينهم مفتي الاحناف الشيخ احمد الطحطاوى وقد عزل واستبدل بمفتى آخر. وهكذا فقد تمت سيطرة السلطة على الموقف مؤقتا. فالنظام يسود القاهرة. والجبرتى لا يخفى تعاطفه الحقيقى مع مكرم وأن قسا عليه فى الحكم:

«... فان ما وقع له بعض ما يستحقه ومن اعان ظالما سلطه الله عليه ولا يظلم ربك احدا».

وهو يجعل من نفى عمر مكرم تاريخا يؤرخ به لفقد العلماء لآخر سند لهم تجاه السلطة.

«مع أن السيد عمر كان ظلا ظليلا عليهم وعلى أهل البلدة ويدافع ويرافع عنهم وعن غيرهم ولم تقم لهم بعد خروجه من مصر راية ولم يزالوا بعده فى انحطاط وانخفاض».

[وقائع ١٧ جماد اول ١٢٢٤].

يحاكم مكرم تحديدا فى أمر تحالفه السياسى مع محمد على. ولعل الصورةالتى يرسمها الجبرتى عن مكرم هى الصورة السياسية الوحيدة فى مجمل الوقائع. ولاتستدر السمة المناقبية المغرقة فى اخلاقيتها دور الزعيم السياسى أو البطل السياسى من الايديولوجيا. والجبرتى يتعرف فى عمر مكرم على ممثل الحركة الشعبية وحليف السلطان «الجائر» الذى كان هو (أى ما يمثله) أكثر صنعتها فعالية. ولا ينبغى للنتيجة فى منطوق الحكم الذى يقيم الموازنة ـ الصحيحة ابدا ـ بين الفعل والقصاص أن تزيح التقدير: فملاقاة مكرم لما يستحق تعنى أن التحالف الذى الحق الحركة الشعبية بالصراع فيما بين شرائح السلطة لا يستطيع أن يفضى الا الى سحق هذه الحركة والى نفى قادتها. وهكذا فان التناقض فيما بين القيادة الشعبية والسلطة «الظالمة» الشرقاوى وجد حلا: اعدام القيادة الشعبية.(*).



(*) المسألة التاريخية فى الفكر العربى الحديث. د. وضاح شراره معهد الانماء العربى.

## ملحق رقم (٣٧)

## أسماء وأنواع العملات المختلفة المتداولة على ايام الجبرتي

### أولا: النقود الذهبية

ينظر الى الذهب عادة باعتباره معدنا نفيسا(*) اما الذهب الذى تحول الى نقد، أو العملة المصنوعة من الذهب. فتسمى، دون ان يوضع فى الاعتبار حالتها هذه، عينا (عين)[١]، اما النقود الذهبية المسكوكة او قطع الذهب (المنقودة» سواء صنعت فى داخل البلاد أو كانت قادمة من الخارج، فكانت تسمى فى الماضى دينار[٢].

ويورد المقريزى فى مقالته عن النقود قولا مأثورا قرر الرسول ﷺ بموجبه أنه قد ترك لكل بلد مكاييله ونقوده وأنه قد ترك لمصر اردبها[٣] ودينارها.

وفى العام العشرين من الهجرة (٦٤١ من تقويمنا)، فرض عمرو بن العاص الموفد من قبل عمر (بن الخطاب)، بعد ان اتم فتح مصر، على الاقباط أن يسددوا الجزية بالدنانير.

ومنذ عهود الفراعنة، حتى استقرار الاسلام[٥]، حتى غزو التركمان بقيادة صلاح الدين، كانت العملات الوحيدة المتداولة بصفة مشروعة أو قانونية، طبقا لقول المقريزى، هى العملات الذهبية، فكانت هى وحدها التى تستخدم فى تقدير أجور الأيدى العاملة واثمان السلع، حساب عوائد الدولة والضرائب.

ولسوف يتبدى لنا هذا الزعم اقل غرابة واكثر احتمالا، برغم ماهو باد من تعارض استخدام الذهب أكثر شيوعا عند مختلف أمم الأرض، اذ يتم تقييم كل شىء عن طريق الفضة، حين نسترعى الانتباه الى أن النقود الذهبية قد كانت، منذ البداية، ضئيلة الوزن، وفوق ذلك، منخفضة العيار، والى أن تفريعاتها كانت بالغة الصغر حتى تكاد تقترب فى قيمتها من النقود الفضية التى تستخدمها الأمم الأخرى، كما سوف نرى عند تعرضنا لمسألة الوزن.

ويبدو مؤكدا، حتى قبل استقرار الاسلام بمصر بوقت طويل، أنه كانت تصنع بها دنانير، أو على الأقل، ان كثيرا من النقود الذهبية كانت تتداول فيها، وهو أمر كان شائع الحدوث فى الجزء الأكبر من الشرق.

كانت ترد الى مصر تلك الدنانير أو النقود الذهبية التى كان يضربها الأروام، وينبغى أن نفهم من هذا اللفظ، على النحو الذى يشير اليهم به المقريزى، الامبراطورية الرومانية (الشرقية) التى تحولت الى القسطنطينية[٦] والتى نطلق عليها نحن اسم الامبراطورية الواطئة Ie Bas Empire ولا يزال أهل مصر حتى يومنا هذا يطلقون على ابناء هذه المنطقة اسم الأروام أى الرومان. وطبقا لشهادة عديد من المؤلفين العرب، فقد كانت النقود الذهبية القديمة، الآتية من القسطنطينية تسمى هرقلة، وهو اسم تسرب اليهم من اسم الامبراطور هرقل Heraclius[٧].

أما النقود الذهبية لمختلف الشعوب التى كانت تمارس التجارة مع مصر، فكانت تتداول فى هذه البلاد على نطاق يتفاوت ضيقا او اتساعا، تبعا

لدرجة نشاط تجارة هذه الشعوب معها، وكذلك، وبشكل خاص، طبقا لما ان كانت نقود هذه الأمم ذات عيار أكثر (أو أقل) ارتفاعا.

أما العلاقات التى كانت يمكنها أن تقوم بين مصر وبين المدينة المركزية أو مقر الحكومة، وهى القسطنطينية (أو استامبول) اليوم. فلابد أنها كانت تؤدى الى ان تصب فى مصر نقود هذه العاصمة الأخرى.

وحيث ظلت جنوة والبندقية تستحوزان لفترة طويلة على تجارة بالغة الاتساع مع أمم الشرق، فقد تدوولت فى مصر منذ فترة بالغة القدم سكينات (سكين Sejuin) جنوة، وسكينات البندقية بشكل خاص، وهذه وتلك مصنوعة من ذهب بالغ النقاء، ولا يزال الطلب يشتد على هذه النقود حتى اليوم، وقبل وصول الفرنسيين، كانت هذه العملات الذهبية تباع بسعر عال، وكان كل المماليك، الذين يجردهم جنودنا (من ملابسهم بعد مصرعهم) فى ميدان المعارك، يحملون معهم جميعا منها كميات كبيرة يتفاوت حجم ضخامتها (من مملوك لآخر).

وكانت نقود أوربا الذهبية تسمى فى مصر أفرنتى[٨]، وهذه الكلمة مشتقة من فرانك Franc (أو افرنج) وهو الاسم الذى يخلعه اهالى البلاد عادة على الأوربيين.

وتعود كلمة افرنج Franc هذه الى زمن الحروب الصليبية، ذلك أن الفرنسيين هم الذين لعبوا الدور الرئيسى فى هذه الحروب الدينية، ولأن مليكهم لويس قد هاجم مصر، وتلك هى جهالة المصريين المحدثين بالجغرافيا، تلك التى تحدو بهم لأن يظنوا كلى مسيحيى أوربا، - فى عرفهم - فرنجه (أى فرنسيين)، والتى تجعلهم لا يعرفون من فرنسا الا مدينة مارسيليا.

أما قطع النقود الذهبية، وكذلك الفضية، والتى تعود الى زمن أكثر قدما، والتى صنعت فى شكل جميل، ومن معدن أكثر نقاء، والتى ليست بالوفرة الكافية لحد يبيح تداولها كعملات، فيجد الطلب عليها لكى تستخدم حلية للاطفال والنسوة، فليست زينة الرءوس فى معظم الأحيان شيئا آخر سوى قطع من النقود يتفاوت قدمها، زودت بحلقة صغيرة تعلق عن طريقها، أو كانت ببساطة تثقب ثقبا أو ثقبين[٩] لكى يمكنها أن تعلق بعمامة الرأس[١٠].

ومن عادة كل النسوة أن يفرقن شعورهن فى عدد كبير من الضفائر الصغيرة ترتبط بشرائط من الحرير من اللون نفسه، ومجدولة بالطريقة نفسها التى جدل بها الشعر، وفى هذه الجدائل التى تتدلى من الرأس حتى الحزام، تضفر الماسات والموجوهرات والحلى الذهبية أو الفضية فى بعض الأحيان، ونجد من بينها بصفة خاصة قطع النقود الذهبية التى ترجع الى تواريخ متفاوتة القدم، كما يتفاوت عياراتها العالية دوما، بشكل تكون معه هذه الحلى النسائية بمثابة خزائن لمسكوكات، حتى أنه يصبح بامكان هواة التحف والآثار القديمة أن يعثروا داخل معاقل الحريم[١١] والسريات[١٢] على عملات بالغة الاثارة والندرة.

وقد واصل الأمراء الأول[١٣] الذين وكل اليهم الخلفاء حكم مصر، وكذلك الخلفاء أنفسهم الذين قدموا اليها ليتخذوا منها مقرا لخلافتهم، أو

اولئك الذين استطاعوا الاستيلاء على الحكم، واصل كل هؤلاء ضرب العملات النقدية المستخدمة في البلاد بالأوزان نفسها والعيار ذاته، وكذلك على النمط الذى كان معتادا ، ثم بعد ذلك، قللوا من ثم فى عيارها أو أدخلوا على انماطها تغييرات مختلفة.

وعندما كانت تبلغ هذه التغييرات حدا يمكن اعتبار هذه النقود اصدارا جديدا أو عملات من نوع مخالف، كان يشار اليها عادة – حتى يمكن تمييزها عن ضروب النقد التى سبقتها – باسم الوالى أو من ينوب عنه.

وهكذا، ففى العام ٢٥٤ من الهجرة (٨٦٨ من تقويمنا)، أمر الأمير أبو العباس أحمد بن طولون، الذى كان قد عين حاكما على مصر من قبل الخليفة المتوكل على الله، والذى استقل بعد ذلك بمصر وتلقب بلقب السلطان – أمر عندئذ بضرب دنانير سميت بالدينار الأحمدى، أى سميت باسمه .

وفى نحو العام ٣٨٥ من الهجرة (٩٦٩ من التقويم الميلادى) أمر القائد أبو الحسن جوهر[١٤] بصنع دنانير سميت بالدينار المعزى، على اسم الخليفة المعز[١٥] (لدين الله الفاطمى).

وفى عهد الناصر فرج[١٦] (ابن السلطان برقوق) اول المماليك. الشراكسة (أو الشركسية) والذى ارتقى العرش من جديد فى عام ٨٠٨ من الهجرة (١٤٠٥ ميلادية) تم تحريف عيار الدنانير وتطرق الى صنعها اهمال بالغ، وكانت هذه الدنانير تسمى بالناصرى باسم كنيته الناصر، وهى كلمة تعنى المنتصر.

وهناك احتمال كبير أنه كانت تصنع فيما سلف انصاف دنانير وارباع دنانير برغم أن المؤلفين الذين رجعنا اليهم لم يشيروا الى ذلك، فلم يتحدث المقريزى مثلا عن صنع أرباع الدنانير الا عند تناوله لقطع النقد الذهبية التذكارية أى التى كانت تسك فى المناسبات.

أما أحدث العملات النقدية الذهبية، أى تلك التى حلت مع الأيام محل الدنانير فهى الفندقلى أو السكين Sejuins ، وان كنا لم نتأكد أن قطع الفندقلى[١٧] . هذه هى التى أمر بسكها قبل غيرها فى مصر: ومع ذلك فقد توقف صنعها منذ نهاية عهد السلطان عبد الحميد.

وحيث كانت هذه القطع النقدية تتداول فى القسطنطينية، فأنه من المحتمل أن تعود نشأته الى هذه العاصمة، ويحتمل كذلك أن يكون الهدف من اصدارها، مع تقريبه من عيار الدينار القديم(١٨)، هو أن توضع فى التداول قطع من النقود ذات قيمة أعلى من السكين البندقى الذى كان بمرور الزمن قد حل محل الدنانير، ومع ذلك فمنذ ذلك الوقت بدأ ينقص وزنه وعياره.

كذلك كانت تصنع فى مصر أنصاف دنانير تشبه الفندقلى فى شىء، عدا أن سطحها كان أقل اتساعا، وأن حروف نقوشها كانت أرفع،وعدا أن وزنها كان يبلغ أقل من نصف وزن الفندقلى.

ولسنا نجزم بأنه كانت تصنع بشكل معتاد أرباع الفندقلى، اللهم الا اذا كانت مجرد قطع للزينة أو كانت تسك بقصد تقديمها كهدايا أو باعتبارها عملة تذكارية (أو استهلالية أى تضرب فى غرة الأعوام الهجرية).

ولا تستخدم كلمة سكين Sejuin ، وهى بالايطالية زتشينو Zecchino [١٩] للاشارة الى النقود الذهبية التى تطلق عليها، الا بواسطة التجار الأوربيين وتراجمة البلاد، هؤلاء الذين يستخدمون لهجة مأخوذة عن الإيطالية والفرنسية محرفتين، تعرف باللغة الأفرنجية (أو الأفرنكية).

أما العملة الذهبية المحلية فيطلق عليها اسم زر محبوب[٢٠] ، ويقتصر عادة عند الاشارة اليها على كلمة : محبوب.

وهذا السكين أو الزر محبوب هو عملة ذهبية يختلف وزنها وعيارها وقيمتها وقطعها عن الفندقلى الذى أشرنا للتو اليه، وتوجد هاتان العملتان كذلك معا متنافستين فى القسطنطينية.

ولسنا نعرف - كذلك - على وجه الدقة من هو أول حاكم أمر بضرب هذه العملة، فى نفس الوقت فاننا نعتقد أن هذه العملة سابقة على الفندقلى، وأنها تحوير أو تحريف للدينار القديم.

كذلك، يجرى تداول نوعين من العملات الذهبية، يكادان لايختلفان الا فى القطع (بفتحة على القاف وتسكين الطاء)، أما أولهما فله وجهان تغطيهما نقوش متشابهة مرتبة على وجه التقريب فى العدد نفسه من السطور، وعلى الوجه الثانى نجد اسم السلطان بكامل حروفه فى حين يحمل النوع الثانى على الوجه نفسه تأشير أو طغراء السلطان، أما الوجه الثانى فهو نفسه فى كلا الضربين من العملة.

وكانت تصنع فى مصر كذلك انصاف سكين (أى انصاف زرمحبوب) كان يطلق عليها على سبيل الاختصار اسم نصفية ومعناه النصف، وأيضا اربا ع سكين تسمى ربعية بمعنى الربع، وكان نمط هذه القطع الأخيرة يتفاوت كما سنرى لأن حجمها كان أصغر من أن يحوى قدرا من النقوش يماثل ما نجده على القطع الكاملة (الزر محبوب).

لكننا لم نر مطلقا أية ربعية من النوع الأول من النوعين اللذين تحدثنا عنهما من قبل، أى تلك التى لاتوجد بها تأشيرة أو طغراء، وأن كان ذلك لا ينفى امكانية وجودها بالفعل.

## ثانيا: النقود الفضية والبرونزية

تقابل كلمة فضة بالعربية كلمة argent بالفرنسية.

وتطلق الكلمة فى العربية، كما هو الحال فى الفرنسية، على المعدن وعلى النقود التى تصنع من هذا المعدن.

ويشار الى هذه النقود نفسها بكلمة فلس (للمفرد) والى الجمع بكلمة فلوس، وتعنى هذه الكلمة قشور السمك، وتستعمل على نحو مجازى للدلالة على الشيء المستدير بالغ الرقة (ضئيل السمك)، وكان يشار بها فيما مضى الى النقود النحاسية، ثم اصبحت تطلق على النقود الفضية وحدها، اى على قطع المدينى.

وكانت القطع الفضية التى سكت فى شكل نقود تسمى فيما مضى درهم والجمع دراهم، وهو اسم كان يطلق كذلك على واحد من الأوزان كانت تساويه (أو تعادله) قطعة النقود هذه.

وحتى منتصف القرن الخامس الهجرى (القرن الحادى عشر من التقويم الميلادى) كانت النقود الذهبية كما سبق لنا القول، هى العملة الوحيدة

المشروعة أو القانونية فى مصر، ومنذ غزاها الغز أو التركمان تحت قيادة صلاح الدين[٢١] فى نحو العام ٥٦٧ من الهجرة (١١٧١م) بدأ يسمع فى مصر لأول مرة اسم درهم، بمعنى أنه منذ ذلك الوقت استخدم فى تقييم السلع وتقدير الضرائب.. الخ بالدراهم، ذلك أنه حتى من قبل مجىء الاسلام، لم يكن يتداول الناس فى مصر دراهم أجنبية وحسب، بل كذلك دراهم من صنع محلى، وهى التى استمرت تضرب فى عهد اوائل امرائها (من العرب) دون أن يتناولها أى تغيير فى البداية، ثم بعد ذلك، فى عهد خلفائها (الذين استقلوا بها) بقطع وأوزان وعيارات تختلف عن الدراهم القديمة.

وقد اتبعت أوربا فى بعض الأحيان عادة اطلاق اسم الحاكم على النقود المضروبة فى عهده، فأطلقت أسماء كارلوس وفيليب ولويس الخ، على عملات نقدية ضربت بأمر من هؤلاء الحكام على اختلافهم.

وكانت الدراهم فى مصر - كما سبق لنا أن لاحظنا بالنسبة للدنانير - تأخذ فى غالبية الأحيان اسم الأمير (الوالى) أو الحاكم الذى أمر بضربها، مثال ذلك الدرهم الناصرى المضروب فى نحو العام ٥٨٣ هـ (١١٨٧م) والذى استمد اسمه من اسم الناصر وهو الكنية التى كان يكنى بها السلطان صلاح الدين، ثم الدرهم الكاملى الذى ضرب فى نحو العام ٦٢٢ هـ (١٢٢٥م) فى عهد الملك الكامل ناصر الدين، والدرهم الظاهرى الذى تم ضربه فى نحو العام ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م) فى عهد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس[٢٢]، ثم الدرهم المحمودى المضروب فى نحو العام ١٧٨١ هـ (١٣٧٩م) باسم الأمير محمود بن على، واخيرا الدرهم المؤيدى المضروب فى نحو العام ٨١٨ هـ (١٤١٥م) بأمر السلطان الملك المؤيد أبو نصر الشيخ المحمودى.

وكانت العملات الأجنبية الأكثر تداولا فى مصرعند بداية الهجرة تنقسم الى نوعين من المسكوكات طبقا لما يورده المقريزى، وكان النوع الأول يعرف باسم الدراهم السوداء وهذه ثقيلة الوزن، وكانت تسمى كذلك البغلى، أما النوع الثانى فكان يعرف باسم الدرهم الطبرى، ولا يزيد وزن هذا الدرهم عن نصف وزن الدرهم من النوع الأول.

وكانت الدراهم البغلى ترد من فارس، ويذكر هايد فى تاريخه عن ديانة الفرس القدماء أن مدينتى أورمياه وشيراز قد بنيتا على يد رجل ثرى اسمه راس مجوس[٢٣]، وقد أطلق عليه العامة الكنية رأس البغل ومنها جاء اسم هذا النوع من العملات النقدية التى تسمى الدرهم البغلى، وأن كان المسيو دى ساسى لا يرى أن هذا الاشتقاق يقوم على أساس صحيح.

أما صفة أسود، التى الصقت بالدراهم القديمة فقد جاءت دون شك من التعارض القائم بين اللون الذى اكتسبته هذه الدراهم مع مرور الزمن وبين المظهر اللامع أو البراق للدراهم التى ضربت حديثا والتى كانت تتميز باسم الدراهم البيضاء. وليس هناك مجال للافتراض بأنه كانت هناك قط عادة عدم جلو النقود قبل سكها، وان كانت ثمة ظروف كثيرة يمكنها أن تعطى لقاع النقود

الفضية[٢٤] هذا اللون الأسود (أو المائل للسواد) مثل دفنها بالأرض أو مثل تأثير النار والرطوبة وبصفة خاصة بخار الماء[٢٥].

وتستعيد الحروف والنقاط البارزة، عن طريق دعك خفيف، رونهاالمعدنى مما يجعلها تتمايز بقوة، حتى لتكاد تظنها منفصلة عن قاع العملة الذى يظل على سواده.

ويرى المسيو تيخسين Tychsen أن الدراهم الطبرية تستمد اسمها من اسم مدينة طبرية[٢٦]، أما هذه العملات قد ضربت بالفعل فيها،وأما لأن العرب كانوا يترددون كثيرا على هذه المدينة بسبب تجارتهم مع الرومان، ومن هناك كانوا يحصلون على العملات التى ضربت على يد الأباطرة.

ويذكر المقريزى كذلك الدراهم المغربية والدراهم اليمنية[٢٧] باعتبارها شائعة ومتداولة فى التجارة، وكلمة المغرب تعنى الغروب، وقد أطلقها العرب على كل بلدان أفريقيا التى نسميها عندنا بلاد البربر، وقد أطلقها على طرابلس وتونس والجزائر وفاس ومراكش.. الخ، وأن كان العرب يمتدون بها لتشمل فى الوقت نفسه أسبانيا وبقية البلدان التى فتوحها فى أوربا، أما اليمن فقد أطلق على البلاد التى عرفت قديما باسم العربية السعيدة، وأما قطع النقود المعنية هنا فكانت تأتى فى الأساس من المدينة ومكة.. الخ.

وحين انتقل السلطان المؤيد من دمشق الى مصر، حمل جيشه وكذلك كل من صحبوه كمية هائلة من الدراهم البندقية، التى سميت بهذا الاسم لأنها كانت تأتى عن طريق التجارة من البنادقة. وكذلك كمية كبيرة من الدراهم النوروزية التى سميت هكذا، بلا جدال، باسم الأمير نوروز الحافظى[٢٨]، وقد تدوولت هذه العملات فى مجالات التجارة، واستقبلت هذه النقود بترحاب كبير، فقد مضى وقت طويل لم تصنع خلاله الدراهم فى مصر، لدرجة لم تعد ترى معها سوى النقود النحاسية.

أما القرش الأسبانى، فقد كان، من بين كل العملات الحديثة القادمة من الخارج، هو أكثر هذه العملات شيوعا وأكثرها استخداما حتى مجىء الجيش الفرنسى الى مصر.

وقد ترتب على هذه الميزة، بالاضافة الى وفرتها فى سوق التداول أنها كانت أوسع العملات انتشارا فى كل تجارة العالم، وأنها أصبحت على نحو ما عملة تعاقد (أى تتم العقود على أساسها)، فتستخدم من جهة، وسيلة للتبادل مع غالبية الدول. وتغذى من جهة أخرى ليس فقط كل عملات الدول المختلفة على وجه التقريب وانما جزءا من حليها كذلك، ولم يكن استخدامها فى مجال التجارة يقتصر على تسديد أثمان السلع، بل كانت تشكل فى حد ذاتها تجارة هائلة غير مشروعة، تشكل فى أغلب الأحيان جزءا من حمولات السفن والقوافل.

أما التالارى أو التالر[٢٩] فهو عملة المانية يشار اليها باسم الرسدال Risdale أو الريال التعاقدى (الذى تعقد على أساسه الاتفاقيات) ecu de

Iconventicn، وكانت تصنعه دول متعددة لتستخدمه وسيلة للتبادل التجارى مع مختلف الأمم، وينطبق هذا بصفة خاصة على الرسدال النمساوى ، وكان التالر، شأنه شأن القرشى الأسبانى، بالغ الانتشار فى مصر، وقد بلغت القطعة النقدية ، فى التعريفة التى وضعتها لجنة من الفرنسيين والتجار الوطنيين، سعر القرش نفسه، بل لقد كانت عمليات التحويل تتم لصالح التالر برغم أن القيمة الجوهرية أو الفعلية للقرش تزيد بشكل طفيف عنها فى التالر بسبب ارتفاع العيار فى القروش، ولعل هذه الميزة لا تعود فقط الى طبيعة العلاقات التجارية، وانما تعود كذلك الى حقيقة أن وزن التالر كان اكبر (من وزن القرش) وربما أيضا الى حقيقة أنه كان أكثر دقة فى صنعه.

ويطلق العرب على كل من القرش الأسبانى والتالر الألمانى اسم الريال (ريال)، ويميزون القرش الأسبانى بتسمية خاصة به هى ابو مدفع، بسبب صورة الملك الموجودة على أحد وجهيه وصورة العمودين الموجودين على الوجه الآخر، اذ فهم القوم أعمدة هيرقل هذه على أنها مدافع، أما التالر أو التالرى فيشيرون اليه باسم أبو طاقة (أبو بوطاقة)[٣٠] وهى كلمة تعنى صاحب النافذة[٣١]، وجاءت هذه التسمية بسبب الصورة التى ترى على أحد الوجهين، وصورة الأسلحة المدلاة من عقاب مقسوم إلى أربعة اقسام، والموجودة عى الوجه الآخر، اذ يشبه هذا الشعار الموجود بوسط وجه القطعة النقدية بعض الشيء تلك النوافذ ذوات القضبان الحديدية الشائع استخدامها بالبلاد، ومن كلمة بوطاقة هذه جاءت على سبيل التحريف كلمة patague فى اللغة الأفرنجية ثم انتقلت بدورها الى اللغة العربية الدارجة «بطاقة».

وقد بات قبول النقود الفضية كبيرة الوزن، والتى انتهينا من الحديث عنها للتو ضرورة ملحة فى تجارة الجملة خصوصا بعد أن أصبح يصنع فى مصر قليل من العملات الذهبية. وكذلك حين لم تعد توجد هناك قط لا عملات فضية تقترب فى قيمتها من النقود الذهبية، ولا تلك العملات التى تكون واسطة بين النقود الذهبية والعملات الصغيرة.

وفى القسطنطينية، حيث خامات الفضة أكثر وفرة بدون جدال، وحيث التجارة أكثر نشاطا، وحيث أساليب العمل فى دور سك النقود أكثر نضجا وتطورا، تصنع قطع فضية منخفضة العيار من ذوات الـ ١٠٠، ٨٠، ٤٠، ٢٠، ١٠ بارات بل تصنع هناك كذلك قطع نقدية من ذوات الخمس بارات.

لكن مصر لم تأخذ على نحو معتاد بهذه السلسلة من العملات التى تشكل نظاما نقديا كاملا من النقود الفضية أو البرونزية والتى تنهض علي تقسيمات السلم العشرى، الذى تكون فيه البارة واحدة هى أدنى درجاته.

ويبدو أن المملوك على بك[٣٢]، المكنى بالكبير، والذى صنع لنفسه بشجاعة وجرءة مشروعاته اسما مدويا فى الشرق، بل وأمكنه أن يسترعى أنظار أوربا حينا من الدهر، يبدو أنه الوحيد الذى أمر بضرب قطع نقدية من ذوات الأربعين والعشرين مدينى على غرار تلك التى

تصنعها القسطنطينية، بل يؤكد بعد كذلك أنه قد أمر بضرب قطع من ذوات الثمانين ومن ذوات المائة مدينى، وأن كنا لم نستطع الحصول على شيء منها، ويمكن الافتراض على الأقل أن عددا قليلا من هذه العملات قد جرى تداوله.

وكان يطلق على هذه القطع اسم غروش[٣٣]، وكانت هذه مضروبة بسكة (بكسر السين وشدة مفتوحة على الكاف ومعناها آداة السك) السلطان الحاكم أو على الأقل كانت تحمل تأشيرة أو طغراء هذا السلطان، وقد أمرنا بتصوير قطعة من ذوات الأربعين مدينى، وأخرى من ذوات العشرين مدينى . وعندما سنتناول بالحديث العملات النمطية أو المعيارية وأرقام أو نقوش المسكوكات فسوف نشير الى الخصوصيات التى تميز نقود على بك.

وحيث أصبحت خامات الفضة بعد موت هذا المملوك نادرة، وحيث كان صنع الغروش يعود بنفع أقل مما يعود به صنع المدينى، فقد توقف صنع القطع من ذوات الأربعين والعشرين مدينى، ويبدو أنه كان كافيا أن تحيق الهزيمة بعلى بك، لكى تفقد النقود التى سكها كل ثقة وأن تسحب من التداول أو تلغى كنقود ، كما لو كان الأمر ضربا من التجديد.

ويذكر فولنى Volney فى تأريخه لعلى بك[٣٤] أن نقود هذا المملوك قد فقدت ٢٠ ٪ من قيمتها اذ سرى زعم بأنها كانت محملة لأكثر مما ينبغى بمعادن خليطة، ويذكر كذلك أن واحدا من التجار قد سرب منها الى مارسيليا عشرة آلاف قطعة فعادت عند صهرها بربح كبير للحد الكافى، ولو لم تكن هذه العملات قد فقدت أكثر من ٢٠ ٪ من قيمتها الاسمية لكان من المستحيل أن تحقق هذا الربح عند نقلها الى الخارج، وان بعض الناس قد يرى فى المعلومات التى قدمها المسيو فولنى للتو عن عملات على بك، أن الأمر هنا يختص بالعملات الفضية وليس بالعملات الذهبية، فهذه هى التى ينطبق عليها بصفة تامة ماجاء فى هذه الفقرة السابقة.

وعقب ذلك أعدمت الماكينات التى تستخدم فى صنع غروش على بك ولم نعثر لها على أثر فى دور سك النقود القاهرة.

وقرب نهاية العام ١٧٩٨ (١٢١٣ من الهجرة) أمر القائد العام أن يعاد اصدار القطع النقدية ذوات الأربعين والعشرين مدينى، وكلفنا بالعمل على اعادة بناء المصانع والآلات اللازمة، وقد استقبلت هذه القطع النقدية استقبالا طيبا للغاية فى مجال التجارة، كما أن صنعها سيظل أمرا لا ينسى فى مصر، مثلما كانت قروش على بك.

أما الدراهم، وكان وزنها منذ البداية ضئيلا، فقد تناولتها بصفة متتالية بعض تغييرات (نحو الأدنى) فى وزنها وفى عيارها، بفعل جشع أولئك الذين كانوا يحكمون مصر، ومع ذلك فإن بعضا من هؤلاء الحكام، أكثر بعدا عن الهوى والمصلحة، أو ممن كانوا يسترشدون فى ادارتهم بأفكار أكثر ورعا وأكثر عدالة قد رفعوا من جديد وزن وعيار هذه العملات.

ويذكر المقريزى أن السلطان صلاح الدين، بعد أن ألغى تداول الدراهم السوداء، تلك التى

كانت بالغة الثقل وذات عيار عال، أمر بضرب دراهم تمتزج فيها الفضة والنحاس بنسبتين متساويتين، ولعل عيار ووزن هذه العملة قد ظلا منخفضين حتى الوقت الذى أصدر فيه الملك الكامل أمرا بابطال كل الدراهم التى كانت تعرف عندئذ بالقاهرة والاسكندرية باسم أوراق، وأمر باصدار دراهم جديدة كانت تقترب سواء فى عيارها أو وزنها من الدراهم القديمة أى عملات ذات المزيج الجيد.

وقد يكون بمقدرونا أن نلمح فى هذه القطع النقدية المسماة أوراق، ومفردها ورق، منشأ قطع المدينى التى تصنع اليوم من صفائح من البرونز مسطحة أو مصقولة بفعل دقات مطرقة، بل لعل المدينى لم يكن سوى فرع «أو قسم» من هذه العملة التى كانت تستخدم حاملة اسم أوراق.

ويقدم لنا الشيخان اسماعيل وعبدالرحمن(*) وهما اللذان ينظر اليهما فى القاهرة باعتبارهما يتميزان بغزارة معلوماتهما، المعلومات الآتية حول الاشتقاق اللغوى لكلمة مدينى التى تعنى فى اللغة العربية الميدى:

عندما أصبح المملوك الشيخ خليفة، واتخذ لنفسه القاب السلطان الملك المؤيد أبو نصر الشيخ (وهى أسماء وألقاب تعنى الامبراطور الملك، الذى تؤيده العناية الالهية، صاحب النصر، الشريف)، أمر بأن تضرب أنصاف دراهم سميت باسمه: المؤيدى أو الميدى على سبيل الاختصار، وكان يطلق عليها كذلك اسم نص وهى كلمة لاتزال تستخدم حتى اليوم للاشارة الى المدينى أو البارة.

(*) هما فى الغالب اسماعيل بن سعد الخشاب وعبدالرحمان الجبرتى.

وسواء كان القوم قد اعتبروا المدينى بمثابة تحوير أو تحريف للدرهم القديم، أو كانوا قد نظروا اليه باعتباره عملة جديدة أدخلت صناعتها الى مصر كما أدخلت الى القسطنطينية حتى تضرب هناك عملة مشابهة تعرف بالبارة Parah(٣٥)، فلن يكون أقل من ذلك صحة أن هذه العملة العجيبة، الأكثر رقة من ورقة، والتى تكفى أقل نفخة لبعثرتها والتى يوضع الالف منها فى قاع قمع ورقى، «قرطاس» ضئيل الحجم، قد أصبحت هذ النقد الرئيسى فى مصر، أى تلك تتخذ أساسا فى ابرام الصفقات الكبيرة وكذلك فى عمليات البيع بالتجزئة وكذلك التى تتم بها كل الحسابات وتحصل الضرائب.

أما بخصوص نسبة النحاس التى تمزج بها الفضة التى تستخدم فى صنع النقود، فإنه لاتستخدم قط فى مصر كلمة بعينها للاشارة اليها، وليست هناك كلمة تقابل كلمة نقد برونزى التى نستخدمها نحن. واذا ما طبقنا هذا الاسم، نقد برونزى على كل النقود التى يشكل النحاس النسبة الغالبة فى سبيكتها، فان القطع ذوات الأربعين والعشرين مدينى، وكذلك قطع المدينى التى تحدثنا عنها تعد فى واقع الأمر نقودا برونزية (وليست فضية)، فمنذ زمان طويل للغاية لم تصنع فى مصر نقود فضية بمعنى الكلمة، ونحن من جانبنا لم ندخل تحت هذه التسمية (أى النقود الفضية) قطع المدينى والقطع ذوات الأربعين والعشرين مدينى، الا لأن هذه القطع قد حلت محل العملات الفضية التى جاءت النقود التى تحدثنا عنها لتقوم مقامها.

## ثالثا - النقود النحاسية

تطلق كلمة نحاس فى العربية على المعدن الذى نسميه نحن Couper وفيما مضى كانت النقود النحاسية تسمى فلس والجمع فلوس.

وكانت هذه النقود النحاسية عبارة عن قطع من هذا المعدن، قطعت بأوزان تكاد تكون متساوية، ولم يتداول من هذه النقود اليوم إلا كمية ضئيلة، ولم يكن الناس يضعون النحاس فى مرتبة النقود. ولم يكونوا يستخدمونه عندئذ الا فى شراء السلع ضئيلة الثمن أو فى المطالب المنزلية البسيطة. وقد كانت السلع الغذائية الضرورية منخفضة السعرحتى أن ابناء الشعب قلما كانوا ينفقون فى اليوم الواحد ما يزيد على بضع قطع من العملات النحاسية لشراء أقواتهم.

واستمرت هذه الحال حتى نحو العام ٨٠٠ من الهجرة (١٣٩٨ من التقويم المسيحى) وحيث بدأت النقود الذهبية والفضية بمرور الزمن تصبح بالغة الندرة، وبشكل خاص بسبب الكوارث التى كانت تحدثها القلاقل والاضطرابات والثورات التى حدثت فى مصر منذ العام ٨٠٦ من الهجرة (١٤٠٤م) ، فقد أصبحت العملة النحاسية أكثر ضرورة، واشتد الطلب عليها لهذا السبب وارتفعت قيمتها كثيرا فى عمليات الاتجار غير المشروعة حتى تجاوزت قيمتها الحقيقية كثيرا.

وبدأت هذه العملة تتسرب الى مجال التجارة متنافسة مع النقود الفضية منذ الوقت الذى أصبح الظاهر برقوق فيه اميرا، أى فى نحو العام ٧٨١ من الهجرة (١٣٧٩ من التقويم المسيحى).

وحين أصبح برقوق سلطانا، أمر محمود بن على، الذى ولاه وظيفة استادارا[٣٦] بأن يضرب فى القاهرة كمية كبيرة من الفلوس أى من النقود النحاسية بسبب الربح الذى كان يعود به مثل هذا الصنع وأمر بايقاف سك الدراهم التى أصبحت بالغة الندرة، وقد صهر الصاغة الكثير من هذه الدراهم، كما صدروا الى الخارج كمية ضخمة منها، ومما لاشك فيه أنه قد ضربت نقود نحاسية ذات قيم مختلفة، كما كان لكل واحدة من هذه العملات أقسامها أو تفريعاتها.

وقد استمر سك العلمات النحاسية لسنوات طويلة فى عهد برقوق وفى عهد ولده الناصر فرج، وفى هذه الأثناء جلب الفرنجة كميات هائلة من النحاس الأحمر الى مصر.

وكان سعر التداول الاجبارى الذى تقر للفلوس أو القيمة الأسمية التى تحددت لها وهى أعلا بكثير من قيمتها الحقيقية، هى السبب فى ادخال كميات كبيرة من النقد المزيف ضمن هذه العملات خلال تلك الفترة.

ومنذ البداية، وحتى عام ٨٠٦ من الهجرة كانت النقود النحاسية تتداول على أساس العد، ومن هذا التاريخ صدر الأمر بتداولها على أساس الوزن اما لأنه أن عددا كبيرا منها لم يكن مستوفى الوزن، واما لأنه كان يلزم وقتا بالغ الطول فى عدها مما كان يتسبب فى حدوث ارتباكات شديدة، ثم انتهى الأمر بالنقود النحاسية أن أضحت هى العملات الوحيدة المستعملة، وأصبحت كل السلع، بما في ذلك الذهب نفسه، تقدر بالفلوس.

وبمرارة شديدة، يشكو المقريزى، وهو الذى كتب مقالته (عن النقود) بين عامى ٨١٨و٨٢٣ من هذا الاجراء الذى لا يمكن أحد أن يعقله،

والذى يشعر المرء بالعار من مجرد تدوينه، ويضيف أن النحاس لم يكن قط، فى أى بلد من بلدان العالم، لا فى قديم الأزمان أو فى حديثها، عملة رئيسية، ولم يحل عليه الدور فى أن يتداول كعملة الا فى أكثر الحكام جدارة بالمقت والكراهية، وهو الناصر فرج، فالفضة، بصفة خاصة، هى العملة المشروعة، التى لم يكف تداولها على الاطلاق فى أنحاء العالم، ويوكد المقريزى أنها، هى، هذه العملة النحاسية التى ضربت فى مصر.

واقترح المؤلف على السلطان الذى كان يتولى مقادير مصر فى ذلك الوقت، وهو الملك المؤيد، الذى كان قد أعاد صنع واصدار الدراهم:

أولا: ألا تدون أى مبالغ فى كل العقود العامة والخاصة، وفى كل السجلات المالية، وكذلك فى كل المعاملات والصفقات الا بالدراهم المؤيدة.

وثانيا: ابطال تداول الفلوس القديمة، على أن تقوم مقامها جديدة مؤيدة تنشأ على الأسس التالية: تضاف الى ثمن قنطار النحاس المستورد من بلاد الفرنجة كل النفقات التى تتحملها دور سك النقود لتحويله الى فلوس، ويقدر على أساس ذلك كم عدد الفلوس التى تكون مساوية للدينار وكم منها يكون مساويا للدرهم المؤيدى، وحاول هذا المؤرخ التدليل على جدوى هذه العملية، ومع ذلك فقد كان من المؤكد أن عملية كهذه سوف تلحق ضررا كبيرا بعامة الناس وبصفة خاصة ابناء الطبقة الدنيا منهم، والذين تنتشر بينهم العملات الصغيرة، والذين كانت مصادر دخولهم المتواضعة ستتعرض لهزة عنيفة لتنقص دفعة واحدة.

ولعل الاجراء العادل والشريف الذى كان يمكن اتباعه كان أن نستبدل فى دور سك النقود بتلك الفلوس الملغاة تبعا للقيمة التى كانت لها عند تداولها فى مجال التجارة وقبل ابطالها، دنانير ودراهم، ومن المستطاع تقدير هذه القيمة اذا أخذنا كحد وسط اثمان السلع الضرورية (كالقمح على سبيل المثال) مقدرة بالدنانير والدراهم الجديدة، ومع ذلك فقد يحدث، دون ريب، أن نجد فى مجال التداول كمية من الفلوس أكبر بكثير من تلك التى أبطلتها الحكومة، وتصبح العملية على هذا النحو مدمرة ومستحيلة التنفيذ، ذلك أن الحكومة حين أمرت متجاوزة بذلك كل حد ممكن بصنع كمية بالغة الضخامة من النقود، ذات قيمة اعتبارية أو صورية وسعر تداول الزامى، قد وجدت نفسها، حين أصبح الأمر ملحا عليها بأن تعالج السوءات التى نجمت عن ذلك على مفترق طريق: فاما أن تثقل كاهل نفسها بالديون اذا شاءت أن تسحب هذه النقود طبقا لقيمتها الاسمية، واما أن تتسبب فى خراب أو افلاس الناس، اذا هى لم تسترد النقود الملغاة لا حسب قيمتها الحقيقية أو الجوهرية.

وعندما عاد صنع العملات الفضية ليستقر من جديد، وعندما تضاعفت هذه النقود وتزايدت كذلك تفريعاتها، وعندما أخذ وزنها وعيارها يتناقصان بشكل مستمر، ونقصت نتيجة لذلك قيمتها، أصبح من المستطاع استخدامها فى شراء السلع الرخيصة. وحلت بذلك محل العملات الصغيرة «الفكة»، وبذلك سهل التخلص من النقود النحاسية، تلك التى كانت أكثر من غيرها عرضة للتلف، والتى كانت تبعث برائحة غير

مستحبة، والتى كانت من جهة أخرى قد ساءت سمعتها أوقلت الثقة بها بسبب الكميات الهائلة منها، التى فاقت كل حد متصور، والتى طرحت للتداول - كما كانت تسبب الكثير من الضيق والارتباك بفعل حجمها، والتى تطلبت بسبب ذلك نفسه القيام بعمليات اصدار أكبر ضخامة (وتكلفة) مما كان يعود بذلك على الحكومة بنفع اقل. ولقد انقضى بل أوقف كلية اصدار النقود النحاسية، وأصبحت كلمة الفلوس ، وهى التى كانت تعنى منذ البداية، وبصفة خاصة، النقود المصنوعة من النحاس، تشير بعد ذلك الى العملات الفضية،وأصبحت كلمة نوعية (تدل على النوع) تقابل اللفظ الفرنسى: نقود أو فضة monnciae ou argent[٣٧].

أما العملات النحاسية التى صنعت اما فى عهد المؤيد كانت تستخدم بمثابة نقود معاونة أى متممة للدراهم التى زاد عيارها، وأما فى عهود أخرى كانت تواجه ندرة العملات الفضية فقد اتخذت اسم جديد[٣٨] أى ما صنع حديثا أو النقود التى صنعت مؤخرا.

وباختصار، فحيث ظلت قيمة السلع الغذائية تواصل ارتفاعها، فى حين استمرت قيمة المدين تواصل انخفاضها، لدرجة لم يعد الأمر يستوجب معها اللجوء الى النقود الأدنى قيمة، فقد توقف صنع الأجداد منذ وقت طويل، وأن كان فقراء الناس لا يزالون يستخدمون فى معاملاتهم أما هذه الأجداد نفسها بأنواعها المختلفة، وأما قطع من النحاس غير مسكوكة ضربت بشكل خشن، يحصلون عليها من عند تجار النحاس لكى يستطيعوا شراء السلع ضئيلة القيمة مثل البرسيم (علف الحيوانات) وبالنسبة للكميات التى يقل ثمنها عن المدينى الواحد أو البارة، وكانت تلتزم عشرة من هذه القطع لكى تساوى مدينى واحدا، بحيث يمكننا تمثلها على النحو الذى كانت عليه الدراهم deniers عندنا.

## رابعا: المسكوكات أو العملات التذكارية

لم يعرف الشرق مطلقا، أو على الأقل ، لم تستقر فيه: على شكل نظام متبع، كما هو الحال عند الأوربيين، عادة سك العملات التذكارية المختلفة، التى يكون القصد من اصدارها اما تكريس أو تخليد لذكرى احداث بارزة تمت فى عهد من العهود بواسطة استخدام الرموز أو نقش التواريخ أو النقوش.

ومع ذلك فقد جرت هناك عادة أو تقليد بالغ القدم لا يزال متبعا أيامنا هذه، وهو تقليد يقضى بأن تسك فى فترات بعينها احتفالا باستهلال أو غرة الأعوام (الهجرية) أو لتقديمها كعطايا أو اكراميات، نقود ذهبية لم تختلف عادة عن النقود الأخرى الا فى أن سطحها أكبر اتساعا بكثير، والا فى أن الحفار كان يعطى لكتابتها فى بعض الأحيان قدرا أكبر من الأناقة ومن «التحسين» مع بذخ فى زخرفات الاطار، أو كان فى بعض الأحيان بخط اطارين مركزيين من الحبيبات، أحدهما يدور باستدارة القطعة النقدية والآخر فوق حافتها، أو كان يضع بين هذيه الاطارين، زخرفا على هيئة عقد من الورود أو على هيئة ضفائر أو كتابات مضفرة أو ضرورب أخرى من الزينة، وان كانت النقوش والعيار والوزن (لهذه العملات التذكارية) هى نفسها فى النقود الأخرى، أو كان يضاعف الوزن لكى تصنع قطعة ذات اثنين من الفندقى أو تساوى اثنين من العملات الذهبية الأخرى، أو كان الوزن يزاد فقط بمقادر النصف لتساوى القطعة فى الحالة الأخير ١١/٢ فندقلى أو سكينا واحدا ونصف سكين.

ومع ذلك فقد كانوا يغيرون فى بعض الأحيان من النقوش، ويسهبون فى بيان القاب الحاكم اما لتمييز هذه القطع عن العملات الاعتيادية واما لامتداح الأمير.

وبرغم أن قطع النقد الترفيهية (قطع الزينة) هذه أقرب كثيرا شبها بالعملات منها بالمسكوكات، فقد كانت محدودة بالتداول، وكان يحتفظ بها مثلما نحن بقطع الائتمان أو قطع الزواج أو الاحتفالات وكانت تحمل بمثابة زينة أو تعطى فى شكل اكراميات، وفى بعض الأحيان كانت تباع الى اليهود الذين كانوا يقومون باعادة صهرها.

تقليد كهذا كان موجودا عند الفرس، فقد كانت تصنع فى فارس تبعا لرواية شردان[٣٩] Chardin قطع نقدية لم يكن لها نفس الرواج الذى للعملات وانما كانت توزع عند حلول رأس السنة.

أما العملات الذهبية المستخدمة فى القسطنطينية والتى نشرها المسيو بونفيل Bonn-ville، فلم تكن هى على وجه الدقة هى النقود المتداولة، وانما كانت نقودا استهلاليه أو تذكارية أى نقود صدرت لمناسبة بعينها، وكانت القطع الأولى من نوع الفندقى، أما الثانية فكانت من نوع الزرمحبوب.

ويذكرالمقريزى فى خططة عند وصفه لاحتفالات رأس السنة أن الخليفة كان يعطى عند انتهاء العام أمرا بأن تصنع فى دار سك النقود، فى التاريخ نفسه المحدد لسك نقود السنة الجديدة، عدد محدد من الدنانير ومن الربعيات[٤٠] والقراريط والدراهم المستديرة، وكان يبعث بها كاستبشار الى الوزير والى أقاربه والى كل العسكر من حملة السيف أو حملة القلم (الجنود والكتبة)، كما كانت ترسل قطع الدنانير وحدها هدايا الى الضباط وأصحاب الرواتب فى عيد الفطر[٤١] الذى يستغرق ثلاثة أيام، والذى ينهى شهر رمضان الذى يشكل عند المسلمين وعلى نحو ما يمثله الصوم الكبير عندنا.

ويورد المقريزى فى فقرة أخرى أنه كانت تضرب فى زمن الفاطميين[٤٢] فى دار سك النقود القديمة، وهى أول دار انشئت فى مصر، الدنانير أو بالأحرى الخردبات الخاصة بغزة العام (الهجرى) أو بخميس العدس، وهو الخميس المقدس عند الأقباط، وقد أطلق عليه هذا الاسم لأن الأقباط يطبخون فيه العدس، كما كان هذا اليوم، فى زمن المقريزى كذلك، يوافق الاحتفال بأحد الموالد ذائعة الصيت فى القاهرة، وكل ولايات مصر، وكان المقريزى يسميه ايضا خميس العهد.

ولا يتعلق الأمر، فى الفقرة الأولى التى اقتبسناها للتو من المقريزى، بالقيراط وانما بالربعية فقط وكذلك بالدراهم المستديرة التى تشير اليها باسم مقشقلة، وهى صفة كان المسيو دى ساسى يجهل ماتعنيه، كذلك فان المقريزى عند حديثه عن قطع الاستبشار أو القطع الاستهلالية التى تسك بمناسبة بدء العام الهجرى لم يعد يشير الى الدراهم المستديرة وانما إلى القراريط، وفى مكان آخر، الى الخردبة. ويستنتج دى ساسى أن الدراهم موضوع الحديث هى نفسها ما عاد المؤلف يسميها بعد ذلك بالقراريط و يبدو لنا أن الأكثر احتمالا من ذلك هو أن القيراط والخردبة كانا يشيرا الى قطعة نقد ذهبية واحدة، وكان المثقال، وهو نفسه وزن الدينار، ينقسم الى أربعة وعشرين قيراطا، ومن المعروف ان القيراط يساوى وزن الخردبة أو حبة الخروب. وبلا جدال فإن هناك بترا قد تم فى الجزء الأول من نص المقريزى، اذ كان ينبغى عليه أن يذكر القراريط بعد ذكره للربعيات . أما عند حديثه عن الاكراميات التى كانت تقدم الى الوزير والى أقاربه والى عسكر السيف وعسكر القلم فان الحديث هنا لم يعد يتصل الا بالنقود الذهبية.

والقيراط هو أصغر قطعه من العملات المصنوعة من هذا المعدن.

وسوف يتحدث عنه مؤلفنا بعد ذلك تحت اسم خردبة. وأخيرا فإن الدراهم المستديرة كانت عملات فضية، ولم تكن توزع الا على رجال أو أتباع الوزير ورجال كبار الشخصيات المهمة وعمال سك النقود.

أما فى خميس العهد فلم تكن تضرب الا الخردبة، ويتراوح عدد هذا الاصدار النقدى بين ١٠ آلاف وعشرين ألفا من هذه المسكوكات، ويستخدم فى ذلك من ٥٠٠ الى الف دينار، والى جانب أن وزن الدينار يمكن بسبب تآكل النقود بفعل الاستعمال أو بسبب غش فى وزن النقود الذهبية، أن يكون أدنى من مثقال واحد، أى أقل من ٢٤ قيراطا، فقد كانت الدنانير الزائدة تستخدم فى سداد فروق الوزن وفى الانفاقات اللازمة لسك هذه النقود، وكمنح للعاملين فى الضربخانة.

ونستنتج مما قلناه للتو أن قطع النقد المسماة قراريط أو خردات كانت بالغة الضآلة وذات قيمة متواضعة، اذن فقد كانت بالنسبة للنقود الذهبية ما كانه المدينى أو البارة بالنسبة للعملات الفضية.

وحتى اليوم لا يزال القوم يحتفظون بعادة سك النقود الذهبية احتفالا بغرة الأعوام، أو لكى تقدم اكراميات، أو تعطى لأشخاص متميزين كانوا يطلبونها بأنفسهم، أو كانوا يرسلون الذهب من عندهم لتحويله الى قطع نقدية والى نصفيات وربعيات، (من هذه القطع)، ولم يكن هذا كله يختلف فى شيء عن العملات المماثلة الا فى أنها ذات سطح أكبر اتساعا والا فى العناية التى يبذلها الحفار فى كتابة وحفر النقوش.

وتسمى الهدايا أو الاكراميات بخشيش(٤٣).

وفى بلاد ترزح تحت نير الاستبداد، وبصفة خاصة، فى تلك البلاد تعقد فيها السلطة للأقوى والأكثر جسارة، تكون الوسيلة الفعالة، والمعتادة للغاية، لاصطناع الأتباع هى الأعطيات والاكراميات، اذ قل أن تكون هناك حقوق مؤكدة ثابتة، أو عدالة فى التوزيع، وانما كل شيء هو منحة وعطاء، ففى هذه البلدان يعطى النزر اليسير دوما فى شكل رواتب ثابتة، ويوهب الكثير أحيانا فى شكل منح وأعطيات.

فى هذه البلاد يجهل الناس ما التحفظ، أو هذا النوع من الرصانة والحياء اللائق بشخص من يعطى بقدر ماهو جدير بشخص من يأخذ. وفى الأعياد الخاصة التى تحييها على سبيل الترفيه العالمات أى الراقصات من أهل البلاد، والموسيقيون، فإن المدعوين، اذا أخذتهم النشوة من مهارة العازفين، يقدمون لهؤلاء العوالم أعطيات فضية (نقوط) فتعلن العالمة بصوت عال اسم من أعطى وقيمة عطائه، هنا تختلط مشاعر الكبرياء بأحاسيس المكابرة، فتدفع العجرفة المهينة أحد المشايخ أو واحدا من البكوات (عندما يرى غيره قد قدم أكثر منه) أن يعطى «نقوطا» يبلغ ١٠٠ دينار الى واحد من هؤلاء «الآلاتية» المنفرين.

ولدى كبار القوم ارتال من الخدم، يتبعونهم فى كل مكان ، ولا يحصلون من سادتهم قط على مكافآت أو أجور، ويقتصر مايحصلون عليه منهم على أعطيات من الملابس وبعض قطع صغيرة من الذهب فى أعياد بعينها، وان كان هؤلاء السادة يتركون لهم الحق فى أن يدخلوا فى خدمتهم كل من يحتاج الى سيد، وقلما يكون بمقدور أحد أن يدنو من هذا السيد دون أن يوزع البخشيش على

الخدم والأتباع، وهؤلاء يطالبونك به اذا نسيت أن تقدمه اليهم، وفى بعض الأحيان يفرضونه فرضا، ومن وجهة أخرى ولا تزال ثمة عادة مماثلة فى بعض بلدان أوربا حيث ينتظرك خدم البيت، حتى الخدم فى قصر الأمير نفسه، والذين يسمون la Famiglia وأنت فى طريقك الى سيدهم ليلحوا فى طلب الـــ bouna mano والدراهم الفضية المستديرة هى المسكوكات الوحيدة التى أمكننا أن نسمع بها والتى تسك عند بداية (غرة) الأعوام. وحيث أصبح المديني، وفى الوقت الحاضر، هو العملة الفضية الوحيدة المستخدمة فى مصر، فإنه يوزع، دون تغيير شىء فى نمط صنعه على موظفى وعمال دور سك النقود عند استهلال الأعوام وفى نهاية شهر رمضان.

## خامسا : النقود الزائفة

كلما زاد الفرق بين القيمة الأسمية والقيمة الحقيقية أو الجوهرية للنقود كانت الحكومة عرضة لأن تجد من يزيفون نقودها. سواء فى الداخل (على يد رعاياها) أو فى الخارج على يد أجانب.

ولعل هذا هو السبب فى تلك المكاسب الهائلة التى كانت تحققها بالضرورة صناعة النقود النحاسية، حين أصبحت هذه النقود هى العملات الأساسية أو الوحيدة التى تتداول فى مصر، كما أن علينا أن نعزى، بالضرورة كذلك، هذه الكميات الضخمة من العملات النحاسية التى وجدت فى مصر الى تساهل مصر وسماحها بتداول نقود البلدان المجاورة فيها، وقد صنعت هذه وتلك بشكل ردىء، وقلدت على وجهيها، وبطريقة منفرة الأنماط القديمة، بل كذلك أسماء وصور الحكام المسيحيين والأمراء المسلمين.

وقد أمكن الطبقات الدنيا من عربان(٤٤) وفلاحين. وهى اليوم كما كانت بالأمس بالغة الجهالة، أن تدخل الى أعماق البلاد نقودا متنوعة، دون أن يدرك هؤلاء ما أن كانت هذه النقود زائفة أو أجنبية، ولقد قابلنا فى مصر، مثالا فريدا على هذه الجهالة، فحين وصل جيشنا كان الفلاحون المساكين لايحسنون التفرقة بين العملات وبين القطع المعدنية حتى أنهم كانوا يترددون فى أخذ نقودنا الفرنسية لأنهم لم يكونوا معتادين على رؤية عملات نقدية بهذا السمك والوزن، وكانوا - من جهة أخرى - يتبادلون مع جنودنا، الذين كانوا دهشين بقدر ما كانوا سعداء بنجاح ما كانوا يسمونه خدعة الحرب، كل صنوف المأكولات مقابل أزرارهم النحاسية أو المصنوعة من القصدير أو من خليط منهما، شريطة أن تكون هذه مسطحة وأن تكون قد نزعت عنها الحلقات التى تستخدم فى شبكها. لقد كان الفلاحون يأخذونها على أنها نقود، لأنها كانت أقرب كثيرا الى شكل ومظهر النقود ذات العيار المنخفض ، والذين كانت لديهم عنها فكرة منقوصة، ونتج عن ذلك أن ملابس العدد الأكبر من جنودنا، عند وصولهم الى القاهرة، وجدت خالية من الأزرار.

ونستطيع أن نضيف أن التدليس فى عيار النقود يكون أكثر سهولة عند أمة أقل تنورا، ولاسيما أن فن التمحيص يكون سرا قل أن يعرف أو يمارس الا فى مجال النقود، أن فنون الصناعات متدهورة ومتخلفة لدرجة تتجاوز الحدود فى مصر، كما أن العمال، لدرجة تتجاوز الحد ايضا، عارون عن تلك القدرة على التنفيذ، وعارون من المعارف والمهارة، ويتعرضون لوشايات ورقابة شرطة قاسية،

جهمة وصارمة، لدرجة لايمكن معها قط أن ينشأ أو يستقر هناك، وبقدر كبير بعض الشيء، صنع نقود زائفة ، وقد استطاع بعض العمال، في عهود مختلفة، أن يصنعوا بعض عملات مزيفة عن طريق وسائل سهلة قليلة التعقيد لاتتطلب سوى الصبر ومهارة اليد، ولعل الأمر كان يتم بالمطرقة وقوالب السك، وأن يكن الأمر الأقرب الى الترجيح هو أن يكون ادخال النقود المزيفة الى مصر ناتجا عن منافسة وموجدة وجشع الأمم أو الشعوب الصغيرة المجاورة. كذلك، فكل شيء يدفع على الاعتقاد بأن الذين كانوا يستولون على السلطة في عهود الفوضى أو الاستبداد، كانوا يدفعون بأنفسهم، في بعض الأحيان، والى درجة بعيدة الى مساوىء المضاربة بالنقود لحد جعلتهم يصنعون نقودا زائفة.

ويذكر المقريزى أن عبيد الله بن زياد (٤٥)، كان أول من حور في شكل الدرهم، فأمر بضرب دراهم زائفة، وذلك عندما هرب من البصرة في العام ٦٤ من الهجرة (٦٨٤ من التقويم المسيحى)، وتضاعفت أعداد الدراهم الرديئة وانتشرت في كل الولايات في عهد الأسر الفارسية من آل بويه وفي عهد السلاجقة.

ويورد المسيو تيخسين Tychsen أمثلة لعملات عربية من النحاس تحمل على حافتها: «هذا الدينار - أو هذا الدرهم - ضرب في .. الخ» وحيث كانت الدنانير عملات ذهبية والدراهم قطع نقود فضية، فيبدو بوضوح أن كانت هذه نقودا مزيفة قد طليت بالذهب عند اصدارها، اللهم الا اذا كان (أولو الأمر)، كي يتجنبوا أى انفاق في صنع قوالب جديدة، كانوا يستخدمون في سك هذه النقود النحاسية، تلك القوالب التى كانت تستخدم في ضرب الدنانير.

وهناك من يرتاب في أمر المماليك عندما استولوا على صناعة النقود بالقاهرة ويتهمهم بأنهم في فترات القحط أو الأزمات كانوا «يلعبون» في أوزان النقود وبأنهم بصفة خاصة كانوا يأمرون بسك عملات ذهبية زائفة. وقد رأينا في القاهرة كثيرا من قطع الفندقلى يمكنها أن تعد زائفة. تحمل على الوجه أ تأشيرة السلطان عبد الحميد بن أحمد وعلى الوجه ب : سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٤ من تقويمنا)، وهى السنة التى تولى فيها هذا السلطان مقاليد الأمور، وفي أعلى القطعة نجد الرقم ٩ الدال على هذه القطعة قد صنعت في العام ١١٨٩ هـ (١٧٧٥م) وهو التاريخ الذى يوافق الوقت الذى يستعد فيه المملوك محمد بك، المسمى أبا الدهب، بسبب بذخه، وبعد أن أعقب على بك، سيده الذى خانه وسعى لهلاكه، لأن ينقل الحرب الى سوريا ضد الشيخ ظاهر العمر، الحليف القديم لعلى بك، ومع ذلك، فقد لاتبرهن هذه الأرقام التى تحملها قطع الفندقي هذه على أنها قد صنعت بشكل محدد في الفترة التى تشير اليها، اذ من المحتمل كثيرا، حين يتصل الأمر بنقود مزيفة، أن يكون التاريخ (المدون عليها) نفسه غير صحيح.

وقد وجدنا بين قطع المدينى التى تتداولها التجارة، بعضا منها من النحاس الأصفر تم جلوها أو تبيضها.

## سادسا : النقود الحسابية

نطلق اسم نقود حسابية على وحدات النقد الاعتبارية، التى تستخدم فى حساب القيم المختلفة وفى تقديرها، وذلك تمييزا لها عن النقود الحقيقية، كما هو الحال بالنسبة لجنيهنا التورى الذى نتخذه اليوم عملة حسابية، اذ نعبر عن المبالغ الاجمالية بهذا الجنيه برغم أن هذا الجنيه لم يعد اليوم قط عملة حقيقية.

وقد رأينا المصريين فى البداية يقدرون حساباتهم على أساس الدنانير، ثم بالدراهم، وكذلك بالفلوس أو العملات النحاسية، وهم اليوم يقدرونها على أساس المدينى، بيد أن الضرائب ظلت تقدر منذ ماض بعيد بعض الشيء على أساس عملة اعتبارية تسمى بوطاقة، بعد أن كانت الضرائب تتم فى الأصل بالدينار، ثم بعد ذلك بالعملة الذهبية التى حلت محل الدينار، يبدو أنه قد بدأ يقبل سدادها بواسطة هذه النقود الذهبية، وقد أصبحت بالغة الندرة لحد لايمكن معه تسديد الضرائب عن طريقتها ، والى جانبها عملات القروش والتالرى أو الريال، التى كانت وفرة فى مجال التجارة، والتى اصبحت لها على وجه التقريب القيمة نفسها التى كانت العملات الذهبية، وذلك فى مجال التداول النقدى على النحو الذى يمكن أن تكون عليه الدراهم والفلوس وقطع المدينى.

أما البوطاقة ، هذه العملة الاعتبارية فقد قدرت عند مجيء الفرنسيين الى مصر بـــ٩٠ مدينى، وهو السعر نفسه الذى ثبت عليه على بك فى نحو العام ١٧٧٣ من تقويمنا قيمة التالار،وعندئذ كانت البوطاقة سواء باعتبارها عملة حسابية تقدر وتجبى على أساسها الضرائب أو باعتبارها عملة حقيقية متداولة أو التالر - كانا كلاهما معا ولبعض الوقت يقدران بـــ٩٠ مدينى، ومع ذلك فعلى حين ظلت البوطاقة فى مجال الضرائب تساوى ٩٠ مدينى، أخذت قيمة التالر (أو البوطاقة النقدية) تمضى فى ارتفاعها بسب تدهور المدينى حتى أصبحت تساوى عند مجيئنا ما يبلغ ١٥٠ مدينى، وحيث كان الزرمحبوب فى هذه الفترة نفسها يساوى ١٨٠ مدينى، فقد كانت القطعة الواحدة من أنصافه تساوى ٩٠ مدينى أى بوطاقة كاملة كعملة حسابية.

واذا عدنا إلى الزمن الذى تقرر فيه تقدير الضريبة بالبوطاقات فسوف نجد أن هذه العملة الحسابية، أو تلك التى حلت هى محلها، كانت تعادل أقل من ٩٠ مدينى. وكان الصيارفة والأقباط، أولئك الذين وكلت اليهم جباية الضرائب، والذين كانوا قرب غزو مصر على يد الفرنسيين، يحصلون فى العادم ٩٠ مدينى من كل بطاقة (حسابية) لكنهم لايقدمون حسابها للملتزم الا بواقع ٨٠ أو ٨٥ مدينى، ويحتفظون لأنفسهم بالفرق اما باعتباره ربحا تعسفيا أو باعتباره جعلا متعارفا عليه، اما اذا قام أحد الممولين مصادفة بسداد الضريبة بواسطة انصاف الزرمحبوب فإن هؤلاء الصيارفة لم يكونوا يحتسبون هذه القطع الا على أساس أنها بوطاقة (حسابية) تساوى ٨٥ مدينى، لكنهم يقدمونها فى حساب الملتزم باعتبارها مساوية لـــ٩٠ مدينى.

وحيث ظلت قطع المدينى تفقد بصفة مستمرة جزءا من قيمتها، فى حين كانت غلة الأراضى،

سواء أكانت فى شكل ضرائب أو فى شكل أتاوات أو عادات (هدايا) للملتزم، مثبتة بموجب بوطاقات حسابية، فقد كان على الحكومة والملتزمين، حتى لا يجدوا دخولهم عرضة للتناقص بشكل مستمر، أن يسلكوا أحد سبيلين، فاما أن يقدروا البوطاقة (الحسابية) بعدد أكبر من المدينى يتفق أو يعوض القدر الذى تدهورت به قيمة العملة الأخيرة، وأما أن يفرضوا ضرائب جديدة.

ويكاد يكون من المؤكد أنه لم يتم اللجوء قط الى الوسيلة الأولى، وان كان أولو الأمر جدوا فى استخدام الوسيلة الثانية، فاستحدثوا حشدا من الضرائب الاضافية انتهى بها الأمر أن تجاوزت فى مجمل حصيلتها ماتدره الضرائب المبدئية.

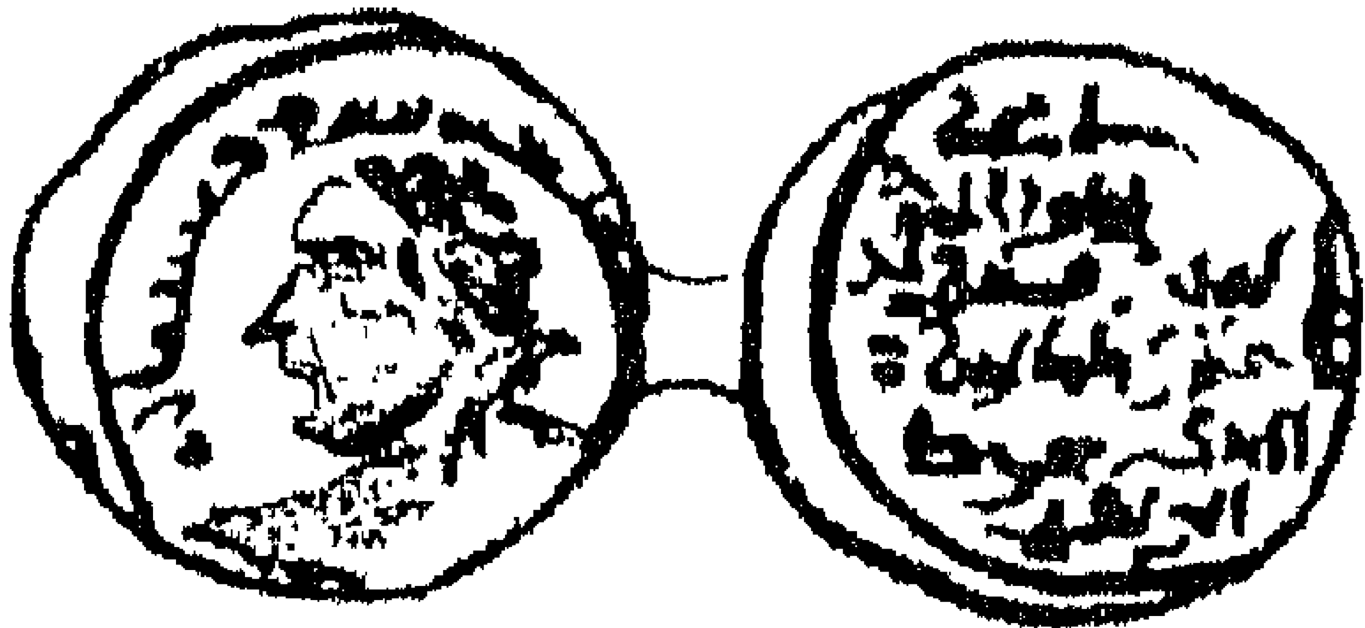
وبرغم أن هذا السلوك هو على وجه التقريب سلوك غالبية الحكومات التى ترفع من حصيلة ضرائبها بقدر احتياجات الدولة، فتقوم بفرض سنتيمات اضافية أو ضرائب متفرقة بدلا من أن تلجأ الى زيادة الضريبة العقارية أو الضريبة الأساسية بشكل مباشر، فقد كانت لحكام مصر فيما يبدو لنا مصلحة خاصة فى عدم رفع قيمة البوطاقة (الحسابية) فى نظام جباية الضرائب.

فحيث كان الميرى، وهو الضريبة العقارية التى أنشأها سليم، أو بالأحرى خليفته سليمان الأول، لكى تصب فى خزينة سلطان القسطنطينية، يجبى على أساس البوطاقات الحسابية، التى تظل قيمتها هى هى، فلم يكن يسدد للسلطان، عن هذا المال الميرى الا المبلغ نفسه من المدينى نقدا، أما كل الاستقطاعات أو الأتاوات الاضافية التى استحدثها المماليك أو الحكام، بل وكذلك الملتزمون، فكانت حصيلتها تعود عليهم وحدهم.

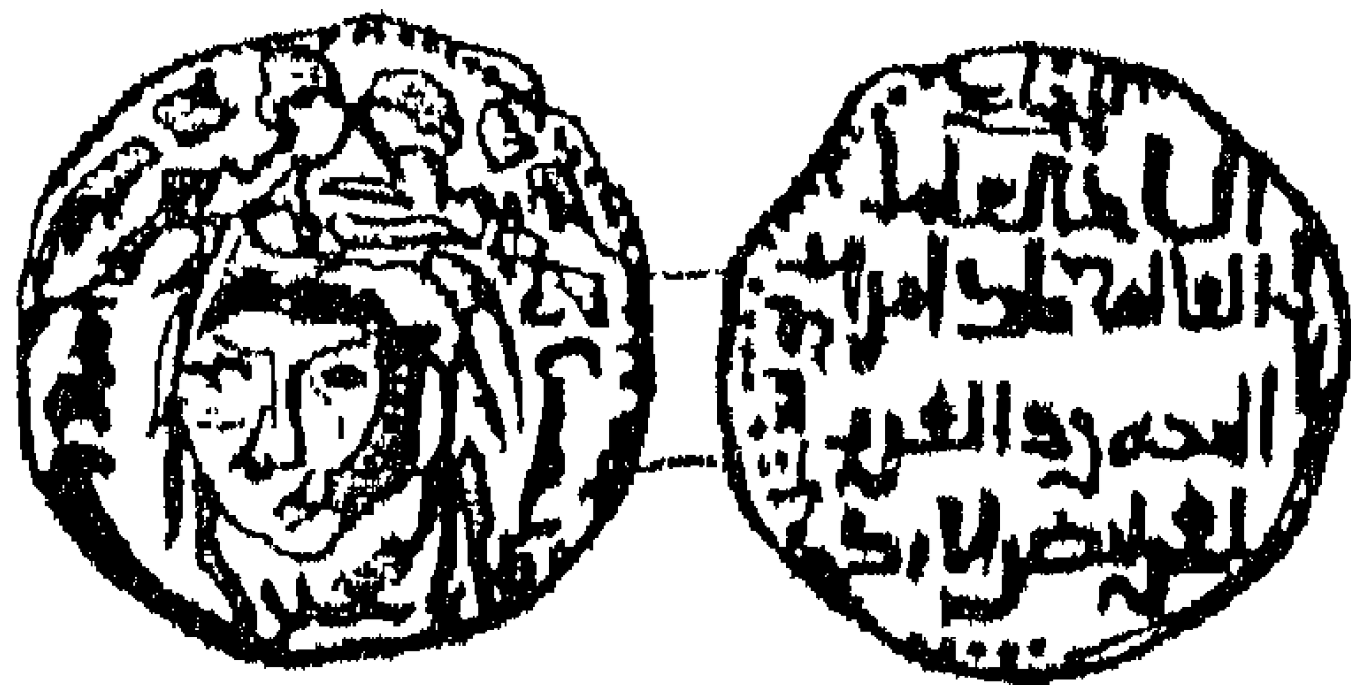
وتقدر المبالغ الكبيرة بالأكياس، وكل كيس قدره ٢٥ الف مدينى. فى حين لايقدر الكيس فى القسطنطينية الا بـــ ٢٠ أ لف بارة فقط.(*)

(*) وصف مصر. مجلد ٦ ترجمة : زهير الشايب.









* نقود متداوله من عهد الجبرتى.

## هوامش الملحق رقم [ ٣٧]

(*) هنا تصرف طفيف في الترجمة املته ضرورة النص (المترجم).

(١) تعنى هذه الكلمة: عين، النقود الذهبية وكذلك النقود الفضية.

(٢) انظر اسم وقيمة الدينار المستخدم كمثقال في دراستنا عن الأوزان العربية (الكتاب الأول من هذا المجلد).

(٣) الأردب مكيال سعة يستخدم في كيل الحبوب اساسا، ولا يزال اسمه واستعماله شائعين في مصر، والاردب كلمة مصرية.

(٤) دخل عمرو بن العاص مصر في العام التاسع عشر من الهجرة (٦٤٠ من تقويمنا).

(٥) الاسلام هو دين محمد، وهو مشتق من الكلمة العربية سلام واصلها السلام.

(٦) هي بيزنطة القديمة، تسمت باسم القسطنطينية Constan-tinople اى مدينة قسطنطين، وهو اسم امبراطور كان يحمل هذا الاسم، هو الذى جعل منها عاصمة للامبراطورية الشرقية، ويطلق عليها العرب كذلك اسم القسطنطينية أو قسطنطينية، ويشار اليها فوق العملات النقدية في بعض الأحيان بهذا الاسم، وفى أحيان اخرى باسم اسلام بول أى مدينة الاسلام، فالمقطع الأخيرا boul أوPOUL يعنى في اللغة اليونانية مدينة، ولكن النطق الشائع لها هو استامبول وهو ما أخذنا به Stamboul ، ومع ذلك، فاذا شئنا تنميق الكلمات، أو اللعب بالألفاظ أو قصدنا أسلوبا متكلفا، فبامكاننا تحريف معنى اسمها إلى مدينة اسلام، اذا ما أردنا أن نشتق المقطع الأخير من اسمها، بول، من اللغة التركية، وهذا أمر أكثر طبيعية، وهو يعنى الامتلاء أو الوفرة، بدلا من اشتقاق المقطع ذاته من كلمة بوليس POL,s اليونانية.

(٧) ارتقى هرقل العرش في العام ٦١٠ من التقويم الميلادى (العام الحادى عشر قبل الهجرة) ومات في العام ٦٤١ (وهو العام الحادى والعشرين من التقويم الهجرى)، وفى نهاية عهده انتزعت منه مصر على يد عمر (أى عمرو، الا اذا كان يقصد ان ذلك قد تم في عهد الخليفة عمر رضى الله عنه).

(٨) الفرنتى (بفتحة على كل من الألف واللام)، وان كانت كلمة Francs اليوم في مصر الفرنجى (بالجيم غير المعطشة) [والترجمة بتصرف يتفق مع مقتضيات النص العربي].

(٩، ١٠) تكتفى النساء الفقيرات بنوع من المسبحة أو الشريط المزخرف يعقد اسفل العمامة، تعلق به قطع المدينى، وتسمى عمامة المرأة بالعربية طربوش، وهى كلمة يحتمل أنها جاءت من الكلمة العربية طرة (بشدة على الراء المفتوحة) وتعنى خصلة أو ناصية، ثم من الفارسية بوش وتعنى ملبس، أى أن الطربوش هو العمامة التى تغطى قمة الرأس.

(١١) تعنى كلمة حريم في العربية المكان المحرم، أى الممنوع، والأصل حرام أى منه.

(١٢) السريات: مفردها سرية أى الجارية وغالباً ما تكون بيضاء يقتنى منهم الرجال ما يشاء (ما ملكت ايمانهم).

(١٣) تعنى كلمة الأمير في العربية الوالى أو الحاكم.

(١٤) واسمه بالكامل أبو الحسن جوهر الخطيب الصقلى.

(١٥) وهى الكنية التى كنى بها الخليفة أبو تميم معد.

(١٦) وقد بدأ عهده في العام ٨٠١ من الهجرة (١٣٩٩ من التقويم المسيحى).

(١٧) بالعربية فندقى (بندقى) وفيما مضى كانت عملات البندقية الذهبية Sejuins ، ولا يزال الأمر كذلك حتى اليوم، تسمى بندوقى أو بندقى، وهى كلمة وافدة من اللغة الأجنبية، أما كلمة فندقلى، فهى كلمة محرفة عن الكلمة التركية وندیكلى (فنديقلى) بمعنى فندقى (نسبة الى البندقية)، ويشار اليوم الى البندقية في مصر باسم بندق.

(١٨) أو بالأحرى شكل وعيار السكين Seeguin البندقى.

(١٩) تقترب الكلمتان zecchino, Seguin كثيرا من الكلمتين العربيتين سكة (بكسرة فشدة مفتوحة) وسكة (بفتحة أولا) من الأصل سك (أى ضرب النقود) وتعنى الكلمة الثانية مسمار أما الأولى فتعنى «الكليشية» التى تضرب أو تدمغ به النقود وأن يشار بها كذلك الى عملية الدمغ أو السك ذاتها.

(٢٠) ومعناها ذهب (أو الذهب) المحبوب، من الكلمة الفارسية زر ومعناها الذهب (وليس كما تقول بعض الاشتقاقات من زهر وتصغيرها زهير ومعناها الورود (ثم من كلمة محبوب بالعربية ومعناها العزيز أو المعشوق).

(٢١) ولد صلاح الدين في العام ٥٣٢ من الهجرة (١١٣٨م) وتوفى في العام ٥٨٩ هـ (١١٩٣م).

(٢٢) وكان يكنى بالبندقدارى.

(٢٣) كلمة مجوس تعنى: عبدة النار.

(٢٤) المقصود بالقاع هناك الجزء غير البارز من السطح (أى الأرضية) في حين أن النقوش والصورة أو الطغراء الخ هى الجزء البارز.

(٢٥) وبشكل خاص الأبخرة التى تحتوى على الهيدرو سلفور أو حمض الهيدروسلفور.

(٢٦) مدينة في الجودية بناها هيرودوس أجريبا على شرف تيبيروس [أما تيبيروس فهو ثانى أباطرة الرومان وهو ابن ليفى وابن أغسطس بالتبنى، وكان حاكما حذرا

ومستنيرا، ولكن طبيعته الشكاكة جعلته يرتكب أبشع ضروب القسوة. وقد ولد في العام ٤٢ ق.م ومات في العام ٣٧ بعد الميلاد - المترجم).

(٢٧) اذا كانت المغرب تعني الغروب فإن كلمة اليمن بدورها قد اشتقت من اليمين.

(٢٨) بدأ هذا الأمير يحكم دمشق عندما انتقل الملك إلى مصر، ويطلق على الهدايا التي تقدم في الأول من العام اسم هدايا نوروزيـة نسبة الى نوروز، وهو اسم يعني بالفارسية اليوم الجديد أو أول أيام السنة، ويبدو أن النعت المصاحب للدراهم «دراهم نوروزي» قد اشتق من هذا المعنى، فاذا صح ذلك فاننا نكون بصدد دراهم (أو عملات) تذكارية.

(٢٩) كلمة تالر أو تالرى Thalari مشتقة من الالمانية jei-sxhsthaler والتي أخذنا عنها كلمة رسدال risdale ، أو بمعنى آخر كلمة تالر Thaler التي أضيفت في اللغة الأفرنكية المقطع الايطالي (وهو المد بالكسرة) وتشير هذه الكلمة في بعض بلدان المانيا وبخاصة في سكسونيا وهانوفر وبروسيا الى النقد الحسابي، وتماثل كلمة أو ريال عندنا.

(٣٠) ويحذف الألف أحيانا لأنها أخذت على أنها أداة، ولفظت الكلمة بوطاقةPiutague أو بطاقة Patague مع تحويل البـاء الثقيلة P في بعض الأحيان الى باء خفيفةB كما نحدث مع كلمة باشا pacha و Bacha .

(٣١) لكي ندرك ما أدى اليه اهذا التشابه الغريب لابد أن نعرف أن نوافذ البيوت في مصر مزودة بنوع من القضبان (أو المشربيات) على هيئة شبكة مكونة من أجزاء بالغة الضآلة من الخشب المستدير، فجمع بعضه الى بعض مما يشكل أشكالا متنوعة منها، لها صلة برسوم الدانتيل أو بالأوراق المثقوبة أربعة ثقوب مسننة عندنا.

(٣٢) تعني كلمة Bey أوBeyk بالتركية السيد أو الشريف.

(٣٣) يظن المسيو دى ساسي أن هذه الكلمة قد جاءت من الألمانية ومعناها (اسم أحد أجرام الوزن)، وتحمل بقطع قطع النقد الألمانية على سبيل الاختصار اسم Groschen بحروف كبيرة.

(٣٤) Voyage en Syrie Et En Egypte, tom Ler, Chap 8 Précis de Lhistoire dali bek, pag 110, note Iére, édit de 1787.

(٣٥) في التركية بالباءP ، وفي العربية بالباءB .

(٣٦) تتكون هذه الكلمة من كلمتين فارسيتين: استا (أو اسطى) بمعنى مدبر أو مدير، ودار ومعناها قصر وهي ه تماثل عندنا كلمة majordome مدير القصر أو المتصرف في شئونه.

(٣٧) يقول المصريون: هات فلوس، مقابل قولنا donne de Largent أو donne de Ia monnaie اذا كان الأمر يتصل بعملات ذهبية أو بالقروش (الريالات) ويقولون كثير فلوس مقابل قولنا Beaucoip da Largent .

(٣٨) ويفضلونها في القاهرة جديد بدون تعطيش للجيم. وتلفظ في بلاد أخرى مع تعطيش الجيم. وقد استقر رأينا عند نشر وصف مصر على أن نقدم الجيم العربية سواء كان يعقبها حرف الـe أو الـ i وهما حالتان تلفظ فيهما الـg مثل الـj] كما تلفظ اذا أعقبتها أي حروف متحركة أخرى [أي على كتابة الجيم المعطشة بالطريقة نفسها التي يكتبون بها الجيم غير المعطشة ].

(م٦ — وصف مصر).

(39) Voyage de Chardin en Perse, tom IV P. 279, edit 1711.

(٤٠) أى أرباع الدنانير.

(٤١) في الأصل: عيد الأضحى.

(٤٢) الفاطمية أو الفاطميون، نسبة الى فاطمة ابنة النبي وزوجة علي، والتي يدعي هؤلاء أنهم من نسلها، وقد استقروا في بدايتهم في افريقيا ثم استولوا بعد ذلك على مصر.

(٤٣) وهي كلمة فارسية تعني هبة أو هدية ، وهي مشتقة من الفعل بخشيدن بمعنى يعطي أو يهب.

(٤٤) نقصد بالعربان أولئك المقيمين منهم على تخوم مصر وأولئك المستقرين فيها.

(٤٥) كان ابن زياد حاكما على البصرة من قبل الخليفة معاوية بن يزيد.

## ملحق رقم [٣٨]
## كشاف بالوثائق الفرنسية في مكتبة جامعة القاهرة*

للدكتور أحمد عبد الرازق أحمد

لاشك فى أن الحديث عن المؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى يذكرنا بأهم الأحداث التى عاصرها هذا المؤرخ ومنها الحملة الفرنسية التى قادها بونابرت على مصر، منذ حوالى قرن ونصف من الزمان، بهدف تشييد مستعمرة تعوض الفرنسيين عن خسائر الحروب الاستعمارية الطويلة التى نشبت فى القرن الثامن عشر. ولكن ما نشر عن الحملة الفرنسية سواء بالعربية أو باللغات الأجنبية قد أغفل تماما الاطلاع على مجموعة هامة من الوثائق الفرنسية المتعلقة بهذه الحملة والتى استطاعت مكتبة جامعة القاهرة التوصل الى شرائها منذ زمن طويل، لتبقى حتى اليوم حبيسة الأدراج والأضابير فى انتظار من يعمل على نشرها والتعريف بها.

لذلك فقد رأينا أن ننتهز فرصة احياء الذكرى المائة والخمسين لوفاة المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى لنقوم بالتعريف بهذه الوثائق الهامة، عن طريق اعداد كشاف لها ليكون عونا للمهتمين بهذا الفرع من الدراسات التاريخية، نظرا لأهمية هذه المجموعة من الوثائق لما جاء فيها من مادة تاريخية أصيلة.

### وقد قسمنا هذه الوثائق الى تسع مجموعات رئيسية على النحو التالى:

١ - مجموعة من الوثائق تحمل توقيع بونابرت، وهى تؤلف فى مجموعها ست عشرة حافظة، تحتوى كل منها على عدة وثائق ذات موضوعات متنوعة.

٢ - مجموعة خاصة بالاحداث التى وقعت بمصر عقب تولى كليبر لقيادة الحملة بعد رحيل بونابرت عن مصر فى ٢٢ أغسطس ١٧٩٩، وهى تتألف من ثلاث حافظات بها الكثير من الوثائق والمراسلات.

٣ - مجموعة من الرسائل الهامة تتعلق بمراد بك وتقع فى حافظتين، الثانية منهما تشتمل على مراسلات دون بعضها باللغة العربية.

٤ - مجموعة خاصة بالمجمع العلمى المصرى الذى أنشأه بونابرت بمصر، وهى تقع فى سبع حافظات بها العديد من المراسلات والتقارير والرسوم الأثرية.

٥ - مجموعة خاصة بكتاب وصف مصر، وتتألف من حافظتين.

٦ - مجموعة خاصة بمطبعة القاهرة، وهى تقع فى حافظة واحدة.

٧ - مجموعة هامة تتعلق بأقاليم القطر المصرى، موزعة على أربع حافظات.

٨ - مجموعة من المخطوطات، ذات المواضيع المتنوعة عن الحملة الفرنسية فى مصر، تقع فى سبع حوافظ.

٩ - مجموعة أخيرة تتألف من خمس حوافظ تحتوى على بعض المطبوعات.

وسنحاول فى الصفحات التالية اعطاء أرقام هذه الحوافظ والتعريف بمحتويات كل منها حسب أهميتها التاريخية.

* انظر: عبد الرحمن الجبرتى. دراسات وبحوث. ص ٥٩٧ إلى ٦٢٠. الهيئة العامة للكتاب. القاهرة ١٩٧٦.

## المجموعة الأولى

### حافظة رقم( ٣)

وهى تحتوى على وثيقة واحدة مؤرخة فى الاسكندرية فى ١٨ مسيدورمن السنة السادسة (٦ يوليو ١٧٩٨)، وتتضمن أمرا من القائد العام بونابرت بارسال أحد ضباط المدفعية من ذوى الكفاءة العالية الى الأسكندرية بهدف اقامة نقطة دفاع لحماية الاسطول الراسى بها، كما تشير أيضا الى رحيل الضابط المذكور فى مساء اليوم نفسه على احدى سفن القائد برى ( Perree).

### حافظة رقم( ٧)

وهى تحتوى أيضا على وثيقة واحدة مؤرخة فى القاهرة فى ٣٠ ترميدور من السنة السادسة (١٧ أغسطس ١٧٩٨)، وتحمل موافقة القائد العام بونابرت لسافارى (Savary) بالحصول على جوادين من محافظة بنى سويف، بدلا من الجوادين اللذين سبق له إعارتهما الى المدفعية حسب شهادة الجنرال ديزيه (Desaix).

### حافظة رقم( ١٣)

وهى تشتمل على ثلاثة خطابات مرسلة من القائد العام بونابرت الى الجنرال ديستان (Destaing)، الأول مؤرخ فى القاهرة فى ٤ بريمير من السنة السابعة (٢٥ أكتوبر ١٧٩٨) أى عقب ثورة القاهرة التى راح ضحيتها الجنرال ديبوى ( Dupuy) فى ٢١ أكتوبر ١٧٩٨، ويتضمن أمرا من القائد العام بونابرت إلى ديستان ( Destaing) بالقبض على أحد الشيوخ الذى صاح من مئذنة أحد المساجد «النصر للثوار»، ورغبة القائد العام فى معرفة اسم هذا الشيخ.

والثانى مؤرخ فى ٥ بريمير من نفس السنة (٢٦ أكتوبر ١٧٩٨)، ويحتوى على أمر القائد العام بونابرت الى ديستان بالمناداة فى شوارع المدينة بأنه أصبح محرما على الجنود الفرنسيين دخول منازل الأهالى، وأن أى جندى يضبط فى حالة تلبس سوف يعدم رميا بالرصاص، وذلك بعد أن كثر نهب الجنود لمنازل الأهالى.

أما الخطاب الثالث فهو مؤرخ فى ١٠ بريمير من السنة السابعة (٣١ أكتوبر ١٧٩٨) يطلب فيه بونابرت من الجنرال ديستان أن يبعث اليه بالتقرير الخاص باستجواب مصطفى بك.

### حافظة رقم( ١٤)

وهى تشتمل على وثيقة واحدة عبارة عن خطاب مؤرخ فى القاهرة فى ١٠ بريمير من السنة السابعة (٣١ أكتوبر ١٧٩٨)، ومرسل من مصطفى أمير الحج الى القائد العام بونابرت يستأذن فى الافراج عن النساء اللاتى قبض عليهن فى منزل اسماعيل الشنفانى، الذى سبق أن أدين فى أحداث القاهرة الأخيرة والذى نجح فى الفرار

من السجن، ويشير الى موافقة القائد العام بونابرت على الافراج عن تلك النسوة بشرط التحفظ عليهن عند مصطفى بك.

## حافظة رقم( ١٧)

وهى تحتوى على ثلاثة خطابات تحمل توقيع القائد العام بونابرت، الأول منها لا يحمل مكان ولا تاريخ تصديره ، وهو مرسل من الضابط اليونانى المدعو جون نازو ( Guane Nazo ) يطلب فيها من القائد العام بونابرت الموافقة على رفع قوة فرقته الى مائتى جندى بدلا من مائة، ويشير الى وجود ما يقرب من خمسمائة يونانى بالقاهرة على استعداد للاشتراك كمتطوعين فى هذه الفرقة. بيد أن القائد العام وافق على زيادة قوة هذه الفرقة الى مائة وخمسين جنديا فقط.

والخطاب الثانى مؤرخ فى المنصورة فى ٥ بليفوز من السنة السابعة (٢٤ يناير ١٧٩٩)، ومرسل من الجنرال فردييه ( Verdier ) الى القائد العام بونابرت يتساءل فيه عن مصير أحد المماليك وبعض الأفراد الذين بحوزته، بعد أن أصدر اليه الجنرال كليبر أمرا بالرحيل الى دمياط والذين قام بارسالهم الى القاهرة برفقة السرجنت بونيه. ويتضمن قرار القائد العام بونابرت باعدام المملوك رميا بالرصاص.

أما الخطاب الثالث فمؤرخ فى الأول من مسيدور من السنة السابعة (١٩ يونيو ١٧٩٩)، ومرسل من بوسليج ( Pousslelgue ) مدير الشئون المالية، الى القائد العام بونابرت بشأن اعتداء بعض القوات الفرنسية على ممتلكات الاهالى ونهبهم للاحجار والاخشاب المشيدة بها، وذلك لحاجة الجيش الى هذه المواد، كما يتضمن أمرا من القائد العام بونابرت الى الجنرال سامسون (Samson ) باعداد تقرير شامل عن هذا الموضوع، ويفهم أيضا من ملحوظة جاءت فى نهاية الرسالة بأن التقرير المطلوب قد تم اعداده بالفعل.

## حافظة رقم( ١٩)

وهى تحتوى على ثلاثة خطابات بشأن ثوار مدينة القاهرة، الأول مؤرخ فى القاهرة فى ١٧ بريمير من السنة السابعة (٧ نوفمبر ١٧٩٨). ومرسل من القائد العام بونابرت الى الجنرال ديستان يأمره فيه باطلاق سراح الاغا حسن كمشيش.

والخطاب الثانى مؤرخ فى القاهرة فى ١٨ بريمير من السنة السابعة (٨ نوفمبر ١٧٩٨)، ومرسل من الجنرال ديستان، بشأن مصير تسعة من الأفراد قبض عليهم فى قضية شيخ أحد المساجد الذى سبق له أن نادى من مئذنة مسجده «النصر للثوار»، وأمر القائد العام بونابرت الى الجنرال ديستان بنقلهم مؤقتا الى القلعة لحجزهم هناك.

أما الخطاب الثالث فى ٢٤ بريمير من السنة السابعة (١٤ نوفمبر ١٧٩٨)، وموجه من القائد العام بونابرت الى الجنرال ديستان، يأمره فيه

بالقبض على البحارة أو على شخص من الاسطول يثبت أنه لا ينتمى الى احدى الفرق، كما يطلب فيه الغاء النقطة المعروفة باسم «العشرون دراجون» بالقرب من العزب، وكذلك نقطة السوارى بالفسطاط (مصر القديمة).

## حافظة رقم( ٢٠)

وتحتوى على رسالتين تحملان توقيع القائد العام بونابرت ، الأولى مؤرخة فى القاهرة فى ٥ فريمير من السنة السابعة (٢٥ نوفمبر ١٧٩٨)، وموجهة من القائد العام الى قائد الجيش الجنرال برتييه (Berthier) لتشكيل أحد المجالس العسكرية لمحاكمة المواطن دو ( Dau) الذى سبق له أن اتخذ أحد الجنود لخدمته وحكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر يوما.

أما الرسالة الثانية فهى مؤرخة فى ١٩ نيفوز من السنة السابعة (٨ يناير ١٧٩٩)، وموجهة أيضا من القائد العام بونابرت الى الجنرال برتييه، يأمره فيها بقطع رقبة المدعو شوربى [الشواربى] بعد أن ثبتت خيانته للجيش الفرنسى بعد أن أقسم يمين الطاعة، كما يأمره فيه بمصادرة أملاكه لحساب الجمهورية الفرنسية.

## حافظة رقم( ٢٣)

وهى تحتوى على تقرير مؤرخ فى ٢٣ فريمير من السنة السابعة (١٣ ديسمبر ١٧٩٨)، مرسل الى الجنرال ديستان بشأن استجواب المدعو رستم أغا الذى كان يعمل فى خدمة مراد بك الصغير ثم انتقل الى خدمة مصطفى أغا، يفهم منه أن الأول كان موجودا بالقاهرة وقت اندلاع الثورة بها، رغم عدم حصوله على تصريح بالاقامة من القيادة الفرنسية وعلى هذا فقد أصدر القائد العام بونابرت أمرا باعدامه رميا بالرصاص وبمصادرة أملاكه.

## حافظة رقم( ٢٦)

وتشتمل أيضا على وثيقة واحدة عبارة عن خطاب مؤرخ فى القاهرة فى ١٨ نيفوز من السنة السابعة (٧ يناير ١٧٩٩)، موجه من القائد العام بونابرت الى الجنرال مينو (Menou) يطلب منه العمل على توزيع بعض التحف التى عثر عليها لدى المماليك على مساعديه الذين عاونوه فى الكشف والعثور على هذه التحف بنسبة ١ :٢٠ .

## حافظة رقم(٢٨)

وتتضمن كذلك رسالة واحدة مؤرخة فى القاهرة فى ٢٤ نيفوز من السنة السابعة (١٣ يناير ١٧٩٩)، وموجهة من القائد العام بونابرت الى الجنرال ديستان، يطلب منه فيها القبض على جميع الالبانيين الذين كانوا برفقة مراد بك والتحفظ عليهم بالقلعة وتجريدهم من أسلحتهم وخيولهم، وإعدام كل من تسول له نفسه عدم الامتثال لهذه الأوامر.

## حافظة رقم( ٣٠)

وتتضمن وثيقة واحدة عبارة عن خطاب مؤرخ فى القاهرة فى ١٦ بليفوز من السنة السابعة (٢٥

يناير ١٧٩٩)، وموجه من القائد العام بونابرت الى الجنرال ديستان، يأمره فيه باعدام كل من: حسلان ابراهيم، ويوسف، وشالى، وقادر، والسيد يكن: ستوت ومحققه، وهم جميعا من اليهود، وذلك بقطع رقبة الخمسة الأوائل، واغراق الآخرين فى النيل.

## حافظة رقم(٣٢)

وتحتوى أيضا على وثيقة واحدة فريدة فى نوعها وهى عبارة عن التماس كتب باللغة العربية، ومقدم من مشايخ علماء الديوان الى القائد العام بونابرت أمير الجيوش الكبير لاصدار فرمان بصرف مبلغ ١٣٥٠ فضة اليهم شهريا بحكم العادة، ويتضمن الالتماس أسماء ثلاثة وعشرين شيخا، ويحمل ثمانية أختام وعشرة توقيعات. أما ظهر الوثيقة فقد دون عليه ترجمة فرنسية للالتماس، وقرار القائد العام بونابرت بتحويل الالتماس الى بوسيلج مدير الشئون المالية لتنفيذ المطلوب من أموال الأراضى.

## حافظة رقم(٤١)

وبها خطابان: الأول مؤرخ فى القاهرة فى ١١ مسيدور من السنة السابعة (٢٩ يونيو ١٧٩٩)، وموجه من القائد العام الى الجنرال فوه (Veaux) يخبره فيه برفضه التصريح له بالحصول على السفينة رقم (٨) للعودة بها الى فرنسا.

أما الثانى فمؤرخ فى ٢١ مسيدور من نفس السنة (٩ يوليو ١٧٩٩)، وموجه أيضا من القائد العام بونابرت الى الجنرال فو، قائد عام السوارى بشأن طلب ارسال المحاضر الخاصة بالهجن التى تم ارسالها الى السوارى ويستعلم أيضا عن عدد الفرسان الذين يمكن الاستعانة بهم صباح الغد للرحيل الى أبى قير.

## حافظة رقم(٤٢)

وبها وثيقة واحدة عبارة عن رسالة مؤرخة فى القاهرة فى ١٣ مسيدور من السنة السابعة (١ يوليو ١٧٩٩)، وموجهة من القائد العام بونابرت الى الجنرال مارمون (Marmone) يخبره فيها برحيل الجنرال مورا (Murat) الى اقليم البحيرة بصحبة ثلاثمائة رجل من الاعراب، ويوضح له أنه سيبقى هناك فترة تتراوح ما بين الثمانية والعشرة أيام بهدف القضاء على شغب العربان، ومن أجل معاونه القائد ديستان فى اعادة الأمن الى المنطقة، ويكشف له عن عزمه على تطهير المنطقة تماما من العربان حتى مريوط.

## حافظة رقم(٤٨)

وبها وثيقة واحدة عبارة عن خطاب مؤرخ فى بركة الغطاس فى ٥ ترميدور من السنة السابعة (٢٣ يوليو ١٧٩٩)، موجه من القائد العام بونابرت الى دور (Daure) يأمره بجمع كل الابل فى مدينة الاسكندرية واحضارها لحمل الماء للجيش السائر فى صحراء أبى قير.

## حافظة رقم(٥٠)

وهى تحتوى على وثيقة واحدة مؤرخة فى القاهرة فى ٣٠ ترميدور من السنة السابعة فى

الساعة الحادية عشرة مساء (١٧ أغسطس ١٧٩٩م)، وتتضمن أمرا للقائد العام بونابرت بصرف مرتبات شهر توميدور الى الجنود، ذلك الأمر يمكننا اعتباره الأخير الذى صدر عن القائد العام الى القوات الفرنسية بالأراضى المصرية اذ من المعروف أن بونابرت قد غادر القاهرة فى طريقه الى فرنسا على ظهر الناقلة ميرون فى ٢٢ - ٢٣ أغسطس ١٧٩٩.

## المجموعة الثانية

### حافظة رقم( ٨٠)

وهى تحتوى على ثلاث مجموعات هامة من الوثائق المتعلقة ببعض الأحداث الخاصة بعصر كليبر، تحت الأرقام التالية:

٢ - وهذه المجموعة تنقسم بدورها الى قسمين:

(أ) مجموعة من الخطابات والأوامر التى أصدرها كليبر الى المفوضين الفرنسيين (القوميسيرين) من أمثال : ديزيه وبوسليج، والى الصدر الأعظم، والى السير سدنى سميث (Sydney Smith) ، فى الفترة الواقعة بين ٢٦ فريمير من السنة الثامنة ( ١٧٩٩) و ٨ بليفوز من السنة الثامنة (٢٨ يناير ١٨٠٠)، وهى تقع فى اثنتين وخمسين صحيفة ، وتشتمل على أربعة وعشرين خطابا.

(ب) مجموعة من المراسلات المتبادلة بين مفوضى الحملة الفرنسية والجنرال كليبر والصدر الأعظم والسير سدنى سميث، وفى الفترة الواقعة ما بين ٢٢ فريمير من السنة الثامنة (١٣ ديسمبر ١٧٩٩) و٥ بليفوز من نفس السنة (٢٥ يناير ١٨٠٠)، تقع فى ثلاثين صفحة ، وتؤلف فى مجموعها خمسة وعشرين خطابا على درجة كبيرة من الأهمية التاريخية.

٣ - مجموعة من الوثائق الخاصة بمعاهدة العريش، تقع فى احدى عشرة صفحة، ومعتمدة من الكوميسير دور (Daure) ، وتشتمل على اثنين وعشرين بندا تنص على انسحاب القوات الفرنسية بجميع معداتها وأسلحتها الى: الاسكندرية، ورشيد وأبى قير، تمهيدا لرحيلها نهائيا الى فرنسا على الناقلات الخاصة بها، أو على تلك التى يقدمها لها الباب العالى بقدر الكفاية وهذه الوثائق مذيلة بتصريح للجنرال كليبر الى الجيش مؤرخ فى ٨ بليفوز من السنة الثامنة (٢٨ يناير ١٨٠٠)، كتب فى معسكر الصالحية، يخبرهم فيه بشروط المعاهدة، وعن قرب عودتهم الى وطنهم الأم فرنسا فى خلال الشهور الأربعة القادمة، وعبر لهم فيه عن مدى الحرج الذى أوقعه فيه القائد العام بونابرت بتعيينه خلفا له.

٤ - خطاب مؤرخ فى ١٤ بليفوز من السنة الثامنة (٣ فبراير ١٨٠٠)، مرسل من الجنرال المساعد كامبس (Cambis) الى الجنرال ديستان ، يخبره فيه أن الجنرال رينيه (Reynier) قد كلفه بالكتابة اليه بضرورة المحافظة على التحصينات والصهاريج، وعدم احداث أى تدمير بها، إذ نصت شروط المعاهدة على ضرورة تسليمها الى

العثمانيين بنفس الحالة التى كانت عليها وقت توقيع شروط المعاهدة.

## حافظة رقم( ٨١)

وهى تحتوى على ثلاثة خطابات تحمل أرقام ٥، ٦، ٧ على التوالى، الخطاب رقم (٥) مؤرخ فى القاهرة فى ٨ نيفوز من السنة الثامنة (٢٩ ديسمبر ١٧٩٩) وموجه من كليبر الى الصدر الاعظم. يخبره فيه باستمرار المناوشات أمام العريش، ويحذره فيه بأنه فى حالة عدم الانسحاب التام للقوات، فإنه لن يكون هناك سلام ولا مفاوضات.

والخطاب رقم (٦) مؤرخ فى القاهرة فى ٢٠ فنتوز من السنة الثامنة (١١ مارس ١٨٠٠)، وهو موجه من كليبر الى الجنرال ديستان (Destaing) يشكره فيه على مسارعته بالكتابة اليه بصدد المشاكل التى يحدثها الانجليز أثناء تطبيق نصوص اتفاقية العريش، ويطمئنه بأن الأمور سوف تأخذ مجراها الطبيعى فى القريب العاجل. [من الملاحظ أن هذا الخطاب كتب قبل نقض معاهدة العريش ببضعة أيام].

أما الخطاب رقم (٧) فمؤرخ فى القاهرة فى ٢٤ فنتوز من السنة الثامنة (١٥ مارس ١٨٠٠)، وموجه من كليبر الى الجنرال ديستان، حيث يفهم منه سوء نوايا الانجليز، ويلغى فيه كليبر أمرا له سبق أن أصدره للقبض على الحاكم العثمانى الموجود برشيد، وذلك عندما عهد الى الجنرال دوماس (Damas) بالكتابة الى ديستان لتنفيذ رغبته.

## حافظة رقم( ٨٣)

وهى تحتوى على ثلاث وثائق هامة تحمل أرقام ١١، ١٢، ١٣ والوثيقة رقم (١١) عبارة عن خطاب موجه من البارون رينه ( Rene) الى الجنرال دنزلوه (DonzeLat) ، ومؤرخ فى القاهرة فى ٢٥ بريريال من السنة الثامنة (١٤ يونيو ١٨٠٠)، وكتب فى الساعة ١,٣٠ ظهرا، يخبره فيه بمقتل كليبر على أيدى أحد (الأتراك) المدعو بسليمان الحلبى الذى اخترق حديقة منزله وقت أن كان برفقة المهندس بروتان (Protain) وعاجلهما بعدة طعنات من خنجر كان يحمله ، أدت الى وفاة الأول والى جعل الثانى بين الحياة والموت، ويفيد بالقبض على الجانى الذى اعترف بجريمته، والذى يبلغ من العمر أربعة وعشرين عاماً وقد تم اعدامه وترك جثته إلى الطيور الجارحة.

والوثيقة رقم (١٢) عبارة عن خطاب مؤرخ فى القاهرة فى ٦ مسيدور من السنة الثامنة (٢٥ يونيو ١٨٠٠)، وموجه من الجنرال مينو الى الجنرال ديستان، يخبره فيه بتوليه قيادة الجيوش الفرنسية فى مصر بعد مقتل كليبر قائده، ويتعهد فيه بالقيام بواجبه خير قيام.

أما الوثيقة رقم (١٣) فهى عبارة عن تقرير مفصل أعد للحكومة الفرنسية بشأن الاحداث التى وقعت بمصر منذ ابرام معاهدة العريش حتى نهاية شهر بريريال من السنة الثامنة (يونيو ١٨٠٠)، وهو يقع فى أربع وسبعين صفحة، ويشتمل على بعض التصحيحات بخط الجنرال

دوماس، وعلى هذا فهو على درجة كبيرة من الأهمية لما جاء فيه من أحداث تاريخية.

## المجموعة الثالثة

## حافظة رقم(٧ ١ ١)

وهى تشتمل على مجموعتين من الوثائق:

١ - مجموعة تحتوى على خمس مراسلات هامة بصدد قضية مراد بك، الرسالة الأولى منها مؤرخة فى القاهرة فى ١٢ مسيدور من السنة السابعة (٣٠ يونيو ١٧٩٩)، وموجهة من بونابرت الى مورا ( Murat ) يخبره فيها بتعيينه قائدا عاما على كل من : الجنرال ديستان والجنرال مارمون (Marmont ) وذلك أثناء حملته باقليم البحيرة للقضاء على مراد بك.

والمراسلة الثانية مؤرخة فى ١٤ مسيدور من نفس السنة (٢ يوليو ١٧٩٩)، وموجهة أيضا من القائد العام بونابرت الى الجنرال مورا، يخبره فيها برحيل مراد بك من الواحات فى طريقه الى احدى قلاع مدينة الفيوم فى صحبة مائتى مملوك وثلاثمائة اعرابى، ويطلب منه سرعة القضاء عليه اذا ظهر فى أحد مواقع البحيرة، لا سيما وقد أشيع أنه مريض وجنده فى حالة يرثى لها.

والمراسلة الثالثة مؤرخة فى ١٧ مسيدور من السنة نفسها (٥ يوليو ١٧٩٩)، وموجهة أيضا من القائد العام بونابرت الى مورا، يستحثه فيها على أن يتخذ له بعض الجواسيس فى كل من : الطرانة، ووادى النطرون، وبعض المراكز الأخرى التى يحتمل مرور مراد بك بها، وذلك ليرصدوا له جميع تحركاته حتى يتمكن منه ويقضى عليه.

والمراسلة الرابعة مؤرخة فى ٢٠ مسيدور من السنة السابعة ( ٨ يوليو ١٧٩٩)، وموجهة أيضا من القائد العام بونابرت الى الجنرال مورا، يطلب منه سرعة الرحيل الى وادى النطرون، أو أن يرسل بدلا منه أحد الضباط الاكفاء، وذلك لمؤازرة الجنرال فريان ( Friant ) الذى يعسكر هناك من أجل القضاء على مراد بك.

أما المراسلة الخامسة فهى مؤرخة فى القاهرة فى ٢١ مسيدور من نفس السنة (٩ يوليو ١٧٩٩)، وموجهة من برتييه ( Berthier ) الى مورا، يخبره فيها أنه تسلم فى التو رسالة من الجنرال فريان، يخبره فيها أن مراد بك شوهد وقد اتخذ طريقه الى بحر يوسف بالفيوم.

٢ - مجموعة تضم ثلاثة خطابات : الأول مؤرخ فى ١٦ مسيدور من السنة السابعة (٤ يوليو ١٧٩٩)، وموجه من مورا الى الجنرال ديستان، يخبره فيه بالقبض على ١٨ مملوكا من بينهم سليم الكاشف، وباستيلائه على ١٥ جوادا ويستحثه على سرعة الرحيل للقضاء على الفلول الباقية منهم بالقرب من مريوط.

والخطاب الثانى مؤرخ فى ٢١ مسيدور من نفس السنة (٩ يوليو ١٧٩٩)، وموجه أيضا من مورا الى الجنرال ديستان حاكم اقليمى البحيرة والطرانة، يخبره فيه أن الجنرال بوييه ( Boyer ) قد كتب اليه يخبره بأن الجنرال فريان قد قام بمهاجمة

مراد بيك يوم ١٩ مسيدور فى الريان بالفيوم، مما اضطره الى الانسحاب الى درنه مارا بوادى النطرون وبمريوط، ويخبره بعزمه على الرحيل مساء اليوم فى الخامسة مساء ليتولى بنفسه مهمة القضاء على مراد بك يوم ١٩ مسيدور تاريخا لعودته الى الطرانة.

أما الخطاب الأخير فمؤرخ فى القاهرة فى ٢٤ مسدور من السنة السابعة (١٢ يوليو ١٧٩٩)، وموجه من مورا الى ديستان، يخبره فيه بعودته من وادى النطرون بعد أن فاجأ المماليك والبدو بضربة قاضية اضطرتهم الى الهروب غرب وادى النطرون، سعيا للحاق بمراد بك فى الصعيد.

## حافظة رقم( ٩ ١ ١)

وهى تحتوى على مجموعة كبيرة من المراسلات الهامة التى يبلغ عددها ٦٩ خطابا، مرسلة من مراد بك الى الجنرال دنزلوه مصحوب بترجمة ايطالية، والبعض الآخر بترجمة فرنسية، كما يحمل بعضها ملاحظات خاصة للجنرال دنزلوه سجلها بخط يده، وتشير المجموعة من الخطابات التى تقع فى مائة وخمس وثلاثين صفحة - على مدى الثقة المتبادلة بين كل من مراد بك والجنرال دنزلوه ، وذلك لما تفيض به هذه المراسلات من عبارات الود، وأغلبها يحمل تاريخ سنة ١٢١٥ هجرية (١٨٠٠م) وتحمل خاتم مراد بك.

## المجموعة الرابعة

## حافظة رقم( ٨٢ ١)

وهى عبارة عن مجموعة كبيرة من الملاحظات والرسوم المبدئية لبعض المعابد المصرية القديمة التى سجلها الرسام دينون (Denon) أثناء رحلته التى قام بها فى صعيد مصر بصحبة الجنرال ديزيه، فى الفترة الواقعة بين سنتى ١٧٩٨، ١٧٩٩، ومرفق بها رسالتان من ست صفحات: الأولى مؤرخة فى ١٥ فركيتدور من السنة الثامنة (٢ سبتمبر ١٨٠٠)، وموجهة من ديليل (Delile) عالم النباتات الى مارسيل ( Marcel) مدير المطبعة الاميرية بالقاهرة يسأله فيه عن بعض المنشورات.

## حافظة رقم( ٨٣ ١)

وهى تشتمل على أربع مجموعات من الوثائق الهامة:

١ - وهذه المجموعة تحتوى على خطابين من أربع صفحات، الأول موجه من روزير (Roziere) مفتش عام المناجم وعضو المجمع العلمى المصرى الى الجنرال مينو يخبره فيه بأنه بصدد تكوين مجموعة ثانية من العينات، ليحملها معه الى فرنسا وذلك لحاجته الماسة اليها فى الأبحاث التى يقوم بها ويؤكد له بأن المجموعة الأولى ستظل بالاسكندرية تحت تصرفه فى أى وقت، ورغم أن هذا الخطاب يخلو من مكان تصديره وتاريخ كتابته فمن المرجح أنه أرسل من القاهرة فى الفترة الممتدة بين سنتى ١٨٠٠،١٨٠١.

أما الخطاب الثانى فهو يخلو أيضا من مكان التصدير وتاريخ التدوين، وموجه من روزير الى آنسة مجهولة الاسم يعرض عليها فيه رغبته فى الزواج منها، وقد احتوى عبارات رقيقة عذبة، تعطينا صورة واضحة عن أساليب الغزل السائدة فى ذلك العصر.

٢ - وهذه المجموعة تؤلف فى مجموعها تسعة خطابات موجهة الى روزير من كليبر ومن شابتال (Chaptal) ومن لومون (Laumont)

ومن لوففر (Lefebvre) ومن الجنرال دوماس ومن الجنرال ديستان ومن الجنرال بليار (Bel-liard) ومن الجنرال زايونشك (Zayoncheck) ومن بيكوا (Bucguoy).

٣ - مجموعة من الخطابات التى أرسلها روزير من القاهرة إلى لامونت، تقع فى ١٣ صفحة.

٤ - بعض الملاحظات الخاصة بروزير عن المجمع العلمى المصرى، ترجع الى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى وتقع فى أربع عشرة صفحة.

## حافظة رقم( ٨٤ ١)

وهى تضم أربع وثائق هامة تحمل اسم البارون فورييه (Fourier) عالم الرياضيات الشهير الذى توفى بباريس فى ١٧ مايو ١٨٣٠.

١ - خطاب بدون تاريخ مرسل من فورييه الى إحدى الدوقات، يخبرها فيه أنه فرغ على التو من قراءة المؤلف الذى بعثت به اليه، كما يشكرها على الأزهار التى وصلته منها، والخطاب فى مجموعه مليء بعبارات الحب.

٢ - مسودة خطاب كتبت بيد فورييه على قصاصة من الورق تحمل اسم الجنرال كليبر، موجهة الى ديوان الاقاليم المصرية، ويفهم من التصحيحات الموجودة على هذه القصاصة ان كليبر قد أملى صيغة هذا الخطاب على فورييه.

وعلى الرغم من أن هذا الخطاب يخلو من تاريخ كتابته فهو على درجة عظيمة من الأهمية، اذ يوضح جانبا من العلاقات بين الفرنسيين والأهالى المصريين.

٣ - جواز سفر فورييه للعودة الى فرنسا مؤرخ مؤرخ فى ٢٨ بليفوز من السنة الثامنة (١٧ فبراير ١٨٠٠)، ويحمل توقيع الجنرال دوماس.

٤ - مجموعة من الملاحظات والمراسلات بخط فورييه عن الحملة الفرنسية بمصر، تقع فى خمس وسبعين صفحة، وملحق بها مخطوطان صغيران، يشتمل الأول على ١٢ صفحة، فى حين يتكون الثانى من ١٨ صفحة، وكلها بخط فورييه. وهى على درجة كبيرة من الأهمية العلمية بالنسبة للدراسات المصرية القديمة.

## حافظة رقم( ٨٥ ١)

وهى تتضمن أربع مجموعات من الوثائق الهامة التى تحمل اسم جيوفرى سان هيلارى (Geoffroy St. Hilaire) عالم الحيوان المعروف، الذى توفى بباريس فى ١٩ يونيو ١٨٤٤.

١ - مخطوط يتألف من تسع صفحات، يروى فيها جيوفرى رحيل الحملة الفرنسية من فرنسا واستيلائها على مالطة، ثم الهجوم على الأسكندرية.

٢ - خطاب موجه من جيوفرى الى أحد زملائه يخلو من مكان تصديره ومن التاريخ الذى كتب فيه يقع فى أربع صفحات، يشكو فيها جيوفرى الى زميله من ندرة الخطابات التى تصله من فرنسا، ويخبره أنه كان يتمنى أن يحضر له جميع ما يطلبه من نباتات وحيوانات حية، بيد أنه عقب المعركة الخاسرة التى خاضها الجنرال مينو فى كانوب فى ٣٠ فنتوز (٢١ مارس ١٨٠٠) لن يستطيع أن يحقق له هذه الرغبة. [من المرجح أنه كتب فى سنة ١٨٠١ أى فى نهاية الحملة الفرنسية، كما يفهم من نص الخطاب.].

٣ - خطاب مؤرخ فى باريس فى ٢٩ جريمينال من السنة السادسة (٨ أبريل ١٧٩٨)،

موجه من الجنرال كفاريللي (Caffarelli) الى جيوفرى، يعطيه فيه تعليماته بمناسبة رحيله الى مصر.

٤ - مجموعة أوراق متنوعة تحتوى على شهادة جنسية باسم جيوفرى مؤرخة فى ٢٠ أبريل ١٧٩٣، وتصاريح وشهادات باسم جيوفرى صادرة من جنرالات الجيش (المصرى)، جواز سفر باسم جيوفرى صادر من السلطات الفرنسية، بعض الأوراق الخاصة بجيوفرى يبلغ عددها خمس وثائق.

### حافظة رقم(١٨٦)

وتضم خطابين باسم لوجنتى (Legentil)، الأول يحمل رقم (٨) ومؤرخ فى المنصورة فى ٤ بريمير من السنة التاسعة (٢٥ أكتوبر ١٨٠١)، ومرسل من لوجنتى الى رئيس الهندسة الحربية، يخبره فيه بانتهائه من عمل خريطة المنصورة وضواحيها، التى تفانى فى عملها والتى شكره عليها الجنرال سانسون أثناء مروره بالمنصورة، ومرفق به خطاب اخر مؤرخ فى القاهرة فى ٢٥ نيفوز من السنة الثامنة (١٦ يناير ١٨٠٠)، ومرسل من المهندس لوبير (Lepere) الى الجنرال دوجا (Dugua) بشأن نقل مسلة صغيرة الى المجمع العلمى المصرى تمهيدا لنقلها الى فرنسا، وبشأن اعادة تشييد أحد المساجد التى دمرها بونابرت.

والخطاب الثانى يحمل رقم (٩) ومؤرخ فى القاهرة فى ١٧ توميدور من السنة السابعة (٤ أغسطس ١٧٩٩)، ومرسل من الكيمائى رينو (Regnault) الى المواطن برتيسيه (Pertusier) يخبره بوفاة صديقهما برنكييه (Bringuier) فى يافا مصابا بالطاعون، ويروى له انتصار بونابرت على العثمانيين فى أبى قير فى ٢٥ يوليو ١٧٩٩، ومرفق بهذا الخطاب خمس رسائل من أعضاء المجمع العلمى المصرى مؤرخه فى ٧ فنتوز من السنة الثامنة (٢ مارس ١٨٠٠) باسم عالم الفلك كينو (Quenot)، والثانية مؤرخة فى القاهرة فى ٢٣ فانديمير من نفس السنة (٤ أكتوبر ١٧٩٨) ومرسلة من تستفويد (Testevuid) مدير الهندسة الجغرافية الى كارابيف (Carabeuf)، والثالثة تحتوى على رسالتين مؤرختين فى باريس فى ٢٥، ٢٩ يوليو ١٨٣٦، ومرسلتين من فيليه دى تراج (Villiers du Terrage) الى كل من مارتن (Martin) وبرتان دى فو (Bertin de Vaux)، والرابعة مؤرخة فى القاهرة فى ١١ بليفوز من السنة الثامنة (٢٠ يناير ١٨٠٠) ومرسلة من فيلوتو (Villoteau) الى الجنرال دوجا بشأن مجموعة من الآلات الموسيقية.

## المجموعة الخامسة

### حافظة رقم(١٨٧)

وهى تضم ٨٣ وثيقة خاصة بطبع كتاب وصف مصر من بينها ٢٤ خطابا مرسلة من برتوليه (Bertholler) الى مارسيل مدير المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١١ رسالة باسم جولوا (Jollois) سكرتير اللجنة الخاصة بطبع الكتاب، ٢٨ خطابا باسم جومار (Jomard) أحد أعضاء اللجنة، وخطاب باسم مونج (Monge)، ٣ خطابات باسم روزير (Roziere)، هذا عدا أوراق أخرى من بينها جدول يوضح الأجزاء التى تم طبعها، وقائمة اسم أعضاء لجنة الاشراف على الطبع.

### حافظة رقم(١٨٨)

وهى عبارة عن مجموعة من الرسومات والصور المعدة لكتاب وصف مصر من بينها بعض المناظر الفرعونية، وبعض الرسوم التى تشير الى

بعض العادات المصرية، ومسقط مسجد السلطان حسن. وأغلب هذه الرسومات تحمل عبارات تجيزها للطبع، وتوقيعات كل: من برتوليه وجومار وكوستاز (Costaz).

## المجموعة السادسة

### حافظة رقم(١٩٠)

وهى تضم ثلاث مجموعات من الوثائق تحمل كل منها رقما خاصا بها. المجموعة رقم (٤) تحتوى على ١٣ أمرا أصدرها القائد العام بونابرت الى كل من :أورل(m.Aurel) وبورين (Bourrienne) ومرلان (Merlin) والجنرال برتييه (Berthier) وبوسيلج، هذا بالاضافة الى بعض الأوامر الخاصة بطبع بعض الجرائد والنداءات، وأوامر تشغيل بعض العلماء.

والمجموعة رقم (٥) تمثل ١٣٠ خطابا الى مارسيل مدير المطبعة من بعض الشخصيات المعروفة مثل : بليار، وبرتييه، ودوماس، ورينيه، والجنرال برتييه (Berthier) وبوسيلج، وغيرهم، كما تضم ما يقرب من ٩٠ وثيقة صادرة من السلطات العسكرية والمدنية لاعداد بعض المطبوعات.

أما المجموعة الأخيرة فتحمل رقم (٦) وتشتمل على ١٣ خطابا موجهة الى: مارسيل، والى مارك أوريل من بعض قادة الحملة الفرنسية من أمثال: بليار، وبدو (Baudot) واستيف (Esteve) ودماس، وفردريك موريسون (Morrisson) أحد القادة الانجليز، ولانوس (Lanusse) وفوجيير (Fugier) وغيرهم، هذا عدا الدعوات الخاصة ببعض الحفلات المقامة بمدينة القاهرة، وبعض جوازات السفر، وبعض الشهادات الصحية، وبعض التصاريح الخاصة بالعودة الى مصر.

## المجموعة السابعة

### حافظة رقم(١٩٥)

وتتألف هذه الحافظة من أربعة مخطوطات على درجة كبيرة من الأهمية:

١ـ وهى عبارة عن تقرير مفصل لجميع أحوال مصر الداخلية والخارجية ومصادرها المالية والأمراض المنتشرة فيها وطرق الوقاية منها، ويقع فى ١٥ فصلا من اعداد مير (Mure)، الذى عرض على حكومة فرساى القيام بغزو مصر سنة ١٧٨٦. ويحتوى على خمسين صفحة.

٢ـ مخطوط يقع فى سبع صفحات من اعداد جرانجيه (Granger) يتضمن بعض المشاهدات بأرض مصر.

٣ـ مخطوط من سبع صفحات بخط الجنرال فيال (Vial) يحتوى على بعض الملاحظات الهامة الوجه البحرى بصفة عامة، وبحيرة البرلس بصفة خاصة.

٤ـ مخطوط عن احدى الزيارات للدلتا التى قام بها كل من جولوا (Jollois) وبوزيميه (Boysaime) عضوى لجنة الفنون والآداب المرافقة للحملة الفرنسية، نزولا على رغبة القائد العام للجيش فى السنة الثامنة، وهو يقع فى ستين صفحة، وبه بعض التصحيحات بالحبر وبالرصاص.

### حافظة رقم(١٩٦)

وهى تضم خمس مجموعات من الوثائق الخاصة بالاقاليم المصرية، وتحمل الأرقام التالية:

٥ـ وبها مجموعة من الوثائق الخاصة بمنطقة رشيد منذ قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر منها

مجموعة من الجداول الخاصة بالنظم الاقتصادية والسياسية للمنطقة، وأخرى للأعمال اليومية، هذا عدا بعض الوثائق الأخرى المشابهة والتى يحمل بعضها توقيع الجنرال مينو (Menou).

٦ـ وتتألف من أربعة أقسام خاصة باقليم طيبة، الأول منها عبارة عن لمحة تاريخية عن القوافل القادمة من داخل افريقيا إلى مصر، تقع فى ثمانى صفحات، وتحمل توقيع المواطن لابانوس (Lapanouse) مدير جمرك أسيوط، ومؤرخة فى ١٥ بريمير من السنة التاسعة. والقسم الثانى يضم ثلاثة تقارير مرسلة إلى الجنرال دنزلوه، الأول عن التجارة والزراعة ويحمل توقيع لابانوس. والقسم الثالث عبارة عن دراسة لمنطقة طيبة، تقع فى ٢٣ صفحة، وتحمل توقيع لابانوس. أما القسم الرابع فيضم سبع وثائق متنوعة، تحمل توقيعات، لابانوس، والجنرال بليار، واستيف، ولوروى (Le Roy) رئيس البحرية.

٧ـ مجموعة خاصة بمنطقتى المنيا وبنى سويف تقع فى ١٨ صفحة تضم أهم أسماء القرى بها والتوزيعات الخاصة بالضرائب على هذه القرى.

٨ ـ مجموعة خاصة باقليم جرجا تضم الوثائق التالية:

(أ) تقرير عن شرطة اقليم جرجا، يقع فى ٢١ صفحة، ويحمل توقيع الجنرال موران (Morand).

(ب) تقرير عن الادارات الشرعية والقوانين يقع فى ١٣ صحيفة، ويحمل أيضا توقيع الجنرال موران.

(جـ) تقرير عن اقتصاديات اقليم جرجا يتكون من ١٥ صفحة، ويحمل توقيع الجنرال موران.

(د) تقرير عن النواحي العسكرية باقليم جرجا، يتألف من سبع صفحات، وموقع من الجنرال موران.

(هـ) جدول يوضح الضرائب المفروضة على اقليم جرجا، من ٥١ صفحة بدون توقيع.

(و) تقرير عن الحالة المالية لاقليم جرجا، فى ١٦ صفحة يحمل توقيع الجنرال موران.

(ز) وثائق متنوعة تؤلف فى مجموعها ١٥ صفحة، وتحمل توقيع بوسيلج مدير الشئون المالية.

٩ـ مجموعة خاصة باقليم أسيوط تضم الوثائق التالية:

(أ) مخطوط من ١٧ صفحة لأسماء قرى اقليم أسيوط.

(ب) بعض المعلومات عن القرى التى اشتهرت ببيع الخيل تقع فى ١٥ صفحة.

(جـ) ٢٢ وثيقة من اقليم أسيوط، بعضها باللغة العربية، والبعض الآخر يحمل توقيعات أستيف وبتروشى (Petrucci).

## حافظة رقم (١٩٧)

وهى تضم أربع مجموعات من الوثائق الصادرة من الجنرال دنزلوه والجنرال ديزيه عن صعيد مصر:

١ـ مخطوط يتألف من ٢٧ صفحة عن بعض المدن مثل: أشمون والقصير وجرجا وسوهاج وطهطا وتميت والكاشف وسنار والسويس.

٢ـ بعض المعلومات عن الاعراب بخط الجنرال دنزلوه تقع فى ٢٦ صفحة.

٣ـ مخطوط يشتمل على ١٧ صفحة بها بعض المعلومات المتنوعة بخط الجنرال دتزلوه، وخريطة للنيل من بنى سويف إلى جرجا، وأخرى للجبال الممتدة حتى البحر الأحمر.

٤ـ ملاحظات متنوعة عن صعيد مصر، بخط الجنرال دنزلوه مزودة ببعض الخرائط والمساقط المعمارية.

## حافظة رقم (١٩٨)

وهى تشتمل على أربع مجموعات من الوثائق مسجلة تحت الأرقام التالية:

١١ـ وهى عبارة عن تقارير خاصة بالضرائب الجمركية لمنطقة القصير، تقع فى ٦٥ صفحة وتحمل توقيع الجنرال دنزلوه، ومكتوبة باللغتين الفرنسية والعربية فى آن واحد.

١٢ ـ وتشتمل هذه المجموعة على بعض المعلومات الخاصة بقبائل الصعيد، والدلتا، والتى أمر بجمعها وإعدادها الجنرال ديزيه للتعرف على عاداتها وتقاليدها وتاريخها.

١٣ـ وهذه المجموعة عبارة عن مخطوط يقع فى ٤٢ صفحة، ويحتوى على بعض المعلومات الخاصة بالبحر الأحمر، ومزود بخريطة تمثل البحر الأحمر ممتدا من السويس إلى باب المندب.

١٤ـ تقرير عن اليونان مرسل من فيلكس (Felix) قنصل جمهورية سالونيكا، يقع فى ٤١ صفحة.

## المجموعة الثامنة

## حافظة رقم(١٩٩)

وهى تتألف من قسمين:

١ـ دراسة عن الحملة الفرنسية على مصر مزودة ببعض الملاحظات عن حملة ايطاليا، تقع فى ٣٩ صفحة، وتحمل العديد من التصحيحات بخط الجنرال اندروسى (Andreossy).

٢ـ بعض الملاحظات الخاصة بباراليييه (Baraillcr) عن الحملة الفرنسية على مصر تقع فى حوالى ١٢ صفحة.

## حافظة رقم (٢٠٠)

وتضم أيضا مجموعتين من الوثائق تحملان رقمى ٣،٤.

٣ـ وهى عبارة عن تقارير خاصة بلجنة الفنون والآداب الملحقة بالحملة الفرنسية على مصر، تقع فى ٩١ صفحة، وتحمل توقيع المهندس المعمارى لوبير بالأحرف الأولى من اسمه، وتحتوى على تسجيل رائع للأحداث التى وقعت للجنة فى ميناء الاسكندرية، لا سيما فى الفترة الأخيرة من حياة الحملة الفرنسية فى مصر.

٤ ـ أما عن المجموعة الثانية فهى عبارة عن ترجمة فرنسية لمارسيل مدير المطبعة الأميرية، لتاريخ الحملة الفرنسية على مصر من تأليف عبد المهيمن، تقع فى ٢٣١ صفحة ومذيلة بعشرين صفحة تشتمل على بعض الملاحظات الهامة من عمل فيليسيان (Felician) صراف الجيش الفرنسى.

## حافظة رقم (٢٠١)

وتحتوى على ثلاث مجموعات من الوثائق مسجلة تحت الأرقام التالية:

٥ـ مخطوط عن مصر بعد معركة هليوبوليس، يقع فى ٢٥٤ صفحة، عثر عليه فى أوراق الكونت رينيه، الذى يهاجم فيه بشدة الجنرال مينو ويلقى عليه اللوم.

٦ـ فصلة من مخطوط عن الحملة الفرنسية بمصر، تشتمل على بعض التصحيحات بخط الجنرال سافارى، وتشتمل على مائتى صفحة.

٧ـ مخطوط صغير من ١٣ صفحة، تضم بعض أحداث الفترة الممتدة من مصرع كليبر حتى جلاء القوات الفرنسية عن مصر.

## حافظة رقم (٢٠٣)

تضم هذه الحافظة بعض الوثائق الخاصة بالاحتفالات التى أقيمت بالقاهرة:

١ـ توصيات القائد العام بونابرت للاعداد للاحتفال السنوى لأول فنديمير من السنة السابعة للجمهورية الفرنسية (٢٢ سبتمبر ١٧٩٨). تقع فى أربع صفحات، وملحق بها نسخة من الخطبة التى ألقاها بونابرت فى القوات بهذه المناسبة.

٢ـ خطاب مؤرخ فى القاهرة فى ٢١ سبتمبر ١٧٩٨م، ومرسل من الجنرال برتييه إلى الجنرال دوجا يخبره فيه بوصول الجنرال لانوس بفرقته للاشتراك فى احتفالات الأول من فنديمير.

٣ـ بعض الملاحظات الخاصة باحتفالات المولد النبوى الشريف بخط بوريين، ومؤرخة فى ٢٩ ترميدور من السنة السابعة (١٦ أغسطس ١٧٩٩م) وتتضمن بعض الأشعار العربية المزودة بترجمة فرنسية.

٤ـ خطاب مؤرخ فى القاهرة فى ١٦ فنديمير من السنة السابعة (٧ أكتوبر ١٧٩٨)، مرسل من الكونت مونج إلى المواطن مارسيل مدير المطبعة، ويتضمن نسخة من الكلمة التى ستلقى فى افتتاح الديوان العام التى يرغب القائد العام بونابرت فى طبعها، ويطلب ارسال البروفات للقيام بتصحيحها.

حافظة رقم (٢٠٤)

وهى تحتوى على بعض الوثائق الخاصة بفرقة الحرس الوطنى التى كونها بونابرت فى مصر، وضم إليها أغلب الفرنسيين الذين يشغلون بعض الوظائف المدنية وجعل على رأسها «أورل» الذى كان يتولى مهمة الاشراف على مطبوعات الجيش وهى تنقسم إلى قسمين:

١ـ مجموعة من التوصيات التى أصدرها «أورل» إلى أفراد هذه الفرقة، وملحق بها ثلاثة خطابات مرسلة من الجنرال ديستان إلى مارك أورل، تشتمل على بعض الأوامر الخاصة بالشرطة وبعض الاستدعاءات.

٢ـ بعض التعليمات الواجب اتباعها عند حدوث أى شغب أو ثورة من جانب الأهالى، والأساليب المتبعة من تحذير القوات الفرنسية عن طريق طلقات المدافع وغلق أبواب القلعة.. الخ.

## حافظة رقم (٢٠٥)

وتحتوى هذه الحافظة على بعض التقارير المالية الخاصة بالمصروفات المتعلقة بمدينة القاهرة، فى شهور فنديمير ونيفور وبريريال وترميدور من السنة الثامنة (سبتمبر ـ أكتوبر ١٧٩٩، يوليو ـ أغسطس ١٨٠٠)، وتحمل توقيعات: بوسيلج، وجلوتيه (Gloutier)، واستييف، هذا عدا بعض التقارير

الخاصة بإصلاحات المصانع، وباقتناء بعض الأدوات، وشراء بعض المواد الضرورية لبعض المصنوعات. كما تضم أيضا ٢٢٠ ايصالا باللغة العربية عن توريد بعض الأشياء والمستلزمات.

## حافظة رقم ( ٦ ٠ ٢)

وهى تضم ٣٣ وثيقة، تتناول بعض القضايا الخاصة بالأهالى، بعضها باللغة العربية، والبعض الآخر قاصر على الترجمة الفرنسية، والبعض الثالث باللغتين العربية والفرنسية فى آن واحد، وفيما يلى سرد لمحتويات هذه الحافظة الهامة:

١ـ التماس من أقباط حى الأزبكية إلى القائد العام بونابرت بعدم التعرض لمساكنهم بالهدم، وهو بدون تاريخ.

٢ـ ترجمة فرنسية لثلاثة التماسات مقدمة من شيوخ القاهرة إلى القائد العام بونابرت بشأن حماية الأهالى وبعض التجار، بدون تاريخ.

٣ـ ترجمة فرنسية لخطابين موجهين من أعيان القاهرة وعلمائها إلى الباب العالى تروى قصة قهر بونابرت للمماليك، وهما أيضا بدون تاريخ.

٤ـ ثلاثة خطابات باللغة العربية ومذيلة بترجمة فرنسية، موجهة من ديوان القاهرة إلى الجنرال دوجا ومؤرخة فى ١٠ بريريال من السنة السابعة وفى ٨ بريمير من السنة الثامنة (٢٩ مايو، ٣٠ أكتوبر ١٧٩٩م)، بشأن بعض تجار مكة الذين حضروا إلى القاهرة بدون تصاريح سفر (جوازات).

٥ـ خطابان باللغة العربية مذيلان بترجمة فرنسية ومرسلان من مصطفى أغا أمير الانكشارية إلى الجنرال دوجا بصدد طلب تصاريح سفر لبعض التجار، وأيضا بشأن أحد الخيل الذى تم الاستيلاء عليه بدون وجه حق، بدون تاريخ.

٦ـ ترجمة فرنسية لخطابين من شريف مكة إلى الجنرال بوسيلج، مؤرخة فى ٤ فلورال من السنة السابعة (٢٣ أبريل ١٧٩٩م) يسأله فى ارسال بعض الجنود إلى السويس لحماية البضائع الموجودة بها.

٧ـ ترجمة فرنسية لخطاب موسل من سيد حسن، ويحمل توقيع الجنرال بوسيلج بشأن البعثة المسافرة إلى سيناء، مؤرخ فى سنة ١٧٩٩.

٨ ـ بعض اللوائح الخاصة بمدن الصعيد مثل: جرجا، وأسيوط، وطيبة (الأقصر)، وأسماء الموظفين المختصين بالبريد والضرائب، مؤرخة فى قنا فى ١٥ جرمينال من السنة السابعة (٤ أبريل ١٧٩٩)، وهى مدونة باللغتين الفرنسية والعربية، ويلاحظ أن الأصل الفرنسى يحمل توقيع الجنرال ديزيه.

٩ـ تقارير عن حالة أسيوط، تقع فى خمس صفحات.

١٠ـ خطاب باللغة العربية ومذيل بترجمة فرنسية، موجه إلى الجنرال جوليان (Jullien) حاكم منطقة رشيد، يحمل عبارات التهنئة والأسف فى الوقت نفسه على رحيله، وهو بدون تاريخ.

١١ـ مجموعة من الوثائق تتألف من أربعة محاضر خاصة بالادعاء على الجنرال فيال بمبلغ

٥٠,٠٠٠ مصرى، من قبل المدعو طاهر، تحمل توقيعات: فريان، ورينيه، ومؤرخة فى الاسكندرية فى ١٨ فنديمير من السنة العاشرة (١٠ أكتوبر ١٨٠١)، هذا بالاضافة إلى بعض الأوراق المدونة باللغتين العربية والفرنسية الخاصة بهذه القضية.

١٢ـ ترجمة ايطالية لخطاب مرسل من سلطان دارفور إلى الجنرال دنزلوه، وبعض الوثائق الخاصة بدارفور عن حقوق سداد الضرائب إلى الجنرال دنزلوه وعن البضائع المستوردة. تؤلف فى مجموعها سبع صفحات، يمكننا أن نضيف اليها خطابين، أحدهما موجه إلى الجنرال ديستان، وبعض الايصالات التى تكون فى مجموعها ثلاث صفحات.

## المجموعة التاسعة

### حافظة رقم (٢٠٩)

وهى تضم مجموعة من المطبوعات من منشورات المطبعة الشرقية الفرنسية بالاسكندرية، ومطبعة مارك أورل، والمطبعة الأميرية بالقاهرة. وفيما يلى تفصيل لأهم محتوياتها:

(أ) قوائم خاصة بأسعار النقود مؤرخة فى ١٨ مسيدور من السنة السادسة (٦ يوليو ١٧٩٨).

(ب) وثائق خاصة بالترتيبات المتعلقة بالاستعداد لعيد الأول من فنديمير من السنة السابعة.

(جـ) تقارير مرسلة من القائد العام بونابرت إلى الوزير التنفيذى، مؤرخة فى الفترة الممتدة من ٢٦ فنديمير إلى ٢٣ ترميدور من السنة السابعة (١٧ أكتوبر ١٧٩٨ إلى ١٠ أغسطس ١٧٩٩).

(د) الخطب التى ألقاها كليبر فى الاحتفالات الخاصة بأول فنديمير من السنة الثامنة.

(هـ) تقارير خاصة بالترتيبات المتعلقة بالجلاء عن مصر، مؤرخة فى ٩ مسيدور من السنة التاسعة (٢٨ يونيو ١٨٠١)، تؤلف فى مجموعها ٤٨ صفحة، مرفق بها تقرير أعد للحكومة الفرنسية عن وضع البلاد والقوات الفرنسية، منذ ابرام معاهدة العريش حتى نهاية شهر بريريال من السنة الثامنة، يحمل توقيع الجنرال دوماس ويقع فى ٦٥ صفحة، وبعض الأوراق الخاصة بالحملة التى أرسلت إلى سوريا، عبارة عن أربعة تقارير من بونابرت، وتقرير من كليبر، مرسلة إلى الوزير التنفيذى. هذا بالاضافة إلى البيان الذى صدر عن الجمعية الوطنية إلى الشعب الفرنسى فى جلسة ١٨ فنديميير من السنة الثالثة (١٩ أكتوبر ١٧٩٤)، وهو مزود بترجمة عربية صادرة عن المطبعة الأهلية، ويقع فى ٢٣ صفحة، وخطاب من أعضاء ديوان القاهرة إلى القائد العام بونابرت باللغتين العربية والفرنسية، صادر عن باريس فى السنة الحادية عشرة (١٨٠٢ ـ ١٨٠٣)، ويشتمل على ١٩ صفحة.

### حافظة رقم (٢١١)

وهى تشتمل على المجموعة التالية من المطبوعات:

١ـ خطب الجنرال دوجا فى أعضاء ديوان القاهرة بشأن الاستيلاء على العريش، ورفع الأعلام، والصلاة بالجامع الأزهر، مؤرخة فى السنة السابعة (١٧٩٨ ـ ١٧٩٩).

٢ـ كلمة كليبر فى الجنود عقب مقتل دنويه (Denóyer).

٣ـ خمس خطب للجنرال «مينو» فى المصريين، وفى أهالى القاهرة، وفى بعض الشيوخ، بعضها يحرم على الأهالى الخروج من مدينة القاهرة، وهى مدونة باللغتين العربية والفرنسية.

٤ ـ تقارير بشأن الجلاء عن مصر. مؤرخة فى ٨ مسيدور من السنة التاسعة (٢٧ يونيه ١٨٠١م) تحمل توقيع الجنرال بليار، مرفق بها نداء من نفس الجنرال إلى أهالى القاهرة من مختلف الأديان والطوائف، بعد توقيع معاهدة الانسحاب، باللغتين العربية والفرنسية.

٥ـ بعض الأوراق الخاصة بحملة بونابرت على مصر، وتقرير مرسل من بونابرت إلى الوزير التنفيذى عن حملته على مصر، وعن استعداده للعودة إلى فرنسا، وبعض الكلمات الفرنسية وما يقابلها بالعربية للألفاظ الشائعة والمستخدمة فى الحياة اليومية، وتقرير تورنفيل (Tourenville) إلى بونابرت عن سجون مصر، وبعض المطبوعات الأخرى المتعلقة بمصر وبالجيش الفرنسى بالشرق.

## حافظة رقم (٢١٢)

وهى تتألف من مجموعة من الخطب والبلاغات العربية، صادرة عن المطبعة بالقاهرة، أحدها يتوجه نص فرنسى وهو عبارة عن بلاغ إلى ديوان القاهرة بمناسبة رحيل القائد العام بونابرت إلى قاطية (Kattieh). وتؤلف فى مجموعها ست وثائق، أربع منها يحمل شعار الجمهورية الفرنسية.

## حافظة رقم (٢١٦)

وهى تضم بعض النشرات الدورية الصادرة عن استيف الصراف العام للقوات الفرنسية بمصر، تؤلف فى مجموعها ١٥٠ منشورا، ومؤرخة فى الفترة الممتدة ما بين السنتين السابعة والثامنة (١٧٩٨ ـ ١٧٩٩، ١٧٩٩ ـ ١٨٠٠)، هذا عدا تقرير شامل عن حالة مصر المالية منذ الغزو العثمانى لها على يد السلطان سليم الأول حتى استيلاء بونابرت عليها، أعده الكونت أستيف، وهو مهدى إلى الامبراطور وطبع بعناية مارسيل مدير المطبعة الامبراطورية فى سنة ١٨٠٩.

## حافظة رقم (٢٢١)

وهى تضم ما يقرب من ١٠٢ رسم وصور لبعض الأشخاص المدنيين والعسكريين، ممن اشتركوا فى الحملة الفرنسية على مصر، أغلبها رسم بالحبر «الشينى»، وبعضها ذو نسخ متكررة.*

* اختلف تماماً هذه الوثائق من مكتبة جامعة القاهرة ولم يعرف مصيرها حتى اليوم.

## ملحق رقم [ ٣٩]

## الشوام في مصر

## على ايام الجبرتي

من الثابت أن الشوام المسيحيين كانوا موجودين بمصر في أوائل القرن السابع عشر الميلادي ولكن بأعداد ضئيلة.

وعندما زار الأب يوحنا كوبيه couppier الفرنسي مصر في خلال سنتي ١٦٣٨، ١٦٣٩ شاهد فيها البطرك الماروني جرجس عميرة يزور أبناء طائفته من الموارنة، وقال: «زرت بطرك الموارنة الذي وصل إلى القاهرة اذ كنت فيها، ويوجد في مصر، عدة قرى يقطن فيها الموارنة، فضلا عن القاهرة وجاء البطرك من بلاده لزيارتهم، وبما أن هذا الحبر الجليل هو خاضع لكرسي رومية، فقد ذهبت مع كل الفرنسيين الذين يسكنون القاهرة للسلام عليه».

وفي أوائل القرن الثامن عشر، ازدادت هجرة الشوام إلى مصر، بسبب اضطراب أمور الحكم العثماني، وازدياد طغيان الباشوات الاتراك في الشام، وقد نال الطوائف المسيحية شيء من هذا الاضطهاد. هذا بالاضافة إلى اشتداد الاضطهادات الدينية التي اشتدت في بلاد الشام وخاصة في مدينتي دمشق وحلب التي عانى منها الكاثوليك عامة والموارنة خاصة. ذلك أنه عندما ساعد الامير فخر الدين المعني «الثاني» أمير لبنان الشهير، الارساليات التبشيرية الكاثوليكية على النزول في بلاد الشام، لجأ فريق من الشوام المسيحيين إلى قناصل الدول الاوربية، وتمذهبوا بالمذهب الكاثوليكي، طمعا في حماية دولهم والفوز بشيء من المساعدة المادية.ولذا فقد ثار عليهم رجال الدين الارثوذكس اليونانيون، وأخذوا يحرضون عليهم اخوانهم الشوام الارثوذكس ويلجأون إلى البطريرك القسطنطيني ليستصدروا الاوامر لاضطهاد الكاثوليك، مدعين انهم يتبعون الدول الاوربية ويحاولون تمكينهم من البلاد. وقد انتهز العثمانيون هذه الفرصة لاضهاد المسيحيين من المذهبين، الكاثوليك والارثوذكس. وإن زاد الاضطهاد على الكاثوليك مما جعل الشوام الكاثوليك ينزحون إلى مصر في أوائل القرن الثامن عشر، ثم زادت مهاجرتهم بعد اضطهاد عام ١٧٢٥ الشهير. وكان أغلبهم من دمشق الشام، فلقبوا بالشوام، وعم هذا اللقب كل الشوام المهاجرين إلى مصر.

ويبدو أن المرسلين الافرنج «الاوربيين» وخاصة الفرنسيسكان هم الذين اوعزوا إلى الكاثوليك الشوام بالهجرة إلى مصر، لانهم هم الذين كانوا يتولون أمر الكاثوليك من الناحية الدينية في مصر.

وقد لجأ القسم الأكبر من الشوام المهاجرين إلى القاهرة، واتجه عدد قليل منهم إلى دمياط ورشيد والاسكندرية. وهي المدن المصرية الكبرى ذات الصدارة حينذاك في التجارة والصناعة، واستغلوا

(*) المجلة التاريخية المصرية. المجلدان ٢٨، ٢٩. الشوام في مصر في القرن الثامن عشر. د. عبدالله محمد عزباوى. ص ٢٦٩ إلى ٣٢٩ القاهرة١٩٨١، ١٩٨٢.

في هذه المدن نشاطهم التجارى والصناعى وقتذاك، ووصلت أخبار هذا النجاح إلى اخوانهم فى بلاد الشام فتوالت الهجرات وتتابعت، ويرجع الأب قسطنطين الباشا هجرة مسيحيى الشام إلى مصر لسببين «قوة الجذب»، «قوة الدفع»، اذ كانت أخبار نجاح من تقدم منهم إلى هذا القطر تجذب سواهم، وكان الاضطهاد الدينى الذى كان يجرى فى مدن الشام يدفعهم إلى هذا القطر.

## النشاط الاقتصادى للشوام فى مصر

اشتغل عدد كبير من الشوام بالتجارة فى مصر فى القرن الثامن عشر، مثل تجارة الدخان، ومن التجار الشوام فى الدخان فى مصر فى ذلك الوقت نجد كل من : جرجس الشامى. وديمترى ميخائيل الشهير بقمرز الطرابلسى. وموسى جرجس الشهير بسمنة الطرابلسى.

وتاجر بعضهم فى الأقمشة مثل اسحاق الحلبى، وونيس أرونين الحلبى. والخواجا على بن أحمد المعروف بالعاقل الشامى الذى كان يتاجر فى الآلاجات «القفاطين» والبن. والحاج زين الدين بن كمال الدين الشامى التاجر فى الألاجات. ومنصور بن قاسم الحلبى التاجر فى الأقمشة.

وتاجر البعض منهم فى الخيش مثل ابراهيم ونيس الحلبى (الخيشاتى) أى الذى يتاجر فى الخيش وتاجر البعض منهم فى السكر مثل الخواجا سليمان بن على الحلبى واشتغل البعض الاخر بتجارة الأخشاب، مثل الحاج سعد بن أحمد يوسف الحلبى الخشاب ببولاق.

وتاجر بعض الشوام فى الصابون، مثل فخر الدين بن عثمان النابلسى، التاجر بوكالة الصابون بخط باب النصر. والسيد عمر فخر الدين وأولاده الثلاثة «اسماعيل وابراهيم ويحيى» والحاج محمد حبيشى القوسى التجار بوكالة الصابون بخط باب النصر. والسيد حسين القوسى والحاج فخر الدين النابلسى، ومحمد بن عبد الحق النابلسى من أعيان التجار بوكالة الصابون بخط باب النصر.

واشتغل بعض الشوام بتجارة البن التى كانت فى ذلك الوقت من مصادر الدخل الكبير، ومن الشوام الذين تاجروا فى البن، الخواجا على بن أحمد المعروف بالعاقل الشامى الذى أشرنا اليه سابقا والذى كان يتاجر فى الألاجات «القفاطين» إلى جانب البن، والحاج حسين بن نور الدين الحمصى، والخواجا الحاج عبد الجليل الحمصى التاجر بالبن بخط المشهد الحسينى. والحاج عبدالله ابن عبدالله المشهدى الشهير بالشامى من أعيان التجار فى البن.

واشتغل البعض منهم بتجارة المجوهرات مثل الخواجا محمد بن عثمان الشامى الجوهرى بسوق الصاغة وميخائيل بن عبد الله بن موسى الطرابلسى الصايغ بخط سويقة الغزى.

وكان لبعض الشوام فى مصر فى القرن الثامن عشر، مؤسسات تجارية كبيرة لها فروع فى البلاد

العربية المختلفة وخاصة بلاد الشام، وشبه الجزيرة العربية. فقد كان الخواجا على بن الخواجا أحمد المعروف بالعاقل الشامى التاجر فى البن بخان الحمزاوى يقوم بارسال البن إلى الشام ليقوم شريكه هناك بتصريفه، كما كان يقوم بارسال البن إلى الاقطار الحجازية ليباع هناك. وقد بلغت قيمة ثمن البن المرسل الى شريكه بالشام ١٣٩٩٨٠ نصف فضة، وقيمة ارسالياته من البن الى الاقطار الحجازية ٣٠,٠٠٠ نصف فضة.

ومن التجار الشوام الذين كانوا يقومون بارسال الارساليات إلى الخارج، الحاج زين الدين بن كمال الدين الشامى التاجر. فقد كان له وكيل ببلاد الحجاز يقوم بتصريف ارسالياته هناك، ويقوم فى نفس الوقت بارسال البضائع من بلاد الحجاز، ليقوم الحاج زين الدين بتصريفها فى مصر. وكانت جملة الأموال التى تحت يد وكيله الحاج مبارك ببلاد الحجاز ١٨٨٤٥٠ نصف فضة.

وفى دمياط كان يوجد فى عام ١٨١٠ عدد من التجار الشوام المسيحيين وهم: يوحنا سرور البعلبكى، وجبريال عيروط الحلبى، وجرجس عيروط الحلبى، وموسى نقولا حرو الدمشقى، وجرجس كون الحلبى، وبطرس عتحورى الدمشقى، ونقولا كحيل وأنطون سرور البعلبكى.

وقد عمل بعض هؤلاء التجار الشوام المسيحيين بدمياط، قناصل للدول الأوربية فكان يوحنا سرور قنصلا لاسبانيا، وجبريال عيروط قنصلا للنمسا، وجرجس عيروط قنصلا لانجلترا.

واشتغل البعض من الشوام فى السمسرة بأنواعها المختلفة وهى الوساطة فى البيع والشراء. ومن هؤلاء الشوام السماسرة الحاج عبد الرحمن بن مصطفى السمسار فى البن. والحاج حسين القدسى الدلال بسوق الكتان ببولاق.

واشتغل بعض الشوام بالالتزام، فقد كان السيد الشريف عبد الرحمن بن السيد الشريف سليمان الحمصى من طايفة مستحفظان ملتزما فى عدة نواحى، ففى احدى وثائق سجلات القسمة العسكرية الخاصة بحصر تركته بعد وفاته جاء «.. ويضاف لذلك ثمن ما وجد مخلف عن المتوفى المذكور فى النواحى التى كانت جارية فى التزام المتوفى المذكور حال حياته».

هذا، كما كان الشيخ مصطفى الحلبى الذى أشرنا اليه من قبل نتيجة صلاته بالأمير يوسف كتخدا ملتزما على نواحى عديدة.

كذلك اشتغل بعض الشوام فى مصر فى القرن الثامن عشر ببعض الحرف والصناعات نجد من بينهم الحاج حسن بن على الشهير بعجلان التراس «أى الذى كان يشتغل بصناعة التروس» ببولاق. وسعد الخياط بتجارة السقايين.

واشتغل البعض منهم بحرفة القبانة «أى الوزن» فنجد فى سجلات الباب العالى ضمن وثائق المحكمة الشرعية ذكر «الخواجا محمد النابلسى والسيد محمد تفاحة النابلسى والحاج سعد الدين الرملى القبانى كل منهم بوكالة الصابون».

## الشـــوام وإدارة
## الجمارك فـي مصر

وفى عهد على بك الكبير تولى الشوام المسيحيون ادارة الجمارك فى مصر، فقد كان بمصر فى القرن الثامن عشر أربعة دواوين «جمارك» وهى: جمرك الاسكندرية ويتبعه جمرك رشيد وأبى قير للتجارة القادمة من أوربا، وجمرك دمياط للتجارة الآتية من الشام، وجمرك بولاق للبضائع الآتية من الوجه البحرى، ويتبعه جمرك مصر العتيقة للبضائع الواردة من الصعيد، وجمرك البهار «شرقى القاهرة» فى طريق السويس للتجارة الواردة عن طريق البحر الأحمر.

وكانت رسوم الدواوين «الجمارك» تباع التزاماً عن طريق ديوان الروزنامة إلى الملتزمين، وهؤلاء يعهدون بادارة كل منها إلى مدير باسم «جمركى» أو «أمين الجمرك» أو «معلم الجمرك».

وكان اليهود قبل عهد على بك الكبير هم الذين يتولون ادارة هذه الجمارك وكانت أقدامهم قد ثبتت فى تلك المراكز بما اكتسبوه من خبرة بمضى الزمن، الا أنهم تغالوا فى فرض رسوم غير محتملة على التجار الأجانب انفردوا بها لحسابهم الخاص ولما كان على بك الكبير يهتم بترويج التجارة، فقد قبض على معلم دواوين الاسكندرية «يوسف ليفى» ومعلم دواوين بولاق اسحق اليهودى، وصادر أموالهما وأعدمهما وعزل بقية معلمى الدواوين من اليهود، وعهد بالاشراف على ادارتها إلى رجال من الشوام المسيحيين الكاثوليك، الذين هاجر بعضهم إلى مصر فى أوائل القرن السابع عشر.

وكان أول أولئك الشوام من معلمى الدواوين «الجمارك» المعلم ميخائيل فرحات الذى تولى ادارة جمرك الاسكندرية بدلا من يوسف ليفى اليهودى ثم تولاه بعد ذلك المعلم ميخائيل الجمل، وعندما غضب على بك الكبير على ميخائيل الجمل، أقام مكانه يوسف البيطار الحلبى، فالتجأ ميخائيل الجمل بابراهيم الصباغ طبيب ومستشار الشيخ ظاهر العمر، فتوسط له الشيخ ظاهر لدى على بك، فأعاده على بك إلى منصبه بالاشتراك مع يوسف البيطار المذكور.

وعندما تسلم الشوام المسيحيون ادارة الجمارك لم يكتفوا بجمع الرسوم على البضائع الخارجة بل أخذوا يشترون لحسابهم التجارة من الخارج، ثم يوزعونها على التجار بالجملة بواسطة عملاء من أبناء بلدتهم. وكان معلم الدواوين «الجمارك» يعين وكلاء عنه فى المدن والثغور لجباية الرسوم الجمركية، وكان يختارهم بطبيعة الحال من بنى جنسه. وكانت الحكومة تضع سلطتها تحت تصرفهم. ومن هنا نشأت أهمية هذا المركز من الناحيتين الادارية والاقتصادية. وأدى ذلك بالطبع إلى احراز مسيحيى الشام مركزا مرموقا، وأن يتكاثروا فى المجتمع المصرى، بعد أن كانوا فى أول الأمر قليلين ضعفاء، فقد وصل عددهم فى أواخر على بك الكبير إلى نحو ٣ آلاف شخص فى القاهرة وحدها .

وقد لعب الشوام الكاثوليك فى مصر فى القرن الثامن عشر، دورا كبيرا فى التقارب بين على بك الكبير والشيخ ظاهر العمر، وذلك أنه عندما

غضب على بك على ميخائيل الجمل، خرج الأخير منفيا إلى عكا التى كان قد استقل بها الشيخ ظاهر العمر، وخرج على الدولة العثمانية، وقد نزل ميخائيل الجمل ضيفا على ابراهيم الصباغ طبيب ومستشار الشيخ ظاهر، الذى قابله بالشيخ ظاهر العمر، وقد أخبر ميخائيل الجمل الشيخ ظاهر أن على بك فى مصر قد جاهر بعداوة الدولة وخرج عن طاعتها وقد توسط الشيخ ظاهر كما رأينا لدى على بك لارجاع ميخائيل الجمل إلى مكانه، وقبل على بك هذه الوساطة، ومن هنا بدأت الصلة والتحالف بين الرجلين.

وبعد وفاة يوسف البيطار وميخائيل الجمل فى عام ١٧٧٤، حل مكانهما أنطون فرعون. وأسرة فرعون أحد فروع أسرة يقال لها بيت الأحمر أو بيت الاحمرى، وهى مسيحية كاثوليكية كانت تعيش فى حوران. وكان الجد الأعلى لأسرة فرعون يسمى «نعمة» أما اسم فرعون الذى اشتهرت به الاسرة فقد جاء من أن «نعمة» الجد الأكبر لهذه الاسرة كان له ابن يدعى «ميخائيل» كان يعيش فى القرن الخامس عشر، وكان كاهنا يجله ويحترمه الشيوخ والأكابر، ويخشاه الأشقياء والشبان الجهال، كما كانت له مكانة كبيرة عند البطريك، فكان اذا ضاق البطريرك صبرا باصلاح قوم، هددهم بالقس ميخائيل، ولذا فقد غلب اسم فرعون عليه وعلى أسرته.

وبعد أن استولى العثمانيون على الشام، هاجرت أسرة فرعون من حوران إلى دمشق، وبعد أن اشتد الاضطهاد الدينى ضد الكاثوليك فى بلاد الشام فى أوائل القرن الثامن عشر، اضطرت أسرة فرعون إلى الهجرة إلى مصر مع غيرها من العائلات الكاثوليكية الشامية. وقد هاجر مع أسرة فرعون من الشام إلى مصر، القس ابراهيم فرعون - والد أنطون فرعون - مع زوجته وأبنائه الثلاثة، أنطون ويوسف وفرنسيس.

وكان القس ابراهيم فرعون يقوم بالرعاية الدينية للروم الكاثوليك المهاجرين معه من دمشق من آل فرعون وغيرهم، وصار بوجه عام خورى الشام الكاثوليك فى مصر. وأصبح نتيجة لذلك له وجاهة واحترام بين أفراد طائفته وغيرها. وكان ذلك من أهم العوامل التى أدت إلى تقدم أولاده ونجاحهم فى تجارتهم، فقد ساعدهم كبار التجار وتعاونوا معهم لمنزلة والدهم عندهم.

وقد التزم أنطون فرعون وهو الابن الأكبر للقس ابراهيم فرعون بضمان جمارك مصر فى الفترة ما بين ١٧٧٤ - ١٧٨٤، أى لمدة عشر سنوات، وذلك فى عهد كل من: على بك الكبير، ومحمد بك أبى الدهب وابراهيم بك ومراد بك. وقد رفع بدل ضمانة حينما تولى ادارة الجمارك من ثلاثين كيسا إلى مائة كيس، وازداد هذا البدل تدريجيا حتى بلغ ألف كيس.

وقد اتخذ أنطون فرعون من أخوته وأقاربه وأبناء طائفته من الشوام الكاثوليك أعوانا له من كتاب ونظار وعمال، فى كل فروع الجمارك. فكان أخوه يوسف معلم ديوان «جمرك» دمياط، وأخوه فرنسيس معلم جمرك بولاق ومصر القديمة، وابن عمه الياس فرعون معلم جمرك الاسكندرية.

وقد جمع أنطون فرعون من خلال التزامه لجمارك مصر، والتى لم تزد على عشر سنوات ثروة ضخمة بلغت ثلاثة ملايين فرنك، وهو مبلغ كبير لا نظن أن أحدا مع المسيحيين كان يحرزه فى الدولة العثمانية لذلك العهد.

وفى أواخر القرن الثامن عشر، أرادت الامبراطورية النمساوية، السيطرة على تجارة الشرق وتحويلها إلى الطريق البرى عبر الأراضى المصرية تحت اشرافها وانتدبت لذلك كارولو روسيتى التاجر البندقى الشهير فى مصر، فى ذلك الوقت وأنطون فرعون معلم الجمارك فى مصر. ومن أجل ذلك فقد وضع أنطون فرعون تحت حماية الامبراطورية النمساوية «الرومانية المقدسة». وأنعم عليه الامبراطور «جوزيف الثانى» بلقبى «بارون» و«كونت» وعندما رأى أنطون فرعون أن المشروع مصيره الفشل، خشى من غضب مراد وابراهيم، وقرر الهروب من مصر. ولذا فانه فى عام ١٧٨٤ غادر أنطون فرعون الاسكندرية إلى ايطاليا مدعيا أنه ذاهب للحج، وبمغادرته مصر انتهى المشروع النمسوى.

وقد غادر أنطون فرعون مصر إلى ايطاليا مع زوجته تقلا ابنة موسى جبارة، ثم لحقه بعد فترة أخوه يوسف بعائلته، وأقاموا أول الأمر فى ليفرنو، التى كانت الميناء الايطالى والأقرب للشرق، والتى كان يفزع اليها كل من خاف على نفسه وماله من الشرقيين، مثل الأمير فخر الدين المعنى الثانى الذى فزع اليها عام ١٦١٣، وبعد أن قام بها مدة انتقل إلى فلورنسا عاصمة توسكانا فأقام فيها بضع سنوات ثم عاد إلى لبنان.

وبعد أن أقام أنطون فرعون مدة فى ليفورنو انتقل إلى تريستا. واستمر أخوه يوسف وأولاده فى ليفورنو. أما أخوه فرنسيس فقد ظل فى مصر مع والدته وزوجته وأولاده. وفى تريستا افتتح أنطون فرعون محلا تجاريا، وكان يستورد بواسطة أصدقائه فى مصر البضاعة الشرقية، مثل اللؤلؤ والمرجان والعاج والماس والتوابل ويبيعها لكبار التجار فى أوروبا. كما كان يورد إلى أصدقائه فى مصر منتجات المصانع الأوربية من الجوخ والحرير والقصب والأوانى الفضية والذهبية وأنواع الأسلحة على اختلافها.

وعندما خرج المعلم يعقوب القبطى من مصر مع الحملة الفرنسية عام ١٨٠١ لعرض مشروعه لاستقلال مصر، طلب أن تكون مخابرات انجلترا مع الوفد شفهية وعن طريق الكونت أنطون فرعون قسيس المقيم فى تريستا. وقد توفى أنطون فرعون بتريستا عام ١٨٠٥.

وقد تولى يوسف جبرائيل فرعون التزام الجمارك فى مصر بعد مغادرة أنطون فرعون مصر. وقد استمر هذا المركز فى يد الشوام الكاثوليك إلى أيام محمد على.

وعمل بعض الشوام فى وظائف الدولة، فقد كان جرجس بن عبد المسيح الطورى كاتبا لجمرك البهار وتادرس بن سعد الخياط كان كاتبا فى أحد الدواوين.

وكان هناك بعض الشوام فى الفرق العسكرية العثمانية «الأوجاقات» فى مصر، فيذكر أحمد شلبى فى كتابه اوضح الإشارات ضمن حوادث

١١٢٠هـ/ ١٨٠٨م «ان مملوكا من مماليك رجل من اختيارية الجاويشية يقال له «محمد جاويش الحلبى» كما يذكر أحمد شلبى أيضا ضمن حوادث ١١٣٤هـ/١٧٢٢م «وفى ذلك اليوم عمل كتخدا اسماعيل بيك أغاة الجميلة الذى هو عبد الله الشامى...».

ويذكر الجبرتى ضمن أحداث ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠ ، أن على بك الكبير استكتب بمناسبة تجهيز حملته على الحجاز، أضاف العساكر أتراكا ومغاربة وشوام ودروزا... وغير ذلك.

وكان هناك أيضا بعض الشوام الذين كانوا ينضمون الى بعض الفرق العسكرية فى مصر فى القرن الثامن عشر، دون أن يكونوا جنودا بها، فنجد فى احدى وثائق المحكمة الشرعية ذكر «الخواجا سليمان ابن المرحوم الخواجا على الحلبى من طايفة عزبان» كما يرد ذكر«الخواجا على ابن المرحوم الخواجا أحمد المعروف بالعاقل الشامى التاجر بخان الحمزاوى من طايفة مستحفظان كان» بل أننا نجد أن أحد التجار الشوام فى مصر فى ذلك الوقت، كان أخا لأحد لأمراء المماليك فى مصر، فتجد فى سجلات الباب العالى ضمن وثائق المحكمة الشرعية ذكر «الخواجا سليمان ابن المرحوم الخواجا على الحلبى من طايفة عزبان ان له أخا يدعى الأمير حسين أغا مصر».

## ثروات الشوام فى مصر فى القرن الثامن عشر

وقد استطاع الشوام فى مصر فى القرن الثامن عشر وخاصة المشتغلين منهم بالتجارة وادارة جمارك مصر أن يجمعوا ثروة كبيرة.

فقد رأينا كيف استطاع انطون فرعون أن يجمع ثروة ضخمة ، قدرت بثلاثة ملايين فرنك، كذلك ترك السيد الشريف عبد الرحمن بن سليمان الحمصى عند وفاته ثروة تقدر بـ٤٩٧و١٣٦٤ نصف فضة وترك الخواجا على بن الخواجا أحمد المعروف بالعاقل الشامى عند وفاته، ثروة بـ١٣٥و٨٩٧ نصف فضة وترك زين الدين بن المرحوم كمال الدين الشامى، ثروة تقدر بـ٩٣٦و٥١٥ نصف فضة.

وكان أغنياء الشوام يمتلكون عبيد وجوارى وعتقاء، فقد كان الخواجا عمر الحمصى لديه جوارى وعتقاء. وكان لدى الحاج عبدالله المشهدى التاجر الشامى الشهير فى مصر فى ذلك الوقت، مجموعة كبيرة من العتقاء وهم : حسن أوده باش عزبان، وبرهان الدين ابراهيم عزبان، وزين الدين مصطفى، وزين الدين اسماعيل، وعلم الدين سليمان بن عبد الله «الجرجى الجنس» وهو الى جانب عدد آخر من المعتوقات وهم : المصونة فاطمة بنت عبد الله البيضاء الجرجية الجنس والحرمة سمور بنت عبدالله السوداء، والحرمة غزال بنت عبد الله السوداء، والحرمة حلفا بنت عبد الله السوداء، والحرمة مريم بنت عبدالله السوداء.

## سكن الشوام بالقاهرة فى القرن الثامن عشر

وكان الشوام الكاثوليك يسكنون فى القاهرة فى أول الأمر فى مصر القديمة «العتيقة»، ثم انتقلوا فى أوائل القرن الثامن عشر الى القاهرة

الحديثة، أى الى أحياء الموسكى والخليج وما جاورهما. وهذه المناطق هى مناطق التجارة فى القاهرة أى أنهم سكنوا بالقرب من هذه الأحياء أو بها، حيث يزاولون تجارتهم، فعلى سبيل المثال كان الخواجا على بن أحمد المعروف بالعاقل الشامى التاجر بخان الحمزاوى يسكن بخان الحمزاوى.

كما كان زين الدين بن كمال الدين الشامى يسكن بالجودرية وهى أماكن كلها متقاربة ومركز الحركة التجارة فى مصر فى القرن الثامن عشر، ولازالت الى الآن تحتفظ بطابعها التجارى.

## أوقاف الشوام

وقد أوقفت الشوام الكاثوليك بمصر فى القرن الثامن عشر الأوقاف لبناء الكنائس والاديرة أو لخدمة الكنائس والاديرة سواء فى مصر أو خارجها، فى بلاد الشام أو أوروبا. فعلى سبيل المثال، أوقف موسى جرجس الشهير بسمنة الطرابلسى التاجر فى الدخان فى عام ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م. جميع المكان الكائن بالقاهرة بخط باب النصر، داخل حارة الجوانية، بخوخة القطانين، على نفسه أيام حياته، ثم بعد وفاته يكون ٤/٣ هذا المكان «١٨ قيراطا» وقفا على فقراء النصارى «الواردين والمقيمين» بدير البنات المعروف بقصر الشمع بمصر القديمة. أما الربع الباقى (٦ قراريط) فيكون وقفا على فقراء النصارى «الواردين والمقيمين» بدير سيناء. فاذا تعذر ذلك صرف ريع هذا المكان لفقراء النصارى بمصر.

واشترى أنطون فرعون أثناء توليه ادارة جمارك مصر، أرضا واسعة فى مصر القديمة بجوار كنيسة المعلقة الشهيرة للأقباط، وأنشأ بها دارا فاخرة، وأقام بها أيضا كنيسة، جعلها تابعة لبطريرك الروم الكاثوليكى، لا شأن لبطريرك الروم الاسكندرى بها كما جعلها مستقلة عن كنيسة الفرنسيسكان وغيرهم،. وعين لها كاهنا ليقوم بخدمة أفراد أسرته من آل فرعون، وأبناء طائفته من الشوام الروم الكاثوليك. وكانت هذه الكنيسة التى أنشأها أنطون فرعون أول كنيسة للروم الكاثوليك فى مصر، خاضعة للبطريرك الانطاكى.

كذلك أنشأ أنطون فرعون بجوار هذه الكنيسة مقبرة لدفن الموتى الشوام الكاثوليك وقد أوقف أنطون فرعون بعد هربه لايطاليا الدار السابقة وما يحيط بها من الأراضى الواسعة كلها على دير المخلص بلبنان.

ودفع أنطون فرعون الى الآب اثناسيوس الدباس خمسماية ريال رومانى لشراء دار الوكالة الرهبانية المخلصية فى روما. وقد جعل له الآب المذكور، فى نظير ذلك خمسة قداسات تقام كل عام فى كنيسة القديس كيرلس، على الدوام، فى الدار المذكورة.

وأوقف كل من تادرس الكاتب بن سعد الخياط وزوجته بربارة بنت عطا الله الحريرى، جميع الحصة التى قدرها النصف «١٢ قيراطا» من كامل المكان الكائن بالقاهرة، لفقراء النصارى «القاطنين والواردين والمترددين» بدير الياس بجبل الكرم بالقرب من مدينة حيفا، ببلاد الشام.

## علاقات الشوام الاجتماعية في مصر في القرن الثامن عشر

وقد ارتبط الشوام الكاثوليك فى مصر، فى القرن الثامن عشر ببعضهم، ارتباطا شديدا، وتوثقت فيما بينهم أواصر الألفة، فاشتركوا مع بعض فى أعمال التجارة والمهن المختلفة، كما ارتبطوا عن طريق المصاهرات حتى صاروا مجتمعا مترابطا فى مصر وكانوا يساعدون بعضهم فى الاجازات وخاصة فى دفع الغرامات التى كان يفرضها عليهم الامراء المماليك. فقد كان أنطون فرعون واخوته بالاضافة الى اشتراكهم مع أبناء طائفتهم فى دفع الغرامات والاعانات المالية، كانوا يبذلون ما فى وسعهم لتخفيف ثقلها عن أبناء طائفتهم ما أمكنهم ذلك.

وقد تزوج الشوام الموارنة فى مصر من طوائف مختلفة فقد تزوجوا من نساء شوام موارنة مثلهم، أى أنهم تصاهروا مع بعضهم، وكان ذلك فى بداية استقرارهم مصر فى بدايات القرن السابع عشر.

وتزوج بعض الشوام الموارنة من مصريات ففى عام ١٧١٧ تزوج سعد بن ابراهيم الكاثوليكى من بيت لحم من شلبية بنت مكرمالله القبطية. كما تزوج بعض الأقباط المصريين من نساء شاميات كاثوليك، فقد تزوج المعلم (الجنرال) يعقوب فى عام ١٧٨٢ ، بعد وفاة زوجته الأولى، من مريم بنت نعمة الله الحلبى. ويبدو أن رجال الدين الأقباط «الارثوذكس» فى مصر ولا سيما البطريرك لم يرضوا عن هذه الزيجة، فعندما مات المعلم يعقوب فى عام ١٨٠١ لم تكن أرملته تملك وثيقة بزواجها، فحصلت فى عام ١٨١٨ على وثيقة بذلك من مسجلى العقود بمرسيليا.

وتزوج بعض الشوام سواء من المسلمين أو الموارنة من نساء كن فى الأصل جوارى بعد أن أعتقوهن وأدخلوهن فى ديانتهم. والواقع أن السجل المارونى يذكر فى هذه الفترة أكاليل كثيرة بين أرقاء اعتقوهم الشوام وتزوجوا بهن. كما نطلع فى وثائق المحكمة الشرعية، على زيجات لبعض المسلمين الشوام من هذا النوع والواقع فان هذه الظاهرة كانت منتشرة فى المجتمع المصرى فى ذلك الوقت وبالطبع بين أغنياء المصريين الذين كان فى استطاعتهم شراء الجوارى وإعتاقهن بعد ذلك والزواج منهن.

فبالنسبة للشوام الكاثوليك فقد تزوج فى يناير ١٦٦٧ حنا بن موسى المارونى من مريم الحبشية معتوقة السيدة خيلانة زوجة زناتى التاجر. وتزوج أراكيل سلامون الأرمنى الكاثوليكى فى ٢٩ مارس ١٦٨٥ من سيدة كانت فى الأصل جارية عند أحد الأتراك. كما تزوج جبرائيل المارونى الحلبى فى أول يناير سنة ١٧٧٣ من مرغريت بنت سركيس الارمنى الارثوذكسى من بلاد العجم. ويذكر السجل أن «هذه كانت رقيقة بين أيدى الأتراك» فافتداها جبرائيل هذا وأعتقها وأدخلها فى المذهب الكاثوليكى ثم أتخذها زوجة له.

أما بالنسبة للشوام المسلمين، فقد كان الحاج زين الدين بن كمال الدين الشامى التاجر بوكالة «قاسم كتخدا» متزوجا من عايشة خاتون بنت

عبدالله الجرجية الجنس، وشهباز خاتون بنت عبد الله البيضاء الجركسية الجنس. وكان الخواجا على ابن الخواجا أحمد المعروف بالعاقل الشامى، متزوجا من عايشة خاتون بنت عبد الله «البيضا» معتوقة أخيه الخواجا محمد العاقل الذى كان قد توفى . كما كان الحاج أبو بكر بن عمر الشامى التاجر بوكالة «ذو الفقار كتخدا» بخط رؤوس الجمالية، متزوجا من وردة بنت عبد الله السوداء.

كذلك تزوج بعض الشوام المسلمين من الأسر التركية، فقد تزوج الخواجا على بن الخواجا أحمد المعروف بالعاقل الشامى من فاطمة خاتون بنت اسماعيل الروسى.

وقد تزوج الشوام الكاثوليك من بعض الأوربيات فى مصر وخاصة الفرنسيين ففى أواخر القرن السابع عشر بين عامى ١٦٩١ - ١٦٩٥ - تزوج ابراهيم بن موسى من ماريا بنت فرنسيس بيير الفرنسية.

كذلك صاهرت بعض الاسر الشامية الكاثوليكية ، بعض الاسر الايطالية، ففى ٥ مايو ١٦٣٤ خطبت حنة بنت عبد الحى الأرمينية الى يوسف رومانو دلا براتا( Della Prata ). وفى ٣ نوفمبر ١٦٨٤ تزوج الخواجا ليورنسو جيويا (Gioia ) البندقى من بربارة بنت المعلم ميخائيل الشاوى المارونى.

وبالاضافة الى هذه المصاهرات السابقة بين الشوام الكاثوليك والجاليات الأوربية بمصر فى القرن الثامن عشر، فقد كان للشوام الكاثوليك علاقات اجتماعية أخرى مع هذه الجاليات الاجنبية الأوربية، تمثلت فى حضور أفراد هذه الجاليات وقناصلهم حفلات زواج الشوام الموارنة، ففى ٢٨ مايو ١٦٨٤ ،حضر بطرس ده رنان من مرسيليا والسيدة حنة ده روازريو، والخواجا اوثان الترجمان المرسيلى حفل زواج بطرس بن موسى الهدنانى وحنة هلال، من الموارنة. كما حضر قنصل «الفلاندر» «بلجيكا» فى ٢٣ سبتمبر ١٦٨٨ حفل زواج منصور ابن خليل من بيت لحم من نصرية بنت حنا، وهى من بيت لحم ايضا.

ووقف بعض أفراد الجاليات الأجنبية الأوربية، عرابين لبعض الشوام الكاثوليك عند تعميد أطفالهم. ففى ٦ ديسمبر ١٧٠٦ عند عماد أحد أبناء الشوام الكاثوليك كان من ضمن العرابين المسيو أوربيك التاجر البندقى. وفى ٣ مايو عام ١٧١٥ عند عماد مبارك بن قزمان الياس، كان أحد العرابين المسيو لمير الفرنسى.

كذلك وقف بعض الشوام الكاثوليك عرابين لعماد أطفال بعض الانجليز، ففى ٨ يناير ١٧٥٤ ، وقف الخواجا يوسف بن بكتى بن الخواجا نعمة الله الملكى الدمشقى، عرابا لأحد أبناء المستر برودرين الانجليزى بالاسكندرية وفى ٩ ابريل يقف الخواجا يوسف فرنجى الدمشقى عرابا لأحد أبناء المستر برودرين الانجليزى أيضا.

وكان لكبار التجار الشوام علاقات اجتماعية مع الامراء المماليك، فقد اتخذ بعضهم وكلاء لهم من الامراء المماليك، فقد كان الامير اسماعيل أفندى أوده باشه طائفة عزبان وكيلا شرعيا عن الحاج عبد الله المشهدى الشهير بالشامى، والذى كان من أعيان التجار فى البن.

وكان لبعض تجار الشوام علاقات مالية مع بعض أمراء المماليك، فكان التجار الشوام يقرضونهم الأموال، فقد كان الحاج زين الدين ابن كمال الدين الشامي بذمة سليمان جوربجي توفكجيان مبلغ ١٥ ألف نصف فضة.

كما كان للسيد الشريف عبد الرحمن الحمصي، ديون على عدد كبير من الأمراء بلغت جملتها ١.٠٨٠.٣٢٦ نصف فضة. وهو مبلغ ضخم لاشك فيه، ويبين حجم الثروات التي جمعها بعض التجار الشوام في مصر في القرن الثامن عشر.

## الرهبانية الحلبية المخلصية في مصر

بعد أن كثر عدد الموارنة في دمياط أخذوا يطلبون منذ عام ١٧٢٥ من الرهبانية الحلبية المخلصية ببلاد الشام أن ترسل اليهم بعض رجال الدين لكي يتولوا رعايتهم الروحية. الا أن الرهبانية لم تستطع إجابة طلبهم في أول الأمر، لقلة عدد الآباء فيها، ولكثرة الاشغال الملقاة على عاتقهم في لبنان. ولكنها استجابت لهم في عام ١٧٤٥، فأرسلت اليهم القس موسى هيلانة الشامي، الذى وصل ثغر دمياط في شهر يوليو من نفس العام.

ولم يكن للموارنة ولا لسائر الكاثولكية كنيسة في دمياط، ولذا فقد أخذ الآب موسى هيلانة الشامي أحد بيوت أبناء الطائفة مكانا لاقامة الشعائر الدينية، وكان يدعو اليه أبناء الطوائف الكاثوليكية الأخرى. ثم أخذ يسعى لايجاد كنيسة للشوام الكاثوليك، وقد استأجر من أجل ذلك بناء كبيراً يعرف بالبارحة على شاطىء البحر، من أوقاف الحاج خفاجى، وقد توفى الآب موسى هيلانة في عام ١٧٤٨.

ولما كانت البارحة وقفا اسلاميا ولم يصدر فيه فرمان، يجيز للموارنة إقامة معبد فيه، فقد أصدر مراد بك في عام ١٧٩٦ أمرا باغلاق كنيسة البارحة في دمياط، وحرم على الكاثوليك القيام بشعائرهم الدينية، وأمر بحبس القس يوسف السمعاني المقيم بالبارحة هو وتسعة أنفار من الشوام الكاثوليك معه، ووضعوا في السجن لمدة عشرة أيام، وطلب منهم أن يدفعوا ثلاثين ألف ريال.

وقد رفع الآب يوسف السمعاني وأعيان الطوائف المسيحية الكاثوليكية بمساعدة القنصل الفرنسي عرائض الاسترحام الى السلطان سليم الثالث الذى أصدر فرمانا بعدم التعرض لهم ولا لبارحتهم بشىء مغاير للشرع الشريف، وسمح للكاثوليك أن يصلوا بالبارحة حسب عوائدهم السابقة، وطلب من الهيئات الحاكمة في مصر مراعاة ذلك واعطاء الكاثوليك تصريحا بذلك.

أما في القاهرة فانه لايعرف على وجه التحديد، متى وصل اليها أول كاهن مارونى يتبع الرهبانية الحلبية، وان كان يمكن القول أنه وصل اليها بعد عام ١٧٤٥، وهو تاريخ وصول أول قس حلبي الى دمياط، وقبل عام ١٧٨١، فقد جاء في أوراق الرهبانية الحلبية المحفوظة بدير اللويزة بلبنان: «في ٥ شباط سنة ١٧٨١، توفى بمرض الطاعون في القاهرة القس مخايل كترون أثناء مباشرته أعمال الرسالة» ويستدل من ذلك أن الرهباينة الحلبية كانت ترسل كهنة الى القاهرة قبل عام

١٧٨١. أما أول قس «حلبى» تذكره سجلات الرهبانية، فهو القس بطرس ذكره، الذى عين فى عام ١٧٨٨، والذى مات فى عام ١٧٩٧، بمرض الطاعون.

## هروب الشوام من مصر في أواخر القرن الثامن عشر

وفى أواخر القرن الثامن عشر، وخاصة عهد مراد وابراهيم فزع من مصر الى ايطاليا عدد كبير من الشوام الكاثوليك، وذلك لازدياد اضطهاد المماليك لهم، فقد أغرق اسماعيل بك، يوسف كساب الشامى فى النيل. فخرج من مصر عدد كبير من الشوام الكاثوليك، كان من بينهم كما رأينا أنطون فرعون. ولما كانت موانى مصر الشمالية على اتصال تجارى دائم بموانى ايطاليا، وخاصة جنوة والبندقية وليفورنو التى كانت تضم منذ القرن الخامس عشر جاليات شرقية كبيرة، فقد تجددت رحلة الشوام الكاثوليك من مصر فى أواخر القرن الثامن عشر، للتجارة أحيانا وهربا من اضطهاد المماليك أحيانا أخرى.

## الشوام فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية

١٧٩٨ - ١٨٠١م

يتبوأ الشوام الكاثوليك فى عصر الحملة الفرنسية، مركزا مرموقا فى المجتمع المصرى، واذ كان بعضهم قد خرج فى عهد مراد وابراهيم، فان هذا البعض قد عاد الى مصر أثناء الحملة الفرنسية.

## الشوام تراجمة فى جيش بونابرت فى مصر

ومن أهم الأعمال التى مارسها الشوام فى مصر، أثناء الحملة الفرنسية وظيفة الترجمة، ذلك أن الحملة الفرنسية كانت فى أشد الحاجة الى مترجمين دائمين، ينقلون عنها الأوامر ويترجمون المنشورات ويسجلون محاضر الدواوين ويكونون وسطاء فى نقل الحديث بين الحكام والمحكومين. هذا بالاضافة الى أن الفرنسيين بعد أن استقروا فى القاهرة، أخذوا يتتبعون من بقى من عائلات المماليك.، ويهاجمون بيوتهم ويستولون على أموالهم، وكانوا فى تنقلاتهم يستصحبون معهم المترجمين ليقوموا بنقل الحديث بينهم وبين زوجات الامراء وأولادهم وخدمهم. فيذكر الجبرتى فى حوادث شهر ربيع الأول سنة ١٢١٣هـ، ان جماعة من جنود الفرنسيين ذهبوا الى بيت رضوان كاشف... وصحبهم ترجمان ومهندس.

وقد وجد الفرنسيون ضالتهم فى الشوام الكاثوليك لاجادتهم اللغتين الفرنسية والايطالية الى جانب معرفتهم باللغة العربية، ولاتفاق الطائفتين -- الفرنسية والشامية -- فى اعتناق دين واحد ومذهب واحد.

وقد اصطحب بونابرت معه فى حملته على مصر، مترجمين شوام، أغلبهم من رهبان المدرسة المارونية الشهيرة فى روما. ومن هؤلاء، الياس فتح الله ويوسف مسابكى. والراهب أنطون مشحرة الحلبى الذى نزع الاسايم والثوب الرهبانى وتقلد السلاح.

وبالاضافة الى هؤلاء المترجمين الشوام الكاثوليك الذين أتوا مع الحملة، فقد استعانت الحملة بمجموعة كبيرة من الشوام الكاثوليك، المقيمين بمصر. ومن هؤلاء التراجمة الشوام الذين استعانت بهم الحملة فى أعمالها الرسمية، نصر الله النصرانى ترجمان قائم مقام بليار. وعبود وميخائيل الصباغ حفيدا، ابراهيم الصباغ، طبيب ومستشار الشيخ ظاهر العمر، وفى مصر نشأ الاخوان وعندما دخل الفرنسيون مصر اتصلا بهم. وقد خرجا مع الحملة فى عام ١٨٠١ وذهبا الى فرنسا. وفى فرنسا اتصل ميخائيل بالمستشرق الكبير دى ساسي فى باريس. وعين مصححا للمطبوعات العربية فى المطبعة العربية بباريس، ثم ناظرا للمحفوظات الشرقية فى المكتبة الأهلية. وقد توفي ميخائيل الصباغ بباريس عام ١٨١٦.

ومن المترجمين الشوام الذين اتصلوا بالحملة الفرنسية فى مصر، الياس حنانيا فرعون من أسرة فرعون الشهيرة التى غادر معظم أفرادها فى عهد مراد وابراهيم مصر. وكان الياس فرعون وقت دخول الحملة الفرنسية مصر، معلم الجمارك بالبلاد وكان يجيد اللغات الايطالية والفرنسية والتركية واليونانية الى جانب معرفته بالعربية. وقد اتخذه بونابرت ترجمانا خاصا وكاتما لاسراره، عوضا عن المستشرق الفرنسي الشهير Venture أكبر تراجمة الحملة الفرنسية، ومن أعضاء المجمع العلمى الفرنسى الذى أنشأه بونابرت فى مصر، والذى مات بالدوسنتاريا على أبواب عكا ١٧٩٩.

وقد استمر الياس فرعون بعد رحيل بونابرت عن مصر، مترجما خاصا، لكل من كليبر ومينو وعند خروج الفرنسيين من مصر عام ١٨٠١ لم يشأ أن يخرج معهم وفى عام ١٨٠٢ عندما أرسل بونابرت سبسيانى سفيرا للشرق طلب منه أن يسأل عند وصوله الاسكندرية عن الياس فرعون وأن يستعلم منه أحوال مصر بعد خروج الفرنسيين منها، وأن يدعوه الى فرنسا باسم القنصل الأول ليعينه فى احدى الوظائف هناك وبالفعل سافر الياس فرعون الى فرنسا وقابل بونابرت الذى عينه فى إحدى وظائف وزارة الخارجية، ورتب له معاشا سنويا قدره ستة آلاف فرنك لمدى الحياة، ومنحه لقب قنصل فرنسا فى جزائر اليونان، واستقدم الياس زوجته وأخاه يوسف من مصر واستوطن باريس، الا أنه لظرف ما لم يتمكن من تولى الوظيفة التى عينه فيها بونابرت.

ومن التراجمة الشوام الذين استعانت بهم الحملة الفرنسية فى مصر فى أعمال الترجمة الشاعر نقولا الترك، صاحب سيرة نابليون والمديحة المشهورة فيه. وكان والده من القسطنطينية، وارتحل الى دير القمر وهناك ولد له نقولا الذى نبغ فى الأدب شعرا ونثرا واتصل بخدمة الامير بشير الشهابى، وله فيه مدائح كثيرة. وعندما دخل الفرنسيون مصر، سافر الى هناك، وقيل أن سيده الأمير بشير الشهابى هو الذى أرسله الى مصر، ليدرس عن كثب مدى ما ترمى اليه أطماع الفرنسيين وفى مصر اتصل نقولا بالفرنسيين وترجم لهم.

ويعتقد البعض أن نقولا الترك قد غادر مصر مع الحملة الفرنسية، فى حين ظل بدمياط حتى عام ١٨٠٥، فان الخورى بولس قرالى يذكر أن القس أنطون مارون ذكر فى مذكراته الخاصة أنه كان «يرسل الى رئيسه العزام بدير اللويزة ما يفيض عن نفقته من منسوجات القطر المصرى وارداته، تارة بواسطة الخواجا نقولا الترك الشاعر الكاتب الشهير، لما سافر من مصر الى دمياط وتوجه الى بر الشام فى أغسطس ١٨٠٤ وديسمبر ١٨٠٥، وطورا بواسطة يوسف عيروط» . ويذكر الخورى بولس قرالى أيضا، أنه قد ورد فى سجل العماد السنة ١٨٠٥ بكنيسة دمياط الكاثوليكية اسم الطفل ميخائيل الترك، فلعله ابن رزقه نقولا.

وكان من ضمن المترجمين الشوام للحملة أيضا، القس جبرائيل الطويل وقد غادر مصر مع الحملة، وبقى فى فرنسا سنوات الى أن عين استاذ اللغة العربية فى مدرسة اللغات الشرقية فى باريس، خلفا للاب رفائيل زاخور راهبة.

وهناك مترجم شامى آخر هو يعقوب بن يوسف، الترجمان الحلبى المارونى وقد استمر فى مصر بعد رحيل الحملة، وتوفى بها عام ١٨٠٣.

ومن أشهر التراجمة الشوام الذين استعانت بهم الحملة الفرنسية، هو الأب انطون رفاييل زاخور راهبة المخلص، وكانت اسرة رفائيل من طائفة الروم الكاثوليك الملكانيين، وقد رحلت من حلب الى مصر فى أوائل القرن الثامن عشر ويعود نسب هذه الاسرة الى امرأة بعد أن ترملت بموت زوجها، ظلت تلبس ثوب الحداد الاسود وكانت بحشمتها وحسن سلوكها كأنها راهبة، ولذلك غلب على أولادها لقب «بنى الراهبة».

وقد ولد أنطون رافاييل زاخور فى القاهرة فى مارس ١٧٥٩، وفيها نشأ نشأة دينية، والتحق بدير الآباء الفرنسيسكان، وفى عام ١٧٧٤، سافر الى روما ليتم علومه الدينية هناك، وقد استغرقت رحلته الى روما مائة يوم، فوصلها فى أواخر يناير ١٧٧٥، والتحق هناك بمدرسة القديس أثناسيوس الاكليريكية المخصصة لذوى الطقس اليونانى، ولذا يقال لها مدرسة اليونان، واستمر فى هذه المدرسة خمس سنوات أى الى عام ١٧٧٩، أتم فى خلالها دراسته الدينية، ثم مكث سنتين أخريين فى احدى الجامعات لدراسة اللغات وخاصة اللغة الايطالية.

وقد غادر رفاييل روما فى عام ١٧٨١، وذهب إلى صيدا والتحق بدير المخلص وهناك اشتغل بترجمة بعض الوثائق المحفوظة فى هذا الدير، وبعض الكتب الدينية من الايطالية الى العربية من تأليف الآب يوحنا بطرس بينا متى اليسوعى وهى: القلب المتخشع، والمرأة التى لا تغش، والصليب الحقيقى، والحكمة الحقانية. وظل يرتقى فى المناصب الدينية، فعين فى عام ١٧٨٢ شماسا ثم كاهنا فى عام ١٧٨٥. ثم ارتحل الى روما فى عام ١٧٨٨، فى سفارة دينية مع السيد أغناطيوس صروف مطران بيروت كمترجم وكاتم أسرار وساعد له فى الدفاع واثبات صحة انتخاب السيد أثناهير جوهر بطريركا فى تلك السنة. وفى روما قام القس روفائيل بترجمة أعمال مجمع الانتخاب من العربية الى الايطالية. وبتعريب البراءة البابوية بتثبيت البطريرك المذكور، وجميع المراسلات التى

صدرت حينئذ من روما بهذا الشأن الى البطريرك المذكور وغيره من المطارنة.

وبعد انتهاء هذه السفارة غادر رفاييل مع المطران أغناطيوس صروف روما وعرجا فى طريقهما على مصر بقصادة رسولية لاصلاح الخلاف الذى كان جاريا بين الآباء الفرنسيسكان وبين كهنة الروم الكاثوليك الذين كانوا يقدمون لابناء طائفتهم فى كنيسة الآباء الفرنسيسكان، وبعد الانتهاء من هذه المهمة يبدو أن المطران قد عاد بمفرده الى بيروت، وظل الآب روفاييل فى مصر، لأنه لم يكن للقس رفاييل أدنى ذكر فى المجمع الذى انعقد فى دير المخلص فى عام ١٧٩٠، من البطريرك المذكور ومطارنته مع الآباء من تلاميذ مدرسة روما. فى حين أنه قد جاء ذكر اسمه بين الكهنة الذين كانوا فى مصر فى عام ١٧٩٤، ولعله استقر بمصر حتى أن وصلت الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨، فكانت أعمالها ميدانا طيبا لاشباع طموحه وتحقيق اماله العريضة.

وعندما انشأ بونابرت المجمع العلمى فى مصر، اختير الآب أنطون رفاييل زخور راهبه ليكون مترجما فى المجمع، وعضوا فى لجنة الآداب والفنون الجميلة بالمجمع، فكان العضو الشرقى الوحيدبه. وقد قام الآب انطون رفاييل بنصيب كبير من أعمال هذا المجمع، غير أعداد كثير من الأبحاث وترجمة كثير من الوثائق التى كان يجمعها علماء الحملة الفرنسية ليصنفوا منها كتاب «وصف مصر» وليضعوا على ضوئها النظم الجديدة السريعة لادارة البلاد. ويبدو أيضا، أن رجال الحملة الفرنسية قد عهدوا اليه بترجمة كثير من المراسيم والفرمانات والقوانين الصادرة منهم الى الشعب المصرى، فعندما وصلت القوات الفرنسية الى العريش - أثناء حملتها على بلاد الشام - وصل من «برتييه» الى الجنرال «دوجا» منشور باللغة الفرنسية موجه الى أعضاء ديوان القاهرة وقد قام رفاييل بترجمة هذا المنشور الى اللغة العربية.

وبعد رحيل بونابرت الى فرنسا، وانتقال قيادة الحملة الى كليبر، أصدر كليبر فى ٢٥ نوفمبر ١٧٧٩، وأمر بتكوين لجنة لجمع المعلومات عن مصر، تتكون من ثمانية أعضاء، كان رفاييل من بينهم. وعندما قتل كليبر فى ١٤ يونية ١٨٠٠ انتقلت مقاليد الأمور الى مينو. أعاد مينو تكوين الديوان الذى أنشأه بونابرت فى صورة جديدة، من تسعة من المشايخ المسلمين يشترك معهم «فورييه» بلقب «قومسير» أو مدبر سياسة الاحكام الشرعية كما يسميه الجبرتى، وفى هذا الديوان عين رفاييل «ترجمان كبير» للديوان الجديد. وقد تمكنت الصداقة فى هذه الفترة بين القس رفاييل والقومسير «فورييه» فكانا يسكنان معا فى بيت رشوان بك بعابدين، حيث كانت تعقد جلسات الديوان.

وقد تم العثور فى محفوظات المجمع العلمى المصرى على وثيقتين هامتين من ترجمة «رفاييل» أثناء قيامه بوظيفة المترجم الاول للديوان، أولى هاتين الوثيقتين، ترجمة عربية بخط «رفاييل» للائحة قضائية أصدرها الجنرال مينو لتنظيم المحاكم المصرية، مؤرخة فى أول اكتوبر سنة ١٨٠٠، والوثيقة الثانية ترجمة أمر يومى صادر من الجنرال مينو فى ٢٣ أغسطس ١٨٠١ يتعلق بطريقة اختيار مشايخ البلاد وحقوقهم،ومكتوبة بخط «رفاييل» أيضا.

واستمر «رفاييل» على نشاطه المعهود يقوم بترجمة الرسائل والمراسيم والفرمانات ويقرأها بنفسه على أعضاء الديوان، ففي جلسة ٢٥ شعبان ١٢١٥هـ أرسل صارى عسكر «مينو» كتابا الى مشايخ الديوان قرأه رفاييل «الترجمان» الكبير وفي هذا الكتاب وجه «مينو» الشكر الى المشايخ لتهنئتهم له بالمولود الذى رزقه من زوجته المسلمة «زبيدة».

وقد مارس «رفاييل» قرض الشعر باللغة الفرنسية الى جانب عملة فى الترجمة فعندما وصل الى مصر فى ١٤ سبتمبر ١٨٠٠ خبر موت الجنرال «ديزيه» الذى توفى فى ١٤ يونيو سنة ١٨٠٠، وكان المعلم يعقوب قد اشترك معه فى احدى المعارك فى الصعيد ضد جماعة من المماليك وأبلى فى هذه المعركة، مما دفع «ديزيه» الى تقليده سيفا تقديرا لشجاعته.

وقد تألم المعلم يعقوب لهذا الخبر ألما شديدا، وأرسل الى الجنرال مينو يعرض عليه رغبته فى دفع ثلث نفقة الاثر المزمع اقامته لتخليد ذكرى «ديزيه» كما طلب من صديقه «رفاييل» أن ينظم له قصيدة شعرية يعزى بها الحكومة الفرنسية، وقد نظمها له «رفاييل» من أربعين بيتا فى ثلاثة أيام.

كذلك لم تشغل «رفاييل» الترجمة الرسمية تماما فى العهد الأخير عن الترجمة العلمية فقام فى شعبان ١٢١٤ «يناير ١٨٠٠» بترجمة رسالة طبية صغيرة ألفها «ديجنيت» كبير أطباء الحملة الفرنسية عن مرض الجدرى، وطرق علاجه وقد طبعت هذه الترجمة مرتين فى مطبعة الحملة. وكان عنوان الطبعة الأولى «هذا تنبيه فيما يخص داء الجدرى المتسلط الآن، وذلك بشرح موجه الى أرباب الديوان بمصر القاهرة، من قبل البلدى دجنط رئيس الأطباء فى الجيش الفرنساوى بجهة الشرق بمصر القاهرة، بدار المطبعة، الجمهور الفرنساوية فى يوم ٢٠ من شهر شعبان سنة ١٢١٤ هجرية» أما الطبعة الثانية لترجمة هذه الرسالة فكانت فى ٩ من شهر شعبان سنة ١٢١٥ «٢٦ديسمبر ١٨٠٠» تحت عنوان «هذا تنبيه فيما يخص داء الجدرى المتسلط الآن، وذلك بشرح موجه إلى أرباب الديوان بمصر القاهرة، من قبل السيتون دجنط رئيس الأطباء فى الجيش الفرنساوى بجهة الشرق فى ٢ من شهر شعبان سنة ١٢١٤ هجرية، مصر القاهرة، طبع ثانيا بدار مطبعة الجمهور الفرنساوى فى ٩من شهر شعبان هجرية، مصر القاهرة طبع سنة ١٢١٥ - قد نقلها وترجمها باللغة العربية القس رافايل راهب مصر».

وعند رحيل الحملة الفرنسية عن مصر لم يشأ الأب انطون رفاييل زاخور راهبة أن يرحل معها، بل ظل فى مصر نحو سنتين أخريين، عمل فى أثنائها سكرتيرا لرئيس طائفته الدينية الآب باسيليوس عطا الله. وفى ١٨٠٣ غادر رفاييل مصر الى باريس.

وهناك اتصل ببونابرت الذى عينه استاذا مساعدا بمدرسة للغات الشرقية بباريس، على أن يقوم بالقاء دروس فى اللغة العامية، وترجمة للمحفوظات العربية الموجودة فى المكتبة الخاصة بالأدب والتاريخ المصرى. وقد استفادت من هذه الترجمات اللجنة التى كانت تعمل لاخراج المؤلف الكبير «وصف مصر».

وظل رفاييل بباريس حتى عام ١٨١٢، فعاد الى مصر، واتصل بدولة محمد على، وعمل مترجما فى خدمته، وقد توفى رفاييل فى ١٣ أكتوبر ١٨٣١ بالقاهرة.

## الشوام وعضوية الديوان فى عهد الحملة الفرنسية

اشترك الشوام الكاثوليك فى الديوان الذى أنشأه بونابرت، فقد كان من بين أعضائه اثنان من الشوام الكاثوليك هما، يوسف فرحات وميخائيل كحيل.

وعندما أعاد مينو تشكيل الديوان، جعله على نسق غير الأول، فجعله من المتعممين فقط، ولذا فلم يدخله الشوام أو غيرهم وفى ذلك يقول الجبرتى ضمن أحداث شهر جمادى الثانى ١٢١٥هـ «وفيه شرعوا فى ترتيب الديوان على نسق غير الأول من تسعة أنفار متعممين لاغير وليس فيهم قبطى ولا وجاقلى ولاشامى ولا غير ذلك».

وقد عين مينو لهذا الديوان مترجمين شاميين، هما القس رافييل زاخور راهبة الذى أشرنا اليه من قبل ، «ترجمان كبير» والياس فخر الشامى «ترجمان صغير».

وقد وصف الجبرتى كيفية انعقاد جلسات الديوان، وعمل هذان المترجمان فقال «اذا تكامل حضور المشايخ يخرج اليهم الوكيل فورييه وصحبته المترجمون له، فيجلس معهم، ويقف الترجمان الكبير رفاييل، ويجتمع أرباب الدعاوى فيقفون خلف الحاجز عند آخر الديوان... وعنده الجاويش، ويدخلهم بالترتيب الاسبق فالاسبق، فيحكى صاحب الدعوى قضيته فيترجمها له الترجمان».

وكان عمل «المترجم الأول» رفاييل، فى هذا الديوان يشبه عمل سلفه فى ديوان بونابرت، اذ كان يقوم الى جانب الترجمة بقراءة الأوامر والرسائل والفرمانات فقد ذكر الجبرتى فى حوادث شعبان ١٢١٥ - ديسمبر ١٨٠٠ - يناير ١٨٠١ أن صارى عسكر أرسل الى مشايخ الديوان كتابا وقرأه الترجمان رفاييل».

## تعاون مسيحيى الشوام مع الحملة الفرنسية

وقد تعاون الشوام المسيحيون فى مصر مع جيش بونابرت، فبعد تحطيم الاسطول الفرنسى فى موقعة أبى قير البحرية، واليأس من وصول أى مدد من فرنسا أنشأ بونابرت فرقة عسكرية من مسيحيى الشوام والأورام، وقام الجنرال كليبر بتنظيم هذه الفرقة وتدريبها. وجعلها بقيادة يوسف الحموى. وقد اشتركت هذه الفرقة فى الزحف على عكا عندما قام بونابرت بحملته على بلاد الشام.

وعندما حاول بونابرت اكتساب ود وصداقة أحمد باشا الجزار والى عكا، استعان من أجل ذلك ببعض مسيحيى الشوام للقيام بعملية الواسطة بينه وبين «أحمد باشا الجزار»، فأرسل بونابرت اليه بهدية مع أحد الفرنسيين وبصحبته بعض مسيحيى الشوام على هيئة تجار، لكن أحمد باشا الجزار رفض مقابلة الفرنسى، وأمره بالرجوع من حيث أتى، واستبقى عنده مسيحيى الشوام المصاحبين له.

وقد قبض الجزار بعد ذلك على بعثة أخرى وقعت في يده مؤلفة من تجار شوام ومصريين، يبلغ عددها الاربعين، كان من بينها كاهن مارونى من أسرة قيالة، كان قادما من مدرسة الموارنة بروما.

ويبلغ من تعاون مسيحيى الشوام فى مصر مع الحملة الفرنسية، أنهم كانوا يشون بالمصريين لدى الفرنسيين، فالجبرتى يذكر ضمن أحداث رمضان ١٢١٣هـ فبراير ١٧٩٩ وأنه «فى يوم الثلاثاء سابعه انتدب للنميمة ثلاثة من النصارى الشوام وعرفوهم أن المسلمين قاصدون الوثوب على الفرنسيين فى يوم الخميس تاسعه فأرسل قائممقام خلف المهدى والاغا فأحضروهما وذكر لهما ذلك فقالا له هذا كذب لا أصل له، وانما هذه نميمة من النصارى كراهة منهم فى المسلمين، وفحص عمن اختلق ذلك فوجدوهم ثلاثة من النصارى الشوام فقبضوا عليهم وسجنوهم بالقلعة حتى مضى يوم الخميس، فلم يظهر صحة ما نقلوه فأبقاهم فى الاعتقال.

## الوضع الاجتماعى لمسيحيى الشوام فى أثناء الحملة الفرنسية

تمتع مسيحيو الشوام فى مصر فى اثناء الحملة الفرنسية على مصر بوضع اجتماعى ممتاز، وقد أساء هذا التحرر الى الشعور الاسلامى بمصر.

وقد عبر الجبرتى عن ذلك فذكر فى حوادث شعبان ١٢١٣ يناير ١٧٩٩ ومنها ترفع أسافل النصارى من القبط والشوام والأروام واليهود وركوبهم الخيول وتقلدهم بالسيوف بسبب خدمتهم للفرنسيين ومشيهم الخيلاء وتجاهرهم بفاحش القول واستذلال المسلمين.

وقد أدرك بونابرت ما فى هذا التحرر من اساءة للشعور الاسلامى وبين فى مذكراته تقديره أهمية هذا الأمر فقال: «لا فائدة فى اظهارنا الاحترام العميق للدين الاسلامى اذا كنا نسمح للأقباط والروم المسيحيين الغربيين بقدر من التحرر يغير من منزلتهم الماضية، وقد أردت أن يكونوا أكثر خضوعا وأكثر احتراما لكل ما يتعلق بالاسلام وبالمسلمين مما كانوا فى الماضى». ولذا فقد أمرهم الفرنسيون فى أول الأمر بالتزام عاداتهم القديمة مع المسلمين مثل عدم لبس العمائم البيضاء وأن يلبسوا العمائم السوداء والزرقاء، وعدم التجاهر بالأكل والشرب فى الأسواق وشرب الدخان فى رمضان».

فيذكر الجبرتى فى حوادث رمضان ١٢١٣ فبراير ١٧٩٩م «أن نصارى الشوام رجعوا الى عاداتهم القديمة فى لبس العمائم السود والزرق وتركوا لبس العمائم البيض والشيلان الكشميرى الملونة والمشجرات وذلك بمنع الفرنسيين لهم من ذلك».

## المحتويات

## ربيع أول ١٢١٣.



## ربيع ثان ١٢١٣.

## جماد أول ١٢١٣.

## جماد ثان ١٢١٣.



## رجب ١٢١٣.



## شعبان ١٢١٣.

## رمضان ١٢١٣.



## شوال ١٢١٣.

## ذو القعدة ١٢١٣.



## ذو الحجة ١٢١٣.



## ذكر من مات فى هذه السنة (١٢١٣/١٧٩٨م)

## احداث عام ١٢١٤ = ١٧٩٩م



### محرم ١٢١٤.



### صفر ١٢١٤.

## ربيع أول ١٢١٤.



## ربيع ثان ١٢١٤.



## جماد اول ١٢١٤.



## رجب ١٢١٤.

## شعبان ١٢١٤.



## رمضان ١٢١٤.



## شوال / ذو القعدة ١٢١٤.

## ذى الحجة ١٢١٤.



## ذكر من مات فى هذه السنة ١٢١٤/١٧٩٩م.



## ملاحق:

# احداث عام ١٢١٥ = ١٨٠٠م



## محرم ١٢١٥.



## صفر / ربيع أول ١٢١٥.

## جماد أول ١٢١٥.



## جماد ثان ١٢١٥.



## رجب ١٢١٥.



## شعبان ١٢١٥.

## رمضان ١٢١٥.



## شوال ١٢١٥.



## ذو القعدة ١٢١٥.



## ذو الحجة ١٢١٥.

## ذكر من مات فى هذه السنة ١٢١٥/١٨٠٠م.

## احداث عام ١٢١٦/١٨٠١م.



## محرم ١٢١٦.



## صفر ١٢١٦.

## ربيع اول ١٢١٦.



## ربيع ثان ١٢١٦.



## ملاحق:

## جماد اول ١٢١٦.



## جماد ثان ١٢١٦.

## رجب ١٢١٦.



## شعبان ١٢١٦.



## رمضان + شول ١٢١٦.



## ذو القعدة + ذو الحجة ١٢١٦.

## [موجز احداث هذا العام ١٢١٦]:



## ذكر من مات فى هذه السنة ١٢١٦/١٨٠١م.



## ملاحق:

## المصادر والمراجع:

١ ـ عبد الرحمن الجبرتي: دراسات وبحوث. الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٦. ١١١٠

٢ ـ التوقيعات الإلهاميه اللواء محمد مختار باشا.

٣ ـ وصف مصر (علماء الحملة الفرنسية.) ترجمة: زهير الشايب.

٤ ـ مخطوط احمد باشا الجزار (مكتبة جامعة القاهرة).

٥ ـ فتح مصر الحديث. تأليف. أحمد حافظ عوض. مطبعة مصر.

٦ ـ المسألة التاريخية فى الفكر العربى الحديث . د. وضاح شراره. معهد الانماء العربى.

٧ ـ تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى . أحمد السعيد سليمان. دار المعارف. القاهرة.

٨ ـ الوجود المملوكى العثمانى فى مصر. د. عراقى يوسف. دار المعارف القاهرة ١٩٨٥.

٩ ـ الحملة الفرنسية فى مصر. هنرى لورنس. ترجمة بشير السباعى. دار سيناء القاهرة ١٩٩٥.

١٠ ـ القاموس الجغرافى لمصر. أحمد رمزى.

١١ ـ الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى ـ د. ليلى عبد اللطيف. مطبعة جامعة عين شمس. القاهرة.

١٢ ـ حسين أفندى الروزنامجى.

١٣ ـ صحف بونابرت جزئين (كوريبه دى ليجيبت). القاهرة ـ دار البستانى.

١٤ ـ الخطط التوفيقية. على باشا مبارك. المطبعة الاميرية القاهرة ١٨٨٨م

١٥ ـ فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية. اندريه ريمون. ترجمة زهير الشايب. روزاليوسف. القاهرة ١٩٧٤.

١٦ ـ عبد الله جاك مينو. محمد فؤاد شكرى. مكتبة الخانجى. القاهرة ١٩٥٢.

١٧ ـ الجذور الإسلامية للرأسمالية . بيترجران. ترجمة: محروس سليمان . دار فكر. القاهرة.



دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع

٨ ش أبو المعالي (العجوزة) الجيزة - ت/ فاكس: ٣٤٧٣٦٩١

ش سوهاج من ش الزقازيق ( خلف قاعة سيد درويش ) الهرم - جيزة
تليفون وفاكس ٥٦٣٤٦٩٩

## هذه السلسلة تضم







مكتبة مدبولي

MADBOULI BOOKSHOP

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت : ٥٧٥٦٤٢١

6 Talat Harb SQ. Tel. : 5756421